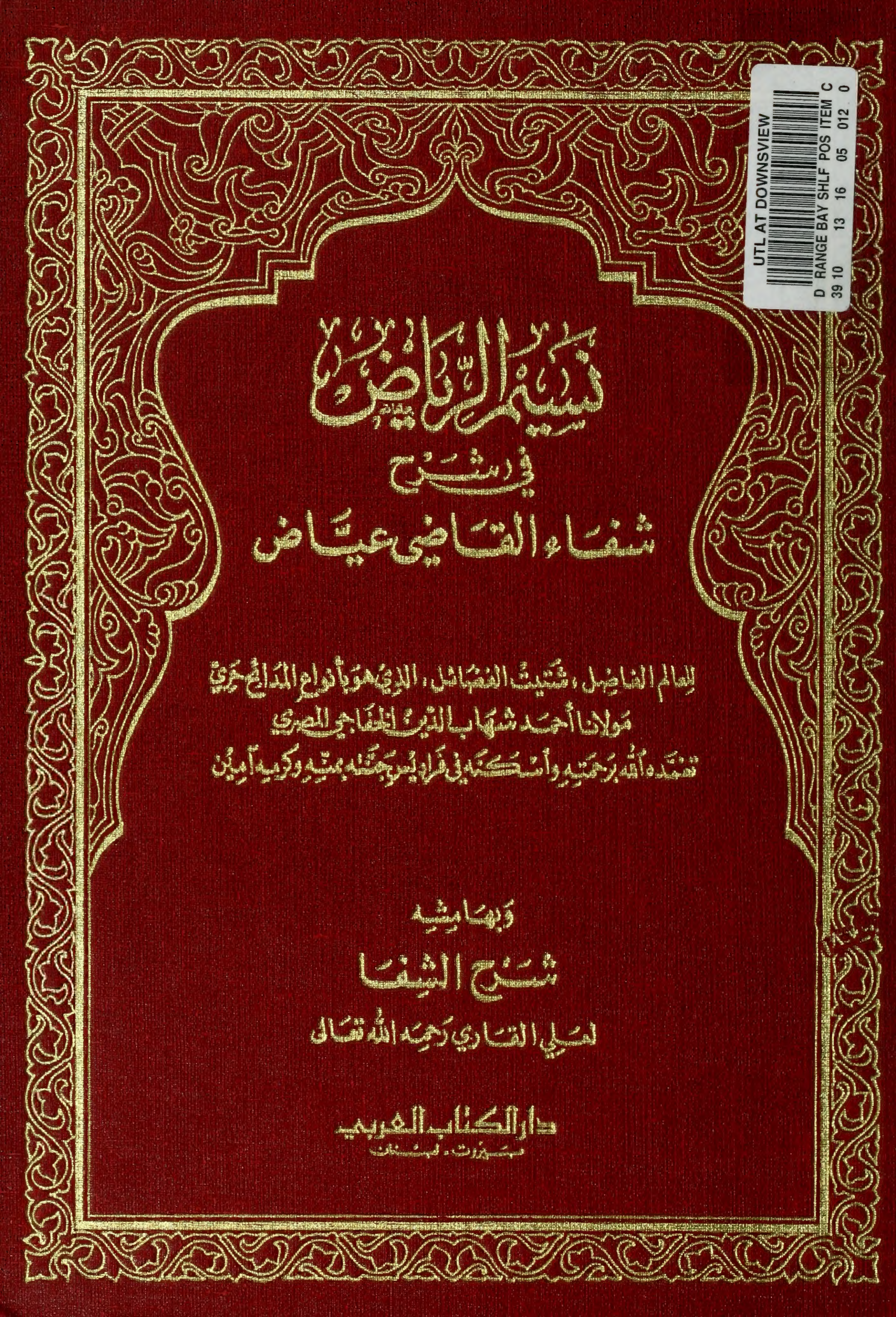

نسيم الرياض
في شرح
شفاء القاضي عياض
للعالم الفاضل، شتيت الفضائل، الذي هو بأنواع المدائح حري
مولانا أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري
تغمده الله برحمته وأسكنه في فراديس جنته بمنه وكرمه آمين
وبهامشه
شرح الشفا
لعلي القاري رحمه الله تعالى
دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان
UTL AT DOWNSVIEW
D RANGE BAY SHLF POS ITEM C
39 10 13 16 05 012 0


PLEASE DO NOT REMOVE
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

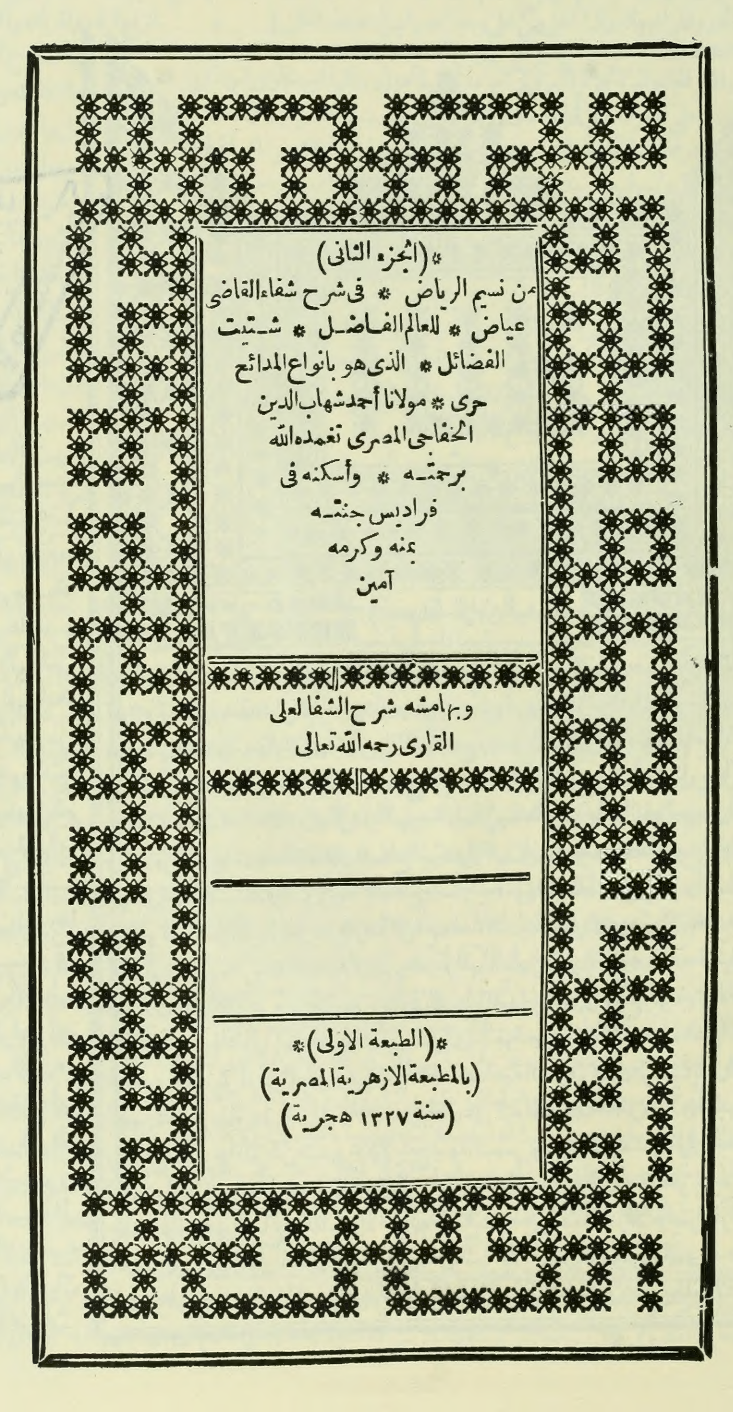
UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY



Digitized by the Internet Archive
in 2010 with funding from
University of Toronto

http://www.archive.org/details/nasmalriyfsharsh02khaf

Nasim al-riyād Vol. 2



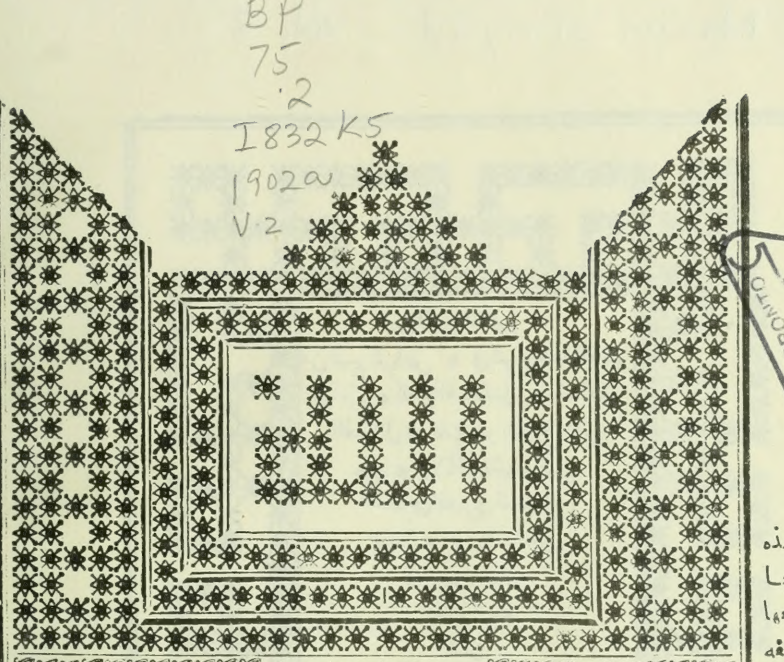
*(الجزء الثانى)

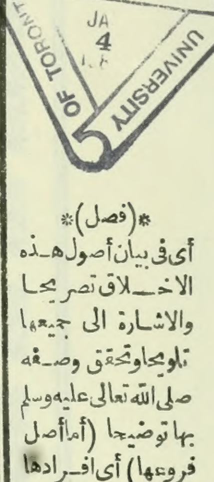
من نسيم الرياض * فى شرح شفاء القاضى
عياض * للعالم الفاضل * شتيت
الفضائل * الذى هو بانواع المدائح
حرى * مولانا أحمد شهاب الدين
الخفاجى المصرى تغمده الله
برحمته * وأسكنه فى
فراديس جنته
بمنه وكرمه
آمين

وبهامشه شرح الشفا لعلى
القارى رحمه الله تعالى

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٧ هجرية)

BP
75
.2
I832K5
1902a
V.2





(بسم الله الرحمن الرحيم)

(فصل أما أصل فروعها) هذا الفصل معقود لبيان أصول الاخلاق صريحا والاشارة الى جميعها تلويحا التحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها وضمير فروعها للاخلاق المذكورة قبله (وعنصر) هو بضم الصاد وفتحها والاول أشهر والثانى أفصح ومعناه الاصل والمادة والعناصر اذا أطلقت يراد بها التراب والماء والهواء والنار لتركب جميع الاجساد منها والينابيع فى قوله (ينابيعها) جمع ينبوع وهو ما ينبع الماء منه كالعين وكل ما يتفجر منه الماء (ونقطة دائرتها) والنقطة جزء من الخط والسطح مركب من خطوط مسطحة فاذا كان السطح مستديرا يكون فى حاق وسطه نقطة جميع الخطوط الخارجة منها الى الخط المستدير الذى يحيط بالسطح متساوية فتلك النقطة تسمى مركزا وذلك السطح يسمى دائرة وكذا الخط المحيط به ويصح ارادة كل منهما هنا فشبه العقل الذى مبنى الاخلاق عليه بشجرة أصلها العقل وفروعها الاخلاق ونورها وثمراتها ما يظهر منها وينتفع به غيره ثم شبهه بعين تلك الاخلاق كأنها الفائض منها ثم شبهه بنقطة فى الوسط المعتدل يتساوى جميع جوانبها والاخلاق كسطح أوخط محيط بها فقال (فالعقل) وهو مشتق أى مأخوذ من عقله اذا شده فمنعه من الحركة لانه يمنع صاحبه مما لا يليق أو من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه وهو كما قال الراغب يقال للقوى المتهيئة لقبول العلم ويطلق على العلم المستفاد منه ولذا قال على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممتنع * وفى الحديث ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى * وقال بعض الحكماء هو جوهر وقال آخرون جسم شفاف محله الدماغ أو القلب والاصح انه قوة نفسية هى منشأ الادراك وليس المراد به هنا العقل العاشر المسمى بالعقل الفعال كما قيل لان أهل الشرع لا يقولون بمثله وقوله (الذى ينبعث منه) أى ينشأ ويخرج وهذا ناظر لكونه ينبوعا وقوله (العلم والمعرفة) العلم يكون بمعنى مطلق الادراك وبمعنى

(فصل)
أى فى بيان أصول هذه الاخلاق تصريحا والاشارة الى جميعها تلويحا وتحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها توضيحا (أما أصل فروعها) أى افرادها من حيث انبعاثها من العقل الذى هو معدنها (وعنصر ينابيعها) بضم العين والصاد وبفتح أى أصلها الذى كأنها تنبع منه حين ظهورها والعطف تفسير فى العبارة وتفنن بالاشارة (ونقطة دائرتها) أى مركزها وقطبها الذى هو مدارها (فالعقل) أى ادراك النفس باشراق ظهوره أو افاضة نوره كالشمس بالنسبة الى الابصار (الذى منه ينبعث العلم) بالكليات (والمعرفة) بالجزئيات

ادراك

(ويتفرع من هذا) أى من كونه أصلا (ثقوب الرأى) أى نفوذه وأحكامه (وجودة الفطنة) بفتح الجيم أى حسن الفهم (والاصابة) بالرفع وفى نسخة بالجر والمراد بها ادراك الغرض على وجه الصواب (وصدق الظن) بالرفع لاغير والمراد موافقته للواقع في الخارج أو الذهن (والنظر للعواقب) أى التامل والتدبر فى عواقب الامور ليتميز محمودها من مذمومها فيكتسب المدائح ويجتنب القبائح (ومصالح النفس) أى لمصالحها ومنافعها ومحاسن عاقبتها مما لها دون ما عليها (ومجاهدة الشهوة) أى لمدافعتها وفى بعض النسخ بالرفع أى ويتفرع منه مجاهدة النفس بترك الشهوات واللهوات والغفلات وحملها على الطاعات والعبادات (وحسن السياسة) بالرفع أى سياسة الناس بالعدالة وصدق اللهجة ووفق النهجة (والتدبير) أى وحسن التدبير لامورهم معاشا ومعادا (واقتناء الفضائل) بالرفع أى تكسب الشمائل (وتجنب الرذائل) ويحصل الكل بمخالفة الشهوة والهوى وموافقة الشريعة والهدى (وقد أشرنا) أى فيما سبق (الى مكانه) أى محله (منه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لتمكنه من كمال العقل الذى هو أساس العمل بالعدل فى جميع مراتب القول والفعل (وبلوغه منه) أى والى وصوله منه على كمال فصوله فى حصوله (ومن العلم) أى وتمكنه من العلم الحاصل المتفرع على العقل الكامل (الغاية) أى بلوغه للغاية القصوى كما فى نسخة (التى لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك) أى من أجل جلالة محله من العقل والعلم

ادراك الكليات والمعرفة ادراك الجزئيات وقيل انها ما سبق بالجهل وقال البيضاوى انها تكون بمعنى العلم كما ان العلم يكون بمعنى المعرفة كما فى قوله تعالى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم أى الله يعرفهم والعلم بمعنى المعرفة قال الفاضل المحشى معترضا عليه صرحوا بان العلم بمعنى المعرفة لا يطلق على الله لاقتضائه سبق الجهل وتبع فيه السيد فى شرح المواقف فى قوله علم الله لا يسمى معرفة لا اصطلاحا ولا لغة اجماعا وخطاء فيه الحافظ العراقى رحمه الله تعالى فى نكته على المنهاج فقال ان امام الحرمين فسر العلم به واطلاق المعرفة على الله ورد فى الحديث وكلام الصحابة وأهل اللغة والمتكلمين انتهى فاى اجماع مخالف لهذا ومثله عجيب من الشريف (ويتفرع) أى ينبنى ويظهر ناظرا لكونه أصلا (عن هذا) عداه بعن لتضمن يتفرع معنى ينشأ والمعروف تعديته بعلى وهذا اشارة للاصل الذى هو العقل (ثقوب الرأى) أى نفاذ رأيه فيما يفكر فيه ويدرك به عواقب الامور ومنه كوكب ثاقب أى مضىء فقوله (وجودة الفطنة) وهى الحذق وسرعة الانتقال (والاصابة) أى موافقة الصواب فيه تفسير لثقوب الرأى (وصدق الظن) أى موافقته للواقع كاليقين كما قال

الالمعى الذى يظن بك الظن * كأن قد رآى وقد سمعا

(والنظر للعواقب) أى كأنه ينظر عواقب الامور ويشاهدها كما قال

وانى لارجو الله حتى كأنما * أرى بجميل الظن ما الله صانع

(ومصالح النفس) مجرور معطوف على العواقب أو مرفوع معطوف على ثقوب الرأى أى ما فيه صلاح وخير لها (ومجاهدة الشهوة) أى مدافعتها وممانعتها عما تريده فانه جهاد أكبر وأعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك (وحسن السياسة) لغيره بامره من ساسه اذا حكم عليه وهو لفظ عربى لقوله وكنا نسوس الناس والامر أمرنا * وليس معربا كما توهمه ابن كمال فى رسالة التعريب كما مر بيانه (والتدبير) النظر فى ادبار الامور وعواقبها وهو عطف تفسير لما قبله أيضا (واقتناء الفضائل) أى اكتسابها والتحلى بها (وتجنب الرذائل) أى ترك كل ما يذم وينقص به الانسان كالكذب والخيانة (وقد أشرنا) أى ذكرنا فيما تقدم فيما أوردناه فى صفاته والاشارة وان كانت تطلق على ما يقابل العبارة قد يراد بها العبارة أيضا لنكتة (الى مكانه منه عليه الصلاة والسلام) الضمير الاول له صلى الله تعالى عليه وسلم والثانى للعقل والمكان المرتبة المعنوية فى الفضائل يقولون فلان بمكان من الفضل يريدون علو تبته فيه وقيل المراد مكانه من العقل بمعنى انه حائزه ومالك لامره على طريقة التجريد مبالغة فى تمكنه منه ولا يخفى ما فيه من التكلف من غير داع له (وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه) كما سنبينه (واذ جلالة محله من ذلك) قيل الظرف متعلق بقوله حارت العقول الآتى فى آخر الفصل أى حارت العقول وقت حلوله الى آخره أو اذ تعليلية أى حارت العقول لاجل الخ وقيل انه علة للاشارة الى مكانه منه وبلوغه غايته أى من أجل ان جلالة محله الخ واذ تعليلية كما فى قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وقيل المعنى من أجل ان جلالة محله متحقق يجب اعتقاد ذلك ويجوز أن يكون ذلك لمجرد التحقق ولا يخفى ما فى هذا كله من التكلف والذى ظهر لى انه معطوف على ما قبله لانه يعلم من اشارته الى مكان منه لم يبلغه غيره علو ظاهر فيه فكأنه قال اذ علو قدره فيه محسوس مشاهد واذ جلالة محله أمر متحقق بالدليل القاطع فاستدل عليه بالحس والعقل ومثله يسمى العطف على المعنى وهو فى القرآن وكلام العرب متداول قال ناظر الجيش فى شرح التسهيل فى قوله

أجدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيدان ناجية ذمولا

ولا متدارك والليل طفل * ببعض نواشغ الوادى حمولا

متدارك بالجر لان المعنى لست برآ ولا متدارك وجعله أبو حيان من العطف على التوهم كقوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

والاولى انه من العطف على المعنى وفرق بينه وبين العطف على التوهم وفيه كلام وقد بيناه فى نكت المغنى وقوله من ذلك اشارة للاصل ولو سلمنا صحة تعلقه بقوله حارت كان معطوفا على ما قبله ولا وجه له (وما يتفرع منه) من الاخلاق الشريفة وثمراتها (متحقق) لا ريب فيه لتواتره بحسب المعنى (عند من تتبع) أى علم فعبر بالسبب عن مسببه كما قالوه فى تتبع خواص التراكيب (مجارى أحواله) جمع مجرى أو مجرى بالضم أصله مسيل الماء والمراد ما جرت به عادته فى أحواله ولا يخفى لطفه مع ملاحظة قوله أولا ينابيعها فانه جار على مجراها ومنحدر اليها (واطراد سيره) الاطراد افتعال من الطرد وهو الجرى خلف شئ من صيد أو غيره ومنه مطاردة الفرسان فى الميدان ومناسبته للسير وان كان المراد بها مطلق الصفات لانها تختص بالغزوات وقيل المراد محال اطرادها ليوافق قوله مجارى أحواله أى محال جريانها والاطراد مصدر اطرد الشئ تبع بعضه بعضا فجرى والانهار تطرد أى تجرى ومنه الاطراد البديعى لسرد أسماء الممدوح وانتظام نسبه والمعنى جرى سيره فى جداول الكتب منسجمة فهو استعارة وجه الشبه فيها الكثرة ولا يخفى ما فيه من البعد (وطالع جوامع كلامه) اما جمع جامع والمراد الكتب الجامعة للحديث الشريف أو كلماته الجامعة للحكم التى تتحير فيها عقول البلغاء والحكماء (وحسن شمائله) بالجر معطوف على كلامه وهى جمع شمال بمعنى الخلق والصفة قال

* فالمؤمن أحمد من شمائليا * أى من خلقى وعادتى (وبدائع سيره) أى سيره البديعة وينبغى ان يراد بها كتب السير حتى لا يكون مكررا مع ما مر (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف وهى القول المصيب غرض الحق والحديث معروف (وعلمه بما فى التوراة والانجيل والكتب المنزلة) بالتشديد والتخفيف على الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالزبر والصحف أى على علمه بذلك والتوراة أجل الكتب المنزلة قبل القرآن وأصلها وورية أبدلت الواو تاء ووزنها تفعلة بفتح العين أو كسرها وقيل وزنها فوعلة والانجيل بالكسر وقد تفتح من النجل وهذا أمر تقديرى ليجرى عليه أحكام الالفاظ العربية اذ الاشتقاق لا يجرى فى غير كلام العرب (وحكم الحكماء) جمع حكمة أى ما لهم من الحكم فى كلامهم فانهم كان لهم اعتناء بذلك وقد مر انه جمعها ابن مسكويه فى كتاب كبير سماه جاودان خرد وقد طالعته فرأيت أكثره ورد فى الاحاديث الشريفة ولكن أين الثريا من الثرى فان رونق الالفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته (وسير الامم الخالية) أى ما وقع فى زمنهم من الاحوال كما كان صلى الله عليه وسلم يحدث عن بنى اسرائيل وما كان من عجائبهم (وأيامها) أى وقائعها فى حروبها ومجادلاتها فان الايام شاعت بهذا المعنى كما يقال يوم حليمة ويوم بعاث وهو اطلاق شائع صار حقيقة فيه ومما قلته مشيرا لهذا المعنى

تمنيت من دهرى زمان نشأتى * زمان به طيف السرور كأحلامى

فجاء بايام على اثر ما مضى * ولكن حروب قد تسمت بايام

(وضرب الامثال) الامثال جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده الذى وقع فيه أولا مستعار من ضرب الخاتم أو اللبن كما حققه أهل المعانى والتفسير وهو مما يعتنى به البلغاء لكشف المعنى الممثل له وابرازه فى صورة المشاهد الى غير ذلك والامثال النبوية أفردت بالتأليف (وسياسات الانام) السياسة ضبط أمور العامة باللسان والسنان وتدبير أحوالهم وليس المراد حسن المداراة كما قاله التلمسانى والانام الخلق وقيل الانام عبارة عما يعتريه اللوم أو الانس أو الجن أو ما على الارض

(ومما تفرع) وفى نسخة ومما يتفرع (منه متحقق) ويروى متحققة أى ثابت مقطوع به فى أمره لا ريب فى علو قدره (عند من تتبع) أى علم بالتتبع وفى نسخة بصيغة المضارع المجرد والاظهر أن يكون بالمضارع المزيد أى يطالع (مجارى أحواله) أى الجارية على سنن الحق ووفق الصدق (واطراد سيره) جمع سيرة أى ويشاهد استمرار شمائله الرضية الظاهرية وفق أحواله البهية الباطنية فان الظاهر عنوان الباطن والاناء يترشح بما فيه (وطالع) أى علمها بطريق المطالعة (جوامع كلمه) اليسير المبنى والكثير المعنى (وحسن شمائله وبدائع سيره) أى وطالع ورأى فى الكتب أخلاقه الحسنة وسيره البديعة وسير سلوكه المنيعة (وحكم حديثه) بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة أى أحاديثه المشتملة على الحكم الكاملة الشاملة لاتقان العلم والعمل (وعلمه) أى طالع احاطة علمه (بما فى التوراة والانجيل) بكسر الهمزة ويفتح (والكتب المنزلة) اما مفصلة واما مجملة مما يحتاج اليه أمر دينه فى الجملة (وحكم الحكماء) أى علمه حكمهم ومعرفته حكمتهم (وسير الامم الخالية) أى الماضية (وأيامها) أى وقائعها فى قصص الانبياء السالفة (وضرب الامثال) أى الواقعة فى الاقوال والافعال (وسياسات الانام) أى أنواع من زجر العوام كالانعام لتحصيل تمام النظام فى الليالى والايام

من الخلق فيختلف بحسب ما يضاف اليه (وتقرير الشرائع) أي بيان ما يتعلق بأحكام الشرع في المعاملات وغيرها (وتأصيل الآداب النفيسة) أي بيان أصول الآداب التي تتأدب بها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اكرموا عزيز كل قوم ونهيه عن الالحاح والمجادلة كما في قوله تهادوا تحابوا وسماها نفيسة لانها مما يتنافس فيها المتنافسون (والشيم الحميدة) جمع شيمة وهي العادة قالوا الانصاف من شيم الاشراف أي عاداتهم والحميدة بمعنى المحمودة تضمن ومما ذكر (الى فنون العلم) التي كانت في الامم السالفة كالطب وغيره لما لم ينه الشرع عنه (التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) اقتدوا به فيها واستدلوا به عليها (واشاراته) في اثناء كلامه بها (حجة) دليلا عليها (كالعبارة) بفتح العين بضبط القلم والمحفوظ فيه كسرها كما قاله البرهان الحلبي وذكره الازهري والجوهري الا انه لم يضبطه والذي في النسخ كسر العين بمعنى تفسير الرؤيا وهو على قسمين في الرؤيا الصحيحة لانها على ثلاثة أقسام رؤيا ظالمة من الشيطان ومن عوارض بدن الانسان كمن غلبت عليه الحرارة فرأى نارا توقد عنده أو البرودة فرأى ماء وبحرا أو أكل مآكل غليظة سوداوية كالباذنجان فرأى سوادا ويسمى أضغاث أحلام ولا تأويل لها وكذا من غلب فكره في شيء فرآه كما قال المعري

الى الله أشكو انني كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهامي
فان كان شرا فهو لا بد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

ورؤيا من الله يريه الله ملك الرؤيا عند أهل الشرع أو تدركها الروح اذا انقطعت عنها علائق البدن واتصلت بالملأ الاعلى فتلقيها الى القوة المتخيلة فترتسم في الحافظة وتبقى مشاهدة فيها حتى يستيقظ فان كانت النفس قدسية والقوى قوية وقع ما رآه بعينه ولم يحتج للتأويل وهو الاكثر في رؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان على سننهم ولذا أراد الخليل عليه الصلاة والسلام ذبح ابنه ولم يأول رؤياه بالفداء حتى أمره الله تعالى به والا أول بما يناسبه معنى أو لفظا أو محاكية صورة وفعلها عبر بالتخفيف يعبر بالضم عبارة بالفتح كعلاقة وظلامة أو عبارة كرسالة وقد تشدد فيقال عبر تعبيرا قال في الكشاف في سورة يوسف رأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في الكامل يدل عليه وهو

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

انتهى هذا ما ذكره من يوثق به في اللغة كالجوهري وصاحب القاموس وغيره وقال في عمدة الحفاظ العبارة بكسر العين تختص بالكلام لعبوره الهواء من لسان المتكلم لسمع السامع ولا يستعمل في تفسير الرؤيا انتهى يعني انها فيه مفتوحة لا غير فتوهم بعض الشراح انها بكسر العين لا غير وانه أنكر هذا اللفظ مطلقا وأساء سمعا فأساء اجابة ثم جاء من بعده فضاربه مضاربة العميان فقال انه كلام ضعيف مردود فلم يقف على المراد ولم يأت بما يدفع الايراد فأخطأ في المبنى والعبارة واما تحقيق معنى الرؤيا فليس هذا محله ولعل النوبة تفضي اليه في بحث النبوة وقد أفردناه بتعليقه (والطب) وهو مثلث الطاء الا انه لم يستعمل فيما نحن فيه الا بالكسر والمراد به علم يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والمرض وهو من علوم الاوائل وللعرب به اعتناء وقد أفرد الطب النبوي بالتآليف (والحساب) بكسر الحاء مصدر حسب بمعنى عد ثم صار علما لعلم يعرف به أحوال المقادير وهو من العلوم الرياضية القديمة (والفرائض) ذكره بعد الحساب لتوقفه عليه وهو علم يعرف به أحوال المواريث وهو جمع فريضة بمعنى مفروضة لان الله فرضه وهو من العلوم الاسلامية واطلاق

(وتقرير الشرائع) أي بيان أحكامها أصولا وفروعا (وتأصيل الآداب النفيسة) أي وتأسيس أبواب الآداب المرغوبة وفي نسخة النفيسة والظاهر انه تصحيف (والشيم الحميدة) أي الاخلاق والعادات المطلوبة (الى فنون العلوم) أي منضمة أو منتهية الى غير ذلك من أنواع المعارف وأصناف العوارف (التي اتخذ أهلها كلامه عليه الصلاة والسلام فيها قدوة) بتثليث القاف والكسر أشهر ثم الضم أي مقتدى اقتدوا به (واشاراته حجة) أي واتخذوا اشارته بها وبغيرها دلالة بينة واستدلوا بها (كالعبارة) بكسر العين مصدر عبر الرؤيا يعبر بمعنى التعبير والتفسير أي ذكر عاقبتها وآخر أمرها ومثله التأويل أي ذكر مآلها ومرجعها (والطب) بتثليث الطاء وتشديد الباء والكسر أصح وأفصح مصدر طب أي عالج ووصف الدواء وازال الداء وصار سبب الشفاء (والحساب) مصدر حسب أي عد وهو علم يعرف به مقادير العدد بنوع الجمع والتفريق (والفرائض) جمع فريضة من الفرض بمعنى التقدير وهو علم يعرف به علم الميراث ومراتب الورثة من أصحاب الفرائض والعصبة وحكم سائر القرابة

(والنسب) بفتحتين من نسبت الرجل عزوته الى أبيه ورجل نسابة أي بليغ العلم بالانساب وتاؤه للمبالغة كالعلامة (وغير ذلك)
أي من علوم شتى ظهرت عليه في ٦ متفرقات حالاته (مما سنبينه في معجزاته) أي في أواخر الباب الرابع في ذكر معجزاته (ان شاء الله
تعالى دون تعليم) أي من غير تعليم له من بشر ولا تعلمه من أحد (ولا مدارسة) أي بينه وبين من يدرس غيبا (ولا مطالعة كتب من تقدم) ليتعلم منها نظرا فيما لا يعلم (ولا الجلوس الى علمائهم) أي علماء أهل الكتاب ولا عرفاء المشركين في كل باب (بل نبي أمي) أي منسوب الى أمه على وصف ما خلق حين تولده من غير قراءة وكتابة ومباشرة شعر وخطابة (لم يعرف) بصيغة المجهول أي لم يشتهر (بشيء من ذلك) أي مما ذكر (حتى شرح الله صدره) أي وسعه ونوره بالايمان والمعرفة والعلم والحكمة (وأبان أمره) أي وأظهر قدره بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة (وعلمه) أي ما لم يكن يعلم (وأقرأه) أي ما لم يكن يقرأ أو يتعلم كما قال سبحانه وتعالى في مبدأ وحيه اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم (يعلم ذلك) بصيغة المجهول أي يعرف جميع ما ذكر (بالمطالعة) في دلائل نبوته وشمائل سيرته (والبحث عن حاله) أي التفحص
عن افعاله (ضرورة) أي علما ضروريا وما قارب أن يكون بديهيا (وبالبرهان) أي ويعلم ذلك بالدليل (القاطع) مما حلق
قام من الارهاصات بعد خلقته والمعجزات (على) دعوى (نبوته نظرا) أي علما نظريا واستدلاليا فكريا (فلا نطول بسرد الاقاصيص)

هذا اللفظ عليه بعد نزوله القرآن ومعناه ظاهر (والنسب) أي معرفة انساب الناس من آدم عليه
الصلاة والسلام الى كل عصر وهو من علم التاريخ وكانت العرب تعتني به وهو أعلم الناس به وأعلم الناس
به بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصديق رضي الله تعالى عنه وهو من نسبت الرجل اذا عزوته
لابيه ومناسبته للفرائض ظاهرة وهذه العلوم كلها شرعية وفرض كفاية لاسيما الفرائض والانساب
فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بالمحافظة عليها ولعن من انتسب لغير نسبه فقال من خرج من
نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين كما نقله التلمساني (وغير ذلك مما
سنبينه في معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم في أبوابه ان شاء الله تعالى) وقد حصل له عليه السلام ذلك
(دون تعليم) من أحد من البشر والظرف متعلق بقوله علمه السابق (ولا مدارسة) من درس الكتاب
اذا قرأه وحفظه أي لم يعرف باخذه من الافواه وحفظه لشيء من العلوم عن غيره (ولا مطالعة كتب)
يقال طالعت الشيء اذا اطلعت عليه أي لم يطلع على شيء من الكتب بقراءتها أو سماعها لانه صلى الله
تعالى عليه وسلم كان أميا بين قوم أميين لم يره أحد قرأ ولا تعلم ممن قرأ واستعمال المطالعة بمعنى القراءة
وهو مجاز مشهور قريب من معناه اللغوي (من تقدم) ككتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والحكماء
(ولا الجلوس الى علمائهم) أي لم يعرف أحد انه جلس عند أحد ممن يعلم كتب من تقدم ليأخذها عنه
والضمير لمن باعتبار المعنى فكل ذلك الذي حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو علم لدني غير مكتسب
من أحد من البشر وأما قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر ففيه الرد على قولهم المذكور
بانه كذب محض يشهد العيان ببطلانه وقد تولى الله تكذيبهم في ذلك كما هو مبسوط في التفسير (بل
هو صلى الله تعالى عليه وسلم (نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك) التعلم والمدارسة والمطالعة والمجالسة أي
منبئ عن الله أو منبأ لا عن مخلوق والامي منسوب الى الام لانه كيوم ولدته أمه أو الى أم القرى أو أمة
العرب لان القراءة والكتابة كانت عزيزة فيهم والامي الذي لا يكتب ولا يقرأ الكتب * وقيل هو
الذي لا يكتب وبما شرحناه علمت مناسبة ذكر النبي هنا وفي الحديث انا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب
أي على جبلتنا لم نتعلم حسابا ولا كتابة فلا ينافي ما مر من علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالحساب (حتى
شرح الله صدره) أي وسعه ونوره بالعلم والحكمة وهداه لكل خفي من العلوم (وأبان أمره) أي أظهر أمره
في العالم للناس بآياته الظاهرة ومعجزاته الباهرة واقامته الحجج المتواترة (وعلمه) من لدنه العلوم
المعهودة وغيرها (وأقرأه) أي أقدره على القراءة بما ألقاه أو بما أوحاه اليه بواسطة الملك والاسناد
مجازي أو التجوز في الظرف كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى (يعلم) بالبناء للمجهول (ذلك) أي ما بلغه
صلى الله تعالى عليه وسلم من العقل والعلم من غير تعلم (بالمطالعة) أي بالاطلاع على سيره صلى الله تعالى
عليه وسلم وشمائله من كتب الحديث (والبحث عن حاله) وفي نسخة من حاله والظاهر الاول لتعديه
بعن وهو بمعنى التفتيش عنه بالسؤال وغيره (ضرورة) منصوب بنزع خافض متعلق بيعلم اي من وقف
على أحواله صلى الله عليه وسلم علم ذلك بمجرد التفات الذهن اليه من غير احتياج الى دليل (وبالبرهان
القاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم نظرا) أي ويعلم ذلك أيضا بالبراهين القاطعة الدالة على نبوته لمن
نظر فيها فقوله بالبرهان معطوف على قوله ضرورة وعلى نبوته حال من البرهان ونظرا تمييز والنظر أصله
تقليب البصر للادراك ثم استعمل في التأمل والفحص والمعرفة الحاصلة منه والاستدلال وهو المراد
هنا أي من نظر في دلائل نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم علم قوة عقله وانه أحاط بعلوم لا نهاية لها (فلا
نطول بسرد الاقاصيص) السرد تعداد أمور من القصص ونحوها متتابعة متوالية مستعار من سرد

حلق الدرع وخيوط النسج والاقاصيص جمع اقصوصة كاعجوبة بمعنى قصة أو جمع قصص على خلاف
القياس كما قاله التلمساني يقال قص واقتص بمعنى أخبر والقصص اسم مصدر وقيل انه يحتمل أن
يكون جمع اقصاص جمع قصص كانعام وأناعيم في جمع نعم الا أنهم تركوا استعمال اقصاص فانه لم
يسمع وفيه تكلف لا يخفى (وآحاد القضايا) أحاد بمد الهمزة جمع أحد بمعنى مفرداتها وفي العباب سئل أبو
العباس عن الآحاد هل هو جمع الاحد فقال معاذ الله ليس للاحد جمع ولكن ان جعلتها جمع الواحد
فهو محتمل كشاهد وأشهاد وليس للواحد تثنية ولا للاثنين واحد من جنسها انتهى والقضايا جمع
قضية وهي الجملة من الكلام الدالة على معنى من الاحكام وهي قريبة من قول أهل الميزان القول
المحتمل للصدق والكذب كالخبر فهي أخص من الكلام والجملة ووزنها فعالى عند الكوفيين وفعائل
عند البصريين (اذ مجموعها) أي جميع قصصه وقضاياه (مالا يأخذه حصر) أي ضبط وأصل معنى الاخذ
حوز الشئ وتحصيله ثم استعمل بمعنى الغلبة والقهر كقوله تعالى (لا تأخذه سنة ولا نوم) كما هو هذا هو
المراد هنا وجعل مجازا أو كناية عن انه لا يمكن حصره وكذا قوله (ولا يحيط به حفظ جامع) أي لا يحفظ
والاحاطة الاخذ بجوانب الشئ وأريد به ما ذكر (و بحسب عقله) قال البرهان هو في الاصل بسكون
السين و ينبغي أن يفتح أي بقدر عقله وادراكه وقد جوز فيه السكون لكنه ضرورة والذي في القاموس
هذا بحسب ذا أي بعدده وقد تسكن ولم يخصه بالضرورة (كانت معارفه صلى الله تعالى عليه وسلم) جمع
معرفة أي علومه (الى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان) أي مضمومة الى جميع ما
أو باقي ما أطلعه الله عليه مما تقدم في الكون من أحوال الامم الخالية وكتبهم وشرائعهم وما أطلعه الله
عليه من المغيبات التي ستأتي ولما كانت جلالة قدره بواسطة علمه بما يكون أقوى منها بواسطة علمه
بما كان قدم ما يكون في المستقبل على ما كان في الماضي مع سبقه اهتماما بشأنه ومقتضى الترتيب
العكس (وعجائب قدرته وعظيم ملكوته) مجرور معطوف على علم والمراد ما أطلعه الله عليه في الاسراء
من خلق الملائكة والسموات واقداره على ذلك في برهة من الزمن وقد مر ان الملكوت مبالغة في الملك
كالرحموت والجبروت ويطلق ويراد به عالم الامر ويقابله الملك (قال الله تعالى) وما يضرونك من شئ وأنزل
الله عليك الكتاب والحكمة (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) أي علمك ما لم يكن
من شأنك وفي قدرتك علمه كالمغيبات والاطلاع على أحوال الملكوت ولذا امتن عليه صلى الله تعالى
عليه وسلم بانه فضل عظيم فضله به على مخلوقاته تعالى لانه كقولهم ما يكون لك ان تفعل كذا أي لا ينبغي
ولا يليق أو لا يصح ولا يمكن ولذا ختم الآية بهذه المنة دون قوله في الآية الاخرى علم الانسان ما لم يعلم
الا أنه يبقى السؤال حينئذ على الآية الثانية بانه أي فائدة في ذكر هذا المفعول والتعليم معلوم انه لا يكون
الا لغير المعلول وقال في عروس الافراح بعد ما ذكر ان لم النافية يجوز فيها اتصال النفي وانفصاله وانهما
اجتمعا في قوله وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم وفائدة ذكر المفعول في قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
فان كان الانسان لا يعلم الا ما لا يعلم التصريح بذكر حالة الجهل التي انتقلوا عنها فانه أوضح في الامتنان
انتهى وفي حاشية السيرامي على المطول ان الشارح قال في بعض دروسه الاولى أن يقول ما لم يكن يعلم كما
في قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم اذ لا فائدة في ذكر المفعول اذ التعليم انما يكون لما لم يعلم ولم يكن فيه
اشعار بانه لو لم يعلمه لم يحصل العلم لخفائه على غير علام الغيوب وهو بعيد اذ ربما يتوهم حصوله من غير
تعليمه تعالى ورد بانه كقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم الآية فالاولى أن يحمل ذكره على افادة العموم
لانه لئلا يتوهم اختصاصه ببعض الافراد كقوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير
بجناحيه للتأكيد فتذكر لكن قوله من البيان يأباه و يحتمل انه ذكر للسجع انتهى * أقول هذا

أي بايراد قصص الانبياء
متتابعة مما يفيده
بالطريق الضروري
(وآحاد القضايا) أي ولا
بسردها مجتمعة مما
يقتضيه على السبيل
الفكري (اذ مجموعها مالا
يأخذه حصر) يحصيه
عددا (ولا يحيط به
حفظ جامع) يضبطه
عام أبدا (وبحسب عقله)
بفتح الحاء والسين على
ما في الاصول المصححة
وضبطه الانطاكي بسكون
السين وقال أي بعقله
فقط والصواب ما قلنا
والمعنى وبمقدار كمال عقله
(كانت معارفه عليه
الصلاة والسلام) في
نهاية لا ترام وغاية لا تسام
بل ولا تسام مرتقيا
ومعتليا (الى سائر ما علمه
الله) أي باقيه (وأطلعه
عليه من علم ما يكون) في
عالم الشهادة (وما كان)
في عالم الغيب من السعادة
والشقاوة (وعجائب
قدرته وعظيم ملكوته)
أي من ظهور رقوته
ووضوح سلطنته (قال
الله تعالى وعلمك ما لم
تكن تعلم) من تفاصيل
الشريعة وآداب الطريقة
وأحوال الحقيقة (وكان
فضل الله عليك عظيما)
حيث أنعم عليك انعاما
جسيما

(حارت العقول) أي دهشت وترددت (في تقدير فضله عليه) أي في تقرير عامه لديه وتصوير احسانه اليه (وخرست الالسن) بكسر الراء أي سكتت وبكمت الالسنة (دون وصف يحيط بذلك) أي عجزت عن ان تنطق بما يحصى مما من الله به عليه (أو ينتهى اليه) أي دون نعت ينحصر لديه لانه مظهر الاسم الاعظم والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل)

(واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القوة وفي نسخة مع القدرة (والصبر على ما يكره) بصيغة المجهول أي ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى (وبين هذه الالقاب) أي الاخلاق والآداب (فرق) أي فارق دقيق به يتميز كل عن الآخر في هذا الباب (فان الحلم حالة توقر وثبات) أي صفة تورث طلب وقار وثبوت في الامر واستقرار (عند الاسباب المحركات) أي للغضب الباعث على العجلة في العقوبة (والاحتمال) بالنصب أو الرفع (حبس النفس) أي تحملها (عند الآلام والمؤذيات) أي عند ورود ما يؤلمه ويوجعه من الامراض ويؤذيه ويتعبه من الاعراض فالآلام من المحن الالهية والاذى من جهة الحيوانات والآدمية فليس هذا (ومعانيها) من عطف العام على الخاص كما توهمه الدلجي وفي نسخة المرديات بالراء والدال المهملة أي المهلكات (ومثلها) أي المذكورات (الصبر)

كله كلام شطحي والذي ظهر لي في الآية ان جملة علم الانسان مفسرة للصلة وما الموصولة عبارة عن الكتابة والقراءة فانه لما قال له صلى الله تعالى عليه وسلم اقرأ فقال ما أنا بقارئ سواء أريد النفي أو الاستفهام قال له كيف لا تقرأ وربك الأكرم تفضل على عباده بنعم من أجلها ان كل انسان كان أميا مثلك في ابتداء أمره فعلمه الكتابة وقراءتها بالهامه فكيف لا يعلمك وأنت أعزهم عليه وأقواهم بصيرة فاي فائدة أتم من هذه وكل فعل متعد يدل على فاعل ومفعول ما التزاما ولذا لم يفد ضرب ضارب وضرب المضروب فان أريد عموم أو خصوص أفاد وهنا علم انه لو قال ما لم تكن تعلم أو عقبه بما عقب به تلك الآية لم يدر ادق محزه ومن قيل من انه لم يذكر الكون في هذه الآية الكريمة وذكره ثمة لانه ورد في مقام خارج عن اعتبار القوة والاجتهاد فلا يناسبه ذكر الكون المؤذن بهما بخلاف تلك ويؤيده قول الكرماني في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم ان كان ذكرت للتأكيد لان معناه كما في الكشاف ما صح ويعنى به نفي امكان الاضاعة وهو أبلغ من نفي الاضاعة نفسها ومنه يعلم السر في انه أردف قوله وعلمك ما لم تكن تعلم بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ولم يردف هذه به لما في الاول من المبالغة والتأكيد انتهى وقد علمت ما فيه مما تقدم وقوله (حارت العقول في تقدير فضله عليه) المذكور في هذه الآية لانه لا يمكن الوقوف عليه ولذا وصفه بانه عظيم منكره وما يكون عنده تعالى عظيما كيف يعلمه سواه (وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك) الفضل وما لا يدرك كيف يوصف وفي قوله خرست دون سكتت وصمتت مبالغة لانه يقتضي سلب القوة الناطقة ثم ترقى فقال (أو ينتهى اليه) أي كيف يحيط بما لم يصل اليه

(فصل واما الحلم)

أي حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وعدم اظهاره (والاحتمال) هو افتعال من الحمل وهو يكون على الظهر وفي البطن ففرق بينهما لفظا ثم استعمل في التكاليف كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به وللصبر على المكاره وعدم التأثر منها كما في الماء لا يحمل الخبث وهو المراد هنا (والعفو) عدم المؤاخذة بالذنب ونحوه وهو قريب من المغفرة وبينهما فرق تقدم (مع القدرة) وفي نسخة المقدرة بفتح الدال وضمها وميم مفتوحة مصدر ميمي بمعنى القدرة ومن كلامهم القدرة تذهب الحفيظة أي الغضب والحمية (والصبر على ما يكره) وكان صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا بمرتبة لا تدرك (وبين هذه الالقاب) أي بين مسميات هذه الالقاب (فرق) يتميز بها عن غيره واحتاجت الى الفرق لتقارب معانيها والمراد باللقب اللفظ الجامد الدال على صفة لا ما اصطلح عليه النحاة وهو كما قال الراغب اسم يسمى به الانسان غير اسمه الاول ويراعى فيه المعنى بخلاف الاعلام (فان الحلم حالة توقر) بفتح المثناة الفوقية وضم القاف المشددة أي اظهار الوقار وهو السكون يقال هو وقور ووقار ومتوقر أي ساكن غير مضطرب (وثبات عند الاسباب المحركات) كالغضب قيل ولا بد من اعتبار كون هذا السهولة حتى يخرج التحلم وان كان بعد الاعتياد يصير كذلك (والاحتمال حبس النفس عند) وروده ما يعتريها من (الآلام) بمد الهمزة جمع ألم وهو ما يؤلم في أي عضو كان (والمؤذيات) بالهمزة والواو والذال المعجمة جمع مؤذية والاذى كل ما يتأذى به والمراد بحبس النفس ضبطها حتى تخضع لسلطان العقل وتطمئن لما يأمرها به وفي نسخة العزفي رواية كما قاله التلمساني المرديات بالراء والدال المهملتين من الردى بمعنى الهلاك (ومثلها) قيل المراد مثل المذكورات وقيل المراد مثل الاحتمال وأنث ضميره باعتبار انه حال ولو قال ومثله كان أحسن وأسلم من التكلف (الصبر) فان معناه لغة الحبس ومنه قتله صبرا اذا أمسكه ليقتله في غير قتال وهذا يؤيد ارجاع الضمير للاحتمال

فانه حبس النفس على ما تكره الا أنه أعم منها فهو كالجنس وكل مما ذكر كالنوع فان الصبر يكون على العبادة وعن المعصية وفى المصيبة وهو فى الله وبالله ومع الله وعن الله والصبر يحمد فى المواطن كلها ※ الا عليك فانه مذموم أى عنك أو على بعدك (ومعانيها متقاربة) أى وان كانت حقائق مبانيها متباينة (وأما العفو فهو ترك المؤاخذة) وأصله المحو ثم استعمل فى معنى المجاوزة عن مجازاة المعصية وهو مصدر وليس كما قال الدلجى انه من أبنية المبالغة (وهذا) أى ما ذكر من الاخلاق الكريمة (كله) أى جميعه على الحالة المستقيمة (مما أدب الله) تعالى (به نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) كما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تاديبى (فقال) أى من جملة ما أدبه به سبحانه وتعالى (خذ العفو) أى المساهلة والمسامحة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف من حسن المعاشرة (الآية) أى واعرض عن الجاهلين بالمجاملة وحسن المعاملة وترك المقابلة كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أى سلام الموادعة الذى فيه السلامة من المواقعة وقد قيل ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق منها (وروى) أى كما فى تفسير ابن جرير وابن أبى حاتم وأبى الشيخ فى مكارم الاخلاق وابن أبى الدنيا مرسلا ووصله ابن مردويه (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) يعنى خذ العفو الى آخرها

(ومعانيها متقاربة) قال الراغب الصبر الامساك فى ضيق وحبس النفس عما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بسبب اختلاف مواقعه فان كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لاغير ويضاده الجزع وان كان فى محاربة سمى شجاعة ويضاده الجبن وان كان فى نائبة تضجره سمى رحب الصدر ويضاده الضجر وان كان فى الكلام سمى كتمانا ويضاده الذلة انتهى ومنه تعلم ان له معنيان خاص وعام فلو حمله المصنف على الخاص غاير أخويه وهو الاولى (وأما العفو فهو ترك المؤاخذة) بالهمزة وبالواو غير فصيحة وهى الجزاء على ما فعل غيره قيل وفى تفسيره بالترك اشعار بانه لا يكون الا عن قدرة لان من لا يقدر عادم لا تارك فتقييده به أولا للتأكيد كنظر بعينه كقوله

وان فى الحلم ذلا أنت عارفه ※ والحلم عن قدرة فضل من الكرم

لانه ان لم يكن عن مقدرة فهو عجز وما أحسن قول ابن زيدون

أرى الدهر ان يبطش فنلك يمينه ※ وان تبسم الدنيا فانت لها ثغر

عطاء ولامن وحكم ولاهوى ※ وحلم ولاعجز وعز ولاكبر

(وهذا كله مما أدب الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى آداب ومحاسن علمها الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وأرشده بعد ما خلق فيه استعدادا تاما لها كما قال أدبنى ربى فأحسن تاديبى وهو أحد الحكم فى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تربى يتيما حتى يعلم أن ربه مربيه من غير حاجة لامه وأبيه (فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وتمامها واعرض عن الجاهلين وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق أى تعاط العفو عن الناس وترك مؤاخذتهم وفى عدوله عن اعف الاظهر الاخصر نكتة يعرفها من له المام بالادب كما ان فى قوله وأمر بالعرف دون اعمل اشارة الى انه متصف به مركوز فى جبلته ومن تأمل مثله استخرج منها فوائد لا تحصر ومنهم من فسر العفو بالمساهلة وترك المؤاخذة والبحث عن مذام الاخلاق فامره بأخذ ما سهل من أخلاق الناس وأفعالهم من غير كلفة وطلب لما يشق واعترض عليه بانه غير مناسب لقوله (وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية) وهذا الحديث كما قاله السيوطى رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى تفاسيرهم وابن أبى الدنيا فى مكارم الاخلاق ووصله ابن مردويه من حديث جابر رضى الله تعالى عنه وعزاه الشيخ قاسم للبخارى عن عبد الله بن الزبير فى قوله خذ العفو الى آخره أنه قال ما أنزل الله هذه الآية الا فى أخلاق الناس وله فى رواية أخرى تعليقا عن عبد الله قال أمر الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس أو من أخلاق الناس وأما قوله تعالى واعرض عن الجاهلين أى عن معائبهم ولا تمارهم فان كان شاملا لمداراة الكفار فهو منسوخ بآية السيف وان كان أمرا بمكارم الاخلاق وعدم مقابلة من سفه فليست منسوخة ※ قيل ويعين هذا ما رواه البخارى من ان عيينة بن حصين استأذن له الحر بن قيس من عمر رضى الله تعالى عنه فى الدخول فدخل عليه وقال له يا ابن الخطاب أما تعطينا الجزل وتحكم بيننا بالعدل فغضب عمر رضى الله تعالى عنه فقال له الحر يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم خذ العفو الآية وان هذا من الجاهلين فما جاوزها عمر رضى الله تعالى عنه وكان وقافا عند كتاب الله فهذا يدل على انها غير منسوخة وليس كما قال فانه يجوز أن يكون استشهد بها لشمولها غير

(سال جبريل) قيل جبر وميك اسمان أضيفا الى ايل أو آل وهما اسمان لله تعالى ومعنى جبر وميك عبد بالسريانية ورده أبو على الفارسى بانهما لا يعرفان من أسماء الله سبحانه وتعالى وبانه لو كان كذلك لم ينصرف آخر الاسم فى وجوه العربية وكان آخره مجرورا أبدا كعبد الله تعالى قال النووى وهذا الذى قاله هو الصواب انتهى وفى جبريل أربع قراآت وتسع لغات (عن تأويلها) أى تحقيق تفسيرها (فقال له) أى جبريل (حتى أسئل العالم) أى الحقيقى الذى هذا كلامه ولم يعرف غيره حقيقة مراده ومرامه فصاحب البيت أدرى بما فيه من بيان مبانيه وتبيان معانيه (ثم ذهب وأتاه) أى بعد سؤاله اياه (فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال) أى الله تعالى (له) أى للنبى عليه الصلاة والسلام حكاية عن وصية لقمان لابنه يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر (واصبر على ما أصابك) أى من أنواع المحن وأصناف الضرر خصوصا من جهة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (الآية) أى ان ذلك من عزم الامور أى من مفروضاتها وواجباتها التى لا رخصة فى اهمالها لارباب كمالها (وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم) أى أصحاب الثبات والحزم (من الرسل) اما بيانية واما تبعيضية وهو المشهور وعليه الجمهور وهم الخمسة المجتمعة فى آية مختصة وهى قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك

الكفار لان هذا هو معناها فقط (سأل) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (جبريل) عليه الصلاة والسلام (عن تأويلها) أى تفسيرها وبيان المراد منها فانه أحد معنيى التأويل (فقال له حتى أسأل العالم) يعنى الله عز وجل والعالم كالعليم من أسماء الله تعالى ويوصف بهما غيره تعالى أما الاول فظاهر وأما الثانى فى حق الله فظاهر وأما فى غيره فكقوله

فان تسألونى بالنساء فاننى * عليم بادواء النساء طبيب

والثانى فى حق الله تعالى أشهر وقيل المراد بالعالم الكامل فى العلم كما فى قوله ذلك الكتاب فيختص به فانه مساو بهذا المعنى للعليم وأما العليم فاطلاقه على غير الله لم يسمع والشعر المذكور لابن الوردى وهو من المتأخرين لا يستدل به وهذا الحديث يكفى شاهدا لاطلاق العالم على الله وكاف فى ثبوته * أقول هذا عجيب من مثله وفيه من الخلط ما لا يخفى أما قوله ان الشعر المذكور لابن الوردى فافتراء عليه لانه شعر فصيح لبعض العرب وهو مذكور فى الشواهد وأما استدلاله على العالم بالحديث وهو مذكور فى القرآن كقوله عالم الغيب والشهادة فما يقضى منه العجب وأما قول جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أسأل العالم دون أسأل الله فكأنه تادب منه لايهام انه لا يسأل الله بالذات فكان بينه وبينه واسطة أى من هو عالم بالتفسير وفيه ارشاد لمن سئل عن شئ لا سيما القرآن فينبغى ان يثبت فيه وفى جبريل تسع لغات جبريل بكسر الجيم وجبريل بالفتح وجبرئل بالفتح مهموزا مشدد اللام وجبرائل بهمزة بعد الالف وجبرئل مفتوحا بهمزة بلا ألف وياء وجبرئيل وجبرين بنون وفتح الجيم وكسرها وفيه لغات أخر وقال الجوهرى والازهرى وكثير من المفسرين فى جبرائيل وميكائيل ان جبر وميك معناهما عبد وئيل وأل اسم الله وقال أبو على الفارسى هذا خطأ لان أل لم يذكر أحد أنه من أسماء الله تعالى ولانه لو كان كذلك كان عبد الله يلزم آخره حالة واحدة ولا يعرب بحسب العوامل قال النووى وهو الصواب ولا يخفى ما فيه فان أل اذا كان اسم الله فهو سريانى فلا يأباه عدم معرفة العرب له وأما اعرابه فلانه لما عرب غير عما كان عليه وجعل اسما واحدا ولذا ارجعوه لاوزانهم والعرف هو الخصال المحمودة لا العرف الشرعى كما توهم (فاتاه) الفاء فصيحة أى انفصل عنه وفارقه ثم أتاه (فقال يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك) الظاهر ان المراد به صلة الرحم والرحم بمعنى القرابة وصلتهم بالاحسان اليهم وفعل الجميل وقوله كالهدية والزيارة وارسال السلام ونحو ذلك وضده قطع الرحم ويحتمل التعميم لتعليم الخلق وترك التهاجر المنهى عنه كما فى قوله (وتعطى من حرمك) يقال حرمه وأحرمه بمعنى أى أحسن الى من لم يحسن اليك وهذا ارشاد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته وان كان لا يرجو غير الله واحسانه (وتعفو عمن ظلمك) هذا معنى قوله خذ العفو وما قبله يعنى وأمر بالعرف ولم يتعرض لقوله واعرض عن الجاهلين اما لظهوره أو للاشارة الى انه فى معرض النسخ أو لان المراد بالجاهلين من قطع وظلم وهذا اشارة الى أصول الاخلاق وأعظمها وأحبها الى الله تعالى فتدبر (وقال له واصبر على ما أصابك الآية) وهذه الآية من وصية لقمان لابنه اذ قال له يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر كما قصه الله تعالى فى كتابه الكريم وكل ما قصه الله تعالى من قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو ارشاد لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته فكأنه بما أمر به ابتداء فلا يتوهم انها ليست فى حقه أى اذا أمرت بمعروف ونهيت عن منكر وأصابك بسبب ذلك مكروه فاصبر له (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) قال العز

ابن

ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وقدم صلى الله تعالى عليه وسلم لما أنه فى الرتبة قد تقدم وقيل هم الصابرون على بلاء الله فنوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم صبر على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على فقد ولده وبصره ويوسف على الجب والسجن والرق وأيوب على الضر وموسى على محن قومه وداود على قضيته وبكائه أربعين سنة على خطيئته وعيسى على زهده وعدم بناء لبنة على لبنة وزكريا على قطع المنشار ويحيى على الذبح وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل من يصبهم فتنة منهم وقيل هم أهل الشرائع وقيل استثنى من الرسل آدم لقوله تعالى ولم نجد له عزما ويونس لقوله سبحانه وتعالى ولا تكن كصاحب الحوت (وقال) أى الله له ولاتباعه (وليعفوا) أى ما فرط فى حقهم من بعضهم (وليصفحوا) بالاغماض منهم والاعراض عنهم (الآية) أى ألا تحبون ان يغفر الله لكم أى لعفوكم وصفحكم واحسانكم الى 11 من أساء اليكم واعتدى عليكم وفيه التفات يفيد الاهتمام بامرهم وقد روى البخارى انه لما نزلت قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلى أحب ورجع الى مسطح نفقته التى قطعها عنه لخوضه مع أهل الافك وخطئه وصدر الآية ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وكان مسطح قريب أبى بكر ومسكينا ومهاجرا وفى الآية دليل على فضل الصديق وسعة علمه بالتحقيق واذا كان هذا العفو والصفح موصوفا أكابر الامة بهما فكيف صاحب النبوة لا يكون موصوفا باعلى مراتبهما (وقال وان صبر) أى على الاذى (وغفر) أى ستر ومحا وتجاوز وعفا (ان ذلك) ماذكر من الصبر والغفران (لمن عزم الامور) أى من أفضل الامور وامر قول الدلجى أى ان ذلك الصبر والغفران منه لمن عزم الامور فحذف منه كما حذف فى نحو السمن منوان بدرهم أى منه للعلم به فليس فى محله اذ هو مستغنى عنه فى صحة جمله وحمله (ولا خفاء) أى عند أهل الصفاء (بما يؤثر) أى فيما يروى (من حلمه) أى صبره مع أحبابه (واحتماله) أى تحمله على اعدائه حتى قال أبو سفيان له ما أحلمك حين قال له يا عم أما آن لك أن تسلم بابى أنت وأمى (وان) بفتح الهمزة وفى نسخة بكسرها (كل حليم) أى صاحب حلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاى أى عثرة وفى الحديث اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفى الحديث ما أعز الله بجهل قط ولا أذل الله بعلم قط وقيل ما عز ذو باطل ولو طلع القمر من جبهته

ابن عبد السلام أولوا العزم أولوا الجد والجهد والصبر وهم المأمورون بالجهاد أو الرسل من العرب وقيل من لم تصبه فتنة وقيل من أصابه بلاء بغير ذنب وهم نوح وابراهيم ومحمد صلى الله تعالى عليهم وقيل نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد وقيل هم المذكورون فى الانعام فى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده الا يونس لقصة الحوت انتهى ولا ينبغى عد محمد صلى الله عليه وسلم هنا لقوله كما صبروهم كلهم من الرسل وقد علمت انه اختلف فيهم فقال مجاهد هم خمسة وهم أصحاب الشرائع وقيل ثلاثة وقيل ستة وقيل جميع الرسل أولوا عزم وقيل كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام أولوا عزم الا يونس لتخليه والفاء فى قوله تعالى فاصبر فصيحة لان قبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار أى اذا كان عاقبة الكفرة ما ذكر فاصبر وقد صبر صلى الله عليه وسلم مثل صبرهم وزاد عليهم ومن فى من الرسل بيانية أو تبعيضية والخلاف دائر على تفسير العزم بالصبر كما هو ظاهر الآية أو الجد والاجتهاد أو الجهاد (وقال وليعفوا وليصفحوا الآية) ألا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم العفو عدم المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عنه وعن ذكره لان من أعرض عن شئ ولاه صفحة عنقه وهذه الآية وان نزلت فى الافك وفى حق أبى بكر رضى الله عنه اذ كان ينفق على مسطح لقرابته منه فلما خاض فى الافك آلى ان لا ينفق عليه فقال الله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين الى آخره فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلى والله انى لاحب ان يغفر الله لى وعاد الى انفاقه عليه فالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم داخل فى عمومها كما فى سائر الخطابات فلا يرد على المصنف ان هذه الآية ليست فى حقه صلى الله عليه وسلم (وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) أى من أهم الامور التى ينبغى التصميم والعزم عليها واللام موطئة للقسم ان قلنا ان من شرطية أو لام ابتداء ان قلنا انها موصولة كما فصله المعربون وهذه الآية مع ما قبلها كما علمت نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وقد شتمه بعض الانصار واستشهد بها المصنف على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان آخذا بذلك معتمدا عليه (ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله) الباء بمعنى فى ويؤثر بمعنى ينقل ويروى من حلمه وتحمله للاذى فانه شائع غير خفى على احد (وان كل حليم) أى ولا خفاء ان كل حليم غيره صلى الله عليه وسلم (قد عرفت منه زلة) بفتح الزاء المعجمة وهى الخطيئة والسقطة قال الشاعر

فتى لا ترى له زلة ليس بعدها ✽ حفوو زلات النساء كثير

(وحفظت عنه هفوة) بفتح الهاء وسكون الفاء وهى قريبة من الزلة معنى وقال التلمسانى هى بالفاء وهو أكثر وبالقاف وهى السقطة وهو قريب منه وهى من هفا بمعنى زل وسقط أو تحرك واسرع (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الأذى الاصبرا وعلى اسراف الجاهل الاحلما) جملة حالية أى مع انه لابد من الزلة والهفوة فى الغضب والمكاره فهو صلى الله عليه وسلم لا يزداد مع ذلك الاصبرا وحلما والمراد بالجاهل ليس ضد العالم وان كان أشهر معنييه بل هو السيئ الخلق المجازف فى أموره قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجهل بهذا المعنى خلاف الحلم ويتعدى بعلى وقد تترك تعديته كقول الحماسى

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

وقال بعض الحكما لا يحملنك سب الجهول لك وجرأة السفيه عليك على الاجابة له وفر به عليه فلم يغنى صبرك خير من سفه يشفى صدرك وهو مما يدل على مغايرة الحلم للصبر وان كان مقاربا له كما مر وهذا هو المعروف عند العرب فى الجهل والاسراف بمعنى الزيادة ومجاوزة الحد (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن على التغلبى وغيره) هو محمد بن على بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين بن زنة غيلان التغلبى بفتح المثناة الفوقية وسكون الغين المعجمة منسوب لتغلب اسم قبيلة سميت باسم أبيهم كتميم ولامه مكسورة تفتح فى النسب استيحاشا من توالى كسرتين وياء ولد سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ومات يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم سنة ثمان وخمسمائة ودفن يوم الجمعة بعد صلاة العصر وكان فقيها ثقة تولى القضاء فى أيام المرابطين ولاه يوسف بن تاشفين فسار باحسن سيرة وبقى فيها مدة عمره وسمع من شيوخ الاندلس وأخذ عنه المصنف فى رحلته لقرطبة (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية وألف وباء موحدة وهو ابن محسن الجذامى المحدث الفاضل توفى ليلة الثلاثا العشر بقين من صفر سنة اثنين وأربعمائة قال (حدثنا أبو بكر بن وافد وغيره) هو يحيى بن عبد الرحمن بن وافد بالفاء والدال المهملة علم منقول من الوافد بمعنى القادم قال ابن سهل فى أحكامه كان ابن وافد مقدما فى أصحاب ابن ذرب ثم سقط بعد موته والزم داره ثم أعاده المنصور بن سليمان الى مرتبته وجعل اماما بجامع الزهراء ثم وقعت له أمور اقتضت موته فى الحبس ودفن بمقبرة الربض سنة خمسين وأربعمائة وانتصر الله من قاتله بعد أيام وفى بعض الحواشى انه وقع هنا فى أصل السماع وافد بالفاء وفيما سيأتى فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واقد بالقاف وهو الصواب والاول هو الذى صححه البرهان الحلبى والتلمسانى قال (حدثنا أبو عيسى) هو الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله بن أبى عيسى يروى عن أبيه عبيد بن يحيى توفى لعشرين مضين من رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائتين قال (حدثنا عبيد الله) قال البرهان الحلبى هو أبو مروان عبيد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير قال (حدثنا يحيى بن يحيى) قال البرهان الحلبى هو يحيى بن كثير الليثى مولاهم البربرى المصمودى القرطبى الفقيه أبو محمد عالم الاندلس لم يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطأ مشهور به وموطاه أصح نسخ الموطا وقد سمعته بحلب وأقرأته بالاسكندرية اما الذى له ذكر فى البخارى ومسلم والترمذى والنسائى فهو يحيى بن يحيى ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن يحيى بن حماد التميمى أبو زكريا النيسابورى احد الاعلام انتهى قال (حدثنا مالك) بن أنس بن مالك بن أبى عامر الاصبحى امام دار الهجرة ومن اليه الرحلة بها صاحب المذهب الجليل واختلف فيه هل هو تابعى أو من تبع التابعين ولد

(وحفظت عنه هفوة) بالفاء أى معرة يقتضى ما قيل نعوذ بالله من غضب الحليم من ان الكامل من عدت مساويه لكنه عصم عند باريه عصمة لا يشاركه أحد فيها أو لا يساويه فالكلية عامة شاملة لاصحاب النبوة وارباب الفتوة ولذا قيل ان الانبياء كلهم ١٢ معصومون صغرا وكبرا من الكبيرة والصغيرة فان مراتب العصمة متفاوتة (وهو صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اثباته فى محامد صفاته (لا يزيد مع كثرة الاذى) أى الواصل منهم اليه (الا صبرا) أى تحملا عليهم بل احسانا اليهم (وعلى اسراف الجاهل) أى مجاوزته الحد فى التقصير اليه ويروى الجاهلية أى على اسراف أهلها (الا حلما) أى تجاوزا وكرما (حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد ابن على التغلبى) بمثناة فوقية مفتوحة وسكون غين معجمة وفتح لام وتكسر نسبة الى قبيلة واما ما وقع فى بعض النسخ من الثاء المثلثة والعين المهملة فتصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى مات سنة ثمان وخمسمائة (وغيره) أى من المشايخ المشاركين له فى هذه الرواية (قالوا حدثنا محمد بن عتاب) بفتح المهملة وتشديد المثناة الفوقية وآخره باء موحدة (أنبانا) أى قال أخبرنا (أبو بكر بن واقد) بالفاء المكسورة أو القاف (القاضى وغيره) أى وغير أبى بكر (حدثنا) أى قالوا حدثنا (أبو عيسى) أى الليثى واسمه يحيى بن عبيد الله أبى عيسى سنة (حدثنا) أى قال حدثنا (عبيد الله) يعنى اباه (أنبانا) أى قال أخبرنا (يحيى بن يحيى) أن يخرج له فى الكتب الستة شئ والموطا مشهور به وموطاه أصح الموطا آت (انبانا) أى قال أخبرنا (مالك) أى ابن أنس بن مالك بن أبى عامر الاصبحى امام المذهب قيل تابعى ولم يصح

(عن ابن شهاب) أى الزهرى (عن عروة) أى ابن الزبير بن العوام من الفقهاء السبعة بالمدينة كان يصوم الدهر ومات وهو صائم (عن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان وأبو داود أيضا عنها (قالت ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ماخيره الناس (فى أمرين) أى فى اختيار أحدهما (قط) أى أبدا (الا اختار أيسرهما) أى أهونهما على المخير أو أسهلهما عنده لانه ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وان هذا الدين يسر وقال الله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (مالم يكن) أى الايسر (اثما) أى اذا اثم (فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أى تنزها واجتنابا فالاولى أن لا يختاره ولو كان سهلا ففيه تلويح باستحباب الاخذ بالايسر والارفق مالم يكن حراما أو مكروها فان الله تعالى يحب أن يؤتى رخصه كما يحب أن يؤتى عزائمه وأما قول الدلجى بنى خير لمفعوله وحذف فاعله تعويلا على ظاهر القرينة وايذانا بعمومه اذ كان هو الله أو غيره فالله ما جعل له الخيرة فى أمرين جائزين الا اختار أيسرهما كاختياره حين قال له جبريل ان شئت جعلت عليهم أى على قريش الاخشبين بقاءهم بقوله دعنى أنذر قومى رجاء أن يوحدوه أو يخرج من أصلابهم من يوحده فلا يخفى انه غفلة منه عما فى نفس الحديث مالم يكن اثما اذ من المعلوم ان الله سبحانه وتعالى أو جبريل عليه الصلاة والسلام لا يخيره بين أمرين يحتمل أن يكون أحدهما اثما ثم رأيت النووى ذكر عن القاضى انه يحتمل أن يكون تخيره من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال وأخذ الجزية أو فى حق أمته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فكان يختار الايسر فى هذا كله قال وأما قوله مالم يكن اثما فيتصور اذا خيره الكفار أو المنافقون فاما اذا كان التخيير من الله أو من المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى ولا يخفى ان التخيير من المسلمين أيضا يتصور فيما لم يصل الى بعضهم كونه اثما فى الدين

سنة ثلاث وتسعين وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة ومات وهو ابن ست وثمانين واختلف فى جده أبى عامر هل له صحبة أم لا (عن ابن شهاب) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى توفى سنة أربع وعشرين ومائة وقيل غير ذلك (عن عروة) بن الزبير بن العوام أخو عبد الله بن الزبير أحد فقهاء المدينة السبعة روى عن أبويه الزبير وأسماء بنت أبى بكر وخالته عائشة رضى الله تعالى عنهم وغيرهم وتوفى سنة أربع أو خمس وتسعين بعد الهجرة وولد سنة اثنين وعشرين وهذا حديث صحيح فى الصحيحين والموطأ واختار المصنف رحمه الله طريق الموطأ فقال (عن عائشة) أم المؤمنين فريدة الصدق ووحيدة الدهر رضى الله تعالى عنها (قالت ماخير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين قط الا اختار أيسرهما) قال البرهان هذا ما أخرجه المصنف من موطا مالك عن يحيى بن يحيى وقد أخرجه البخارى ومسلم وأصحاب السنن ولم يروه المصنف من غير هذه الطريق لانه امام مذهبه ولاهل الغرب اعتناء به وترجيحه على غيره من الكتب الستة ولان سنده فيه من هذه الطريق أعلى من سنده فى غيره لان بينه وبين مالك فى هذه الطريق ستة بالسماع وبينه وبينه فى رواية الصحيحين سبعة وفى أبى داود ستة الا انه بالاجازة فلذا اختار هذه الطريق على غيرها لما لها من الشان عنده وفى هذا الحديث الاخذ الاسهل والارفق مالم يكن حراما أو مكروها ونقل النووى عن المصنف انه يحتمل أن يكون تخييره هنا من الله فيخيره فيما فيه عقوبتان أو فيما بينه وبين الكفار من القتال عقوبتان وأخذ الجزية أو فى حق أمته فى المجاهدة فى العبادة والاقتصاد فيها فيختار الايسر وأما قوله (مالم يكن اثما) فيتصور اذا خيره الكفار أو المنافقون أما اذا كان التخيير من الله تعالى أو المسلمين فيكون الاستثناء منقطعا انتهى قال بعض الشراح انه فهم من قوله مالم يكن اثما الى آخره أى موجب اثم من حرام أو مكروه بما يفهم من الاستثناء فسماه استثناء وجعله منقطعا لاستحالة أن يخيره الله أو خاص المؤمنين بين أمرين أحدهما اثم وهو مبنى على ان ما فى معنى الاستثناء له حكم الاستثناء ألا ترى الى قول النحاة ان قولك لالزمنك أو تقضينى حقى بمعنى الا أن تقضينى حقى فكانه قال هنا الا أن يكون اثما * فان قلت هذا مناف لما ورد أن أفضل العبادة أحمزها أى أشقها على البدن فكيف يختار غير الافضل * قلت انما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يؤثر الايسر لامته تخفيفا عليهم لا فى حق نفسه لانه أرسل بالحنيفية السمحة ولذا كان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تورمت قدماه ويؤيده مع ما فى نفس الامر قوله فى عجز الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه يعنى ان التخيير بين الاثم وغيره من العباد يتصور واما من الله فلا فاذا أول بما يوجب الاثم أو يفضى اليه فى حق غيره صح أو المراد بالاثم مالا يليق به صلى الله تعالى عليه وسلم لعصمته كما اذا خير بين ملك كنوز الارض وعيش الكفاف ويدل على انه فى حقه قوله (فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أقول قول العز بن عبد السلام وتبعه الزركشى فى قواعده ان قولهم الاجر على قدر المشقة وما ورد فى حديث عائشة رضى الله عنها أجرك على قدر نصبك كما فى مسلم ليس على اطلاقه انما هو اذا اتحد العملان فى الشرف والشرائط والسنن وكان أحدهما شاقا فيثاب على تحمل المشقة وذلك كالغسل فى الصيف والشتاء أما اذا لم يتساويا فلا فان

(وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) أى ما انتصر ولم يعاقب أحدا لاجل خاصة نفسه مابلغت به الكراهة حدا يورثه انتقاما من احد على مكروه أتاه من قبله (الأن تنتهك حرمة الله) بصيغة المجهول أى الا أن يبالغ أحد فى خرق حرمة الله التى تتعلق بحقه سبحانه وتعالى أو بحق أحد من خلقه ومن جملته خرق حرمته صلى الله تعالى عليه وسلم على وجه يجب الانتقام من هاتكها والاستثناء منقطع أى لكن اذا انتهكت حرمة الله انتصر لله وانتقم له تعالى بسببها (فينتقم لله) أى لا لحظ نفسه (بها) بسبب حرمة الله ممن ارتكبها والحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود كما أخرجه المصنف عن مالك فى موطئه وفى رواية مسلم ما نيل منه شئ قط فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شئ من محارم الله فينتقم لله أى ما أصيب باذى من أحد وعاقبه به انتصارا لنفسه لكن اذا بالغ فى خرق شئ من محارم الله التى من جملتها حرمته انتصر لله وعاقبه له لا لنفسه فلم يكن انتقامه الا لله لا لغرض سواه وان كان فيه موافقة هواه لكن المدار على متابعة هداه والحاصل ان فى الحديث دلالة على كمال حلمه وعفوه وتحمل الاذى وترك الانتقام لنفسه مع مراعاة الله فى حقه فهو الجامع بين فضله وعدله تخلقا باخلاق ربه (وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت) بصيغة المجهول أى انكسرت (رباعيته) على وزن الثمانية بفتح راء وكسر عين وتخفيف ياء تحتية وهى التى بين الثنية والناب وللانسان ثنايا أربع ورباعيات أربع وأنياب أربعة وأضراس عشرون وقد كسرها عتبة بن أبى وقاص وهو أخو سعد بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكسرت رباعيته يعنى شظيت وذهبت منها فلقة (وشج وجهه) بصيغة المفعول شجه عبد الله بن شهاب الزهرى كلاهما (يوم أحد شق ذلك) أى ماذكر أو كل واحد منهما (على أصحابه شديدا) وفى نسخة شقا شديدا (وقالوا لو دعوت) أى الله (عليهم) أى بانزال العقوبة اليهم (فقال انى لم أبعث لعانا) أى صاحب لعن وطرد عن رحمة الله (ولكن بعثت داعيا) أى هاديا الى الحق (ورحمة) للخلق كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) أى ولا تؤاخذهم بما يجهلون والحديث رواه البيهقى فى شعب الايمان مرسلا وآخره موصولا وهو فى الصحيح حكاية عن نبى ضربه قومه زاد ابن هشام فى سيرته انها ثنيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان ابن قمئة جرحه فى وجنته

الايمان أفضل من الاعمال مع خفته والمختار ان أفضل الاعمال انما هو بالمصالح الناشئة عنها فتصدق البخيل أفضل من قيامه الليل وانقاذ الحاكم مظلوما بكلمة أفضل من قيامه الليل وصيام النافلة انتهى وهذا هو الحق الذى لا محيد عنه فلا حاجة لما أطالوا به من غير طائل (وما انتقم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه) أى لا يعاقب أحدا بتقصير وقع منه فى حقه بحيث يكون فاعله لم يخالف أمر الله فيما فعله لانه برىء من الحظوظ النفسانية والاعتبارات الدنيوية (الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها) أى بسبب حرمة الله وانتهاكها وحرمة الله ماحرمه وجعله محترما ممنوعا وانتهاكها التعدى والتجاوز فيه من نهكت الثوب اذا لبسته حتى أخلقته ويقال نهكته الحمى اذا أضعفته وأضنته فانتهاكها تناولها بما لا يحل وانتهك فلان محارم الله أى فعل ماحرم الله فعله عليه لما فيه من ضعف الدين وابتذال حكمه وليس الانتهاك المبالغة فى اتيان ماحرمه الله تعالى كما توهم حتى يرد انه لا يغضب بمجرد فعل محرم أو صغيرة مرة واحدة ويحتاج الى الجواب بان من فعل ذلك فقد بالغ فى الجرأة على الرب العظيم أو يقال انه كان يغضى عند فعل الصغائر ويغضب اذا فعلت الكبائر فان هذا مما لا ينبغى فانه كيف يخطر بالبال انه عليه السلام يغضى عن الصغائر من غير عذر لفاعلها ولا حاجة أيضا الى حمل هذا على ما يتعلق بالمال فانه عليه السلام اقتص ممن نال من عرضه كما أمر بقتل ابن أبى معيط والاخطل وأى حرمة لله أعظم من حرمة نبيه عليه السلام ومن أذاه فقد أذى الله وانما المراد ما كان يقع من بعض جفاة الاعراب كالاعرابى الذى أمسك برداءه وجذبه حتى أثر فى جيده الشريف وقول بعضهم له كما يأتى أعدل فى القسمة فانك ان تعطى من مال أبيك ونحو ذلك مما صدر منهم لغلاظة طباعهم مما لا يفضى الى ارتكاب محرم فمن ارتكب شيئا من محارم الله بحضرته عليه السلام التى من جملتها احترامه انتصر وعاقبه لله لا لحق نفسه وان تعلق بها انتقاما لدين الله ورسوله عليه السلام (وروى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما كسرت رباعيته) رباعية بوزن ثمانية سن بين الثنية والناب من اليمين والاخرى من اليسار ويقابلها مثلها من فوق فالرباعيات أربع (وشج وجهه يوم أحد) الشجة جراحة فى الوجه أو الرأس (شق ذلك) الكسر والشج (على أصحابه شديدا) أى حصل من ذلك فى نفوسهم مشقة وأمرا شديدا عظيما (وقالوا) له صلى الله تعالى عليه وسلم (لو دعوت عليهم) أى على الكفار بان يهلكهم الله ويستأصلهم باشد العذاب (فقال انى لم أبعث) بالبناء للمجهول أى لم يبعثنى الله (لعانا) أى داعيا على الناس بالطرد والبعد عن رحمة الله (ولكنى بعثت داعيا) للناس الى الله (ورحمة) للناس أجمعين باخراجهم من الكفر للايمان وبتأخير العذاب عمن كفر لا لطردهم عن رحمة الله وابعادهم عنه ثم قال داعيا لهم (اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون) دعا لهم أن يهديهم الله تعالى للاسلام فانهم

لا

فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته فنزعهما أبو عبيدة بن الجراح حتى سقطت ثنيته قال يعقوب بن عاصم فكان حتف أنفه ان سلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله أو فالقاه من شاهق فمات وأما ابن شهاب فاسلم وأما عتبة ففى تهذيب النووى ان ابن منده عده من الصحابة وأنكره أبو نعيم اذ لم يذكره فيهم أحد قبله فالصحيح انه لم يسلم قال السهيلى ولم يولد من نسله ١٥ ولد فبلغ الحلم الا وهو أبخر أو أهتم فعرف ذلك فى عقبه وفى مستدرك الحاكم انه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب ابن أبى بلتعة فقال يارسول الله من فعل هذا بك فاشار الى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله فجاء بفرسه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى تفسير عبد الرزاق بسنده الى مقسم قال ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة بن أبى وقاص حين كسر رباعيته ودمى وجهه انتهى فان قلت حديث عبد الرزاق فى تفسيره يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على عتبة حين كسرها وهذا الحديث بظاهره يدل على ضده قلنا لا يلزم من دعائه عليه عدم دعائه على الجميع مع ان النفى قد يوجه لكثرة اللعن لا لاصله فكانه قال لم أبعث كثير اللعن عليهم اذ قد روى البخارى وغيره اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمارة بن الوليد والتحقيق انه عليه الصلاة والسلام ما دعا عليهم جملة بل دعا على من علم منهم انهم لا يؤمنون فقوله عليك بقريش عام أريد به المخصوصون بقرينة المقام والله أعلم بالمرام (و روى عن عمر رضى الله تعالى عنه) قال الدلجى لم يعرف (انه قال فى بعض كلامه بابى أنت وأمى) أى فديتك بهما وأنت مفدى بهما (يارسول الله

لا يعلمون طريق الحق ولا معرفة قدر نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريد بهم من الخير ولو علموا ذلك لم يصدر عنهم ما صدر وفى سيرة ابن هشام وغيره ان عتبة بن أبى وقاص رماه صلى الله تعالى عليه وسلم فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وان عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى وجهه الشريف وان ابن قميئة جرح وجنته وضربه بالسيف على شقه الايمن وجرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته الشريفة وفى الروض الباسم انه صلى الله تعالى عليه وسلم أصيب وشج جبينه وكسرت رباعيته برمية عبد الله بن قميئة وضربه بالسيف على شقه الايمن فجرح وجنته ودخلت فيه حلقتان من المغفر وشقت شفته السفلى وصرخ ان محمدا قد قتل وقد اختلف فى اسلام عتبة بن أبى وقاص أخى سعد بن أبى وقاص والصحيح انه لم يسلم وابن شهاب أسلم وأما ابن قميئة فنطحه كبش فتردى من شاهق فهلك ولكل شئ آفة من جنسه ويقال ان حاطبا تبع عتبة فقتله ولم يولد أحد من نسل عتبة الا أبخر أهتم فسرى خزيه لعقبه فبخور أولاده لا ينفى بقاء جدهم وقد قالوا ان رباعيته صلى الله عليه وسلم لم تنكسر من أصلها وانما شظيت وذهبت منها فلقة وكانت فاطمة رضى الله عنها تغسل دمه وعلى كرم الله وجهه يصب عليها الماء بالمجن فلما رأت فاطمة ان الماء يزيد الدم كثرة أخذت قطعة من حصير وأحرقتها وذرتها عليه فامسك الدم وكسرت البيضة التى على رأسه الشريف وقال الامام الخيضرى فى خصائصه ان هذا كان قبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس أو المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من القتل لا من مطلق الاذية كما مر بيان ذلك وما أحسن قول ابن الفارض رحمه الله تعالى فى الاشارة لذلك

عينى جرحت وجنته بالنظر * من رقتها فانظر لحسن الاثر
لم أجن وقد جنيت ورد الخفر * ألا ترى كيف انشقاق القمر

وذيل بعضهم فقال

وماشق وجنته عابثا * ولكنه آية ساطعة للبشر
جلاها لنا الله كيما نرى * بها كيف كان انشقاق القمر

وبقية قصة أحد وما فيها مفصل فى السير مشهور فلا يكثر السواد به كما فى الشرح الجديد * (تنبيه) * قال الامام السمرقندى فى تفسير قوله عز وجل ويقتلون النبيين بغير حق طعن الملحدة لعنهم الله وقالوا ان الله أخبر ان الكفار قتلوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال الله تعالى انا لننصر رسلنا وقال انهم لهم المنصورون وما فى معناه من الآيات ومن كان الله ناصره فهو منصور أبدا فاذا قتلوا فهو تناقض وأجيب بوجهين الاول انه لم يثبت فى الكتاب ولا فى خبر متواتر قتل رسول من الرسل الذى أخبر الله بنصرهم وانما ثبت قتل الانبياء لان الرسل هم الذين أوتوا المعجزات لاظهار الدين الحق ودعوة الخلق فكان عصمتهم عن القتل من آياتهم الحسنة الدالة على صدق دعواهم الرسالة وولاية القتل مما يوهن دعوتهم بخلاف الانبياء اذ ليس لهم دعوة وشريعة والثانى ان المراد النصرة بالحجج لا بالعصمة انتهى (وعن عمر) رضى الله عنه قال السيوطى رحمه الله انه هذا لا يعرف عن عمر فى شئ من كتب الحديث وبيض له الشيخ قاسم فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب فكانه لم يقف له على أصل أيضا وتقدم ما فيه (انه قال فى بعض كلامه) أى كلام قاله لما رأى ما أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم من كسر رباعيته وشجه فى غزوة أحد (بابى أنت وأمى يارسول الله) هذا الجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أفديك

وتسمى هذه الباء باء التفدية ومعناه انى أجعل أبوى فداء دونك وأبذلهما فى حمايتك يقوله الرجل لمن هو أعز عليه من نفسه وأهله وماله لانهم كانوا يبذلون الانفس فى صيانة أهلهم وقد تكلم بهذا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذه الكلمة جارية مجرى المثل فى ذلك وقد يظهرون متعلق الجار والمجرور والفداء بكسر الفاء والمد وفتحها مع القصر فكاك الاسير يقال فداه يفديه فداء وفدى وفاداه اذا بذل فداه وفداه بالتشديد اذا قال جعلته فداك وهى كلمة تقال فى التعظيم وتدخل الباء على المبذول المفدى به وقد يعكس كما فى قوله فديت بنفسه نفسى ومالى * وما الوك الا ما أطيق

وجعله فى المغنى من المقلوب كعرضت الناقة على الحوض وقد جرى عمر رضى الله تعالى عنه فى هذا على ما تداوله العرب والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم حقيق بان يفدى بالنفوس فضلا عن الآباء والامهات ولقد قال الآخر

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

فانظر قصة على كرم الله وجهه اذ فداه بنفسه ونام مكانه لما هموا بقتله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أول من اشترى نفسه من الله كما ومقامه دون عمر رضى الله تعالى عنه كما هو معلوم (لقد دعا نوح) عليه الصلاة والسلام (على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) وانما قال عمر رضى الله تعالى عنه هذا الان مشربه كان مشرب نوح عليه الصلاة والسلام كما ان مشرب الصديق رضى الله تعالى عنه كان مشرب ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وتذر كتدع بمعنى تترك وديار بمعنى أحد وهو يختص بالنفى يقال ما فى الدار ديار ودورى أى أحد وأصله ديوار فاعل اعلال سيد وميت وأدغم والفاء عاطفة للفصل على المجمل (ولو دعوت علينا) أى على الناس كلهم (مثلها) أى مثل دعوة نوح عليه الصلاة والسلام (لهلكنا من عند آخرنا) هذا التركيب وقع فى كلام العرب والمراد به من أولنا الى آخرنا أى جميعنا ولشراح الكشاف فيه كلام فقيل تقديره من أولنا الى آخرنا كما ذكر وعند مقحمة وقيل من بمعنى الى وقيل انه كناية عن هلاك الجميع لانه لا يكون الهلاك عند آخرهم الا اذا شملهم جميعا فان أردت تحقيقه فانظر شروح الكشاف فى أول سورة البقرة (فلقد وطئ ظهرك) الوطئ الدوس بالقدم وفى الشرح الجديد انه لم ينقل ان أحدا من المشركين وطئ ظهر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقدمه ولعله عبارة عما روى فى السير من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى عند البيت وثمه كرش ذبيحة فيها قاذورات فقال أبو جهل لعنه الله لجماعة جالسين ثمة ألا رجل يقوم الى هذا القذر فيلقيه على محمد وهو ساجد فانبعث أشقاها وهو عقبة بن أبى معيط فالقاه عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم * اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف وكانوا أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف وعمار بن الوليد وهم المستهزؤن فاهلكهم الله جميعا فاما أن يكون سمى هذا وطأ لما فيه من الاهانة الشديدة كما سمى الغزو وطيأ أو وقع هذا فى قصة لم نقف عليها (وأدمى وجهك) أى جرح فى وقعة أحد يقال أدميته اذا جرحته فاسلت دمه والذى فعل به صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك عتبة بن أبى وقاص أخو سعد كما مر وفيه يقول حسان رضى الله عنه

اذا الله جازى معشرا بفعالهم * ونصرهم الرحمن رب المشارق
وأخزاك ربى يا عتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمدا * وأدميت فاه قطعت بالبوارق
وهلا ذكرت الله والمنزل الذى * تصير اليه عند احدى البوائق

لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض الآية) أى من الكافرين ديارا كما فى نسخة أى أحدا يدور فى الارض فيقال من الدور (ولو دعوت علينا مثلها) أى مثل دعوة نوح (لهلكنا من عند آخرنا) أى الى عند أولنا فهو كناية عن الاستئصال (فلقد وطئ ظهرك) بصيغة المجهول وهمز فى آخره وكذا قوله

(وشج وجهك) وقع في نسخة التلمساني زيادة هنا وقد شجت وجنته وجبهته باحد فدخل في وجنته صلى الله تعالى عليه وسلم حلقتا الدرع فنزعهما بفيه أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه حتى سقطت ثنيته والذي جرحه عبد الله ابن قيئة فقيل نطحه تيس وتردى من شاهق فمات كافرا وقيل انما هو عتبة بن أبي وقاص فادركه حاطب فقتله كافرا وجاء بفرسه (وكسرت رباعيتك) تقدم بيانه ومافيه وعليه (فابيت ان تقول الاخيرا) أي لم تدع عليهم كما دعا نوح عليه الصلاة والسلام على قومه ثم فسر الخير بقوله (فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون) الحق ولا يهتدون الى الصواب وفي النسخ المروية هنا اللهم اهد قومي وهي مفسرة للرواية الاولى على ان المراد بالمغفرة سببها وهو الهداية أو التقدير اللهم اهدهم واغفر لهم فلا يرد عليه ماقيل ان الدعاء المذكور صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد وكانت على احد وثلاثين شهرا من الهجرة فكيف يسأل لهم المغفرة وهم كفار وقد نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية ولو قلنا ان مغفرة الشرك جائزة عقلا عند بعض المتكلمين فانه ممنوع شرعا فاوجه وقوعه في كلام الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم ولا حاجة الى الجواب بان هذه الآية من سورة النساء وهي مدنية بجملتها أو هذه الآية بخصوصها فيجوز ان دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم كان قبل نزولها وقيل علمه بمنع الدعاء لهم بالمغفرة لجوازه سواء قلنا المدني مانزل بالمدينة أو بعد الهجرة أو المراد مغفرة ماوقع منهم من كسر الرباعية ونحوه لا مغفرة الشرك وقيل هذا انما صدر من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على سبيل الحكاية عن نبي كان قبله كما رواه مسلم في صحيحه قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كأني أنظر الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحكي عن نبي من الانبياء ضربه قومه وشجوه فكان يمسح الدم عن وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ومثله في البخاري والمراد بهذا النبي نوح عليه الصلاة والسلام فانه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون انه قد مات ثم يخرج ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيس منهم دعا عليهم فالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع به ماوقع حكى ذلك عنه تسلية له وللمؤمنين وقوله لقومي ذكر نسبتهم له تحننا عليهم وبيانا لسبب ذلك ورجاء لرحمة الله تعالى بهدايتهم واضافتهم اليه موافقة لما في نفس الامر وان قيل انه ليس من أهلك كما لا يخفى وقوله فانهم لا يعلمون اعتذار لهم بالجهل الحقيقي أو بما هو في حكمه لعدم جريهم على مقتضى علمهم كما تقول لتارك الصلاة الصلاة واجبة والجهل وان لم يكن مع مشاهدة هذه الآيات الباهرة عذرا شرعا فليس بمنج من العذاب وقد اختلف فيما قبل البعثة أيضا كما هو معلوم في كتب الاصول لكنه جرى فيه على حكم الظاهر تضرعا الى الله ان لا يعجل عذابهم ويمهلهم حتى يكون منهم مؤمنين أو من ذريتهم وقد حقق الله تعالى رجاءه لانه جعل ذلك عذرا حقيقا لهم فلا يرد هنا شيء كما توهمه بعضهم (قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف عياض رحمه الله (انظر مافي هذا القول) المذكور في كلام عمر رضي الله تعالى عنه في الحديث الذي قبله (من جماع الفضل) الجماع بكسر الجيم مايجمع كل أمر كالخمر جماع الاثم ومظنته (ودرجات الاحسان) بالجر معطوف على الفضل أي مايجمع مراتب الاحسان وكذا قوله (وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم) ففيه مايدل على نهاية هذه الصفات (اذلم يقتصر على السكوت عنهم) مع مافعلوه معه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لا يتحمل بعضه أحد فضلا عن أعز الناس نفسا وأشرفهم وأعلاهم حسبا ونسبا

وجرح ذوي القربى أشد مضاضة * على النفس من وقع الحسام المهند

(وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الاخيرا) وهو الدعاء بالهداية والاعتذار عنهم بالجهالة والغواية (فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى) أي المصنف (انظر) أي تامل أيها المعتبر بنظر الفكر والعقل (مافي هذا القول من جماع الفضل) بكسر الجيم أي مايجمعه (ودرجات الاحسان) أي بالعقل (وحسن الخلق) أي مع شرار الخلق (وكرم النفس) أي على عموم الانام (وغاية الصبر) أي عن العدو (والحلم) أي التحمل وعدم الجزع المؤدي الى الدعاء غالبا (اذلم يقتصر صلى الله تعالى عليه وسلم على السكوت عنهم) أي في التحمل منهم

(حتى عفا) عنهم وصفالهم (ثم اشفق) أى خاف (عليهم ورحمهم) أى من غاية الشفقة ونهاية الرحمة (ودعا) أى لهم (وشفع) أى عند ربه (لهم) وهو بفتح الفاء على ما فى القاموس شفعه كمنعه فقول المنجانى بكسر الفاء سهو من الكتاب (فقال اغفر) أى استر قومى ووفقهم لما يستحقون المغفرة لاجله (أواهد) أى اهدهم الايمان وأو للشك أو للتنويع (ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) باضافتهم اليه (ثم اعتذر عنهم بجهلهم) أى بسبب جهلهم بحاله ومقام كماله (فقال فانهم لا يعلمون) وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجى وقال كل ذلك لكونهم رحمه اذ ما من بيت الا وله فيه قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع أمته بدليل حديث الشيخين ان آل أبى فلان ليسوا لى باولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين لكن لهم رحم ابلهم ببلالها أى أصلهم بما يظهر أثرها وقد ورد بلوا أرحامكم أى صلوها وكأنه أراد بالبل حفظ أصلها وطراوة فرعها (ولما قال له الرجل) أى وحين قال له الرجل المنافق وهو ذو الخويصرة حرقوص بن زهير التميمى قتل فى الخوارج يوم النهروان على يد على كرم الله تعالى وجهه (أعدل فان هذه قسمة) أى قسمة غنائم بدر وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم ذهيبة فى تربتها بعث بها على رضى الله تعالى عنه من اليمن (ما أريد بها وجه الله لم يزده) بالزاى أى ما زاد (فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ) عطف على بين أى ونصح صلى الله تعالى عليه وسلم (نفسه) أى نفس الرجل (وذكرها) بالتشديد أى وعرفها واعلمها (بما قال له فقال ويحك) قيل هو بمعنى ويلك وقيل هو كلمة ترحم يقال لمن وقع فى هلكة وضمها لا يستحقها فلجهله رحمه مبينا له ما جهله من انه صلى الله عليه وسلم أحرى الخلق بالعدل بقوله (فمن يعدل) بالرفع فان من استفهامية (ان لم أعدل) شرط حذف جزاؤه لدلالة ما قبله عليه والمعنى أيعدل غيرى وأنا أجور كلا (خبت) بكسر الخاء (وخسرت) بكسر السين وضم ثانيهما (ان لم أعدل) أى فرضا وتقديرا ارشادا الى ان من لم يعدل فقد باء بالخيبة والخسران واشعارا بكمال اتصافه بالعدل بل بزيادة الحلم والعفو والفضل وروى بفتح ثانيهما فالمعنى حرمت كل خير وخسرته فى متابعتى ان لم أعدل فى قسمتى على فرض قضيتى فكأنه قال خبت أيها التابع اذا كنت لا أعدل لكونك تابعا ومقتديا لمن لا يعدل أو خبت وخسرت اذ لا تستقر فى الاسلام بما تقول ان نبيك ممن لا يعدل

(حتى عفا عنهم) مع عظيم جرمهم فى حقه اذ قال انى لم أبعث لعانا (ثم أشفق عليهم) أى ابدى شفقته ورحمته لهم (ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اغفر واهد) كما مر بيانه مفصلا (ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى) فان الطبع البشرى يقتضى العطف والحنو على الاهل والاقارب باى حال كانوا (ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون) وقد تقدم بيانه ونسبتهم اليه ليبلغهم ذلك فتنشرح صدورهم لاجلها فيختار والايمان على الكفر ولذا لم يعبر بالجهل بل بعدم العلم تحسينا للعبارة ليجذبهم بزمام لطفه الى الايمان ويدخلوا حرم الامان وان كان جهلهم لا يعتد به بعد اتضاح برهان التوحيد وقيام الحجة الباهرة بالمشاهدة والتواتر الا انه اعتذار ظاهرى اعتبره سعيا فى تسخير قلوبهم والا فهم عالمون جاحدون مكابرون وليس لهم عذر يقبل شرعا كما مر تفسيره (ولما قال له الرجل) هو ذو الخويصرة التميمى ويقال له حرقوص بن زهير رأس الخوارج قال البرهان قتل يوم النهروان كما فى تجريد الذهبى وفى صحيح البخارى هو عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى قال فى المقتفى ولعلهما قالاه والصواب ان والده هو القائل والنهروان بفتح النون والهاء اسم موضع فارسى معرب قال الطرماح

قل فى شط نهروان للماغى * ودعانى هوى العيون الراضى

وحكى الجواليقى انه سمع من العرب ضمها وكان حرقوص مع على كرم الله وجهه فى حروبه ثم اتبع الخوارج وزعم بعضهم انه ذو الثدية وليس كذلك ومقول القول (اعدل فان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله) أى كن عادلا فيما قسمته فان هذه القسمة ليست عادلة موافقة لامر الله ولرضاه والمقسوم كان من غنائم خيبر أو تبرا أرسله على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من اليمن وهذا الحديث رواه مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه ونحوه فى صحيح البخارى وأخرجه البيهقى وهو حديث صحيح وفى ألفاظه اختلاف والمآل واحد (لم يزده) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى جوابه ان بين له ما جهله) أى لم يزده على ان بين له ما جهله من عدالته فى قسمته حيث قال من يعدل ان لم أعدل (ووعظ نفسه وذكرها) التذكير والوعظ بمعنى فعدل عن وعظ القائل الى وعظ نفسه وهو نهاية الحلم منه صلى الله تعالى عليه وسلم (بما قال له فقال ويحك) ويح كلمة ترحم وتوجع لمن وقع فيما لا يرضى وقيل انها كلمة مدح وتعجب وهى منصوبة على المصدرية مضافة وقد ترفع وتترك اضافتها فترحم له لما خالف رضاء الله تعالى عليه أو تعجب من صدور مثله من مسلم ووقع فى رواية ويلك (فمن يعدل ان لم أعدل) وفى مسلم أولست أحق أهل الارض ان أطيع الله عز وجل وغضب صلى الله تعالى عليه وسلم حتى احمرت وجنتاه (خبت وخسرت ان لم أعدل) روى بفتح التاء فيهما على الخطاب

ومعنى الخيبة الحرمان والخسران الضياع والنقصان وحاصله انك خبت في الدنيا وخسرت في العقبى اذا اعتقدت اني لم أعدل قال الحافظ المزي والضم أولى لانه تعليق بعدم العدل الذي هو معصوم منه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال النووي الفتح أشهر ولعله أسقط ماوجب له عليه من قتله رعاية لايمانه الظاهر والله أعلم بالسرائر ولما ورد في بعض طرق هذا الحديث من زيادة قوله عليه الصلاة والسلام ويخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (ونهى من أراد من أصحابه) وهو خالد بن الوليد أو عمر وهو عند الاكثر أو كلاهما فتدبر (قتله) بناء على ظهور ارتداده بسبب طعنه في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنفي عدله والحديث رواه الشيخان (ولما تصدى له) أي وحين تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم (غورث بن الحارث) على مارواه البيهقي وهو بفتح الغين المعجمة ويضم وقيل بالمعجمة والمهملة وقيل مصغر (ليفتك به) بكسر التاء وضمها فتكا بالتثليث أي ليقتله غفلة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي والحال انه (منتبذ) بكسر الموحدة وبالذال المعجمة أي منفرد عن أصحابه (تحت شجرة) أي في ظلها (وحده) حال مؤكدة أي ليس عنده أحد من أحبابه (قايلا) اسم فاعل من القيلولة وقت الظهيرة أي مستريحا أو نائما (والناس قايلون) أي نازلون للقيلولة (في غزاة) وهي ذات الرقاع في رابع سنة من الهجرة (فلم ينتبه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي لم يستيقظ من نومه أو لم ينتبه من غفلته عن عدوه (الا وهو) أي غورث (قائم) أي عند رأسه (والسيف صلتا) بفتح الصاد ويضم أي حال كونه مسلولا أو التقدير صلته صلتا

وضمها على التكلم واقتصر بعضهم على الفتح أي خبت وخسرت أيها القائل ان لم أعدل انا لاتباعك واقتدائك بغير عادل وعلى الضم اقتصر الشمني رحمه الله لانه معلق بعدم العدل الذي عصمه الله تعالى عنه وهو المناسب لقوله وعظ نفسه وذكرها ونقل النووي في شرح مسلم الوجهين وفسره بما تقدم وقال الفتح أشهر وقيل المعنى على الفتح ان لم أعدل خبت لاني أقتلك لنفاقك وزعقك بما ينافي الاسلام لكني عدلت نظر الظاهر اسلامك وان ماوقع من سوء أدبك جهلا منك غير مخل بمقامي (ونهى من أراد من أصحابه قتله) وهو عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في البخاري فقال عمر يارسول الله ائذن لي أضرب عنقه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم معاذ الله أن يتحدث الناس اني أقتل أصحابي وفي مسلم ان القائل خالد بن الوليد رضي الله عنه وجمع بينهما بان كلا منهما أراد ذلك وقد صرح به في مسلم وأن عمر رضي الله تعالى عنه لما قال ذلك فقال دعه وادبر فقام اليه خالد بن الوليد فهذا نص على ان كلا منهما قال ذلك وقال المصنف في شرح مسلم من سب النبي صلى الله عليه وسلم كفر وقتل وسيأتي ذلك في آخر الكتاب وهذا الرجل لم يقتل * قال الماوردي يحتمل انه لم يفهم منه الطعن في النبوة وانما نسبه لترك العدل بناء على تجويز صدور المعاصي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام عند هذا القائل وان لم يصب أو انه لم يسمعه منه وانما نقل له ولم يثبت عنده لان الخبر له واحد ومثله لاتراق به الدماء وهذا تأويل باطل فان المروي يامحمد اتق الله بخطاب المواجهة بحضرة الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى استأذنوه صلى الله تعالى عليه وسلم في قتله وانما الوجه انه صلى الله تعالى عليه وسلم سلك به مسلك غيره من المنافقين استبقاء لانقيادهم وتأليفا القلوب غيرهم لئلا يتحدث الناس بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل أصحابه فينفروا ويرتدوا فاختير أهون الامرين لحكمة والحديث مصرح بهذا (ولما تصدى له صلى الله تعالى عليه وسلم غورث بن الحارث) تصدى بالتاء المفتوحة والصاد المهملة كذا والدال المشددة وألف أي أتاه وتعرض له وغورث بغين معجمة مفتوحة وتضم أيضا وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة وثاء مثلثة وقال بعضهم يجوز اهمال عينه كما نقله البرهان الحلبي قال وعند بعضهم مصغر يعني غويرث كفورك وزيرك فانه تصغير بالفارسية ولم يرد انه كتصغير العرب غويرث وقال التلمساني انه غويرث أيضا وفي بعض الروايات تسميته دعثور وانه أسلم لكن قيل انهما روايتان (ليفتك به) الفتك مثلث الفاء ساكن التاء هو ان يأتي رجل آخر وهو غافل فيهجم عليه فيقتله وقد فتك به بالفتح يفتك بالكسر والضم وهذه القصة كان في غزوة ذات الرقاع في السنة الرابعة من الهجرة (ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتبذ) بضم الميم وسكون النون وفتح المثناة الفوقية وكسر الموحدة وذال معجمة أي جالس في ناحية مختل وحيد بقرب من الناس (تحت شجرة وحده) ليستريح بظلها وتلك الشجرة شجرة عضاه وهي التي تسمى أم غيلان وهي شجرة عظيمة ذات شوك وكان ذلك دأبه صلى الله تعالى عليه وسلم في سفره (قائلا) حال أي مستريحا في وقت القيلولة وهي وسط النهار اذا اشتد الحر وان لم ينم (والناس قائلون) أي كل منهم في قيلولته منفردا عن أصحابه (في غزاة) هي غزوة ذات الرقاع كما علم والاختلاف في زمنها ووجه تسميتها مفصل في السير والغزاة اسم مصدر بمعنى الغزو (فلم ينتبه) أي لم ينتبه صلى الله تعالى عليه وسلم لمجيئه أو لم ينتبه من نومه (الا وهو) استثناء من أعم الاحوال وضمير هو لغورث (قائم والسيف صلتا) بفتح الصاد المهملة أو ضمها ولام ساكنة ومثناة فوقية أي مسلولا مجردا من غمده

في يده فقال من يمنعك مني فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الله) أي مانعي أو يمنعني (فسقط) أي السيف كما في أصل صحيح (من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال) أي لغورث (من يمنعك مني قال كن خير آخذ) بالمداى متصفا بالحلم والعفو والكرم (فتركه وعفا عنه) وكان ذلك سبب الاسلامه (فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس) ورواه الشيخان بدون سقوط السيف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من يمنعك مني وجواب غورث وروى انه كان أشجع قومه فقالوا له قد أمكنك محمد فاختار سيفا من سيوفه واشتمل عليه وأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالسيف مشهورا فقال يا محمد من يمنعك مني قال الله فدفع جبريل في صدره ووقع السيف من يده فاخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقام به على رأسه وقال من يمنعك مني اليوم فقال لا أحد ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم أقبل فقال والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أحق بذلك منك (ومن عظيم خبره) أي حديثه صلى الله تعالى عليه وسلم (في العفو) أي في جنس عفوه (عفوه عن اليهودية التي سمته) أي جعلت له السم (في الشاة بعد اعترافها على الصحيح) متعلق بعفوه (من الرواية) أي بعد اعترافها على ما رواه الشيخان وكان ينبغي للمؤلف أن يقدم قوله على الصحيح من الرواية على قوله بعد اعترافها وهي زينب بنت الحارث بن سلام بتشديد اللام كما ذكره البيهقي في الدلائل وموسى بن عقبة في المغازي وقال ابن قاسم الجوزية هي امرأة سلام بن مشكم وقال أبو داود هي أخت مرحب وفي رواية أبي داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وفي شرف المصطفى قتلها وصلبها وروى ابن اسحق انه صفح عنها وجمع بانه عفا عنها الحق نفسه اذ كان لا ينتصر لها ثم قتلها قصاصا بمن مات من أصحابه بأكله منها كبشر ابن البراء اذ لم يزل معللا به حتى مات بعد سنة وقيل انه مات في الحال لكن فيه اشكال لما جاء في رواية انها أسلمت ففي جامع معمر عن الزهري انه قال أسلمت فتركها قال معمر والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم والله أعلم بالاحوال وبالصحيح من الاقوال (وانه) بالكسر والاظهر انه بالفتح والتقدير ومن عظيم خبره في العفو انه

و يجوز في السيف رفعه على انه مبتدأ ونصبه على انه مفعول معه وصلتا حال على كل حال (في يده فقال) غورث له صلى الله تعالى عليه وسلم (من يمنعك مني) لانه وجده خاليا ليس معه أحد ولا سلاح وهو جالس وغورث قائم عليه بسيفه المجرد وفي رواية انه كرر مراجعته ثلاث مرات (فقال الله) أي يمنعني منك الله الذي عصمني من الناس كافة (فسقط السيف من يده) أي لما رعبه قوله الله وفي رواية ان جبريل عليه الصلاة والسلام ظهر له فسقط سيفه وفي رواية فشام سيفه أي أغمده فهو من الاضداد وكان غورث من أشجع الناس يتوعد ان يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له أمكنك الله من محمد فاختار سيفا من سيوفه وأقبل حتى قام على رأسه صلى الله تعالى عليه وسلم (فاخذه) أي السيف الذي سقط منه (رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني) أي من أن أقتلك والسيف بيدي (فقال كن خير آخذ) بالمد اسم فاعل أي خير رجل أخذ سيفه وتمكن منه فتكرم عليه (فتركه وعفا عنه) مع القدرة عليه وقيل الاخذ الاسر والاخيذ الاسير كما في النهاية وهو غير بعيد أيضا وفي البخاري مسندا ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قفل اغزوة ذات الرقاع ونحن معه فادركتنا القائلة في واد كثير العضاة فتفرق الناس يستظلون بالشجر ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه فنمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعونا فجئناه فاذا عنده اعرابي جالس فقال ان هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه قالوا ولما رأى كرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم وهو من غطفان فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم الآية (وجاء غورث (قومه) وفي نسخة فجاء قومه (وقال جئتكم من عند خير الناس) حلما وكرما (ومن عظيم خبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (في العفو عفوه عن) المرأة (اليهودية) وهي زينب بنت الحارث بن سلام وقيل امرأة سلام بن مشكم أخت مرحب اليهودي كما ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله تعالى عنه (التي سمته) أي جعلت له صلى الله عليه وسلم السم (في الشاة) المشوية من الغنم (بعد اعترافها) بوضع السم له صلى الله تعالى عليه وسلم في الشاة (على الصحيح من الرواية) متعلق بقوله عفوه لا باعترافها لعدم اختلاف الرواة فيه ولذا قيل كان الاحسن أن يقدم هذا على قوله بعد اعترافها لانها أهدت له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة مصلية أي مشوية لم تنخز فقال ما هذه فقالت هدية لك ولم تقل صدقة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يأكل منها فاكل هو وأصحابه من تلك الشاة ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم أمسكوا وقال لها هل سممت هذه الشاة قالت من أخبرك بهذا قال هذا العظم أشار لساق بيده قالت نعم قال لم قالت أردت ان كنت كاذبا

ان

(لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) وقد هلك على التهود وقد حكى القاضي خلافا في مؤاخذته عليه الصلاة والسلام لبيدا وسيجيء في احياء الموتى ولعله أشار الى صحة عدم المؤاخذة (اذ سحره) أي حين سحره (وقد أعلم به) بصيغة المجهول أي أوحى الله اليه أو جاء جبريل وأخبره بانه سحره (وأوحى اليه بشرح أمره) أي ببيان حاله كما رواه أحمد والنسائي والبيهقي في دلائله سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك فجاء جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بئر كذا فبعث عليا فجاء بها فحلها فكأنما نشط من عقال فذكر ذلك لليهودي ولا أظهره في وجهه حتى مات (ولا عتب عليه) أي أعرض عن معاتبته (فضلا عن معاقبته) وكان السحر أخذه عن النساء وهي امرأته زينب اليهودية وبناته منها قيل قال تعالى ومن شر النفاثات في العقد ولم يقل النفاثين تغليبا لفعل النساء أو المراد النفوس النفاثات قال الدلجي والسحر مزاولة نفوس خبيثة أقوالا وأفعالا يترتب عليها أمور خارقة للعادة وتعلمه للعمل به حرام وفعله كبيرة واعتقاد حله كفر ولتأثيره زيادة بيان تأتي في محل تقريره ومكان تحريره وقال الامام الرازي استحداث الخوارق ان كان لمجرد النفس فهو السحر وان كان على سبيل الاستعانة بالخواص السفلية فهو علم الخواص وان كان على سبيل الاستعانة بالفلكيات فذلك دعوة الكواكب وان كان على سبيل تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية فذلك الطلسمات وان كان على سبيل النسب الرياضية فذلك الحيل الهندسية وان كان على سبيل الاستعانة بالارواح الساذجة فذلك العزيمة انتهى وقال غيره السحر اسم يقع على أنواع مختلفة وهي السيميا والهيميا وخواص الحقائق من الحيوان وغيرها والطلسمات والاوفاق والرقى والاستخدامات والعزائم

أن نستريح منك والناس وان كنت نبيا لم يضرك فاحتجم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا على كاهله لقربه من القلب وقد اختلف فيها فقيل عفا عنها وقيل لا وروى أبو داود أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قتلها وصلبها ونقل البرهان عن كتاب شرف المصطفى ذلك وجمع بين الروايتين بانه صلى الله تعالى عليه وسلم صفح عنها الحق نفسه لانه كان لا ينتقم لنفسه كما مر فلما مات بشر بن البراء من أكله منها قتلها قصاصا به لانه لم يزل معتلا الى الحول حتى مات وقيل انه مات في الحال * وروى معمر في جامعه عن الزهري انها أسلمت فتركها وغيره يقول انه قتلها ولم تسلم وفي جامع معمر أيضا ان أم بشر بن البراء قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم في مرض موته اني لا أتهم لبشر تعني ابنها الا الأكلة بخيبر فقال وأنا لا أتهم لنفسي الا ذلك وهو ظاهر في ان المرض الذي مات منه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من تلك الاكلة على سبيل الظن لا القطع لكن ذكر صاحب المواهب في الطب النبوي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم احتجم من السم فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي أثرها مع ضعفه فأثر فيه لما يريد الله له صلى الله تعالى عليه وسلم من تكميل مراتب الفضل بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا وفي الرواية اختلاف ففيها أن الذي أكله صلى الله تعالى عليه وسلم ساق الشاة وفي أخرى انه كتف أو ذراع لانها سألت عن أحب اللحم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا الذراع فأكثرت فيه السم وانه لاك منها مضغة ولم يسغها وأساغ بشر لقمته وهذا يؤيد عدم القطع بتأثيره فيه لكن يؤيد ما في المواهب ما ورد في الحديث أيضا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال في مرض موته مازالت أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت أبهري فانظر في التوفيق بين الروايتين في الاكل وعدمه * واعلم أن في هذه المسئلة اختلافا للفقهاء فيمن وضع طعاما مسموما لغيره فأكل منه ومات هل عليه قصاص أم لا وهو مبني على انه اذا اجتمع السبب والمباشرة أيهما يقدم فالاكثر على تقديم المباشرة وقولهم انها أسلمت فتركها على بعض الروايات فيه ان الاسلام لا يسقط حقوق العباد الا أن يكون هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه نظر (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم) أعصم بزنة أحمر بمهملات ويقال له أعصم بدون ألف ولام وهو رجل من بني زريق وهم بطن من الانصار وكان بينهم وبين اليهود حلف قبل الاسلام فلما جاء الاسلام برؤا منهم واختلف في لبيد هذا ففي الصحيحين أنه يهودي وهو المشهور وقيل انه منافق كان محالفا لليهود وسيأتي عن المصنف رحمه الله تعالى انه حكم باسلامه وقال البرهان لا أعلم أحدا عده من المنافقين فلعل المراد بالنفاق معناه العرفي كما ورد في الحديث آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقد يطلق النفاق على الكفر أيضا (اذ سحره صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أعلم به وأوحى اليه بشرح أمره) أي بيانه مفصلا في سحره وما فعله (ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته) تقدم الكلام على فضلا وذلك كما رواه النسائي والبيهقي في الدلائل عن زيد ابن أرقم رضي الله تعالى عنه قال سحر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما فجاء جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان رجلا من اليهود سحرك عقد لك عقدا في بئر كذا فبعث فاستخرجها فجاء بها فحلها فقام صلى الله تعالى عليه وسلم كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي

(وكذلك لم يؤاخذ) على ما رواه الشيخان (عبد الله بن أبي) أي ابن سلول بفتح السين المهملة وهي أمه فلا بد من تنوين أبي وكتابة ألف بعدها ورفع ابن لان سلول أم عبد الله وزوجة أبي فلو لم يفعل ذلك لتوهم ان سلول أم أبي وليس كذلك

حتى مات وكانت له امرأة يهودية تسمى زينب تفعل ذلك قال التلمساني وهو من أفعال النساء في الاكثر ولذا قال الله تعالى من شر النفاثات دون النفاثين تغليبا وقال الواقدي لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة سنة ست جاء اليهود الى لبيد بن الاعصم وقالوا له أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فاصنع له سحرا ونجعل لك جعلا فصنع ما سيأتي فاقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أربعين يوما وقيل ستة أشهر يخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله فبينما هو ذات يوم اذ قال لعائشة رضي الله تعالى عنها ان الله أفتاني فيما استفتيته أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما ما وجع الرجل قال مطبوب أي مسحور قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر في بئر ذروان أو ذي أروان فأتاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع بعض أصحابه وماؤها كنقاعة الحناء ونخلها كأنه رؤس الشياطين وقيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل عليا والزبير وعمارا رضي الله تعالى عنهم أجمعين فنزحوا ماءها واستخرجوا السحر من تحت صخرة بها وتحتها مشاطة من رأسه واسنان مشطه ووتر عقد فيه احدى عشر عقدة قيل وتمثال من شمع مغروز فيه ابر فنزل عليه المعوذتان فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة وأخرجت ابرة حتى زال ألمه والرجلان اللذان رآهما في منامه صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام وما كان يخيل له صلى الله تعالى عليه وسلم من انه فعل ولم يفعل من أمور الدنيا وجماع زوجاته لا مما يتعلق بالنبوة والوحي فانه معصوم فيه واعلم انهم اختلفوا في السحر كما يأتي هل هو أمر حقيقي أم محض تخيل لا أصل له والصحيح انه حقيقي بفعل الله بواسطة ان كان بمجرد توجه النفس فهو سحر وان كان باستعانة بخواص سفلية فعلم الخواص وان كان ببعض الكواكب ودعوتها فدعوة الكواكب وان كان باستمزاج القوى السفلية والعلوية فالطلسمات فان اعتقد تأثيرها بالذات فكفر والا فحرام وفاعله لاضرار الناس يقتل شرعا على تفصيل فيه ذكره الفقهاء ليس هذا محله (وكذلك لم يؤاخذ صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن أبي) هو عبد الله بن أبي بن سلول بن مالك بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج كان قبل هجرة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة رأس الانصار مرتجيا لان يكون حاكما عليهم فلما هاجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أسلم ظاهرا فكان كآحادهم وفيه عنجهية (٢) الجاهلية وغلبة حب الرياسة فكان بسبب ذلك رأس المنافقين يصدر عنه أمور يكرهها الله ورسوله وكان يبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك فيغضي عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يداري المؤلفة قلوبهم بامر من الله لئلا يتحدث الناس بانه يقتل أصحابه وكان ابنه عبد الله من كبار الصحابة وخاص المؤمنين فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه لاجله وسلول علم لام أبي ممنوع من الصرف فأبي منون وابن بعده يرسم بالالف لانه لم يقع بين علمين وعلم أب على الاصح وهو رأس المنافقين هلك في السنة التاسعة بعد مقدمه عليه الصلاة والسلام من تبوك مرض في شوال عشرين ليلة وهلك في ذي القعدة فصلى عليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكفنه في قميصه قبل نزول النهي عن الصلاة على المنافقين كرامة لابنه رضي الله تعالى عنه (وأشباهه) جمع شبه بمعنى شبيه أي لم يؤاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤاخذ من يشبهه (من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم) بالبناء للمجهول (في جهته) أي في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حق أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها (قولا وفعلا) كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل نبي الله صلى الله تعالى عليه وسلم

قال

وسلول غير مصروف للعلمية والتأنيث وقيل منصرف وقيل الصواب ان يكتب ابن بالالف لان علة الحذف وقوعه بين علمين مذكرين أو مؤنثين فلو اختلفا لم يحذف وهو رئيس أهل النفاق وهو القائل

متى ما يكن مولاك خصمك لم تزل
تذل ويصرعك الذين تصارع
وهل ينهض البازي بغير جناحه
وان جذ يوما ريشه فهو واقع

وابنه عبد الله بن عبد الله من فضلاء الصحابة (وأشباهه) أي وكذا لم يؤاخذ أمثاله (من المنافقين) قال ابن عباس كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين (بعظيم ما نقل عنهم) وفي نسخة منهم (في جهته) أي من الجرائم (قولا وفعلا) كقوله تعالى حكاية عن ابن أبي يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل أراد بالاعز نفسه وبالاذل أعز خلق الله سبحانه وتعالى

(٢) قوله عنجهية بوزن قنفذية بمعنى الجهل والحمق والكبر والتعظم قاله مصححه

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان المنافقون من الرجال ثلاثمائة ومن النساء مائة وسبعين كما فصله البرهان الحلبي في شرح سيرة ابن سيد الناس وشرحه للبخاري في تفسير سورة المنافقين (بل قد قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لمن أشار بقتل بعضهم) وهو عمر رضي الله تعالى عنه لما هزم بنوا المصطلق فبلغه قول ابن أبي وقد لطم حليفاله يقال له جعال رجل من فقراء المهاجرين مساعدة لاخيه لعمر رضي الله تعالى عنه ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الآية ثم قال لقومه والله لئن أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال له زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم أخبره الله بذلك فقال عمر رضي الله تعالى عنه يارسول دعني أضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا) آذن لك في ذلك (لئلا يتحدث الناس) من قبائل العرب (ان محمدا يقتل أصحابه) فهو علة لترك رعاية للظاهر من اسلامه وصحبته وفي نسخة يتحدث بدون ذكر الناس مبني للمفعول ولا هنا ليست لنفي التحدث اذ هو مستأنف معلل لما قبله كما علم مما قررناه وهذا الحديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله تعالى عنه وروى الطبراني ان ابنه رضي الله تعالى عنه لما بلغه مقالة أبيه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعني أقتله وآتيك برأسه فقال لا تقتل أباك وفي الكشاف * فان قلت كيف جاز له صلى الله تعالى عليه وسلم تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه * قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع له لان عمه العباس لما أسر ببدر لم يجدوا له قميصا يستره وكان رجلا طويلا فكساه ابن سلول قميصه وكان جاريا على عادة العرب في المكافاة وروى ان ابنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما مات أبوه أسألك تكفينه ببعض قمصانك وأنت تقوم على قبره ولا تشمت به الاعداء ففعل ذلك فقيل له عليه السلام لم فعلت ذلك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني لارجو ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فقيل انه أسلم ألف من الخزرج بسبب ذلك (وعن أنس رضي الله تعالى عنه كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) قال السيوطي رحمه الله تعالى هذا الحديث رواه الشيخان الى قوله الآتي من مال الله الذي عندك قال فضحك وأمر له بعطاء وأخرجه بلفظ المصنف البيهقي في الادب من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظ مسلم كنت أمشي مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة الخ (وعليه برد غليظ الحاشية) البرد والبردة كساء كانت العرب تلتحف به والحاشية جانب الثوب وفي رواية الاوزاعي غليظ الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وبالفاء وهي طرف الثوب أيضا (فجبذه اعرابي) جبذ لغة في جذب أو مقلوب منه وهما بمعنى (بردائه جبذة شديدة) وهذا يقتضي انه كان عليه برد ورداء فوقه وان الجذب وقع بهما (حتى أثرت) بتشديد المثلثة مبني للفاعل أي أظهرت أثرا وعلامة (حاشية البرد في صفحة عاتقه) الصفحة الجانب أو العرض والعاتق ما بين العنق والكتف

(بل قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على المريسيع ماء لبني المصطلق (لمن أشار) أي من أصحابه (بقتل بعضهم) أي بعض المنافقين بعد ان بلغه وقد هزم بني المصطلق قول ابن أبي وقد لطم حليفاله جعال من فقراء المهاجرين ومساعدة لاجير لعمر ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك يأكلك اما والله ان رجعنا الآية ثم قال لقومه والله ان أمسكتم عن جعال وذويه فضل طعامكم لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال

زيد بن أرقم أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد في عز من الرحمن وقوة من المسلمين ثم أخبره الله فقال عمر يارسول الله دعني أضرب عنقه فقال اذن ترعد له أنوف كثيرة فقال عمر ان كرهت ان يقتله رجل من المهاجرين فر سعد بن عبادة أو محمد بن مسلمة أو عبادة بن الصامت فليقتلوه فقال (لا لئلا يتحدث) بصيغة المجهول وروى لا يتحدث الناس وهو نفي معناه نهي وقال الدلجي لا آذن لك يتحدث وفي رواية فكيف اذا تحدث الناس (ان محمدا يقتل أصحابه) قيل هذا في حكم العلة لترك قتله مع رعاية اسلامه الظاهري وانكاره هذا القول في أخباره ولعل حكمة العلة انه يكون تنفيرا عن دخول الانام في الاسلام ولذا ورد يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ولذا كان يتألف الكفار المصرحين لكونه رحمة للعالمين وفي هذا دليل على ترك بعض الامور التي يجب تغيرها مخافة ان يترتب عليها مفسدة أكبر منها (وعن أنس) كما رواه الشيخان (كنت مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه برد) أي شملة مخططة أو كساء أسود مربع غليظ (الحاشية فجبذه) أي جذبه كما في نسخة والاول لغة في معنى الثاني أو مقلوبة في حرف المباني والمعنى جره (اعرابي) مجهول لم يعرف اسمه (بردائه جبذة شديدة) أي دفعة عنيفة (حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه) أي جانب ما بين كتفه ومنكبه ولم يتأثر هو صلى الله تعالى عليه وسلم من سوء أدبه

أو موضع الرداء من المنكب وهو يؤنث ويذكر وفى رواية ان البرد انشق (ثم قال) الاعرابى (يا محمد) قيل مشافهته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا تقتضى انه لم يكن مسلما او السياق يقتضى خلافه وليس فيه ماينافيه غير ندائه باسمه فلعله كان قبل تحريمه والنهى عنه بقوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم الخ أو ان الاعرابى كان قريب عهد بالاسلام فى طبعه غلظة وجفاء فهو معذور وطلب عطاء الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذه من الزكاة يدل على انه من المسلمين المؤلفة قلوبهم وفى كتاب الامتاع من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لايجوز لاحد ان يناديه باسمه فيقول يا محمد يا أحمد ولكن يقول يانبى الله يارسول الله قال تعالى لاتجعلوا دعاء الرسول الخ وقال تعالى ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أى لاتدعوه باسمه * فان قيل ثبت عن أنس رضى الله تعالى عنه ان رجلا من أهل البادية جاء فقال يا محمد الخ أجيب بانه يحتمل ان ذلك صدر منه قبل اسلامه أو فى حال اسلامه قبل النهى أو قبل بلوغه فلو ناداه بالكنية هل يحرم أم لا فيه نظر انتهى * أقول الظاهر ان هذا فى حياته مواجهة امافى غير ذلك فلا يحرم الاذكره بما لايشعر تعظيمه فلا يرد انه وقع كثيرا فى المدائح النبوية وغيرها كقول حسان رضى الله تعالى عنه

هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله فى ذاك الجزاء

فان أبى ووالده وعرضى * لعرض محمد منكم وقاء

فلا حاجة الى ان يقال انه مخصوص بغير الشعر لانه قد يقتضيه الوزن ومما قيل هنا أيضا ان الرسول ويارسول بدون اضافة لله كاسمه حتى اعترض على قول ابن مالك فى ألفيته مصليا على الرسول المصطفى ولاوجه له لما مر (احمل لى) قال التلمسانى همزته همزة قطع رباعى أى أعنى على الحمل ويجوز ان يكون معنى احمل لى أى اعطنى ما احمل والاول أولى لوجود المحمول انتهى وتبعه بعض المحشين فيجوز فيه الوصل أيضا الان فيما رجح به الاول نظرا (على بعيرى) بالتثنية مضافا الى ياء المتكلم (هذين من مال الله الذى عندك فانك لاتحمل لى) بضم التاء وفتحها على مامر وروى لاتحملنى أى لاتعطينى (من مالك ولامن مال أبيك) وقيل انه أسند الحمل اليه لانه سبب آمر به فهو مجاز عقلى فعلى هذا همزته همزة وصل أيضا ثم رد على من قال ان همزته مقطوعة بانه ظن انه من أحمل احمالا أى جعل البعير حاملا فلم يستبعد اسناده له وهو مجاز مشهور وليس بشئ لان ماذكره معنى آخر حقيقى صرح به الجوهرى وكان الرواية عليه (فسكت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا عبده) أتصرف فى ماله باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه فرد صلى الله تعالى عليه وسلم عليه بالطف رد (ثم قال ويقاد منك) بالبناء للمجهول وتقدير همزة الاستفهام أى أو يقاد منك من القود وهو القصاص وهو هنا مجاز عن مطلق المجازاة أى أتجازى على ترك أدبك ولم يقل أقيد نفسى منك كراهة ان يذكر مايشعر بانتصاره صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه ولو مستفهما وقيل انما بناه للمجهول للتعميم فيمن يستوفى القود أهو الله أم من عنده من المسلمين وقوله (يا اعرابى) اشارة الى انه معذور لما فيه من غلظ الاعراب وهم أهل البادية (مافعلت بى) من جذب بردى بان يفعل به مثله أو يعزر بما يليق به وسيأتى تحقيقه فى القصاص باللطمة (قال لا قال لم) لايقاد منك (قال لانك لاتكافئ) بهمزة من المكافأة وهى المجازاة أو بالياء أصلية أو مبدلة منها (بالسيئة السيئة) فيه مشاكلة لان الجزاء ليس بسيئة أو استعارة لانها مثلها بحسب الصورة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) سرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك بقصد التنقيص منه وتطمينا لقلبه اذ ابدى المسرة بمقالته (ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر) وفيه من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وتحمله الاذى وعدم التضجر

(ثم قال) أى الاعرابى على عادة اجلاف العرب (يا محمد احمل لى) بفتح الهمزة أى اعطنى ما احمل لى وأغرب التلمسانى حيث قال المعنى أعنى على الحمل وفى نسخة احملنى والظاهر انه تصحيف فى المبنى لانه تحريف فى المعنى (على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك) زاد البيهقى (فانك لاتحمل لى) وفى نسخة لاتحملنى وفيه ما سبق الان يقال معناه اعطنى على التجريد وفى أصل التلمسانى لاتحمله (من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حلما وكرما (ثم قال المال مال الله وأنا عبده ثم قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ويقاد منك) فعل مجهول من القود أى يقتص منك ويفعل بك (يا اعرابى مافعلت بى) أى مثل فعلك معى من جذب ثوبى (قال لا) أى لايقادمنى (قال لم) أى لاى شئ (قال لانك لاتكافئ) بالهمز أى لاتجازى (بالسيئة السيئة) بل تجازى بالسيئة الحسنة (فضحك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تعجبا (ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر) ويروى على بعير تمر وقيل اذا أحب الله عبدا اسلط عليه من يؤذيه

(وعن) وفى أكثر النسخ قالت (عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة) بكسر اللام وتفتح أى ما يطلب عند الظلم وأما قول المنجانى و بفتح الميم الثانية وكسرها فلا وجه له (ظلمها) بصيغة المجهول (قط) أى أبدا (مالم تكن) أى المظلمة (حرمة من محارم الله) أى متعلقة بحقوق الخلق أو الحق خارجة عن خاصة نفسه وحرمانه فرائضه أو ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه (وما ضرب بيده شيأ قط) واحترزت بقولها بيده عن ضرب غيره بامره تاديبا أو تعزيرا أو حدا وهذا كله من باب الكرم والرحم على العامة والخاصة (الا ان يجاهد فى سبيل الله) أى فانه كان يضرب بيده مبالغة فى مقام جده واجتهاده فى جهاده ثم ما ضرب أحدا من أعدائه الا كان حتف أنفه وعذابا له فى آخر أمره بدليل قول أبى ابن خلف وقد خدشه يوم أحد فى عنقه فجزع جزعا شديدا بالم شديد فقيل له ما هذا الجزع فقال والله لو بصق محمد على لقتلنى (وما ضرب خادما ولا امرأة) تخصيص بعد تعميم ودفع لتوهم ان النفى الاول متعلق بمن كان خارجا عن أهله واشعارا بان التحمل منهما أشد ثم فيه جواز ضرب المرأة والخادم للادب اذ لو لم يكن مباحا لم يتمدح بالتنزه عنه (وجىء اليه برجل) على ما روى أحمد والطبرانى بسند صحيح (فقيل هذا أراد ان يقتلك) أى فحصل للرجل روع فى روعه وفزع فى روحه (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع) بضم التاء أى لن تفزع بمكروه (لن تراع) كرره تاكيدا والمعنى لا تخف لا تخف قال التلمسانى وتضع العرب لن بمعنى لا كما ههنا (ولو أردت ذلك) أى قتلى (لم تسلط على) بصيغة المجهول اعلاما منه بان قتله محال لقوله تعالى والله يعصمك من الناس

ملا يخفى وهو ارشاد لامته لا سيما من يتولى منهم أمور المسلمين ثم أتى بما يدل على ما فى هذا الحديث من خلقه العظيم فقال (قالت عائشة رضى الله عنها) فى حديث أخرجه الشيخان وأحمد والترمذى فى الشمائل مع مخالفة يسيرة فى لفظه (ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) رؤية بصرية أو علمية (منتصرا) أى منتقما وناصرا لنفسه على غيره (من مظلمة) أى من ظلم وهى بفتح الميم وكسر اللام وفتحها واقتصر فى التقريب على الاول (ظلمها) مبنى للمفعول وهو مؤكد أو دفع لتوهم كون الظلم لغيره (قط) لاستغراق ما مضى كما مر (مالم تكن حرمة من محارم الله) أى مالم تكن المظلمة بارتكاب أمر حرمه الله وليس بصرف حق له ولا يرد عليه انه قتل ابن خطل والقينتان اللتان كانتا تغنيان بهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه حق لله فان ابن خطل ارتد وهجو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وسبه كفر كاذيته بخلاف الاعرابى فانه مسلم حمله على ما فعله غلاظة طبعه وظهر من جوابه انه لم يتقصد بذلك الاهانة مع ما فيه من حكم خفية كاستعطاف قلوب أهل البادية ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك (وما ضرب) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بيده شيأ قط) من دابة وانسان وغيره (الا ان يجاهد فى سبيل الله) كما فى ضربه صلى الله عليه وسلم أبى بن خلف باحد بحربة تناولها من بعض أصحابه اما الحارث ابن الصمة كما يأتى أو الزبير بن العوام فخدشه بها فى عنقه خدشا غير كبير فاحتبس الدم أى لم يخرج بسبب ذلك الخدش فقال قتلنى والله محمد فوقع من تلك الضربة مرارا من على فرسه التى كان أعدها ليقتل عليها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتى وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح وفى رواية انه ضربه تحت ابطه فكسر ضلعا من أضلاعه ثم مات عدو الله وهم قافلون به الى مكة بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وهو مناسب لموضعه لانه مسرف وقيل ببطن رابغ ولم يقتل صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة قط أحدا الا أبى بن خلف هذا الا قبل ولا بعد وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبى وفى لفظ اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير وفى لفظ اشتد غضب الله عز وجل على رجل قتله رسول الله فى سبيل الله أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باللطف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة بعباد الله قالوا واحترز بسبيل الله عمن قتله صلى الله تعالى عليه وسلم حدا أو قصاصا الا ان من يقتله فى سبيل الله كان قاصدا قتله وقد اتفق ذلك لابى بن خلف لعنه الله كما يأتى بيانه (وما ضرب خادما) له (ولا امرأة) من نسائه وفيه دليل على جواز تاديب الرجل امرأته وضربها ولولا ذلك لم يمدح به صلى الله تعالى عليه وسلم (وجىء اليه صلى الله تعالى عليه وسلم برجل) هذا الحديث أخرجه أحمد والطبرانى بسند صحيح ولم يسميا الرجل (فقيل له هذا أراد ان يقتلك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لن تراع لن تراع) أى لا تخف منى وكرره ليطمئن قلبه والروع الخوف والفزع ولن هنا بمعنى لا أى لا خوف عليك منى ولا من غيرى (ولو أردت هذا لم تسلط على) لان الله عصمنى فلن ينالنى ما أردته أنت ولا غيرك * فان قلت قوله لو أردت يقتضى انه لم يرده مع انه

أراد ذلك لقولهم أراد قتلك * قلت المراد بالارادة سببها وهي مباشرة ماهم به أي لومددت يدك الى لم تصل الى (وجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن سعنة) بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح النون وقيل انها مضمومة وهو غريب وهو حبر من أحبار اليهود كما في الاكمال وفي التهذيب هو صحابي من أحبار اليهود الذين أسلموا وهو من أكثرهم مالا وعلما حسن اسلامه وشهد المشاهد وتوفي مرجعه صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك ويقال انه سعية بالياء التحتية حكاه ابن عبد البر وقال النون أشهر وعليه اقتصر الجمهور وقال الذهبي انه أصح وأما أسيد بن سعية فالتحتية فيه أصح وأسيد بفتح الهمزة أو هو مصغر وهو حديث طويل رواه البيهقي مفصلا عن ابن سلام ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم عن عبد الله بن سلام أيضا وسنده صحيح كما قاله السيوطي (قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه) أي يطلب منه صلى الله تعالى عليه وسلم دينا كان له عليه والتقاضي بمعنى المطالبة من كلام العرب قال الحماسي

لحى الله دهرا شره قبل خيره * تقاضى فلم يحسن الينا التقاضيا

قال الشراح أي طالبنا ومثله كثير في كلامهم وكلام أهل اللغة فقول شيخنا المقدسي في الرمز التقاضي معناه لغة القبض لانه تفاعل من قضى يقال تقاضيت ديني واقتضيته بمعنى أخذته وفي العرف الطلب انتهى لا وجه له والذي غره قصور كلام القاموس فظنه غير لغوي بل معنى عرفي وهو غريب منه وفي رواية عن زيد المذكور كنت أريد أن أعلم حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليطابق ما في التوراة من حلمه فخرج يوما ومعه علي فجاءه رجل كالبدوي فقال يا رسول الله ان قرية بني فلان أسلموا وأعلمتهم انهم ان أسلموا أتتهم أرزاقهم رغدا وقد أصابتهم سنة وشدة واني مشفق عليهم ان يخرجوا من الاسلام فان رأيت ان ترسل اليهم بشئ يغنيهم فقال زيد بن سعنة يا رسول الله أنا أبتاع منك بكذا وكذا وسقا فاعطيته ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل وقال له اعجل عليهم بها وأغثهم فلما كان قبل الاجل بيوم أو يومين أو ثلاث خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى جنازة في نفر من أصحابه فلقيته وتقاضاه (فجبذ ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه) ضمنه معنى أزاله فعداه بعن ومنكب بكسر الكاف مجمع الكتف والعضد والمجامع جمع مجمع وهو أطرافه وحواشيه وقيل هو التلبيب أي أخذه بطوقه وما تحت لبته ونحره وهذا هو الصحيح المعروف لا ما قيل انه ما بين الكتفين فان الثياب كلها كالرداء والقميص تجتمع هناك (وأغلظ له) أي قال له كلاما غليظا خشنا مع تعبس وتجهم وجهه (ثم قال انكم يا بني عبد المطلب) مفتعل من الطلب واسمه شيبة على الاصح لانه ولد وفي رأسه شيبة ظاهرة في ذؤابتيه (مطل) بضم الميم والطاء جمع ماطل والمطل التطويل في تاخير الحق أو خلف الوعد فيه مرارا من مطل الحداد الحديد اذا مده وفي القاموس المطل التسويف بالعدة والدين (فانتهره عمر) رضي الله تعالى عنه بالراء المهملة افتعال من النهر وهو الزجر ونهره وانتهره بمعنى وقال ابن فورك الانتهار الاغلاظ في القول مع صياح وقيل النهر عن الشئ بفظاظة (وشدد له في القول) فقال له عمر رضي الله تعالى عنه أي عدو الله أتقول هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتصنع به ما أرى وتقول له ما أسمع فو الذي بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسك (والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) من مقالهما لشدة حلمه ولعلمه كشفا بمراد ابن سعنة وان عمر رضي الله تعالى عنه لو كشف له الغطاء لم يصعب عليه ذلك (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وهو) أي ابن سعنة صاحب الحق (كنا الى غير هذا) المقال الذي قلته (منك أحوج يا عمر) أي أكثر حاجة وهو أفعل تفضيل من حاج بمعنى احتاج وليس من احتاج على حذف الزوائد شذوذا كما توهم فان ثلاثيه مسموع والمفضل عليه محذوف وهو خبر انا وما عطف عليه ثم بين الغير

(وجاءه زيد بن سعنة) بفتح سين فسكون عين مهملتين فنون وهو الاصح على ما ذكره الذهبي في تجريده والنووي في تهذيبه وفي رواية بتحتية بدل النون (قبل اسلامه) وهو يهودي (يتقاضاه) أي كونه طالبا (دينا) أي قضاء دين له (عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم (فجبذ ثوبه) أي جذب رداءه وأزاله وأبعده (عن منكبه) بكسر الكاف (وأخذ بمجامع ثيابه) جمع مجمع وهي أطرافه وحواشيه أو ازاره كله ويقال له التلبب (وأغلظ له) أي في القول بخصوصه (ثم قال) قصد العموم قومه (انكم يا بني عبد المطلب مطل) بضمتين ويسكن الثاني جمع مطول كفعول بمعنى فاعل أي مدافعون في وعدكم (فانتهره عمر) أي زجره (وشدد له في القول والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتبسم) حال مبينة لكمال حلمه وحسن خلقه وجميل عفوه (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وهو كنا الى غير هذا) أي الذي صدر (منك) أي من الزجر لا كيد والقول الشديد (أحوج) أي أكثر احتياجا (يا عمر) فكان الاولى بك انك

(تأمرني بحسن القضاء) أي الاداء لدينه (وتأمره بحسن التقاضي) أي المطالبة لحقه (ثم قال لقد بقي من أجله) أي من أجل دينه لا عمره (ثلاث) أي ثلاثة أيام وحذف تاؤه لحذف مميزه الذي هو أيام كما في حديث من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنه صام الدهر كله (وأمر) أي النبي عليه الصلاة والسلام (عمر يقضيه ماله) أي ماله من الحق (ويزيده عشرين صاعا مما روعه)

بتشديد الواو أي لاجل ماخوفه عمر زجرا فيجازيه برا (فكان) أي فصار ذلك (سبب اسلامه) والحديث رواه البيهقي مفصلا ووصله ابن حبان والطبراني وأبو نعيم بسند صحيح (وذلك) أي كونه سبب اسلامه (انه كان يقول) كما روى عنه عبد الله بن سلام (ما بقي من علامات النبوة شئ الا وقد عرفتها في محمد) وفي رواية في وجه محمد (الا اثنتين لم أخبرهما) بفتح الهمزة وضم الموحدة أي لم أخبر بهما فلم أعرفهما ويروى لم أجدهما أي لم أتحققهما (يسبق حلمه جهله) أي جهل الذي يفعل به (ولا تزيده شدة الجهل) أي عليه (من أحد الاحلما) بل لطفا وكرما (فاختبره) أي امتحنه (هو بهذا) أي الذي صدر منه في حقه قولا وفعلا (فوجده) ويروى فاختبرته بهذا فوجدته (كما وصف) بصيغة المجهول أي

نعت في كتب الاولين في صفة المرسلين وكان أعلم من أسلم من أحبار اليهود وأجلهم وأكثرهم مالا شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد كثيرة وتوفي راجعا من غزوة تبوك الى المدينة (والحديث) أي الاحاديث الواردة المخبرة عن حلمه عليه الصلاة والسلام وصبره وعفوه (عند المقدرة) بفتح الدال وضمها وحكى كسرها بمعنى القدرة وهو احتراز عن توهم كون عفوه عن معجزة (أكثر من ان نأتي عليه) ان نذكر كله أو معظمه

الذي هما أحوج اليه من هذا التشديد بقوله (تأمرني بحسن القضاء) أي وفاء ماله علي (وتأمره بحسن التقاضي) والطلب بلطف (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما عسى يتوهم انه وقع مطل أو تأخير منه (لقد بقي من أجله) أي من تأجيل دينه (ثلاث) أي ثلاثة أيام فلذا لم يحسن تقاضيه بخلاف قضاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فانه وقع على أحسن وجه فانه فعل ما وعده وزيادة كما أشار اليه بقوله (وأمر عمر يقضيه ماله ويزيده) على حقه (عشرين صاعا) من تمر (مما روعه) ما مصدرية أي لاجل ترويع عمر له اذ هم بقتله وقال له ما مر (فكان) فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (سبب اسلامه) لانه كان عالما بالتوراة ورأى فيها ذكره صلى الله تعالى عليه وسلم وعلاماته فحقق تلك العلامات كلها غير علامتين لشدة حلمه فلما رآهما تيقن أمره وزالت شبهته فحسن اسلامه وأراد الله سعادته (وذلك انه كان يقول) لمن عنده من اليهود (ما بقي من علامات النبوة) أي علامات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم المذكورة في التوراة التي قرأها وعرفها (شئ الا وقد عرفته) أي شاهدته فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي نسخة الا وقد عرفتها باعتبار ان الشئ بمعنى العلامة (الا) علامتين (اثنتين لم أخبرهما) أي لم أعرفهما وهو بضم الباء يقال خبرته أخبره خبرا اذا اختبرته فصدق الخبر الخبر ثم فسر الثنتين اللتين لم يعرفهما بقوله (يسبق حلمه جهله) تقدم ان الجهل في كلام العرب قديما بمعنى المبادرة للغضب ومقتضاه عدم المبادرة بالايقاع بمن يغضبه وهو مقابل للحلم لا للعلم كقوله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما مر لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب أحيانا لله وينتقم فلا يتوهم من لا يعرف كلام العرب هنا ما لا يليق بصفاته صلى الله تعالى عليه وسلم فالمراد ان حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم يغلب حدته كما في قوله سبقت رحمتي على غضبي أو السبق على ظاهره فمن قال المعنى يغلب حلمه على جهله لو كان له جهل كقوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين وليس المراد ان له صلى الله تعالى عليه وسلم جهلا يسبقه حلمه لانه لقبحه لا يصلح ان يعد من علامات النبوة وحينئذ فليس من قبيل سبقت رحمتي والجهل هنا وفيما بعده مصدر جهل عليه لا به انتهى لم يصب مع ما في كلامه من التناقض (ولا تزيده شدة الجهل الا حلما) هذه هي العلامة الثانية أي جهل غيره بمعنى سفاهته وأذيته كلما ازدادت واشتدت عليه زاد حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وصبره ما لم تتجاوز حدود الله وتؤتى حرماته فانه حينئذ يغضب لله لا لنفسه وهذا من صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم الخارقة للعادة كما عرفته في هذه القصة مع زيد بن سعنة ولذا قال زيد لعمر رضي الله عنه لما قضاه وزاده أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر الا اني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة واني أشهدك ان هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين وأسلم أهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة والى هذا أشار المصنف بقوله (فاختبره بهذا فوجده كما وصف والحديث) أي الاخبار المستفيضة بين الناس وليس المراد المصطلح عليه ولذا عداه بعن فقال (عن علمه وصبره وعفوه عند القدرة) قيده به لانه هو المحمود كما مر (أكثر من ان نأتي عليه) يقال أتى

(وحسبك) أي كافيك ومغنيك (ماذكرناه مما في الصحيح) أي في الكتب الصحيحة (والمصنفات الثابتة) أي ولو لم تكن من الصحاح الستة أو ولو لم تكن صحيحة بل ثابتة حسنة فانها حجة بينة (الى مابلغ) أي منضمة الى ما وصل مجموعه (متواترا) أي في المعنى (مبلغ اليقين) أي مبلغا يحصل به اليقين للمؤمنين في أمر الدين (من صبره) بيان لما أي من تحمله (على مقاساة قريش) أي مكايدتهم ومعارضتهم ومخالفتهم (وأذى الجاهلية) أي وتأذيه من أهل جاهليتهم وسفاهتهم (ومصابرته الشدائد) أي مغالبة

على الكتاب قرأه أو المال انفاقا اذا استوعبه كله وهذا التركيب كقولهم أكثر من ان تحصى والكلام عليه مشهور فالمعنى انه لا يمكن استيعابه واستقصاؤه (وحسبك ماذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة) أي يكفيك ما تقدم مما ثبت بنقل الثقاة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فيكفي هذا منضما (الى مابلغ) لك وعندك (متواترا) تواترا معنويا عن مجموعهما (مبلغ اليقين) أي وصل بالتواتر مرتبة اليقين الذي لا يشك فيه أحد ولو قال مبلغ الضروري كان أولى والقول بانه أراده لا يخفى ما فيه ثم بين ذلك بقوله (من صبره) صلى الله تعالى عليه وسلم (على مقاساة قريش) المقاساة معالجة أمور صعبة شاقة بحيث لا يتحمل مثلها وهذا في أول بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعرفه من طالع السير (وأذى الجاهلية) أي تحمله صلى الله تعالى عليه وسلم أذى الجاهلية أي أهل الجاهلية وهم الكفار (ومصابرته الشدائد الصعبة معهم) في الحروب الواقعة بينه وبينهم وهي وان كانت سجالا الا انه صب عليهم العذاب فالمصابرة مفاعلة من الصبر عن شدائد الحروب وهم صناديد كان لهم صبر على اصطلاء نارها لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم غلبهم وصابرهم وزاد عليهم حتى ظفر وانتصر (الى ان أظهره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم) أي جعله الله تعالى قاهرا غالبا لهم وهم في قبضة تصرفه يحكم فيهم بما يريد من قتل وأسر وعفو ان شاء (وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم) الاستئصال قطع الشئ من أصله وازالته بالكلية والشأفة بشين معجمة مفتوحة وهمزة ساكنة وفاء تليها هاء تأنيث وتبدل الهمزة ألفا وهي قرحة تخرج في أصل القدم فتكوى فتذهب وان قطعت مات صاحبها فضرب مثلا وقد يدعى به والمراد أزاله الله تعالى من أصله بحيث لا يبقى له عين ولا أثر ولا أصل ولا فرع وفيه اشارة الى خبثهم وانهم كقرح في البدن خبثه مهلك لصاحبه فشبه هلاكهم أجمعين بقطع تلك القرحة وفيه بلاغة لا تخفى (وابادة خضرائهم) الابادة بالدال المهملة بمعنى الاهلاك وهذا مثل كالذي قبله والخضرة كالسواد تطلق على الناس والقوم فمعنى ازالة سوادهم وخضرائهم هلاكهم قال في النهاية ابيدت خضراء قريش أي دهماؤهم وسوادهم والمراد الجماعة وذهب بعض أهل اللغة الى ان صوابه غضراؤهم بغين معجمة وهي عصارتهم وخيرهم وخصبهم أو طينتهم التي خلقوا منها والمراد على كل حال استئصالهم والصواب ما تقدم رواية ودراية والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ظفر بهم في حال تيقنوا هلاكهم باسرهم بحيث لا يبقى منهم باقية (فما زاد) صلى الله عليه وسلم (على ان عفا وصفح) أي مع شدة أذاهم ونصره عليهم بحيث صاروا في قبضة تصرفه وقد أحاط بهم الهلاك من كل جانب ما زاد على ما كان عليه من حاله الا العفو والصفح لا شفاء النفس بالانتقام وفعل ما يستحقون بحيث لو فعل لم يلم والعفو والصفح متقارب بان عدم المؤاخذة بالذنب (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم تلويحا للطفه بهم مستنذرا منهم كما في ضمائرهم مفوضا ذلك اليهم تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم (ما تقولون) ما استفهامية والقول بعدها بمعنى الظن كما صرح به النحاة بقوله (اني فاعل بكم) بفتح همزة ان وهي وما معها سادة مسد مفعوليه وهذا متعين وجعل القول على أصله بناء على انه سالهم

المحن وفي نسخة ومصابرة الشدائد (الصعبة) أي الشاقة (معهم) أي مع أعدائه (الى ان أظفره الله عليهم) بنصره وأظهره كما في نسخة (وحكمه فيهم) بتشديد الكاف أي جعله حاكما عليهم متصرفا في أمرهم (وهم لا يشكون) أي لا يترددون بناء على زعمهم وقياسه على أنفسهم (في استئصال شأفتهم) بفتح شين معجمة فسكون همزة ففاء فتاء أي جمعهم وقطع أثرهم وهي في الاصل قرحة تخرج للانسان في أسفل القدم فتكوى فتذهب فهم يقولون في المثل استأصل الله شأفته أي أذهبه كما أذهبها وروى في استئصاله بالاضافة ونصب شأفتهم التي في استهلاكه دابرهم من أصلهم وفصلهم (وابادة خضرائهم) بفتح خاء وسكون ضاد معجمتين بعدهما راء فالف ممدودة أي اهلاك جماعتهم وتفريق جمعهم فالابادة بكسر الهمزة مصدر اباده الله أي أهلكه وخضراؤهم سوادهم ومعظمهم والمعنى لا يشكون في هلاكهم وذهابهم وفنائهم (فما زاد على ان عفا) أي تجاوز عن أفعالهم (وصفح) أي وأعرض عن أقوالهم (وقال) أي لهم تلويحا بلطفه اليهم وشفقته عليهم واستخراجا لما في ضمائرهم واستظهارا لما في سرائرهم (ما تقولون) أي فيما بينكم أو ما تظنون بي (اني فاعل بكم) أي بعد ما ظفرت عليكم

عما

(قالوا خيرا) أى نقول قولا خيرا أو نظن ظنا خيرا أو نفعل خيرا (أخ كريم) أى هو او أنت وهو فى معنى العلة أى لانك أخ كريم (وابن أخ كريم) أى فلا يجئ من مثلك الا ما يوجب الكرم والعفو عمن ظلم (فقال أقول) أى فى جواب قولكم (كما قال أخى يوسف) اى لاخوته فانا مقتد بالانبياء العقلاء لا بالاغبياء الجهلاء (لا تثريب) لا تعيير ولا توبيخ ولا تعييب (عليكم اليوم) أى هذا الوقت الذى ظهر فضلى لديكم أولا اذكر لكم الذنب فى هذا اليوم الذى محله التثريب فما ظنكم بغيره من الزمان البعيد أو القريب وأما ما جوزه التلمسانى من الوقف على عليكم وجعل اليوم ظرفا لما بعده ففى غاية من البعد مبنى ومعنى (يغفر الله لكم) أى ما فرط منكم وظهر عنكم (الآية) أى وهو أرحم الراحمين وانما رحمتى اثر من آثار رحمته كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وكما فى الحديث الشريف انا رحمة مهداة أى رحمة لكم ومهداة اليكم (اذهبوا فانتم الطلقاء) بضم ففتح ممدودا جمع طليق بمعنى مطلوق وهو الاسير يخلى عن سبيله أى الخلاص من قيد الاسر فانهم كانوا حينئذ اسراء وقد قال ذلك يوم فتح مكة آخذا بعضادتى باب الكعبة على ما رواه ابن سعد والنسائى وابن زنجويه وجاء نوفل بن معاوية الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله انت أولى الناس بالعفو ومن منا من لم يعادك ويؤذك ونحن فى جاهلية لا ندرى ما نأخذ ولا ما ندع حتى هدانا الله بك وأنقذنا بوجودك من الهلكة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد عفوت عنك فقال فداؤك أبى وأمى وقد روى سفيان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال الطلقاء من قريش والعتقاء من من ثقيف أى أهل الطائف كما رواه ابن سيرين قال التلمسانى وروى ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما افتتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى الكعبة وفيها رؤساء قريش فاخذ بعضادتى الباب وقال ماذا ترون انى صانع بكم فقالوا أخ كريم وابن أخ كريم ملكت فاسجح فقال انى أقول لكم كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية وقال أنتم الطلقاء ولكم أموالكم قال فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا فى الاسلام (وقال أنس) كما رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (هبط ثمانون رجلا من التنعيم) وهو أقرب اطراف مكة اليها وهو على ثلاثة أميال منها وقيل اربعة وهو من جهة المدينة والشام سمى بذلك لانه عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن شماله جبل يقال له ناعم والوادى نعمان بفتح النون (صلاة الصبح) أى نزلوا وقت صلاة الفجر (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بغتة وغفلة

عما قالوا فى أنفسهم او فيما بينهم تكلف مخالف للاستعمال الفصيح (قالوا خيرا) منصوب بمقدر يدل عليه فاعل قبله اى تفعل خيرا او انت فاعل خيرا (أخ كريم) اى انت الى آخره كريم وهى جملة مستأنفة لبيان انه يفعل الخير (وابن أخ كريم) هذا على عادة العرب فى تسمية القريب أخا قال تعالى والى عاد أخاهم هودا والكريم الجامع للخير والفضائل كما فى الحديث الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف آه اخ (فقال أقول كما قال اخى يوسف) فيه بلاغة وطى بديع ابلغ من قوله

نهيت من الاعمار ما لو حويته ❊ لهنئت الدنيا بانك خالد

لما فيه من الايماء الى شقهم عصا القرابة بينهم وحسدهم له وكذبهم عليه وقطع رحمه مع ماله صلى الله تعالى عليه وسلم من الشرف الباذخ فانه الكريم بن الكريم وان حسدهم وبغيهم كان سببا لعلو مقامه وتملكه لنواصيهم وذاتهم له معترفين بقصورهم (لا تثريب عليكم الآية) اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ❊ التثريب التعيير والتوبيخ أى لا أوبخكم واعيركم بما يخجلكم ويحتمل ان المراد لا عتب عليكم لعدم مبالاتى لكم من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد لانه اذا ذهب كان غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب بماء الوجه وفيه جواز الاقتباس من القرآن ولو مع تغيير ما فى المعنى وقد جوز الوقف على قوله عليكم والظرف متعلق بيغفر وفيه المسارعة بالمغفرة فى وقت يرجى فيه خلافه واليوم بمعنى مطلق الوقت ويجوز ان يوقف على اليوم اى لا تغيير لكم اليوم لان المقدرة تذهب الحفيظة اذا بدل الله من العسر يسرا ومن الحزن سرورا ومن الفرقة الفة ومن الغربة ملكا وبسطة فلا تثريب فى زمان فيه مثل هذا الخير وبهذا الوقف قرأ القراء ويغفر جملة دعائية أو خبرية مبشرة لهم بذلك (اذهبوا فانتم الطلقاء) بالمد جمع طليق وهو الاسير يطلق ويخلى سبيله قيل وهو مخصوص بمن كان من قريش ومن ثقيف يقال لهم العتقاء تمييزا بينهم وهذا بعض حديث طويل وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزل بمكة واطمأن الناس جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على بابها وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش انى فاعل الى آخره فخرجوا كأنما نشروا من القبور (وقال أنس رضى الله تعالى عنه هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح) منصوب على الظرفية أى وقت صلاة الصبح (ليقتلوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الهبوط النزول من علو

(فاخذوا) بصيغة المجهول (فاعتقهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذى كف أيديهم) أى كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم الآية) وهى ببطن مكة ٣٠ أى داخلها أو قريبا منها من بعد ان أظفركم عليهم أى اظهركم وغلبكم فهزمهم وأدخلهم بطنها وقد ذكر المفسرون ان سبب نزولها عام الحديبية ان عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد فى جماعة فهزمهم حتى ادخلهم بطن مكة أو كان يوم فتح مكة وبه أخذ أبو حنيفة ان مكة فتحت عنوة ولا ينافيه ما ذكر من ان السورة نزلت قبله اذ هى من جملة المعجزات والاخبار عن المغيبات قبل وقوعها (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لابى سفيان) أى ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعطاه من غنائمها مائة واربعين أوقية وزنها له بلال كان شيخ مكة ورئيس قريش بعد أبى جهل أسلم يوم الفتح ونزل المدينة سنة احدى وثلاثين ودفن فى البقيع (وقد سيق اليه) أى جئ به اليه والجملة معترضة بين القول ومقوله مبينة لحال صاحبها والمعنى جاء به العباس ليلا مردفا له على بغلته اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متوجه لفتح مكة

اسفل وهو يتعدى ولا يتعدى قال العباس رضى الله تعالى عنه * ثم هبطت البلاد لا بشر * وباؤه مفتوحة فى الماضى مكسورة فى المضارع وضمها لغة شاذة وقال ابن عطية ان الضم كثير فى غير المتعدى وقيل عليه انه لا يوجد الفرق بين المتعدى وغيره يعنى بحركة عين المضارع وحدها والتنعيم بفتح التاء اسم موضع عن يمينه جبل يقال له نعيم وعن يساره جبل يقال له ناعم والوادى هو نعمان فقيل فيه التنعيم لذلك وقالت امرأة تذكره

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

وهو على أربع اميال من مكة وهو طرف الحرم من جهة المدينة (فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله) فى هذه القصة (وهو الذى كف أيديهم عنكم الآية) وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان أظفركم عليهم اى اظهركم ونصركم عليهم فهزمهم حتى أدخلهم بطنها وحديث أنس رضى الله تعالى عنه المذكور رواه مسلم والترمذى وأبو داود والمراد ببطن مكة الحديبية وضمير الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومن معه وكان ذلك وهو فى أصل الشجرة فبينما هو كذلك اذ خرج ثلاثون رجلا وقال ابن هشام رحمه الله تعالى سبعون او ثمانون وأخذوا اسراء والسفراء يمشون فى الصلح فاطلقهم وهم العتقاء وقيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر ان عكرمة بن أبى جهل خرج اليه فى خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد هذا ابن عمك خرج فى خمسمائة فارس فقال أنا سيف الله وبذلك سمى يومئذ فقام اليه فى خيل فهزمه الى حوائط مكة وقيل انه كان يوم فتح مكة وبهذا استدل بعض الحنفية على انها فتحت عنوة ورد بان الآية نزلت قبل الفتح وان الكف يناسب الصلح وهو بصيغة الماضى والآية نزلت بالحديبية قيل ومن العجيب قول أبى السعود ان الآية نزلت لما خرج عكرمة ابن أبى جهل فى خمسمائة فارس الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد بجند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة يوم الفتح انتهى وهو كلام متناقض لان الحديبية كانت سنة ست فى ذى القعدة وفتح مكة كان فى رمضان سنة ثمان وقصة خالد كانت يوم الفتح * أقول من قال المراد فتح مكة فهو ضعيف فان السورة مدنية نزلت قبل الفتح والحمل على ان الماضى أعنى كف للتحقيق بمعنى المضارع وعدا بعيد جدا وأيضا ماذكر ان عكرمة بن أبى جهل خرج فى عسكر فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى الحديبية فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة غلط فان خالد بن الوليد لم يكن أسلم يومئذ بل كان طليعة للمشركين كما فى البخارى ولا حاجة لتأويل كلامه بانه أراد بالفتح قصة الحديبية لانها سميت فى القرآن فتحا مع انه تابع فى هذا الغلط لغيره وعهدته على من قاله أولا وليس ما نقله أيضا مطابقا لما قاله فى تفسيره وفى فتح مكة خلاف فى كتب الفقه وفى الكشاف كف أيديهم قضى بينكم وبينهم بالمكافة والمحاجزة وهى نزغة اعتزالية ولذا تركه القاضى رحمه الله تعالى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (لابى سفيان) صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف (وقد سيق اليه) جملة حالية أى قال له القول الآتى وسيق مبنى للمجهول سائقه أتى به وقاده والسائق له هو العباس عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما سار النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة ونزل مر الظهران عشاء واوقد عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر رضى الله تعالى عنه وأراد دخولها قهرا لقتل الكفار فرقت نفس العباس رضى الله تعالى عنه لاهل مكة فخرج على بغلة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتى الاراك فقال لعلى أجد ذا حاجة يأتى مكة فيخبرهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

حتى

(بعدان جلب) أى ساق (اليه الأحزاب) وهى جموع مجتمعة للحرب من قبائل متفرقة والمعنى بعد كثرة قبائحه وجملة فضائحه منها انه جمع احزاب كفار مكة وغيرهم وأتى أهل المدينة على عزم قتلهم ونهبهم وهم أهل الخندق وكانوا ثلاثة عساكر وعدتهم عشرة آلاف قال ابن اسحق وكانت فى شوال سنة خمس وكان الحصار أربعين يوما (وقتل عمه) أى وتسبب بقتل عمه حمزة اذ قتله وحشى وهو من جملة عسكره ثم أسلم (وأصحابه) أى وقتل سائر أصحابه مجازا قيل هم سبعون وقيل سبعون من الانصار خاصة وقيل مجموع القتلى سبعون أربعة من المهاجرين حمزة ومصعب بن عمير وشماس بن عثمان المخزومى وعبد الله بن جحش الاسدى وباقيهم من الانصار (ومثل بهم) بتشديد المثلة أى أمر أن يفعل بهم المثلة أو تسبب بها على وجه المبالغة من قطع أنف وأذن ومذاكير وسائر أطرافهم والممثلة بحمزة زوجته هند بنت عتبة لقتل حمزة أباها فى بدر وفى صحيح البخارى عن أبى سفيان وستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى قيل والذى فعل المثلة هند ومن معها من النسوة وقال البغوى فى تفسيره لم يبق أحد من قتلى أحد الا مثل به غير حنظلة بن راهب فان أباه عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا حنظلة لذلك (فعفا عنه) أى مع هذا كله وجميع ماصدر عنه من الفعل (ولاطفه فى القول) أى بالغ فى اللطف والرفق معه حيث قال له (ويحك يا أبا سفيان) أى ترحما له وترجعا عليه اذ لم يؤمن به بعد ولم يسلم على يديه قيل ويح كلمة ترحم ان وقع فى هلكة لا يستحقها وقيل ويح باب رحمة وويل باب هلكة وويس استصغار (ألم يأن) من أنى يأنى أى جاء اناه أى ألم يقرب الوقت (لك أن تعلم) أى علما يقينا (وتشهد أن لا اله الا الله) أى توحده حق توحيده الموجب للعلم بحقيقة رسوله (فقال) أى أبو سفيان متعجبا من سعة حلمه وكثرة صلته وقوة كرمه (بأبى أنت وأمى) أى أفديك بهما (ما أحلمك) صيغة تعجب من الحلم وفى بعض النسخ ما أجملك من الجمال فيكون بمعنى التجمل كما أن الاول بمعنى التحمل (وأوصلك) أى ما أكثر وصلك على بها لك أى ما أكثر صلاتك لاعدائك

حتى يخرجوا ويستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة فسمعت صوت أبى سفيان يقول لبديل ما رأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا فقلت أبا حنظلة فقال أبو الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الناس وأصباح قريش قال ما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضرب عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك فركب خلفى فكنت كلما مررت باحد قال بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها عمه حتى مررت بعمر رضى الله عنه قال أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذى أمكن منك بلا عقد ولا عهد وخرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة ودخلت عليه وعمر رضى الله عنه معه فقال هذا أبو سفيان دعنى أضرب عنقه فقلت انى قد أجرته وجلست فلما أكثر عمر رضى الله تعالى عنه فى شانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم مهلا يا عمر اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا أصبح فأتنى به فغدوت به صباحا فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علم انه جاء ليسلم منقادا (بعد أن جلب له اليه الاحزاب) جلب بالجيم والموحدة بمعنى ساق وجمع وأصله من الجلبة وهى أصوات المحاربين والاحزاب جمع حزب وهى الناس المجتمعة من قبائل شتى للحرب ويقال تحزبوا تجمعوا وهذه غزوة الخندق التى كانت فى سنة خمس واسناد جلب الاحزاب اليه لانه كان قائد جيشهم وصاحب رأيهم والا فسبب التحزيب انما كان جماعة من اليهود دعوا القبائل وحركوا قريشا لذلك كما فصل فى السير (وقتل عمه حمزة) سيد الشهداء رضى الله تعالى عنه (وأصحابه) أى أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعود الضمير لعمه وان صح بعيد (ومثل بهم) بالتشديد أى شوهت خلقتهم بقطع الاطراف وشق البطن واخراج القلب ونحوه وهو من المثلة بضم الميم وهى العقوبة الشديدة ومنه قد خلت من قبلهم المثلات ويقال مثل بالتخفيف أيضا ونسب قتل حمزة رضى الله تعالى عنه وقتل أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان مع ان قاتل حمزة وحشى بن حرب وأسلم بعد ذلك ولم يباشره أبو سفيان الا انه هو الباعث والسبب لذلك القتال والمهيج له ولكون قتل حمزة رضى الله تعالى عنه مشهورا انه باحد لا يقال ان عبارة المصنف رحمه الله توهم انه بالاحزاب والمراد بالاصحاب من قتل باحد وكانوا أكثر من سبعين ولذلك نسب التمثيل له مع ان الممثل زوجته هند لان فعل أهل الرجل كفعله لاسيما النساء وقد مثل بجماعة غيره أيضا كما أشار اليه المصنف رحمه الله بقوله بهم فمن مثل به أنس بن النضر وعبد الله بن جحش كما فصل فى السير (فعفا عنه) ما سبق منه فى كفره لان الاسلام يجب ما قبله (ولاطفه فى القول) اذ خاطبه بقوله (ويحك يا أبا سفيان) أى أتعجب لك ما عقلك ودهائك وحظك ورحقية الاسلام وعبر بفاعل ليلاطف كل منهما فى مقاله واللطف الرفق والبر ويكون بمعنى الرقة والصغر (ألم يأن لك) أى ألم يدن وقت علمك يقال انى يأنى اذا حان وقته وجاء زمانه (ان تعلم أن لا اله الا الله) أى توحد الله وتصدق به فتسلم اسلاما صحيحا

(فقال) أبوسفيان (بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك) لرحمك اذ خاطبتنى بلطف وهديتنى الى الحق مع ما قاسيته منى ثم أجابه مصدقا فقال لقد ظننت أن لو كان مع الله اله غيره لقد أغنى شيئا بعد فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بأبى أنت وأمى أما هذه ففى النفس منها شئ فقال له العباس ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن يضرب عنقك فشهد شهادة الحق وأسلم والحديث مذكور بتمامه فى السير وأمر أبى سفيان رضى الله عنه مشهور وفى بعض النسخ بدل ما أحلمك ما أجملك من الجمال ويحتمل انه من التجمل وهى صيغ تعجب وكل هذا جائز وفى تاريخ قزوين للامام القزوينى روى عن على بن أحمد ابن صالح قال حدثنا أبو العباس العبدى القزوينى حدثنا الحسن بن الفضل حدثنا محمد بن غزوان البغدادى حدثنا الاصمعى حدثنا مالك بن مغول عن الشعبى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال لطم أبو جهل لعنه الله فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فشكت الى أبيها فقال لها ائتى أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف بها على أبى جهل لعنه الله وقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لأبى سفيان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ما شككت ان كان اسلامه الا دعوة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى نقله السيوطى فى كتاب تحفة الادب ومن خطه نقلت (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضى) أى غضبه بعيد لا يكون منه الا بعد أمور كثيرة بخلاف رضاه فانه يرضى بأقل شئ تحريه لكرمه وحلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ويأتى فيه الكلام مبسوطا وهذا لانه متخلق بأخلاق الله وهو رحمة من الله ورحمته قد سبقت غضبه وفى الحديث المؤمن بطئ الغضب سريع الرضى وهذا فى غير حقوق الله وفى غير ما يؤدى الى عدم الحمية والمروءة فلا ينافى هذا قول الشافعى من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان

(فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة) جواب أما قوله الآتى فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يوازى الى آخره وما بينهما جمل معترضة (ومعانيها متقاربة) بعضها قريب من بعض حتى توهم بعضهم لذلك انها مترادفة (وقد فرق بعضهم بينها بفروق) وأهل اللغة يعرفون الفرق فى أمثاله بمقابلها واضدادها كما قيل * وبضدها تتميز الاشياء * ولابن هلال كتاب فى الفروق مفيد جدا وتقدم ان فرق بتخفيف الراء وتشديدها بمعنى الا أن بعضهم قال الاكثر فى التفريق استعماله فى الاجسام والفرق فى المعانى وهذا لا ينكر استعمال أحدهما مكان الآخر فهو كلام قليل الجدوى وجمع فروق باعتبار وقوعه بين كل واحد وغيره والا فهو فى الحقيقة فرق وبدأ المصنف بالجود أولا وفى التفريق أخره لانه عنده بمعنى السخاء ولذا قيل كان الاولى تركهما وعطفه على السخاء وتأخيره (فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم) عظم يعظم بضم العين فيهما جل مقداره و(خطره) بفتحتين وقد تسكن الطاء قدره ووقعه (ونفعه) لمن يعطى له وذلك انما يكون بكثرته وهذا يختلف باختلاف المعطى والآخذ كان هذا معنى الكرم فى عرف اللغة والا فالكرم بمعنى الشرف والمجد وهو لا يختص بالاعطاء ولذا قال (وسموه أيضا حرية) بضم الحاء وكسر الراء المهملتين المشددة تليها

(وأكرمك) أى ما أكثر كرمك على من أساء اليك وخالف عليك وأبعد الدجى فى قوله وأكرمك عندى بل حيث لا يلائم المقام كما لا يخفى على ذوى المرام (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أبعد الناس غضبا) أى عليهم (وأسرعهم رضى) أى اعطافا اليهم (صلى الله تعالى عليه وسلم) قال التلمسانى وفى الحديث جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وهذا آخره والله أعلم ومما يناسب الباب ما ذكره التلمسانى فى شرح الكتاب انه قيل لا يكمل الانسان حتى يقبل الاعتذار ويعفو عند الاقتدار ويكون الاظهار منه مثل الاضمار وسأل معاوية صعصعة ابن صوحان فقال صف لى الناس فقال خلق الله الناس أصنافا فطائفة للعبادة وطائفة للتجارة وطائفة للخطابة وطائفة للنجدة وطائفة فيما بين ذلك يكدرون الماء ويجلبون الغلاء ويضيقون الطريق فى البناء والصحراء * (فصل وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة) أى فى اطلاقات المحاورة (وقد فرق بعضهم) بتخفيف الراء وتشدد وقيل فرق بالتخفيف فى المعانى وبالتشديد فى الاجسام ويجوز استعمال كل مكان الآخر تجوزا أى فصل وميز جمع (بينها) أى بين معانى الالفاظ المتقدمة (بفروق) أى دقيقة (فجعلوا) أى هؤلاء البعض (الكرم الانفاق بطيب النفس) أى بنشاطها وانبساطها (فيما يعظم) بضم الظاء أى يجل (خطره) بفتحتين ويسكن الثانى أى قدره (ونفعه) أى يكثر الانتفاع به فلا يطلق على ما يحقر قدره ويقل نفعه (وسموه) أى الكرم (أيضا حرية) أى من رق العبودية للامور العارضية ولذا ورد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وفى بعض النسخ جرأة بضم جيم وسكون راء فهمزة ولعل وجهه تلازم السخاوة والشجاعة فان أحدهما بذل الروح والآخر بذل المال

والاول أقوى كما لا يخفى على أرباب الكمال قال التلمسانى وحقيقة الحرية كمال العبودية وقيل هى ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده أخطار الاعراض (وهو ضد النذالة) بفتح نون فذال معجمة أى الرذالة والسفالة وما أحسن هذه المقالة أتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر وهو من لم يستعبده هواه ولم تسترقه دنياه والاظهر ان يقال الكرم انما هو عطاء ابتداء من غير ملاحظة عوض وغرض انتهاء (والسماحة التجافى) بنصبهما عطفا على مفعولى جعلوا ويجوز رفعهما أى والسماحة هى التباعد والتنحى (عما يستحقه المرء عند غيره) أى من اداء عين أو قضاء دين (بطيب نفس) أى بلطافة نفاسته (وهو ضد الشكاسة) بفتح الشين المعجمة واهمال ما بعد الالف أى صعوبة الخلق والمضايقة وفى التنزيل متشاكسون أى مختلفون متعسرون هذا وفيه ان بعض الاحاديث يدل على ان المراد بالسماحة السخاوة الخاصة وهى المساهلة فى المعاملة كما ورد رحم الله من سمح فى البيع والشراء والقضاء والاقتضاء وفى حديث السماح رباح (والسخاء سهولة الانفاق) أى على الاقارب والاجانب والفقير والغنى وسائر المراتب (وتجنب اكتساب ما لا يحمد) بصيغة المجهول أى تبعد اقتناء

ما لا يمدح من البخل وارتكاب الذم الموجب لترك مدحه فى الاغلب الاعم (وهو الجود) أى مرادفه من غير اعتبار مخالفة وقيل الجود اعطاء الموجود وانتظار المفقود والاعتماد على المعبود وقيل الجود هو بذل المجهود ونفى الوجود وقد يقال من أعطى البعض فهو سخى ومن بذل الاكثر فهو جواد ومن أعطى الكل فهو كريم وقيل السخاء الانفاق من الاقتار ومنه

ليس العطاء من الفضول سماحة * حتى تجود وما لديك قليل

(وهو) أى السخاء الذى بمعنى الجود (ضد التقتير) أى التضييق فى الانفاق والامساك وهو نقيض الاسراف فى الانفاق والظاهر انه حال اعتدال بين البخل والاسراف فانظر فيه بعين الانصاف ولا

ياء تسمى ياء المصدرية وهى اذا لحقت الاسماء الجامدة والصفات تصيرها مصدرا ولا بد فى آخرها من هاء تأنيث ولم تفصل النحاة حال هذه الاسماء الا انها شائعة فى الاستعمال وما وقع فى بعض النسخ هنا من انه جرأة بجيم مضمومة وراء ساكنة تليها همزة وهاء كما فى حواشى ابن رسلان فهو من تحريف الكتاب فانه لا مناسبة له هنا وان كانت الجرأة والكرم اخوان لا يفترقان لاسيما فى زمان فيه غاض الكرام وفاض اللئام واما تسمية الكرم حرية فلان الحر خلاف العبد فالحرية الخلاص من منن الناس فاذا طوقهم منته خلصت له الحرية لان الانسان عبد الاحسان وهذا من كلام الصوفية فانهم قالوا الحرية صفة يتولد عنها الايثار ونهاية السخاء لانه بذل ماله اليه حاجة وهو نهاية السخاء وأعلى منه قول بعضهم الحرية ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات ولا من اعراض الدنيا والآخرة ويكون فردا لم تسترقه دنياه ولا هواه ولا حظ ما يتمناه وقال القرطبى فى كتاب المنتقى من كلام أهل التقى فى التصوف الحرية المحضة هى الخروج من ملك سلطان الشهوة والغضب والقهر بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا يضطر النفوس اليه الا بسوء العادة وايثار اللذة وكل من خدم فى زمن الحداثة الشهوة والغضب شق عليه فى زمن الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى الرأى والادب شق عليه ذلك فى الحداثة وكان فى زمن الشيخوخة مستريحا انتهى (وهو ضد النذالة) بفتح النون والذال المعجمة واللام هى الخسة والحقارة وهى من لوازم البخل المقابل للكرم كما قيل وفيه اشارة الى انه ليس مقابلا له حقيقة (والسماحة) والسماح (التجافى) تفاعل من الجفاء وهو غلظة الطبع وحقيقته التباعد والترفع يقال جفا السرج عن ظهر الدابة اذا تباعد عنه كما قال عز وجل تتجافى جنوبهم عن المضاجع أى لا يكثرون النوم أى العفو عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس (وهو ضد الشكاسة) بشين معجمة وكاف وسين مهملة بينهما ألف وهو كما قال التلمسانى سوء الخلق وفى القاموس انها البخل والاول أنسب هنا والثانى أنسب بتفسير السماحة بالجود كما قاله ابن القوطية (والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد) من الصنائع المذمومة كالحجامة وأخذ ما لا يحل له (وهو الجود) وفرق بعضهم بينهما قال ابن عصفور فى الممتع السخاء مأخوذ من الارض السخاوية وهى الرخوة ولذا وصف الله تعالى بجواد دون سخى لانه أوسع فى معنى العطاء وادخل فى صفة العلاء انتهى وقد تقدم ذلك فعلى هذا هو أخص منه وقال ابن مالك فى الكفاية السخى هو الجواد فهو موافق لما قاله المصنف وقال سقراط الجواد هو الذى يعطى بلا مسئلة صيانة للآخذ من ذل السؤال وقال الشاعر

وما الجواد من يعطى اذا ما سألته * ولكن من يعطى بغير سؤال

(وهو ضد التقتير) المعروف فى اللغة ان الجود ضد البخل والتقتير التضييق فى الانفاق وهو ضد الاسراف والتبذير وهما بمعنى وفرق بينهما صاحب الكشف فى سورة الاسراء يقال قترت الشئ واقترته أى ضيقت الانفاق فيه وقال تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

تدخل فى حذاء تساف هذا ولم يظهر وجه عدول المصنف عن النشر المرتب الى خلافه فيما ارتكب (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لايوازى) بصيغة المفعول مهموزا ومسهلا من آزيته وأجاز بعضهم وازيته أى لايقاوم ولا يقابل ولا يماثل به أحد (فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى) بصيغة المجهول وهو بالباء الموحدة والراء أى لايعارض فى هذه الشمائل الحميدة والفضائل العديدة وغيرها من الاحوال السعيدة كما أشار الى هذه الزبدة صاحب البردة بقوله فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم (بهذا) أى بما ذكروا مثاله (وصفه) أى نعته (كل من عرفه) أى معرفة مشاهدة ومعاينة أو معرفة شهرة ومطالعة سيرة كما يدل عليه الحديث الذى رواه بسنده عن البخارى وقد رواه أيضا غيره (حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) بفتحتين وهو الحافظ ابن سكرة (حدثنا القاضى أبو الوليد الباجى) بالموحدة والجيم (حدثنا أبوذر الهروى حدثنا أبو الهيثم) بفتح هاء وسكون تحتية فمثلثة (الكشميهنى) بضم فسكون شين معجمة وفتح ميم وتكسر وسكون ياء ففتح هاء (وأبو محمد) واسمه عبد الله بن أحمد بن حمويه (السرخسى) بفتح راء وسكون خاء وقيل بالعكس وضبطه التلمسانى بكسر السين الاولى والمشهور هو الفتح (وأبو اسحق البلخى) وهو المشهور بالمستملى (قالوا) أى المشايخ الثلاثة (حدثنا أبو عبد الله الفربرى) بكسر فاء وفتح راء وسكون موحدة وقال المصنف يجوز فتح الراء وكسرها قال الحازمى تعالى والفتح أفصح وقيل ولم يذكر ابن ماكولا غيره (حدثنا البخارى) أى امام المحدثين (حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة العبدى البصرى (حدثنا سفيان) المراد به الثورى ههنا نعم رواه ابن عيينة (عن ابن المنكدر) عن جابر لكن انفرد به مسلم عن ابن المنكدر تابعى جليل (سمعت جابر بن عبد الله) أى الانصارى رضى الله تعالى عنهما (يقول) أى كما رواه البخارى فى الادب عنه ومسلم فى فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم والترمذى فى شمائله (ماسئل النبى صلى الله

والبخل والتقتير متلازمان لامترادفان حتى يكون كل منهما ضد السخاء واعلم ان كلام المصنف هنا غير موافق للغة ولا للعرف ولا أدرى من أين أخذه ولكن الامر فى مثله سهل وهو محتاج للتهذيب وسنكرر عليه مرة أخرى (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤازى) بالهمزة مبنى للمفعول أى لايساوى ولا يقابل يقال فلان يازى فلانا أى يحاذيه ويساويه وقال الكرمانى موافقا للجوهرى يقال أزيته أى حاذيته ولا يقال وازيته والذى عندنا فى النسخ يوازيه بالواو المبدلة من الهمزة وقد أجازه بعضهم بقلب الهمزة واوا اذا انفتحت وانضم ماقبلها نحو جؤن وقد جزم البرهان الحلبى بانه فى كلام المصنف بالواو ويحتمل انه فى كلامه بالهمزة ورسمت واوا على قاعدة الرسم فى مثله أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم لا يساويه أحد (فى هذه الاخلاق الكريمة) والاوصاف الحسنة من الجود والسخاء والكرم والسماحة

فاق النبيين فى خلق وفى خلق * ولم يدانوه فى علم ولا كرم

(ولا يبارى) بالبناء للمجهول وهو بالموحدة والراء المهملة ومعناه يعارض والمعارضة ان تفعل مثل مايفعل وهما متقاربان (بهذا وصفه كل من عرفه) بالمشاهدة أو بما اشتهر عنه شهرة لايبقى معها ريب ولا شبهة (حدثنا القاضى الشهيد أبو على الصدفى) هو الحافظ أبو على بن سكرة وقد تقدمت ترجمته وهو منسوب لصدف بفتح الدال وهى قرية بقرب القيروان قال (حدثنا القاضى أبو الوليد الباجى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو ذر الهروى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو الهيثم الكشميهنى) قال البرهان الحلبى هو بضم الكاف وسكون الشين المعجمة وكسر الميم وسكون المثناة التحتية وفتح الهاء بعدها نون كما فى لباب الانساب لابن الاثير وضبطه بالقلم الحافظ عبد الهادى فى طبقاته بفتح الكاف وكذا صحح فى نسخ الشفاء والصواب ماذكرته والنسبة لقرية من قرى مرو قديمة خرج منها جماعة وقد خربت انتهى وفى آخره ياء نسبة لم يصرح بها لانه معلوم من السياق فما فى بعض الشروح من انه لاياء فى آخره وان النسبة فيه على خلاف القياس مما يقضى منه العجب (وأبو محمد السرخسى) نسبة لسرخس بلدة عظيمة بخراسان وقد تقدمت ترجمته (وأبو اسحق البلخى) ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم بن أحمد بن داود المستملى الامام المشهور كما تقدم منسوب لبلخ بلدة عظيمة فى ماوراء النهر (قالوا حدثنا أبو عبد الله الفربرى) تقدمت ترجمته وفربر بزنة سبحل بلدة ببخارى قال (حدثنا البخارى) تقدم وشهرته تغنى عن ذكره قال (حدثنا محمد بن كثير) بلفظ كثير ضد القليل العبدى البصرى الحافظ روى عنه أصحاب السنن وتوفى سنة اثنين وعشرين ومائتين وله ترجمة فى الميزان فيها كلام لابن معين وقال الذهبى انما هو فى ابن كثير الفهرى وفيه تعقب الكلام المزى لانه قال العبدى قال (حدثنا سفيان) هو ابن سعيد الثورى كما تقدم وهذا الحديث رواه أيضا سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر عن جابر كما هنا وأخرجه مسلم والبخارى والترمذى فى الشمائل وهو حديث صحيح (عن ابن المنكدر) وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمى المدنى الحافظ عن أبيه وعن عائشة وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما وأخرج له أصحاب الكتب الستة (قال سمعت جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما يقول ماسئل رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم شيئاً) أى عن شئ كما فى أصل التلمسانى والمراد شيأ من باب العطاء (فقال لا) أى لا أعطى والمعنى ما سأله أحد من متاع الدنيا شيأ فمنعه بل كان يعطى أو يعده بالعطاء لقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا فلا ينافيه قوله تعالى حكاية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قلت لا أجد ما أحملكم عليه أى الآن وأرجو انى مستقبل الزمان وروى فى كتاب أخبار الخلفاء فى أخبار الظرفاء عن أنس رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال للزبير ان مفاتيح الرزق مقرونة بباب العرش ينزل الله تعالى أرزاق العباد على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر عليه ٣٥ ومن قلل قلل له انتهى ويؤيده قوله تعالى وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وحديث اللهم اعط منفقا خلفا وممسكا تلفا هذا وقد قال بعض أرباب الكمال

ماقال لا قط الا فى تشهده * ولا نعم قط الا جاءت النعم

وقال آخر

فلو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

(وعن أنس وسهل بن سعد) هو الساعدى الانصارى (مثله) أى نحوه فى المبنى والمعنى (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى عنه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أجود الناس بالخير) أى بكل ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم وقد سقط لفظ بالخير من أصل الدلجى فقدر بكل ما ينفع وقرر انه حذف للتعميم أو لفوات احصائه كثرة (وأجود ما كان) بالنصب عطفا على ما قبله وما مصدرية أى وكان أجود اكوانه باعتبار اختلاف أزمانه حاصلا (فى شهر رمضان) فهو حال سد مسد الخبر وهذا لانه منبع النعم ومعدن الخير والكرم وفيه يسبغ الله نعمه على عباده فتخلق باخلاق الله فى أهل بلاده وقال النووى يجوز فى أجود الرفع والنصب والرفع أصح وأشهر وفيه نظر اذ جاء فى الصحيح خلافه بالتصريح وكان أجود ما يكون ثم وجه الرفع انه مبتدأ وفى شهر رمضان خبر وأما القول بضمير الشان فى كان فلا محوج اليه ولا معول عليه

تعالى عليه وسلم شيئا فقال لا) وقد علمت ان هذا الحديث أخرجه الترمذى فى الشمائل وغيره وفى معناه قول حسان

ماقال لا قط الا فى تشهده * لولا التشهد لم تسمع له لا لا

ومعنى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتاه مستحق بطلب عطاء لا يخيبه ويقول له لا قط بدليل أوله حتى اذا لم يجد شيأ اقترض أو قال ائتنى غدا ونحوه وهذا هو الذى عناه حسان وهو باعتبار الغالب فان النادر كالعدم فهو مبالغة معروفة مألوفة ولم يرد انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يتلفظ بلا أصلا حتى يرد عليه ان الاحاديث المصدرة بلا نحو لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين كثيرة لا تحصى كثرة كما قيل ويجاب عنه بما لا حاجة له ثم قال وأما قوله فى البردة

نبينا الآمر الناهى فلا أحد * أبر فى قول لا منه ولا نعم

فهو انما يقتضى صدور لا عنه مطلقا وذا لا ينافى انها لم تكن لتصدر عنه اذا سئل عن شئ من متاع الدنيا لجواز صدورها منه فى غير تلك الحال * أقول قد عرفت ما فيه أولا بقى هنا فى البيت اشكال كان يجول فى الصدر قديما وهو ان الامر والنهى انشاء لا يجاب بلا ونعم فالتفريع بلا لا يصادف محله هنا ولم يحم حول هذا أحد من الشراح مع ظهوره وقد ظهر لى ولله الحمد وجهه يعنى نبينا الآمر الى آخره انه لا حاكم سواه فهو حاكم غير محكوم فاذا قال فى أمر لا أو نعم وهو لا يقول الا صوابا موافقا لرضى الله فحينئذ لا يخالفه الا بقسر قاهر وليس غيره حاكم يمنعه عما حكم به ويرد احكامه فهو أصدق القائلين فيما يقوله (وعن أنس) بن مالك رضى الله تعالى عنه (وسهل بن سعد مثله) أى مثل الحديث السابق المروى فى الصحيحين وحديث أنس رضى الله تعالى عنه هذا فى مسلم وذكره فى الوفاء أيضا ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حييا لا يسئل شيأ الا أعطاه والاحاديث فى معناه كثيرة وسهل هو الساعدى الانصارى الصحابى (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير) أى بما فيه نفع الناس (وأجود كان فى شهر رمضان) رمضان اسم للشهر ويقال رمضان وشهر رمضان وكون العلم المضاف دون المضاف اليه أوهما كلام لا حاجة لذكره ولا يكره أن يقال رمضان وما روى من حديث لا تقولوا رمضان فان رمضان من أسماء الله عز وجل ولكن قولوا شهر رمضان ضعيف لا يعمل به لصحة ما يخالفه كما فصله شراح البخارى وهذا الحديث رواه الشيخان وروى فيه أجود ما يكون ووقع فى بعض النسخ هنا أيضا وأجود الثانى يجوز رفعه مبتدأ ونصبه عطفا على خبر كان وعلى الاول خبره محذوف وجوبا كما قرره النحاة فى نحو اخطب ما يكون قائما والكلام عليه طويل الذيل ليس هذا محله وما مصدرية وكان تامة ولنقتصر من القلادة على ما أحاط بالعنق وانما زاد جوده صلى الله عليه وسلم فى رمضان لحاجة الصائمين ولانه موسم الخيرات الذى تفضل الله فيه على خلقه بما لم يتفضل فى

غيره فاتبع سنة الله فى عباده وتخلق باخلاقه (وكان) صلى الله عليه وسلم (اذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) لانه عليه الصلاة والسلام يسره لاقاته وامداده له بالبشرى والكرامة فيحسن كما أحسن الله اليه وكان بكثرة مجيئه له فى رمضان ليدارسه القرآن ويعارض به بقراءة كل منهما على صاحبه بالتجويد ووجوه القراآت أجود بالخير من الريح المرسلة قال الكرمانى الجود اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى والخير شامل لجميع أنواعه مما يقرب العبد الى الله وارسال الرياح اطلاقها باذن الله فترسل بالرحمة والمطر قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وقال والمرسلات عرفا أى الرياح المرسلة بالمعروف على أحد التفاسير وهو من التشبيه البليغ على سبيل الترقى فجعله أجود الناس ثم ذكر أن جوده فى رمضان وعند ملاقاة جبريل أزيد منه فى غيره والمراد بالمرسلة خلاف العقيمة قيل وفى قوله أجود من الريح جمع بين الحقيقة والمجاز وفيه بحث يعلم من كلام أهل المعانى فى تحقيق وجه الشبه فى قولهم كلامه أحلى من العسل وتقديم قوله بالخير اهتماما به وللدلالة على تقدير مثله فيما بعده أو اشتراكهما فيه لا لدفع توهم تعلقه بالريح المرسلة وليس من الاكتفاء وفى تشبيهه بالريح اشارة الى سرعته ومبادرته له وقد علم أو المراد بالريح المرسلة التى لم ترسل بالغيث لا مطلقها الا انها فى القرآن مخصوصة بها * فان قلت ذكر الريح وقد قيل انها اذا كانت مفردة تكون فى العذاب والشر واذا جمعت فهى للنفع والخير * قلت هذا قيل انه مخصوص بما وقع فى القرآن بالاستقراء لا مطلقا فلا ينافيه ما وقع فى هذا الحديث وغيره ويؤيده ما أخرجه ابن أبى حاتم عن أبى بن كعب انه قال كل شئ فى القرآن من الرياح فهو رحمة وكل شئ فيه من الريح فهو عذاب وما ورد فى الحديث كما رواه البيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه ما هبت الريح الا جثا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا لا يدل على عدم اختصاصه بما وقع اتفاقا فى القرآن لانه قيل انه صلى الله عليه وسلم أراد اللهم اجعلها من جملة رياح القرآن ولا تجعلها من ريحه أى مما ذكر بهذه العبارة فلا دليل فيما ذكر كما قيل ألا ترى الى قوله تعالى (أرسلنا عليهم الريح العقيم وريحا صرصرا) ونحوه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح * ويرسل الرياح مبشرات) وقد قرئ فى بعض آيات الرحمة بالافراد والجمع وورد مفرده فى ذلك فكانه أغلبى وأما تاويل ما فى الحديث بما جاز فيه الجمع فتعسف وقيل يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما قال ذلك لان ما هب ان كان ريحا واحدة لم تلقح السحاب وينزل المطر غالبا وان كان رياحا فهو بخلافه ويحتمل أن يكون معناه لا تهلكنا بريح واحدة لا تهب بعدها ريح أخرى وطول أعمارنا حتى تهب علينا رياح كثيرة (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسندا مسلم فى صحيحه (ان رجلا) هو صفوان بن أمية الآتى بيانه كما فى سيرة ابن سيد الناس وغيرها (سأله) صلى الله عليه وسلم (فاعطاه غنما) كثيرة كانت (بين جبلين) أى مالئة واديا بين جبلين كما فهم منه ذلك بحسب العرف وان كان يقال للغنم السارحة بينهما قليلة أو كثيرة ذلك فان كان أسلم قبل سؤاله فهو ظاهر وقوله (فرجع الى قومه) وهم قريش لانه من أهل مكة وفى نسخة الى بلده (وقال أسلموا) لا ينافيه وان كان قبل اسلامه فاما انه كان فى صدر الاسلام يجوز اعطاء المؤلفة قلوبهم من الكفار من الزكاة أو من بيت المال ثم نسخ وقول الصرصرى

وآتاه اعرابى التمس الندا * اعطاه شاء ضمها جبلان

لعله قصة أخرى فان الرجل المذكور هنا من أكابر قريش ويؤنسه قوله (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) فان قريشا كانوا يعلمون كرم خيمه وجزيل عطائه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه لا يخشى فاقة وما بارى أحدا فى الجود الا فاقه والفاقة الفقر أو أشده وهكذا أولياء أمته ففى

(وكان اذا لقيه جبريل أجود بالخير) أى بجميع أنواعه (من الريح المرسلة) بصيغة المجهول أى فى عموم المنفعة والسرعة على ان الريح قد تكون خالية من المطر وقد تكون جالبة للضرر وقيل المراد بالريح الصبا قال النووى وفيه الحث على الجود والزيادة فى رمضان وعند لقاء الصالحين وعلى مجالسة أهل الفضل وزيارتهم وتكريرها ما لم يورث المزور كراهة ذلك واستحباب كثرة التلاوة سيما فى رمضان ومدارسة القرآن وغيره من العلوم الشرعية وان القراءة أفضل من التسبيح والاذكار (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) على ما رواه مسلم (ان رجلا) وهو صفوان ابن أمية الجمحى القرشى أسلم بعد الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك فلما أعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما أفاء الله عليه وأكثر قال أشهد بالله ما طابت بهذا الا نفس نبى فاسلم يومئذ أخرج له مسلم والاربعة وأحمد فى مسنده ومات بمكة فى خلافة معاوية (ساله) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ من العطاء (فاعطاه غنما) أى قطعة غنم والمراد غنما كثيرا يملأ واديا (بين جبلين) لسعة جوده وسماحة نفسه والظاهر انه كان بعد اسلامه أو صار سببا لاسلامه لقوله (فرجع الى بلده) ويروى الى قومه الحديث (وقال اسلموا) فان اعطاءه من بين أخلاقه كالمعجزة (فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة) أى حاجة أبدا الكرم نفسه وشرف طبعه

الحديث دعائم أمتى عصائب اليمن وأربعون رجلا بالشام كلمامات رجل منهم أبدل الله مكانه آخراما انهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاء النفس وسلامة الصدر والنصيحة للمسلمين (وأعطى غير واحد مائة من الابل) الابل اسم جنس جمعى لا واحد له من لفظه كخيل وغنم والذين أعطاهم صلى الله تعالى عليه وسلم مائة ناس كثير منهم أبو سفيان وابنه معاوية والحارث بن هشام وقد عدهم البرهان الحلبى وقال انهم يبلغون ستين من المؤلفة قلوبهم وكذا ذكر الشيخ قاسم فى تخريج أحاديث هذا الكتاب (وأعطى صفوان بن أمية مائة ثم مائة ثم مائة) وصفوان بن أمية هو ابن خلف بن وهب بن خزاعة بن جمح قرشى له صحبة وكنيته أبو وهب أسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وهو مشرك فلما أعطاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من النعم ما ذكر قال أشهد بالله ما طابت بهذا الانفس نبى فاسلم وروى له أصحاب الكتب الستة وتوفى فى خلافة معاوية سنة اثنتين وأربعين بمكة وعلى هذا فاعطاء مرارا غنما وابلا فلا منافاة بينه وبين ما سبق وعطاؤه له السابق كان من غنائم حنين وهذا الحديث رواه مسلم (وهذه) أى الخصلة والسجية فى الكرم والعطاء (كانت حاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل ان يبعث) أى نبيا أو يرسل (وقد قال له ورقة بن نوفل) ورقة بواو وراء مهملة مفتوحتين وقاف وهو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى كان من أعقل أهل زمانه وأعلمهم شاعر بليغ متأله وكان يقرأ ويكتب الكتب القديمة بالعربية والعبرانية ويتأله ويتعبد ولذا سمى القس وتهود فى أول أمره ثم تنصر وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها وله أشعار كثيرة فى التوحيد ولترهبه لم يكن له عقب وورد فى الحديث لا تسبوا ورقة فانى رأيت له جنة أو جنتين يعنى بذلك ما ورد من طريق آخر انه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه فى منامه فى الجنة وعليه حلة خضراء أو بيضاء أو نحوه كثياب من حرير وحلة من سندس وكان حيا فى ابتداء الوحى الى أن تنبأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به كما فى أول البخارى وقال لئن أدركت زمانك لانصرنك نصرا مؤزرا وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذ ذاك نبيا ولم يؤمر بالدعوة ومات ورقة بعد نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وقبل رسالته ولذا قالوا أنه أول من آمن بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم من الرجال وهو ثان بالنسبة لخديجة رضى الله تعالى عنها وصحابى ولذا عرفوا الصحابى بانه من اجتمع بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا به ولم يقولوا بالرسول وهذا مما ينبغى التنبه له وفى نظم السيرة للعراقى فى ذكر ورقة

فهو الذى آمن بعد ثانيا * وكان برا صادقا مواتيا

والصادق المصدوق قال انه * رأى له تخططا فى الجنة

وهذا المذكور هو الصحيح من أنه صحابى وقيل انه ليس بصحابى لانه لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يؤمن به بعد بعثته وعليه جماعة محققون وقول المصنف رحمه الله تعالى وقد قال الخ ان كانت الجملة معطوفة على ما قبلها فهو صادق على القولين وان كانت حالا من الضمير فى قوله قبل ان يبعث يكون على القول الثانى وهو مؤمن على كل حال ولذا رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى الجنة والاكثر من علمائنا على انه صحابى (انك تحمل الكل) هذا بعض من حديث صحيح رواه الشيخان لكن قال السيوطى رحمه الله فى تخريجه القائل له صلى الله تعالى عليه وسلم هذا انما هو خديجة رضى الله تعالى عنها فى قصة كالمتها ورقة فى شان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام فى أول أمره وخاف على نفسه منه وكذا اعترض عليه الشيخ قاسم فى تخريجه أيضا فقال لا أعلم هذا من قول ورقة رضى الله تعالى عنه والذى فى صحيح البخارى وغيره انه من قول خديجة رضى الله تعالى عنها وما قيل من القاضى جليل القدر لا يخفى عليه مثله ولا يبعد صدوره من ورقة لا يجدى نفعا مع نقل الصحيحين خلافه وليس مثله محل بحث ولكل صارم نبوة ولكل جواد كبوة والكل بفتح الكاف وتشديد اللام

ونوكله على رزق ربه (وأعطى غير واحد) أى كثيرا من المؤلفة (مائة من الابل) كابى سفيان ابن حرب وابنيه معاوية ويزيد ومع مائة كل واحد منهم أربعين أوقية وكحكيم بن حزام والحارث ابن هشام وغيرهم (وأعطى) كما رواه مسلم (صفوان) أى ابن أمية (مائة) من الابل (ثم مائة ثم مائة) أى فى وقت واحد أو فى أزمنة متعدده (وهذه) أى الخصال الممدوحة (كانت حاله) وفى نسخة خلقه (صلى الله تعالى عليه وسلم) أيضا (قبل ان يبعث) لما خلقت هذه الشمائل وطبعت هذه الفضائل فى أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد (وقد قال له ورقة) بتحريك الواو والراء فالقاف (ابن نوفل) وهو ابن عم خديجة رضى الله تعالى عنها وكان تنصر واختلف فى اسلامه (انك تحمل الكل) بفتح الكاف وتشديد اللام أى الثقيل من العيال واليتيم ومن لا قدرة له من ضعيف الحال أى فيما بين قومه وفى التنزيل وهو كل على مولاه أى ثقيل فى المؤنة ضعيف فى الصنعة

مصدر بمعنى الكلال وهو الاعياء وفسر بالثقل فقيل انه لازم معناه وهو المناسب للحمل لانه لا يقال حمل الاعياء والذى فى البخارى قيل هذا من قولها أيضا حين قال لها صلى الله تعالى عليه وسلم لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام لقد خشيت على نفسى وهى التى قالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل (وتكسب المعدوم) وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدى الامانة والحديث فى أول البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وحمل الكل هو كقول العرب فى المدح هو حمال اثقال أى يحمل ثقل غيره من الضعفاء والعيال واعانة الخلق بالانفاق عليهم واطعامهم واعطائهم كل ما يحتاجون اليه وكفالة الايتام وغيره من وجوه البر وهو استعارة شاع فى هذا المعنى وتكسب قال ابن قرقول بفتح التاء وكسر السين المهملة هى أكثر الروايات وأصحها أى تكسب لنفسك بتحصيله ما يهم وقيل تكسب غيرك أى تعطيه لان كسب جاء لازما ومتعديا وأنكر الفراء وغيره أكسبه فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وأنشد * فاكسبنى مالا واكسبه حمدا * فيتعدى بالهمزة لمفعولين وكسب يتعدى لمفعول وقيل يتعدى لمفعولين ككسب والمعدوم الشئ الذى لا وجود له وأما الفقير فيقال له معدم كمكرم قال الشاعر

قالت بنات العم ياسلمى وان * كان فقيرا معدما قالت وان

قيل ويطلق عليه معدم وأيضا لانه كالمفقود لفقره فاحد المفعولين محذوف ان بنى للمعلوم ومذكور ان بنى للمجهول والمراد على الوجهين انك تعطى الناس الفقراء ما لا يجدونه عند غيرك لما فيك من مكارم الاخلاق وقول الخطابى رحمه الله تعالى صوابه المعدم بلا واو يريد انك تعطى العادم الفقير الذى لا يجد شيئا خطا لان هذه الرواية صحيحة مشهورة عند رواة الحديث وفيما خشيه صلى الله تعالى عليه وسلم على نفسه وجوه وأصحها انه خشى الهلاك من شدة الرعب أو تعييرهم اياه فارادت خديجة رضى الله عنها دفع ذلك الذى خشيه بقولها المذكور أى لا تخف فانك لا يصيبك مكروه لما فيك من جميل الصفات ثم ذكر قصة هوازن وهى صحيحة رواه البخارى وغيره فقال (ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف) نفس من النساء والذرية غير الاموال التى من غنائهم لما غزاهم وكانت أربعة وعشرين ألفا من الابل وأكثر من أربعين ألف شاة من الغنم وأربعة آلاف أوقية من الفضة والاوقية أربعون درهما وعن ابن فارس أنه قوم ما وهبه لهوازن فكان خمسمائة ألف ألف وقيل ستمائة ألف ألف وهوازن اسم قبيلة منسوبة لهوازن بن أسلم وكان يسكن حنينا وهو كما يأتى موضع سمى بحنين بن نابة بن مهلاييل وغزوته صلى الله تعالى عليه وسلم تسمى غزوة حنين وغزوة هوازن وكانت فى شوال أو فى رمضان وأمرها معروف مفصل فى السير ولما غزاهم وحاز غنائمهم قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أربعة عشر رجلا رئيسهم زهير بن صرفة وفيهم أبو برقان عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع فسألوه ان يمن عليهم بما أخذ منهم لما بينهم وبينه من مناسبة الرضاعة فقال لهم أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وما للناس يسئل منهم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماعة من المؤلفة أما ما لنا فلا فاخذه صلى الله تعالى عليه وسلم منهم قرضا على ان يعوضهم عنه من أول مال يجىء فسلموهم جميعا وكان صلى الله عليه وسلم كساهم وانما فعل ذلك لانه كان بعد القسم وليس للامام ان يمن بعده لتعلق

(وتكسب) بفتح أوله ويضم وتكسر السين (المعدوم) بالواو فى النسخ المعتبرة الحاضرة قال النووى فتح التاء هو الصحيح المشهور وروى بضمها وقال الدلجى وتكسب هنا بضم أوله والمعدوم بدون واو أى المحتاج تفيده المعارف والمال وتعينه على تحصيلهما والذى رواه مسلم والبخارى انه من قول خديجة رضى الله عنها بزيادة اللام فى تعالى خبران والواو فى مفعول تكسب انتهى ولا منع من الجمع كما لا يخفى وقال ابن قرقول فتح أوله أكثر الروايات وأصحها ومعناه تكسبه لنفسك وقيل تكسبه غيرك وتعطيه اياه يقال كسبت مالا وكسبته غيرى لازم ومتعد وروى بضم أوله والمعنى تكسب غيرك المال المعدوم أى تعطيه واختاره النووى وقيل تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من مكارم الاخلاق وأنكر الفراء وغيره اكسب فى المتعدى وصوبه ابن الاعرابى وأنشد فاكسبنى مالا واكسبه حمدا ثم المراد من المعدوم هو العاجز عن الكسب أو الرجل المحتاج وسمى معدوما لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف كغيره ومن يجوز ضم التاء يقول صوابه المعدم بضم ميم وكسر دال (ورد على هوازن) وهى قبيلة معروفة (سباياها) أى اسراها (وكانت) وفى نسخة صحيحة وكانوا (ستة آلاف) من النساء والذرية ورد عليهم أيضا من الاموال أربعة وعشرون ألفا من الابل وأكثر من أربعين ألفا من الغنم وأربعة آلاف أوقية من فضة والاوقية أربعون درهما قيل وقوم ذلك فبلغ خمسمائة ألف ألف ومن جملة جوده اعطاؤه مال خزينة البحرين فى يومه وكان مقداره مائة ألف وثمانين ألف درهم بعثه اليه عامله العلاء بن الحضرمى

(وأعطى العباس) على مارواه البخارى عن أنس تعليقا انه أعطاه (من الذهب مالم يطق حمله) من الاطاقة أى شيئا لم يقدر على حمله وحده مع قوة تحمله (وحمل اليه) بصيغة المجهول أى أتى اليه (تسعون ألف درهم) على مارواه أبو الحسن ابن الضحاك فى شمائله عن الحسن مرسلا (فوضعت) بصيغة المجهول أى فسكبت ونشرت (على حصير) أى خصفة (ثم قام اليها يقسمها) حال وفى

حق الغير به والسبايا جمع سبية يعنى مسبية قال التلمسانى ولا يكون السبى الا فى النساء (وأعطى) أيضا (العباس) بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه البخارى عن أنس تعليقا (من الذهب مالم يطق حمله) وقد أتى بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى فنثر فى المسجد فاتاه العباس رضى الله تعالى عنه وقال أعطنى فانى فاديت نفسى وعقيلا فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خذ فحشا فى ثوبه ثم ذهب ليقله فلم يستطع فقال من يرفعه فقال لا فقال فارفعه أنت على فقال لا فنثر منه ثم ذهب يقله فلم يقدر فقال له كالاول فنثر منه ثم احتمله على كاهله وانطلق فاتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم بصره تعجبا منه ولم يقم عليه السلام حتى فرقه فلم يبق منه درهم وانما أعطاه لانه خرج لبدر مكرها وكان يخفى اسلامه ثم فدى نفسه وعقيلا كما فصلوه (وحمل اليه صلى الله عليه وسلم تسعون) بتقديم المثناة الفوقية (ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها) رواه الحسن بن الضحاك فى شمائله مرسلا الا أنه قال ثمانون ألفا وأخرجه ابن الجوزى فى الوفاء وقال سبعون ألفا كما قال الشيخ قاسم فى تخريج أحاديث الشفاء والسيوطى فى تخريجه بلفظ سبعين بتقديم السين على الموحدة ويوافقه قول الصرصرى فى مديحه

سبعون ألفا فضها فى مجلس * لم يبق منها عنده فلسان

وقوله حتى الى آخره غاية لقوله قسمها وقيل لقوله فما رد سائلا وليس المراد انه يرد بعد الفراغ فهو على حد قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا (وجاءه رجل فسأله) أى شيئا يحسن به له (فقال ما عندى شئ) ولم يقصد منعه بذلك حتى لا ينافى ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ما قال لسائل لا قط لان المراد انه لم يمنعه ما سأل من متاع الدنيا وانما مراده اخباره بعذره فى عدم التعجيل له بدليل قوله (ولكن ابتع على) بموحدة ساكنة بعد همزة الوصل ومثناة فوقية مفتوحة وعين مهملة افتعل من البيع بمعنى الشراء فانه يطلق عليهما وفى القاموس ابتاعه اشتراه أى اشتر بثمن يكون ذلك الثمن على وفى ذمتى كذا ثبت فى الحديث وفى شرح الدلجى انه بتقديم المثناة الفوقية على الموحدة أى اشتر واستأنف ما تختار انتهى وليس هذا ضمانا بل وعد منه الا أن وعده صلى الله تعالى عليه وسلم كان ملتزم الوفاء لان وعد الكريم دين ولذا صح انه لما توفى نادى أبو بكر رضى الله تعالى عنه من كان له عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عدة أو دين فليأتنا فجاءه جابر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنى كذا فاعطاه له (فاذا جاءنا شئ) مما من الله به من الغنائم أو غيرها وفى قوله جاءنا يعنى معاشر المسلمين اشارة الى انه مال الله لعباده لا لى وحدى (قضيناه) أى أديناه ويحتمل ان الضمير هنا وفيما قبله للتعظيم أى قضيته قضاء أنال به التعظيم منه تعالى واختاره بعضهم ولذا لم يقل جاءنى وقضيته مع قوله على فتأمل والقضاء يشعر بانه لزم ذمته كالدين (فقال له عمر رضى الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم ذلك) أى بدا فى وجهه الشريف أثر عدم رضاه به لان فيه كسر خاطر السائل ولان مثله لا يعد تكليفا لما قدره لما عوده الله من فيض نعمه عليه (فقال رجل من الانصار) كان حاضر المجلس لما رأى من كراهة رسول الله صلى الله عليه وسلم

نسخة فقسمها (فما رد سائلا) أى ممن جاءه وحضر عنده (حتى فرغ منها) أى من قسمتها وهو غاية لقوله قام أو يقسمها وأبعد الدلجى فى جعله غاية لعدم رده سائلا اذ مفهومه انه حينئذ رد سائله وقد سبق انه لم يكن قائلا لا لمن يكون سائلا نوالا كما يدل عليه قوله (وجاءه رجل) كما رواه الترمذى فى شمائله انه جاءه رجل قال الحلبى هذا الرجل لا أعرفه (فساله) أى شيئا معينا ومقدارا مبينا (فقال ما عندى شئ) أى مما عينت أو على قدر ما بينت (ولكن ابتع على) أمر من الابتياع بباء موحدة ثم مثناة فوقية أى اشتر واستأنف مقدار ما تختار حوالة على والمفعول محذوف وقال التلمسانى أى اعدد على أو احسب هكذا ثبت الحديث بتقديم الباء على التاء انتهى وجوز الدلجى تقديم المثناة الفوقية على الباء الموحدة وليست عندنا فى النسخ المعتمدة (فاذا جاءنا) أى من عند الله (شئ) أى مما أولاه (قضيناه) أى حكمنا به لك أو أديناه عنك (فقال له عمر) أى بناء على نظر الرحمة اليه (ما كلفك الله ما لا تقدر عليه) أى من تحمل الدين بمقتضى الوعد لما ورد من ان العدة دين والدين شين (فكره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك) بناء على جبر خاطر السائل وما يعتريه من خيبة الامل ولما سبق فى الآية من انه مامور بالعدة (فقال) له (رجل من الانصار) قيل هو بلال لكنه من المهاجرين وقد يجمع بانهم اقالاه والامام الغزالى مال الى جعل القائل نفس

السائل حيث قال في الاحياء فقال الرجل (يارسول الله أنفق) أي بلالا (ولا تخش) أي لاتخف كما في نسخة (من ذي العرش اقلالا)
أي تقليلا فان الملك كله ملك لصاحب العرش سبحانه وتعالى تعظيما وتبجيلا (فتبسم رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم) أي انشراحا بمن تكلم (وعرف البشر) بصيغة المجهول أي وظهرت البشاشة والطلاقة وآثار السرور وظهور النور (في وجهه) أي بتهلله واشراق حده ولله در القائل

تراه اذا ماجئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

(قال بهذا أمرت) أي بهذا الكرم أمرني ربي قبل ذلك أوجاءني جبريل على وفق ماهنالك (ذكره الترمذي) أي في شمائله وذكر ابن قتيبة في كتاب مشكل الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا بتمر فجعل يجئ به قبصا قبصا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا والقبص بالصاد الاخذ باطراف الاصابع وبالضاد المعجمة بالكف كلها (وذكر) بصيغة المفعول وفي نسخة على بناء الفاعل أي وذكر الترمذي في شمائله أيضا (عن معوذ) بكسر الواو المشددة ومعوذ وتفتح والذال المعجمة وقيل مهملة (ابن عفراء) بفتح عين وسكون فاء فراء ممدودا اسم أمه وهي من المبايعات تحت الشجرة وأما اسم أبيه فالحارث بن رفاعة بن سواد بفتح السين النجاري الانصاري

ذلك (يارسول الله انفق ولاتخف من ذي العرش اقلالا) قال البرهان هذا الرجل لا أعرفه وفي حفظي ان القائل بلال رضي الله عنه لكنه مهاجري لا انصاري فيكون قد قال ذلك بلال والانصاري فان الذي فيه ذكر بلال قصة أخرى المأمور فيها بالانفاق بلال وهو مارواه الطبراني والبزار مسندا عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بلال وعنده صبرة من تمر وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال له يوما اطعمنا يا بلال فقال ماعندي الاصبرة خبأتها لك ولضيفانك فقال أما تخشى ان تقذف بها في نار جهنم أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا ومن العجب ايراد هذا هنا ولا مناسبة له بما نحن فيه ووقع في بعض كتب الحديث أنفق بلالا ووجه بتوجيهات منها ان أصله بلالي بالاضافة لياء المتكلم وحذف حرف النداء وابدال الياء ألفا كياغلاما وقيل بلالا هنا ليس علما بل فعال من البلل أي انفاقا رطبا تبل به قلوب آكليه ولو قيل انه رد لاصله من النصب وأطلق انشا كلة اقلالا لم يبعد وقد أخرجه العسكري في الامثال مرفوعا وفي الطبراني أنفق يا بلال ومعنى اقلالا ان يقل الله الرزق ويجعله قليلا لان لكل منفق خلفا وقوله لاتخش نصف بيت وقع اتفاقا وقيل بلالا كلمتان أي بغير لا ويا باه رواية يا بلال بحرف النداء والذي رواها المصنف رحمه الله ولا تخف دون لاتخش كما مر وقول بعض الشراح الصواب لاتخش ليصير موزونا غير صواب من وجهين (فتبسم صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف البشر في وجهه) بانبساطه وتهلل أساريره (وقال بهذا أمرت) أي بالانفاق من غير مخافة فقر والتبسم انفتاح الفم من غير قهقهة وهو مبادي الضحك وقد استشكل هذا بان الله أمره بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) قال في الكشاف لان الاسراف غير محمود وكان صلى الله عليه وسلم ينفق جميع ماعنده ويجوع حتى يربط الحجر على بطنه وأجاب القاضي أبو يعلى بان المراد بهذا الخطاب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وغير خلص المؤمنين الذين كانوا ينفقون جميع ماعندهم عن طيب قلب لتوكلهم وثقتهم بما عند الله أما من كان ليس كذلك يتحسر على ماذهب منه فالمحمود منهم التوسط وهم الذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا لانهم لاصبر لهم على الفاقة ولذا صعب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم كلام عمر رضي الله تعالى عنه لما راعى ظاهر الحال وأمره بصيانة المال شفقة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه ولكل مقام مقال والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلهذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر خاص به وبمن يمشي على قدمه وقوله (ذكره الترمذي) اشارة الى من روى هذا الحديث (وذكر عن معوذ بن عفراء) ذكر بالبناء للمجهول قال السيوطي ذكره هذا الحديث الترمذي في الشمائل والطبراني عن الربيع بنت معوذ وسنده حسن يعني ان المذكور انما هو الربيع بنت معوذ بضم الراء المهملة والتصغير فهو مشدد الياء التحتية اسم امرأة منقول من مصغر الربيع وكذا قال البرهان وقال لعله سقط من النسخ لفظ الربيع أو وقف عليه القاضي رواية عن معوذ الا ان معوذا لا اعلم له رواية ووقع في نسخة على الصواب ومعوذ بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وحكى ابن قرقول فتحها وغيره لا يجيزه وكذا ضبطناه عن الصدفي ثم ذال معجمة وقال التلمساني قيل ان الدال مهملة مع الفتح والكسر والاول أولى وعفراء بعين مهملة وفاء ساكنة وراء مهملة وهمزة ساكنة ممدودة اسم أمه وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة وشهر بذلك واسم أبيه الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد

قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بكسر القاف وفتح نون (من رطب) وفي أصل الدلجي بالاضافة من غير من (يريد) أي يعني الراوي بقوله قناع (طبقا) بفتحتين أي وعاء مما يؤكل عليه وأما قول الحجازي صوابه بالمثناة الفوقية في الموضعين على تصحيح الرواية عن الربيع ففيه ان الربيع غير مذكور في المتن بل معوذ لا غير ولا يجوز تغيير التصنيف فالصواب بالياء التحتانية على انه يرجع الى معوذ أو الى الراوي بالمعنى الاعم والله تعالى أعلم (وأجر) بفتح همزة وسكون جيم وكسر راء منونة جمع جرو مثلث الجيم والكسر أشهر أي قثاء صغار (زغب) بضم زاي وسكون غين معجمة جمع أزغب أي ذات زغب أي صغار الريش أول ما يطلع شبه به ما على القثاء من الزغب وضبط في حاشية بفتح الزاي والغين المعجمة ويعني بها الشعرات الصفر على ريش الفرخ والفراخ زغب بضم فسكون على ما ذكره الجوهري وهذا وصف منه للقثاء باللطافة والغضاضة اذ القثاء اللطاف لا تخلو عن شئ يكون عليها شبه الزغب (يريد) أي يعني بأجر زغب (قثاء) أي موصوفا بما ذكر وهو بكسر

القاف ويضم ممدودا (فأعطاني) أي

ومعوذ استشهد ببدر قتله أبو مسافع وقيل انه هو الذي قتل أبا جهل وفيه كلام في السير (قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقناع) بقاف مكسورة أو مضمومة فنون وألف فعين مهملة ويقال له قنع بكسر القاف وقيل قناع جمع قنع وظاهر قوله (من رطب يريد طبقا) انه مفرد وكذا قوله في حديث آخر يهدي لنا القناع فيه كعب حيث أفرده (وأجر زغب) بفتح الهمزة وسكون الجيم وكسر الراء وأصله اجرى فسقطت ياؤه كادل في جمع دلو وهو جمع جرو بكسر الجيم بوزن علم وهو صغير القثاء وزعم ابن قرقول ان جرو اجمعه اجراء على أفعال وهو جمع جرو وزغب بضم الزاي وسكون الغين المعجمتين جمع أزغب وهو ما عليه زغب والزغب صغار الريش والشعر فشبه به ما يكون على الفاكهة ونحوها من الصغير وقوله (يريد قثاء) بكسر القاف وضمها وتشديد المثلثة والمد وهي معروفة وهي ضرب من الخيار وألفه للتأنيث أو للالحاق وهو اسم جنس يطلق على الواحد وغيره ولذا فسر به الجمع ولا حاجة لتقدير من جنس هذه وعلى كل حال فلا يقال ان زغب هنا كالدينار الصفر كما توهم وهو تفسير لقوله أجر وروى الهروي أجن بالنون بدل أجر وهو جمع جناه والغصن الرطب والمشهور الاول وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء (فاعطاني ملأ كفه حليا وذهبا) بالواو العاطفة وفي الترمذي أو قال ذهبا مما كان عنده مما جاءه من البحرين وهذا مما يدل على الوهم في رواية معوذ فانه قتل ببدر ومال البحرين انما أتاه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ظهور الاسلام والحلي بفتح الحاء المهملة وسكون اللام بزنة ضرب وجمعه حلي بضم الحاء وكسرها وزنه فعول وهو كل مصاغ من الذهب والفضة وضبطه التلمساني للمفرد هنا فان كانت الرواية به فواضح والا فتجوز قراءته بالوجهين (وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد) أخرجه الترمذي وشيأ أعم من المال والقوت وهذا بالنسبة لاغلب أحواله صلى الله عليه وسلم وقد وقع خلافه تعليما وتطييبا لقلوب أهله وهو لا ينافي التوكل كما لا يخفى (والخبر بجوده) أي في بيان جوده (وكرمه كثير) لا يحصى فعن البحر حدث ولا حرج (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم)

لاجل بدله أو مما كان عنده في نظيره (ملء كفه) وفي رواية ملء يديه وفي رواية ملء يدي وفي أخرى كفي (حليا) بفتح فسكون وجمعه حلي ووزنه فعول كضرب وضروب ثم دخله الابدال والادغام وكسرت اللام لتصح الياء وكسر الحاء أيضا حمزة والكسائي للاتباع وفي نسخة بضم وكسر فتشديد تحتية (وذهبا) تخصيص بعد تعميم اذ الحلي ما يصاغ ولو من الفضة وغيرها قال الدلجي كذا هنا من رواية معوذ بن عفراء والذي في مسند أحمد وشمائل الترمذي بسند جيد

عن ابنة الربيع مصغر ربيع قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر زغب من قثاء وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يحب القثاء فأتيت بها وعنده حلية قدمت عليه من البحرين فملأ يده فأعطانيه وللترمذي فأتيته بقناع من رطب وأجر زغب فأعطاني ملء كفيه حليا أو ذهبا وأبوها معوذ قتل ببدر ولم يعرف له رواية عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال أنس رضي الله عنه) أي فيما رواه الترمذي (كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يدخر) بدال مهملة مبدلة من معجمة اذ أصله لا يذتخر (شيأ لغد) أي لا يؤخذ لمستقبله من الزمان شيأ من مأكول ومشروب لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه أو المعنى لا يدخر لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه ان كان يدخر قوت سنة لعياله (والخبر) أي الاخبار الواردة المؤذنة (بجوده وكرمه) أي بناء على اثر نور وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير) أي فلا يمكن حصاؤه ولا يتصور استقصاؤه (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) لا يعرف من رواه عنه أتى رجل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

هذا الرجل لم يبين والحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره (يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أقرض والسلف والقرض بمعنى (نصف وسق) بفتح الواو وكسرها وهو ستون صاعا وعند أهل الحجاز ثلثمائة وعشرون رطلا وأربعمائة وثمانون رطلا عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمد كما قاله البرهان الحلبي رحمه الله تعالى والوسق أيضا مصدر بمعنى ضم الشئ (فجاءه الرجل) الذي اقترض منه (يتقاضاه) أي يطلب منه كما (فاعطاه وسقا) ضعف ما أخذ منه (وقال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم له (نصفه قضاء) لما آخذ منك (ونصفه نائل) أي عطاء وهبة لك و وقع في بعض النسخ هنا زيادة سقطت من أكثر النسخ وهي (وقد قال أبو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم في ألفاظهم ان هذا الخلق لا يكون بكماله الا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل أحد في القيامة يقول نفسي نفسي ويقول هو صلى الله تعالى عليه وسلم أمتي أمتي) انتهى ما زيد هنا وأثبتها محمد بن مرزوق في شرحه وتبعه التلمساني وشرحها فلنتمم الفائدة ببعض فوائدها وبيان ما فيها فاعلم ان الدقاق هو أبو علي الحسن بن علي شيخ القشيري تفقه في أول امره على القفال وغيره ثم انقطع حتى صار سيد وقته والمتصوفة والصوفية واحده صوفي ويقال تصوف اذا انقطع الى الله تعالى كما يقال تقيس اذا انتسب لقيس وهذا اللفظ مولد واصطلاح حدث بعد القرن الاول فقال بعضهم الصوفي هو المنقطع بهمته الى ربه وهم مقتدون باهل الصفة رضي الله تعالى عنهم وهي سقيفة اتخذها ضعفاء الصحابة في مسجد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكان قبل الاسلام حي يقال لهم صوفة يخدمون الكعبة فقيل الصوفي نسبة لهم وقيل لانهم تجمعوا كما تجمع الصوف وقيل انهم لخشوعهم كصوفة مطروحة على الارض أوهم منسوبون للصوف للينهم وسهولة أخلاقهم أو لبسهم الصوف لاختيارهم الفقر وهذا أظهر الاقوال لفظا ومعنى وقيل منسوب للصفة والاصل صفي فابدل أحد حرفي التضعيف لينا وقيل انه من الصفاء ففيه قلب وصحح هذا بعضهم لقول البستي

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا * جهلا فظنوه مشتقا من الصوف
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

ولا شاهد فيه لانه على مذهب الشعراء وقد بين المصنف رحمه الله تعالى معنى الفتوة

* (فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل) * هذا معنى ما قاله الحكماء في علم الاخلاق ان الله تعالى ركب في الانسان قوة هي مبدأ الاقدام على الاهوال والمهالك لتصوره أن من خاطر بالنفس ربما يهلك النفس وانه لا يغني حذر من قدر وهي القوة الغضبية الشنيعة والشجاعة انقياد هذه القوة لسلطان العقل والنفس الناطقة ليكون اقدامها على حسب الروية من غير اضطراب حتى يكون فعلها جميلا محمودا وافراطها التهور

بعض النسخ هنا زيادة لا تخلو عن افادة وهي قوله وقال أبو علي الدقاق من شيوخ الصوفية المشاهير وعلمائهم النحارير وتكلم في الفتوة وهي غاية الكرم والايثار على رأيهم واصطلاحهم في ألفاظهم ان هذا الخلق لا يكون الا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهو يقول أمتي أمتي انتهى قال ابن مرزوق هذه الرواية ثبتت في رواياتنا في هذا الموضع من الشفاء وقال التلمساني وقد ثبتت هذه الزيادة أيضا ملحقة بخط العراقي في الطرة ثم قال نقل هذا من خط المؤلف رحمه الله انتهى وقال برهان الدين الحلبي هذا في بعض النسخ ثابت وأبو علي المذكور هو الحسن بن علي بن محمد بن اسحق ابن عبد الرحيم بن أحمد الاستاذ شيخ الاستاذ ابي القاسم القشيري تفقه على الحصري وأعاد على القفال المروزي في درس الحصري ثم سلك طريق التصوف حتى صار انسان وقته وسيد عصره وتوفي في ذي الحجة سنة خمس واربعمائة قال فيما يرويه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أكرم غنيا لغناه ذهب ثلثا دينه وذكر فيه حكمة ذكرها السبكي في الطبقات وهو

* (فصل * وأما الشجاعة) بفتح أولها معروفة

(والنجدة) بفتح نون فسكون جيم فدال مهملة بمعنى الشجاعة على مقالة الجوهري وقيل الاغاثة والاعانة وفرق المصنف بينهما بقوله (فالشجاعة فضيلة قوة الغضب) أي زيادتها (وانقيادها) اى مطاوعة تلك القوة ومتابعتها (للعقل) أى المتفع على ما ينبغي من النعوت الآدمية وهو احتراز عن الصفة السبعية والبهيمية ولابد من قيد انقيادها للشرع لتكون من الاوصاف البهية (والنجدة ثقة النفس) أي وثوقها بها واعتمادها على خالقها (عند استرسالها) أى اشرافها وطلبك ارسالها (الى الموت) أي حال تشدتها من ابتدائها الى زمان انتهائها باختياره الى حد فنائه وزوال بقائه (حيث يحمد فعلها) أي عقلا ونقلا (دون خوف) أي من غير خوف لها يمنعها عما هي بصدده من كمالها والحاصل ان النجدة قوة تنشأ عن الشجاعة لانها غيرها فى أصلها (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) أي من الشجاعة والنجدة وروى منها فالضمير لكل منهما (بالمكان) أي بالمحل (الذى لا يجهل) وبيانه قوله (قد حضر المواقف الصعبة) بفتح فسكون أى الشديدة كبدر واحد وحنين وغيرها (وفر) أي هرب (الكماة) بضم كاف وتخفيف ميم جمع كمى بفتح فكسر فتشديد أى شجاع مكمى فى سلاحه اذ قد كمى نفسه وسترها بدرعه وبيضته كأنه جمع كامى كقاض وقضاة (والابطال) بفتح الهمزة جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع والمغايرة بينهما من حيث الستر وعدمه أو الثانى أبلغ والمعنى ولوا مدبرين (عنه) أى عن مساعدته صلى الله تعالى عليه وسلم (غير مرة) أي مرات كثيرة وان كان قصد بعضهم الكرة بعد الفرة (وهو ثابت) أي بقلبه وقدمه (لا يبرح) بفتح الياء والراء أي لا يزول عن مكانه (ومقبل) على شانئه وشأنه بكمال الاقبال (لا يدبر) أي لا ينوى الادبار ولا التحول والانتقال (ولا يتزحزح) أي ولا يتبعد عن مواجهة الكفار والجمل المنفية احوال مؤكدة لما قبلها والمعنى انهم فروا عنه حال ثباته

وهو الاقدام حيث لا ينبغي وتفريطها الجبن وبهذا عرفت معنى الشجاعة والجراءة أعم منها وهذه تختص بالانسان وفسرها ابن القوطية بالاقدام وهو تفسير لفظي بالاعم (والنجدة) بفتح النون وسكون الجيم ودال مهملة كما فى النهاية وهى شدة البأس ويقال هم انجاد امجاد أى اشداء شجعان والواحد نجد ككتف وكتاف وقيل انه جمع الجمع جمع نجد على نجاد ونجاد على انجاد وفسرها أهل اللغة بالشجاعة على عادتهم فى التسامح فلا ينافى تغايرهما كما توهم ويؤيده ما فى الحديث الآتى عن ابن عمر ما رأيت أشجع ولا انجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتهرت النجدة فى معنى المساعدة (ثقة النفس) فى بعض الشروح وثق الشئ بالضم وثاقة صلب واشتد ومنه الوثاق ووثقت به بالكسر اثق ثقة اعتمدت عليه وائتمنته كما فى التقريب والمصنف رحمه الله تعالى استعمل الثقة موضع الوثاقة ولم أظفر به قلت هذا عجيب منه فانه بمعنى اعتماد النفس على ربها أو اعتماده على نفسه (عند استرسالها) أي اطلاقها واخذها فيما يؤدى (الى الموت) اى استئناسها وطمأنينتها بلا خوف كما ورد فى الحديث ايما مسلم استرسل الى مسلم فغبنه الخ وحديث غبن المسترسل ربا (حيث يحمد فعلها دون خوف) قيل وهى نشأة قوة النفس وشدتها وليست غير الشجاعة ففسر الشئ بما ينشأ عنها انتهى وكلامه ماش على تغايرهما والشراح لم يفرقوا بينهما والفرق مثل الصبح ظاهر فان الشجاعة جراءة واقدام يخوض به المهالك كما ينبغي والنجدة ثباته على ذلك مطمئنا من غير خوف من ان يقع على الموت أو يقع الموت عليه حتى يقضى الله له باحدى الحسنيين الظفر أو الشهادة فيحيى سعيدا او يموت شهيدا فتلك مقدمة وهذه نتيجتها ولذا أخرها المصنف فى الذكر (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم منهما) أي من الشجاعة والنجدة (بالمكان الذى لا يجهل) اى كان متصفا بهما على أعظم وجه ومشتهرا بذلك اشتهارا لا يخفى على أحد وعدم جهل المكان لعلوه وشرف بنائه كالجبل والقصر فكنى بذلك عن علو قدره صلى الله تعالى عليه وسلم وشهرته على حد قوله

ان الشجاعة والسماحة والندى * فى قبة ضربت على ابن الحشرج

(قد حضر المواقف الصعبة) أي موضع القتال الشديدة ومصافها لحملها نفسها صعبة لصعوبة ما فيها (وفر الكماة والابطال عنه غير مرة) الفرار الرجوع بسرعة والكماة بزنة قضاة جمع كمى على خلاف القياس لانه مخصوص بفاعل المعتل أو هو جمع كام بمعنى كمى وان لم يسمع وهو من تكمى اذا تستر فاصله الشجاع اللابس للدرع والبيضة ثم استعمل فى مطلق الشجاع كالمشفر فان قيل انه سمى به لانه يستر شجاعته ووقائعه كان الثانى حقيقة ايضا لكن المعروف هو الاول والابطال جمع بطل كحسن وهو الشجاع المعروف بالشجاعة سمى به لانه يبطل عنده دماء الاقران وغير مرة بمعنى مرات والعرب تجعل غير مرة بمعنى مرات مع صدقه على مرتين للابهام ونحوه من الفوائد (وهو) صلى الله عليه وسلم (ثابت لا يبرح) أي لا يفارق مكانه كقوله فلن أبرح الارض أى لا أفارقها (ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح) أى لا يزول عن مقره قال تعالى فمن زحزح عن النار وهذه الحالتان تدل على ثباته صلى الله تعالى عليه

(وماشجاع) بتثليث أوله والضم أشهر أى ماوجد أحد شجيع من شجعان العرب والعجم (الاوقد أحصيت له فرة) على صيغة المجهول أى ضبطت له ولو مرة واحدة من الفرار والهزيمة (وحفظت عنه جولة) بفتح جيم وسكون واو أى تردد ونفرة (سواه) أى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم الفرار لكماله فى مقام الوقار والقرار (حدثنا أبو على الحيانى) بفتح الحاء المهملة وتشديد التحتية وفى آخره نون ثم ياء النسبة وهو الحافظ الغسانى وقيل بكسر الجيم والظاهر انه تصحيف (فيما كتب لى) أى من هذا الحديث ونحوه مقرونا بالاجازة له مع امكان السماع منه (حدثنا القاضى سراج) بكسر سين مهملة وتخفيف راء بعدها ألف فجيم (حدثنا أبو محمد الاصيلى) بفتح فكسر صاد مهملة ويقال بالزاى أيضا نسبة الى بلد بالمغرب (حدثنا أبو زيد الفقيه) وهو المروزى (حدثنا محمد بن يوسف) أى الفربرى (حدثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (حدثنا ابن ابن بشار) بموحدة فشين معجمة مشدد العبدى مولاهم قال أبو داود وكتبت عنه خمسين ألف حديث (حدثنا غندر) بضم غين معجمة فنون ساكنة فدال مهملة مفتوحة وقد تضم فراء هذلى بصرى وهو منصرف (حدثنا شعبة) أى ابن الحجاج أمير المؤمنين فى الحديث (عن الكوفى أبى اسحق) أى السبيعى الهمدانى الكوفى تابعى جليل روى عنه السفيانان وأبو بكر بن عياش وخلائق وله نحو ثلاثمائة شيخ وهو يشبه الزهرى فى كثرة الرواية وقد غزا عشر مرة وكان صواما قواما

وسلم أى تارة يقبل على الحرب وتارة يثبت كالجبل الراسى فلا يتحرك فان أريد باقباله مجرد توجهه بوجهه بعدم ادباره التفاته لغيرها فهما حال واحدة واصل معنى التزحزح التباعد والتنحى عن المكان قال الزبيدى زحه اذا دفعه وكذلك زحزحه وقيل هو من زاحه يزيحه أو من الزوح وهو السوق الشديد ويقال زحزحته فتزحزح وانزاح اذا تباعد ومنه المزاح والصحيح الاول وعطفه على الادبار من عطف الخاص على العام وكان من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجب عليه مصابرة العدو وان كثر وزاد على ضعف عسكره ويأتى بافيه واما الآن فان زاد العدو على ضعف المسلمين جاز انصرافهم عن القتال والافلا يجوز الا بالتحيز أو التحرف الى فئة فان الفرار من الزحف كبيرة كما فصله الفقهاء والمفسرون (وماشجاع الاوقد أحصيت له فرة) أحصيت بالبناء للمجهول من الاحصاء وهو العدو الحفظ والفرة المرة من الفرار وهو الهزيمة والفار الهارب (وحفظت عنه جولة سواه صلى الله تعالى عليه وسلم) الجولة بفتح الجيم وسكون الواو واللام المرة من الجولان فى المكان وقيل هى الانكشاف والزوال عن الموقف من غير تقييد بالمرة وفى النهاية جال واجتال اذا ذهب وجاء ومنه الجولان فى الحرب والجائل الزائل عن مكانه وقول الصديق رضى الله تعالى عنه للباطل نزوة وللحق جولة يريد به غلبة من جال على قرنه يجول انتهى والجولة هنا صفة ذم بمعنى فرة لا غلبة وفى الحديث للباطل جولة ويضمحل والحاصل ان الجولة تكون بمعنى الفرار وبمعنى الذهاب ليعود والتردد فى المكان ويصح ارادة كل منها هنا ويكون صفة ذم ومدح ثم ذكر مايدل على ماذكره فقال (حدثنا القاضى أبو على الجيانى فيما كتب لى) هو الامام الحافظ أبو على الغسانى الجيانى بفتح الجيم وتشديد المثناة التحتية ثم ألف ونون وياء نسبة لبلدة منها ابن مالك وأبو حيان وغيرهما من الائمة وقوله كتب لى دون الى يشعر بانه وقع له ذلك مع ملاقاته بدليل قوله حدثنا فان الكتابة تكون للغائب والحاضر وتتضمن الاجازة وابن الصلاح رحمه الله تعالى لم يفرق بين كتب له واليه اذ قال كثيرا مايوجد فى مسانيدهم ومصنفاتهم كتب الى فلان وهو معمول به عندهم معدود فى المسند الموصول وفيه اشعار قوى بمعنى الاجازة وان لم تقترن بها وعن السمعانى وامام الحرمين انه أقوى من الاجازة المجردة قال (حدثنا القاضى سراج) بكسر السين كالسراج المنير وهو سراج بن عبد الملك بن سراج بن عبد الله بن محمد بن سراج الاموى توفى لست بقين من جمادى الاولى سنة ثمان وخمسمائة والذى روى عنه الجيانى وهو جد سراج بن عبد الملك كما قاله التلمسانى قال (حدثنا أبو محمد الاصيلى) هو أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الاصيلى ويقال الازيلى بالزاى والسين أيضا نسبة لاصيلة بلدة بالمغرب معروفة كما قاله ابن قرقول وقال الصاغانى فى الذيل والاصيل بلدة من أعمال الاندلس قال (حدثنا أبو زيد الفقيه) هو أبو زيد المروزى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو الامام البخارى وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا ابن بشار) الامام الحافظ أبو بكر محمد بن بشار بفتح الموحدة التحتية وتشديد الشين المعجمة وألف وراء مهملة المعروف ببندار روى عنه أصحاب الكتب الستة عاش ثمانين سنة ومات سنة اثنين وخمسين ومائتين وقيل احدى وخمسين وترجمته مفصلة فى الميزان قال (حدثنا غندر) بضم الغين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وتضم وراء مهملة وهو محمد بن جعفر الهذلى مولاهم البصرى الحافظ روى له أصحاب الكتب الستة توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان ايضا (عن أبى اسحق) عمرو بن عبد الله السبيعى الهمدانى

(سمع البراء) بفتح الموحدة وتخفيف الراء وهو ابن عازب رضى الله عنهما (ساله رجل) لا يعرف (أفررتم يوم حنين) وهو وادى بين مكة والطائف وتصحف حنين عن التلمسانى بخيبر ولذا قال وكانت غزوة حنين فى السابعة من الهجرة وقدم جعفر بن أبى طالب ومن معه من الحبشة حينئذ وقد وقع فى صحيح البخارى فى غزوة الفتح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى رمضان الى حنين وقد تقدم انها كانت فى شوال وهو المعروف ولعل المراد الفتح لان الفتح تعقبه حنين والمعنى أفررتم يوم حنين معرضين (عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى نعم كما فى نسخة ولعله حذف استهجانا للتصريح به ثم استدرك بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) بتشديد الراء المفتوحة ويجوز كسرها لكسر ماقبلها وقال التلمسانى انما لم يجبه ببلى أونعم لان موجب لا قد وقع ولم يكن قصدا بل رشقتهم هوازن بنبلها ذا صباح وقد تفرقوا لحوائجهم ولم يعلموا ان للعدو كميناً فكان جولة وليس هزيمة وقد وقع ذلك من الطلقاء لان منهم من لم يكن صادق الاسلام يومئذ انتهى ثم فى هذا الاستدراك دفع توهم فراره صلى الله تعالى عليه وسلم بعد فرارهم عنه ولا والله مافر قط بل الاجماع قاض بتحريم اعتقاد فراره وهذا الحديث أخرجه البخارى فى الجهاد ومسلم فى المغازى والنسائى فى السير وهو كما فى الاصل بناء على مافى بعض الطرق وفى بعضها أفررتم يوم حنين ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى هذه الرواية قال النووى مانصه هذا الجواب الذى أجاب به البراء من بديع الادب لان تقدير الكلام أفررتم كلكم فيقتضى أنه عليه الصلاة والسلام وافقهم فى ذلك فقال البراء لا والله مافر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا (ثم قال) أى البراء (لقد رأيته على بغلته البيضاء) كذا فى الصحيحين وفى مسلم انها التى أهداها له فروة ابن نفاثة قال بعض الحفاظ واسمها فضة وفى رواية على بغلته الشهباء وكلتاهما واحدة وقال بعضهم هى التى تسمى الدلدل وكذا سماها النووى فى شرح مسلم فى غزوة حنين وقال قال العلماء لا يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم بغلة سواها انتهى وذكر الحلبى

الكوفى أحد اعلام الحديث أخذه عن عدة من الصحابة وعدة من التابعين وروى عن خلق كثير وله نحو ثلثمائة شيخ وهو شبيه الزهرى فى الكثرة وكان صواما قواما غازيا مات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (سمع البراء) بن عازب الصحابى المشهور (و) قد (سأله رجل) وهذا الحديث أخرجه القاضى كما ترى عن البخارى فى الجهاد فى موضعين باختلاف فى بعض ألفاظه ورواه مسلم فى المغازى والنسائى فى السير (أفررتم) معاشر الصحابة (يوم حنين عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم) وحنين بن نابتة بن مهلائيل وبه سمى الموضع المعروف وسميت غزوة حنين وأوطاس باسم الموضع الذى كانت فيه الوقعة سنة ثمان من الهجرة فى شوال ووقع فى البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج الى حنين فى رمضان والمعروف أنه فى شوال وماذكره المصنف ورد فى بعض طرق الحديث وفى بعضها أفررتم ولم يذكر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهى رواية مسلم وعلى هذه الرواية قال النووى جواب البراء رضى الله تعالى عنه من بديع الادب لان تقديره أفررتم كلكم فيقتضى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم وافقهم على ذلك فقال البراء لا والله مافر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا انتهى وهذا الجواب لايتأتى الا على الرواية الثانية وكان ينبغى للشيخ ان يجيب بجواب غير هذا لان هذا الفهم احترز عنه السائل بقوله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يجئ أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم قط ولم ينقله أحد وقد نقل الاجماع على انه لايجوز ان يعتقد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انهزم ولا يجوز ذلك عليه بل كان العباس وأبو سفيان رضى الله تعالى عنهما آخذين بلجام بغلته يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو وكما يأتى وقد صرح به البراء فى حديثه كذا قال البرهان وقيل عليه انه يأتى الجواب على مارواه المصنف أيضا لان قول السائل عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان دفع وهم انه مافر معهم لايدفع انه فر بعد فرارهم فكان ثابتا فى ماطواه البراء فى الجواب الذى تقديره فر من فر عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى دفعه بقوله (لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر) لانه استدراك لدفع ماتوهم من الكلام السابق وان لم يصرح به وماقيل من انه يمكن ان يقال قصد البراء ان يبين ان فرارهم لم يكن بالكلية وانما معناه تحولنا عن وجه العدو وخلنا جولة ثم عدنا وكيف ندع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أعز من أنفسنا أوهو من الاسلوب الحكيم فكأنه لما ساله عن فرارهم قال له هذا لايهمك شانه وانما الذى ينبغى ان تعتقده أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر تكلف ليس فى الكلام مايدل عليه (ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء) الشهباء يقال لها

ان فروة بن نعامة أهدى فضة والمقوقس أهدى الدلدل وقيل كان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست بغلات وقيل سبع (وأبو سفيان) أى ابن عمه الحارث بن عبد المطلب وكان أخو الرضيع له صلى الله تعالى عليه وسلم أرضعتهما حليمة وآلف الناس به قبل النبوة ثم كان أبعدهم عنه بعد هاشم أسلم يوم الفتح بالابواء موضع بطريق مكة ومات سنة عشرين بالمدينة (أخذ بلجامها) زاد البرقانى والعباس رضى الله تعالى عنه آخذ بلجامها يكفانها عن اسراع التقدم الى العدو شفقة عليهما عليه بمقتضى البشرية وان علما مرتبة عصمته النبوية وسيأتى رواية أخرى فى هذا المعنى مع اختلاف فى المبنى وفى ركوب البغلة حال الغزو ايماء الى كمال تحقق النجدة وزوال تصور الجولة وكيف لا وهو يقول اللهم بك أصول وبك أجول (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) والجملة حالية وأما قول الدلجى وضع فيها مبتدأ أما موضع المضمر أى وهو يقول فغفلة منه عن المنقول اذ لو أتى بالضمير لتوهم رجعه الى أقرب المذكور وهو أبو سفيان المسطور (أنا النبى لا كذب) بسكون الباء للوزن أو السجع وهو الرواية على ما ذكره المازنى وضبط فى بعض النسخ بفتح الباء على أصله فى البناء وقد ورد على زنة نهوك الرجز وهو ليس بشعر عند بعضهم وان كان مقصودا ثم لا يسمى الكلام شعرا ما لم يقصد بوزنه الشعر ومنه ما جاء فى التنزيل ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون وأمثال ذلك وأما قول الدلجى من رواه بفتح الباء ليخرج عن الوزن فقد نسب أفصح الخلق الى النطق بغير فصيح فغير صحيح لان فتح الباء كما عرفت هو الاعراب الصحيح فلا يعدل عنه الا وقفا سواء أريد به نظم أو سجع والمعنى أنا النبى صدقا لا أفر اذا لقيت العدو حقا وروى بلا كذب بزيادة الباء ولعله حينئذ مخفف باء النبى والمعنى لا كذب فى النبوة لظهور المعجزة أو لا كذب فى النصرة أو لا كذب فى النبوة لانها حق وما وعد به صدق (وزاد غيره) أى غير البراء (أنا ابن عبد المطلب) وهو بسكون الباء مع انها فى أصل الاعراب بالجر ومن قرأ بالكسر أراد اخراجه من وزن الشعر كما تقدم ثم انتسابه لجده لاشتهاره به لموت أبيه قبل ولادته مع كثرة نسبة الناس اياه اليه ولا ينافى هذا نهيه عن الافتخار بالآباء الكفار اذ لم يقله افتخارا بل اظهارا واشتهارا واعلاما بانه ما ولى مع من ولى وتعريفا بموضعه ليرجع اليه أهل دينه

فضة أهداها له فروة بن نفاثة كما فى مسلم وفروة بفتح الفاء واسكان الراء ونفاثة بضم النون وبالفاء المخففة وبالمثلثة الجذامى بضم الجيم وبالذال المعجمة وفى رواية ابن اسحق بن نعامة بالعين والميم والمعروف الاول وقال بعضهم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم فى حنين بغلة تسمى دلدل وكذا قال النووى فى شرح مسلم والمعروف الاول ودلدل اهداها له المقوقس وكبرت وبقيت الى زمن معاوية رضى الله تعالى عنه ويقال انه وهبها صلى الله تعالى عليه وسلم لابى بكر رضى الله تعالى عنه وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم ست بغلات أو خمس كما ذكره الحفاظ وذكروا من أهداها له (وأبو سفيان) بن الحارث ابن عبد المطلب هو ابن عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه المغيرة أو اسمه كنيته وكان أخاه من الرضاع وآلف الناس به قبل النبوة وكان يشبهه صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا وكان شاعرا مطبوعا فلما ظهر الاسلام أظهر العداوة وهجا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأجابه حسان رضى الله تعالى عنه بما هو مذكور فى السير ثم أسلم وحسن اسلامه وأبلى بلاء حسنا يوم حنين وتوفى فى سنة عشرين وصلى عليه عمر رضى الله تعالى عنه وهو أحد من ثبت يوم حنين وهم عشرة أو أكثر كما فصله أصحاب السير (أخذ بلجامها) أى ممسك عنان بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم والعباس رضى الله تعالى عنه من الجانب الآخر فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لابى سفيان وقال له من أنت قال أخوك أبو سفيان ابن الحارث فداك أبى وأمى فقال نعم أخى ناولنى حصا من الارض فناولته ورمى به فأصاب أعينهم كلهم وانهزموا وانما أمسكا باللجام لئلا يسرع للاتصال بالعدو لما رأياه من أقدامه صلى الله تعالى عليه وسلم ومسارعته فاشفقا عليه بمقتضى المحبة الاسلامية والرحم وان علما عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم وحماية الله تعالى له (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول أنا النبى لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب) هذه الرواية المشهورة بسكون الباء للوقف ويروى بتحريك الباء فيهما وروى بلا كذب وعلى هاتين الروايتين لا اشكال وعلى الرواية المشهورة اشكال مشهور وهو انه يكون موزونا من مجزوء بحر الرجز والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا يصدر منه الشعر لقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له فكيف يصدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم هذا ونحوه كقوله

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

ووقع مثله فى كتاب الله تعالى وأجيب عنه بان الرجز ليس من الشعر كما ذهب اليه بعضهم استدلالا بهذا وبان العرب تسمى قائله راجزا لا شاعرا وبان المراد بالشعر المنزه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يكون بنظم أنواعه فيكون سجية وما وقع نادرا لا يعد قائله شاعرا ونظيره ما قاله الباقلانى فى كتاب الاعجاز ان

القرآن

القرآن يقع فيه ذلك حتى يكون جامعا لانواع الكلام وبمثله لا يكون القرآن شعرا كالبيت أو المصراع اذا وقع فى اثناء رسالة أو خطبة والجواب المشهور ان الشعر هو الكلام الموزون المقفى بالقصد وما وقع فى الحديث كهذا وفى القرآن كقوله يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره لم يقصد وزنه فلا يسمى شعرا وهذا الحديث الصحيح وأما فى القرآن فلا لانا اذا سلمنا وقوعه فيه لابد ان يكون بالقصد والارادة لانه لا يمكن ان يقع شئ فى الخارج بغير ارادته وقد ذكرت هذا البعض مشايخى فاستحسنه ثم رأيته فى بعض شروح المفتاح وقد أجبنا عنه فى كتابنا طراز المجالس وكان ابن قدامة فى كتاب التكملة يحفظ هذا فذهب الى أنه ليس فى القرآن موزون لانا لا نجوز ان يقرأه على هذه الطريقة بل نصل الكلام ولا نقف على ما يشبه العروض والضرب وحينئذ لا يكون موزونا وهو كلام حسن وقوله لا كذب اذا حرك يلزمه الوقف على متحرك وهو لحن لا يصدر عمن هو أفصح الناس وفيه نظر ونفيه الكذب عنه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم مصون عنه مطلقا أو معناه لا كذب فى الظفر والنصر وما وعد نبى الله تعالى أولا لا كذب فى دعوى النبوة لظهور آياته ووضوح برهان معجزاته والمقصود تثبيتهم حتى لا يفر أحد منهم وقوله زاد غيره ان كان الضمير راجعا للبخارى اقتضى صيغة ان هذه الزيادة لم ترد فى البخارى مع انها فيه فى محلين من كتاب الجهاد فكان ينبغى له اسقاط قوله وزاد غيره ان رجع لغيره ممن سمع البراء فالامر واضح وقوله أنا ابن عبد المطلب كما يقول المحارب أنا فلان اشارة الى شجاعته وصولته وانما انتسب صلى الله تعالى عليه وسلم لجده دون أبيه لاشتهاره بذلك لان أباه مات شابا فى حياة جده وهو طفل فكفله فكانوا يقولون له ابن عبد المطلب لعلو مقامه وكونه سيد أهل مكة أو خصه بالذكر وقد انهزموا عنه تثبيتا لنبوته صلى الله عليه وسلم وازالة للشك فيها لما عرف من رؤياه المبشرة لذلك كما أنبأ بذلك الاحبار والكهان فكأنه يقول أنا ذلك الموعود به فلا بد مما وعدت به لئلا يفروا ويظنوا انه مقتول أو مغلوب وكان عبد المطلب رأى فى منامه ان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور فاذا أهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود له من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا كما قاله حين قيل له لم سميته بهذا وليس لاحد من آبائك ولا قومك مثله فقال رجوت ان يحمده أهل الارض وقيل ان أمه لما حملت به قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعته فسميه محمدا وقوله أنا النبى الى آخره ليس من الافتخار المنهى عنه لانه جائز فى الجهاد لارهاب العدو وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينصر بالرعب كما مر وهذا جار على عادتهم كقوله

أقول له والرمح باقر بطعنه * تأمل خفافا اننى أنا ذالكا

(قيل فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى لم ير فى حرب هوازن أقوى وأشجع من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد ركب بغلته وقد ظاهر عليه درعا ومغفرا وطاف على الصفوف يحضهم على القتال ويبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا وكانوا ابرزوا للقتال فى كتائب لم ير المسلمون مثلها عدة وعددا وحملوا حملة واحدة وكانوا أرمى الناس بالسهام وأعرفهم بالقتال فانهزم الناس والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت يلتفت يمنة ويسرة لمن فر منهم وهو يقول يا أنصار الله وأنصار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ثم تقدم بحربته أمام الناس فلم يمض قليل حتى هزمهم الله وانما قال المصنف رحمه الله قيل لان هذه اللفظة بعينها لم تثبت عنده بطريق صحيح وأما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أشد من حضر تلك الوقعة وأشجعهم فهو مما لا شبهة فيه ولا يمكن أحدا انكاره (وقال غيره) أى غير البخارى الذى الحديث السابق من روايته لكنه لم يذكر فيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم

(قيل فما رؤى) بصيغة المجهول ويقال فما رئى بالنقل والبدل أى ما أبصر (يومئذ) أى يوم حنين (أحد) كان (أشد منه) أى أقوى قلبا وأشجع قالبا منه صلى الله تعالى عليه وسلم قال البغوى بعد حديث البراء باسناده المتصل الى مسلم على ما سبق ورواه محمد بن اسمعيل عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن اسحق وزاد فما رؤى من الناس يومئذ أشد منه ورواه أبو زكريا عن أبى اسحق وزاد قال كنا اذا احمر البأس نتقى به وان الشجاع منا الذى يحاذيه أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فوجه تعبير المصنف بقيل غير ظاهر كما لا يخفى (وقال غيره) أى غير البراء أو غير قائل هذا القيل

(نزل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن بغلته) وهذا يدل على كمال زمته فى قضية شجاعته قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم عن أبى اسحق قال رجل للبراء يا أبا عمارة أفررتم يوم حنين قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاؤهم وهم حسر ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم سهم فاقبلوا هنالك الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورسول الله على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث يقود به فنزل واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم (وذكر مسلم عن العباس رضى الله تعالى عنه قال فلما التقى المسلمون) وهم ستة عشر ألفا أو عشرة آلاف على اختلاف (والكفار) وهم أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان المسلمون يومئذ أكثر ما كانوا قط حتى قال رجل من الانصار لن نغلب اليوم على قلة فلم يرض الله قوله ووكلهم الى أنفسهم كما أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله ولقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حماة السوء أذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وهذا معنى قوله (ولى المسلمون) أى رجعوا وانهزموا (مدبرين) حال مؤكدة منهم ٤٨ قال الكلبى كان حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثمائة من المسلمين وانهزم سائر الناس مدبرين وقال آخرون لم يبق مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم غير العباس وأبى سفيان وأيمن ابن أم أيمن (فقتل يومئذ بين يدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فطفق) بكسر الفاء ويفتح أى جعل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار) أى يحركها ويدفعها الى صوبهم وأصل الركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك (وأنا آخذ بلجامها) جملة حالية (أكفها) حال أخرى أو استئناف بيان فان

(ارادة أن لا تسرع) بنصب الارادة على العلة للجملة السابقة أى أمنعها من أجل ان لا تعجل الى جهة العدو وهو من الاسراع (وأبو سفيان آخذ بركابه) وفى رواية بعكس القضيتين وتقدم انهما كانا آخذين بلجامها فالجمع بانه كان الأخذ بالمناوبة مرة وبالجمع كرة (ثم نادى) أبو سفيان أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو العباس على الالتفات (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى أى اقبلوا (الحديث) بالنصب على الاصح أى أنظر الحديث أو طالعه بكماله قال البغوى فى حديثه المسند الى مسلم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس رضى الله تعالى عنه وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتى أين أصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقرة على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار ثم أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصيات فرمى بهن فى وجوههم ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله ماهو الا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى أحدهم كليلا وأمرهم مدبرا وقال سلمة بن الاكوع غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل وجوههم فقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا

(نزل عن بغلته) فانه فى رواية مسلم رواه سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه قال الما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق أحد منهم حتى امتلأت عيناه من تلك القبضة ترابا وهزمهم الله ولاشك ان النزول فى وقت المحاربة فيه من الشجاعة مالا يخفى وتسميه العرب نزالا (فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين) هذه حال مؤكدة وهى قد تكون موافقة له لفظا كقوله * أصخ مصيخا لمن أبدى نصيحته * والاول أقوى لما فيه من ترك التكرار بحسب الظاهر وفى قوله ولى المسلمون ان أريد جميعهم مجاز بجعل الاكثر بمنزلة الجميع والافلا يجوز خلافا لمن ظنه وقد ثبت جماعة من المسلمين اختلف فى عددهم كما فصل فى السير وكتب الحديث (وذكر مسلم) فى صحيحه رواية (عن العباس رضى الله تعالى عنه عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جعل وشرع فى فعل ذلك (يركض بغلته نحو الكفار) أى يسوقها ويسرع بها والركض الضرب بالرجل فمتى نسب الى الراكب فهو اعداء مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب الى الماشى فوطئ الارض نحو قوله اركض برجلك ونحو منصوب على الظرفية أى فى جهتهم (وأنا آخذ بلجامها) أى ممسكه (أكفها) أى أمنعها من السرعة (ارادة ان لا تسرع) أى لاجل ارادة ان لا تسرع نحو العدو وتقتحم به (وأبو سفيان) ابن الحارث ابن عمه (آخذ بركابه) هذه رواية وفى أخرى ان أبا سفيان كان يقود بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم آخذ بلجامها من أحد جانبيها فلعله تارة كان يفعل كذا وتارة كان يفعل كذا فلا تعارض بين الروايات (ثم نادى) أى العباس رضى الله تعالى عنه وكان جهورى الصوت (يا للمسلمين) بفتح اللام الاولى لدخولها على المستغاث به

ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين وقال سعد بن جبير أمد الله نبيه بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كما قال تعالى وأنزل جنودا لم تروها (وقيل) أي روى كما في حديث ابن أبي هالة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله) جملة حالية معترضة بين الشرط وجوابه وهو قوله (لم يقم لغضبه شئ) أي ما يدفعه عنه ويمنعه منه كما قال علي كرم الله وجهه كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرف أحدا ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر له (وقال ابن عمر) كما رواه الدارمي (ما رأيت أشجع ولا أنجد) من النجدة وقد عرفت الفرق بينها وبين ما قبلها ولا يبعد أن المراد بالجمع بينهما المبالغة في وصف زيادة الشجاعة (ولا أجود) أي لا أسخى (ولا أرضى) أي باليسير فهو من باب القناعة أو ولا أسرع رضى من الرجوع عن الغضب فهو من قبيل حسن الخلق وجميل العشرة قيل ولا أدوم رضى (من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وضبط الدلجي ولا أحوذ بمهملة ومعجمة من حوذ يحوذ أي أجمع وهو مما استعمل بلا اعلال أي ما رأيت أحوذ يا أجمع لأموره لا يشذ عليه منها شئ متمكنا منها حسن السياق لها منه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حديث عائشة رضي الله تعالى عنها تصف عمر كان والله أحوذيا نسيج وحده أي متمكنا في أموره حسن السياق لها انتهى والظاهر أنه تصحيف في المبنى بل وتحريف في المعنى لان الاحوذي ليس افعل التفضيل المناسب هنا للسياق من السباق واللحاق فقد قال صاحب القاموس الاحوذي الخفيف الحاذق والمشمر للامور القاهر لها لا يشذ عليه شئ كالحويذ وأحوذ ثوبه جمعه والصانع القدح أخفه انتهى وقوله أحوذ وكذا استحوذ بمعنى غلب واستولى جاء على أصله من غير اعلاله وأما افعل سواء كان وصفا أو تفضيلا فلا يعل كاسود وأجود (وقال علي كرم الله وجهه) كما رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي (وانا كنا اذا حمى الباس) بهمز ويلين ومعناه ما في قوله

فان دخلت على المستغاث له كسرت نحو يا لله للمسلمين وكان نداؤه رضي الله تعالى عنه بامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قال له يا عباس ناد أصحاب السمرة فناداهم فعطفوا وقاتلوا حتى هزم الله أعداء الدين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الآن حمي الوطيس وهذا الحديث نقله المصنف رحمه الله تعالى عن مسلم بالمعنى اذ ليس فيه نداء العباس وخص العباس رضي الله تعالى عنه بذلك لانه كان صيتا يسمع صوته من ثمانية أميال وأصحاب السمرة هم أصحاب الشجرة وانما خصهم بالنداء لانهم لما بايعوه تحتها بايعوه على الموت وان لا يفروا فذكرهم بذلك وفي خصائص الخيضري كان يجب عليه صلى الله تعالى عليه وسلم مصابرة العدو وان كثروا والامة انما يلزمهم الثبات اذا لم يزد عدد الكفار على الضعف كذا قالوه من غير دليل لكن ذكر الماوردي أن من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه اذا بارز رجلا لم ينكف عنه وانه لا يفر من الزحف وخوفه من القتل غير جائز لان الله عصمه انتهى (وقيل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا غضب ولا يغضب الا لله لم يقم لغضبه شئ) أي لمهابة كل أحد له صلى الله تعالى عليه وسلم وخوفه منه لا يتحرك عنده وقال شئ دون أحد مبالغة فان العاقل وغيره سواء في ذلك ففي هذا اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يعتريه الغضب والحدة أحيانا ولكن ذلك غيرة على حدود الله لا لنفسه ومناسبة هذا لما نحن بصدده من ذكر الشجاعة ان الغضب مقتض للبطش والاقدام وهو من نمطها وهذا بعض من حديث صحيح في شمائل الترمذي (وقال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) من حديث صحيح رواه الدارمي مسندا (ما رأيت أشجع ولا أنجد ولا أجود) تقدم الفرق بين الشجاعة والنجدة فليس عطفه عليه عطف تفسيري كما توهم ونفي الافضل هنا يفيد نفي المساوي بطريق الكناية كما تقول ما في البلد أعلم من زيد كما تقدم تحقيقه (ولا أرضى من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي أكثر رضى منه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرضى بكل شئ من ملبوس ومأكول وغيره ويحتمل أن المراد بالرضى عدم الغضب أي كان أكثر حاله عدم الغضب لان الرضى يكون مقابلا للسخط ويكون بمعنى الارادة وعدم الكره وبكل منهما فسر الرضى اذا كان صفة لله وعلى ذلك مبنى اختلاف الاشاعرة والماتريدية في رضى الله للكفر في قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر والظاهر أن هذا مراد المصنف لانه المناسب لما قبله وهذا الحديث رواه أحمد والنسائي والطبراني والبيهقي قيل عطفه أجود على أنجد لما بينهما من المناسبة فان الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت كقوله

ان الذي جمع السماحة والنجدة والبر والتقى جمعا

ولان الاول بذل النفس والثاني بذل المال والجود بالنفس أقصى غاية الجود (وقال علي رضي الله تعالى عنه انا كنا اذا حمي البأس) بالموحدة وبهمزة أو ألف وهو الشدة والمراد به الخوف أو الحرب وحمي بزنة علم أو قد ففيه استعارة مصرحة أو مكنية أي اشتد القتال وهذا معنى ما وقع في الرواية الاخرى حمي

و يروى اشتد الباس) وأماما وقع فى أصل الدلجى اذا حمى الوطيس فلا أصل له فى النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (واحمرت الحدق) بفتحتين جمع حدقة وهى ما احتوت عليه العين من سوادها او بياضها وسبب احمرارها غضب صاحبها وفى الحديث الغضب جمرة توقد فى قلب ابن آدم اماترى الى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه) أى تحفظنا به وأخذناه وقاية لنا من عدونا وأعل اتقى بقلب واوه ياء لكسر ما قبلها ثم تاء وأدغمت (ولقد رأيتنى) أى قال على والله لقد رأيت نفسى (يوم بدر)

أى وكذا غيرى لقوله (ونحن نلوذ) أى نلتجئ ونستتر (برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى الحديث اللهم بك أعوذ وبك ألوذ وفى أصل الدلجى ونحن نتقى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفسره بنستتر ونحتمى الا انه ليس فى الاصول المعتمدة الحاضرة (وهو أقربنا الى العدو) أى والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أقرب منا الى عدونا وهو تصريح بما سبق من تلويح (وكان من أشد الناس يومئذ) أى وقت الباس وشدة الحرب أو يوم حنين (باسا) أى قوة قلب فى شدة حرب واذا كان حاله هذا فى مثل هذا الوقت ففى سائر الاوقات بالاولى فلا يحتاج الى قول الدلجى بل أشدهم مطلقا كما لا يخفى وما أحسن من قال من أرباب الحال

له وجه الهلال لنصف شهر * وأجفان مكحلة بسحر
فعند الابتسام كليل بدر * وعند الانتقام كيوم بدر

بالغلبة

(وقيل كان الشجاع) أى منا (هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) أى قاربوا (لقربه منه) أى لقرب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العدو (وعن أنس رضى الله عنه) كما فى حديث الشيخين (كان صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) أى صورة وسيرة وصوتا وفصاحة وملاحة (وأجود الناس) أى سخاوة وكرامة (وأشجع الناس) أى قلبا وثباتا (لقد فزع) بكسر الزاى (أهل المدينة

الوطيس فان الوطيس التنور كما مر وذلك أبلغ مع نكتة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله فى غزوة أوطاس على ما تقدم مع الكلام عليه بما لا مزيد عليه (ويروى اذا اشتد البأس) وهذه الرواية مفسرة للاولى (واحمرت الحدق) جمع حدقة وهى ما تحت الاجفان واحمرارها يكون عند الغضب لان الدم يهيج فيه وفى الحديث الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم اماترى انتفاخ أوداجه واحمرار عينيه وفسر بشدة الغضب وهو غير مناسب هنا وان كان كل عدو غضبان على عدوه ولذا فسره بكثرة الموت والظاهر انه كناية عن زيادة هيجانها لانه يقال اشتعلت وأوقدت ومن قرب من النار ولازمها تحمر عينه فالمعنى اشتد القتال ودام مدة (اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جعلناه وقاية لنا من العدو بان يتقدم علينا فيدفع العدو ونحن خلفه كما يشير اليه قوله (فما يكون أحد أقرب الى العدو منه) ولذا أمسكوا ببغلته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين كما مر ولم ينكر عليهم وقد صارت هذه سنة فى الملوك وقت القتال حتى ان آل عثمان يقيدون فرسه (ولقد رأيتنى) بضم التاء وهذا من خصائص أفعال القلوب وما ألحق بها من رأى البصرية والحلمية أن يكون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشئ واحد ورأى هذه بصرية كما فى قوله

ولقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وامامى

وقد اختلف فى تعليل هذا كما فصل فى كتب النحو وكان الظاهر لقوله بعده (يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم) ان يقول رأيتنا فكأنه عدل عنه اشارة الى ان كل أحد مشغول بنفسه لا يرى غيره ومعنى نلوذ نستتر ونلتجئ اليه قال عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا (وهو أقربنا الى العدو) منا لشدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد بالعدو الكفار (وكان من أشد الناس يومئذ بأسا) أى نكاية فى العدو كقوله تعالى والله أشد بأسا وأشد تنكيلا كما قاله الراغب وهذا الحديث أخرجه أحمد والنسائى والبيهقى فى الدلائل من طرق عنه وأخرج مسلم بعضه من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه كما قاله السيوطى فى مناهل الصفا (وقيل كان الشجاع هو الذى يقرب منه صلى الله تعالى عليه وسلم اذا دنا العدو) أى قرب من المسلمين وقت المقابلة (لقربه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أى العدو وهذا من كلام البراء بن عازب رضى الله تعالى عنه الذى رواه مسلم فى صحيحه ولذا قيل ان قول المصنف رحمه الله قيل ليس فى محله لايهامه ضعفه (وعن أنس رضى الله عنه) هذا حديث صحيح اتفق عليه الشيخان (كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أحسن الناس) كلهم خلقا وخلقا (وأجود الناس) أى أكثرهم عطاء واحسانا (وأشجع الناس) افعل تفضيل ولا وجه لما قيل انه للتعجب ثم ذكر ما يدل على شدة شجاعته صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (لقد فزع أهل المدينة) اللام فى جواب قسم مقدر والمدينة مدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم علم لها

ليلة) أى خافوا تبييت العدو لما سمعوا صوتا أجنبيا فى ناحية من نواحى المدينة ولا حاجة الى قول الدلجى من ان الفزع هو فى الاصل الخوف ثم استعير ههنا للنصر والاستغاثة (فانطلق ناس) أى ذهب جمع من أهل المدينة (قبل الصوت) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة أى الى جانبه ونحوه ليتحققوا امابه (فتلقاهم) أى المنطلقين (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) حال كونه (راجعا قد سبقهم الى الصوت) أى منفردا (واستبرأ) ويروى وقد استبرأ (الخبر) أى تعرف حقيقة الاثر وكشف الامر وعرف عدم سبب الضرر وقال التلمسانى استبرأ استقصى بهمز ويسهل وفيه نظر اذ لا يجوز تسهيل الهمز المتحرك المتطرف الا وقفا والاظهر من استبرأ أى بحث عن ذلك واستنقى ماينقى هنالك (على فرس) أى حال كونه راكبا على فرس كائن (لابى طلحة) وهو أحد أصحابه (عرى) بضم فسكون أى لا سرج عليها للاستعجال فى ركوبها والفرس هذا اسمه مندوب كما فى الصحيح (والسيف فى عنقه) أى متقلد به (وهو يقول) أى للمقبلين أولاهل المدينة أجمعين (لن تراعوا) بضم التاء والعين أى لا تخافوا مكروها يصيبكم (وقال) أى كما رواه أبو الشيخ فى الاخلاق (عمران ابن الحصين) وفى نسخة صحيحة حصين الخزاعى وقد كانت الملائكة تصافحه وتسلم عليه حتى اكتوى وقيل كان يراهم (مالقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كتيبة) بفتح كاف وكسر فوقية أى جماعة عظيمة من الجيش (الا كان أول من يضرب) أى يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم ولا ينافى هذا ما سبق من انه عليه الصلاة والسلام ماضرب بيده شيئا قط لا امرأة ولا خادما ولا غيرهما الا انه مامن عام الا وخص فالمراد به ماعدا الكفار (ولما رآه أبى بن خلف) على مارواه ابن سعد والبيهقى وعبد الرزاق مرسلا والواقدى موصولا (يوم أحد

بالغلبة والفزع انقباض ونفار يعترى المرء مما يخاف وهو قريب من الجزع ولذا يقال خفت الله ولا يقال فزعت من الله تعالى كما قاله الراغب قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر أى من دخول النار ويكون الفزع بمعنى الاستغاثة قال * كنا اذا ما أتانا صارخ فزع (ليلة) منصوب على الظرفية أى فى ليلة (فانطلق ناس) أى خرجوا من المدينة (قبل) بكسر القاف وفتح الباء بمعنى الجانب والجهة ظرف أى نحوه يقال ذهب قبل السوق قال الله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويكون بمعنى عند يقال لى قبله حق ويستعار للوسع والطاقة نحو فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها (الصوت) أى الذى سمعوه وخرجوا ليعرفوا خبره لظنهم انه عدو غار على من هنالك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج قبلهم وحده لذلك فعرف ذلك ورجع (فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم) حال كونه (راجعا) من جانب سمع الصوت منه (قد سبقهم الى الصوت) أى المكان الذى سمع الصوت من جهته (وقد استبرأ الخبر) بمهملة ومثناة فوقية وموحدة وهمزة وقد تبدل ألفا أى وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقته وفى الاساس استبرأت الشئ طلبت آخره لاقطع الشبهة عنى واستبرأ الارض قطعها انتهى حال كونه راكبا (على فرس لابى طلحة) زيد بن سهل بن الاسود بن حرام الانصارى الصحابى وكان ذلك الفرس يسمى المندوب أى المطلوب أو لانه كان فيه ندب أى أثر جرح (عرى) بضم العين وسكون الراء المهملتين مجرور صفة فرس ويقال فى الآدمى عريانا اذا لم يكن له لباس ولغيره عرى وقيل انه عرى بضم العين وكسر الراء وتشديد المثناة التحتية بمعنى عرى وليس فى اللغة مايساعده أى ليس على ظهره شئ من سرج أو غيره قال فى المغرب فرس عرى لا سرج عليه ولا لبد وجمعها اعرى لا يقال فرس عريانا كما لا يقال رجل عرى وأعرورى الدابة ركبها عريانا ومنه كان عليه الصلاة والسلام يركب الحمار معروريا وهو حال من ضمير الفاعل المستكن ولو كان من المفعول لقيل معرورى (والسيف فى عنقه) أى حمائله معلقة فى عنقه الشريف متقلدا به صلى الله تعالى عليه وسلم * واعلم ان هذا هو السنة فى حمل السيف كما قاله ابن الجوزى لا شده فى وسطه كما هو المعروف الآن (وهو يقول) لمن لقيه من أهل الفزع (لن تراعوا) لن هنا بمعنى لم ونفى الروع بفتح الراء بمعنى الخوف والمراد نفى سببه أى ليس هنالك شئ تخافونه واستدل بهذا الحديث على طهارة عرق الخيل وهذا حديث صحيح فى الصحيحين (وقال عمران بن حصين) بكسر العين المهملة وسكون الميم وراء مهملة وحصين بمهملتين كتصغير حصن وهو صحابى خزاعى كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم رضى الله تعالى عنه (مالقى النبى صلى الله عليه وسلم كتيبة) بفتح الكاف وكسر التاء المثناة فوقية وبالمثناة التحتية وباء موحدة هى الجيش المجتمع وقيل جماعة الخيل المغيرة من تكتبوا بمعنى تجمعوا ومنه الكتاب لجمعه الحروف (الا كان أول من يضرب) بسيفه ويقاتل وهو من قصر الصفة على الموصوف وهذا الحديث رواه أبو الشيخ فى الاخلاق وفيه راو مجهول (ولما رآه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أبى بن خلف يوم أحد) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح الكافر المشهور الذى طعنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحربته فى وقعة أحد فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم وكسر ضلعه كما يأتى فهلك عدو الله وقول المزى فى تهذيبه انه صلى الله تعالى

وهو) أي أبي (يقول أين محمد) سؤال عن مكانه (لانجوت ان نجا) دعاء على نفسه فاجابه الله فاهلكه ونجى حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقدو رد البلاء موكل بالمنطق (وقد كان) أي أبي (يقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي قبل ذلك (حين افتدى) أي فك نفسه باعطائه الفدية عنها (يوم بدر) متعلق بافتدى وظرف لقوله وهو (عندي فرس) أي عظيمة اسمها العود على ما في رواية (أعلفها) بفتح همز وكسر لام أي أطعمها من العلف وأصل الفرس للانثى وقد يطلق على الذكر (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء ويسكن كيلا يسع ثلاثة أصبع (من ذرة) بضم ذال معجمة وتخفيف راء نوع من الحبوب مختص بالدواب وفي النهاية لابن الاثير ان الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا وهي اثنا عشر مدا وثلاثة أصبع عند أهل الحجاز واما الفرق بالسكون فمائة وعشرون رطلا (اقتلك عليها) أي أريد ان اقتلك حال كوني عليها (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أقتلك) أي عليها أو على غيرها (ان شاء الله) وقد نال هواه بصدق متمناه والاستثناء امتثال لقوله سبحانه وتعالى ولا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وهذه جمل معترضة بين لما وما دل على جوابها من افادة صدورها في بدر قبل

لانه

رؤيته له في أحد (فلما رآه) أي أبي بن خلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد شد أبي على فرسه) جواب لما الثانية دال على جواب الاولى كقوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بعد قوله ولما جاءهم كتاب الآية والمعنى هنا حمل أبي مستعليا عليها بقوة كائنة (على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

عليه وسلم أخبر بانه يقتل أبي بن خلف فخدشه يوم بدر أو أحد فمات ذكره بالترديد بين بدر وأحد لا وجه له ويوم أحد ظرف لرؤيته (وهو يقول) حال من أبي (أين محمد) سؤال عن المكان * فان قلت كيف يسئل عن مكانه وهو قال انه رآه * قلت ان السؤال ليس على حقيقته بل مجاز عن تمكنه منه وظفره به أو التقدير أين يذهب محمد او الظرف ممتد ووقع جميع ذلك فيه فهو في وقت واحد وان تقدم وتأخر (لانجوت ان نجا) دعا على نفسه بالهلاك ان نجا الله تعالى حبيبه ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أجاب الله دعاءه فاهلكه ونجا رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والفال موكل بالمنطق (وقد كان) أبي (يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر) قيل يوم بدل من حين وافتدى مبني للفاعل ومفعوله محذوف أي افتدى أسيراله وهو ابنه عبد الله والافتداء اعطاء الفدية لافتكاك الاسير فالمراد بحين الافتداء يوم بدر بتمامه لا الزمان الضيق الذي وقع الافتداء يوم بدر فيه لان الظاهر انه لم يقل وعيده له صلى الله تعالى عليه وسلم الآتي الا قبل ان يفتدي لا حين الافتداء وقيل يوم بدر ظرف لمحذوف يدل عليه افتدى أي افتدى أسيره يوم بدر فهو متعلق باسيره أي من أسر يوم بدر وهو ابنه ولا يستقيم كونه بدلا من حين لان الافتداء وقع بعد وقعة بدر بالمدينة وأبي قال ما قال حين افتدى لا بعده وكان من قال ان ذلك وقع قبل ان يفتدي ظن ان الكفار لم يكونوا يدخلون المدينة بالامان فالاسر وقع ببدر والافتداء بالمدينة فلا تتأتى البدلية فتأمل (عندي فرس أعلفها) الفرس يقع على الذكر والانثى وانثها هنا لانها كانت انثى وقد ورد في الحديث تذكيرها وتأنيثها بحسب المراد والقرائن وقال التلمساني أعلفها هو الصواب وفي السير أعلفه بضمير المذكر وأصل الفرس الانثى وقد يقال للانثى فرسة وهو كلام مشوش والذي في الصحاح انه يقع على الذكر والانثى ويصغر على فريس وان أردت الانثى خاصة لم تقل الا فريسة بالهاء عن أبي بكر بن السراج انتهى فلا وجه لقوله الصواب واسم فرسه العود بوزن الضرب وعينه وداله مهملتان والعلف مأكول الحيوان (كل يوم فرقا) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها وقيل لا يجوز وهو مكيال يسع ستة عشر رطلا وتحريكه وتسكينه بمعنى وقيل المسكن مائة وعشرون رطلا والمحرك ستة عشر رطلا (من ذرة) بيان للفرق بضم الذال المعجمة وفتح الراء المهملة المخففة وهاء نوع من الحبوب معروف وقيل ان غزوة أحد كانت في شوال سنة ثلاث وقيل الظاهر ان المراد هنا الفرق بالتحريك لان الفرس لا يعلف ذلك المقدار كما لا يخفى (أقتلك عليها) صفة بعد صفة أو هي جملة مستأنفة في جواب سؤال مقدر وقيل انها حال وهو بعيد وان صح ان يكون حالا منتظرة (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أقتلك ان شاء الله) فحقق ما أوعده وكان انما علف فرسه لشوقه لهلاكه سريعا كالحافر بظلفه على حتفه ولكل باغ مصرع (فلما رآه) أي رأى أبي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم أحد) اليوم على ظاهره أو بمعنى مطلق الزمان أو المراد به الواقعة على حد قولهم أيام العرب (شد أبي) بن خلف الشقي أي عدا وأسرع قال الراغب يقال شد فلان واشتد اذا أسرع ويجوز ان يكون من قولهم اشتدت الريح وأصل معنى الشدة القوة (على فرسه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الجاران متعلقان بشد وان كان لا يجوز تعلق حرفي جر بمعنى بمتعلق واحد اما

فاعترضه) أى حال بين أبى وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم (رجال من المسلمين) أى يصدونه عنه ويدفعونه منه (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لاصحابه (هكذا) أى مشيرا الى جانب أبى (أى خلوا طريقه) أى أبى فان جوابه على والمعنى تنحوا عنه ولا تحولوا بينى وبينه (وتناول الحربة) أى أخذها (من الحارث بن الصمة) بكسر الصاد وتشديد الميم فقاء أبو عمرو بن عتيك الخزرجى الانصارى أبو سعد آخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينه وبين صهيب وكسر بالروحاء فى غزوة بدر فرده عليه السلام ثم ضرب له باجره وسهمه وثبت معه عليه الصلاة والسلام يوم أحد هذا وقال ابن الاثير فى النهاية ان كعب بن مالك ناوله الحربة ولا منع من الجمع (فانتفض بها) أى حرك بالحربة (انتفاضة) أى تحريكا شديدا وهزا شديدا (تطايروا) من الطيران أى تنحوا وتبعدوا (عنه) أى تفرقوا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو عن أبى والمتفرقون أما المسلمون واقتصر عليه الانطاكى وأما المشركون وهو أبلغ وأنسب بقوله (تطاير الشعراء) بفتح المعجمة وسكون المهملة وبالمد جمعه شعر بضم فسكون أى كتطاير ذباب أحمر أو أزرق يقع على الحيوان فيؤذيه أذى شديدا وفى رواية تطاير العشار برقال صاحب النهاية وفى الحديث تطاير الشعر بضم الشين وسكون العين وهو جمع الشعراء ويروى الشعارير وقياس واحده شعرور انتهى قال التلمسانى قوله الشعر هكذا بخط القاضى فى الاصل وفى تصحيح أبى العباس العرفى الشعراء (عن ظهر البعير اذا انتفض) أى تحرك البعير تحركا شديدا

لانه قيد الشدو العدو بانه على فرسه لا على رجليه ثم قيده به بعد تقييده بالاول فى تغاير المتعلق معنى لان الاول يقيده وهو مطلق والثانى تعلق بالمقيد كما حققه صاحب الكشاف فى قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا أو الاول مستقر حال أى راكبا على فرسه والثانى لغو وشد جواب لما الثانية دالا على جواب الاولى (فاعترضه رجال من المسلمين) أى حالوا بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليدفعوه ويصدوه عنه أو قصدوا نحوه وجهته (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا) أى تنحوا ولا تحولوا وتعترضوا بينى وبينه فهكذا هنا اسم فعل أمر بمعنى أتركوا سبيله قال السهيلى رحمه الله تعالى فلا يعمل فيه ما قبله كما اذا قلت جلس هكذا أى على هذه الحالة أو يقدر له عامل تقديره ارجعوا هكذا ثم استغنى عنه وقام هكذا مقامه وأصله مركب من هاء التنبيه وكاف التشبيه وذا اسم اشارة والى كونه انسلخ عن معناه أشار بقوله (أى خلوا طريقه) أى اجعلوها خالية من حائل بينى وبينه (وتناول) أى أخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بيده (الحربة) بوزن الضربة وهى واحدة الحراب بوزن رجال وهى قناة صغيرة سميت بها لانها من آلات الحرب وقيل ان هذه الحربة كانت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان لا يرى مشاركة فى جهاده وسفره فى سبيل الله ولهذا اشترى من أبى بكر رضى الله تعالى عنه راحلته التى هاجر بها والاظهر انها كانت للحارث وربما استعان بغيره من أصحابه كما أشار اليه بقوله (من الحارث ابن الصمة) بكسر الصاد المهملة وفتح الميم المشددة وهاء التأنيث ومعناه الشجاع المصمم فى أموره ثم نقل علما وهو أعنى الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الانصارى الصحابى شهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بدرا وغيرها من المشاهد وقتل ببئر معونة وذكر ابن الاثير ان الذى ناول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحربة كعب بن مالك وبين الروايتين مخالفة وجمع بينهما بانه تناولها من أحدهما فسقطت منه فناولها له الآخر أو ان أحدهما وهو الذى معه الحربة كان بعيدا منه فناولها آخر قريبا منه فسلمها له بيده ولا بد من التوفيق فان الروايتان صحيحتان والقصة واحدة (فانتفض بها انتفاضة) أصل معنى النفض بالنون والفاء والضاد المعجمة ازالة الغبار ونحوه عن ثوب أو شجر قال أبو ذؤيب

تنفض مهده وتذود عنه * وما تغنى التمائم والعكوف

ويقال نفض وانتفض اذا اهتز ونفض الصبغ اذا أثر لونه فى غيره وذكر نصيب عن بناته فقال

* نفضت عليهن لونى * وقلت فى أول قصيدة

نفضت على صباغها أيام * نفض البياض بها قليل قيام

وهو هنا استعارة أى قام بها قومة سريعة وضمير بها للحربة وما قيل انه مستعار من انتفاض الطائر قال * كما انتفض العصور بلله القطر * غير مناسب هنا الا أن يقال باءه للتعدية والمعنى انه هزها وقيل معناه تحرك وحركها والابلغ الاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية يلزمها تشبيههم بانهم كالذباب المؤذى الواقع المتهافت فيفيد هجومهم عليه وتشبيه نهوضهم بفحل اهتز ليل ذبابا وقع عليه لقوله (تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض) وتطايروا بمعنى تفرقوا فارين بسرعة كالطيور والشعراء بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وراء مهملة بعدها همزة ممدودة ذبابة لها ابرة وفى نسخة البرهان بفتح العين الا أنه لم يثبت وقال القتيبى الشعر جمع شعراء وهى ذباب صغار حمر تؤذى

(ثم استقبله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي توجه الى أبي حتى وصله (فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ) بفتح فوقية وهمزة ساكنة بين
دالين مهملتين ثم همزة مفتوحة قيل وأصل الهمزتين هاآن وقيل يبدلان أي تدحرج وقيل تمايل وفي أصل الدلجي

الدواب وقيل زرق وقيل كثيرة الشعر وفي رواية تطاير الشعارير وهي جمع بمعنى الشعر وقياس واحده
شعروي وقيل هي ذباب يجتمع على دبر البعير وفي الروض الانف الشعراء ذباب صغير له لدغ وفي المثل
وقيل للذئب ما تقول في غنيمة تحرسها جويرية قال شحم في ظفر قيل فما تقول في غنيمة يحرسها غلام
قال شعراء في ابطي أخشى خطواته وهي سهام تتعلم الغلمان بها الرومي وروى فزجله بالحربة أي رمى بها
انتهى قيل رواية الشعراء أنسب لان الواحد لا يتطاير * أقول هذه زبدة القيل والقال وما أنكر من
فتح العين لا وجه له فان تحريكه لحرف الحلق لغة قال بعض النحاة انها لغة مطردة فيقولون في بحر وشعر بحر
وشعر والشعراء ليس مفردا بل اسم جمع كالطرفاء فلا وجه لما قيل ان الانسب الشعر وقول بعضهم
الشعراء جمع شعر كأنه تحريف واعلم ان ضمير تطاير والكفار الذين كانوا اهجموا امام أبي وقيل انه
للصحابة رضي الله تعالى عنهم وتطايرهم عنه صلى الله تعالى عليه وسلم باذنه ليكشفوا له عن أبي ولا يخفى انه
لا يناسب هذا التوجيه تشبيههم بالشعراء ولا تطايرهم كما لا يخفى (ثم استقبله) أي قام النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم ومشى اليه بالحربة (فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا) تدأدأ بمثناة فوقية
ودالين مهملتين وهمزتين أي تدحرج وسقط وقيل مال وضمير منها للطعنة ومثله تدهده وقيل الهاء
بدل من الهمزة وفي رواية تردى أي وقع (وقيل) لم يطعنه صلى الله تعالى عليه وسلم في عنقه (بل كسر
ضلعا من أضلاعه) بكسر الضاد المعجمة وفتح اللام ويجوز تسكينها مع كسر الضاد وفتحها عظم
معروف وقال الاخفش في الجنب الايمن تسع اضلاع وفي الايسر ثمان وما نقص منه تام في النساء وهو
الذي خلقت منه حواء ولذا روي عن أبي حنيفة في الخنثى المشكل انه يحكم فيه بانه أنثى بتمام اضلاعه
وعكسه وقال التلمساني رواية طعنه أقوى لان المعروف الطعن بالرمح وفيه نظر وقيل انه صلى الله
تعالى عليه وسلم طعنه فوقع عن فرسه فكسر ضلعه وفيه جمع بين الروايتين وهو حسن (فرجع) أبي
(الى قريش) وهو (يقول قتلني محمد) جملة يقول حالية أي قائلا وعبر بالماضي لتحققه الموت (وهم
يقولون لا بأس بك) البأس بهمزة ساكنة وتبدل ألفا كما مر وهو اسم لا مبني على الفتح والبأس الشدة
والموت والالم وهذا هو المناسب ويقال لا بأس عليك ولا بأس بك للتسلية أو الدعاء له بان لا يصيبه شئ
من البأس وفي نسخة عليك بدل بك وهما بمعنى (فقال لو كان ما بي) من الالم والشدة التي أجدها في نفسي
موزعا وحالا (بجميع الناس لقتلهم) فكيف أتحمل أنا وحدي هذا وأسلم منه (أليس قد قال) صلى
الله تعالى عليه وسلم حين توعده (أنا أقتلك) قيل أصله أقتلك أنا فقدم المسند اليه للحصر أي أنا لا غيري
أقتلك وحدي لا يشاركني أحد ولا يساعدني في قتلك الا الله حتى قيل ان قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى نزلت فالقصر قصر افراد والظاهر أنه قصر قلب فهو المناسب للرد عليه أي أنا أقتلك
لا أنت تقتلني فتدبر (والله لو بصق على لقتلني) البصق رمى ماء الفم ويقال بالصاد والسين والزاي
وانما قال ذلك لتحقق صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قاله (فمات) الملعون من تلك الطعنة
(بسرف) بسين مهملة مفتوحة وراء مهملة مكسورة وفاء اسم موضع وقيل اسم جبل قريب من مكة
على ستة اميال أو سبعة أو تسعة أو اثني عشر على اختلاف فيه واسم مكان موته مناسب له لانه كان مسرفا
على نفسه كما قيل اختبر الارض باسمائها * واختبر الصاحب بالصاحب
(في قفولهم) أي الكفار (الى مكة) أي مات وقد رجعوا من أحد الى مكة والقفول معناه الرجوع

تردى أي سقط (منها) أي من أجل ضربة تلك الحربة (عن فرسه مرارا) لما غشيه من مرارة الالم وحرارة الهم (وقيل بل كسر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوة ضربه (ضلعا) بكسر معجمة ففتح لام وتسكن أي واحدا (من اضلاعه) أي عظام أحد جوانبه (فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك) وفي نسخة عليك (فقال لو كان ما بي) أي لو نزل مثل ما معي من الالم (بجميع الناس لقتلهم) أي صار سببا لقتلهم (أليس قد قال أنا أقتلك) أي بقيد ان شاء الله تعالى (والله لو بصق على) أي لو رمى ببزاقه على بدني بقصد قتلي (لقتلني) أي ابرارا لكلامه واظهارا لمرامه (فمات) أي أبي المسرف في عمره للاشتغال بكفره (بسرف) بفتح مهملة وكسر راء ففاء ممنوعا ويجوز صرفه مكان على ستة أميال من مكة كان فيه زواج ميمونة زوج النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم في عمرة القضاء واتفق انها ماتت به بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
وفيه قبرها وبني مسجد عليها (في قفولهم) بضم قاف ففاء أي رجوع الكفار من أحد وهو معهم وفي أصل الدلجي من رجوعه (الى
مكة ولا ينافيه ما ذكره البغوي في تفسيره انه مات بمكة لان سرف

وتسميتهم

من تو ابعها هذا وقد قال النسفي في تفسيره ولم يقتل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده غيره انتهى وبالجملة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشجع الناس كما يومي اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار مع ما ورد من اعطائه قوة ثلاثين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحابه من المهاجرين والانصار رضى الله تعالى عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية التي تعجز عنها القوى البشرية والملكية هذا وقيل الشجاعة صبر ساعة وقيل الشجاع هو الذي يميز النصراني الذي يقصده هل هو أكحل الحدقة أو أزرقها عند المقابلة وقيل هو الذي يميز كيف أمسك عدوه الرمح وقيل هو الذي يأتي عدوه وهو يسير السير الرفيق الذي يسير به بين بيوت قومه ونقل عن بعض الشجعان انه اذا رأى القوم مقبلين اليه نزل عن فرسه وتوسد حتى اذا وصلوا اليه نهض نحوهم وسالوه عن حالته في المطاعنة فقال ما ضربت قط برمحي الا وأنا أميز بين ان أضرب به قائم السن أو منبسطا أو أتخير حيث أضرب وهذا نهاية الشجاعة والاقدام وقد سبق نزوله عليه الصلاة والسلام في أثناء محاربة الاقوام وقال مهلهل في هذا المرام لم يطيقوا ان ينزلوا فنزلنا وأخو الحرب من أطاق النزولا

(فصل)

(وأما الحياء) وهى حالة تعترى من له الحياة الكاملة وقال ابن دقيق العيد الحياء تغير وانكسار يعرض للانسان لخوف ما يعاب به أو يذم عليه وقيل الحياء حالة تنشأ عن رؤية التقصير (والاغضاء) وهو لغة ارخاء الجفن الى حيث يقارب الانطباق فهو دون الاغماض وقد يتوافقان معنى ومنه قوله تعالى الأن تغمضوا فيه ومنه قول الفرزدق في علي بن الحسين

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الاحين يبتسم

(فالحياء رقة تعترى وجه الانسان) أى تغشاه والمعنى تظهر من باطنه على ظاهره (عند فعل ما يتوقع) بصيغة المفعول أى عند ارادة فعل شئ يتوقع (كراهته) وفي نسخة كراهيته بزيادة ياء مخففة أو مشددة (أوما) أى أو عند ارادة فعل شئ (يكون تركه خيرا من فعله) والاول حياء الابرار والثاني حياء الاحرار واذا وصف به ربنا سبحانه وتعالى كما ورد في الكتاب والسنة فالمراد به الترك اللازم للانقباض (والاغضاء التغافل) أى التجاوز (عما يكره الانسان بطبيعته) أى بسجيته لا بشريعته اذ المكره شرعا هو الداعي الى الدين فان الدين النصيحة ولان الحياء من العلم مذموم على ما في رواية الصحيحة (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس) أى أقواهم (حياء وأكثرهم) بالنصب (عن العورات) متعلق بقوله

وتسميتهم القافلة قافلة تفاؤلا برجوعها كما سمى الملدوغ سليما فانكار الحريري وتخطئته فيه لا وجه له وهذا الحديث صحيح رواه البيهقي في الدلائل عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب مرسلا وعبد الرزاق في مصنفه والواقدي في مغازيه وابن سعد في طبقاته وقيل انه قال هذه المقالة بمكة لما خلص ابنه من الاسر ورجع به وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول انه مات ببطن رابغ وان أسيرا من المسلمين مر وهو أسير برابغ فرأى بعد هدو من الليل نارا فهابها فلما دنا منها خرج رجل في سلسلة يصيح العطش ومعه رجل يقول لا تسقه فانه أبي بن خلف قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت سحقا له

(فصل وأما الحياء والاغضاء) الحياء ممدود وهو في اللغة ضد الوقاحة وفعله استحيي يستحيي بياءين وتحذف احداهما تخفيفا والاغضاء أصل معناه ارخاء الجفون قريبا من الانطباق وهما متغايران لغة وعرفا ويدل عليه قول الفرزدق

يغضى حياء ويغضى من مهابته * فما يكلم الاحين يبتسم

(فالحياء رقة) الرقة ضد الغلظ ورقة القلب أن لا يكون فيه قسوة وجفاء قال الراغب الرقة كالدقة لكن الدقة تقال باعتبار جوانب الشئ والرقة باعتبار عمقه وهى في الجسم ضد الصفاقة وفي النفس تضاد الجفوة والقسوة (تعترى) أى تعرض وتحدث (وجه الانسان) فيكون فيه ما يدل عليه كحمرته عند الخجل (عند فعل ما يتوقع كراهته) لم يقل ما يكره لان من يراه قد لا يكرهه فالمراد ما من شانه أن يكره (أو ما يكون تركه خيرا من فعله) وان لم يكره وقال الراغب الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها وفي الحديث (ان الله يستحي من ذى الشيبة المسلم أن يعذبه) وليس المراد به انقباض النفس لتنزه الله سبحانه وتعالى عنه وانما المراد به ترك تعذيبه وقال النووي هو خلق يمنع من القبيح ومن التقصير في الحقوق وقال الزمخشري هو تغير وانكسار يلحق من فعل أو ترك ما يذم به وله تفصيل في تفسير البيضاوي كما بيناه في حواشيه فانظره (والاغضاء) في عرف اللغة (التغافل) أى اظهار الغفلة عما ليست فيه والمراد التجاوز (عما يكرهه الانسان بطبيعته) وان لم يكره شرعا (وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات) جمع عورة وهى كل ما يقبح اظهاره ولذا

(أغضاء) وأخر مراعاة للسجع ونصب حياء واغضاء على التمييز وأثر الحياء بالاشدية لكونه سببا للاغضاء والسبب أقوى من مسببه لكونه منشاه و بعض اثره والعورات بسكون الواو جمع عورة وهى كل ما يجب ستره اذ الغالب عند كشفها ادراك المعرة لمن انكشفت منه فهى عورة مادامت منكشفة ومنه ما ورد اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا (قال الله سبحانه وتعالى ان ذالكم) أى مكثكم فى بيته مستأنسين لحديث بعضكم بعضا (كان يؤذى النبى) أى وأنتم ما تدركونه (فيستحيى منكم) أى من اخراجكم (الآية) أى قوله تعالى والله لا يستحيى من الحق أى من اظهاره فلا يترك بيان اسراره وكفى به شاهدا للعقلاء فى تاديب الثقلاء (حدثنا أبو محمد ابن عتاب) بفتح مهملة وتشديد فوقية وقد تقدم ترجمته (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتى عليه) أى الحديث الآتى (ثنا) أى حدثنا (أبو القاسم حاتم بن محمد) أى التميمى المعروف بابن الطرابلسى قرأ عليه أبو على الغسانى البخارى مرات (ثنا أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون راء وفتح واو فزاى (ثنا محمد بن يوسف) أى الفربرى (ثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى (ثنا عبدان) بفتح مهملة وسكون موحدة فدال يقال تصدق بالف ألف (ثنا عبد الله) أى ابن المبارك المروزى شيخ خراسان وقال الحبى أبوه تركى مولى تاجر وأمه خوارزمية وقبره بهيت يزار و يتبرك به (انا) أى أخبرنا (شعبة عن قتادة سمعت عبد الله) أى ابن أبى عتبة (مولى أنس) أى ابن مالك (يحدث عن أبى سعيد الخدرى) كما فى الصحيحين وأخرجه الترمذى فى الشمائل وابن ماجه فى الزهد

كنى عن سوأة الانسان وعن المرأة بالعورة وهى مأخوذة من العار (اغضاء) أى سكوتا وتجاوزا والاغضاء يتعدى بعن وعلى وعبر فى جانب الحياء بالاشدية وفى الاغضاء بالاكثرية لان الحياء كيفية نفسانية تنشأ عنها كيفية حسية تقبل الشدة والضعف والاغضاء فعل من الافعال يكثر ولا تزيد كيفيته من حيث هو وقيل لان الاغضاء نوع احتمال وحلم وعفو عمن وقع فى مكروه وهو مسبب عن الحياء والسبب أقوى باعتبار انه منشأ للمسبب عنه وفيه نظر ثم استدل على ان هذه الصفة الجيدة موجودة فيه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (قال الله سبحانه وتعالى ان ذالكم) أى مكثهم فى بيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستأنسين لحديث بعضهم لبعض (كان يؤذى النبى فيستحيى منكم الآية) والله لا يستحيى من الحق وكان صلى الله تعالى عليه وسلم بنى بزينب بنت جحش وأولم بشاة وتمر وسويق وأمر أنسا بدعوة الصحابة لذلك فدعاهم فجعلوا يجيئون و يأكلون ويخرجون ويجىء آخرون الى ان بقى ثلاثة نفر فاطالوا المكث يتحدثون فتأذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وكان شديد الحياء فنزلت الآية فى حقهم أى ان ذالكم اللبث كان يؤذى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لضيق منزله فيستحيى منكم أن يأمركم بالخروج منه وهذا من الآداب الشرعية فيستحب لمن زار أحدا ولو بدعوة أن يظهر القيام للذهاب ثم يذهب مالم يقل له امكث عندى وقد قال السلف رحمهم الله تعالى من زار وخفف وقيل لبعضهم هل نزل فى الثقلاء قرآن فقال نعم فاذا طعمتم فانتشروا وللسيوطى تاليف لطيف فى هذا (حدثنا أبو محمد بن عتاب بقراءتى عليه) تقدمت ترجمته وقيد روايته عنه بقراءته عليه وهو يسمع وهو العرض والصحيح صحة ذلك الا أنه اختلف فى كونها دون قراءة الشيخ أو مثلها أو فوقها على ثلاثة أقوال وتفصيله فى ابن الصلاح قال (حدثنا أبو القاسم حاتم بن محمد) بن عبد الرحمن بن حاتم المعروف بابن الطرابلسى وتكنيته بابى القاسم غير منكر وهة لاختصاصه بحياته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانه انما يكره الجمع بين الاسم والكنية والخلاف فيه مشهور كما سيأتى قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) ابن محمد بن خلف الامام الحافظ منسوب لقابس بلدة بالمغرب وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو زيد المروزى) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح الواو والزاى تقدم الكلام فيه وفى نسبته قال (حدثنا محمد بن يوسف) هو الفربرى وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو البخارى وقد روى هذا الحديث مسندا فى صفته صلى الله عليه وسلم وكذا أخرجه مسلم فى قضائه قال (حدثنا عبدان) بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة وألف ونون وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبى رواد العتكى المروزى أبو عبد الرحمن الحافظ توفى سنة احدى وعشرين ومائتين وخرج له أصحاب الكتب الستة قال (أنبأنا عبد الله) بن المبارك بن واضح الحنظلى التميمى الزاهد شيخ خراسان ومسندها له مناقب مشهورة وروى عنه أصحاب الكتب الستة وغيرهم وتوفى سنة احدى وثمانين ومائة وولد سنة ثمانية عشر ومائة وقبره بهيت يزار قال (أخبرنا شعبة) تقدمت ترجمته (عن قتادة) تقدم أيضا (قال سمعت عبد الله مولى أنس) هو ابن أبى عتبة مولى أنس رضى الله تعالى عنه وقيل اسمه عبيد الله مصغرا وذكره ابن حبان فى الثقات مكبرا وهو يروى عن أنس وعائشة رضى الله تعالى عنهما وروى عنه كثير وأخرج له أصحاب الكتب الستة وهو بصرى صدوق ثقة (يحدث عن أبى سعيد الخدرى) ابن مالك

ابن سنان الخدرى وقد تقدم الكلام عليه وان الخدرى بدال مهملة (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشد حياء من العذراء فى خدرها) وهذا الحديث صحيح أخرجه الشيخان والترمذى وابن ماجة والمصنف أخرجه من طريق البخارى وحياء ممدود تقدم معناه و بالقصر المطر وهو منصوب على التميز المحول عن الفاعل والعذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة ومد البكر الباقية بعذرتها وهى جلدة يلتحم بها الفرج فاذا جومعت زالت فيقال افتضها وازال عذرتها ومنه يقال لمن فعل مالم يسبق اليه أبو عذره وأبو عذرته والخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال و بالراء المهملتين هو البيت اوستر فى جانب البيت أو قبة تضرب لها * فان قلت البكر فى خبائها بين اهلها وابويها وهى لاتحتجب عنهم ولاتستحى منهم كاستحيائها من الاجانب فكان الظاهر ان يقال العذراء فى غير خدرها لما فيه من المبالغة * قلت المراد بكونها فى خدرها انها لم تخرج بسبى وتزوج ونحوه لانها اذا خرجت بذلك قل حياؤها وزال حجابها وقيل المراد التعميم وان العذراء فى خدرها اشد حياء لكونه مظنة الاجتماع بها والظاهر ان المراد تقييده بما اذا دخل عليها فى خدرها الاحيث تكون منفردة قاله ابن حجر ولايخفى ما فيه فانه لادلالة فى اللفظ على ما قاله فالحق ما سمعته اولا (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه بعلامات تلوح فى وجهه الشريف كتغيره وغض بصره ونحوه والمراد انه اذا لم يكن فى حدود الله تعالى وحقوقه فلا يؤاخذ احدا بما يكره كما قال الصرصرى

فاق العذارى فى الخدور حياؤه * لاجيد فيه لصاحب اوشانى

(وكان صلى الله تعالى عليه وسلم لطيف البشرة) تقدم معنى اللطيف والبشرة بفتح الباء الموحدة والشين المعجمة والراء المهملة هى ظاهر جلد الوجه والجسد كله ومنه البشارة لظهور آثار الفرح بها فى الوجه وهذا كالعلة لمعرفة ذلك فى وجهه الشريف لانه صلى الله تعالى عليه وسلم للطف بشرته يظهر فيها ذلك وكذا قوله (رقيق الظاهر) اى ما يظهر من بدنه رقيق يظهر فيه بسرعة آثار الانفعالات النفسية ولاوجه لتفسيرها بانه يستحيى كما قاله التلمسانى (لايشافه أحدا) اى لايكلم صلى الله تعالى عليه وسلم احدا ولا يواجهه (بما يكرهه حياء وكرم نفس) منصوب بمفعول له أى يترك ذلك تكرما منه صلى الله تعالى عليه وسلم لاخوفا ومداراة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) هذا حديث رواه أبو داود فى سننه مسندا (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا) البال هو الحال والشان وما استفهامية مبتدأ وخبر عن البال وجملة يقول حال اومفسرة للبال (ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون او يقولون كذا) اشارة وكناية عما يكره فلا يعين الصانع او القائل وفلان وفلانة كناية عن أسماء الآدميين والفلان والفلانة كناية عن أسماء غيرهم (ينهى عنه ولا يسمى فاعله) بصريح اسمه بل يكنى عنه ونهيه عما انكره مأخوذ من الاستفهام الانكارى وسياق الكلام فى قوله ما بال فلا يقال انه ليس فى الكلام نهى (وروى أنس رضى الله تعالى عنه) هذا الحديث رواه أبو داود

(كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشد حياء من العذراء) بفتح المهملة فسكون المعجمة و بالراء والمد أى حياؤه أشد حياء من البنت العذراء وهى من لم تزل عذرتها اى جلدة بكارتها (فى خدرها) بكسر خاء معجمة وسكون دال مهملة أى حال كونها فى داخل سترها فانها حينئذ أشد حياء من غيرها وذهابه عنها عادة لمخالطتها ولذا نزل سكوتها منزلة اذنها فى باب نكاحها ولو مع وليها (وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه) اى عرفنا انه كرهه بتغير وجهه ولو لم يتكلم بوجهه لان وجهه مثل الشمس والقمر فاذا كره شيأ كسا وجهه ظل كالغيم عليهما (وكان لطيف البشرة) بفتحتين أى رقيق الجلدة العليا اى يتغير بادنى كراهة والجملة كالعلة المبنية للسابق (رقيق الظاهر) تأكيد لما قبله اى يسرع أثر الحياء عليه ولله در القائل

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولا خير فى وجه اذا قل ماؤه

أو معناه كان لينا سهلا رقيقا مهلا (لايشافه) اى لايواجه (احدا بما يكرهه) أى لايخاطبه تصريحا بل يظهره تلويحا أو لايخاطبه حاضرا او يؤيده ما سيأتى وأصل المشافهة هو المخاطبة من فيه الى فيه ثم توسع فيه فقيل بمعنى واجهه ومنه حديث كلمة شفاها (حياء وكرم نفس) أى من أجل كثرة حيائه وكرم نفسه فى سخائه وقد ورد ان الحياء خير كله ولا يأتى الا بخير وانه شعبة من الايمان (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه داود (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن أحد ما يكرهه) اى شئ لايعجبه (لم يقل ما بال فلان) أى حاله وشانه بتعيين اسمه أو وسمه اورسمه (يقول كذا) اى او يفعل كذا (ولكن يقول) أى منكرا له (ما بال اقوام بصيغة الجمع) لافادة عموم الحكم له ولغيره مع الابهام (يصنعون) اى يفعلون (أو يقولون شك) من الراوى أو اراد به تنويع الصنفين من الفعل والقول (كذا اشارة الى ما أنكره ينهى عنه) أى عما انكره تلويحا (ولا يسمى فاعله) اى تصريحا اذ المقصود المعتبر هو نهى المنكر لاخصوص فاعله من البشر (وروى أنس) كما رواه أبو داود

(انه) أي الشأن او النبي عليه السلام (دخل عليه رجل) وهو غير معروف (به أثر صفرة) اى بعينه أو علامة من طيب كزعفران ونحوه (فلم يقل له شيئا) أى مشافهة (وكان لا يواجه أحدا) أى لا يقابله (بما يكره) أى حياء (فلما خرج) أى الرجل (قال) أى لاصحاب مجلسه (لو قلتم له يغسل هذا) اى الاثر الذى به لكان حسنا فالجواب مقدر ولو للتمنى وقوله يغسل خبر معناه الامر أو التقدير ليغسل (و يروى ينزعها) بكسر الزاى أى يزيلها او يفسخ المتلطخ بها وانما كرهها لانها من زى النساء وحليهن واما قول التلمسانى ينزع بفتح الزاى لا غير فوهم بناء على ماهو المفهوم من القاموس انه بكسر الزاى ومنه قوله تعالى ينزع عنهما بكسر الزاى اتفاقا نعم شرط الفتح موجود لكن لا يلزم من وجود الشرط وجود المشروط بخلاف عكسه كما هو مقرر فى محله ثم اعلم ان هذه الاخلاق الحسنة والاوصاف المستحسنة كانت غالبة عليه وسجية داعية اليه فلا ينافيه ماوقع من النوادر لحكمة من ارادة الزواجر ولبيان الجواز فى الظواهر من حديث سواد بن عمر وقال أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشينى بقضيب فى يده الحديث كما رواه المؤلف فى أواخر القسم الثالث والله تعالى أعلم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى (فى الصحيح) اى من الحسن الصحيح فى جامعه وشمائله (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا) اى ذا فحش فى كلامه وهذا يدل على كثرة حيائه وشدة صفائه ويروى فحاشا أي ذا فحش فالصيغة للنسبة لا للمبالغة واصل الفحش هو الخروج عن الحد والفواحش عند العرب القبائح (ولا متفحشا) أى متكلفا له ولله درها اذ نفت عنه الفحش طبعا وتكلفا (ولا صخابا) بتشديد الخاء المعجمة أى ولا صاحب رفع صوت (بالاسواق) لحسن خلقه وكرم نفسه وشرف طبعه وحيائه من ابناء جنسه و يروى فى الاسواق وفيه احتراز عن المساجد لضرورة رفع صوته حال القراءة والخطبة ثم السوق امامن قيام الناس فيها على سوقهم واما من سوق الارزاق اليها

فتشديد

والترمذى والنسائى قالوا (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (دخل عليه رجل به أثر صفرة) الصفرة اللون المعروف والمراد بها لون الورس والزعفران يعنى انه كان خضب بذلك فبقى عليه بقية منها ولم يسم هذا الرجل (فلم يقل له شيئا) من نهيه عن ذلك ونحوه مما يكرهه كما أشار اليه بقوله (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (لا يواجه احدا بما يكره) اى لا يخاطبه شفاها او يقول له فى وجهه شيئا يكرهه وان قال له احيانا فى غيبته (فلما خرج) ذلك الرجل من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال لو قلتم له يغسل هذا) أى أثر الصفرة والخضاب (او ينزعها) بفتح الزاى المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله اذا أزاله والضمير للصفرة والشك من الراوى وهما بمعنى ولو شرطية جوابها محذوف لتذهب النفس كل مذهب وتقديره أصبتم ونحوه وقيل انها مصدرية أى وددت قولكم هذا وخضابه هذا الرجل ان كان فى لحيته دل على منع خضاب اللحية بالحناء ونحوها ولا يعضده ما فى البخارى عن قتادة رضى الله تعالى عنه انه قال سألت أنسا هل خضب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لا انما كان شئ فى صدغيه أى شئ قليل من الشيب لا يحتاج للخضاب لانه لا يدل على تركه لانه منهى عنه شرعا بل لعدم الحاجة اليه وكذا ماروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يخضب قط اى لعدم الحاجة اليه الا انه روى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه رأى شعر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مخضوبا يعنى بعد موته كما نقله ابن الجوزى اما قبله فاختلف فيه الروايات وروى جماعة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخضب بالصفرة والورس والزعفران وكان عمر رضى الله تعالى عنه يفعله وجمع الكرمانى بين الروايات بانه صبغ فى وقت وتركه فى معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وقد أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بالخضاب بالصفرة وحث عليه وفعله وتبعه على ذلك أكابر الصحابة فهو سنة من تركها فقد ترك سنة وانما تركه بعضهم لما فيه من التكلف وهو أحب للنساء وأرهب للعدو وكذا الخضاب بالسواد وقيل ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الخضاب بالسواد وحمل على ما اذا كان فيه تدليس على النساء فما فى هذا الحديث محمول على غير خضاب اللحية بان يحنى يديه ورجليه او يجعل الصفرة فى ثوبه فانه منهى عنه وفى فتاوى شيخ شيوخنا ابن حجر الهيثمى انه ان من غير حاجة كحرب ونحوه حرام لما فيه من التشبه بالنساء وصنف فيه رسالة مستقلة وقوله صلى الله عليه وسلم المتقدم يغسله او ينزعها فيه دليل على انه كان فى ثوبه ولو لم نحمله على هذا أشكل الحديث والشراح لم يتعرضوا له (وقالت عائشة فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح المروى عنها كما أخرجه الترمذى وصححه (لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا) الفحش كل امر قبيح او شديد القبح قولا او فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والمتفحش من يتعمده ويبالغ فيه والظاهر ان المراد به بذاءة اللسان هنا ويؤيده قوله (ولا صخابا بالاسواق) صخاب بفتح

(ولا يجزى) بفتح أوله وكسر الزاى وسكون الياء أى ولا يجازى (بالسيئة السيئة) أى الواصلة إليه الحاصلة منه وسميت الثانية سيئة مشاكلة أو صورة أو لانها خلاف الاولى لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة كما حقق فى قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ومن هنا قالوا حسنات الابرار سيآت الاحرار وهو فى ذلك ممتثل لقوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله (ولكن) وفى نسخة ولكنه (يعفو) أى يمحوها بالباطن (ويصفح) أى يعرض عن صاحبها بالظاهر أو يسامح عن الصغائر والكبائر مما ليس فيه ما حق لأحد لقوله تعالى فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين (وقد حكى) بصيغة المفعول (مثل هذا الكلام) أى فى نعت سيد الانام عليه الصلاة والسلام (عن التوراة من رواية ابن سلام) بتخفيف اللام أحد الصحابة

الكرام من علماء اليهود حيث دخل فى الاسلام (وعبد الله بن عمرو بن العاص) أى ومن روايته أيضا وهو صحابى قرشى كان يطالع كتب العلماء الاعلام وقد جاء فى رواية انه رأى فى منامه ان فى احدى يديه سمنا وفى الاخرى عسلا فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تحفظ الكتابين بحفظ القرآن والتوراة ولهذا سأله عطاء ابن يسار عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة كما فى الصحيح ولعل هذا قبل نزول قوله تعالى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فان فيه لاكتفاء أو ان العسل فيه شفاء والسمن منه داء ودواء (وروى عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الاحياء لكن لم يعرف العراقى وروده فى الانباء (انه كان من حيائه لا يثبت) من التثبيت أو الاثبات أى لا يشبع (بصره فى وجه أحد) أى ناظرا اليه لاستيلاء الحياء عليه (وانه كان يكنى) بضم ياء وتشديد نون أو بفتح وتخفيف أى يلوح ولا يصرح ويعرض (عما اضطره الكلام اليه) أى عن شئ لابد منه ولا يسعه السكوت عنه (عما يكره) بصيغة الفاعل لا المفعول كما ضبطه الحلبى أى مما لا يستحسن التصريح به تخلقا باخلاق ربه واقتداء بآدابه فى نحو أو جاء أحد منكم من الغائط وقوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وكقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث المستيقظ فانه لا يدرى أين باتت يده حيث لم يقل فلعل يده وقعت على دبره أو ذكره أو نجاسة فى بدنه ونظائره كثيرة فى الاحاديث الصحيحة ثم هذا فيما اذا علم ان السامع يفهم المقصود بالكناية والا لكان يصرح لينتفى اللبس والوقوع فى خلاف المطلوب وعلى هذا يحمل ما جاء من ذلك مصرحا به والله أعلم

فتشديد صيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت مبالغة فيه وهو بالصاد والسين وهكذا كلما كان معه حرف حلق يجوز ابداله قياسا مطردا وخص الاسواق لانه فيها أقبح ولانها محله واما فى المنزل ونحوه فلا حاجة اليه (ولا يجزى بالسيئة السيئة) لانه أحق بالاجر من الله على ذلك لانه المنزل عليه فمن عفى وأصلح فأجره على الله ولما كان العفو غير لازم من عدم المجازاة بالفعل أتى بالاستدراك فى قوله (ولكن يعفو ويصفح) يعنى انه صلى الله عليه وسلم كثير العفو فيما لا يكون من الحدود وحقوق الله والعفو ترك المؤاخذة بالذنب والصفح الاعراض عن المسىء بحيث لا يخجله وقد تقدم شرحه وهذا الحديث مروى فى الصحيحين بطريق آخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما عن عطاء بن يسار انه قال له أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة فساقه له فى حديث طويل واليه أشار بقوله (وقد حكى) بالبناء للمجهول (مثل هذا الكلام) الذى قالته عائشة رضى الله تعالى عنها (وعن التوراة من رواية عبد الله بن سلام) بفتحتين مخفف اللام وهو الصحابى المشهور رضى الله عنه (وعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما) وهو وان كان قرشيا لكنه قرأ الكتابين وكان عالما بما فيهما ولذا سألوه عن صفة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيهما وقد اختلف فى تحريف أهل الكتاب كتبهم هل كان بتغيير عبارتها بنقص وزيادة أو انه انما كان بمجرد التأويل وصرف ما فيها عن ظاهره والصحيح ان كلا منهما واقع واذا كان كذلك علم وجه المنع من قراءتها وانه حرام ولا يرد عليه ان بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم كان يقرؤها لانهم يعلمونها قبل اسلامهم وهم لا يخفى عليهم ما غير منها والظاهر انه لا يمنع منه من عرف ذلك وقصد الرد عليهم (وروى عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا ذكره الامام الغزالى فى الاحياء وقال الحافظ انه لم يجده فى كتب الحديث وكذا قال السيوطى رحمه الله تعالى (انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان من حيائه لا يثبت بصره فى وجه أحد) ثبات البصر بمعنى اطالة النظر من غير تخلل اغماض بجفن ونحوه حتى كان بصره صار قارا فى المرئى كما قال المتنبى

وخصر تثبت الابصار فيه * كأن عليه من حدق نطاقا

فتخيل حقيقة الثبات فيه ثم بنى عليه جعله كالنطاق وان كان فيه للادباء كلام (وانه) صلى الله تعالى عليه وسلم (كان يكنى لما اضطره الكلام اليه مما يكره) أى يورد المعنى القبيح عادة بطريق الكناية لشدة حيائه صلى الله تعالى عليه وسلم كقوله حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك لان الجماع وذكره

(وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الترمذى فى الشمائل (مارأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) أى أبدا وهو يدل على كمال الحياء من الجانبين لكنها انما استفادت الحياء الا من حياء سيد الاصفياء وفى رواية عنها مارأيت منه ولا رأى منى بحذف المفعول وتريد العورة وهو نهاية المبالغة منها فى باب حيائها حيث حذفت آلة الكناية عنها وفى الحديث ان من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحى فاصنع ماشئت * وانشدوا اذا لم تخش عاقبة الليالى * ولم تستحى فاصنع ماتشاء فلا والله مافى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء ثم الحياء محمود يجب على الانسان توقيه أو يكره له فعله ومذموم فيما يؤدى الى ترك الواجب أو السنة

(فصل) (واما حسن عشرته) أى معاشرته ومخالطته مع أمته ولو لم يكونوا من عشيرته ٦٠ (وأدبه) الادب طبيعى وهو ماجبل عليه الانسان من الاخلاق السنية والاوصاف الرضية وكسبى وهو مايكتسب من العلوم الدينية والاعمال الاخروية وصوفى وهو ضبط الحواس ومراعاة الانفاس ووهبى وهو حصول العلم اللدنى ومايتعلق به من الكشف الغيبى وهو يجوز رفعه عطفا على المضاف وجره على المضاف اليه وهو الاحسن لحصول تسلط الحسن عليه وكذا قوله (وبسط خلقه) أى نشر اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم ومجمل حسن الخلق هو بسط المحيا وبذل الندا وتحمل الاذى وكمال الصدق والاتصاف باخلاق الحق (مع أصناف الخلق) أى ليتوصل به الى انقيادهم لدينه (فبحيث) بالفاء جواب أما أى فهو بمحل (انتشرت) أى كثرت واشتهرت (به) أى بما ذكر من الامور الثلاثة (الاخبار الصحيحة) وكذا الآثار الصريحة منها خبر الترمذى فى شمائله (قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلاة والسلام) أى فى جملة مامنحه من الصفات الحميدة والنعوت السعيدة (كان أوسع الناس صدرا) أى لايمل ولا يضجر فى الاحتمال مما يرد عليه من الاحوال واختلاف الخلق فى الاقوال والافعال وفى أصل الدلجى كان أجود الناس صدرا قال أى قلبا وفى رواية أوسع الناس صدرا وقال التلمسانى أجود بخط

للمرأة يستحيى منه ومثله فى الحديث كثير (وعن عائشة) الصديقة بنت الصديق (رضى الله تعالى عنها مارأيت فرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قط) مع انه يجوز رؤية كل أحد من الزوجين فرج الآخر وان كان مكروها وفى حديث رواه ابن حبان النظر الى الفرج يورث الطمس أى العمى فقيل عمى الناظر وقيل عمى أولاده وقيل المراد عمى القلب والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة حيائه لم يكشف عورته عند أحد قط كما ورد من كرامتى على الله انه لم يطلع لى على عورة أحد قط فماذكر منطبق على ماسيق له الكلام فان عائشة رضى الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وأقرب الناس وأحبهم اليه وكان يضاجعها وينام عندها فاذا لم ترذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم لزم عدم كشفه عندها فاذا لم يكشف عندها فبالطريق الاولى عند غيرها وانما كنت عن ذلك ولم تصفه تأدبا منها فلله درها فهذا كقولهم لا أرينك هنا فلا ترفع الثياب الا وقد لاصقها فيكون سترة له حينئذ وهذا معنى قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن فلا يتوهم ان عدم رؤيتها لذلك لغض بصرها حياء منه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لاينكشف عندها فافهم

(فصل واما حسن عشرته) بكسر العين المهملة وسكون الشين المعجمة أى اختلاط المرء مع أهله وأصحابه ومعاملتهم (وأدبه) بالرفع معطوف على حسن ويجوز جره ورجحه بعض الشارحين فلما ورد عليه ان الادب لايكون الاحسنا دفعه بان منه مالايحسن كادب أهل الدنيا مع كبارهم وهو أدب بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أدبنى ربى فاحسن تأديبى والادب استعمال مايحمد قولا وفعلا والاخذ بمكارم الاخلاق من المأدبة وهى الطعام الذى يدعى له الناس (وبسط خلقه) تقدم معنى الخلق وانه بضمتين أو ضم فسكون والبسط نشر الشئ وتوسيعه ومنه البساط وورد البسط بمعنى المسرة وعليه استعمالهم وورد فى الحديث فاطمة منى يبسطنى مايبسطها فليس من كلام المولدين كما توهم ومن امثال العامة البسط صدف والمعنى هنا سعة خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز رفعه وجره أيضا والاول أولى وليس بمتعين كما توهم وانما كان معنى بسط الخلق هنا سعته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم نال من الاخلاق الحميدة أقصاها وغايتها وقوله (مع أصناف الخلق) تنازع فيه الالفاظ الثلاثة فهو قيد لجميع ماقبله (فبحيث انتشرت) أى كثرت واشتهرت وهو جواب اما وهو خبر مبتدأ مقدر أى فهو بحيث أى بمحل معلوم لكل أحد (به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله تعالى عنه فى وصفه عليه الصلاة والسلام) فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى فى شمائله (كان أوسع الناس صدرا) المراد بسعة صدره تحمله صلى الله تعالى عليه

المؤلف وأوسع بتصحيح العرفي انتهى لكن النسخ المعتمدة والاصول المصححة على ماقدمناه وهو الموافق لقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك وقوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام وفسر الشراح بمعنى الانشراح والانفساح وقد ورد هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده فسئل هل لذلك من علامة فقال التجافي عن الدنيا والاقبال على العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله (وأصدق الناس لهجة) بفتح فسكون ويفتح أي وكان أصدقهم لسانا وبيانا وفيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان الناس هم الصادقون في الانفاس (وألينهم عريكة) أي وكان أسهلهم طبيعة سلسا منقادا هينا مطواعا (وأكرمهم عشرة) أي صحبة وخلة (حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف) بفتح الراء المشددة (الانماطي) بفتح فسكون نون (فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا) أي حدثنا (أبو اسحق الحبال) بفتح مهملة وتشديد موحدة محدث مصر (ثنا أبو محمد) بالتنوين بن أبدل منه (ابن النحاس) بتشديد الحاء المهملة يعني به عبد الرحمن ابن عمر بن محمد بن سعيد ابن اسحق بن ابراهيم بن يعقوب النحاس المصري (ثنا ابن الاعرابي) أحد من رواة سنن أبي داود عنه (ثنا أبو داود) أي السجستاني صاحب السنن (ثنا هشام) أي ابن خالد بن يزيد وقيل زيد بن مروان (ابن مروان) أي الازرق الدمشقي (ومحمد بن المثنى) على وزن المثنى هو المقري أبو موسى الحافظ عنه البخاري ونحوه (قالا) أي كلاهما (ثنا الوليد بن مسلم) وهو أحد اعلام الشام روى عنه أحمد وغيره قيل صنف سبعين كتابا (ثنا الاوزاعي) روى عنه قتادة ويحيى ابن أبي كثير شيخاه وهو امام أهل الشام في زمنه وكان رأسا في العلم والعبادة واختلف في بيان نسبه ذكر التلمساني ان الامام مالكا كان يقود دابته وهو راكبها وسفيان بن عيينة يسوقها وروى انه أفتى في سبعين ألف مسئلة روى عن كبار التابعين كعطاء ومكحول وعنه قتادة والزهري ويحيى ابن أبي كثير وهم من التابعين وليس هو من التابعين فهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر

وسلم مشاق الناس وكثرة تكاليفهم قال تعالى فلا يكن في صدرك حرج أي ضيق (وأصدق الناس لهجة في الصحاح اللهجة اللسان وقد تحرك فاطلق وأريد به الكلام مجازا مرسلا من اطلاق المحل على الحال ووضع فيه الظاهر مقام الضمير لان كلا منهما صفة مستقلة ولا ينافيه حديث ما من ذي لهجة أصدق من أبي ذر لان المراد تفضيله رضي الله تعالى عنه على أمثاله والصدق ضد الكذب وهو معروف ثم ان في التفضيل في الصدق سؤالا وهو ان الصدق هو المطابقة للواقع فما طابق فهو صادق وما لم يطابق كذب فكيف يتصور التفاوت فيه حتى يكون هذا صادقا وذاك أصدق وهذا انما يرد لو كان التفضيل في كلام واحد وأنواع منه محصورة اما لو أريد كل كلام صدر عن متكلم فلا يرد ما ذكر (وألينهم عريكة) أي أسهل الناس طبعا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم دائما سلس مطاوع منقاد قليل المخالفة لاتهور فيه وأصل العريكة السنام فهو في الاصل مجاز حتى صار حقيقة فيما ذكر (وأكرمهم عشرة) أي يعامل الناس في معاشرته ومخالطته بكريم الاخلاق فيعظم من يستحق التعظيم ويتلطف مع من دونهم (حدثنا أبو الحسن علي بن مشرق) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المشددة وقاف اسمه علي وله ترجمة في الميزان وسمع منه السلفي وفيه كلام (الانماطي) جمع نمط وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج والنسبة الى الجمع على رأي أولانه ملحق بالعلم كالانصاري لان المراد به صيغة مخصوصة وقيل انه على خلاف القياس (فيما أجازنيه وقرأته على غيره) فيه بيان لطريق التحمل وانه رواه عن غيره فانجبر الطعن فيه وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي (قال حدثنا أبو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة وألف ولام وهو الامام الحافظ المتقن محدث مصر أبو اسحق ابراهيم بن سعد بن عبد الله بن النعمان التجيبي الفراء الوراق المصري ولد سنة احدى وتسعين وثلثمائة وسمع من أحمد بن عبد العزيز صاحب المحاملي وغيره ومات في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة وله احدى وتسعون سنة وترجمته مشهورة قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بحاء مهملة مشددة وهو الامام أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد بن اسحق المصري البزار سمع أبا سعيد بن الاعرابي وسليمان بن داود العسكري وجماعة كثيرون وكان ثقة كما قاله ابن ماكولا (حدثنا ابن الاعرابي) هو الامام أبو سعيد الذي يروي سنن أبي داود عنه قال (حدثنا أبو داود) سليمان بن الاشعث صاحب السنن المشهورة قال (حدثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى) هشام بن خالد بن يزيد بن مروان الازرق الدمشقي الثقة الثبت توفي سنة تسع وأربعين ومائتين وترجمته في الميزان ومحمد بن المثنى أبو موسى العنزي الحافظ توفي سنة اثنين وخمسين ومائتين قالا (حدثنا الوليد بن مسلم) الحافظ أحد الاعلام أخرج الجماعة الا أنه رمي بالتدليس قال (حدثنا الاوزاعي) هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد نسب للاوزاع وهي قبيلة من حمير أو اسم قرية وهو عالم فقيه زاهد روى عن عطاء ومكحول وروى عنه كثيرون وأخرج له أصحاب الكتب وهو ثقة وله ترجمة مشهورة

(سمعت يحيى ابن أبي كثير) بفتح فكسر مثلثة ابو نصر اليماني روى عن أنس وجابر كليهما مرسلا وعن أبي سلمة وخلق (يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة) بضم زاي فراءين بينهما ألف والى المدينة روى عنه شعبة وابن عيينة وطائفة وهو أسعد بالهمز وله أخ يقال له سعد بن زرارة (عن قيس بن سعد) أي ابن عبادة وهو أبو عبد الله الخزرجي وهو صاحب الشرطة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم روى عنه الشعبي وابن أبي يعلى وطائفة وكان ضخما مفرط الطول نبيلا جميلا جوادا سيدا من ذوي الرأي والدهاء والتقدم وهو أبو قيس سيد الخزرج واحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة وكان شريف قومه ليس في وجهه شعر ولا لحية وكانت الانصار تقول لوددنا ونشتري لقيس لحية بأموالنا وكان مع ذلك جميلا وكان أسود اللون توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية (قال زارنا) أي ايانا أو واحدا منا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذ كان من عادته تعهد أصحابه وتفقد أحبابه اذ حسن العهد من الايمان وتمام الاحسان (وذكر) أي قيس (قصة) أي طويلة (في آخرها) أي وكان في آخر تلك القصة قوله (فلما أراد) أي النبي عليه الصلاة والسلام (الانصراف) أي الرجوع الى منزله وكان قد جاء على رجله قصد الزيادة أجره (قرب) بتشديد الراء أي قدم (له) وفي نسخة اليه (سعد حمارا) أي ليركبه تلطفا اليه وترحما عليه (وطأ) بتشديد طاء فهمز أي رحل (عليه) أي فوق الحمار (بقطيفة) أي كساء له خمل ومنه تعس عبد القطيفة أي الذي يعملها ويهتم بتحصيلها (فركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) اذا الذهاب الى العبادة حقيقة العبادة بخلاف الاياب فانه من ضروريات العادة ومنه تشييع الاكابر الى الجنازة مشاة ورجوعهم ركبانا (ثم قال سعد) أي لولده (يا قيس أصحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الحاء أي كن في صحبته وخدمته وفي أصل الدلجي أصحبه والظاهر انه اختصار منه غير لائق به كما فعل في كثير من مواضع كتابه (قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) أي أنت أيضا معي أو على دابة أخرى (فأبيت) أي امتنعت تأدبا معه أو حياء منه (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) بكسر اما فيهما (فانصرفت) أي فاخترت أهون الامرين وأحسن الحكمين والحديث رواه أبو داود في الادب والنسائي في اليوم والليلة (وفي رواية أخرى) أي لهما أو لاحدهما أو لغيرهما

(قال سمعت يحيى بن أبي كثير) بزنة كثير ضد القليل وهو من العباد وأئمة الحديث توفي سنة تسع وعشرين ومائة وأخرج له الستة وترجمته في الميزان قال (حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة) بضم الزاء المعجمة وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد والى المدينة وهو ثقة أخرج له الستة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة (عن قيس بن سعد) بن عبادة بن دليم الخزرجي سيد الخزرج وصاحب شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرج له الستة وأحمد وكان من الدهاة وذوي الرأي طويل القامة جميلا جوادا توفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية رضي الله تعالى عنه (قال زارنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) على عادته في تفقد أصحابه وكان سعد بن عبادة دعاه رجل ليلا فخرج له فضربه بسيفه فأشواه فجاءه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعوده (وذكر قصة) هي ما وقع له مع عبد الله بن أبي بن سلول اذ مر به وهو جالس مع اخلاط المسلمين وغيرهم فغشي المجالس غبار دابته صلى الله تعالى عليه وسلم فخمر بن سلول أنفه بردائه وقال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تغبروا علينا ارجع الى رحلك فمن جاءك منا فاقصص عليه فاستب المسلمون مع المشركين حتى هموا ان يتواثبوا فمنعهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب دابته حتى دخل على سعد رضي الله تعالى عنه وذكر ذلك له فقال له يا رسول الله أعف عنه واصفح فلقد اتفق أهل هذه البحيرة على ان يعصبوه فلما رد الله ذلك بالحق الذي جئت به شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (في آخرها) أي آخر القصة (فلما أراد الانصراف قرب له سعد) رضي الله تعالى عنه (حمارا) ليركبه (وطا عليه بقطيفة) هي كساء له وبر وخمل وضعه على ظهر الحمار ووطأه له ليركب عليه ووطأ بتشديد الطاء المهملة وهمزة (فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد) لابنه (يا قيس أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي كن معه في خدمته وفي هذا الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما جاء كان على حمار مردفا خلفه اسامة بن زيد فسعد رضي الله تعالى عنه انما أعطاه حمارا ليركبه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء به ووهب سعد له صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك الحمار (قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اركب) معي على الحمار (فأبيت) الركوب معه تأدبا وفوزا بالمشي في خدمته (فقال اما ان تركب واما ان تنصرف) أي ترجع ولا تمشي معي (فانصرفت) امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم (وفي رواية أخرى) انه عليه السلام قال له (اركب

أمامي

أمامى) بفتح أوله أى قدامى (فصاحب الدابة) أى ولو بالقوة (أولى بمقدمها) بفتح الدال المشددة وقد تخفف أى بالركوب فى صدرها لما جاء فى طرق متعددة صاحب الدابة أحق بصدرها وفى رواية الامن أذن وفى أصل الدلجى أحق بصدرها قال وفى رواية أولى بمقدمها وصنيعه هذا أيضا مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى شمائل الترمذى من حديث هند بن أبى هالة (يؤلفهم) بتشديد اللام أى يوقع الالفة فيما بينهم ويجمعهم كما يستفاد من قوله تعالى فألف بين قلوبكم وهو لا ينافى اسناد التأليف الى الله تعالى فى الآية بل ولو نفى التأليف أيضا فى آية أخرى من قوله تعالى وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم فان الآيتين من قبيل قوله سبحانه وتعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أو المعنى كان يؤلفهم معه ويتألف بهم كما يشير اليه قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية ولما ورد المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف كما رواه أحمد فى مسنده عن سهل بن سعد ورواه الدارقطنى عن جابر ولفظه المؤمن يألف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (ولا ينفرهم) بالتشديد وقيل بكسر الفاء المخففة أى لا يعمل شيأ مما ينفر عنه طباعهم فهو كالتأكيد لما قبله أو المعنى يبشرهم ولا ينفرهم لحديث يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا على ما رواه أحمد والنسائى وابن ماجه عن أنس رضى الله تعالى عنه (ويكرم كريم كل قوم) هو كالتخصيص بعد التعميم وفى حديث رواه ابن ماجه وغيره عن جماعة من الصحابة مرفوعا اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه وفى رواية اذا أتاكم الزائر فأكرموه (ويواليه) بتشديد اللام المكسورة أى يجعله واليا وأميرا (عليهم) ابقاء لما اختاروا لهم (ويحذر الناس) بفتح الذال المعجمة أى يخافهم وتفسيره قوله (ويحترس منهم) أى يحترز من مكر شرارهم لما ظهر فى آثارهم فهو رد الحزم سوء الظن على ما رواه أبو الشيخ فى الثواب عن على كرم الله وجهه وفى رواية احترسوا من الناس بسوء الظن كما رواه الطبرانى فى الاوسط وابن عدى عن أنس رضى الله تعالى عنه (من غير أن يطوى) أى يدفع ويمنع (عن أحد منهم بشره) بكسر الموحدة أى بشاشة وجهه (ولا خلقه) أى ولا طلاقة خلقه وزيادة لا لمبالغة نفيها (يتفقد) وفى نسخة يتعهد (أصحابه) أى يطلبهم ويتجسس أحوالهم بالسؤال عنهم ليعرف المانع عن خدمته وملازمة حضرته منهم فيزور مريضهم ويدعو لغائبهم (ويعطى كل جلسائه) أى جميع من جالسه (نصيبه) أى حظه بسلام أو كلام أو طلاقة وجه والتفات خدا واشارة وبشارة (لا يحسب) بكسر السين وفتحها أو لا يظن (جليسه) أى مجالسه (ان أحدا) أى من جلسائه (أكرم عليه) أى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (منه) أى من ذلك الجليس بحسب حسبانه لما يناله من أنواع الالفة وأصناف المودة وأجناس الكرامة (من جالسه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لمصاحبة ومكالمة

أمامى فصاحب الدابة أحق بصدرها) وهذا وقع هنا فى بعض النسخ والمراد بصدرها مقدمها وفيه دليل على جواز الارداف ولو صاروا ثلاثة اذا لم تكن الدابة ضعيفة لا تطيق ذلك وقيل ما فوق الاثنين مكروه وقوله صاحب الدابة باعتبار ما كان أو هو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعلم بانه وهبها له (وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤلفهم) أى يؤلف المسلمين بايناسهم ومداراتهم ليزداد ايمان من كان قريب عهد بالاسلام وليحسن من كان مخلصا بجبر خاطره والتودد اليه (ولا ينفرهم) أى لا يتلقاهم بما يصير سببا لنفورهم وذهاب من كان قريب عهد من المؤلفة قلوبهم (ويكرم كريم كل قوم) برعايته بما يليق به كما فعل مع عدى بن حاتم وغيره مما فصل فى السير (ويوليه عليهم) أى يجعل شريف القوم واليا عليهم اذا رجعوا من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم لديارهم كما ولى على وفد همدان مالك بن نمط (ويحذر الناس ويحترس منهم) لانه من الحزم أن لا يركن لكل أحد حتى يجربه (من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره) أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم مع احتراسه منهم يلقاهم ببشره وبشاشته ولا يغير حاله معهم فشبه بشره وايناسه ببساط ممتد لهم فلا يطوى عنهم ما داموا عنده كما قال الشاعر

انما مجلس الندامى بساط * فاذا ما مضى طوينا بساطه

(ولا خلقه) المعهود منه صلى الله تعالى عليه وسلم (يتفقد أصحابه) أى من فقده من أصحابه رضى الله تعالى عنهم يسأل عنه أو يزوره أو يرسل اليه من يتعهده قال الراغب الفقد أخص من العدم لانه العدم بعد الوجود والتفقد التعهد لكن حقيقة التفقد تعرف فقدان الشئ والتعهد تعرف العهد المتقدم (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يعطى كل جلسائه نصيبه) أى يعطى كلا منهم ما يليق به وما يسره (لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه) أى لما يراه من لطفه به يظن ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحبه أكثر من غيره (من جالسه) أى جلس عنده فى ناديه

(أوقاربه لحاجة) أي دينية أو أخروية واو للتنويع لا للترديد ومن خبرية لا شرطية وقاربه مفاعلة من القرب بالراء والباء وتصحف على الانطاكي فقال أوقاومه أي قام معه كما يقال جالسه اذا جلس معه (صابره) أي انتظره صلى الله تعالى عليه وسلم وحبس نفسه على ما يريد صاحبه متصبرا (حتى يكون) أي مجالسه أو مقاربه (هو) ضمير فصل والاصح انه لا محل له (المنصرف عنه) بالنصب على خبر كان والمعنى بالغ في صبره حتى ينصرف مجالسه من تلقاء نفسه وهذا كله لقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه الآية (ومن ساله حاجة) أي طلب عطية (لم يرده) بفتح الذال المشددة ويجوز ضمها الضم ماقبلها (الابها) أي بالحاجة بعينها حيث قدر عليها أو بوعده لها وهو معنى قوله (أو بميسور من القول) كتسهيل رزق عملا بقوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ومن القول الميسور الدعاء له بتحصيلها أو بازالة

(أوقاربه لحاجة) أي كان معه حال مشيه أو مسيره (صابره) أي صبر على سؤاله وذكر حوائجه (حتى يكون هو المنصرف عنه) أي الراجع عن مقارنته أو مجالسته (ومن سأله حاجة لم يرده الابها) أي باعطائه حاجته التي سألها منه صلى الله تعالى عليه وسلم (أو بميسور من القول) كوعده أو تسليته واو لمنع الخلو قال تعالى وقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس بسطه وخلقه) بسط مصدر بزنة ضرب مضاف لضمير عائد له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مرفوع فاعل وسع بزنة علم وكذا خلقه المعطوف عليه وقد تقدم معنى الخلق والجبلة فجعل بسطه بمعنى توسعته على الناس أو بمعنى بشره كالمكان الرحب وكذا خلقه الحسن جعله لبذله لهم كالمكان الذي تمكنوا فيه (فصار لهم أبا) أي صار صلى الله تعالى عليه وسلم لجميع أمته بمنزلة الاب في اللطف بهم والشفقة عليهم وهو لا ينافي قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم لان المنفي ثمة الابوة الحقيقية الا أن بعض علماء الشافعية ذهب الى انه لا يجوز أن يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أب المؤمنين كما يقال لنسائه صلى الله تعالى عليه وسلم أمهات المؤمنين عملا بظاهر هذه الآية وانما يقال انه كالاب ونص الشافعي رضي الله تعالى عنه على جوازه وهو الحق وكذا كل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أب لامته ذكورا وأناثا وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس أبا حقيقيا معلوم بالبداهة وانما نفاه في الآية ردا على من أنكر تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بامرأة زيد الذي تبناه (وصاروا عنده في الحق سواء) لان الله عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الاغراض النفسية الحاملة له على الميل مع الهوى وكذا وصفه به صلى الله تعالى عليه وسلم ابن أبي هالة ربيبه في الحديث الصحيح المروي عنه كما أشار اليه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (بهذا وصفه بن أبي هالة) بن خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ابنت خويلد واسمه هند وأبوه أبو هالة حليف عبد الدار اختلف في اسمه فقيل بناش بن زرارة وقيل مالك بن الباس بن زرارة وكان تزوج خديجة رضي الله تعالى عنها قبل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فولدت له هندا ولهند ولد يسمى هندا أيضا عده ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وأبوه هند من كبار الصحابة قتل مع علي كرم الله وجهه في وقعة الجمل وتقدمت ترجمته بالبسط من قبل هذا (قال) ابن أبي هالة رضي الله عنه في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم في هذا الحديث (وكان دائم البشر) بكسر الباء وسكون المعجمة أي طلاقة الوجه وبشاشته لا يعبس في وجه أحد

طلبها فاو على طريقة منع الخلو أي لا يخلو حاله اذا سئل عن أحدهما اما عطاء ونقدا واما دعاء ووعدا ثم قيل الميسور مصدر وقيل اسم مفعول (قد وسع الناس) بالنصب أي عمهم وشملهم (بسطه) أي سرور ظاهره وطيب باطنه جودا ورحمة وحلما وعفوا ومغفرة وشمولا أو انبساطه فقوله (وخلقه) تفسير له وعلى الاول تعميم بعد تخصيص (فصار لهم أبا) أي رحمة وشفقة وهو كما جاء في قراءة شاذة عند قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم مع ان كل نبي أب لامته بل هو أفضل وأكمل تربية من الاب لولده اذ الاب سبب لايجاده والنبي باعث لامداده واسعاده ويشير اليه قوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم (وصاروا) أي الناس كلهم (عنده في الحق) أي في مراعاة حقهم بحسن خلقه معهم (سواء) أي مستوين لعصمته من الاغراض النفسية الحاملة على خلاف التسوية (بهذا) أي بما ذكر من الاوصاف البهية (وصفه ابن أبي هالة) وهو هند ربيبه من خديجة (قال) أي ابن أبي هالة (وكان) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (دائم البشر) أي متهلل الوجه وهو لا ينافي انه كان كثير الاحزان لاختلاف الظاهر والباطن في العنوان فانه بالظاهر مع الخلق وبالباطن مع الحق والحزن من لوازم الانكسار والذل والافتقار

(سهل

(سهل الخلق) أي لاصعبه (لين الجانب) بتشديد الياء المكسورة أي لاشديده (ليس بفظ) أي سيئ الخلق في القول (ولاغليظ) أي في الفعل قال ابن عباس رضي الله عنهما الفظ الغليظ في القول وغليظ القلب في الفعل (ولاسخاب) وفي رواية وكذا في نسخة بالصاد أي كثير الصياح (ولافحاش) أي ذا فحش في قوله وفعله (ولاعياب) مبالغة عائب أي وكان لايعيب على أحد ما يفعله من مباح واذا كان حراما أو مكروها نهى عنه من غير تعييب وتعيير بل يقصد تبديل وتغيير قال التلمساني هو والذي بعده فعال على النسب أي ليس بذي عيب ولا بذي مدح وليسا بفعال مبالغة للزوم بعض الامر ومثله وما ربك بظلام للعبيد أي بذي ظلم والالزم بعضه قلت ليس هذا نظيرهما لانهما على النسبة يستقيم في ذي عيب لافي ذي مدح كما لايخفى (ولامداح) مبالغة مادح أي لايبالغ في مدح أحد بما يؤدي الى اطراء ولايمدح طعاما ولايذمه كما جاء في رواية لانه كان شاكر النعمة لاناظر اللذة ويؤيده قوله (يتغافل عما لايشتهى) أي لايحبه قولا وفعلا مما لايترتب عليه اثم أصلا (ولايؤيس) بضم ياء فسكون همزة وقد تبدل ففتح ياء من الاياس من باب الافعال الذي هو متعد لاييس اللازم من المجرد والضمير في قوله (منه) راجع اليه صلى الله تعالى عليه وسلم والمعنى لاييأس أحد من فيض جوده وأثر كرمه وجوده واما تجويز الدلجي كونه مبنيا للفاعل تبعا لبعض المحشين وقوله والمعنى لايؤيس من نفسه أو مما تغافل عنه أحدا بتغافله عنه بحيث لايكون كذلك فهو مخالف لما في الاصول من صحة المبنى ومناف لما قدمناه من ظهور المعنى وجعل التلمساني قوله ولايؤيس منه عطفا على لايشتهى وقال أي مالم يحضر في وقته ولم يحصل له فيه شهوة فيتركه ويغفله وان كان مما يمكن حضوره في وقته ويؤيس هو بضم أوله وسكون الواو ثم همزة مكسورة والياس هو القنوط أي ماوجده مما يجوز له تناوله من المباح يستعمله ومالم يجده من ذلك لم يكن منه تكلف له قال ويفسر هذا حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انه كان في أهله لايسألهم طعاما ولايشتهيه فان أطعموه أكل وما أطعموه قبل وماسقوه شرب الحديث انتهى ومافيه لايخفى وقال الانطاكي بعد نقله عن الحلبي انه ضبطه بكسر الهمزة وينبغي أن يجوز بضم أوله ثم بهمزة مفتوحة وياء مكسورة مشددة يقال آيس منه فلان مثل ايئس وكذا التاييس حكاه الجوهري انتهى وينبغي أن تكون الدراية تابعة للرواية كما لايخفى (وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم) أي سهلت أخلاقك لهم وكثر احتمالك عنهم والتقدير فبرحمة وما زيدة للتأكيد كذا قالوا ولعلهم أرادوا تأكيد التعظيم المستفاد من تنوين التنكير المفيد للتفخيم ولايبعد أن يكون ما ابهامية ورحمة تفسيرية والجمع بينهما أوقع للمراتب النفسية في افادة القضية (ولو كنت فظا) أي سيئ الخلق (غليظ القلب) أي قاسيه على الخلق (لانفضوا) أي تفرقوا (من حولك) ولم ينتفعوا بقولك ولم يصيبوا من رحمتك وفضلك وطولك وأما بقية الآية وهي قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فليست في نسخ الشفاء وان كان شرحها الدلجي ومزجها بتفسيرها

(سهل الخلق) لاصعبا ولاحزنا (لين الجانب) استعارة مصرحة شبه وصول كل أحد له صلى الله تعالى عليه وسلم ولما بيده منه بشيء لين يأخذه من بجانبه لايطلبه وقيل شبه بجانب لين من الارض ليس بحزن (ليس بفظ ولاغليظ) الفظ الكريه الخلق مستعار من الفظ أي ماء الكرش وهو مكروه لايتناول الافي شدة الضرورة كما قاله الراغب والغلظ ضد الرقة وأصله في الاجسام فاستعير للمعاني كما تقدم (ولاصخاب ولافحاش ولاعياب) أي لاينطق بالفحشاء كالشتم ولايعيب أحدا أي يذكر عيوبه (ولامداح) لاحد بما يؤدي الى اطرائه ولالنفسه الشريفة وهذه كلها صيغ مبالغة والمقصود بها النسبة كتمار ولبان أو المبالغة راجعة للنفي كما قالوه في قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقيل المقصود به أصل الفعل وقول أنس لعمر رضي الله تعالى عنهما أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتضي ثبوت ذلك له فقيل المقصود وجود أصل الغلظة فيه ونفيها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لاحقيقة التفضيل أو المراد اثبات ذلك على المشركين كما في قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة كما ان المدح قد يستحسن في مقام دون مقام اذا كان في محله بخلاف ما اذا كان كذبا ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين على أحد الوجوه فيه (يتغافل عما لايشتهي) أي اذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ لايرضاه تغافل عنه حتى يظن انه ما رآه اذا كان ذلك مما لايترتب عليه اثم (ولايؤيس منه) مبني للمفعول وضمير منه له صلى الله تعالى عليه وسلم أي والحال انه صلى الله تعالى عليه وسلم بتغافله لاييأس أحد منه وروي مبنيا للفاعل بضم المثناة التحتية وكسر الهمزة التي كانت مفتوحة ومفعوله محذوف لقصد التعميم أي لايؤيس أحدا منه أي يجعله ذا يأس بحيث لايرجوه فالضمير لما تغافل عنه وعلى هذا اقتصر أرباب الحواشي (وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ما زائدة للتأكيد وقيل نكرة موصوفة ورحمة بدل منه وقيل استفهامية تعجبية أي باي رحمة عظيمة لنت لهم ورده في المغني بثبوت ألف ما وقال ان ما قبله

(وقال ادفع بالتى هى أحسن الآية) وهى يحتمل قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن السيئة واقتصر الدلجى عليها وقد قيل فى معنى هذه الآية ادفع بكلمة التوحيد سيئة الشرك ويؤيده مابعده من قوله سبحانه وتعالى نحن أعلم بما يصفون وقيل ادفع بالطاعة المعصية أى اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها كما ورد فى الحديث مضمونه وادفع بالتوبة المعصية ويحتمل قوله تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن أى اصفح عنها وقابلها بالحسنة التى هى أحسن مطلقا وان كانت المعاقبة بمثلها حسنة أيضا أو باحسن ما يمكن أن يقابل به من الحسنات مالم يؤد ذلك الى المداهنة فى أمر الديانات وتمام الآية فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولا شك ان معنى الآية الثانية هو الملائم لباب حسن الخلق فى معاشرة الخلق ويؤيده ماروى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جاءه اعرابى فصيح فقال اصغ الى أوصلك ثم قال

فحى ذوى الاضغان تسلى نفوسهم * تحيتك الحسنى فقد ترفع النغل

فان هتفوا بالقول فاعف تكرما * وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل

فان الذى يؤذيك منه استماعه * كأن الذى قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ادفع بالتى هى أحسن فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه (وكان) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على مارواه ابن سعد مرسلا (يجيب من دعاه) أى ولو بعد منزل الداعى ومأواه ولم يكن له مال ولا جاه تواضعا لله وشفقة على خلق الله وجبرا لخواطرهم وتألفا لظواهرهم وليقتدى به أمته مع معاشرهم من معاشرهم (ويقبل الهدية) على ماروا البخارى أيضا رعاية لزيادة المحبة وافادة الوصلة والمودة وتفاديا من المباغضة والمقاطعة لما ورد تهادوا وتحابوا على ماروا أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وفى رواية أحمد عنه تهادوا ان الهدية تذهب وحر الصدر أى غشه (ولو كانت) أى الهدية وهى فعيلة من الاهداء (كراعا) بضم أوله وهو مستدق الساق وهو أدون من الذراع وأما قول التلمسانى أى ذا كراع ففوت للمبالغة المطلوبة وروى البيهقى عن أنس ولفظه تهادوا فان الهدية تذهب بالسخيمة أى الحقد ولو دعيت الى كراع لاجبت ولو أهدى الى كراع لقبلت ولو هنا للتقليل كما فى حديث ردوا السائل ولو بظلف محرق واتقوا النار ولو بشق تمرة والتمس ولو خاتما من حديد

أيضا الا يتجه كما فصله شراحه وليس هذا محل تفصيله والمعنى انك لو كنت فظا غليظ القلب انفضوا عنك أى تفرقوا ولم يجتمعوا عليك ولكنك بلين جانبك لهم وشفقتك عليهم تؤلف قلوبهم وتزيد محبتهم وهذا امتنان عليه بما جبله الله عليه من الاخلاق الحسنة وقد تقدم الكلام عليه (وقال ادفع بالتى هى أحسن السيئة) الآية التى هى أحسن الصفح والتجاوز والاحسان فى مقابلة السيئة ولا حاجة لتقييدها بمالم يكن فيه وهن فى الدين لانه لا يكون دفعا بالاحسن فان المراد به الاحسن عند الله تعالى وقيل التى هى أحسن كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل الامر بالمعروف والسيئة المنكر وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام وقصد الحصر أى ادفع بهذا لا بغيره (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يجيب من دعاه) لطعامه أو لمنزله جبرا لخاطره وتعليما وتشريعا لامته صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان المدعو اليه وليمة عرس أو غيرها وفى الحديث اذا دعا أحدكم أخاه فليجب وما قيل من ان اجابة دعوة العرس واجبة عينا أو كفاية لورود الامر بها فى الاحاديث الصحيحة فلا يكون ذلك من التفضل ومكارم الاخلاق غير وارد لانه قيل بعدم الوجوب فيها عند الشافعية أيضا كما صرح السبكى ولو سلم فهذا محمول على الاعم من الولائم وغيرها وليس فى العبارة ما يقتضى التخصيص ولا تجب اجابة لغير وليمة عرس ومنه وليمة التسرى كما هو ظاهر وقيل تجب واختاره السبكى لاخبار فيه (و) كان صلى الله تعالى عليه وسلم (يقبل الهدية) لا الصدقة (ولو كانت كراعا) لانه مقتض للتحابب وكراع بضم الكاف وفتح الراء المهملة المخففة والعين المهملة وهى ماتحت الركبة الى الخف والحافر والظلف ولو وصلية هنا تفيد التقليل كاتقوا النار ولو بشق تمرة وقيل الكراع مادون الكعب من الدواب وقيل كراع كل شئ طرفه وفى الترمذى عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو أهدى الى كراع لقبلت ولو دعيت الى كراع لاجبت وكراع الثانى اسم مكان وهو كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة والصحيح انه بالمعنى السابق والمقصود المبالغة فى ذلك أى أقبل الهدية ولو كانت حقيرة وأجيب الدعوة ولو كانت الى مكان بعيد ويطلق الكراع على الشاة نفسها وفى الحديث اذا دعى أحدكم فليجب فان كان مفطرا أكل وان كان صائما

دعا

(ويكافئ) بكسر الفاء بعدها همز وتسهل أى يجازى (عليها) أى على الهدية وأصل المكافأة المماثلة وهو أقل حسن المعاملة وكان يكافئ بأكثر منها لما سبق عن بنت معوذ بن عفراء ولقوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها على أحد التفاسير فيها من ان المراد بالتحية هى الهدية وفى رواية البخارى ويثيب عليها من الاثابة وهو مطلق المجازاة أو المجازاة الحسنى لقوله تعالى فأثابهم الله (قال أنس رضى الله تعالى عنه خدمت رسول الله صلى الله تعالى عليه ٦٧ وسلم عشر سنين) أى بعد الهجرة ومبدأ عمره عشر سنين أيضا (فما قال لى أف) بفتح الفاء وكسرها وينون الثانى وفيها لغات عشر وهذه الثلاث عن السبعة ومعناه الاستقذار والاستحقار وقال الهروى يقال لكل ما يضجر منه ويستثقل ونقل أبو حيان فيها نحو الاربعين وجها من اللغة فى الارتشاف وقد نظمها السيوطى (قط) أى ابدا فى تلك المدة (وما قال لشئ صنعته) أى فعلته (لم صنعته ولا لشئ تركته) أى ما صنعته (لم تركته) وهذا الحديث كما يدل على حسن خلقه وكمال حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظره الى قضاء الله وقدره يدل على كمال فضيلة أنس رضى الله تعالى عنه وجمال منقبته وجميل أدبه فى خدمته مع صغر سنه لكنها كلها مستفادة من بركة ملازمته ومداومة حضرته (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة بسند رواه عنها (ما كان أحد أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) كما قال حسان

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائله

(ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته) أى من أزواجه وذريته وأقاربه وأحبابه (الا قال لبيك) أى تأدبا معهم وتعليما لهم واحضار النداء به على لسان خلقه وقد ورد أدبنى ربى فأحسن تأديبى على ما رواه ابن السمعانى عن ابن مسعود

دعا بالبركة وقوله (ويكافئ عليها) بالهمزة أى يجازى على الهدية بشئ مثلها أو أكثر لان المكافأة أصل معناها المساواة والمماثلة ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافئ دماؤهم أى تتساوى فى القصاص وفى البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها واستدل به بعض المالكية على وجوب عوض الهدية اذا أطلق الواهب وكان ممن يرجو الثواب كالفقير الذى يهدى للغنى ولم يوافق عليه (وقال أنس رضى الله تعالى عنه) وهو خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (خدمت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عشر سنين) وفى رواية لمسلم تسع سنين ولا منافاة بينهما لانه خدمه تسع سنين وأشهرا فتارة ذكر للكسور وجعلها سنة وتارة ألقاها وكان عند عمه أبى طلحة فانطلق به الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال له ان أنسا غلام كيس فليخدمك (فما قال لى أف قط) هى كلمة تقال لما يكره ويتضجر منه وهى اسم فعل فيه لغات نحو الاربعين أشهرها ضم الهمزة وكسر الفاء المشددة وللسيوطى فى نظم لغاتها أبيات مشهورة حيث قال

اف ربع أخيره ثم خفف * مبتداه مشددا ومخفف
وبتنوينه وبالترك أف * لا ممالا وبالامالة مضعف
وبكسر ابتدا وافى مثلث * وزاد الهاء فى أف اطلق لا أف
ثم مد بكسر اف واف * ثم افوا فاحفظ ودع ما زيف

قال الراغب أصل الاف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر وما يجرى مجراهما ويقال لكل مستقذر يستخف به وافقت لكذا اذا قلت له أف والحاصل مما تقدم ان همزته مثلثة وكذا فاؤه مع التنوين وعدمه وقد فصل لغاتها فى البحر ومن لطائف السراج الوراق رحمه الله تعالى فى مدح ابنه رحمه الله

بنى اقتدى بالكتاب العزيز * فزدت سرورا وزاد ابتهاجا
وما قال لى اف فى عمره * لكونى أبا ولكونى سراجا

أى لم يتضجر من أمر غير مرضى وقع منى وفيه دليل على زيادة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته) وهذا الحديث رواه الشيخان (وعن عائشة رضى الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم بينت بعض ذلك بانه (ما دعاه أحد) أى ناداه فقال يا رسول الله (من أصحابه ولا أهل بيته) خصهم لان العادة جارية بالمسامحة معهم (الا قال لبيك) قال السيوطى رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة بسند واه ولبيك كلمة يجاب بها المنادى فالتلبية اجابة المنادى من دعاه من لب وألب اذا أقام بمكان ولم يفارقه فكأنه يقول أنا ثابت على اجابتك ولا تستعمل الا بلفظ التثنية كأنه قال اجابة بعد اجابة والمراد التكثير كقوله تعالى فارجع البصر كرتين وهو منصوب على المصدرية بعامل لا يظهر وتغلب اضافته لضمير المخاطب وقد يضاف لغيره كما فصله النحاة ولا يجاب به الا من يعتنى باجابته وتعظيمه ولذا يقوله الحاج فى اجابة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اتباعه بذلك رعاية لمقامهم وتعظيمهم وهو من خلقه العظيم كما كان النبى صلى الله تعالى

عليه وسلم يخاطب القادم بمرحبا كقوله مرحبا بام هانئ (وقال جرير بن عبد الله) بن جابر بن مالك البجلي سيد قومه قدم على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سنة عشر من الهجرة على الصحيح لا قبل موته باربعين يوما كما قيل ولما قدم قال صلى الله تعالى عليه وسلم يطلع عليكم خير ذي يمن وكان رضي الله تعالى عنه جميلا حتى قال عمر رضي الله تعالى عنه فيه انه يوسف هذه الامة وأرسله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لذي الخلصة وهي الكعبة اليمنية وكان فيها صنم فخربه وقتل من عنده (ماحجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منذ أسلمت قط) أي مامنعني من الدخول عليه في بيته وقد استأذنته لا مطلقا حتى يقال كيف يدخل على غير محرم وحتى يجاب بان المراد في مجلس مختص بالرجال أو المراد مامنعني شيأ سألته واسلامه رضي الله تعالى عنه كان في رمضان سنة عشر كما مر (ولا رآني الا تبسم) وفي رواية الا تبسم في وجهي وهذا الحديث رواه الشيخان والتبسم مبادئ الضحك بحيث يبدو مقدم أسنان فان زاد بلا صوت فضحك فان كان بصوت فهو قهقهة وضحكه صلى الله تعالى عليه وسلم في أغلب أحواله التبسم وربما زاد على ذلك كما ورد انه ضحك حتى بدت نواجذه وقيل انه أريد مجرد مبالغة لا الحقيقة بناء على انه لم يقع منه ذلك والاصح الاول وكثرة الضحك تذهب الوقار وهو مكروه لحديث كثرة الضحك تميت القلب فان لزمه استهزاء باحد وسخرية فحرام (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمازح أصحابه) الممازحة تكون بالكلام والفعل ملاطفة ولكنها انما تحمد من الكبار احيانا بحيث لا تؤدي الى أذية صاحبها والمداعبة قريبة منها ولكن بينهما فرق سيأتي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يمزح أحيانا ولا يقول الا حقا ولكنه يوري في كلامه كما قال لبعض العجائز انه لا يدخل الجنة عجوز لانهم يعودون في سن الشباب ولله در القائل

أفد طبعك المكدور بالمراحة ✽ بانس وعلله بشئ من المزح

ولكن اذا أعطيته المزح فليكن ✽ بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

والمزاح بضم الميم اسم وبكسرها مصدر كالمزح وكثرته مذمومة كما قال

فاياك اياك المزاح فانه ✽ يجري عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه من كل سيد ✽ ويورثه من بعد عزته ذلا

والصحيح انه جائز وقيل انه مكروه والاصح الاول بشروطه وكان كبار السلف يمزحون وقد قيل الناس في سجن مالم يتمازحوا وورد في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أفكه الناس وكان مزاحا ولا يقول الا حقا (ويخالطهم ويحادثهم) تانيسا لهم وجبرا لقلوبهم (ويداعب صبيانهم) يداعب بالدال المهملة والمداعبة الممازحة مع لعب ولذا خصه بالصبيان كما قال محمود بن الربيع الخزرجي رضي الله تعالى عنه عقلت منه صلى الله تعالى عليه وسلم مجة مجها في وجهي وأنا ابن خمس سنين (ويجلسهم في حجره) كما فعل صلى الله تعالى عليه وسلم مع أم قيس اذ أتته بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله وحجر بكسر الحاء المهملة وفتحها معروف وهو ما كان من ثديه على فخذيه وهو جالس (ويجيب دعوة) بفتح الدال المهملة (العبد والحر والامة والمسكين) قال السيوطي اجابته صلى الله تعالى عليه وسلم دعوة العبد رواها البزار عن جابر رضي الله تعالى عنه والترمذي وابن ماجه عن أنس رضي الله تعالى عنه فلا وجه لما قيل اني لم أقف عليه الا في صحيح البخاري من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى غلاما خياطا فاتاه بقصعة فيها دباء فجعل يتتبعه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم طيب أنفسهم بما يملكونه لهم فلا يقال كيف أكل مما في يد العبد وهو وما يملكه

(وقال جرير بن عبد الله) البجلي اليمني (ماحجبني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي مامنعني عن الدخول عليه (قط) أي أبدا (منذ أسلمت) أي تلطفا معه وتعظيما لجنابه ان يرده عن بابه ويكسر خاطره بحجابه (ولا رآني الا تبسم) لانه كان مظهر الجمال مع كونه سيدا مطاعا عريض الجاه وسيع البال وقد بسط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رداءه اكراما له (وكان يمازح أصحابه) كما ذكره الترمذي في باب مزاحه صلى الله تعالى عليه وسلم مع أصحابه من الرجال والنساء والكبار والصغار ولذا كان ابن سيرين مداعبا ويضحك حتى يسيل لعابه واذا أريد على شئ من دينه كان الثريا أقرب اليه من ذلك (ويخالطهم) أي تواضعا (ويحادثهم) أي يخاطبهم ويكلمهم تأنيسا (ويداعب صبيانهم) أي يلاعبهم ويمازحهم ومنه قوله لجابر هلا بكرا تداعبها وتداعبك وفي القاموس الدعابة بالضم اللعب وداعبه مازحه (ويجلسهم) بضم أوله أي يقعد صبيانهم (في حجره) بفتح الحاء وتكسر أي في حضنه تلطفا بهم وتطييبا لقلوب آبائهم (ويجيب دعوة الحر والعبد والامة) أي اذا كانا معتقين أو اذا جاء آه وطلباه الى منزل سيدهما (والمسكين) تواضعا لربه وتمسكنا للخلق مع جلالة قدره ورفعة محله لحسن خلقه

(ويعود المرضى في أقصى المدينة) أي ولو كانوا في أبعد منازلها (ويقبل عذر المعتذر) أي ولو كانت اعذاره ليست على تحققها
وفي حديث أنه قبل عذر من تخلف عن غزوة تبوك بحسب ما أبرزوا من أقوال ظواهرهم ووكل

الى الله أحوال سرائرهم (قال أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه أبو داود والترمذي والبيهقي عنه (ما التقم أحد اذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بضم الذال وسكونها فيه استعارة وضع اللقمة في الفم لوضع الفم عند الاذن أي ما جعل أحد اذنه محاذية لفمه ليحادثه مخافتة (فينحي) من التنحية أي فيبعد (رأسه) وهو في حكم المستثنى أي الا فيستمر ملقما له اذنه غير منحي عنه وجهه (حتى يكون الرجل) الملتقم (هو) ضمير فصل (الذي ينحي رأسه) في محل نصب على انه خبر كان وحتى غاية لقوله فينحي رأسه (وما أخذ أحد بيده) أي مصافحة أو مبايعة (فيرسل) أي فيطلق (يده) من وضع الظاهر موضع المضمر أي الا فتستمر يده في يد آخذها (حتى يرسلها الآخر) بفتح الخاء المعجمة فراء نقيض الاول وفي أصل
الدلجي بكسر خاء فذال معجمة وحتى غاية لتركها حتى يرسلها هو
وهو تصحيف (ولم ير) بصيغة المجهول أي ولم يبصر حال كونه

لسيده أو يقال كان مكاتبا أو المراد بالعبد من مسه الرق ولو قبل دعوته وقدم العبد اهتماما لبيان أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجيب دعوته مع حقارته بالنسبة للحر (و) أخرج الترمذي بسنده عن أنس رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (يعود المرضى) ويشهد الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وروى البيهقي دعوة المملوك (في أقصى المدينة) أي في أبعد مكان منها وعيادة المريض سنة مؤكدة لا سيما ممن يتبرك بعيادته لما فيه من التسلية وتأليف القلوب وقيل انها فرض كفاية ولا تختص بمرض وقيل ثلاثة لا عيادة فيها رمد العين ووجعها ووجع الضرس وقيل انه لا يعاد المريض الا بعد ثلاثة أيام وورد في ذلك حديث ضعيف والصحيح انه لا فرق والحديث قال شيخنا الرملي انه موضوع واختلف في عيادة الذمي فقيل تجوز اذا كان يرجى اسلامه أو تضمن مصلحة (ويقبل عذر المعتذر) المعتذر كل من أبدا عذرا سواء كان له حقيقة أم لا وسواء كان من شانه ان يقبل أم لا ولذا لم يقل المعذور لانه من له عذر وعدم قبوله منه مذموم وقبول اعتذاره عفو بقدر جنايته وعدم مؤاخذته بها لانه من تمام المروءة وهذا كما قبل صلى الله تعالى عليه وسلم عذر من تخلف عن تبوك ووكل سرائرهم الى الله تعالى وكقبوله عذر حاطب بن أبي بلتعة رضى الله تعالى عنه لما كتب لاهل مكة يخبرهم بمسيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفتح مكة وقبل صلى الله تعالى عليه وسلم اعتذار المنافقين حتى كذبهم الله تعالى (وقال أنس) رضى الله تعالى عنه قال السيوطي هذا الى قوله بين يدي جليس له رواه أبو داود والترمذي والبيهقي في الدلائل وأخرجه البزار عن أبي هريرة وابن عمر رضى الله تعالى عنهم (ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما جعل احد أذنه محاذية لفمه فتحاذيه وقال الشمني أي ما حدثه أحد عند اذنه فجعله استعارة ولم يحمله على حقيقته وانه فعله للتبرك كما وقع لجابر رضى الله عنه في التقامه لخاتم النبوة لان لفظه مشعر بكثرة ذلك ووقوع مثله كثيرا مستبعد بخلاف قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم خلفه وأمكنه ذلك بسهولة وأيضا في مثله سوء أدب ومنافاة لغرضه فانه اذا أدخل أذنه في فيه لم يمكنه ادارة لسانه ومناجاته وفي النهاية في الحديث ان رجلا ألقم عينه خصاص الباب أي جعل الشق الذي في الباب محاذي عينه فجعله للعين كاللقمة في الفم انتهى فجعله استعارة كما هنا وهذا لا ينافي ما في الصحيح عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال والله لآتين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاتيته وهو في ملأ فساررته فغضب حتى احمر وجهه وقال رحم الله موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يغضب من المسارة بل مما كلمه به والاذن بضم الهمزة والذال المعجمة وقد تسكن (فينحي رأسه عنه) أي يبعدها ويجعلها في ناحية منه (حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه) أي حتى يفارقه أو ينفصل منه قليلا (وما أخذ أحد بيده) أي أمسكها (فيرسل يده) أي يطلقها أو يفكها من يده وهو مجاز من أرسل الرسالة اذا بعثها وظاهر كلام ابن القوطية انه معنى حقيقي ان كانت اليد الثانية يد الآخذ فليس من وضع الظاهر موضع الضمير والا فهو منه وقوله (حتى يرسلها الآخذ) غاية لترك ارسالها أي الى ان يرسلها لآخذ وهو بالمد اسم فاعل من الاخذ وفي نسخة الآخر بالراء المهملة وفي البخاري ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وعن أحمد فما ينزع يده من يدها وهو عبارة عن الانقياد لشدة تواضعه وتنزهه عن التكبر صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله (ولم ير

(مقدما) بكسر الدال المهملة المشددة أى لم يعلم مقدما (ركبتيه بين يدى جليس له) أى فضلا عن أن يمد رجليه عند أحد من جلسائه
وهذا كله تواضع وكمال تأدب وحسن عشرة (وكان) على ما فى حديث ابن أبى هالة (يبدأ) أى يبتدئ وفى رواية يبدر بضم الدال والراء
أى يبادر ويسبق (من لقيه بالسلام) فان هذه السنة أفضل من الفريضة لما فيه من التواضع والندب لاداء الواجب والضمير
البارز له صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير المستتر لمن ويحتمل العكس والاول أقرب الى الادب (ويبدأ أصحابه بالمصافحة) مفاعلة
من الصاق صفحة الكف بالكف ويلزم منه مقابلة الوجه بالوجه عند اللقاء لانها ملحوظة فى معنى المصافحة خلافا

صلى الله تعالى عليه وسلم مقدما ركبتيه بين يدى جليس له) من جملة حديث أنس رضى الله تعالى عنه
فى المصابيح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكون هو
الذى ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذى يصرف وجهه أو هو رواية أخرى وهو
الظاهر لما بينهما من المخالفة ومعنى لم ير مقدما الى آخره انه يخفض ركبتيه تعظيما لجلسائه وقيل المراد
بالركبتين الرجلان أى كان لا يمد رجليه فى مجلسه لما روى فى حديث آخر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم
لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه كما سيأتى يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يساوى جليسه ولا يتقدم
عليه بركبتيه حتى كان الغريب يجئ فلا يعرفه ويسأل عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ)
أى يبتدئ (من لقيه بالسلام) من تفيد العموم أى كل أحد لقيه صغيرا أو كبيرا من المسلمين الا فى
مواضع لا يستحب السلام فيها وأما الكفرة فلا يسلم عليهم وجوز بعضهم ابتداءهم بالسلام أيضا
(ويبدأ أصحابه بالمصافحة) مفاعلة من الصفح أى يجعل صفحة يده الشريفة على صفحة يده وفى
الحديث تمام تحيتكم بينكم المصافحة وهى سنة عند التلاقى وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تفعله
واذا قدموا من سفر تعانقوا وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم تقبل يده أيضا وهى مستحبة للكبير
وكرهها مالك أما اذا كان على وجه التكبر فيكره وقال النووى انه مستحب أيضا لاهل الشرف
والصلاح وأما لاهل الدنيا فمكروه وقال فقهاؤنا لا بأس بالمصافحة لانها سنة متوارثة لما ورد فى الحديث
أيضا تصافحوا وقيل انه من الصفح وهو العفو أى ليصفح أحدكم عن غيره ولا يناقشه والمشهور الاول
وأما بعد صلاة الجمعة والعيد فقالوا انه بدعة وهو من فعل المشايخ كأنهم كانوا فى الصلاة غائبين عمن
حضرهم ومن كان هذا حاله لا يكره منه (ولم ير صلى الله تعالى عليه وسلم قط مادا رجليه بين أصحابه حتى
يضيق بهما على أحد) هذا اشارة الى انه كان ذلك فى مجلس يكثر فيه الناس أما اذا كان وحده أو فى
قليل من خواصه فكان صلى الله تعالى عليه وسلم قد يتكئ وقد يضع احدى رجليه على الاخرى كما ورد
فى بعض الاحاديث (يكرم من يدخل عليه) بالقيام له ويلاطفه كقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد
ابن معاذ رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لما قدم سعد قوموا لسيدكم وكره بعضهم القيام مطلقا
لحديث من أحب ان يتمثل له الناس قياما وجبت له النار وحمل هذا على عادة الاعاجم فى وقوف
الناس بين أيديهم أما القيام للعلماء والصلحاء فمستحب كما يأتى وكان النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم اذا جاء قام له الصحابة وممن ذهب لكراهته ابن حجر رحمه الله تعالى وقال فى قوله صلى الله
تعالى عليه وسلم قوموا لسيدكم انما كان لانه قدم على حمار وكان مريضا وفى رواية قوموا
لسيدكم فانزلوه ورد بانه لو كان كذلك لم يأمر جميع الناس الحاضرين بالقيام له ولذا استدل
النووى به وفيه نظر (وربما بسط له) أى لمن يدخل عليه (ثوبه) تعظيما له كما جعل

لما يتوهم من كلام الدلجى ثم يستفاد من الحديث ان ما يفعله بعض العامة من مد الاصابع أو اشارة بعضها ليس على وجه السنة ثم رأيت التلمسانى قال وصفتها وضع بطن الكف على بطن الاخرى عند التلاقى مع ملازمة ذلك على قدر ما يقع من السلام أو من السؤال والكلام ان عرض لهما وأما اختطاف اليد فى أثر التلاقى فهو مكروه هذا وزاد الدلجى عن أبى ذر ما لقيته قط الا صافحنى وأسنده الى أبى داود وهو ليس بموجود فى النسخ المصححة والاصول المعتمدة (لم ير) أى كما رواه الدارقطنى فى غريب مالك وضعفه والمعنى لم يبصر أو لم يعلم (قط مادا رجليه) أو احدهما (بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد) وهو كالعلة لتركه
مدهما أى كان يترك مدهما حذرا من ان يضيق بهما على أحد من جلسائه ذلك
شفقة عليهم وهو لا ينافى قصد تواضعه وارادة أدبه معهم وفيه اقتباس من قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم أى ولو بلسان
الحال تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم (يكرم من يدخل عليه) أى استئنافا والجملة وقعت استئنافا كما وقع ما قبلها ولعله
فصلها عما قبلها حذرا من توهم كونها تتمة حديث سبقها (وربما بسط له) أى فرش للداخل عليه (ثوبه) اكراما له منهم وائل بن
حجر الحضرمى ولعل المراد بثوبه رداؤه لقوله

ذلك لعدى بن حاتم ولاخته عليه السلام من الرضاعة لما أتياه كما يأتى (ويؤثره بالوسادة) الايثار تقديم غيره على نفسه فى بعض الامور والوسادة ما يتوسد اى يوضع تحت الرأس وهى التى تسمى مخدة ويقال اسادة بالهمزة ووساد بدون هاء وقضية قوله (التى تحته) كما فى البخارى انها فراش يجلس عليه وكانت محشوة بالليف وقال عدى بن حاتم دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال من الرجل فقلت عدى بن حاتم فقام وانطلق بى الى بيته فوالله انه لعامد بى اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة واستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها فقلت فى نفسى والله ما هذا بملك ثم مضى حتى دخل بيته فتناول وسادة كبيرة من ادم محشوة ليفا فقذفها وقال لى اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها فجلس على الارض وصارت الوسادة بينى وبينه فانظر لمكارم هذه الاخلاق فقلت والله ما هذا بملك وهذا يدل على ان الوسادة فراش لا مخدة ولا عبرة بتفسير الجوهرى لها بالمخدة فقط (ويعزم عليه فى الجلوس) أى يقسم عليه ان يجلس على وسادته بان يقول له بالله اجلس انت قال فى التهذيب يقال عزمت عليك لتفعلن كذا أى أقسمت انتهى وهو مأخوذ من العزم وهو التصميم فى الامر وقوله (عليها) اى على الوسادة (ان أبى) اى امتنع من الجلوس حياء من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ويكنى أصحابه) اى يضع لهم كنية كابى فلان أو يدعوهم بالكنية تكريما (ويدعوهم) أى يناديهم (باحب اسمائهم تكرمة لهم) اى يفعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم لاجل اكرامهم وتعظيمهم تلطفا بهم وتأدبا معهم فان نداء المرء بكنيته تعظيم وكذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى من لا كنية له كما قال للطفيل الذى كان معه طائر يسمى نغيرا أبا عمير ما فعل النغير وفيه دليل على جواز تكنية من لا ولد له على عادة العرب تفاؤلا بان يعمر ويرزق اولادا خلافا لمن منع ذلك وقال انه خلاف الواقع فهو كذب وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال كنانى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا عبد الرحمن قبل ان يولد لى وسنده صحيح وعن بعض السلف بادروا أولادكم بالكنى قبل ان يغلب عليهم الالقاب وكره بعضهم تكنية المرء نفسه الا لقصد التعريف وقال النووى يجوز تكنية الكافر بشرطين الاول ان لا يعرف الا بكنيته الثانى ان يخاف من ذكر اسمه فتنة فالاول كابى طالب والثانى كابى حباب لابن سلول وفيه نظر وقد تكون لامر آخر كابى لهب فانه اشارة الى انه جهنمى وقيل كنى بذلك لحسن وجهه (ولا يقطع على أحد حديثه) اى من يحدث عنده يصغى اليه ولا يقطع حديثه بتكلمه بكلام آخر او قيامه أو نهيه عن الكلام فان مثله يؤذى المتكلم (حتى يتجوز) بياء وتاء مفتوحتين وجيم مفتوحة وواو مشددة وزاء معجمة غاية لتركه قطع حديثه أى حتى يكثر فيتجاوز الحد أو يخرج الى ما لا يليق من الكلام فهو من التجاوز أو الجواز كما يأتى (فيقطعه بنهى) عن الكلام (او قيام) من مجلسه اعراضا عنه وهو مفيد لنهيه عنه (ويروى بانتهاء او قيام) فالنهى بمعنى الانتهاء اذ الروايات تفسر بعضها بعضا وهذا وقع فى بعض النسخ فالمعنى حتى يجوز ذلك فى حديثه فيقطع حديث نفسه امابسبب انه انتهى ولم يبق منه شئ او لقيامه عن المجلس والتجوز على هذا بمعنى التخفيف له والتقليل منه وقيل معناه ينطبق بما هو غير حقيقى كان يتكلم بما لا يليق من الكلام (وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجلس اليه أحد) أى لا يجلس متوجها اليه والمراد لا يجلس عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو يصلى الا خفف صلاته) أى أسرع فيها

(ويؤثره) أى يقدمه على نفسه ويفرده (بالوسادة) اى بالجلوس عليها والاعتماد على المخدة (التى تحته) أى كانت تحته مفروشة اجلالا له وتكريما (ويعزم) اى يؤكد (عليه) اى على الداخل له (فى الجلوس عليها) لدفع الوحشة وحصول المعذرة (ان أبى) اى امتنع من الجلوس عليها تأدبا لتلك الحضرة (ويكنى) بتشديد النون (اصحابه) اى يجعل لهم كنى جمع كنية كابى تراب وأبى هريرة وام سلمة وهو من الكناية لما فيها من ترك التصريح باسمائهم الاعلام وهو من آداب الكرام واما أبو لهب فعدل عن اسمه عبد العزى كراهة لذكره أو تفاؤلا لمورده أو لاشتهاره به وأبعد من قال لتالفه (ويدعوهم باحب اسمائهم) أى تارة او المراد من الاسماء ما يعم الاعلام والالقاب والكنى والمعنى انه لا ينبزهم بما يكرهونه بل يدعوهم بما يحبونه (تكرمة لهم) أى تكريما لهم وتعليما لهم فى العمل باصحابهم والتكرمة بكسر الراء وقول التلمسانى بضم الراء وهم (ولا يقطع على أحد حديثه) أى بادخال كلام فى اثنائه قبل تمامه (حتى يتجوز) غاية لترك قطعه حديثه الى ان يتجاوز منه ويتعدى الى ما لا يليق به وقال التلمسانى أى يفرط ويكثر والاول هو الاظهر فتدبره (فيقطعه) أى فحينئذ يقطع حديثه (بنهى) أى صريح له أو عام يشمله (او قيام) أى بتلويح والاول زجر له والثانى اعراض عنه وهو مفيد لنهيه عنه اذ لا يقر على مثله ويروى بانتهاء أو قيام (ويروى) أى كما فى الاحياء وفى نسخة وروى (انه كان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى) أى والحال انه عليه الصلاة والسلام فى صلاة من النوافل (الا خفف صلاته) أى فى اطالة صلاته

(وساله عن حاجته) أى دنيوية كانت أوأخروية (فاذافرغ) أى عن قضاء حاجته (عادالى صلاته) اى المعتادة بالاطالة قال العراقى ولم أجدله أصلا (وكان أكثرالناس تبسما) لكونه مظهر الجمال والبسط غالب عليه فى كل حال وهذا معنى قوله (وأطيبهم نفسا) أى مستبشرا غيرعبوس (مالم ينزل عليه) بصيغة المجهول ويصح كونه للفاعل (قرآن) أى وحى متلو (او يعظ) أى مالم ينصح ويعظ الناس ويعلمهم التاديب بالترغيب والترهيب (أو يخطب) أى فى المنبر عندالجمع لا كبرفانه حينئذلم يكن متبسماولا منبسطا بل كان يغلب عليه القبض لمافيه من مقال الاجلال باظهار مظاهر ذى الجلال ففى كل مقام مقال ولكل مقال حال لارباب الكمال (قال) أى على مارواه أحمد والترمذى بسند حسن (عبدالله بن الحارث) وهوآخرمن توفى من الصحابة بمصر والمراد به ابن جزز بن عبدالله بن معدى كرب الزبيدى بضم الزاى وفى الصحابة من اسمه عبدالحارث أربعة عشر غيره على ماذكره الحلبى وقال حديثه المذكورهنا أخرجه الترمذى فى المناقب من الجامع وهوفى الشمائل ايضا (مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعن أنس قال) كمارواه مسلم (كان خدم المدينة) بفتحتين جمع خادم والمعنى خدام أهلها (ياتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذاصلى الغدوة) أى صلاة الصبح (بآنيتهم) متعلق بيأتون والباء للتعدية أى يجيئون باوانيهم (فيها الماء فمايؤتى) بصيغة المفعول من أتى يأتى أى مايجاء (بآنية الاغمس) أى ادخل (يده فيهاوربماكان ذلك فى الغدوة الباردة) أى وهومع ذلك لايمتنع مماهنالك والغدوة

فقطعهاوالتخفيف ضدالتطويل وسياتى بيانه (وساله عن حاجته واذافرغ) صلى الله تعالى عليه وسلم من كلامه وبيان حاجته (عاد) صلى الله تعالى عليه وسلم (الى صلاته) التى كان فيها وقال البرهان الحلبى هذا الحديث منكر وقدذكره فى الاحياء فى آداب المعيشة وقال العراقى فى تخريج احاديث الاحياء لم أجد له أصلا انتهى ولذاقيل لوأورد حديث الصحيحين الآتى انى لاقوم الى الصلاة اريدان أطول فيها فاسمع بكاء الصبى فاتجوز فى صلاتى كراهة ان أشق عليه كان اظهر فانه متفق عليه وهوفى معنى حديث الاحياء (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم أكثرالناس تبسما) وقدتقدم معنى التبسم ومايتعلق به (وأطيبهم نفسا) اى لم يكن مقطبا وعبوسا فى مجلسه لطيب نفسه وهذا ومابعده حديث رواه أحمد والترمذى بسند حسن (مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب) قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريج احاديث هذا الكتاب عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدى قال مارأيت أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رواه الترمذى وقال غريب وقدتقدم وعن على كرم الله وجهه والزبير رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه الصلاة والسلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث الزبير رضى الله تعالى عنه من غيرشك وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذانزل عليه الوحى قلت نذير قوم فاذاسرى عنه فاكثر الناس ضحكا أخرجه الطبرانى فى مكارم الاخلاق وفيه ابن أبى ليلى سيئ الحفظ وعن على والزبير كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب فيذكرنا بايام الله حتى يعرف ذلك فى وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة أخرجه أحمد وأبو يعلى من حديث الزبير رضى الله عنه من غيرشك وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم اذاخطب احمرت وجنتاه واشتدغضبه رواه مسلم والحاكم من حديثه كان اذاذكر الساعة احمرت وجنتاه واشتدغضبه انتهى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لايتبسم فى هذه الحالات لتوجهه عند نزول الوحى فيه تادبامعه وفيمابعده لانه مقام نذارة وخوف وتخويف (قال عبدالله بن الحارث) بن جزء بن عبدالله بن معدى كرب بن غنم الزبيدى الصحابى سكن مصر ومات رضى الله تعالى عنه بهاسنة خمس أوسبع وثمانين وهوآخرمن مات بها ببلدة تسمى سفط قرية من سمنود بالغربية وقيل مات باليمامة حكاه ابن منده عن ابن يونس وقال انه شهدبدرا ولابن حجر فيه كلام (مارأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لان طلاقة الوجه من مكارم الاخلاق وفى الحديث تبسمك فى وجه أخيك صدقة (وعن أنس رضى الله تعالى عنه كان خدم المدينة) خدم بفتحتين بزنة حسن جمع خادم وفعل فى جمع فاعل جاء فى ألفاظ محصورة نظمها ابن مالك رحمه الله تعالى وقيل انه اسم جمع وهو بالتاء كثير نحو كملة جمع كامل والمراد بالخدم العبيد والجوارى وهذا الحديث رواه مسلم وهو حديث صحيح (ياتون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذاصلى الغداة) اى الصبح (بآنيتهم فيها الماء) والآنية جمع اناء ككساء وأكسية وهو مايوضع فيه الشئ والاوانى جمع الجمع وكثيرمن الناس يظن ان الآنية مفردة وظاهر قوله (فمايؤتى بآنية الاغمس يده فيها) يوهم ذلك (وربماكان ذلك) اى اتيانهم بالاوانى وغمس يده فيها (فى الغداة الباردة)

(يريدون به) أى بغمس يده فيها (التبرك) أى طلب البركة وحصول النعمة وزوال النقمة وكمال الرحمة هذا وفى الحديث المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ❊(فصل)❊ (وأما الشفقة) أى الخوف على وجه المحبة (والرأفة) وهى شدة الرحمة (والرحمة) أى المرحمة العامة (لجميع الخلق) أى مؤمنهم وكافرهم وانسهم وجنهم وقريبهم وغريبهم وفقيرهم وغنيهم حتى بهائمهم والحيوانات وسائر الموجودات وفى نسخة صحيحة بتأخير الرأفة عن الرحمة وهو الانسب فى مقام المرتبة لكن الاول أوفق بما جاء فى التنزيل فهو أولى (فقد قال الله تعالى فيه) أى فى

والغدوة والغداة أول النهار وقوبل فى القرآن الغدو بالاصال والغداة بالعشى ووصفهما بالباردة اشارة لما فيه من زيادة تحمل المشاق لاجل التلطف مع الناس وانما فعلوا ذلك تبركا بآثاره صلى الله تعالى عليه وسلم ومامسته يده الشريفة وقوله (يريدون به التبرك) يحتمل انه من كلام المصنف فان البغوى رحمه الله تعالى رواه فى مصابيحه بدون هذه الزيادة وفيه ارشاد للتبرك بآثار العلماء والصلحاء ❊(فصل وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق)❊ والفرق بين هذه الثلاثة ان الشفقة رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه كما فى الاساس والرأفة التلطف بمن يريد اكرامه بالبشر والايناس كما قال قيس الرقيات ملكه ملك رأفة ليس فيه ❊ جبروت يرى ولا كبرياء فقابلها بالجبروت صريحة فيه وليست أشد الرحمة كما توهمه بعضهم وان استعملت بهذا المعنى كما تحقيقه فما قيل انها أرق من الرحمة ولا تكاد تقع فى الكراهة كالرحمة غير موجه وقوله لجميع الخلق يعنى انها لا تختص باحد كرحمة غيره لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (فقد قال الله تعالى فيه) أى فى حقه وصفته عليه الصلاة والسلام (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) عزيز من عز بمعنى اشتد وصعب والعنت المشقة أى يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم لرأفته ورحمته وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقوله بالمؤمنين لايناسب قوله لجميع الخلق فالانسب ان يقتصر على قوله (وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى لدفع هذا فى الفصل الاول من ان صدر الآية عام والرحمة المخصوصة بالمؤمنين لا تنافى العموم فكأنه يشق عليه لعموم رحمته صلى الله تعالى عليه وسلم كل ما يقع بهم لحرصه على هدايتهم وارشادهم فهى مطابقة لهذه الآية كما يعلم من كلامه هناك وقد تقدم ما ذكر لانه اسم وذكره هنا لغرض آخر كالآيات المكررة فى القرآن فلا وجه لما قيل انه تكرار لا فائدة فيه لزيادته على المقصود ولو نبه على ما قلنا كان أولى به لكنه حريص على العنت كما لا يخفى لمن سبره (قال بعضهم من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) تقدم الكلام على هذا وأعاده هنا لمعنى آخر فلا تكرار بل فيه فائدة قال السيوطى رحمه الله تعالى ظاهر كلام المفسرين ان الرحيم يوصف به غير الله بخلاف الرحمن لكن أخرج ابن أبى حاتم الرحيم لا يستطيع الناس ان ينتحلوه ويظهر لى ان مراده المعرف باللام دون المنكر والمضاف انتهى (وحكى نحوه الامام أبو بكر بن فورك) تقدم الكلام عليه وعلى اسمه واسم أبيه وهو امام جليل بلغت تصانيفه أكثر من مائة مصنف جليل توفى سنة ست وأربعمائة قال (حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد الخشنى بقراءتى عليه) وهو عبد الله بن أبى بكر بن أبى جعفر بن محمد الخشنى بضم الخاء وفتح

حقه عليه الصلاة والسلام (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) كذا فى أكثر النسخ وفى بعضها بعد قوله فيه عزيز الخ أى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فما مصدرية وعلى متعلق بقوله عزيز ويجوز أن يكون عزيز منقطعا عما بعده بمعنى عزيز الوجود غريز الجود بديع الجمال منيع الجلال منبع الكمال ويكون عليه ما عنتم جملة خبرها مقدم وعلى للضرر أى ويضره ولا يهون عليه تعبكم ومشقتكم حريص عليكم أى على منفعتكم دينا ودنيا بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم فى الدنيا والآخرة وقدم أبلغهما رعاية للفاصلة أو للتذييل والتتميم وقدم الجار لاختصاصهم برحمته فى

 الاولى والعقبى (وقال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) لانه أرسل لاسعادهم وصلاح معاشهم ومعادهم ان اتبعوه ولم يخالفوه (قال بعضهم) أى بعض العلماء وفصله عما قبله لاختلاف القائل قدما وحدوثا (من فضله عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى أعطاه) أى من جملة ما فضل به على غيره ومما دل على كمال خيره ان الله تعالى أعطاه بخلقه سبحانه وتعالى فيه الرأفة والرحمة (اسمين من أسمائه) أى نعتين سماه بهما (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم) وفى قراءة رؤف بالقصر (وحكى نحوه) أى نقل مثل ما ذكر عن بعضهم (الامام أبو بكر بن فورك) بضم فاء وسكون واو وفتح راء وكاف منون وقد منع بلغت تصانيفه فى الاصلين ومعانى القرآن قريبا من مائة مصنف توفى سنة ست وأربعمائة (حدثنا الفقيه أبو محمد بن عبد الله بن محمد الخشنى) بضم الخاء المعجمة وفتح الشين المنقوطة فنون فياء نسبة لقبيلة خشين (بقراءتى عليه

حدثنا امام الحرمين أبو على الطبرى) بفتح الطاء المهملة والموحدة هكذا هو فى الاصول المعتبرة والنسخ المعتمدة وقال الحلبى كذا
وفى نسخة فى الاصل الذى وقفت عليه امام الحرمين حدثنا أبو على الطبرى انتهى والطبرى منسوب الى طبرستان وقيل الى طبرية
(حدثنا عبد الغافر الفارسى) بكسر الراء وهو النيسابورى صاحب تاريخ نيسابور وكتاب مجمع الغرائب والمفهم

الشين المعجمتين ونون نسبة لخشينة مصغرا اسم قبيلة ولد سنة تسع وأربعين وأربعمائة ومات بمرسية
من بلاد المغرب سنة ست وعشرين وخمسمائة وتقدم الكلام على قوله بقراءتى عليه قال (حدثنا امام
الحرمين أبو على الطبرى) هو الامام أبو عبد الله ويقال أبو الحسين بن على شيخ الحسين ومحتده بمكة
والطبرى منسوب لطبرستان أو لطبرية والاول أصح قال (حدثنا عبد الغافر الفارسى) الامام الزاهد
العدل أبو محمد عبد الغافر بن محمد الفارسى أحد رواة مسلم المشهور بالرواية عن الجلودى ولد سنة احدى
وخمسين وأربعمائة وتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة وعمره ثمان وسبعون سنة قال (حدثنا أبو أحمد
الجلودى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته وانه يجوز فيه فتح الجيم وضمها وقد قيل هنا ان عبد الغافر
لم ير الجلودى ولا روى عنه صحيح مسلم وانما الراوى جده أبو أمه واسمه عبد الغافر أيضا كحفيده
لكنهما اختلفا كنية وأبا فان كنية الاول أبو الحسن وهذا أبو الحسين مصغرا واسم أبى الاول محمد وهذا
اسمعيل وتاريخ موتهما مختلف فيه وهذا لم يدرك الجلودى وقال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته بين
هذا وبين الجلودى اثنان وهذا مما لم ينبه عليه البرهان مع اطلاعه وهو مما ينبغى التنبه له قال (حدثنا
ابراهيم بن سفيان) تقدم أيضا وان سين سفيان مثلثة قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) الامام المشهور
صاحب الصحيح وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الطاهر) أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن
سرح بمهملات بزنة ضرب الاموى مولاهم المصرى روى عنه أصحاب السنن وغيرهم ووثقه النسائى
وقال أبو حاتم لا بأس به وكان فقيها صالحا ثبتا توفى فى ذى القعدة سنة خمسين ومائتين قال (أخبرنا ابن
وهب) أبو محمد عبد الله الفهرى أحد الاعلام روى عنه الستة وتوفى سنة سبع وتسعين ومائة (أخبرنا
يونس) بن يزيد الايلى بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية واللام وياء النسبة أحد الاثبات روى له
أصحاب الكتب الستة وهو ثقة ثبت توفى سنة تسع وخمسين ومائة وله ترجمة فى الميزان وفى يونس ست
لغات بتثليث النون مع الواو والهمزة (عن ابن شهاب) الامام أبو بكر بن مسلم الزهرى وقد تقدم (قال
غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) تقدم الكلام على حنين قال البرهان الحلبى
الراوى اذا قدم الحديث على السنة كأن يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا أخبرنى به
فلان ويذكر سنده أو قدم بعض الاسناد مع المتن كما نحن فيه قال بعد هذا قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن
المسيب ان صفوان بن أمية الى آخره فهو اسناده متصل ولا يمنع ذلك الحكم باتصاله كما لو ذكر الاسناد
بتمامه أولا وقال ابن الصلاح ينبغى أن يكون فيه خلاف كتقديم بعض المتن على بعض وحكى الخطيب
المنع من ذلك على القول بان الرواية بالمعنى لا تجوز والجواز على القول بانها تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك
انتهى وفى جعله كالرواية بالمعنى خفاء (قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صفوان بن أمية)
ابن وهب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى الصحابى وكنيته أبو وهب أسلم بعد الفتح وشهد مع
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا والطائف وهو مشرك ثم أسلم وحسن اسلامه
بعد ما كان من المؤلفة قلوبهم وكان رئيس بنى جمح وكان يعادى النبى صلى الله تعالى عليه
وسلم ويؤذيه أذية بالغة مع ما بينهما من الرحم فجازاه على اساءته بالاحسان الزائد اليه

لشرح مسلم ولد سنة
احدى وخمسين
وأربعمائة سمع جده
لامه أبا القاسم القشيرى
وتفقه على امام الحرمين
ولزمه أربع سنين حدث
عنه جماعة وروى عنه
ابن عساكر بالاجازة
(حدثنا أبو أحمد
الجلودى) بضم الجيم
واللام وقد تقدم
(حدثنا ابراهيم بن
سفيان) سبق ذكره
(حدثنا مسلم بن
الحجاج) أى صاحب
الصحيح (حدثنا أبو
طاهر) روى عن ابن
عيينة والشافعى وخلق
وعنه مسلم وأبو داود
والنسائى وابن ماجه
(حدثنا) أى أنبأنا وفى
نسخة انا يعنى أخبرنا
(ابن وهب) أحد
الاعلام سمع مالكا
وغيره أخرج له أصحاب
الكتب الستة طلب
للقضاء فجنن نفسه
وانقطع (نا) أى أنبأنا
(يونس) أى ابن زيد
الايلى بفتح همزة
وسكون تحتية روى
عن عكرمة والزهرى وعنه ابن المبارك وغيره قال الحلبى وفى يونس ست لغات ضم النون وفتحها (مائة
وكسرها مع الهمزة وعدمه (عن ابن شهاب) أى الزهرى (قال غزا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غزوة وذكر حنينا) بالتصغير أى
وذكر ما يدل على انه أراد بها حنينا وهو واد بين مكة والطائف وراء عرفات على بضعة عشر ميلا من مكة وكانت غزوته فى شوال سنة
ثمان (قال) أى ابن شهاب (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى تلك الغزوة من غنائمها (صفوان بن أمية) تصغير أمة

(مائة من النعم) بفتحتين أى الابل والبقر والشاة وقيل الابل والشاة وهو جمع لا واحد له من لفظه وفى رواية من الغنم (ثم مائة ثم مائة) أى ثلاثة تألفا اليه وشفقة عليه وانقاذا له من النار ولمن تبعه من الكفار (قال ابن شهاب ثنا) أى حدثنا كما فى نسخة (سعيد بن المسيب) بفتح تحتية المشددة عند العراقيين وهو المشهور وبكسرها عند المدنيين وذكر ان سعيدا كان يكره الفتح وهو امام التابعين وسيدهم جمع بين الفقه والحديث والعبادة والورع روى عنه انه صلى الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة وعنه انه قال ما نظرت الى قفاء رجل فى الصلاة مذ خمسين سنة لمحافظته على الصف الاول وقال أيضا مافاتتنى التكبيرة الاولى مذ خمسين سنة وكان يسمى حمامة المسجد وكان يتجر فى الزيت (ان صفوان قال والله لقد أعطانى) أى رسول الله (ما أعطانى) أى الذى اعطانيه من المئين (وانه لابغض الخلق الى) الجملة الحالية (فما زال يعطينى) أى بعد ذلك (حتى انه) أى انه عليه الصلاة والسلام صار الآن (لاحب الخلق الى) وذلك لعلمه عليه الصلاة والسلام ان دواءه من داء الكفر ذلك المنتج اسلامه اذا الطبيب الماهر يعالج بما يناسب الداء وقدر أى ان داء المؤلفة حب المال والانعام فدواهم باكرم الانعام حتى عوفوا من نقمة الكفر بنعمة الاسلام ثم اعلم ان الراوى اذا قدم الحديث على السند كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كذا وكذا أخبرنى به فلان ويذكر سنده أو قدم بعض الاسناد مع المتن كهذا الحديث الذى نحن فيه فهو اسناد متصل لا يمنع ذلك الحكم باتصاله ولا يمنع ذلك من روى كذلك أى تحمله من شيخه كذلك بان يبتدئ بالاسناد جميعه أولا ثم يذكر المتن كما جوزه بعض المتقدمين من أهل الحديث قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح وينبغى أن يكون فيه خلاف نحو الخلاف فى تقديم بعض المتن على بعض فقد حكى الخطيب المنع من ذلك على القول بان الرواية على المعنى لا تجوز والجوز على القول بان الرواية على المعنى تجوز ولا فرق بينهما فى ذلك كذا ذكره الحلبى (وروى) بصيغة المجهول وقد روى أبو الشيخ والبزار (ان اعرابيا) وهو غير معروف (جاء) أى أتى النبى عليه الصلاة والسلام (يطلب منه شيأ) أى من مطالب الدنيا (فاعطاه اياه ثم قال) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أحسنت اليك) بهمزة ممدودة وسكون حاء لاجتماع همزة الاستفهام وهمزة الافعال للتقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار بانه أحسن اليه وأنعم عليه (قال الاعرابى لا) أى لا أعطيتنى كثيرا ولا قليلا (ولا أجملت) أى ولا أتيت بالجميل أو ولا أوصلت الى جميلا حيث لا أحسنت جزيلا وقيل معناهما واحد كرر للتأكيد وقيل ما أجملت ما أكثرت وهو أولى كما لا يخفى ولا يبعد من غلظته وجلافته لديه ان أراد بقوله ولا أجملت دعاء عليه ويؤيده قوله

(مائة من النعم ثم مائة ثم مائة) والنعم اسم جمع للابل لا واحد له من لفظه وجمعه انعام وقال العزيزى هو الابل والبقر والغنم (قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد اعطانى ما أعطانى وانه لابغض الخلق الى فما زال يعطينى حتى انه لاحب الخلق الى) بعد ما كان أشد الناس عداوة له لقتل أبيه يوم بدر ولما شهد وهو كافر حنينا ثم رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الجعرانة فبينما هو يسير فى الغنائم ينظر اليها ومعه صفوان جعل صفوان ينظر الى شعب ملئ نعما وشاء وأدام النظر اليها ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرمقه فقال له أبا وهب يعجبك هذا الشعب قال نعم قال هو لك وما فيه فقال صفوان ما طابت بهذا الانفس نبى أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وكانت زوجته أسلمت قبله فاقر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نكاحه عليها واختلف فيما كان يعطيه صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤلفة هل هو من خمس الخمس الذى هو حقه أو من الخمس أو من الغنائم واما اعطاء مؤلفة الكفار فكان جائزا فى صدر الاسلام وهل هو من الزكاة أو من بيت المال ثم منعوا منه فى خلافة الصديق أو فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنهما * فان قلت ما مناسبة الحديث لما نحن فيه * قلت لانه صلى الله عليه وسلم اعطى صفوان لما بينه وبينه من الرحم خوفا عليه ان يستمر على عداوته وكفره فيهلك فاحسن اليه حتى يحسن اسلامه شفقة عليه من ان تحل به النقمة والعذاب وقد تقدم اعطاؤه أكثر من ذلك (وروى ان اعرابيا جاء يطلب من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شيأ فاعطاه) هذا الحديث رواه البزار عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه بسند ضعيف وكذا ابن حبان وغيره ولم يسموا الاعرابى (ثم قال أحسنت اليك قال الاعرابى لا ولا أجملت) الذى فى النسخ أحسنت بهمزة واحدة فهمزة الاستفهام مقدرة كقوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصا والتراب

ومثله كثير نفيس والاستفهام استفهام تقريرى وقوله لا رد لقوله أحسنت وأجملت بمعنى فعلت فعلا جميلا محمودا وقال بعضهم معناه ما اعتدلت فى الاخذ والعطاء او ما أكثرت وهذا أولى انتهى واللغة لا تساعده وانما حمله عليه الهرب من التكرار ولا تكرار فيه لانه من ذكر العام بعد الخاص ومثله لا بعد

(فغضب المسلمون وقاموا اليه) ليوافوه بما استحقه زجرا عليه (فاشار) أى صلى الله تعالى عليه وسلم (اليهم ان كفوا) أى كفوا أوبان كفوا بضم فتشديد أى امنعوا عنه وكفوا أنفسكم منه شفقة عليه واحسانا اليه (ثم قام) أى النبى عليه الصلاة والسلام (ودخل منزله) أى للاهتمام (وأرسل) وفى نسخة فارسل (اليه وزاده شيا) أى على ماقدمه عليه (ثم قال أحسنت اليك) كما سبق (قال نعم فجزاك الله به) أى بسبب ما أحسنت به الى (من أهل وعشيرة خيرا) بنصب على انه مفعول ثان لجزى ومن تبعيضية والجملة اعتراض بين الفعل ومفعوله نصب على الاختصاص أوعلى الحال أى أخصك من بينهما أوحال كونك منهما (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) أى شيأ عظيما مستهجنا قبيحا (وفى أنفس أصحابى) أى وفى نفوسهم وفى أصل التلمسانى وفى نفس أصحابى بصيغة المفرد (من ذلك) أى قولك (شئ) أى أمر عظيم وخطب جسيم (فان أحببت) أى أردت ازالة ذلك (فقل بين أيديهم) أى عندهم (ما) وفى نسخة مثل ما (قلت بين يدى) أى من المديح ليكون كفارة لذلك القبيح (حتى يذهب) أى بقولك لهم ذلك (مافى صدورهم عليك) أى من الغضب لما صدر عنك فان المعالجة بالاضداد (قال نعم) أى أقول لهم ذلك (فلما كان الغد) أصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض (أو العشى) بفتح فكسر فتشديد أو للشك الراوى (جاء) أى الاعرابى (فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال ماقال) أى مما سمعتموه فى أول الحال (فزدناه) أى بعض المال (فزعم انه رضى) أى به عنا (أ كذلك) استفهام تقرير أى أحق ما نقلته عنك

تكرار المنافيه من المبالغه وفى ذلك غلظة وسوء أدب (فغضب المسلمون) من كلامه وجراءته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وقاموا اليه) ليضربوه ويجازوه بما يستحقه (فاشار اليهم ان كفوا) أى اشار بيده اليهم اشارة يفهم منها الامر بكفهم أى تركهم ما أرادوه وان تفسيرية أومصدرية على الخلاف المشهور عند أهل العربية وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم وشفقته تأليفا له ليحسن اسلامه (ثم قام) من مجلسه (ودخل منزل وارسل اليه) عطية (وزاده) أى زاده على ما اعطاه أولا (ثم قال أحسنت اليك) فيه مقدر وهو وخرج وقال له ذلك (قال نعم) أحسنت الى (فجزاك الله) على احسانك واعطائك لى (من أهل وعشيرة خيرا) مفعول جزاك ومابينهما اعتراض والفاء تفريعية وسببية لما تضمنه وقيل انها فصيحة فى جواب شرط مقدر أوعاطفة على مقدر أى أحسنت وأجملت فجزاك الى آخره ومن فى من أهل قيل انها بدلية مثلها فى قوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض أى بدلكم فالمعنى بدلا من أهلى وعشيرتى الذين لم يحسنوا الى وقيل ليس هذا مراده بل مراده انه صار اهلا له وعشيرة أى قبيلة اما الفعله فعل العشيرة وهذا كما يقولون للقادم أهلا وسهلا أولما تقدم من ان له صلى الله تعالى عليه وسلم فى كل قبيلة قرابة وعرقا فمن اما تعليلية كقوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أى لاجل ذكر الله وأما كونها للفصل والتمييز كما فى قوله تعالى أتأتون الذكران من العالمين أى ممتازين من بين العالمين بهذا الفعل القبيح فبعيد جدا ثم أشار المصنف رحمه الله تعالى الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم زاد لطفا فارشده بقوله (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انك قلت ماقلت) فى جوابك ورد لك على (وفى أنفس أصحابى من ذلك شئ) تنكيره اما للتحقير أى شئ حقير لا يعتد به عندى أو للتعظيم أى أمر عظيم عندهم لاذيته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ووضع اسم الاشارة موضع الضمير لجعله كالمشاهد المحسوس لاستحضاره فتذكيره بما وقع منه من الامر العجيب (فان أحببت فقل بين أيديهم ماقلت بين يدى) علق قوله على محبته وارادته لطفا منه صلى الله تعالى عليه وسلم أى لطف مع انه ذنب عظيم ينبغى التنصل منه وفيه من الشفقة بالامة مالا يخفى وبين الايدى كناية عن حضوره وتمثله لهم وليس المراد البينة الحقيقية بل المقابلة مع القرب وقد يعبر به عن المستقبل نحو يعلم ما بين أيديهم وماخلفهم (حتى يذهب مافى صدورهم عليك) أى الغضب والالم الذى فى قلوبهم بسبب ماقلته أولا (قال نعم) أى أقول لهم ماقلت لك (فلما كان الغد أو العشى) المراد بالغد صبيحة اليوم الذى بعد اليوم الذى كلمه فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والغداة من طلوع الفجر الى الزوال والعشى ما بعد الزوال الى الغروب والشك هنا من الراوى (جاء) أى الاعرابى الى مجلس النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) لاصحابه الحاضرين عنده (ان هذا الاعرابى قال ماقال) لى أولا اذ اساء أدبه لغلظة طبعه ولذا وصفه بالاعرابى لما عرف من حال الاعراب (فزدناه) على عطائه الاول (فزعم انه رضى) بجملة ما أعطيناه له والزعم هنا بمعنى القول الحق وهو يستعمل بهذا المعنى كقول الشاعر

هلكنا ولكن ان هلكت فانما ❊ على الله أرزاق العباد كما زعم

ويكون بمعنى القول الباطل كقوله تعالى هذا الله بزعمهم ولذا قالوا زعم مطية الكذب وفى التعبير ايماء الى مافى نفسه من الحرص والطمع ثم التفت صلى الله تعالى عليه وسلم الى الاعرابى وقال له (أ كذلك) فالاستفهام متوجه منه صلى الله تعالى عليه وسلم

(قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا) فكان المراد بالاهل هو الاخص أو الاعم والله أعلم (فقال) أى النبى كما فى نسخة صحيحة (صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) المثل بفتحتين فى الاصل هو النظير ثم استعمل فى القول السائر الممثل مضربه بمورده أى موضع ضربه بموضع وروده فالمورد هو الحالة الاصلية التى ورد فيها كحالة المنافقين والمضرب هو الحالة المشبهة كحالة المستوقد نارا ولا يضرب الا بما فيه غرابة زيادة فى التوضيح والتقرير فانه أوقع للنفس وأقمع للخصم ويريك المخيل محققا والمعقول محسوسا ثم استعير لما له شان عجيب وفيه أمر غريب من صفة أو حال أو قصة نحو مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ولله المثل الاعلى ومثل الجنة التى وعد المتقون وأمثالها والمعنى هنا شبهى وشبه هذا العجيب الشان والغريب البيان (مثل رجل له ناقة شردت عليه) أى نفرت وذهبت فى الارض عنه أو غلبت عليه (فاتبعها الناس) من الاتباع أو الاتباع أى فتبعوها ليلحقوها (فلم يزيدوها الا نفورا) أى تنفرا منهم وتبعدا عنهم (فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى) أى اتركونى معها (فانى أرفق بها) أى أشفق عليها (منكم وأعلم) أى بحالها وطبعها وطريق أخذها (فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض) بضم القاف وتخفيف الميم جمع قمامة وهى فى الاصل الكناسة أريد بها ههنا ما تلقمه من الارض فتأكله شبه بالكناسة لخسته فاستعير له اسمها لمشاركة صفته (فردها) أى طمعها اليه (حتى جاءت واستناخت) أى طلبت البروك وهو بنون قبل الالف وخاء معجمة بعدها يقال اناخ الجمل فاستناخ أى بركه فبرك (وشد عليها رحلها) أى ربط عليها قتبها (واستوى عليها) أى استقر عليها جالسا (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل) أى حين قوله (ماقال) أى شيأ قاله أولا (فقتلتموه دخل النار) أى عقوبة له بما ظهر من الكفر فى اساءة أدبه معه صلى الله تعالى عليه وسلم فكان حسن ملاطفته وزيادة عطيته سببا لارضائه وباعثا لتوبته فهو أرفق بامته وأعلم بحالهم منهم فانه بهم رحيم وبدوائهم حكيم ومما يناسب المقام ويلائم المرام ماروى عن خوات بن جبير من الصحابة الكرام انه قال نزلت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمر الظهران فاذا نسوة يتحدثن فاعجبننى فاخرجت حلة من عيبتى فلبستها وجلست اليهن فمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهبته فقلت يارسول الله جمل لى شرود وأنا ابتغى له قيدا فمضى وتبعته فالقى على رداءه ودخل الاراك فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال ياأباعبدالله مافعل شراد جملك ثم ارتحلنا فجعل كلما لحقنى قال السلام عليك ياأباعبدالله مافعل شراد جملك فتعجلت المدينة وتركت مجالسته والمسجد فطال ذلك على فتحينت خلو المسجد ثم دخلت فطفقت أصلى فخرج من بعض حجره فصلى ركعتين خففهما وطولت رجاء ان يذهب عنى فقال طول ياأباعبدالله ماشئت فلست ببارح حتى تنصرف فقلت والله لاعتذرن اليه فانصرفت فقال السلام عليك ياأباعبدالله مافعل شراد الجمل فقلت والذى بعثك بالحق ماشرد ذلك الجمل منذ أسلمت فقال رحمك الله مرتين أو ثلاثا ثم لم يعد

للاعرابى أى الامر كذلك من انك رضيت وان كان ماقبله كلاما منه متوجها الاصحابه رضى الله تعالى عنه فالجار والمجرور خبر مقدر أى الامر كذلك (قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا) تقدم مافيه (فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مثلى ومثل هذا) الاعرابى المثل يكون بمعنى القصة وبمعنى الكلام المشبه مورده بمضربه ويكون استعارة تمثيلية أو تشبيها تمثيليا مركبا كقوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآية ويكون ذلك لزيادة التوضيح والتقرير فانه أوقع فى النفس لانه يريك المخيل محققا والمعقول محسوسا لما فيه من الشأن الغريب وهو فى الكلام الالهى والاحاديث النبوية كثير (مثل رجل له ناقة شردت عليه) أى نفرت منه وذهبت فى الارض يقال شردت الدابة والانسان اذا نفر وجرى جريا شديدا لايلحق شرودا وشرادا وأصل الشراد الفراق خوفا قال الله تعالى فشرد بهم من خلفهم قال ابن عرفة أى افعل بهم فلا يخيف من وراءهم فيشردهم (فاتبعها الناس) افتعال من الاتباع أى مضوا وجروا خلفها ليمسكوها (فلم يزيدوها الا نفورا) أى لم يحصل باتباع الناس لها الازيادة هربها ونفورها لخوفها منهم (فناداهم صاحبها) أى الناقة (خلوا بينى وبين ناقتى) أى وقال لهم خلوا الى آخره فهو مفعول نادى لتضمينه معنى القول أو مقول قول مقدر كما عرف فى أمثاله أى لا تتبعوها واتركوها واتركونى أحتال فى امساكها (فانى) وفى نسخة فانا (أرفق منكم واعلم) أى انا أشفق عليها وأعلم بحالها منكم (فتوجه لها بين يديها) أى جاءها من أمامها (فاخذ لها من قمام الارض) القمام جمع قمامة ككناسة لفظا ومعنى والمراد بها النبات الذى ترعاه الدواب شبهه به لخسته ولانه مما يطرح كالقمامة فاستعير لذلك (فردها حتى جاءت) فيه مقدر أى فدنت منه لتأكل مابيده من الحشيش فامسكها وردها حتى أتى بها محله (واستناخت) أى بركت ومكثت عنده من ناخ الجمل ونوخه اذا بركه (وشد عليها رحلها) الرحل للابل كالسرج للفرس وهو معروف (واستوى عليها) أى على ظهرها أى ركبها يقال استوى على الدابة اذا علا على ظهرها وركبها (وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ماقال) أى لو لم أكفكم وأمنعكم عنه حين قال لى الرجل مقالته السيئة (فقتلتموه دخل النار) عقوبة له باساءته على النبى صلى

(وروى عنه) بصيغة المجهول وهو روى من طريق أبي داود عنه (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم) من التبليغ أو الابلاغ كما قرئ به في السبعة قوله تعالى أبلغكم وهو يحتمل النهي والنفي وهو بمعنى النهي كما هو أبلغ أي لا يوصلني أحد منكم بان ينقل (عن احد من أصحابي شيئا) أي مما ينكر فعله من أيهم كان في أي وقت كان وهذه النكرات وردت في حيز نفي متوشحة بنهي فعمت جميع الاصحاب والاوقات والاشياء مكروهة أو حراما بشهادة المقام اذ لا يتعلق نهي بمباح ومأذون فيه (فاني أحب ان أخرج) أي من الدنيا (اليكم وأنا سليم الصدر) جملة حالية وفيه ايماء الى قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم أي سالم من الغش والحقد للخلق ومن الغفلة عن ذكر الحق (ومن شفقته على أمته عليه الصلاة والسلام تخفيفه) أي عنهم اعباء التكاليف (وتسهيله عليهم) أي وتهوينه بما يقوي قلوبهم عليه من الترغيب والترهيب (وكراهته) أي لهم (أشياء مخافة ان تفرض) أي تلك الاشياء (عليهم) ومخافة منصوب على العلة للافعال وفي نسخة بدلها خوف ان تفرض عليهم وهذا حكم اجمالي أورد لكل ما يناسبه جمعا وتقسيما (كقوله) على ما رواه الشيخان (لولا ان أشق على أمتي لامرتهم بالسواك

الله تعالى عليه وسلم وشبه المال بخضرة الدنيا عنده بالقمامة وشبه نفسه بالرجل وشبه الاعرابي بدابة شاردة عن ربها وشبه الصحابة لما غضبوا وقاموا اليه بالناس التابعين لها الذين نفروها عن ربها وشبه قوله كفوا عنه بقوله خلوا بيني وبينها وفي قوله فاني أرفق بها منكم بيان لانه أعلمهم رفقا وأقواهم شفقة على خلق الله تعالى وهو تشبيه في أعلى طبقات البلاغة لتضمنه هذه المعاني اللطيفة قيل ويحتمل ان الرجل انما قال أولا ما قال ليطلع على حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم لانه سمع صفاته من أهل الكتاب والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم علم بذلك وقيل ان جزمه بدخوله النار لكفره بما قاله للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والنبي تلطف به حتى أمن ونجا من النار فتامل وهذا الحديث رواه البزار وأبو الشيخ بسند ضعيف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن حبان في صحيحه وابن الجوزي في الوفا (وروى عنه) بالبناء للمجهول وضمير عنه للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والراوي له أبو داود والترمذي عن ابن مسعود وفي نسخة وروى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (لا يبلغني احد منكم عن أحد من أصحابي شيئا) هذا نهي عام عن الغيبة والنميمة ونقل ما يكره نقله من قول أو فعل أو ترك (فاني أحب ان أخرج اليكم وأنا سليم الصدر) سلامة الصدر كناية عن كونه ليس في قلبه بغض لاحد ولا غضبان على أحد ومثله صلى الله تعالى عليه وسلم يقال له سليم القلب قال الله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم أي بريء من الكفر والنفاق وهذا معنى آخر وقد صح عن أنس رضي الله عنه فيما رواه ابن مسعود قال قسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قسمة فقال رجل من الانصار والله ما أراد محمد بهذا وجه الله فاتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبرته فتمعر وجهه وقال رحم الله أخي موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر رواه البخاري والمراد سلامة صدره للمنقول عنه أو الناقل كما قيل سبك من بلغك والاولى ابقاؤه على اطلاقه ليشملهما وغيرهما وكل من النميمة والغيبة حرام الا في اماكن استثناها الفقهاء وقد نظمها الجوجري من فقهاء الشافعية في قوله

بست غيبة جازت خذها * منظمة كامثال الجواهر

تظلم واستغث واستفت حذر * وعرف واذكرن فسق المجاهر

وياتي لذلك مزيد بيان أيضا (ومن شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته تخفيفه) عنهم التكاليف الشاقة التي كانت في الامم السابقة ورجاؤه صلى الله عليه وسلم من ربه ان يجعل الصلاة خمسا بعدما كانت خمسين (وتسهيله) في أمورهم كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لبدنك عليك حق ولزوجك عليك حق لمن أراد قيام الليل كله (وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم) الكراهة والكراهية من المكروه ضد المحبوب والكره ضد الطوع والمخافة بمعنى الخوف منصوب على انه مفعول له ثم بين ذلك بقوله (كقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (لولا ان أشق على أمتي) أي لولا مخافة المشقة عليهم (لامرتهم بالسواك) أي أمر ايجاب والا فامر الاستحباب ورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عليكم بالسواك واستاكوا حتى تمسك بهذا الحديث بعضهم في حمله واجبا ورد بهذا الحديث فهو سنة واختلف في محل سنيته في الوضوء فقيل حال المضمضة وقيل قبل الوضوء وقيل مطلقا من غير تعيين وقت له وهو من سنن الدين لا من سنن الوضوء كما اختاره الزيلعي رحمه الله تعالى والسواك مصدر بمعنى الاستياك واسم العود نفسه والمراد هنا الاول أو الثاني بتقدير مضاف أي استعماله

وهو

وهومذكر وجوز بعض أهل اللغة تأنيثه (مع كل وضوء) وفي مسلم عند كل صلاة وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة والوضوء بضم الواو مصدر وبفتحها ما يتوضأ به كالطهور وأجاز بعضهم في المصدر الفتح وقد جاء في المصادر الفتح أيضا وقال أبو شامة رحمه الله تعالى في كتاب السواك السواك مأخوذ من قولهم تساوكت الابل اذا اضطربت من الهزال فيما اقلقت من الضعف لما فيه من الحركة وقوله مع كل وضوء وروى مع كل صلاة وعند كل صلاة كما علم وهل هو عام لكل صلاة فرضا أو نفلا أو الصلوات الخمس ذهب الى كل جماعة وقال الشافعي أحب السواك للصلاة وعند كل حال تغير فيها الفم كالاستيقاظ من النوم وهو يشمل الصائم وفيه كلام للفقهاء فيكره له بعد الزوال فلا يحصل له تغير بنحو نوم بعده وفي رواية الموطأ مع الوضوء قال أبو شامة يحتمل معنيين أي لأمرتهم بالسواك مصاحبا للوضوء أو لامرتهم به كما أمرتهم بالوضوء وله فيه كلام طويل وقوله (وخبر صلاة الليل) هو ما قال الشيخ قاسم بن قطلوبغا في تخريجه لاحاديث الشفاء ومن خطه نقلت عن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه قال احتجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حجيرة بخصفة أو حصير في المسجد في رمضان فخرج فصلى فيها قال فسمع رجال وجاؤا يصلون بصلاته قال ثم جاؤا فحضر وا وابطأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يخرج اليهم فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب فخرج اليهم مغضبا فقال لهم ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته الا المكتوبة رواه الشيخان وفي رواية خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها انتهى وهذا هو المناسب للمقام ولما قبله واليه أشار السيوطي أيضا في مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا الا ما قيل انه أراد به حديث صلاة الليل مثنى مثنى وبه استدل على ان الافضل في النفل ليلا أن يكون ركعتين ركعتين وعند أبي حنيفة رحمه الله تعالى الافضل ليلا ونهارا الاربع لدليل لاح له وقد علمت ان الاول هو المناسب هنا ويناسبه ما روى خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم وهذا هو الذي قاله التلمساني في حواشيه أيضا * فان قلت كيف يخشى صلى الله تعالى عليه وسلم افتراضه بعد فرض الصلاة في الاسراء وقول الله تعالى لا يبدل القول لدي * قلت قيل يحتمل ان الله أوحى اليه انك ان واظبت على هذه الصلاة بجماعة افترضتها عليهم أو انه وقع في نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك أو المعنى اني خشيت أن تظنوها فرضا اذا دومت عليها ولا يخفى بعده وان قيل ان ما في الاسراء هي وظيفة كل يوم وهذه مخصوصة برمضان أو انه لما كان قيام الليل فرضا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خشي أن يستوي به غيره من الامة وقيل ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا واظب على شيء من أعمال البر واقتدى الناس به يفترض وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم واظب على أشياء كثيرة ولم يفترض كرواتب الفرائض والسنن المؤكدة وقيل ان المراد بالفرض فرض الكفاية وقول الكرماني ان قوله تعالى لا يبدل القول لدي معناه نفي النقص لان الزيادة بعيد جدا وهذا لا يقبل النسخ لانه خبر واحتمال انهم لرغبتهم في العبادة يفرضون ذلك على أنفسهم كالنذر فيشق على من بعدهم بعيد أيضا وعلى كل حال فالمقام لا يخلو من الاشكال (ونهيهم) مصدر مضاف للمفعول أي نهي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الصحابة رضي الله تعالى عنهم (عن الوصال) وكراهته لهم وأصال في الصوم وهو أن يصوم يومين فاكثر من غير أكل وشرب بينهما ونهيه عن الوصال ثابت في الصحيحين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما واصل واصل الناس وشق ذلك عليهم فلما بلغه ذلك نهاهم عنه فقالوا انك تواصل فقال انكم لستم مثلي اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني فمن خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يجوز له الوصال ويمنع منه غيره واختلف فيه هل كراهته تحريمية أو تنزيهية أو يفرق بين من يطيق ومن لا يطيق وعلم من الحديث وجه اختصاصه ومعنى كون الله يطعمه ويسقيه انه يعطيه قوة وحالة

مع كل وضوء) أي أمر وجوب فيؤخذ استحبابه في كل حال لو كان الصائم بعد الزوال فان لولا الامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى امتنع الامر بالفريضة لوقوع المشقة (وخبر صلاة الليل) بالجر وهو الصحيح وفي نسخة بالرفع على انه مبتدأ خبره بيان ولعله أراد به ما رواه الشيخان في قيام الليل من خبر خذوا من العمل ما تطيقون اذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يريد يستغفر الله فيسب نفسه وما روياه في حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص حيث قال واما أنا فارقد وأقوم وأصلي ومنعه عن قيام الليل كله وقد روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج ليلة في شهر رمضان فصلى بالقوم عشرين ركعة واجتمع الناس في الليلة الثانية فخرج فصلى بهم فلما كانت الليلة الثالثة كثر الناس فلم يخرج وقال عرفت اجتماعكم لكن خشيت أن تفرض عليكم (ونهيهم) بالوجهين أي ونهيه اياهم (عن الوصال) كما رواه وهو أن لا يفطر أياما متوالية

ويغذيه بأنوار ربانية بحيث لا يضعف بدنه بترك الطعام والشراب بل يزداد قوة وذلك باتصال روحانيته بعالم الغيب حتى يحصل له بدل ما يتحلل بحيث لا يشعر وليس هذا حاصلا له في كل الاوقات ألا ترى أن المريض مدة طويلة لا يأكل ولا يشرب ولو فعل ذلك في حال صحته لم يطقه لاشتغال روحه عنه وقد اتفق على هذا علماء الشرع والحكماء كما فصله ابن سينا في مقامات العارفين فلا يرد عليه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض الاحيان يجوع جوعا شديدا حتى يشد الحجر على بطنه والترمذي الحكيم لما لم يقف على هذا أنكره لتوهم ان بين الحديثين تنافيا حتى ادعى انه تصحيف وتحريف ممن رواه وانما هو الحجز بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والزاى المعجمة جمع حجزة وهي مرتشقة في الحزام وقال ما يغني شد الحجر ولم يدر انه بثقله وبرده يجمع الامعاء ويبردها ويقيم الصلب الضعيف وانكاره للحديث الصحيح وحمله على غير ظاهره كما قيل بان يغذيه حقيقة من طعام الجنة يأباه المقام لانه لو كان كذلك لم يكن وصالا (وكراهته دخول الكعبة) أي من شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته كراهته دخول الكعبة في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وصححاه وكذا رواه ابن خزيمة والحاكم عنها أيضا وصححا سنده وهو انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من عندها وهو قرير العين ثم رجع وهو كئيب أي محزون فسألته عن ذلك فقال خشيت أن أكون شققت على أمتي أي بدخولي البيت وكان ذلك في حجة الوداع وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها معه وبهذا جزم الطبري والبيهقي واختلفوا هل صلى فيه أم لا وفي بعض شروح البخاري يحتمل أن يكون دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم الكعبة وقع مرتين صلى في احديهما ولم يصل في الاخرى وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم دخل الكعبة متفق عليه قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم البيت هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة رضي الله تعالى عنهم وأغلقوا عليهم الباب فلما فتحوه كنت أول من ولج فسألت بلالا هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيها قال نعم بين العمودين اليمانيين فكان ابن عمر اذا دخل مشى قبل الوجه ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار قريب من ثلاثة أذرع فيصلي يتوخى المكان الذي صلى فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا بأس على أحد أن يصلي في أي جهة شاء وهذه الرواية مرجحة على رواية اسامة بن زيد انه دعا فيه ولم يصل لان المثبت مقدم على النافي لزيادة علمه وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قدم مكة بعد الهجرة ثلاث مرات ٭ الاولى في عمرة القضاء ولم يدخل فيها الكعبة لما فيها من الاصنام والكفر باق بها ٭ والثانية في فتح مكة وفيها دخل الكعبة وأمر باغلاق بابها فلبث فيها مليا ثم فتح الباب قال عبد الله ابن عمر فلقيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خارجا وبلال على أثره فقلت له هل صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال نعم قلت أين قال بين العمودين تلقاء وجهه ونسيت ان أسأله كم صلى ٭ والثالثة في حجة الوداع واختلف في انه دخل الكعبة فيها أم لا وانما كره دخولها في حجة لئلا يجعله الناس من المناسك اقتداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد لا يتيسر لهم ذلك وقد اختلفوا في كونه من المناسك والصحيح انه ليس منها تمسكا بهذا الحديث وقوله (لئلا تعنت أمته) بتاءين مفتوحتين وعين مهملة مفتوحة ونون مشددة ومثناة فوقية تفعل من العنت وهو المشقة والاثم ووقع في بعض النسخ تتعب من التعب كما قاله التلمساني وأمته فاعل عليهما وروى يعنت بضم التحتية وسكون العين وكسر النون من أعنته بمعنى عنته وأمته منصوب مفعول وبالتحتية والتشديد أيضا ونصب أمته ففيه وجوه مروية (ورغبته) أي طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (أن يجعل سبه ولعنه لهم) أي لامته أي لاحد منهم (رحمة بهم) والسب والشتم بمعنى وأصله من السبه وهي مخرج البعر من الدبر

(وكراهته) أي لاجلهم (دخول الكعبة) أي دخوله فيها على ما رواه أبو داود وصححه الترمذي (لئلا يتعب أمته) من الاتعاب وهو الايقاع في التعب والمشقة وفي نسخة لئلا تتعب أمته بفتح التاء والعين ورفع أمته وفي نسخة صحيحة لئلا يعنت من أعنت غيره اذا أوقعه في العنت وهو المشقة وفي نسخة بتشديد النون المكسورة (ورغبته لربه) أي دعاؤه اياه على طريقة الميل والرغبة (أن يجعل سبه) أي شتمه عليه الصلاة والسلام (ولعنه لهم) أي بان دعا عليهم بالطرد والبعدان صدر شيء منهم لبعضهم أو لكلهم (رحمة بهم)

فنقل

وانه ضبط بالكسر والفتح وهو الاظهر أي ومن شفقته عليهم كما رواه الشيخان انه (كان يسمع بكاء الصبي) أي الصغير والبكاء يمد ويقصر (فيتجوز) أي فيقتصر ويخفف (ويتعجل في صلاته) أي المعتودة للجماعة رحمة لهم وحذرا من ذهاب خشوع من صلى معه من والديه (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ان دعا ربه) أي سأله (وعاهده) أي وأخذ عهده سبحانه وتعالى فيما بينه وبينه (فقال ايما رجل) وكذا حكم المرأة تبعا (سببته أو لعنته) ليس أو للشك بل للتنويع (فاجعل ذلك له زكاة) أي نماء وبركة يتبارك بها (ورحمة) أي ترحمه بها (وصلاة) أي ثناء أو عبادة وقال الدلجي عطف تفسير اذهي منه تعالى رحمة وقال الانطاكي عطف الصلاة على الرحمة وان كانت في معناها لتغاير اللفظ ولا يخفى ان ما اخترناه هو السديد لان التاسيس أولى من التاكيد (وطهورا) يتطهر به وجعله الدلجي أيضا من باب التاكيد حيث فسر الزكاة بالطهارة خلافا لما قدمناه (وقربة) أي وسيلة (تقربه بها اليك يوم القيامة قال الدلجي انما أعاده لما فيه من الزيادة أقول وكان الاولى للمصنف أن يجمعهما من غير فصل بينهما واعلم ان أول الحديث اللهم ان محمدا بشر يغضب كما يغضب البشر واني قد اتخذت عندك عهدا ان تخلفنيه فايما رجل سببته أو لعنته الحديث قيل وانما يكون دعاؤه عليهم رحمة وزكاة ونحو ذلك اذا لم يكن أهلا للدعاء عليه والسب واللعن بان كان مسلما كما في جاء في الحديث كذلك في بعض الروايات فايما رجل من المسلمين سببته الحديث والا فقد دعا صلى الله تعالى عليه وسلم على الكفار والمنافقين ولم يكن ذلك رحمة بلا شبهة فان قيل كيف يدعو صلى الله تعالى عليه وسلم على من ليس باهل للدعاء عليه أو سبه أو لعنه فالجواب ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الامر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم استحقاقه لذلك بامارة شرعية وهو مامور بحكم الظواهر والله يتولى السرائر

فنقل لما ذكر وسيأتي بيان هذا (وانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمع بكاء الصبي) وهو في صلاته (فيتجوز في صلاته) التجوز تفعل من الجواز والمراد به هنا انه يخففها ويسرع فيها مستعار من تجوز عن ذنبه اذا لم يؤاخذه به كتجاوز وهو من الجواز في السير والصبي المراد به الطفل الرضيع وهذا رواه ابن السني في حديث صحيح عن أنس رضي الله تعالى عنه كما قاله السيوطي وروى الشيخان عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال اني لادخل في الصلاة وأنا أريد اطالتها فاسمع بكاء الصبي فاتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه ودليل فيه على جواز دخول الصبي والنساء في المسجد لاحتمال أن يكون ذلك من بيوت مجاورة له ولا دليل فيه أيضا على جواز تطويل الصلاة لاجل من يلحق الجماعة كما قيل والمراد بالتخفيف ما لا يؤدي الى عدم تعديل الاركان والاخلال بالواجبات كما لا يخفى (ومن شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم) على أمته ورحمته لهم (ان دعا ربه وعاهده) هذا مفسر لما مر ولو اقتصر على هذا كان أخصر وأظهر والمراد بالمعاهدة الزام ما لا يلزمه شرعا كالنذور كما قاله الراغب أي دعا بذلك ونذر قصده ماذكر (فقال ايما رجل سببته أو لعنته) تفسير لما دعا به وعاهد الله عليه واللعن أصل معناه الطرد والابعاد ثم خص بالبعد من رحمة الله (فاجعل ذلك) السب واللعن (زكاة) أي تطهيرا له مما ارتكبه مما اقتضاه (وصلاة ورحمة وطهورا) أي مطهرا له من ذنوبه (وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة) كما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وروى هذا الحديث من طرق أخر فيها أيما رجل من المسلمين أو من المؤمنين وروى أو جلدته ومعلوم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله فاذا رأى أحدا من المؤمنين وقع منه ما يخالف أمر الله ورأى ما حصلت له غيرة لامر الله فبادر بزجره وشتمه أو ضربه ثم انه رجا من الله أن يكون ذلك مكفرا لما صدر منه ورحمة عظيمة مقربة له من الله لان المؤمن اذا رأى غضب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حصل له خوف شديد يفتت قلبه فتكون شدة خوفه جزاء عمله وزجر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة في حسناته تقربه من ربه وهذا لا ينافي ما ورد في حديث آخر (اني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة) اما لان المنفي هناك المبالغة والكثرة ان لم تقل المبالغة في النفي فان قلنا بها فالمعنى انه ليس هذا مقصودا من بعثته فلا ينافيه وقوع ما يخالفه للتأديب نادرا وأما حمل ما صدر منه صلى الله تعالى عليه وسلم على ما قبل البعثة ينافيه قوله من المؤمنين أو المسلمين وسياق الحديث في قوله جلدته يأباه أو انه لما رجا من الله أن يكون ذلك رحمة لهم لم يكن لعنا حقيقيا بل رحمة فلا لعن منه لاحد من أمته أصلا وبالجملة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة وأذيته نعمة لا نقمة بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان دعاءهم نقمة عاجلة على أممهم وفي المصابيح ان الله أجاركم أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا وسيأتي تتمة هذا في القسم الثالث فصار دعاؤه عليهم دعاء لهم على حد قولهم قاتلهم الله وتربت يداه وفي هذا نهاية الشفقة وأول الحديث (اللهم انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما

(ولما كذبه قومه) أي وعما يدل على كمال شفقته على أمته حديث الشيخين أنه لما كذبه قريش من كفار مكة (أتاه جبريل) أي تسلية لحاله وتسكينا لباله (فقال ان الله قد سمع قول قومك لك) أي لاجلك (وما ردوا عليك) أي من تكذيب وغيره في حقك وقيل المعنى وما أجابوك وذلك لانه سبحانه وتعالى لا يعزب عن علمه مسموع الآن سمعه صفة تتعلق بالمسموعات من غير جارحة على هيئة الموجودات فانه سبحانه وتعالى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فنزه سبحانه وتعالى أولا عن التشبيه والتمثيل ثم أثبت ردا على أهل التعطيل

(وقد أمر ملك الجبال) أي أذنه بالانقياد لك (لتأمره) أي لاجل أن تأمره (بما شئت فيهم) أي فيطاعك في حقهم (فناداه ملك الجبال) أي فخضره الملك وناداه باسمه أو بوصف من أوصافه (وسلم عليه) الواو لمطلق الجمع لمناسبة تقديم السلام على النداء والكلام (وقال مرني بما شئت) أي في قومك وحذف مفعوله للتعميم ثم خصص بقوله (ان شئت أن أطبق) بضم الهمزة وكسر الموحدة أي أوقع وأرمى (عليهم الاخشبين) أي فعلت وفي أصل الدلجى أطبقت وهو الافق لكنه مخالف للاصول المصرحة والنسخ المصححة والمراد بالاخشبين وهو بالخاء والشين المعجمتين فوحدة تثنية الاخشب وهو الجبل الخشن وأنشد أبو عبيدة

كان فوق منكبيه أخشبا

جبلان مطبقان بمكة قيل هما أبو قبيس وقعيقعان أو الجبل الاحمر الذي أشرف على قعيقعان وعن ابن وهب هما جبلان تحت عقبة منى فوق المسجد (قال) وفي أصل الدلجى فقال (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل أرجو) أي لا أريد استئصالهم بل أتوقع (أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده) أي منفردا (ولا يشرك به شيا) أي شيئا من الاشراك لا جليا ولا خفيا والجملة الثانية كالمؤكدة لما قبلها ويمكن اعتبار مغايرتهما لفظا وذلك الا لكونه رحمة للعالمين وقد أمضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم بالخير ولو بواسطة تحمل الضير (وروى ابن المنكدر) تقدمت منقبته وانه تابعي جليل فالحديث مرسل الا انه ليس مما يقال بالرأي فيكون له حكم الموصول كما لا يخفى

رجل الى آخره) وهذا كما لا ينافي دعاءه صلى الله تعالى عليه وسلم على بعض الكفرة والمنافقين (و) من عظيم شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم ما أشار اليه بقوله (لما كذبه قومه أتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيا) هذا الحديث رواه الشيخان وأصحاب الكتب الستة وكان ذلك لما مات أبو طالب ونالت قريش منه صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم تنل في حياته فخرج لثقيف ومعه زيد بن حارثة يلتمس النصرة منهم والمنعة فعمد الى نفر من رؤسائهم بمجالس اليهم وكلمهم ودعاهم الى الاسلام فكذبوه وسلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم فخرجوا يسبونه ويصيحون به ويرضخونه بالحجارة حتى أدموا رجليه وهم يضحكون وزيد رضى الله تعالى عنه يقيه بنفسه حتى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى حائط استظل بكرمه وهو مكروب موجع فاذا بقرب الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره ذلك لما يعلم من عداوتهما له فرحماه ودعوا غلاما لهما يقال له عداس وقالا له قطف من هذا العنب وضعه في طبق واذهب به له ليأكله فلما وضعه قال صلى الله تعالى عليه وسلم بسم الله ثم أكل فقال الغلام ان هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من أهل نينوى فقال من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال ما يدريك يونس قال ذاك أخي من أنبياء الله فأكب يقبل رأسه ورجليه فلما رجع قالا له مالك قبلت رجليه قال ما في الارض خير من هذا لقد أعلمني بامر لا يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا من أشد ما لقيه والقصة مفصلة في السير وقوله وما ردوا عليك أي ما أجابوك به وما ردوا قولك وخالفوه اذ كذبوك وقوله فناداه ملك الجبال أي قال له يا رسول الله السلام عليك وقوله أطبق بضم الهمزة وسكون الطاء المهملة وكسر الموحدة مخففة ومشددة بمعنى أي أضمهما وأجمعهما حتى يهلكوا تحتهما وملك الجبال هو الموكل بها بامر الله والاخشبين تثنية أخشب بخاء وشين معجمتين وموحدة بزنة أفعل جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى فيقال اخشبا مكة واخشبا منى وهما أبو قبيس وقعيقعان بالتصغير ويسميان الجبجبان وهما تحت العقبة التي بمنى فوق المسجد كما قاله البرهان الحلبي وقعيقعان هو الجبل المشرف الاحمر وثم قعيقعان آخر بالبصرة وسميا اخشبان لغلظ حجارتهما وخشونتهما واصلاب جمع صلب الظهر والمراد بالاخراج منها أن يخلق لهم نسل وذرية وقد حقق الله رجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن ابن المنكدر) وفي نسخة وروى ابن المنكدر وهو محمد بن المنكدر بن

عبد

موقوف الصحابي بهذا المعنى انه يكون في حكم المرفوع لاسيما ويعضده الحديث السابق المروى في الصحيحين والحاصل انه روى (أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله أمر السماء والارض والجبال ان تطيعك) أى باطاعتك (فمرها بما شئت فقال أؤخر عن أمتي) أى العذاب (الذى استحقوه بكفرهم لعل الله أن يتوب ٨٣ عليهم) أى على بعضهم بتوفيق إيمانهم أو يخرج مؤمنا من أصلابهم (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما) أى أهونهما كما اختار تأخير العذاب عن أمته كما صرح به صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الاول بقوله بل للاضراب عما خير فيه من الاطباق وعدمه وحديث عائشة رضى الله تعالى عنها سبق الكلام عليه وذكر السيوطى في جامعه الصغير برواية الترمذى والحاكم في مستدركه عن عائشة رضى الله تعالى عنها بلفظ ما خير بين أمرين الا اختار أرشدهما هذا وما أحسن ما قيل في المداراة

ودارهم ما دمت في دارهم
وأرضهم ما دمت في أرضهم

وقوله

ما دمت حيا فدار الناس كلهم
فانما أنت في دار المداراة
من يدر دارى ومن لم يدر سوف يرى
عما قليل نديما للندامات

(وقال ابن مسعود) أى فيما رواه الشيخان (كان رسول صلى الله عليه وسلم يتخولنا) بالخاء المعجمة أى يتعهدنا (بالموعظة) أى بالنصائح المفيدة وقيل هو تخويف بسوء العاقبة وقال أبو عمرو ابن الصلاح والصواب بالمهملة أى يتحرى الحال التى ينشطون فيها للموعظة فيعظهم فيها ولا يكثر عليهم فيملوا منها ورواه الاصمعي يتخوننا بالنون بدل اللام مع الخاء المعجمة بمعنى يتعهدنا (مخافة السآمة) بهمزة ممدودة أى الملالة (علينا

عبدالله بن الهدير بن عبد العزيز المدني توفي سنة ثلاثين أو احدى وثلاثين ومائة وهم ثلاثة اخوة وكان يدخل على عائشة رضى الله عنها وهو تابعي وقد تقدم قوله (ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم) باسقاط الصحابي فهو مرسل قال البرهان وانما يكون مرسلا اذا قلنا ان الصحابي اذا قال قولا لا مجال للاجتهاد فيه يكون مرفوعا كما ذكره الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه فيكون ما قاله التابعي مرسلا وفي بعض الشروح زعم هو مرسل الان ارساله لا يمنع من قبوله اذ مرسل أصحاب القرون الثلاثة مقبول عندنا وعند مالك بل هو فوق المسند البرهان قام عليه عنده وعند الشافعي مرسل الصحابي مقبول لكنه دون المسند وفي التنقيح الاصولي حكاية قبول مرسل الصحابي بالاجماع وفيه نظر لمخالفة أبي اسحق الاسفرايني فيه كما نقله العراقي وقيل انه خلاف نادر أبعد ناقله الاجماع في العصر الاول ومثله لا يضر وفيه نظر ولذا في اطلاق هذه المسئلة بحث ذكرناه في حواشي النخبة (ان الله أمر السماء والارض والجبال ان تطيعك) المراد باطاعة السماء له صلى الله تعالى عليه وسلم انه ان أراد ان تخر صواعقها على من عصاه فتهلكهم كان ذلك والارض ان أراد خسفها بهم وانطباقها عليهم كان ذلك من غير مهلة وحد ضمير تطيعك مع عوده على شيئين معطوفين بالواو لجعلهما كشئ واحد لتأويلهما بالعالم أو الدنيا أو كان الظاهر تطيعاك وفي بعض النسخ والجبال وعلى هذا لا حاجة الى التأويل لان الجمع يجوز عود ضمير المؤنث المفرد عليه وفيه مراعاة النظير وحسن الترتيب أى بان تطيعك في كل ما تريد (فقال) صلى الله عليه وسلم (أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم) رجاء أنهم يتوبون عن مخالفتي ويوفقهم للايمان فيتوبون ويقبل الله منهم ذلك أو يكون منهم من يعبد الله ولا يشرك به شيأ وأصل معنى التوبة الرجوع فهى من العباد الرجوع عن المعاصي ومن الله قبول ذلك أو من الرجوع عن الغضب عليهم والعقوبة لهم ولا منافاة بين هذا وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ولا بين ما وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم في غزواته من القتل والسبي كما توهم لانه عذاب مخصوص ولان التأخير لا ينافي ما وقع بعده كما لا يخفى والاحسن ان جوابه معلوم من قوله الآتي ما لم يكن اثما فتدبر (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما خير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما) تقدم هذا الحديث وانما أعاده هنا تأييدا لما قبله وأيسرهما أى أسهلهما وأهونهما على الامة شفقة ورحمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وبقية الحديث ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه كما سيأتي وكذا رواه الشيخان وتقدم الكلام عليه (وقال ابن مسعود رضى الله عنه) في حديث رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتخولنا بالموعظة) بفتح المثناة التحتية وفتح التاء الفوقية والخاء المعجمة والواو المشددة المفتوحة واللام والضمير للصحابة أى يتعهدنا يقال فلان خائل مال وهو الذى يصلحه ويقوم عليه ومنه الخولى لراعى الغنم والواشي وقيل الصواب يتحولنا بالحاء المهملة أى يطلب الحال التى ننشط فيها لاستماع الموعظة فيعظ فيها ولا يكثر منها (مخافة السآمة علينا) أى لئلا نكل ونسأم وقيل انه يتخوننا بنونين أى يتعهدنا كما يتعهد الضيوف بالخوان والمائدة والرواية الصحيحة بالاعجام مع اللام والنون كما مر وكان فعل ماض اذا أخبر عنه بالمضارع الدال على الاستمرار التجددى دل على التكرار عرفا والموعظة مصدر ميمي بمعنى الوعظ وهو التذكير والتخويف

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انها ركبت بعيرا) بفتح أوله ويكسر أي جملا (وفيه صعوبة فجعلت تردده) أي من الترديد وهو الرد بالتشديد (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليك بالرفق) أي الزمي اللطف مع كل شيء في كل حال والباء زائدة والمعنى استعملي الرفق وقد ورد مرفوعا ما كان الرفق في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه كما رواه عبد بن حميد والضياء عن أنس رضي الله تعالى عنه وفي صحيح مسلم برواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها أيضا مرفوعا ولفظه عليك بالرفق ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وروى البخاري في تاريخه ٨٤ عنها أيضا عليك بالرفق واياك والعنف والفحش * (فصل) * (وأما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء) أي القيام بمقتضى الوعد (وحسن العهد) أي وفي تعهد العقد ومراعاة الوجد (وصلة الرحم) بالاحسان الى ذوي القرابة خصوصا (حدثنا القاضي أبو عامر محمد بن اسمعيل بقراءتي عليه) والقراءة أحد وجوه الرواية على اختلاف في انها الافضل أو السماع من الشيخ هو الاكمل وتحقيق الفصول في الاصول (قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد) وفي نسخة ابن أحمد (حدثنا أبو اسحق الحبال) بفتح مهملة فتشديد موحدة (حدثنا أبو محمد بن النحاس) بفتح نون وتشديد مهملة (حدثنا ابن الاعرابي حدثنا أبو داود) أي صاحب السنن (حدثنا محمد بن يحيى) امام جليل نيسابوري روى عن ابن مهدي وعبد الرزاق وعنه البخاري والاربعة وغيرهم ولا يكاد يفصح البخاري باسمه لما جرى بينهما قال الامام أبو حاتم هو امام أهل زمانه (حدثنا محمد بن سنان) بكسر أوله معروف روى عنه البخاري وغيره (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح مهملة وسكون هاء وهو أبو سعيد الخراساني يروي عن سماك بن حرب وثابت البناني وعنه ابن معين وخلق وثقه أحمد وأبو حاتم وكان من أئمة الاسلام فيه ارجاء أخرج له أصحاب الكتب الستة

من سوء العاقبة ومخافة منصوب مفعول له وهو مصدر بمعنى الخوف كالسآمة بالمد وعلينا متعلق بمخافة وتعلقه بالسآمة يقتضي من المشقة تكلف وان جاز وقيل انه حال من السآمة وهو الارجح أو صفة لانه في معنى النكرة كقوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا وفي افادة كان التكرار كلام مفصل في كتب الاصول (وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة) أي شدة بحيث لا ينقاد لراكبه اذا أوقفه واذا سيره (فجعلت تردده) أي تمشي به وترجع وأصل التردد عدم البقاء على حالة ومنه تردد الانسان في الاماكن لحاجة تعرض له ومنه التردد في الخواطر وانما فعلت ذلك لتروضه حتى ينقاد لها (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة (عليك بالرفق) أي استمسكي بالرفق في أمورك ولا تتعبي الدابة التي ركبت ففيه دلالة على شفقته صلى الله تعالى عليه وسلم على خلق الله حتى الحيوانات وعليك بكسر الكاف اسم فعل يتعدى بنفسه وبالباء كما ذكره النحاة والبعير بفتح أوله ويكسر وكذا كل فعل ثانيه حرف حلق ويطلق على الجمل والناقة وقيل هو الجمل البازل وهو الموافق للاستعمال وهذا الحديث أخرجه البيهقي في سننه عن المقدام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها انها كانت على جمل فجعلت تضربه فقال لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق فانه لم يكن في شيء الا زانه ولا نزع من شيء الا شانه وختم بهذا الحديث لما فيه من العموم فهو كالفذلكة (٢) لهذا الفصل

* (فصل وأما خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم في الوفاء) * هو ضد الغدر ونقض الذمة (وحسن العهد) أي ما عاهد عليه والتزمه وهو عطف تفسير لما قبله (وصلة الرحم) هو الاحسان الى الاقارب والاصهار والرفق بهم وعفو زلاتهم ونصحهم والتودد اليهم وضده قطع الرحم وهذا اذا لم يكونوا كفارا أعداء الله كأبي لهب وأبي جهل والرحم أصله مقر الولد ثم استعمل بمعنى القرابة بعيدة أو قريبة بواسطة وبدونها (حدثنا القاضي أبو عامر محمد بن أحمد بن اسمعيل) بن ابراهيم الامام المحدث الطليطلي ولد سنة ست وخمسين وأربعمائة ومات بقرطبة في ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة (بقراءتي عليه قال حدثنا أبو بكر محمد بن محمد) تقدم قال (حدثنا أبو اسحق الحبال) بفتح الحاء المهملة وتشديد الموحدة وهو ابراهيم بن سعد بن عبد الله المهدي الثقة المشهور وقد تقدم قال (حدثنا أبو محمد بن النحاس) تقدم ترجمته قال (حدثنا ابن الاعرابي) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المشهورة وقد تقدم قال (حدثنا محمد بن يحيى) بن عبد الله بن خالد بن فارس النيسابوري الامام الحافظ الجليل القدر توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين أخرج له أصحاب السنن وغيرهم قال (حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين ونونين بينهما ألف العوقي بفتح العين المهملة والواو وتسكن وبالقاف نسبة للعوق بطن من عبد القيس غير مشهور قال (حدثنا ابراهيم بن طهمان) بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء وهو

---

(٢) قوله كالفذلكة بفتح الفاء وسكون الذال المعجمة وفتح اللام معناها الاتيان بحاصل ما تقدم من العدد اجمالا لاجل المبالغة في الضبط كما في قوله تعالى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة فان من المعلوم ان الثلاثة والسبعة عشرة لكنه نبه على كونها عشرة لاجل شدة الضبط والحفظ انتهى مصححه

(عن بديل) بضم موحدة وفتح دال مهملة وسكون تحتية فلام وهو ابن ميسرة العقيلي يروي عن أنس وجماعة وعنه شعبة وحماد ابن زيد (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) وفي نسخة أبي شقيق (عن أبيه) أبوه هو عبد الله بن شقيق وهو عقيلي بصري يروي عن عمر وأبي ذر وعنه قتادة وأيوب ووثقه أحمد وغيره (عن عبد الله بن الجمساء) بمهملتين بينهما ميم ساكنة فالف ممدودة وفي نسخة بخاء معجمة فنون وهو تصحيف كما قال الحلبي وقال التلمساني وهو الاكثر في الرواية والصواب بالميم وفي نسخة عن أبي الجمساء وأبو الجمساء لا اسلام له ولا رواية (قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) أي بعقد بيع لا بعهد بيعة (قبل أن يبعث) أي بالرسالة (وبقيت له بقية) أما من الثمن أو المثمن فان البيع من الاضداد (فوعدته) وفي نسخة وهي الاظهر فواعدته (ان آتيه بها) أي أجيئه بالبقية (في مكانه) أي الذي صدر فيه البيع أو غيره (فنسيت) أي ان آتيه بها (ثم ذكرت بعد ثلاث) أي ثلاث ليال أو ثلاثة أيام ولم يلحق التاء به لحذف مميزه وقيل المراد الليالي بايامها والليل سابق والحكم للسابق وأبعد من قال ويحتمل ثلاث ساعات وأغرب التلمساني بقوله وهو الاقرب ووجه الغرابة ان انتظار ثلاث ساعات مما لا يستغرب (فجئت) وفي نسخة فجئته بابراز ضميره (فاذا هو في مكانه) أي مكان وعده (فقال يا فتى لقد أشققت علي) أي أوقعت المشقة علي وثقلت علي (أنا هنا منذ ثلاث) يفيد انه ما تحول من مكانه ذلك (انتظرك) أي لتأتيني هنالك وهذا من جملة اخلاق جده اسمعيل عليه السلام حيث قال تعالى واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد قال مجاهد لم يعد شيئا الا وفي به وقال مقاتل وعد رجلا أن يقيم مكانه عليه السلام حتى يرجع اليه الرجل فاقام اسمعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل وقال الكلبي انتظره اسمعيل حتى حال عليه الحول (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه البخاري في الادب المفرد (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان كان للاستمرار الغالبي أو لمجرد الربط التركيبي (اذا أتى) أي جيء (بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) كناية عن علم امرأة وهي هنا لا يعرف من هي (فانها كانت صديقة لخديجة وانها كانت

الامام أبو سعيد الخراساني المشهور روى عنه أصحاب الكتب الستة توفي في بضع وستين ومائة وترجمته مبسوطة في الميزان (عن بديل) بضم الباء الموحدة وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية ولام ابن ميسرة الفضل (عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق) العقيلي الامام الثقة (عن أبيه) عبد الله بن شقيق الامام المعروف توفي في زمن الحجاج (عن عبد الله بن أبي الجمساء) بحاء مهملة مفتوحة وميم ساكنة وسين مهملة وممدة العامري الصحابي وفي المقتفي انه غير أبي الجدعاء وسيأتي حديثه في انتظاره عليه الصلاة والسلام الى يوم ثالث وشقيق ولد عبد الله أخرجه أبو داود فقط قال المزي بعد ان بين طرقه عند أبي داود وليس هو عند غيره وذكر كلام أبي داود الذي نقله عن محمد بن يحيى شيخه وذكر زيادة على ما في نسخة عندي من السنن والظاهر انه من بعض النساخ وليس هو من كلام أبي داود ما لفظه كذا وهو من زوائده ورواه عثمان بن حرزاد عن محمد بن سنان هكذا وقال قال عبد الرحمن بن مهدي ما أظن ابراهيم بن طهمان الا اخطأ في عبد الكريم وانما هو عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن أبي الجمساء ورواه أبو عون الزيادي عن ابراهيم بن طهمان فلم يذكر عبد الكريم في اسناده وقال عن بشر بن السري رواه عن عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق وقال البزار أظن فيه غلطا من الناقل لان شقيقا والد عبد الله جاهلي لا أعلم له اسلاما انما عبد الكريم بن عبد الله بن شقيق عن أبيه قال اذ لا نعلم انه روى عبد الله بن أبي الجمساء الا هذا الحديث ووقع في الشفاء نسختان احداهما الخنساء بمعجمة ونون والاخرى وعن أبي الجمساء باسقاط عبد الله والاولى تصحيف والثانية خطأ لان أبا الجمساء لا اسلام له ولا رواية وانما الرواية لولده عبد الله بن أبي الجمساء انتهى (قال بايعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيع) أي باع مبيعا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قبل ان يبعث وبقيت له) أي لذلك المبيع (بقية) لم تسلم له (فوعدته ان آتيه بها في مكانه) أي في مكان وقع فيه البيع (فنسيت) الوعد الذي جرى بيننا (ثم ذكرت بعد ثلاث) أي ثلاثة أيام ولم يقل ثلاثة لان المعدود اذا حذف يجوز تذكيره مع المذكر وتانيثه مع المؤنث كما قالوه في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم وأتبعه ستا من شوال وانما تلزم قاعدة العدد اذا ذكر المعدود (فجئت فاذا هو في مكانه) أي مستقر صلى الله تعالى عليه وسلم في مكانه لم يفارقه (فقال يا فتى لقد شققت على أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك) وفي هذا الحديث دليل على وفائه صلى الله تعالى عليه وسلم بعهده ووعده وهذا الحديث رواه أبو داود وهو من افراده وأخرجه أيضا ابن منده في المعرفة والخرائطي في مكارم الاخلاق (وعن أنس رضي الله تعالى عنه كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا أتى بهدية) مبني للمجهول أي أتاه أحد بهدية (قال اذهبوا بها الى بيت فلانة) لم يسمها الرواة لعدم تعلق غرض بتعيينها (فانها كانت صديقة لخديجة رضي الله تعالى عنها) وفي رواية (انها كانت

تحب خديجة) وهو للتأكيد اذ تفيد الجملة الاولى ان خديجة كانت تحبه أيضا وفيه الحث على البر والصلة وحسن العهد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) كما فى الصحيحين (ماغرت) بكسر غين معجمة وسكون راء وفى نسخة صحيحة قالت ماغرت (على امرأة) أى من نساء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت) أى كغيرتى (على خديجة لما كنت) علة لغيرتها أى لاجل كونى دائما (اسمعه) أى أسمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (يذكرها) أى ذكرا جميلا وثناء جزيلا قال الطبرى وغيره الغيرة من النساء مسموح لهن ومغفور فى اخلاقهن لما جبلن عليه وانهن لا يملكن عندها أنفسهن ولهذا لم يزجر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عائشة عليها ولا رد عليها عذرها لما علم من فطرتها وشدة غيرتها قال الزبيدى والعامة تكسرها والصواب فتحها (وان كان) بكسر الهمزة على ان ان مخففة من المثقلة أى وانه عليه الصلاة والسلام كان (ليذبح الشاة) بفتح اللام وهى المسماة بالفارقة نحو قوله تعالى وان كانت لكبيرة (فيهديها) بضم الياء أى فيرسلها هدية (الى خلائلها) جمع خليلة أى صدائقها الكل واحدة منها قطعة (واستأذنت عليه أختها) أى طلبت الاذن فى الاتيان له صلى الله تعالى وسلم أخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن أسد أم أبى العاص بن الربيع زوج زينب بنته صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه لقيط بن الربيع ذكرها ابن منده وأبو نعيم فى الصحابة (فارتاح لها وفى نسخة صحيحة اليها أى ففرح بما أتاها) صلى وأكرمها ورحب بها ونظر اليها (ودخلت عليه امرأة) أى أخرى فى وقت آخر (فهش لها) بتشديد شين معجمة أى فرح بها واستبشر منها (وأحسن السؤال عنها) لزيادة الاستئناس بها بسبب طول عهدها فلما خرجت قال (انها كانت تأتينا أيام خديجة) أى فى زمانها (وان حسن العهد من الايمان) وفى الجامع الصغير ان حسن العهد من الايمان رواه الحاكم فى مستدركه عن عائشة رضى الله تعالى عنها مرفوعا (ووصفه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بعضهم) أى بعض السلف

تحب خديجة) وهذا الحديث رواه البخارى فى الادب المفرد (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت ماغرت على أحد) وفى نسخة امرأة من نسائه صلى الله تعالى عليه وسلم (ماغرت على خديجة) يقال غار الرجل والمرأة اذا غضب من فعل يقتضى أمر الارضاء وغيرتها كانت من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لشدة محبتها له وارادتها الصرف محبته لها دون غيرها وهذا أمر طبيعى لا لوم فيه وأما كون الغيرة من خديجة فلا وجه له بعد موتها (لما كنت أسمعه صلى الله تعالى عليه وسلم يذكرها) تعليل للغيرة وما مصدرية أى لسماعى ذكرها ولو شددت لما وجعلت حينية جاز ولكن النسخ متفقة على الاول وعلى على أصلها وقيل انها بمعنى الباء كما فى قوله اركب على اسم الله وقال فى الاكمال مغاضبة عائشة رضى الله عنها لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الغيرة التى عفى عنها للنساء حتى ذهب مالك الى اسقاط الحد عن المرأة اذا قذفت زوجها غيرة منها ولولا هذا لكان على عائشة رضى الله تعالى عنها فى مغاضبتها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الحرج لانه كبيرة عظيمة وقد صرحوا بانها معفوة عند الله وفى الشرع (وان) بكسر الهمزة وسكون النون وهى مخففة من الثقيلة (كان ليذبح الشاة) ليس المراد انه يذبحها بنفسه (فيهديها) بضم الياء الاولى والمراد انه يهدى منها أو يهديها بتمامها والظاهر الاول لانه فى الحديث فيهدى ما يشبعها أو يشبعن (الى خلائلها) بالخاء المعجمة جمع خليلة بمعنى الصاحبة والصديقة (واستأذنت عليه) أى طلبت الاذن فى الدخول له (أختها) أى أخت خديجة وهى هالة بنت خويلد بن أسد وهى أم ابن العاص ابن الربيع الصحابية المشهورة رضى الله تعالى عنها (فارتاح اليها) أى حصلت له صلى الله تعالى عليه وسلم راحة اذ دخلت عليه وأظهر البشر والمسرة برؤياها وهذا الحديث فى البخارى وفى رواية ارتاع بالعين بدل ارتاح بمعنى مال اليها وأعجبه مجيئها مجازا (ودخلت عليه امرأة فهش لها) أى تبسم قليلا وأظهر المسرة بدخولها كما يفعل الناس باصدقائهم ومن يحبونهم يقال يهش ويبش به اذا فعل ذلك استئناسا ويقال هو هش بش اذا كان طلق المحيا غير عبوس شامخ الانف كما يفعله المتكبرون (وأحسن السؤال عنها) فيه مضاف مقدر بقرينة المقام وأل فى السؤال للعهد أو بدل من المضاف أى أحسن اليها بسؤاله عن حالها وما هى عليه كما تقول لمن يزورك ما حالك وما أنت عليه تلطفا به واعتناء بشانه كما هو عادة الناس لمن يحبونه ووقع فى الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها كيف حالكم كيف أنتم فقالت بخير وهو مفسر لما ههنا (فلما خرجت) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم وذهبت من مجلسه (قال) بيانا لسبب معاملته معها وهى امرأة أجنبية (انها كانت تأتينا أيام خديجة) أى انها كانت فى حياة زوجته خديجة تدخل منزله صلى الله عليه وسلم لانها من معارفها وأصدقائها (وان حسن العهد) أى رعاية العهود القديمة ورعاية من يحبك أو يحب من يحبك (من الايمان) أى من شعب الايمان ومقتضياته لان من كمال الايمان مودة عباد الله ومحبتهم كما انه من تعظيم السيد اكرام عبيده ومناسبة هذا لما عقد له الفصل ظاهرة (ووصفه بعضهم) أى وصف بعض الصحابة النبى

(فقال كان يصل ذوى رحمه) أى يحسن اليهم ويعطف عليهم وان بعدوا عنه أو أساؤا اليه (من غير ان يؤثرهم) أى يختارهم ويفضلهم (على من هو أفضل منهم) أى من غيرهم عدلا منه واعطاء لكل ذى حق حقه لقوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ولقوله سبحانه وتعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فلا يفضل أحد بنى هاشم أو غيرهم على عالم من علماء الدين وأكابرهم كما يستفاد من حديث الشيخين الذى ذكره بقوله (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان آل أبى فلان) وفى أصل الحجازى ان آل بنى فلان ثم قال وفى بعض النسخ ان آل أبى فلان قال ابن قرقول وهو المشهور انتهى وقال بعضهم ان آل بنى فلان غلط بل هو آل أبى فلان والمراد الحكم بن أبى العاص وقال بعضهم هو أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كنى عنه الراوى حذرا من آل بنى أمية اذ كانوا حينئذ أمراء (ليسوا الى باولياء) وقال ابن قرقول وفى الحديث المشهور ان آل أبى ليسوا أولياء قال وبعد قوله أبى بياض فى الاصول كانهم تركوا الاسم تورعا أو تقية وعند ابن السكن ان آل أبى فلان كنى عنه بفلان انتهى ولا يخفى ان قوله تورعا لا وجه له اذ نص صلى الله تعالى عليه وسلم على اسمه ثم على تقدير آل أبى فلان لا يبعد ان يكون كناية مبهمة ليشمل جميع أقاربه وقد يحمل عليه رواية آل أبى من غير فلان اذ الظاهر ان المقصود ليس منحصرا فى جميع قريبه دون غيرهم كما يدل عليه عموم قوله ليسوا لى باولياء أى حقيقة حتى أو اليهم صداقة لقوله تعالى ان أولياؤه الا المتقون ولقوله سبحانه وتعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين هذا وقد قال التلمسانى والذى لم يسم ذلك يحتمل عم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز غيره وهو أولى وراوى الحديث هو عمرو بن العاص وفى بعض الروايات قال سمعت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان آل أبى سفيان ليسوا الى باولياء ثم ساق الحديث ومعنى الحديث من كان غير صالح تقى فليس بولى لى وان قرب نسبه منى (غير ان لهم) أى لآل أبى فلان (رحما) أى قرابة (سابلها) بضم موحدة ولام مشددة أى ساصلها وأراعيها وأقوم بحقها (ببلالها) بكسر الموحدة وفتحها قال البخارى فى صحيحه وبلالها أصح يعنى بكسر الباء قال وبلالها يعنى بفتحها لا أعرف له وجها وسقط كلام البخارى هذا من الاصل الاصيل انتهى والبلال جمع بلل وهو ما يبل به الحلق من ماء أو لبن وفيه استعارة ومعناه ان القطع حرارة كالنار والوصل برودة كالماء وهو يبرد حرارة القطيعة ويطفئها أى أصلها فى الدنيا ولا أغنى عنهم من الله شيئا فى العقبى شبهت قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وتندى بالصلة ومنه حديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام كما رواه البزار والطبرانى والبيهقى أى صلوها كما فى رواية

صلى الله عليه وسلم (فقال كان يصل ذوى رحمه) أى من صفته التى كانت منه دائمة وكان تدل على التكرار والدوام كثيرة وان لم تكن موضوعة لذلك نحو كان حاتم يقرى الضيف وكان الله غفورا رحيما كما فى الاصول أى يحسن اليهم ويواسيهم ولما كان هذا يوهم الاختصاص بهم احترس عنه فقال (من غير ان يؤثرهم) أى يخصهم ويقدمهم (على من هو أفضل منهم) من سائر الناس وهذا أيضا من حسن العهد (وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان آل بنى فلان ليسوا لى باولياء) الآل بمعنى الاهل والاتباع وفلان كناية عن الاعلام التى للعقلاء والمراد به هنا كما مر أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والكناية من الراوى لا من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو العاص هو أبو الحكم بن أبى العاص وكان منافقا فى أول أمره ثم حسن اسلامه وهو عم عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وما ذكر كذا هو فى نسخة البرهان الحلبى قال ابن قرقول وفى الحديث المشهور ان آل أبى ليسوا باوليائى بفتح همزة أبى قال وبعد قوله أبى بياض فى الاصول كأنهم تركوا من الاسم بقية وعند ابن السكن ان آل أبى فلان بالكناية عمن ذكر وفى بعض الروايات اسقاط آل والاولياء جمع ولى وهو القريب ومن يتولى أمره أى لا أتولاهم ولا أحسبهم من أوليائى لما علمت منهم والمراد به القدح كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم أى لا ولى لهم ولا ناصر (غير ان لهم رحما) أى قرابة (سأبلها ببلالها) لان أبا العاص أحد بنى أمية وهم قريش منافقون وولد أمية العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وهم الاعياص وحرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان واسمه عنبسة وعمرو وأبو عمرو وأبو سفيان هذا هو صخر بن حرب بن أمية وهو غير أبى معاوية رضى الله تعالى عنهما وقوله سأبلها أى سأصل رحمها بصلتها اللائقة بها والبلال بكسر الباء الموحدة مصدر كالقتال أو جمع بلل كجمل وجمال وهو الافصح والاصح رواية وروى بفتح الباء أيضا والمعنى واحد وهو الرطوبة والنداوة وكل ما يبل الحلق من المائعات كالماء واللبن فاستعير للصلة والاحسان كما استعير اليبس للقطيعة والشح وفى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام لان الرطوبة والنداوة تجمع الاشياء واليبوسة تفرقها وأيضا ان بل الارض يجعلها منبتة فاستعيرت لما ذكر لتاليفها القلوب وتنمية المودة كما قال

كيف أصبحت كيف أمسيت مما * ينبت الود فى قلوب الرجال

(قد صلى عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (بامامة) بضم الهمزة (ابنت ابنته زينب) أى بنت أبى العاص بن ربيعة بن عبد شمس من زينب بنته صلى الله عليه وسلم (يحملها على عاتقه) جملة حالية وفى نسخة صحيحة فحملها على عاتقه وقال التلمسانى يحملها بفتح الميم وكسرها معا الا ان الفتح أفصح وروى فحملها على عاتقه والعاتق ما بين المنكب والكتف (فاذا سجد) أى أراد ان يسجد (وضعها) أى على الارض بعمل يسير (واذا قام) أى أراد القيام (حملها) وهذا بيان لكيفية صلاته بها ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع الذى لا تحوم حولهم التفرقة بان لا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة كما قال قائلهم

رق الزجاج ورقت الخمر * فتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فالذى ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشتغل قلبه عن ربه قطعة من لحم ولكن هذا مشرب أرباب السرائر دون مذهب أصحاب الظواهر وقد علم كل أناس معراج مشربهم وسلك كل طائفة منهاج مذهبهم قال الخطابى

واسناد وضعها وحملها الیه مجاز لانه یشغله عن صلاته وانما كانت قد ألفته وأنست به فاذا سجد جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة الى ان يركع فيرسلها الى الارض فاذا سجد فعلت كذلك قاله الدلجى وظاهر قوله فاذا سجد وضعها واذا قام حملها يأباه الا قرينة صارفة الى المجاز وقال ابن بطال كان فى صلاة نافلة ونقله أشهب عن مالك ورواه النووى عما رواه ابن عيينة عن أبى قتادة قال رأيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يؤم الناس وامامة بنت أبى العاص على عاتقه ويبصره رواية أبى قتادة بينا نحن ننتظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لصلاة الظهر أو العصر فخرج الينا وامامة على عاتقه فقام فى مصلاه وقمنا خلفه قال النووى وزعم بعض المالكية انه منسوخ قال ابن دقيق العيد وروى عن مالك وقال ابن عبد البر لعله نسخ تحريم العمل فى الصلاة بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان فى الصلاة لشغلا ورد بانه كان قبل بدر عند قدوم راويه عبد الله بن مسعود من الحبشة وقدوم زينب بامامة كان بعد ذلك ونقل اشهب وغيره ان حملها كان لضرورة دعت اليه اذ لم يكن من يتعهدها حتى يفرغ وتركها بلا متعهد أشق وأشغل عليه من حملها مصليا وزعم بعضهم انه خاص به قال النووى وهذه كلها دعاوى مردودة لا بينة عليها ولا ضرورة اليها والحديث قاض بجواز ذلك صريحا ليس فيه ما يخالف قواعد الشرع وما فى جوفها من نجاسة معفو عنه لكونه فى معدته وثياب الاطفال وأجسادهم على طهارتها وأدلة الشرع شاهدة بان هذه الافعال لا تبطلها هذا وانما فعل ذلك تشريعا وبيانا للجواز وقد أفاد ان لمس المحارم لا ينقض وضوأ والعمل اليسير لا يبطل صلاة انتهى كلامه وأبو امامة أبو العاص أسر يوم بدر فمن عليه بلا فداء اكراما لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بسبب زينب ثم أسلم قبيل فتح مكة وحسن اسلامه ورد صلى الله تعالى عليه وسلم زينب عليه بنكاح جديد أو بالنكاح

ففيه استعارة مصرحة أو مكنية وتخييلية (وقد صلى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى دخل فى الصلاة (بامامة) بضم الهمزة وميمين علم (ابنت ابنته زينب) أكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزوجها أبو العاص بن الربيع لا ابن ربيعة كما فى البخارى فانه غلط مشهور وولدله منها امامة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحبها وتزوجها على كرم الله وجهه بعد فاطمة رضى الله تعالى عنها ثم تزوجها بعده المغيرة بن نوفل فماتت عنده قال البرهان الحلبى ليس لزينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا لرقية ولا لام كلثوم عقب وانما العقب لفاطمة رضى الله تعالى عنها ولذا سادت جميع بناته وأمها خديجة وهى سيدة نساء أهل الجنة الا مريم وقال السهيلى فضلت على اخواتها لانها بضعة منه وزوجة خليفته وأم ريحانتيه ولانها أصيبت برزء لا يساويه رزء وهو موت أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم فى حياتها فصبرت واحتسبت ومن ذريتها المهدى وهذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه كغيره وفيه كما يأتى انه كان اذا سجد وضعها واذا قام رفعها المعبر به عن الحمل الآتى وقد أشكل هذه على الفقهاء لان هذه أعمال كثيرة مبطلة للصلاة فقيل انه من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل انه منسوخ وقيل انه لا عمل له لانها لمحبتها له كانت تتعلق به وتعلو عليه من غير عمل منه وقوله رفعها ووضعها يأباه وقيل انه كان فى النافلة ضرورة لانه لم يكن ثمة من يكفيه أمرها وقال بعضهم انه كله باطل لانه وقع بعد الهجرة وتحريم الاعمال وكان فى صلاة الصبح وهو يؤم الناس كما ورد التصريح به فالصواب انه عمل قليل لا يبطل الصلاة وكانت طاهرة مطهرة ليس معها ما يبطل الصلاة قيل وانما فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم ارغاما للعرب فى عدم محبتهم البنات (يحملها على عاتقه) أى كتفه وعلى متعلق بيحمل لا حال من امامة أو من ضميره كما قيل (فاذا سجد وضعها) على الارض (واذا قام حملها) بيانا للجواز وقال الخطابى اسناد وضعها وحملها مجاز فانها كانت تألفه فاذا سجد

جلست

جلست على عاتقه فلا يدفعها فتبقى محمولة حتى يركع فيرسلها فاذا سجد فعلت كذلك وتقدم ما فيه (وعن أبي قتادة) الصحابي الانصاري فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف في اسمه فقيل الحارث بن ربعي بكسر الراء ابن عمرو وقيل النعمان توفي بالمدينة سنة أربع وخمسين وقيل ثمان وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وروى له أحمد وأصحاب السنن (قال وفد وفد النجاشي) وفد بمعنى قدم مخصص بقدوم الرسول وفد بسكون الفاء اسم جمع بمعنى الوافدين والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد الياء وتخفيفها واسمه أصخمة وقيل صحمة بفتح الصاد وسكون الحاء المهملتين وقيل صمحة بتقديم الميم وقيل خاؤه معجمة وقيل اسمه مكحول بن صصه وقيل سليم وقيل حازم وهو اسم لكل من ملك الحبشة وكان رضي الله تعالى عنه ممن أعان المسلمين لما هاجروا اليه وكاتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأهدى له الهدايا وزوجه بام حبيبة رضي الله تعالى عنها وكتب له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم على يد جعفر بن أبي طالب سنة ست وكان بينه وبين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم محبة عظيمة فلما توفي في رجب سنة تسع نعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصلى على جنازته وبه استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على الصلاة على الغائب على ما تقدم وقصته مشهورة ولما توفي خلفه نجاشي آخر دعاه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للاسلام فابى ومات كافرا (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم بنفسه) تواضعا منه وارشادا لغيره (فقال له) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أصحابه نكفيك) أي نحن نخدمهم ونكفيك من تعاطي خدمتهم فاني صلى الله تعالى عليه وسلم و (قال انهم كانوا لاصحابنا) الذين هاجروا الى أرضهم (مكرمين واني أحب أن أكافئهم) أي أجازيهم على اكرامهم لاصحابنا باكرامهم ولا اكرام أعظم من تعاطيه صلى الله تعالى عليه وسلم أمورهم بنفسه وهذا الحديث رواه البيهقي في دلائله مسندا (ولما جيء) مبني للمفعول أي جاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم (باخته من الرضاعة) بفتح الراء وكسرها بمعنى الرضاع (الشيماء) بفتح المعجمة وسكون المثناة التحتية والميم وهمزة ممدودة ويقال لها الشماء بتشديد الميم من غير ياء كما قاله المحب الطبري ويحتمل ان تكون الشيماء أصلها شماء فابدلت احدى الميمين كما قيل في اما ايما فتكون صفة بمعنى ذات شمم ثم نقل وجعل علما لها وهي بنت حليمة السعدية التي أرضعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل اختها وزوج حليمة هو الحارث بن عبد العزى وحليمة أسلمت وعدت من الصحابة على ما ياتي واسمها جدامة بجيم مضمومة ودال مهملة وقيل حذافة بحاء مهملة وذال معجمة وفاء وقيل حذافة بمعجمتين واختلف في زوجها أبو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاعة فلم يذكر احد من أهل السير اسلامه ولكن ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحق عن أبيه عن بعض بني سعد بن بكر ان الحارث بن عبد العزى أبو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع قدم عليه بمكة بعد بعثته فقالت له قريش يا حارث ما يقول ابنك هذا فقال ما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث الخلق بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم من أطاعه وقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فاتاه فقال يا بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول لهم ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى

الاول ثم بعد موته تزوجها علي بوصاية فاطمة اليه في ذلك ثم بعد علي تزوجها المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب بن هاشم وليس لزينب ولا لرقية ولا لام كلثوم رضي الله تعالى عنهن عقب وانما العقب لفاطمة رضي الله تعالى عنها وزينب أكبر بناته صلى الله تعالى عليه وسلم قال التلمساني روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهديت له هدية فيها قلائد من جزع فقال لادفعنها الى أحب أهلي فقال النساء ذهبت بها ابنة ابن أبي قحافة فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امامة بنت زينب فاعلقها في عنقها (وعن أبي قتادة) كما رواه البيهقي وهو انصاري فارس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعرف بذلك (قال وفد) بفتح الفاء أي قدم (وفد النجاشي) أي جماعة من عنده رسلا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد سبق ضبط النجاشي وترجمته (فقام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخدمهم) بضم الدال وتكسر وانما خدمهم بنفسه تواضعا لربه وارشادا لامته (فقال له أصحابه نكفيك) أي خدمتهم (فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين) أي حين هاجروا اليهم ونزلوا عليهم (واني أحب ان أكافئهم) بكسر فاء بعدها همزة مفتوحة أي أجازيهم بمثل ما فعلوا بهم من الاحسان جزاء وفاقا (ولما) أي وحين (جيء باخته من الرضاعة) بفتح الراء وتكسر وفي نسخة من الرضاع (الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ممدودة وفي أصل الدلجي بلا ياء وهي رواية ذكرها المحب الطبري وهي مجرورة بيانا لاخته ويجوز رفعها ونصبها كما هو معلوم في أمثالها عند أربابها قال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة أو أختها قال الحجازي أبوها الحارث أدرك الاسلام وأسلم بمكة وأسلمت واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فالف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم

(في سبايا هوازن) متعلق بجئ أي في أسارى قبيلة هوازن من بني سعد بن بكر (وتعرفت له) أي علمت باسمها ومكانها وأعلمته على شأنها علما وقع لمعه في ذهنه وهو متعلق على جئ وجعله الدلجي جملة حالية اعتراضية بين لما وجوابها وهو قوله (بسط لها رداءه) ابتداء للاقبال اكراما لاجلها ومكافأة لفعلها الذي التي كانت تربيه مع امها حليمة (وقال لها) أي على وجه التخيير (ان أحببت أقمت عندي مكرمة) بضم ميم وفتح راء أي معظمة (محببة) بضم ميم ففتح فتشديد أي محبوبة في أصل التلمساني محببة قال وروى محبة بمعناه والاول أكثر والثاني قليل أغنى عنه محبوبة في الثلاثي (أو متعتك) أي ان كنت تريدين المراجعة

أعطيتك متاعا حسنا ودفعت اليك ما تتمتعين به وتنتفعين منه وزودتك (ورجعت الى قومك) أي رجوعا مستحسنا (فاختارت قومها) لضرورة الجائها اليه (فمتعها) أي فزودها وأعطاها أشياء تتمتع بها فقيل أعطاها غلاما اسمه مكحول وجارية فزوجت أحدهما من الآخر فلم يزل فيهم من نسلهما بقية قيل وقد فازت هي وأبواها وأخوها بسعادة الاسلام وزيادة الاكرام منه عليه الصلاة والسلام والحديث رواه ابن اسحق والبيهقي (وقال أبو الطفيل) تصغير طفل وفي نسخة أبي الطفيل وهو تصحيف وهو عامر بن واثلة بالمثلثة الكناني آخر من مات من الصحابة على الاطلاق كان مولده عام أحد وتوفي سنة مائة من الهجرة وقد روى أربعة

وهذا

أحاديث وكان تفضيليا وقد روى أبو داود بسند صحيح عنه (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي وكان جالسا يوما بالجعرانة يقسم لحما (وأنا غلام) أي حال كوني غير بالغ وقيل الصبي اذا فطم سمي غلاما الى سبع سنين (اذا أقبلت امرأة حتى دنت منه) أي قربت ووصلت اليه (فبسط لها رداءه) تكريما لها (فجلست عليه) أي بامره (فقلت لمن عنده من هذه قالوا أمه التي أرضعته) فقيل هي حليمة وقيل ثويبة قال الحافظ الدمياطي لا يعرف لحليمة صحبة ولا اسلام وقال المرأة التي بسط لها رداءه اختها الشيماء

جمة أو نار فقال نعم لو كان ذلك اليوم يا أبت أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فاسلم وحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة انتهى (في سبايا هوازن) السبايا جمع سبية بمعنى مسبية أي مأسورة وهوازن اسم قبيلة من بني سعد بن بكر سميت باسم الاب الاعلى كتميم وهو هوازن بن نصر بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان بن نصر والمراد بكونها فيهم انها كانت مسبية معهم أيضا (وتعرفت له) يقال تعرف له اذا أعلمه باسمه وشانه فهي أعلمته صلى الله تعالى عليه وسلم انها اخته رضاعا فقال لها صلى الله تعالى عليه وسلم ما علامة ذلك فقالت عضة كنت عضضتنيها في ظهري فعرف ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدقها جواب لما (بسط لها رداءه) أي فرشه لها لتجلس عليه اكراما لها (وقال لها) بعد ما جلست عنده (ان أحببت أقمت عندي) مفعول أحببت مقدر تقديره أحببت الاقامة عندي وهذا يدل على انها أسلمت كما تقدم (مكرمة محببة) بالنصب على الحالية فيهما ومكرمة بضم أوله وسكون ثانيه وتخفيف رائه اسم مفعول من أكرمه اذا فعل به ما يجب من احسان قولا وفعلا وكذا محببة فانه اسم مفعول من أحبه ويقال حبه وأحبه بمعنى ولا كثر الافصح في اسم المفعول ان يكون من الثلاثي فيكثر فيه محبوب ويقل محب لكنه هنا أحسن لاقترانه بمكرم وعليه الاستعمال كقراءة عنترة

واذا نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

وقوله جارية خدلة مكرمة محببة وجبر ولذلك فصاغوا اسم الفاعل من المزيد فقالوا محب ولم يقولوا حاب (أو متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها) ورجعت لقومها وتفصيله ما قاله أصحاب السير انها لما قدمت اخته الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى وعرفته صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسها فعرفها وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وخيرها فاختارت الرجوع لقومها وأرضها وان يمتعها بالاحسان اليها فاعطاها عبدا وجارية وقال ابن عبد البر رحمه الله انها أسلمت فاعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم صلة لرحمه لان الرضاع له حكم النسب والقرابة والابن للأبوين (وقال أبو الطفيل) بضم الطاء المهملة وفتح الفاء منقول من مصغر الطفل جعل علما لعامر بن واثلة بالثاء المثلثة الكناني الصحابي وهو آخر من مات من الصحابة ووقع في بعض النسخ ابن أبي الطفيل وليس بصحيح كما قاله البرهان الحلبي (رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا غلام) الغلام كما في كفاية المتحفظ عن بعض أهل اللغة الصبي اذا فطم الى سبع سنين ثم يصير يافعا الى عشر حجج وقد يطلق الغلام على الشاب التام الرجولية والمراد هنا الاول (اذا أقبلت امرأة حتى دنت منه) أي قربت من مكانه الجالس فيه (٢) وفي بعض النسخ تأخير قوله وأنا غلام عن قوله اذا أقبلت الى آخره

---

(٢) وزاد في نسخ المتن هنا قوله فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته قاله مصححه

وهذا الحديث رواه أبو داود في سننه بسند حسن فقال حدثنا ابن المثنى قال حدثنا أبو عاصم قال حدثني جعفر بن عمارة قال أخبرنا عمارة بن ثوبان ان أبا الطفيل أخبره قال رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل لحم الجزور اذ اقبلت امرأة وساقه وقوله اذ يحتمل ان تكون ظرفا لرأيت أي رأيته وقت اقبال المرأة ويحتمل ان تكون للمفاجأة بتقدير بينا أي رأيته يقسم لحما وبينا هو كذلك اذ أقبلت امرأة الى آخره أو هي بمعنى قد والوجه هو الاول وفي هذا دليل على قبول رواية الصغير وفيه كلام مفصل في مصطلح الحديث قالوا وهذه المرأة هي حليمة أمه صلى الله تعالى عليه وسلم من الرضاع ومجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم كما في الاستيعاب كان في يوم حنين وقال الحافظ الدمياطي رحمه الله وزوجها لا نعرف له صحبة ولا اسلاما وما قاله ابن عبد البر من انها أتته صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين و بسط لها رداءه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر لم يصح وابن جعفر لم يدركها وانما التي جاءته هي بنتها الشيماء واما حليمة فانها جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة قبل النبوة في زمن خديجة رضي الله تعالى عنها فاعطاها أربعين شاة وجملا ثم انصرفت لاهلها وما هنا يقتضي مجيئها له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد النبوة بالجعرانة بعد انقضاء حرب هوازن ومجيء وفدهم وليس كذلك انما هي ابنتها وجوز الذهبي رحمه الله تعالى ان تكون المرأة التي جاءته ثويبة مولاة أبي لهب الآتي ذكرها ويرده انها ماتت سنة سبع قبل هوازن ولما فتح مكة سأل عنها ابنها مسروحا فاخبره بموتها وصحح بعضهم خلافه ذكره ابن الجوزي في الوفاء وصنف الحافظ مغلطاي جزأ في اسلامها اسماه النعمة الجسيمة في اثبات اسلام حليمة وأيده وارتضاه علماء عصره وممن أنكره أبو حيان (وعن عمرو بن السائب) عمرو بفتح العين وبالواو وهو ابن واش المصري وقيل انه عمر بالضم وحذفها قال الحلبي والفتح غلط وصوابه الضم كما ذكره ابن حبان وقال انه من الثقات وروى عن اسامة ابن زيد وروى عنه جماعة وأخرجه أبو داود فقط كذا قاله التلمساني في حواشيه وهو من أجلة التابعين وهذا الحديث رواه أبو داود بلاغا كما قاله السيوطي في تخريجه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما) قيل ظاهره ان عمرو شاهد هذه القضية وهو تابعي والحديث من مرسل زيد كما في سنن أبي داود وقال عن أحمد بن سعيد الهمداني قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث ان عمرو بن السائب حدثه انه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا الى آخره فلو ذكره المصنف كما قاله أبو داود كان أولى (فاقبل أبوه من الرضاعة) وهو الحارث بن عبد العزى وقد تقدم الكلام فيه وفي اسلامه وكون زوج المرضعة يسمى أبا ويثبت بارضاع زوجته منى له حكم النسب كما ان المرضعة أمه لان الفحل محرم وان لم يكن له حكم النسب من كل وجه واليه ذهب الفقهاء كافة غير الظاهرية والكلام عليه مفصل في كتب الفروع (فوضع له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بعض ثوبه) وفرشه له في الارض ليجلس عليه (فقعد عليه ثم أقبلت أمه) وهي حليمة كما مر (فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه) يعني انه أجلس اباه عن يمينه وفرش له جانبا من ثوبه وأجلس أمه حليمة عن يساره وفرش تحتها جانبا من ثوبه اكراما لهما فلما قدم أخوه وهو عبد الله بن الحارث بن عبد العزى لم يبق جانب من ثوبه يفرشه فقام له صلى الله

وروى ابن عبد البر في استيعابه عن عطاء بن يسار ان حليمة بنت عبد الله مرضعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جاءت يوم حنين فقام لها و بسط لها رداءه وفي سيرة مغلطاي وصحيح ابن حبان وغيره ما يدل على اسلامها (وعن عمرو بن السائب) كذا في النسخ المصححة المعتبرة عمرو بالواو وقال الحجازي وهو ابن راشد المصري مولى بني زهرة تابعي ذكره الحافظ عبد الغني في اكماله فيمن اسمه عمرو ووهمه الحافظ المزي وقال اسمه عمر بضم العين قال الحلبي وهو غلط صريح صوابه عمر بن السائب بضم العين وحذف الواو وهو يروي عن اسامة بن زيد وجماعة وعنه الليث وابن لهيعة وغيرهما ذكره ابن حبان في الثقات والحديث رواه أبو داود مرسلا عنه انه بلغه (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاعة) هو الحارث بن عبد العزى واختلف في اسلامه (فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه) أي حليمة (فوضع لها شق ثوبه) بكسر الشين أي طرفه (من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة) وهو عبد الله ابن الحارث المذكور على ما هو الظاهر فيهم جميعا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كانت له مراضع خمس وقيل ثمان (فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاجلسه بين يديه) أي تكريما له وتعظيما لوالديه

عليه وسلم لئلا يقصر في توقيره عن أبويه وفيه دليل على انه يجوز القيام تعظيما لمن يستحق التعظيم خلافا لمن قال انه مكروه مطلقا وللنبي صلى الله تعالى عليه وسلم عدة مرضعات منها حليمة هذه وثويبة مولاة أبي لهب الآتية وخولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد وأم أيمن وثلاث نسوة من سليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة وهو أحد القولين في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا ابن العواتك وقيل انهن جدات له ومعنى عاتكة متضمخة بالطيب (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يبعث الى ثويبة) علم منقول من تصغير الثوب وهي (مولاة أبي لهب مرضعته) أي جارية معتقة له وأبو لهب كنيته واسمه عبد العزى وكني بذلك لتوقد لونه وذكر بهذه الكنية في القرآن للاشارة الى انه جهنمي كما مر (بصلة) أي عطية يحسن بها لها (وكسوة) بضم الكاف وكسرها أي ثياب تلبسها (فلما ماتت) بمكة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام (سأل من بقي من قرابتها) أي عمن بقي فهو منصوب بنزع الخافض أو تقديره وقال من بقي فهي اما موصولة أو استفهامية والقرابة مصدر بمعنى قرب بالنسب وسمع اسم جمع بمعنى الاقرباء كما ذكره ابن مالك وغيره خلافا للحريري اذ انكره وقال لا يقال للاقرباء قرابة وانما يقال ذو قرابة كما قال الشاعر

يبكي عليه غريب ليس يعرفه * وذو قرابته في الحي مسرور

(فقيل لا أحد) أي لا أحد من قرابتها باق وأحد مرفوع بفعل مقدر أي لم يبق أحد أو مرفوع اسم لا العاملة عمل ليس أو مفتوح اسمها والخبر مقدر عليهما وقوله وكان الى هنا سقط من بعض النسخ وما ذكر من حسن الوفاء وصلة الرحم وفيه من مكارم أخلاقه وحسن عهده صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى وهذا الحديث رواه الواقدي وغيره وأما ارضاع ثويبة له صلى الله تعالى عليه وسلم فثابت في الصحيحين وهي أول من أرضعته مع ابنها مسروح المتقدم ذكره أياما قبل حليمة وأرضعت قبله عمه حمزة وأبا سلمة واختلف في اسلامها فأثبته بعضهم وعدها في الصحابة وأنكره أبو نعيم وكان أبو لهب أعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورئي في المنام وهو يقول خفف عني العذاب باعتاقي ثويبة لما بشرتني به وفي السير أنه أعتقها قبل ولادته بدهر طويل وهو المروي في غير السير وفي المواهب ما يخالفه والذي رآه في المنام بشر حيبة بفتح الحاء المهملة أو بكسرها وياء مثناة تحتية وباء موحدة وقيل انه بخاء معجمة وقيل بجيم وهو تصحيف أي بسوء حال فهو من الحوبة وهي المسكنة والحاجة قالوا وانقلبت ياء لانكسار ما قبلها أو على خلاف القياس وتخفيف عذابه بسبب ما ذكر لا يعارض قوله تعالى في اعمال الكفرة فجعلناه هباء منثورا لانه بعد الحشر أو لانه لما لم ينجهم من النار فكأنه لم يفدهم أصلا وتفصيله في حواشينا على القاضي (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) الذي رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها بسند صحيح (انها قالت له) صلى الله تعالى عليه وسلم في ابتداء أمره لما رأى جبريل عليه الصلاة والسلام فحصل له به رعب شديد (أبشر) أمر بفتح الهمزة وهي همزة قطع يقال أبشر وبشر بمعنى ويجوز وصلها وفتح الشين من بشر يبشر كعلم يعلم وهو أمر المقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى التي بعده وهو انشاء أريد به الخبر أي اني مبشرة لك والبشرى الخبر السار الذي يظهر أثره في البشرة (فوالله لايخزيك الله) وهذا الحديث تقدم شرحه في فصل الجود والكرم ومر ان في يخزيك روايتين ضم الياء واعجام الخاء من الخزي وهو النكال والفضيحة وبه روى لفظ المصنف هنا كما ذكره البرهان الحلبي واهمال الحاء من حزن واحزن وهي دون الاولى فلذا تركها المصنف رحمه الله تعالى وروى

(وكان يبعث) أي يرسل من المدينة الى مكة (الى ثويبة) بضم مثلثة وفتح واو فسكون تحتية فوحدة (مولاة أبي لهب) بفتح الهاء وتسكن عمه عليه الصلاة والسلام يقال انها أسلمت (مرضعته) بالجر بيان أو بدل لثويبة (بصلة) أي نفقة (وكسوة) قال التلمساني بضم الصاد وكسرها وكسوة بضم وبكسر وقرئ بهما في السبع انتهى ولا نعرف أحدا من القراء انه قرأ بضم الكاف وكذا ضم الصاد غير معروف في اللغة (فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد) أي ما بقي منهم أحد والحديث رواه ابن سعد عن الواقدي عن غير واحد من أهل العلم وفي الروض الانف كان يصلها من المدينة فلما فتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فقيل ماتا (وفي حديث خديجة رضي الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (انها قالت له صلى الله تعالى عليه وسلم أبشر) بفتح الهمزة وكسر الشين المعجمة أي استبشر وافرح ولا تحزن (فوالله لا يخزيك الله) بضم الياء وسكون الخاء المعجمة وكسر الزاى أي لا يهينك ولا يذلك ولمسلم أيضا لا يحزنك من الحزن وهو بفتح الياء وضم الزاى وبالنون أو بضم أوله وكسر ثالثه كما في بعض الروايات وبعض النسخ وقد قرئ بهما في السبعة (أبدا) أي دائما سرمدا

(انك لتصل الرحم وتحمل الكل) بفتح فتشديد أي ثقيل الحمل العاجز عن تحمل مؤنة عياله (وتكسب المعدوم) أي تصل كل معدوم من فقير محروم وفي رواية بضم أوله أي تعطي الناس الشيء المعدوم (وتقري الضيف) بفتح أوله وكسر الراء أي تطعمهم (وتعين) أي الخلق (على نوائب الحق) بالاضافة البيانية إشعارا بانها تكون في الحق والباطل قال لبيد
نوائب من خير وشر كلاهما * فلا الخير ممدود ولا الشر لازب وقال التلمساني المراد بالحق هو الله سبحانه وتعالى لانه الخالق لها قال العلماء ومعنى كلام خديجة رضي الله تعالى عنها انك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيه من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفي هذا دلالة على ان خصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء

(فصل وأما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم)
وهو هضم نفسه من الملكات المورثة للمحبة الربانية والمودة الانسانية (على علو منصبه) بكسر الصاد أي مع سمو منزلته (ورفعة رتبته) أي مرتبته من تمام نبوته ونظام رسالته وفي نسخة رتبه جمع رتبة وأغرب الدلجي في جعل على على صرافته وصرف عبارته الى تمثيل تمكنه منهما واستقراره عليهما تخال من اعتلى شيئا واقتعد غاربه وغرابته لا تخفى على أرباب الصفاء (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس تواضعا) أي لعظم قدره وكرم أمره (وأقلهم كبرا) كذا في الاصول المصححة ولعله أراد بانه كان يتكبر أحيانا لظهور كبرياء الله سبحانه وتعالى فيه بالنسبة الى بعض المتكبرين لما ورد من ان التكبر على المتكبر صدقة وفي أصل الدلجي وأعدمهم كبرا وذكر الحجازي انه رواية والمعنى أفقدهم وهو يرجع الى المعنى الاول لكنه باعتبار اللغة فيه انه لا يصاغ اسم التفضيل الا من فعل وجودي والحاصل انه بلغ من هذا المعنى السلبي مبلغا لا يشاركه فيه أحد ثم قال وفي نسخة وأقلهم كبرا والاولى أجود لافتقار الثانية الى حملها على نفيه من أصله لكونه في مقام مدح له انتهى وقد ذكر عند قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون انه وصف مصدر محذوف أي ايمانا قليلا وقيل لا قليلا ولا كثيرا يقال قلما يفعل أي لا يفعل أصلا ومن استعمال القلة بمعنى النفي حديث النسائي عن ابن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو

لا يخزيك الله أبدا عن الزهري بزيادة أبدا (انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق) وقد مر ذلك مبينا

(فصل وأما تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم) التواضع بضم الضاد المعجمة اظهار انه وضيع وهو أشرف الناس فالصيغة للتكلف في الاصل (على علو منصبه) قد قدمنا لك ان المنصب في كلام العرب بمعنى الاصل والحسب كما في قول أبي تمام

ومنصب نماه * ووالد سماه

وان استعماله في تولي الاعمال السلطانية كقول ابن الوردي

نصب المنصب أوهى جلدي * وعنائي من مداراة السفل

مولد لم يسمع من العرب ولذا عطف عليه قوله (ورفعة رتبته) فهو كالتفسير له والرتبة كالمنزلة رفعة القدر (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم أشد الناس تواضعا) منصوب على التمييز (وأقلهم كبرا) وفي نسخة وأعدمهم كبرا وفي نسخة بالجمع بينهما وهو أفعل تفضيل من العدم وهذا أنسب بمقامه صلى الله تعالى عليه وسلم لان اللائق به عدم الكبر لا قلته ووجه هذا البرهان الحلبي بان القلة بمعنى النفي وقال أبو حيان في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ان القليل يرد بمعنى النفي المحض كما في قولهم أقل رجل يقول ذلك وقل رجل يقول ذلك وقلما يقوم زيد وقليل من الرجال يقول ذلك وقال الحافظ السخاوي في كتابه جواهر الدرر في مناقب شيخه ابن حجر ان ابن حجر رحمه الله تعالى سئل عن هذه العبارة وان بعضهم شنع على المصنف فيها ومحاها من النسخ فاجاب بان الاعتراض باطل لانهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكثر الذكر ويقل اللغو فقالوا يقل اللغو بمعنى لا يلغو أصلا قال ابن الاثير في النهاية لان قل يستعمل في النفي كما في الآية السابقة فمعنى هذه النسخة انه لا يقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم كبر أصلا كما في الحديث الصحيح وليس أفعل فيه للتفضيل فانه قد يخرج عنه كما في قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ومثله أفظ وأغلظ فانه بمعنى فظ غليظ أي كاملهما وقال المصنف في شرح مسلم يصح حمله على المفاضلة والقدر الذي فيه منه اغلاظه على الكفرة والمنافقين كقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغلظ عليهم ويغضب عند انتهاك حرمات الله انتهى فقوله أقلهم كبرا بمعنى انتفاء الكبر عنه البتة أو يحمل على شدته على الكفار والمنافقين كما في الذي قبله لان تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ورأفته كانت بالمؤمنين لقوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله في التوراة ليس بفظ ولا غليظ أي بالمؤمنين ونظيره أشداء على الكفار رحماء بينهم بمعنى أذلة على

(وحسبك) مبتدأ خبره الجملة بعده أي وكافيك (أنه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه أحمد والبيهقي (خير بين أن يكون نبيا ملكا) بكسر اللام أي سلطانا (أو نبيا عبدا) أي أو أن يكون نبيا عبدا من جملة عباد الله تعالى داخلا في الرعايا

على المؤمنين عاطفين عليهم أعزة على الكافرين متكبرين عليهم يعادونهم فلا معنى لمحو النسخ واتلافها انتهى واستدرك عليه عز الدين الحنبلي بأن تأويله الشدة والغلظ بكونها على الكفار والمنافقين فيه أن شدته وغلظه على نحو هؤلاء كانت أشد من عمر رضي الله تعالى عنه بلا شك انتهى * أقول الجواب الحق هو الثاني لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان متخلقا باخلاق الله تعالى عز وجل ومنها المتكبر فاتصافه صلى الله تعالى عليه وسلم بهذه الصفة مدح في محلها ولذا قيل التكبر على المتكبر صدقة فالتكبر على الكفرة والمنافقين أحيانا في محله ممدوح وهو في صفاته تعالى ذاتي دائم لا ينازعه أحد ردائه الا قصمه الله والجواب الاول تعسف وليس من قبيل قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون وأما تأويل التفضيل بالنفي وخلع المفاضلة منه فجاز على مجاز وضعت على اباله وأما اعتراض ابن الحنبلي فلا وجه له ولبعض الشراح والمحشين هنا كلام ركيك تركه خير منه (وحسبك) أي يكفيك في اثبات ما ذكر (انه صلى الله تعالى عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا) بكسر اللام أي سلطانا وخير مبني للمجهول أي خيره الله على لسان ملائكته في الحديث المشهور (أو نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا) خيره الله بعد تفضيله بالرسالة ان يكون شؤونه كالملوك في اتخاذ الجنود والحجاب والخيول والخدم والقصور فاختار مع الرسالة العامة مقام العبودية والخدمة بنفسه في مهنة أهله تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وزهدا في الدنيا ولذا وصفه الله تعالى بالعبودية في عظيم مقاماته كقوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وهذا من حديث صحيح رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فقال له اسرافيل عند ذلك) أي حين اختار العبودية على الملك (فان الله قد أعطاك) هذه الفاء فصيحة عاطفة على مقدر أي أصبت وجزاك الله خيرا من تركته (بما تواضعت له) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب تواضعك له (انك سيد ولد آدم) بفتح همزة انك وهي وما بعدها مفعول أعطى والسيد من يفوق غيره في الشرف وهو يطلق على الله تعالى وعلى غيره في أصح الاقوال المشهورة وخصه بقوله (يوم القيامة) لانه لا أعلى من هذه السيادة حيث يسود صلى الله تعالى عليه وسلم فيه على الرسل وسائر البشر وفيه نكتة لتبين اضمحلال كل ملك لفنائه حيث يقول الله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لسائر مخلوقاته فتدبر (وأول من تنشق عنه الارض) معطوف على سيد خبر ان وانشقاق الارض لتخرج الموتى من قبورهم للبعث فلا يتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم أحد حينئذ وأما حديث فان الناس يصعقون أي يغشاهم غشية كالموت يوم القيامة فاصعق معهم فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان ممن صعق أو كان ممن استثنى الله تعالى بقوله الا من شاء الله فلا ينافيه لان هذه الصعقة كما قاله التوربشتي صعقة فزع بعد البعث ويؤيده قوله يوم القيامة (وأول شافع) يوم القيامة أو في الجنة لرفع درجات الناس لان مقام الشفاعة متعدد وفي قوله أول اشارة الى ان غيره من الملائكة وغيرهم يشفعون بعد ذلك * واعلم ان سفير الوحي بين الله ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام وعن الشعبي ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحي في أول بعثته ويتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشيء ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام قال ابن عبد البر في الاستيعاب أنزلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين فكان

والضعفاء والمساكين والفقراء (فاختار أن يكون نبيا عبدا) أي تباعدا عما هو من شان الملوك من التكبر والتجبر والتكاثر للخدم والترفع عن الخدمة وتقربا الى ما هو من صفات العبيد من التقلل في الدنيا والتكثر في خدمة المولى (فقال له اسرافيل عند ذلك) من اختيار النعت الجليل (فان الله قد أعطاك بما تواضعت له) أي في هذا العالم (انك سيد ولد آدم يوم القيامة) وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله كما رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وكقوله عليه الصلاة والسلام تواضعوا وجالسوا المساكين تكونوا من كبراء الله وتخرجوا من الكبر رواه أيضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه وقوله تواضعوا لمن تتعلمون منه وتواضعوا لمن تعلمونه ولا تكونوا جبابرة العلماء رواه الخطيب في الجامع عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقوله التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله تعالى رواه ابن أبي الدنيا ثم لعله تقييده بقوله يوم القيامة لظهور سيادته فيه عيانا لكل أحد كقوله سبحانه وتعالى لمن الملك اليوم مع كون الملك له مطلقا (وأول من ينشق الارض عنه) للبعث (وأول شافع) أي يوم القيامة للعامة أو في الجنة لرفع درجات الخاصة لحديث مسلم أنا أول شفيع في الجنة

(حدثنا الفقيه أبو الوليد بن العواد) بتشديد الواو (رحمه الله) جملة دعائية (بقراءتي عليه في منزله بقرطبة) بضم قاف وطاء بلد بالمغرب (سنة سبع وخمسمائة) والمقصود بهذا ذكره كمال استحضاره لروايته عنه

(قال حدثنا أبو علي الحافظ) أي الغساني وقد تقدم (حدثنا أبو عمر) بضم العين وهو يوسف بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد الدال على جلالته وترجمته مسطورة ومصنفاته مشهورة (حدثنا ابن عبد المؤمن) وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن (حدثنا ابن داسة) بتخفيف السين المهملة (حدثنا أبو داود) أي صاحب السنن (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة) صاحب التصانيف الحجة عن شريك وابن المبارك وعنه الشيخان وغيرهما قال الفلاس ما رأينا أحفظ منه وقال الذهبي في الميزان أبو بكر ممن قفز القنطرة واليه المنتهى في الثقة (حدثنا عبد الله بن نمير) بضم نون وفتح ميم عن هشام بن عروة والاعمش وعنه أحمد وابن معين حجة وأخرج له الائمة الستة (عن مسعر) بكسر ميم وبفتح وبفتح عين وهو ابن كدام ابن أبو سلمة الهلالي الكوفي أخذ العلم عن عطاء وغيره وعنه القطان وغيره وله ألف حديث وهو من العباد القانتين أخرج له الأئمة الستة (عن أبي العنبس) بفتح عين فسكون نون فموحدة مفتوحة فسين مهملة (عن أبي العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الموحدة فسين مهملة (عن أبي مرزوق) قال ابن حبان لا يجوز (الاحتجاج بما انفرد به) عن أبي غالب اختلف في توثيقه (عن أبي امامة) أي الباهلي

بعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل عليه القرآن على لسانه فلما مضت ثلاث سنين قرن به جبريل عليه الصلاة والسلام فنزل بالقرآن عليه عشر سنين وفي شرح البخاري لابن التين ميكائيل بدل اسرافيل ونقل البرهان عن ابن الملقن ان المشهور ان الذي ابتدأ بالوحي جبريل عليه الصلاة والسلام وأنكر الواقدي كون غير جبريل وكل به وقال السيوطي رحمه الله تعالى في كتاب الحبائك ثم اتفق على ان جبريل أفضل أو اسرافيل ثم نقل أحاديث متعارضة في ذلك وفيه أيضا ان اسرافيل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بآية فذكرها (حدثنا الفقيه أبو الوليد بن العواد الفقيه) بفتح العين المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة وهو هشام بن أحمد القرطبي وقد تقدمت ترجمته (بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسمائة) وفي هذه السنة توفي رحمه الله تعالى (قال حدثنا أبو علي الحافظ) الغساني وقد تقدم والحافظ اذا أطلق يراد به حافظ الحديث بالرواية قال (حدثنا أبو عمر) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي الامام الجليل صاحب التآليف المشهورة كما تقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن كما تقدم قال (حدثنا ابن داسة) أبو بكر بن محمد بن بكر وقد تقدم وان داسة بدال وسين مهملتين مفتوحتين بينهما ألف قال (حدثنا أبو داود) صاحب السنن المتقدم قال (حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة) عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي أحفظ أهل عصره له ترجمة في الميزان مفصلة وأخرج له الأئمة الستة قال النووي أبو بكر بن أبي شيبة منسوب الى جده وهو عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عثمان بن خواستي بخاء معجمة مضمومة ثم واو مفتوحة ثم ألف ثم سين مهملة ساكنة ثم تاء مثناة من فوق مكسورة وأبو شيبة هو ابراهيم وغلب على أولاد ابنه النسب اليه وهم ثلاثة عبد الله هذا وهو مشهور بكنيته وعثمان وقاسم فاما عبد الله وعثمان فامامان حافظان من أحفظ أهل عصرهم وهما شيخا البخاري ومسلم وأما القاسم فليس كهما بل ترك التحديث عنه أبو زرعة وأبو حاتم الراويان الحافظان وأبوهم محمد ثقة وجدهم ابراهيم ضعيف قال (حدثنا عبد الله بن نمير) بالنون تصغير النمر الهمداني أبو هشام روى عن هشام بن عروة والأعمش الحافظ أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة تسع وتسعين ومائة (عن مسعر) بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين وراء مهملة ومعناه موقد النار ويقال هو مسعر حرب للشجاع وهو مسعر بن كدام أبو سلمة الهلالي الكوفي المسمى بالمصحف لاتقانه وحفظه وممن أخرج له الستة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة وله ألف حديث (عن أبي العنبس) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وسين مهملة وهو الحارث بن عبيد بن كعب العدوي الكوفي لم يخرج له غير أبي داود وذكر في الميزان ولم يذكر فيه شيئا (عن أبي العدبس) بفتح العين والدال المهملتين وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وسين مهملة وهو تبيع بن سليمان الاسدي ويقال الاشعري الكوفي وتبيع بضم المثناة الفوقية ثم باء موحدة وعين مهملة ترجمة المصغر كما في الميزان وتهذيب الذهبي والاكمال الا ان أبا الخليل الحافظ كتب في حواشيه ان هذا وهم منه وانما هو منيع بالميم بدل المثناة كما قاله البرهان الحلبي (عن أبي مرزوق) التجيبي واسمه كنيته وله ترجمة في الميزان قال فيها ان ابن حبان قال انه لا يحتج بما انفرد به (عن أبي غالب) الراسبي واسمه حزور وقيل سعيد بن حزور وقيل نافع وروى عنه أصحاب السنن واختلفوا في ضعف روايته وضعفه من وثقه (عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه) الباهلي أو السهمي وهو صدي بن عجلان وهو توفي سنة احدى أو ست

(قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) أي متحملا ومعتمدا (على عصا) أي لعارض من ضعف أو مرض (فقمنا له) أي تعظيما وتكريما (فقال) أي تواضعا (لا تقوموا) أي لي أو مطلقا (كما تقوم الاعاجم) أي بطريق الالتزام أو على سبيل الوقف على الاقدام (يعظم بعضها) أي بعض تلك الجماعة (بعضا) على ماهو دأب الملوك الفخام والا كابر العظام ولا تعارضه حديث قوموا لسيدكم خطابا للانصار حين أقبل سعد راكبا على الحمار وهو شاك يحتاج الى استعانة جمع في نزول الى محل القرار وأبعد من استدل به على استحباب القيام المتعارف بين الانام والاقرب أن يحمل النهي على التنزيه أو خاص لطائفة العرب لان يستمروا على اعادتهم من غير تكلف في مقام الادب قال التلمساني والقيام أربعة أقسام فمحظور وهو القيام لمن يحب أن يقام له ومكروه هو القيام لمن لا يحب أن يقام له وجائزه القيام للعالم المتواضع وحسنه القيام للقادم من سفر وانما خشي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من فعلهم أن يتخذوه سنة وكان لا يحب التشبه باهل الضلالة (وقال) أي تواضعا لله وترحما على خلق الله (انما أنا عبد) أي مشابه للعبيد في مقام التواضع وعدم التكلف والتصنع (آكل كما يأكل العبد) أي من غير سفرة وخوان وجمعه اخونة واخون (وأجلس كما يجلس العبد) على التراب من غير سرير وفرش حرير وفي رواية لا آكل متكئا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وربما جثى على ركبتيه وربما نصب اليمنى وجلس على ظهر قدمه اليسرى وعن عبد الله بن جعفر قال رأيت في يمين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قثاء وفي شماله رطبا يأكل من ذا مرة ومن ذا مرة (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من كمال تواضعه مع قدرته على ركوب الفرس والبغل والناقة (يركب الحمار) أي وحده تارة ومع غيره أخرى كما ورد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه في طريق قبا

وثمانين وأخرج له الستة وهو من بقايا الصحابة بحمص وهذا الحديث رواه أبو داود وابن ماجه مسندا (قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوكئا) بكاف مشددة مكسورة وهمزة أي معتمدا متحاملا وهو منصوب على الحال (على عصا) وقال ابن عباس التوكؤ على العصى من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصي منها قضيب ومخصرة قصيرة ومحجن وكانت في يده اذا خطب وكانت عند الخلفاء وقال فيها الصرصري رحمه الله تعالى كما

وعصاه لامسها بيمينه * فضلت عصا صارت الى ثعبان

(فقمنا له) تعظيما واجلالا (فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا) هذه الجملة بدل مما قبلها أو مستأنفة استئنافا بيانيا والاعاجم جمع أعجم أو عجمي أو عجم على خلاف القياس أو جمع أعجام جمع جمع وهم من عدا العرب وقد يختص بفارس وقد اختلف العلماء في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه أم لا فقيل مكروه واستدلا بهذا الحديث وبحديث من أحب أن يتمثل له الناس قياما وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم الى حرمته والاحسن ما قاله القاضي زكريا في شرح الروض انه مستحب لاهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد يجب اذا خشي من تركه ضررا كجبابرة الملوك ويستحب لمن قدم من سفر ولذوي الارحام تكريما وبرا لهم ويدل على ذلك قوله صلى الله تعالى عليه وسلم للانصار لما قدم عليهم سعد رضي الله تعالى عنه قوموا لسيدكم والمنهي عنه انما هو ما كان على سبيل الرياء والتكبر وحمل حديث سعد على انه كان مريضا وقدم مكة راكبا فأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف الظاهر كما ورد فعله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضي الله تعالى عنها اذا جاءته وانما نهاهم لئلا يظنوه سنة ويتخذوه عادة (وقال) صلى الله عليه وسلم (انما أنا عبد) الحصر فيه اضافي أي لست بسلطان ثم انه ان أريد بالعبد معناه العرفي وهو الرقيق المملوك للناس فهو استعارة شبه نفسه تواضعا لله بالرقيق لتعاطيه خدمة نفسه في بيته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما يأتي كان يخصف نعله ويرقع ثوبه ويكنس بيته ويلبس الغليظ فقوله (آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد) بيان لوجه الشبه وان أراد عبد الله وكل الناس عبيد الله المملوك وغيرهم سواء في ذلك فالمراد انه متمحض لهذه العبودية لا يشوبها بشيء من أمور الدنيا ولا تخلق بشيء من أخلاق أهلها في لباسهم وما كلهم ومشربهم وفراشهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يجلس على الارض ولا يأكل على خوان ولا يغلق عليه بابا ولا يتخذ حجابا (وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار) وكثير من الاغنياء يأنف من ركوبه وكان له حمار يسمى عفيرا وأخرى يسمى يعفور وهو مأخوذ من العفرة وهي التراب اشبه لونه له وليسا اسمين لحمار واحد كما توهم فان عفيرا أهداه له المقوقس ويعفور أهداه له فروة بن عمرو وقيل بالعكس ومات يعفور منصرفه من حجة الوداع وقيل ألقى نفسه في بئر ابن التيهان يوم موته صلى الله عليه وسلم وقيل انه كان من جنس من الحمير لم يركبه الا نبي وانه كان صلى الله

عليه

عليه وسلم يرسله للرجل فيأتى بابه ويقرعه برأسه فيعلم انه يطلبه (ويردف خلفه) غيره ويردف بضم المثناة التحتية بمعنى يجعله رديفاله أى راكبا خلفه على دابته التى ركبها و يقال ردف وأردف وأصله الركوب على الردف وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يجعل غيره قدامه أيضا ولم يذكر المصنف من أردفه اشارة لعمومه فيشمل الذكر والانثى والصغار والكبار وقد ذكروا ان من أردفه صلى الله تعالى عليه وسلم بلغ أربعين فى سفره وحضره وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وهم أسامة بن زيد رضى الله عنه مرجعه من عرفة ※ والصديق رضى الله عنه فى الهجرة ※ وعثمان رضى الله عنه راجعا من بدر ※ وعلى كرم الله وجهه فى حجة الوداع ※ وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما بين يديه وسبطه مع غلامين من بنى هاشم وأولاد عباس الثلاثة رضى الله تعالى عنهم فى نزوله من المزدلفة ※ والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما ※ ومعاوية رضى الله تعالى عنه ※ ومعاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه على عفير ※ وأبو ذر رضى الله تعالى عنه على حمار ※ وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه ※ وثابت بن الضحاك رضى الله تعالى عنه ※ والشريد بن سويد رضى الله تعالى عنه ※ وسلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه ※ وزيد بن سهل رضى الله تعالى عنه ※ وأبو طلحة الانصارى رضى الله تعالى عنه ※ وسهيل بن بيضاء رضى الله عنه ※ وعلى ابن ابنته زينب رضى الله تعالى عنهما ※ وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ※ وغلام مطلبى ※ واسامة بن عمير رضى الله تعالى عنه ※ وصفية بنت حيى رضى الله تعالى عنها مقدمه من خيبر ※ وأبو الدرداء رضى الله تعالى عنه ※ وآمنة بنت أبى الصلت ※ وأبى اياس ※ وأبو هريرة ※ وقيس بن سعد ※ وخوات بن جبير رضى الله تعالى عنهم ※ وجبريل عليه الصلاة والسلام على البراق فى الاسراء ※ وأم حبيبة الجهنية رضى الله عنها ※ وزيد بن أرقم رضى الله تعالى عنه ※ وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما وزاد ابن منده رحمه الله غير هؤلاء ونظمهم أبو ذر بن موفق الدين فقال

وأردافه جم غفير فمنهم ※ على وعثمان شريد وجبريل
وأولاد عباس ذوو الرشد والتقى ※ اسامة والدوسى وهو نبيل
معاوية قيس بن سعد صفية ※ وسبطاه ماذا عنهم سأقول
معاذ أبو الدرداء سويد وعقبة ※ وآمنة ان قام ثم دليل
كذلك خوات ظريف وسبطه ※ على ووجه النقل فيه جميل
أسامة والصديق ثم ابن جعفر ※ وزيد وعبد الله ثم سهيل
كذا بنت قيس خولة وابن أكوع ※ وقدرهم فى العالمين جليل
كذلك زيد جابر ثم ثابت ※ فعن حبهم والله لست أحول
ثلاثة غلمان وزد معهم أبا ※ أناس وحسبى الله وهو وكيل

(و) كان (يعود المساكين ويجالس الفقراء) الفرق بين المسكين والفقير مشهور فى مبحث الزكاة الأن كلا منهما يطلق على الآخر من غير فرق فى العرف والعيادة سنة للغنى والفقير وانما خصها هنا لانه يعلم منه غيره بالطريق الاولى والمسكين بكسر الميم وفتحها مأخوذ من السكون ويكون بمعنى المتذلل الخاضع ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم احينى مسكينا وأمتنى مسكينا) وتقدم انه لا يجوز أن يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير او مسكين وان أطلقه على نفسه الشريفة (ويجيب دعوة العبد) اذا علم انه يجوز له اطعام غيره لكونه ماذونا ونحوه (ويجلس مع أصحابه مختلطا بهم) فلا يختار مكانا رفيعا ولا يتقدم عليهم قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه حتى كان الغريب اذا أتى ناديه لا يعرفه حتى يسال عنه ثم ان الصحابة رضى الله تعالى عنهم سالوه صلى الله

(ويردف خلفه) من الارداف أو من الثلاثى بكسر الدال فى الماضى وفتحها فى المستقبل أى يركب وراء ظهره على الناقة وغيرها من أراد من أصحابه كالصديق وذى النورين والمرتضى وعبد الله بن جعفر وزيد وأسامة والفضل ومعاوية وغيرهم ممن بلغ عددهم خمسة وأربعين (ويعود المساكين) من المرضى (ويجالس الفقراء) أى ويجتنب مجالسة الاغنياء ويقول اتقوا مجالسة الموتى والمغايرة بين الفقراء والمساكين من تفنن العبارة وان اختلف الفقهاء فى الفرق بينهما فى مصرف الصدقة (ويجيب دعوة العبد) أى الى بيت سيده أو المراد به العبد المعتوق بان يأتى بيته جبرا لخاطره وتواضعا مع ربه وامتثالا لامره سبحانه وتعالى بقوله واخفض جناحك لمن تبعك من المؤمنين (ويجلس) كما فى حديث هند بن أبى هالة كان يجلس (بين أصحابه) أى فيما بينهم (مختلطا بهم) لا يتخير مجلسا يترفع به عليهم بل كان من دأبه معهم انه

(حيث ما انتهى به المجلس) أي وخلا فيهم المكان المؤنس (جلس) أي تواضعا له سبحانه وتعالى وارشاد الاصحابه ليتأدبوا بآدابه (وفي حديث عمر) أي من رواية البخاري (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لا تطروني) من الطاء وهو المبالغة في الثناء الى حد يقع الكذب في الاثناء أي لا تجاوز وا الحد في مدحي بان تنسوا الى ما لا يجوز في وصفي (كما أطرت النصارى عيسى بن مريم) حتى زعموا انه ابن الله وغير ذلك (انما انا عبد) ٩٨ أي من عبيد ربي (فقولوا عبد الله ورسوله) وفيه ايماء الى ما قيل (لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائيا) والنهي انما هو عن الاطراء لا مطلق المدح والثناء لتقريره صلى الله تعالى عليه وسلم خديجة على مدحها له وأما حديث اذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب فمحمول على المجاوزة عن الحد بالكذب ونحوه في هذا الباب كما تشير اليه صيغة المبالغة وقد أشار صاحب البردة الى زبدة هذه العمدة بقوله

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (ان امرأة) قيل لعلها أم زفر ماشطة خديجة اذ قد ورد مرسلا لانها كانت صحابية ويحتمل غيرها (كان في عقلها شئ) أي من جنون (جاءت فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا أم فلان) لعل الراوي لم يعرف اسم ابنها فكنى عنه (في أي طرق المدينة) أي أجزائها (شئت) أي أردت أنت مما هو أهون عليك أو أقرب اليك (اجلس اليك) أي معك أو متوجها اليك وهو مجزوم لجواب شرط مقدر بعد الامر أي أن تجلسي اجلس اليك (حتى أقضي حاجتك) أي من الكلام أو طلب المرام (قال) أي أنس (فجلست فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) من كمال تواضعه لها وملاطفته معها (قال أنس رضي الله تعالى عنه) على ما رواه أبو داود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار) بل عريانا احيانا (ويجيب دعوة العبد وكان   يوم

تعالى عليه وسلم أن يجعل له مكانا مخصوصا حتى اذا أتاه الغريب عرفه وسأله ففعله من طين تارة يجلس عليه وتارة يجلس بجنبه (حيثما انتهى به المجلس جلس) حيثما تفيد العموم أي أي مكان وجده خاليا وقت مجيئه يجلس فيه صدرا أو غير صدر وكل هذا تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وارشاد أمته (وفي حديث عمر عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخاري (لا تطروني) مضارع اطراه اذا بالغ في مدحه وتجاوز الحد فيه قال

لا يلحق الواصف المطري مدائحه * وان يكن محسنا في كل ما وصفا

أي لا تمدحوني قال الجوهري والزبيدي أطريت الرجل مدحته وقال ابن فارس في المجمل أطريته مدحته باحسن ما فيه وقال الهروي الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه وبه فسر الحديث وقد علمت ان الذي قاله الهروي هو معنى الحديث وهو مأخوذ من الطراوة يقال طراوة ومدحه صلى الله عليه وسلم مطلوب من كل أحد والمنهي انما هو عما لا يليق به ولذا قال (كما أطرت النصارى) جمع نصراني منسوب لناصرة أو نصرة أو نصورية على خلاف القياس وتلك القرية كان فيها في أول أمره (ابن مريم) فانهم قالوا فيه انه ابن الله وغيره مما هو مشهور وهذا كقول الابوصيري رحمه الله تعالى

دع ما ادعته النصارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

وما أحسن قول العارف بالله عمر بن الفارض نفعنا الله تعالى به

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) ولا تقولوا ما قاله أهل الكتاب ونحوه فالحصر اضافي (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه رواه مسلم (ان امرأة) من الصحابة تسمى أم زفر وهي ماشطة خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وتردد البرهان الحلبي رحمه الله تعالى فيها هل هي هذه أو غيرها وجزم به غيره (كان في عقلها شئ) من الجنون ولم يصرح به اشارة لخفته وانها لم تستغرق فيه فان لفظ شئ يشعر بالقلة (جاءته صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت ان لي اليك حاجة) أي لي حاجة أريد أن أنهيها اليك وأعلمك بها (قال لها (اجلسي يا أم فلان) الابهام من الراوي لانه لم يحضره اسمها (في أي طريق المدينة شئت أجلس اليك) مجزوم في جواب الامر والى بمعنى عند عبر به للمشاركة (حتى أقضي حاجتك قال) أي أنس ابن مالك رضي الله تعالى عنه (فجلست فجلس النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها) التي أعلمته بها تواضعا منه صلى الله تعالى عليه وسلم وملاطفة وفيه استحباب الملاطفة بمثلها لا من كان فيه جنون مطبق وكانت جارية سوداء تصرع أحيانا فشكت ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالت اني أصرع وأنكشف فادع الله لي فقال ان شئت فاصبري ولك الجنة وان شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر ولكن ادع الله أن لا أنكشف فدعا لها وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول ألا أريكم امرأة من أهل الجنة فيشير اليها وقيل ان التي كانت تصرع سعيرة الاسدية (وقال أنس) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه بتمامه أبو داود والبيهقي (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد) كما تقدم بيانه (وكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يوم بني قريظة)

يوم واحد الايام واليوم هنا بمعنى الوقعة والغزوة شائع بحيث اذا أطلقوه انما يفهم منه هذا و بنو قريظة بصيغة التصغير والقاف والراء المهملة والظاء المشالة ثم هاء قوم من اليهود بقرب المدينة غزاهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل غزوة الخندق كما فصل فى السير راكبا (على حمار) وهو صاحب الرياسة والرسالة العظمى تواضعا منه صلى الله عليه وسلم ومن هو من أقل عبيده يركب الخيل فى مثله و يجنب الجنائب اظهار الشوكته وعظمته بذاته لا لغرض الدنيا الذى لا يستقر وما فى بعض الشروح هنا نقلا عن بعض الحواشى فى ضبط يوم من انه بفتح الياء التحتية والهمزة المضمومة المرسومة واوا والميم المشددة بمعنى يقصد تحريف لا وجه له (مخطوم بحبل من ليف) اسم مفعول من الخطام بخاء معجمة وطاء مهملة وهو ما يقاد به الدابة كالرسن والليف بكسر اللام والفاء شئ يتخذ من النخل ويفتل حبالا (وعليه) أى على الحمار (اكاف) بكسر الهمزة وكاف وألف وفاء بزنة كتاب وبضم كغراب ويقال وكاف بالواو وهو رحل يوضع على ظهر الحمار للركوب عليه أو بعض أدواته وهو البردعة وهذا من حديث رواه أبو داود والبيهقى كما مر (قال) أى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخة) الاهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء ولام وهو كل ما يؤتدم من به من الدهن أو ما يذاب من الالية أو الدسم الجامد وسنخة بفتح السين المهملة وكسر النون وفتح الخاء المعجمة وهاء بمعنى متغيرة الرائحة يقال سنخ الدهن و زنخ اذا تغير (فيجيب) دعوة من دعاه وهذا الحديث رواه الترمذى فى شمائله وابن ماجه فى سننه (قال) أنس أيضا رضى الله تعالى عنه (وحج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد الهجرة فى حجة الوداع كما فى البخارى و يدل عليه قوله الآتى وقد فتحت عليه الارض (على رحل رث) الرحل للجمل كالسرج للفرس فيختص به و رث بفتح الراء المهملة وتشديد المثلثة بمعنى بال خلق (وعليه قطيفة) أى كساء من صوف له خمل (ما تساوى أربعة دراهم) أى لو قومت لم يكن قيمتها أربعة دراهم و يقال هذا يساوى و يسوى كذا القيمته والحج من أعظم شعائره التواضع واظهار الافتقار الى الله تعالى ومنع النفس من التلذذ والملابس ولذا شرع الاحرام فيه والتجرد فى الموقف ليذكر الموقف الحقيقى والعرض على الله وهذا من محاسن التشريع والارشاد للاخلاص ولذا قال ثمه (فقال اللهم اجعله) أى اجعل حجى هذا (حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة) بل خالصا لوجهك الكريم والرياء مشتق من الرؤية وهو ما يفعل من عبادة ونحوها لاجل أن يراه الناس فيمدح صاحبه والسمعة بضم فسكون ما يفعل ليشيع و يسمع الناس به وهما بمعنى بحسب الماصدق وان اختلف مفهوماهما ومنهم من فرق بينهما فان عبد السلطان اذا عمل عملا ليراه سيده وحده رياء لا سمعة ومن أشاع أمرا لم ير سمعة لا رياء فيه وقال القرافى فى قواعده الرياء موجب للاثم والبطلان عند كثير لظاهر قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين) وهو أن يعمل لله مع قصد نفع من العباد وهذا رياء الشرك أو ان يعمل للناس فقط و يسمى رياء الاخلاص وهو لاغراض شتى والتشريك كمن جاهد طاعة لله مع قصد الغنيمة وهذا يضر بنقص الثواب ولا يحرم بالاجماع بخلاف من فعل ليقال انه شجاع أو ليحظى عند الامام أو يكثر عطاؤه وهو محرم ليس كقصد الغنيمة من العدو ومن حج وشرك مع الحج المتجر لا يأثم ولا يقدح ذلك فى صحة حجه ولو كان جل قصده أو كله التجارة كمن صام ليصح بدنه و يحتمى فهذا لا يقدح فى فعله لان الشارع أمر به فى حديث (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فالصوم فانه له وجاء) أى قاطع للشهوة فامر بالصوم لغرض آخر غير العبادة ولو كان قادحا لم يأمر به كمن توضأ للتبريد والتنظيف فان فيه اغراضا ليس فيها تعظيم غير الله بفعله فانه هو المضر انتهى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الرياء

يوم بنى قريظة) أى زمن غزوتهم وهى عقب غزوة الخندق (راكبا على حمار مخطوم) أى فى رأسه خطام وهو حبل كالزمام (بحبل من ليف) أى ورق النخل (عليه اكاف) جملة حالية من ضمير مخطوم والاكاف بكسر الهمزة أو ضمها البردعة أو ما يشد فوقها (قال) أى أنس رضى الله تعالى عنه (وكان يدعى الى خبز الشعير والاهالة) وهى بكسر الهمزة كل ما يؤتدم به من الادهان وقيل ما أذيب من الشحم والالية (السنخة) بفتح السين المهملة وبكسر النون أى المتغيرة الرائحة (فيجيب) أى من دعاه الى ذلك (قال) أى أنس (وحج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على رحل) أى كور أو قتب وهو للبعير كالسرج للفرس (رث) بتشديد المثلثة أى خلق بال (وعليه) أى وعلى كتفه أو على رحله (قطيفة) أى كساء له خمل (ما يساوى أربعة دراهم فقال) أى مع هذا كله (اللهم اجعله حجا) بفتح الحاء وكسرها على ما قرئ بهما فى السبع وزيد فى نسخة مبرورا (لا رياء فيه ولا سمعة) بل اجعله خالصا لوجهك الكريم

(هذا) مبتدأ محذوف الخبر من اسمى فعل أمر واشارة يورد كما بعد للانتقال من اسلوب مقال الى مقال آخر من الاحوال والواو بعده للحال ويذكر بعده خبره كما فى قوله تعالى هذا ذكر أى تأمل هذا الصنيع الجليل والقصد الجميل يورثك تعجبا من حجه على تلك الهيئة من التواضع والاستكانة كذا حققه الدلجى والاظهر ان يقال انه مركب من كلمتى التنبيه والاشارة أى تنبه لهذا (وقد) أى والحال انه قد (فتحت عليه الارض) أى وألقت افلاذها من ذهب وغيره من فلذاتها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واهدى) كما روى مسلم عنه (فى حجه ذلك) أى عام الوداع (مائة بدنة) أى ناقة تقربا الى ربه وارشاد المن يقتدى به وايماء الى ان تركه تكلفه فى ثوبه ومركوبه لم يكن عن افتقاره وقد نقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نحر بيده الكريمة ثلاثا وستين بقدر سنى عمره وأمر عليا كرم الله وجهه بنحر البقية فى يومه (ولما فتحت عليه مكة) على ما رواه ابن اسحق والبيهقى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أو الحاكم والبيهقى وأبو يعلى عن أنس رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما فتحت عليه مكة (ودخلها بجيوش المسلمين) أى باصناف منهم (طأطأ) بهمزتين أولاهما ساكنة وقد تبدل وثانيتهما مفتوحة أى خفض واطرق وارخى (على رحله) أى حال كونه راكبا فوق (رأسه) مفعول طأطأ (حتى كاد) أى قارب صلى الله تعالى عليه وسلم (يمس) بفتح الميم كقوله تعالى ولا يمسه قال التلمسانى بضم لا غير والظاهر انه وهم منه أى يصيب برأسه أو قارب رأسه ان يمس (قادمته) أى مقدمة رحله فى غاية لطأطأة رأسه وقوله (تواضعا لله) مفعول لاجله وفيه ايماء الى ما يشير اليه قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية الى ان قال وادخلوا الباب سجدا أى متواضعين لا متكبرين كالجبارين (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس) مثلث النون وبالهمزة ست لغات (ابن متى) بفتح ميم وتشديد مثناة فوق وهى أم يونس عليه السلام ولم يشتهر نبى باسم أمه غير عيسى ويونس كذا ذكره ابن الاثير فى الكامل اما يونس فللغلبة واما عيسى فلانه لا أب له ومنه قول القائل

ألا رب مولود وليس له أب * وذى ولد لم يلده أبوان

مشيرا الى آدم عليه الصلاة والسلام ولم يلده بفتح الياء وسكون اللام وفتح الدال للضرورة وقد قيل انه من بنى اسرائيل وانه من سبط بنيامين قال الحجازى وما ذكر فى قصص الكسائى من ان متى أبوه ليس بصحيح قال قيل ما الجمع بين قوله فى صحيح البخارى لا تفضلونى على يونس ابن فلان ونسبه الى أبيه وظاهره ان متى أبوه وأجيب بان متى مدرج فى الحديث من كلام الصحابى لبيان يونس بما اشتهر به ولما كان ذلك وهما ان الصحابى سمعه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم دفع ذلك بقوله ونسبه الى أبيه أى لا كما فعلت أنا من نسبته الى أمه كذا ذكره الحجازى وتبعه الدلجى وغيره ولكن لا يخفى

الجلال

والسمعة وانما ادعا بذلك تعليما الامته وتواضعا كقول يوسف عليه الصلاة والسلام وما أبرئ نفسى لان التقشف قد يدخله الرياء باظهار الزهد (هذا) أى فعله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا واختياره رث الثياب والمركب ليس عن عجز (وقد فتحت الارض عليه) صلى الله تعالى عليه وسلم وفتح يتعدى بعلى لما جاء كثيرا بسهولة من الله كأنه أفاضه عليه وفتح الارض ان أريد به بعضها كالحجاز فظاهر وان أريد جميعها فعدمه لكنه صلى الله تعالى عليه وسلم منها بمنزلة وقوعه مر وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة سندس وفى رواية بمفاتيح خزائن الارض فوضعت بين يدى وهو محمول على ظاهره وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو أو هو كناية عن ان الله مكنه من ذلك ولو ان الله تعالى أراده صرفه بالفعل فيها وقاد جميع أهلها له (وأهدى فى حجه ذلك مائة بدنة) أهدى بمعنى بعث الهدى بوزن الرمى مخفف الياء وقد تشدد فتكسر داله وهو ما يرسل للبيت الحرام لينحر فيه ويتصدق به من الابل والبقر وكذا البدنة تطلق على الجمل والناقة والبقرة وأكثر ما تطلق على الابل وقد يسمى الابل مالقاهدى وسميت بدنة لكبر بدنها وفى البخارى لما حج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حجة الوداع اهدى مائة بدنة نحرها وقسم لحمها وجلودها وجلالها ونحر بيده منها جملة ثم أمر عليا كرم الله وجهه بنحر ما فيها واختلف فيما نحره صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة أهو ثلاثون أم ستون (ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش من المسلمين) وذلك فى شهر رمضان ثالث عشره أو سادس عشره أو ثامن عشره وصحح النووى رحمه الله انه تاسع عشره واختلف فى الجيوش أيضا فقيل اثنا عشر وقيل عشرة آلاف وقيل ثمانية (طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته) الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب وفيها لغات قادم وقادمة ومقدم ومقدمة بكسر الدال مخففة وفتحها مشددة وكذا أخرة الرحل (تواضعا لله تعالى) ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ان ركب الجمل دون الفرس وعلى رأسه مغفر فوقه عمامة سوداء وأردف خلفه أسامة رضى الله تعالى عنه كما مر (ومن تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله لا تفضلونى على يونس ابن متى) قال شيخ مشايخنا

ان مثل هـذا التصرف لا يجوز للراوي مع ما فيه من قلة أدب في نسبته الى أمه لولا انه منقول من أصله هذا ثم الحديث بهذا اللفظ غير معروف ولفظ البخاري لا يقولن أحدكم اني خير من يونس بن متى ولعل وجه تخصيصه نفيه سبحانه وتعالى عنه العزم بقوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت أولما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من المعراج العلوي وليونس عليه السلام من المعراج السفلي ايماء الى ان الامكنة الاضافية الى قرب الله تعالى على حد سواء تستوي فيه الارض والسماء وقد أجاب العلماء عن هـذا الحديث باجوبة منها انه قاله تادبا وتواضعا ومنها انه قاله قبل ان يعلم انه أفضلهم فلما علم قال انا سيد ولد آدم بل وفي البخاري انا سيد الاولين والآخرين ولا فخر ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدي الى الخصومة كما ثبت سببه في الصحيح بورود لا تفضلوني على موسى كما سيجيء ومنها انه نهى عن تفضيل يؤدي الى نقص بعضهم لا عن كل تفضيل لثبوته في الجملة كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات ومنها انه نهى عن التفضيل في نفس النبوة لا في ذوات الانبياء وعموم رسالتهم وزيادة خصائصهم ومزية حالاتهم وهذا معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان (ولا تفضلوا بين الانبياء) واما قوله عليه الصلاة والسلام (ولا تخيروني على موسى) فسببه ما رواه الشيخان وأبو داود والنسائي من انه استب مسلم ويهودي قال والذي اصطفى موسى على العالمين فلطم المسلم وجهه وذكر ذلك للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسأل المسلم عنه فأخبره فقال لا تخيروني على موسى أي تخيير مفاضلة تؤدي الى مخاصمة واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الشيخان (ونحن أحق بالشك من ابراهيم) أي اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى انما صدر عنه تواضعا لربه وهضما لنفسه لا اعترافا به في حق ابراهيم وفي حقه فكأنه قال اذا كنت لم أشك في احياء الله الموتى فابراهيم بعدم الشك أولى فائدته لهما بنفي الشك عنهما وقيل بل قال ذلك على سبيل التقديم لابيه أي انه لم يشك ولو شك لكنت أنا أحق بالشك منه ثم قوله رب أرني كيف تحيي الموتى شاهد صدق بان سؤاله لم يكن من قبل الشك والشبهة بل من قبل رؤية تلك الكيفية العجيبة الدالة على كمال قدرته الباهرة شوقا الى معرفتها مشاهدة كاشتياقنا الى رؤية الجنة معاينة والحاصل انه عليه الصلاة والسلام أراد بقوله أرني الترقي من علم اليقين الى عين اليقين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة ويدل عليه بقية الآية حيث قال تعالى أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم

الجلال السيوطي لم أقف عليه بهذا اللفظ والذي في البخاري عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي سنن أبي داود وما ينبغي لنبي ان يقول أنا أفضل من يونس بن متى وفي الصحيحين لعبد بدل لنبي وفي رواية لا أقول ان أحدا أفضل الى آخره انه سبح الله في الظلمات وفي البخاري ونسبه لابيه ففيه اشارة الى ان متى بفتح الميم وتشديد التاء مقصورا اسم أبيه وقيل معناه انه بدل متى اسم امه وهذا هو المشهور وانه لم ينسب لامه الا يونس وعيسى عليهما الصلاة والسلام ذكر اسم أبيه واختلف في المراد منه فقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله تواضعا منه وان كان هو أفضل من جميع الرسل بالاتفاق وكلام المصنف رحمه الله تعالى يميل لهذا فان الافضل قد لا يطلب تفضيل أحد له وقيل انه كان قبل ان يعلم بتفضيله والاذن فيه لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وخص صلى الله تعالى عليه وسلم يونس عليه الصلاة والسلام لئلا يتوهم أحد تنقيصه اذا سمع قصته وقوله ولا تكن كصاحب الحوت وقصته مفصلة في التفسير (و) قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تفضلوا بين الانبياء) لا ينافي هذه الآية لان المنهي عنه تفضيل يؤدي الى التنقيص أو الخصومة والنزاع أو التفضيل من سائر الوجوه لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل أو التفضيل في نفس النبوة لا في الخصائص وعموم الرسالة والا فيجب علينا اعتقاد أفضليته صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله أنا سيد ولد آدم وقوله ان الله تعالى اختارني على جميع العالمين من الانبياء والمرسلين (ولا تخيروني على موسى) صلى الله عليه وسلم أي لا تقولوا اني خير منه وأفضل وخصه لئلا يظن أحد نقصه لقوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وسيأتي بيان ذلك ❊ أقول الظاهر ان المعنى لا تفضلوني تفضيلا يؤدي للنزاع والمخاصمة فان هذا من بعض حديث في الصحيحين ان رجلا من المسلمين استب مع يهودي فقال اليهودي والذي فضل موسى على العالمين فلطمه فاشتكى للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ذلك وسيأتي الكلام على هذا (ونحن أحق بالشك من ابراهيم) اذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى وحمله بعضهم على ظاهره وانه كان قبل البعثة في سن الطفولية ومن قال بعصمة الانبياء مطلقا قال انه نفي للشك لا اثبات له وانما قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع أي نحن أحق بالشك منه لو شك ولكنه لم يشك فكأنه قال أنا لا أشك فكيف بابراهيم وقيل انما قاله جوابا لمن قال شك ابراهيم ولم يشك نبينا

ولا تنافى بين القولين وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى فى القسم الثالث وقيل لا يصح أن يكون
المراد انه أحق بالشك منه لقوله أولم تؤمن قال بلى الى آخره وتسميته شكا بالنظر للظاهر لاقتضائه عدم
الاطمئنان وهو ينافى عدم التردد والشك ولذا احتيج لتأويله بان الخليل عليه الصلاة والسلام قطع
بالقدرة على احياء الموتى بدليل قطعى لكنه اشتاق لمشاهدة كيفية هذا الامر العجيب الذى جزم بثبوته
فنفسه لا تطمئن حتى يشاهده قال ابن أبى شريف رحمه الله تعالى وهذا التأويل يشير الى ان المطلوب
بقوله ولكن ليطمئن قلبى سكون قلبه عن المنازعة الى رؤية الكيفية المطلوبة التى تمناها ليحصل له
العلم البديهى بعد العلم النظرى ولما كان هذا الشك ظاهرا جائزا على الانبياء عليهم الصلاة والسلام
قال صلى الله تعالى عليه وسلم ماقاله كناية عن انه جائز منه الا انه أورده بهذه الصورة تادبا مع الله تعالى
وان لم يكن أحق بذلك الشك منه وكيف يتصور جوازه عليه وعلى كرم الله وجهه يقول لو كشف
الغطا ما ازددت يقينا الا ان فى هذا اشكالا أورده ابن العماد لاقتضائه تساوى علمه البديهى والنظرى
فيتجاوز المقام الخليلى وقد أجاب عنه فى كتابه كشف الاسرار فقال قال العز بن عبد السلام المراد
ما ازددت يقينا بالايمان وان كان اذا رآها أبصر من التفاصيل والهيئات مالم يحط به قبل ذلك علما
وكذلك ابراهيم لما رأى كيفية الاحياء لم يزدد يقينا بالايمان بقدرته تعالى على الاحياء وان وقف
بمشاهدة كيفية الاحياء على مالم يقف عليه من الايمان كمن رأى بناء عجيبا وعرف صانعه علم قدرته
وصنعه وتحققه وان لم يعرف كيفية بنائه وصنعة عمله فاذا طلب مشاهدة عمله ورآه لم يزد علمه بقدرته
وصنعته وهيئته بذلك ولكن اطمان قلبه لحصول ماطلبه من كيفية صنعه وقال السبكى رحمه الله تعالى
سئل الغزالى رحمه الله تعالى عن هذا فقال اليقين يتصور عليه الجحود كما قال تعالى وجحدوا بها
واستيقنتها أنفسهم والطمانينة لا يتصور عليها الجحود وهو جواب حسن فى الفرق بين اليقين
والجحود انتهى وفيه نظر وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذه الآية أرجى آية فى القرآن معناه
ان سؤاله الاحياء فى الدنيا يدل على انا نحيى وننعم فى الآخرة أو ان الايمان بالغيب اجمالا كاف لنا (ولو
لبثت مالبث يوسف فى السجن لاجبت الداعى) لبث فى السجن بضع سنين أى لبث خمسا ثم سبعا بعد
رؤيا الفتيين اللذين دخلا معه السجن وقيل غير ذلك وورد فى الحديث رحم الله أخى يوسف لولم يقل
أذكرنى عند ربك مالبث فى السجن سبعا بعد خمس أى لولم يستعن بغير الله تعالى ماطالت المدة والمراد
باجابة الداعى اجابة رسول الملك الذى دعاه للخروج منه قال الكرمانى وصفه بالصبر حيث لم يبادر الى
الخروج وقال ذلك تواضعا الا انه كان فيه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا بل
يزيد قدره اجلالا وذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى مقام التفويض وتلقى كل ماياتى من الله
بالقبول ورفض الوسائط والمعنى لو كنت مكانه تلقيت دعوة الداعى مستعينا بالله تعالى مفوضا أمرى له
وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عبر رؤيا الفتيين ثم رؤيا الملك فطلبه فلما جاءه الرسول ليخرجه
من السجن لم يبادر للخروج وطلب الكشف عن أمره حتى يعلم أنه مظلوم وقال القرطبى الوجه عندى
فى ذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ لنفسه وجها آخر من الرأى وهو وان يفعل أمرا يقتدى به فيه
وهو ان يخرج سريعا ثم يبرى ساحته بالتبرئة من غير الحاح وهو الحزم ويوسف عليه الصلاة والسلام
سلك مسلكا آخر وهو الصبر وقيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلتفت لما التفت له من براءة الساحة
اكتفاء بعلم الله واعتقاده لانه يبرى ساحته من غير طلب منه لهذا المقام ولكنه قال ماقال تواضعا وفى
يوسف ست لغات بتثليث السين مع الهمزة وعدمه (وقال للذى قال له ياخير البرية ذاك ابراهيم) وهذا

(ولولبثت) أى لو مكثت (فى السجن) فرضا وتقديرا (مالبث يوسف) بتثليث السين مهموزا وغيره ست لغات أى مدة لبثه فى السجن (لاجبت الداعى) وهو رسول الملك والمعنى لاسرعت الى اجابة دعوته مبادرة الى الخلاص من السجن ومحنته قال ذلك هضما لنفسه ورفعة لمقام يوسف ورتبته وايثارا للاخبار بكمال تثبته وحسن نظره فى بيان نزاهته واظهار براءته وجلد صبره وترك عجلته وتنبيها على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كانوا من الله بمكان لا يرام فهم بشر يطرأ عليهم من الاحوال بعض مايطرأ على غيرهم من الانام وان ذلك لا يعد نقصا لهم فى مقام المرام وتمام النظام (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام على مارواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال (للذى قال له) أى خاطبه بقوله (ياخير البرية) بالتشديد والهمز على ماقرئ بهما فى السبع أى الخليقة (ذاك ابراهيم) تعظيما لابوته وتعليما لامته ودفعا للافتخار عن ذاته

من

(وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث) أي على حل مافيها من الاشكال الذى تقدم بعض الاجوبة عنه (بعدهذا) أي في محل أليق منه (ان شاء الله تعالى) أي بيانه فيه (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها والحسن) أي البصرى (وأبي سعيد) أي الخدرى وكان حقه ان يقدم على الحسن اللهم الا ان يراد به الحسن بن على كرم الله وجهه لكن قاعدة المحدثين ان الحسن اذا أطلق فهو البصرى (وغيرهم) أي وغير المذكورين أيضا كما رواه البخارى وغيره (في صفته) أي نعته صلى الله تعالى عليه وسلم (وبعضهم يزيد على بعض) أي وبعض الرواة منهم يزيد على بعضهم بعض العبارات في تفصيل الصفات و جملة قوله (وكان في بيته في مهنة أهله) بفتح الميم وكسره وأنكره الاصمعي ورجحه المزى بقوله وهو أوفق لزنته ومعناه أي خدمة أهله وفي الحديث ما على أحدكم لو اشترى ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته في أهله مما يتعين عليهم رفقا بهم ومساعدة لهم وتواضعا معهم وبيانه قوله (يفلى ثوبه) بكسر اللام أي يزيل قمله كراهة لوجوده وتنظيفا لوسخه لما في الشفاء لابن سبع انه لم يقع على ثيابه ذباب قط ولم يكن القمل يؤذيه تكريما له وتعظيما فيه وروى ان أم حرام كانت تفلى رأسه (ويحلب شاته) بضم اللام وتكسر ويرقع ثوبه بفتح القاف وفي نسخة من الترقيع (ويخصف نعله) بكسر الصاد أي يخرزها ويطبق طاقا على طاق من الخصف وهو الجمع والضم ومنه سبحانه وتعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة أي يطبقان ورقة على ورقة على بدنهما بالخرز أو الربط أو اللصق ومن أحسن ماقيل في مثال نعله صلى الله تعالى عليه وسلم

أمرغ في المثال بياض شيبي * لما عقد النبي له قبالا
وساحب المثال بشوق قلبي * ولكن حب من لبس النعالا

وقال بعضهم

يا لاحظ المثال نعل نبيه * قبل مثال النعل لا تتكبرا
والثم له فلطالما كفت به * قدم النبي مروحا ومبكرا
أولا ترى ان المحب مقبل * طللا وان لم يلف فيه مخبرا

أقول أنا في هذا الحال أقبل خيال المثال تعظيما لنبي ذي الجلال (ويخدم نفسه) بضم الدال وكسرها وهو تعميم بعد تخصيص ثم ذكر مايعم نفعه له ولغيره بقوله

من تواضعه أيضا صلى الله تعالى عليه وسلم والا فهو خير البرية من غير شك وليس فيه اخبار بغير الواقع اذ المعنى لا أقول ذلك اطراء لنفسي والبرية الخلق من برا بمعنى خلق لكن همزته متروكة كما في الذرية والنبي والخابئة وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه وغيره وخص ابراهيم لان الله أمره باتباع ملته في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم (وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعدهذا ان شاء الله تعالى) من غير تطويل واعتساف (وعن عائشة رضى الله عنها والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضهم يزيد على بعض) قدم عائشة رضى الله تعالى عنها لانها أدرى بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ولذا عقبها بالحسن بن على رضى الله تعالى عنهما لانه من أهل البيت أيضا وأبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه كان يخدمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص هؤلاء ورتبهم الاقرب فالاقرب (كان في بيته في مهنة أهله) خبر بعد خبر أو بدل مما قبله بدل اشتمال والمهنة بكسر الميم وفتحها الخدمة ماخوذة من الامتهان واختلف في أيهما الافصح والاكثر على انه الفتح والاشهر انه الكسر لتوافق الخدمة لفظا ومعنى وأنكر بعضهم الكسر والاصح انه لغة وانه ثابت بالوجهين (يفلى ثوبه) بيان هو ومابعده لما قبله لان هذا مما ينبغي ان يفعله أهله ويفلى بفتح المثناة التحتية وسكون الفاء يقال فلاه يفليه كرماه يرميه اذا فتش مافيه من قمل وغيره هذا أصله وهو يقتضي أن يكون في ثوبه صلى الله تعالى عليه وسلم قمل وقد قالوا انه لا يكون تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولانه يتولد من العفونة والعرق وجسده وعرقه طيب لا يكون فيه عفونة والقول بان فيه قملا تنقيص لا ينبغي ان يقال الا ان بعضهم نقل انه لم يكن الذباب يعلق عليه وان القمل لا يؤذى بدنه تعظيما له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما كما سيأتي بيانه قبيل فصل قد آتيناك أكرمك الله فقيل المراد بنفي أذيته نفيه لانه من لوازمه وقيل انه كان فيه ولكن لا يؤذيه والاول مناف لحديث المتن ولما روى ان أم حرام كانت تفلى رأسه واللفظ شاهد لخلافه نعم نفي أذاه مستلزم لنفيه لان أذيته بتغذيه من البدن فاذا امتنع غذاؤه لم يعش وحينئذ لم يكن في وجوده الاقذارته والاحتياج لفليه ولذا قيل المراد بفليه تفتيشه لخرق فيه أو تعلق شئ به من شوك ونحوه وكل ذلك للتشريع واظهار التواضع واحتمال أن يكون القمل جاء من غيره لكثرة مجالسته الفقراء كما سيأتي لا يأباه فلي أم حرام لرأسه كما قيل على انه يحتمل انها كانت تفحص عن هذا وان لم تجده (ويحلب شاته ويرقع ثوبه) بفتح الياء وسكون الراء المهملة وفتح القاف المخففة ويجوز الضم والتشديد الا ان الضبط بالاول لمناسبة مامعه ورقع الثوب ان يضع فيما انخرق منه رقعة من غيره فيسده بها (ويخصف نعله) أي يخرزها وفي العمدة انه

(و يقم البيت) بضم القاف وكسرها وتشديد الميم أى يكنسه (ويعقل البعير) بكسر القاف أى يربط ركبته بالعقال وهو ما يعقل به من الحبال ومثل العقل لانه يمنع صاحبه عما يضره ويبعثه على ماينفعه (و يعلف) بكسر اللام قيل ويضم أوله (ناضحه) أى بعيره الذى يستقى عليه الماء (ويأكل مع الخادم) أى مملوكا أو غيره وهو يشمل المذكر والمؤنث (ويعجن معها) أى مع الخادمة من الجارية وغيرها وخص العجن بها لان الغالب انه من عملها (ويحمل بضاعته) أى مشتراه من ما كول وغيره (من السوق) أى الى

محله فى بعض أوقاته اذ ثبت انه عليه الصلاة والسلام كان له خدم يقومون بماله من المرام (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) على مارواه البخارى فى الادب تعليقا ووصله ابن ماجه (ان) هى المخففة من المثقلة والمعنى ان الشان (كانت الامة من اماء أهل المدينة) أى من جنسها (لتاخذ) بفتح اللام الفارقة (بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به) أى تذهب به (حيث شاءت) أى من طرق المدينة و بيوتها (حتى تقضى حاجتها) أى منه عليه الصلاة والسلام بشفاعة ونحوها (ودخل عليه رجل) هو غير معروف (فاصابته من هيبته) أى مخافته وعظمته (رعدة) بكسر الراء أى اضطراب أو برودة (فقال له هون عليك) أى يسر أمرك ولا تخف (فانى لست بملك) أى سلطان جائر والحديث سبق الا أنه المصنف
أعاده هنا لما فيه من زيادة قوله (انما أنا ابن امرأة من قريش تا كل القديد) وهو اللحم المجفف فعيل بمعنى المفعول تنبيها له على أنه ما كول المساكين (وعن أبى هريرة) كما رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه انه قال (دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فارسى معرب شابه من كلام العرب مالا ينصرف معرفة ونكرة

تطبيق بعض جلود النعل على بعض وهو فى قوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة استعارة من هذا وأصل معنى الخصف الضم والجمع (و يقم البيت) أى يكنسه ويزيل قمامته من قم يقم بضم القاف اذا كنس (ويعقل البعير) أى يربطه من رجله بالعقال و يعقل بوزن يضرب (و يعلف ناضحه) بنون وضاد معجمة وحاء مهملة وهو البعير الذى يستقى عليه من النضح (ويخدم نفسه) أى يفعل ذلك كثيرا الاداء مع كثرة عبيده وخدمه وتشوق الناس لخدمته صلى الله عليه وسلم لكنه يحب فعل ذلك بنفسه تواضعا وتشريعا (و يأ كل مع الخادم) الخادم متعاطى الخدمة ذكرا كان أو أنثى حرا أو عبدا وأ كل الانسان مع خادمه سنة قال القاضى زكريا فى شرح الروض ان السنة أن يجلس خادمه للا كل معه و يلبسه من لباسه فان أبى فليناوله مما يأ كله ومن الغريب ما نقل عن الشافعى انه واجب للامر به فى الحديث وفيه نظر (و يعجن معها) الضمير للخادم لانه يطلق على الانثى كما مر والعجين من عمل النساء (و يحمل بضاعته) بكسر الموحدة وهى ما يشترى به (من السوق) وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل السوق قالوا وهو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأ كلون الطعام و يمشون فى الاسواق وكذا كان دأب الصحابة رضى الله تعالى عنهم ولا ينافيه أحب البقاع الى الله تعالى المساجد وأبغضها اليه الاسواق لان المراد بغض ما فيها أو النهى عن الجلوس فيها من غير حاجة (وعن أنس) بن مالك رضى الله عنه خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه البخارى تعليقا ووصله ابن ماجه (ان كانت الامة من اماء أهل المدينة) بكسر همزة ان المخففة من الثقيلة كقوله تعالى وان كانت لكبيرة وهى مهملة أو اسمها ضمير شان مقدر (لتأخذ بيد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت) أى تمسك يده الشريفة وتذهب به الى أى محل تريده لاجل حاجتها (حتى تقضى حاجتها) وليس فيه افراط فى التواضع المذموم لان قضاء حاجة المسلمين أمر محمود (ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة) بكسر فسكون لخوفه من مهابته اذ كان لم يره قبلها وأعاد هذا الحديث لما فيه من الزيادة والرعدة ان يرجف و يضطرب (فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم هون عليك) أمر من التهوين أى عد ما رأيته أمرا هينا غير صعب تخشى منه أى لا تخف ولا تفزع (فانى لست بملك) من الملوك الجبابرة الذى يخشى بوادرهم (انما أنا ابن امرأة من قريش تا كل القديد) هو اللحم الذى يقطع و يجعل فى الشمس حتى ييبس وكان عادة العرب أ كله وهكذا عادة فقرائهم فكنى به عن عدم تكبره وتجبره وترفعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه قال السيوطى هذا الحديث رواه الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف (قال دخلت السوق مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاشترى سراويل) فى حواشى الشمنى ذكر المصنف رحمه الله تعالى اشتراه صلى الله تعالى عليه وسلم للسراويل الا أنهم قالوا انه لم يثبت انه صلى الله عليه وسلم لبسها ولكنه اشتراها ولم يلبسها وقال ابن القيم فى الهدى انه لبسها فقالوا انه سبق قلم وقال السيوطى فى فتواه قد رأيت الذى ذكره

المصنف رحمه الله تعالى في معجم الطبراني الاوسط ومسند أبي يعلى وفيه انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبسها ولفظه عن أبي هريرة انه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس الى البزازين فاشترى سراويل باربعة دراهم وكان لاهل السوق وزان فقال له زن وارجح وأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم السراويل فذهبت لاحمل عنه فقال صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله الا أن يكون ضعيفا فيعجز عنه فيعينه أخوه المسلم فقلت يارسول الله انك لتلبس السراويل قال أجل في السفر والحضر وبالليل والنهار فانى أمرت بالستر فلم أجد شيأ أستر منه أخرجه من طريق ابن زياد الواسطى وأخرجه أحمد وفي سنده ابن زياد وهو وشيخه ضعيفان انتهى * أقول الخبر ضعفه متابعته ومنه يعلم ان تخطئة ابن القيم لاوجه لها وكون الثمن أربعة دراهم هو المروى لاما في الاحياء من أنه بثلاثة وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها ولم يلبسها بعيد جدا وقد لبسها عثمان رضى الله تعالى عنه وهو محاصر أيضا والسراويل تذكر وتؤنث ولم يعرف فيه الاصمعى الا التأنيث وجمعه سراويلات وهى مصروفة في النكرة عند سيبويه فان سمى بها رجل لم تصرف وكذا ان صغرت بعد التسمية لانها مؤنثة على أكثر من ثلاثة أحرف كعناق فان صغرت من غير علمية صرفت وقال الجوهرى من النحويين من لايصرفه في النكرة أيضا لانه عنده جمع سراولة وأنشد * عليه من اللؤم سراولة * ويقول ابن مقبل * فتى فارسى في سراويل رامح * والعمل على الاول والثانى قوى انتهى ومن ثم رد قول من قال انه ممنوع من الصرف بالاتفاق وقول المحدثين انه لم يصح انه جمع في الاصل كحضاجر للضبع فيعتبر فيه الجمعية الاصلية قال ولذا اضطر بوافيه فقيل انه أعجمى معرب سروال حمل على موازنه في العربية كمصابيح وقيل عربى جمع سروالة تقديرا وهى لغة في سراويل ويقوى عجميته انه لانظير له في العربية وعلى هذا اقتصر الجواليقى في معرباته الا أنه قيل انه معرب شلوان بالمعجمة والاشبه انه معرب سراوين أى مدلى الرأس لان سر معناه الرأس واوين معناه مدلى (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (للوزان) أى الذى يزن الدراهم وينقدها وهو الصيرفى (زن وأرجح) أى زن لصاحب السراويل ثمنها وزد عليه حتى يترجح الميزان بزيادة الكفة التى فيها الدراهم وبهذا استدل الامام مالك على جواز هبة المجهول وفيه نظر لانه من حسن القضاء وكلام أبي حنيفة رحمه الله تعالى في الهبة المحضة والرجحان نزول كفة الميزان لزيادة ما فيها (وذكر القصة) كما سمعتها آنفا (قال) أى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه راوى هذا الحديث فقال الوزان هذه كلمة ما سمعتها من أحد فقال له أبو هريرة كفى بك من الوهن والجفا في دينك انك لاتعرف نبيك وطرح الميزان (ووثب) أى قام بسرعة (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) أى قام ليقبل يده الشريفة لما رأى منه ولمعرفته انه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فجذب) أى نزع صلى الله تعالى عليه وسلم (يده) من يده (وقال هذا) أى تقبيل اليد أمر (تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما أنا رجل منكم) معاشر العرب أو الناس وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم أو لانه علم انه انما قبل يده لامر دنيوى والا فتقبيل يد الرجل لعلمه أو صلاحه أو شرفه سنة مستحبة وقد كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يقبلون يده الشريفة ويد الخلفاء رضى الله تعالى عنهم وقيل لبعض المشايخ أتقبل يد المشايخ فقال انهم رياحين الله فشمها بالتقبيل (ثم أخذ) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة (السراويل) ليحملها بنفسه (فذهبت لاحمله) أى شرعت في حملها عنه يقال ذهب يفعل كذا وقام يفعله اذا شرع في الفعل ولذلك عدت من افعال المقاربة فليس المراد بالذهاب معناه المشهور وضمير لاحمله للسراويل لانه يجوز تذكيره وتأنيثه كما علم (فقال) أى النبى

(وقال للوزان) بتشديد الزاى أى وازن الفضة من الصيرفى وغيره (زن) بكسر الزاى (وأرجح) بفتح همز وكسر جيم أعطه راجحا على وزنه بالزيادة (وذكر القصة) أى بطولها ومن جملته (قال) أى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه (فوثب) أى فقام الوزان بسرعة متوجها (الى يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلها) بتشديد الموحدة جملة حالية أى حال كونه مريدا التقبيلها لما رأى فيها من زيادة السخاوة وحسن المعامله (فجذب يده) أى تواضعا وتباعدا عما يوجب النخوة والعجب والغرور (وقال هذا) أى التقبيل (تفعله الاعاجم) أى أهل فارس (بملوكها) أى ويورثهم كبرا وفخرا ولاصحابهم ذلا (ولست بملك) أى من جنس ملوكهم (انما أنا رجل منكم) أى بشر مثلكم أو واحد من جنس عربكم أعاملكم بمعاملة أدبكم وهذا لاينافى ماورد من انهم كانوا يتبركون به وبآثاره ولا ماذكره النووى وغيره من أن تقبيل يد الغير ان كان لجاه وغنى فمكروه وان كان لصلاح وعلم فمستحب (ثم أخذ السراويل) أى من بائعه بعد تسليم ثمنه (فذهبت) قصدت (لاحمله فقال

صاحب الشئ أحق بشيئه) أى بمتاعه المختص به (أن يحمله) لانه أبقى على تواضعه وأنفى لكبره وقد قيل لم يثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم لبس السراويل لكن اشتراها قيل باربعة دراهم وفى الاحياء بثلاثة ولم يلبسها وجاء فى الهدى لابن القيم من أنه لبسها قالوا وهو من سبق القلم لكن السيوطى صحح لبسه صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم هذا وقد ذكر التلمسانى انه أخرج أبو داود الحديث عن سماك بن حرب قال حدثنى سويد بن قيس قال جلبت أنا ومخرمة العبدى بزا من هجر فاتينا به مكة فجاءنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشى فساومنا بسراويل فبعناه وثم رجل يزن بالاجر فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زن وأرجح وكذلك ذكر الترمذى الحديث وصححه وأبو عمر وفى الاستيعاب ثم نقل عن شيخه ان فى الحديث فوائد منها الرجحان فى الوزن وهو من الورع الظاهر الفضل لان التطفيف حرام والتحرى فيه طول أو شغب تمام والرجحان يقطعه والفضل يظهره وفيه رد على أبى حنيفة المانع هبة المجهول قلت انما نشأ هذا من جهله بمرتبة الامام وعدم فرقه بين الشائع الحاضر والمجهول الحاضر فى هذا المقام والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة المرام

فصل (وأما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حكمه على وفق الحق ومنهاج الصدق (وأمانته) أى فى أداء روايته وقضاء ديانته (وعفته) أى عما لا يليق بحضرته (وصدق لهجته) أى منطقه وحكايته (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) بهمزة ممدودة أعظمهم أمانة وأمنا من أن يقع منه خيانة (وأعدل الناس) لانه أعلمهم وأحكمهم وأرحمهم وكان الاظهر أن يقدم أعدل على آمن ليكون النشر مرتبا (وأعف الناس) أى أكثرهم عفة وأصبرهم على ما يوجب نزاهته وأصدقهم (لهجة) أكثرهم صدقا من جهة الناطقة (منذ كان) أى من ابتداء ما وجد لما جبل عليه من الاخلاق الحسنة ولا وجه لقول الدلجى من حين اعترف لان قوله (اعترف) استئناف بيان وفى نسخة ثم اعترف (له بذلك) بما ذكر من الشمائل الرضية (محادوه) بتشديد الدال المضمومة أى مخالفوه ومنه قوله تعالى من يحادد الله لكون كل واحد منهما فى حد كما قيل فى وجه اشتقاق قوله سبحانه وتعالى ومن يشاقق الله (وعداه) بكسر عينه مقصورا اسم جمع أى أعداؤه ومعادوه (وكان يسمى قبل نبوته) أى ظهورها ودعوتها (الامين) لغاية أمانته ونهاية ديانته (قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة) أى لان تستعمل فى طريق الحق وسبيل الخلق (وقال تعالى) أى فى حقه (مطاع) أى مكرم (ثم) أى عند الملأ الاعلى والحضرة العليا (أمين) موصوف بالامانة فى دعوى النبوة وروحى الرسالة (أكثر المفسرين على انه) أى المراد بالمطاع الامين (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثر منهم على انه جبريل عليه السلام وسياق النظم يؤيده وسباق الكلام يؤكده وعلى كل فاتصافه بالوصفين لا أحد ينكر

صلى الله تعالى عليه وسلم لابى هريرة (صاحب الشئ أحق بشيئه أن يحمله) بدل من شيئه أى أحق بحمله من غيره وهذا من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم واقتدى به الصحابة رضى الله تعالى عنهم فكان الخلفاء منهم يحملون أمتعتهم فى السوق كما فصله الغزالى فى الاحياء

(فصل وأما عدله صلى الله تعالى عليه وسلم) العدل مصدر معناه العدول عن الظلم والجور ويكون بمعنى العادل فيستوى فيه الواحد المذكور وغيره ويجمع على عدول (وأمانته) فى كل شئ يحفظه قولا كان أو فعلا أو غير ذلك مما يجعل عنده وكونه موثوقا به فى أموال الناس وأحوالهم (وعفته) فى نفسه بترك كل قبيح وترك السؤال والنزاهة عن كل شئ (وصدق لهجته) اللهجة اللسان والكلام يقال لهج بكذا اذا ولع به ولا يخفى تقارب معانى ما ذكر ولذا جمعها فى فصل فان فى العدل عفة عن الظلم وفى الصدق أمانة على ما سمع وعفة عن الكذب وهذا ظاهر لمن له بصيرة (فكان صلى الله تعالى عليه وسلم آمن الناس) آمن بمد الهمزة بمعنى أكثرهم وأشدهم أمانة (وأعدل الناس وأعف الناس وأصدقهم لهجة منذ كان) أى من ابتداء خلقته الى نهايتها وكان تامة بمعنى وجد (اعترف له بذلك محادوه) جمع محاد بتشديد الدال المهملة بمعنى المعادى والمخالف له الذى فى حد وجانب عنه ويكون بمعنى المحارب قال تعالى ومن يحادد الله ورسوله (وعداه) بكسر العين جمع عدو أو اسم جمع وهو فى الصفات وقد تضم عينه (وكان يسمى قبل نبوته الامين قال ابن اسحق) محمد بن اسحق بن يسار صاحب السير كما تقدم وهذا حديث صحيح رواه أحمد فى مسنده والحاكم والطبرانى عن على كرم الله وجهه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم) فى ابتداء أمره قبل نبوته (يسمى الامين) لامانته وصدق قوله فى جميع أحواله (بما جمع الله له من الاخلاق الصالحة) أى بسبب ما جمعه الله له من الاخلاق الصالحة الذى ائتمنه الله اياها أو الباء بمعنى مع أى مع ما جمعه الله له من الصالحات التى عرف بها عندهم (وقال تعالى مطاع ثم أمين أكثر المفسرين على انه) أى المطاع الامين فى هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وكثير منهم على انه جبريل

عليه

عليه الصلاة والسلام كما يشهد به سياق النظم ولذا ارتضاه المحققون لكونه عليه الاكثر وفيه نظر (ولما
اختلفت قريش وتحازبت) بالحاء المهملة والزاي المعجمة والباء الموحدة أي صارت احزابا وفرقا
لاختلاف آرائهم ولو قيل تحاربت بالراء المهملة لما في السير انهم تخالفوا حتى اعتدوا للقتال ثم بدا لهم
فتشاوروا صح الا أنه بعيد والنسخ مضبوطة خطا بخلافه (عند بناء الكعبة) قال السهيلي كان بناؤها
خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه الصلاة والسلام على
القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين احترقت في عهد ابن
الزبير بنار طارت من أبي قبيس أو بشرر طار من مجمر امرأة أرادت أن تجمرها فتعلق باستارها وأحرقها
فتشاور من حضرها في هدمها فهابوه وقالوا نصلح ما انهدم منها فقال رضي الله تعالى عنه لو احترق بيت
أحدكم لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل صلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد
ابراهيم عليه الصلاة والسلام فامرهم أن يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا أفزعتهم
فامرهم أن يقروا القواعد وان يبنوها من حيث انتهى الحفر واستمرت على ذلك الى ان قام عبد الملك
ابن مروان فهدمها وبناها فهذه المرة الخامسة ولا منافاة بينه وبين ما في التواريخ من ان الخامسة بناء
الحجاج لانه كان بامر عبد الملك لانه أميره وكان أرسله لمحاربة ابن الزبير رضي الله عنهما وقيل غير ذلك
والكلام فيه مفصل في تاريخ مكة (فيمن يضع الحجر) الاسود في موضعه ويرفعه بيده لما في مباشرة
ذلك من الشرف والجار والمجرور متعلق باختلفت (حكموا) بفتح الحاء وتشديد الكاف جواب لما أي
ارتضوا بان يكون (الحاكم) في ذلك (أول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم داخل) اذا
فجائية أي فاجأهم دخوله عليهم بغتة من غير طلب وميعاد منهم (وذلك قبل نبوته) صلى الله تعالى
عليه وسلم وهو ابن خمس وثلاثين وقيل ابن خمس وعشرين أو حين بلغ الحلم ولا شك في أن هذا كان
قبل النبوة والاول أصح (فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به) حكما في هذه القضية فلما انتهى اليهم
ذكروا له ذلك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لهم ائتوا بثوب وضعوا فيه الحجر وارفعوه جملتكم من كل
بيت رجل فلما فعلوا وضعه صلى الله تعالى عليه وسلم بيده الشريفة ثم بني عليه فكان شرف الوضع له
وكان مع العباس رضي الله تعالى عنه ينقلان الحجارة فقال له العباس اجعل ازارك على رقبتك ليقيك ألم
الحجارة فلما فعل بدا منه ما لا بد من ستره فخر مغشيا عليه وطمحت عيناه الى السماء فقال ازاري فشد
عليه ازاره لانه نودي يا محمد غط عورتك فلم تر له عورة بعده ولا قبله وروي انه وقع له مثله وهو يلعب
صغيرا (وعن الربيع بن خثيم) رضي الله تعالى عنه بضم الخاء المعجمة وفتح المثلثة وسكون الياء المثناة
التحتية والميم وهو الربيع بن خثيم بن عابد بن عبد الله بن موهب أبو يزيد الثوري ينسب الى ثور بن
عبد مناة بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وينسب اليه سفيان وغيره والربيع يروي عن ابن مسعود
وأبي أيوب وروى عنه خلق كثير وكان ثقة عابدا وأخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة سبع وستين
(كان يتحاكم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية) وفسر الجاهلية بقوله (قبل الاسلام)
لانها تطلق بهذا المعنى الاكثر وفي هذا شاهد لعدله صلى الله تعالى عليه وسلم والمراد قبل بعثته وتطلق
الجاهلية كما في النهاية على صفاتهم وان كانت في الاسلام كقوله في الحديث انك فيك جاهلية وحقيقتها

(ولما اختلفت قريش) على ما رواه أحمد والحاكم وصححه الطبراني حين اختلف أكابر قريش ورؤساؤهم (وتحازبت) بالزاي أي
وصارت احزابا وطوائف مجتمعة وضبطه بعضهم بالراء وهو تصحيف (عند بناء الكعبة) حين أجمرت امرأة فطارت شرارة فاحترقت
الكعبة فهدموها وأرادوا تجديد بنائها فوقع خلافهم (فيمن يضع الحجر) أي الاسود والركن الاسعد في موضعه
الاصلي قبل هدمه وكل
يقول أنا وأتباعي نضعه
افتخارا بوضعه لانه
الركن الاعظم في ذلك
المقام الافخم وكاد أن
يقع بينهم القتال لكثرة
منازعة الرجال (حكموا)
جواب لما أي حكموا
فيما بينهم لدفع النزاع
عنهم (أن يكون الواضع
أول داخل عليهم) أي
ولا يكون واحدا منهم
(فاذا النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم داخل) أي
ففاجأهم دخوله وباغتهم
وصوله (وذلك) أي
ما ذكر (قبل نبوته) أي
دعوى نبوته وظهور
رسالته (فقالوا) أي
مقرين له بوصف
أمانته (هذا محمد هذا
الامين قد رضينا به)
ففرش صلى الله تعالى
عليه وسلم رداءه المبارك
ووضع الحجر عليه وأمر
كل رئيس ان يأخذ
بطرف منه وهو آخذ من
من تحته الذي فوض
فيه الامر اليه ووضعوه
في موضعه (وعن الربيع
ابن خثيم) بضم معجمة
وفتح مثلثة روى عن
ابن مسعود وغيره وعنه الشعبي ونحوه وكان ورعا قانتا مخبتا حتى قال ابن مسعود له لو رآك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لاحبك
فطوبى له ثم طوبى له قال التلمساني وهو من الزهاد الثمانية ومن رجال حلية أبي نعيم (كان يتحاكم) بصيغة المجهول (الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام) أي قبل زمن البعثة وظهور النبوة

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (والله أني لامين في السماء) أي عند الله وملائكته المقربين (أمين في الارض) عند المؤمنين وغيرهم من الحجريين لكمال امانته وظهور ديانته وعدم خلفه في وعده وتحقق صدقه في قوله (حدثنا أبو علي الصدفي) بفتحتين (الحافظ) أي المعروف بحفظ الحديث (بقراءتي عليه ثنا) أي حدثنا (أبو الفضل ابن خيرون) بفتح معجمة وضم راء يصرفه ومنعه والاول أظهر (ثنا أبو يعلى ابن الزوج الحرة) تقدم (ثنا أبو علي السنجي) بكسر مهملة فسكون نون فجيم مروزي (ثنا محمد بن محبوب المروزي) أي راوي جامع الترمذي عنه (ثنا أبو عيسى) أي الترمذي (الحافظ) أي المعروف وهو جامع السنن وصاحب الشمائل (ثنا أبو كريب) بالتصغير الهمداني الكوفي روى عن ابن المبارك وخلق وعنه أصحاب الكتب الستة روى أنه أظهر له بالكوفة ثلاثمائة ألف حديث (ثنا معاوية بن هشام) أي القصار الكوفي روى عن حمزة والثوري وعنه أحمد وغيره وهو من الزهاد الثمانية (عن سفيان) أي الثوري على ما صرح به عبد الغني الحافظ وإن أطلق على غيره (عن أبي اسحق) أي الهمداني الكوفي أحد الاعلام الشهير بالسبيعي روى عن كثير من الصحابة والتابعين وقد رأى عليا كرم الله وجهه (عن ناجية بن كعب) بنون فالف فجيم مكسورة فتحتية مخففة تابعي وليس بصحابي (عن علي) أي ابن أبي طالب كرم الله وجهه (أن أبا جهل قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لانكذبك) بالتشديد والتخفيف أي لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك (ولكن نكذب) بالتشديد لا غير (بما جئت به) أي من القرآن والايمان بالتوحيد والبعث ونحو ذلك فدلت هذه المناقضة الظاهرة على ان كفر أكثرهم كان عنادا (فانزل الله تعالى) أي في شانه وعظيم برهانه (فانهم لا يكذبونك) بالتشديد وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف (الآية) وهي قوله سبحانه وتعالى ولكن الظالمين بآيات الله أي المتلوة أو المصنوعة يجحدون أي ينكرونه فتكذيبهم في الحقيقة راجع الى ربهم ففيه وعيد أكيد وتهديد شديد لهم وتسلية له صلى الله تعالى عليه وسلم

وهي

الاول وهذا يعني مجازي الملهم الا أن يراد بها المعنى اللغوي وهو النسبة الى الجهل مطلقا فتكون حقيقة والى هذا نظر ابن حجر في شرح البخاري ويتحاكم بضم المثناة مجهول أي يتحاكم اليه قريش أو العرب وقول الربيع هذا رواه ابن مسعود وله حكم الرفع وتحاكمهم اليه صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على عدله وانصافه (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم والله اني لامين في السماء وأمين في الارض) يعني انه مشهور بذلك بين الملأ الاعلى وبين أهل الارض لانه لم يتهم قط بكذب وجور في أحكامه وهذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في مسنده عن أبي رافع وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه مؤكدا بالقسم وأعاد أمينا لاختلاف الامانتين (حدثنا ابن سكرة (أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه) وقد تقدمت ترجمته وحكمه قال (حدثنا أبو الفضل بن خيرون) تقدم انه أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون الحافظ وخيرون ممنوع من الصرف قال (حدثنا أبو يعلى بن زوج الحرة) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو علي السنجي) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا أبو محمد المروزي) محمد بن أحمد بن محبوب راوي جامع الترمذي كما تقدم قال (حدثنا أبو عيسى الحافظ) هو الامام الترمذي كما تقدم قال (حدثنا أبو كريب) بضم الكاف وفتح الراء المهملة وياء تصغير وباء موحدة وهو الامام الحافظ محمد بن العلاء الهمداني أخرج له الستة ووثقه النسائي وغيره توفي سنة ثمان وأربعين ومائتين قال (حدثنا معاوية بن هشام) القصار الكوفي الثقة وقال ابن معين صالح وليس بذلك توفي سنة خمس وعشرين ومائة (عن سفيان) الثوري فيما يظهر الان المزي والذهبي لم يقيداه (عن أبي اسحق) عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي أحد الاعلام (عن ناجية) بنون وجيم (بن كعب) العنزي أو الاسدي الثقة وتوقف ابن حبان في توثيقه وله ترجمة في الميزان وقال الذهبي في المغني ما أدري لماذا توقف فيه ابن حبان انتهى (عن علي) بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه الترمذي كما ذكره المصنف وانفرد باخراجه من طريقين أحدهما ما ذكره المصنف والثانية عن اسحق بن منصور عن ابن مهدي عن سفيان عن أبي اسحق عن ناجية قال وهذا أصح وكذا رواه عبد العزيز ابن أبي عثمان (أن أبا جهل) بن هشام لعنه الله فرعون هذه الامة (قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله) فيما قاله وهو سبب نزول هذه الآية (فانهم لا يكذبونك الآية) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وروى أبو ميسرة انه صلى الله عليه وسلم مر بأبي جهل وأصحابه فقالوا والله يا محمد ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكنا نكذب بما جئت به فنزلت هذه الآية وقرئ يكذبونك مخففا ومشددا فقيل معناهما واحد لانه يقال كذبته وأكذبته كجزيته وأجزيته واختار أبو عبيدة قراءة التخفيف

(وروى غيره) أي غير الترمذي زيادة عليه (لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب) تاكيداً لنفي الكذب عنه وهو بتشديد الذال المعجمة المفتوحة وفي نسخة بمكذوب (وقيل) أي روى كما أخرجه ابن اسحق والبيهقي عن الزهري وكذا ابن جرير عن السدي والطبراني في الاوسط (ان الاخنس) بفتح همزة وسكون معجمة وفتح نون فمهملة (ابن شريق) بفتح معجمة وكسر راء له صحبة وقال التلمساني ذكره الحلبي قتل يوم بدر كافرا وفيه نزل قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله ١٠٩ في الحياة الدنيا (لقي أبا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة اثنتين من الهجرة (فقال له) أي بحكم العادة أو تلطف العبارة (يا أبا الحكم) بفتحتين كنيته في الجاهلية فغيرها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكناه أبا جهل (ليس هنا غيري وغيرك) أي أحد (يسمع كلامنا) أي فيما بيننا (تخبرني) خبر معناه أمر أي أخبرني (عن محمد) أي عن وصفه (صادق) وفي نسخة زيادة هو والتقدير أصادق هو في معتقدك (أم كاذب) عندك والمراد من استفهام حمله على الاقرار بما نعرفه من صدقه عليه الصلاة والسلام (فقال أبو جهل والله ان محمداً لصادق) أي لموصوف بالصدق ولا يخفى ما في الجملة من زيادة الادوات المؤكدة (وما كذب محمد قط) اعتراف بالحق وروى ان أبا جهل قال بعد قوله وما كذب محمد ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فالحق حجاب عظيم عن الحق (وسأل هرقل) بكسر ففتح وضبط بكسرتين وكذا بضمتين بينهما ساكن ولا ينصرف للعجمة والعلمية وهذا اسمه العلم واما قيصر فهو لقب كل من ملك الروم (عنه) أي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أبا سفيان) بن حرب على ما رواه الشيخان

وهي مروية عن علي كرم الله تعالى وجهه وقيل معنى يكذبونك بالتشديد ينسبونك الى الكذب ويردون مقالته ومعناه بالتخفيف يجدونك كاذبا كأبخلته اذا وجدته بخيلا والمعنى على التشديد لا يكذبونك بحجة وبرهان قيل وفي كلام المصنف اشارة الى دفع التناقض في الآية فانه قال أولا انهم لا يكذبونه ثم أخبر انهم يجحدون ما جاء به من الآيات وجاحد كلامه مكذب له ويجحدون مضمن معنى يكذبون ولذا عداه بالباء وهو متعد بنفسه ويدل على انهم كذبوه قوله بعده ولقد كذبت رسل من قبلك فليس المراد بقوله لا يكذبونك نفي تكذيبهم مطلقا فاسلف يقال في دفع توهم التناقض ان معنى لا يكذبونك بالتشديد لا يحكمون عليك بان سجيتك الكذب لانك موصوف بالصدق عندهم في جميع شؤنك ما عدا قولك الذي جئت به من عند الله وهو الآيات فانهم يجحدونه وهذا مراد المصنف في استشهاده بهذه الآية أو يقال المراد انهم لا يكذبونك في الحقيقة ونفس الامر وفي نفوسهم اذا خلوا ولكنهم يظهرون التكذيب حسدا وبغيا أو انهم لا يكذبونك اذا أمعنوا النظر وتدبروا ولكنهم عموا عن نور الهداية انتهى وفي الآية كلام فصلناه في حواشي القاضي البيضاوي (وروى غيره) أي روى غير الترمذي أو الصدفي في هذا الحديث زيادة وزيادة الثقة مقبولة (لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب) أي معروف بالكذب في غير هذا (وقيل ان الاخنس بن شريق) بن ثعلبة الثقفي الصحابي واسمه أبي وهو بهمزة وخاء معجمة ونون وسين بزنة أفعل التفضيل وشريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء المهملة وقاف على وزن فعيل وهو قديم الوفاة كذا قاله البرهان الحلبي وقال التلمساني انه حليف قريش قتل يوم بدر كافرا يعني به شريقا لا الاخنس وهذا الحديث رواه أبو اسحق والبيهقي عن الزهري وأخرجه ابن جرير عن السدي (لقي أبا جهل يوم بدر) وكان يوم الجمعة سنة اثنتين من الهجرة في تاسع عشر رمضان (فقال له يا أبا الحكم) بفتحتين وهذه كنيته القديمة ثم غلب عليه كنيته بابي جهل (ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد) جملة خبرية والمراد أخبرني عنه (صادق أم كاذب) يعني أصادق فحذفت الهمزة تخفيفا والاستفهام تحقيقي أو تقديري (فقال أبو جهل والله أن محمدا الصادق وما كذب محمد قط) هذا يدل على انهم لا يعتقدون كذبه (وسأل هرقل عنه) هرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف ويقال باسكان الراء بين كسرتين كما سيأتي وهو علم غير منصرف قال البرهان هلك على كفره وفي الاستيعاب انه صحابي قيل وهو ماول (أبا سفيان) صخر بن حرب بن أمية القرشي الاموي أسلم يوم الفتح فكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامه وكان رئيس قريش وأكثرهم مالا وتوفي سنة أربع وثلاثين وسنه ثمان وثمانون في المدينة وقصة أبي سفيان مع هرقل مشهورة مروية في الصحيحين مفصلة في أول باب في البخاري وكان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبه في سنة ست فلقيه رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحمص فلما قرأ الكتاب أمر مناديا ينادي الا أن قيصر قد أسلم واتبع محمدا وترك النصرانية فهاج جنده وتسلحوا فامر مناديا ثانيا الا أن قيصر راض بدينه وهو راض عنكم ثم قال لرسول رسول الله

فقال) أى هرقل مخاطبا الابى سفيان ومن معه (هل كنتم تتهمونه) بتشديد التاء الثانية (بالكذب) أى هل كنتم تنسبونه الى الكذب ولو بالتهمة بناء على المظنة (قبل ان يقول ماقال) أى من دعوى الرسالة (قال لا) وهذا السؤال يدل على كمال عقل هرقل ومعرفته بصفة الانبياء لكن لم ينفعه علمه حيث لم يقترن بعمله اذ هلك كافرا بعد فتح عمر رضى الله تعالى عنه بلاده وتوغل فى بلاد الكفر هاربا من الاسلام ولا تغتر بمن شذ فزعم اسلامه ذكره الدلجى وقال الحلبى فى الاستيعاب انه آمن وهذا مؤول أى بانه أظهر الايمان وتمنى الامان لكنه غرته سلطنة الزمان (وقال النضر بن الحارث) أى العبدرى وهو بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وكان شديد العداوة للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ أسيرا ببدر فامر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عليا رضى الله تعالى عنه فقتله بالصفراء عقيب الواقعة واما النضير بالتصغير فهو أخوه وكان من المؤلفة وأعطى يوم حنين مائة من الابل فاحذر ان يتصحف عليك كما توهم الحلبى ثم حديثه هذا رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (انه قال لقريش) أى لاكابرهم (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين أى من حال صغره قبل آوان كبره والانسب أن يراد به ههنا ماقيل من ان الغلام هو الصغير الى حد الالتحاء (أرضاكم فيكم) الظرفان حالان لازمان (وأصدقكم حديثا) أى قولا ووعدا (وأعظمكم أمانة) أى صدقا وديانة وهذه الشهادة لكونها من أهل العداوة حجة لما قيل الفضل ماشهدت به الاعداء (حتى اذا رأيتم فى صدغيه) بضم فسكون الشعر المتدلى على مابين الاذن والعين (الشيب) أي بياض الشعر

صلى الله عليه وسلم انى مغلوب على مملكتى وكتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انى مسلم وبعث له دنانير فقال كذب عدو الله لانه علم انه ليس قوله عن صميم قلبه ولو سلم فنداؤه بانه راض بدينه ردة فلذا قالوا ان القول باسلامه بناء على ظاهر قوله واه كيف وقد قاتل المسلمين يوم موته وواعدهم ان يأتيهم فى العام المقبل ونزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لاجله الى تبوك فلم يجئ وأخذت منه البلاد وهلك سنة عشرين بالقسطنطينية على نصرانيته وقوله (فقال) أى هرقل لابى سفيان (هل كنتم تتهمونه بالكذب) أى هل وقع فى قلوبكم انه صدر منه كذب فى أقواله قال فى الاساس وهمت الشئ أهمه وهما وتوهمته وقع فى خلدى وشئ موهوم ومتوهم انتهى وانما سألهم عن توهم الكذب ولم يقل هل علمتم وتحققتم لانه يعلم من انتفاء التوهم انتفاء غيره بالطريق الاولى (قبل ان يقول ماقال قال لا) فقال هرقل قد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وانما لم يقل انه يكذب لئلا يأثر الناس عليه الكذب وهو عار عند العرب أو يقول مالا يقبل منه ثم قال أبو سفيان ألا أخبرك عنه خبرا كذب فيه قال ماهو قال انه زعم انه خرج فى ليلة من الحرم الى مسجد ايليا ثم رجع فيها قبل الصباح وكان عنده بطريق ايليا فقال صدق وانى كنت لا أنام حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت أبوابه غير باب منها غلبنى فاستعنت بمن حضرنى فلم يمكنهم تحريكه وقالوا انه سقط عليه البناء فلما أصبحت غدوت عليه فاذا الحجر الذى فى زاويته منقوب فيه أثر ربط دابة فقلت ماحبس هذا الباب الليلة الا على نبى قد صلى فى مسجدنا فقال قيصر يا معشر الروم ألم تعلموا ان بعد عيسى عليه الصلاة والسلام نبيا بشركم به وكنا نرجو ان يكون فينا فجعله الله تعالى فى غيرنا وهو رحمة من الله يضعها حيث شاء ولم يعتدوا بتصديقه هذا حتى يكون يومنا التلبيس بما يخالفه قولا وفعلا قلت وبهذا علم أن مربط البراق بالمسجد الاقصى صحيح وسأل أبا سفيان عنه صلى الله عليه وسلم أسئلة أخرى مذكورة فى أول البخارى (وقال النضر) بنون مفتوحة وضاد معجمة ساكنة وراء مهملة (بن الحارث لقريش) فى حديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس والنضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بفتح الكاف ابن عبد مناف القرشى وكان شديد الاذية للمسلمين فظفر به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ببدر فقتله كافرا صبرا كما يأتى فرثته أخته قتيلة بابيات مشهورة أولها

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق

الخ وقيل انها مصنوعة وقتيلة بالمثناة الفوقية مصغرة اختلف فى اسلامها وكونها صحابية (قد كان محمد فيكم غلاما حدثا) بفتحتين قال الجوهرى حدث شاب فان ذكرت السن قلت حديث السن من الحدوث لقرب عهده بالوجود والغلام الذى لم يلتح (أرضاكم فيكم) أى أكثركم رضا وصبرا وأفعالا مرضية (وأصدقكم حديثا وأعظمكم امانة) منصوب هو وماقبله على التمييز وهذه شهادة العدو فما بالك بغيره (حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب) الصدغ مابين لحظ العين والاذن والشعر الذى فيه من أعلى العذار وجانب الرأس كثيرا مايبدو الشيب فيه قبل غيره فكنى بذلك من انه تمت رجوليته وكمل عقله صلى الله تعالى عليه وسلم بمجاوزته سن الشباب وهذا أشد فى الانكار

عليهم (وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر) أى قلتم انه ساحر فهو خبر مبتدأ مقدر أى هو ساحر بدليل قوله (لا والله ماهو بساحر) وهذا منه غاية الانصاف ولكن غلب عليه الشقاء فقتل صبرا بالصفراء كافرا فى منصرفه صلى الله تعالى عليه وسلم من بدر كما ذكره الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وهذا الحديث رواه ابن اسحق والبيهقى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والذى قال انه ساحر الوليد بن المغيرة وسبب قول النضر المذكور ان أبا جهل لما أراد ان يرضخ رأس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحجر فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة فحل ففر هاربا ويبست يده على الحجر كما سيأتى فلما سمع ذلك النضر قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة بعد قد كان فيكم محمد الى قوله ماهو بساحر وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون فما هو بخنقة ولا تخليط ولا وسوسة فانظر وا فى شأنكم فانه والله قد نزل بكم أمر عظيم والنضر بن الحارث كان من شياطين قريش وهو الذى جاء بقصة رستم واسفنديار وكان يجلس يحدث بها ويقول ما جاء به محمد ليس باحسن مما جئت به ان هو الا أساطير الاولين فنزل فيه واذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين فى آيات أخر (وفى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما مست يده يد امرأة قط لا يملك رقها) وهذا من عفته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وسكت عن زوجاته لان جواز مسهن معلوم وانما يحرم مس الاجنبية التى ليست بمحرم فيعلم ذلك من الرقيق بالاولى وقيل انه داخل فى ملك الرق لتملكه البضع وقد سمى بذلك فى قول أسماء رضى الله تعالى عنها التزويج رق المرأة فلينظر أين يضع رقها ولا ينافى هذا ما مر من ان الامة من أماء المدينة كانت تأخذ بيده صلى الله تعالى عليه وسلم فلا تدع يده من يدها حتى يقضى حاجتها لانه كان بحائل من كمه أو كمها وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها هذا ورد فى مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم للنساء فان بعضهم توهم انها كمبايعة الرجال باليد من غير حائل فقالت رضى الله تعالى عنها انما كان يقول لمن هاجر من المؤمنات ما أمره الله تعالى به فى قوله يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الى قوله غفور رحيم فيبايعهن على ذلك فمن أقر به قال قد بايعتك كلاما من غير مس لايديهن وما ورد فى المبايعة من امساك أيديهن فان كان مدا من غير مصافحة فيها والا فهو بحائل لانه ورد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بثوب وضعه على يده وقال لا أصافح النساء وروى انهن كن يأخذن بيده من فوق ثوب وفى المغازى عن أبان بن صالح أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فى المبايعة يغمس يده فى ماء فى اناء وتغمس من بايعته يدها فيه وقيل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بايع النساء بواسطة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكلام عائشة رضى الله تعالى عنها يقتضى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبايعهن الا بالكلام فلعله تعدد (وفى حديث على رضى الله تعالى عنه فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق الناس لهجة) رواه الترمذى فى شمائله وتقدم بيانه لعصمته صلى الله تعالى عليه وسلم عن الكذب ولو سهوا لمنافاته للابلاغ ووجوب تصديقه فى كل ما يقول كما سيأتى (وقال فى الصحيح) أى فى الحديث الصحيح أو فى صحيح البخارى لانه حيث أطلق الصحيح انصرف اليه وهذا أولى (ويحك فمن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل) وتقدم ضبطه على الخطاب والتكلم والكلام عليه الا ان الذى فى البخارى فى باب الادب ويلك بدل ويحك وقد فرق بينهما بان ويل كلمة زجر وتوبيخ وويح كلمة ترحم وويس ترحم دون ترحمها وهو معنى قول الاصمعى انها تصغيرها وقيل أصل ويل وى زيدت فيها اللام وقد تقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله لمن قال له ليست

(وجاءكم بما جاءكم) أى بما أظهر لكم من الحق وكلام الصدق (قلتم) أى فى حقه (انه ساحر) فى غيبته وحضوره (لا والله ماهو بساحر) الجملة القسمية مؤكدة لما يفهم من الجملة المقدرة المنفية بلا النافية (وفى الحديث) وفى نسخة عنه أى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم على ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها (ما مست) بفتح الميم (يده يد امرأة قط لا يملك رقها) بكسر راء وتشديد قاف أى لا يملكها نكاحا أو ملكا فقد قال لاسماء التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها وأما ما فى البخارى أتت امرأة تبايع فقبض يدها فمحمول على المحرم أو من فوق الثوب (وفى حديث على) أى ابن أبى طالب كرم الله وجهه (فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم أصدق الناس لهجة) أى لسانا وبيانا وقد تقدم (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الصحيح) أى فى الحديث الذى صح عنه وقد تقدم ذكره (ويحك فمن يعدل) بالرفع (ان لم أعدل خبت وخسرت) بالتكلم أو الخطاب لرئيس الخوارج (ان لم أعدل

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها) أى على ما سبق من رواية الترمذى وغيره عنها (ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى أمرين) وزيد فى نسخة قط (الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه) سبق حل مبناه وبيان معناه (قال أبو العباس) أى البصرى (المبرد) بفتح الراء المشددة وكان اماما فى النحو واللغة مات ببغداد ودفن بمقابر باب الكوفة (قسم) بتخفيف السين أولى من تشديدها وان اقتصر الانطاكى على الثانى (كسرى) بكسر الكاف وفتح الراء مقصورا اسم لكل من ملك الفرس الخاص واسمه برويز (أيامه) أى زمان دولته واوان مملكته (فقال) أى كسرى فى قسمته وقته (يصلح يوم الريح للنوم) المبنى على السكون لكون الوقت غير قابل للحركة من القيام للخدمة ولا للقعود فى الصحبة (ويوم الغيم للصيد) لعدم التأذى بشدة الحرارة التى تقتضيها كثرة حركة المعالجة (ويوم المطر للشرب واللهو) لعدم امكان الخروج (ويوم الشمس لقضاء الحوائج) جمع حاجة على خلاف القياس أى لحوائج الخلق والنظر الى مهماتهم بالعدل وفق الصدق (وقال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون التحتية وكسر هاء ويقال بضم لام وسكون واو وفتح تحتية فتاء تقلب هاء وقف النحوى اللغوى أصله من همدان بفتح الميم والدال المعجمة دخل بغداد وأدرك أجلة العلماء مثل ابن الانبارى وابن مجاهد المقرى وتوفى بحلب سنة سبعين وثلثمائة وله تصانيف كثيرة (ماكان أعرفهم بسياسة دنياهم) كذا فى النسخ بثبوت ماقيل كان والظاهر زيادتها ويمكن جعلها موصولة أو موصوفة أو كان زائدة وما تعجبية وحاصله انه انما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ولم يكن يعرف مايتعلق بآخرتهم من مراتب عبادة مولاهم ولذلك استشهد بقوله تعالى

وقول

قسمتك بعدل وانه اختلف فى اسمه وانه عبد الله بن ذى الخويصرة التميمى أو حرقوص بن زهير الخارجى أو ذو الثدية وقدم الكلام فيه مفصلا فتذكره (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ماخير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه) أعاد المصنف هذا الحديث وقد تقدم بعينه لما فيه من عدالته صلى الله تعالى عليه وسلم وعفته فلا وجه للاعتراض عليه والامران من أمور الدنيا والمخيران كان الناس فلا اشكال فيه وان كان الله تعالى وهو الظاهر فالمراد بالاثم ما يؤدى الى وقوع أمته فيه لان الله تعالى لا يخيره صلى الله تعالى عليه وسلم بين اثم وغيره كاختياره الرزق الكفاف على فتح الكنوز له ولامته فان الدنيا تشغلهم عن العبادة وتوقعهم فى المهالك وقد تقدم تفصيله (قال أبو العباس المبرد) وهو محمد بن يزيد بن عبد الاكبر امام العربية وترجمته مشهورة فى التواريخ ومانقله المصنف هنا عنه انما ذكره ليعلم بذلك جلالة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم ومباينة حاله لحال أهل الدنيا وماهم عليه من اللهو فلا يرد عليه ماقيل انه لا فائدة فيه (قسم كسرى أيامه) بكسر الكاف وقد تفتح وهو كما تقدم اسم لكل من ملك الفرس معرب خسرو والا انه لقب كسرى أنوشروان الذى ولد فى زمنه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه أشهرهم وأعظمهم (فقال يصلح يوم الريح للنوم) والتغطى حتى يسلم من مس الريح الشديد المصدع (ويوم الغيم للصيد) الذى كان يتقيد به الملوك لعدم أذية الشمس وحرها ويقال له يوم فاختى وسبيل (ويوم المطر للشرب واللهو) لقلة المصالح فيه والسلامة من البلل والنظافة من الوحول والمراد باللهو سماع الغناء ومنادمة الندماء (ويوم الشمس للحوائج) وروى يوم الصحو أى خلو الجو من المطر والغيم والمراد بالحوائج مصالح الناس وهو جمع حاجة على خلاف القياس أو جمع حائجة وأنكره بعض أهل اللغة وقد رده الجواليقى بانه ورد فى كلام الفصحاء كثيرا وفى الحديث أطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه فلا وجه لانكاره كما فصلناه فى شرح الدرة وانما اختير ذلك اليوم للحوائج لعدم المانع فيه وما اشتهر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ولدت فى زمن الملك العادل كسرى قد قال الحافظ السخاوى والسمعانى انه لا أصل له فهو موضوع ولو صح لم يكن فى وصفه بالعادل باس كما توهم فانه كان لا يجور على أحد من رعيته ولا يظلمهم فى حقوق الدنيا فعدله بالنسبة لذلك لا ينافى كفره وظلمه لنفسه بجهله ومحبته للدنيا وقيل انه وصف بذلك لشهرته به وادعائه منهم لا انه شهد له بالعدالة الحقيقية وذكر قصته توطئة لقوله (قال ابن خالويه) بفتح اللام والواو وسكون المثناة التحتية والمحدثون يضمون اللام مع سكون الواو وفتح الياء وهو الحسين بن محمد بن خالويه النحوى اللغوى الاديب الهمدانى دخل بغداد ثم انتقل للشام وصحب سيف الدولة لتأديب أولاده وأخذ العربية عن أبى بكر بن الانبارى والسيرافى وتصدر للافادة وله تآليف جليلة وشعر حسن ومات بحلب سنة سبعين وثلثمائة (ماكان أعرفهم) أى الفرس الدال عليهم ذكر كسرى (بسياسة دنياهم) أى تدبير أمورها لان هذا معنى السياسة لغة قال

فبينا نسوس الناس والامر أمرنا * اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

(يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وحاصله انه ليس فى تقسيمه كبير منفعة بخلاف تجزية صاحب النبوة ولهذا استدركه بقوله (ولكن) بالتخفيف أولى (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) على ما رواه الترمذى وغيره عنه (جزأ) بتشديد الزاى فهمز أى قسم (نهاره) أى ساعات يومه (ثلاثة اجزاء) أى اقسام (جزأ) بالنصب وجوز بالرفع وقد تضم زايه (لله) تقديما لرضاه وقياما بالاشتغال بذكره عما سواه (وجزأ) بالوجهين (لاهله) ايثارا لهم على حقه (وجزأ لنفسه) لحديث ان لنفسك عليك حقا ثم لعل هذا الجزء الاول من الصبح الى الظهر والثانى الى العصر والثالث المغرب والمعنى حصته لنفسه لا دخل فيها لغيره من الاهل خاصة دون العامة لقوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أى عموما بحسب حاجاتهم والحاصل انه جعل ذلك الوقت أيضا وقتا للحق لنفعه بنفسه عموم الخلق فان كان أحد منهم احتاج اليه وحضر لديه أقبل عليه وأفاده بالفوائد الدينية والدنيوية والعوائد الحسية والمعنوية النافعة فى الدرجات الاخروية والا فاشتغل بمراعاة نفسه خاصة لفراغه من الواجبات المفروضة عليه من جهة حق الله تعالى وحقوق الاهل بحسب تقديم الاهم فالاهم والله تعالى أعلم (فكان) أى من عادته فى جزء خاصة نفسه (يستعين بالخاصة) أى من أرباب صحبته وأصحاب خدمته (على العامة) أى قضاء حاجتهم والمجاهدة فى منفعتهم لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولقوله عليه الصلاة والسلام الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود والمعنى يأمر الخاصة بتبليغ العامة أليس كل انسان يتوصل الى ذلك (ويقول ابلغوا) أى كان يقول لهم أوصلوا الى (حاجة من لا يستطيع ابلاغى) أى ابلاغ حاجته لى (فانه) أى الشان (من ابلغ حاجة من لا يستطيع) أى ابلاغها كما فى نسخة صحيحة (آمنه الله) بهمزة ممدودة أى جعله فى أمن من الضرر (يوم الفزع الاكبر) وهو وقت النفخة الثانية أو حالة الانصراف الى العقوبة والحديث رواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن عن أبى الدرداء ولفظه ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكذا لفظ الترمذى فى الشمائل برواية الحسن عن أخيه الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم (وعن الحسن) أى البصرى على ما رواه أبو داود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤاخذ أحدا) أى لا يؤاخذه ولا يجازيه (بقرف أحد) بفتح قاف وسكون راء أى بذنبه وكسبه ومنه قوله تعالى ومن يقترف أو بظن أحد ورميه وفى نسخة بقذف أحد بسكون الدال المعجمة من قذفه بالمكروه أى نسبه اليه

وقول ابن كمال فى رسالة التعريف انه معرب خطأ كما تقدم (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) يعنى انهم عرفوا أمر شربهم وأكلهم وحركتهم وتقيدوا بذلك وغفلوا عن المعاد وما يليق به وهذا مراده فيما اقتبسه كما قال الشاعر

ومن البلية ان ترى لك صاحبا * فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة فى ماله * واذا اصاب بدينه لم يشعر

ويقرب ما قاله المفسرون نقلا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم يعلمون أمر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يعرشون ويبنون (ولكن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم جزأ نهاره ثلاثة أجزاء) يعنى انهم قسموا أيامهم لما ذكر والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم قسم أوقاته وهو أكثر حزما لعدم ضياع جزء وقت من عمره فيما لا يعنيه وشتان بين القسمين والمقسمين وفى نسخة لكن بدون واو (جزأ لله) أى لعبادة الله وتلقى وحيه (وجزأ لاهله) أى لمصالح أهله وبيته (وجزأ لنفسه) مخصوصا بأكله وشربه ونحو ذلك من أموره الدنيوية وجزأ فى المواضع الثلاثة يجوز نصبه ورفعه وكذا روى (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أى جعله قسمين قسما الخاصة نفسه وقسم الخاص به قسم له فى نفسه وقسم ينظر فيه أمور الناس وحوائجهم (فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (يستعين بالخاصة) من أصحابه وهم خلفاؤه ووزراؤه رضى الله تعالى عنهم ومن يقرب منهم (على العامة) من المسلمين (ويقول) للخاصة (ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى) أى أخبرونى وقولوا الى ما يطلبه العوام ممن لا يقدر ان يبلغنى حاجته اما لعدم الجراءة على كلامه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم أو لعجزه عن الوصول الى ثم رغب فى ذلك بقوله (فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر) وهو يوم البعث والحشر وحيث يكون الناس كلهم فى فزع أى خوف من العذاب وقيل هو يوم النفخة أو يوم الانصراف الى النار وهذا من حديث هند بن أبى هالة وآمنه بالمد بمعنى جعله فى امن من أهوال القيامة (وعن الحسن) بن على رضى الله عنهما كما رواه أبو داود فى مراسيله (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد) الاخذ مجاز عن العقوبة من أخذ السلطان اذا حبسه وجازاه على ما صدر منه والقرف بفتح القاف وسكون الراء المهملة والفاء التهمة واسناد الذنب لغيره وقال البرهان الحلبى يقال قرفت الرجل أى عبته واتهمته فهو مقروف وفى نسخة بقذف بذال

(ولا يصدق أحدا على أحد) أي ولا يقبل كلام أحد في حق أحد سواء ترتبت عليه المؤاخذة أم لا فهو تعميم بعد تخصيص (وذكر أبو جعفر) وهو محمد بن جرير (الطبري) بفتحتين نسبة الى طبرية وكذا رواه ابن راهويه في مسنده والبيهقي في دلائله عن علي كرم الله وجهه (عنه عليه الصلاة والسلام ماهممت بشئ) أي ماقصدت عملا (مما كان أهل الجاهلية يعملون به) وانما أعاد المصنف هذا الحديث ههنا مع تقدمه لافادة زيادة قوله (غير مرتين كل ذلك) ضبط بالرفع والنصب وهو أظهر أي في جميع ماذكر من المرتين (يحول الله) أي يصير بحوله حائلا ومانعا (بيني وبين ماأريد من ذلك) أي عمل أهل الجاهلية وهذا معنى قوله تعالى واعلموا ان

الله يحول بين المرء وقلبه أي يحجز ويمنع وقال أبو عبيد يملك عليه قلبه فيصرفه كيف شاء (ثم) أي بعد ماهممت بهما (ماهممت بسوء) أي أبدا بتوفيقه وعصمته (حتى أكرمني الله برسالته) ومن المعلوم ان بعد تحقق نبوته لم يتصور وجود مخالفته ثم بين المرتين من الحالتين المذكورتين بقوله (قلت ليلة لغلام) أي لفتى أو مملوك (كان يرعى معي) أي غنمي أو غنم غيري وهو الاظهر لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبي الا وقد رعاها يعني الغنم قيل ولا أنت يارسول الله قال نعم كنت أرعاها على قراريط لاهل مكة ولعل الحكمة ان يتمرن على سياسة الرعية على سبيل الشفقة والرحمة ولا يبعد ان تكون الغنم له أو لغيره لكن كانت في عهدته

بقوله (لو أبصرت الى غنمي) أي تعنيت والتمست منك ان راعيت السن

حفظ مايتعلق بي (حتى أدخل مكة فاسمر بها) بفتح الهمزة وضم الميم أي أحادث ليلا مطلقا أو ليلا مقمرا والسمر في أصله ضوء القمر وجعل الحديث فيه سمرا ومنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون كانوا يجتمعون حول البيت بالليل وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميتهم اياه سمرا فلذا ذمهم الله بقوله تهجرون (كما يسمر الشاب) أريد به الجنس ووقع في أصل الدلجي بلفظ الشباب والمعنى فاسمر سمرا مشابها لسمرهم في مشاهدة قدرهم حال سهرهم ورقادهم في سحرهم لغاية سكرهم وكثرة تكرهم وقلة فكرهم

معجمة بدل الراء وكتب عليها صح (ولا يصدق أحدا على أحد) أي لا يحكم بصدق مقالة صدرت من أحد في حق أحد غيره باسناده اليه أمرا يقتضي عقوبة أو حقا من الحقوق بمجرد قوله من غير اثبات لمقاله وهذا من عدله صلى الله تعالى عليه وسلم ولكن هذا ليس على عمومه فانه ربما كان المخبر ممن يعلم صدقه ويعتمد على خبره وينكشف بنور النبوة جلية الحال له (وذكر أبو جعفر الطبري) هو الامام محمد بن جرير الطبري المشهور وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البزار الى قوله برسالته الآتي (عن علي) كرم الله وجهه (عنه صلى الله عليه وسلم ماهممت بشئ) وقد تقدم هذا الحديث والكلام فيه وانما أعاده المصنف لغرض آخر وهو بيان عفته صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللهو وان الله عصمه عن ذلك من أول أمره وقيل انما أعاده لزيادة فيه لم تذكر أولا وهي قوله غير مرتين الى آخره (مما كان أهل الجاهلية يعملون به) كما تقدم بيانه (غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ماأريد من ذلك) استعار الحائل الحاجز بين شئ وشئ للمانع كما في قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه قال أبو عبيد أي يملك عليه قلبه فيصرفه كيف يشاء وذلك الثاني اشارة لما كان عليه أهل الجاهلية والمعنى انه عصمه صلى الله تعالى عليه وسلم عنه (ثم ماهممت بسوء) أي صرف الله قلبي عن ان يهم بسوء أي بقبيح شرعا كاللهو (حتى أكرمني الله برسالته) أي حتى من الله علي بالبعثة وجعلني نبيا رسولا ثم بين ماهم به في المرتين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم (قلت لغلام كان يرعى معي) يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى غنما لبعض قريش في صغره وهكذا كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يرعون لغيرهم أيضا والغلام كان أجيرا أيضا يرعى معه ويرافقه في البادية وفي هذا تحصيل كسب حلال وتدريب لرعاية الخلق كما ورد كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته مع مافيه من الانس بالوحدة والخلوة وفي الحديث مامن نبي الا رعى الغنم قيل ولا أنت يارسول الله قال نعم كنت أرعاها على قراريط بمكة وقيل حكمته ان الغنم جاهلة صعبة السياسة فكان ذلك ليأنس بسياسة الخلق والقراريط جمع قيراط وهو سدس درهم وقيل انه اسم جبل بمكة وأنكروه لانه لم يسمع به ثمة وفي الحديث ستفتح عليكم مصر فاستوصوا باهلها خيرا الحديث والقيراط فيه قيل انه بهذا المعنى وقيل انه نساب بينهم وقيل غير ذلك وعندي انه بمعنى مقدار الارض المعروف بينهم في المساحة لانه مخصوص بها وما غيره فلا اختصاص له بها وفي هذا معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لاخباره بالغيب وقوله (لو أبصرت لي غنمي) أي لو حرستها وحفظتها لان البصر والنظر يستعار لذلك (حتى أدخل مكة فاسمر بها) سمر يسمر كقتل يقتل والسمر التحدث بالليل واصل معناه ضوء القمر من السمرة وهي السواد القليل فسمي به حديثهم ليلا لجلوسهم له فيه قال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر

(كما يسمر الشباب) والشباب بفتح الشين مصدر شب بمعنى صار شابا واسم جمع له كالعقود والشاب حديث

(فخرجت لذلك) أى لقصد السمر (حتى جئت أول دار من مكة) أى مما فيها آلات لذات الشهوة (سمعت عزفا) بفتح مهملة فسكون زاى ففاء أى لعبا بالمعازف وهى الملاهى أو صوتا حسنا وغناء فى الطباع مستحسنا مختلطا (بالدفوف والمزامير) أو بسبب ضرب الدفوف وأصوات الملاهى كالعود والطنبور ونحوها (لعرس بعضهم فجلست) أى خارج الباب أو داخله أو بعد الاذن وبعد رفع الحجاب (أنظر) أى حال كونى أنظر لعبهم وتسمع لهوهم أو من أجل أن أنظر اليهم وتسمع لديهم (فضرب) بصيغة المجهول (على أذنى) بضم الذال وتسكن وبفتح النون وتشديد ياء المتكلم أو بكسر النون وتخفيف ياء الاضافة على ارادة الجنس أى أنامنى الله انامة ثقيلة لا يمنعنى عن النوم اضطراب أصوات ولا كثرة حركات ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم أى أنمناهم (فنمت) بكسر النون (فما أيقظنى الامس الشمس) أى اصابة حرها على بدنى (فرجعت ولم أقض شيأ) أى مما قصدت من المعصية وارتكاب السيئة ولعل سماع المزامير كان مباحا فى الشرائع المتقدمة (ثم عرانى) أى أصابنى (مرة أخرى مثل ذلك) أى مما هممت به فى المرة الاولى فعصمنى منها المولى (ثم لم أهم) بضم هاء وتشديد ميم مفتوحة ويجوز ضمها أو كسرها أى لم أقصد (بعد ذلك) أى ما ذكر من المرتين (بسوء) أى بهم سوء قط وهو بضم السين وبفتح (فصل) (وأما وقاره صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الواو أى رزانته وزصانته وحلمه وتحمله

السن كالفتى (فخرجت) من البادية التى فيها الغنم (لذلك حتى جئت أول دار من مكة) غاية لمجيئه من المرعى (سمعت فيها عزفا) بعين مهملة وزاى معجمة وفاء بزنة ضرب وهو ما يلهى به الانسان وفى مختصر العين العزف اللعب بالمعازف وهى الملاهى وواحدها عزف على خلاف القياس أو معزف والمعزف الطنبور أو الدف وقيل كل لعب عزف (بالدفوف) جمع دف بضم أوله وفتحه وتشديد الفاء وهو الذى يضرب به النساء وهو معروف يسمى عند العامة دراجا وطارا وفيه شبه الجلاجل قال

كأن فى الدف الذى يفصله * زمارد ف يتغنى جلجله

واختلف فيه فجوزه بعض الشافعية وكرهه مالك (والزمامير لعرس بعضهم فجلست أنظر) ما يلعبون به والذين يلعبون (فضرب على أذنى فنمت) بكسر النون واذن بضمتين وضم فسكون تخفيفا وضرب الله على أذنه ان يغشاه النوم وأصله منع السمع لان من نام لا يسمع وهو مستعار من ضرب الخيمة العظيمة المغطية لمن تحتها فكأن آذانهم تحت غطاء محجوبة عن السمع قال الراغب ضربت عليهم الذلة التحفتهم التحاف الخيمة لمن ضربت عليه ومنه أستعير فضربنا على آذانهم فى الكهف وفيه لطف هنا لانه ذهب ليسمع ضرب الدف فضرب على أذنه صيانة من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم (فما أيقظنى الامس الشمس) أى مس حرها فكأنها مسته حتى حرقته وحبسته حتى نبهته ففيه استعارة ولطف كما فى قول ابن المعتز

والريح تجذب أطراف الغصون كما * أفضى الشقيق الى تنبيه وسنان

وكما قيل

نمت تحت أذيال النسيم حتى * ألقت على الشمس رداءها

(فرجعت) من المكان الذى ضرب فيه الدفوف (ولم أقض شيأ) من قضى وطره اذا كان ما يريده يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس قبل تعاطيهم اللهو فغلبه النوم حتى لم يسمع شيأ من ذلك لعصمة الله له صلى الله تعالى عليه وسلم ومجرد همه بذلك وارادته لا حرج فيه والفاء شاهدة بعدم سماعه على انه لم يكن حرم عليه شئ من ذلك وكونه محرما فى شرع من قبلنا وهو صلى الله تعالى عليه وسلم متشرع به غير مسلم * واعلم ان المعازف حرام فى ملتنا المنهى عنها فى الاحاديث المشهورة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الخمر والمعازف واختلف فى بعضها فمنهم من جوز الدف فى العرس ومنهم من جوز ضرب العود لتسلية الاحزان كالماوردى وكان الاستاذ الشيخ محمد البكرى رحمه الله تعالى ونفعنا به يقول عطر والمجلسنا بالعود الماوردى لكنه قول ضعيف وفى منظومة الدميرى رحمه الله تعالى

ونغمات العود فى الاحيان * قالوا تزيل أثر الاحزان

فاجزم على التحريم أى جزم * والحزم أن لا تتبع ابن حزم

فقد أبيحت عنده الاوتار * والعود والطنبور والمزمار

(ثم عرانى) أى طرأ على وعرض لى وغشينى (مرة أخرى) فى وقت آخر (مثل ذلك) من الهم بالسماع والذهاب له (ثم لم أهم) قال الشمنى هو بضم الهاء وعليه اقتصر الجوهرى رحمه الله تعالى (بعد ذلك بسوء) أى بما فيه اثم فسماه سوء لانه يكرهه ويؤلمه

(فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم) أى سكونه وطمانينته ورزانته يقال وقر يقر وقرا ووقارا وفسروه هنا بالحلم وهو غير مناسب هنا كما لا يخفى ويجىء الوقار بمعنى العظمة كما فى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله

(وصمته) أي سكوته وسكونه وطمانينته وسكينته (وتؤدته) بضم ففتح همز ويبدل أي ثانيه في قوله وعمله وتثبته ومهملته بلا عجلة (ومروءته) بضمتين فسكون واو فهمز وتبدل وتدغم فتشدد (وحسن هديه) أي سيرته وطريقته المشتملة على حقائق شريعته ودقائق حقيقته (حدثنا) كذا بالفاء ههنا على ما في النسخ المصححة (أبو علي الجياني) بفتح جيم وتشديد تحتية ثم نون وهو الغساني (الحافظ اجازة) أي نوعا من أنواع الاجازة ومنها المناولة ولو بالمكاتبة (وعارضت) أي قابلت (أصلي بكتابه) أي المروي عن مشايخه (قال ثنا) أي حدثنا (أبو العباس الدلائي) بكسر دال مهملة فلام مشددة وقد تخفف بعدها ألف ممدودة (انا) أي أخبرنا وفي نسخة ثنا (أبو ذر الهروي) تقدم ذكره (انا) أي أخبرنا (أبو عبد الله الوراق) بتشديد الراء (ثنا) أي حدثنا (اللؤلؤي) بهمزتين وقد تبدل الاولى (ثنا أبو داود) أي صاحب السنن (ثنا عبد الرحمن) أي ابن محمد (ابن سلام) بتشديد اللام قيل وهو يكتب بهمزة الابن ههنا ايماء لوجود الفاصلة روى عن ابن المبارك وابن فضالة وروى عنه أبو زرعة

وقارا وأصله من الوقر وهو الثقل (وصمته) أي سكوته وهو من الوقار (وتؤدته) بضم التاء الفوقية وفتح الهمزة والدال المهملة وهي التأني يقال اتأد في فعله اذا تأنى ولم يعجل وتاؤه منقلبة عن واو (وحسن هديه) بوزن ضربه بمعنى سيرته وطريقته وسمته وسلوكه (حدثنا أبو علي الجياني) بالجيم وتقدم ضبطه وترجمته (الحافظ اجازة) قال ابن فارس في مجمله وهي من جواز الماء الذي تسقاه الماشية يقال منه استجزت فلانا فاجازني اذا سقاك ماء لارضك وماشيتك قال القطامي وقالوا فلان قيم الماء فاستجز عبادة ان المستجيز على قتر أي على ناحية وجزت الموضع سرت فيه وأجزته خلفته وقطعته وأجزته بعدته قال امرؤ القيس

ولما أجزنا ساحة الحي وانتحى * بنا بطن خبت ذي قفار عقنقل

وقوله حتى يقال أجيزوا آل صوفا فانما يمدحهم بانهم مجيزون الحاج انتهى قال ابن الصلاح قلت فالمجيز على هذا أن يقول أجزت فلانا مسموعاتي أو مروياتي فيعديه بغير حرف جر من غير حاجة الى ذكر الرواية أو نحو ذلك ويحتاج الى ذلك من يجعل الاجازة بمعنى التسويغ والاذن والاباحة وذلك هو المعروف فيقول أجزت لفلان رواية مسموعاتي مثلا ومن يقول منهم أجزت له مسموعاتي فعلى سبيل الحذف الذي لا يخفى نظيره انتهى * أقول اعلم أن الاصل الاجازة في كلام العرب قديما كما ذكره أهل اللغة الاذن في الانصراف ولما كان من يأخذ عن شيخه ينصرف عنه أخذت منه كما يقتضيه الاستعمال وكلام أهل اللغة قاطبة لانها من مجاز المكان اذا تجاوزه ومر عليه ثم عدى بالهمزة للمفعول الثاني وقد يقتصر على أحد مفعوليه لانه من باب كسا ومعنى أجازه أذن له في الجواز والمرور ثم استعمل في مطلق الاذن وشاع حتى صار حقيقة فيه فمعنى أجازه الشيخ أذنه في الرواية عنه وهذه لفظة قديمة كما سمعته وكذا الجائزة بمعنى العطية ليست محدثة كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله الا أنه يحتمل انها من هذا لان المعطى كأنه يأذن لمن أعطاه في الانصراف عنه ولا تختص بالماء كما توهمه كلام المجمل المتقدم وهو الذي عزا ابن الصلاح فقوله مأخوذة من جواز الماء لا وجه له بل من أجازه اذا جعله جائزا ثم نقل لمعنى أذن له وكذا قوله وقد تبين انه يتجوز به عن معنى لفظ آخر وبينهما مخالفة في التعدية فتجوزه حمله على حقيقته وعلى مجازه فلك حينئذ أن تعديه لمفعولين ولك أن تعديه لواحد بحرف وبدونه فيعمل عمل اذن وأجاز من غير تكلف (وعارضت بكتابه) أي قابلت نسختي بنسخته حال القراءة لانه يقال عارضه اذا قابله والكلام على هذا مبين في مصطلح الحديث فالمعنى انه حدثه به قراءة منه وهو مقابل له وفي يده كتابه (قال حدثنا أبو العباس الدلائي) بكسر الدال المهملة مشددة وتخفيف اللام المفتوحة ثم ألف ممدودة وياء مشددة نسبة الى دلاء جمع دلو وقال البرهان الحلبي ان لامه مشددة ووجد في بعض النسخ مضموم الهمزة والظاهر انها مكسورة بعدها ياء نسبة انتهى والظاهر انه مفتوح الدال وهو صانع الدلو وهو أبو العباس أحمد بن أنس العذري المعروف بابن الدلاء من مدينة بالنسبة قال (أخبرنا أبو ذر الهروي) تقدمت ترجمته وهو عبد الله بن أحمد بن محمد الهروي قال (أخبرنا أبو عبد الله الوراق) أبو الحسن عبد الله محمد بن علي الانطاكي المعروف بابن الغيور الوراق قال (حدثنا اللؤلؤي) أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو المشهور برواية السنن عن أبي داود قال (حدثنا أبو داود) سليمان بن أشعث صاحب السنن الامام الحافظ المشهور قال (حدثنا عبد الرحمن بن سلام) بفتح السين المهملة وتشديد اللام وهو جد عبد الرحمن نسب اليه وأبوه محمد بن سلام البغدادي الثقة روى عنه أبو داود

(قال حدثنا الحجاج) وفي نسخة صحيحة حجاج (ابن محمد) وهو الاعور المصيصي الحافظ عن ابن جريج وشعبة وعنه أحمد وغيره قال ابن ماجه بلغني أن ابن معين كتب عنه نحوا من خمسين ألف حديث (عن عبد الرحمن بن أبي الزناد) وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان روى عن أبيه وشرحبيل بن سعد وعنه هناد وعلي بن حجر (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) بالتصغير وفي نسخة عن وهب وهو تصحيف قال الحلبي هو عمر بن عبد العزيز بن وهيب الانصاري مولى زيد بن ثابت روى عن خارجة بن زيد وعنه عبد الرحمن بن أبي الزناد وأخرج له أبو داود في المراسيل هذا الحديث قال الذهبي في الميزان لا يعرف

من ذا (سمعت خارجة بن زيد) أي ابن ثابت الانصاري وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة المقول فيهم

ألا كل من لا يقتدي بائمة فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وكنيته أبو زيد (يقول) أي خارجة وهو تابعي فيكون حديثه هذا مرسلا وهو حجة عند الجمهور (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوقر الناس) أي أكثرهم حلما وأعظمهم تحملا في جميع أوقات أنسه لاسيما (في مجلسه) أي المعد لمصاحبة جنسه محافظة على رعاية آدابه تعليما لاصحابه وأحبابه وطلبة حديثه وحملة كتابه (لا يكاد يخرج شيأ من أطرافه) أي من براق فمه أو مخاط أنفه أو قطع ظفره أو قلع وسخه ووقع في أصل الدلجي شيء بالرفع وقال في قوله لا يكاد يخرج مبالغة في لا يخرج أي لا يقرب أن يظهر من تحت ثيابه شيء من أطرافه فضلا عن ان يظهر منها شيء انتهى فتدبر واختر ما صفا ودع ما كدر (وروى أبو سعيد الخدري) كما أخرجه عنه أبو داود وكذا الترمذي في شمائله (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجالس) أي في جنس مجلسه أو مجلسه الخاص فيما بين أصحابه (احتبي بيديه) بان جمع بين ظهره وساقيه اما بيديه أو بثوبه كما في رواية والاسم الحبوة بضم الحاء وكسرها والعامة تقول حبية (وكان أكثر جلوسه) أي هيآت جلوسه وحالات قعوده (محتبيا) لكثرة التواضع لديه وعدم التكلف فيما كان سلف العرب عليه ولذا قال أكثر الاوقات اليه وفي الحديث الاحتباء حيطان العرب وأحيانا يقعد على هيئة التحية

والنسائي وقال لا بأس به قال (حدثنا حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد) هو الاعور المصيصي الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن الاربعة قال ابن حزم توفي سنة أربع وستين ومائة (عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب) ويقال أهيب بالهمزة وهو بدل قياسي وهو انصاري مولى لزيد بن ثابت وهو يروي عن خارجة وأخرج له أبو داود في المراسيل هذا الحديث وقال الذهبي لا يعرف من هذا كما في الميزان (سمعت خارجة بن زيد) هو خارجة بن زيد بن ثابت الانصاري المدني التابعي أحد فقهاء المدينة السبعة وهم سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وفي السابع أقوال فقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وقيل أبو سلمة بن عبد الرحمن وقيل أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ثم ان الفقهاء بالمدينة وان كانوا كثيرا فانما خص هؤلاء لاجماع الناس على رأيهم وانتهائهم لفتواهم لمعرفتهم بالفضل والصلاح حتى كان لا يقضي في أمر حتى يرفع اليهم وكان الناس يتبركون بهم حتى قيل ان أسماءهم اذا علقت على محموم برئ واذا وضعت في البر لم يدخله سوس ولم يفسد وقد نظمهم القائل في قوله

ألا كل من لا يقتدي بائمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

وهذا الحديث من مراسيل أبي داود (يقول كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه) أي أعظمهم وقارا اذا برز للناس وجلس معهم بخلاف ما اذا خلا مع أهله أو مع خاصته فانه ينبسط معهم ويلاطفهم يعني ان هذا كان عادته ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث لا يصدر عنه خلافه وكان وان كانت بحسب الاصل فعلا ماضيا لكنها قد تستعمل للاستمرار نحو وكان الله غفورا رحيما وللتكرار نحو كان حاتم يقري الضيف لقرينة وهو استعمال شائع ولكثرته عده بعض الاصوليين معنى لها ولم يحققه أحد كابن جني في كتاب الخصائص فان أردته فانظره (لا يكاد يخرج شيء من أطرافه) أي أطراف بدنه كرجليه ولا يكاد يخرج فيه مبالغة أي لا يخرج ولا يقرب من الخروج ولذا عدل عن لا يخرج وهو أخصر ويخرج بفتح أوله مضارع خرج يخرج كقتل يقتل وشيء فاعله أو بضمه مضارع أخرج وشيأ مفعول الا ان جل النسخ على الاول (وروى أبو سعيد الخدري) هو سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله تعالى عنه وقد تقدم (كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اذا جلس في المجالس احتبي بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم محتبيا) وفي رواية بثوبه بدل بيديه والاحتباء بالحاء المهملة ان يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه والحبوة بضم الحاء وكسرها ويقال حبية وحبية أيضا ويقال الاحتباء حيطان العرب لانهم أهل برارى لا حيطان لهم يستندون

(وعن جابر بن سمرة) كما روى مسلم وأبو داود (أنه تربع) أى أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا جلس فى المجلس تربع أحيانا
لقوله (وربما) بالتشديد والتخفيف (جلس القرفصاء) بضم القاف والفاء وروى بكسرهما وبمد وقصر فيهما وعن الفراء اذا
ضممت مددت واذا كسرت قصرت ومعناه عن أبى عبيد ان يجلس على اليتيه ملصقا بطنه بفخذيه محتبيا بيديه (وهو) أى جلوسه
القرفصاء على مارواه الترمذى (فى حديث قيلة) بفتح قاف فسكون تحتية بنت مخرمة العنبرية وقيل العدوية وقد تقدم (وكان كثير
السكوت) لتفكره فى مشاهدة الملكوت وتذكره مطالعة الجبروت (لا يتكلم فى غير حاجة) أى من قضية ضرورية دينية أو دنيوية أو
مسئلة علمية أو عملية لقوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون ولحديث ان من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه

(يعرض عمن تكلم بغير
جميل) أى بما لا يستحسن
ذكره ولا يباح أمره اذا
صدر عمن تكلم بناء على
جهله لقوله تعالى
وأعرض عن الجاهلين
والظاهر ان المراد
بالاعراض هو الصفح
وعدم الاعتراض
فيختص بالمكروهات
التنزيهية على مقتضى
القواعد الشرعية وأما
المحرمات القطعية وكذا
المكروهات التحريمية
فلابد للشارع من أن يامر
ويزجر فيما يحق النبوة
والرسالة وأما قول الدلجى
فى تفسير غير جميل حراما
أو مكروها اذ لا يقر على
باطل واعراضه كاف عن
انكاره صريحا لاشعاره
بعدم رضاه به فهو ليس
من الجمل الجميل لان
الانكار القلبى لا يكون
كافيا الا للعاجز عن
انكاره بيده ولسانه وهذا
غير متحقق فى زمانه لاسيما بالنسبة الى عظمة شانه وان كان زماننا هذا يكتفى فيه بالسكوت وملازمة فيه
البيوت والقناعة بالقوت الى أن يموت على محبة الحى الذى لا يموت (وكان ضحكه) بكسر فسكون وروى بفتح فكسر (تبسما) أى
من جهة الابتدائية كقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها أو من طريقة الاغلبية لما فى الشمائل للترمذى من حديث عبد الله بن
الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأما القهقهة فنفية ويمكن حمله على ظاهره من عمومه لما فى
الشمائل أيضا من حديث جابر بن سمرة وكان لا يضحك الا تبسما لكن الشراح حملوه على غالب حاله وقيل كان لا يضحك فى أمر الدنيا
الا تبسما اما فى أمر الآخرة فكان قد تضحك حتى تبدو نواجذه على ما فى الترمذى أيضا وهو توفيق حسن وجمع مستحسن

اليها فالاحتباء قائم مقامها وليس هذا معارضا لما ورد فى الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى
عن الاحتباء فى ثوب واحد اذ النهى فيه لم يرد عن الاحتباء وانما ورد عن كونه فى ثوب واحد لانه ربما
تحرك فيزول الثوب وتنكشف عورته وأما قوله

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

فاستعارة ونهى عن الاحتباء يوم الجمعة والخطيب يخطب لانه يؤدى الى النوم وهذا الحديث رواه أبو
داود والترمذى فى شمائله (وعن جابر بن سمرة رضى الله عنه) رواه مسلم وأبو داود (أنه) صلى الله تعالى
عليه وسلم (تربع) أى جلس متربعا وهو ان يقعد الرجل على وركيه ويمد ركبته اليمنى الى جانب يمينه
وقدمه اليمنى الى جانب يساره وركبته اليسرى الى جانب يساره وقدمه اليسرى الى جانب يمينه وهذا
فى خارج الصلاة كما فى الحديث كان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا صلى الفجر جلس متربعا حتى تطلع
الشمس وهو فى الصلاة كما صرح به الفقهاء وأما خارجها فلا يكره وقيل انه سنة وقول بعض فقهائنا انها
جلسة الجبابرة مع فعله صلى الله تعالى عليه وسلم لها فيه نظر (وربما جلس القرفصاء) بضم القاف
والفاء ويجوز كسرهما ويمد ويقصر وهو جلوس على اليتيه كجلوس المحتبى بيديه من غير احتباء
كما يدل عليه ما بعده وقال الفراء اذا ضممت مددت واذا كسرت قصرت (وهو) أى جلوسه صلى الله
تعالى عليه وسلم القرفصاء ورد (فى حديث قيلة) بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهى بنت
مخرمة العنبرية كما فى المغنى وقال الشمنى العدوية وقيل العنزية وهو الصحيح وفى حديثها انها رأت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى المسجد وهو قاعد القرفصاء وفى رواية فلما رأت رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم المتخشع فى الجلسة أرعدت من الفرق وليس هذا فى رواية الترمذى ومسلم التى
ذكرها المصنف وفى كلامه اشارة الى انه زيادة عليها والمتخشع ان كان صفة فالرؤية بصرية وان كان
مفعولا ثانيا فهى علمية ورعدتها من مهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا من تخشعه (وكان صلى الله
تعالى عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم فى غير حاجة) تدعوه للكلام ولم يكن يسرد الحديث بعجلة ليفهم
عنه وهذا روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها (يعرض عمن تكلم بغير جميل) لا برضاء فيعلم باعراضه
عنه انه غير مرضى له صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا من وقاره أيضا وليس المراد به أن يكون حراما
كما قيل لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقر على مثله (وكان ضحكه تبسما) بدون قهقهة لشدة وقاره
صلى الله تعالى عليه وسلم والضحك انبساط الوجه حتى يظهر منه السرور ويبدو الثنايا فقط
وأما ما ورد من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فمحمول على المبالغة لزيادته

(وكلامه فصلا) أي وكان كلامه فرقا بين الحق والباطل أو فاصلا بين الحلال والحرام أو بينا يتبينه كل من سمعه ولا يشتبه على من يتفهمه وما ذاك الا لجعله تعالى له مبينا للانام في مشكلات الاحكام كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم أو مختصرا ملخصا لقوله (لافضول) بالفتح أي لازيادة في كلامه (ولا تقصير) أي ولا نقصان عن قدر الحاجة أو لا ايجاز ولا اطناب بل التوسط المحمود في كل باب بالجمع بين المباني اليسيرة والمعاني الكثيرة (وكان ضحك أصحابه عنده) أي في حضرته (التبسم) أي لا غير (توقيرا له) أي تعظيما لحرمته (واقتداء به) أي في كيفية ضحكه وهيئته (مجلسه مجلس حكم) بضم فسكون أي مجلس علم بالاحكام أو عمل بالعدل في حق الانام ولو ثبت كسر خاء وفتح كاف لكان له وجه وجيه في المرام بان يكون مجلسه للصحبة ملآن من أنواع الحكمة ويؤيده ان رواية الترمذي مجلس علم وفي نسخة بكسر حاء وسكون لام وكذا وقع في أصل الدلجي وهو ملكة تورث التؤدة وعدم العجلة عند حركة الغضب وداعية العقوبة (وحياء) أي ومجلس حياء مشتمل على صفاء وضياء وهي ملكة تمنع مما لا يليق فعله في الحضرة والغيبة (وخير) أي مجلس كل خير من خيري الدنيا والآخرة فهو تعميم بعد تخصيص (وأمانة) أي مجلس أمانة دون خيانة تخصيص للاهتمام بامرها لتعلقها بغير صاحبها ولذا ورد لا ايمان لمن لا أمانة له على ما رواه أحمد وابن حبان في صحيحيهما عن أنس رضي الله تعالى عنه (لا ترفع) بصيغة المجهول مذكرا أو مؤنثا (فيه) في مجلسه (الاصوات) تأدبا لسيد الكائنات ولقوله سبحانه وتعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآيات (ولا تؤبن) بضم فسكون همز وتبدل وفتح موحدة مخففة وقد تشدد أي لا ترمى بصريح ولا تذكر بقبيح (فيه الحرم) بضم وفتح جمع الحرمة وهي ما لا يحل انتهاكه وروى بضمتين بمعنى النساء من الاهل وما يحميه الرجل والمعنى لا تقذف ولا تعاب من ابنته أي رميته بسوء ومنه حديث النهي عن شعر تؤبن فيه النساء وكذا حديث الافك أشيروا علي في أناس ابنوا أهلي وحاصله ان مجلسه كان يصان من رفث القول وفحش الفعل وقد صحف على اليمني حيث قال ماخوذ من المأثر واحدها ماثرة ويحتمل لا تؤبر أي لا تلدغ من ابرته العقرب بلدغته انتهى (اذا تكلم) أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم (أطرق جلساؤه) أي خفضوا رؤسهم وسكنوا نفوسهم (كأنما) بزيادة ما الكافة (على رؤسهم الطير) يجوز في مثله ثلاثة أوجه بحسب القراءة وهي بكسر الهاء وضم الميم وكسرهما وضمهما وفي التشبيه تنبيه على المبالغة في وصفهم بالسكون والسكينة وعدم الخفة لان الطير لا يكاد يقع الا على شيء ساكن من الحركة

فيه على ما عهد عنه أو هو نادر لا يعتد به (وكلامه فصلا) بفاء وصاد مهملة أي فاصل بين الحق والباطل أو مفصل لتمهله فيه قال تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل (لافضول) مصدر أي لازيادة فيه وقيل انه في الاصل جمع فضل بمعنى الزيادة نخص بما ذكر ولذا قيل في النسبة له فضولي وينسب للجمع (ولا تقصير) فيه حتى يخل بفهم السامع (وكان ضحك أصحابه عنده) صلى الله تعالى عليه وسلم (التبسم توقيرا له واقتداء به) لتخلقهم باخلاقه وتأدبهم بآدابه (مجلسه مجلس حلم) بكسر الحاء وسكون اللام وفي نسخة حكم بضمها مع الكاف (وحياء) منه ومن أصحابه (وخير) لاحسانه ولطفه وتعليمه (وأمانة) يأمن المتكلمون فيه على اسرارهم فلا ينقل منه ما لا يحبون افشاءه كما ورد في الحديث المجالس بالامانة (لا ترفع فيه) أي في مجلسه (الاصوات) لادبهم وتوقيرهم له وكان ذلك محرما عليهم لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وأما كونه وقع مثله بحضرته في قصة الافك فنادر لا يعتد به (ولا تؤبن فيه الحرم) بضم المثناة الفوقية وهمزة ساكنة وتبدل واوا وتؤبن من أبنه يأبنه اذا عابه ورماه بقبيح أصله الابنة وجمعها ابن وهي العقدة في القسي تفسدها وتعاب بها ووقع في بعض الحواشي تؤبر براء بدل النون وفسره بما ذكر على انه مأخوذ من المأبر التي واحدتها مبيرة أو من أبرته العقرب اذا لدغته بابرتها وهي آخر عقد ذنبها وهو تصحيف كأنه وجده في بعض النسخ فاتبعه والمذكور في كتب اللغة كالنهاية والجوهري وغيرهما هو الاول وصرح ابن فارس في المجمل بان الحديث مروي هكذا والحرم جمع حرمة وهي كل ما يحرم هتكه وأما استعماله بمعنى المرأة فعامية وان كان لها وجه وقيل انها صحيحة مراد به هنا النساء لانه ورد في الحديث نهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء وفي حديث الافك أشيروا علي في أناس آبنوا أهلي انتهى يعني انه محفوظ من الرفث ولغو القول فهو من وقاره أيضا لقوله (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أي طأطؤا رؤسهم توقيرا له صلى الله تعالى عليه وسلم منصتين لكلامه (كأنما على رؤسهم الطير) وصفهم بالسكون وعدم الخفة والطيش لان الطير لا تكاد تقع الا على شيء ساكن ولك ان تقول انه شبههم بغصون مغروسة في رياض مجلسه كما قال في البردة

(وفى صفته) أى وجاء فى نعت مشيه على مافى الشمائل وغيره (يخطو) بضم طاء وسكون واو أى يمشى (تكفؤا) بضم فاء مشددة فهمزة وتبدل وفى نسخة بكسر فاء وفتح تحتية أى تمايلا الى قدام قال النووى وزعم كثيرون ان أكثر ماروى بلاهمز وليس كما قالوا انتهى وقال صاحب النهاية هكذا روى غير مهموز والاصل الهمز وبعضهم يرويه مهموزا لان مصدر تفعل من الصحيح تفعلا كتقدم تقدما وتكفأ تكفؤا والهمزة حرف صحيح وأما اذا اعتل انكسر عينه نحو تسمى تسميا وتخفى تخفيا فاذا خففت الهمزة التحق بالمعتل فصار تكفيا بالكسر (ويمشى هونا) أى مشيا هونا لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أى سكونا لاسريعا ولابطيأ ولاخيلاء بل افتقارا للحق وتواضعا للخلق وفى رواية الهوينى تصغير هونى تانيث أهون فالتقدير مشية هوينى (كأنما ينحط) بتشديد الطاء أى ينزل (من صبب) بفتحتين وموحدتين أى منحدر ويلزم منه الميل الى القدام لا السرعة المنافية لمقام المرام كما زعم من ليس له فى هذا الفن المام وفى رواية للترمذى فى صبب وهو أظهر فتدبر (وفى الحديث الآخر اذا مشى) أى فى جميع أوقاته (مشى مجتمعا) أى مشيا معتدلا مستويا مجتمعا بين توالى حركاته لامتفرقا فى حركاته وسكناته وقال الهروى أى ماكان يمشى مسترخيا (يعرف فى مشيته) بكسر الميم أى هيئة مشيه وضبط فى نسخة بفتحها وهو سهو قلم من كاتبها (انه غير غرض) بفتح معجمة وبكسر الراء وتنوين معجمة ماخوذ من الغرض بفتحتين وهو الضجر والملال ومنه قول الحسن علم الله انه بلد غرض فرخص لعباده من شاء ان ينفر فى النفر الاول ومن شاء ان ينفر فى النفر الآخر وروى بلد غرض بالاضافة والصفة (ولا وكل) بفتحتين على مافى النسخ المصححة ففى القاموس رجل وكل محركة عاجز وقال الدلجى بكسرهما وقال التلمسانى الغرض بفتح الراء وروى بكسرها (والوكل بفتح الكاف وحكى كسرها والله تعالى) أعلم (أى غير ضجر) تفسير من المصنف لغرض على وزانه أى غير قلق وملال (ولا كسلان) تفسير لوكل يعنى ولا عاجز يكسل فى فعله أى الهداية والدلالة فيكل أمره الى غيره معتمدا على تحصيله (وقال عبد الله بن مسعود) فيما رواه البخارى عنه موقوفا

كأنهم فى ظهور الخيل نبت ربا * من شدة الحزم لامن شدة الحزم

وقلت فى المقصورة

كأنما الطير على رؤسهم * من كل غصن فى ربا المجد نما

والطير جمع أو اسم جمع لطائر وهو معروف (وفى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم) فى مشيه وهو خبر مقدم وقوله (يخطو تكفؤا) مبتدأ لانه أريد به لفظه فهو كقوله لا حول ولا قوة الا بالله كنز من كنوز الجنة أى قيل فى وصفه هذا ويخطو مضارع خطا المعتل اذا مد رجله ومشا والخطوة بالضم ما بين القدمين وبالفتح المرة وتكفا بفتح المثناة والكاف وفاء مضمومة مشددة بعدها همزة مصدر كتقدم تقدما بمعنى مال الى قدام والاصل فيه الهمزة وبه روى فان اعتل كسرت الفاء وكان بالياء كتسمى تسميا وقال شمر معناه مال يمينا وشمالا كمشى المختال والصواب تفسيره بمال الى جهة ممشاه كما يدل عليه قوله كأنما ينحط من صبب أى من علو لا تمايل فانه غير مناسب وقد ورد فى حديث ابن أبى هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم ذريع المشية اذا مشى مشى تقلعا أى يرتفع عن الارض بجملته وروى قلعا بفتح القاف وكسر اللام وهو أدل على التثبت والشجاعة وهكذا كان أولوا العزم عليهم الصلاة والسلام (ويمشى هونا) بفتح الهاء وسكون الواو أى برفق ولين من غير تمايل مع الترفق والتثبت قال الله تعالى يمشون على الارض هونا قال مجاهد بالسكينة والوقار (كأنما ينحط من صبب) بفتحتين أى ينزل من صبب وهو الموضع المنحدر وفى رواية كأنما هو من صبوب بالضم والفتح وهو ما يصب من ماء ونحوه أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يستعجل وأما قول أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كنا نجهد أنفسنا وهو غير مكترث فانما هو لسعة خطوته صلى الله عليه وسلم حتى لا يلحق مع تثبته وتمهله (وفى الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا) أى ينقل أعضاءه كلها دفعة واحدة من غير تحريك لرأسه الشريف وبدنه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم فى مشيه قوى غير مسترخ (يعرف فى مشيته) بكسر الميم وفتحها (انه غير غرض) بفتح الغين المعجمة وكسر الراء المهملة والضاد المعجمة أى غير قلق ولا ضجر ولا مال (ولا وكل) بفتحتين وهو البليد والجبان والعاجز الذى يكل أمره لغيره وحكى شمر فيه كسر الكاف كما قاله التلمسانى والدلجى وهو أنسب هنا لموازنته لما قبله وفسره بكسلان وقوله (أى غير ضجر ولا كسلان) يعينه فان ظاهره انه تفسير لما قبله على اللف والنشر المرتب وضجر كحذر من الضجر وهو القلق والكسلان من الكسل وهو الفتور وعدم النشاط من الغم ويكون بمعنى سوء الخلق ويكون غرض بمعنى سباق كقوله

انى ضجرت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الغائب

وليس بمراد هنا (وقال عبد الله بن مسعود) رضى الله تعالى عنه رواه البخارى وأصحاب السنن

(أن أحسن الهدى) بفتح فسكون أى السيرة والطريقة المشتملة على حجية الشريعة وحقيقة الحقيقة وفى نسخة بضم ففتح مقصورا أى الهداية والدلالة (هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نفس الامر هديه هدى ربه لفنائه فى بقائه فيصح اسناده اليه تارة والى ربه أخرى كما قال تعالى قل ان الهدى هدى الله وفى آية أخرى قل ان هدى الله هو الهدى (وعن جابر بن عبد الله) صحابيان انصاريان رضى الله تعالى عنهما (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل) أى تبيين لحروف البناء وتمهيل فى كيفية الاداء لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقوله لتبين للناس مانزل اليهم (وترسيل) عطف تفسير وهو موافق لما فى المصابيح وفى نسخة صحيحة باو على انه شك من الراوى (وقال ابن أبى هالة) واسمه هند وأمه خديجة رضى الله تعالى عنهما فهو ربيبه صلى الله تعالى عليه وسلم (كان سكوته على أربع) أى على أربعة أحوال والحال يذكر ويؤنث لانها بمعنى الوصف والصفة (على الحلم) على جهة التحمل مع القدرة والمجاوزة عن المؤاخذة (والحذر) أى الحراسة من الاعداء المخالفة (والتقدير والتفكر قالت عائشة) رضى الله تعالى عنها كما رواه الشيخان (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد) أى لو أحصى عدد حروفه المحصى من أهل الحساب (لاحصاه) أى لقدر على احصائه وعد عدده وجمعه وحفظه وهذا مبالغة فى الترتيل والتبيين وقد روى انه كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم تكلم ثلاثا ولعل الاول للسماع والثانى للتنبيه والثالث

للفكر والاظهر ان الثلاث باعتبار مراتب مدارك العقول من الاعلى والاوسط والادنى (وكان يحب الطيب والرائحة الطيبة) أى الحاصلة من غير جنس الطيب كبعض الازهار والاثمار (ويستعملهما كثيرا) استعمالا مناسبا لكل منهما مع انه بذاته بل وبفضلاته طيب كما هو مقرر فى محله فكان استعمالهما لزيادة المبالغة بنية ملاقاة الملائكة ولانهما يورثان النشاط والقوة (ويحض عليهما) أى يحث ويحرض على استعمالهما (ويقول حبب الى من دنياكم النساء) وفى رواية تاخيره (والطيب) كما رواه النسائى والحاكم فى مستدركه من حديث أنس باسناد جيد وضعفه العقيلى وليس فيه لفظ ثلاث وانما وقع فى بعض الكتب كالاحياء وغيره فما وقع فى بعض النسخ من لفظ ثلاث بعد دنيا كم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغيير سياق الحديث وتعبيره بقوله

(ان أحسن الهدى هدى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) والهدى بدال مهملة بوزن الرمى السمت والسيرة والطريقة والحالة التى يكون عليها وهذا الحديث وان كان موقوفا على ابن مسعود فله حكم المرفوع وكذا سائر الاحاديث المتعلقة بالشمائل فان مثلها لا يقال من قبل الرأى وقد روى مرفوعا أيضا وكان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أشبه الناس هديا بهدى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكذا عمر وابنه رضى الله تعالى عنهما ولذا كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم يتشبهون به فى هديهم وبقية الحديث وشر الامور محدثاتها وهو حديث طويل قال ابن قرقول وروى بضم الهاء وفتح الدال ضد الضلال (وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما) أخرجه أبو داود والامام أحمد فى الزهد (كان فى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ترتيل أو ترسيل) كذا فى النسخ او اشارة الى انه روى بكل منهما على حدة وفى المصابيح بالواو لتقارب معناه فالعطف تفسيرى فلا منافاة بينهما كما قيل أى يبين الكلام من غير عجلة وغموض حتى يسبق فهم السامع اليه وقيل الترتيل التبيين والترسيل التؤدة والترتيل من قولهم ثغر مرتل وهو المفلج كالاقحوان (قال ابن أبى هالة) المتقدم ترجمته (كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم على أربع) أى يقع على أربع خصال فيه (على الحلم) أى يسكت تارة لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضى المؤاخذة (والحذر) أى الاحتراس من كلام ربما أدى لامر يخشى منه (والتقدير) أى يقدر صلى الله تعالى عليه وسلم فى نفسه وسكوته ما يليق به وبغيره (والتفكر) فى مصنوعات الله ونحو ذلك (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه) أى لو أراد عده عده بسهولة أو لو عده حصره بحيث لا يفوته منه شئ لقلته وتبيينه وعدم سرعته فيه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة) الطيب كل ما يتطيب به من بخور ومسك وزعفران ونحوه والرائحة الحسنة تشمل رائحة غيره كالريحان وسائر الزهور العطرة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرد هديتها (ويستعملهما كثيرا) فى أكثر أوقاته لملاقاته الملك فانها تقوى الحواس والملائكة عليهم الصلاة والسلام تحبها وتكره الرائحة الخبيثة بعكس الشياطين (ويحض عليهما) بضمير التثنية للطيب والرائحة وفى نسخة عليها فالضمير لها لانها المقصود من الطيب لا لانها أعم كما قيل لتغايرهما أى كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحث الناس ويحرضهم على استعمال ذلك لما لهم فيه من الفوائد ولحضور الملائكة الحفظة والكتبة عندهم ولملاقاتهم له بما يحبه ومن مروءة الانسان نظافته وطيب رائحته (ويقول حبب الى من دنياكم النساء والطيب

(وجعلت قرة عيني في الصلاة) ايماء الى ان قرة العين ليست من الدنيا الاسيما من الدنيا المضافة الى غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ودفعا لما تكلف بعضهم من ان الصلاة حيث كانت واقعة في الدنيا صحت اضافته اليها في الجملة على اختلاف في ان المراد بالصلاة هل هي العبادة المعروفة أو الصلاة عليه عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم بحقيقة المرام ثم تحقيق الكلام ماذكره حجة الاسلام في الاحياء حيث قال الدنيا والآخرة عبارة عن حالين من احوال القلب فالقريب الداني منهما يسمى دنيا وهي كل ماقبل الموت والمتراخي المتأخر يسمى آخرة وهي مابعد الموت ثم الدنيا تنقسم الى مذمومة وغير مذمومة فغير المذمومة مايصحب الانسان في الآخرة ويبقى معه بعد الموت كالعلم والعمل فالعالم قد يانس بالعلم حتى يصير ألذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمطعم والمشرب في لذته لانه أشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا له في الدنيا ولكن لايعد ذلك من الدنيا المذمومة وكذلك العابد قد يانس بعبادته ويستلذ بها بحيث لو منعت عنه لعظم ذلك عليه حتى قال بعضهم ما أخاف الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل فقد صارت الصلاة من حظوظه العاجلة وكل حظ عاجل فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو وعلى هذا ينزل جعله عليه الصلاة والسلام الصلاة من حكم ملاذ الدنيا أو لان كل مايدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك الجوارح بالركوع والسجود انما يكون في الدنيا فلذلك أضافها عليه الصلاة والسلام الى الدنيا الا انها ليست من الدنيا المذمومة في شئ فان الدنيا المذمومة هي حظ عاجل لاثمرة له في الآخرة كالتنعم بلذائذ الاطعمة والمباهاة بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والقصور والدور ونحوها مما يزيد على قدر الضرورة والحاجة (ومن مروءته) أي أخلاقه المرضية وشمائله البهية (نهيه) كما رواه أحمد (عن النفخ في الطعام والشراب) أي جميعا ولابي داود وابن ماجه والترمذي وصححه نهيه عن النفخ في الاناء وللترمذي في الشراب لانه في الطعام يؤذن بالعجلة وشره النهمة وقلة التؤدة وفي الاناء يورث رائحة كريهة ولانه قد ينفصل بالنفخ فيهما من الفم مايكون موجبا للنفرة الطبيعية وقيل نفس الآدمي سم

وجعلت قرة عيني في الصلاة) وقد تقدم هذا الحديث وان لفظ ثلاث الموجودة في التفاسير كالاحياء والكشاف غير ثابتة عن أكثر المحدثين ومافي عطف جعلت فان محبة النساء من هدى الانبياء عليهم الصلاة والسلام كداود وسليمان وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم من قوة الجماع ماليس في غيره وقال فضلت على الناس باربع بالسماحة والشجاعة وقوة الجماع وشدة البطش وكان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم قوة أربعين رجلا من رجال الجنة وكل رجل منهم فيه قوة مائة رجل من أهل الدنيا وهذا مع قلة أكله وشربه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث أخرجه أصحاب الكتب الستة وكان أكثر طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم الذريرة وهو طيب يجئ من الهند معروف مركب وتقدم انه انما قال حبب بالبناء للمجهول لان تلك المحبة جعلها الله فيه طبيعة لاشهوانية وعلى تسليم رواية ثلاث اما أن يكون اكتفي باثنين منها وحذف الثالث لتذهب نفس السامع كل مذهب والعرب تفعله كقول

كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم * من العبيد وثلث من مواليها

أو الثالث الصلاة وقرة عينه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها وجعلها من الدنيا لوقوعها فيها او يكون تغييره العبارة اشارة لمغايرتها لما قبلها وانها ليست من جنسها ووقع في بعض النسخ هنا زيادة لفظ ثلاث بعد قوله من دنياكم ومر الكلام فيها وانها ليست ثابتة وان أثبتها الزمخشري والغزالي في الاحياء وكذا المصنف رحمه الله تعالى تبعا لهم وقد أفردنا هذا الحديث بتعليقة مستقلة والحديث رواه أيضا النسائي في سننه وفي رواية له بلفظ حبب الى من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة ومن هذا الوجه أخرجه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما وأبو عوانة في مستخرجه على الصحيح والطبراني والبيهقي وآخرون كالحاكم في مستدركه بسند جيد بدون لفظ وجعلت وقال صحيح على شرط مسلم وأخرجه ابن عدي في كامله وقال العقيلي انه ضعيف (ومن مروءته صلى الله تعالى عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب) المروءة من المرء وهو الانسان فهي بمعنى الانسانية ومعناها التلبس بما يليق بالرجال وترك مايخل به فارتكاب مايكرهه الصاحب مخل بالمروءة والنفخ فيما ذكر اما للتبريد أو لازاحة قذر على وجهه وقد يخرج معه ريق المرء فيكره تناوله أو يكون النفس متغيرا فيؤثر فيه ولو توهما والغرض منه يحصل بالصبر واماطة ماعليه باراقة وخلال ونحوه ولذا نهى عن التنفس في الاناء حالة الشرب واما ماورد من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتنفس اذا شرب مرتين ونحوه فليس معناه ذلك بل انه يقطع الشرب وينحي الاناء ويتنفس خارجه فانه يستحب عدم العب والقطع في الشرب وقد ورد

ان

(والامر) كان الاولى ان يقال وأمره ليحسن عطفه على نهيه أي ومن مروءته أيضا الامر (بالاكل مما يليه) أي
الاكل بصيغة الفاعل
لحديث الشيخين قل
بسم الله وكل بيمينك
مما يليك على الخلاف
في ان الامر للوجوب
أو الندب وعليه
الاكثر (والامر بالسواك)
أي وكذا أمره به من جملة
مروءته كما في حديث
لا مرية في صحته ومن
فوائد السواك ازالة
تغير الفم وتنظيف
الاسنان وتطييب
النفس وغيرها مما
بلغ أربعين آخرها انه
يذكر الشهادة عند
الخاتمة على ضد اكل
الافيون نسأل الله
العافية (وانقاء البراجم)
بالجر عطفا على بالسواك
وفي نسخة بالرفع على
ان التقدير ومن
مروءته تنظيف البراجم
(والرواجب) وهما
جمع برجمة بالضم
وراجبة والمراد بهما
مفاصل الاصابع من
ظهر الكف وباطنها
(واستعمال خصال
الفطرة) بالاحتمالين
وهي فيما رواه الشيخان
خمس الختان والاستحداد
وقص الشارب وتقليم
الاظفار ونتف الابط زاد
مسلم المضمضة واعفاء
اللحية والاستنجاء وأبو داود من حديث عمار الانتضاح ومن حديث ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما فرق الرأس هذا والاستنشاق في معنى المضمضة وقد سبق في معانيها ما يغني عن اعادتها هنا

ان النفخ في الطعام يذهب البركة منه كما ورد أبردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه وفي لفظ غير ذي بركة وليس المراد بابراده نفخه حتى يبرد بل أكله باردا بان يصبر عليه حتى يبرد فلا منافاة بينهما كما توهم وقلة بركته لانه لا يلتذ بمضغه وبلعه أو انه لشدة حرارته ينهضم سريعا فلا يشبع شبع غيره (و) من مروءته صلى الله عليه وسلم (الامر بالاكل مما يلي) كل أحد من الطعام لحديث عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لان أمه أم سلمة رضي الله تعالى عنها زوجته صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك أي لا من الوسط ولا مما يلي غيرك فهذا أمر منه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وورد مثله في أحاديث أخر وقال أيضا تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من حافته أو من حانيته وهذا أمر ندب وذهب بعض الشافعية الى انه للوجوب وقال الشيخ تاج الدين السبكي من الفوائد الفقهية في هذه المسئلة التي لا تكاد تعرف لان الشافعي رضي الله تعالى عنه نص في الام في الجزء السادس عشر في باب صفة النهي على ان أكل الانسان مما يليه واجب ولو لم يفعله اثم ان كان عالما بالنهي انتهى ولعله اذا علم عدم رضاء صاحبه وجليسه بذلك قيل وهذا اذا لم يكن الاكل من ذلك بقصد التبرك بمس يده وعليه حمل ما في حديث الدباء انه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتتبعها وهو أيضا في غير الفاكهة فان له الاكل والاخذ منها من أي جانب قال بعض المدققين واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون وفيه لطف خفي (والامر بالسواك) أمر ندب وشذ بعض الشافعية فاوجبه للصلاة والسواك اسم للعود الذي يستاك به وللفعل وهو الاستياك والمراد الثاني أو الاول بتقدير مضاف أي استعمال السواك وعده من المروءة لما فيه من النظافة وطيب رائحة الفم (وانقاء) بكسر الهمزة وسكون النون وقاف بعدها مدة من أنقاه اذا نظفه كنقاه (البراجم) بباء موحدة وراء مهملة وألف وجيم وميم جمع برجم أو برجمة بضم الباء والجيم وهي مفاصل الاصابع التي بينها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع اذا قبض الانسان كفه فهي المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة وقيل هي مفاصل الكف كلها والاشاجع جمع أشجع وهي أصول الاصابع المتصلة بالكف (والرواجب) براء مهملة وواو وألف وجيم وباء موحدة جمع راجبة على القياس وقيل جمع رجبة بضم فسكون على خلافه وهي المفاصل التي تلي الانامل وقيل هي مفاصل أصول الاصابع وقيل قصب الاصابع وقيل السلاميات وقيل ما بين البراجم والسلاميات وقيل ظهور السلاميات وقيل مفاصل الاصابع وواحد السلاميات سلامى بضم السين وفتح الميم مقصورة وتفصيله في كتاب خلق الانسان وجزم البرهان الحلبي بان البراجم العقد المتشنجة في ظهور الاصابع وهي مفاصلها ونقل عن أبي عبيد ان البراجم والرواجب جميعا مفاصل الاصابع كلها وهي اللائق بكلام المصنف فينزل عليه لا على ما في الصحاح من ان البراجم مفاصل الاصابع التي بين الاشاجع والرواجب وهي رؤس السلاميات من ظهر الكف اذا قبض القابض كفه نشزت وارتفعت والراجبة في الاصابع واحدة الرواجب وهي المفاصل التي تلي الانامل ثم البراجم ثم الاشاجع التي تلي الكف انتهى لئلا تكون الفاصل التي تكون الكف خارجة اذ هي على ما فيه غيرهما وعند أبي عبيد داخلة فيهما مع ان الظاهر انها تنقى كما تنقى التي بين الانامل والتي بينهما كما قيل (واستعمال خصال الفطرة) الخمس فيما رواه الشيخان الختان والاستحداد أي حلق العانة بالحديد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط وزاد

مسلم رحمه الله تعالى المضمضة واعفاء اللحية والاستنجاء وأبو داود الانتضاح وزاد غيره عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فرق الرأس كما تقدم تفصيله المغنى عن اعادته والفطرة بكسر الفاء معناها الخلقة كما قال تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها والمراد السنة التى أمر بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر

(فصل وامازهده صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا) الزهد معناه ترك الدنيا ولذاتها رغبة فيما عند الله وهو ثلاثة أقسام ترك الحرام وهو زهد العوام وترك فضول الحلال وهو زهد الخواص وترك كل ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين واما من لم يرض وصف أولياء الله به فضلا عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لان الدنيا لا تساوى عند المتخلقين باخلاق الله جناح بعوضة وما نال أعظم ملوكها بعض منها بل أقل قليل من باقيها فعنده معنى الزهد ترك ما يرغب نفسه فيه فمن لا رغبة له فى شئ منها لا يسمى زاهدا وغيره يعرفه بترك الدنيا مطلقا أو بترك ما من شانه ان يرغب فيه والى هذا أشار الغزالى فى الاحياء فمن وصفه باعلى طبقات الزهد نظر الى الاول وجنح الى انه من مقامات الكاملين فله منه الحظ الاوفر ومن نفاه عنه ولا يرضى وصفه به نظر الى الثانى وأما طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم للدنيا الضرورية فى المعاش فليس لرغبته فيها بل لدفع ضعف بدنه المانع عن اداء حق العبودية فلا ينافى فى الزهد أيضا واليه يشير صاحب البردة بقوله

وأكدت زهده فيها ضرورته * ان الضرورة لا تعدو على العصم

ومن شرط الزهد أيضا القدرة وقال ابن المبارك لما قيل له يا زاهد الزاهد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها *(فائدة)* قال أبو يزيد البسطامى قدس سره بفتح الباء قدم علينا شاب من بلخ حاجا فقال لى ما علامة الزهد عندكم فقلت له اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا شكرنا فقال هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ قلت فما الزهد عندكم قال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا آثرنا (فقد تقدم من الاخبار) التى فى صفاته فى أول الباب (فى اثناء) أى فى خلاله وما بينه جمع ثنا مقصور كما قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة ومعناه ما أثنى ودخل بعضه فى بعض (هذه السيرة) أى هذا الكتاب المتضمن لسيرته وطريقته صلى الله عليه وسلم أو المراد سيرة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصفاته (ما يكفى) طالب سيرته ويغنى عن اعادته هنا (وحسبك من تقلله) أى يكفيك فى معرفة تقلله أى قنعه بالقليل (منها) أى من الدنيا الزهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها واكتفائه فى ضرورياته بالامر الزهيد القليل وهذا الاينافى زهده (واعراضه عن زهرتها) أصل معنى الزهرة النضارة والزينة مستعار من الزهر بفتحتين وهو نور النبات ويسكن الثانى أى تركه صلى الله تعالى عليه وسلم ما يرغب فيه الناس من زخرف الحياة الدنيا ومما قلته فى الرباعيات

من حرصك بالغناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
يا زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك بانمل المنا تحتمل

(وقد سيقت اليه) أى ساق الله تعالى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم الدنيا مستعار من سوق البهيمة للتسخير والتمكن منها (بحذافيرها) أى بجملتها وكليتها من جميع نواحيها يقال ملك كذا بحذافيره أى جميعه بحيث لم يبق منه شئ جمع حذفور أو حذفار وهو الناحية وفى النهاية الحذافير الجوانب وقيل الاعالى فكنى به عما ذكروه واشارة لما تقدم من ان زهده صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ليس لعجزه عن تحصيلها بل هو مع غاية القدرة عليها والتمكن منها وهذا هو الزهد الممدوح كما تقدم (وترادفت عليه فتوحها) أى تتابعت وتوالت فاتته الدنيا راغمة بما يسر الله

(فصل)
(وأما زهده فى الدنيا) أى عدم ميله اليها وقلة المبالاة بوجودها وفقدها اعتمادا على خالقها (فقد تقدم من الاخبار) أى الاحاديث الواردة عن الثقاة الاخيار (اثناء هذه السيرة) أى سيرة سيد الابرار (ما يكفى) أى يغنى عن الاعادة والتكرار (وحسبك من تقلله منها) أى كافيك من منفعتها (واعراضه عن زهرتها) بفتح الزاى زينتها وبهجتها (وقد سيقت اليه) أى والحال انها جيبات لديه وعرضت عليه (بحذافيرها) جمع حذفار وقيل حذفور أى باسرها من أولها وآخرها (وترادفت) أى تتابعت (عليه فتوحها) والجملتان معترضتان بين المبتدأ وخبره وهو قوله

(ان توفى) بصيغة المجهول بعد ان المصدرية والمعنى كائنا مما ذكر حال حصول ما ذكر وفاته (صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة الى ان توفى على انها متعلقة بتقلله ايماء الى اختيار زهده فى الدنيا باعتبار الحالة الاولى والاخرى دفعا لما يتوهم بعضهم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخر عمره اختار الغنى ومما يابى هذا المعنى قوله (ودرعه) أى والحال انها (مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله) كما سبق تفصيل أحواله (وهو يدعو) أى والحال انه مع ذلك يطلب من ربه كفاية أمره وأمر من يتعلق به من أهله وآله (ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) أى بلغة تسد رمقهم ليقوموا بعبادة من خلقهم وفى رواية لمسلم والترمذى وابن ماجه اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان لئلا يموت والظاهر ان المراد به هنا قدر الكفاية لما فى رواية كفافا (حدثنا سفيان بن القاضى والحسين بن محمد الحافظ) هو ابن سكرة وليس بالغسانى كما حرره الحلبى (والقاضى أبو عبد الله التميمى قالوا) أى كلهم (ثنا) أى حدثنا (أحمد ابن عمر قال حدثنا أبو العباس الرازى قال حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم (حدثنا أبو سفيان) وفى نسخة صحيحة ابن سفيان (ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج) أى صاحب الصحيح (ثنا أبو بكر بن أبى شيبة) تقدم ذكرهم (حدثنا أبو معاوية) وهو محمد بن خازم بالخاء المعجمة والزاى أحد الاعلام وحفاظ الاسلام روى الأعمش وهشام وعنه أحمد واسحق وابن معين وكان مرجئا أخرج له الائمة الستة

له من الغنائم والاموال والارزاق الواسعة الطيبة بحيث لو أراد توسع فيها وأنفق واقتطف زهرتها فلم يرضها واكتفى باقل قليل منها والجملتان حاليتان أو معترضتان بين المبتدأ وخبره أفادتا كمال زهده صلى الله تعالى عليه وسلم لان من كان هذا حاله وزهد فزهده أبلغ زهد وأتم عفاف أى كائنا مما ذكر حال حصول ما ذكر (الى أن توفى) بالبناء للمجهول أى حضرت وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم (ودرعه مرهونة عند يهودى) أى والحال هذه والدرع معروفة تذكر وتؤنث والاكثر تانيثها واليهودى كان يسمى أبا الشحم من ظفر من موالى الانصار وهذا الحديث صحيح رواه الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها وانما عامله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يطلب من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لانه لم يحضره اذ ذاك منهم من يقترض منه ولانه لو طلب صلى الله تعالى عليه وسلم منهم وأعلمهم بضرورته وهبوه ذلك ولم يرضوا باقتراضه منهم فاخفى حاله مع ما فيه من بيان جواز معاملة الكفرة وأهل الذمة (فى نفقة عياله) فى للتعليل كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة عذبتها والعيال أهل البيت ومن تلزمه نفقته والذى اقترضه صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثون صاعا وروى عشرون صاعا من الشعير (و) كان فى حال اقتراضه (هو يدعو ويقول) كما رواه الشيخان (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) القوت كل ما يتقوت به الانسان من الطعام أى اجعله بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة وقد استشكل هذا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم مات وله حصون وأراضى وعنده مما أفاء الله عليه أرض خيبر وفدك وغيرهما فكيف مع ذلك يكون به صلى الله تعالى عليه وسلم فاقة تحوجه الى رهن درعه على أصوع شعير وأجاب عنه ابن الصلاح فى فتاواه بانها كانت معدة لنوائبه موقوفة ولذا لم تورث عنه وقال أنا لا نورث ما تركناه صدقة فلا يقدح فيه ما كان فى ملكه وقد أعده لمصالح المسلمين واخراجه ما يحصل منها فى ذلك والفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام فاختار صلى الله تعالى عليه وسلم الفقر ولم يتصرف فيما عنده لنفسه وعياله ولذا لا يجوز أن يقال فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم انه فقير كما مر * وأقول هنا دقيقة وهى ان رياضة النفس بالجوع تصفى الذهن وتقوى الروح وتجعل النفس قدسية ملكية وقد كان أهل الملل يتعبدون بذلك ولما لم تكن فى الدين المحمدى لما فيها من الحرج فعل ذلك صلى الله تعالى عليه وسلم واختاره لنفسه خاصة وأبرزه بصورة الفقر لئلا تقتدى به أمته فيه ولمحبته لذلك طلبه من الله تعالى ولا هله فافهمه فانه دقيق جدا (حدثنا سفيان بن العاصى) هذا الحديث رواه مسلم والبخارى وسفيان هذا هو ابن سكرة لان المصنف سمع منه صحيح مسلم وليس هو الغسانى لانه لم يسمع منه وانما روى عنه بالاجازة (والحسين بن محمد الحافظ) بن عيسى قاضى سبتة شيخ المصنف أحد الاعلام وقد أكثر المصنف رحمه الله تعالى الرواية عنه توفى فى جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة (والقاضى أبو عبد الله التميمى قالوا حدثنا أحمد بن عمر) قد تقدمت ترجمتهما (قال حدثنا أبو العباس الرازى قال حدثنا أبو أحمد الجلودى) بفتح الجيم نسبة لقرية بافريقية وقيل بالشام وقيل انه بضم الجيم وقد تقدم قال (حدثنا ابن سفيان حدثنا أبو الحسين بن الحجاج) مسلم صاحب الصحيح وقد تقدم هو ومن قبله قال (حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو معاوية) محمد بن خازم بمعجمتين الضرير الحافظ أحد الائمة الاعلام الا أنه كان مرجئا روى له الستة وتوفى

(عن الاعمش) تابعي جليل روى عن ابن أبي أوفى وزر بن وأبي وائل وعنه شعبة ووكيع وخلق له ألف وثلثمائة حديث (عن ابراهيم) هو النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه رأى عائشة رضي الله تعالى عنها وروى عن خاله الاسود وعلقمة وجماعة وكان عجبا في الورع رأسا في العلم (عن الاسود) أي ابن يزيد النخعي عن عمر وعلي ومعاذ حج ثمانين مرة كل مرة بعمرة وكان يصوم حتى يخضر ويختم في ليلتين (عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ماشبع) بكسر الموحدة أي ما أكل حتى شبع (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام) أي بلياليها (تباعا) بكسر التاء الفوقية مصدر تابع أي متابعة وموالاة (من خبز) أي مطلقا ووقع

سنة خمس أو أربع وتسعين ومائة وترجمته مفصلة في الميزان (عن الاعمش) أبو محمد سليمان بن مهران الكاهلي أحد الاعلام روى عن أنس وابن أبي أوفى وغيرهما وروى عنه شعبة ووكيع وكثيرون نحو ألف وثلثمائة حديث وعاش ثمانيا وثمانين سنة ومات في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين ومائة وأخرج له الستة وترجمته في الميزان (عن ابراهيم) بن يزيد بن قيس بن الاسود بن عمرو بن ربيعة النخعي الكوفي الفقيه الزاهد رأس عصره رأى عائشة رضي الله عنها وأخرج له الستة وتوفي سنة ست وتسعين (عن الاسود) بن يزيد النخعي العابد حج ثمانين مرة وصام حتى اخضر جلده وكان يختم القرآن في كل ليلتين وتوفي سنة أربع أو خمس وسبعين وهو ثقة أخرج له الستة (عن عائشة رضي الله عنها قالت ماشبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا) أي متتابعة متوالية (من خبز) برا كان أو شعيرا وفي نسخة من خبز بر (حتى مضى لسبيله) أي حتى توفي لان الموت طريق يسلكه كل أحد وأول منزل منه القبر (وفي رواية أخرى) رواها البخاري (من خبز شعير يومين متواليين ولوشاء) الدنيا وترفهها ونعيمها (لاعطاه الله عز وجل مالايخطر ببال) البال القلب والعقل والفكر وخطر يخطر بضم الطاء وكسرها خطورا اذا ذكر وتصور أي يعطيه منها كل أمر نفيس لم يتصوره أحد من الناس لجلالته وعظمته وكونه لم يعهد مثله حتى يعرف (وفي رواية) في الصحيحين (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل) وفي البخاري ماشبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال حتى قبض وهو المراد بلقاء الله وفيه روايات كثيرة متقاربة المعنى وانه ماجمع بين غداء وعشاء وفي رواية من خبز وزيت وفي رواية ماأكل أكلتين في يوم قيل وهذا مشكل بماثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يدخر لاهله قوت سنة وانه ساق مائة بدنة ووهب قطيعا من غنم وألف بعير ونحوه كما روان أصحابه كأبي بكر وعثمان وطلحة كان لهم أموال كثيرة رضي الله عنهم وهم يبذلون له صلى الله تعالى عليه وسلم أموالهم وأنفسهم وأجيب بان ذلك كان في حالة دون حالة وان ذلك للارشاد وكراهة الشبع لا لضيق اليد وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من حدثكم انا كنا نشبع من التمر فقد كذبكم فلما افتتحت قريظة أصبنا شيأ من التمر والودك وروي لما افتتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر والحق ان كثيرا منهم كانوا في ضيق قبل الهجرة وبعدها واساهم الانصار بالمنائح فلما افتتحت بنو النضير وما بعدها ردوا ذلك عليهم أقول هذا ينافيه ما مر من انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة فكيف تكون العسرة زالت بعد الهجرة فالحق الاحق بالاتباع ماقاله ابن الصلاح رحمه الله تعالى كما قربناه وماقاله هذا الشارح لايسمن ولايغني من جوع (وفي رواية أخرى) رواها مسلم (ماترك) أي ماخلف تركة (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينارا ولادرهما ولاشاة ولابعيرا) وفي رواية ولاشيأ ولذا قال عبد الله بن أبي أوفى ماأوصى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته لانه لامال عنده يوصي به وانما أوصى بكتاب الله وادعاء الشيعة

في أصل الدلجي من خبز بر وليس من البر (حتى مضى سبيله) أي الى ان توفاه الله تعالى بحسب ماقدره وقضاه والحديث في أواخر مسلم وقد أخرجه البخاري وغيره أيضا (وفي رواية أخرى) أي له لغيره أو للشيخين كما قاله الدلجي (من خبز شعير يومين متتابعين ولوشاء) أي الله كما في نسخة صحيحة ويدل عليه قوله (لأعطاه) اذ لو كان التقدير لوشاء رسول الله لكان المناسب أن يقول لاعطاه الله أو لاعطى أي متمناه (مالايخطر) بكسر طاء وبضم أي مالم يمر (ببال) أي لايحدث في خلال خيال (وفي رواية أخرى) أي لهما (ماشبع آل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز بر) لقلة وجوده أو لكثرة زهده (حتى لقي الله) وفي نسخة زيادة عز أي تعالى شانه وجل أي أعظم برهانه (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) كما رواه مسلم (ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي بعد وفاته (دينارا) أي من الذهب (ولادرهما) أي من الفضة وهو بكسر الدال وفتح الهاء وتكسر ولله در القائل

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري
والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار

(ولاشاة ولابعيرا) أي وانما ترك مافي التمسك به نجاة الثقلين والفوز بسعادة الكونين وهو الكتاب والسنة فمن أخذ بهما ظفر بكنوز الجنة

الشيعة انه أوصى وان عليا كرم الله وجهه وصى لا أصل له ولم يثبت (وفى حديث عمرو بن الحارث) الذى رواه البخارى (ماترك) أى ماخلف صلى الله عليه وسلم تركة لاهله (الا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة) هذا بعض حديث أوله ماترك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيا الا بغلته البيضاء وسلاحه وأرضا جعلها صدقة وتفصيله فى السير فانهم قالوا كان له صلى الله تعالى عليه وسلم تسعة أسياف لكل منها اسم ودروعه سبع وقسيه ست وثلاثة اتراس وخمسة رماح وقال مغلطاى أربعة ومغفران وراية سوداء يقال لها العقاب مربعة وراية بيضاء أو صفراء وكان مكتوبا على راياته صلى الله تعالى عليه وسلم * لا اله الا الله محمد رسول الله * وفى الميزان انها لم تكن الا بيضاء ولم يبين ماوجد منها عند موته وأما بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم فهى الدلدل التى أهداها له المقوقس وعاشت بعده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ذهبت أسنانها فكان يجش لها الشعير ثم ماتت بالينبع وقيل انها بقيت لخلافة معاوية رضى الله تعالى عنه وان عليا كرم الله وجهه قاتل عليها وأما بغلته فضة فوهبها لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه والارض المذكورة فدك والنضير وأرض بخيبر وهى مفصلة ومعنى كونها صدقة أنه وقفها لمصالح المسلمين والوقف يسمى صدقة وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يأخذ منها نفقته ونفقة عياله بقدر الحاجة ويتصدق بباقيها فكل ما عنده صلى الله تعالى عليه وسلم كان مرصدا لاملاكا فلذا لم يورث عنه كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأما قوله تعالى يرثنى ويرث من آل يعقوب فالمراد منه انه يرث علمه وحكمته وشرفه كما صرحوا به وضمير جعلها للارض والجملة صفة أو مستانفة استئنافا بيانيا أو الضمير للمذكورة (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الشيخان (ولقدمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى بيتى شئ يأكله ذو كبد) هو كناية على كل حيوان انسانا أو غيره والكبد معروف وهو أحد الاعضاء الرئيسة وخصه لان منه يصل الغذاء الى الجسد كله وهذا مناف لقولها ماترك درهما ولا دينارا ولا شيا ووفق بينهما بان المنفى هنا ما كان مختصا بها من بقية نفقتها او المراد بالشئ وان كان عاما ما كان من جنس المال والمتاع او هو لعدم الاعتداد بما ذكر لقلته (الاشطر شعير) الشطر النصف كالشطير أو البعض مطلقا وفى النهاية أراد به نصف مكوك أو نصف وسق والمكوك المد وقيل الصاع (فى رف لى) بفتح الراء المهملة وتشديد الفاء شبه الطاق فى الحائط و يطلق على خشبة عريضة ترفع عن الارض تعد لوضع ما يراد حفظه وهو الرفرف أيضا والاول أقرب لان الخشبة لاتحتمل وضع هذا المقدار عليها وتتمة الحديث فاكلت منه طويلا ثم كلته ففنى وفيه اشارة الى أن الكيل كالعد يذهب البركة وقد وردت له نظائر كما فى مسلم عن جابر رضى الله تعالى عنه ان رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال هو وامرأته ووصيفه يأكل منه حتى كاله فاتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبره فقال لو لم تكله لم ينفد قيل لما فيه من الحرص وعدم التوكل والتمسك بالاسباب المعتادة وأما ما ورد فى حديث المقدام كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فاجيب عنه بانه عند التبايع لحق المشترى فتامل (وقال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لى) أى لعائشة وفى شرح ابن اقبرس وقال الى بدل اللام أى ادن واقربى الى فطلب صلى الله تعالى عليه وسلم دنوها منه ليسارها وقال حكاية لحال ماضية (انى عرض على) بالبناء للمجهول وفى رواية عرض على ربى

(وفى حديث عمرو بن الحارث) أخو جويرية من امهات المؤمنين ولابيه صحبة كما رواه البخارى عنه (ماترك) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى نسخة (الا سلاحه) بكسر أوله والمراد سيوفه ورماحه وقسيه ودروعه ومغافره وغير ذلك مما علقه الحلبى على البخارى (وبغلته) أى البيضاء وهى دلدل (وارضا جعلها صدقة) الاقرب ان الضمير الى الارض وجعلها صدقة لا ينفى كونها مخلفة عنه بطريق تكلمه عليها لكونه ناظرا لها والانسب عوده الى الجميع والمعنى جعلها بعد موته صدقة كما حقق فى حديث نحن معاشر الانبياء لانورث ما تركناه فهو صدقة ثم الاستثناء مفرغ أى ما ترك شيا يعتد به الا ماذكر ونحوه ان ثبت انه ترك غيره (قالت عائشة رضى الله تعالى عنها) كما رواه الشيخان (ولقدمات وما فى بيتى) اللام ابتدائية أو قسمية والواو حالية أى لهو قد او والله لقد مات والحال انه ليس فى بيتى (شئ يأكله ذو كبد) بفتح فكسر ويجوز سكونه مع كسر وفتح أى ذو حياة وخص الكبد لانه منبع الدم (الاشطر شعير) لعله نصف صاع وقال الترمذى أى شئ من شعير ثم المختار رفعه على البدلية ويجوز نصبه على الاستثناء (فى رف لى) بفتح راء وتشديد فاء خشب يرفع عن الارض فى جدار البيت يرقى عليه ما يراد حفظه وهو الرفرف أيضا وفى الصحاح الرف شبه الطاق وتمام الحديث فاكلت منه حتى طال على فكلته ففنى وهو متفق عليه ثم قالت (وقال لى) أى تسلية لحالى (انى عرض على) بنى للمفعول وحذف فاعله اجلالا له

(أن يجعل لى) بالتذكير أو التأنيث أى يصير و يقلب لاجلى (بطحاء مكة) أى حصاها أو مسيلها (ذهبا فقلت لا) أى لا أختاره (يارب) فاخترلى (أجوع يوما) أو معناه لا أريد بل أريد ان أجوع يوما أى وقتا (فاصبر) وقدمه لانه مذكر للافتقار اليه و باعث للاتكال عليه ومبالغة فى احتقار عرض عرض الدنيا الدنيه (وأشبع يوما) أى وقتا آخر (فاشكر) لا كون مؤمنا كاملا فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر كما فى حديث واليه يشير قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور وهذا مقام الانبياء والاولياء من أرباب الكمال وهو التربية بنعتى الجلال والجمال ثم بين ما يترتب على كل منهما من حسن الحال بقوله (فاما اليوم الذى أجوع فيه فاتضرع اليك) أى أتذلل وألتجئ (وأدعوك) بما أومل لديك (وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك) أى فاشكرك (وأثنى عليك) وصنيعنا فى تفسير الحمد بالشكر أولى من قول الدلجى ان العطف تفسيرى فان التأسيس أولى من التأكيد لاسيما ومقام النعمة يقتضى الشكر الموجب للمزيد ومما يؤيده أيضا ما رواه الترمذى بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال الدلجى لا أدرى من رواه بهذا اللفظ قلت فكان ينبغى ان يذكر من رواه بهذا المعنى ليكون مؤكدا له فى المبنى والحاصل من كلامه ونقل غيره (ان جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام) أى يسلم عليك وفى القاموس قرأ عليه السلام أبلغه كاقرأه ولا يقال اقرأه (فاطرق
الا اذا كان السلام مكتوبا وفى الاكمال أقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء رباعيا فاذا قلت يقرأ عليك السلام ففتح الياء وقيل هما لغتان و بهذا يندفع ما تكلف الدلجى بقوله يقال اقرأ فلانا السلام كانه حين يبلغه سلامه يحمله على ان يقرأ السلام و يرده (ويقول) أى الله سبحانه وتعالى (لك) أى اعتبارا أو اختيارا (أتحب ان أجعل هذه الجبال) من الصفا وأبى قبيس وغيرهما مما حوالى مكة وأطرافها أو جنس هذه الجبال بانواعها وأصنافها (ذهبا وتكون) أى جبال الذهب (معك حيثما كنت) أى من جهة الشرق والغرب وما بينهما وما مزيدة للتاكيد

يقال عرض له وعليه اذا أظهره له وأراه اياه والمراد اعلمه بالوحى (ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا) البطحاء والابطح واد تجرى فيه السيول أو بطن واد فيه رمل وحصى أو مكان لا ينبت لانه مسيل وهو مما غلب عليه الاسمية والمراد بجعله ذهبا ان يملأه به أو ان يقلب حصاه ورماله ذهبا وقلب الاعيان كانشائها من العدم غير مستحيل لوقوعه والله قادر على كل شئ (فقلت لا يارب) أى لا أريد جعل البطحاء ذهبا (أجوع يوما وأشبع يوما) استئناف كانه قيل له فاتريد قال أريد الفاقة وان أكون تارة جائعا وتارة شبعان لزوما لمقام العبودية والافتقار الى الله ثم بين ما يكون عليه فقال (فاما اليوم الذى أجوع فيه فاتضرع اليك) فيه والتضرع الدعاء بتذلل وانكسار من الضراعة وهى الذلة والالتجاء (وأدعوك) أى أطلب منك وفى الدعاء مناجاة والتجاء ومعاملة مع الله وان كان عالما بذلك (وأما اليوم الذى أشبع فيه فاحمدك وأثنى عليك) لما أنعمت به على ولا وجه لما قيل هنا من انه تعليم لفقراء أمته والا فلو جعلت له الدنيا ذهبا لم يشغله ذلك عن الله طرفة عين الى غير ذلك مما أطال فيه بغير طائل على عادته وهذا الحديث رواه الترمذى عن أبى امامة رضى الله تعالى عنه بلفظ فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك فاذا شبعت شكرتك وحمدتك (وفى حديث آخر) قال السيوطى لم أجده هكذا ولكن البيهقى رحمه الله تعالى أخرجه فى الزهد من طريق عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوما ما أمسى لآل محمد كف سويق ولا سفة دقيق فاتاه اسرافيل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله سمع ماذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فقلت الى آخره وأخرج ابن سعد وابن عساكر فى تاريخه من حديث عائشة رضى الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو شئت لسارت معى جبال الذهب ولاحمد فى الزهد عنها والله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة وللطبرانى نحو منه من حديث أم سليم رضى الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لو سالت الله ان يجعل تهامة كلها ذهبا لفعل وأخرج أحمد حديث الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له مختصرا عن عائشة رضى الله تعالى عنها * قلت فاذكره المصنف رحمه الله رواية بالمعنى من عدة أحاديث (ان جبريل نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له ان ربك يقرئك السلام) أى يسلم عليك ويحييك تحية اكرام قال فى الاكمال اقرأته السلام وهو يقرئك السلام بضم الياء من المزيد فاذا قيل يقرؤ عليك السلام بعلى ففتح الياء لا غير وقيل هما لغتان وهو مهموز لا معتل و يجوز ابدال همزته واوا وياء ومعنى اقرأه حمله على أن يقرأ عليه سلامه أى يبلغه اياه فهو مجاز مرسل لمطلق التبليغ ماخوذ من القراءة ومعنى قرأه عليه ذكره له (ويقول لك أتحب أن أجعل لك هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت) أى تسير معك وتتوجه انى توجهت

(فاطرق ساعة) أى خفض رأسه تأدبا وتفكرا مع سكوته انتظارا لما يلهمه ربه من الخيرة كما ورد فى دعائه اللهم خرلى واخترلى ولا تكلنى الى اختيارى (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) أى فى المآل (قد) للتقليل (يجمعها) أى يريد جمعها (من لا عقل له) أى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها (فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) الجملة دعائية أو خبرية والمراد ههنا بالقول الثابت هو الحق المطلق المحقق وان ورد فى التنزيل فى جواب المؤمن للملكين فى القبر حيث قال تعالى يثبت

(فاطرق ساعة) أى طأطأ رأسه يفكر فيما يجيبه به صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له) الدنيا تقابل الآخرة لانها فعلى من الدنو وهو القرب وتطلق على هذا العالم المشاهد وكل ما فيه من المال وغيره وعلى الارض التى هى مقر العالمين وبهذا الاعتبار تسمى دارا وقوله دار من لا دار له أى لانها فانية لا يقيم فيها أحد ولذا شبهت بالخان الذى ينزله المسافرون وبالقنطرة بل بالسفينة كما قال

وانا لفى الدنيا كركب سفينة * نظن وقوفا والزمان بنا يسرى

وقوله مال الى آخره أى انما يملكه المرء فيها سيسلب منه فهو عارية أو وديعة فصاحبه لا يملك له حقيقة فكل غنى فيها فقير وليس هذا من قبيل فرط من لا فرط له وذخر من لا ذخر له (قد يجمعها من لا عقل له) قد للتحقيق لان من جمع الدنيا كثير او هى لتقليل جمعه وحيازته لها فانه يجمعها بعد بلوغه ورشده لموته ثم يفقدها الى ما لا نهاية له أو لما تعلق الفعل فان متاع الدنيا بالنسبة لغيره قليل وعلى هذا حمل قوله قد يعلم ما أنتم عليه وانما هم عليه بالنسبة لبقية معلوماته أقل قليل أو هى مستعارة هنا كما للتكثير كقوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وان كان فى البيت نزاع ليس هذا محله وجعله لا عقل له لتنزيل وجود عقله منزلة العدم اذ لم يصرفه فيما يتعلق بالآخرة ويهديه الى الاكتفاء من الدنيا بزاد المسافر الذى يبلغه منزله فان العاقل من كان كذلك ولذا قال الفقهاء لو أوصى لاعقل الناس صرف للزهاد وقال الشاعر

ان لله عبادا فطنا * طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا * انها ليست لحى وطنا
جعلوها لجة واتخذوا * صالح الاعمال فيها سفنا

(فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت) المراد بالقول الثابت الحق لانه دائم لا يزول أو المراد به حق مخصوص بمقالته وهو امداء له أو اخبار بان الله امتن عليه فانه بمحض فضل الله ولطفه فانه الذى ثبته على هذا (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث صحيح رواه الشيخان انها (قالت ان كنا آل محمد) المراد بآله أهل بيته عليه الصلاة والسلام وله معان أخر مشهورة وان مخففة من الثقيلة (لنمكث شهرا ما نستوقد نارا) أى ما نوقد نارا فالسين للتأكيد أو المراد ما نطلب من أحد نارا نوقدها وهذا كناية عن انه ليس لهم ما يطبخ (ان هو الا التمر والماء) وان نافية وهو ضمير الطعام والمأكول أى ما عندنا ما يؤكل ويتغذى به الا التمر والماء وروى وانما هو الاسود ان التمر والماء قيل هذا كان فى بعض الاحوال (وعن عبد الرحمن بن عوف) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه عنه الترمذى والبزار وغيرهما باسناد جيد

الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول الدلجى فى هذا المقام أى أدامك على قول لا اله الا الله لا يناسب المرام كما لا يخفى على الكرام ثم فى الحديث برهان على امكان قلب الاعيان هذا وقد رواه أحمد الدنيا دار من لا دار له قد يجمعها من لا عقل له والبيهقى ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل يوما ما أمسى لآل محمد كفة سويق لاسفة دقيق فأتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى اليك بمفاتيح الارض وأمرنى ان أعرض عليك ان أحببت ان أسير معك وجبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية لاحمد والله لو شئت لاجرى الله معى جبال

 الذهب والفضة ولابن سعد وكذا لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وللطبرانى لو سألت الله ان يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل (وعن عائشة) كما رواه الشيخان (قالت ان) قال الانطاكى ان كلمة تأكيد بمعنى قد واللام للتأكيد أيضا وقيل ان نفى واللام استثناء والاظهر الاشهر ان ان مخففة من المثقلة وقد روى انا (كنا آل محمد) يجوز رفعه على البدل من المضمر ونصبه على الاختصاص والثانى أظهر (لنمكث شهرا) أى قدره (ما نستوقد نارا ان هو) أى ما قوتنا (الا التمر والماء) وفى رواية الاسودان (وعن عبد الرحمن بن عوف) على ما رواه الترمذى والبزار بسند جيد

(هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى توفى والهلاك بمعنى الموت مطلقا مستعمل فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه وأما اختصاصه بميتة السوء كالقتل فعرف طار ولذا كثر استعماله فى الاعداء فيقال هلك عدو الله وقد ورد فى الحديث والاهانة انما تفهم من ذكر العدو ونحوه * قلت فلا يجوز لنا الآن اطلاقه على من كرمه الله والصحابة ونقتصر فيه على ما ورد منه من غير نكير كما ورد فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام حتى اذا هلك قلتم الخ وكذا ورد فى حق غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا يختص بمن استحق العذاب الا بقرينة (ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير) وأول الحديث عن نوفل بن اياس الهذلى قال كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه جليسا لى وكان نعم الجليس وانه انقلب بنا ذات يوم حتى اذا دخلنا بيته دخل فاغتسل ثم خرج وأتانا بصحفة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى عبد الرحمن بن عوف فقلت يا أبا محمد ما يبكيك قال هلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو ولا أهل بيته من خبز الشعير فلا أرانا أخرنا لما هو خير لنا وقد تقدم أنه ورد فى معناه أحاديث كثيرة متقاربة المعنى وتقدم ما فيه من الاشكال وجوابه والى تقويه هذا أشار بقوله (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وأبى امامة وابن عباس رضى الله تعالى عنهم نحوه) أما حديث عائشة رضى الله تعالى عنها فما فى الصحيحين عنها انها قالت ما شبع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خبز شعير يومين حتى قبض وحديث أبى امامة رضى الله تعالى عنه فى الترمذى بهذا اللفظ أيضا وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه هو المذكور عقب هذا بقوله كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى آخره كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى وسياق كلامه يأباه ولو كان مراده هذا اكتفى بذكره والاحسن انه ما فى الصحيحين أيضا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان عمر رضى الله تعالى عنه حدثه انه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد اعتزل نساءه فاذا هو مضطجع على حصير قد أثر بجنبه فقلبت عينى فى خزانته فاذا هى ليس فيها شئ غير قبضتين من شعير وقبضة من تمر فابتدرت عيناى فقال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقال مالى لا أبكى وأنت صفوة الله من خلقه وهذه الاعاجم فى النمارق والانهار وأنت هكذا قال يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا فقلت بلى يا رسول الله قال فاحمد الله عز وجل (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا) حال من ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقل طاوين لان المقصود حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وحال أهله يعلم من حاله لانهم يتبعونه فى كل حال وطاويا بمعنى جائعا لان الطوى الجوع كما ذكره الجوهرى والليالى منصوب على الظرفية وقوله (لا يجدون عشاء) بفتح العين والمد الطعام الذى يقابل الغداء وخصه لقوله يبيت والمراد به مطلق الطعام وهذا الحديث أخرجه الترمذى وابن ماجه (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه البخارى (قال ما أكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر الخاء المعجمة وضمها فارسى معرب ويقال اخوان بزنة اكرام أيضا وهو والمائدة والميدة بمعنى وان فرق بينهما فى الاصل بان الخوان ما يوضع عليه الطعام قبل وضعه وبعده يسمى مائدة والاكل عليه عادة المتكبرين حتى لا يحتاجوا للانحناء اذا أكلوا وقيل انه عربى من التخون وهو النقص ويجمع على أخونة وخون وأما السفرة بالضم فالطعام المعد للسفر وتكون بمعنى ما يوضع عليه الطعام من الاديم أيضا (ولا فى سكرجة) قال الجوالقى هى بضم السين المهملة

(هلك) واعترض بان الصواب نحو توفى وقبض لان الهلاك أكثره فى العذاب وفى موت الكفار ويمكن دفعه بانه قال تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك وفى نسخة قال هلك أى مات (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير) أى فضلا عن خبز البر فلا عبرة بما يتوهم من قيده باعتباره فهومه من حصول شبعه من غيره (وعن عائشة وأبى امامة وابن عباس نحوه) أى بمعناه مع اختلاف مبناه (قال ابن عباس) كما روى ابن ماجه والترمذى وصححه (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة) أى فيها بايامها (طاويا) حال منه لانه الاصل والاعلى أو من أهله فهو بالاولى (لا يجدون) أى أهله أو هو وأهله (عشاء) وهو تاكيد لما قبله ولعل الاقتصار على العشاء للايماء بانه الاهم من الغداء (وعن أنس) برواية البخارى (قال ما أكل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على خوان) بكسر أوله ويضم أى مائدة أو هو ما يؤكل عليه من نحو كرسى على عادة المترفهين لئلا يفتقروا الى الانحناء حال أكلهم وسئل قتادة على ما كانوا يأكلون يعنى الصحابة قال على السفر (ولا فى سكرجة) بضم الثلاثة وضم وتشديد الراء وجوز فيها الفتحة اناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم فارسى معرب وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات فى أطراف الماكولات

(ولاخبزله) بصيغة المجهول الماضى (مرقق) بصيغة المفعول أى ارغفة واسعة رقيقة وتسمى الرقاق كطويل وطوال وقيل اللين الابيض المسمى بالحوارى (ولارأى شاة سميطاقط) فعيل بمعنى مفعول أى مسموطا بمعنى مشويا بجلده فان الغالب سمطها بان ينزع صوفها بالماء الحار بعد تنظيفها من القاذورات واخراج مافى بطنها من النجاسات والاخرام فى أصح الروايات وكذا حكم الرؤس والدجاجات والسمط لايحسن الافى صغار الغنم (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) برواية الصحيحين (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى الخاص كما بينته بقولها (الذى ينام عليه أدما) بفتحتين أى جلدا مدبوغا وقيل الاحمر منه وقال الدلجى جلدا أسود (حشوه ليف) بكسر اللام أصول سعف النخل (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها) أى ابنة عمر أم المؤمنين كما فى الشمائل للترمذى (كان فراش النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيتى) أى مكانى المنسوب الى ووقع فى أصل الدلجى بلفظ فى بيته وتصح الاضافة بادنى الملابسة وانما الكلام فى ثبوت الرواية (مسحا) بكسر الميم بلاسا من شعر أبيض وقيل من أسود (بثنيه) بكسر النون المخففة أى نطويه (ثنيتين) بكسر المثلثة أى عطفتين أوطيتين وفى نسخة ثنيين بالتذكير على المصدر وفى أخرى ثنتين أى مرتين (فينام عليه) وهذا من دأبه وعادته فى كل وقته (فثنيناه له ليلة باربع) أى أربع طاقات والباء من باب الزيادات وبات عليه من غير شعوره ابتداء به لاستغراقه فى شهود نوره ووجوده حضوره (فلما أصبح قال مافرشتم لى الليلة) استفهام انكارى أواستعلام (فذكرنا ذلك له) أى ثنيه اربعا ليوجب له راحة ونفعا (فقاله ردوه بحاله) أى على وفق عادتى (فان وطأته منعتنى الليلة صلاتى) أى لينته منعتنى كمال حضورى فى طاعتى أوشغلتنى عن القيام لصلاتى وقراءتى (وكان) كما رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه (ينام أحيانا) أى فى بعض الاوقات (على سرير مرمول بشريط) أى منسوج بحبل مفتول من سعف

وضم الكاف وفتح الراء المهملة المشددة وجيم وهاء وهى أعجمية معربة وقيل الصواب أسكرجة بهمزة مضمومة وقد جاء فى الحديث الصحيح بدون همزة ومعناه مقرب الخل ولذا قيل معناها قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات فى الجوانب المائدة فيها ما يعين على الهضم وقيل قصعة مدهونة وقيل انها مائدة صغيرة وعلى كل فهى مما يصنعه العجم والمقلدون لهم من المتكبرين والجيم والهاء علامة التصغير عندهم وقيل فيها أيضا سكيرجة (ولاخبزله مرقق) بالبناء للمجهول ومرقق بوزن معظم رقيق الخبز كالرقاق وقيل هو المنبسط الرقيق وقيل هو الحوارى والسميذ بدال مهملة أو معجمة وفى رواية مرققا بالنصب تمييزا ومفعول ثان لخبز لتضمنه معنى الجعل والمراد ان خبزه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يجعل من بياض الدقيق لانهم لم يكن لهم مناخل (ولا رأى شاة سميطاقط) سميط فعيل بمعنى المفعول أى لم يطبخ له صلى الله تعالى عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها أى غليها فى الماء الحار حتى يذهب شعرها ثم تشوى وظاهر كلامهم انها لم تسلخ وان ماذكر فى الحملان الصغيرة (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها) فى حديث رواه الشيخان (انما كان فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى ينام عليه ادما) بفتح الهمزة والدال المهملة والميم اسم جمع لاديم وهو الجلد المدبوغ اللين انه مخصوص بالاسود (حشوه ليف) والليف مايكون من النخل وهو معروف (وعن حفصة رضى الله تعالى عنها) بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أم المؤمنين وحديث حفصة رواه الترمذى فى الشمائل منقطعا وحديثها لاينافى حديث عائشة المتقدم لجواز كون ان كلا منهما ذكرت فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى كان عندها (قالت كان فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى بيته مسحا) بكسر الميم وسكون السين المهملة وبعدها حاء مهملة وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء ويقال له حنبل وقيل هو ثوب أسود من شعر يلبسه الزهاد وقيل هو ثوب من الشعر والوبر والصوف يلبس ويجلس عليه وجمعه مسوح وعلى كل حال فهو شئ غليظ يتنزه عن مثله أصحاب الترفه (تثنيه ثنيتين فينام عليه) الثنى بكسر فسكون والمثنى ماثنى بعضه على بعض وعطف أى يجمع بعضه على بعض مرتين حتى يكون أثخن وأوطأ للنوم عليه وتثنيته ثنتان وجمعه اثناء وروى ثنتين بمثناة فوقية مكان الياء المثناة التحتية والمعنى واحد والنسخة الاولى أصح وأشهر (فثنيناه له ليلة باربع) طاقات ليكون الين مما دام من الثنيتين (فلما أصبح صلى الله تعالى عليه وسلم قال مافرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له) وهو انهم جعلوا فراشه أربع طاقات (فقال ردوه بحاله) الاول وهو الثنيتان (فان وطأته) بفتح الواو والطاء المهملة والمدة وتاء تأنيث مضاف لضمير الفراش فوزنه فعالة أوفعلة بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن فعلة أى لينه تحت جنبى لكثرة طاقاته وتضعيفها (منعتنى الليلة صلاتى) أى ان لينه لذله عليه السلام النوم فنام أكثر من معتاده لان فراشه ممهد لم يؤذه حتى ينبهه فانقطع عن بعض القيام لتهجده ليلا لزيادة نومه (وكان صلى الله تعالى عليه وسلم ينام أحيانا على سرير مرمول) ونومه الاول على فراش على الارض ومرمول براء مهملة وميمين بمعنى منسوج (بشريط) أوغيره والشريط بشين معجمة وراء وطاء

(حتى يؤثر) أى يظهر أثر خشونة الشريط (فى جنبه) لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه قيل حتى ابتدائية والصيغة المضارعية حكاية الحال الماضية وقيل مرادفة لكى التعليلية والاول أظهر فتدبر (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ) بهمزه هو الصحيح وفى نسخة بلام مفردة ولعل وجهها التخفيف المسهل ثم معاملة المعتل فتامل أى ما امتلأ (جوف

مهملتين بينهما ياء مثناة تحتية حبل مفتول من خوص النخل أو سعفه مع حبال وواحده شريطة (حتى يؤثر) حبال شريطه (فى جنبه) لكونه بغير فراش يحول بينه وبينه وهذا من حديث طويل رواه الشيخان والترمذى وفيه وتحت رأسه وسادة من ادم حشوها ليف وفى معناه أحاديث أخر (وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا قط) قال التلمسانى فيه أربع لغات فتح الشين المعجمة وكسرها مع سكون الموحدة وفتحها وقال البرهان هو بفتح الموحدة نقيض الجوع وبسكونها ما يشبع والظاهر هو الاول وقيل عليه ان كان ظهوره بحسب الرواية فسلم وأما بحسب الدراية فالظاهر الثانى لانه اسم عين وعلى الاول اسم معنى والامتلاء منه مجازى كامتلأ غضبا وقيل عليه ان المجاز أبلغ من الحقيقة فهو أولى رواية ودراية فالبرهان مع البرهان وفيه نظر وهذا يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشبع ولكنه لا يمتلئ جوفه بتمامه منه فان المطلوب تقليل الطعام والاقتصار على ما يقوم به الاود ثم ملأ ثلث بطنه فان ثلثا للزاد وثلثا للماء وثلثا للنفس فان زاد فنصفها وما زاد على ذلك حرص وبطنه غير ممدوحة وقد يحرم ان وصله للضرر والتخمة قصدا كما ان أول مراتبه واجب (ولم يبث شكوى الى أحد) بفتح الياء التحتية وضم الباء الموحدة وتشديد المثلثة بمعنى يذكر ويظهر يقال بث الخبر وأبثه اذا نشره ويقال أيضا نثه بالنون وبه ماروى قول قيس

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بث وتكثير الحديث قمين

والشكوى مذمومة فالذى يليق بمقام العارفين الصبر وكتم ما بهم لاسيما والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسر بكل ما يأتيه من الله ولا يعده مؤلما بل يتلذذ به فكيف يتصور شكواه والى هذا أشار بقوله (وكانت الفاقة) وهى الحاجة والفقر (أحب اليه صلى الله تعالى عليه وسلم من الغناء) قيل هذا يقتضى ان الفقر أفضل من الغناء وقد أختلف فيه على قولين ولكل منهما أدلة كقوله تعالى ووجدك عائلا فاغنى حيث امتن عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنى ولا دليل فيه لانه امتن عليه بقضاء حاجته والمفضول قد يكون فى مقام له منة تزيد على الفاضل ولا فى قوله ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فانه لم يذم الغناء بل ما قد يترتب عليه وكذا كون حساب الفقير أخف والمختلف فيه هل الغنى الشاكر خير أم الفقير الصابر فذهب الى كل منهما قوم من العلماء لحديث ذهب أهل الدثور بالاجور وحديث ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم من أيام القيامة وهو خمسمائة عام الى غير ذلك من الاحاديث الواردة فى الجانبين وقال الغزالى رحمه الله تعالى قد انكشف ان الفقر هو الافضل لكافة الخلق الا فى موضعين غنى يستوى فيه الوجود والعدم ويستفاد به دعاء المساكين وقضاء حوائجهم كغنى بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم وفقر يكون مع الضرورة حتى يكاد يكون كفرا فالاول خير محض وهذا الاخير فيه بوجه من الوجوه والممدوح غنى النفس لا غنى المال من حيث هو والفضل كله فى الكفاف والاقتصار على مقدار الحاجة ولذا طلبه صلى الله تعالى عليه وسلم له ولآله (وان كان ليظل جائعا) ان مخففة من المكسورة الهمزة المثقلة النون والجملة حالية ويظل بفتح المثناة التحتية والظاء المشالة من اخوات كان وأصل معنى ظل فعله نهارا لانه زمان يبدو فيه الظل ثم استعمل لدوام الفعل

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شبعا) بكسر ففتح وقد يسكن وقيل الاول نقيض الجوع والثانى ما شبع من الشئ فالمعول هو الاول اذ نصبه على التمييز فتامل (قط) أى أبدا ولعل مرادها غالب أحواله أو شبعا مفرطا غير مناسب لكماله (ولم يبث) بضم موحدة وتشديد مثلثة أو بضم أوله وكسر ثانيه أى لم ينشر ولم يظهر (شكوى) أى شكايته ولا بطريق حكايته فى جميع حالاته (الى أحد) من أصحابه وزوجاته لقوله تعالى فى ضمن آياته حكاية عن يعقوب فى شدة ما ابتلاه قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله (وكانت الفاقة) أى الحاجة الملازمة من الفقر المقتضى للصبر (أحب اليه من الغنى) المقتضى للشكر وهذا صريح فى تفضيل الصبر على الشكر كما ذهب اليه أجلاء الصوفية وأكثر علماء الفقهية هذا وقد ورد لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة على ما رواه الترمذى عن فضالة بن عبيد (وان) مخففة من المثقلة أى وانه (كان ليظل) بفتح الظاء المعجمة وتشديد اللام أى يكون فى طول النهار (جائعا لى) بهمزة مكسورة

ليلا

(يلتوى) أى حال كونه يتقلب ويضطرب (طول ليلته من الجوع) أى من استمرار جوعته أو من أجل حرارة لذعته ولذا ورد اللهم انى أعوذبك من الجوع فانه بئس الضجيع كما رواه الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود مرفوعا وهذا كله لكمال زهده فى الدنيا واقبال قلبه على الاخرى بناء على رضى المولى (ولا يمنعه) أى جوعه (صيام يومه) أى الذى فيه ولو كان نفلا أو صيام يوم عادته فى مستقبله وهذا بيان بعض شدة حاله (ولو شاء) أى الغنى وما يترتب عليه من التنعم وحصول المنى ووصول الهدى (سأل ربه جميع كنوز الارض) أى استدعاء لاسيما وقد عرضها مولاه (وثمارها) يجوز نصبها وهو الاشهر فى المبنى وجرها وهو الاظهر فى المعنى أى جميع ثمار أشجارها أو جميع فوائدها وعوائد فرائدها (ورغد) والرغد بفتحتين ويسكن على ما فى القاموس (عيشها) أى سعة معيشتها وطيب منفعتها (ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به وأمسح بيدى على بطنه مما به من الجوع) أى من أثر جوعه المختص به وهذا يدل على انه كان يطعم أهله ويؤثرهم على نفسه (وأقول) أى والحال انى أقول حينئذ (نفسى لك الفداء) بالمد تفاديا به من ألم الجوع وشدته ومرارة حرارته (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) بضم قاف أى لو توسعت من البلغة وتوصلت الى المتعة بقدر ما يقويك على قيام الطاعة ويعينك على زيادة العبادة لكان أولى من هذه الحالة فجواب لو مقدر وما قدرناه أحسن من التقدير المشهور وهو لكان أحسن ويجوز ان يكون لو للتمنى ويشير الى ما اخترناه ما صدر عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من الجواب الدال على ان ما اختاره هو الصواب (فيقول يا عائشة مالى وللدنيا) استفهامية انكارية أى لا حاجة لى اليها ولا اقبال لى عليها قال التلمسانى قيل يجوز ان يكون ما استفهامية وتقديره أى الفة ومحبة لى معها حتى أرغب فيها وقيل يجوز ان يكون ما نافية أى ليس لى الفة الى آخره انتهى ثم بين سبب اعراضه عنها بقوله

ليلا ونهارا وهو المراد (يلتوى طول ليلته من الجوع) بتقديم اللام على التاء الفوقية وواو مخففة مكسورة وفى نسخة يتلوى بياء مثناة مفتوحة وفوقية مفتوحة ولام كذلك وواو مشددة مفتوحة يليها ألف ومعناه يتقلب على فراشه من ألم الجوع من لواه ليا اذا صرفه عن جانب لآخر قال تعالى لووا رؤسهم وهذا الزهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الدنيا وصبره على مشاقها ليقمع شهوته ونفسه ويقهرها ويرشد أمته لذلك كما بينه بعد وقوله (فلا يمنعه) ذلك أو جوعه (صيام يومه) بالنصب بيمنع أو بنزع الخافض أى عن صيام يومه يقال منعت الرجل عن الشئ فامتنع وقوله (ولو شاء) صلى الله تعالى عليه وسلم الغنى أو الشبع وشاء كثيرا ما يحذف مفعولها بعد لو لدلالة جوابها عليه (سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها) ما بعد الكنوز يجوز جره عطفا عليه ونصبه عطفا عن جميع والكنوز جمع كنز وهو معروف والثمار جمع ثمرة وهى ما يحصل من الاشجار ونحوها وقد يراد به كل ما يستفاد من غيره كما يقال ثمرة العلم العمل ويجوز ارادته هنا ورغد بفتحتين وقد يسكن ثانيه يقال فيه رغيد وأرغد والعيش بمعنى المعيشة والمراد ما يتعيش به وأصل معنى الرغد الواسع يقال أرغد فلان اذا أصاب رغدا أى سعة وخصبا وغيره (ولقد كنت أبكى له رحمة مما أرى به) وفى نسخة لما أرى به أى مما أشاهده به أو مما أعلمه به (وأمسح بيدى على بطنه) كانه بمسحه يستريح بذلك كما كان يضع الحجر عليه ليبرده ويشد صلبه وهذا للشفقة (مما به من الجوع) أى من ألمه ثم تبين ان ذلك شفقة بقولها (وأقول نفسى لك الفداء) تقدم ان الفداء بالكسر والفتح والقصر والمد وهو ما يفدى به الاسير ونحوه فيجعل عوضا عنه ويقال افديه بنفسى وبامى وبابى ومالى وقد يقال بنفسى من غير ذكر للفداء وتسمى الباء باء التفدية وهذا جائز بل مستحب لصدوره منه صلى الله تعالى عليه وسلم فيقال لمن له شرف كالحكام والعلماء والصلحاء وأعزة الاخوان قصد التوقير واستعطافه ولو كان محظورا كما قيل ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم ونهى عنه من قاله له وقد قال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه فديناك بآبائنا وامهاتنا وقال صلى الله تعالى عليه وسلم لسعد ارم فداك أبى وأمى ومنعه قوم لحديث مالك بن فضالة ان الزبير رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شاك فقال كيف تجدك جعلنى الله فداك فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم مازلت على اعرابيتك بعد قيل ولا حجة فيه لما ادعوه لان الحديث الواحد لا يقاوم الاحاديث الصحيحة الكثيرة الواردة بخلافه ولاحتمال انه انما نهاه عنه لوروده فى غير محله لانه لا ينبغى ان يقال ذلك للمريض بل يتوجع له ويقال لا بأس عليك وعافاك الله وشفاك ونحوه ولكل مقام مقال لا لان القائل له كان أبواه مشركين ولا لانه من خصوصياته لان من قائليه من ليس كذلك والاصل عدم الخصوصية (لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك) التبلغ مفعل من البلاغ وهو مقدار الكفاية يقال تزود من دنياك بالبلاغ مأخوذ من الزاد الذى يبلغ به المسافر منزله وضمنه هنا معنى اكتفيت أى لو اكتفيت منها بالكفاف من القوت من غير ضرورة ومخمصة ولو للتمنى (فيقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها (مالى وللدنيا) قيل ما نافية أى ليس لى الفة ومحبة مع الدنيا حتى أرغب

(اخوانى من أولى العزم من الرسل) أى كلهم وأجلهم (صبروا على ماهو) أى على أمر عظيم هو (أشد من هذا) أى مما أنا صابر عليه لما روى ان بعضهم مات من الجوع و بعضهم من شدة اذى القمل وبعضهم من كثرة الجراحات وشدة الامراض والعاهات وقد خصنى الله تعالى فيما احثنى وحضنى على الاقتداء بهم بقوله سبحانه وتعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم وفيه ايماء الى ان العبرة فى الكتاب والسنة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (فضوا على حالهم) أى التى كانوا عليها مما يقتضى الصبر ولم يطلبوا من ربهم السعة ولا دفع المضرة نظرا الى كمال حسن مآلهم (فقدموا على ربهم) راضين بقضائه صابرين على بلائه شاكرين على نعمائه (فاكرم مآبهم) أى مرجعهم اليه (وأجزل) أى أعظم (ثوابهم) لديه (فاجدنى استحيى) بيائين وفى نسخة بياء واحدة أى فارى نفسى مستحيية (ان ترفهت) أى لو تنعمت (فى معيشتى ان يقصر بى) بتشديد الصاد المفتوحة (غدا دونهم) أى دون مرتبتهم وتحت درجتهم وهمتى ان أكون فوق جملتهم (ومامن شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى) أى فى الجملة (واخلائى) أى أحبائى فى الملة (قالت فـأقام) أى فى الدنيا (بعد) بالضم أى بعد قوله ذلك (الاشهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) غاية لاقامته أى الى ان مات وانتقل الى رحمة ربه وهذا يدل على اختياره الفقر فى جميع أمره الى آخر عمره قال الدلجى رحمه الله تعالى لم أدر من روى هذا الحديث لكن روى ابن أبى حاتم فى تفسيره عنها قالت ظل رسول صلى الله تعالى عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما قال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى الا ان يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وانى والله لاصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة الا بالله قال التلمسانى هنا مسئلة وهى من قال مالى صدقة على أعقل الناس فافتى الفقهاء على انه يعطى الزهاد لان العاقل من طلق الدنيا وأنشدوا

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها
انها زوجة سوء * لا تبالى من أتاها
أنت تعطيها مناها * وهى تعطيك قفاها
فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

فيها أو استفهامية أى أى الفة ومحبة ورغبة لى فى الدنيا وهذا من ايثاره صلى الله تعالى عليه وسلم الزهد واظهاره لغنى القلب ومحبة تركه لهاثم بين انه مقام عظيم سبقه به الرسل عليهم الصلاة والسلام يجرى على طريقتهم فقال (اخوانى من أولى العزم من الرسل) تقدم انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام على خلاف فيهم وفى وجه تسميتهم بذلك (صبروا على ماهو أشد من هذا) كالحبس والعرض على القتل أو غير ذلك مما علم من التفاسير (فضوا على حالهم) أى استمروا عليه راضين بقضاء الله لهم الى ان ماتوا (فقدموا على ربهم) أى لاقوه وشهدوا ما انكشف لهم من أحوال الآخرة فى البرزخ (فاكرم مآبهم) أى أكرمهم الله فى مرجعهم اليه يقال آب يؤب اذا رجع فهو اسم مكان أو مصدر ميمى (وأجزل ثوابهم) أى كثر لهم العطاء والجزاء فى دار المقام (فاجدنى استحيى) من الله عند لقائه (ان ترفهت فى معيشتى) أى ان تنعمت وتوسعت فى العيش والترفه تفعل من الرفاهة والرفاهية وهى كالرغد السعة وقد كان الله خيره صلى الله تعالى عليه سلم قبيل موته بين الخلد فى الدنيا ولقائه فاختار لقاءه كما قاله ابن العربى وان شرطية ويجوز فتحها على المصدرية بتقدير لام قبلها أى لترفهى ووقع فى نسخة فى معيشتهم أى فى جنس معيشتهم والاصح الاولى (ان يقصر بى غدا) يقصر مبنى للمجهول مع التشديد أى ان يقع التقصير أو القصر بالكسر حاله وعمله (دونهم) أى فيكون مقامى دون مقامهم لتنزل مرتبتى عن مرتبتهم والمعيشة مفعلة وجمعه معايش بلا همزة وقد تهمز قليلا كما بينه النحاة وهى ما يتعيش به وغدا بالمعجمة اليوم الذى بعد يومك والمراد به الآخرة جعل الدنيا بمنزلة اليوم الحاضر والآخرة لكونها بعدها بمنزلة غدا استعارة (ومامن شئ هو أحب الى من اللحوق باخوانى واخلائى) بالمد مضاف لياء المتكلم جمع خليل وهو قياس فى المضاعف والمراد بالاخوان والاخلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام السابق ذكرهم (والرفيق الاعلى) وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ويخبر بذلك فلما حضرته صلى الله تعالى عليه وسلم الوفاة شخص بصره وهو يقول اللهم اغفر لى وارحمنى الحقنى بالرفيق الاعلى كما فى البخارى وفى النهاية الرفيق الاعلى جماعة النبيين الذين يسكنون أعلى عليين والمراد به الله عز وجل والرفيق بمعنى الرؤف وهو من اسماء الله كالاعلى واللحوق بهم بمعنى كونهم معهم (قالت) عائشة رضى الله تعالى عنها (فـأقام بعد) بالبناء على الضم أى بعد مقالته هذه (الاشهرا حتى توفى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى انتقل للآخرة واستوفى أيام عمره

(فصل

(فصل وأما خوفه ربه) عز وجل ولما كان الزهد ترك الدنيا باختياره وحده نفسه عن الشهوات وذلك انما يكون بعد تحقق الخوف والرجاء عقب الزهد بالخوف من الله وربه منصوب بمفعول المصدر واعلم انهم اختلفوا فى خوف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من عقاب الله فقال الامام أبو الحسن الاشعرى فى كتاب الايجاز كان صلى الله تعالى عليه وسلم يخاف الله بلا خلاف الا ان خوفه كان لماذا فقال أهل الحق كان خوفه قبل ان آمنه الله من عقابه و بعده كان من عتابه ولومه فى الدنيا كما قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لما أعرض عن ابن أم مكتوم عبس وتولى الآية فاما بعد ان آمنه الله تعالى من عقابه فلا يجوز ان يخاف عقابه مع علمه بانه آمنه منه فاخبره بانه لا يخاف عقابه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا أنه هو وسائر المكلفين ما داموا المكلفين فى الدنيا الابدا ز يخافوا عقابه سواء آمنهم أم لا دليلنا ان الخوف من شئ لا يجوز الا مع تجويز نزوله به وأما مع القطع بانه لا يحصل أبدا فمحال حصول الخوف منه عند عاقل فلو قلنا انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يخاف عقاب الله مع تأمين الله له من ذلك لادى الى كونه شاكا فى غيره وانه صدق أو كذب فى اخباره بانه لا يتعلق به عقاب ولما بطل هذا بالاتفاق علم ان الخوف لا يصح مع القطع بانه لا يعاقب أصلا انتهى وسئل شيخ مشايخنا ابن حجر الهيثمى عن الانبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام والعشرة المبشرة بالجنة هل كانوا يخافون عقاب الله تعالى بعد اخبار الله لهم بانهم لا يعذبون فاجاب بان نفى الخوف واثبات الامن لمن ذكر مطلقا باطل بل مصادم للنصوص من وجوه * أحدها ان حقيقة الخوف كما فى الاحياء ألم القلب لتوقع مكروه فى المستقبل وهو اقسام منها خوف ضعف القوة عن الوفاء بحقوق الله على ما ينبغى والخوف بهذا المعنى محقق فى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله ولا يامنه أحد الا ان كان المامون منه الانسلاخ عن النبوة والملكية والايمان فى العشرة على انه قيل بوقوعه لبعضهم والرجاء والخوف متلازمان واشتراط الرجاء والخوف بما هو مشكوك فيه لا تاييد فيه لانهم لا يخافون لانهم على بينة ويقين من ربهم كما قيل بل هو حجة عليه لما مر من معنى الخوف فالكل على يقين من أصل الكمال وقد تعتريهم استشعار قدرة الله واستغنائه عن خلقه وانه لا يسئل عما يفعل ولا يجب عليه شئ وقد يشترط ما أخبرهم به بما انطوى عن علمهم فيوجب الخوف حتى من سلب أصل الكمال * الثانى ان الشافعى رضى الله تعالى عنه صرح بان الملائكة داخلون فى قوله لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون لما أخرج ابن أبى حاتم من الله تعالى قال لهم ما هذا الخوف الذى بلغ منكم وقد أنزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم فقالوا ربنا لا يامن مكرك الا القوم الخاسرون * الثالث ما فى الاحياء ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يخافون المكر لما روى ان النبى وجبريل عليهما الصلاة والسلام بكيا خوفا من ان يكون تامينهم امتحانا ومكرا وهذا هو الذى قطع قلوب العارفين فلا شبهة فى ذلك لقوله تعالى * ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم * فان قلت يرده ما روى عن الحسن انه لما أنزلت هذه الآية خاف صلى الله تعالى عليه وسلم زمانا فلما نزل انا فتحنا لك الخ جد صلى الله تعالى عليه وسلم فى العبادة وقال أفلا أكون عبدا شكورا وروى انه قال فى الآية ان ذلك فى الدنيا أما فى الآخرة فمعاذ الله لانه أخبر بانه فى الجنة فالمعنى ما أدرى ما يفعل بى فى الدنيا فاخبره بنصره واظهار دينه * قلت المراد خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من أمور الدنيا او استئصال أمته فآمنه الله منه وأما الخوف من الله فلا يامنه أحد * الرابع انه ورد فى أدعيته صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ما يدل عليه نحو اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك و بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك وقوله اللهم انى أعوذ من عذاب النار وفتنة المحيا والممات وليس هذا تشريعا لامته ان يقولوه لانه لم يقل قولوا ولا قرينة على تقديره انتهى وقد اختلف الفقهاء فى الامن من مكر الله واليأس من رحمته فقالت الشافعية انها من الكبائر وقالت

(فصل) أى ثالث (وأما خوفه ربه) معمول للمصدر المضاف الى فاعله وفى نسخة من ربه

الحنفية انهما كفر لقوله تعالى * لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون * وتمسك الشافعية لعدهما من الكبائر بما ورد في حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وقال ابن أبي شريف ان أريد باليأس انكار سعة الرحمة الذنوب وبالامن انه لا مكر فهو كفر وفاقا لانه رد للقرآن وان أريد استعظام الذنوب واستبعاد العفو استبعادا يدخل في حد اليأس وغلبة الرجاء المدخل له في حد الامن فهو كبيرة لا كفر فان ورد اطلاقه عليه فللتغليظ أو ارادة كفران النعمة انتهى وبهذا وفق بينهما ابن نجيم في رسائله وعلى ما مر عن الاشعري يخص الامن بغير من مر وعلى غيره هو باق على عمومه هذا جملة ما قاله الفقهاء والاصوليون في هذه المسئلة وههنا بحث فيما قالوه وهو ان الاشعري امام أهل السنة وقد جزم بانهم عموا ماذهبوا الى أمنهم من العقاب كان دون العتاب وقوله أفلا أكون عبدا شكورا يؤيده وما ذكر من الخوف والادعية فالظاهر الذي يقتضيه النظر الدقيق ان مكر الله ليس بمعنى عقابه بل بمعنى ان يقدر عليهم أمرا يقتضيه اذا صدر منهم لانه تعالى وان كان له ان يعذب كل أحد لكن عدله وحكمته يقتضي ان لا يقع ذلك منه بل يجوز جوازا عقليا ومن علم هذا ونظر لعظمته واستغنائه عن جميع مخلوقاته خاف منه وخشي منه وهذا مقام الكملين ولذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذا الخوف لا بد منه لكل أحد وأما خوفه العقاب بدون هذا ما دام على حال العصمة والتقوى فلا يجوز عليهم فانه يلزمه عدم الوثوق بخبره تعالى وعلى هذا يحمل كلام الاشعري وهو مناف لما قاله ابن حجر رحمه الله تعالى اذا عرفت هذا فقوله في شرح جمع الجوامع الامن من مكر الله تعالى معناه الاسترسال في المعاصي اتكالا على العفو ليس بسديد وليس محلا للخلاف * ثم أقول الحق ما قاله الاشعري والذي ندين الله به انا نعتقد ان العقاب لا يقع وان الانبياء خصوصا نبينا عليهم الصلاة والسلام بعد عصمته ومغفرة ما تقدم وما تأخر له لا يخشى أحد عليه العقاب ولا يجوز تجويزه عليه أما هو فلعظمة الله ومهابته عنده وعلمه بانه غني عن خلقه له أن يفعل بهم ما أراد فيخافه خوفا شديدا ويستعيذ من عقابه وان لم نجوزه نحن وفي قوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ايماء لذلك دقيق وما قاله ابن حجر لا دليل له فيه وكلام الغزالي لا حجة له فيه والآية التي ذكرها مخصوصة بالدنيا أو منسوخة كما في الكشاف * ولك ان تقول انه لشدة خوفه صلى الله تعالى عليه وسلم من الله قد يذهل عن تأمين الله له لا سيما مع ما مر ونظيره ما قاله السيوطي رحمه الله تعالى في أجوبة الاسئلة المكرورة في قول يوسف عليه الصلاة والسلام توفني مسلما وهو يعلم ان كل نبي لا يموت الا مسلما انه دعى بذلك في حال غلبة الخوف عليه حتى أذهلته عن علمه حالة الدعاء أو ذلك اظهار للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليمها للامة انتهى ثم رأيت ما قلناه صرح به ابن عربي في سراج المريدين فالحمد لله على الوفاق وانما أطلنا الكلام في هذا المقام لانه من مزال الاقدام فعليك باعادة النظر * فان مورده لم يصف من الكدر * ولنا عودة الى الكلام فيه آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (وطاعته له وشدة عبادته) قرنهما مع الخوف لتلازمهما معه (فعلى قدر علمه بربه) قال القشيري رحمه الله تعالى العلم والمعرفة عند العلماء بمعنى وعند القوم معرفة الحق باسمائه وصفاته ومن عرفه صدق في معاملاته وتنقى من ردي اخلاقه وآفاته ومن أمارات المعرفة حصول الهيبة وهي الخوف مع الاجلال والى ذلك أشار المصنف فان من قدر الله حق قدره اشتد خوفه منه وأطاعه وعبده على قدر طاقته وانما يعصى الله من جهل ربه ونفسه فان الايمان محبة الله ومن أحبه أطاعه وتحت الرغوة اللبن الصريح (ولذلك قال فيما حدثناه) وفي نسخة حدثني (أبو محمد بن عتاب قراءة مني عليه) تقدم ترجمته قال (حدثنا أبو القاسم الطرابلسي) حاتم بن محمد بن عبد الرحمن التميمي

(وطاعته له) أي كمال انقياده في جميع حالاته (وشدة عبادته) أي كمية وكيفية (فعلى قدر علمه بربه) أي بمقدار معرفته بعظمته (لذلك) أي لكون ما ذكر على قدر علمه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فيما حدثناه) أي في جملة ما رواه لنا (أبو محمد ابن عتاب) بتشديد التاء الفوقية (قراءة مني) أي من بين أقراني (عليه) ففيه دلالة على تسوية اطلاق الحديث على القراءة والسماع (قال ثنا) أي حدثنا (أبو القاسم الطرابلسي) بضم الموحدة واللام

(حدثنا أبو الحسن القابسى) بكسر الموحدة (ثنا أبو زيد المروزى ثنا أبو عبد الله الفربرى) بكسر ففتح فسكون (ثنا محمد بن اسمعيل) أى البخارى صاحب الصحيح (ثنا يحيى بن بكير) بالتصغير روى عن مالك والليث قال أبو حاتم لا يحتج به وضعفه النسائى قال الذهبى كان ثقة واسع العلم وذكر فى الميزان انه وثقه غير واحد قال الحلبى كيف لا وقد احتج به البخارى وروى عنه (عن الليث) أى ابن سعد عالم أهل عصره روى عن عطاء وابن أبى مليكة ونافع قال أبو نعيم فى الحلية أدرك نيفا وخمسين رجلا من التابعين وعنه قتيبة وخلق وكان نظير مالك فى العلم وقال الشافعى الليث أفقه من مالك ولكن أضاعه أصحابه وقيل كان دخله فى السنة ثمانين ألف دينار فما وجبت عليه زكاة وقد حج وأهدى اليه مالك طبقا فيه رطب فرد اليه على الطبق ألف دينار وأخرج أبو نعيم عن لؤلؤ خادم الرشيد قال جرى بين الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام فقال لها هرون أنت طالق ان لم أكن من أهل الجنة ثم ندم فجمع الفقهاء فاختلفوا ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه فلما اجتمعوا جلس لهم فسألهم فاختلفوا وبقى شيخ لم يتكلم وكان فى آخر المجلس فسأله فقال اذا خلا أمير المؤمنين فى مجلسه كلمته فصرفهم فقال يدنينى أمير المؤمنين فأدناه فقال أتكلم على الامان قال نعم فأمر باحضار مصحف فاحضر فقال تصفحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها ففعل فلما انتهى الى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أمسك يا أمير المؤمنين قل والله فاشتد ذلك على هرون فقال يا أمير المؤمنين الشرط أملك فقال والله حتى فرغ من اليمين قال قل انى أخاف مقام ربى فقال ذلك فقال يا أمير المؤمنين فهى جنتان وليست بجنة واحدة قال فسمعنا التصفيق والفرح من وراء الستر فقال الرشيد أحسنت والله وأمر له بالجوائز والخلع وأمر له باقطاع وان لا يتصرف واحد بمصر الا بامره وصرفه مكرما وقد ذكروا فى ترجمته انه كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكينا عدد أيام السنة (عن عقيل) بضم مهملة وفتح قاف وهو ابن خالد الايلى أخرج له الأئمة الستة (عن ابن شهاب) هو الزهرى (عن سعيد بن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر وهو من أجلاء التابعين وساداتهم (ان أباهريرة كان يقول) يدل على تكرر سماعه لهذا الحديث عنه (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) أخرجه البخارى فى الدقائق وروى أحمد والبخارى أيضا ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه عن أنس وزاد الحاكم عن أبى ذر ولما ساغ لكم الطعام ولا الشراب ورواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن أبى الدرداء بزيادة ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لا تدرون تنجون أو لا تنجون (زاد) أى شيخنا السابق أو بعض مشايخنا وقد أخطأ الدلجى بقوله أى زاد أبو هريرة أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه يصير التقدير ان أحدهما زاد فى روايتنا عن أبى عيسى رفعه الى أبى ذر وخطاه لا يخفى على من له ذرة من العقل الذى يدرك مراتب النقل (فى روايتنا) أى من غير قراءتنا (عن أبى عيسى الترمذى) أى صاحب السنن (رفعه) أى الترمذى اسناده أو حديثه

المعروف بابن الطرابلسى كما تقدم عن البرهان فالنسبة اليه طرابلسى واطرابلسى بزيادة همزة فى أوله وهى مدينة بالشام وبالمغرب والمشهور فيها اترابلس بالتاء الفوقية وهو صحيح أيضا لانه أعجمى عرب بابدال التاء طاء فلك حكاية أصله والنطق بمعربه قال (حدثنا أبو الحسن القابسى) على بن محمد بن خالد المغافرى الامام الفقيه الحافظ وقد تقدم قال (حدثنا أبو زيد المروزى) تقدم أيضا قال (حدثنا أبو عبد الله الفربرى) تقدم ضبطه وترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) الامام البخارى صاحب الصحيح وقد تقدم قال (حدثنا يحيى بن بكير) المخزومى الحافظ أبو زكريا المصرى روى عنه البخارى وغيره وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة (عن الليث) بن سعد بن عبد الرحمن بن حمزة عالم مصر وأصله من اصفهان وكان نظير الامام مالك وكان أسخى الناس فقيل انه كان دخله فى كل يوم ألف دينار ولم تجب عليه زكاة توفى يوم الجمعة منتصف رمضان سنة خمس وسبعين ومائة وقيل غير ذلك وأدرك ناسا من التابعين (عن عقيل) مصغر وهو عقيل بن خالد الحافظ أخرج له الأئمة الستة وله ترجمة فى الميزان توفى سنة احدى وأربعين ومائة (عن ابن شهاب) تقدم انه أبو بكر بن محمد الامام المشهور بالزهرى (عن سعيد بن المسيب) تقدم ضبطه والكلام عليه (ان أباهريرة رضى الله تعالى عنه) تقدم أيضا (كان يقول قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم) من عظمة الله وجلاله وكبريائه هذا هو المناسب للترجمة أو ما أعلم من احوال الآخرة واهوالها وما سيلقاه الانسان (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) يأتى بيانه وفى الحديث طباقان أو ثلاثة بين قليلا والبكاء والعلم وبين الكثرة والضحك وعدم العلم فتدبر وهذا الحديث رواه المصنف رحمه الله عن صحيح البخارى وله فيه رواية أخرى عن الترمذى أشار اليها بقوله (زاد فى روايتنا عن أبى عيسى الترمذى رفعه) بصيغة

(الى أبى ذر) أى فى قوله مرفوعا كما صرح به الترمذى فى الزهد وقال حسن غريب ويروى عن أبى ذر موقوفا وأخرج ابن ماجه فيه نحوه ورواه محمد بن حميد الرازى ورفعه أيضا (انى لا أرى مالا ترون) أى أبصر مالا تبصرون من عجائب الملكوت (وأسمع مالا تسمعون) أى من غرائب اخبار عالم الجبروت (أطت السماء) بتشديد الطاء أى صوتت (وحق لها) بصيغة المجهول أى وينبغى لها (ان تئط) لكثرة ما عليها من الملائكة فكأنهم أثقلوها كثرة وقوة حتى أطت كالقتب وهو تمثيل للتلويح بكثرتها وان لم يكن ثم أطيط لها تقرير العظمة خالقها ومثله حديث العرش على منكب اسرافيل وانه ليئط أطيط الرحل الجديد بعظمته وعجزه عن حمله اذ من المعلوم ان أطيط الرحل وهو الكور برا كبه انما يكون لقوة مافوقه من ثقله (ما فيها موضع أربع أصابع) ظرف مستقر لاعتماده على حرف النفى (الا وملك) حال من فاعل الظرف وهو موضع أى الا وفيه ملك (واضع) بالتنوين (جبهته) أى جبينه (ساجدا لله) حال من الضمير قبله (والله لو تعلمون ما أعلم) أى من شدائد الاحوال وعظائم الاهوال (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) جواب القسم السادمسد جواب لو وفيه مقابلة الضحك والقلة للبكاء والكثرة ووقع هنا للدلجى خبط وعدم ربط وتقديم وتأخير لا يليق بضبط الكتاب ولا بحديث الباب لابد من اصلاحه على نهج الصواب (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش فهو من قبيل مقابلة الجمع بالجمع (ولخرجتم الى الصعدات) بضمتين جمع صعيد أى الطرقات (تجأرون) أى حال كونكم ترفعون أصواتكم وتستغيثون وتتضرعون فى جميع حالاتكم (الى الله لوددت أنى) بكسر الدال الاولى أى لاحببت وتمنيت ووقع فى أصل الدلجى بزيادة الواو وقبل وفى رواية ليتنى (شجرة تعضد) بصيغة المجهول أى تقطع

تمنيه

الماضى أى زاد هذا الكلام أو مصدر فهو مفعول زاد (الى أبى ذر رضى الله تعالى عنه) يعنى ان رواية البخارى السابقة رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه وهذه رواية أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خالف المصنف فى عبارته ما اصطلح عليه المحدثون فان المرفوع عندهم ما اتصل بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان يذكر صحابيه قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كذا فيقال رفعه الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الصحابى وقيل الجار والمجرور متعلق بحال مقدرة تقديره عازيا الى أبى ذر فلا مخالفة فيه لاصلاحهم وسيأتى تتمته (انى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون) المراد بما الموصولة فيهما مغيبات وأمور فى الملأ الاعلى أطلعه الله عليها وغيره لا يراها كرؤية الملائكة والجنة والنار وعذاب القبر والاطلاع على الموتى وأحوال البرزخ وسماعه لاصوات المعذبين فى القبور ولاطيط السماء المشار اليه بقوله (أطت السماء) أصل معنى الاطيط صوت الابل اذا حنت والقتب اذا ضغطه ثقل ما عليه ونحو ذلك أى ان السماء لكثرة ما عليها من الملائكة اذا تحركوا يسمع لها صوت سمعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وحق لها) بالبناء للمجهول أو هو مصدر مرفوع خبر مقدم لقوله (ان تئط) أى تصوت يسمع لها صرير لثقل ما عليها وعلى الاول هو نائب الفاعل وقد قيل ان صريرها يسمع منه ألحان متناسبة مطربة منها أخذ ألحان الموسيقى ولذا تطرب الارواح لسماعه لتذكرها معاهدها وقيل انه أنين من خشية الله وقال التلمسانى هذا ايذان بكثرة ما فى السماء من الملائكة وان لم يكن ثمة أطيط والمراد تقرير عظمة الله ثم استأنف صلى الله تعالى عليه وسلم مايبين سبب أطيطها فقال (ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد الله) أى ليس فيها مكان خال منهم ومن هنا علم ان الملائكة أكثر المخلوقات (والله لو تعلمون ما أعلم) من أحوال الدنيا والآخرة الدال على عظمة الله تعالى وقدرته (لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا) أى لضحكتم ضحكا قليلا اذا سررتم برجاء عفو الله ونظرتم ما أنعم الله به عليكم وبكيتم للخوف منه حتى يشغلكم ذلك عن التنعم والتفكه بلذائذ الدنيا (وما تلذذتم بالنساء على الفرش) بضمتين جمع فراش وكنى بذلك عن مضاجعة النساء ومجامعتهن (ولخرجتم الى الصعدات) بضم الصاد والعين وفتح الدال المهملات جمع مؤنث سالم الصعد بضمتين جمع صعيد كطريق وطرق لفظا ومعنى أى لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس وقيل جمع صعدة كظلمة وهى فناء الدار (تجأرون الى الله) أى تضجون وتصيحون من الجؤار بضم الجيم وفتح الهمزة وألف وراء مهملة وهو الصياح ورفع الصوت أى تستغيثون الله وتتركون أهلكم وما لكم (لوددت أنى شجرة تعضد) أى تقطع من أصلها يقال عضدت الخشب والنبات اذا قطعته واللام فى جواب قسم مقدر ووددت بزنة علمت بمعنى تمنيت والعرب تقول وددت ويودى اذا تمنيت قال البحترى

وبودى لو استطعت لحقت * بصبر عن سيدى حين ملا

وهو مستعار من المودة المعروفة قال الراغب الود محبة الشئ وتمنى كونه موجودا ويستعمل فى كل واحد من المعنيين على ان التمنى يتضمن معنى الود لان التمنى يشتهى حصول ما يوده انتهى والمراد

(روى) استئناف بصيغة المجهول أى نقل (هذا الكلام) أى بخصوصه مما سبق من المرام وهو قوله وددت انى شجرة تعضد (من قول أبى ذر نفسه) أى موقوفا عليه من غير رفعه (وهو) أى اسناده الموقوف (أصح) أى من اسناده المرفوع قال الحلبى ولما وقفت على قوله وددت الى آخره من زمن طويل قطعت بان هذا ليس من كلام النبوة ثم رأيت بعض الحفاظ المتأخرين من مشايخ مشايخى فى أو بعين له قال انه مدرج ثم رأيت كلام القاضى انه من قول أبى ذر وهو أصح وهذه العبارة ما هى مخلصة والذى ذكره بعض مشايخ مشايخى من أنه مدرج هو الصواب فيما يظهر لى انتهى وقد تصحف قول وهو أصح على الدلجى بما وقع له فى أصله وهو واضح بزيادة واو ونقطة صاد يعنى وهو ظاهر ثم بينه بقوله أى من حيث انه أشبه بكلامه وأليق بحاله مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بمكانته عند ربه وأنزه من ان يتمنى عليه دون ما أعطاه انتهى ولا يخفى ان الكلام فى صحة الرواية والافلا يخفى وجه ظهور الدراية لان مثل هذا الكلام انما ينشأ عن غلبة الخوف من مشاهدة الله بوصف عظمته ومطالعة نعت سخطة المقتضى لعقوبته الجائزة من حيث العقل انه المطابق للنقل انه سبحانه وتعالى لو عذب أهل سمواته وأرضه يكون عادلا لا فى قضائه وحكمه اذ لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فمن نظر الى نعوت الجمال حصل له البسط فى الحال والمقال ومن طالع صفات الجلال وقع فى قبض الحال وضيق البال والكلام وبهذا يجمع بين قول بعضهم من عرف الله طال لسانه وقول آخرين من عرف الله كل لسانه هذا وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى الحلية ان عمر رضى الله تعالى عنه مر برجل من المنافقين جالس والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يصلى فقال له ألم تصل مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له مر الى عملك فذكر ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام ان لله تعالى فى السموات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان قال عمر ما صلاتهم يا نبى الله قال فلم يرد عليه شيئا فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا نبى الله سالك عمر عن غنى صلاة فلان فقال اقرأ على عمر السلام وأخبره بان أهل سماء الدنيا سجود الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركع الى يوم القيامة يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة الى يوم القيامة يقولون سبحان الحى الذى لا يموت انتهى وفى آخر الحديث ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجد الله (وفى حديث المغيرة) أى ابن شعبة كما رواه الشيخان وغيرهما عنه وهو من دهاة العرب وكذا زياد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ومعاوية ابن أبى سفيان قال ابن وضاح أحصن المغيرة فى الاسلام ألف امرأة (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من كثرة صلاة الليل (حتى انتفخت قدماه) أى تورمت قال ابن مرزوق انما ذلك من طول القيام فتنصب المواد الى سافل فتستقر فى القدم فيرم لذلك وينتفخ وذلك لبعده من حرارة القلب قيل كان يصلى الليل كله حتى تورمت قدماه من طول القيام فانزل الله عليه من القرآن ما خفف به عليه وعلى من تبعه وهو قوله ان ربك يعلم انك تقوم أدنى وكذا قوله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (وفى رواية) أى لهما عنه (كان يصلى) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ترم

تمنيه أن يكون غير ذى روح فلا يبعث ولا يسأل وعضد الشجر موته وآخر العهد به (روى هذا الكلام) يعنى قوله (وددت انى شجرة تعضد) فهو بدل من الكلام مبين له (من قول أبى ذر نفسه) لا من الحديث وكلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو) أى كونه منه قول أبى ذر (أصح) وفى نسخة واضح بالضاد المعجمة والصحيح أصح أى من كونه من الحديث مرفوعا له صلى الله عليه وسلم وهو أليق بحاله وأنسب بكلامه بخلاف ما قبله فانه من الحديث بلا خلاف والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله سابقا زاد فى روايتنا عن أبى عيسى الترمذى رفعه الى أبى ذر واذا كان من كلام أبى ذر فهو مدرج فى الحديث اذ لم يميز لفظه عن لفظه فاعتراض البرهان الحلبى عليه بانه كان ينبغى له ان يقول انه مدرج لا وجه له نعم فى عبارته السابقة كدر لا يخفى قيل وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم تمنى ما ذكر مشكل لانه مقطوع له بالزلفى آمن من كل سوء موقن بالدرجات العلى وخوفه انما هو خوف اجلال وهيبة كخوفنا من غضب الله وسوء الخاتمة وقول بعض الصحابة المبشرين بالجنة ليتنى طائر وليتنى لم أخلق بشرا أو ليتنى كبش أذبح ويؤكل لحمه ليس لعدم الوثوق بالوعد بل لم يكن الا خوفا من مخالفة أمره فانهم يجلونه ويخافون من مخالفته وان لم يعاقبهم وهذا كلام من لم يحقق المقام وقد تقدم فى أول الفصل ما فيه كفاية (وفى حديث المغيرة رضى الله عنه) المتفق عليه فى رواية الشيخين والمغيرة بضم أوله ويكسر اتباعا أى ابن شعبة من الصحابة وهو أحد دهاة العرب (صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى صلاة التطوع والتهجد لان الزيادة المذكورة فى بعض الروايات انما تأتى فيها (حتى انتفخت قدماه) أى ورمت من طول القيام (وفى رواية انه كان يصلى حتى ترم) بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء المخففة المهملة وميم مخففة مضارع ورم اذا انتفخ لانصباب المادة لقدميه من طول وقوفه صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع فى بعض النسخ ترم بتشديد الميم

قدماه) على زنة تعد مضارع ورم كورث بمعنى تورمت كما في رواية وأما تشديد الميم على ما في بعض النسخ فخطأ فاحش والعدول عن الماضي لحكاية الحال الماضية كقولهم مرض حتى لا يرجونه فالظاهر انه مرفوع ومنه قوله سبحانه تعالى حتى يقول الرسول بالرفع على قراءة نافع (فقيل له أتكلف هذا) بحذف احدى التائين وتشديد اللام أي أتتحمل هذا التحمل وجوز الدلجي كونه من كلف اللام ومنه حديث انى أرك كلفت بعلم القرآن وحديث اكلفوا من العمل ما تطيقون لكنه غير موافق لما في القاموس فانه قال كلف به كفرح أولع وهو مناسب للحديث الاول ثم قال وأكلفه غيره وهو الملائم للحديث الثاني أي كلفوا أنفسكم أو غيركم ما تطيقون من أعمالكم ثم قال صاحب القاموس وتكلفه تجشمه والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه انتهى ولا يخفى ان هذا المبنى هو المناسب

في المعنى الوارد هنا بالجملة الحالية بقوله (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر) كما أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة الفتح بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفي عطف ما تاخر اعتناء عظيم فتدبر وحاصله انك معصوم من ارتكاب الذنب المتعارف ولو فرض ان يقع منك ما لا يليق بمقامك فان حسنات الابرار سيآت الاحرار فانه مغفور عنك ثم لما كان الغالب ان كثرة العبادة تنشا عن غلبة خوف العقوبة (قال أفلا أكون عبدا شكورا) على ما أنعم علي من المغفرة وجاء الحديث طبق الآية في مدح نوح عليه الصلاة والسلام انه كان عبدا شكورا وفي ذكر العبد ايماء الى أنه لابد له من القيام بوظائف العبودية ومبالغة في أداء شكر حقوق الربوبية (ونحوه) أي مثله في المعنى مع اختلاف يسير في المبنى (عن أبي سلمة وأبي هريرة) كذا في النسخ بالعطف والظاهر تكرار عن لما في الشمائل للترمذي باسناده بلفظ عن أبي سلمة عن أبي هريرة وأبو سلمة هذا تابعي جليل أحد الفقهاء السبعة وهو ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة ويحتمل ان يكون في ذلك حديث لابي سلمة الصحابي موقوفا أو مرفوعا والله أعلم (وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها) أي فيما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال أي دائما باعتبار الغلبة فلا ينافي تركه على سبيل الندرة وما ألطف عبارتها بقولها ديمة فانها في الاصل المطر الدائم فلا يبعد ان يجعل من التشبيه البليغ مع قصدها المبالغة في عموم الفائدة (وأيكم يطيق ما كان يطيق) أي لما كان له من قوة النبوة الموجبة للمداومة (وقالت) أي فيما رواه عنها أيضا (كان يصوم

أي تصير رميما وهي غير صحيحة رواية ودراية (قدماه) وفي رواية ساقاه وروى تورمت وتزلعت بزاي معجمة وعين مهملة أي تشققت (فقيل له أتكلف هذا) بهمزة استفهام وفتح التاء الفوقية وأصله أتتكلف فحذفت احدى التائين تخفيفا أي تتحمل مشقته وكلفته (وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر) جملة حالية معترضة بين الاستفهام وجوابه وسياتي ما في اضافة الذنب له صلى الله تعالى عليه وسلم مع انه معصوم عن الصغائر والكبائر على الاصح بان المراد لو صدر منك أو ما يعد من الذنوب بالنسبة لغيرك لتنزهك وعلو مقامك وستسمع تفصيله في محله (قال أفلا أكون عبدا شكورا) لما أنعم الله علي من جلائل النعم التي لا تحصى ومن أجلها عصمته لي ومغفرته لذنبي قبل وقوعه والاستفهام انكاري والفاء سببية أي أترك الصلاة لمغفرته وهي سبب موجب للعبادة لا لتركها وقوله شكورا لانها نعم جليلة تستوجب مزيد شكره وقوله عبدا تلويح لغاية اكرامه له صلى الله تعالى عليه وسلم بتقريبه ونسبته لسيده وكله يقتضي أجل الشكر وهو العبادة (ونحوه عن أبي سلمة) رحمه الله تعالى واسمه عبد الله أو اسمعيل أو اسمه كنيته ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري التابعي أحد الفقهاء السبعة المشهورة بروايته عن أبي هريرة وغيره وفي الصحابة أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي مات في حياة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يعرف له الا حديث واحد وآخران غير مشهورين ولا الرواية عنهم مشهورة (وأبي هريرة رضي الله تعالى عنه) قال البرهان هكذا في النسخ قال المحشي وأنا أخشى أن يكون هذا غلطا والصواب فيه أن يكون عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه فانه وقع هكذا في الشمائل في باب عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث المغيرة الذي ذكره المصنف هنا فقال بعده حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه كان يصلي الخ الا أن يكون المصنف وقف على حديث آخر لابي سلمة الصحابي ولم نره قال ويحتمل ان يكون مراده عن أبي سلمة عن أبي هريرة لكنه عطف أحدهما على الآخر وهو بعيد أيضا (وقالت عائشة رضي الله عنها) كما رواه الشيخان (كان عمل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ديمة) بكسر الدال وسكون الياء المنقلبة عن الواو لانه من الدوام ومعناه الدائم وأصل معناه المطر الدائم في سكون وهدو وفي الحديث أحب الاعمال الى الله تعالى ما دووم عليه وان قل لان ترك الشئ بعد فعله كالاعراض عنه بعد الاقبال ولذا وقع الوعيد لمن حفظ القرآن ثم نسيه (وأيكم يطيق ما كان يطيق) أي أيكم يقتدر ان يعبد الله كما عبده صلى الله تعالى عليه وسلم كما وكيفا (وقالت) عائشة رضي الله تعالى عنها (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصوم

حتى

حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) روى نقول بالنون والتاء الفوقية وبرفع يقول ونصبه
كما قرئ به في قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان في بعض
الازمنة يوالي الصوم حتى يتوهم انه صائم الدهر وتارة يكثر الفطر حتى يظن انه لا يصوم نافلة وقيل
المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصوم من أول الشهر ووسطه وآخره حتى يتوهم من صادف
أيام صومه انه دائم الصوم ومن صادف افطاره كذلك وهو بعيد وهذا لا ينافي كون عمله صلى الله
تعالى عليه وسلم ديمة لانه بالنسبة لما كان راتبا كصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهذا بالنسبة لغيره ولك ان
تقول الاول في صلاته وقيامه وهذا في صيامه ويؤيده لفظ العمل لكن يأباه قوله (ونحوه عن ابن
عباس وأم سلمة وأنس رضي الله عنهم) اسم أم سلمة هند على الصحيح وقيل رملة والاحاديث التي
رواها هؤلاء بمعنى ما تقدم مع اختلاف في بعض ألفاظها وكلها صحيحة مروية في الصحيحين وابن حبان
وقد ذكرها بعض الشراح هنا ولكن لا حاجة بنا الا ايرادها هنا كما في الشرح الجديد (وقالت) عائشة
رضي الله عنها (كنت لا تشاء ان تراه) صلى الله عليه وسلم (من الليل مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا
رأيته نائما وقال عوف بن مالك) هو عبد الرحمن الاشجعي الصحابي الجليل القدر رضي الله عنه سكن
الشام وتوفي في أيام عبد الملك سنة ثلاث وسبعين وهذا الحديث رواه أبو داود والنسائي (كنت مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام فصلى فقمت معه) أي أتهجد وأقتدي به وفيه
دليل على صحة الاقتداء في صلاة النافلة من غير نزاع واليه ذهب الشافعي رحمه الله وبعض الحنفية
(وبدأ) الصلاة وفي نسخة فابتدأ بالفاء أي شرع في الصلاة (فاستفتح البقرة) أي شرع في قراءتها وفيه
دليل على انه يقال البقرة وسورة البقرة من غير كراهة كما ورد في أحاديث لا تحصى وأسماء السور
توقيفية على الاصح خلافا لمن قال انه يكره وانما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة والسورة التي يذكر
فيها التين وهكذا لما روى الطبراني والبيهقي عن أنس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل
عمران ولا سورة النساء ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها البقرة وهكذا وهو ضعيف بل قال ابن
الجوزي انه موضوع والاحاديث المعارضة له صحيحة فهي أرجح وعليها العمل أو نقول ان هذا كان في
أول الاسلام ثم نسخ لان المشركين كانوا يستهزؤن بهم اذا قالوا سورة العنكبوت ونحوها فلما كفاه الله
المستهزئين وكف السيف أيديهم وألسنتهم قيل ذلك من غير حرج (فلا يمر) صلى الله تعالى عليه وسلم
(بآية رحمة الا وقف فسال) الله الرحمة (ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ) بالله من العذاب وهذا
الحديث أخرجه أبو داود والنسائي ويؤخذ منه انه ينبغي لمن قرأ القرآن ان يتدبره ويتفكر في معانيه
وان الدعاء بما يناسبه مستحب ومستجاب فيدعو بما يناسبه واذا ذكر الايمان بالله يستحب ان
يقول آمنت بالله ونحوه وهذا ما ورد ان من قرأ سورة تبارك فبلغ فمن يأتيكم بماء معين فليقل الله
رب العالمين واذا قرأ سورة التين فبلغ أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين
واذا قرأ لا أقسم بيوم القيامة وبلغ قوله أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى واذا قرأ
والمرسلات وبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله واذا قرأ سبح اسم ربك فليقل سبحان
ربي الاعلى واذا قرأ سورة الرحمن فليقل عند كل فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا شيء من نعمك ربنا نكذب
وكل ذلك ورد في الاحاديث الصحيحة وهذا نظير سجود التلاوة الا ان من الناس من فعل أمورا زائدة

حتى نقول) بالنصب وروى بالرفع كما سبق وروى بالوجهين مخاطبا والمعنى حتى نظن (لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن
ابن عباس وأم سلمة) وهي آخر أمهات المؤمنين توفيت في امارة يزيد (وأنس وقال) أي كل منهم رضي الله تعالى
عنهم لا أنس وحده كما
اقتصر عليه الانطاكي
لكونه أقرب مبنى فان
الجمع أنسب معنى
(كنت) أيها المخاطب
(لا تشاء ان تراه مصليا
الا رأيته مصليا ولا نائما)
أي ولا تشاء ان تراه نائما
(الا رأيته نائما) لما ورد
عنه اما أنا فاصلي وأنام
وأصوم وأفطر (وقال
عوف بن مالك) وهو من
أكابر الصحابة وقد روى
عنه أبو داود والنسائي
والترمذي (كنت مع
رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ليلة)
ولعله كان في السفر
(فاستاك) أي أولا ما
استيقظ (ثم توضأ)
والظاهر انه اكتفى
بالاستياك الاول (ثم
قام فصلى) أي التهجد
(فقمت معه) يحتمل
مقتديا ومتابعا (فبدأ)
أي القراءة (فاستفتح
البقرة) أي بعد الفاتحة
لكونها كمقدمتها أو
لبيان الجواز بترك قراءتها
(فلا يمر بآية رحمة
الا وقف) أي في موقفها
(فسال) أي الله الرحمة
(ولا يمر بآية عذاب
الا وقف فتعوذ) أي التجا من العقوبة لكونه واقفا بين مقامي الخوف والرجاء ووصفي الفناء والبقاء وملاحظا نعتي الجلال والجمال
كما هو حال أهل الكمال

(ثم ركع فمكث) بضم الكاف وفتحها أي لبث فيه (بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت) فعلوت للمبالغة من الجبر بمعنى القهر والغلبة فانه هو القاهر فوق عباده (والملكوت) مبالغة الملك أو باطنه كما ان الملك ظاهره وهذا المعنى متعين عند الجمع بينهما (والكبرياء) أي العظمة المناسب ذكرها في الركوع ولذا لما نزل قوله سبحانه وتعالى فسبح باسم ربك العظيم قال اجعلوها في ركوعكم يعني قولوا فيه سبحان ربي العظيم (ثم سجد) أي سجودا طويلا كما هو الظاهر (وقال مثل ذلك) أي نظيره أو بعينه لشمول معنى الكبرياء وصف العلاء الملائم ذكره في السجود لانه لما نزل قوله سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم أي قولوا فيه سبحان ربي الاعلى (ثم قرأ آل عمران) أي في تلك الركعة أيضا أو في اخرى وهو الظاهر لقوله (ثم سورة سورة) أي ثم قرأ في كل ركعة سورة (يفعل مثل ذلك) أي من تطويل الركوع والسجود والتسبيح المذكور وغير ذلك (وعن حذيفة مثله) أي مثل حديث عوف كما في مسلم (وقال) أي زيادة على تلك الرواية مع احتمال اطلاعه على غير تلك الحالة (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) أي قريبا من طوله (وقال) أي حذيفة (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) أي في ركعة والظاهر في أربع ركعات بتسليمة أو تسليمتين (وعن عائشة) أي برواية الترمذي (قالت قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) وهي ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم اقتداء بعيسى عليه الصلاة والسلام في الكلام وايماء الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد المغفرة والرحمة ورفع العقوبة عن جميع أمة الاجابة مع التسليم تحت الارادة وانما كررها للتدبر في معناها وما يتعلق بمبناها من آثار القدرة واسرار العزة وأنوار الحكمة (ليلة) أي في ليلة من الليالي وهو يحتمل كلها أو بعضها والاظهر أكثرها وظاهر القيام ان تكرارها كان في الصلاة حال الوقوف واما ما رواه أحمد والنسائي بسند صحيح عن أبي ذر بلفظ قام حتى أصبح بآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فلا يدل على احياء الليل كله لانه لم يكن من دأبه فيحتمل انه قام من الليل أو قام لصلاة التهجد حتى أصبح

على ما ورد كالدعاء بين الجلالتين في سورة الانعام وقد قال البقاعي انه بدعة لم يرد في أثر ولا حديث (ثم ركع فمكث) بضم الكاف وهي لغة القرآن وتفتح في لغة عنه ومعناه انتظر وتوقف (بقدر قيامه يقول سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة) هذه الصيغة مرانها صيغة مبالغة كالرهبوت والرحموت والرغبوت وهي مصادر في الاكثر ووردت في الاسماء أيضا كجالوت والجبروت مبالغة في الجبر وهو القهر والملكوت الملك العظيم وعقبهما بالعظمة لانهما كالدليل عليها ولانها أعم ويكون صلى الله تعالى عليه وسلم كرر ذلك مرارا كثيرة حتى يكون بمقدار قيامه كما لا يخفى (ثم سجد فقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران) أي السورة التي ذكر فيها قصة آل عمران وقد تقدم جوازه ومافيه (ثم سورة سورة) أي ثم قرأ في صلاته في كل ركعة سورة بعد سورة وهما منصوبان على الحالية كما قرره النحاة في قولهم قرأت النحو بابا بابا وجعله التلمساني منصوبا مفعولا لقرأ المقدر فيه وفيه نظر والسورة مهموزة من السؤر وهو بعض الماء الباقي في الاناء وتبدل همزته واوا لسكونها وانضمام ما قبلها وقيل ان واوه أصلية على انه من السور لاحاطتها بالآيات أو من السوار أو من التسور لرفعتها والسورة مقدار من القرآن مشتمل على آيات أقلها ثلاثة مسماة باسم ولا يرد عليه آية الكرسي لذكر الآية (يفعل مثل ذلك) المذكور من القراءة والتسبيح (وعن حذيفة) بن اليمان الصحابي المشهور رضي الله تعالى عنه وهذا الحديث رواه مسلم عنه (مثله) أي مثل الحديث السابق (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا منه) أصل معنى النحو القصد ومنه علم النحو ويقال هذا نحو هذا أي مثله أو قريب منه * فان قلت ذكر الفقهاء ان الجلوس بين السجدتين ركن قصير غير مقصود لذاته بل للفصل بين السجدتين حتى قال بعض الشافعية ان تطويله قصدا مبطل للصلاة ومخل بالموالاة وحديث حذيفة صحيح رواه مسلم كما مر وهو مناف لما ذكر * قلت قالوا انه انما يضر اذا طول بسكون أو بذكر غير مشروع فلو طول بغير ذلك كما في صلاة التسبيح فلا يضر وقد يستحب كما ذهب اليه النووي تبعا الامام الحرمين استدلالا بحديث حذيفة هذا ولا يشترط أن يكون بمقدار أكمل التشهد (وقال) حذيفة رضي الله تعالى عنه (حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة) أي قرأ في ركعة بسورة من هذه السور (وعن عائشة رضي الله عنها) في حديث صحيح أخرجه أحمد والنسائي عن أبي ذر والآية التي ذكرت في قولها (قام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بآية من القرآن) أي رددها طول ليله ويكررها في كل ركعة وهي كما صرح به ان تعذبهم فانهم عبادك الآية في سورة المائدة وانما أكثر ترددها للتدبر والتفكر فيها فان القرآن له بطون سبعة ففي كل قراءة يظهر له صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يظهر قبل والله تعالى تجلى لخاص عباده في كلامه ولكن لا تبصرون كما روى عن جعفر الصادق رضي الله تعالى

(وعن عبدالله بن الشخير) بكسر شين وخاء مشددة معجمتين صحابى نزل البصرة وأدرك الجاهلية والاسلام فهو مخضرم كما روى أبو داود والترمذى والنسائى عنه (أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى) جملة حالية (ولجوفه) أى صدره (ازيز) بكسر الزاى الاولى أى حنين من البكاء ويراد به هنا الخنين بالخاء المعجمة وهو البكاء مع غنة وانتشاق والصوت من الانف (كازيز المرجل) أى كغليانه وهو بكسر ميم وفتح جيم قدر من نحاس على ما فى الصحاح وسمى به لانه اذا نصب كانه أقيم على رجله (وقال ابن أبى هالة) وهو عند ربيبه عليه الصلاة والسلام من خديجة (كان متواصل الاحزان) أى متتابعها لعلمه بشدائد الاحوال وموارد الاحوال حالا ومآلا ولكونه فى سجنه سبحانه المقتضى أحزانه وما أحسن قول ابن عطاء مادمت فى هذه الدار لاتستغرب وقوع الاكدار واما ماورد من قوله أعوذ بك من الحزن فمحمول على حزن يتعلق بالدنيا كما قال سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم (دائم الفكر) أى فى عاقبة الامر (ليست له راحة) لقيامه بما كلف من تحمل اعباء الرسالة من وظائف العبادة وقد بسطت تحقيق هذه الاحاديث كلها باعتبار مبناها ومعناها فى جمع الوسائل لشرح الشمائل (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فيما رواه مسلم وغيره (انى لاستغفر الله) أى أطلب مغفرته وأسئل رحمته (فى اليوم) أى الواحد بل ورد عنه فى المجلس الواحد

تعالى عنه ففى كل قراءة يتجلى له الله فى مرآة كلامه ومثل هذا الاتى به العبارة اللهم نور مشكاة قلوبنا حتى تطبع فيها صور الحقائق (وعن عبدالله بن الشخير) بكسر السين والخاء المعجمتين المشددتين ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة وهو ابن عوف بن كعب العامرى الصحابى البصرى المخضرم الذى أدرك الجاهلية والاسلام وروى له أصحاب الكتب الستة وهذا الحديث رواه أبو داود والترمذى والنسائى (أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كازيز المرجل) جوف كل شئ باطنه والمراد به ما تحت صدره واضلاعه والازيز بهمزة مفتوحة وزائين معجمتين بينهما ياء مثناة تحتية ساكنة وهو صوت الغليان اذا اشتد وهو المشيش والمراد انه صلى الله عليه وسلم لشدة خوفه وخشيته من الله يسمع حركة قلبه اذا رق صدره وقيل صوت الحنين مع البكاء والمرجل بكسر الميم وسكون الراء المهملة وفتح الجيم واللام القدر مطلقا وقيل من نحاس (قال ابن أبى هالة) الصحابى المتقدم رضى الله تعالى عنه (كان صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) أى حزينا حزنا يتصل بعضه ببعض بحيث لا يفصل بينها فرح ومسرة وهذا يقتضى الدوام ولذا فسره بقوله (دائم الفكرة) أى تفكره دائما فى أمره وأمر أمته ومن كان هكذا (ليست له راحة) لاستغراق أوقاته فى الذى كلفه من اعباء الرسالة وتبليغ الاحكام وتدبير الحروب والوقائع ومن نيط به أمور جميع الخلائق كيف يفضى من الهم فان الامور بقدر الهمم والظاهر ان هذا حاله صلى الله عليه وسلم اذا لم يكن متكلما مع الناس فى مصاحبته لهم وحكمه بينهم وملاقاة من يقدم عليه من الوفود وعرض الناس عليه أمورهم وفى عشرة أهله وانما ذلك حال سكونه وهو بين الناس وفى خلوته بنفسه ومشيه وتعبده اما فى غير ذلك فكان طلق المحيا متبسما متلقيا بالبشر ودوام كل شئ بحسب زمانه

فاقسم لكل زمان ما يليق به ❊ فان للزند حليا ليس للعنق

فسقط ما قيل انه وصف فى غير هذا الحديث بانه صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر وهذا مناقض له وقد أورد عليه أيضا ان الحزن فضلا عن دوامه غير محمود وقد نهى الله تعالى عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقال لا تحزن ان الله معنا وقال انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا واستعاذ صلى الله تعالى عليه وسلم منه فقال اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وتقدم الفرق بينهما بان الهم لما يقع فى المستقبل والحزن لما مضى وكلاهما مفتر للعزم مضعف للقلب غير معدود من مقامات العارفين ولذا قال أهل الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ما يصيب المؤمن من هم ولا نصب ولا حزن الا كفر الله به من خطاياه يدل على انه مصيبة يؤجر المرء عليها وسيأتى الكلام عليه والحديث الذى ذكره المصنف رواه الطبرانى والقضاعى وقال ابن القيم كما سيأتى انه لم يثبت وفى سنده من لا يعرف ولا أعلم صحته وفى التوراة اذا أحب الله عبدا جعل فى قلبه نائحة واذا أبغضه جعل فى قلبه مزمارا فقال ابن القيم أجمع أهل السلوك على ان الحزن ليس من مقامات السائرين الى الله الا أبو عثمان الخيرى فانه قال الحزن فضيلة وزيادة كمال للمؤمن ما لم يكن على معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا أوجب تمحيصا فهو بلاء ومحنة كالمرض لا مقام كما قاله الجيلى وحزنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أودعه الله فيه من الرحمة ورقة القلب فكان يحب هداية الامة فاذا رأى ما هم عليه من عنادهم وتخلفهم حزن لذلك وخاف من ان ينسب اليه قصور فى دعوتهم وبما قررناه ظهر انه ليس فيما ذكر اشكال بوجه من الوجوه ولا حاجة لتفسير دوام الفكرة بانها فى ذات الله وصفاته حتى يرد عليه انه منهى عنه فيجاب بان المنهى غير الكمل كما قيل (وقال عليه الصلاة والسلام انى لاستغفر الله فى اليوم

(مائة مرة) أي بلفظ أستغفر الله أو بزيادة العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه أو بلفظ رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم (وروى) كما في البخاري والترمذي (سبعين مرة) وكل منهما يحتمل التحديد والتكثير وكانه صلى الله تعالى عليه وسلم عد اشتغاله بدعوة الامة ومحاربة الكفرة ١٤٤ وتاليف المؤلفة ومعاشرة الاهل والعشيرة ومباشرة الاكل والشرب وسائر ضرورات المعيشة مما يحجزه عن كمال الحضور وحظه ونور السرور الحاصل من مراقبته ومشاهدته ولهذا المعنى لما سئل الشبلي عن سبب سداد افادته فقال لأن أكون طرفة عين مع رب العالمين خير عندي من علوم الاولين والآخرين وقد قال الغزالي ضيعت قطعة من العمر العزيز في تصنيف البسيط والوسيط والوجيز مع ان الاخير هو خلاصة مذهب الامام الشافعي من طريق النووي والرافعي وهذا بالنسبة الى قياس ما ظهر لنا من أحوال الناس والا فالامر كما روي عن الاصمعي في حديث انه ليغان على قلبي واني لاستغفر ربي من انه لو صدر هذا على قلب غيره صلى الله تعالى عليه وسلم لفسرته ولله دره حيث عظم قلب حبيب ربه الذي هو مهبط وحيه (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) أي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته (فقال المعرفة رأس مالي) لانها المقصودة من أصل الخلقة قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابن عباس أي ليعرفون (والعقل أصل ديني) أي بناء مداره ومحل اعتباره (والحب أساسي) أي أساس قلبي في حضوري مع ربي (والشوق مركبي) لان صاحب الشوق وطالب الذوق في سلوك الطائرين وفاقدهما سيره ضعيف في منازل السائرين (وذكر الله أنيسي) أي مونسي وسبب لان يكون جليسي لحديث انا أنيس من ذكرني وجليس من ذكرني وفي نسخة أنسي بضم فسكون كان

مائة مرة وروى سبعين مرة) هذا حديث صحيح وسياتي الكلام عليه وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أستغفر الله يعني أطلب منه المغفرة أو اذكر هذا اللفظ بعينه والسبعون عدد معلوم وقد يراد به مجرد التكثير وعلى هذا تكون الروايتان بمعنى وطلب المغفرة وان اقتضى الذنب وهو صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم من الكبائر والصغائر مطلقا على الاصح المراد به انه مع كماله صلى الله عليه وسلم يشهد في نفسه قصورا نزل منزلة الذنب فاستغفر له أو عد اشتغاله بما أبيح له كالاكل واشتغاله بامور الناس ذنبا لعوقه عن المشهود أو هو تشريع الامة أو كان استغفاره صلى الله عليه وسلم لذنوبهم أو انه لم يزل مترقيا في المقامات فكلما ترقى لمرتبة رأى ما دونها نقصا فاستغفر منه وستاتي تتمته (وعن علي كرم الله وجهه سالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن سنته) أي طريقته التي هو عليها وهذا الحديث ذكره في الاحياء وقال الحافظ العراقي انه لا أصل له وقال السيوطي رحمه الله تعالى انه موضوع وآثار الوضع لائحة عليه وهو يشبه كلام الصوفية (فقال المعرفة رأس مالي) رأس المال هو المال المعد للتجارة وما يكتسب به وهو الفائدة والمراد بالمعرفة معرفة الله وصفاته والوقوف على غوامض الامور مما لم يكن يعلمه وهي تختص بالعلم المسبوق بالعدم أو بالجزئيات فلذا قيل ان علم الله لا يسمى معرفة ولا يقال الله عارف الا انها جاءت بمعنى العلم أيضا والمراد هنا الاول لمقابلتها بالعلم وهذا تشبيه بليغ كما قيل

اذا كان رأس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب

وقد تقدم (والعقل أصل ديني) مر والعقل قوة غريزية في الانسان يستعد بها لادراك العلوم أي دينه وشرعه أي ما تعبد به وتدين قبل البعثة أو قبلها وبعدها مبني على ما أودعه تعالى فيه من كمال عقله الذي هداه الى النظر في مصنوعات الله الدالة على وحدانيته وعظمته وانه هو الحقيق وفي الحديث ان عائشة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله بم يتفاضل الناس قال بالعقل في الدنيا والآخرة فقلت أليس يجزون باعمالهم فقال يا عائشة هل يعمل الا من له عقل فبقدر عقولهم يعملون وبقدر عملهم يجزون وقد اتفقوا على أن ما أعطى الناس من بدء الدنيا الى آخرها من العقل بالنسبة لعقله صلى الله تعالى عليه وسلم كنسبة ذرة من الرمل الى رمال الدنيا كلها (والحب أساسي) أي محبة الله بعد معرفته لان من لم يعرف لا يحب أي أساس يبنى عليه أموري في اتباع أوامر الله ونواهيه كما انه موجب لاتباع الناس لي كما قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولا يكمل ايمان أحد حتى يكون الله أحب اليه من نفسه وأهله وماله كما سياتي بيانه وجمع هذه الامور في نسق واحد لان رأس المال والاساس والاصل من واد واحد وتغاير العبارة انما هو لتلوين الخطاب (والشوق مركبي) أي شوقي الى المطالب العالية والى لقاء الله تعالى هو الذي حركني حتى وصلت لمرادي كما قيل

وقالوا اذا أتيت لهم سريعا * مجدا في سبيلي للتلاقي
ركبت على البراق فقلت كلا * ولكني ركبت على اشتياقي

والشوق أعلى من المحبة لانه ينشأ عنها فانه انجذاب النفس لشدة ميلها الى لقاء من يشتاقه (وذكر الله أنيسي) وفي نسخة أنسي يعني انه يانس في خلوته وجلوته بذكر الله لانه اذا أكثر من ذكره صار نصب عينه حتى كانه معه ومن كان الله معه آنس به واستوحش مما عداه ومن كان له ورد في الصباح والمساء

كان من الذاكرين الله وأنظر لقوله اذكروني اذكركم وقال سمنون حقيقة الذكر ان ينسى ما سواه
ويستغرق الاوقات فيه لا لان انسالك أكثر ذكرك * ولكن بذاك يجري لساني
(والثقة) بكسر المثلثة مصدر كالسعة بمعنى الوثوق بما عند الله وما يطلب منه (كنزي) الكنز المال
المكنوز أي المدفون وفيه بلاغة ونكتة بديعة لان من له مال مدفون لا يراه ولكنه أنفع مما يراه فكذا
ما ترجوه من الله قبل حصوله أنفع من الحاصل عند الثقة كما قيل

واني لارجو الله حتى كأنني * أرى بجميل الظن ما الله صانع

وعلامة الثقة بالله بذل الموجود وترك طلب المفقود (والحزن رفيقي) أي لا يفارقني وذكره مع الانيس
لان الرفيق أنيس وهذا بمعنى ما تقدم من قوله متواصل الاحزان وقد علمت ما فيه (والعلم سلاحي) أي
علمي بالله وبما علمني من لدنه وأوحاه الي أدفع به من يجادلني ويخاصمني وأدفع الشيطان ووسواسه
كما يدفع العدو بالسلاح وآلات الحرب (والصبر) في المكاره وتحمل المشاق وعدم العجلة في الامور
(ردائي) الرداء ما يكون فوق اللباس وبه يتجمل ظاهر المرء ولما كان الصبر فيه سكون وتحمل وعلم
ووقار يشاهده الناس شبهه بالرداء لتجمله به ودفعه ضرر البرد فما قيل من انه لو شبهه بالدرع واللحاف
صح كما قيل تدرعت صبري والتحفت صروفه * وقلت لنفسي الصبر أولى فاهلكي
ليس بشئ (والرضا) بالقصر مصدر وبالمد اسم كما في الصحاح والذي في النسخ بالمد (غنيمتي) جمعه
غنيمة لانه يقهر به عدو نفسه اللوامة ويأسرها اذ الراضي بما قسم الله لا يتمنى ما لم يكن فيحصل له غنى
القلب والراحة كما قيل هل هي الا مدة وتنقضي * ما يغلب الايام الا من رضي
ولا شك ان الرضا بما قدره الله واجب وقوله في الشرح الجديد واختلف العلماء في الرضا هل هو
واجب أو مستحب فقيل هو مستحب لانه لم يرد الامر به وانما ورد الثناء على المتصف به والى هذا
ذهب محققو العلماء مما لا ينبغي ذكره (والفقر فخري) وفي نسخة البرهان وغيره والعجز بدل الفقر
أي اظهار انه عاجز ضعيف وان القدرة والقوة لله وهو مقتضى مقام العبودية كما قال تعالى وخلق
الانسان ضعيفا والعجز المذموم الذي استعاذ منه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في قوله اللهم اني
أعوذ بك من العجز والكسل بمعنى آخر وهو التثاقل عن العبادة والتواني كما قيل

اذا ما التواني أنكح العجز بنته * فساق اليها حين أصدقها مهرا
فراشا وطاء ثم قال لها اتكي * اقصارهما لا شك ان تلد الفقرا

وقال ابن تيمية الفقر فخري ليس بحديث ومن قال انه حديث فقد كذب وقيل الظاهر ان المراد بالعجز
بفتح فسكون هو العجز عن طلب الدنيا والتمكن في الثروة والشوكة وأريد به لازمه وهو الفقر ولا
وجه له فانه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بعاجز عما ذكر وانما تركه وأعرض عنه باختياره كما مر
والاوجه ان المراد به ما مر كما في حديث لا يدخل على الاعجزة الناس أي ضعفاؤهم وفي آخر أهل الجنة
كل ضعيف متضعف وفي حديث هرقل ضعفاء الناس اتباع الرسل وفي حديث الاسراء أمتك أضعف
الامم وهم أكثر أهل الجنة قيل فقوله الفقر فخري قد يقال انه رواية بالمعنى فليس بكذب وفيه نظر
ولذا قال الحافظ ابن حجر انه باطل موضوع فانه ورد مدح الفقر في الحديث كحديث تحفة المؤمن
في الدنيا الفقر وقد روى بسند لا بأس به واثبات الفخر له وقد نفاه في قوله لا فخر لانه ليس من شانه لان
المراد به الخصلة الحسنة التي من شانها الافتخار بها أو المراد فخري لو كنت ذا فخر كما قيل في قراءة انما
يخشى الله من عباده العلماء برفع الجلالة أي انما يخشاهم لو كان يخشى غيرهم وان كان المشهور ان

(والثقة) أي بالله كما في رواية يعني ان الاعتماد على ربي (كنزي) لما ورد القناعة كنز لا يفنى ولما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (والحزن رفيقي) حيث انه لا ينفك عن قلبي لما سبق من انه كان متواصل الاحزان ولحديث ان الله يحب قلب كل حزين (والعلم سلاحي) لاني أحارب به عدوي من نفسي وشيطاني وأدفع عني به كيد خواني (والصبر ردائي) أي موضع تحملي ومحل تجملي وسبب رفعتي وكبريائي (والرضا) بالقصر مصدر وفي نسخة بالمد على انه اسم (غنيمتي) لانه مغتنم في جميع ما يجري من القضاء ولذا قيل الرضى بالقضاء باب الله الاعظم وقد قال تعالى ورضوان من الله أكبر وفيه ايماء بان رضى الله والعبد متلازمان لا يتصور انهما ينفكان (والعجز فخري) أي افتخر باظهار العجز والافتقار في مرتبة العبودية الى الاحتياج للقدرة والقوة الربوبية كما يشير اليه قوله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء ولعل هذا هو وجه ما وقع في نسخة من لفظ الفقر بدل العجز وان قال ابن تيمية ان حديث الفقر فخري كذب وقال العسقلاني انه باطل فان الحكم بوضعه انما هو باعتبار ما وصل من سنده لا من حيث مبناه المطابق معناه لما ورد في كتاب الله ولا يبعد ان يكون هذا من علي كرم الله تعالى وجهه موقوفا بمضمون ما سمعه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم في بعض أحوال متفرقة مرفوعا

(والزهد حرفتى) يعنى أرباب الدنيا الاجل تمتعها وانتفاعها كل أحد يتعلق بحرفة من حرفها التحصيل طرف من طرفها وانا القلة ميلي اليها وعدم اقبالى عليها جعلت زهدى عنها كسبى فيها اعتمادا على باريها (واليقين) بجميع مراتبه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين (قوتى) أى قوة قلبي فى معرفة ربى وفى نسخة بسكون الواو أى قوت روحى وسبب زيادة فتوحى (والصدق شفيعى) لما قيل من ان الصدق أنجى ولقوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (والطاعة حسبى) أى كفايتى فى مرضاة

المراد بالخشية لازمها وهو التوقير والتعظيم والفقر مع الصبر وصف محمود فان الغنى هو الله كما قال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد (والزهد حرفتى) الحرفة بكسر الحاء وسكون الراء المهملتين والفاء هى الصناعة التى يرتزق منها الانسان والزهد ترك ما يرغب فيه من الدنيا وقال الجنيد الزهد خلو الايدى من الاملاك والقلوب من التتبع وليس الزهد عدم الملك فان سليمان عليه الصلاة والسلام كان زاهدا مع ان الدنيا كلها فى قبضته والتعبير بالحرفة ليس فى محله فانه يوهم انه جعلها مكسبا وفيه شاهد للوضع ومما قلته فى مشايخ زماننا

قد قام فى سوق الريا تاجرا * وباع للسوقة ارشاده

حرفته الزهد ودكانه * يبيع فيه الكذب سجاده

(واليقين قوتى) اليقين الاعتقاد الجازم وهو قوت القلب من قام به لاطمئنانه وعدم خوفه من غير الله وهذا شامل لحق اليقين وعين اليقين والفرق بينهما مشهور فى التفسير وكتب الكلام (والصدق شفيعى) الصدق بمعنى مطابقة الخبر والمراد به ما اصطلح عليه المشايخ من انه استواء السر والعلانية والوفاء لله عز وجل بكل ما عهده اليه ويصح ارادة المعنى الاول والمراد بكونه شفيعه انه سبب مصالحه عند الله أو المراد تعليم أمته (والطاعة حسبى) بفتحتين هو ما يعده المرء من مفاخر آبائه أى طاعة الله فى السر والعلانية هى التى افتخر به وأعده مآثره لا ما يفتخر الناس به أو هو بسكون السين أى الطاعة تكفينى (والجهاد) فى سبيل الله أو مجاهدة النفس بمخالفتها (خلقى) أى طبعت على محبته (وقرة) بضم القاف وتشديد الراء المهملة (عينى) الباصرة أى مسرتها وفرحها فى الصلاة لما أشاهد فيها من التجليات الالهية فانها المعراج الاصغر والقرة مأخوذة من القر وهو البرد لان دمعة السرور باردة أو من القرار لان بلوغ الامنية برؤية ما يسر تسكن به العين فلا تشرف لغيره وقد تقدم ما فيه (وفى حديث آخر) لم يذكره المخرجون لاحاديث هذا الكتاب (وثمرة فؤادى فى ذكره) الفؤاد القلب أو داخله وهو محل العقل على الاشهر فجعله كشجرة ثمرة وجعل ذكر الله المقصود منه (وغمى لاجل أمتى) لرأفتى عليهم فى الدنيا والآخرة (وشوقى الى) لقاء (ربى) ومناجاته والتوجه اليه

(فصل اعلم وفقنا الله واياك) تقدم الكلام عليه (ان صفات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام) هو من عطف الخاص على العام اعتناء لشانهم وبيانا لشرفهم وسيأتى تفصيله (من كمال الخلق وحسن الصورة) الخلق بفتح فسكون والمراد خلق مادة جسمه وأعضائه والصورة هيئة بدنه وتناسب أعضائه ومقاديرها ولون بشرته (وشرف النسب) أى شرف آبائه وأمهاته واجداده وجداته الى ان ينتهى الى آدم عليه الصلاة والسلام فليس فيهم خسيس ولا وضيع (وحسن الخلق) بضمتين أو ضم فسكون وقد تقدم بيانه (وجميع المحاسن فى هذه الصفة) كذا فى بعض النسخ وفى غيرها وعليه الشراح هى بالضمير بدل فى الجارة قال القسطلانى هذه الصفة خبران ووقع بين اسم ان وخبرها ضمير الفصل لقصر الصفة على الموصوف كان زيدا هو المطلق أى لا غيره وأتى بها على لفظ الافراد لتغاير بين المبتدأ والخبر

ربى (والجهاد خلقى) بضم وضمتين أى دأبى وعادتى وهو يشمل الجهاد الاكبر والاصغر (وقرة عينى فى الصلاة) أى من جملة عباداتى أو من جملة عناياتى بناء على ان المراد بالصلاة العبادة المشهورة أو الدعوة المأثورة (وفى حديث آخر) أى برواية أخرى (وثمرة فؤادى) أى نتيجة معارف قلبي (فى ذكره) أى ذكر ربى (وغمى) أى همى الذى يغمنى فى كل حالتى (لاجل أمتى وشوقى الى ربى) أى فى نهاية رتبتى فهذه كلمات جامعة معانيها مطابقة لما فى الكتاب والسنة والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواها الا عن بينة وان لم تكن عندنا بينة وأما قول الدلجى قال الائمة موضوع يحتمل ان يكون باعتبار بعض افراده بناء على اختلاف اسناده كما بيناه والله أعلم

(فصل) أى رابع (اعلم وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء) أى نعوتهم عامة (والرسل) فان أى خاصة (صلوات الله عليهم) أى كافة (من كمال الخلق) بالفتح وتفسيره قوله (وحسن الصورة وشرف النسب) أى مما يقتضى جمال الحسب (وحسن الخلق) بالضم أى السيرة والسير برة والعشرة مع العشيرة (وجميع المحاسن) أى من الشمائل البهية والفضائل العلية (هى هذه الصفات) أى المتقدم ذكرها فى الفصول الماضية ثم هذه الجملة خبر ان واللام فيه للعهد لا كما توهم الدلجى انها للاستغراق المبين بمن

(لانهامن صفات الكمال والكمال) بالرفع (والتمام) عطف تفسير كما قال الدلجي الا أن بينهما فرقا دقيقا وهو ان التمام مالايتم الشئ الا به حتى لوفقد يسمى ناقصا والكمال ليس كذلك لانه أمر زائد على مقدار التمام فتامل فى مقام المرام (البشرى) أى المنسوب الى جنس البشر جميعهم (والفضل) أى الامر الزائد على الكمال العرفى (الجميع) مبتدأ خبره (لهم) والجملة خبر لما قبلها من المبتدأ آت أى من حيث جميعها فيهم لافى غيرهم ومجموعها حاصل لهم فى الجملة بحسب المشاركة وان كانت تختلف حالهم فى مزية المرتبة بل هو المناسب لحال الملك العلوى ولذا لم يقل والكمال والتمام البشريان (اذ رتبتهم أشرف الرتب) أى رتب الموجودات الا أن فى الملائكة خلافا لبعض الائمة أو رتب البشر فهو باجماع الامة وهذا فى الدنيا وقوله (ودرجاتهم أرفع الدرجات) أى فى العقبى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) أى فى الدنيا والآخرة (قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) الاشارة الى من يعلمه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فاللام للعهد وانما لم نقل بالاستغراق لقوله تعالى ولقد أرسلنا رسلا ١٤٧ من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك على انه لايبعد انه سبحانه وتعالى أعلم نبيه بجميعهم وان لم يعلمه بقصصهم ثم المراد بالفضيلة هنا هو الامر الزائد على أصل معنى الرسالة لاستوائهم باعتبار تلك الحالة يدل عليه بقية الآية منهم من كلم الله أى تفضيلا له كموسى ليلة الحيرة فى الطور وكمحمد ليلة المعراج ولعل تخصيص موسى بقوله وكلم الله موسى تكليما التكرر تكليمه له أو لاختصاصه به بالنسبة الى من تقدم كما يشير اليه قوله تعالى ورفع بعضهم أى على جميعهم لا على باقيهم كما قاله الدلجي درجات هو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم تفضيلا على غيره بمناقب متكاثرة ومراتب متوافرة كالدعوة العامة والفضيلة التامة الجامعة بين الرؤية والمكالمة وبين المحبة والخلة وكالآيات الكاملة والمعجزات الظاهرة الشاملة فهو المفرد العلم الاكمل عن البيان فى هذا المحل أو هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام حيث خص بالخلة التى هى من أعلى مراتب المقام أو ادريس عليه الصلاة والسلام رفعه الله مكانا عليا وقيل بقية أولى العزم من الرسل (وقال وقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) أى بهم (على العالمين) أى عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم والمعنى انا اصطفيناهم عالمين بانهم أحقاء باصطفائنا اياهم واذا كان بنو اسرائيل مصطفين لوجود الانبياء فيهم فبالاولى ثبوت الاصطفاء لهم فتأمل ولهذا الكلام المصنف أولى من قول الدلجي هذا على توهم جعل الضمير للانبياء والحق جعله لبنى اسرائيل قبله (وقد قال عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه الشيخان (ان أول زمرة) أى طائفة (يدخلون الجنة) بصيغة المعلوم أو المجهول كما قرئ بهما فى السبعة

فان الاتحاد غير جائز وعرفها بالالف واللام ليشعر بان المراد استغراق ماذكره من كل الصفات المذكورة انتهى وتبعه بعض الشراح ولم يبينه غيرهم وجميع المحاسن على هذا معطوف على اسم ان فهو منصوب فالمعنى ان كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق صفات جامعة لجميع المحاسن وهى صفة الرسل عليهم السلام وهى على الوجه الاتم الاكمل لاتجتمع فى غيرهم ومن بيانية مبينة لصفات جميع الانبياء والرسل والصفة بمعنى الصفات المذكورة ولايخفى مافيه من القلاقة والخفاء وان قوله هذه الصفات هذه الصفة ركيك جدا ولو قيل ان قوله من كمال الخلق الخ خبر ان ومن ابتدائية وجميع مرفوع مبتدأ وفى هذه الصفة خبره والمعنى جميع صفات الانبياء عليهم السلام ناشئة من كمال الخلق الى آخره وجميع المحاسن مجموعة فيها كان أظهر وأحسن (لانها صفات الكمال) أى صفات بها يكمل البشر (والكمال والتمام البشرى) تقدم الفرق بين الكمال والتمام (والفضل الجميع) مبتدأ وكان الاحسن أن يقول والفضل جميعه (لهم) خبره أى ثابت للانبياء عليهم الصلاة والسلام (اذ رتبتهم أشرف الرتب ودرجاتهم أرفع الدرجات) فيه اشارة الى تفضيلهم على الملائكة كما سيأتى (ولكن فضل الله بعضهم على بعض) استدراك لدفع ماعسى يتوهم من تساويهم رتبة ثم أشار على طريق اللف والنشر المشوش الى الدليل على عدم تساويهم بقوله (قال الله تعالى تلك الرسل) المذكورين فى سورة البقرة فالتعريف عهدى أو جميع الرسل الذى نعلمهم فهو استغراقى (فضلنا بعضهم على بعض) بمواهب شتى ومراتب عليه غير أصل النبوة والرسالة منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وهو محمد أو ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وأشار الى فضلهم على من عداهم بقوله (وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم) منا باحوالهم (على العالمين) وهذا من المصنف رحمه الله تعالى مبنى على ان الضمير للانبياء مطلقا والمراد بالعالمين جميع العالم الا على مااختاروه من انه لبنى اسرائيل والعالمين عالمى زمانهم لكثرة الانبياء فيهم (وقال عليه الصلاة والسلام) فى حديث رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (ان أول زمرة) أى طائفة وجماعة (يدخلون الجنة

(على صورة القمر) أى فى هيئته من كمال انارته (ليلة البدر) وهى ليلة أربع عشرة سمى بدرا لمبادرته غروب الشمس فى الطلوع أو لتمامه فيها (ثم قال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (آخر هذا الحديث) أى فى آخره بعد عد جميع زمره وانما اختصره المصنف لطوله (على خلق رجل واحد) أى كلهم على صورة رجل واحد وهذا على رواية فتح الخاء والاظهر رواية الضم بشهادة رواية أخلاقهم على خلق رجل واحد وبدلالة رواية أخرى لا اختلاف بينهم ولا تباغض فى قلوبهم على قلب رجل واحد وأغرب الدلجى حيث جعل الرواية الثانية شاهدة لرواية الخلق بالفتح نعم قد يرجح الفتح كما قال الحلبى لظاهر قوله (على صورة أبيهم آدم) أى صورة خلقه ولا يبعد أن يكونوا أيضا على سيرة خلقه خلافا للدلجى حيث اقتصر على الاول فتدبر وتأمل (طوله ستون ذراعا فى السماء) أى فى جهتها احتراز من طول عرضه من جهة الارض فقد قيل عرضه سبعة أذرع وقيل التقدير وهو فى السماء (وفى حديث أبى هريرة) كما رويناه أيضا (رأيت موسى) أى فى ليلة المعراج أو فى المنام أو فى بعض المكشوفات (فاذا رجل ضرب) بفتح فسكون أى خفيف اللحم مستدق الجسم على ما ذكره الدلجى تبعا للخليل أو ما بين الجسمين كما قاله الحلبى وهو الاولى لانه الوصف الاعلى كما ذكره فى شمائل المصطفى هذا وقد قال ابن قرقول ووقع عند الاصيلى بكسر الراء وسكونها معا ولا وجه للكسر كما قاله القاضى وفى حديث آخر مضطرب وهو الطويل غير الشديد وفى صفاته فى كتاب مسلم عن ابن عمر جسيم سبط يحمل على هذا القول الموافق لرواية مضطرب لا على كثرة اللحم وانما جسيم فى صفة الدجال ضرب

على صورة القمر) أى وجوههم مشرقة مضيئة وليس المراد انها مثله فى الاستدارة وغير ذلك ولذا قال (ليلة البدر) وهى ليلة أربعة عشر وهو اضوأ ما يكون فيها وسمى بدرا لامتلائه بالنور أو لمبادرته مغيب الشمس بالطلوع وهو يسمى هلالا فى أول الشهر ثم يسمى بدرا اذا تم

ان الهلال اذا رأيت نموه * ينبيك أن سيعود بدرا كاملا

والقمر يطلق عليه دائما كما بينه أهل اللغة وتمام الحديث ثم الذين يلونهم كأشد كوكب درى فى السماء اضاءة (ثم قال آخر الحديث) قلوبهم على قلب رجل واحد لا اختلاف بينهم ولا تباغض لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم يسبحون الله بكرة وعشيا لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ووقود مجامرهم الالوة ورشحهم المسك وفى أثر ان له من الحور العين اثنين وسبعين حورية سوى أزواجه من الدنيا وان الواحدة منهن لتاخذ مقعدها قدر ميل من الارض (على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام طوله ستون ذراعا فى السماء) والمراد بهذه الزمرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبالذين يلونهم الاولياء والعلماء الراسخون وقيل المراد بهم الانبياء والاولياء وبالذين يلونهم بقية المؤمنين الاتقياء وقوله آنيتهم الذهب والفضة اما على اللف والنشر فآنية الفرقة الاولى من الذهب والثانية من الفضة أو هما لهما بقرينة جعل أمشاطهم كلهم من الذهب ويحتمل أن يكون اكتفاء أى من الذهب والفضة ورجح بعضهم أن يكون هؤلاء كلهم من أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لحديث الصحيحين يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بيض الوجوه تضىء وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر ويعلم منه حال الانبياء بالطريق الاولى أو هم مسكوت عنهم وعلمهم عند الله وجعلهم على صورة آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان أجمل الناس وأتمهم خلقا والستون ذراعا اما بذراعه نفسه أو بذراع معهود عند المخاطبين والاول أظهر لكن روى ابن أبى الدنيا عن أنس يرفعه يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستون ذراعا بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جرد مرد مكحلين وبردان عرضه سبعة أذرع والحديث يدل على تبدل ألوانهم فمن كان أسود أو أشقر صار أبيض بياضا معتدلا وروى الامام أحمد عن أبى هريرة يرفعه يدخل أهل الجنة الجنة جردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا فى عرض سبعة أذرع وقوله فى السماء يحتمل ارادة الحقيقة منه أى كابتداء خلقه وصورته اذا كان فى السماء أو المراد جهة العلو أى طوله ذلك اذا كان منتصبا قائما (فائدة) استنبط بعضهم من أثر ان مقعد الحوراء فى الجنة ميل ان كل آدمى يدخل الجنة يكون طوله اثنا عشر ألف ذراع بذراع الشرع الذى هو شبران لان مقعد الحوراء ميل فيكون طولها ثلاثة أميال ومقعد الواحد منا ثلث قامته تقريبا والغالب أن الذكر كالانثى فى الخلقة فيكون طول الرجل اثنا عشر ألف ذراع كما تقدم يقسم على الستين الواردة فى الحديث فيكون كل ذراع من الستين ما يأتى ذراع شرعى تقريبا (وفى حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان أيضا (رأيت موسى) عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء يا انا لا منا ما لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام احياء لا تبلى أجسادهم (فاذا رجل ضرب) اذا الفجائية أى فاذا هو رجل

(رجل) بكسر الجيم وروى فتحها أى شعره بين الجعودة والسبوطة (أقنى) أى طويل الأنف مع ارتفاع وسطه ودقة أرنبته (كأنه من رجال شنوءة) بفتح معجمة وضم نون فواو وهمزة وقد تبدل فتدغم قبيلة من اليمن ويمكن الوجهان فى قول الشاعر

نحن قريش وهم وشنوءة * بنا قريش ختم النبوة

(ورأيت عيسى فاذا رجل ربعة) بفتح راء وسكون موحدة وقد تفتح أى بين الطول والقصر وهو لا ينافى كونه الى الطول أقرب كما هو أنسب على ما فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم (كثير خيلان الوجه) باضافة الكثير أى شاماته جمع خال وهو نقطة سوداء تكون فى الجسد ويستحسن قليله فى الوجه (أحمر) أى أبيض مائل الى الحمرة على ما حقق فى نعته صلى الله تعالى عليه وسلم هذا وقد اختلف فى صفة عيسى عليه السلام فروى أبى هريرة بان عيسى أحمر وقال ابن عمر والله ما قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بان عيسى أحمر وانما اشتبه على الراوى وروى ابن عمر ان عيسى آدم والآدم الاسمر وفى البخارى من طريق مجاهد عن ابن عمر انه أحمر فالمراد ما قارب الحمرة والأدمة كما قدمنا فانه قد جاء فى شمائله صلى الله تعالى عليه وسلم انه أسمر مع انه جاء أيضا كونه أبيض مشربا بالحمرة فتدبر (كأنما خرج من ديماس) بكسر الدال ويفتح ويؤيد الاول قولهم أعلى بقلب ميمه الاولى ياء لكسر ماقبلها فقيل معناه الكن أو الستر أى كأنه مخدر لم ير شمسا وهو بظاهره لا يلائم كونه أحمر فالصواب ماجاء مفسرا فى حديث بانه الحمام وفى الحديث رأيته يطوف بالبيت ثم رأيت بعده الدجال يطوف بالبيت واستشكل بانه كيف ذلك وقد حرم الله عليه دخول مكة وأجيب بان التحريم مقيد بوقت فتنته أو حرمت على جسمه وهذا باعتبار روحه وفيه ايماء الى ان مرجع الكل الى باب المولى وان لا يقدر أحد ان يخرج عن حكمه تعالى (وفى حديث) لم أعرف من رواه كما قاله الدلجى (مبطن) بتشديد الطاء المهملة المفتوحة أى ضامر البطن وان كان قد يطلق على عظيمه (مثل السيف) أى لاستوائهما واعتدالهما كما ذكره الدلجى وغيره فهو تأكيد والاظهر انه نعت مستقل ومعناه انه مثله ضياء وصفاء وفى الشمائل للترمذى فاذا أقرب من رأيت به شبها عروة ابن مسعود وهو ثقفى قتله رجل من ثقيف عند تأذينه بالصلاة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

ضرب بفتح الضاد المعجمة وسكون الراء المهملة والموحدة ورجل هنا بفتح فضم بمعناه المشهور وهو الذكر من بنى آدم ومعنى ضرب بالفتح والسكون ان جسمه بين الهزال والسمن وقال الخليل رحمه الله تعالى انه القليل اللحم ووقع فى رواية الاصيلى بسكون الراء وكسرها والاصح الاول وروى مضطرب وهو الطويل غير الشديد الطول وفى مسلم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه جسيم سبط وحمل هذا على ما يوافق رواية مضطرب لا على كثير اللحم كما وقع فى صفة الدجال فهو من الاضداد (رجل) بفتح المهملة وكسر الجيم وجاء فتحها فى لغة قليلة أى شعره متكسر قليلا ليس بسبط لا تكسر فيه ولا جعد متكسر كثيرا (أقنى) بقاف ونون من القنى بالفتح والقصر وهو طول الالف ودقة ارنبته يقال رجل أقنى وامرأة قنواء وقيل القناء أحديداب فى الانف فمعناه محدودب وليس بعيب فى الناس وفى النهاية القناء فى الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب فى وسطه وأما قول كعب رضى الله تعالى عنه

قنواء فى حرتها للبصير بها * عتق مبين وفى خديه تسهيل

فمعنى آخر لا حاجة لنا به هنا (كأنه من رجال شنوءة) بفتح الشين المعجمة وضم النون وواو ساكنة وهمزة وقد تبدل الهمزة واوا وتدغم وهاء على وزن فعولة وهى اسم قبيلة ويقال لها ازدشنوءة وأسد شنوءة وهى باليمن مشهورة وهى من الشناء وهو التباعد عما يدنس يقال رجل شنوء اذا كان طاهر النسب ذا مروءة سميت بذلك لعلو نسبهم وحسن سيرتهم وأفعالهم وهذا الحديث متفق عليه وفى رواية البخارى كأنه من رجال الزط وهم نوع من السودان أو الهنود طوال الاجسام مع نحافة وهذا هو وجه الشبه أى انه طويل غير جسيم (ورأيت عيسى) عليه الصلاة والسلام يقظة فى الاسراء كما سيأتى (فاذا هو رجل ربعة) بفتح الراء المهملة وسكون الباء الموحدة وفتحها أى بين الطول والقصر معتدل القامة (كثير خيلان الوجه) بكسر الخاء المعجمة وسكون المثناة التحتية جمع خال وهو الشامة السوداء المعروفة وما قيل من ان كثرة الخيلان مذمومة غير مسلم واختلفت الرواية فى لونه فروى انه آدم أى أسمر وروى (أحمر كأنما خرج من ديماس) بكسر الدال المهملة والمثناة التحتية وميم وألف وسين مهملة وهو الحمام والكن وأصله السرب فى الارض والمراد صفاء لونه مع حمرة فيه فرواية آدم بمعنى شديد الحمرة لا تنافى هذه (وفى حديث آخر) لم تعرف روايته (مبطن) بالتشديد والطاء المهملة أى ضامر البطن كما يفسره قوله (مثل السيف) أى فى استوائه ودقته وقد تعددت الرواية برؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم للانبياء عليهم الصلاة والسلام يقظة فى السماء والارض لانهم أحياء وصنف البيهقى فى هذا جزأ مستقلا (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم

(وأنا أشبه ولد ابراهيم به) خليقته صلى الله تعالى عليه وسلم ولونه كلونه فهو أكثر شبهابه من سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والناس كلهم (وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (في حديث آخر في صفة موسى) عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري في صحيحه (كأحسن ما أنت راء من آدم الرجال) ما موصولة والعائد محذوف أي الذي أنت رائيه وآدم من الادمة وهي سمرة اللون قيل وهي في الابل بمعنى البياض وفي الظباء سمرة الظهر وبياض البطن ومؤنثه أدماء وآدم هنا بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وبالميم جمع آدم كأسمر وسمر وهي السمرة مطلقا أو الشديدة وقيل انها البياض والاول أصح واستدل عليه بقوله تعالى تخرج بيضاء من غير سوء أي عيب كالبرص وانما يكون هذا اذا كان أسمر وخالف لونها لونه ويحتمل انها تخالفه لشدة بياضها كما قيل انها كانت ذات شعاع كشعاع الشمس (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) رواه أبو يعلى وابن جرير من طرق وأخرجه سعيد بن منصور في سننه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا (ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه الصلاة والسلام نبيا) وهو لوط بن هاران وهو ابن أخي ابراهيم وخص ماذكر بما بعده لانه من الشام فبعثه الله تعالى الى أهل قرية يقال لها سدوم ليست من بلاده وليست موطنا لقومه ومن بعده من الانبياء لم ينبأ (الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة أي كثرة) والذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة أعلى شئ أي بين قوم له ذوي جدة وسعة وشرف لا غرباء ولا من قوم ليسوا كذلك وأشار بهذا الحديث الى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم شاركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في علو النسب وشرف القوم والثروة بمعنى الكثرة مطلقا وقد يختص بالمال وقيل الذروة المكان المرتفع وهي مثلثة الذال (ومنعة) بفتح الحروف أي ميم ونون وعين مفتوحات جمع مانع كخدمة جمع خادم ويجوز تسكين نونه أو هو اسم مصدر في الاصل كصدقة أي قوم يمنعونه ويحمونه وقصة لوط عليه الصلاة والسلام مفصلة في كتب التفسير وفي قوله تعالى قال لو ان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد اشارة الى ماذكر من انه لم يبعث في قومه الذين ينصرونه ويحمونه * فان قلت كيف يكونون في منعة وثروة وقد قال تعالى في بعضهم وما آمن معه الا قليل وقد عاداهم قومهم وقتل بعضهم وما مناسبة ماذكر لما عقد له الفصل من محاسن الخلق والخلق من الصفات الذاتية * قلت قد توهم بعضهم ورود ماذكر وليس كذلك لان ماذكر من شرف القوم والاصالة يدل على المحاسن الذاتية لاستلزامه لها وكونهم كثيرون لا ينافي عداوتهم وأما المنعة فباعتبار من أتبعه منهم ولذا ورد رحم الله أخي لوطا لقد آوى الى ركن شديد وهو لا ينافي الآية لان المراد الملائكة وما أمده الله تعالى به (وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه تقدم ترجمة

(وأنا أشبه ولد ابراهيم به) بفتح واو ولام وبضم فسكون أي أولاده من الانبياء (وقال في حديث آخر) على مارواه البخاري (في صفة موسى عليه السلام كأحسن) وقع في أصل التلمساني كأشبه (ما أنت راء) بكسر همز من غير ياء اسم فاعل من باب رأى وما موصولة أو موصوفة (من آدم الرجال) أي من سمرهم وهو بضم همز وسكون دال مهملة جمع آدم افعل شديد السمرة قال ابن الاثير الادمة في الابل البياض مع سواد المقلتين وهي في الناس السمرة الشديدة وهي من ادمة الارض وهو لونها وبه سمي آدم عليه الصلاة والسلام وقال النضر بن شميل انما قيل لآدم آدم لبياضه وقد استدل بعضهم على ان موسى أسمر بقوله سبحانه وتعالى تخرج بيضاء من غير سوء فدل ذلك على انها خالفة اللون وهذا أحـ والله تعالى أعلم (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه أبو يعلى وابن جرير (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ما بعث الله نبيا من بعد لوط الا في ذروة من قومه) بكسر الذال المعجمة ويروى مثلثة أي في رفعة أو في عزة كما في حديث سعيد ابن منصور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما موقوفا والمعنى في منعة وحرمة وغلبة ونصرة (ويروى في ثروة) بفتح المثلثة (أي كثرة) توجب غلبة (ومنعة) بفتحتين ويسكن النون أي قوة تمنع المذلة وقيل المنعة بالتحريك جمع مانع أي جماعة يمنعونه ويحمونه من أعدائه هذا والتقييد ببعدية لوط يفيد انه لم يكن في منعة كما يشير اليه قوله لو ان لي بكم قوة أي بدنية أو آوي الى ركن شديد أي قبيلة قوية واستشكل الدلجي قوله تعالى لليهود فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولو كانوا في منعة لما قتلوا منهم ببيت المقدس في يوم واحد ثلثمائة نبي انتهى ويمكن دفعه بان منعتهم مقيدة بكونهم في قبيلتهم والقضية واقعة في غير محلتهم أو المراد بالمنعة ما تعلق به من أمر النبوة ومخالفة الامة مع انه قد تكون المغلوبية لارباب المنعة (وحكى الترمذي) بل روى في الشمائل (عن قتادة) أي مرسلا (ورواه الدارقطني) وهو الحافظ المشهور امام المحدثين في زمانه تفقه على الاصطخري وسمع البغوي وروى عنه الحاكم وغيره منسوب الى دارقطن محلة ببغداد (من حديث قتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه) أي موقوفا

الترمذي وقتادة وان الدارقطني منسوب لدارقطن وهي محلة ببغداد كان يسكنها وهو الحافظ الامام الجليل المشهور امام عصره في الحديث والفقه والقرآت وغيرها من العلوم الشرعية والحديث المذكور في الشمائل وغيرها مرسلا (مابعث الله نبيا الا) وقد خلقه (حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم) من ابتداء وجوده وخلقته (أحسنهم) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وجها وأحسنهم صوتا) لان حسن الصورة يدل على كمال الخلق والخلق اذ الظاهر عنوان الباطن كما قيل

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه أهدى الدلائل

وقال الآخر

يدل على قبح الطوية ماترى * بصاحبها من قبح بعض ملامحه

وحسن الصوت بكونه جهوريا يسمع من بعيد مع لطفه فيه يدرك بالذوق ولا يلزمه كونه على رسم الموسيقي وهذا يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أجمل من يوسف وأحسن صوتا من داود عليهما الصلاة والسلام وكانت قراءته صلى الله تعالى عليه وسلم في بيته ليلا تسمع عند الكعبة وفيما بعد من منازل المدينة وما ورد في حديث الطبري في يوسف فاذا انا برجل أحسن ماخلق الله قد فضل الناس بالحسن المراد منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على من عداه لاسيما ان قلنا ان المتكلم لايدخل في عموم كلامه كما ذهب اليه بعض الاصوليين ويدل عليه ما ورد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى الحسن كله وأعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطره أي نصفه أي ان الحسن كله جمع له صلى الله تعالى عليه وسلم من تناسب اعضاء وصفاء لون وغيره مما يدرك ولا يوصف ويوسف أعطى من جنس الحسن الكامل فيه نصفا وجميع الخلق وزع بينهم ما يعدل نصفه الآخر فدل ذلك على انه أحسن الناس كلهم كما صرح به في الحديث الذي نحن فيه وما قاله السخاوي في كتاب الامتنان من ان الجلال الدين المحلي رحمه الله سئل عن حديث أعطى نبينا جميع الحسن ويوسف شطره فقيل كيف يكون الشئ الواحد جميعه في شئ ونصفه في آخر فقال لم يظهر لي جوابه وكذا قال ابن حجر وقد تأملت قوله في البردة البوصيرية

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

فبان لي منه جوابه وهو ان حسن النبي صلى الله عليه وسلم غير منقسم بينه وبين غيره بخلاف حسن سائر الناس فانه منقسم بينهم وبين يوسف عليه الصلاة والسلام انتهى وفيه نظر وهذه مغالطة وزهرة لاتحتمل الفرك ومنشأه عدم الفرق بين تقسيم شئ بعينه وتقسيم افراد نوع من الانواع فتدبر (وفي حديث هرقل) مر ضبطه والاضافة لادنى ملابسة لذكره في الحديث كما يقال حديث الشفاعة والاصل اضافته لرواية الصحابي أو التابعي أو من خرجه كالبخاري ومسلم وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عباس نقله عن أبي سفيان حين أرسل اليه هرقل وهو بالشام للتجارة في ركب من قريش في مدة محادة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لكفار قريش فاتوه بايليا فدعاهم وحوله عظماء الروم فسألهم عن أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم فكان أول ما سأله عنه ان قال كيف نسبه فيكم فقال هو فينا ذو نسب الى آخره فقال له كما أشار اليه بقوله (وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب) أي نسب عظيم فالتنكير للتعظيم لشرف أصوله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه ليس

(مابعث الله نبيا الاحسن الوجه) فحسن الوجه يدل على معروف كما قيل الظاهر عنوان الباطن وقد انشد

يدل على معروفه حسن وجهه * ومازال حسن الوجه أهدى الدلائل

وقد روى الدارقطني في الافراد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعا ابتغوا الخير عند حسان الوجوه ورواه الطبراني بلفظ التمسوا وقبح الوجه على عكسه باعتبار مفهومه كما قيل

يدل على قبح الطوية ماترى * بصاحبها من قبح بعض ملامحه

والظاهر ان الامرين غالبان لتصور خلافهما في بعض افراد الانسان وفي الحديث اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي فالجمع بينهما كمال الجمال (حسن الصوت) قال تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قرئ بالحاء المهملة وان كانت المعجمة لهما شاملة (وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا) أي من الكل فيشمل حسن صورة يوسف وصوت داود باعتبار الصباحة والملاحة وزيادة البلاغة والفصاحة هذا وقد قيل يوسف أعطى شطر حسن آدم وقيل شطر حسن جدته سارة لانهما لم تفارق الحور الا فيما يعتري الآدمية من الحيض وغيره وقد أعطى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كمال الجلال والجمال من تمام الصباحة فما رآه أحد الاهابه ومن تمام الملاحة فما رآه احد الا أحبه وفي الحديث دلالة على جوازه مثل هذه الاضافة اذا لم يرد بها المهانة أو البراءة (وفي حديث هرقل) على ما في الصحيحين من انه قال لابي سفيان (وسألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب) والزعم قد يستعمل بمعنى القول ولعله استعمل بمعنى الظن لما يوهم من معنى التهمة أولان أمر النسب مبني على غلبة الظن لا على الحقيقة كما روي عن ابن سلام في قوله تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم

وقد رفع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الوهم في نسبه بما ورد عنه في أحاديث مضمونها اني ولدت من أب الى أب الى آدم كلهم من نكاح ليس فيهم سفاح وهذا كله على مقتضى ما وقع في أصل الدلجي واما على ماصح عندنا من النسخ المعتمدة فذكرت انه فيكم فلا اشكال (وقال تعالى في أيوب) أي في نعته (انا وجدناه) أي علمناه أو صيرناه (صابرا) بتحليقنا أو بتوفيقنا (نعم العبد) أي أيوب مبتدأ خبره ماقبله وخص بالمدح لصبره على بلائه ورضاه بقضائه ولا يضره شكواه مابه من ضر الى مولاه (انه أواب) أي كثير الرجوع الى الله وقال الانطاكي أي تواب والتحقيق هو الفرق بين أواب وتواب بان التوبة عن المعصية والاوبة عن الغفلة قيل كان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرب موسى وفي قربه عين جارية يتبركون بها على زعم انها المذكورة في القرآن (وقال يا يحيى خذ الكتاب) أي التوراة (بقوة) أي بجد وجهد ومبالغة في مواظبته (الى قوله ويوم يبعث حيا) وهو قوله سبحانه وتعالى وآتيناه الحكم أي الحكمة أو النبوة أو المعرفة بالشريعة صبيا وحنانا من لدنا أي رحمة وشفقة منا عليه أو رحمة وتعطفا في قلبه على أبويه وزكاة أي طهارة أو نماء ورفعة وكان تقيا أي عن المعاصي تقيا وبرا بوالديه أي مبالغا في برهما ولم يكن جبارا متكبرا عصيا عاقا وسلام أي من الله عليه يوم ولد أي من ان يمسه الشيطان كغيره من بني آدم كما أخبر به صلى الله تعالى عليه وسلم ويوم يموت أي من ظلمة القبر ونحوها أي حين يدفن في حجرته عليه السلام ويوم يبعث حيا من هول القيامة وخوف العقوبة قال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الانسان في هذه الاحوال الثلاثة يوم ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير نفسه فيه فخص يحيى بالسلامة في هذه المواطن قلت ولعل وجه تخصيصه ما روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن أحد الا ألم بذنب أو كاد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وقال تعالى ان الله يبشرك) من التبشير أو البشارة لثبوتهما في السبعة (بيحيى الى الصالحين) يعني قوله مصدقا بكلمة من الله أي مؤمنا بعيسى وسيدا أي رئيسا في قومه وحصورا غير مائل الى الشهوة ونبيا من الصالحين أي القائمين بحقوق الله وحقوق عباده أجمعين (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا) أي اختارهما (وآل ابراهيم) أي اسماعيل واسحق وأولادهما ومنهم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل اسمعيل ويدخل ابراهيم في من اصطفى دخولا أوليا كما لا يخفى (وآل عمران) أي موسى وهرون ابني عمران بن يصهر وعيسى وأمه بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة على ماذكره الدلجي (الآيتين) يعني قوله على العالمين أي على عالمي زمانهم أو على المخلوقين جميعهم ذرية أي حال كونهم ذرية واحدة بعضها من بعض في الديانة والله سميع عليم بأقوالهم وأحوالهم فاصطفاهم لعلمه بهم

في أمهاته سفاح ولا شيء من نكاح الجاهلية كما مر وتقلبه في الاصلاب الطاهرة من الانبياء وقبيلته أشرف القبائل وبيته أشرف بيوتهم (وكذلك الرسل) عليهم الصلاة والسلام (تبعث في انساب قومها) أي كل نبي له نسب عال في قومه لان من اختاره الله لنبوته يختار له عنصرا مناسبا ولم يتخذ وليا من الذل فشبه اتصاله باتصال الظرف بظروفه (وقال تعالى في أيوب) صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ببلاد حوران وقبره مشهور عندهم بقرية قرب نوى وعليه مسجد وقربة موقوفة على مصالحه وعنده عين جارية فيها أثر قدم في حجر يقال انه أثر قدمه عليه الصلاة والسلام والناس يشربون من عينه ويغتسلون منها بالتبرك ويقولون انها المذكورة في القرآن (انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب) كثير الرجوع لربه بمراجعة دعائه وامتثال أوامره ونواهيه واستشهد بهذه الآية على حسن خلق الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الصبر أمر عظيم وخلق كل كريم حليم ولذا أثنى الله عليه بقوله نعم العبد الى آخره ووصفه بالعبودية المناسبة للصبر وقد صبر على ما ابتلاه الله به كما صبر يعقوب وغيره من الرسل ونبينا صلى الله تعالى عليه وسلم صبر على قومه وماقاساه منهم وقصة أيوب عليه الصلاة والسلام ونسبه مذكور في التفسير واختلف في زمن نبوته فقيل كان قبل موسى عليه الصلاة السلام وانه من بني اسرائيل ومدة بلائه ثلاث عشرة سنة أو ثلاث سنين وامرأته اسمها اليا وقيل رحمة بنت يوسف (وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى الصالحين) واستشهد المصنف رحمه الله تعالى بماذكر على محاسن الانبياء وأخلاقهم اذ تلقى يحيى عليه الصلاة والسلام الكتاب التوراة أو غيرها بقوة فهم وعزيمة على العمل بما فيها وقد آتاه الله الحكم صبيا وهو يدل على سلامة فطرته وخلقته وكان حنانا في طبعه الرحمة وانه كان تقيا برا بوالديه مطهرا من النقائص وانه سلمه الله من يوم ولد الى مماته (وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين) استشهد بهاتين الآيتين على ماحواه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الصفات الجليلة ومكارم الاخلاق وانه تعالى جعلهم صفوة خلقه فآل ابراهيم اسحق واسمعيل وأولادهما وآل عمران عيسى ومريم بنت

عمران

(وقال في نوح انه كان عبدا شكورا) حامدا لله في جميع حالاته مع القيام بوظائف طاعاته قيل كان نوح عليه الصلاة والسلام اذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسمي عبدا شكورا أي كثير الشكر (وقال) أي بعد قوله تعالى اذ قالت الملائكة يا مريم (ان الله يبشرك) بالوجهين (بكلمة منه) أي بوجود من يخلق بامر كن من عنده سبحانه بغير واسطة وجود أب (اسمه المسيح) مبتدأ وخبر أي مسح بالبركة والميمنة أو مسح الارض بالسياحة (الى الصالحين) وهو قوله عيسى بن مريم وجيها حال مقدرة أي ذا وجاهة في الدنيا بالنبوة والآخرة بالكرامة والشفاعة ومن المقربين في الحضرة وصحبة الملائكة وعلو الدرجة في الجنة ويكلم الناس أي ومكالمهم في المهد وكهلا أي طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير قصور في الحالين من تغير الانبياء ومن الصالحين فيه اشارة الى ان مرتبة الصلاح غاية الفوز والفلاح (وقال تعالى) أي حكاية عن عيسى (اني عبد الله) أنطقه الله به في أول الحالات لكونه مبدأ المقامات وليكون ردا على من زعم ألوهيته من أهل الضلالات (آتاني الكتاب) أي الانجيل (الى مادمت حيا) أي قوله تعالى وجعلني نبيا وجعلني مباركا أي نفاعا للغير معلما للخير أين ما كنت وأوصاني أي أمرني بالصلاة والزكاة أي ان ملكت مالا أو بالصدقة على حسب الطاقة أو طهارة النفس من الخيانة مادمت حيا أي في مدة حياتي الى ساعة مماتي (وقال) أي في حق موسى عليه الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية) يعني فبرأه الله مما قالوا أي حيث قذفوه بعيب في بدنه برصا أو أدرة لفرط تستره حياء على وفق طبعه وشرعه فاطلعهم الله على براءته منه ونزاهته عنه وكان عند الله وجيها أو ذا وجاهة وقربة عند ربه عندية لا مكانية لتنزهه سبحانه

وتعالى (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الشيخان (كان موسى رجلا حييا) بكسر التحتية الاولى وتشديد الثانية فعيل بمعنى شديد الحياء في جميع الاحوال (ستيرا) بكسر تين مع تشديد الثانية أي كثير التستر في حال الاغتسال وفي نسخة صحيحة بفتح فكسر تحتية مخففة قال ابن الاثير ستير فعيل بمعنى فاعل أقول واختيار المبالغة أبلغ وأنسب بقوله (ما يرى من جسده شئ استحياء) وفي نسخة استحاء أي لاجل كمال حيائه من رفقائه (الحديث) وتمامه قوله عليه الصلاة والسلام فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر الا عن عيب بجلده اما برص أو أدرة وهي بالضم نفخ الخصية وان الله أراد ان يبرئه فخلا يوما وحده أي منفردا ليغتسل فوضع ثوبه أي جميعه وهو المناسب لدفع الادرة أو الزائد عن ازاره ان كان البرص على زعمهم فوقه ففر الحجر أي بعد فراغه من غسله ويحتمل كونه من قبله فجمح بجيم فميم مفتوحة فحاء مهملة أي أسرع في أثره يقول أي قائلا ثوبي ثوبي أي ألقه أو رده يا حجر حتى انتهى أي مشيه ووصل الى ملأ بني اسرائيل فرأوه عريانا أحسن خلق الله حالان من ضمير رأوه اذا الرؤية بصرية ليس لها الا مفعول واحد فقالوا والله ما بموسى من باس فاخذ ثوبه أي من فوق الحجر وقد ضربه حيث فر ولعله سبحانه وتعالى به أمر فوالله ان بالحجر لندبا بفتح النون والدال المهملة والموحدة أي تأثيرا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا لاسم ان مبنية لعدده وفي رواية أو

عمران ذرية بعضها من بعض على سنن واحد (وقال في نوح) عليه الصلاة والسلام (انه كان عبدا شكورا) لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفعل شيأ الا قال بسم الله والحمد لله (وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الآية) استشهد بهذه الآية على ما لعيسى صلى الله تعالى عليه وسلم من النعوت السنية والمحاسن الجلية التي وصفه الله تعالى بها من انه وجيه أي شريف قدره في الدارين وانه تكلم في مهده وقد تقدم ذكر من تكلم في المهد غيره والكهل الشاب وقيل من وخطه الشيب أو من جاوز الثلاثين الى خمس وخمسين وكونه رفع ابن ثلاث وثلاثين وان جزم به القاضي في تفسيره غير متفق عليه فقد ذكر ابن حجر في الاصابة أقوالا أخر منها انه بلغ المائة أو زاد عليها او تقدم معنى كونه كلمة الله (وقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا الى مادمت حيا) قيل انه نبئ وهو صبي وألهم حفظ التوراة والانجيل ووصف نفسه بالعبودية ردا لما اعتقده فيه النصارى وكان نطقه باذكر تبرئة لامه (وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وذلك لانهم عابوه عليه الصلاة والسلام لشدة تستره حياء من الله بان في بدنه برصا أو به أدرة فبرأه الله من ذلك وبين انه كامل الخلق والخلق ولذلك ساق المصنف الآية وقال (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان موسى رجلا حييا) بحاء مهملة وياءين ثانيتهما مشددة بزنة صبي أي كثير الحياء (ستيرا) بكسر السين المهملة وكسر التاء المثناة المشددة بزنة سكين أي شديد الستر لبدنه وقد أشار لتفسيره بقوله (ما يرى من جسده شئ استحياء) وهذا يدل على عفته وحيائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خلق حميد وقال البرهان ان ستيرا بفتح السين وكسر التاء الفوقية المخففة فعيل بمعنى فاعل والذي أحفظه انه بكسرها وبتشديد التاء الفوقية كسكيت وسكين وكذا ضبط في نسخ البخاري انتهى ومن كان يستحي من كشف عورته وبدنه فهو أشد حياء من كشف غيره (الحديث) بالنصب أي اقرأ الحديث الذي رواه

أربعا أو خمسا والظاهر ان الجملة القسمية من تمام الحديث وجوز الدلجي ان تكون مدرجة فيه من كلام الراوي لكن ليس فيه ما يشعر به ولا ما يلجئه وفي الحديث جواز الغسل عريانا في الخلوة وان كان الافضل ستر العورة وبه قال الائمة الاربعة وفيه ايماء الى ابتلاء الانبياء والاولياء بايذاء السفهاء وصبرهم عليه في حال البلاء وان الانبياء منزهون من النقائص خلقا وخلقا (وقال تعالى عنه) أي حكاية بعد قوله ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لي ربي حكما) أي نبوة علما (الآية) تمامها وجعلني من المرسلين (وقال في وصف جماعة منهم) موسى مدحا لهم (اني لكم رسول أمين وقال) أي حكاية لقول بنت شعيب في حق موسى (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين) روي ان شعيبا قال لها وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلاله الحجر الثقيل الذي لا يحمله الأربعون أو عشرون وغضه البصر حين بلغته الرسالة وأمره اياها بان تمشي وراءه وتدله بالحجارة ان أخطأ تلقاءه (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) تقدم انه منهم ومن أفضلهم أو هذا الوصف يعمهم (وقال ووهبنا له) أي لابراهيم (اسحق) أي ابنه (ويعقوب) بن اسحق سبطه (كلا) أي منهما (هدينا الى قوله) أي في كلام يطول منتهيا الى قوله اجمالا (فبهداهم اقتده) بهاء السكت وفي قراءة ابن عامر بكسرها وفي رواية لابن ذكوان باشباعها على انه ضمير راجع الى المصدر وقرأ حمزة والكسائي بحذف الهاء وصلا والكل بسكونه وقفا والمعنى اقتد بطريقتهم وسيرتهم وسريرتهم أو بما توافقوا عليه من أمر التوحيد والنبوة والبعثة وأمثالها دون الفروع المختلف فيها اذ ليست مضافة الى كلهم مع عدم امكان الاقتداء في جميعها بهم لتباين أحكامهم

البخاري عن أبي هريرة أو بذكره وتتمته أنه صلى الله عليه وسلم لما كان يكثر الستر ويغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا البرص أو ادرة به فذهب مرة ليغتسل ووضع ثوبه على حجر فلما أراد أن يلبسه فر الحجر وجرى خلفه ويقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى مر على بني اسرائيل فرأوه أكمل الناس وأصحهم بدنا فبرئ مما سمعوه وآذوه به (وقال تعالى عنه) ضمنه معنا حكى فعداه بعن أي عن موسى عليه السلام ففررت منكم لما خفتكم (فوهب لي ربي حكما الآية) أي علما ونبوة وفراره صلى الله عليه وسلم لما قتل القبطي وذهب فكلمه الله كما هو مشهور (وقال في وصف جماعة منهم) أي من الانبياء عليهم السلام (اني لكم رسول أمين) وقع هذا من نوح وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام كما حكاه عنهم على وجه الرضاء والتصديق فلا يتوهم انه مدح لانفسهم فليس مما نحن فيه (وقال) موسى لشعيب عليهما الصلاة والسلام (ان خير من استأجرت القوي الامين) وقصته معه انه لما فر من القبط اذ خافهم لقتل رجل منهم ومر بابنتي شعيب عليه السلام جالستان ينتظران فراغ الناس ليسقي غنمهما قال لهما لم تأخرتما فقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء فقال أما عندكم بئر غير هذه فقالتا عندنا بئر مطبق عليها حجر لا نطيق رفعه وكان لا يرفعه الا عشرة من أشد الرجال فقال اذهبا فاريتها فرفعه وحده وسقى لهما فقالتا له اذهب معنا ليجزيك أبانا على ما فعلت فقال أرشداني للطريق وامشيا خلفي لاني رجل من ذرية ابراهيم عليه السلام لا أحب أن أرى منكما ما لا يحل لي فاخبرنا أباهما بقصته وقوته في رفعه ذلك الحجر وأمانته لامتناعه من النظر لهما فاستأجره على ما قصه الله لرعي غنمه قال البيضاوي الجملة معللة لما قبلها وللمبالغة جعل خيرا واسم ان معرفتين يعني لم يقل ان من استأجرته قوي أمين بل أتى بجملة معرفة الطرفين لحصر الخبر يتقفيه فتدبر (وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل) فوصفهم بالصبر وهو من أحسن الاخلاق والعزم على التصميم على نفاذ الامر والحزم في الشدائد وقد اختلف في أولي العزم كما مر (وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد وقع في هذه الآية بحث ذكره الطوفي في تفسيره وهو انه استدل بهذه الآية على ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الله تعالى أمره بالاقتداء بهداهم جميعا ولا شك في امتثاله واقتدائه صلى الله تعالى عليه وسلم واذا أتى بما أتوا به جميعا مع ما خص به كان أفضل من كل فرد فرد بلا شبهة ومن المجموع ونقل عن العز بن عبد السلام انه قال انه أفضل من كل واحد منهم لا من المجموع ولا دلالة في الآية عليه قال ولما نقل عنه هذا قام عليه الناس ونسبوه في هذه المقالة الى ما وصل الى تكفيره * وأنا أقول أنا بريء من نسبة مثله للعز والقائل بهذا توهم انه مثل ما لو قسم عشرة دنانير على خمسة رجال وأعطى أربعة منهم دينارا دينارا وأعطى ستة للخامس فهو يزيد على كل واحد منهم لا على المجموع فلا يلزم من زيادته على كل واحد من الجماعة زيادته على الجميع فالآية لا دليل فيها لما ادعوه وهذا انما يتم لو لم يثبت له صلى الله تعالى عليه وسلم غير ما لجميعهم وهو مقرر ظاهر وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا المحل والهاء في اقتده هاء سكت تثبت وقفا على القياس ووصلا اجراء له مجرى الوقف وحذفها حمزة وصلا وكسرها هشام اختلاسا وصلا ووصلها ابن ذكوان بها

(فوصفهم) أى الله سبحانه وتعالى (باوصاف) أى نعوت معنوية لا كما توهم الدلجى من زيادته حسبة (جمة) أى كثيرة (من الصلاح) من بيانية وهو مستفاد من قوله وكل من الصالحين (والهدى) أى من صدر الآية وختمها (والاجتباء) من قوله واجتبيناهم (والحكمة) أى الحكم والنبوة من قوله تعالى أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة وكان ينبغي ان يذكر نعت الاحسان قبل الصلاح فانه مستفاد من قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين (وقال فبشرناه) أى ابراهيم (بغلام عليم) أى كثير العلم (وحليم) أى وفى آية أخرى بغلام حليم أى ذى حلم وحاصله انه جامع بين العلم والحلم ولا يخفى حسن تقدم العلم ولعل هذا وجه تقديم المصنف له مع ان ترتيب القرآن عكس ذلك حيث جاء فى الصافات حليم بالحاء وفى الذاريات عليم بالعين على احتمال خلاف ذلك باعتبار حال النزول لكن كان حقه ان يقول فبشرناه بغلام حليم وبشرى بغلام عليم فان مافعله اقتصار مخل لاسيما اقتصاره على قوله فبشرناه فانه لا يصح الا مع قوله بغلام حليم بالحاء والا فيلزم منه التركيب الممنوع فى علم القراءة كالتلفيق المنهى فى المعاملة ثم المبشر به اسمعيل وهو أصح من القول بانه اسحق وقد تقدم والله تعالى أعلم (ولقد فتنا) أى امتحنا (قبلهم) أى قبل كفار مكة (قوم فرعون) أى معه بارسال موسى اليهم وايقاع الفتنة بالامهال فى العقوبة وتوسعة الرزق عليهم (وجاءهم رسول كريم) أى على الله والمؤمنين أو فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه (الى آمين) وهو قوله ان أدوا الى أى حق الدعوة من الاجابة وقبول الطاعة عباد الله أى يا عباد الله أو سلموهم الى وارسلوهم معى الى حيث ما أمر الله انى لكم رسول أمين غير متهم فى أمر الدين (وقال) أى حكاية عن اسمعيل خطابا لوالده ابراهيم عليهما السلام عند قصد ذبحه بامر ربه لما رآى فى نومه (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) أى على حكم الله وقضائه أو فى ابتلائه من أمره بذبحه (وقال فى اسمعيل انه كان صادق الوعد) وخص به لانه وعد بالصبر على ذبحه ووفى بوعده (الآيتين) أى تمامهما وهو قوله وكان رسولا أى الى قبيلة جرهم نبيا العله أخر للفاصلة أو دفعا التوهم كونه رسولا بالواسطة كقوله سبحانه وتعالى اذ أرسلنا اليهم اثنين أى من أصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام وكان يأمر أهله أى أهل بيته أو جميع أمته بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا أى فى مقاله وفعاله وحاله (وفى موسى) أى وقال فى حقه (انه كان مخلصا) أى لربه فى عبادته عن الرياء وعن متابعة هواه بل طالبا لرضاه اذا سلم وجهه لله وأخلص نفسه عما سواه وفى قراءة للسبعة بفتح اللام أى أخلصه الله واختاره لنفسه واجتباه وهذا أكمل مقام فى منازل السائرين وأفضل حال فى مراحل الطائرين وتمام الآية وكان رسولا نبيا (وفى سليمان نعم العبد) أى قال فى حقه هذا القول (انه أواب) أى كثير الرجوع الى رب الارباب (وقال) أى فى حق جماعة منهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وقرأ ابن كثير عبدنا فالمراد به ابراهيم للخصوصية أو الاضافة جنسية فتوافق الجمعية وهو أولى كما لا يخفى (أولى الايدى والابصار) أى أصحاب القوة فى مباشرة الطاعات العملية وأرباب البصيرة فى الامور العلمية وفيه تعريض بالبطلة والجهلة الواقعين فى

بها تشبيها لها بهاء الضمير وقيل هذا الاصح وانما هى ضمير المصدر كقوله هذا سراقة للقرآن يدرسه (فوصفهم باوصاف جمة) أى كثيرة (من الصلاح) ليس المراد بالصلاح المعنى المشهور فى قولهم رجل صالح حتى يقال انه ليس بمدح للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن توهمه قال المراد مدح الصفة لا الموصوف كما حقق كما شروح الكشاف بل الصلاح صفة جامعة لكل خير فهى أبلغ من غيرها كما فصله السبكى فى فتاويه (والهدى والاجتباء) وهو الاصطفاء والاختيار للرسالة (والحكم والنبوة) أى الحكمة أو فصل الامر على مقتضى الحق (وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم) وهو اسحق فوصفه بالعلم والحلم وهما أمران عظيمان قال الانطاكى كذا فى النسخ والذى فى القرآن فبشرناه بغلام عليم وبغلام حليم ولو قدم حليم وعطف عليه عليم بان الامر (وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى) قوله (آمين) والمراد بالفتنة الاختبار والامتحان يقال فتنت الفضة اذا ادخلتها النار فشبه أمرهم باتباعه بمعاملة المختبر أو المراد به ابتلاهم كما ابتلى العرب بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فوصفهم الله فى هذه الآية بصفات جيدة من الكرم والامانة وغيرهما (وقال) حكاية عن الذبيح (ستجدنى ان شاء الله من الصابرين) على الذبح مسلما لله ولذا اسلمه الله وفداه (وقال فى اسمعيل) عليه الصلاة والسلام (انه كان صادق الوعد الآيتين) صرح باسمعيل مع ان المذكور قبله فى حقه اشارة للاختلاف فيه فانه قيل انه اسحق وقيل انه اسمعيل بن خزقيل وهو نبى بعثه الله لقومه فسلخوا رأسه فخيره الله بين تعذيبهم وغيره فاختار العفو والرضى بثوابه والجمهور على انه اسمعيل الذبيح بن ابراهيم وهو رسول نبى وصدق وعده لانه وعد أباه بالصبر على الذبح فوفى بوعده وقدم الرسالة هنا على النبوة لانها أشرف على قول (وقال فى موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مخلصا) فى طاعته لا يقصد بها الا وجه الله والتقرب اليه (و) قال (فى) شأن (سليمان نعم العبد انه أواب) أى مسبح أو رجاع اليه بالتوبة وقيل الاواب المطيع وقيل الرحيم أو كثير الصلاة (وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) وهو اسرائيل أبو أنبياء بنى اسرائيل (أولى الايدى والابصار

بتحصيل الشهوات النفسانية واللذات الحيوانية (الى الاخيار) يعني قوله سبحانه وتعالى انا أخلصناهم بخالصة أي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لهم هي ذكرى الدار أي دار القرار لما فيها من قرب الجوار كما قال مجنون العامري شعر
وما حب الديار شغفن قلبي * ولكن حب من سكن الديارا فالخواص لا يذكرون الجنة ولا يطلبونها بالمرة الا لما فيها من وعد الرؤية ومنزلة القربة وقرأ نافع وهشام باضافة الخالصة اضافة بيانية وانهم عندنا لمن المصطفين أي المجتبين من بين أمثالهم الاخيار أي المختارين بافعالهم (وفي داود انه أواب) أي حيث كان يفطر يوما ويصوم يوما وينام بعض الليل ويقوم بعضه (ثم قال وشددنا ملكه) أي قويناه بالهيبة وكثرة الجنود في الخدمة ودوام النصرة والغلبة (وآتيناه الحكمة) أي اتقان العلم والعمل أو الحكومة والنبوة (وفصل الخطاب) أي الخصام بتمييز الحق عن الباطل في الاحكام أو الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب في كل باب أو قوله اما بعد في كل خطبة أو في أول كل كتاب (وقال عن يوسف) أي أخبارا عما خاطب به الملك بقوله (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) فدل على غاية حفظه ونهاية علمه بتقرير الحق سبحانه وعظم شانه وقد روى عن مجاهد ان الملك أسلم على يديه أي لما رأى من وفور علمه وحفظه وشفقته ومرحمته على خلق الله من خاصة وعامة حتى ما كان يشبع في حالته مع وجود الخزائن تحت تصرفه وحيز ارادته مما شهدت أموره الخارقة عن العادة

بصحة نبوته ورسالته (وفي موسى) حيث قال للخضر (ستجدني ان شاء الله صابرا) أي معك غير منكر لك وتعليق الوعد بالمشيئة للاشارة الى ان أفعال العباد جارية على وفق الارادة الالهية (وقال تعالى عن شعيب) لعل المصنف اختار تزيين التلويح والتفنن في مقام التحسين فتارة عبر بفي وأخرى بعن (ستجدني) أي مخاطبا لموسى (ان شاء الله من الصالحين) أي في حسن المعاملة والوفاء وبالمعاهدة والمعاشرة المجاملة والتعليق للاتكال على توفيقه سبحانه وتعالى ومعونته لا للاستثناء في معاهدته بكونه ان شاء فعل وان شاء لم يفعل فان هذا ليس من شان الكمل (وقال) أي في حقه أيضا (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) من قولهم خالفت فلانا الى كذا اذا قصدته مع اعراضه عنه والمعنى ما أريد ان آتي ما نهيتكم عنه لاستبد به لعلمي بانه خطأ في ارتكابه خطر فلو كان صوابا لآثرته ولم أتركه فضلا عن ان انهى غيري عنه (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) أي ما أريد بامركم للمعروف ونهيكم عن المنكر الا حصول الصلاح ووصول الفلاح مادمت أستطيعه أو القدر الذي أطيقه قال الثعلبي نقلا عن عطاء وغيره انه من نسل مدين ابن ابراهيم الخليل ويقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وعمي في آخر عمره قال قتادة بعثه الله رسولا الى أمتين مدين وأصحاب الايكة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان شعيبا كان كثير الصلاة فلما طال تمادي قومه على كفرهم بعد المعجزة وكثرة المراجعة وآيس من صلاحهم ورجوعهم الى فلاحهم دعا الله عليهم بقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاستجاب الله الدعوة وأهلكهم بالرجفة وهي الزلزلة وأهلك أصحاب الايكة بعذاب الظلة قال السمعاني في الانساب قبر شعيب في خطين وهي قرية بساحل بحر الشام وعن ابن وهب ان شعيبا ومن معه من المؤمنين ماتوا بمكة وقبورهم عن بيتها

الى الاخيار) الايدي جمع يد بمعنى القوة والابصار جمع بصر بمعنى بصيرة فانه يطلق على الحاسة الظاهرة وقوتها وعلى القوة الباطنة المدركة ولا يقال للجارحة بصيرة كما في عمدة الحفاظ ومعنى اخلصناهم بخالصة ذكر الدار جعلناهم خالصين بسبب انهم لا يذكرون الا الدار الآخرة وأطلق الدار اشارة الى ان الدنيا ليست بدار مقر بل ممر ومعبر وعند هذا الاقرب والاخيار جمع خير او خير المشدد بعد التخفيف (و) قال (في داود انه أواب) تقدم تفسيره (ثم قال) في حقه (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) أي قويناه لان بني اسرائيل لم تجتمع على ملك غيره وكان يحرس محرابه ثلاثون ألف متسلح أو قويناه بالعدل والتوفيق له وفصل الخطاب أي الكلام الفاصل بين الحق والباطل وقيل هو اما بعد وهو أول من قالها وقيل هو البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه وقيل غير ذلك (وقال عن يوسف) عليه الصلاة والسلام (اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم) قيل الارض هنا أرض مصر وفي الآية دليل على جواز طلب الحكم لمن وثق بنفسه وتوليه من الكافر وقيل ان فرعون يوسف أسلم وقصة يوسف عليه الصلاة والسلام أشهر من ان تذكر (و) قال (في موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا) وهذه قصته مع الخضر عليهما الصلاة والسلام المشهورة (وقال عن شعيب) عليه الصلاة والسلام (ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال) عنه أيضا (وما أريد ان أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) شعيب من نسل ابراهيم عليهما الصلاة والسلام أرسل الى مدين والايكة وهما

أمتان

بين دار الندوة وبين باب بني سهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى المسجد الحرام قبران ليس فيه غيرهما قبر اسمعيل فى الحجر وقبر شعيب مقابل الحجر الاسود انتهى وما صح قبر نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام من غير قبر نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ايماء الى ان غيره من الانبياء كالبدور السائرة المستورة عن عين الشهود عند ظهور نور شمس دائرة الوجود (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) أى حكمة ونبوة وحكومة فى الخصومة قال الثعلبي نقلا عن وهب بن منبه خرج لوط من أرض بابل فى العراق مع عمه ابراهيم تابعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة امرأة ابراهيم عليه السلام وخرج معهما آزر أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه مقيما على كفره حتى وصلوا حوران فمات بها آزر فمضى ابراهيم وسارة ولوط الى الشام ثم مضوا الى مصر ثم عادوا الى الشام فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى أهل سدوم وما يليها وكانوا أهلا يأتون الفواحش قال أبو بكر بن عياش عن أبى جعفر استغنت رجال قوم لوط بوطئ رجالهم واستغنت نساؤهم بنسائهم (وقال انهم) ١٥٧ أى الانبياء المذكورين فى سورتهم (كانوا) أى بجملتهم (يسارعون فى الخيرات) أى يبادرون الى الطاعات (الآية) وهى قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا أى للرغبة فى المثوبة والقربة والرهبة عن العقوبة بالحرقة والفرقة وكانوا لنا خاشعين أى خاضعين أو لاجلنا مع خلقنا متواضعين أو خائفين وجلين حزينين ولعله أشار الى هذا المعنى بقوله (قال سفيان) أى الثورى أو ابن عيينة وهما تابعيان جليلان وجزم التلمسانى بالاول (هو) أى معنى الخشوع (الحزن الدائم) أى المورث للمسارعة الى الخير (فى أى كثيرة) متعلق بقوله وقال تعالى فى أيوب أى قد ورد ماذكر من الآيات الشاهدة على شرف حالهم وكمال جمالهم مما هى نبذة يسيرة مندرجة فى آيات كثيرة لا يمكن احصاؤها واتيانها بأسرها (ذكر فيها من خصالهم) أى بعض نعوتهم الشاهدة على جميل حالهم (ومحاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك) أى من قبيل ماذكر فى الآيات (فى الاحاديث كثير) أى مما ينبغى أن يروى منها قدر يسير (كقوله) أى على مارواه البخارى وابن حبان والحاكم (انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم) وفى اتيان انما ايماء بحصر كرم النسب وشرف الحسب فيه اذ لم يتفق لاحد اه (نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي) غيره مع ايذان تعريف المبتدأ والخبر به أيضا تأكيده فلا ينافيه مارواه أحمد والبخارى عن ابن عمر وأحمد أيضا عن أبى هريرة بلفظ ان الكريم الخ مع انه أوفق لموازنة مابعده حتى قيل انه موزون بلفظه ثم الظاهر ان قوله نبي ابن نبي الخ مدرج من كلام الراوى أو تفسير للقاضى

أمثال وقيل أمة واحدة ووصفه الله بالصلاح والاصلاح وانه لا يأمر الا بما فعله وهو خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقال ولوطا آتيناه حكما وعلما) فلوط ابن أخى ابراهيم كما تقدم والحكمة والحكم بمعنى هنا (وقال) فى حقهم عليهم السلام عموما (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات الآية) أى شأنهم المبادرة الى فعل أنواع الخير وسؤال الله تعالى فى الرغبة والرهبة (وقال سفيان) الثورى أو ابن عيينة فى تفسير هذه الآية (هو الحزن الدائم) قيل ضميرهو راجع الى الخشوع فى قوله وكانوا لنا خاشعين وفى الشرح الجديد يريد ان ماذكر فى الآية من الخيرات هو الحزن الدائم الذى ينشأ عن خيرات من سلك طريقها فقد وصل الى مقامه ولا يخفى بعده والظاهر هو الاول (فى آى) جمع آية (كثيرة ذكر فيها من خصالهم وفى محاسن أخلاقهم الدالة على كمالهم) وهذا ابتداء كلام لا تعلق له بكلام سفيان رحمه الله تعالى أى ماذكر من الآيات مندرج فى آيات كثيرة دالة على كمالهم وليس ماذكر محيطا بما فيه بل هو بعض منه (وجاء من ذلك) أى من وصف كمالهم عليهم الصلاة والسلام فى غير القرآن (فى الاحاديث) الصحيحة (كثير كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي) هذا الحديث فى البخارى بدون انما وقوله نبي ابن نبي الى آخره والكرم ليس بمعنى السخاء فانه استعمال طار وانما هو معنى جامع للخير والشرف ومكارم الاخلاق قيل وانما خص يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر لما جمع الله له مع علو النسب جعله رابع أربعة من الانبياء من الحسن المفرط والعفة والملك والعلم والحكمة الى غير ذلك مما لم يجتمع لغيره من الانبياء وفيه التكرار المعدود من المحسنات البديعية كقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا أبت لم تعبد الآية كرر يا أبت مبالغة فى استعطاف أبيه والاطراد كقوله تعالى واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والسجع وهو من المحسنات احيانا وأما انكاره لمن خاطبه وقوله أسجع كسجع الكهان لانه ليس فى محله وهو مقام الحكمة وقيل عليه ان ماذكر ليس من قبيل التكرير لان كريما ليس معناه واحدا فى الحديث وان ماذكر ليس من قبيل السجع وليس بشئ لان الكريم مفهومه متحد وان اختلف ماصدق عليه والسجع ما اتحدت قافيته

(وفى حديث أنس) أى كما رواه البخارى بعد قوله تنام عينى ولا ينام قلبى (وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) أى فلا يتطرق اليهم ما يحجزهم من اشراق الانوار الاحدية أو يحجبهم عن الاسرار الصمدية (وروى) أى من طريق الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (ان سليمان كان مع ما) ويروى فيما (أعطى من الملك) مما يقتضى تكبرا وتجبرا وترفعا (لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا) أى لله كما فى نسخة (وكان) أى سليمان على ما روى أحمد فى الزهد عن فرقد السنجى (يطعم الناس لذيذ الاطعمة) وفى أصل التلمسانى لذائذ جمع لذيذة وهو ما يوافق الطبع ويلائمه (ويأكل خبز الشعير وأوحى اليه) وفى نسخة وأوحى الله تعالى اليه (يا رأس العابدين) أى من الملوك أو الموجودين (وابن حجة الزاهدين) أى على غيره وفى نسخة محجة بفتحات وتشديد جيم أى مجمعهم أو معظم طريقهم وفيه غاية المبالغة (وكانت العجوز) ووقع فى أصل الدلجى وان كانت فقال هى المخففة من المثقلة (تعترضه) أى تأتيه من عرض طريقه (وهو على الريح فى جنوده) أى وهو معهم فى تلك العظمة (فيأمر الريح) أى بالوقوف لاجلها (فتقف) أى بامره لها (فينظر فى حاجتها) أى يتأمل فيها ويقضى بها (ويمضى) أى يتوجه الى مقصده (وقيل ليوسف مالك تجوع وأنت على خزائن الارض) جملة حالية (قال أخاف أن أشبع فانسى الجائع) أى جنس الجائعين وأغفل عن تفقد المحتاجين وفى نسخة الجياع بكسر الجيم جمع الجيعان (وروى أبو هريرة عنه عليه الصلاة والسلام) كما فى البخارى (خفف على داود القرآن) أى قراءة الزبور

مع

(وفى حديث أنس) رضى الله تعالى عنه الذى رواه البخارى (وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم) فهو من خصائص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومر ان الخصائص تنقسم الى أقسام فمنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون سائر الناس الانبياء وغيرهم ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون أمته كالجمع بين زوجات فوق الاربع وان جاز لغيره فى الشرائع السابقة ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم كلها وان كان لغيره من الانبياء كما نحن فيه ولذا كان وضوءه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينقض بالنوم كما صرح به الشافعية ومنها ما اختص به صلى الله تعالى عليه وسلم دون الامم السابقة وأنبيائهم كالتيمم * فان قلت كيف هذا وقد نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الصبح حتى طلعت عليه الشمس ولا يصح أن يكون هذا تشريعا لامته لانه لا يفعل ما يمتنع شرعا للتشريع وان لزمه ذلك من غير قصد له * قلت أجيب عنه باجوبة * أحدها وهو الاصح انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان له حالان حال لا ينام فيها قلبه وهى الغالب عليه وحال نادرة فيها ينام قلبه * الثانى انه يغيب عنه فى نومه ما يحس بالبصر لا ما يدرك بالقلب كالحدث والالم ونحوهما ورجح بعضهم هذا * الثالث ان قلبه لا يستغرق حتى يتعطل احساسه وقد يستغرق لاشتغاله بوحى كما كان يشاهد منه اذا نزل عليه الوحى فى اليقظة وقيل ان المراد انه لا يستغرق قلبه حتى لا يدرك الحدث قال ابن دقيق العيد وهو بعيد قال ابن حجر ومن الاجوبة الضعيفة ان قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقظان وعلم بخروج الوقت ولكن فعله تشريعا لما مر وفى هذا اشارة الى يقظة قلبه وانه لا يعقل وهذا من جملة الكمال فناسب الترجمة مناسبة تامة (وروى) رواه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان سليمان عليه الصلاة والسلام كان مع ما أعطى من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وذلك لتعظيم ملكوت الله وملائكته استصغارا لنفسه لا لان الله فى جهة وحيز كما توهم وكذا كان أبوه داود عليه الصلاة والسلام كما ذكره الغزالى فى الاحياء حياء من الله تعالى أى حياء من ملائكة الله تعالى لقصور عمله عن أعمالهم أى لا يفترون عنها طرفة عين ولا ينافى هذا قوله تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت لانه مقام آخر (وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز شعير) جمع لذيذة وهو ما يشتهى ويميل له الطبع من المأكولات (وأوحى الله اليه يا رأس العابدين) أى أعلاهم ورئيسهم (وابن محجة الزاهدين) أصل المحجة الطريق المسلوك فاستعير لمجمعهم ومقصدهم أو مقتداهم الذين يأتسون بسنته ومسلكه وفى نسخة حجة وزهده صلى الله تعالى عليه وسلم لا ينافى ملكه وقدرته بل حقيقة الزهد انما تتم بذلك (وكانت العجوز) خصها لحقارتها (تعترضه) أى تجىء له صلى الله عليه وسلم وتقف مقابلته (وهو) راكب (على الريح فى جنوده) وعزة سلطانه (فيأمر الريح فتقف فينظر فى حاجتها ويمضى) لمقصده (وقيل ليوسف عليه الصلاة والسلام مالك تجوع وأنت على خزائن الارض فقال انى أخاف أن أشبع فانسى الجائع) المراد بخزائن الارض المخزون من الاموال والارزاق (وروى أبو هريرة رضى الله عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه البخارى عنه (خفف على داود القرآن) هو مصدر بمعنى القراءة كالغفران والمراد قراءة كتابه وهو الزبور أو المقرو وقيل ان اطلاقه هنا

(فكان يامر بدوابه) أي لاجله وأصحابه وروى بدابته فيحتمل اضافة الجنسية لكن ارادة الواحدية أبلغ في مقام خرق العادة (فتسرج له فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) أي فيختمه في زمن يسير مع انه كتاب كبير بناء على خرق العادة من بسط الزمان أو طي اللسان وقد وقع نظير هذا البعض أكابر هذه الامة (ولايا كل الامن عمل يده قال الله تعالى وألناله الحديد) أي كالشمع يتصرف فيه كيف يشاء من غير طرق واحماء (ان أعمل) بان المصدرية بتقدير الباء السببية أي وأوحينا اليه أو أمرناه ان أعمل فان ان مصدرية أو مفسرة وأما قول التلمساني ان التقدير تكلف لعدم الدليل على الحذف ففي غير محله نشا من قلة تامله (سابغات) أي دروعات واسعات (وقدر في السرد) أي اجعله على قدر الحاجة في النساجة والسرد في اللغة اتباع الشئ بالشئ من جنسه ومنه سرد الحديث والمعنى لاتصغر حلقه فتضيق حال لابسها ولا توسعها فينال لابسها من خلالها وقيل لاتقصد الخصافة فتثقل في الجملة والخفة فتزيل المنعة وفي البخاري ولاتدق المسمار فتسلس هو من قولهم سلس أي لين وروى فيتسلسل أي فيتصل فيسرع كسره باندقاقه (وكان سأل ربه ان يرزقه عملا يغنيه عن بيت المال) أي فعلمه الله صنعة الدرع وسبب ذلك ماروى عنه انه كان يسئل الناس عن نفسه فيثنون عليه فرأى ملكا في صورة آدمي فسأله فقال نعم الرجل الا انه يطعم عياله من بيت المال قيل وكان يعني داود عليه الصلاة والسلام بعد ذلك ياخذ الحديد بيده فيصير كالعجين فيعمل منه الدرع في بعض يوم يبيعها بالف درهم فيا كل ويتصدق ويجعل ثلثه في بيت المال (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر (وأحب الصلاة) أي أنواع صلاة الليل (الى الله صلاة داود وأحب الصيام) أي صيام النافلة (الى الله صيام داود وكان ينام) كذا في النسخ والاظهر كان بلا عاطفة ليكون بيانا القضية سالفة أي كان ينام (نصف الليل) للاستراحة الموجبة للتقوية على العبادة (ويقوم ثلثه) من أول النصف الثاني لانه أفضل اجزائه (وينام سدسه) لينشط لعبادة أول نهاره

مع انه علم لما أنزل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويطلق على المعنى القائم بذاته تعالى اشتراكا أو مجازا على طريق الاستعارة أو المجاز المرسل والمراد بتخفيفه سرعة قراءته في زمن يسير (فكان يأمر بدوابه فتسرج) وروى بدابته والمراد الجنس المختص به (فيقرأ القرآن قبل ان تسرج) قالوا هذا من بسط الزمان له صلى الله تعالى عليه وسلم أو من البركة في الزمن اليسير حتى يقع فيه العمل الكثير قال النووي وبلغنا ان من الناس من قرأ أربع ختمات بالليل وأربع ختمات بالنهار (ولايا كل الامن عمل يده) مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم ملك خزائن الارض بيده وكان آدم عليه الصلاة والسلام حراثا ونوح صلى الله تعالى عليه وسلم نجارا وادريس عليه الصلاة والسلام خياطا وموسى صلى الله تعالى عليه وسلم راعيا وفيه دليل على فضل الكسب الحلال وانه لاينافي توكل الخواص ثم بين عمله بقوله (قال الله تعالى وألناله الحديد) فكان اذا مسه بيده لان كالشمع والعجين من غير نار وضرب (ان أعمل سابغات) أي دروعا طويلة تامة من السبغ وهو السعة (وقدر في السرد) سرده نسجه أي عمله وأصل معناه التتابع ومنه سرد الكلام ومعنى تقديره جعل ثقوب طرفي الحلق على قدر المسامير وكون المسامير غير رقيقة فتغلق ولا غليظة فتكسر الحلق وقيل ان دروعه عليه الصلاة والسلام كانت بلا مسامير لالتئامها بلينها وان في قوله ان أعمل تفسيرية أو مصدرية بتقدير الجار قيل كان سبب تكسبه انه اختفى ودار يسأل الناس عن سيرته فيهم فلقي ملكا في صورة رجل فسأله عن نفسه فقال له نعم الرجل لو كان لاياكل من بيت المال وأصول المكاسب الزراعة والتجارة والصناعة وأفضلها التجارة وقيل الزراعة لانها أقرب الى التوكل وقيل صنعة اليد وفوق ذلك الجهاد ومن فضيلة الجهاد والكسب الاشتغال عن البطالة (وكان) داود عليه الصلاة والسلام (سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله) وسببه مامر ومن هنا يعلم ان السلطان ينبغي ان يكون له ما يكتسبه لئلا ياكل من بيت المال فان لم يكن له صنعة لاياكل من بيت المال الا بقدر الحاجة والاسراف منه حرام عليه فالويل كل الويل لسلاطين زماننا الذين يظنون ان بيت المال ليس لاحد فيه حق غيرهم (وقال عليه الصلاة والسلام) في حديث صحيح رواه الشيخان الى قوله يفطر يوما الآتي ومابعده سياتي من نقله (أحب الصلاة الى الله صلاة داود وأحب الصيام الى الله صيام داود) وبين ذلك بقوله (كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه) وقيامه في وقت يتجلى الله فيه ويقول هل من سائل فاعطيه وليس المراد بقوله ينام سدسه انه ينام الى طلوع الشمس بل الى قبيل الفجر فيستقبل الصبحة بنشاط لاستراحته وهكذا ينبغي للمجتهد ولم يتعرض أحد الصلاة الامم السالفة ولا لصلاته صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء وبيان كيفيتها الا ان السيوطي رحمه الله تعالى نقل في الخصائص الكبرى انها كانت بغير ركوع ولذا قال تعالى يا أيها

(ويصوم يوما ويفطر يوما) امارعاية لحالة الاعتدال لئلا يضعف بالصوم على وجه الاتصال أو ليصور له مداومة الاعمال ففى الصحيحين أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل ولئلا يصير الصوم عادة فلا يتخلص عبادة أولان هذه الكيفية أشق على النفس والاجر على قدر المشقة ثم فى الجملتين الاخيرتين بيان علية الاحب فى المتقدمتين ولفظ الجامع الصغير أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وأحب الصلاة الى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه انتهى (وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر) أى نفسه أوما يصنع منه تواضعا لربه ولذا اختاره الصوفية (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) ولعله أراد به ما اختلط بالخبز واستهلك فيه والا فاكل الرماد حرام لما فيه من مضرة العباد (ويمزج شرابه بالدموع) كما رواه ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه ومجاهد موقوفا (ولم يرضاحكا بعد الخطيئة) أى المعهودة المسماة بالخطيئة وان لم تكن خطيئة فى الحقيقة الا ان حسنات الابرار سيآت الاحرار اذ لم يثبت عنه سوى انه خطب امرأة كان قد خطبها أوريا فزوجها أهلها من داود رغبة فيه أو ساله ان ينزل له عنها فتزوجها وكان ذلك فى زمانه عادة لهم فارسل الله اليه ملكين تنبيها له ان ذلك خلاف الاولى فيما هنالك لاستغنائه بتسع وتسعين امرأة فلما تنبه فى هذا الباب استغفر ربه وخر راكعا وأناب وقد بالغ فى تضرعه وبكائه لما له من عظيم المرتبة وكريم المنزلة فى مقام حياته (ولا شاخصا ببصره) أى ولا رؤى رافعا له مع تحديد نظره (الى السماء) أى الى جهتها وفى نسخة نحو السماء (حياء من ربه) أى الكمال قربه والحديث رواه أحمد فى الزهد عن عطاء بن السائب عن أبى عبد الله الجدلى بلفظ ما رفع داود رأسه الى السماء بعد ما أصاب الخطيئة حتى مات وبهذه الرواية مع ما قدمناه من الدراية اندفع قول اظهارا الحلبى لو قال القاضى غير هذه العبارة كان أحسن (ولم يزل باكيا حياته كلها) أى فى جميع مدة عمره الى حالة مماته بعد تلك الواقعة (وقيل بكى) بل روى ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره انه بكى (حتى نبت العشب) بضم فسكون هو الحشيش (من دموعه) أى من كثرة وقوع دموعه على الارض (حتى اتخذت الدموع فى خده اخدودا) أى شقا مستطيلا ممدودا والمعنى أثرت فى خده أثرا كالشق والحفر الطويل فى الارض ومنه قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود وهو مفرد جمعه أخاديد (وقيل) كما فى الكشاف وغيره (كان يخرج متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه) أى فى غيبته (فيزداد تواضعا) أى لربه شكرا المزيد نعمته (وقيل لعيسى عليه السلام) كما روى أحمد فى الزهد وابن أبى شيبة فى مصنفه (لو اتخذت لك حمارا) أى لو اخترته لتركبه أحيانا عند الحاجة اليه (قال انا أكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) أى بان يتعلق قلبى به وبكلفته وخدمته ويشغلنى بفتح الغين فان الاشغال لغة رديئة (وكان) كما روى أحمد فى الزهد عن عبيد بن عمير ومجاهد والشعبى وابن عساكر فى تاريخه انه كان (يلبس الشعر) أى ثوبه

الذين آمنوا اركعوا واسجدوا (و) كان (يصوم يوما ويفطر يوما) وفى هذا اشارة الى ان صوم الدهر دون هذا وقد ورد النهى عنه مع ان هذا أشق منه لان من اعتاده هذا صار طبيعة له لا تضره وهذا آخر الحديث وقوله (وكان) أى داود عليه الصلاة والسلام (يلبس الصوف ويفترش الشعر) أى ما نسج منه لانه خشن يمنعه لذة النوم والاستغراق فيه المانع له عن ورده وهذا شعار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصلحاء (ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد) الملح ادام بخلاف الرماد فكانه كان يأتدم به على خلاف المعتاد أو يضعه فى ادامه لئلا يلتذ به (ويمزج شرابه بالدموع) لكثرة بكائه وعدم خلو منه (ولم يرضاحكا بعد الخطيئة) وهى تزوجه بامرأة أوريا بعد ما ساله ان ينزل له عنها ففعل وتزوجها فجاءه ملكان فى صورة رجلين يدعيان نعاجا على ما قصه الله تعالى وليست هذه خطيئة ولكن علو مقامه وزهده يقتضى خلاف ذلك فلذا عوتب عليه وكان يبكى وقد ذكر الله مدحه وعصمته مما لا مزيد عليه (ولا شاخصا) رافعا وفاتحا (بصره نحو السماء) أى جهة العلو (حياء من ربه) سبحانه وتعالى كعادة من أذنب فانه يملأ عينه ببصره (ولم يزل باكيا حياته) منصوب على الظرفية أى مدة حياته صلى الله تعالى عليه وسلم (كلها) تأكيد لما قبله (وقيل بكى حتى نبت العشب من دموعه) لكثرتها وهذا رواه ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله تعالى عنه مرفوعا وعن مجاهد وغيره موقوفا (وحتى اتخذت الدموع فى خده أخدودا) هو فى الاصل الشق المستطيل فى الارض استعير لتأثير الدموع فى مجراها أثرا يعلم وبين الخد والاخدود تجنيس اشتقاقى (وقيل كان يخرج) من منزله (متنكرا) أى مستخفيا من معرفة الناس (ليعرف سيرته) جملة مستأنفة لبيان سبب تنكره (فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا لله) لما منحه من السيرة الحسنة والذكر الحسن لا كمن يزداد بمدح الناس له غرورا (وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام) كما أخرجه أحمد بن حنبل وابن أبى شيبة عن ثابت (لو اتخذت حمارا) لتركبه لتستريح من المشى (قال أنا أكرم على الله من ان يشغلنى بحمار) هذا من زهده وستر حاله أيضا اذ لم يقل انا أتواضع بالمشى وشغله يشغله كسأله يسأله وأشغله لغة رديئة (وكان يلبس الشعر) أى ما نسج منه زيادة فى تقشفه وانما كره مالك لبس الصوف لمن يتخذه شعارا له

(ويا كل الشجر) أى ورقه (ولم يكن له بيت) أى مسكن ياوى اليه (أينما أدركه النوم نام وكان أحب الاسامى) جمع الاسماء (اليه ان يقال له يامسكين) وقد رواه أحمد فى الزهد عن سعد بن عبد العزيز بلفظ بلغنى انه مامن كلمة كانت تقال لعيسى بن مريم أحب اليه من ان يقال هذا المسكين (وقيل) كما رواه أحمد أيضا فى الزهد وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه موقوفا (ان موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين) سمى باسم ابن ابراهيم الخليل (كانت ترى خضرة البقل) أى الذى كان ياكله بعد خروجه من مصر خائفا يترقب متوجها الى مدين (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء نقيض السمن على مافى القاموس فبطل قول التلمسانى هو الضعف قيل وصوابه لو قال من الطويل أو الجوع انتهى ولا يخفى بعده عن المدعى وهو متعلق بقوله كانت ترى وتعليله كما ترى (وقال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الحاكم وصححه عن أبى سعيد مرفوعا (لقد كان الانبياء قبلى يبتلى أحدهم بالفقر) أى بشدة الحاجة فى مطعمه (والقمل) أى بكثرته فى ثوبه وبدنه (أو كان ذلك أحب اليهم من العطاء اليكم) رضى بقضاء المولى وعلما بان ما أعده الله لهم خير وأبقى وقد أورد المؤلف هذا الحديث فى الفصل الاخير من القسم الثالث بطريق آخر وهو قوله وفى حديث أبى سعيد ان رجلا وضع يده على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى قوله فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبى ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان النبى ليبتلى بالفقر وانهم كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء

اظهار الزهد فان اخفاءه أفضل لما فيه من الرياء (ويأكل الشجر) أى أوراقه أو المراد به مطلق النبات تجوزا (ولم يكن له بيت) يملكه أو يختص به (أينما أدركه النوم) أى وقته (نام) أى ينام فى أى مكان يجن عليه الليل فيه (وكان أحب الاسامى) وفى نسخة الاسماء (اليه) أى الالفاظ التى ينادى بها (ان يقال له يامسكين) رغبة فى التواضع لعظمة الله عز وجل وقيل عليه نحن مأمورون بتعظيم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومحبتهم وتعظيمهم تعظيم لله فلو قال أحد لنبى من الانبياء يامسكين كان تحقيرا له وتحقيرهم كفر ومعصية فلا ينبغى لنبى من الانبياء ان يرضى به وقد أمرنا بتعظيم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وان لا ننا ديه باسمه بل لا نجهر له بالقول ولا نرفع أصواتنا عنده توقيرا له وحرمته صلى الله تعالى عليه وسلم ميتا كحرمته حيا كما سيأتى بيانه وهذا مما اشترك فيه سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكان يجب على أمة عيسى عليه الصلاة والسلام ان يوقروه و يجب على عيسى ان لا يرضى بعدم توقيره فان قيل انه فرار من العجب وقيل مثله لا يطرق عليه عجب ولا يخشاه وأجيب بحمل هذا على انه صدر ممن لم يؤمن به فكانوا يقصدون بذلك تنفير الناس عن الايمان به واتباعه كما وقع مثله من المشركين فى حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فكان عيسى عليه الصلاة والسلام اذا بلغه ذلك عنهم أحبه واما المؤمنون به فيجب عليهم تعظيمه أو ذلك ممن آمن به اذا سأله سائل عنه أهو ذو مال أم فقير فيقولون هو مسكين كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين وكما قال أبو العتاهية

اذا أردت شريف القوم كلهم * فانظر الى ملك فى زى مسكين

والكلام على الفقير والمسكين أشهر من ان يذكر * أقول لا وجه للسؤال ولا للجواب أما الاول فلان عيسى صلى الله تعالى عليه وسلم غلب على أمته الرهبانية واظهار المسكنة فيكون فى شرعهم يجوز مناداته وخطابه بمثله من مؤمنيهم وخواص حوارييهم وان لم يجز مثله فى شرعنا ولا مايقرب منه واما الثانى فلان جعله من كفارهم أو مؤمنيهم فى غيبته لا يصح لان اظهار محبته واجب وقوله يقال وحرف النداء مناد على خلافه وصريح فى عكسه لمن له أدنى فهم وقد روى مامن كلمة كانت تقال لعيسى عليه الصلاة والسلام أحب اليه الى آخره (وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ورد ماء مدين) هذا الحديث رواه أحمد فى الزهد وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما موقوفا وتقدم ان وروده صلى الله تعالى عليه وسلم لماء مدين كان لما فر من قبط مصر فلقى ابنتى شعيب على ذلك الماء وبينه وبين مصر ثمانى مراحل أو أكثر فى قصته السالفة المذكورة فى القرآن وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حافيا من غير زاد وبه جوع شديد حتى كانت ترى امعاؤه و(كانت ترى خضرة البقل) الذى كان ياكله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يجد غيره والبقل ماليس بشجر من النبات التى لا تبقى أرومته وأصوله بعد أخذه وهو معروف (فى بطنه من الهزال) بضم الهاء وزاى معجمة وهو ضعف مذهب اللحم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه الحاكم عن أبى سعيد الخدرى وصححه (ولقد كان الانبياء قبلى يبتلى) بالبناء للمفعول ونائبه (أحدهم بالفقر والقمل وكان ذلك) الابتلاء (أحب اليهم من العطاء اليكم) لتيقنهم بما أعد الله لهم فى مقابلته وهوان نعيم الدنيا عندهم ولفظ الحديث ليس كما ذكره المصنف

(وقال عيسى عليه الصلاة والسلام لخنزير لقيه اذهب بسلام) أي مناومنك (فقيل له في ذلك) استعظاما لرفقه مع الخنزير في حقارته
(فقال أكره أن أعود لساني النطق بالسوء) أي النطق به لقوله سبحانه وتعالى ادفع بالتي هي أحسن ولقوله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما (وقال مجاهد) كما رواه ابن أبي حاتم وأحمد في الزهد عنه (كان طعام يحيى العشب) أي زهدا

وقناعة ورفضا للنعمة (وكان) أي مع ذلك (يبكي من خشية الله عز وجل) أي مخافته مع انه قط ماهم بمعصية (حتى اتخذ الدمع مجرى في خده) أي موضع جرى كالنهر في وجهه من أثر دمعه لشدة معرفته بربه لقوله سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء (وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس) لان الاستئناس بالناس من علامة الافلاس (وحكى الطبري) وهو الامام محمد بن جرير (عن وهب) أي ابن منبه (ان موسى عليه السلام كان يستظل بعريش) هو بيت من عيدان تنصب ويظلل عليها قال التلمساني هو بسقوط لا في أصل القاضي وبثبوته في رواية العراقي أي لا يستظل انتهى ولا يخفى بعده وعدم مناسبته لما بعده من قوله (ويأكل من نقرة) بضم نون وسكون قاف أي حفرة ومنه نقرة القفا (من
حجر) أي بدلا من ظرف خشب أو خزف (ويكرع) بفتح الراء (فيها) أي يأخذ الماء بفيه من غير كف ولا اناء فيشربه منها (اذا أراد أن يشرب كما تكرع الدابة) أي حين لم تلق وعاء الماء (تواضعا لله) أي لا كرامه (بما أكرمه الله من كلامه) وفيه ايماء الى ان زهده هذا كان مستمرا الى كماله وآخر حاله (واخبارهم) أي آثار الانبياء (في هذا كله) أي في هذا المعنى (جميعه مسطورة) أي مكتوبة ومضبوطة ومحفوظة (وصفاتهم في الكمال) أي في كمال ذواتهم (وحسن الاخلاق

رحمه الله وهو ما قال أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله من أشد الناس بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال العلماء قلت ثم من قال الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى بالفقر حتى لا يجد الا العباء يلبسها ولاحدهم أشد فرحا بالبلاء من أحدنا بالعطاء وهو صحيح على شرط مسلم والمراد انما يعطى من السعة في الدنيا قيل وهو يدل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يتسلط عليهم القمل ويعرض لهم لانه من الاعراض البشرية الا ان ابن الملقن رحمه الله تعالى نقل عن ابن سبع ان القمل لم يكن يؤذيه صلى الله تعالى عليه وسلم تكريما له ونقل ابن عبد البر رحمه الله تعالى في التمهيد ان نعيم بن حماد ذكر عن ابن المبارك بن فضالة عن الحسن رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقتل القمل في الصلاة والظاهر ان جسده الشريف لا يتولد منه القمل لاعتدال مزاجه الشريف وانما كان يوجد في ثيابه من الفقراء المجالسين له وكذا سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولو قيل ان ضمير يبتلى في حديث الحاكم للصالحين كان أقرب انتهى وهذا ينافيه ما نقله عن التمهيد وقد تقدم وفيما قاله دليل على صبر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلو همتهم في النظر للآخرة (وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه) المراد به الحيوان المعروف ويجوز أن يراد به الكافر أو العدو أو الجاهل وان كان صحيحا غير مناسب هنا (اذهب بسلام) أي اذهب مصحوبا بالسلامة (فقيل له في) شان (ذلك) القول الذي قاله فانه لا ينبغي (فقال أكره أن أعود لساني النطق بسوء) عملا بقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن وترغيبا في العمل به (وقال مجاهد) كما رواه أحمد وابن أبي حاتم (كان طعام يحيى عليه الصلاة والسلام العشب) وهو النبت الذي يخرج بغير زرع وعينه مضمومة (وكان يبكي من خشية الله عز وجل) والخشية خوف مع تعظيم (حتى اتخذ الدمع مجرى في خده) أي صار محل جريانه منخفضا متميزا عن غيره لتأثيره بدوام جريانه فيه (وكان يأكل مع الوحش) أي كان يحيى صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل العشب في القفار الخالية التي يسكنها الوحش أو يألفهم فيها او يكون معهم (لئلا يخالط الناس) أي يعاشرهم ويختلط بهم فيشغلونه عن العبادة وذكر الله وما ذكر رواه أحمد في الزهد عن الخولاني (وحكى الطبري عن وهب ان موسى عليه الصلاة والسلام كان يستظل بعريش) هو كل ما يستظل به خيمة كان أو خشبا أو نباتا مثلا (ويأكل في نقرة من حجر) بوزن حفرة فلا يأكل في آنية ويضع طعامه في الارض (ويكرع فيها) أي يضع ما يشرب به في نقرة يكب عليها ويشرب منها بفيه (اذا أراد أن يشرب) وأصل معنى الكرع شرب الدابة بفمها من ماء في الارض وضمير فيها راجع للنقرة المذكورة أو لغيرها من جنسها كما تقول أعطيته درهما ونصفه وبه فسر قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره (كما تكرع الدابة) أي تشرب بفمها بلا آنية وقيل معنى كرع دخل النهر وصوب رأسه ليشرب (تواضعا لله بما أكرمه من كلامه) اذ كلمه بلا واسطة كما قال وكلم الله موسى تكليما (واخبارهم) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (في هذا كله) من النعوت التي تقدمت في هذا الفصل المعقود لها (مسطورة) في كتب الحديث والتفسير المعول عليها (وصفاتهم في الكمال وحسن الاخلاق كما تقدم من الصبر والقناعة والتواضع

(وحسن الصورة والشمائل) جمع شمال وهي الخلق والسجية وينبغي أن يراد بالاخلاق القوى الطبيعية وبالشمائل ما ينشأ عنها من الآثار (معروفة مشهورة) عبر في الاولى بانها مسطورة وفي هذه بانها مشهورة تفننا في العبارة ولان الاولى اخبار يحتاج لنقلها من الكتب المعتبرة وهذه كمالات لائقة بهم تدرك بالعقل ولكونها مدونة مشهورة غير محتاجة للاعادة ولكن ذكر منها ما ذكر ليعلم قدرهم وفضلهم (فلا نطول بها) مع انها معلومة ثم لما كان في بعض الكتب أمور متعلقة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام غير لائقة بهم حذر منها فقال (ولا تلتفت) أي لا تعتبر ولا تعتقد وأصل الالتفات لي العنق أو انعطاف بالجانب لتنظر ما تريد معرفته فتجوز به عما ذكر ومنه الالتفات البديعي (الى ما تجده) وتقف عليه (في كتب بعض جهلة المؤرخين) جمع مؤرخ بالهمزة وقد تبدل واوا وهو المصنف في التاريخ وهو فن معروف وهو لفظ عربي أصله من الارخ مستعار للحادث من ولد البقرة أو هو معرب ماه روز وهو بعيد جدا وأول ما حدث في زمن عمر رضي الله تعالى عنه (و) في كتب بعض (المفسرين مما يخالف ذلك) أمثال (هذا) المذكور

(فصل قد آتيناك أكرمك الله) جملة اعتراضية والخطاب لمن سأله تصنيف هذا الكتاب كما مر أو لكل من يقف على كتابه وليس فيه تجريد المخاطب من نفسه كما قيل ومفعول آتينا مقدر أي مما عرفته وسمعته أو مما فيه مقنع بقرينة ما سيأتي (من ذكر الاخلاق الحميدة) أي المحمودة الممدوحة وهو بيان المقدر أو لما الآتية بناء على جواز تقدمه (والفضائل الحميدة) أي الكريمة الشريفة (وخصال الكمال العديدة) أي الكثيرة المعدودة وقد تقدم انه قد يفيد الكثرة لان القليل لا يحتاج للعد وقد يراد به القلة والمراد الاول (وأريناك) أي أعلمناك وأوضحنا لك (صحتها له صلى الله تعالى عليه وسلم) أي كونها صحيحة في حقه لائقة به (وجلينا) بجيم ولام مفتوحتين ومثناة تحتية ساكنة أي أوضحنا وبينا وفي نسخة جلبنا بباء موحدة أي روينا ونقلنا وفي بعض النسخ حكينا بالكاف بدل اللام والمعنى واحد (من الآثار) جمع أثر وهو ما يبقى من علامات الشيء الدال عليه ويطلق على الحديث وقد يختص بالموقوف وكلام الصحابة رضي الله عنهم ويراد به مطلق الخبر الشامل للحديث المرفوع أو الموقوف وكلام الاكابر وهو المراد هنا (ما فيه مقنع) بفتح الميم والنون وبينهما قاف ساكنة مصدر ميمي بمعنى القناعة أو هو صفة مشبهة بمعنى ما به القناعة والرضى وفي القاموس يقال شاهد مقنع وقنعان أي مرضى ويكتفى بشهادته وقد قال ابن الحاجب ان مفعلا يكون صفة نحو مركب بمعنى مركوب الا انه نادر وعلى هذا فاذكره هو المقنع نفسه فعدل عنه للمبالغة وهو تجريد كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد والتجريد يكون بمن وفي والباء وما قيل من أن المراد به الدليل وهذه الآيات والاخبار تتضمن الدليل لتضمن اللفظ للمعنى تكلف مذهب لرونق الكلام (والامر أوسع) جملة حالية أي شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه أعظم مما ذكرناه وأكثر فان محاسنه لا تطيق العبارات حصرها

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

(فجال هذا الباب) بفتح الميم والجيم من جال يجول اذا طاف ودار أي محل تجول فيه الافكار حول نعوته

وحسن الصورة) ووقع في أصل التلمساني الصور جمع الصورة وهو الانسب لجمع ما قبله من الاخلاق وما بعده من قوله (والشمائل معروفة مشهورة) أي مذكورة في محالها وقد سئل محمد بن سالم بماذا يعرف الاولياء في الخلق فقال بلطف لسانهم وحسن أخلاقهم وبشاشة وجوههم وسخاء أنفسهم وقلة اعتراضهم وقبول عذر من اعتذر اليهم وتمام الشفقة الى اخوانهم (فلا نطول بها) أي بذكر جميعها (ولا تلتفت) أيها المخاطب (الى ما تجده في كتب بعض المؤرخين) بالهمز والواو أي المدعين علم تواريخ الانبياء وغيرهم (والمفسرين) أي التابعين لهم فيما نقلوه من أخبارهم (مما يخالف هذا) أي الذي ذكرناه عنهم في سيرهم الثابتة عن علماء السلف وخيارهم

(فصل) (وقد آتيناك) بالمد أعطيناك وأعلمناك وفي نسخة صحيحة أتيناك بالقصر أي جئناك والاول أولى لقوله بعد الجملة المعترضة الدعائية وهي قوله (أكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة) اللهم الا أن يدعى ان من بمعنى الباء ثم الاخلاق الحميدة هي الشمائل السعيدة (والفضائل الحميدة) أي الكريمة العظيمة (وخصال الكمال العديدة) جمع خصلة بمعنى الخلة بفتح أي المعدودة المعتدة الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم (وأريناك) أي أظهرنا لك (صحتها) أي صحة روايتها ونسبة ثبوتها المناسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (وجلينا) بجيم فلام فوحدة أي أوردنا وروينا وتصحف على الدلجي بقوله وحكينا (من الآثار ما فيه مقنع) بفتح ميم ونون أي ما يقنع به ويكتفى بذكره (والامر) أي الشان (في مناقبه أوسع) أي أكثر من أن يذكر هنا جميع مراتبه (فجال هذا الباب) بالجيم وزيادة الميم أي سعته وكثرته

في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من جهة نعته وصفته (ممتد) أي طويل بل لا يكاد ينتهي الى حد ممتد (ينقطع دون نفاده) بفتح نون ثم دال مهملة أي قبل تصور فراغ، أو من غير تحقق فنائه وجوز إعجام الدال بمعنى مضيه (الادلاء) جمع أدلة جمع دليل أي دال على مساحة البر (وبحر علم خصائصه) أي الذي لسعته وكثرته (زاخر) أي ممتلئ كنهر ممد عرضا وطولا قال التلمساني ووصف ابن عباس عليا رضي الله تعالى عنهم فقال هو قمر باهر في وضوئه وبهائه وأسد خادر في شجاعته ومضائه وفرات زاخر في جوده وسخائه وربيع باكر في خصبه وحيائه وروى عن علي رضي الله تعالى عنه انه وصف به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (لا تكدره الدلاء) جمع دلو أي لا تؤثر فيه حين أخذ بعضه بنقص يورث صفوه كدرة في ساحته وفيه ايماء الى انه لم يصل أحد من العلماء الى غاية من بره وحلمه ولا نهاية من ساحل كرمه وعلمه ولذا قال (ولكنا أتينا فيه بالمعروف) أي اختصرنا في وصفه على ما هو معروف من الروايات (مما أكثره في الصحيح والمشهور) أي في مرتبة الحسن (من المصنفات واقتصرنا في ذلك) أي المعروف مما هنالك (بقل من كل) بضم كل من القاف والكاف وتشديد اللامين وهما لغتان في القلة والكثرة أي على نقل قليل من كثير وفي الحديث الربا وان كثر فانه الى قل أي الى قلة وانتقاص لقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات (وغيض من فيض) بالضاد المعجمة فيهما والغيض النقص والفيض الزيادة يقال (كثيرا) أعطى غيضا من فيض أي قليلا من كثير ويقال غاض الكرام وفاض اللئام والمعنى وآتيناها هنا بنعت يسير من وصف غزير وهو أولى من جعله تفسير ما قبله وتأكيدا واعتباره تفننا كما ذكره الدلجي (ورأينا أن نختم هذه الفصول) أي الواردة في هذا الباب من جملة الكتاب (بذكر حديث الحسن) أي ابن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما الوارد بالاسناد الحسن عنه (عن ابن أبي هالة) وهو خال هند (بجمعه) علة لقوله رأينا أو نختم أي لاستجماع حديثه أو استحضاره نفسه (من شمائله) أي أخلاقه صلى الله عليه وسلم (وأوصافه)

وصفاته وهذا الباب عبارة عن خصاله ومحاسنه صلى الله تعالى عليه وسلم (في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي ما يقال في أمره وشأنه الذي يحق له (ممتد) أي واسع فكنى عن كثرتها وعظمتها باتساع محلها كما يقال المجالس والمقام العالي عبارة عمن هو فيه ثم بين سعته بقوله (ينقطع دون نفاده الادلاء) جمع دليل وهو من يتقدم الركب ليهديهم الى الطريق وانقطاع سالك الطريق أن يعجز ويقف دون بلوغ غايتها ففيه استعارة تمثيلية شبه صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق ممتد طويل وشبه العلماء الذين يريدون معرفتها بركب سلكوا طريقا وشبه من يستفيدون منه بها ويهديهم في الطريق وعجزه عن الوقوف على كنهها بمن انقطع ووقف فيها لا يهتدي لسبيله والادلاء جمع دليل كما علمت لا بمعنى الحجة بل بمعنى هادي السابلة كأنبياء جمع نبي وأصله أدللاء وقيل انه جمع أدلة بمعنى دليل فهو جمع الجمع وليس المعنى ان محاسنه وكمالاته صلى الله تعالى عليه وسلم لو أريد غايتها بالادلة كالآيات والاحاديث وأقوال الصحابة لم يكن الأثر اد بين المقصود منه ونفاد بالفاء والدال المهملة بمعنى الذهاب والفناء قال تعالى ان هذا لرزقنا ماله من نفاد ولا وجه لتفسيره بفراغ (وبحر علم خصائصه) من اضافة المشبه به بالمشبه كلجين الماء وقد تعكس لكنه قليل (لا تكدره الدلاء) جمع دلو وهو ما يؤخذ به الماء من الاديم وعدم تكديره عبارة عن عدم بلوغ آخره لانه اذا بلغه حرك طينه فيتكدر ماؤه وهو ترشيح للتشبيه فان الترشيح لا يختص بالاستعارة من الكدرة خلاف الصفو وفيه اشارة لصحته وكثرته (لكنا أتينا فيه بالمعروف) المشهور الذي يعرفه الناس (مما أكثره في الصحيح) أي الكتب الصحيحة كالكتب الستة وأشار بقوله أكثره الى أن فيه أحاديث غير صحيحة اعتمد على شهرتها وذكر أن بعض المصنفين لها أوردها لما فيها من الفضائل كما أشار اليه بقوله (والمشهور من المصنفات) التي لم يلتزم فيها الصحيح (واقتصرنا في ذلك) الذي أتيناه وأريناه أي اكتفينا (بقل من كل) وفي نسخة من أكثر والاصح ما ذكرناه والقل بضم القاف وتشديد اللام بمعنى القليل أو بمعنى القلة كالذل بمعنى الذلة أي ذكرنا أمرا قليلا منه لا كثيرا أو دون الجميع لانه لا يمكن الاحاطة به (وغيض من فيض) الغيض بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية والضاد المعجمة من غاض الماء اذا نقص والمراد انه قليل والفيض بفاء ومثناة تحتية وضاد معجمة من فاض الماء اذا تدفق وانسكب والمراد انه كثير وفيه طباق وافتنان (ورأينا) هو من الرأي لا من الرواية أي خطر له خاطر (أن نختم هذه الفصول) أي نجعل خاتمة هذه الفصول التي سبق ذكرها في هذا الباب (بذكر حديث الحسن) رضي الله تعالى عنه ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي رواه الترمذي في شمائله وأخرجه ابن سعيد والبيهقي والطبراني ورواه المصنف رحمه الله تعالى عن مشايخه (عن أبي هالة) وهو هند بن أبي هالة الصحابي رضي الله تعالى عنه ربيب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانه ابن خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وقد تقدم الكلام عليه وترجمته (لجمعه) الضمير للحديث وهو علة لذكره وجعله مسك الختام (من شمائله وأوصافه) عطف تفسير

كثيرا) أي شيا كثيرا عالم يجمعه غيره الا اندرا يسيرا (وادماجه) أي ولادخال هذا والحسن في حديثه (جملة كافية) أي جملا وافية (من سيره) أي من شمائله الخلقية (وفضائله) أي الوهبية (ونصله) عطف على نختم أي ورأينا ان نلحق حديثه بعد تمامه (بتنبيه لطيف) في تبيين مجمله (على غريبه) من جهة المبنى (ومشكله) من طريقة المعنى (حدثنا القاضي أبو على الحسين بن محمد الحافظ) أي ابن سكرة وقد تقدم (رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة حدثنا) أي حدثنا (الامام أبو القاسم عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة (التميمي قراءة عليه) بالنصب وفي نسخة قرأت عليه (أخبركم) أي قال أخبركم في ضمن اخباري لكم (الفقيه الاديب) أي الجامع بين علمي المسائل الشرعية والقواعد العربية (أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري) بفتح نون فتحتية ساكنة فسين مهملة معرب المعجمة بلد بخراسان (والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد ابن أحمد بن الحسن المحمدي) أي المنسوب أي مسمى بمحمد بصيغة المفعول (والقاضي أبو على الحسن ابن على بن جعفر الوخشي) بفتح واو وسكون خاء فشين معجمتين وقيل بالحاء المهملة قرية من اعمال بلخ سمع أبا بكر الحيري بخراسان وأبا نعيم الحافظ باصبهان وأبا عمر الهاشمي بالبصرة وأبا عمر بن مهدي ببغداد وتمام الرازي بدمشق وأبا محمد ابن النحاس بمصر روى عنه طائفة وحدث عنه الخطيب وهو من أقرانه وسمع منه الحسن بن البلخي سنن أبي داود (قالوا) أي كلهم (حدثنا أبو القاسم على بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي) بضم خاء معجمة منسوب لقبيلة خزاعة (أنبانا) أي أخبرنا (أبو سعيد الهيثم بن كليب) بالتصغير (الشاشي) بمعجمتين منسوب الى بلدة مشهورة من بلاد ماوراء النهر صاحب المسند ومحدث ماوراء النهر (أنبانا أبو عيسى محمد بن سورة) بفتح المهملة والراء (الحافظ) هو الترمذي صاحب الجامع والشمائل (قال حدثنا سفيان بن وكيع) أي ابن الجراح ضعيف (حدثنا جميع) بضم جيم وفتح ميم وسكون تحتية (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلي) بكسر مهملة فسكون جيم منسوب الى قبيلة عجل (املاء من كتابه) أي رواية من كتابه المقروء على شيخه وهو أقوى من الاملاء عن ظهر قلبه وثقه ابن حبان وضعفه غيره

(كثيرا) مفعول جمعه المصدر المضاف لفاعله (وادماجه) أي اشتماله من أدمج الشئ اذا لفه وستره وقيل المراد لاحكامه واتقانه وانه أولى (جملة كافية من سيره وفضائله) مفعول الادماج لما فيه من معنى الادخال قال الجوهري دمج دموجا اذا دخل واستحكم (ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله) أي نبين في التنبيه ما في الحديث من غريب اللغة وما يشكل من تركيبه (حدثنا القاضي أبو على الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة) هو الامام الحافظ أبو على بن سكرة الذي تقدمت ترجمته (قال حدثنا الامام أبو القاسم) التكنية بهذه الكنية جائز وما ورد في حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي محمول على حياته صلى الله تعالى عليه وسلم أو على الجمع بينهما على ما يأتي لما في ذلك من الخلاف (عبد الله بن طاهر) بطاء مهملة تقدمت ترجمته (التميمي) منسوب لبني تميم قبيلة مشهورة (قرأت عليه أخبركم الفقيه الاديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري) الاديب هو العارف بعلوم الادب الاثني عشر المشهورة (والشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي) منسوب للمحمدية قرية من قرى تونس وتسمى بهذا الاسم قرى أخر بنواحي مصر وبغداد واليمامة (والقاضي أبو على الحسن بن على بن جعفر الوخشي) بواو مفتوحة وخاء وشين معجمتين نسبة لوخش قرية من اعمال بلخ وقيل بحاء مهملة والصحيح الاول وعليه اقتصر البرهان وهو الحافظ الرحلة الحسن بن على بن محمد بن جعفر البلخي يروي عن جماعة وحدث عنه الخطيب وهو من أقرانه وسمع منه الحسن بن على البلخي سنن أبي داود وهو ثقة ترجمته معروفة الا انه اتهم بالقدر توفي في خامس ربيع الاول سنة احدى وسبعين وأربعمائة ببلخ وعمره ست وثمانون سنة (قال حدثنا أبو القاسم على ابن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي) بضم الخاء المعجمة نسبة لخزاعة قبيلة معروفة قال (أنبانا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي) نسبة لشاش بلدة معروفة بما وراء النهر وهو الحافظ الثقة أبو سعيد الهيثم بن كليب بن شريح بن معقل صاحب المسند محدث ماوراء النهر سمع من الترمذي وغيره توفي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة قال (أنبانا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ) الامام الترمذي صاحب السنن وسورة بفتح السين المهملة وسكون الواو وراء مهملة كما تقدم (قال حدثنا سفيان بن وكيع) بن الجراح أبو محمد روى عنه أصحاب السنن وله ترجمة في الميزان توفي في سنة سبع وأربعين ومائتين (قال حدثنا جميع) بزنة مصغر جمع ضد المفرد (ابن عمر بن عبد الرحمن العجلي) الكوفي وعجل اسم قبيلة بكسر العين المهملة وسكون الجيم (املاء من كتابه) الذي بيده أو بيد غيره وهو أحد طرق الرواية المقبولة من الثقة المصحح لكتابه وما روى من منع الرواية من كتابه الصحيح خلافه كما فصلوه

(قال حدثني رجل من بني تميم) قال الانطاكي هو أبو عبد الله التميمي (من ولد أبي هالة) بفتح الواو واللام وبضم فسكون أي احفاده (زوج خديجة) بالجر بدل من أبي هالة (أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها) أي قبل وصولها اليه صلى الله تعالى عليه وسلم (يكنى أبا عبد الله) بفتح الكاف وتشديد النون المفتوحة وبسكون الكاف وتخفيف النون أي يعرف ذلك الرجل بهذه الكنية (عن ابن لابي هالة) أي بلا واسطة وهو غير معروف كما صرح به الذهبي في ميزانه وأصل هالة علم لدارة القمر فهو أقوى في منع الصرف من هريرة في أبي هريرة لان هريرة اسم جنس ثم هذا الاسناد ظاهرة الاتصال ولكنه منقطع لان الرجل لم يسم بل لم يسم فيه رجلان ومثل هذا يسمى منقطعا ولكنه ان سمي فيه الرجل من طريق آخر فهو متصل من وجه ومنقطع من وجه وان لم يسم مطلقا فهو منقطع أبدا كذا ذكره بعض الائمة وقال بعض علمائنا انه لا يضر الاسناد مثل هذه الجهالة فهو في حكم المرسل وهو حجة عند الجمهور والله تعالى أعلم (عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما قال) أي الحسن (سألت خالي هند بن أبي هالة قال القاضي) كان حقه ان يكتب رمز ح اشارة الى التحويل من سند الى آخر أو يأتي بالعاطفة فيقول وقال القاضي (أبو علي رحمه الله) وهو ابن سكرة (وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن) وروى فيه الحسين بالتصغير (ابن أحمد بن خداداذا) بضم خاء فذال معجمتين فالف فدال مهملة بعدها ألف فدال مهملة أو معجمة لغة فارسية ومعناه بالعربية عطاء الله (الكرجي) بفتح كاف وسكون راء فجيم (الباقلاني) بتشديد اللام وبعد ألفه نون فياء نسبة لباقلاء على غير قياس (وأجازنا الشيخ الاجل) أي الجليل القدر أو أجل زمانه وأكمل اقرانه (أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون) بفتح معجمة فسكون تحتية فضم راء يصرف ويمنع (قالا) أي كلاهما (حدثنا) أي حدثنا (أبو علي الحسن ابن أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بمعجمتين (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسي) بكسر الراء ويسكن (قراءة عليه فاقر به) أي اعترف بجواز نقله عنه وهو شرط فيمن قيل له أخبركم فلان أو أخبرني فلان عنك أو نحوه وان لم يقر به فلا يكون دليلا ولا حجة ولا بد من الاقرار وفيه تصحيح الرواية (قال) أي أبو علي المذكور (أنبانا) أي أخبرنا (أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين) بالتصغير في الثلاثة (ابن علي ابن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي) بفتحتين قال الحلبي هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه كما هنا ثم قال روى بقلة حيائه عن الديري عن عبد الرزاق باسناد كالشمس علي خير البشر وعن الديري عن عبد الرزاق عن معمر عن محمد بن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر مرفوعا قال علي وذريته يختمون الاوصياء الى يوم القيامة فهذان دالان على كذبه وعلى رفضه عفا الله عنه ولولا انه متهم لازدحم عليه المحدثون فانه معمر انتهى ولا يخفى انهما يدلان على كذبه

كما

(قال حدثنا رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها يكنى أبا عبد الله) هذا الرجل هو عبد الله بن أبي هالة الذي كان تزوج خديجة قبل النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وهذا الرجل أخرج عنه الترمذي في شمائله (عن ابن لابي هالة) قال الذهبي وتبعه البرهان ان هذا الرجل لا يعرف اسمه فهذا الحديث منقطع لان فيه راويا مجهولا وهالة علم منقول من هالة القمر وهي دارته (عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال سألت خالي هند بن أبي هالة) لانه أخو فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها لامها (قال القاضي أبو علي) بن سكرة المتقدم فروى هذا الحديث من طريقين (وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن أحمد بن خداداذا الكرجي الباقلاني) وخداداذا بضم الخاء المعجمة وفتح الذال المعجمة وألف ودال مهملة وألف ثم ذال معجمة وألف مقصورة كذا ضبطه البرهان وهو معرب خداداد بدالات مهملة ومعناه بالفارسية عطية الله والكرجي بفتح الكاف والراء المهملة ثم جيم منسوب للكرج اسم بلدة لابي دلف العجلي واسم بلدة بالدينور وبضم فسكون اسم مملكة معروفة والباقلاني بتشديد اللام قال الجوهري الباقلاء اذا شددت لامها قصرت وان خففت مددت (قال) أبو علي (وأجازنا الشيخ الاجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون) هو الحافظ المتقدم ترجمته (قالا أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان) بشين معجمة وألف وذال معجمة وألف ونون معرب ومعناه بالفارسية السرور (ابن حرب) كضد السلم (ابن مهران) بكسر الميم (الفارسي) منسوب لفارس ديار العجم (قراءة عليه فاقر به) هو شرط لقبول الرواية عمن قرئ عليه فيقال له أأخبركم بهذا فلان عن فلان فيقول نعم أخبرني به فلذا قيده المصنف رحمه الله تعالى بهذا (قال أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي) هذا الرجل ترجمه الذهبي في الميزان ونسبه

ووضعه وعلى تفضيله أيضا وأما على رفضه بمعنى سبه وبغضه فلان غايته ان الحديث ضعيف أو موضوع من طريقه لكنه لا يضر حيث انه ثابت باسناد الترمذى فى شمائله وانما أراد المصنف ان يتبرك بذكر مشايخه فى اسناده و يسلك بنفسه فى سلك استاذه والا فكان يكفيه ان يسند الحديث الترمذى المعروف بثبوت سنده أما بكونه صحيحا أو حسنا أو ضعيفا لانه وغيره ملتزمون ان لا يذكروا حديثا فيه راو حكم بوضعه (ثنا) حدثنا (اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين) بالتصغير (ابن على بن أبى طالب حدثنى) وفى نسخة قال حدثنا (على بن جعفر) أى الصادق (ابن على بن الحسين) قال الحلبى على هذا يروى عن أبيه وأخيه موسى والثورى وعنه أحمد البزى وجماعة أخرج له الترمذى فقط قال الذهبى ما رأيت أحدا بينه ولا وثقه ولكن حديثه منكر جدا ما صححه الترمذى ولا حسنه وقد رواه عن نصر بن على عنه عن أخيه موسى عن أبيه عن أجداده من أحبنى انتهى والحديث هو من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة أخرجه الترمذى فى المناقب وانفرد بالاخراج له كذا ذكره الحلبى (عن أخيه موسى بن جعفر) أى ابن محمد العلوى الكاظم عن أبيه وعبد الله بن دينار ولم يدركه وعنه ابنه على الرضى وأخواه على ومحمد وبنوه ابراهيم واسمعيل وحسين قال أبو صالح خاتم ثقة امام مات فى حبس الرشيد أخرج له الترمذى وابن ماجه وقال المسعودى قبض موسى ببغداد مسموما لخمس عشرة خلت من ملك الرشيد سنة ست وثمانين ومائة وهو ابن أربع وخمسين سنة (عن جعفر بن محمد) أى الصادق (عن أبيه محمد بن على) هو أبو جعفر الباقر سمى به لتبقره فى العلم أى لتوسعه فيه روى عن أبويه وجابر وابن عمر وطائفة وعنه ابنه جعفر الصادق والزهرى وابن جريج والاوزاعى وآخرون أخرج له الائمة الستة (عن على بن الحسين) هذا زين العابدين روى عن أبيه وعائشة رضى الله تعالى عنها وأبى هريرة وجمع وعنه بنوه محمد وزيد وعمر والزهرى وأبو الزناد وخلق قال الزهرى ما رأيت قرشيا أفضل منه أخرج له الائمة الستة قال المسعودى كل عقب الحسين هذا (قال قال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما واللفظ) أى لفظ الحديث الآتى (لهذا السند) أى لاهل هذا السند الثانى وهو بالنون لا بالياء التحتية قال التلمسانى هذا اسناد شريف لانه مروى عن أهل البيت ومثله اسناد المروى فى صفة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى قال فيه الائمة اسناد لو ذكر على ذى علة أو حمى لبرئ أو على مصاب لافاق ولو رقى به ملسوع لبرئ (سالت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر حاء وسكون لام فتحتية أى وصفه ونعته (وكان) أى هند (وصافا) أى كثير الوصف له عليه الصلاة والسلام جملة معترضة (وأنا أرجو) جملة حالية أى أتمنى وأحب كما فى رواية (أن يصف لى منها) أى من حليته (شيا) أى بعضا منها (أتعلق به) أى أتشبث به علما وعملا وهذا الحديث من طريق الترمذى فى الشمائل وقد انفرد باخراجه عن أصحاب الكتب الستة وقد بسطت الكلام على دقائق مبانيه وحقائق معانيه فى جمع الوسائل شرح الشمائل وهنا أتبع المصنف فى ضبط مبناه أولا وربط

كما هنا وروى حديث على وذريته مجتمعون الاوصياء الى يوم القيامة وهذا الحديث يدل على كذبه ورفضه وهو متهم بالكذب ولولا هذا الازدحم الناس عليه لانه معمر توفى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة (قال حدثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب قال حدثنى على بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين) على هذا هو جعفر بن محمد الصادق روى عن أبيه وأخيه موسى روى عنه الترمذى دون أصحاب السنن الا أنهم لم يوثقوه وانفرد بالرواية عنه الترمذى (عن أخيه موسى بن جعفر) هو موسى بن جعفر بن محمد الكاظم وهو امام ثقة (عن جعفر بن محمد) هو الصادق وقد تقدم (عن أبيه محمد) هو محمد (بن على) أبو جعفر الباقر (عن على بن الحسين) هو زين العابدين الامام المشهور (قال قال الحسن بن على) رضى الله تعالى عنهما (واللفظ لهذا السند) يعنى اللفظ المذكور مخصوص بالطريق الثانى والسند بالنون بمعنى الاسناد وليس السيد بمثناة تحتية لانه لم يذكر انه رواه عن على بن الحسين زيد العابدين وكذا لم يذكر انه رواه أحد مع الحسن هو ابن على كما فى المقتفى وهذا اسناد شريف لان رواته كلهم من أهل البيت ومثله حديث صفة الصلاة حتى نقل التلمسانى رحمه الله تعالى انه اذا قرئ على مصاب أفاق ورجال سنده كلهم معروفون (سالت خالى هند بن أبى هالة عن حلية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) الحلية بمعنى ما يتحلى به الانسان أى مما يرى من وجهه الشريف و بدنه وهى بكسر الحاء المهملة وسكون اللام (وكان وصافا) أى كان فصيحا له خبرة بوصف الناس لحذقه أو كان معروفا بذكر صفات النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (وأنا أرجو) جملة حالية أى راجيا (ان يصف لى منها) أى من حلية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (شيأ) أى مقدارا منها لان جميعها لا تحصى أو بعضها الاتى العبارة به (أتعلق به) أى أحفظه وأتمسك به تبركا

معناه ثانيا وبالله التوفيق وهو الهادى الى سواء الطريق (قال) أى هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخما) أى مهيبا عظيما فى العيون (مفخما) ١٦٨ بتشديد الخاء المعجمة المفتوحة أى معظما مكرما فى القلوب كما يشير الى هذا المعنى ما ورد انه من رآه فجاءة هابه ومن خالطه عشرة أحبه وليس المراد بهما بيان ضخامته فى جسمه وخلقته لما سيأتى خلافه فى نعته ولا يبعد أن يقال معناهما عظيم عند الحق ومعظم عند الخلق (يتلألأ وجهه) أى يضىء من كمال نوره وجمال ظهوره (تلألأ القمر ليلة البدر) أى كاضاءته حال بدره وبدوره (أطول من المربوع) أى القصير المربوع القامة (وأقصر من المشذب) بتشديد الذال المعجمة المفتوحة أى الطويل البائن (عظيم الهامة) بتخفيف الميم أى كبير الرأس المشير الى الوقار والرزانة (رجل الشعر) بكسر الجيم وفتح العين و يسكن أى متكسره قليلا (ان انفرقت عقيقته) أى انفرق شعر رأسه من ذات نفسه (فرق) أى تركه مفروقا (والافلا) أى وان لم ينفرق فلا يفرقه عن قصد منه والفرق هو الطريق الابيض الذى هو حاجز بين ناصيتى شعر الرأس (يجاوز شعره) أى شعر رأسه (شحمة أذنيه) أى أحيانا وروى شحمة أذنه بالافراد والشحمة معلق القرط وهو ما لان من أسفلها (اذا هو وفر) بتشديد الفاء وقيل بتخفيفها وفى نسخة صحيحة وفره بزيادة الضمير أى تركه وافرا أو جعله وفرة اذ لا يسمى وفرة الا اذا وصل الى الشحمة (أزهر

(قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما) بفتح الفاء وسكون الخاء المعجمة والمفخم بوزن المكرم والفخم بمعنى العظيم وأصل الفخامة العظمة فى الاجسام ثم شاعت فى المقدار والشرف فان كان المراد الاول وهو الظاهر فالمعنى ان اعضاءه صلى الله عليه وسلم تامة الخلقة واسعة سعة غير مفرطة كما تقدم فى الباب الثانى انه كان واسع الصدر وعينه نجلاء أى واسعة الشق ووجهه الشريف ممتلئ باللحم وان قامته الشريفة غير قصيرة والمراد بكونه مفخما انه كذلك فى العيون الناظرة اليه ويحتمل ان يراد بكونه فخما هذا المعنى وان يراد بكونه مفخما ان له صلى الله عليه وسلم مهابة فى العيون والصدور مع الجلال (يتلألأ وجهه) أى يضىء ويشرق وهو ماخوذ من اللؤلؤ لصفائه ولمعانه (تلألؤ القمر ليلة البدر) أى فيه نور كنور القمر فى ليلة البدر وقد تقدم الكلام فيه وتفسيره (أطول من المربوع) وهو الذى بين الطول والقصر كالربعة وقال التلمسانى المراد به هنا القصير الذى تحت الربعة لئلا يناقض ما ورد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه ربعة وأصل المربوع الحبل المفتول على أربع طاقات فاستعير لما ذكرانتهى * أقول لا حاجة لما ذكر لصرفه عن ظاهره لان المراد انه يزيد على الربعة زيادة يسيرة لا تخرجه عن كونه ربعة فهذا أمر تحقيقى وربعة أمر تقريبى فلا منافاة بينهما ولذا قال (وأقصر من المشذب) بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين المشددة والباء الموحدة وهو المفرط فى الطول كالبائن وهو مستعار من النخلة المشذبة وهى التى قطع بعض جريدها والتشذيب قطع كالتقليم (عظيم الهامة) بالهاء وتخفيف الميم وهى الرأس وليس المراد انها مفرطة فى الكبر بل كبيرة كبرا نسبيا لان صغرها وافراط كبرها غير ممدوح لدلالته على قلة العقل وقيل الهامة وسط الرأس وقيل مخه ولها معان أخر غير مناسبة هنا (رجل الشعر) بكسر الجيم على وزن حذر والشعر معروف ويجوز فتح عينه وسكونها كما مر والمراد ان فيه تجعدا قليلا وهو من صفاته الممدوحة فيه ويقال لضده قطط وهو الشديد الجعودة والسبط المسترسل (ان انفرقت عقيقته فرق) انفرق أى صار شعر رأسه فرقتين والعقيقة الشعر الذى على رأس المولود الذى يخرج عليه حين يولد من عق اذا قطع لانه يحلق فى اليوم السابع فسمى به شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق المجاز المرسل لاستعمال المقيد فى المطلق وليس استعارة تحقيقية كما قيل ومعنى فرق ابقاه منفرقا على حاله اذا انفرق بنفسه يقال فرقه فانفرق والفرق والمفرق البياض الواقع بين شعر الرأس وفى رواية عقيصته بالصاد المهملة بدل عقيقته (والا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه) وفى رواية أذنيه بالتثنية وهما بمعنى كما قال نظرت بعينى اذا نظر بعينيه وهكذا فى كل عضو كان كذلك كما هو مقرر فى العربية وشحم الاذن ما لان منها حيث يعلق القرط وتقدم فى هذا الحديث ما رأيت من ذى لمة فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وان اللمة الشعر الذى يجاوز شحمة الاذن فاذا وفر شعره صار لمة أى ما لم بالمنكبين واللمة دون الجمة والوفرة دون اللمة والجمة أكثر من الوفرة وهى ما سقطت على المنكبين فالوفرة أبلغ منها اللمة والجمة أبلغ منهما وفيه كلام تقدم والفرق سنة بخلاف السدل من قدام أو خلف ومعنى قوله والا وان لم يفرق فعلم منه اذا فرق جاوز الشحمة ووصل المنكب وأحواله مختلفة فى الطول ولذا قيل له لمة وجمة (اذا هو وفره) وفى بعض النسخ وفر بدون ضمير والمعروف رواية الاول كما قال المزى وفاؤه مخففة ومشددة أى كثرة وقد نقل بعد الحلق وغيره كما عرفته وهذا أولى من حمل اختلاف الروايات على التقريب

(أزهر اللون) أي أبيض نيرا وقد جاء من حديث علي رضي الله تعالى عنه انه كان أبيض مشربا بحمرة على ما أخرجه أبو حاتم عنه وكذا أخرج عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أبيض اللون وفي المسند من رواية عبد الله من طريقين أن رجلا سأل عليا عن نعته عليه الصلاة والسلام فقال فيه انه أبيض شديد الوضح ولعل الاول باعتبار الوجه والاعضاء التي تبدو للشمس وهذا باعتبار سائر البدن والمراد بالوضح كمال صفاء بياضه

(أزهر اللون) سيأتي معنى الازهر وان معناه أبيض مشرب بحمرة وقد ورد انه ليس بالابيض الامهق ولا بالادم وبهذا علم ماروي انه كان أسمر ولعله رآه عقيب سفر ونحوه أو لم يحققه لانه لمهابته صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحدق النظر في وجهه وفي رواية انه كان أبيض شديد الوضح والمراد بالوضح البياض وقد يطلق على البرص ولذا سمي جذيمة الابرص الوضاح ويؤيده انه ورد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عنقه كوزفضة ويأتي كان ساقه جماره وكشف ظهره فكأنه سبيكة فضة وقيل ان سمرته حمرته ولذا قيل في الجمع بين الروايات انه كان يميل الى السمرة أو البياض لونه وهذا عرض له بعد ذلك لكثرة أسفاره (واسع الجبين) في القاموس الجبينان حرفا الجبهة وجانباها عند الصدغين وبعد الحاجبين والجبهة وسطه أوهو جميع ما بين الصدغين فتدخل فيه الجبهة الى قصاص الشعر (أزج الحواجب) أزج أفعل كاحمر والزجج تقوس في الحواجب مع طول في طرفيه وامتداد بدقة في طرفيه وأراد بالحواجب الحاجبين وجمع لان أقل الجمع اثنان أو لاطلاقه على أجزائه وهما العظمان فوق العينين بلحمهما أو شعرهما أو يطلق على الشعر وسمي به لانه يحجب الشمس وغيرها عن العين (سوابغ) بالسين والصاد جمع سابغ لانه لما لا يعقل وقيل جمع سابغة وفيه أي طوال كاملة (من غير قرن) بفتحتين أي من غير اقتران واتصال لانه غير ممدوح عند العرب وما وقع في حديث أم معبد من وصف حاجبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن فيحتمل انه كان بينهما شعر دقيق جدا اذا سافر وعلاه غبار السفر ظن قرنا وما قيل انه بطريق الرأي أو انه لاختلاف الرؤية قربا وبعدا أو انه حدث له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك بعيد جدا بل لا وجه له (بينهما) أي بين الحاجبين وهذا يدل على ان الجمع في الحواجب بمعنى المثنى هنا (عرق يدره الغضب) بضم الياء مضارع الادرار من أدر الضرع والسحاب اذا كثر دره وهو لبنه وماؤه فخالب والمراد انه يظهر لغليان الدم بالغضب بعد ما كان خفيا الا انه يحدث بعد ان لم يكن وهذا لا ينافي ما ورد من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حليم لا يغضب لانه باعتبار أكثر أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه لا يغضب لنفسه ولا لاجل أمر دنيوي ولكنه قد يشتد غضبه لله اذا انتهكت حرمه وفي ضربه للاعداء كما قال الصرصري رحمه الله

بجبينه عرق يدر اذا سطا * غضبا على الاقران يوم طعان

والغضب تهييج الحرارة الغريزية فيغلي الدم منها ولذا يحمر الوجه وتنتفخ العروق (أقنى العرنين) القنا في الانف طوله ودقة أرنبته أي طرفه مع ارتفاع يسير في وسطه والعرنين بكسر العين الانف أو ما صلب منه أو ما تحت مجمع الحاجبين وهو أول حيث يكون الشمم والجمع عرانين ويكنى به عن الاشراف لشموخ أنفهم وارتفاعه على أقرانه قال

ان العرانين تلقاها محسدة * ولن ترى للئام الناس حسادا

(له نور يعلوه) الضمير له صلى الله تعالى عليه وسلم وجوزوا ان يعود للعرنين لانه وان كان وجهه كله

فلا ينافي ما جاء في الصحيح من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام لم يكن بالابيض الامهق ولا بالادم وأما ما في المسند لاحمد من حديث أنس أنه عليه الصلاة والسلام كان أسمر فالمراد به أسمر الى البياض كما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (واسع الجبين) أي من جمال خلقه ويمكن أن يكون كناية عن كمال خلقه وأصل الجبين ما بين الصدغين (أزج الحواجب) بتشديد الجيم الاولى أي دقيقها مع غزارة شعرها وتقوس أصلها (سوابغ) أي كوامل طولا وشوامل أصلا والسين أعلى من الصاد (من غير قرن) بفتحتين وقد يسكن أي من دون اجتماع واتصال بين الحاجبين ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الرائي وبعده أو المراد

بالاثبات قرب القرن وبالنفي بعده لان المطلوب اعتداله المحمود من كل وجه له وأما ما جوزه الحلبي من انه كان بغير قرن ثم حدث له القرن فيبعد تصوره (بينهما) أي بين حاجبيه (عرق) بكسر أوله (يدره) من الادرار أي يكثر دمه ويحركه ويهيجه (الغضب) أي عند مشاهدة مخالفة الرب فلا يخالف حديث لا يغضب (أقنى العرنين) بالكسر أي طويل الانف مع دقة أرنبته وحدب في وسطه على ما في النهاية ابن الاثير ويكنى به عن العزيز الذي معه منعة وذلك لشموخ أنفه وارتفاعه على قومه هذا وقال الجوهري وعرنين كل شئ أوله وعرنين الانف تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الانف حيث يكون فيه الشمم (له) أي لانفه بخصوصه (نور يعلوه) أي يظهر عليه أو يرفعه من كثرة ضيائه وشدة بهائه وقوة صفائه

(يحسبه) بكسر السين وفتحها أى يظن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو أنفه الوضىء (من لم يتأمله) أى وجهه (اشم) مفعول ثان ليحسبه والاشم الطويل قصبة الانف قال الجوهرى وهو من ارتفع وسط قصبة أنفه مع استواء أعلاه واشراف أرنبته قليلا من منتهاه فان كان فيها احديداب فهو أقنى (كث اللحية) بتشديد المثلثة أى غزير شعرها وكثير أصلها وفى رواية كان كثيف اللحية وفى أخرى عظيم اللحية ذكره ميرك شاه رحمه الله تعالى فما فى شرح الشمائل لابن حجر المكى من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافى الرواية والدراية لان الطويل مسكوت عنه مع ان عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا كما ان الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا ثم هذا لا ينافى ما ورد عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مرفوعا من سعادة المرء خفة لحيته كما رواه الاربعة فان الكثيف والخفيف من الامور الاضافية فيحمد على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الاحوال ولا يبعد ان يحمل الكثيف على أصلها والخفيف على عدم طولها وعرضها وأما قول الفقهاء فى تعريف اللحية الخفيفة هى ما تظهر البشرة من تحتها فحادث اصطلاحا ومبنى الاحاديث هذه على المعنى اللغوى تصحيحا واصطلاحا (أدعج) أى فى العين وهو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها (سهل الخدين) أى سائلهما غير مرتفع الوجنتين (ضليع الفم) أى عظيمه أو واسعه والعرب تمدح عظيمه وتذم صغيره لا ولعله للايماء الى سعة الفصاحة وظهور أثر الملاحة (أشنب) بمعجمة فنون فموحدة أى أبيض الاسنان أو الشنب رونقها وماؤها و بهاؤها (مفلج الاسنان) بتشديد اللام المفتوحة أى مفرج الثنايا لحديث على أفلج الثنايا ولان تباعد الاسنان كلها عيب (دقيق المسربة) بضم الراء ما دق من شعر الصدر كالخيط سائلا الى السرة (كأن) بتشديد النون (عنقه) أى رقبته وجيده (جيد دمية) بضم المهملة صورة تعمل من عاج أو رخام أو غيرهما و يتأنق فى تحسينها و يبالغ فى تزيينها حال كون عنقه فى صفاء الفضة

انور الكنه أول ما يتعلق به ولذا سمى انفا أيضا (يحسبه من لم يتأمله أشم) الشمم فى الانف ارتفاع وسط قصبته مع استواء أعلاه واشراف أرنبته قليلا يعنى ان وسطه فيه استواء مع أعلاه وأسفله ولكنه لتلألؤ قد يظن ان فيه ارتفاعا أو ان فيه ارتفاعا قليلا جدا لا يعد شمما والشمم قد يعبر به عن غرة النفس وعدم التنزل للامور وهو ما يمدح به كما قال كعب رضى الله عنه

شم العرانين ابطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل

والتأمل اعادة النظر وتكراره ليثبت فيه و يقف على كنهه وهو فى الاصل تفعل من الامل والرجاء لان الانسان لا يعيد النظر غالبا الا لما فيه أمل فاطلق على لازمه وشاع حتى صار حقيقة فيه وقيل الشمم طول الانف مع سيلانه ودقته والاول أصح وأشهر (كث اللحية) بفتح الكاف وتشديد المثلثة والكث كون اللحية كثيرة لشعر من غير طول ولا دقة شعر وما اشتهر من قوله من سعادة المرء خفة لحيته لم يثبت انه حديث مع انه قيل انما هو خفة لحييه مثنى لحى وان معناه كثرة تحريكهما بذكر الله أو المراد عدم طولها (أدعج) أى سواد عينيه شديد مع بياضها و يقال رجل أدعج أى اسود وليس بمراد وسيأتى فيه كلام (سهل الخدين) أى غير مرتفع الوجنة و كثير اللحم فيهما فانه غير محمود وقيل المراد انه طلق منبسط (ضليع الفم) بضاد مفتوحة معجمة أى طويل انشقاق الفم واسعه وهو مما يتمدح به و يعاب ضده لدلالته على الفصاحة وليس المراد به عظم الاسنان وتراصها كما قاله التلمسانى وشعراء المولدين يمدحون صغر الفم وهو خطأ منهم أو لمعنى آخر لا يلتفت اليه كما مر (أشنب) بنون بين شين معجمة و باء موحدة أى ذو شنب وهو كما فى النهاية بياض و بريق وصفاء وتحديد فى الاسنان وقيل هو رونقها وماؤها وقيل برد وعذوبة فيها وقيل نقط بيض وتحزيز فيها وسئل رؤبة عن قول ذى الرمة

لمياء فى شفتيها حوة لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

فاخذ حبة رمان وقال هذا هو الشنب أى انه صفاؤه وماء فيها كهذا ومن أمثال المولدين فاتك الشنب لمن أراد التشبه بمن لا يشبهه قال ابن الوكيل رحمه الله تعالى

يا بارقا باعلى الرقمتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(مفلج الاسنان) تقدم ان الفلج عدم تلاصق الاسنان وهو أنقى للفم وأطيب وفى حديث على كرم الله تعالى وجهه أفلج الثنايا وهو المراد بالاسنان أو المراد الثنايا والرباعيات لان تباعد الاسنان كلها معيب وقد تقدم كلام فيه ومفلج مضموم الميم مشدد اللام و يشبه به تقارب الدار مع عدم التلاقى كقوله

مالى به مع قرب دارى ملتقى * فهل رأيت ثغره المفلجا

(دقيق المسربة) بميم مفتوحة وسين مهملة ساكنة وراء مهملة مضمومة و باء موحدة مفتوحة تليها هاء وهو شعر كالخيط سائل من الصدر الى السرة و وصفه بالدقة لانه غير عريض ولا متكاثف طويل (كان عنقه جيد دمية) الجيد العنق الا ان السهيلى قال ان العنق يستعمل فى غير المدح والجيد يستعمل فى مقام بخلافه وان قوله تعالى فى جيدها حبل من مسد تهكم لجعل الحبل عقد الها وهذا على أصل اللغة

(معتدل الخلق) بفتح الخاء أى متناسب الاعضاء فى الحسن والبهاء (بادنا) أى عظيم البدن من جهة اللحم أو خلقه العظيم وليس معناه السمين الضخم بل صلب الجسم غير مسترخى اللحم كما قال (متماسكا) أى ليس بمسترخى اللحم وروى متماسك بالرفع أى هو متماسك يمسك بعضه بعضا الشدته ولا ينافيه ماورد من انه عليه السلام كان ضرب اللحم أى خفيفه يعنى بالاضافة الى السمين البطين (سواء البطن والصدر) بالاضافة أى مستويان لا يرتفع احدهما على الآخر فهما معتدلان (مشيح الصدر) بضم ميم وكسر معجمة فتحتية فمهملة أى باديه وظاهره لا تطامن ولا انخفاض به كما انه لا ارتفاع له وروى بفتح الميم ومهملتين من المساحة أو السياحة أى عريضه وهو ايماء الى سعة صدره فى أمره وانشراح قلبه بحكم ربه (بعيدما بين المنكبين) أى وسيع ما بين الكتف والعنق قال ههنا بعيد وفيما سبق عظيم فعظمه اما ببعده فهما سواء أو هناك كثير اللحم وهنا بعيد فهما موصوفان وما موصولة (ضخم الكراديس) أى عظيم رؤس العظام وجسيمها جمع كردوس وهو رأس العظم أو كل عظمين التقيا فى مفصل كالمنكبين والوركين (أنور المتجرد) بفتح الراء المشددة وهو ساجرد عنه ثوبه من جسده (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الموحدة أى موضع القلادة وهو الصدر او النحر وما موصولة (والسرة بشعر) متعلق (بموصول يجرى كالخط) بتشديد الطاء المهملة أى يمتد مشابها للخط المستطيل وهو ماسبق من معنى المسربة شبهه بجريان الماء وهو امتداده فى سيلانه (عارى الثديين) بفتح فسكون أى ليس عليهما شعر وقيل لحم ويؤيده الاول قوله

لاعلى نهج الاستعمال فلا اعتراض عليه والدمية بضم الدال المهملة وسكون الميم وتخفيف المثناة التحتية وهى الصورة من رخام أو عاج والمراد شدة بياضه وطوله ويؤيده ماروى من ان عنقه صلى الله تعالى عليه وسلم كابريق فضة ويشير اليه هنا قوله (فى صفاء الفضة) أى بياضها الخالص وهذا يؤيد مامر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس باسمر وانما شبه بالدمية لان صانعها يبالغ فى تحسينها ولهذا ضرب بها المثل (معتدل الخلق) بفتح فسكون أى متوسط الخلقة بين الطول والقصر والسمن والهزال والضخامة والصغر فهو متناسب الاعضاء مستقيم فى أحسن تقويم (بادنا) أى ضخم البدن غير دقيق الاعضاء صغيرها اوردفه بقوله (متماسكا) أى كان أعضاءه تمسك بعضها بعضا الشدة ارتباطه به ومناسبته له وهو منصوب صفة بادنا وروى بالرفع خبر مبتدأ مقدر (سواء البطن والصدر) أى متساويهما لم يرتفع احدهما على الآخر (مشيح الصدر) بضم الميم وكسر الشين المعجمة ومثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة بمعنى عريض متسع مع مساواته لبطنه من غير تقاعس وانخفاض فيه وروى بفتح الميم وكسر السين المهملة وهو بمعناه (بعيد ما بين المنكبين) تثنية منكب بفتح الميم وكسر الكاف ونون بينهما وآخره باء موحدة وهو ما بين الكتف والعنق والمراد بعدهما سعتهما وهو أقوى للبدن والبطش وعبر عنه تارة بالبعد وتارة بالعظم والكل واحد وما موصولة (ضخم الكراديس) جمع كردوس وهو رأس العظم أو ملتقى كل عظمين كالمرفقين وضخم بمعنى كبير وكل عظم كثير اللحم كردوس (أنور المتجرد) اسم مفعول يعنى ماخفى من البدن من التجرد وهو الكشف ورفع الثياب وأنور بمعنى نير مشرق أو افعل تفضيل لان ماتحت الثياب من البدن لعدم ملاقاته الهواء والشمس أبيض من الاطراف المكشوفة وورد فى وصفه صلى الله عليه وسلم انه أجرد وهو ضد الاشعر فان الشعر كان على أماكن مخصوصة من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين وقال الشريف الغرناطى فى شرح البردة قال بعض الصحابة رأيت ساق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غرز الركاب كأنه جمارة يعنى فى بياض اللون والطراوة فان قلت اوارد فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم انه أزهر اللون أى مشرب بحمرة وبياض الجمار خالص قلت يمكن الجمع بان ماتحت الثياب مما لم يباشره الشمس خالص البياض بخلاف غيره انتهى (موصول ما بين اللبة) بفتح اللام وتشديد الباء الموحدة وهى النحر وقيل الصدر وقيل موضع القلادة وما موصولة لازائدة (والسرة) وهى موضع ما يقطع من المولود والمقطوع سر (بشعر) متعلق بموصول (يجرى كالخط) وهو المسربة السالفة وجريانه امتداده كما جاء والخط الطريقة المستطيلة المستقيمة وفى الاصطلاح ماوصل بين نقطتين متقابلتين فكانه جعل اللبة وهى النقرة التى فوق الصدر نقطة والسرة نقطة أخرى والشعر الرقيق بينهما خطا (عارى الثديين) تثنية ثدى بفتح المثلثة وكسرها تذكر وتؤنث وروى الثندوتين بثاء مثلثة ونون وهما بمعنى قال الجوهرى الثدى يكون للرجل والمرأة ووافقه الصاغانى وفى درة الغواص الثدى خاص بالمرأة والذى للرجل ثندوة وهو غير مهموزة كترقوة على فعلوة وهو مغرز الثدى أو رأسه فان ضممت همزته وهو فعلوة ففيه تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعلى ماقاله الحريرى تبع البعض أهل العصر صوب بعضهم رواية الثندوتين وزعم ان غيره خطأ لعدم ثبوته فى اللغة وماقيل من انه صحيح على الاستعارة غير صحيح ومعنى

عاريهما انه لاشعر عليهما وقيل لالحم عليهما لماسيأتى من انه اشعر الى آخره وفيه نظر لانه لم يذكر فيه انه على ثدييه شعر كما ستسمعه قريبا (ماسوى ذلك) أى ماسوى الشعر الذى بين السرة واللبة وهو بدل من الثديين وفيه نظر وروى ماسوى ذين وهو أظهر (أشعر) أى كثير الشعر فى (الذراعين) بكسر الذال المعجمة مابين المرفق وطرف الاصابع (والمنكبين) تقدم بيانهما (وأعالى الصدر طويل الزندين) تثنية زند وهو طرف الذراع المتصل بالكف وطرفاه الكوع وهو رأس الذراع مما يلى الابهام والكرسوع وهو رأسه مما يلى الخنصر وهما العظمان اللذان فى ظاهر الساعد والمراد عظم الذراع فسماه باسم بعضه ولذا وصفه بالطول (رحب الراحة) أى واسع الكف والراحة بمعنى والراحة من الروح وهو الاتساع (شثن) بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة والنون وهو الضخم الممتلئ لحما ويؤيده انه ورد فى رواية انه ضخم (الكفين والقدمين) ومافى النهاية فى تفسيره من انهما يميلان الى الغلظ والقصر غير مناسب لقوله رحب الراحة وقيل هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر وذلك محمود فى الرجال دون النساء لانه أشد للقبض أو البطش وقال ابن بطال كانت كفه صلى الله تعالى عليه وسلم ممتلئة لحما وهى مع ضخامتها لينة وفى حديث أنس رضى الله عنه مامسست حريرا ألين من كفه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الاصمعى الشثن غلظ مع خشونة لم يوافق عليه ولا حاجة لتأويله بانه لامر عارض فى أسفاره وجهاده واستعمال يديه فى مهنة بيته فانه مناف لعده من الحلية وهى الصفات الخلقية فان الذى ارتضاه أهل اللغة انه الضخم ولا ينافيه قوله (سائل الاطراف) وبسط الكفين أو سبط الكفين كما قيل لان المراد بالاطراف الاصابع والكف والقدم مغرسهما فليست داخلة فى معناهما ومعنى سائل باللام طويل فكأنه شبهها بعين سالت من بركة لطولها وصفائها وبياضها ولينها الان راحته صلى الله تعالى عليه وسلم تنبع منها الخيرات والمياه كما قلت فى قصيدتى الهمزية

نبع الماء من أصابع كفه * باياد ساغاض فيها الماء

لاتقس هاءلى أصابع نيل * كم لكسر من جبرهن وفاء

(أوقال سائن الاطراف) شك من الراوى فى قول ابن أبى هالة انه قال ماتقدم أوقال سائن بنون مبدلة من اللام كما يأتى وقالوا جبريل وجبرين واسمعيل واسماعين (وسائر الاطراف) بالراء المهملة مكان اللام ومعناه باقى او جميع وليس الثانى خطا كما قاله الحريرى وتبعه فى الشرح الجديد كما فصلناه فى شرح الدرة وعلى هذا الاخير هو مجرور معطوف على القدمين أى ضخم أطرافه كلها وليس شكه لتقارب الحروف الثلاثة فى الخط والمخرج كما قيل وقد ضبب فى النسخ على قوله سائن بالنون والصواب اثبات الالفاظ الثلاثة لماسيأتى فى تفسيرها كما قاله فى المقتفى وجاء هذا فى بعض الروايات من غير شك (سبط العصب) سبط بسكون الباء الموحدة وكسرها بمعنى ممتد ليس به تعقد ونتو كما فى النهاية

(ماسوى ذلك) أى ماسوى الخط والمعنى الاماسبق من شعر المسربة وروى مماسوى ذلك (أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر) جمع أعلى أى سافوقه فان جميعها كثير الشعر لما تقدم ان مابعده قليل الشعر واما ماورد عن على كرم الله وجهه على مافى حسان المصابيح من انه عليه الصلاة والسلام كان اجرد والاجرد هو الذى لاشعر عليه فمحمول على انه أريد بالاجرد ضد الاشعر والمعنى انه لم يكن على جميع بدنه شعر لا الاجرد المطلق (طويل الزندين) بفتح فسكون أى عظمى الذراعين من اليدين (رحب الراحة) بفتح فسكون وقد يضم أوله أى وسيع الكف وهو قد يكون كناية عن نهاية الجود وغاية الكرم (شثن الكفين والقدمين) بسكون المثلثة وقيل بالفوقية وهما لغتان على مافى القاموس أى يميلان الى غلظ وقصر أوالى غلظ فقط ويحمد ذلك فى الرجال لانه أشد لقبضهم وبطشهم وأقوى لمشيهم وثباتهم ذكره ابن الاثير فى المثلثة (سائل الاطراف) أى بالسين المهملة واللام اسم فاعل (أوقال) شك من الراوى (سائن الاطراف) بالنون وهما بمعنى أى ممتدها وقد تبدل اللام نونا ذكره الدلجى وزيد فى نسخة صحيحة وسائر الاطراف بالراء ويدل عليه ذكره فى كلام المصنف عند حل مشكاه وقد قال ابن الانبارى روى سائل الاطراف أوقال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الأخرى وسائر الاطراف فاشارة الى ضخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث قال الانطاكى هو بواو العطف أى وسائر اطرافه ضخم (سبط العصب) بفتح سين مهملة وسكون موحدة وفى نسخة بكسرها او روى بتقديم الموحدة والعصب بفتح المهملتين على مافى الاصول المصححة والنسخ المعتبرة واماقول الحلبى هو تصحيف والصواب بالقاف فهو عن صوب الصواب تحريف والمعنى ممتدة اطناب مفاصله وممتلئة من غير تعقد ونتو وروى القصب بالقاف قال الهروى وهو كل عظم عريض كاللوح وكل اجوف فيه مخ كالساعد واما ابن الانبارى قالوا وهو الاشبه والمراد عظام ساعديه وساقيه باعتبار طولهما

والعصب وقع فى أصل البرهان بعين وصاد مهملتين كما ضبطه ابن الانبارى والذى اتفق عليه ابن الاثير والهروى انه القصب بالقاف لا بالعين والمراد بالقصب ساعداه وساقاه وفى الغرسين كل عظم عريض لوح وكل أجوف فيه قصبة وجمعها اقصب ويشهد له ان العرب تتمدح به كما قال

فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرجال لواء

لانه يدل على قوة البدن والشجاعة والعصب بالعين ما يمتد فى البدن لربط الاعضاء وتحريكها كما بين فى علم التشريح وهو اطناب المفاصل وقيل المراد به ههنا عظام الساقين والساعدين مجاز المابينهما من المجاورة فتتحد الروايتان وهو بعيد جدا (خمصان الاخمصين) خمصان بضم الخاء المعجمة وفتحها وسكون الميم لا بفتحها كما توهمه عبارة القاموس وتبعه بعضهم هنا وبه ما ضبط لفظ الشفاء ومعناه الضامر البطن وهو هنا بمعنى المتجافى عن الارض أى المرتفع والاخمصين مثنى أخمص بوزن أحمر وهو مادخل من باطن القدم ولم يصب الارض لعدم مساواته العقب ومقدم القدم وسمى به لضموره ودخوله ولما كان أخمص القدم قد يطلق على مايلى الارض منها مطلقا أتى بقوله خمصان مضافا اليه ليبين انه على ظاهره وهو المحل المرتفع وليس المراد به المبالغة فى ارتفاعه كما فسره بعضهم هنا بالشديد التجافى لهذا فجعله كليل اليل وقد قال ابن الاعرابى اذا كان خميص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو أسفله فهو أحسن فان استوى أو ارتفع جدا فهو مذموم فمعنى خمصان الاخمصين انه مرتفع باعتدال وقال البرهان وسيأتى ماينافى هذا يعنى قوله مسيح القدمين قال البارزى فى كتاب توثيق عرى الايمان خمصان الاخمصين متجافى أخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم وقوله (مسيح القدمين ينبو عنهما الماء) قال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى أى املسهما ولذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث أبى هريرة خلافه ففيه اذا وطئ بقدميه وطئ بكليهما ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وقد قالوا سمى عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم مسيحا لانه لم يكن له أخمص وقيل معنى مسيح القدمين لالحم عليهما وهو مخالف لقوله شثن القدمين انتهى وأقره صاحب المقتفى وفى الشرح الجديد فى النهاية معنى مسيح القدمين انهما املساوان لينان ليس فيهما التواء وانشقاق فاذا اصابهما الماء سال ومر سريعا من جانب الكعب القبلى وقال ابن الحنبلى قصيدة الصرصرى النونية ليس المسيح باطن القدمين الذى هو محل الخمصان بل هو ظاهرهما الملامسة فلا تعارض بين العبارتين * أقول هذا كله خلط منهما وليت شعرى مايقول فى حديث أبى هريرة الذى نقله البارزى فالاشكال الذى ذكره البرهان غير مندفع اللهم الا أن يقال ان الخمصة فيه قليلة جدا ومعنى ينبو يرتفع والمراد به مفارقة الماء وانصبابه مجازا وأنشدوا هنا لبعضهم

يارب بالقدم التى أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التى جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمى وكن لى منقذا ومسلما
واجعلهما ذخرى فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

والقدم الاولى قدمه صلى الله عليه وسلم والثانية قدم على رضى الله عنه لما قال له صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أصعد لكسر أصنام الكعبة فصعد على كتفه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه صاحب الصفوة ومسيح بفتح الميم وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة وحاء مهملة وفى بعض النسخ مشيح بضم الميم وشين معجمة ولم يفسرها وكأنها تحريف من النساخ أو معناها خفيف المشى (اذا زال زال تقلعا) وروى اذا مشى تقلع أى رفع رجليه رفعا قويا ليتثبت فى مشيه فكأنه يقلع رجليه من الارض

(خمصان الاخمصين) بضم الخاء المعجمة الاولى مبالغة من الخمص أى شديد تجافى الاخمص القدم عن الارض وهو الموضع الذى لايلصق بها منها عند الموضع (مسيح القدمين) أى ملساوين لينين لاتنوء بهما وهو بفتح الميم وكسر المهملة قال الحجازى ويروى بضم الميم وشين معجمة (ينبو عنهما الماء) على زنة يدعو أى يأبى عن قبولهما ووقوفه فيهما لملاستهما (اذا زال) أى عن مكانه (زال تقلعا) بضم اللام المشددة ويروى قلعا بكسر اللام وسكونها ويروى اذا مشى تقلع أى رفع رجليه من الارض رفعا بقوة كأنه يثبت فى المشية بحيث لايظهر منه العجلة وشدة المبادرة عملا بقوله تعالى واقصد فى مشيك أى لاتمشى الخيلاء ولا سيرا متماوتا كالنساء وروى اذا مشى مشى تقلعا وزيد فى نسخة صحيحة

(ويخطو تكفأ) بضم فاء مشددة فهمز أو واو وسبق بيان مبناه وتبيان معناه (ويمشي هونا) أي برفق وسكون ووقار وسكينة من غير دفع ومزاحمة لقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ولا ينافي قوله (ذريع المشية) بالذال المعجمة وكسر الميم أي سريعها بسعة الخطوة كما يشير اليه قوله (اذا مشى كأنما ينحط) أي ينزل (من صبب) أو في صبب كما في رواية أي منحدر من الارض لقوة مشيه وتثبت خطوه في بضعه وخطه قال الازهري الانحطاط من صبب والتكفؤ الى قدام والتقلع من الارض قريب بعضها من بعض في المعنى وان اختلف ألفاظها في المبنى وأما حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فمحمول على السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت لانه عليه الصلاة والسلام كان يشب وثوب الشطار أو على ان السرعة كانت تقع في مشيه عليه السلام لسعة خطوه من غير قصد له كيف وقد روي انه عليه السلام قال سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن على ما رواه جماعة من الحفاظ (واذا التفت) أي يمنة أو يسرة أو الى أحد من جانبيه (التفت جميعا) أي مجتمعا اليه ومقبلا بكليته عليه فلا يسارق النظر ١٧٤ ولا يكون كالطير الخفيف الطيش بل يقبل جميعا ويدبر جميعا (خافض الطرف) أي بصره حياء من ربه وتواضعا لاصحابه (نظره الى الارض أطول) أي أكثر مدة (من نظره الى السماء) لانه أجمع للفكرة وأوسع للعبرة (جل نظره) بضم الجيم وتشديد اللام أي معظمه (الملاحظة) مفاعلة من اللحظ وهو مراعاة النظر بشق العين مما يلي الصدغ وكأنه أراد بها هنا حال كثرة تفكره في أمره المانع من توجهه بجميع نظره الى جانب من طرفه أو الى أحد من أهله (يسوق أصحابه) أي يقدمهم امامه ويمشي خلفهم تواضعا لربه وتعليما لاصحابه وهذا في الحضر وأما في السفر فلزيادة مراعاة أضعف القوم ومحافظتهم من ورائهم وكان لا يدع أحدا يمشي خلفه ويقول دعوا خلفي للملائكة قال النووي وانما تقدمهم في سور صنعه جابر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم دعاهم اليه فجاؤا تبعا له كصاحب الطعام اذا دعى طائفة مشى امامهم انتهى ولا يبعد أن يقال انما تقدمهم مبادرة الى ما أراد من تكثير الطعام بوضع يده الشريفة عليه عليه الصلاة والسلام (ويبدأ) وفي رواية ويبدر بضم الدال أي يتبادر (من لقيه بالسلام) لانه الاكمل وثوابه الافضل لما فيه من التواضع أولا والتسبب لغرض الجواب ثانيا ولذا عدت هذه الخصلة من السنن التي هي أفضل من الفريضة وفيه اشارة الى انه يستحب للاكبر ان يبتدئ به على الاصغر كما روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة الاسراء لما وصل الى مقام الانتهاء وقال التحيات لله والصلوات والطيبات وبالغ في الثناء قال الله تعالى السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يرجع السلام السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقالت الملائكة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والحديث الى هنا اتفق عليه الترمذي والطبراني والبيهقي في روايتهم عن ابن أبي هالة وقد اقتصر

فيقارب خطاه من غير اختيال واسراع كما ورد من قوله الآتي كأنما ينحط من صبب وروي اذا زال زال قلعا بفتح القاف وسكون اللام وكسرها وروي بالضم أيضا (ويخطو تكفأ) أي اذا مد خطاه يميل الى قدامه كمن يتكفى وتكفؤا ان همز ضمت فاؤه كالمصادر الصحيحة مثل تقدم تقدما لان الهمزة حرف صحيح فان أبدلت ياء كسر ما قبلها فقيل تكفيا كتسمى تسميا ونحوه من المصادر المعتلة الآخر (ويمشي هونا) بفتح الهاء أي اذا مشى مشى برفق ولين ووقار كما يأتي لانه ممدوح قال تعالى ويمشون على الارض هونا (ذريع المشية) بفتح الذال المعجمة وكسر الميم والذريع الواسع الخطو أي ما بين قدميه واسع فمع عدم سرعته يساوي مشيه المشي السريع أو يفوقه (كأنما ينحط من صبب) أي ينحدر من مكان عال والمنحدر من عال يكون له سرعة مع سهولة وانما قال كأنما لانه ليس منحدرا على الحقيقة وانما هو كالمنحدر في السرعة والسهولة (واذا التفت التفت جميعا) أي اذا أراد أن ينظر لما خلفه أو في جانبه لا يلوي عنقه بل يصرف جميع بدنه فيقبل جميعا ويدبر جميعا من غير مسارقة نظر فانه خفة وطيش (خافض الطرف) مصدر بمعنى تحريك الجفن ثم صار بمعنى الخفض ضد الرفع والطرف العين وفسر هذا بقوله (نظره في الارض أطول من نظره في السماء) يعني ان نظره لجانب السفل أكثر من نظره في جانب العلو لخشوعه وحيائه ووقاره وليس هذا مخصوصا بالصلاة والدعاء فانه مكروه فيهما ولا ينافي هذا قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء لان هذا باعتبار الاغلب كما يشعر به لفظ قد (جل نظره الملاحظة) جل بضم الجيم بمعنى المعظم والاكثر والملاحظة النظر باللحظ وهو طرف العين مما يلي الصدغ ومما يلي الانف موق وماق أي ينظر بطرف عينه تأدبا وحياء (يسوق أصحابه) أي يمشي خلفهم وفي ساقتهم ولا يدع أحدا يمشي خلفه كما هو عادة المتكبرين وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول خلوا ظهري للملائكة وفي قوله يسوق اشارة الى انه هو المحرك لهم فما قيل من انه لا يتقدم الصغار الكبار الا اذا سار ليلا أو خاضوا سيلا ليس على وفق السنة (ويبدأ من لقيه بالسلام) لانه من السنة أن يسلم الاكبر

عليه السيوطي في جامعه الصغير واما باسناد المصنف على وفق ما في الشمائل للترمذي فقد قال الحسن بن علي لخاله هند لما وصل الى هذا المحل وقد حصل له الحظ الاكمل من بعض فعله الاجل (قلت صف لي منطقه) أي كيفية آداب نطقه وبيان اخبار صفته (قال) أي هند (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) أي وهو مما يوجب تكميل اللسان وتعليل البيان (دائم الفكرة) أي في أمر الآخرة (ليست له راحة) لانه في دار محنة وهذا كله مما يقتضي قوله (ولا يتكلم في غير حاجة) وكونه (طويل السكوت) ثم ليس المراد بحزنه لما يفوته مطلوب عاجل ولا بتوقع مكروه آجل فان ذلك منهي عنه لقوله سبحانه وتعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ولما ورد من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وانما المراد به التيقظ والاهتمام لما يستقبله من الامور العظام كما أشار اليه قوله تعالى حكاية عن أهل الجنة حال وصولهم الى غاية المنن الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور واما ما نقله الحلبي عن ابن امام الجوزية من ان حديث هند بن أبي هالة في صفته عليه الصلاة والسلام انه كان متواصل الاحزان لا يثبت وفي اسناده من لا يعرف وكيف يكون وقد صانه الله تعالى عن الحزن على الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن فمدفوع بما نقله الحلبي أيضا عن شيخ الاسلام أبي العباس بن تيمية في حديث هند بن أبي هالة انه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ما لفظه ذا الصمت والفكر للسان والقلب واما الحزن فليس المراد به الالم على فوت مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك لم يكن من حاله انتهى وهذا تقرير لثبوت الحديث في المبنى واحتياج تأويله في المعنى ثم هذا كله من هند

الاكبر على الاصغر والسلام دعاء وتحية وهو تحية أهل الجنة كما ورد في السنة فهو دعاء بالسلامة واسم من اسمائه تعالى وجوز ارادته هنا بمعنى ان الله معك ومطلع عليك وابتداؤه سنة لا واجب بالاجماع وفيه قول به ضعيف لا يعتد به ورده فرض كفاية لا على كل احد بعينه لان السلام معناه الامان فاذا سلم أحد ولم يجب توهم الشر فيجب دفعه كما قاله الحليمي وهذا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تواضع ولطف مناسب لما نحن فيه من حسن الخلق قال الحسن رضي الله عنه الراوي لهذا الحديث (قلت) لخالي هند ابن أبي هالة رضي الله تعالى عنه (صف لي منطقه) مصدر ميمي أي نطقه وكلامه صلى الله تعالى عليه وسلم والنطق هو اللفظ الدال على معنى واما قول سليمان عليه الصلاة والسلام علمنا منطق الطير وقول الشاعر * لقد نطق اليوم الحمام لنطربا * فلتنزيله منزلته لفهم سليمان عليه الصلاة والسلام منه معنى ولادعاء الشعراء شوقه وطربه كما قاله الهروي (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متواصل الاحزان) هذا مشتمل على الجواب وزيادة فالجواب قوله الآتي ولا يتكلم في غير حاجة فكأنه قال كان كلامه موجزا قليلا وقيل معناه ان كلامه لم يكن بفرح وبطر بل بحزن واسف وقال ابن قيم الجوزية قول ابن أبي هالة متواصل الى آخره لم يثبت عنه وفي سنده مجهول كيف وقد صانه الله عن الحزن وأسبابه ونهاه عنه بقوله لا تحزن وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا خوف عليه ولا حزن في الدنيا والآخرة فمن أين يأتيه الحزن وقد ورد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه كان دائم البشر ضحوك السن وقد استعاذ من الهم والحزن وفرق ان الهم لما سيأتي والحزن على ما مضى وقال ابن تيمية في حديث ابن أبي هالة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان كثير الصمت دائم الفكر متواصل الاحزان ليس المراد بالحزن الالم على فوت المطلوب أو حصول مكروه فانه لم يكن من حاله صلى الله تعالى عليه وسلم وانما المراد به التيقظ لما يستقبل من الامور وهو مشترك بين العين والقلب انتهى قيل وهو لم ينه عن ذلك لانه ليس باختياره وانما نهي عن تعاطي أسبابه كما قيل

ومن سره ان لا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيأ يخاف له فقدا

انتهى وقال ابن قيم الجوزية في شرح منازل السائلين ليس الحزن من منازل السالكين وقد ورد النهي عنه فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وحزن المؤمن يسر الشيطان لانه يفتر العزم ولذا قال أهل الجنة الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الآية وهو من المصائب واما خبر ان الله يحب كل قلب حزين فلم يثبت * أقول هذا تطويل بغير طائل وانكار ورود الحديث مردود لانه ثابت كما قاله الحافظ ابن تيمية وغيره واما كونه ليس من المقامات فمع كونه غير مسلم كما مر فلا يضر والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على هيئة الحزين حال سكوته لكثرة افكاره في أمور أمته وأحوالهم كما يدل عليه قوله (دائم الفكرة ليس له راحة) وكيف لا وقد قاسى صلى الله تعالى عليه وسلم في التبليغ ما لا يوصف واما وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالبشر والتبسم فهو في حال آخر وهو مخاطبته للناس والنظر في أمورهم (ولا يتكلم في غير حاجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم أو لامته كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه (طويل السكوت) عما لا يجدي نفعا لكثرة أفكاره صلى الله تعالى عليه وسلم ودوام ذكره

يدل على كماله حيث ذكر هذه المقدمة توطئة فى مقام مقاله اجمالا ثم بينه تفصيلا بقوله (يفتتح الكلام ويختمه) أى يطلب ابتداءه وانتهاءه (باشداقه) أى جوانب فمه لرحب شدقه والعرب تتمدح به (ويتكلم بجوامع الكلم) جمع جامعة أى بالكلم الجوامع لمبانى يسيرة ومعانى كثيرة وفى الحديث كان يستحب الجوامع من الدعاء أى الجامعة لمقاصد صالحة وفوائد صحيحة (فصلا) أى يتكلم حال كون كلامه كلاما بينا يعرف كل أحد هينا ومنه قوله سبحانه وتعالى انه لقول فصل أى بين الحق والباطل أو قاطع جامع مانع (لافضول فيه) أى عريا من الفائدة فيكون مملا (ولا تقصير) أى فيه عن أصل معناه وما يتعلق بمبناه من منافعه الزائدة فيكون مخلا (دمثا) بفتح مهملة وكسر ميم فمثلثة أى كان لين الخلق سهلا (ليس بالجافى) أى غليظ الطبع أو الذى يجفو أصحابه (ولا المهين) بفتح الميم وضمها قال ابن الاثير فالضم من الاهانة أى لا يهين أحدا من الناس فتكون الميم زائدة والفتح من المهانة أى الحقارة فتكون الميم أصلية انتهى ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين أى حقير (يعظم النعمة) أى نعمة الله (وان دقت) أى قلت وصغرت (لا يذم شيأ) من نعمه سبحانه وتعالى أو أحدا من خلقه لنزاهته عن البذاء والاذى مع قوله (لم يكن يذم) أى يعيب (ذواقا) بفتح أوله وتخفيف واوه أى مأكولا ومشروبا وأما حديث ان الله لا يحب الذواقين والذواقات فيعنى بهما سريع النكاح وسريع الطلاق (ولا يمدحه) أى لنزاهة ساحة قلبه عن الرغبة الى غير ربه (ونحو) فيميل الى التمتع بمتاع الحياة الدنيا والتوجه الى حظ نفسه منها ليترتب عليه مدحها وذمها قيل لبعضهم ما بال عظة السلف تنفع وعظة الخلف لا تنجع فقال علماء السلف ايقاظ والناس نيام وعلماء الخلف نيام والناس موتى أو كالانعام (ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق) ببناء المفعول فيهما والمعنى لا يقوم أحد من الخلق لدفع غضبه اذا تعرض أحد له فى أمر ربه (بشئ) أى بسبب مأمور او منهى وروى لشئ باللام أى لاجل امر وحاصله انه اذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شئ (حتى ينتصر له) أى يقوم بنصرة الحق الواجب فى حقه وهذا غاية لعدم التعرض لغضبه (ولا يغضب لنفسه) أى لحظها وبسببها (ولا ينتصر لها) أى لمجرد حقها

(يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) جمع شدق بفتح أوله وكسره وسكون داله المهملة وهو جوانب الفم وذلك لسعة فمه الدالة على فصاحته صلى الله تعالى عليه وسلم كما مر وهو مما تتمدح به العرب كما يأتى واما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أبغضكم الى الله المتشدقون فمعناه من يتكلف كثرة الكلام بلا احتياط فيه فسقط ما قيل انه من صفة الفم ولا مدخل له فى الجوانب (ويتكلم بجوامع الكلم) وهى الكلمات الموجزة المشتملة على الحكم النافعة السائرة مسير الامثال جمع جامعة وتطلق على القرآن (فصلا) بفتح الفاء وسكون الصاد المهملة أى كلاما فاصلا للخصومة وفارقا بين الحق والباطل (لافضول فيه) أى لا زيادة فيه على اداء المراد وهو اسم مفرد وقيل انه جمع فضل خص بما ذكر ونقل لمعنى آخر ولذا نسب اليه فقيل فضولى كما فى المغرب (ولا تقصير) فيما يريده بتقليل مخل بالفهم (دمثا) بفتح الدال المهملة وكسر الميم وبالثاء المثلثة من الدماثة وهى سهولة الخلق مستعار من الارض الدمثة وهى ذات الرمل المتلبد أى لين الخلق لطيف المعاملة (ليس بالجافى) أى ليس غليظ الطبع وهو أصل معنى الجفاء أو لم يكن يجفو أصحابه (ولا المهين) روى بضم الميم وفتحها فالاول من الاهانة والميم زائدة أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم يهين أحدا من الناس والثانى من المهانة وهى الحقارة والميم أصلية أى لم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم حقيرا ممتذللا لاحد من الناس لشرف نفسه وعزتها وهذا وصف لذاته صلى الله تعالى عليه وسلم ويحتمل ان يكون وصفا لمنطقه (يعظم النعمة وان دقت) أى يعد كل ما أنعم الله به عليه عظيما وان لم يكن كذلك ومعنى دقت صغرت وقلت (لا يذم شيأ) أى شيأ يستحق الذم (لم يكن يذم ذواقا) بفتح الذال المعجمة وفتح الواو المخففة وألف وقاف فعال مصدر صار بمعنى ما يذاق من مأكول ومشروب فما قدم له صلى الله تعالى عليه وسلم من طعامه ونحوه ان أعجبه أكل منه والا كف يده ولا يقول فيه شيأ فلا يذمه (ولا يمدحه ولا يقام لغضبه) من قام اذا ثبت أى لا يثبت له أحد أو من قام بمعنى دام أى لا يدوم أحد على تحمل غضبه ويقام بضم المثناة التحتية مبنى للمجهول وفيه دلالة على انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يغضب لله أحيانا وقد ورد ما يدل على ذلك (اذا تعرض للحق بشئ) بضم التاء الفوقية والعين وكسر الراء المهملة المشددة والضاد المعجمة أى اذا اعترض أحد للحق بما يبطله أو يقتضى خلافه وبشئ بالباء الجارة واللام وعامله اما يقام أو تعرض (حتى ينتصر له) أى للحق فيؤيده ويبطل خلافه (ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها) أى اذا أذاه أحد من الاعراب وغيرهم بما يتعلق بنفسه كالاعرابى الذى أمسكه صلى الله تعالى عليه وسلم بردائه ولببه والذى قال ان هذه قسمة غير عادلة

(اذا أشار) أى وقت خطابه فيما بين أصحابه (أشار بكفه) كلها قصدا للافهام ودفعا للابهام واستثنى منه حال ذكر التوحيد والتشهد حيث كان يشير بالمسبحة الى تحقيق المراد (واذا تعجب) أى من شئ عظيم وقعه عنده (قلبها) بتشديد اللام وتخفيفها أى قلب كفه الى السماء للايماء الى انه فعل الرب وانه ينقلب عن قرب حال مابه العجب (واذا تحدث) أى تكلم (اتصل) أى كلامه (بها) أى مقرونا بكفه واشارته اليها تأكيدا بسببها وتصحف الدلجى حيث وضع الفاء موضع التاء ثم قال أى قصد من قولهم فصل علينا أى خرج من طريق أو ظهر من حجاب قاصدا بها (فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى) ويروى براحته اليمنى باطن ابهامه ولعل اختلاف الرواية بناء على تعدد الحالة فى الرؤية هذا بيان كيفية اتصال كلامه بها وهذا عادة من تحدث بامر مهم وفعل لم تأكيدا بالجمع بين تحريك اللسان وبعض الاركان على ان له وقعا فى الخطب والشان وتوجها من جانب الجنان فكانه بكليته متوجه الى حصول قضيته (واذا غضب) أى ظهر أثر غضبه على أحد (أعرض) أى عنه ليبعد منه ويسهل أمره (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة فى آخره أى مال وانقبض ذكره الانطاكى تبعا للمصنف والاظهران يقال فى اعراضه بصفح عنقه عنه ممتثلا لقوله سبحانه وتعالى فاعف عنهم واصفح (واذا فرح) أى حصل له سرور (غض طرفه) بفتح فسكون أى غمض عينيه أو خفض بصره واطرق راسه تواضعا لربه وتباعدا عن حصول شرهه واشره

ونحو ذلك كلام بعض المنافقين كابى بن سلول رأس المنافقين وما كان يصدر منه (اذا أشار أشار بكفه كلها) أى اذا أشار لشئ خارج الصلاة أشار برفع يده واما فى الصلاة اذا أشار للتوحيد أشار باصبعه السبابة والمسبحة ليفرق بين الاشارتين وله صلى الله تعالى عليه وسلم اشارات أخر نبه عليها بقوله (واذا تعجب قلبها) أى قلب كفه وجعل باطنها نحو السماء وظاهرها للارض وتأنيث الكف لانها مؤنث سماعى وهو اشارة لانقلاب الحال عما يعتاد من غير اظهار للتعجب واستغراب لامر وهذا مما يدل على سكونه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم خفته وهو أمر ممدوح (واذا تحدث أفصل بها) فى شرح الدلجى بهمزة وفاء وصاد مهملة ولام والضمير للكف أى وجه كفه من فصل علينا اذا خرج من طريق أو ظهر من حجاب قاصدا بها أى بكفه ولم يبينه غيره ووقع فى بعض النسخ تصل بها أى بمثناة فوقية بدل الفاء وفى حاشية التلمسانى للحديث يتصل بها أى لا يزال يحركها وذلك أثبت لانه قول وفعل انتهى وهذا يدل على ان اتصل بها رواية ففى العبارة ثلاثة وجوه افصل واتصل ويتصل والمعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم فصل حديثه باشارته بيده لجهة من يخاطبه كعادة من يهتم بكلامه فى أمر مهم * أقول هذا كلام مع غموضه غير محرر مع ما فيه اما ذكره الدلجى من انه افصل بهمزة وفاء فتحريف لانه لم يسمع فى هذه المادة مزيد بزنة أكرم فالصواب فصل أو اتصل ومعناه انه صلى الله عليه وسلم فصل كلامه باشارته أو وصل احدى يديه بالاخرى ثم رأيته فى كتاب النعمة فى الصلاة والسلام على شفيع الامة ذكر هذا الحديث وانه اتصل افتعال من الوصل وهو الصحيح وذكر انه صلى الله عليه وسلم كانت له اشارات مختلفة فيشير بالمسبحة للتوحيد ويجمع كفه لغيره فرقا بينهما وانه كان اذا احدث وصل حديثه بالاشارة بيده توكيدا له والظاهر ان الفاء الآتية فى قوله (فضرب) تفصيلية كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى آخره ولم يبينوا معناه والظاهر ان المعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يشير بجميع كفه اذا كان مع أصحابه على وجه متعارف كالاشارة للذهاب والجلوس ونحوه فاذا تحدث وضع ابهامه على راحته وقت حديثه لتثبيت حديثه أو انتهائه فاعرفه وقوله (بابهامه اليمنى راحته اليسرى) كذا فى أكثر الروايات وفى بعضها فضرب براحته اليمنى باطن ابهامه اليسرى والابهام معروف يذكر ويؤنث وجمعه أباهيم وأباهم بلا واو هذا عادتهم اذ تحدثوا (واذا غضب أعرض) عمن غضب عليه من غير لوم له لشدة حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم (واشاح) بشين معجمة وحاء مهملة بينهما ألف قيل معناه صرف وجهه فهو تأكيد لما قبله وقيل معناه قبض وجهه وزواه من غير لوم وعقاب وهذا من حلمه صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يقال كيف أدرج هذا فى صفات المدح فاجاب بان الغرض بيان صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم للسائل لان المقام يأباه وسيأتى من المصنف تفسيره بما يقارب هذا وقيل ان فى النهاية ان المشيح الحذر أو الجاد فى الامر أو المقبل عليك المانع لما وراء ظهره وفى حديث سطيح اقبل على جمل مشيح أى جاد مسرع فيجوز ان يريد احد هذه المعانى أى حذر من موجب غضبه أو حذر فى الامر ليشعر باعراضه عن موجب غضبه أو أقبل عليه ليمنع من وراءه من ضرر المغضوب عليه ولا يخفى انه تكلف مخالف لما اختاره المصنف مما هو أظهر هنا (واذا فرح) لرؤية ما يسره أو سماعه (غض طرفه)

(جل ضحكه التبسم) أى معظم أنواع ضحكه التبسم وهو ما لا صوت فيه مطلقا وقد روى ان يحيى اذا لقى عيسى عليهما السلام يلقاه عيسى متبسما ويلقاه حزينا يشبه باكيا فقال يحيى لعيسى أراك تتبسم كأنك أمن وقال عيسى ليحيى أراك تحزن وتبكى كأنك آيس فاوحى الله اليهما أحبكما الى أكثركما تبسما ولعل يحيى كان غلب عليه القبض والخوف لكونه مظهر الجلال وعيسى غلب عليه البسط والرجاء لانه مظهر الجمال والكمال وهو كون الجلال ممزوجا بغلبة الجمال لقوله الانسى فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى وفى رواية غلبت (و يفتر) بتشديد راء أى يبدى أسنانه ضاحكا (عن مثل حب الغمام) أى البرد النازل من السحاب حال البرد (قال الحسن) أى ابن على (فكتمتها) أى اخفيت هذه الحلية أو هذه الرواية (عن الحسين بن على زمانا) أى اختبارا وامتحانا (ثم حدثته) أى أى أخبرته بهذا الحديث أى ليتبين اطلاعه عليه (فوجدته قد سبقنى اليه) أى مع زيادة فضيلة وجدت لديه كما بينه بقوله (فسال اباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه) بفتح العين فيهما (ومجلسه) بكسر اللام أى عن كيفية دخوله وخروجه وجلوسه أو عن أحوال مجلسه وهو مكان جلوسه وهو بكسر اللام سواء كان مصدرا أو مكانا وقال الحلبى هو بفتح اللام أى هيئة جلوسه وهو خطأ فاحش لان الجلسة بكسر الجيم هو الموضوع للنوع والهيئة (وشكله) بفتح أوله وجوز كسره وهو يحتمل صورته وسيرته لكن الثانى هو المراد هنا التقدم ما تعلق بالاول ولقوله فيما سياتى فسالته عن سيرته (فلم يدع منه شيا) أى فلم يترك عاما الحسن شيأ من متعلقات جميع ما ذكر الا وقد ساله وحققه وهذا من كمال انصاف الحسن وجمال خلقه المستحسن ثم هذا بطريق الاجمال واما بطريق التفصيل فكما بينه (قال الحسين سالت أبى) أى عليا كرم الله وجهه (عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى زمان دخوله وكيفية وصوله وهذا من قبيل رواية الاكابر عن الاصاغر أو من رواية الاقران فان ما بينهما تفاوت قليل من الزمان (فقال) أى على (كان دخوله) أى فى بيته (لنفسه) أى لحقه خاصة ولاهل بيته عامة حال كونه (ماذونا له) أى من عند ربه (فى ذلك) أى فله الاجر الجزيل والثناء الجميل لما هنالك وقيل كان ماذونا له ان يدخل حيث شاء من بيوته لانه سبحانه وتعالى لم يوجب قسما عليه فى زوجاته وقيل معناه انه لا يدخل بغير استئذان

أى أرخاه وأطرق تباعدا من الاشر والمرح (جل ضحكه التبسم) أى أكثره وقد تقدم بيانه وقد يضحك صلى الله تعالى عليه وسلم احيانا حتى تبدو نواجذه والتبسم مبادى الضحك (ويفتر) بفتح الياء وسكون الفاء وفتح التاء الفوقية وتشديد الراء المهملة من قولهم افتر ضاحكا اذا ابدى أسنانه قال

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد * وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

وهو من فررت الدابة اذا كشفت فمها لتعرف سنها من سنها وذلك هو الفرار بالضم (عن مثل حب الغمام) متعلق بيفتر والغمام السحاب واحده غمامة كسحابة وحبه هو البرد المعروف لا قطر المطر كما توهم فانه مع عدم مناسبته لا يسمى حبا لان الحب الجامد دون السائل وتشبيه أسنانه صلى الله تعالى عليه وسلم به لصفائه ولمعانه ورطوبته دون جريه حتى يقال انه انوع منه وهو مشهور فى كلامهم كما مر (قال الحسن) بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما (فكتمتها) أى أخفيت صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التى سمعتها من ابن أبى هالة (الحسين) مفعول ثان لكتم وفى نسخة عن الحسين بن على (زمانا) مدة من الزمان (ثم حدثته) بما سمعته من صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فوجدته قد سبقنى اليه) أى الى الحديث المعلوم من قوله حدثته أى حفظه قبلى الا انه رواه عن أبيه على رضى الله تعالى عنهما (فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومخرجه ومجلسه) وفى نسخة وملبسه بدل مجلسه فان كانت الثلاثة مصادر ميمية فظاهره الا بان كان اسم زمان أو مكان فالمراد سألته عن حاله فى مخرجه ومدخله والمراد خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم للناس ودخول بيته وجلوسه عندهم كما سيأتى وقيل المراد بمجلسه بكسر اللام هيئة جلوسه وان ما ذكر استقراء لجميع أحواله يعنى الحسن انه سمع هذه الصفات من ابن أبى هالة خاله ولم يخبر أخاه بما سمعه منه والحسين لم يسمعها من خاله فلما حدثه بها وجد عنده علما منها من طريق وهى روايته لها عن أمير المؤمنين أبيه مع زيادة وانما كتم ذلك عنه مع النهى عن كتمان العلم عن أهله لانه لم يساله ولم ينحصر علمه فيها ولو كان كذلك دخل فى حديث من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار أو انه كتم عنه كلام أبى هالة الوصاف البليغ دون معناه لعلم أهل البيت بذلك فان الثبت والحديث لهم (وشكله) بفتح أوله أى هيئته فى ذلك الحال وبكسره بمعنى الهدى والسمت قاله التلمسانى (فلم يدع من ذلك شيأ) أى لم يترك شيأ من أحواله الا بينه لى (قال الحسين سالت أبى رضى الله تعالى عنه عن دخول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه) أى دخوله منزله ليجتمع باهله لمصالحه وقضاء ما ربه وقيلولته (ماذونا له فى ذلك) من الله اذنا

(فكان اذا أوى) بالقصر هو الاولى ومنه الماوى أى وصل الى منزله واستقر فى محله (جزأ) بتشديد الزاى فهمز أى قسم (دخوله) أى
زمنه (ثلاثة اجزاء) أى أقسام (جزأ لله تعالى) بالنصب يعبده فى النوافل كالاشراق والضحى ونحوهما من الامور الكوامل (وجزأ
لاهله) أى يدبر أمرهم وحالهم ويصلح شانهم وما أهمهم فيه الهم (وجزأ لنفسه) أى لاستراحتها كالقيلولة ونحوها ولورود وفود وضرورة
قضية الحاجات بعض الناس الى الدخول عليه والمشورة بين يديه وعرض أحوال الجهاد وأعمال العباد وامثال ذلك عليه وهذا معنى
قوله (ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس) أى من خواص أصحابه وزمرة أحبابه (فيرد) أى فى بعض زمن نفسه ذلك أى نفسه لما هنالك (على
العامة) أى الذين لم يقدروا عليه فى تلك الحالة (بالخاصة) أى بواسطتهم وحصول رابطتهم وقد قال ابن الاثير أراد ان
العامة كانت لا تصل اليه
فى هذا الوقت فكانت
الخاصة تخبرهم بما سمعوا
منه فكانه أوصل الفوائد
الى الخاصة بالعامة وقيل
ان الباء بمعنى عن أى
يجعل وقت العامة بعد
الخاصة فيكونون بدلا
منهم (ولا يدخر) أى لا يخفى
من العلم أو المال (عنهم
شيأ) أى مما ينفعهم
وأصل يدخر بالدال
المهملة المشددة يذتخر
بالمعجمة قلبت التاء
دالا مهملة لاتحادهما
مخرجا فصار يذدخر
بمعجمة فمهملة ثم ادغم
بالمهملة بعد قلب المعجمة
بها وهذا نطق الاكثر
ومنه قوله تعالى وادكر
(فكان) كذا فى النسخ
وكان الظاهر بالواو (عن
سيرته) أى من حسن
طريقته (فى جزء الامة)
أى أمة الاجابة لشريعته
(ايثار أهل الفضل)
أى اختيارهم لاعتبارهم
(باذنه) أى بامره اكراما لهم ونفعا لمن تبعهم أو بامر أهل الفضل ومنه حديث الشراب فى الغلام وهو ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
مع الاشياخ أبى بكر وعمر فاستاذن فاذنوا له (وقسمه) بفتح القاف أى قسمته كما فى نسخة صحيحة وهو مصدر مضاف اما الى الفاعل
أو المفعول أى قسمة الجزء أو قسمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اياه (على قدر فضلهم) أى الافضل فالافضل (فى الدين) أى
بالعلم والعمل المتعلق به المسمى بالتقوى لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم لا بمجرد النسب ومقتضى الحسب أو كثرة الذهب
ثم هم مع تفاوتهم فى مراتب الفضيلة متفاوتون فى مقدار استحقاقهم بحسب الحاجة كما أشير اليه قوله

عاما بحيث يدخل أى بيت من بيوته فى أى وقت من غير استئذان من زوجاته رضى الله تعالى عنهن لانه
صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يجب عليه القسم وقيل المراد دخوله بيوت أصحابه رضى الله تعالى عنهم
وهو بعيد لقوله (فكان اذا أوى) الاصح قصره ويجوز مده (الى منزله جزأ دخوله) أى قسم زمن
دخوله لبيته (ثلاثة اجزاء جزأ لله) أى لعبادته والتفكر فى ملكوته (وجزأ لاهله) يدبر فيه أمورهم
ويصلحها ويتلطف بهم (وجزأ لنفسه) من مأكل ومشرب وراحة وغيرها مما يليق به لقوله (ثم جزأ جزءه
بينه وبين الناس) أى قسم الزمن الذى جعله لنفسه فجعل قسما منه مخصوصا بذاته واحواله فى نفسه
وجزأ آخر للناس وسائر الامة وهو فى منزله ولا يلاقيه فيه الا أهله أو خواص أصحابه الذين يؤذن لهم فى
الدخول عليه وغيرهم لا يصل اليه ثمة فلذا قال (فيرد ذلك على العامة بالخاصة) يرد بمعنى يوصل ويعطى
كانه لما كان لهم حق فى الجملة أخذه منهم ثم رده اليهم وقيل معناه يستعين لانه ورد انه صلى الله عليه وسلم
كان يستعين بالخاصة على العامة وهو بيان لمحصل المعنى وذلك اشارة لما فهم من السياق وهو جزء
الناس والعامة من عدا الخاصة التى عرفتها فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعته صلى الله تعالى عليه
وسلم اذ لم يكن مما ينبغى كتمه عنهم والباء فى بالخاصة للسببية وكونها للبدل كقوله
* فكيف لى بهم قوما اذا ركبوا * بعيد لانه ليس المراد انه يجعل وقت العامة بعد الخاصة وبدلا منه
وعلى على ظاهرها وقيل بمعنى الى وروى بدل يرد يذل بالمعجمة والمهملة مع ضم الياء المثناة التحتية
وفتحها فيهما (ولا يدخر عنهم شيأ) أى عن المذكورين من العامة والخاصة وقيل عن الداخلين عليه
صلى الله تعالى عليه وسلم والمال واحد ويدخر بدال مهملة مشددة وأصله يذتخر بذال معجمة وتاء
افتعال من الذخر قلبت تاؤه دالا وفعل به ما علم من كتب الصرف وكذا أمثاله من ادكر ويجوز
يذخر بذال معجمة مشددة وخاء (فكان من سيرته فى جزء الامة) وهو الجزء الذى جعله للناس وافرزه
مما كان لنفسه أى كان دأبه صلى الله عليه وسلم وعادته فى هذا الجزء (ايثار أهل الفضل باذنه) الايثار
تقديم ما يؤثره على غيره والمراد باذنه انه يأذن لهم فى الدخول فى خلوته فى بيته كما مر وما قيل من ان المراد
باهل الفضل أغنياء الصحابة رضى الله تعالى عنهم والفضل زيادة مالهم على حاجتهم والمعنى انه صلى الله
تعالى عليه وسلم يأذن لهم أن يؤثروا بصدقاتهم أقرباءهم كما وقع لابى طلحة رضى الله تعالى عنه فى
بشرحاء تكلف أوقعه فيه قوله (وقسمه على قدر فضلهم فى الدين) فتوهم ان المراد تقسيم المال والعطاء
وليس كذلك وانما معناه قسمة جزئه فى حديثه معهم واشتغاله باحوالهم وقوله فى الدين لان أكرمهم
عند الله أتقاهم فتفاوتهم عنده بذلك لا بالنسب والمال وفى بعض النسخ وقسمه بدون تاء ثم بين سبب

(منهم ذوالحاجة ومنهم ذوالحاجتين ومنهم ذوالحوائج) أى ثلاثافا كثر وهو جمع حاجة من غير قياس وقيل جمع حائجة (فيتشاغل بهم) أى على حسب منافعهم (ويشغلهم) بفتح الياء والغين لابضم أوله وكسر ثالثه فانه لغة رديئة (فيما أصلحهم) أى ذلك الوقت وفى نسخة يصلحهم ولعله من قبيل حكاية الحال الماضية (والامة) بالنصب عطفا على الضمير فالتقدير ويصلح عامة الامة (من مسئلته) وروى من مسئلتهم (عنهم) أى من أجل سؤاله عن أحوالهم وتفقده لاعمالهم وجعل الدلجى من بيانالما وهو غير صحيح فى المعنى لانه لوأريد هذا المعنى لقال من مسألتهم عنه كما لايخفى (واخبارهم) أى ومن أجل اخباره اياهم (بالذى ينبغى لهم) أى يصلح لهم خاصة أوللعامة كافة (ويقول) أى فى جميع المراتب (ليبلغ بالتشديد) والتخفيف (الشاهد) أى ليوصل الحاضر (منكم الغائب) أى الموجود أومن سيوجد فى عالم الوجود ماسمعه منى ولو بالمعنى خلافا لبعضهم من الصحابة كالصديق ومن التابعين كابن سيرين وأبى حنيفة وبعض علماء الامة وقيل المراد بالشاهد الصحابى الاكبر والغائب الاصغر أو الشاهد الصحابى والغائب التابعى أوالشاهد العالم والغائب الجاهل ومنه قول القائل شعر

أخو العلم حى خالد بعد موته
وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يعد من الاحياء وهو عديم

أوالشاهد الحضرى والغالب البدوى أوالشاهد السامع والغائب من لم يسمع أوالشاهد الذكور والغائب الاناث أوالشاهد المسلم والغائب الكافر و روى الشاهد (وقال) الغائب بدون منكم (وأبلغونى) أى أوصلوا الى (حاجة من لايستطيع ابلاغى) حاجته وروى ابلاغ حاجته (فانه) أى الشان (من أبلغ سلطانا) أى نبيا أوخليفة أوقاضيا أوحاكما أوأميرا أو وزيرا ولو سلطانا جائرا (حاجة من لايستطيع ابلاغها) أى بنفسه الا بكلفة ومشقة (ثبت الله قدميه) أى على الصراط أو فى الموقف (يوم القيامة) لما قام بحق الاخوة وثبت فى مقام الرحمة والشفقة (لايذكر عنده) بصيغة المجهول (الاذلك) أى الذى ينشأ عنه نفعهم ويترتب عليه رفعهم (ولايقبل) أى هو (من أحد غيره) أى غير مافيه منفعة هنالك ولايبعد ان يقرأ ولايقبل بصيغة المفعول فتامل

تفاوتهم بقوله (منهم ذوالحاجة) الواحدة (ومنهم ذوالحاجتين ومنهم ذوالحوائج) الثلاثة فاكثر (فيتشاغل بهم) أى بقضاء حوائجهم وارشادهم لما يصلح معاشهم ومعادهم (ويشغلهم) بفتح الياء المثناة التحتية مضارع شغل واما أشغل فلغة رديئة كامر أى يجعلهم صلى الله عليه وسلم مشغولين بما أمرهم به (فيما أصلحهم) وفى نسخة يصلحهم أى بمافيه صلاحهم (والامة) بالنصب أى وأصلح الامة لتبليغه لهم ما يليق بهم بعد معرفته عليه السلام بحالهم (من مسئلته عنهم) وهو بيان لما أى سؤاله عن أحوالهم وروى مسالتهم أى الخاصة ذوى الفضل (واخبارهم) أى اخبار ذوى الفضل (بالذى ينبغى لهم) أى يليق ويناسب حال المسؤل عنهم من الامة وهو مطاوع بغى بمعنى طلب قال الراغب اذا قيل ينبغى أن يكون كذا فهو على وجهين * احدهما ما يكون مسخر الفعل نحو النار ينبغى ان تحرق * الثانى الاستيهال نحو فلان ينبغى ان يعطى لكرمه قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغى له ويقول صلى الله تعالى عليه وسلم لمن حضر عنده (ليبلغ الشاهد) أمر وهو للوجوب فى الامور الشرعية وهو بتخفيف اللام بقرينة ذكر الابلاغ بعده ويجوز تشديدها والاول أصح هنا والشاهد الحاضر عنده لمقابلته بقوله (الغائب) وهو من لم يكن حاضرا أوموجودا فهو من كبار الصحابة والغائب من صغارهم أوهم الصحابة والتابعون قيل ويحتمل أن يراد العالم والجاهل وأهل الحضر والبادية والسامع ومن لم يسمع والمسلم والكافر وهذه احتمالات عقلية أوهى تاويلات وتعميم لمفهومه فتامل (وابلغونى حاجة من لايستطيع ابلاغى) أى حاجته وروى ابلاغ حاجته وهو تعميم بعد تخصيص للترغيب والحث وبيان لسبب الامر (فانه) أى الامر والشان (من أبلغ سلطانا حاجة من لايستطيع ابلاغها) قيل يريد ان من أبلغ سلطانا حاجة جوزى بهذا الجزاء العظيم فكيف بمن بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والافهو أجل من أن يكون ملكا أوسلطانا وقد قال كما تقدم لست بملك قلت فيه نظر وقد يقال المراد بالسلطان هنا الامام الاعظم خليفة الله وقد أطلق الفقهاء ذلك عليه كما بيناه فى حكمه بالسلطنة والفتيا والقضاء المذكور فى القواعد للسبكى كما سيأتى وهذا الحديث مستقل رواه الاصبهانى وفى بعض ألفاظه اختلاف (ثبت الله قدميه يوم القيامة) على الصراط يوم تزل الاقدام كما ورد مصرحا به فى رواية لابن أبى الدنيا وذلك لانه مشى بقدميه وسعى لحاجة أخيه فهو جزاء من جنس العمل وهو كناية عن نجاته من أهوال الموقف (ولايذكر عنده) أى لايذكر فى مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الاذلك) الاشارة لجميع ماتقدم من ذكره مصالحهم وسؤاله عن الامة والامر بالتبليغ والحث عليه والترغيب فيه (ولايقبل من احد) بالبناء للفاعل والمفعول (غيره) أى لايرضى كلاما غير ما يكون من هذا القبيل

(وقال) أى على (فى حديث سفيان بن وكيع) أى برواية خاصة (يدخلون روادا) بضم فتشديد أى حال كونهم طالبين منه العلم وملتمسين منه الحكم وروى بكسر أوله مخففا على انه مصدر أى يتحينون وقت الوصول اليه وروى لواذا باللام والذال المعجمة أى ملتجئين اليه ومتحصنين ممتنعين به أو متقربين لما عنده (ولا يتفرقون) أى لا يفترقون بعد دخولهم (الا عن ذواق) بفتح أوله أى عن علم وحكم وحلم يكتسبونها منه أو عن مذوق من مأكول أو مشروب يحضر عنده واقتصر أهل الذوق على الاول فتأمل وان كان الجمع ان تصور أو تيسر فهو الاكمل بالنسبة الى الكمل (ويخرجون أدلة) جمع دليل أى هداة ١٨١ (يعنى فقهاء) أى علماء بالكتاب

والسنة قال التلمسانى هذا القول لابن شاذان على ما نقله بعض الشيوخ وروى بذال معجمة أى متواضعين أو منقادين (قلت) القائل هو الحسين بالتصغير لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) كيف كان يصنع فيه لاتبع فى جميع أفعاله من دخوله وخروجه وسائر أحواله (قال) أى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يخزن لسانه) بضم زاى أى يجعله مخزونا ومحبوسا وممنوعا (الا فيما يعنيهم) بكسر النون أى يهمهم وينفعهم وفى نسخة من الاعانة أى يساعدهم ويقوى دينهم من جواهر لفظه وزواجر وعظه ومنه شعر

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شئ سواه بخازن

(ويؤلفهم) بتشديد اللام أى يوقع الالفة بينهم من سحائب كرمه وسوابق نعمه فيجمعهم (ولا يفرقهم) بتشديد الراء أى لا يتكلم بما ينفرهم لانه برحمة من الله لان لهم (يكرم) من الاكرام أو يعظم (كريم كل قوم) أى رئيسهم وشيخهم ويقول أيضا اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه كما رواه ابن ماجه وغيره (ويوليه) بتشديد اللام أى يجعله واليا (عليهم) أى تألفا به وبهم (ويحذر الناس) أى لقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ثم عطف بالتفسير قوله (ويحترس منهم) أى يتحفظ عنهم ففى الحديث الحزم سوء الظن وفى لفظ احترسوا من الناس بسوء الظن والمعنى لا تثقوا بكل أحد منكم فانه أسلم لكم فهو لا ينافى قوله تعالى ان بعض الظن اثم أو فيحذر من الغائب ويحترس من الحاضر والمراد من الناس جنسهم كالاعرابى لا جميعهم فى هذا الباب

(وقال) أى على رضى الله تعالى عنه فى رواية (فى حديث سفيان بن وكيع) بن الجراح أبو محمد الكوفى وهو امام حافظ روى عنه الترمذى والدارقطنى وغيرهما توفى سنة سبع وأربعين ومائتين ووالده امام جليل حافظ رحمه الله تعالى (يدخلون) أى أصحابه رضى الله تعالى عنهم (روادا) بضم الراء المهملة وتشديد الواو وألف ودال مهملة جمع رائد وأصله من يتقدم القوم المسافرين ليختار لهم منزلا فيه الماء والكلأ فاستعير هنا للطالبين المحتاجين لحاجتهم ومايرشدهم وقيل يتحينون وقت الوصول اليه وقال التلمسانى ان رواد بكسر الراء وتخفيف الواو مصدر رود يرود ويروى لواذا بلام وذال معجمة أى ملتجئين لائذين به (ولا يتفرقون) من مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم (الا عن ذواق) بفتح الذال المعجمة والواو المخففة وألف وقاف فعال من الذوق بمعنى المذوق وهو المأكول فاستعير للعلم الذى يتعلمونه ويحتمل ان يريد حقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان عادته ان يطعم شيأ لمن يدخل بيته وعلى هذا جرت عادة السلف الصالحين وحقيقة الذوق كما قاله الراغب وجود الطعم بالفم وأصله فيما يقل تناوله وفيه تفصيل ذكرناه فى كتابنا طراز المجالس أى لا يتفرقون الا عن علم وأدب هو غذاء لارواحهم وسبب ابقائهم (ويخرجون) من عنده صلى الله تعالى عليه وسلم (ادلة يعنى فقهاء) عالمين بامور الدين أى هداة مرشدين للناس ويهتدى بهم غيرهم فادلة جمع دليل بمعنى هادى أو بمعناه المشهور كما يقال فلان حجة الاسلام والصحابة رضى الله تعالى عنهم كلهم مجتهدون خلافا لبعض الحنفية كما فى تحرير ابن الهمام (قلت) قائله الحسين لابيه رضى الله تعالى عنهما (فاخبرنى عن مخرجه) أى عن حاله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد خروجه من منزله (كيف كان يصنع فيه) بعد خروجه من منزله (قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) من وضع الظاهر موضع الضمير للاهتمام والتلذذ والتبرك بذكره (يخزن لسانه) بالخاء وضم الزاى المعجمتين والنون أى يصونه ومنه الخزانة لانه لا يحب كثرة الكلام قال

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه * فليس على شئ سواه بخزان

ولما فيه من المنع عداه بمن فقال (الا فيما يعنيهم) وفى نسخة الا فيما يعنى بفتح المثناة التحتية أى يهمهم وينفعهم من جواهر كلمه وزواجر حكمه (ويؤلفهم ولا يفرقهم) أى يجعلهم مؤتلفين به غير متفرقين عنه لمداراتهم ولطفه بهم كما قال الله تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أو يجعل الله بينهم الفة لحثهم على التحاب والمواخاة بينهم (يكرم كريم كل قوم) كما قال اكرموا عزيز كل قوم لمعرفته صلى الله عليه وسلم بمقادير الناس (ويوليه عليهم) أى يجعله حاكما عليهم فلا يولى أحدا من أصحابه غيرهم ولا غيرهم عليهم ولا يولى صغارهم عليهم رعاية لاهلية ذوى الولايات وتجنبا الاعلاء الاسافل ترغيبا فى الاسلام (ويحذر الناس ويحترس منهم) لان من الحزم سوء الظن وعدم الوثوق بكل

(من غيران يطوى) بكسر الواو أى يمنع (عن أحـد) وفى نسخة على أحـد (بشره) بكسر الموحدة أى بشاشـة بشرة وجهه وطلاقته (وخلقه) أى حسن عشرته وطراوته وهذا فى حق من حضر منهم فى خدمته اذا وجـدوا (ويتفقد أصحابه) أى يتعرف أحوالهم اذا غابوا وفقدوا (ويسأل الناس عمـا فى النـاس) أى عما يوجب التفقد والتفحص للاستئناس (ويحسن الحسن) بتشـديد السـين وتخفف أى يبين حسن ما يكون حسنا ويجعله مستحسنا (ويصوبه) بتشديد الواو أى يحكم بكونه صوابا ترغيبا فيه وتحريضا عليه وروى ويقويه (ويقبح القبيح ويوهنه) بتشديد الياء والهاء مشددة أو مخففة بعدها نون أو ياء أى يظهـر قبحه وضعفه تنفيرا عنه وتحذيرا منه (معتدل الامر) أى كان أمره وشانه كله فى غاية مـن الاعتـدال ونهاية من كمال الجمـال مما للقلب فيه راحـة وللعـين قرة (غير مختلف) حال مؤكدة أى غير مفرط ولا مفرط أو غـير متناقض ولا متعارض (لا يغـفل) بضم الفاء أى لا يظهـر الغـفلة بالمـرة لارباب الصحبة (مخافـة ان يغفلوا أو يملوا) بفتح ميم وتشديد لام أى يساموا واو للتنويـع (لكل حال) أى مـن أحـوال الدنيا والعقبى (عنـده عتاد) بفتح مهـملة ومثناة فوقية أى عدة زاد ومعد معاد (لا يقصر عن الحـق) أى لا يفرط فى اقامتـه (ولا يجاوزه الى غيره) أى ولا يتعـدى عـن غاية مرتبتـه (الذين يلونه) أى يقربونه (من النـاس خيارهم) مبتدأ وخبر (وأفضلهم عنده أعمهم

أساه

نصيحة) أى لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم كافة وقد ورد خير الناس أنفعهم للناس والنصيحة الخلوص لغـة وهى كلمة جامعة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح بها خالصة (وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة) أى مشاركة فى الرزق والمعيشـة قلبت همزتها واوا بدليل حديث ما احد عندى أعظم يدا من أبى بكر آسانى بنفسـه وماله وآساه بالهمز اعلى من اساه وقيل لا تكون المواساة الامن كفاف

أحـد وقال عمر رضى الله تعالى عنه احتجزوا بسوء الظن وهو من بديع حكمه وليس المراد بالنـاس جميعهم بل عوامهم بخلاف خواصهم والاحتراز والاحتراس والحذر متقاربة وقيل الاحتراس التحفظ والاحتراز التعوذ والحذر الخوف (من غيران يطوى) أى يخفى ويمنع استعارة من طى الثياب (عن أحد بشره) أى طلاقة وجهه وانبساطه معه تانيساله وتاليفا لقلبه واذهابا لخوف مهابته (وخلقه) أى حسن خلقه ولم يذكر الحسن اشارة الى انه مجبول على الحسن فيه (ويتفقد أصحابه) أى يسال عمن لم يحضر عنده وفقد من مجلسه وقد يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم لمنزله اذا طالت غيبته وتطلبه (ويسأل الناس عمـا فى الناس) من أحوالهم وأمورهم ليعلم أمرهم فيتدارك ما ينبغى تداركه وينصح من يلزم نصحه وليس هذا من التجسس أو الغيبة المنهى عنه بل من سؤال الطبيب ليشفى المريض فاذا أخـبروه بحال حسن حمـد الله على ذلك (يحسن الحسن ويصوبه) أى يبين حسـنه وكونه صوابا ويمدح فاعله ترغيبا له فيه (ويقبح القبيح ويوهنه) بضم أولهما وتشـديد ثانيهما والنون أو الياء التحتية من الوهى بمعنى الوهن وهو الضعف أى يقول هو فعـل قبيح وضـعيف ساقط تنفيرا وتحـذيرا ونصحا نافعا والمراد الحسن والقبيح عادة أو شرعا وفيه صنعة الطباق (معتدل الامر) أى أموره صلى الله تعالى عليه وسلم كلها معتدلة فلا يبالغ فى تحسين وتقبيح غيره (غير مختلف) أى على سنن واحد فى جميع أوقاته (لا يغفل) عن شئ من أحوال الناس (مخافة ان يغفلوا) عما يصلحهم وهو بضم الفاء فيهما (أو يملوا) أى يحصـل لهـم فتور وكسل عن صالح أمرهم اذا لم ينبههم عليه ولو ارجع هذا القوله معتدل الامر لم يبعد ويجمع هذا قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحـكمة والموعظة الحسنة (لكل حال) من أحوال الناس (عنـده عتاد) بعـين مهملة مفتوحة ومثناة فوقية ودال مهملة وهو كالعتيد العـدة والحاضر المعد لاصلاحـه وتداركه اذا وقع فهو متخلق بقوله رقيب عتيد وقيل أصـل العتاد عداد لانه من العـدة فابدلت داله تاء هربا من التـكرار (ولا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره) فاذا رآه عمله واذا رآى منـكرا أزاله من غير تاخـير (الذين يلونه من الناس) أى يقربون منه فى مجلسه ونحوه (خيارهم) أى أفضلهم وأشرفهم (وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة) أعم هنا بمعنى أكثر نصيحة أو أكثر منصوحا بان ينصح فى كل أمر كل أحد بارشاده لما هو خير له ولذا قال عليه السـلام الدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين فنصيحة الله اخلاصه فى اعتقاده له بما يليق به من توحيده وعبادته بخالص الوجه والكتابه فهم معانيه والعمل بما فيه والنصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم الايمان به واجتناب نواهيه وامتثال أوامره ولائمة المسلمين طاعتهم وعدم الخروج عليهم ونصيحته العامة ارشادهـم لمصالحهم والنصح ارادة الخـير لمن ينصحه باخلاص وهى كلمة جامعة يقال نصحته ونصحت له (وأعظمهم عنده منزلة) أى رتبة وشرفا (أحسـنهم مواساة) لكل أحد لان حـذف المتعلق يفيـد العموم والمواساة اعطاء من يريد ما يريد وبذله له يقـال

(وموازرة) أى معاونة من الوزر بمعنى الملجا أو بمعنى الحمل وروى بالهمز مكانه من الازر بمعنى الظهر لان منه قوة البدن فوازره بمعنى قواه ووقع فى أصل الدلجى تقديم موازرة وهو مخالف للاصول المعتبرة (ثم قال) أى الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما (فسألته) أى أبى (عن مجلسه) أى جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم أو مكانه وكيفية حاله ومراتب شانه ولذا أبدل منه بقوله (ما كان يصنع فيه) أى فى جلوسه أو مجلسه وقد أغرب الدلجى حيث قال هنا أيضا ما سبق له من انه بفتح اللام كما تقدم قريبا والظاهر أنه يجوز بكسر اللام وقد تقدم ان فتحها خطأ مبنى ومعنى (فقال) أى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يجلس) أى بعد قيامه من نوم وغيره (ولا يقوم) أى بعد جلوسه (الا على ذكر) أى من افادة علم وذكر أو بيان حمد وشكر عملا بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (ولا يوطن الاماكن) من الايطان أو التوطين أى لا يجعل لنفسه مجلسا معينا يعرف به بحيث لا يجلس فى غيره (وينهى) أى غيره أيضا (عن ايطانها) أى اتخاذها معينة وقيل مصلى لصلاته المبينة لصلاته المبينة فروى الحاكم وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى ان يوطن الرجل المكان يصلى فيه وفى رواية نهى عن ان يوطن الرجل فى المكان بالمسجد كما يوطن البعير والمعنى انه نهى ان يالف الرجل مكانا معلوما من المسجد مخصوصا يصلى فيه كالبعير لا ياوى من العطن الا الى مبرك قد وطنه واتخذه مناخا له ولعله أريد به خصوص من لم يالف من المسجد مكانا يفتى به أو يدرس فيه فان له أن يقيم من سبقه اليه لئلا يتفرق أصحابه عليه ولكن الاولى أن لا يلتزم جلوسه لمكان معين بحيث لا يتقدم ولا يتأخر عنه نظرا الى عموم النهى ورخص للامام بوقوفه فى موضع معين من محراب المساجد للضرورة ولعل نهى غيره مخافة دخول الرياء والسمعة فى الطاعة ثم رأيت النووى صرح به حيث قال وانما ورد النهى عن ايطان موضع من المسجد للخوف من الرياء ونحوه والا فلا باس بملازمة الصلاة فى موضع من البيت لحديث عتبان بن مالك فلم يجلس يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حين دخل البيت ثم قال أين تحب أن أصلى من بيتك فاشرت الى ناحية من البيت الحديث وقال التلمسانى كان مقعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عند العمود المخلق وكان لاصحابه مواضع فيه معروفة الاماكن وقال بعض الشيوخ نهيه عن ذلك لوجوه أحدها خوف الرياء والسمعة والتظاهر بالملازمة والثانى أن يغيب فيقع الناس فيه فيأثمون به والثالث أن يرى أنه استحقه دون غيره قلت والرابع أنه يعتقد عدم جوازه فى غيره كما قيل فى كراهة تعيين سورة فى صلاته وينبغى أن يستثنى ملازمة المواضع المأثورة كما أنه استثنى ما ورد فى قراءته الآثار المسطورة ولا يبعد أن النهى مختص بموضع يتبارك الناس بالصلاة فيه كتحت الميزاب والمقام والمحراب والله أعلم بالصواب

أساه وواساه بواو مبدلة من الهمزة اذا جعله اسوة له (وموازرة) أى اعانة لمن التجأ اليه يقال آزره ووازره اذا أعانه وقواه وساعده من الازر وهو الظهر لان قوة البدن به أو من الوزر وهو الملجأ ومنه الوزير وفى الحديث ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر واسانى بنفسه وماله وهذا يدل على أنه أفضل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قال الحسين رضى الله تعالى عنه (فسألته) يعنى عليا والده رضى الله عنهما (عن مجلسه) أى عن حاله فى مجلسه خارج بيته مع الناس ومعاملته لهم فيه ولذا أردفه بقوله (ما كان يصنع فيه فقال كان لا يقوم) من مجلسه (الا على ذكر) لله يجعل صلى الله تعالى عليه وسلم ختام مجلسه فكان اذا قام منه قال سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت فيجعل ذلك علامة لانصرافه عن العامة والذكر بالذال المعجمة اذا أطلق أريد به ذكر الله تعالى وان كان عاما وقال التلمسانى رحمه الله تعالى وقد تهمل ذاله قليلا فقيل انها لغة وقيل لغة ولا دليل لقائله فى نحو هل من مدكر فانه مغالطة (ولا يوطن) بضم المثناة التحتية وسكون الواو وكسر الطاء مشددة ومخففة وفتحها مشددة كما فى بعض الشروح وفى بعضها أنه بالكسر من أوطنه ووطنه اذا اتخذه وطنا (الاماكن) جمع أمكن أو أمكنة جمع مكان فهو جمع الجمع ففى ميمه خلاف هل هى أصلية أو زائدة (وينهى عن ايطانها) أى اتخاذها وطنا والمراد ملازمة محل بخصوصه فى غير بيته مما ليس بملك كالمسجد وغيره من الاماكن المباحة لان لكل أحد حقا فيه والنهى الوارد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما هو فى حق المسجد بان يتخذ مصلى معينا منه ولذا نص الفقهاء على كراهة ارسال السجادة للجامع وفرشها فيه وفى الحديث نهى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يوطن الرجل المكان بالمسجد قيل وهو عام مخصوص بعالم يتضمن مصلحة كمن ألف مكانا للافتاء والتدريس فله ايطانه واقامة غيره منه اذا كان من لا يعرفه يأتى لاستفتائه فيعرفه فى مكانه وقوله ايطانها يؤيد أن يوطن مخفف ولا يعينه كما قيل لانه يجوز أن يذكر فعل من باب ويذكر له مصدر أو اسم فاعل أو مفعول واسم مكان وغيره من باب آخر نحو وتبتل اليه تبتيلا وقوله

(واذا انتهى الى القوم) أى جالسين أو الى مجالسهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) ولم يتقدم عليهم ولم يتميز عنهم بل كان يجلس حيث اتفق معهم فان شرف المكان بالمكين دون العكس المبين (و يأمر بذلك) تأكيد الامر بالقول بانضمامه الى الفعلى و يقول ان الله يكره عبده أن يراه متميزا عن أصحابه (و يعطى كل جلسائه نصيبه) أى مباشرته ومحادثته (حتى لا يحسب جليسه) أى لا يظن مجالسه (أن أحدا أكرم عليه منه) أى من غاية استجلاب خاطره ونهاية جبر حال ظاهره (من جالسه أو قاومه) أى وافقه فى جلوسه أو قيامه بمعنى جلس معه أو قام معه (لحاجة) أى عارضة لصاحبه (صابره) أى بالغ فى حبس نفسه للصبر معه (حتى يكون هو المنصرف عنه) أى بعد انقضاء حاجته منه (من ساله حاجة لم يرده) بفتح الدال وضمها (الا بها) أى الا بقضائها أو وعد ادائها كما بينه بقوله (أو بميسور) أى بما تيسر له (من القول) وهو يشمل دعاءله بحصولها فاو للتنويع وفيه ايماء الى قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (قد وسع الناس) بالنصب أى عمهم (بسطه وخلقه) أى بسط يده وانبساط خلقه وسماحة نفسه وسعة كرمه (فصار لهم أبا) أى من كمال الشفقة وحسن تاديب التربية لان نبى كل قوم بمنزلة أبيهم كما قال تعالى ملة أبيكم ابراهيم وفى رواية شاذة بعد قوله سبحانه وتعالى وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم (وصاروا عنده فى الحق) أى فى حق الرحمة والرأفة (متقاربين) أى كالاولاد عند الوالدين متساوين فى أصل المحبة (متفاضلين فيه بالتقوى) أى عن المعصية (والتقوى) أى على الطاعة لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم (وفى الرواية الاخرى) أى عنه أو عن غيره (وصار واعنده فى الحق سواء) أى فى حكم الحق للخصومة أو فى أصل حق المودة مستوين (مجلسه مجلس علم) أى وقار وسكينة (وحياء

وداع دعى من يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

و يجوز فى نحو أجراه مجراه ضم الميم وفتحها وقد تكون المغايرة أبلغ وأكثر معنى وهذا مما ينبغى التنبيه له (واذا انتهى) مشيه قاصدا (الى القوم) الذين يريد الجلوس معهم (جلس حيث ينتهى به المجلس) أى فى أى مكان خال منه من غير تصدر على أصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم و ينتهى من النهاية لانه نهاية محل الجالسين فيه (و يأمر) أصحابه (بذلك) تشريعا وتاديبا فعلم أن تحرى الصدر مكروه شرعا لما فيه من الكبر والترفع على أصحابه لاسيما اذا لم تطب أنفسهم بذلك فيتاذون به فانه قد يحرم كما يفعله علماء السوء فى زماننا (و يعطى كل) أحد من (جلسائه نصيبه) أى ما يستحقه من ملاطفته ومجاوبة سؤاله و بشره صلى الله تعالى عليه وسلم له (حتى لا يحسب) أى يظن (جليسه أن أحدا أكرم عليه منه) أى يظن أنه أكرم الناس وأجلهم عنده لما يرى من لطفه به فهو كقولهم ليس فى البلد أعلم منه كما مر تحقيقه فهو غاية لذلك الاعطاء (من جالسه أو قاومه فى حاجة) أى من حادثة أو قام مع قيامه لغرض حاجته أو لغير ذلك فهى مفاعلة من الجلوس والقيام (صابره) أى صبر عليه أو صبر مقدار صبره فلا ينصرف عنه حتى ينصرف هو كل ذلك لاشتمالهم وتطييب قلوبهم فلا يمل حتى يملوا (حتى يكون هو المنصرف عنه) والحصر بتعريف الطرفين فى محزه هنا (من ساله حاجة لم يرده الا بها) أى رده رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مقضى الحاجة غير خائب (أو بميسور من القول) أى أورده بقول لين سهل لا غلظة فيه كوعده وقد تقدم بيانه (قد وسع الناس) بالنصب مفعول وسع (بسطه وخلقه) باضافته لضميره و رفعه على الفاعلية أى عمهم بسطه أى بسط يده صلى الله تعالى عليه وسلم وسماحته أى بشره وطلاقة وجهه وابداء سروره وحسن خلقه فشبهه بمكان متسع رحب وأثبت له السعة والبسط بهذا المعنى مسموع وليس لغة مولدة كما يتوهم كما ذكره المصنف رحمه الله فى المشارق وتقدم فى الحديث عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة منى يبسطنى ما يبسطها (فصار لهم أبا) أى بمنزلة الاب فى البر والصلة وقصد الخير وفيه دليل على أنه يجوز أن يقال أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين كما يقال لزوجاته رضى الله عنهن أمهات المؤمنين ولا ينافيه قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم لان نفى الحقيقة لا ينافى المجاز كما سياتى (وصاروا عنده فى الحق متقاربين) أى يقرب بعضهم من بعض اذا كانوا على الحق أو فى أداء حقوقهم أى فى أصل الحق فلا ينافيه قوله (متفاضلين فيه بالتقوى) أى بحسب مراتبهم فى تقوى الله لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم (أنزلوا الناس منازلهم) وسياتى فى الرواية الاخرى وصاروا فى الحق سواء فلا ينافيه هذه الرواية ولا ان بينهم تفاوتا تاما وفى الحديث لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فان تساووا هلكوا وصاروا كاسنان المشط ليس فيهم فضلاء أو تنافسوا فى الفضائل فانكروا فضل بعضهم على بعض

وما عبر الانسان عن فضل نفسه * كمثل اعتراف الفضل فى كل فاضل

(وفى الرواية الاخرى صار واعنده فى الحق سواء) كما بيناه (مجلسه مجلس علم وحياء) أى يظهر فيه

وصبروأمانة) أى لامقام وقاحة وخفة وخيانة (لاترفع فيه الاصوات) لقوله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله الآية وهذا بيان لحلمهم وحيائهم (ولاتؤبن فيه الحرم) بضبطهما تقدم أى لايذكرون فيه بسوء وهذا بيان لصبرهم وأمانتهم (ولاتنثى) بضم أوله فسكون نون وفتح مثلثة أى لاتشاع ولاتذاع ولاتذكر من النثاء وهو أعم من ذكر الحسن والقبح وخبر الخير والشر وقيل مختص بالشر وهو فى هذا المقام أظهر فتدبر وفى نسخة بمثناة فثلثة فنون أى لاتعاد (فلتاته) بفتحتين وقد تسكن اللام أى زلات مجلسه وعثرات من حضر فى مقام أنسه والمعنى لم يكن لمجلسه فلتة فتنقل فالنفى منصب على القيد والمقيد كقوله تعالى لايسئلون الناس الحافا أى أصلا (وهذه الكلمة) أى الجملة الاخيرة وهى ولاتنثى فلتاته ثابتة

(فى غير الروايتين) أى المذكورتين فى سندهذا الحديث (يتعاطفون) أى فيه كما فى نسخة صحيحه أى فى مجلسه خصوصا يتحابون و يتراحمون (بالتقوى) أى بسببها الحديث أبى داود والترمذى لاتنزع المرحمة الامن شقى أو بحسب تفاوت مراتبها حال كونهم (متواضعين) أى بعضهم لبعض كما قال تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكما قال أشداء على الكفار رحماء بينهم (يوقرون فيه) أى فى مجلسه خصوصا (الكبير) أى فى السن أوالرتبة بما يجب له من العظمة (و يرحمون الصغير) أى بمقتضى الشفقة (ويرفدون) بضم الفاء وكسرها وحكى فتحها وفى نسخة من الارفاد أى يعينون و يغيثون (ذاالحاجة) و يعطون صاحب الفاقة وقيل رفد أعطى وأرفده أعانه والرفد بالكسر هو العطاء (و يرحمون الغريب)

أى لبعده عن بلاده وأصحابه ومفارقة أولاده وأحبابه (ثم قال) أى الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما (فسألته) أى أبى (عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه) أى عن طريقته فى حقهم حال حضورهم فى خدمته (فقال) أى على (كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) أى غير مقيد طلاقة وجهه وبشاشة بشرته بوقت دون وقت فى حالته (سهل الخلق) أى لين الطبع مع عموم الخلق (لين الجانب) بتشديد التحتية وتخفيف أى فى كماله من الرفق (ليس بفظ) أى سيئ الخلق (ولاغليظ) أى سيئ القلب

حلمه عليهم وحلمهم على غيرهم بحيث لايستفزهم الغضب وهم مظهرون للحياء لايرفعون رؤسهم وأصواتهم ولايرتكبون ما لاينبغى قولا وفعلا * قيل ولو قدم هذا وادرجه فى جواب السؤال عن مجلسه كان أحسن * قلت ما بالعهد من قدم (وصبر وامانة لاترفع فيه الاصوات) احتراما له صلى الله تعالى عليه وسلم ولوقاره وادبهم (ولاتؤبن فيه الحرم) كالكبر جمع حرمة وهى مالايحل والمراد النساء لحرمة النظر لهن ونحوه أى لاتذكرن بسوء من ابنته فابنته اذا ذكرته بما يكره مأخوذ من الابنة والابن وهى عقد فى القسى تعاب بها أى لاتذكر فيه النساء لانه رفث من القول أولايذكر فيه ما يحرم كالغيبة وسيأتى تفسيره (ولاتنثى فلتاته) بتاء مثناة فوقية مضمومة ونون ومثلثة مقصورة من النثاء وهو ذكر القبيح ضد الثناء بتقديم المثلثة وهذا هو الموافق لما سيأتى وروى ولاينثى بتقديم المثلثة على النون أى لاتعاد والفلتات بفتحات جمع فلتة بفتح فسكون ويجوز تسكين لام فلتات ويجوز ضم فاء فلتة كما قاله التلمسانى وهى الزلة أى القبيح الذى يقع بغتة والمراد انه لافلتة فيه حتى يذكر فى مجلس آخر فيعاد ذكرها فنفى الشئ بذكر لازمه لانها لو وقعت ذكرت كقوله * ولاترى الضب بها ينجحر * (وهذه الكلمة) أى قوله لاتنثى فلتاته (من غير الروايتين) رواية الحسن عن خاله ورواية الحسين عن أبيه و يجوز ان يراد ظاهره أى ان الفلتة اذا وقعت لاتذكر بل تستر (يتعاطفون بالتقوى) أى يعطف بعضهم على بعض و يشفق عليه ويرحمه بسبب تقوى الله لارياء ولاسمعة ولاخوفا واتقاء شر فالباء سببية كقوله تعالى رحماء بينهم (متواضعين) أى يتواضع بعضهم لبعض لايتكبر أحد على أحد فيخدمه و يخفض جناحه له (يوقرون فيه) أى فى المجلس (الكبير) سنا (و يرحمون الصغير) شفقة عليه ورأفة وهو مفتوح الصاد و يكسر فى لغة رديئة (و يرفدون) بفتح المثناة التحتية وضمها أى يعينون ويواسون يقال رفده يرفده بالكسر وارفده بمعنى (ذاالحاجة) أى كل من كانت له حاجة ومسألة لهم أوله صلى الله تعالى عليه وسلم أعانوه بقضائها أوابلاغها أوالشفاعة ويجوز ان يراد به الفقير المحتاج (و يرحمون الغريب) أى يشفقون عليه و يعطفون تانيسا له وازالة لوحشة غربته قال الحسين (فسألته عن سيرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جلسائه فقال كان صلى الله تعالى عليه وسلم دائم البشر) أى طلاقة الوجه و بشاشته واظهار السرور فى مجالسه العامة وهذا لاينافى مامر من قوله دائم الاحزان كما مر تقدير ذكره (سهل الخلق) أى خلقه وسجيته السهولة وعدم الشدة فى أقواله وأفعاله وقد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالملة السمحة السهلة (لين الجانب) بتشديد الياء وسكونها أى لاغلاظة فيه ولاجفاء متذللا متواضعا (ليس بفظ) أى سيئ الخلق (ولاغليظ) أى شديد متوعد لاحد ممسك عنه لطفه ورفده

(ولاسخاب) أي صياح وفي رواية ولاسخوب والصادلغة فيهما وكلاهما للمبالغة الا ان النفي لاصل المعنى لا للزيادة والاظهر ان الكلمة بوضعها النسبة كتمار ومنه قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وجاء في حديث المنافقين خشب بالليل سخب بالنهار أي اذا جن عليهم الليل سقطوا نياما كالخشب فاذا اصبحوا تساخبوا على الدنيا تهالكا عليها وتمالوا اليها وفي رواية في الاسواق فالمراد نفي رفع الصوت بالمخاصمة والمشاجرة على ماهو المعروف في العادة فلا ينافي ماورد من انه كان اذا دخل السوق قال لا اله الا الله وحده لاشريك له الى آخره مع غيره مما ثبت من الادعية في أثره (ولافحاش) أي ذي فحش من كلام غليظ (ولاعياب) أي على أحد قولا وفعلا مرضيا أوفي غيبة أحد أولما كول ومشروب كما سبق (ولامداح) أي مبالغ في مدح أحد وروي بالزاي أي كثير المزح لما ثبت في وصفه من مدحه ومزحه أحيانا وأما ماوقع عند شارح بالراء 186 فتصحيف لمخالفته الاصول وان قال انه من المرح وهو الفخر والتجبر (يتغافل عما لايشتهي) أي عما لا يحب على أحد فيه ان ينتهي (ولايؤيس منه) بالبناء للفاعل أو المفعول من الياس ضد الرجاء على مامر له من بيان المعنى (قد ترك نفسه) أي لم يجعل لها حظا (من ثلاث) أي ثلاث خصال بينها بافادة ابدال مع اعادة من بقوله (من الرياء) وكذا من السمعة فانهما من الشرك الاصغر وهذا انما يبتلى به من لايعرف الله ممن يلتفت الى ماسواه ووقع في أصل التلمساني الرياء بدون من فجوز جره على بدل المفصل من المجمل كقوله تعالى حكاية نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ورفعه على انه خبر محذوف قلت لو صحت هذه الرواية لجاز نصبه بتقدير اعني كما لايخفى عن أرباب الدراية (والاكثار) أي ومن لا

اكثار القول الممل للحضار أو من متاع الدنيا لكمال توجهه الى المولى والدار الاخرى التي هي بالاستكثار أولى وأحرى (ومالايعنيه) أي ومما لايهمه ولا ينفعه ولا يغنيه وكيف لا وفي حديث الترمذي من حسن اسلام المرء تركه مالايعنيه وقد قال سبحانه وتعالى والذين هم عن اللغو معرضون وهو يشمل القول والفعل وتوجه القلب واقبال العقل (وترك الناس) أي أبعدهم عن ساحة ما ينقصهم (من ثلاث) بينها الا بابدالها كما قال الدلجي بقوله (كان لايذم أحدا) أي بما يضع قدره (ولايعيره) بتشديد التحتية أي لايعينه بعيب سبق أمره اذ ورد في حديث الترمذي عن معاذ مرفوعا من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قال التلمساني هما واحد والا كان العدد أربعا قلت الصواب انهما اعدذان لانهما متغايران وان الثالث قوله

(ولاصخاب) بالصاد والسين أي لايرفع صوته جدا في خصومة ونحوها (ولافحاش) أي لايتكلم بقبيح كالشتم (ولاعياب) أي ذكر العيوب الناس ونقائصهم (ولامداح) أي لايكثر المدح لغيره ويطريه بمبالغة قوة مافيه وان كان يذكر الحسن والقبيح بما فيه كما مر وذكر هذه بصيغة المبالغة اشارة الى أنه قد يصدر قليلها أحيانا منه صلى الله تعالى عليه وسلم لمقتضى الحال ومثله لايعاب والمدح انما يذم اذا كان زيادة عن حده لانه كذب ومداهنة وأما مدح من يستحق المدح بما فيه اذا لم يلزمه محذور فامر حسن ألا ترى الى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لو وزن ايمان أبي بكر بايمان العالم لرجح وقوله لعمر رضي الله عنه لو لم أبعث لبعثت أنت ياعمر فاي مدح يزيد على هذا لكنه صدق ناش عن بصيرة ولايورثهم ذلك اعجابا ولا فتورا وما من شئ الا وهو ممدوح من وجه مذموم من آخر (يتغافل عما لايشتهي) أي يتغافل عن ماليس بمنكر شرعا لكنه غير مستحسن عادة أو طبعا اذ لو كان منكرا شرعا نهى عنه ولم يقر عليه وهذا من مكارم الاخلاق كما قال أبو فراس

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

(ولايؤيس منه) قال في المقتفي يؤيس بضم أوله وسكون الواو وهمزة مكسورة وهي ترسم ياء ويجوز فتحها على انه مبني للفاعل أو المفعول وهو من الياس ضد الرجاء يعني اذا سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما لايليق تغافل عنه ولم يرد السائل حتى ييأس أو يبين له انه سال مالايليق فيخجل سائله (وقد ترك نفسه من ثلاث) أي نزهها عنه ومنعها وقيل فيه قلب أي ترك ثلاثا من نفسه (الرياء والاكثار ومالايعنيه) بفتح المثناة التحتية أي يهمه وهي بدل من ثلاث مبينة لها والرياء اظهار مافيه من الصفات الحميدة والافعال الجميلة للناس حتى يحمد بها ويشيع وهو الشرك الاصغر وهو صلى الله تعالى عليه وسلم منزه عنه بلا شبهة * فان قلت كونه غير ثابت له أمر ظاهر الانتفاء عنه فالحاجة لذكره * قلت كانه ذكر هذه الجملة الحالية لبيان وجه تغافله عما لايحبه من غير ان يقنط راجيه يعني انه لم يقل أنا لا أحب هذا فلذا لم أجبك عنه حتى يتوهم انه سيفعله لما فيه من الرياء ولذا قال (وترك الناس من ثلاث) أي أبعدهم عنها أو ترك ذكر الناس ونحوه من أجل ثلاث تضمنها قوله (كان لايذم أحدا) من الناس يستحق الذم كالمنافقين لعنهم الله (ولايعيره) بعين مهملة يقال عيره كذا أو بكذا أي ذكر مافيه بما هو عار عليه وعيب فيه وقد سلف منه فالفرق بينه وبين ماقبله انه أخص منه وليس عينه حتى

لاتكون أمور الناس المتروكة أربعة كما ذكره التلمساني رحمه الله تعالى (ولا يطلب عورته) أي لا يتجسس عن معايب الناس ويبحث عنها كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يفعل مع المؤلفة قلوبهم وأصل العورة الخلل وما يجب ستره كما في حديث أبي داود يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته وهذا كما قيل في المثل كل من عير ابتلي وهذا اذا لم يلزم اظهاره شرعا كالمتجاهر بفسقه ونفاقه وقوله (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) صفة أخرى مرتبطة بما قبلها وليست من الثلاث وهذا كنصيحة الامة وارشادهم وتعليم الخير والتبليغ (اذا تكلم أطرق جلساؤه) أي خفضوا رؤسهم تأدبا وانصاتا (كأنما على رؤسهم الطير) أي بسكون ووقار من غير طيش وخفة لان الطير لا تقع الا على ساكن وهذا مثل مشهور (واذا سكت تكلموا) فلا يقطعون حديثه بحديثهم تأدبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجها لفهم مقاله لحرصهم على حفظه مراعاة لعظيم قدره (لا يتنازعون عنده الحديث) أي اذا كانوا في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يديرون الحديث بينهم فيتحدث بعضهم بعضا كما هو جار بين الناس اذا اجتمعوا في نادو وهذا بيان لقوله تكلموا أوان المراد يتكلمون مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بسؤالهم له ونحوه من مهماتهم لانهم يريدون الحديث بينهم وهذا هو معنى تنازع الحديث في كلامهم ومن فسره بالتخاصم لاغتراره بظاهر التنازع لم يصب لعدم مناسبته للمقام ولا يخفى انه لا معنى لقولك تخاصموا الحديث الا بتأويل أي تخاصموا في الحديث وهو ركيك قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

قال ابن السيد في شرح أدب الكاتب تنازعنا الحديث أي تداولناه فحدثتني مرة وحدثتها أخرى وههنا بحث وهو ان سيبويه قال في كتابه لا تقول تفاعلت الا وانت تريد فعل اثنين فصاعدا ولا يجوز ان يتعدى لمفعول ينصبه وفي تفاعلنا تلفظ بالعين الذي في فاعلته كتضاربنا وتقاتلنا وقد يجئ تفاعلت على غير هذا كتقاضيته انتهى فلم يجز تعدي تفاعل لمفعول الا اذا كان لواحد لان تفاعل قد تضمن الفاعل والمفعول الذي كان في فاعل الا ترى انك تقول ضاربني زيد فتأتي بفاعل ومفعول فاذا قلت تضاربنا لا يتعدى لاشتماله على فاعل ومفعول ليس لنا غيره وليس تنازعنا كذلك لان نازع يتعدى لمفعولين تقول نازعته الحديث فاذا قلت تنازعنا لم يكن بد من ذكر المفعول الثاني لان تنازع لم يتضمنه كذا قاله ابن السيد في المقتضب شرح أدب الكاتب * أقول في كلام سيبويه حينئذ قصور لانه كان عليه ان يقول ان باب تفاعل بمعناه الاصلي ينقص عن فاعل مفعولا فان كان متعديا لواحد كان لازما وان كان متعديا لاثنين تعدى كما ذكره بعض النحاة فاطلاقه لا ينبغي وقد نقل ابن السيد هذا في محل آخر عن الكوفيين فقال قال ثعلب يقال فلان متعهد ضيعته ولا يقال متعاهدها قال ابن درستويه انما أنكرها لانها على وزن يتفاعل وهو عند أصحابه لا يكون الا من اثنين ولا يكون عندهم متعديا لمفعول مثل تقاتلا وتعاملا وهو غلط لان تفاعل قد يكون لواحد ويكون متعديا كقول امرئ القيس

تجاوزت احراسا واهوال معشر * على حراص لو يسرون مقتلي

وجاء تفاعل متعديا لاثنين كقوله فلما تنازعنا الحديث الخ قال الخليل التعاهد والتعهد الاحتفاظ بالشئ واحداث العهد به وقول سيبويه السابق يشبه قول الكوفيين انتهى والتنازع هنا كالتجاذب مجاز بديع كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لمن قرأ خلفه مالي أنازع القرآن (من تكلم عنده) أي في مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم من الصحابة أو غيرهم (انصتوا له حتى يفرغ) من حديثه وفي بعض النسخ (من كلامه) وأنصت يكون لازما بمعنى سكت ومتعديا يقال أنصته اذا أسكته

(ولا يطلب عورته) أي لا يسيء ظنه به فيتجسس عن أمره ويتفحص عن خلله لقوله سبحانه وتعالى ولا تجسسوا والحديث أبي داود على المنبر يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته بمعنى كشف الله حاله وفضحه فهو من باب المشاكلة لوروده بالمقابلة وقد تمت الثلاث فعطف على ما قبلها (ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه) أي في فعله أو يخاف من عقابه في تركه ولعله ترك للاكتفاء أو لكمال ظهوره (اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير) أي اكراما له واحتراما لقوله وسبق تحقيقه (واذا سكت تكلموا) أي تأدبا معه وزيادة استفادة منه (لا يتنازعون عنده الحديث) أي لا يتجاذبونه بينهم كما بينه بقوله (من تكلم عنده انصتوا له) أي اسكتوا له أو أسكت بعضهم بعضا لاجله (حتى يفرغ) أي من كلامه وتحصيل مرامه

(حديثهم حديث أولهم) مبتدأ وخبر متضمن للتشبيه بليغ أى حديث آخرهم كحديث أولهم فى الرغبة اليه والنشاط لديه وعدم الملالة والسآمة عليه وفى رواية حتى يفرغ حديث أولهم وروى حتى يفرغ من كلامهم حديثهم حديث أولهم (يضحك مما يضحكون منه) أى بحكم المؤانسة وحق المجالسة (ويتعجب مما يتعجبون منه) تطييبا لخواطرهم وتحسينا لسرائرهم وظواهرهم (ويصبر للغريب على الجفوة) بفتح جيم فسكون فاء أى الغلظة والسقطة والغلطة (فى المنطق) أى فى العبارة وهذا كله كان دأبه فى العادة (ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها) جملة حالية أو استئنافية بيانية (فارفدوه) بهمزة قطع أو وصل أى اعطوه ولو بعض كفايته أو أعينوه على قضاء حاجته (ولا يطلب الثناء) أى ولا يقبله كما فى رواية (الا من مكافئ) بكسر فاء فهمز أى معتقد لثنائه أو مقتصد فى ثنائه غير متجاوز الى اطرائه لاتراه يقول ولا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله فاذا قيل هو نبى الله فقد وصف بما لا يوصف به أحد من أمته فهو مدح مكافئ له وما أحسن قول البردة فى هذه الزبدة

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

(ولا يقطع على أحد حديثه) أى كلامه فى اثنائه بل ينصت له (حتى يتجوزه) أى يتعداه ويتخلص (فيقطعه بانتهاء) أى لحديثه ولو بعد فى قعوده (أو قيام) أى له على طريق وداعه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) أى شيخ الترمذى (وزاد الآخر) بينهم أى بسند المصنف من طريق أبى على الحافظ ابن سكرة منتهيا الى الحسن بن على راويا عن أخيه الحسين رضى الله تعالى عنهما (قلت) أى لابى (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أى على (كان سكوته على أربع) أى حالات أو صفات (على الحلم) أى الوقار والسكينة دون الخفة والعجلة (والحذر) أى مما يخشى فيه من الضرر (والتقدير) أى تقدير الشئ بمعنى التصوير (والتفكر) أى فيما يحتاج اليه من التقدير (فاما تقديره) تفصيل على خلاف ترتيب ما اجمل به (ففى تسوية النظر) أى التامل فى الامر أو مساواة النظر بالبصر (والاستماع

(حديثهم حديث أولهم) مبتدأ وخبر أو حديثهم فاعل يتفرغ فجمع الضمير وهو من رعايته للمعنى وحديث أولهم بدل منه أى لا يقطع كلام من تقدم بكلام آخر ولا يخاصم فهذا فى معنى لا يتنازعون وهو مرتبط بما قبله فان كان مبتدأ بدليل رواية من كلامه فهو تشبيه أى حديث كل واحد منهم انما هو حديث من قبله يعنى انه لا حديث له معه يقطعه كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم زكاة الجنين زكاة أمه وقد خفى هذا على بعض الشراح فعلقه باذ نصتوا (ويضحك) صلى الله تعالى عليه وسلم (مما يضحكون منه) أى الصحابة رضى الله عنهم (ويعجب مما يعجبون) لانه من حسن الصحبة أن يسرك ما يسره ويرضيك ما يرضيه وهم على نهج واحد وطباعهم سليمة فلا يضحكون ويعجبون من غير مقتض فلا يقال انه يلزم من ضحك أحد وتعجبه فعل غيره مثله لانه أمر طبيعى وهذا فى أحيانا قليلة فلا ينافى قوله السابق كأنما على رؤسهم الطير (ويصبر للغريب على الجفوة) أى الغلظة وتكلمه بما يؤلم (فى المنطق) أى فى تكلمه مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كتحليف الاعرابى له صلى الله عليه وسلم وقوله له آلله أرسلك بهذا وانما قيد بالغريب لانه معذور لا يعرف أحواله وهذا من مكارمه ومعاملة كل أحد بما يليق به حتى ان كان أصحابه ليستجلبونهم (ويقول) صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه (اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه) بوصل الهمزة وقطعها من رفده وأرفده اذا أعانه أو اعطاه لان الرفد العطية والارفاد الاعانة وكل منهما قابل هنا (ولا يطلب الثناء) بمعنى يقبله كما ورد فى رواية فهو مجاز مرسل أو استعارة والثناء الذكر الحسن الجميل والمدح (الا من مكافئ) بالهمزة اختلف فى تفسيره أى ممن اثنى جزاء على نعمه واحسانه تقدم له منه وقد صرح به فى بعض الروايات بقوله عن يد ولا يرد عليه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة عامة ما من أحد الا وله عنده يد فالصواب تفسيره بمسلم أى غير متجاوز فى المدح مطر لان القرينة قائمة على ان المراد نعمة حادثة خاصة (ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه) أى يخففه يقال تجوز فى الصلاة اذا أسرع وخفف (فيقطعه بانتهاء) أى اتمام لحديثه وبه ينقطع الكلام (أو قيام) من المجلس لانه انقطع كلامه فقضى لشانه (هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع) السابق ذكره (وزاد الآخر) أى صاحب الرواية الاخرى (قلت) القائل أحد السبطين رضى الله تعالى عنهما كما مر (كيف كان سكوته صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر) لما كان الحلم والحذر من جميع الناس معلوما وقد تقدم لم يفسره وقال (فاما تقديره) أى بم ينظر مقداره اذا صدر منه أو من غيره ممن يقتدى به (ففى تسوية النظر) فى الامور وما يترتب عليها من المنافع الدنيوية والاخروية (والاستمتاع) أى استمتاع الناس به صلى الله تعالى عليه وسلم أو بامورهم فيما

بين الناس) كما قرر فى آداب القضاء من العدالة بين الخصماء على حد سواء فى الاستواء وروى الاستمتاع بمعنى الانتفاع (واماتفكره ففيما يبقى) أى من أعمال العقبى (ويفنى) أى من أحوال الدنيا كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا أو فيما يبقى عند المولى ويفنى عند السوى كقوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق (وجمع له الحلم صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصبر) أى فى حال صبره (فكان لا يغضبه) بضم أوله وكسر ضاده أى لا يحمله على الغضب (شئ يستفزه) بتشديد الزاى أى يستخفه ويفزعه (وجمع له فى الحذر) أى التيقظ فى الحضر والسفر والتحرس عنه الضرر (أربع) أى من الخصال الحميدة والاحوال السعيدة احداها (أخذه بالحسن) أى قولا أو فعلا (ليقتدى به) أى علما وعملا سواء كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فهو مرفوع على انه مبتدأ خبره مقدر مقدم أو على انه خبر مبتدأ محذوف هو هو أو على انه بدل من أربع بدل الكل بتأخير الربط أو بدل البعض بتقديمه على وجه شموله ويجوز نصبه بتقدير أعنى أيضا لا كما توهم الدلجى فى اقتصاره على ضبط نصبه على انه مفعول من أجله (وتركه القبيح) أى حراما أو مكروها أو ما هو خلاف الاولى (لينتهى عنه) بصيغة المفعول أى لينتهى عنه غيره تبعا له والمعنى انه كان يترك ما يعد قبيحا فى حق غيره وان كان وجوده صحيحا فى حقه دليلا على انتهائه صريحا أو ليعلم انه عامل بعلمه ومتعظ بوعظه كما قال الله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وما أريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه (واجتهاد الرأى) أى بذل الجهد فى ظهور الاخرى (بما أصلح أمته) أى بسبب صلاح أمرهم وموجب فلاح أجرهم (والقيام لهم) أى لمصالحهم ونظام أحوالهم (بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة) بنصب الأمر على ما فى الاصول المعتمدة على انه مفعول جمع ووقع فى أصل الدلجى من أمر الدنيا والآخرة بزيادة من وهو يحتمل ان تكون تبعيضية أو بيانية وهو الاولى كما فسره بقوله من معاش ومعاد قال المصنف (انتهى الوصف) أى وصف نبى الله (بحمد الله) أى مقر ونا بحمده حيث لا يستحق الحمد سواه ولا ينبغى ان يحمد الا اياه

*(فصل) * (فى تفسير غريب هذا الحديث) أى باعتبار مبناه (ومشكله) أى من جهة معناه وانما سمى غريبا الغرابة استعماله بحيث غيره فى المداولة أكثر نصيبا ويكون الى الفهم قريبا (قوله المشذب) بفتح الذال المعجمة المشددة

بينهم ومعنى الاستمتاع الانتفاع وقوله (بين الناس) متعلق بالتسوية وهى جعلهم متساوين وليس المراد تساويهم حقيقة بل ان يكون لكل أحد مقدار يليق به (واما تفكره ففيما يبقى ويفنى) أى فى أمور الدنيا الفانية والآخرة الباقية المخلدة * فان قلت كيف يعلم هذا وهو أمر مضمر فى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم لا يطلع عليه الا الله * قلت هذا بطريق الاستدلال العقلى والفراسة الصادقة الشاهد لها ما يظهر من آثاره ويتعلق به اذا تكلم فان الظاهر عنوان الباطن (وجمع) بالبناء للمفعول أى جمع الله (له) وكذا ما سيأتى بعده الحلم باللام أى جمع له سائر جزئيات الحلم المختص كل حليم ببعض منه وفى بعض النسخ الحكم بالكاف وله وجه (فى الصبر) أى مع الصبر على أمور الناس والامة فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع حلمه صابرا لا يضجر ولا يقلق كما أشار اليه بقوله (فكان لا يغضبه شئ) مما يتعلق به فى نفسه وان كان قد يغضب لله (ولا يستفزه) بكسر الفاء وتشديد الزاى المعجمة أى يستخفه بحيث يبدو منه خفة وقلق لامور الدنيا والاعداء (وجمع له فى الحذر) أى فى حال حذره واحتراسه من الناس أو مع ذلك (أربع) نائب الفاعل (أخذه بالحسن) وفى بعض النسخ ترك قوله أربع وهو مرفوع نائب الفاعل أو منصوب مفعول لاجله أى تمسكه بكل أمر مستحسن مشروع (ليقتدى به) ويتبعه الناس (وتركه القبيح) شرعا وخلاف الاولى (لينتهى عنه) علة للترك أى لينتهى الناس عنه (واجتهاد الرأى) أى اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يراه رأيا (بما أصلح أمته) أى فيما يصلحهم أو بسببه (والقيام لهم) أى الامة (بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة) فى المعاش والمعاد ومعنى القيام التعهد والالتزام والاجتهاد وبذل ما فى وسعه وطاقته من اصلاحهم أو هو بمعناه المصطلح بناء على جواز اجتهاده صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اختلاف مذكور فى كتب الاصول قال الابى فى شرح مسلم نقلا عن المصنف لا خلاف انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتهد فى أمور الدنيا ويرجع الى رأى غيره فى ذلك كما فعل فى تلقيح النخل واختلف فى انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل له ان يجتهد فى الشرعيات وهل هو معصوم فى اجتهاده أم لا والصواب انه له ذلك وانه معصوم وتفصيله فى أصول الفقه فلا حاجة للتطويل به

*(فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله) المراد بالغريب ما لم يكن استعماله مشهورا بين العرب بحيث يخفى على غير العرب العرباء الآن لا يكون جاريا على قوانين اللغة كما قيل والمشكل ما لم يكن واضح الدلالة بحيث يحتاج للتأويل (المشذب) بضم الميم وفتح الشين وتشديد الذال المعجمتين

(أى البائن الطول) بالاضافة أى المفرط فيه المباين عن قد الطوال أو المفارق عن رتبة قامة الربعة (فى نحافة) أى حال كونه واقعا فى صفة النحافة التى هى ضد الضخامة (هو) أى المشذب (مثل قوله فى الحديث الآخر) أى للترمذى والبيهقى (ليس بالطويل الممغط) بتشديد الميم الثانية فعجمة فمهملة أى المتناهى طولا والممتد قامة وأصله منمغط اسم فاعل من باب الانفعال والنون للمطاوعة فقلبت ميما وأدغمت يقال مغطت الحبل اذا مددته وامغط النهار اذا امتد وفى نسخة بكسر العين المهملة ويروى بصيغة المفعول من باب التفعيل بالغين المعجمة والكل بمعنى (والشعر) بفتح العين وتسكن (الرجل) بفتح راء فكسر جيم مبتدأ موصوف خبره (الذى كانه مشط) بضم ميم فتخفيف شين معجمة مكسورة (فتكسر قليلا) أى فبقيت جعودته يسيرة وسبوطته كثيرة ومنه الترجيل وهو تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه لانه من الترجيل كما توهمه الدلجى لان المزيد يؤخذ من المجرد لا بالعكس

(ليس) أى شعره الرجل (بسبط) بسكون الموحدة وتكسر والاول أنسب بقوله (ولا جعد) والجملة تفسير لما قبلها أو بيان لما كان عليه من أصل خلقه والحاصل انه لم يكن شديد السبوطة والجعودة وقد روى أحمد وأبو داود انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن الترجل الا غبا ولعل العلة ما ينشأ عن الكثرة مما يشعر ببطر النعمة قال النووى والسبط بفتح الباء وكسرها لغتان مشهورتان ويجوز اسكان الباء مع كسر السين ومع فتحها على التخفيف كما فى كتف وبابه (والعقيقة) وهى فى الاصل الشعر الذى يولد به يقال عق عن المولود اذا حلق عقيقته يوم سابع ولادته وذبح عنه شاة وسميت باسمه عقيقة كما سمى به (شعر الرأس) لانه نسبت أصوله (أراد) من أى الراوى انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يفرق شعر رأسه باختياره بل دأبه انه (ان انفرقت) أى عقيقته (من ذات نفسها) وروى من ذاتها (فرقها) أى تركها متفرقة (والا تركها) أى على حالها أى (معقوصة) أى وفرة واحدة قيل وكان هذا فى صدر الاسلام وروى الشيخان وغيرهما انه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به وكانوا يسدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون فسدل صلى الله تعالى عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد ومن ثمة قال النووى المختار جوازهما والفرق أفضل (ويروى عقيصته) أى ان انفرقت عقيصته فرقها والا تركها على حالها وهى فعيلة بمعنى مفعولة كضفيرة بمعنى مضفورة زنة ومعنى وأصله اللى وادخال اطراف الشعر فى أصوله (وازهر اللون نيره) بتشديد التحتية المكسورة أى أبيض مشرق متلألئ ومنه الزهرة نجم مشهور (وقيل أزهر حسن ومنه) أى من هذا القبيل أو الاشتقاق (زهرة الحياة الدنيا أى زينتها) يعنى حسنها وبهجتها

المفتوحة والباء الموحدة (أى البائن) أى الظاهر احترازا عما فوق الربعة بقليل (الطول فى نحافة) هى قلة اللحم وضدها الضخامة وقيل الطويل مطلقا (وهو مثل قوله فى الحديث الآخر ليس بالطويل الممغط) بضم الميم الاولى وفتح الثانية وتشديدها وكسر الغين المعجمة وطاء مهملة وأصله منمغط فابدلت النون ميما وأدغمت بمعنى الطويل من امغط النهار اذا امتد ويقال بالعين المهملة بمعناه كما فى النهاية وقال التلمسانى بالمعجمة والمهملة والميم الثانية مشددة أو مخففة وهو الطول فى نحافة أو الطول الذى ليس بفائق فليس بذم (والشعر الرجل) بفتح الراء المهملة وكسر الجيم من الترجيل وهو تسريح الشعر وتمشيطه والمرجل الذى سرح بمشط والرجل الذى بحاله خلقة كما فى الاكمال واليه أشار بقوله (الذى كأنه مشط) بالتخفيف والتشديد (فتكسر قليلا) التكسر التثنى كانه كسر (ليس بسبط) بفتح الباء وكسرها وهو المرسل الذى فيه تثن كما قاله ابن عبد البر (ولا جعد) بفتح فسكون أى كثير الشعر كشعر الزنج وقال المازرى شعر رجل ورجل ورجل بفتح وكسر وسكون وبكسر الراء ثلاث لغات بين السبوطة والجعودة وقيل الذى كأنه مشط (والعقيقة) وهى كما تقدم فى الاصل الشعر الذى يولد به الطفل لانه يعق أى يقطع سريعا ومنه العقيقة للطعام الذى يصنع عنده والشاة التى تذبح له (شعر الرأس) وأصله كما علمت شعر المولود ثم أطلق على غيره (أراد) أى ابن أبى هالة فى وصفه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان انفرقت) انها انفرقت (من ذات نفسها) وذات مقحمة تاكيدا لنفسها ان وقع تفرقها من غير صنع (فرقها) بالتخفيف أى تركها متفرقة غير ملتفة (والا تركها معقوصة) أى ان لم تتفرق بنفسها والتفت واجتمعت تركها على حالها والعقص ضفر الشعر على الرأس وليه وقيل هو لى الخصلة من الشعر ثم عقصها ثم ارسالها وعقص شعره عقده فى قفاه (ويروى عقيصته) بدل عقيقته وهى الشعر المعقوص أى المضفور من العقص وهى اللى وادخال اطراف الشعر فى أصوله كما فى المقتفى والمشهور عقيقته لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن يعقص شعره وقيل ان هذا كان فى صدر الاسلام لانه كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر به بشئ وكانوا يسدلون شعورهم والمشركون يفرقون فسدل صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد وقال النووى المختار جوازهما والفرق أفضل (وأزهر اللون نيره وقيل أزهر حسن ومنه زهرة الحياة الدنيا أى زينتها) من أزهر السراج اذا نوره ومما قلته كما تقدم

(وهذا) أى كونه أزهر (كما قال) أى واصفه (فى الحديث الآخر) أى مما رواه الشيخان والترمذى (ليس بالابيض الامهق) أى الشبيه بالابرص (ولا بادم) أى بالاسمر القريب الى الاحمر بل كان بياضه مشربا بحمرة (والامهق هو الناصع البياض) أى خالصه كلون الجص (والادم الاسمر اللون) واما ما ورد فى حديث انه كان اسمر اللون فمحمول على ان ما برز منه للشمس كان أسمر وما سترته ثيابه كان أبيض والحاصل ان أصل خلقته أبيض وقد كان تعتريه السمرة فلا ينافى كونه أسمر فتدبر (ومثله) أى ومثل كون لونه بينهما المفاد بلا ولا (فى الحديث الآخر) أى الذى رواه الترمذى والبيهقى (أبيض مشرب) بضم ميم وفتح راء مخففة أو مشددة للمبالغة أى مشرب بحمرة كثيرة ولذا قال أى (فيه حمرة) وهذا أحسن الوجوه وأحسن الالوان من افراد أنواع الانسان كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه فى القرآن بقوله فى وصف الحور البيض كأنهن الياقوت والمرجان ولا عبرة ببعض الطباع العادية من ميلهم الى الصفرا والخضرا والسودان هذا وفى شرح المصابيح لابن الفقاعى الاشراب خلط لون بلون كان أحد اللونين يغى الآخر يقال بياض مشرب حمرة بالتخفيف فاذا شدد كان للتكثير والمبالغة قلت ومنه قوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل أى أخلط حبه فى قلوبهم (والحاجب الازج) أفعل من الزجج وهو دقة الحاجبين مع سبوغهما الى مؤخر العين وحسنهما (المقوس) بفتح الواو المشددة أى المشبه بالقوس فى نوع من الادارة فلا ينافيه انه (الطويل) أى طرفه وهو احتراز من كونه قصيرا ١٩١ فلا ينافى انه لم يكن أشم (الوافر الشعر) احترازمن كونه خفيفا (والاقنى السائل الانف) أى طويله وممتده مع دقة أرنبته (المرتفع وسطه) احترازمن حدبته فان كثرتها غير مستحسن (والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين وتكسر الراء (اتصال شعر الحاجبين) أى طرفيهما حتى يتلاقيا (وضده البلج) بفتحتين بعدهما جيم وهو الذى بينهما فصل بين والجمع بين الروايات ان شعر حاجبيه لم يكن فى غاية من الاتصال ولا فى نهاية من الانفصال بل على حد الاعتدال المطلوب فى جمال أرباب الكمال فلا تنافى بين ما سبق من المصنف و بين ما ذكره بقوله (و وقع فى حديث أم معبد) بفتح ميم فسكون عين مهملة فوحدة وهى التى رأته صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريق الهجرة من مكة الى المدينة (وصفه) أى وصفها اياه (بالقرن) وقد يجمع بينهما بان أم معبد رأته من بعد فظنت انه أقرن لقرب طرفيهما التقاء فوصفته بالقرن وعلى كرم الله تعالى وجهه حققهما من قرب فرآهما كادا يلتقيان فوصفه بالبلج واما قول الدلجى من ان الصحيح وصفه بالبلج اذ هو المحمود عند العرب دون القرن فغير صحيح لانه صلى الله تعالى عليه وسلم خلق على جمال موصوف بكمال عند العرب والعجم نعم يستبعد تجويز الحلبى حدوث القرن له عليه الصلاة والسلام بعد فانه ينزه عليه الصلاة والسلام عن حدث ما يعد عيبا فيه (والادعج) من الدعج وهو السواد فى العين وغيرها وقيل هو شدة سواد العين فى شدة بياضها وهو المراد ههنا وقوله (الشديد سواد الحدقة) أى حدقة العين من باب الاقتصار أو من قبيل الاكتفاء والاختصار أو لتحقق البياض فى غالب العادة وانما تختلف الحدقة باعتبار السواد والزرقة والشهلة (وفى الحديث الآخر) أى الذى رواه مسلم (أشكل العين وأسجر العين) بمهملة فجيم وهما بمعنى واحد (وهو الذى فى بياضها حمرة) أى يسيرة والشكلة بالضم شكلة محبوبة محمودة ثم اعلم ان فى القاموس عين سجراء خالطت بياضها حمرة فما ضبط فى بعض النسخ الصحيحة بالحاء المهملة ليس فى محله لما فى القاموس من ان السحر بفتحتين هو البياض يعلو السواد واما ضبط بعضهم بالشين المعجمة فلا وجه له أصلا

من حرصك بالفناء كم تشتغل * والعمر مضى فما يفيد الامل
ما زهرة هذه الحياة الدنيا * للفرك بانمل المنا تحتمل

(وهذا كما قال فى الحديث الآخر ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع) أى الخالص (البياض) والمهق شدة البياض من غير مخالطة حمرة وقيل ما يقرب بياضه من الزرقة و يقال أهمق بتقديم الهاء أيضا وهو من القلب (والادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الآخر أبيض مشرب) بالتشديد على زنة اسم المفعول المزيد و يقال مشرب بالتخفيف والتشديد للتكثير والمبالغة والاشراب خلط لون بلون فكأنه شرب وأكثر ما يقال فى الحمرة (أى فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن) بفتحتين (اتصال شعر الحاجبين وضده البلج) كما تقدم ما فيه ولا حاجة لقول التلمسانى البلج صباحة الوجه فلا ينافى ما فى حديث أم معبد من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالقرن الذى أشار اليه بقوله (و وقع فى حديث أم معبد وصفه بالقرن) ورواية مثله عن أبى عبيدة فان المشهور خلافه و يؤيده ان العرب تكرهه (والادعج الشديد سواد الحدقة) فى الصحاح الدعج شدة سواد العين مع سعتها وكذا فى غيره (و) هو لا ينافى قوله (فى الحديث الآخر أشكل العين وأسجر العين) بسين مهملة وجيم (وهو الذى فى بياضها حمرة) أى اللون الذى فى بياض العين وحمرة بدل منه بناء على جواز ابدال النكرة من المعرفة

(والضليع) أى الفم كما سبق أى عظيمه وهو ممدوح فى الرجال كما مر وقيل كما قال المصنف (الواسع) فالمراد به الوسع فى الجملة كاعتدال الخلقة لاضيقه بالمرة (والشنب) بفتح النون (رونق الاسنان وماؤها) أى صفاؤها وبهاؤها وانما يتمادح بكثرة الريق فى المحاورات والخطب والحرب لانه يدل على ثبات جنان المتكلم ورباطة جاشه فؤاده رطب بخلاف الجبان اذا تكلم فى هذه المحافل جف ريقه فى فمه وما الذ قول العارف ابن الفارض قدس سره

عليك بها صرفا وان شئت مزجها * فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

(وقيل) أى فى معناه (رقتها) بالراء بمعنى دقتها (وتحزيز فيها) بزايين أى أشر وتحديد فيها (كما يوجد فى اسنان الشاب) أى لانهم فى زمان ازدياد قواهم النامية واشتعال حرارتهم الغريزية الموروثة لابتهاج نضارة الاعضاء وبهائها وحسن رونقها وبريق مائها (والفلج) بفتحتين (فرق بين الثنايا) واحدتها ثنية ومجموعها أربع وهى الاوائل المبدوءة (ودقيق المسربة) بضم الراء (خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة) أى الذى لدقته وقلته وطوله كالخيط الدقيق الممتد من الصدر الى السرة (بادن ذو لحم) أى البادن باعتبار أصله هو الضخم من البدانة وهى كثرة اللحم ولم يكن صلى الله تعالى عليه وسلم سمينا بدينا ولذا عطف عطف تفسير بقوله (ومتماسك) ثم بينه بعطف بيان حيث قال (معتدل الخلق) أى متوسطه ومع ذلك (يمسك بعضه بعضا) أى ولم يكن لحمه مسترخيا فلم يكن (صلى الله تعالى عليه وسلم) ضخما بل كان فخما فافرق بينهما فافهما ولا تتبع ما قال بعضهم وهما والحاصل ان مضمون هذا الحديث فى افادة اعتدال خلقه من جهة لحمه وغيره (مثل قوله فى الحديث الآخر) أى على ما رواه الترمذى والبيهقى (لم يكن بالمطهم) بتشديد الهاء المفتوحة (ولا بالمكلثم) بفتح المثلثة (أى ليس بمسترخى اللحم) تفسير للمطهم أى لم يكن فاحش السمن والاوجه ان معناه لم يكن منتفخ الوجه لانه من لوازم كثرة اللحم

قاف

(والمكلثم القصير الذقن) بفتحتين أى الحنك الدانى اليه والمشهور تفسيره بمدور الوجه سواء كان مع خفة لحمه أو كثرته (وسواء البطن والصدر) هكذا الرواية بتقديم البطن على الصدر وان كان الاظهر عكسه كما وقع فى أصل الدلجى لكنه ليس بمعتبر بحيث يخالف الاصول (أى مستويهما) يعنى لا ينبو احدهما عن الآخر بان لا يكون بطنه ضخما مرتفعا ولا صدره منخفضا (ومشيح الصدر) بضم ميم فشين معجمة مكسورة على ما فى النسخ المعتبرة (ان صحت هذه اللفظة) أى بالضبط المذكورة (فيكون) أى المشيح (من الاقبال) اسم فاعل من أشاح بمعنى أقبل فالمراد انه مقبل الصدر (وهو) أى الاقبال (احد معانى أشاح) ومنها اعرض ذكره الدلجى وفى القاموس الشيح بالكسر الجاد فى الامور كالشائح والمشيح والحذر وقد شاح وأشاح على حاجته والمشيح المقبل عليه والمانع لما وراء ظهره (أى انه كان بادى الصدر) بالياء أى ظاهره (ولم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وهو خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب

أو الذى صفة لمقدر وجرة خبر آخر وهو ممدوح لانه فى البياض لا فى الحدقة وقيل الاشكل طويل شق العين كما فى المصابيح الا انه غلط فيه كما مر فى الفصل الثانى ومنهم من قال الدعج لغة زرقة فى بياض مستدلا بقوله

يارب ان العيون السود قد فتكت * فينا وصانت باسياف من الدعج

اذا السيوف زرقة أى مخلوقة من الدعج كقولهم انت مما تفعل وخلق الانسان من عجل على قول وقيل لا حجة فيه لاحتمال انه من الدعج بضمتين على انه تجريده وهو جمع ادعج وتشبيهها بالسيوف فى فتكها لا فى لونها فانها يقال لها البيض كما يقال للرماح والزرق انما هى السهام قال امرئ القيس

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى * ومسنونة زرق كانياب اغوال

(والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا) الى آخره كما تقدم ما فيه وماؤها صفاؤها كما يقال ماء الجمال والماء يستعار لمعان فصلها الثعالبى فى المضاف والمنسوب وقيل المراد بالماء ريق الفم والمراد بتحزيزها ازائين معجمتين كون اطرافها دقيقة كالشرافات لها (ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك) أى لا سمين فانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن كذلك وهو ممدوح فهو (معتدل الخلق) فى المقتفى هو اشارة لدفع احتمال السمين وكذا قوله (يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الآخر لم يكن بالمطهم) أى فاحش السمن منتفخ الوجه (ولا بالمكلثم أى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر أى مستويهما ومشيح الصدر) بضم الميم والشين المعجمة كما مر (ان صحت هذه اللفظة) فى صفته صلى الله تعالى عليه وسلم (فيكون من الاقبال) فى صدره (وهو احد معانى اشاح أى انه كان بادى الصدر) المراد به انه (لم يكن فى صدره قعس) بفتحتين وعين وسين مهملتين بعد

(وهو تطامن فيه) بفتحتين فسكون همز وقد يبدل أى انخفاض (وبه) أى بكون المعنى بادياصاره الى آخره (يتضح قوله قبل) أى يتبين معنى ماروى من قبل ذلك (سواء البطن والصدر) بالاضافة وقيل بتنوين سواء ورفع ما بعده (أى ليس بمتقاعس الصدر) أى غير منخفضة (ولا مغاض البطن) مجرور بالعطف على متقاعس وزيد لا للتأكيد وهو بضم ميم ففاء فعجمة أى ضخمه ومرتفعه (ولعل اللفظ) أى صحف على ان أصله (مسيح بالسين) أى المهملة (وفتح الميم) أى لا بضمها (بمعنى عريض) أى وسيع الصدر مأخوذ من المساحة وهو طول المسافة ومنه الساحة وهى فناء الدار المتسعة (كما وقع فى الرواية الأخرى) أى بهذا اللفظ صريحا وينصره تلويحا حديث كان مسيح القدمين أى ممسوح ظاهرهما أو هما (ملساوان اذا مسهما الماء نبا عنهما وحكاه ابن دريد) بالتصغير (والكراديس) جمع الكردوس (رؤس العظام وهو) أى قوله والكراديس رؤس العظام (مثل قوله فى الحديث الآخر) أى الذى رواه الترمذى والبيهقى (جليل المشاش) بضم الميم أى ضخم رؤس العظام كالركبتين والمرفقين والكتفين على ما فى النهاية أو رؤس العظام اللينة التى يمكن مضغها على ما فى الصحاح وهو أقرب الى مادة المشمشة يقال تمشمش العظام تمشمشا (والكتد) بالجر عطف على المشاش وهو بفتح التاء أفصح من كسرها وهذا لفظ الحديث ثم قال المصنف (والمشاش رؤس المناكب) جمع منكب وهو ما بين الكتف والعنق والكتد مجمع الكتفين بفتح الميم الثانية وهو الكاهل وقيل ما بين الكاهل الى الظهر (وشثن الكفين والقدمين لحيمهما) وهو خلاف ما مر فى تعريفهما (والزندان) تثنية الزند (عظما الذراعين) أى رأسهما على طبق ما سبق أو قصبتاهما على خلاف ما تحقق قال الاصمعى أخبرنى أبى انه لم ير أحدا اعرض زندا من الحسن البصرى كان عرضه شبرا (وسائل الاطراف أى طويل الاصابع) أى من اطراف يديه ورجليه (وذكر ابن الانبارى) بفتح الهمزة بعدها نون ساكنة منسوب الى مدينة الانبار مدينة بالفرات وهو محمد بن القاسم ابن بشار وقد جاء فى بعض الاحاديث قال الانبارى ولم يسمه وهو محمد بن سليمان الانبارى فاعلمه كذا ذكره التلمسانى (انه) أى هذا اللفظ (روى سائل الاطراف) أى بالشك فى روايته لقوله (أوقال) أى الراوى (سائن بالنون قال) أى الانبارى (وهما بمعنى) أى واحد كجبريل وجبرين (تبدل اللام من النون) يعنى فالاصل هو النون والاظهر ان الاصل هو اللام وان النون تبدل منها لتقاربهما فى مخرجيهما أو لتجانسهما فى حيزهما وهذا كله (ان صحت الرواية بها) أى بالنون فان الرواية باللام ثابتة بلا مرية (واما على الرواية الأخرى) أى بالراء كما بينه بقوله (وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث) أى كما مر فى فصل قبله

قاف (وهو تطامن فيه) أى فى الصدر قيل ان هذا مخالف لقول الجوهرى القعس خروج الصدر ودخول الظهر ضد الحدب لان التطامن الانخفاض كقول ابن مالك رحمه الله تعالى فى نظم الكفاية

والمدل من ارنبة الانف خنس * وعرض انف مع تطامن قعس

وفى الروض الانف الحدب انحناء فى الظهر وقد يكون مستعملا فى معنى المخالفة اذا قرن بالقعس كقوله

فان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب

قلت وكذا فسره الشراح والظاهر ان مراده عدم الارتفاع بقرينة انه وردانه مستوى البطن والصدر وقد صرح به المصنف فى قوله (وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر أى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن) والعجب منه بعد هذا كيف يعترض عليه وكيف يصح تفسيره بغير ما ذكر ومفاد بضم الميم بفتح الفاء وآخره ضاد معجمة ضخم البطن وقيل مسترخى اللحم وقيل عظيم البطن أو عظيمها مسترخى اللحم (ولعل هذه اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الآخرى وحكاه ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الآخر جليل المشاش والكتد) جليل بفتح الجيم بمعنى عظيم (والمشاش) بضم الميم وشينين معجمتين واحده مشاشة وهى رؤس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين وفى الصحاح (رؤس المناكب) أى العظام اللينة التى يمكن مضغها ويقال تمشمشها (والكتد) بفتح الكاف وكسر المثناة الفوقية ويجوز فتحها فسره المصنف بانه (مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف أى طويل الاصابع) وسائل مر الكلام عليه مفصلا (وذكر ابن الانبارى) محمد بن قاسم بن بشار اللغوى نسبة للانبار بفتح الهمزة قرية قريبة من الفرات ولهم أنبارى أخر منها راو للحديث وهو محمد بن سليمان والانبار معربه معناها مخزن القمح (انه روى سائل الاطراف أوقال سائن بالنون وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الأخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه) عليه الصلاة والسلام (كما وقعت مفصلة فى الحديث

(ورحب الراحة) بفتح الراء وضمها (أى واسعها) وهى الكف لحقيقة وهو ظاهر (وقيل كنى) أى واصفه (بها) أى بالراحة وفى نسخة صحيحة به أى بقوله رحب الراحة (عن سعة العطاء والجود) ولامنع من الجمع بين العبارة والاشارة (وخمصان الاخمصين) بضم أوله (أى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم) وفى النهاية ان خمصان للمبالغة قال وسئل ابن الاعرابى عنه فقال اذا كان خمص الاخمص بقدر لم يرتفع جدا ولم يستو اسفل القدم جدا فهو أحسن مايكون واذا ارتفع جدا فهو ذم فالمعنى ان اخمصه معتدل الخمص (ومسيح القدمين أى أملسهما ولهذا) أى لكونهما املساوين (قال الراوى فى الحديث السابق ينبو عنهما الماء) وقد تقدم معناه (وفى حديث أبى هريرة) أى كما رواه البيهقى (خلاف هذا) أى خلاف كون قدميه أخمصين لانه (قال اذا وطئ بقدمه) بكسر الطاء أى داس بهما أو وقف عليهما (وطئ بكلها ليس له أخمص) ويمكن الجمع بينهما بان مراد أبى هريرة انه وطئ بكلها الا ببعضها كما يفعله بعض أرباب الخيلاء وان قوله ليس له أخمص محمول على نفى المبالغة كما تقدم أو انه مدرج من الراوى بحسب ما فهمه من حديثه وهذا الجمع أولى مما اختاره المصنف حيث قال (وهذا) أى معنى قوله ليس له أخمص (يوافق معنى قوله مسيح القدمين) وفيه انه لامنافاة بين كونه أخمص وبين كونه مسيحا لما سبق من ان قدمه كانت ملساء كأنها ممسوحة واما قول الانطاكى من ان باطيس ذكر فى المغنى فى صفته عليه الصلاة والسلام انه كان لرجله اخمص فمحمول على ماذكرناه من الجمع بانه كان له بعض الخمص لانه لم يبلغه حديث أبى هريرة أو لم يصح الحديث عنده كما اختاره الانطاكى (وبه) أى بمسيح القدمين (قالوا) أى بعضهم (سمى المسيح ابن مريم أى لم يكن له اخمص) أى بطريق المبالغة لا بالكلية مع ان الانسب ان يقال لكون قدمه ملساء ممسوحة (وقيل لالحم عليها) وفيه انه لا يظهر وجه المناسبة الاشتقاقية حينئذ أصلا (وهذا) أى قوله لالحم عليها (أيضا يخالف قوله شثن القدمين) أى عند من فسره بلحيمهما كالمصنف واما عند من فسره بميلهما الى غلظ وقصر أو فى أناملهما غلظ بلا قصر فلا اذ لا تلازم بين اللحمية والغلظ فقد يكون الغلظ بلا كثرة و يقصد اللحم (والتقلع رفع الرجل بقوة) أى مع تثبت فى المشى بحيث لا يظهر فيه شدة ولا سرعة (والتكفؤ الميل الى سنن المشى) بفتحتين وفى نسخة الممشى على انه مصدر ميمى أو اسم مكان أى الى صوبه (وقصده) أى من جهته معتدلا بهما من غير انحراف عنهما وفى الحديث القصد القصد تبلغوا أى الزموا الامر الوسط فى العمل تصلوا الى ما تقصدونه من المحل فنصبه على الاغراء وتكراره للتأكيد بالبناء والهون مبتدأ وخبره (الرفق والوقار) وفى رواية كان يمشى الهوينا تصغير الهوى تأنيث الاهون فيكون القصد منه المبالغة فى الهون المندوب فى قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وفى الادب المفرد عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أحبب حبيبك هونا ما أى لا افراط فيه بل قليلا قليلا بشهادة ضم ما اليه (والذريع الواسع الخطو) أى من الذرع وهو الطاقة والوسع ومنه قوله تعالى وضاق بهم ذرعا (أى ان مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة) أى بقوة (ويمد خطوه) أى فى مشيه (خلاف مشية المختال) أى لعصمته من الاختيال ولقوله عز وجل ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا والمشية بكسر الميم لانه مصدر للنوع

ورحب الراحة أى واسعها وقيل كناية عن سعة العطاء والجود قوله (خمصان الاخمصين) تقدم ضبطه وما فيه وفسره هنا بقوله (أى متجافى أخمص القدم وهو الموضع الذى لاتناله الارض من وسط القدم) هو بفتح السين والكثير سكونها وضابطه انه ان استعمل فى متفرق الاجزاء كالناس والدواب فبالسكون وقد تفتح أو فى متصلها كالدار والرأس فبالفتح وقد تسكن وقال الجوهرى وغيره والاول ظرف والثانى اسم ومن هنا يعلم انهم لا يريدون بالاسم فى امثال هذا الكلام اسم المصدر بخصوصه اذ الوسط بالمعنى الثانى ليس اسم مصدر قطعا ثم قضيته انه ليس ظرفا اذ لا يقال جلسنا وسط الدار بل فى وسطها أى متوسط منها (ومسيح القدمين أى أملسهما ولذلك قال ينبو عنهما الماء وفى حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه (خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح عيسى بن مريم أى لم يكن له أخمص وقيل مسيح لالحم عليهما وهذا أيضا يخالف قوله شثن القدمين) اذا فسر بلحيمهما واما اذا فسر بميلهما الى غلظ وقصر او بغلظ الاصابع فلا وزعم أبو عبيدة ان شثنهما بمعنى غليظهما مع قصرهما قال فى المطالع وقد جاء ضد هذا وهو سائل الاطراف يشير الى رد زعمه قال وليس الشثن بعيب فى الرجال بخلاف النساء ردا لمن زعم انه معيب فقد تقدم انه محمود فى الرجال دون النساء (والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطو أى ان مشيه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه) بالخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة وفسره بقوله (خلاف مشيه المختال

(ويقصد) بكسر الصاد (سمته) أى مقصده فى طريقه بدون ميل عن وسطه لقوله سبحانه وتعالى واقصد فى مشيك (وكل ذلك) أى ماذكر من المراعاة فى مشيه انما كان (برفق) أى وفق لطف (وتثبت) أى طلب ثبات دون عجلة اذ هى أيضا مذمومة كالخيلاء فكان مشيه معتدلا (كما قال) الراوى (فكأنما ينحط) أى ينزل (من صبب) وفى رواية فى صبب وهو بفتحتين أى منحدر وروى كأنما يهوى من صبوب بضمتين (وقوله يفتتح الكلام ويختمه باشداقه) أى بجوانب فمه جمع شدق بالكسر (أى لسعة فمه) يعنى انما كان ذلك لاتساع فيه (والعرب تتمادح بهذا) أى بوسع الفم وعظمته لدلالته على فصاحة صاحبه وبلاغته (وتذم بصغر الفم) الباء زائدة أو سببية أى تذم الانسان لصغر فمه ولا يعارض حديث أبغضكم الى الثرثارون المتشدقون لان المراد بهم المتوسعون فى الكلام بدون احتياط واحتراز فى نظام المرام والمستهزؤن بالناس بلى الشدق ونأى الجانب والتمطى ونحو ذلك من أفعال اللئام (وأشاح) أى بناء على أحد معانيه (مال) أى الى كذا مانعا لما وراء ظهره (وانقبض) أى عما أرهقه وأغضبه اذ المشيح هو الحذر والجاد فى الامر أى المقبل عليه وفى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر النار ثم أعرض وأشاح أى حذر منها كأنه ينظر اليها أو جد فى الايصاء باتقائها أو أقبل ومال فى خطابه اليه (وحب الغمام) أى السحاب (البرد) بفتحتين شبه بحب الارض ولو من بعض الوجوه (وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة) ولما كانت الجملة المضارعية لحكاية الحال الماضية صح تفسيره بقوله (أى جعل من جزء نفسه) أو بعض أوقات حظ نفسه (ما يوصل الخاصة اليه) أى زمانا بجعو ولا يكون وسيلة الى توصيل الخاصة اليه (فتوصل عنه العامة) أى بالواسطة لعدم امكان الزمان أو لضيق مكانه عن وصول كافة الخلق الى حصول ادراك شأنه وما لا يدرك كله لا يترك كله (وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة) وقد عرفت وجه ضعفه فيما تقدم والله تعالى أعلم (ويدخلون) أصحابه عنده (روادا) بضم راء وتشديد دال جمع رائد (أى محتاجين اليه وطالبين لما عنده) لما لديه من هداية ومعرفة نازلة عليه (ولا يتفرقون) أى لا ينصرفون كما فى نسخة (الا عن ذواق) بفتح أوله بمعنى مذوق من الذوق المعنوى أو الحسى (قيل عن علم يتعلمونه) أى ثم يصيرون هداة للناس يعلمونهم ومثل هذا روى عن أبى بكر بن الانبارى وزاد عليه فقال فيقوم لهم ما يتعلمونه مقام الطعام والشراب لانه عليه الصلاة والسلام كان يحفظ أرواحهم كما يحفظ الطعام والشراب أجسامهم وأشباحهم (ويشبه) أى والاشبه (أن يكون) أى ذواقهم (على ظاهره) أى من مأكول أو مشروب باعتبار الاكثر الاغلب والى هذا المعنى قال الامام الغزالى فى الاحياء والحمل على المعنى الاعم هو الاتم والله تعالى أعلم (والعتاد) بالفتح (العدة) بالضم (والشئ الحاضر المعد) بصيغة المجهول أى المهيأ لما يقع من الامور الملمة والاحوال المهمة (والموازرة المعاونة) من الوزر وهو فى الاصل الحمل والثقل ومنه قوله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى أى معينا يحمل عن بعض حملى وفى حديث البيهقى نحن الامراء وأنتم الوزراء جمع وزير وهو من يوازر السلطان فيحمل عنه ما حمله من أثقال الزمان (وقوله لا يوطن الاماكن) بتشديد الطاء وتخفيفها (أى لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما) أى لا يصلى الا فيه (وقد ورد نهيه عن هذا) أى ايطان المكان فى المساجد (مفسرا) أى مصرحا ومبينا (فى غير هذا الحديث) أى من حديث الحاكم وغيره كما سبق (وصابره أى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه) أى فى مجلسه (الحرم) بضم ففتح (أى لا يذكرون فيه بسوء ولا تنثى فلتاته أى لا يتحدث بها) أى مطلقا وهو يحتمل احتمالين كما بينه بقوله (أى لم يكن

ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال فكأنما ينحط من صبب وقوله) فى صفته عليه الصلاة والسلام (يفتتح الكلام ويختمه باشداقه أى لسعة فمه والعرب تمدح بهذا (٢) وتذم بصغر الفم وأشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة أى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فيوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة و) قوله (يدخلون روادا أى محتاجين اليه وطالبين لما عنده) قوله (لا ينصرفون الا عن ذواق) وضبطه (قيل عن علم يتعلمونه) منه عليه الصلاة والسلام (ويشبه أن يكون على ظاهره أى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن أى لا يتخذ للصلاة موضعا معلوما وقد ورد نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن هذا مفسرا فى غير هذا الحديث وصابره أى حبس نفسه) الشريفة (على ما يريد صاحبه و) قوله (لا تؤبن فيه الحرم) وضبطه وفسره هنا بقوله (أى لا يذكرن بسوء) قوله (لا تنثى فلتاته) تقدم ضبطه وفسره هنا بقوله (أى لا يتحدث بها أى لم يكن

(٢) وفى النسخة التى على القارى تتمادح

فيه فلتة) فالنفي الى القيد والمقيد (وان كانت) أى فلتة فرضا وتقديرا (من أحد) أى من غيره صلى الله تعالى عليه وسلم (سترت) أى في ذلك المجلس وماذكرت في غيره لقوله عليه الصلاة والسلام المجالس بالامانة (ويرفدون يعينون) أى كل من يريد الاعانة أو الاغاثة (والسخاب الكثير الصياح) بكسر الصاد (وقوله لا يقبل الثناء لامن مكافئ) استثناء مفرغ (قيل من مقتصد في ثنائه ومدحه) أى لم يتجاوزه وصفه الى اطرائه (وقيل الا من مسلم) أى كامل فان ثناءه لا يكون الافي محله اللائق به وتوضيحه انه كان لا يقبل الثناء عليه الامن رجل يعرف حقيقة اسلامه وحقيقة مراده ولا يدخل عنده في جملة المنافقين الذين يقولون بالسنتهم ماليس في قلوبهم فاذا كان المثنى عليه بهذه الصفة قبل ثناءه وكان مكافئا ١٩٦ ماسلف من نعمة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عنده واحسانه اليه (وقيل الامن مكافئ على يد) أى نعمة (سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أى من احسان صوري والاولا يخلو أحد منه من انعام معنوي (ويستفزه) بتشديد الزاي (يستخفه) بتشديد الفاء (وفي حديث آخر) أى كما رواه مسلم (في وصفه عليه الصلاة والسلام منهوس العقب) بمهملة ومعجمة على ماذكره ابن قرقول في مطالعه ثم فسره بما فسره المصنف (أى قليل لحمها) يعني كأنه نهس فان النهس هو أخذ اللحم بالاسنان ثم قال وقيل هو بالمعجمة ناتئ العقبين معروفهما وفسر في الحديث شعبة المهملة قال قليل لحم العقب انتهى ولا يخفى ان تفسير شعبة الراوي بل هو الاولى هنا وفي رواية منهوس الكعبين وفي أخرى القدمين (وأهدب الاشفار) أى أشفار العين جمع شفر بالضم وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر وذلك الشعر هو الهدب وجمعه اهداب وحرف كل شئ شفره وشفيره (أى طويل شعرها) وعن الشعبي كانوا لا يوقتون في الشفر شيأ أى لا يوجبون فيه شيأ مقدرا وهو مخالف للاجماع على وجوب الدية في الاجفان ذكره الدلجي وفيه انه انما نفي الشئ المقدر في الشريعة وهو لا ينافي ماذكره الفقهاء بطريق الحكومة

* (الباب الثالث) * أى من القسم الاول (فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها) أى عند المحدثين فهو متوسط بين المتواتر والآحاد والغالب فيه أن يكون صحيحا وربما يكون حسنا ولا يكون ضعيفا وعند العامة فيشمل الصحيح وغيره وربما يكون موضوعا والاظهر ان الشيخ أراد به النوع الاول كما يقتضيه مقام المرام فتامل وعلى كل فهو من قبيل عطف العام على الخاص لا عكسه كما زعم من توهم ان كل مشهور صحيح (بعظيم قدره) متعلق بورد والباء للتعدية أى بمقداره المعظم (عند ربه ومنزلته) أى وبرفعة مرتبته عند ربه الاكرم (وماخصه به في الدارين) أى الاولى والآخرة (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما (لاخلاف

فيه فلتة وان كانت من أحد سترت و) قوله (يرفدون) ذا الحاجة (يعينون والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الامن مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه وقيل الامن مسلم وقيل الامن مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له) أى نعم واليد تطلق على الجارحة وعلى النعم لانها بمنزلة العلة الفاعلية لها لصدورها عنها الاانه خولف بينهما في الجمع فقيل في الجارحة أيد وفي النعمة أيادي ويدي بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة وتشديد الياء كقوله * فان له عندي يديا وأنعما * والاصح انهما في الجمع سواء كما أثبته أهل اللغة بشواهده فلا حاجة للاطالة بذكره (ويستفزه يستخفه وفي حديث آخر في وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم منهوس) بسين مهملة ومعجمة (العقب أى قليل لحمها) أى قليل لحم العقب وقيل بالمعجمة معناه ناتئ العقبين معروفهما قاله ابن قرقول برمته وأول هذين التفسيرين يوافق كلام المصنف والمراد جنس العقب لا عقب واحد كما تقدم مثله وثانيهما مخالف لانه اعتبر فيه النتوء مع قلة اللحم لانه معنى المعروف وقيل اللحم كما في الصحاح (وأهدب) بدال مهملة (الاشفار) بشين معجمة وفاء وراء مهملة وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر المسمى بالهدب واحدها شفر بضم فسكون كهدب ويكون مطلق الطرف (أى طويل شعرها) انتهى التفسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليما كثيرا

* (الباب الثالث فيما ورد من صحيح الاخبار) *

المراد مارواه الثقات بسنده متصل وسلم من العلة القادحة وقد يطلق على مايشمل الحسن كما فصل في مصطلح الحديث والخبر تقدم أنه يراد به الحديث وقد يراد به معناه الاعم الشامل له ولغيره وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوي وما ثبت صدقه فقوله (ومشهورها) ليس من عطف الخاص على العام ومن قاله كأنه أراد به قسما منه وهو مااشتهر بين المحدثين أوأرجع الضمير لصحيح الاخبار وأنثه رعاية لمعناه أولا كتسابه التأنيث من المضاف اليه فلا وجه لتخطئته فيه (بعظيم قدره عند ربه) متعلق بورد والباء للتعدية أو الالصاق (ومنزلته) عطف تفسير والقدر والمنزلة والمرتبة والرتبة بمعنى الشرف (وماخصه به في الدارين) الدنيا والآخرة غلب اطلاقه عليهما (من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لما وكرامته وجلالته وعزته وضمير خصه له أولما وكذا به والباء داخلة على المقصور أو المقصور عليه وكل منهما جائز بلا خلاف انما اختلافهم في أصله وحقيقته (لاخلاف) أى لا أحد من المسلمين

بل العقلاء لانعقاد الاجماع عليه ولا يعتد بما زعمه بعض أهل الكتاب (انه أكرم البشر) والنوع الانساني وتقديره في انه وحذف الجار في مثله مقيس مطرد (وسيد ولد آدم) السيد من ساد غيره أي فاقه في الشرف والكمال وفي اطلاق السيد عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى الله وعلى غيره أقوال قال البيهقي في كتاب الاسماء والصفات السيد اسم لله تعالى لم يرد في القرآن وورد في الحديث فعن مطرف انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت أنت سيدنا فقال السيد هو الله قلنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا فقال قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان * قال الحليمي ومعناه المحتاج اليه بالاطلاق الله فان سيد الناس انما هو رأسهم الذي يرجعون اليه وبأمره يعملون وعن رأيه يصدرون ومن قوته يستمدون الى آخره فهذا دليل على اطلاقه على الله ودليل اطلاقه على غيره سواء كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما في هذا الحديث أو غيره كقوله تعالى وألفيا سيدها لدا الباب فهذا يدل على اطلاقه على الله وعلى غيره مطلقا وهو القول الاصح وحكي عن مالك امتناع اطلاقه على الله تعالى ويطلق على غيره وهو القول الثاني والثالث انه لا يطلق الا على الله لحديث السيد الله بالحصر والرابع انه اذا عرف بالالف واللام اختص بالله كما ذكره الدماميني في أول شرح التسهيل وهو انه اذا أطلق على الله فمعناه المحتاج اليه في جميع الامور واذا أطلق على غيره فمعناه الرئيس الذي يتبعه قومه كما فصله في شرح أسماء الله الحسنى وقد ورد في الحديث النهي عن تسميته سيدا وهو اما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم أو المراد نهيه عن سيادة دنيوية فلا منافاة بينه وبين هذا وأما في الصلاة فاختلف في الافضل فيها هل هو صلى الله على سيدنا محمد أو على محمد ولابن حجر كلام فيه في الفتاوى سيأتي في محله والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره والمراد سيد آدم وولده ولذا عقبه بقوله (وأفضل الناس منزلة عند الله) واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الناس علم انه أفضل الثقلين ولا حاجة الى أن يقال ان الناس يطلق على ما يشمل الجن وان ذهب اليه بعض اللغويين في قوله تعالى قل أعوذ برب الناس وقالوا قوله تعالى من الجنة والناس بيان له والعرب تقول ناس من الجن وذهب السبكي في فتاويه الى انه يطلق على ما قابل الجن وعلى ما يشملهما وانه على الاول أصله أناس من الانس وعلى الثاني من نوس فالناس الاول غير الثاني وهو كلام حسن (وأعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج وهي مواطئ السلم ما يعلو وذكره بعد المنزلة فيه لطف لان علو المراقي يقتضي زيادة علو المنازل (وأقربهم زلفى) أي قربى وهو كجد جده وقيل هو اسم أقيم مقام المصدر المؤكد فهو في معنى أقربهم تقريبا وليس تمييزا كمنزلة ودرجة (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على خلاف القياس قيل ولا يناسب ان يكون جمع احدوثة لانها تختص بالمضحكات والشرور وربما تستعمل في الخير أيضا كقوله

من الخفرات البيض ود جليسها * اذا ما انقضت احدوثة أو تعيدها

وقول القاضي في سورة المؤمنين في قوله تعالى وجعلناهم أحاديث ان أحاديث اسم جمع للحديث وقد شرطوا فيه ان لا يكون على وزن مختص بالجمع أو يغلب فيه وصيغة منتهى الجموع لا توجد في المفردات يدفع بما في الكشف من ان اسم الجمع يطلق بمعنى آخر وهو ما كان على خلاف القياس كما نقل في ليال انه اسم جمع وقد علمت ان الحديث ما يضاف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم من اقواله وافعاله وتقريراته وصفاته وسائر أحواله في منامه ويقظته (الواردة في ذلك) أي في عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم (كثيرة جدا) بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة وهو مفعول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الامثال وهو مؤكد لما قبله أي متناه في الكثرة وأصله من الجد بمعنى الاجتهاد لان المراد انه

أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكرم البشر) لما في الترمذي والدارمي أنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر كذا ذكره الدلجي وكأنه ذهب وهمه الى ان اللام في الاولين والآخرين للعهد أو للجنس المراد بهم البشر والاظهر ان اللام للاستغراق وانه أكرم الخلائق بالاتفاق ولا عبرة بخلاف المعتزلة وأرباب الشقاق (وسيد ولد آدم) لحديث الترمذي انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن دونه الا تحت لوائي وانا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر (وأفضل الناس منزلة عند الله) أي مرتبة ومكانة (وأعلاهم درجة) أي أرفعهم قربة (وأقربهم زلفى) أي تقربا وأكثرهم حبا لكونه حبيب رب العالمين (واعلم ان الاحاديث) جمع حديث على غير قياس (الواردة في ذلك) أي في بيان ما ذكر (كثيرة جدا) بكسر جيم وتشديد دال منصوب منون مصدر والمراد به المبالغة في الكثرة

(وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها) أى مشتهرها الشامل لحسنها دون ضعيفها لعدم اقتضاء الاقتصار (وحصرنا معانى ما ورد منها فى اثنى عشر فصلا) أى تفاؤلا باثنى عشر نقيبا

الفصل الاول (فيما ورد من ذكر مكانته) أى قرب منزلته (عند ربه والاصطفاء) أى اجتبائه فى رفعة مرتبته (ورفعة الذكر) أى بين خليقته (والتفضيل) أى وبيان زيادة فضيلته (وسيادة ولد آدم) أى وسيادته لابناء جنسه المكرم على غيره (وما خصه) أى الله (به فى الدنيا من مزايا الرتب) أى من الرتب الدالة على مزيته (وبركة اسمه الطيب) أى الدال على طيب مسماه من ذاته وصفاته (حدثنا) وفى نسخة أخبرنا (الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد الملقب بالعدل) بفتح العين وسكون الدال التميمى مات عام احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) أى بعبارته دون اشارته (حدثنا أبو الحسن الفرغانى) بفتح أوله منسوب الى فرغانة ناحية بالمشرق قال التلمسانى هو على بن عبد الله المقرى (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر ابن يعقوب عن أبيها حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بالتصغير وقال التلمسانى هو بفتح العين وكسر القاف ابن المهتدى المرادى اللؤلوى (عن يحيى وهو ابن اسماعيل عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وبعد الالف نون ثم ياء نسبة حافظ كوفى روى عن شريك وخلق وعنه أبو حاتم وابن أبى الدنيا والبغوى وطائفة وثقه يحيى بن معين وغيره وأما أحمد فقد كان يكذب جهارا وقال النسائى ضعيف كذا ذكره الحلبى وغايته ان الحديث بهذا الاسناد ضعيف لكن يتقوى بما رواه الطبرانى والبيهقى كما نقله الدلجى فلا يضر قول الحلبى هذا الحديث ليس فى الكتب الستة (حدثنا قيس) قال الحلبى الظاهر انه أبو محمد قيس بن الربيع الكوفى روى عنه أبو نعيم وغيره اختلف فى توثيقه (عن الاعمش) هو امام جليل (عن عباية) بفتح مهملة فموحدة فالف بعدها تحتية وقيل بهمزة فهاء وأصلها لباس فيه خطوط سود (ابن ربعى) بكسر راء وسكون موحدة فمهملة بعدها ياء نسبة روى عن على وعنه موسى بن طريف وكلاهما من غلاة الشيعة له عن على أناقيم الناس (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق) أى من الثقلين (قسمين) بكسر أوله أى شقيا وسعيدا او فاضلا وأفضل كما ذكره الدلجى مقدما على ما اخترنا

تقديرية

اجتهد فى كثرته وبولغ فيها (وقد اقتصرنا منها) أى من تلك الاحاديث الكثيرة (على صحيحها) الصالح للاعتماد عليه والاحتجاج به (ومنتشرها) أى مشهورها (وحصرنا) من حصر الكل فى أجزائه لا الكلى فى جزئياته (معانى ما ورد منها فى اثنى عشر فصلا) فيه مسامحة لان الفصول اسم للالفاظ وهى مغايرة المعانى فتحتاج لتقدير مضاف فى الاول أو الثانى

(الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه) المكانة كالمنزلة علو قدره ويجوز ان يكون من التمكن وهو الثبوت كما يقال له مكنة وتمكن من السلطان أى قرب (والاصطفاء) أى اختياره صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره وتقديمه (والتفضيل وسيادة ولد آدم) كامر (وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب) جمع مزية بزنة عطية وهى الفضيلة التى تقدمه على غيره وفى شرح المفتاح انه لافعل له ويخالفه ما فى الاساس من انه يقال تمزيت عليه كامر وفسرها الشريشى بالتمام والكمال (وبركة اسمه الطيب) أى كونه يتبرك باسمه المشهور وهو أحمد ومحمد والطيب صفة لا بدل لان الطيب ليس من أسمائه المشهورة وهذا اشارة لما ورد فى الحديث كل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة على فهو أبتر أى ممحوق البركة ذكره السخاوى فى شرح الفية الحديث وقال هو وان كان ضعيفا لكنه يذكر فى الفضائل (أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل) لقب به وهو امام حافظ تميمى توفى سنه احدى وخمسمائة (اذنا بلفظه) أراد بالاذن الاجازة بروايته عنه وقال بلفظه لانه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كامر وهذا جائز قال (حدثنا أبو الحسين الفرغانى) بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة بما وراء النهر وهو الامام على ابن عبد الله المقرى ووقع فى بعض النسخ الحسن والاصح الاول قال (حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر بن يعقوب عن أبيها) قال (حدثنا حاتم وهو ابن عقيل) بفتح العين وكسر القاف وهو ابن المهتدى ابن المرارى اللؤلوى المشهور (عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى) بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وألف ونون وياء نسبة وهو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون أبو زكريا الكوفى وهو ثقة وضعفه بعضهم وقال انه كذاب وله ترجمة فى الميزان قال (حدثنا قيس) بن الربيع أبو محمد الكوفى اختلفوا فيه أيضا فقيل ثقة وقيل ضعيف وأخرج له أصحاب السنن توفى سنة خمس أو سبع أو ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان (عن الاعمش) سليمان بن مهران تقدمت ترجمته (عن عباية بن الربعى) بفتح العين وآخره ياء ويقال عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء والربعى بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة هو من غلاة الشيعة وله ترجمة فى الميزان (عن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما وهذا الحديث رواه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين) قيل هذه قسمة

(فجعلنى من خيرهم قسما) أى من قسم السادة التى هى أرباب السعادة كما يدل عليه قوله (فذلك) أى جعلهم قسمين يؤذن به (قوله تعالى وأصحاب اليمين) أى السعادة فى أنواع من النعيم المقيم (وأصحاب الشمال) أى الشقاوة فى أصناف من عذاب الجحيم فقيل سموا بهما لاخذهم كتبهم بايمانهم وشمائلهم أو لانهم أصحاب اليمن والشأمة على أنفسهم (فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين)

وقد أغرب الدلجى حيث قال بعد قوله فجعلنى من خيرهم قسما وهم العرب بشهادة فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين (ثم جعل) أى الله سبحانه وتعالى (القسمين) أى المذكورين فى اثناء السورة المراد بهما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال (اثلاثا) أى ثلاثة أصناف فى آخر السورة بجعل القسم الاول الذين هم أرباب السعادة صنفين كما سيأتى لا اثلاثا متفاوتين شقاوة وسعادة كما ذكره الدلجى اذ لم يذكر تفاوت أرباب الشقاوة فى هذه الصورة أصلا وان كانوا متفاوتين فى الدركات كما ان أهل الجنة متفاوتون فى الدرجات (فجعلنى من خيرها ثلثا) وهم المقربون (وذلك) أى جعلهما اثلاثا يؤذن به (قوله تعالى فاصحاب الميمنة) أى المنزلة السعيدة (وأصحاب المشئمة) أى المنزلة الشقية (والسابقون السابقون) أى فى مرتبة القربة العلية (فانا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل) أى من العرب وغيرهم (فجعلنى من خيرها قبيلة) وهم العرب وابعد الانطاكى حيث قال هم قريش (وذلك) أى جعلها قبائل يشير اليه (قوله) أى بعد قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى (وجعلناكم شعوبا) جمع شعب بالفتح لا بالكسر كما توهم بعضهم فانه طريق بين الجبلين وأما بالفتح فما تتشعب منه القبيلة (وقبائل لتعارفوا الآية) تمامها ان أكرمكم عند الله أتقاكم ثم الشعب جمع عظيم ينسب الى أصل واحد وهو يجمع القبائل

تقديرية فى علم الله تعالى وقيل حقيقية كما بينه فى قوله (فجعلنى من خيرهم قسما) منصوب على التمييز أى من القسم الذى هو خير يعنى أصحاب اليمين المشار اليهم فى قوله (فذلك) التقسيم ما تضمنه (قوله أصحاب اليمين وأصحاب الشمال) لا العرب كما توهم لقوله (فانا من أصحاب اليمين) من تبعيضية أو ابتدائية (وأنا خير أصحاب اليمين) أى أكرمهم وأفضلهم (ثم جعل القسمين اثلاثا) أى جعل مجموع القسمين ثلاثة أقسام لا كل قسم منهما كما يتبادر الى الذهن (فجعلنى فى خيرها ثلثا) وقيل أصحاب اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وأصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار أو هم الذين كانوا عن يمين آدم والذين كانوا عن شماله فى عالم الذر أو الذين أخذوا من شقه الايمن والايسر أو من أعطى كتابه بيمينه وشماله أو الذين رآهم فى الاسراء عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وشماله (وذلك) أى التقسيم الثلاثى ما بينه (قوله فاصحاب الميمنة) أى اليمين أو اليمن على انه مصدر ميمى وهم بعض السعداء غير السابقين لئلا يتداخل الاقسام (وأصحاب المشئمة) هى كالميسرة بمعنى الشمال لان العرب تقول لليد الشمال شومى ومنه الشام لانها عن شمال الكعبة فى قول أو الشامة (والسابقون) وفى بعض النسخ والسابقون السابقون بالتكرير كما فى الآية ولا بد من تغايرهما ليفيد الحمل فهو اما كقوله * أنا أبو النجم وشعرى شعرى * أى الذين عرفوا بكمال السبق أو الاول بمعنى السابقين للايمان والطاعة والثانى بمعنى السابقين الى الجنة ونعيمها وهو أحد التفاسير وقيل هم الذين اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لانفسهم وقيل السابقون للصلوات أو التوبة وقيل هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فانا من السابقين وأنا خير السابقين) فهو من أعلى الاقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم ومن هذا القسم الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهو أفضل من كل واحد منهم ومن مجموعهم كما تقدم (ثم جعل الاثلاث قبائل) أى جعل كل ثلث أو مجموعها وهذا أظهر والقبائل جمع قبيلة وهم بنو أب واحد والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا (فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وتعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية) والشعوب جمع شعب بالكسر وقيل انما هو بالفتح والذى بالكسر طريق بين جبلين واختلف فى تقسيم الناس فقيل الشعب أكثر من القبيلة وبعدها الفصيل ثم العشيرة ثم الذرية ثم العترة ثم الاسرة وهذا مخصوص بالعرب وقيل هم ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة فالشعب الطبقة الاولى وبعدها القبيلة ثم العمارة بكسر العين المهملة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة بالصاد المهملة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فمضر شعب وكنانة قبيلة وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعبد المطلب والعباس فصيلة وقد تطلق القبيلة على ما دونها تجوزا ولما لم يكن فى الآية ما يؤذن بشرف الفصيلة فى نفسها فان الشرف انما هو بالفضيلة لا بالفصيلة ولكن شرف الاصل

(فانا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر) أى ولا أقوله افتخارا به ولا تحدثا بنعمة الله لامر الله تعالى ولا فخر لى بذلك لانه ليس من قبلى ولا بقوتى وحولى بل من فضل الله وتوفيقه من أجلى أو ولا فخر لى بهذا المقام بل افتخارى بقرب ربى الذى هو غاية المرام (ثم جعل القبائل) أى قبائل العرب (بيوتا) أى بطونا وافخاذا وفضائل متفاوتة فى الشرف والفضائل من قريش وغيرهم (فجعلنى من خيرها بيتا) وهو بيت بنى هاشم من بطن قريش (فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى وسخ الشرك ودنس المعصية (أهل) البيت نصبه على المدح أو النداء وهذا معنى ثالث لاهل البيت على ما قرر فى محله (ويطهركم) أى من الاخلاق الدنية (تطهيرا) أى مبالغا بحيث يسرع فى تبديلها بتنوير الامور الدينية المشتملة على الاحوال الدنيوية والاخروية (الآية) كذا فى بعض النسخ وهو ليس فى محله لانه آخر الآية وما بعدها ليس له تعلق بما قبلها فمحله اللائق به بعد قوله أهل البيت كما فى نسخة صحيحة وأما تخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما بحديث ادخالهم فى كسائه ثم قراءته هذه الاية واحتجاجهم بها على عصمتهم وكون اجماعهم حجة فضعيف لمنافاة التخصيص ما قبل الآية وما بعدها نعم الحديث قاض بانهم أهل البيت وخواصهم لا بانه ليس غيرهم منهم (وعن أبى سلمة) أى ابن عبد الرحمن بن عوف أحد الفقهاء السبعة عند الاكثر (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الترمذى وصححه (قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أى فى أى زمان ثبتت لك مرتبة النبوة (قال وآدم بين الروح والجسد) جملة حالية وردت جوابا لقولهم متى وجبت أى وجبت لى فى الحالة التى كان آدم فيها بين تصوير جسمه وبين اجراء روحه فى بدنه وفى الحديث ايماء الى ان الغايات والكمالات سابقة شهودا لاحقة وجودا هذا وفى حديث أحمد انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته

يستلزمه غالبا قال (فانا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر) جملة حالية أى لا أقول هذا تفاخرا ومباهاة وتعظما وانما هو تحدث بنعم الله وبيانا للامة ما يجب عليهم اعتقاده توقيرا واحتراما له وانما نلته بتكريم ربى وفضله وكل مؤمن تقى كريم على الله وكل فاجر شقى هين على الله وقال عيسى عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون أكرم الناس فليتق الله ويقال هو أكرم عند الله وعلى الله لكونه بمعنى أعز المعتدى بعلى حملاله على نظيره (ثم جعل القبائل بيوتا فجعلنى من خيرها بيتا) بيوت بضم الباء الموحدة وكسرها جمع بيت وهو المنزل والمسكن والظاهر ان المراد بالبيوت هنا الفخذ أو الفصيلة لا البطن كما قيل والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف كما فى قوله

ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول

وعلى الاصول والاقارب كما يقال هو بيت علم أى من قوم علم وفى اضافته للمكان اثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى (وذلك) أى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم من خير بيت وأشرفه ما دل عليه (قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وهذا يدل على ما فسرنا به البيت والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى والتطهير ترشيح للمعاصى وما استعير لها لانها تلوث الاعراض وأهل البيت والآل الاقرباء وقول الشيعة انهم على وفاطمة والسبطان وهم أهل الكساء رضى الله تعالى عنهم وادعاؤهم عصمتهم وان اجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه السياق وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير اعراضهم من دنس المعاصى وهو أجل النعم وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه اطلاقه فى مقام المدح والتعبير بالاذهاب والازالة بالكلية وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب ونصب أهل البيت على المدح والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير وتأكيده بالمصدر وسيأتى تتمة لهذا (وعن أبى سلمة) هو ابن عبد الرحمن بن عوف أحد الفقهاء السبعة كما تقدم (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر على الاصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه وقال انه حسن غريب (قال قالوا) أى بعض الصحابة رضى الله عنهم (يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أى فى أى زمان ثبتت لك اذ لا يجب على الله شئ (قال وآدم بين الروح والجسد) الجسد والبدن والجسم بمعنى وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية أى ثبتت لى فى هذه الحال وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها انى عبد الله لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته ومنها متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد وفى رواية بين الماء والطين وقال ابن تيمية والزركشى وغيرهما حديث كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين لا أصل لهما يعنى بهذا اللفظ * قلت ليس معناه انه موضوع كما توهم فانه رواية بالمعنى وهى جائزة لانه بمعنى الحديث السابق ومعنى منجدل ساقط على الجدالة وهى الارض وليس المعنى انه كان نبيا فى علم الله كما قيل لانه لا يختص به بل ان الله خلق روحه قبل سائر الارواح وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة اعلاما

للملائكة

للملأ الاعلى به واذا كانت النبوة صفة لروحه علم انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد موته نبي رسول ولا يضر انقطاع الاحكام والوحي وقد اكمل دينه وانكار ذلك جهل فاحفظه فانه نفيس جدا وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى خلق نوره قبل ان يخلق آدم عليه الصلاة والسلام باربعة عشر ألف عام كما رواه ابن القطان وفي رواية تسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه وهذا يؤيد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مرسل للملائكة كغيرهم فهذا صريح في ان نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ظهرت في الوجود العيني قبل نبوة آدم وغيره وان الملائكة لم تعرف نبيا قبله وانه صلى الله تعالى عليه وسلم النبي المطلق وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام خلفاؤه والشرائع شريعته ظهرت على لسان كل نبي بقدر استعداد أهل زمانه فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أول الانبياء وآخرهم ولا يمكن ان يجري على شريعته قلم فسخ ولا يكتب على نسخه رسالة حواشي زيادة كما قيل

* ابدا حديثي ليس بالمنسوخ الا في الدفاتر * وقيل انه صلى الله تعالى عليه وسلم سابق على سائر الانبياء روحا لما مر وجسدا لان مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم خلقت قبل سائر المواد لما روى ابن الجوزي في الوفاء عن كعب الاحبار انه تعالى لما أراد ان يخلق محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أمر جبريل عليه الصلاة والسلام ان يأتيه بالطينة البيضاء فهبط في ملأ من ملائكة الفردوس وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة فعجنت بماء التسنيم في معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي والسموات والارض حتى عرفته الملائكة قبل ان تعرف آدم عليه الصلاة والسلام أي عرفت روحه وعنصره والبنية في هذا الحديث الظاهر ان المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد أي لا روح ولا جسد كما صرح به في الرواية السابقة لا آدم ولا ماء ولا طين لانك اذا قلت مسكني بين البصرة والكوفة علم انه ليس بهما فاريد به لازم معناه بطريق الكناية وليس المراد انه قريب منهما كما يقال لون بين البياض والحمرة ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل وليس معنى بين الماء والطين انه لم يكن ماء صرفا ولا طينا صرفا النبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق اليه ولله الحمد (وعن واثلة بن الاسقع) بمثلثة ولام والاسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابي الجليل القدر من أهل الصفة أسلم رضي الله تعالى عنه ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجه لتبوك فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وشهد مشاهد الشام وتوفي بدمشق سنة خمس أوست وثمانين وله ثمانون سنة ويكنى أبا محمد وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته وهذا الحديث رواه مسلم وقد تقدم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) أي اصطفى ابراهيم عليه الصلاة والسلام واختاره من الانبياء لشرفه واصطفى من ولده أي من أولاده اسمعيل عليه الصلاة والسلام فهو أفضل من اسحق (واصطفى) أي اختار (من ولد اسمعيل بني كنانة) وهم أربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها قال الشاعر صاح في العاشقين بالكنانة * رشا في الجفون منه كنانة

(واصطفى من بني كنانة قريشا) وهو النضر بن كنانة وقيل قريش بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وتقدم سبب تسميته قريشا (واصطفى من قريش بني هاشم) ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب فبنوه مصطفون من قريش (واصطفاني من بني هاشم) بن عبد المطلب (ومن حديث أنس رضي الله تعالى عنه) ابن مالك بن النضر خادم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ودعا له واحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدا وتوفي سنة ثلاث وتسعين وقد جاوز عمره المائة وهذا الحديث والذي بعده أخرجهما الترمذي (أنا أكرم ولد آدم) أي أعزهم وأشرفهم وتقدم ان لفظ ولد يطلق على الواحد المذكر وغيره

(وعن واثلة) بالمثلثة (ابن الاسقع) وكان من أصحاب الصفة أسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتجهز لغزوة تبوك وخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين توفي بدمشق وله مائة سنة وقد روى مسلم وغيره عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل) كذا في النسخ المصححة ووقع في اصل الدلجي زيادة ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل الحديث وقال انما اعاده هنا لزيادة صدره (واصطفى من ولد اسمعيل كنانة) بكسر الكاف (واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث أنس رضي الله تعالى عنه) أي الذي رواه الترمذي وصدره انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا احبسوا وانا مبشرهم اذا آيسوا الكرامة والمفاتيح بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي و(أنا أكرم ولد آدم

على ربى ولافخر) زاد الدارمى يطوف على ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور (وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى الذى رواه الترمذى والدارمى وصدره جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعهم يتذاكرون قال بعضهم ان الله تخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر عيسى كلمة الله وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجى الله وهو كذلك وعيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولافخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولافخر وانا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولافخر وانا أول من يحرك حلق الجنة فيدخلنيها ومعى فقراء المهاجرين ولافخر و (أنا أكرم الاولين والآخرين) أى على الله كما فى رواية (ولافخر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه البيهقى وأبو نعيم والطبرانى (أتانى جبريل فقال قلبت) بتخفيف اللام وتشديدها وهو أبلغ أى فتشت وتفحصت وقيل نظرت ورأيت (مشارق الارض ومغاربها) أى بجميع اطرافها وجوانبها (فلم أر رجلا أفضل من محمد) عدل الى الغيبة مصرحا باسمه المفيد للمبالغة الدالة على كثرة صفاته الحميدة وسماته السعيدة (ولم أر بنى أب) أى أهل بيت (أفضل من بنى هاشم وعن انس رضى الله تعالى عنه) كما فى الصحيح (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى أتى بالبراق) أى جىء به وسبق بيان مبناه ومعناه (ليلة أسرى به) بصيغة المجهول (فاستصعب) أى البراق (عليه) أى عند ارادة ركوبه (فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا) فيه ايماء الى ان هذا كان دأبه لغيره كما يشير اليه تقديم المتعلق على فعله والهمزة للانكار استصعابه كما علله بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا) بتشديد الضاد المعجمة أى سال عرقه من شدة ما اعتراه من الهيبة والحياء (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن أبى عمر العدنى (لما خلق الله آدم اهبطنى) أى من الجنة حال كونى (فى صلبه) بضم أوله وقدم التلمسانى فتحه (الى الارض) يعنى وهكذا ينقلنى من صلب كريم الى رحم طاهر بعد

(على ربى ولافخر) تقدم معناه (وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولافخر) قيل قال فيما مر فى حديث أنس ومن حديث أنس وهنا وفى حديث ابن عباس اشارة الى ان الاول بعض حديث طويل وهذا حديث مستقل وفيه نظر (وعن عائشة رضى الله عنها) كما رواه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل مسندا (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (أتانى جبريل) لم يذكر ما أتاه لاجله لان قوله (فقال قلبت) بتشديد اللام بمعنى فتشت وليس المراد به قلبها ظهرا لبطن لم يذكر فيه انه أوحى اليه بهذا (مشارق الارض ومغاربها) جمع مشرق وهو الجهة التى تطلع منها الشمس وجمع مغرب وهو مقابله وجمعهما الان للشمس فى كل زمان مشرق أو تشرق بعده من درجة غيره وكذلك المغرب واذا أفردا فباعتبار الجهة واذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى ولذا ورد فى القرآن بالوجوه الثلاثة كما بيناه فى حواشى البيضاوى واختار الجمع هنا لانه أنسب للعموم والمراد انه فحص عن جميع أهل الارض مشرقا ومغربا ونظر أحوالهم كمالا ونقصا (فلم أر رجلا أفضل من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) الظاهر ان رأى علمية ونفى الافضلية يدل على نفى المساواة أيضا كما بيناه سابقا (ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته فهو خيار من خيار (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) فى الحديث الحسن الذى رواه الترمذى وقد تقدم (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أتى بالبراق) مبنى للمجهول أى أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام به ليركبه للاسراء وقدمر ان البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل سمى به للمعانه وبريقه أو لسرعته كالبرق الخاطف (ليلة أسرى به) ظرف أتى وهى ليلة سبع عشرة رمضان أو سبع وعشرى رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم بخمس سنين أو بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه (فاستصعب عليه) أى لم ينقد له وامتنع منه لبعد عهده بركوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لطول زمن الفترة أو لسبب آخر لقول جبريل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك مسست الصفراء أى الذهب أو صنم أصفر فقال انما مررت عليه فقلت تبا لمن يعبدك من دون الله (فقال له) أى للبراق (جبريل عليه الصلاة والسلام أبمحمد تفعل هذا) الاستصعاب وقدم متعلق الفعل أى أتفعله به دون غيره والاستفهام انكارى بينه بقوله (فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفض عرقا) أى سال عرقه كما مر بيانه (وعن ابن عباس رضى الله عنهما) رواه ابن الجوزى فى الوفاء وأبو نعيم فى الدلائل وقال السيوطى رواه ابن عمر والعدنى فى مسنده (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه الى الارض) يعنى ان الله خلق نوره صلى الله تعالى عليه وسلم وعنصره

(وجعلنى فى صلب نوح) فى السفينة (وقذف بى) أى القانى (فى النار فى صلب ابراهيم) أى حين ألقاه نمرود فيها وقد وقع فى أصل الدلجى حتى مكان الواو العاطفة فى جعلنى وقذف وهو مخالف للاصول المعتمدة والنسخ المصححة (ثم لم يزل ينقلنى) أى يحولنى (فى الاصلاب الكريمة) كذا فى النسخ بالفظ فى ولعله بمعنى من الملائم لقوله (الى الارحام الطاهرة) جمع رحم وهو هنا مقر الولد من المرأة كما ان الصلب مقر المنى من الرجل (ثم) وفى نسخة صحيحة حتى (أخرجنى) أى أظهرنى (بين أبوى) أى فيما بينهما لقوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب (لم يلتقيا) أى لم يجتمعا فى جماع (على سفاح) بكسر السين أى على حال غير نكاح (قط) أى لا حين شهودى ولا قبل وجودى (والى هذا) أى هذا المعنى وهو نفى السفاح فى المبنى (أشار العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه) وفى أصل التلمسانى عمه من العمومة وهو بدل من العباس (بقوله) أى فيه كما فى نسخة أى فى حقه وفى أخرى فيه بقوله (من قبلها) أى قبل الدنيا أو الولادة من غير ذكر لها كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب أى الشمس وكل من عليها فان أى الارض وانا أنزلناه أى القرآن واما رجع الضمير الى النبوة كما ذكره الدلجى وغيره فغير مناسب لمقام المرام نعم لو وضع الرسالة موضعها لوقع فى الجملة موقعها وقيل من قبل نزولك الارض (طبت فى الظلال) أى فى ظلال الجنة قال التلمسانى ثبت بخط القاضى الظلال وروى العزفى طبت فى الجنان (وفى مستودع) بفتح الدال كما فى قوله تعالى فمستقر ومستودع أى طبت فى مستودع من صلب آدم بقوله (حيث يخصف الورق) بصيغة المجهول وهو مستفاد من قوله تعالى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة والمعنى تضم بعضه الى بعض ويلصق ورقة فوق أخرى (ثم هبطت البلاد) أى من الجنة الى الدنيا فى صلب آدم (لا بشر

الذى عجن بالتسنيم وهو ألطف شئ فاودعه فى صلب آدم واهبطه فيه كما مر ثم نقله منه بوسائط (وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة) فكان ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وباسم الله مجريها ومرسيها (وقذف بى فى النار فى صلب ابراهيم) فكانت بردا وسلاما ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وفى المكررة هنا ابدالان الاول بدل منه أولانه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله كلما رزقوا منها من ثمرة فينزل ذلك منزلة التغاير فلا يرد عليه انه لا يتعدى عامل بحرفى جر بمعنى (ولم يزل ينقلنى فى الاصلاب الكريمة) الشريفة (الى الارحام الطاهرة) من دنس الزنا ونكاح الجاهلية وفيه كلام تقدم (حتى أخرجنى) الى الدنيا اذ خلقنى (بين أبوى) يعنى أباه عبد الله الذبيح وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واختلف فى زمن موتهما فقيل مات أبوه وأمه حاملة به وقيل فى المهد وقيل وهو ابن شهرين وقيل ابن سنتين ومات عند أخواله بنى النجار وماتت أمه وقد بلغ سنه خمسا أو ستا أو سبعا أو اثنى عشر على اختلاف فيه (لم يلتقيا على سفاح قط) جملة حالية والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد أو عقد جاهلى وهذا علمه صلى الله تعالى عليه وسلم بالوحى أو لعلمه باخبار الجاهلية لا بالالهام كما توهم (والى هذا) المذكور فى الحديث بجملته (أشار) عمه (العباس رضى الله عنه ابن عبد المطلب بقوله) فيه يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الشعر رواه الطبرانى وصاحب الغيلانيات وفى الزاهر لابن قتيبة ان العباس أتى اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال أريد ان أمدحك فانشده هذه الابيات فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا يفضض الله فاك أو لا يفضى الله فاك وكان ذلك لما رجع صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك

(من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق)

أى من قبل هذه النشأة أو الدنيا وقيل قبل النبوة أو قبل الولادة أو قبل كل ذلك فاعاد الضمير على غير مذكور لعلمه من السياق والجار متعلق بطبت وقدم لافادة ان طيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط وطبت أى تطهرت من الادناس البشرية لطيب عنصره صلى الله تعالى عليه وسلم والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام قبل ان هبط وليس المراد به المتعارف الذى تنسخه الشمس اذ لا شمس فى الجنة ولا قمر وقد ورد فى الحديث ظل الجنة سجسج أى لا حر فيه ولا برد بل المراد الكن والمقر وهو كما فى قولهم انا فى ظل فلان أى فى حمايته ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان آدم وحوا من الجنة كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة كأنه وداعة فيه وفيه ايماء الى اخراجه منه للارض أو اراد به الرحم وكان أبو عبيدة يقول فى قوله تعالى مستقر ومستودع المستقر الصلب والمستودع الرحم وخصف الورق الصاق بعضه ببعض ومنه الخصاف ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم عليه الصلاة والسلام قبل ان يعلم الحياكة فلما أهبط الى الهند تفتت الورق الذى عليه قيل ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات فاوحى الله اليه صنعة النسج واتخذ الثياب للسترة (ثم هبطت البلاد لا بشر *

أنت ولا مضغة ولا علق) أى والحال انك لم تكن حينئذ واحدا منها والمضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم والعلق اسم جنس مفرده علقة وهى قطعة من دم جامد ورتب بينها فى التنزيل للترقى وهنا للتدلى ولذا قال (بل نطفة تركب السفين وقد) أى بل نزلت وانت فى صلبه نطفة ثم صرت الى نوح حال كونك تركب السفينة وانما أتى بلفظ الجمع لكبره أو هو اسم جنس وان صرح صاحب الصحاح بانه جمع لما فيه من المسامحة أو لعدم الفرق بينهما عند بعض أهل اللغة وقيل جمع للتعظيم أو لضرورة الوزن واما ماروى حجة بدل نطفة فلا يلائم مقام المرام ثم قال تحقيق فى قوله (الجم نسرا وأهله الغرق) بفتحتين أى منعهم من الكلام وظهور المرام وهو ماخوذ من اللجام وفى قوله نسرا اشارة الى قوله تعالى حكاية عن قوم نوح ولاتذرن ودا ولاسواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد روى انه كان لآدم عليه السلام بنون خمسة يسمون بهذه الاسماء وكانوا عبادا فماتوا فحزن أهل عصرهم عليهم فصور لهم ابليس اللعين مثالهم من صفر ونحاس ليتأنسوا بهم فكرهوها فى القبلة فجعلوها فى مؤخر المسجد فلما هلك ذلك العصر قال اللعين لاولادهم هذه آلهة آبائكم فاعبدوها ثم ان الطوفان دفنها فاخرجها اللعين للعرب فكان ود لكلب بدومة الجندل وسواع لهذيل بساحل البحر ويغوث لغطيف من مراد ويعوق لهمدان ونسر لذى الكلاع من حمير ثم احدثوا للاصنام اسماء أخر (تنقل من صالب الى رحم) بصيغة المفعول وصالب بكسر اللام وفتحها لغة فى الصلب بالضم الا انه قليل الاستعمال كما قاله ابن الاثير (اذا مضى عالم بدا طبق) العالم بفتح اللام والمعنى اذا ذهب قرن ظهر قرن وقيل للقرن طبق لانه طبق الارض بكسر الطاء أى ملؤها ثم ينقرضون ويأتى طبق آخر ومنه طبقات المشايخ وغيرهم وقد قيل الطبق الجماعة من الناس ويرجع معناه الى الاول فتامل وزيد فى بعض النسخ أبيات أخر

احتوى

ويدل على صحة وجودها كلام بعض المحشين فى بيان الفاظ ورودها وهو قوله (ثم احتوى) أى اجتمع وانضم وفى أصل الدلجى حتى احتوى فهى غاية لما دل عليه البيت قبله أى منتقلا من صلب الى رحم قرنا فقرنا الى ان احتوى (بيتك المهيمن) أى الشاهد (خندف) بكسر الخاء المعجمة وسكون النون وكسر الدال المهملة وقد تفتح بعدها فاء وهو فى الاصل مشية كالهرولة والمراد به امرأة الياس بن مضر سميت بها القبيلة واسمها ليلى وهى القضاعية أم عرب الحجاز فهو غير منصرف قوله (علياء) بفتح العين ممدودة منصوبة أى منزلة علياء مفعول احتوى (تحتها) وفى نسخة دونها (النطق) بضم النون والطاء جمع نطاق قال ابن الاثير وهى اعراض من جبال بعضها فوق بعض أى نواح وأوساط فيها شبهت بالنطق التى يشد بها أوساط الناس ضرب به مثلا له فى ارتفاعه وتوسطه فى عشيرته وجعلهم تحته بمنزلة اوساط الجبال وأراد ببيته شرفه فى عشيرته أو نفسه فى حد ذاته والمهيمن نعته أى حتى احتوى شرفك الشاهد على فضلك أعلى مكان من نسب خندف فان أصل النطق هو الجبل الاشم اذا السحاب لا يبلغ اعلاه

أنت ولا مضغة ولا علق) أى هبطت فى صلب آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة الى الدنيا وهى المراد بالبلاد والهبوط كما قال الراغب الانحدار قهرا وهو متعد وقال تعالى اهبطوا مصرا ولا يحتاج لتأويله بالدخول كما قيل والبلاد وان اختصت بالبنيان فهو باعتبار الاول هنا ولما كان المراد من هبوطه صلى الله تعالى عليه وسلم هبوط نوره قال لا بشر وهى جملة حالية أى فى حال كونك غير جسد كاجساد البشر والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم منجمد من المنى

(بل نطفة تركب السفين وقد * الجم نسرا وأهله الغرق)

النطفة الماء الصافى والمنى فى الاصلاب والسفين جمع سفينة وهى المركب أى فى صلب نوح عليه الصلاة والسلام لما أغرق الله قومه بالطوفان والجم وصل الى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده قوم نوح عليه الصلاة والسلام وهو المراد هنا وأهله قوم نوح والمراد بالغرق الماء المغرق أو هو على ظاهره والجم بمعنى أدرك لان الانسان اذا عم الماء فمه منع من الكلام والسفين المراد به سفينة نوح عليه الصلاة والسلام فان كان مفردا فهو ظاهر والا فهو جمع أريد به واحد تجوزا فلا اشكال فيه كما هو ظاهر (تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق)

الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون ففيه لغات أقلها استعمالا الاصالب كما قاله ابن قتيبة وهو فقار الظهر والرحم مقر الولد من المرأة والعالم المراد به هنا قرن من القرون وبدا بمعنى ظهر ووجد وطبق بمعنى قرن أيضا لانه يطبق وجه الارض أى لا تزال تظهر فى عالم بعد عالم يريد اذا مضى قرن بدا قرن آخر وروى هنا بيت هو

وردت نار الخليل مكتتما * تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتنفا محفوظا فى كنف أو تحيط بك نارها ولست تحترق وروى مكتمنا أى مستترا

(حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق)

وقال القشيرى وغيره أيها المهيمن على ان النداء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله أعلم ثم قيل فى الياس انه موافق اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وصحح السهيلى انه الياس الذى هو ضد الرجاء وأما الياس فجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه يقول لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع فى صلبه تلبية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالحج وهو أول من أهدى البدن الى البيت (وأنت لما ولدت أشرقت الارض ونارت بنورك الافق) وفى نسخة صحيحة وضاءت أى أضاءت وهما لغتان ومنه الضوء أى استنارت بنورك نواحيها (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) بسكون موحدة السبل لغة فى ضمها جمع السبيل وهو مجرور عطف على ما قبله وقوله نخترق بفتح نون فسكون خاء معجمة أى ندخل ونقتحم وقال التلمسانى أى وسبل الرشاد نخترقها بمعنى نقطعها فالسبل منصوب والابيات عن العباس رضى الله تعالى عنه رواه أبو بكر الشافعى والطبرانى عن خريم بن أوس ابن حارثة وذكر هذه الابيات فى الغيلانيات بسنده الى خريم بضم الخاء المعجمة وفتح الراء قال هاجرت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقدمت عليه منصرفه من تبوك فاسلمت فسمعت العباس يقول يارسول الله انى أريد ان امتدحك فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك قال فانشد العباس يقول فذكرها سبعة أبيات آخرها نخترق وكذا قال ابن عبد البر فى استيعابه فى خريم وذكر ابن امام الجوزية فى كتاب هدى فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك نحوه وزاد بعضهم بيتا آخر وجدته بخط أبى على الغسانى وهو

يابرد نار الخليل ياسبب * العصمة اذ ما النار تحترق

أى تحرق (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أبو ذر) كما رواه أحمد والبيهقى والبزار وكان خامسا فى الاسلام روى عنه ابن عباس رضى الله تعالى عنه وعبادة بن الصامت وخلق توفى بالربذة (وابن عمر) كما رواه الطبرانى وأبو نعيم (وابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد وابن أبى شيبة والبزار (وأبو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما أخرجه الشيخان (وجابر بن عبد الله) كما رواه الشيخان والنسائى

احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز والبيت بمعنى الشرف والنسب كما مر والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك أو الامين وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ونون وفاء اسم امرأة الياس بن مضر وهو من الخندفة وهى المشى السريع والعليا العز والشرف وتحتها روى دونها والمنى واحد والنطق بضمتين جمع نطاق وهو ما يشد فى الوسط كالمنطقة استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض وبيتك فاعل احتوى وهو تمثيل لشرفه صلى الله تعالى عليه وسلم أى ان شرفك وعلو نسبك واصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة وقال ابن قتيبة فى هذا البيت أقوال أحدها انه أعلى قومه وهم دونه كالنطاق له والآخر انه يريد العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها أى تحتها العفاف والحسب والثالث ان النطق المتكلمون جمع ناطق أى كل خطيب من العرب فهو دون بلسان قومك من قوله بل هم قوم خصمون انتهى وروى فى هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى وهى

(وأنت لما ولدت اشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النو * ر وسبل الرشاد نخترق
يابرد نار الخليل ياسببا * لعصمة النار وهى تحترق)

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها وضاء يكون لازما ومتعديا والافق الناحية وانث هنا لتأويله بها قال العارف بالله ابن عربى ذهب بعضهم الى ان عالم الاجسام من وقت خلقه لم يزل فى سفر الى ما لا نهاية له فاذا لاح له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى فاذا وصلت اليه لم يلبث ان يخرج منه راحلا فكم سافرت فى اطوارك الى ان تكونت بين أبيك وأمك اذا اجتمعا من أجلك ثم انتقلت الى نطفة وعلقة الى مضغة الى عظم كسى لحما ثم انشئت نشأة أخرى وأخرجت الى الدنيا فتنقلت فى اطوارك من الطفولية والصبا والشباب الى الكهولة والشيوخة الى الهرم ومنه الى البرزخ ثم الى الحشر ثم الى دار القرار انتهى من كتاب الاسفار (وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا الحديث مشهور رواه أبو ذر وغيره وأخرجه أحمد والبزار والبيهقى عن ابن عمر وأخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس وأحمد والبزار وابن أبى شيبة والبيهقى عن أبى هريرة وأخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله فاخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة فى بعض الالفاظ وقد ساقها كلها وذكر رواية كل واحد منهم على حدة الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لاحاديث هذا الكتاب كما رأيته بخطه ولولا خوف الاطالة أوردت كلا منها على حدة والى هذا أشار المصنف بقوله (أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله) بن عمرو ابن حزام الانصارى روى كل واحد من هؤلاء عنه صلى الله تعالى

(انه) أى النبي عليه الصلاة والسلام (قال اعطيت خمسا) أى خمس خصال (وفى بعضها ستا) رواه مسلم عن أبى هريرة فضلت على الانبياء بست فكانه صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى أولا خمسا فحدث بها ثم زيد السادسة فحدث بها مع انه لا يلزم استيفاؤها حيث ما بينها بل قد يكتفى بالحالة اللائقة ببعضها لاسيما والعدد لا مفهوم له حتى عند القائل به (لم يعطهن نبى قبلى) وفى رواية جابر لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى (نصرت بالرعب) بسكون العين وضمها أى الفزع والخوف بالقاء الله تعالى اياه فى قلوب الاعداء عمن كانت المسافة بينه وبينهم (مسيرة شهر) اى قدر سير فى شهر وفى رواية شهر امامى وشهر خلفى (وجعلت لى) أى لاجلى اصالة ولامتى تبعا (الارض) أى جميع وجهها ولا وجه لقول التلمسانى كلها أو مكة وما حولها أو سار أته امته (مسجدا وطهورا) حيث لا يختص جواز الصلاة بمكان دون مكان لامتى بخلاف غيرنا فانه لا صلاة لهم الا فى كنائسهم وبيعهم كما بينه بقوله (فايما رجل من امتى ادركته الصلاة) أى بعد دخول وقتها (فليصل) أى فى ذلك المكان اما بطهارة أصلية ان وجد الماء واما بطهارة خلفية من التراب ان لم يجد الماء كما فهم من قوله طهورا فالتفريع مترتب عليهما وفى بعض النسخ بالواو وفى رواية واظنه مصحفا فايما وما مزيدة فيهما

عليه وسلم (انه قال أعطيت خمسا وفى بعضها) أى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد روايتها (ستا) أى ست خصال وخصائص ولذا حذف التاء مع انه غير لازم اذا لم يذكر المعدود (لم يعطهن نبى قبلى) ولا رسول لان نفى الاعم يستلزم نفى الاخص ولا تنافى بين الروايتين ان قلنا ان مفهوم العدد غير معتبر وان قلنا به فنقول انه صلى الله تعالى عليه وسلم اطلع أولا على بعض خصائصه فاخبر به ثم اطلع على باقيه فاخبر به ثانيا وروى أحد قبلى أى لم يعط واحدة منهن أحد (نصرت بالرعب مسيرة شهر) أى نصرنى الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة وهو شدة الخوف الذى ألقاه الله فى قلوبهم فاذا سمع بى من بينى وبينه مسيرة شهر ارتعد وخاف من غزوى له وانما خص مسافة شهر وان خافه من هو أبعد منه قيل لانه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين من أظهر العداوة له أكثر من ذلك وقد قال ذلك فى غزوة تبوك آخر غزواته وأبعدها فاذكر بيان لما وقع له صلى الله عليه وسلم حال تكلمه فلا ينافى الزيادة وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر أرعب اعداءه وقد وقع هذا البعض خلفائه ومن اتقى الله من امراء الاسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الامم وعليه يحمل رواية لم يعطهن أحدا ونقول ان ذلك لا يتيسر لغيره أو فعل اتباعه كفعله (وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما) وفى رواية وأيما بالواو بدل الفاء (رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل) قال العلامة الزركشى فى أحكام المساجد قال القاضى عياض هذا من خصائص هذه الامة لان قبلنا كانوا لا يصلون الا فى موضع تيقنوا طهارته ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الارض الا ما تيقنا نجاسته وقال القرطبى هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت الانبياء قبله انما أبيحت لهم الصلاة فى مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس وقال المهلب فى شرح البخارى المخصوص به جعل الارض طهورا واما كونها مسجدا فلم يأت فى أثر انها منعت من غيره وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يسيح فى الارض ويصلى حيث أدركته الصلاة فكانه قال جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيرى مسجدا ولم تجعل طهورا انتهى * أقول حاصله انه لو كان كل منهما مخصوصا به وبامته لزمه اشكال وهو ان الانبياء السالفة وأممهم كانت لهم صلاة مفروضة وكانوا يسافرون فلو لم تجز لهم الصلاة الا فى مساجدهم لزمهم اما ترك الصلاة أو عدم صحتها وهو مخالف للظاهر فاجاب عنه بالوجوه المذكورة وهو ان الخاص بهذه الامة مجموع الامرين لا كل واحد منهما أو جعل جميع الارض مسجدا حتى تيقن نجاستها وهم لم تحل لهم الصلاة الا فيما تيقن طهارته وعلى هذا قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة كما فى بعض التفاسير فقوله فايما رجل الى آخره معناه على ظاهره أو ما لم تيقن نجاسته ولك ان تقول انه مخصوص بغير حال السفر والضرورة لان الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة ويؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة وهذا أقرب ثم ان طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء وفى قوله الارض دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع اجزاء الارض ولم يخصه بالتراب وهو المناسب للمقام وان خصه الشافعى رحمه الله تعالى بالتراب لرواية وتربتها طهورا والمطلق يحمل على المقيد وتخصيص الرجل غير مراد لدخول النساء فى هذا الحكم أيضا وانما خصوا بالذكر لانهم الاصل ويعلم النساء بالطريق الاولى ومعنى أدركته الصلاة أدركه وقتها اذا دخل ولا ينافيه أيضا النهى عن الصلاة فى بعض الاماكن لثبوت المنع فيه بدليل آخر والمراد بالارض جميعها الامكنة وما حولها ولا مار أى به مسجدا أو محلا للصلاة وقوله فايما الى آخره لدفع توهم انه مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم

(وأحلت لي الغنائم ولم تحل) بصيغة المجهول وفي نسخة بصيغة المعلوم (لنبي قبلي) أي فضلا عن أمته بل كانوا يجمعونها في موضع فتنزل نار من السماء فتحرقها (وبعثت الى الناس) أي الانس والجن ولعل اقتصاره ايماء الى الاكتفاء ثم المراد بالناس مؤمنهم وكافرهم ولذا قال (كافة) وفي رواية كافة عامة وفي رواية جابر قبله وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وفي رواية لمسلم وبعثت الى الخلق كافة فلا يرد ان نوحا عليه الصلاة والسلام بعد خروجه من الفلك كان مبعوثا الى جميع أهل الارض لان هذا العموم في رسالته لم يكن في أصل البعثة وانما وقع لاجل حدوث الحادثة وهي انحصار الخلق في الموجودين معه بخلاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في عموم رسالته في أصل بعثته وشمول دعوته (وأعطيت الشفاعة) وفي رواية عدها ذا رابعا واللام فيها للعهد اذ المراد بها الشفاعة العظمى في المقام المحمود وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات أخر يحتمل اختصاص بعضها به منها في جماعة يدخلون الجنة بغير حساب ومنها في أناس استحقوا دخول النار فلا يدخلونها ومنها في أناس دخلوا النار فيخرجون منها ومنها في رفع درجات أناس في الجنة ومنها شفاعته لمن مات بالمدينة ومنها شفاعته لمن صبر على لأوائها ومنها شفاعته لفتح باب الجنة كما رواه مسلم ومنها شفاعته لمن زاره عليه الصلاة والسلام لما روى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن عمر مرفوعا من زار قبري وجبت له شفاعتي ومنها شفاعته لمن أجاب المؤذن وصلى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لما في الصحيحين من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم حلت له شفاعتي ومنها تخفيف العذاب عمن استحق الخلود فيها كما في حق أبي طالب لقوله ولعله تنفعه شفاعتي ولقوله ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار قال القرطبي في تذكرته في الجواب عن الآية ما نصه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة وقال الحلبي انها شفاعة بالحال لا بالمقال فبسببه صلى الله تعالى عليه وسلم يخفف عن أبي طالب أي لانه يطلبها وهو لا يخلو عن الاحتمال فلا يكفي لدفع الاشكال بخلاف ما سبق من جواب السؤال والله تعالى أعلم بالاحوال (وفي رواية أخرى) أي عن أبي ذر (بدل هذه الكلمة) وهي قوله أعطيت الشفاعة

وسلم وحده (وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة وروي بضم التاء وفتح الحاء وكان من قبله صلى الله تعالى عليه وسلم من الانبياء منهم من لم يؤذن له في الجهاد فلم تكن له مغانم ومنهم من اذن له فيه ولم يؤذن له في الاكل منها فكانت الغنائم تجمع في محل فتأتي النار من السماء فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه وكانت في صدر الاسلام تحل له صلى الله تعالى عليه وسلم فقط ثم أمر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء والغنائم جمع غنيمة ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه والفيء ما حصل منهم بدون ذلك (وبعثت) بالبناء للمجهول بمعنى أرسلت وطوى ذكر الفاعل للعلم به أي أرسلني الله (الى الناس كافة) المراد بالناس جميعهم أو ما يشمل الانس والجن كما مر وروي الى الخلق كافة وكافة حال بمعنى جميعا وفي ارساله صلى الله تعالى عليه وسلم للملائكة كلام سيأتي وعموم البعثة مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم بالاحاديث الصحيحة ومر انه لا يرد عليه ان نوحا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا لاهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا العموم لم يكن في أصل بعثته وانما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق الموجودين على ان ارساله عليه الصلاة والسلام انما كان لقومه ولم يأت ما يدل على عموم رسالته وأما دعاؤه على جميع أهل الارض واهلاكهم فلا يدل على ذلك لجواز ان يرسل غيره في مدته ولم يؤمنوا به فلذا دعا عليهم قال ابن حجر هذا جواب حسن الا أنه لم ينقل انه نبي في زمنه غيره ويحتمل ان خصوصيته ببقاء شريعته الى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها ويحتمل انه دعا الناس للتوحيد فاشركوا واستحقوا العقاب والدعوة للتوحيد يجوز ان تعم وان كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد وأشار اليه ابن عطية في سورة هود وانه لم يكن في عهده غير قومه وأولاده كآدم عليه الصلاة والسلام فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر (وأعطيت الشفاعه) اللام اما للعهد فالمراد الشفاعة العظمى في فصل القضاء لاهل الموقف أجمعين بعد مراجعة سائر الانبياء واظهارهم العجز فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع وتقبل شفاعته وهو المقام الاعلى أو هي للاستغراق كانت الرجل أي الشفاعة الكاملة وله صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات كثيرة شاركه في بعضها بعض الانبياء كشفاعته في قوم يدخلون الجنة بغير حساب وهذه مخصوصة به وشفاعته في قوم استحقوا دخول النار فلا يدخلونها وفي بعض أهل النار فيخرجون منها وفي تخفيف عذاب بعض أهل النار كأبي طالب وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لأوائها وشفاعته لمن صلى عليه بعد الاذان وغير ذلك مما ورد في الاحاديث الصحيحة (وفي رواية بدل هذه الكلمة) أراد بالكلمة قوله وأعطيت الشفاعة وسماها كلمة لانها كلمة لغوية وهي تطلق على

(وقيـل لى سل تعطه) بصـيغة المفعول فهاء السكت وفى نسخة بالضمير (وفى رواية أخرى) أى للبزار والبيهقى رحمهما الله تعالى (وعرض على أمتى فلم يخف) أى لم يكتم (على التابع من المتبوع) أى فى الخير والشر وقيل المراد بالتابع الوضيع الذى يقتدى بغيره وبالمتبوع الشريف الذى يقتـدى به ويرجـع الى قوله (وفى رواية) أى عـن أبى ذر رضى الله تعالى عنـه (بعثت الى الاحمـر والاسـود) وظاهره عمـوم الخلق كماذهب اليه بعضهم وقال بعثت حتى الى الحجر والمـدر والشجر وجميع الكائنات كما بينته فى بعض المقامات (قيل السود) وهو جمـع الاسـود (العـرب لان الغـالب على ألوانهـم الادمة) بضم الهمزة أى السمرة الشديدة (فهم من السودان) فى الجملة (والحمر) بضم فسكون جمـع الاحمـر (العجم) أى لان الغـالب عـلى ألوانهــم الشـقرة مع البيـاض وكأنه أراد بالعجم الفرس ومـن يشـاركهم فى هذا المعنى من الـترك بنـاء على الاطـلاق العرفى وأما المقـابل للعرب بحسب الوضع اللغوى فلا يلائم المقـام لدخول الهنـود والسـنود والحبـوش والسـودان وغـيرهم معهم (وقيـل البيض والسـود من الامم) أى على الوجه الاعم وهو فى افادة التعميم أتم (وقيل الحمر الانس) أى لنورهم وظهورهم (والسود الجن) لاجتنانهم وتسترهم (وفى الحديث الآخر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان

(نصرت

الحمل وفى نسخة الكلمات (وقيل لى سل تعطه) أى قال الله أو حـذف الفاعل للعلم به وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه ولم يلتزمها أحد من الرسـل فقال أنا لها وخر تحت العرش ساجدا فقال له الله ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع وفيه كمال الادب اذ لم يسأل حتى اذن له فى السؤال وأمره وهذا فى القيامة ويحتمل انه اشارة الى ما فى الاسراء كما سيأتى فى حديث ابن وهب وأصـل سل اسئل خفف بنقل حركة الهمزة واسقاطها واسقاط همزة الوصل وفى حذف المفعول عموم كرم أى سل كل ما تريد تعط أكثر مما تسال وتعط مجزوم فى جواب الامر والهاء للسكت أو ضمير عائد على مقدر (وفى رواية أخرى وعرض على أمتى فلم يخف على التابـع من المتبوع) أى الشريف والوضيـع ويحتمل ان الله عرض عليه صلى الله تعالى عليـه وسلم بالوحى تفصيل أحوالهم وذواتهم وصفاتهم وسائر تصرفاتهم فى زمنهم أو انه أبرزهم له حقيقة فوجاؤا جماعة متلبسين بأعمالهم على وجه لانقف على حقيقته وذكر العراقى فى شرح المهذب انه صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم عرضت عليه الخلائق من لدن آدم الى قيام الساعة فعرفهم كلهم كما علم آدم الاسماء كلها وروى الطبرانى انه صلى الله تعـالى عليه وسـلم قال ان الله تعالى قد رفع لى الدنيا فانا أنظر اليها والى ماهو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر الى كفى هذه وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن وما يكون فيها مطول ذكره العراقى قال فيه ماترك فيه شيأ الاسماه باسمه واسم أبيه وقبيلته الى يوم القيامة ومنـه أخذ الجفر والجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على رضى الله تعالى عنه وان توقف بعضهم فى صحته كما ذكره ابن خلدون فى أول تاريخه (وفى رواية بعثت الى الاحمر والاسود) أى الى جميـع النـاس أو جميـع الجن كما يكنى عـن مثـله بالعرب والعجم أى الى كل فرد فرد والمقصود عموم رسالته صلى الله عليه وسلم للجن والانس وفيه رد على من زعم من أهل الكتاب ان بعثته صلى الله تعـالى عليه وسلم مخصوصة بالعرب كالعيسوية لانه يعود بالنقض عليهم اذ يقال لهـم اذا اعترفتم بنبوته صلى الله تعالى عليـه وسـلم وجب تصديقه فيما قاله وقد صح عنه انه قال بعموم رسالته وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى معناه بقوله (قيل السود) جمع أسود وفى نسخة الاسود (العرب) وهذا مذكور فى الحـديث معنى لان تعريف الاسود ليس للعهـد بل للاستغراق فهو بمعنى السود وبين علته فقال (لان الغالب على ألوانهـم) أى العرب (الادمة) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وهى فى الادميين السمرة وفى الطعـام بيـاض يشوبه سمرة (فهم من السود) أى فهم المقصودون من قوله الاسود الذى بمعنى السود كما عرفته (والحمر) جمـع أحمر وعبر عن الاحمر بالحمر لما مر (العجم) أى المراد بهم فى الحديث العجم والمراد بهم من عدا العرب وقد يخص باهل فارس ولم يعلله لغلبته أى لغلبة لون الحمرة عليهم فاعتبر الغالب لان النـادر لاحكم له لان القلة أخت العدم ولذا لم يعبر بها عنها (وقيل البيض) جمـع أبيض يعنى قيل المراد بالحمر البيض أى بالاحمر الابيض لان العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء وقال ثعلب العرب لاتقول أبيض من بياض اللون فاذا أرادوه قالوا أحمر والابيض عندهم بمعنى النقى من العيوب قال ابن الاثـير وفيـه نظر فانهـم قـد استـعملوا الابيض فى ألوان النـاس وغـيرهـم وهو اعـتراض وارد وما قيـل من ان مراده انه لايسـتعمل فى محـل اللبس كما هنـا فانه لو قال بعثت الى الابيض انه أريد به السـالم من العيوب لايجـدى نفـعا وكيف يراد المجـاز من غـير قرينـة (وقيـل البيض والسود من الامم وقيـل الحمر الانس والسود الجن) وهـذا مبـنى على ما فى مخيلتهـم من انهـم سود (وفى الحـديث الآخر عن أبى هريرة) الذى رواه البخارى ومسـلم واورده لما فيـه من الزيادة على قوله

(نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلام) أى القرآن العظيم والفرقان الحكيم أو الاحاديث الجامعة والكلمات اللامعة التى مبانيها يسيرة ومعانيها كثيرة ويؤيده مارواه أبو يعلى فى مسنده عن عمر ولفظه أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا (وبينا) أى بين أوقات (أنانائم) أى فى بعضها (اذجى بمفاتيح خزائن الارض) جمع مفتاح وأما مفاتح بدون الياء فجمع مفتح بمعنى مخزن (فوضعت فى يدى) بفتح الدال وتشديد التحتية كذا ضبطه الحفاظ ولعل فى اختيار التثنية اشعار بكثرة المفاتيح والمراد بها ما فتح الله على أمته من الكنوز الحسية والمعنوية لحديث وأتيت مفاتيح الكلم وفى رواية مفاتح الكلم وفى سيرة الكلاعى ان رستم أمير جيش يزدجرد رأى فى منامه وقد جاءهم سعد ابن أبى وقاص من قبل عمر لفتح بلادهم ان ملكا نزل من السماء فاخذ جميع أسلحتهم للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعطاها العمر فكان الفتح والغنيمة والنصر الذى يكاد يفوت الحصر فى عصر عمر (وفى رواية) أى رواها مسلم (عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) هذا وقد روى أحمد فى مسنده عن على كرم الله وجهه مرفوعا أعطيت مالم يعط أحد من الانبياء قبلى نصرت بالرعب وأعطيت مفاتيح الارض وسميت أحمد وجعل لى التراب طهورا وجعلت أمتى خير الامم ثم اعلم ان له خصوصيات أخر كاعطاء الآيات من خواتيم سورة البقرة والمفصل من القرآن وجعل صفوف أمته كصفوف الملائكة وغير ذلك مما يحتاج الى تاليف مستقل لبيان تفصيل ما هنالك (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) صحابى جهنى مضرى (انه قال عليه الصلاة والسلام) كما رواه الشيخان (انى فرط لكم) وأما ما وقع فى أصل الدلجى من قوله أنا فرطكم فليس فى الاصول المعتمدة

(نصرت بالرعب) قوله (وأوتيت جوامع الكلام) جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل والكلام اسم جنس جمعى للكلمة لاجمع ولا اسم جمع على الاصح وهو من اضافة الصفة للموصوف وفسرت بالقرآن لما فى جمعه من المعانى فى ألفاظه الموجزة وقيل المراد به كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع وفى نسخة (وخواتمه) فقيل هى بمعنى الجوامع وقيل التى ختم بها الكلام فلا يأتى بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له (وبينا أنانائم) أصله بين فاشبعت فتحتها حتى صارت ألفا وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة ويجىء بعدها اذ كقوله (اذجىء) بالبناء للمجهول أى جاءنى ملك أرسله الله واذ للمفاجأة وهو جواب لها أو يغلب بعدها كقوله

استقدر الله خيرا وأرضين به * فبينما العسر اذ دارت مياسير

وقد تخلو عنها كقولك بينا أنا جالس دخل على عمرو وهى مضافة لجملة أنانائم وقيل مضاف لمحذوف تقديره بين أوقات النوم موجود كما فصله أهل العربية (بمفاتيح خزائن الارض فوضعت فى يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف أو بالتخفيف مفرده ومفاتيح جمع مفتاح وهو آلة يفتح بها الاقفال معروفة والخزائن جمع خزينة أو خزانة وهى ما يدخر فيه المال والامور النفيسة لتحفظها والمراد ما فى الارض من الكنوز والاموال فاما ان يكون رأى فى رؤيا نومه ملك الرؤيا وضع فى يده مفاتيح حقيقة وقال له هذه مفاتيح خزائن الارض أرسلها الله اليك ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى يقع بعينها تارة وتعبر بما يحكيها أخرى وظاهر تعبيره ان أمته تملك الارض و يجبى لهم أموالها وفى المواهب اللدنية انها خزائن من أجناس العالم بقدر ما يطلبون فان الاسم لالهى لا يعطيه الا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لا يعلمها الا هو فالمراد ان الله خصه بتمكين أمته من الارض ويحتمل ان الملك أخبره وقال له ذلك فيكون استعارة لما مر والقول بان المراد العناصر وما يتولد منها وانه لم يقبل ذلك تعسف و كونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله ياباه عده خاصية له بل قبله فان عطاء الكريم لا يليق رده ولكنه ادخره لامته (وفى رواية) لمسلم (عنه) أى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (وختم بى النبيون) أى جعلنى خاتمهم وآخرهم حتى لا يبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام ومجيئه آخر الزمان لانه يجىء على انه من أمته أيضا وأما الخضر فعلى تقدير نبوته معناه فلم ينبأ بعده وفى هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ شريعته ولا يطول مكث أمته فى الثرى واشارة الى ان دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج الى ملة أخرى * (تتمة) * وما روى من قوله لا نبوة بعدى الا ما شاء الله الاستثناء لا يقتضى وقوع مشيئته على فرض صحته والمنفى النبوة لا النبى فيحتمل ان الذى تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لانها جزء من أجزاء النبوة (وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) وهو أبو أسد أو أبو حماد أو أبو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل توفى بمصر سنة ثمان وخمسين وهذا الحديث رواه الشيخان وأبو داود والنسائى (انه قال) عقبة (قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض) الفرط بفتحتين والفارط الذى يتقدم القوم ليهيئ لهم فى منازل أسفارهم الماء والكلأ ونحوه مما يحتاجون له ويقال رجل فرط وقوم فرط أيضا وفى الدعاء للطفل الميت اللهم اجعله فرطا أى أجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يسقى

والنسخ المعتبرة والمعنى أنامتقدمكم وفرط صدق لكم وأصل الفرط الذى يتقدم لطلب الماء بالحبل والرشاء وأسباب ضرب الخباء (وأنا شهيد عليكم) أى بالثناء الجميل والوفاء الجزيل (وانى والله لانظر الى حوضى) أى والى من يشرب منه ومن يذب عنه فى الموقف والمحشر (الآن) أى فى هذا الحاضر من الزمان (وانى قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض) يعنى عرضت على فلم أقبلها لعدم الالتفات الى الدنيا والتوجه الكلى الى الآخرة والاقبال القلبى الى المولى والعلم بان الآخرة خير من الاولى وبان الجمع بينهما على وجه الكمال من جملة المحال كما يدنه حديث من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى كما رواه أحمد والحاكم عن أبى موسى ويؤيد ما قررناه من المراد ٢١٠ بمفاتيح الارض هنا بخلاف ما سبق من ان المراد بها ما يسره الله عليه وعلى أمته من فتح البلاد واتساع العباد مع انه لا يبعد أيضا عن المراد قوله (وانى والله ما أخاف عليكم ان تشركوا بعدى) أى جميعكم (ولكنى أخاف) أى عليكم كما فى نسخة صحيحة (ان تنافسوا) بفتح أوله على انه حذف احدى التائين منه أى ترغبوا (فيها) أى فى الدنيا الدنيئة الخسيسة كما يرغب فى الاشياء الغالية العالية النفيسة فهو ماخوذ من ميل النفس الى النفيس ومنه قوله تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومنه اقتباس امامنا الشاطبى رحمه الله تعالى بقوله (عليك بها ما عشت فيها منافسا * وبع نفسك الدنيا بانفاسها العلا) * وأغرب الحلبى كغيره فى رجع ضمير فيها الى خزائن الارض نعم ذكر المفاتيح سابقا يدل على كون الضمير للدنيا الاحقا نحو قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة لدلالة الناس أو الدابة على الارض مع ان قرينة المقام كافية فى تعيين المرام (وعن عبد الله بن عمرو) بالواو وفى نسخة بتركها وقد رواه أحمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا محمد النبى الامى) أى المنسوب الى أم القرى وهى مكة أو الى أمة العرب لكون غالبهم أميين لا يقرؤن ولا يكتبون أو المضاف الى الام بمعنى انى على أصل ولادتى وجبلتى من غير قراءتى وكتابتى وذلك شرف له وعيب فى غيره وهذا المعنى هو الاولى بالمدعى كما أفاد صاحب البردة هذه الزبدة بقوله * كفاك بالعلم فى الامى معجزة * وقد قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

ابن

منه عطاش أمته يوم القيامة وعلى متعلقة بفرط أو حال من الضمير فيه لانه صفة مشبهة وهل الحوض الكوثر أو غيره اختلف فيه وعلا ئه أوان كالنجوم وفى الحديث بلاغة بديعة اذ المراد ان موته صلى الله عليه وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة هى سبب دخولهم الجنة وأجر عظيم فشبههم بقوم مسافرين وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم والفرط من سبق للماء كما مر فذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة وان متاع الدنيا قليل فهم على أثره صلى الله تعالى عليه وسلم وارد من جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظما بعدها (وأنا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا أى يوم القيامة فان الله تعالى يسال الرسل هل بلغتم فيقولون نعم فيقول لاممهم هل بلغوكم فيقولون ما أتانا من نذير فيقول للرسل من يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيشهدون بتبليغهم وهذا هو قوله لتكونوا شهداء على الناس ويشهد لهم صلى الله عليه وسلم بصدقهم ويزكيهم على ما مر بيانه وهذه شهادة لهم لكنه عداها بعلى حثا على الطاعة لانه رقيب عليهم ومهيمن (وانى والله لانظر الى حوضى الآن) أى أشاهده الآن لان الجنة والنار موجودتان الآن وتاكيده بان والقسم يقتضى انها رؤية بصرية حقيقية لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته وليس بطريق الكشف ونحوه وفى هذا بيان لما مر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال انه فرط على الحوض حقق ذلك بانه مشاهد له لاشبهة فيه والآن مبنى على الفتح ولا يستعمل الا بالالف واللام (وانى قد أعطيت مفاتح خزائن الارض) تقدم قريبا بيانه (وانى والله ما أخاف عليكم) الصحابة أو معاشر الامة (ان تشركوا بعدى) أى من ان تكفروا بعد موتى فمن مقدرة لانها تحذف هنا قياسا مطردا لان من ذاق حلاوة الايمان لا يرجع عنها (ولكنى أخاف عليكم ان تنافسوا فيها) أى فى الدنيا أى أخاف عليكم من رغبتكم فى نفائس الدنيا وانهماككم فى تحصيلها حتى يؤديكم ذلك الى الهلاك وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى وهذا تنبيه لهم على انهم لا تلهيهم الخزائن عن المعاد (وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما) كما رواه عنه الامام أحمد بسند حسن (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا محمد النبى الامى) هو الذى لا يقرأ ولا يكتب نسب لامه لانه كان على حاله يوم ولدته أمه أو الى أم القرى لان الكتابة كانت عزيزة فى أهلها أو الى أمة العرب وهذه الصفة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من أجل النعم عليه وأعظمها اذ أعطاه علم الاولين والآخرين وحفظه هذا الكتاب الذى لم يعادله كتاب وهو لا يقرأ ولا يكتب ولم يدارس ولم يلاق أحدا له شغل بذلك * (تنبيه) * كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أميا من معجزاته الشريفة الباهرة كما تقدم مبسوطا غير مرة وأشار اليه الابوصيرى رحمه الله تعالى فى قوله

كفاك بالعلم فى الامى معجزة وهذا كان فى أول أمره الا ان بعضهم ذهب الى انه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم وهو معجزة أخرى الا ان الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى وقال

(لانبي بعدي) أي وان وجد أحد يكون تابعا له (وأتيت جوامع الكلم) أي مع كوني أميا (وخواتمه) قيل هو بمعنى جوامع أي ختم
على بان أجمع المعنى الكثير في المبنى اليسير أو المراد بخواتمه انه لا يكون بعده وجود ختمه احتياج الى غيره وهو المناسب

ابن عربي في سراج المريدين رحل أبو الوليد الباجي وأبعد رحلته فلما عاد قرأ البخاري وقال في درسه انه صلى الله عليه وسلم في الحديبية محى الكتاب وكتب بيده ألا ترى انه قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن الكتابة فكتب هذا ما قاضى الى آخره فابتدر رجل مغربي وصاح في المجلس انه زنديق الا ان الامير كان متفننا فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا انه كفر فاستظهر الباجي بالحجة عليهم وقال ان هؤلاء جهلة فاكتب الى علماء الآفاق فكتب الى علماء افريقية وصقلية فجاءت الاجوبة بتصديق الباجي الى آخر ما فصله ورأيت في بعض الكتب انه مما يدل على ذلك انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه طول السنات وقوله تعالى ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فقوله من قبله يدل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك كان يكتب نادرا ما عرفه وقوله (لانبي بعدي) تقدم بيانه (أوتيت جوامع الكلم وخواتمه) تقدم معناه ولفظه وانما كرره هنا ليبين انه مع كونه أميا أوتي ما لم يؤته أحد ممن أفنى عمره في القراءة والكتابة (وعلمت) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة أو بفتحها وتخفيف اللام (خزنة النار) جمع خازن ككتبة وكاتب وهم الملائكة الموكلون بها (وحملة العرش) جمع حامل وهم الملائكة يعني انه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ما لم يعلمه غيره بمشاهدته لهم ألا ترى ما ورد في الاحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم وبيان هيآتهم مما كان له رأى عين وحملة العرش اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز (وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما) كما رواه أحمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) أي القيامة سميت ساعة لانها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التي هي جزء من أجزاء الزمان وقال الراغب لسرعة الحساب فيها كما قال تعالى وهو أسرع الحاسبين أو لما نبه عليه بقوله تعالى كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقيل الساعات التي هي القيامة ثلاث ساعات الكبرى وهي بعث الناس للحساب والوسطى وهي موت أهل القرن الواحد والصغرى وهي موت كل انسان وقد وردت الساعة بهذه المعاني في الحديث والمراد هنا الاولى والمراد بكونه صلى الله عليه وسلم بين يديها انه قريب منها ففيه استعارة مكنية وفي الحديث أنا والساعة كهاتين يشير بالوسطى والسبابة وفيه اشارة الى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم نسخه ولاجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى (ومن رواية ابن وهب) من تبعيضية أتى بها اشارة الى انه بعض من حديث الاسراء الطويل الذي رواه البيهقي في الدلائل وغيره عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وابن وهب هو عبد الله أبو محمد بن وهب بن مسلم الفهري المصري أحد الاعلام في الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير وروى عنه خلق كثير وكان أفقه من ابن القاسم وطلب للقضاء فتجنن وانقطع الى ان مات سنة سبع وتسعين ومائة والجار والمجرور خبر مقدم لقوله (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال قال الله تعالى) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة في الاسراء كما يدل عليه سياق الحديث (سل يا محمد) حذف أحد مفعوليه للتعميم أي كل ما تريده والآخر للعلم به فانه لا مسؤل سواه ولدلالة قوله (فقلت ما اسأل يارب) عليه ورب بكسر الباء وضمها ولم يقل اسألك تأدبا يعني ان جميع الكمالات استودعتها الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فلم يبق ما يختص به حتى يسأله ثم فصل بعض ما أجمله فقال (اتخذت ابراهيم خليلا) أي اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها وسيأتي تحقيقها

لكونه خاتم النبيين (وقد علمت) بضم عين وتشديد لام مكسورة ويجوز تخفيفها مع فتح أوله كما قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم (خزنة النار) أي الملائكة الموكلين عليها وكبيرهم يسمى مالكا مشتق من الملك وهو القوة (وحملة العرش) أي من الملائكة فهم اليوم أربعة ويكونون يومئذ ثمانية كما أخبر الله عنهم لكن على خلاف في تمييز العددين من الصفوف أو الالوف أو الصنوف (وعن ابن عمر) كما روى أحمد بسند حسن (بعثت بين يدي الساعة) أي قدامها وقريبا من وقوعها كما رواه أحمد والشيخان والترمذي عن أنس رضي الله تعالى عنه بعثت أنا والساعة كهاتين (ومنه رواية ابن وهب) هو عبد الله بن وهب المصري أحد الاعلام عن ابن جريج وعنه أحمد وغيره قال يونس بن عبد الاعلى طلب للقضاء فجنن نفسه وانقطع أخرج له الائمة الستة (انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال) أي على ما رواه البيهقي من حديث أسماء في الاسراء حيث أتى سدرة المنتهى (قال الله تعالى سل يا محمد) أي ما شئت (فقلت ما اسأل يارب) أي من المقامات العالية حيث أعطيت جميعها للانبياء الماضية كما بينه بقوله (اتخذت ابراهيم خليلا) أي بقولك واتخذ الله ابراهيم خليلا

(وكلمت موسى تكليما) كما قلت وكلم الله موسى تكليما (واصطفيت نوحا) كما قلت ان الله اصطفى آدم ونوحا (وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى) أى لا يكون (لاحد من بعده) حيث بينته بقولك فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب الآية (فقال الله تعالى ما أعطيتك) أى الذى أعطيتكه (خير من ذلك) أى كله (أعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير وفى النهاية هو نهر فى الجنة وجاء فى التفسير انه القرآن ولعل هذا هو المراد فى هذا المقام ويشير اليه قوله سبحانه وتعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وفيه اشارة الى مرتبة العلم والمعرفة على كل مقام وحال ومرتبة قال ابن عرفة أنظر فى قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر أهو انشاء أم خبر فان قيل الانشاء هنا مستحيل لان كلام الله تعالى قديم أزلى فالجواب انه باعتبار ظهور متعلقه فان قلت فى تعلقه خلاف هل هو قديم أو حادث قلنا التعلق التنجيزى حادث وأما التعلق الصلوحى فيصح هنا كذا ذكره التلمسانى (وجعلت اسمك مع اسمى) أى مقرونا به فى كلمة الشهادة (ينادى به) بصيغة المفعول (فى جوف السماء) أى وقت الاذان والخطبة أو فيما بين أهل السماء (وجعلت الارض طهورا) أى حكميا (لك ولامتك) أى خاصة (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى جميع ما فرط وما يفرط منك مما يصح أن يعاتب عليك (فانت تمشى فى الناس) وفى نسخة بالناس وفى أخرى بين الناس (مغفورا لك) حال من ضمير تمشى (ولم أصنع ذلك) أى غفران ما تقدم وما تأخر ذكره الدلجى والاظهر ان الاشارة الى جميع ما تقدم والله تعالى أعلم وحينئذ لا اشكال فى قوله (لاحد قبلك) بخلاف ما اختاره ودفعه بقوله ولعله من غير الانبياء والافهم كذلك وفيه انهم ليسوا كذلك اذ لم يعلم انهم بشروا بغفران ما تقدم وما تأخر ويؤيده ان غفرانهم مشوب بمخافة المعاتبة بدليل حديث فيأتون نوحا فيقولون ألا تشفع لنا فيقول نفسى نفسى لست لها الحديث (وجعلت قلوب أمتك مصاحفها) فيه منقبة عظيمة لحفاظ القرآن من الامة كما يشير اليه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتنبيه على ان الامم السالفة غالبهم لم يكونوا يحفظون شيأ من صحفهم والادراك

(وكلمت موسى تكليما) أى اصطفيته وفضلته بان كلمته بنفسك بكلامك القديم قبلى فلا يرد انه كلمه أيضا (واصطفيت نوحا) أى فضلته على غيره بان جعلته أول رسول أهلك من عصاه كما قال الله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا فهو أبو البشر وأول الرسل (وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لاحد من بعده) أى لا يتيسر لغيره من الرسل الملوك لتسخير الجن والانس والريح وملك الدنيا كلها بعظمة ألبسته اياها من عظمتك (فقال الله تعالى له) صلى الله عليه وسلم (ما أعطيتك خير من ذلك) كله وهو مبتدأ وخبر بينه بقوله (أعطيتك الكوثر) فوعل من الكثرة وذكر البيضاوى فيه سبعة أقوال أشهرها انه نهر فى الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فى وسط الجنة حصباؤه الدر والياقوت وقيل هو القرآن وقيل النبوة وقيل غير ذلك مما تقدم (وجعلت اسمك مع اسمى) أى مقرونا باسمى فى التشهد والاذان وكلمة الشهادة وغير ذلك ولذا قال (ينادى به فى جوف السماء) أى تنادى الملائكة عليهم الصلاة والسلام باسمى وتصلى عليه لامر الله لهم بذلك أولما رأوا من منزلته صلى الله عليه وسلم وقربه من ربه وكتابته اسمه على ساق العرش وتفسير السماء هنا بالامكنة العالية كمنارة الاذان كما قيل لا وجه له (وجعلت الارض طهورا لك ولامتك) لان الله تعالى شرفها بك فكانت طاهرة مطهرة وهذا من خواص هذه الامة تسهيلا لها وما أحسن قول ابن رشيق القيروانى

سالت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى * حويت الكل انسانا حبيبا

وقد تقدم هذا الحديث بشرحه (وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى لو صدر كان مغفورا فلا ينافى هذا عصمته صلى الله عليه وسلم أو المراد بالذنب التقصير وان لم يكن صغيرة ولا كبيرة واعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تشريفا وتطمينا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال العز بن عبد السلام ان هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يقله الله لغيره من الانبياء ولذا قالوا فى الموقف نفسى نفسى والى هذا أشار بقوله (فانت تمشى فى الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لاحد قبلك) فليس المراد باحد غير الانبياء كما قيل (وجعلت قلوب أمتك مصاحفها) أى مننت عليك بان جعلت فى أمتك حفظا لم يكن فى غيرهم من الامم السالفة حتى ان من كان يحفظ التوراة وغيرها من الكتب الالهية افراد معدودون فى كل عصر وحفظة القرآن والحديث من هذه الامة لا يحصون فى كل عصر والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة وجمعه مصاحف ثم خص بالمصحف المكتوب فيها القرآن وقد قيل انه لفظ حدث فى الاسلام وكونه معربا من اللغة الحبشية لا أصل له وهذا تشبيه بليغ أى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن وقيل انه استعارة تصريحية وله وجه وفى رواية صدور بدل قلوب وهذا بناء على ان محل الحفظ

والادراك القلوب واضافته للصدر لانها محله والحكماء يقولون ان محل الحفظ الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ وأهل الشرع والمتكلمون من أهل الاسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع ان كلام الحكماء مضطرب فيها وفى محالها كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح هياكل النور وليس هذا محل تفصيلها (وخبأت) بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة أى أخفيتها وأخرتها الى يوم القيامة (شفاعتك) المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء ونحوها من الشفاعات الخاصة به كما تقدم (ولم أخبأها النبى غيرك) وفى نسخة قبلك وان كان لهم شفاعات غير هذه (وفى حديث آخر رواه حذيفة) بن اليمان العبسى الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى سنة ست وثلاثين وهذا الحديث رواه ابن عساكر فى تاريخه عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (بشرنى يعنى ربه) ولم يذكر الفاعل فى أصل رواية هذا الحديث للعلم به كما فى قوله تعالى حتى توارت بالحجاب (أول من يدخل الجنة) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته (ومعى) ظرف متعلق به و(من امتى) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (سبعون ألفا) خبره (مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب) صفة سبعون أو حال منه أى لا يحاسبون ولا يناقشون بل يؤمر بادخالهم الجنة تكريما لهم وقوله مع كل ألف سبعون ألفا جعلهم معهم لانهم اتباعهم وذراريهم وقوله وليس الى آخره صفة للالف الثانية فيعلم منه عدم محاسبة الاولى بالطريق الاولى وفى البخارى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته فخاض الصحابة فى هؤلاء فقيل لعلهم الذين صحبوه وقيل لعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا الى غير ذلك فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة رضى الله عنه فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلنى منهم فقال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل ذلك فقال عليه السلام سبقك بها عكاشة وفى الحديث أيضا وعدنى ربى ان يدخل الجنة من امتى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربى رواه ابن أبى شيبة والطبرانى وقد حسب باقى الحديث فبلغ أربعمائة ألف ألف وسبعمائة ألف وفى هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم فى حادى الارواح (وأعطانى ان لا تجوع أمتى) أى ان لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم فلا ينافيه ما وقع فى بعض الازمنة فى بعض الاقطار بخصوصها اذ لم يعم ولم يستمر (ولا تغلب) بضم المثناة الفوقية أى الامة جميعها أو تستمر مغلوبيتها أو هذا مشروط بالطاعة فاذا بدلوا وغيروا خرجوا عن اضافة التشريف بقوله وقد شاهدنا فى بعض السنين واليه الاشارة بقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم (واعطانى النصر) أى على من يعادينى ولو مع قلة العدد وفى بدء الامر (والعز) أى الغلبة والقوة عليهم (والرعب يسعى بين يدى أمتى شهرا) قيل شهرا مفعول مطلق لا ظرف أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا وهذا من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وخواص امته وخص هذه المسافة لانها أبعد مسافة أعدائه الموجودة فى زمانه كما مر وبهذا علم ان قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب وكون هذا له صلى الله عليه وسلم ولامته فيه احتمال غفلة عن هذا الحديث وفى قوله يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه وفيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة

ولم يهزم عداه جيوش جنده * وجيش الرعب قد هزم القلوبا
ولو ثبتوا لفر الهام منهم * وارواح وما عرفوا الهروبا

(وخبأت لك شفاعتك) أى ادخرتها عندى لليوم الموعود والمقام المحمود وهى الشفاعة العظمى لفصل القضاء حين يفزع الناس حتى الانبياء (ولم أخبأها النبى غيرك) بل أوفيت اجابة دعواتهم فى الدنيا فلم يبق لهم حينئذ شفاعة شاملة فى العقبى (وفى حديث آخر رواه حذيفة) كما فى تاريخ ابن عساكر مرفوعا (بشرنى يعنى ربى) تفسير من المصنف أو من قبله (أول من يدخل الجنة معى) أى بقرب زمانى لا آنى (من أمتى) أى من الصحابة والتابعين وغيرهم (سبعون ألفا) أى اصالة (مع كل ألف سبعون ألفا) تبعا فى العلم والعبادة (ليس عليهم حساب) فلا يكون لجميعهم عذاب ولا حجاب وروى سبعمائة ألف مع كل واحد سبعمائة ألف ذكره التلمسانى (وأعطانى ان لا تجوع أمتى) أى جوعا شديدا بجدب وقحط بحيث يهلك جميعهم (ولا تغلب) بصيغة المجهول أى ولن تغلب بعد ويستأصلهم أى يأخذهم من أصلهم لحديث انى سألت ربى لامتى ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم الحديث (وأعطانى نصرة) أى الاعانة على الاعداء (والعزة) أى القوة والغلبة والمنعة (والرعب) أى الخوف مع بعد المسافة كما بينه بقوله (يسعى بين يدى امتى) أى يتقدم الرعب لاعدائى قدامهم (شهرا) يعنى وكذا من خلفهم شهر لما تقدم وفيه تنبيه نبيه ان الرعب غير مخصوص بحضرته بل يوجد فى عموم أمته

رطيب) بفتح التحتية المشددة أى وأحل (لى ولامتى الغنائم) جمع غنيمة ووقع فى أصل الدلجى المغانم جمع مغنم وهما قريبان فى الدراية وانما الكلام فى صحة الرواية (وأحل لنا) أى بخصوصنا على وجه يعمنا (كثيرا مما شدد) أى الله تعالى (على من قبلنا) أى بتحريمه عليهم أو بتكليفه لديهم كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال فى الصدقة (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) أى تضييق وهو تعميم بعد تخصيص وتنبيه على ما اباح لنا من الرخص عند الاعذار كالتيمم والقصر والافطار كما بينه بقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقد ورد فى ذلك ان الله رأى ضعفنا وعجزنا (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى بروايه الشيخين (عنه عليه الصلاة والسلام مامن نبى من الانبياء) من الاولى مزيدة وللتاكيد مفيدة والثانية تبعيضية مشيرة الى المبالغة (الا وقد) بالواو (أعطى من الآيات ما) مثله (آمن عليه البشر) ما موصولة أو موصوفة وفى بعض الروايات الصحيحة أو من عليه البشر وكتبه بعضهم أيتمن وروى القاضى أمن من الامان ولا يظهر له وجه فى هذا الشان والمعنى ان الله تعالى أيد كل نبى بعثه من المعجزات بما يصدق دعواه وتقوم به الحجة على من عاداه (وانما كان الذى أوتيته) أى من الآيات المتلوة المشتملة على أنواع من المعجزات من الفصاحة والبلاغة فى المبنى والانباء الواقعة فى الازمنة السابقة واللاحقة فى المعنى الباقية على صفحات الدهر الى يوم القيامة النافعة فى أمور الدنيا واحوال الآخرة مع ما فيها من معرفة الذات والصفات الاسنى والاسماء الحسنى (وحيا) أى وحيا يتلى ومعجزة تدوم وتبقى (أوحى الله الى فارجو) وفى نسخة بالواو ولكن الفاء التفريعية مع افادة التعقيبية هى الاولى والمعنى أتوقع (ان اكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) أى لاستمرار تلك المعجزة بخلاف معجزة سائر الانبياء حيث انقضت فى حال الاحياء وانما أراد بقوله الذى أوتيته معظم ما أعطى من المعجزات المشتملة على أنواع من الانباء والا فقد أعطى معجزات كثيرة من جنس معجزات الانبياء وسياتى

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول أى أحل لقوله حلالا طيبا (لى ولامتى الغنائم) هى شاملة للفىء هنا وقدم منتزعه (وأحل لنا كثيرا مما شدد) فيه (على من قبلنا) من الامم السالفة كقطع الاعضاء والتوبة بقتل النفس وقرض محل النجاسة ووجوب القصاص فى العمد والخطا الى غير ذلك مما ذكروه وتفنن فى العبارة ولم يراع التقابل ولو راعاه قال سهل علينا ما شدد مع انه لو عبر به توهم انه رخصة وليس كذلك على انه قد يقال أحل فيه طباق أو ابهامه للحل الذى هو ضد الشد (ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) أى شدة وضيق وقال علينا الا له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته فوسع عليهم بالرخص كترك القتال لمن له عذر وأكل الميتة للمضطر وقصر الصلاة والتيمم (وعن أبى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم مامن نبى من الانبياء) زاد من وبينه بقوله من الانبياء للتعميم (الا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر) أى كل نبى جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس كعصى موسى عليه الصلاة والسلام واحياء الموتى لعيسى الى غير ذلك مما هو مشهور ماثور مناسب لزمانه الا ان تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره ومضت بمضيه بخلاف أعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فانها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر تتلى وتشاهد بركاتها وتستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى وهى القرآن كما أشار اليه بقوله (وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الله الى) وما نافية ومن صلة لتاكيد النفى وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى ومن الثانية تبعيضية أو بيانية والجار والمجرور صفة نبى وقوله الا وقد أعطى خبره والواو مزيدة فيه لتاكيد الاتصال واللصوق والضمير المستتر فى اعطى مفعوله الاول وما الموصولة أو الموصوفة مفعول ثان ومثله مبتدأ ايضا والجملة بعده خبر له وآمن مضمن معنى غلب ولذا عداه بعلى أو هى بمعنى الباء والضمير المجرور بعلى عائد على ما فالجار والمجرور متعلق بامن أو حال منه أى مغلوبا عليه والمراد بالآيات المعجزات ومفعول أوتيت محذوف أى أوتيته والحصر فى انما ادعائى أو باعتبار الاعظم أو المعظم ووحيا بمعنى كلام موحى به أو قصر افرادى أى أوتيته انا لا غيرى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فليس حصرا حقيقيا بمعنى انه لم يعط غيره اذ المعنى انه ما من معجزة اعطيت لنبى الا اعطيها وزاد عليها بما هو مخلد فى صحائف الدهر يعرف فى كل زمان ولذا رتب عليه قوله (فارجو أن أكون أكثرهم) أى الانبياء عليهم السلام (تابعا يوم القيامة) وذلك لان هذه المعجزة لما كانت باقية الى يوم القيامة وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس لزم أكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره فاذا مات انقطع التحدى بمعجزته وغابت عن الادراك وصارت خبرا كغيره من الاخبار اذ لم يات أحد منهم بمعجزة يدرك بعده اعجازها فاما التوراة وسائر الكتب السماوية فليست بمعجز نظمها ولذا وقع فيها التحريف والتبديل وترجمت بلغات مختلفة

وسيأتى الكلام على الاعجاز مفصلا وقد حقق الله رجاءه والى هذا أشار بقوله (ومعنى هذا الحديث
عند المحققين بقاء معجزته) المذكورة (مابقيت الدنيا) أى مدة بقائها وكون القرآن يرفع فى آخر الزمان
كما ورد فى حديث حذيفة بن اليمان الذى رواه ابن ماجه ان الاسلام يندرس ويرفع كتاب الله فى ليلة حتى
لا يبقى منه فى الارض آية ويبقى ناس يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة كلمة لا اله الا الله فقال له
صلة ماينفعهم هذه وهم لايدرون صلاة ولا صياما ونسكا فقال تنجيهم من النار لاينافيه اما لانه باعتبار
الاكثر والظاهر فانه محقق بقاؤه فى نفس الامر لم ينسخ ولم يبدل وقيل انه زمن يسير بقاؤه كالعدم (وسائر
معجزات الانبياء) أى جميعها (ذهبت للحين) المراد بالحق عقب وقوعها أو انقراض عصره أو المراد
ذهبت بذهابه ولم تبق بعده وبينه بقوله (ولم يشاهدها الا الحاضر لها) بخلاف من أتى بعدهم (ومعجزة
القرآن) أى القرآن المعجز أو المعجزة التى هى القرآن فالاضافة بيانية (يقف عليها) أى يعلم بها او يحيط
بها مجازا لان من وقف على شئ اطلع عليه كما فى الاساس (قرن) فاعل يقف (بعد قرن) أى يطلع عليها
جميع القرون والناس الذى حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها (عيانا) بكسر العين كما مر أى
مشاهدة (لاخبرا) أى لاباخبار غيرهم لهم (الى يوم القيامة) أى الى آخر الزمان وقيام الناس الى المحشر
وهو كناية عن التأبيد والبقاء فى الدنيا (وفيه) أى فى هذا الحديث ومعناه للعلماء (كلام يطول هذا
نخبته) بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة أى مختاره وزبدته قال فى الاساس نخب الشئ
وانتخبه اذا نزعه ومنه الانتخاب الاختيار كانك تنزعه من بين الاشياء وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم
انتهى (وقد بسطنا) أى فصلنا من بسط يده اذا مدها (القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب
المعجزات وعن على رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه وهو موقوف عن
على كرم الله وجهه له حكم الرفع لان مثله لايقال بالرأى وستأتى رواية أبى نعيم له مرفوعا (كل نبى) من
الانبياء (أعطى سبعة نجباء) جمع نجيب وهو الكريم الحسيب ويكون بمعنى الرفيق المعين فى
المهمات والشدائد وهو المراد هنا (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى أربعة عشر نجيبا) أى رفيقا
كاملا شريفا وجعلهم ضعف مالكل نبى مرتين تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم واشارة لكثرة أمته
حتى يحتاج زيادة فى وزرائه والمراد بهؤلاء كما رواه أبو نعيم عن على أيضا رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يكن نبى الا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء وانى قد أعطيت أربعة
عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وأبو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبو ذر
والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وفى رواية بلال انتهى وقد وقع فى تعيينهم اختلاف * أقول وبعد عصره
صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء ومن فسر الاربعة عشر
هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية وقد ورد التصريح بهؤلاء فى احاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة
ومن العجيب ان هذا مع انه متفق عليه بين أهل الشرع والحكماء كما قال صاحب حكمة الاشراق فى
كتابه لابد لله من خليفة فى ارضه وانه قد يكون متصرفا ظاهرا فقط كالسلاطين وباطنا كالاقطاب وقد
يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين كابى بكر وعمر بن عبد العزيز قد أنكره بعض الجهلة فى زماننا قال
ذو النون النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمدة أربعة والغوث
واحد وحكى أبو بكر المطوعى عمن لقى الخضر عليه الصلاة والسلام انه قال له لما قبض رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم شكت الارض الى ربها وقالت الهى وسيدى بقيت لايمشى على نبى الى يوم القيامة

(ومعنى هذا) أى الحديث بجملته (عند المحققين بقاء معجزته) أى الخاصة به وهى الآية الكبرى والنعمة العظمى (مابقيت
الدنيا) أى مدة بقائها
(وسائر معجزات الانبياء)
أى بقيتها (ذهبت للحين)
أى حين وقوعها فى
حياة نبيها (ولم يشاهدها
الا الحاضر لها) أى حال
معاينتها او وقت مشاهدتها
(ومعجزة القرآن) أى
مبنى ومعنى باقية دون كل
معجزة (يقف عليها قرن
بعد قرن) أى جماعة بعد
انقراض جماعة (عيانا)
بكسر العين أى معاينة
(لاخبرا) اذ ليس الخبر
كالمعاينة كما ورد (الى يوم
القيامة) وقد وقع فى أصل
الدلجى يقف عليها عيانا
لاخبرا قرن بعد قرن وهو
مخالف للاصول المصححة
(وفيه) أى فى هذا
الحديث أو فى هذا المعنى
(كلام يطول) أى من
جهة المبنى (هذا نخبته)
أى خلاصته (وقد بسطنا
القول فيه) أى اطنبنا فى
هذا الحديث (وفيما ذكر
فيه) أى فى هذا المعنى
(سوى هذا) أى الكلام
الذى قدمناه (آخر باب
المعجزات) أى فى آخره
لانه المحل الاليق به (وعن
على رضى الله تعالى عنه)
كما رواه ابن ماجه والترمذى
وحسنه (كل نبى أعطى
سبعة) قال الحجازى
ويروى أربعة والظاهر انه تصحيف أووهم (نجباء) أى نقباء فضلاء وزيد
فى رواية وزراء رفقاء (وأعطى نبيكم) عليه السلام (أربعة عشر نجيبا

منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار رضى الله تعالى عنهم) ولفظ الترمذى قلنا من هم قال انا وابناى وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر ومصعب بن عمير وبلال وسلمان وعمار وابن مسعود ولم يذكر ابن عبد البر مصعبا او زاد تكملة لهم حذيفة وأبا ذر والمقداد وقال التلمسانى ذكر أبو نعيم عن على مرفوعا ولفظه لم يكن نبى من الانبياء الا وقد أوتى سبعة نقباء نجباء وزراء وانى قد أعطيت أربعة عشر وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وأبو بكر وعمر وعبد الله بن مسعود وأبو ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان وبلال انتهى وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى النقباء ثلاثمائة والنجباء سبعون والابدال أربعون والاخيار سبعة والعمدة أربعة والغوث واحد وحكى أبو بكر المطوعى عمن رأى الخضر وتكلم معه وقال له اعلم ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما قبض بكت الارض فقالت الهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى الى يوم القيامة فاوحى الله تعالى اليها أجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا أخليك منهم الى يوم القيامة قلت له وكم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات الغوث نقل من الثلاثة واحد وجعل مكان الغوث ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الأربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة هكذا الى يوم ينفخ فى الصور انتهى ولا ينفخ فيه وفى الارض من يقول الله ولا حول ولا قوة الا بالله

فقال الله تعالى لها أجعل على ظهرك من هذه الامة من قلوبهم على قلوب الانبياء لا أخليك منهم فقالت له كم هم قال ثلاثمائة وهم الاولياء وسبعون وهم النجباء وأربعون وهم الاوتاد وعشرة وهم النقباء وسبعة وهم العرفاء وثلاثة وهم المختارون وواحد وهو الغوث فاذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه ونقل من السبعة الى الثلاثة ومن العشرة الى السبعة ومن الاربعين الى العشرة ومن السبعين الى الاربعين ومن الثلاثمائة الى السبعين ومن سائر الخلق الى الثلاثمائة وهكذا الى ان ينفخ فى الصور (منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار) وقد بينا ذلك (وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن أبى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة ومعنى حبس منع وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان (وسلط عليها رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يقل سلطنى اشارة الى انه مامور من الله لاحظ له فى ذلك من نفسه لنزاهته عن الحظوظ والاغراض النفسانية (والمؤمنين) من أمته وجنده (وانها) أى مكة (لاتحل لاحد بعدى) وفى نسخة (من أمتى) وفى نسخة لم بدل لا وفى أخرى لن وفيه اشارة الى ان تحريمها سابق فى علم الله وفى زمن ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه حرمها وجعلها حرما آمنا وكان ذلك اظهارا لما سبق فى علمه وحكمه (وانما أحلت لى ساعة من نهار) أى انما أعلمنى الله بحلها لى وكان حل القتال لى فيها فى ساعة من نهار يوم الفتح وكان ذلك من الصبح وجعله ساعة تقليلا لزمانه لانه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام الى آخره والحرم مثل المسجد فى ذلك وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث وقوله فيه ثم عادت حراما الى يوم القيامة وروى بمعناه من طرق آخر وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم أمره بقتل من لجأ الى الحرم كابن خطل من خصائصه كما روى عن السلف وقيل عليه ان قوله أحلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا ولو كان نسخا استمر فيكون رخصة لانها استباحة مع المانع وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقال قتادة والضحاك انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبآيات أخر فى معناها وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى (وعن العرباض ابن سارية رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه أحمد والبيهقى والحاكم وقال انه صحيح الاسناد

والعرباض

جعلنا الله من خواص المسلمين وحشرنا معهم يوم الدين (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم) كما فى الصحيحين (ان الله قد حبس عن مكة الفيل) أى لما جاء به ابرهة الحبشى فى جيشه لتخريب الكعبة فاهلكهم الله بطير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (وسلط عليها رسوله والمؤمنين) أى أمرهم بالغلبة عليها وأذن لهم بقتال أهلها ففتحوها سنة ثمان من الهجرة (وانها لم تحل) وفى نسخة لا تحل وفى أخرى لن تحل والفعل يحتمل معروفا ومجهولا (لاحد بعدى) أى من بعدى كما وقع فى أصل الدلجى وفيه التفات من الغيبة (وانما احلت لى ساعة من نهار) يعنى فان ترخص أحد بقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا له كما فى الحديث كذا ذكره أكثرهم اجمالا وقال أبو بكر بن العربى فى العارضة أراد بذلك دخوله بغير احرام لاجل القتال لانه أحلت له لاجل القتال ساعة من نهار لان القتال فيها حلال ابدا لو أجيب حتى لو تغلب فيها كفار او بغاة وجب قتالهم فيها بالاجماع انتهى وهو الاقرب الى قواعد مذهبنا والله تعالى أعلم (وعن العرباض) بكسر أوله (ابن سارية) وهو من اكابر الصحابة وأصحاب الصفة سلمى سكن الشام ومات بها

والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة وآخره ضاد معجمة منناه القوى نقل للعلمية وهو من كبار الصحابة أهل الصفة رضى الله تعالى عنهم سكن بحمص من أرض الشام ومات بها سنة خمس وسبعين (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) جملة حالية أو مفعول ثان على الخلاف فى سمع اذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر فى العربية وقدم بيانه (انى عبد الله) وفى رواية انى عبد الله مكتوب (خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية اشارة الى أنها أشرف عنده مما سواه وانه انما نالها بمحض كرم الله وفضله واحتراسا ممن يطريه ان يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام ولذا قال انى عبد الله آتانى الكتاب الآية وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم ومن به كمالهم (وان آدم لمنجدل فى طينته) أى مختلط فى تربته أو ساقط فيها كما تقدم وفى طينته خبر ثان لا ظرف فالمنجدل ثم أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم باول أمره بانه (وعدة أبى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة وفى نسخة دعوة أبى ابراهيم وهى أشهر وأظهر لانه اشارة الى قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولثقته بالله انه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته وجعله نفس الدعوة مبالغة باقامة السبب مقام المسبب لانه دعا ان يجعل من ذريته وذرية اسمعيل رسولا ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا فان الانبياء من ذريته كداود وسليمان ليسوا من ذرية اسمعيل فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وجعله نفس البشارة مبالغة وهى بكسر الباء مصدر كالبشرى وبضمها ما يعطى البشير واسم مصدر بمعنى المبشور ويكون فى الخير والشر اذا أطلقت ثم خصت بالخير وصارت حقيقة ونحو فبشرهم بعذاب أليم تهكم على هذا وعلى الاول هى حقيقة مطلقا أو اذا قيدت وسميت بشارة لتباشيرها فى بشرة الوجه بما يسمى ورد السرور وفى شرح الجامع الصغير الفرعى ان البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب والخبر لان ذلك يغير بشرة الوجه الفرح وهى فى اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقا الا أنه صار فيما ذكر حقيقة والاصل فيه ما فى الحديث من انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال من أراد ان يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأ بقراءة ابن أم عبد فابتدر أبو بكر وعمر ليخبراه بذلك فسبق أبو بكر رضى الله تعالى عنه فكان يقول بشرنى أبو بكر وأخبرنى عمر قال العلامة ابن كمال * فان قلت الخبر الكاذب يغير البشرة أيضا وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه كما لو قال ان دخلت الدار فانت طالق فدخلت ثم خرجت حنث * قلت فى الكاذب لم تتم البشارة فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه فلبس أحدهما ولم يذكر الصدق فى الهداية وفيه قصور ومن ثمه قالوا لو قال لعبيده أيكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر عتق الاول لانه الذى ظهر السرور بخبره دون الثانى وبشرهم بعذاب أليم تهكم ومن هذا علم ان البشارة مشروطة بجهل المخبر اذ البشرة لا تتغير بما علمه قال وفى هذا الحديث دلالة على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل عيسى لم يخبر وا باتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه فقوله فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ان ابن سلام رضى الله تعالى عنه دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام وقال قد علمتما انه تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فيه انه صريح فى بشارة موسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام باسمه الخاص وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح لا يقال اليهود حرفوا التوراة فزال تلك البشارة وصح ان عيسى هو المبشر لانا نقول انما كان هذا بعد عيسى لقوله تعالى مصدقا لما بين يدى من

(قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول انى عبد الله وخاتم النبيين) كذا فى النسخ المعتبرة بالواو العاطفة ووقع فى أصل الدلجى بغير واو فضبطه بالنون بمعنى لديه وهو الموافق لرواية المصابيح وقال وفى رواية انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين ثم الخاتم تكسر تاؤه وتفتح كما قرئ بهما فى السبعة (وان آدم لمنجدل) أى والحال انه لساقط (فى طينته) أو مطروح على الجدالة وهى الارض الصلبة والمراد بطينته خلقته المركبة من الماء والتربة ومنجدل خبر لان والجار خبر ثان (وعدة أبى ابراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال أى وعده بمقتضى دعائه بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ويؤيده ما فى نسخة دعوة أبى ابراهيم وصدر الحديث وسأخبركم ببادئ امرى أو بادئ نبوتى وبعثتى هو عدة ابراهيم وللحاكم وغيره وسانبئكم بتاويل ذلك هو دعوة أبى ابراهيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية (وبشارة عيسى ابن مريم) يعنى قوله تعالى حكاية عنه ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد وزاد الحاكم ورؤيا أمى التى رأت انه خرج من فرجها نور أضاءله قصور الشام وصححه لكن تعقبه الذهبى بان أبا بكر ابن أبى مريم أحد رواة اسناده ضعيف

(وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه البيهقي والدارمي وابن أبي حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل السماء) أي من الملائكة المقربين (وعلى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم) أي أجمعين (قالوا) أي أصحاب ابن عباس (فما فضله على أهل السماء قال ان الله تعالى قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية) أي فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا الآية) وهي ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وفيه بحث لا يخفى اذ قال تعالى له صلى الله عليه وسلم أيضا لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ومع ان القضية فرضية تقديرية والا فعصمة الانبياء والملائكة قطعية ولذا قال الكشاف هذا على سبيل التمثيل مع احاطة علمه سبحانه وتعالى بان لا يكون كما قال تعالى ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون انتهى فلعل مراد الخبر هو انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم كما يفيده قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وانذاره للملائكة قطعي بقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم والله سبحانه وتعالى اعلم (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه الآية) أي ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم (قال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة) أي رسالة عامة (للناس) وقد يقال المراد بالناس عموم الشامل للاولين والآخرين على تقدير وجودهم في المتأخرين كما يستفاد من قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وكما أشار اليه حديث لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وكما يقع بالفعل متابعة عيسى عليه السلام بعد نزوله لشريعته ويكون مفتخرا بكونه من أمته

التوراة فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة في عدم البشارة قبله والا لقال بشارة أخي موسى وكذا قولهم في الخطب المنبرية في التوراة والزبور والانجيل انتهى أقول هذا غير وارد بل غير صحيح من وجهين * الاول ان كونه مبشرا به قبل الانجيل في الكتب السماوية كلها أو جلها مما لا شبهة فيه وقد صنف في ذلك كتابا مستقلا سماه خير البشر بخير البشر الحافظ ابن ظفر ولولا خوف الاطالة أوردت ما فيه هنا * الثاني ان قوله انه مخالف للقرآن والحديث كلام ناشئ من عدم تدبر معنى البشارة والفرق بينها وبين الخبر الصادق فان كل بشارة على ما ورد خبر بلا عكس والبشارة خبر سار بما فيه ينفع المخبر في زمن ما بعيدا أو قريبا كالبشارة بالجنة ولما كان من قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وأمم لم يكن ذلك بشارة لعلمهم بان المخبر لا يدركه بخلاف عيسى فان أمته ومؤمنوهم أدركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كسلمان ونحوه فكان اخباره به بشارة لمن اتبعه منهم وحثا لهم على اتباعه كما أشار اليه قوله من بعدي فلم يخالف النص الا ابن أخت خالته فاعرفه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه البيهقي والدارمي وابن أبي حاتم (قال ان الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل السماء) يعني ملائكة السماء وهم أفضل من ملائكة الارض فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم خلافا للمعتزلة والحليمي من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الانبياء ولم يختلفوا في تفضيلهم على ملائكة الارض كما سيأتي (وعلى الانبياء كلهم) فردا فردا وعلى المجموع فلا وجه لتخصيصه بالاول كما تقدم فتذكره (قالوا) أي الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه (فما فضله على أهل السماء) أي ما سببه ودليله (قال ان الله قال ومن يقل منهم) أي من أهل السماء (اني اله من دونه) أي من يثبت منكم الهية غيره (فذلك) القائل (نجزيه جهنم) تهديدا لمن أشرك منهم وتفظيعا لامر الشرك وتعظيما لتوحيده تعالى (وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم انا فتحنا لك الآية) فجعله مغفورا له غير مؤاخذ بما صدر وما يصدر وأورد عليه انه لا دلالة فيما ذكر على المدعى لانه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم وقد خاطبه بمثله في قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك ولك أن تقول وجه الدلالة انه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها ولم يهدده بمثله وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته فتأمل (قالوا فما فضله على الانبياء قال ان الله قال وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلناك الا كافة للناس) أي ان هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وتخصيص رسالة كل رسول بقومه وكافة صفة مفعول مطلق مقدر أي رسالة كافة أي عامة وللناس متعلق به والحاصل ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص فاستدل بها فلا يقال انه لا يلزم من انه لا ينطق الا بلسان قومه انه لم يرسل الا لهم لانه على مقتضى الظاهر فلا يدعى غيره الا بدليل والدليل قائم على خلافه كما

(وعن خالد بن معدان) بفتح ميم وسكون عين فدال مهملتين كلاعي شامي روى عن ابن عمر وثوبان ومعاوية رضي الله تعالى عنهم كان يسبح في اليوم والليلة أربعين ألف تسبيحة أخرج له الأئمة الستة وقد أخرج عنه ابن اسحق ووصله أحمد والدارمي (ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك) أي مبدأ أمرك (وقد روى نحوه) بصيغة المجهول والواو للحال أي مثله معنى لا مبنى (عن أبي ذر) رضي الله تعالى عنه صحابي جليل (وشداد) بتشديد الدال الاولى (ابن أوس) بفتح فسكون وهو ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء صحابي انصاري ابن أخي حسان بن ثابت نزل بيت المقدس ومات بالشام (وأنس بن مالك رضي الله تعالى عنهم فقال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في جواب كل منهم (نعم) أي أخبركم بأول قصتي وما ظهر من نبوتي على لسان ابراهيم وغيره (أنا دعوة أبي ابراهيم يعني قوله) أي حكاية عن ابراهيم واسمعيل واقتصاره على الاول لانه المعول (ربنا وابعث فيهم) أي في الامة المسلمة المذكورة في الآية الماضية (رسولا منهم) ولم يبعث فيها من ذريته من نسل اسمعيل غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما (وبشرى عيسى) أي بشارته حين قال لقومه ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وفي نسخة وبشرى عيسى بالموحدة وياء الاضافة والظاهر انه تصحيف لمخالفة ماقبله وان كان يلائم قوله (ورأت أمي) وفي بعض الروايات ورؤيا أمي ولعل العدول لئلا يتوهم ان رؤيا منامية (حين حملت بي) بالباء للتعدية وفي رواية حين وضعتني ويمكن جمعهما بالحمل على مرتين وأما تجويز الدلجي كون الرؤيا منامية فبعيد جدا من حيث استدلاله صلى الله تعالى عليه وسلم برؤيتها فان رؤيا غير الانبياء ليست معتمدا عليها حتى لا يعمل بمقتضاها (انه خرج منها نور أضاء له) أي استنار لذلك النور (قصور بصرى) بضم موحدة فسكون مهملة مقصورا مدينة بحوران (من أرض الشام) وهي أول مدينة فتحت صلحا وذلك في شهر الربيع الاول لخمس بقين منه سنة ثلاث عشرة وقد وردها صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين (واسترضعت) أي كنت رضيعا (في بني سعد بن بكر) قبيلة معروفة

(وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى) هذا الحديث روى من طرق كما أشار اليه المصنف ورواه ابن اسحق مرسلا والدارمي وأحمد موصلا عن خالد عن عبد الرحمن السلمي عن عتبة بن عبد السلمي بطوله ومعدان حمصي تابعي من كبار التابعين وزهادهم أدرك سبعين من الصحابة وتوفي سنة أربع ومائة (ان نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك) أي عن حالك وشانك من ابتداء أمرك (وقد روى نحوه) أي نحو ما رواه خالد (عن أبي ذر) الغفاري الصحابي رضي الله عنه أخرجه الدارمي (وشداد بن أوس) بن ثابت بن منذر بن حرام وهو ابن أخي حسان بن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابي نزل بيت المقدس وتوفي بالشام سنة ثمان وخمسين رضي الله عنه والرواية عنه أخرجها أبو نعيم في الدلائل (وأنس بن مالك) أخرجه أبو نعيم أيضا (فقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لمن ساله عن نفسه (نعم) جواب لسؤالهم أي أخبركم بذلك (أنا دعوة أبي ابراهيم) بدل من أبي أو عطف بيان أي أثر دعوته أو عينها مبالغة ونعته بانه أب لاطلاقه على الجد ولبيان انه من ذريته الذين دعا لهم (يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) فهو المراد به بالرسول في دعوته المجابة (وبشرى عيسى) عليه الصلاة والسلام تقدم بيانه (ورأت أمي) أراد رؤيا أمه فغير الاسلوب لانه نوع لما قبله فهو على نهج قوله وجعلت قرة عيني في الصلاة كما تقدم (حين حملت بي) وفي رواية حين وضعتني فالرؤيا وقعت مرتين وهذا يحتمل انه رؤيا منام ورؤية يقظة والمرئي محذوف دل عليه قوله (انها خرج منها نور أضاء له قصور بصرى) بضم الباء والقصر بلدة من أعمال دمشق هنا وهي أيضا اسم بلدة أخرى من قرى بغداد بقرب عكبرا كما في معجم ياقوت وهي مدينة حوران وقيل انها قيسارية أو خوارزم وهو غير صحيح لان قوله (من أرض الشام) يأباه فهو غفلة من قائله والصحيح انها مدينة بين المدينة ودمشق وهي أول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاثة عشرة والشام الاقليم المعروف بهمزة ويجوز ابدالها ألفا كراس وفيه لغة أخرى شآم بالمد قال ابن قرقول أبا ها أكثرهم وحده طولا من العريش الى الفرات وقيل الى نابلس وعرضا من جبل أخا (٢) وسلمى الى بحر الروم وما سامته ودخله من الصحابة كثيرون ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم أربع مرات مرة مع عمه أبي طالب لما رآه بحيرا ومرة في تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين أسرى به ومرة في غزوة تبوك قال ابن عساكر رؤية آمنة النور حقيقة حين وضعته وأما رؤيتها له حين حملت فكانت في المنام كما قاله الواقدي ثم حقق الله لها ذلك اذا وضعته لانها كما ورد في الحديث أتيت وقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة وآية ذلك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما رأته أولا وهو كلام حسن وتخصيصه لانه أول فتح في الاراضي المقدسة (واسترضعت) بالبناء للمجهول أي طلبت أمي أن أكون رضيعا (في بني سعد بن بكر) أرضعته منهم حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعدما أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب وله أخوة من الرضاعة مذكورون

(٢) قوله أخا بضم الهمزة وتشديد الخاء المعجمة وبالقصر اسم موضع بالبصرة اه

(فبينا أنا) أي بين أوقات كنت أنا (مع أخ لي) أي رضاعا (خلف بيوتنا نرعى بهما لنا) بفتح موحدة وسكون هاء جمع بهمة ولد الضان ذكرا كان أو أنثى وقيل ولد الضان والمعز مجتمعة ولعله باعتبار التغلبة والا فولد المعز حال انفراده يسمى سخلة (اذ جاءني رجلان) أي على صورة رجلين فقيل هما جبريل واسرافيل (عليهما ثياب بيض) تركيب توصيف (وفي حديث آخر ثلاثة رجال) قيل ثالثهم ميكائيل أي جاؤا (بطست) بفتح طاء وجوز كسره وضمه فسين مهملة وكذا بمعجمة على ما في القاموس فلا عبرة بمن قال انه لغة العامة وانه خطأ وهو اناء معروف يكون من نحاس أو صفر وأصله الطس أبدل من احدى السينين تاء (من ذهب) فيه ايماء الى ذهاب حظ الشيطان عنه بعصمة ربه وذهابه عن الامة بسببه قال التلمساني وفيه دليل على جواز تغشية آلات الطاعة بالذهب والفضة كالمصحف وآلات الغزو انتهى والاظهر ان استعمال آنية الذهب والفضة حرام لا أعلم فيه خلافا بين علماء الانام لكن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فلا يقاس الانسان بالملك كما لا يقاس الحداد بالملك هذا وقد ذكر البغوي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم هي طست ذهب من الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء عليهم السلام (مملوءة) يجوز همزه وابداله مدغما ولعل التاء للمبالغة أو باعتبار كونه آنية (ثلجا) بسكون اللام وهو ماء جامد لانه يبرد القلب وينظفه وقدره ي حكمة وفسرت بالنبوة والاولى تفسيرها باتقان العلم واحسان العمل (فاخذاني) أو فاخذوني (فشقا بطني) أو شقوه (قال) ووقع في أصل الدلجي وقال (في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني) بفتح الميم وتخفيف الراء وتشديد القاف لا واحد له من لفظه وميمه زائدة أي من أعلى صدري الى مارق ولان من بطني (ثم استخرجا) أي أخرجا أو أخرجوا (منه قلبي فشقاه) أي قلبي

مع قصة ارضاعه في كتب السير (فبينا أنا مع أخ لي) من الرضاع لا من النسب اذ ليس له صلى الله تعالى عليه وسلم أخ ولا أخت من النسب وبينا ظرف وألفه للاشباع أو كافة كبينما والكلام عليهما مفصل في كتب العربية (خلف بيوتنا) أضاف البيوت له باعتبار السكنى أو التغليب لان المراد بيوت بني سعد (نرعى بهما) الرعي أكل الحيوانات النبات والذهاب بها للرعي وهو المراد هنا والمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم وهي جمع بهمة اسم لاولاد الضان وأولاد المعز سخال ويطلق على مايعمهما قال

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا * الى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

(لنا) أضافها له معهم لاختلاطه باصحابها لادنى ملابسة (اذ جاءني رجلان) اي ملكان في صورة رجلين فهو مجاز (عليهما ثياب بيض) وفي حديث آخر ثلاث رجال وهم جبريل واسرافيل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام كما أشار اليه بقوله (وفي رواية أخرى ثلاثة رجال) وجمع بينهما بانه جاء اثنان أولا لشق صدره والثالث أتى بعد لمباشرته (بطست من ذهب مملوءة ثلجا) وفي رواية كوكبان كأنهما انقضا عليه كوكبان ثم تمثلا بصورة رجلين والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية وفيه لغة أخرى طس بتشديد السين وطسه بهاء وفي طائه الفتح والكسر ففيه خمس لغات وهو اناء معروف واستعمال الذهب لم يكن حراما اذ ذاك لا سيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا فلا حاجة للجواب بانه يجوز للصغار وانه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه وفي رواية انه من زبرد أخضر وانه صب عليه من ابريق فضة وأما كون الطشت بشين معجمة فقيل انه غلط وقيل انه لغة فيه ومملوءة بالتانيث لان الطست يذكر ويؤنث أو هو لتاويله بآنية وهي مجرورة صفة أو منصوبة حال والمراد انه نقي بالثلج أو بمائه ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر أم لا لان هذه أمور لا يطلع عليها وروى انه غسل بماء الجنة وبماء زمزم وهذا كان في حال الطفولية ووقع في رواية انه كان بعد هذه البعثة لما أسرى به فمنهم من قال الروايتان متعارضتان ورد هذه وقال السهيلي لا تعارض بينهما وانه وقع مرتين الاولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية والاخرى ليقدس فيتقوى على العروج لمشاهدة الانوار العلوية وكونه مخلوقا من النور لا ينافيه كما توهم وروى بان الطست مملوء حكمة وايمانا وان الثلج لبرد اليقين فهو اما بتاويله أو بتجسم الاعراض وليس ذلك على الله بعزيز والثلج بسكون اللام وقال التلمساني بفتحها بمعنى اليقين فيجوز قراءته بالفتح فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وايمانا (فاخذاني) أي أمسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم وأضجعاه (فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني) النحر أعلى الصدر ومراق بفتح الميم وتشديد القاف وهو مارق ولان من البطن ولا واحد له من لفظه والميم زائدة (ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق أو للبطن لتاويله به (قلبي) مفعول استخرجا (فشقاه) أي القلب وهذا من المعجزات لان الاطباء اجمعوا على

(فاستخرجامنه علقة) أى قطعة دم منعقدة (سوداء) يكون فيها الحسد والحقد والشهوة النفسية وسائر الاخلاق الرديئة (فطرحاها) أى رميابقوة وفى رواية مسلم وقالاهذاحظ الشيطان منك قال العلامة تقى الدين ابن السبكى تلك العلقة خلقها الله تعالى فى قلوب البشرقابلة لمايلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن فيه مكان قابل لان يلقى الشيطان فيه شيئا قال فهذامعنى الحديث فلم يكن للشيطان فيه صلى الله تعالى عليه وسلم حظ قط فان قلت لم خلق هذا القابل فى هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لايخلقه فيها قلت لانه من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تكملة للخلق الانسانى ونزعه أمرثان طرأبعده انتهى ونظيره خلق الاشياء الزائدة فى بدن الانسان من القلفة وتطويل الظفر والشارب وامثال ذلك فلله الحكمة البالغة وعلى العبد احتمال الكلفة (ثم غسلاقلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) أى نظفاه عن تلوث تعلق العلقة قال التلمسانى شق قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مرتين مرة فى صغره عند ظئره وذلك ليذهب عنه حظ الشيطان ومرة عند الاسراء ليدخل على طهارة ظاهرة وباطنة على الرحمن قلت ومرة عند نزول القرآن فى جبل حراء على ماذكره أبونعيم والطيالسى وغيره على مافى المواهب اللدنية وقدقيل شق صدره مرة فى صباه ليصير قلبه مثل قلوب الانبياء ومرة ليلة المعراج ليصير قلبه مثل قلوب الملائكة قلت ومرة عند نزول الوحى ليصير مثل قلوب الرسل والله تعالى أعلم (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخرثم تناول أحدهماشيأفاذابخاتم فى يده من نوريحار) بفتح أوله أى يتحير (الناظردونه) أى عنده فلايدرى كيف يهتدى الى معرفة كنهه

على ان القلب لايحتمل جراحة أصلافكيف يعيش صاحبه اذاشق (واستخرجامنه علقة سوداء فطرحاها) أى رمياها لانهاحظ الشيطان ومغمزه وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة والعلقة دم منجمد كالعلقة المعروفة فى دودالماء قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى أخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك هذا حظ الشيطان منك فاجاب بان تلك العلقة خلقت فى قلوب البشرقابلة لمايلقى الشيطان فيه ولم يكن للشيطان فيه حظ وانما الذى نقاه الملك منه أمرفى الجبلة البشرية فازيل القابل الذى لايلزم من حصوله حصول الالقاء فى القلب وانما خلقت على هذا لانهامن أجزاء البدن المكملة لخلقه فلابدمنه ثم نزعت بامرربانى طرأبعده وقريب منه قول الاستاذمحمد البكرى فى رسالته النافعة نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر وقول الملك انهاحظ الشيطان أى لوتعلق الشيطان بمحل منه كان هذا الخلق ابتداء تكملة لاصل الخلقة وتسوية للنشأة الانسانية مع زيادة اظهار يأس الشيطان باخراجهامنه وهذامن تقديس السر وتنزيهه اعلاءلشرفه وقدرلايدانيه أحدفيه * أقول حاصله ان الله خلقه صلى الله عليه وسلم كامل البنية مكملا فاقتضت الحكمة الربانية ان يكون جسمه أحسن الاجسام وقلبه أقوى القلوب كماان روحه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الارواح وأنورها ولما كان القلب رئيس الاعضاء بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون القلب قوى البنية زاهى الثمرة وعليه ينبنى لكونه كحب العنب والفواكه فبعدنضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى ولكونه سوداويا رديء الاخلاط كان محلا لافذاء الاوهام والخيال الذى هولريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى فاندفع انه لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة ومايقبلهافلايألم بشق وقلع وظهران معنى كونها حظ الشيطان انهامحل حظه لوكان لكنه لم يكن وانماأطلت هنالانه سر من أسرار الله تعالى ولله درمهى قرناص الحموى فى قوله

أما والله لوشقت قلوب * ليعلم مابهامن فرط حب
لارضاك الذى لك فى فؤادى * وأرضانى رضاك بشق قلبى

(ثم غسلاقلبى وبطنى بذلك الثلج حتى انقياه) ولما كان أرضه صلى الله تعالى عليه وسلم لاثلج بها غسل بذلك ليعلم انه من عالم الغيب والجنة ويقال نقاه بالتشديد وأنقاه اذاجعله نقيانظيفا والمشهور الاول وفى هذادليل على عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص وكيف يتصور بعدهذا ان يصدرمنه زلة أوأمرلايرضى الاسهوا ومثله لايؤاخذبه (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث آخرثم تناول أحدهما) أى أخذمن ملك غيره أوأخرجه من يده وأصل المناولة الاخذمن غيره (شيئافاذابخاتم فى يده من نور) أى يتلألأ ويضيء اضاءة زائدة حتى كأنه مجسم من النور وفيه مبالغة فى اشراقه كقوله تعالى خلق الانسان من عجل وفى رواية انه خيط بخيط وكان يرى فى صدره الشريف أثرالخياطة (يحارالناظردونه) أى فيمادونه أوأقل منه (بهاء) أى نوراونفاسة والناظر امابمعنى الشخص الذى ينظره ويحتمل ان يريدبه العين وانسانها لانه يطلق عليهما فعلى الاول

(فختم به قلبي) أي لئلا يصل اليه ما لا يليق بجناب ربي (فامتلأ ايمانا وحكمة) أي ايقانا أو علما وفهما (ثم أعاده) أي رده (مكانه ثم
أمر) بتشديد الراء أي أذهب (الآخر) أي منهما (يده على مفرق صدري) بفتح الميم والراء وبكسر الراء ذكره

الشمني والحلبي وقال الدلجي بكسر الميم مع فتح الراء وبفتحها مع كسرها انتهى ولا يخفى ان كسر الميم الموضوع للآلة غير مناسب هنا فانه وسط الرأس حيث يفرق فيه الشعر في أصل اللغة الا انه استعير هنا لموضع الشق (فالتأم) بهمزة مفتوحة بعد التاء أي فاجتمع والتحم وانتظم (وفي رواية) أي للدارمي وأبي نعيم في الدلائل (قال قلب) أي هذا قلب (وكيع أي شديد) تفسير من أحد الرواة ومعناه متين في العلم ومحكم في الفهم كما يشير اليه قوله (فيه) وفي أصل التلمساني له (عينان تبصران) أي تدركان للامور العقلية (واذنان سميعتان) وفي نسخة تسمعان أي تعيان العلوم النقلية وضمير فيه راجع الى القلب وهو أقرب أو الى القالب وهو أنسب (ثم قال) أي أحدهما (لصاحبه) أي من الملكين (زنه) بكسر الزاي أمر من الوزن (بعشرة من أمته) أي في الفهم والعقل أو في الاجر والفضل (فوزنني بهم) أي حسا (أو معنى فرجحتهم) بتخفيف الجيم أي فغلبتهم في الرجحان (ثم قال) أي أحدهما وقال لصاحبه (زنه بمائة من أمته فوزنني بهم) أي بمائة منهم (فوزنتهم) أي رجحتهم في الوزن (ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم

المعنى انه يتحير من نوره وحسنه في معرفته وعلى الثاني النسبة اليه مجازية والمراد صاحبه أو معناه يبهت ولا يطرق اجفانه وفيه وفي قوله دونه لانه اذا تحير فيما دونه فكيف به (فختم به قلبي) كما يختم الكيس والخزانة التي فيها الجواهر وكل نفيس وختمه لئلا يصل اليه ما لا يليق به من الوسوسة ولئلا يضيع ما فيه وفيه اشارة الى انه خاتم الانبياء وليس هذا ولا أثره خاتم النبوة المذكور في الحديث حتى يقال انه اختلف فيه هل ولد به أو كان حدوثه حين نبئ ولا في هذا الحديث بيان لانه كان حين شق صدره كما توهم والختم حفظا له عن ان يخرج مما أحرز شئ بغير علمه فلا يرد ما قاله السهيلي انه ينافي انه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة وتفجرت من قلبه ينابيع الحكم وفاضت أنواره على العالم (فامتلأ ايمانا وحكمة) في تفسيرها أقوال والذي صفا منها انها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به وفي التفريع هنا خفاء لان مقتضى الظاهر ان يقدمه على الختم ولا يرتبه عليه فيقول ملأه فامتلأ ثم ختمه لانه بعد الختم لا يدخله شئ الا ان يؤول بانه تبين في انه امتلأ اللهم الا ان يقال انه دخل فيه نور من الخاتم ثم ملأه بما ذكر ومر ان العلم والحكمة معنى لا يملأ حيزه فاما ان يقال انه تجسم أو جعل بمنزلته (ثم اعاده مكانه) أي أعاد الخاتم في مكانه الذي كان من يده أو يد غيره وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال انه يشعر بانه كان من أصل خلقته (وأمر) بتشديد الراء المهملة آخره أي مسح وألصق يده مارة (الآخر) أي الملك الآخر (يده على مفرق صدري) بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة أي محل الشق والافتراق الذي كان منه فهو بمعناه اللغوي وان اختص عرفا بوسط الرأس أو هو مصدر ميمي (فالتأم) بهمزة بعد المثناة الفوقية أي انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من الشق (وفي رواية أخرى ان جبريل عليه الصلاة والسلام قال) بعدما أمر (قلب وكيع أي شديد) وفي كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ والمراد هنا ما ذكره المصنف ومنه نقل العلم (فيه) أي في قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم (عينان تبصران وأذنان سميعتان) لا يخفى ان حمله على ظاهره كما قيل بعيد فالمراد انه شديد الادراك لما يبصر ويسمع وكون القلب لا يدرك المحسوسات لانه انما يدرك المعقولات لا وجه له فانه يدركها بواسطة الحواس وفي التعبير عن الاول بالمضارع وعن الثاني بالاسم الدال على الثبوت تفنن وايماء الى ان الاول لا يكون الا بفعل يحدث منه كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثاني واسنادهما ليس بمجازي وهذا كالتعليل لما قبله (ثم قال أحدهما) أي الملكين (لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم) الوزن معروف ورجحانه زيادة ما في الكفتين وثقله فينزل الراجح ويعلو مقابله والمراد بامته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهم أمة الاجابة أو من وجد في عهده وهم أمة الدعوة فمن فسره بالاول يعلم الثاني منه بالطريق الاولى وعدم الاعتداد بغيرهم ويجوز ارادة الثاني وهذا الوزن الظاهر ان المراد منه مجرد المقابلة بين كماله صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاتهم بحسب النظر العلمي ومنهم من ذهب الى انه على ظاهره وحقيقته وان لم يعرف كيفيته الا انه يحتاج لتاويله لان الامة لم يكونوا موجودين فقيل المراد منهم أرواحهم وان الله أطلعهم على ذلك وانما ذكروه ليطلع على ذلك وتعلم به امته ثم انه وقع في هذا الحديث اختلاف في رواية أبي ذر رضي الله تعالى عنه ان الوزن قبل الشق وانه ابتدأ في الوزن بالواحد ثم العشرة واختار المصنف هذه الرواية لان الرجحان بما أودعه الله تعالى فيه بعد اماطة ما لا وزن له عند الله وفيه أيضا انه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه

وقال شيخ والدى الشهاب بن حجر الهيثمى انه وقع فى بعض الروايات انه ولد بخاتم النبوة فان الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن بعض الاحبار انه قال ولد فى هذه الليلة يعنى ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فيها شعرات وفيه دليل على انه ولد بخاتم النبوة لكن جاء بسند أصح من هذا ان الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة ويمكن الجمع بانهما ختما ذلك المحل الثانى عند الوضع بعد ختمه أولا اشارة الى زيادة الاعتناء والتشريف ثم رأيت من جمع بينهما بانه كان فى موضعين على الكتف وبين كتفيه وروى بسند ضعيف انه رفع بعد موته صلى الله تعالى عليه وسلم واعلم ان بعض الشراح قال ان الشق والغسل فى ذلك ليس مخصوصا به صلى الله تعالى عليه وسلم بل كان لسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما روى انه كان فى تابوت السكينة الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها) أى لغلبهم فى الوزن ولا عادلهم وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف وفى هذا الحديث دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الناس واقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر لما أودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لم ينله غيره (قال فى الحديث الآخر ثم ضمونى الى صدورهم) أى عانقونى اظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى (وقبلوا رأسى وما بين عينى) بشد الياء للتثنية وفيه استحباب تقبيل الرأس وما بين العينين لمن ينبغى محبته واكرامه اظهارا لذلك (ثم قالوا يا حبيب) بالبناء على الضم وأصله يا حبيب الله (لم ترع) بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة أى لم تخف وتفزع وهو مبنى للمجهول أى حصل لك من قوة القلب مالا يعتريك بعده خوف من شئ والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ما وقع من الشق له ثم استأنف بجملة مؤيدة لما قبلها فقال (انك لو تدرى ما يراد بك من الخير) أى ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والاخروى (لقرت عيناك) أى لسررت سرورا عظيما وقدمر ان قرة العين الفرح وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار أو من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه لانه لم يبق له شئ يطمع له عينه وينظره (وفى بقية هذا الحديث من قولهم) أى من قول هؤلاء الملائكة وهذا موافق لكونهم ثلاثة كما مر (ما اكرمك على الله) تعجب من رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عند ربه (ان الله معك وملائكته) بعنايته وفضله وليس فى قوله من قولهم ما يقتضى انه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل (قال فى حديث أبى ذر) المشهور المذكور أولا وهذا الحديث رواه الدارمى (فما هو) أى فعلهما بعد ذلك وما نافية وقيل الضمير للشان وهو على حد قولك لم يلبث فلان ان فعل كذا والمراد السرعة (الا أن وليا) أى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة (فكأنما أرى الامر معاينة) المراد بالامر هنا ما اكرمه الله به وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وارهاصاتها وما زاد فى فطنته وعلمه ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم وقد أتى بخبط وخلط فى تفسيره لا طائل تحته (وحكى أبو محمد مكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما (ان آدم عليه الصلاة والسلام عند

ثم قال دعه عنك) أى أترك وزنه (فلو وزنته بامته) أى جميعهم (لوزنها) أى لما منح من المنح السنية ومن المنن العلية (وقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام (فى الحديث الآخر) أى فى الرواية الأخرى وهى حديث ثلاثة رجال بشهادة قوله (ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى) أى اشعارا برياستى وانى رئيس أمتى (وما بين عينى) بصيغة التثنية لا غير ايماء الى انه قرة العينين فى الكونين (ثم قالوا لى يا حبيب) أى يا محبوب لمطلق الخالق والحق ويروى فقالوا انك حبيب الله (لم ترع) بضم ففتح فسكون من الروع أى لا تفزع وفى التعبير بالماضى مبالغة فى تحققه وفى رواية لن تراع بتأكيد نفى الاستقبال (انك لو تدرى ما يراد بك من الخير) أى الذى لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (لقرت عيناك) بفتح القاف وتشديد الراء أى لطابت نفسك وسكن قلبك أو لسررت وفرحت وأصله برد الله تعالى دمعة عينيك لان دمع السرور بارد وقيل معناه بلغك الله تعالى أمنيتك حتى ترضى وتسكن عينك فلا تستشرف الى غيره (وفى بقية هذا الحديث) أى حديث ثم ضمونى (من قولهم) بيان للبقية (ما أكرمك على الله ان الله معك) معية مكانة وقربة وحضور وجمعية لا معية مكانية واجتماعية واتصالية واتحادية على ما تقوله الطائفة الالحادية (وملائكته) أى معك كذلك فى الحفظ والحراسة والنصرة والمعونة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى حديث أبى ذر) كما رواه الدارمى (فما هو) أى الامر والشان (الا أن وليا) أى أدبرا الملكان ورجعا (عنى فكأنما أرى الامر) أى أمر النبوة والرسالة (معاينة وحكى أبو محمد المكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما ان آدم عليه السلام عند

معصيته) أى الصورية وهى التى خرج بسببها من الجنة (قال كما رواه البيهقى والطبرانى من) حديث ابن عمر بسند ضعيف (اللهم بحق محمد) أى المغفور من ذريتى (اغفر لى خطيئتى) ويروى تقبل توبتى ولا منع من الجمع (فقال له الله تعالى من أين عرفت محمدا) أن ولا رأيته ابدا (قال رأيت فى كل موضع من الجنة) أى من شرف قصورها وصدور حورها وأطراف انهارها واتحاف أشجارها (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى) أى بدلا من هذه الجملة أو زائدا بعد هذه الكلمة (محمد عبدى ورسولى) أى المختص بى من بين عبيدى و رسلى الشامل للملائكة (فعلمت انه أكرم خلقك عليك) أى حيث خصصته بتشريف الاضافة اليك ولم تذكر غيره من الخلق لديك (فتاب الله عليه وغفر له) أى رجع عليه بقبول توبته وحصول مغفرته ووصول هدايته كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (وهذا) أى قوله اللهم بحق محمد لا كما توهم الدلجى انه لا اله الا الله محمد رسول الله (عند قائله) أى راويه وناقله (تاويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات) أى تلقاها من الهامه واعلامه وان كان المشهور عند الجمهور ان المراد بالكلمات هى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية (وفى رواية أخرى) بمد الهمزة وضم الجيم وتشديد الراء بعدها ياء نسبة قال الحلبى الظاهر انه الامام القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة فى السنة والاربعين وغير ذلك روى عنه أبو نعيم الحافظ وخلق وكان عالما عاملا ساكن مكة ومات بها سنة ستين وثلاثمائة وفى نسخة وفى رواية أخرى بضم همزة وسكون خاء معجمة (فقال آدم) أى فى جواب ما تقدم (لما خلقتنى) أى حين خلقتنى فى أول وهلتى (رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه) أى فى قوائمه كما فى رواية (مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) يعنى وليس فيه ذكر رسول سواه (فعلمت انه) أى الشان (ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) أى مقرونا به فى عرشك الذى هو أعظم خلقك

معصيته) أى أكله من الشجرة وسيأتى الكلام عليه فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا الظرف متعلق بقوله (قال) ومقوله (اللهم بحق محمد) أى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف وفيه دليل على انه يجوز ان يقال فى الدعاء بحق الانبياء ونحوه خلافا لمن أفتى من علماء العصر انه لا يجوز ان يقال مثله لانه ليس لاحد على الله حق وقد وقع مثله فى أحاديث كثيرة ومعناه مر (اغفر لى خطيئتى ويروى وتقبل توبتى فقال له الله من أين عرفت محمدا فقال رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية (مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله) نائب فاعل اسم المفعول (ويروى محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله (فعلمت) بما رأيته من كتابته واقتران اسمه باسمك (انه أكرم خلقك) أى مخلوقاتك (عليك فتاب الله عليه وغفر له) ذنبه لتوسله الى الله بحبيبه وصفيه وبما علمه من ذلك (وهذا) أى الحديث المذكور (عند قائله) أى عند من رواه واعتمده وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره وليست الاشارة لقول آدم عليه السلام اللهم الى آخره كما قيل (تاويل قوله تعالى) أى تفسيره لان التاويل يرد بمعنى مطلق التفسير وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور ويكون أيضا بمعنى ما يؤول اليه ويتحقق به فى الواقع وهو أصل معناه (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا فيه خفاء لان معنى تلقيها من الله أخذها منه بغير واسطة والمذكور انه رآها مكتوبة فى الجنة فكانه جعل الهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه وقيل انه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات ومعنى تلقيها استغناؤها باخذها والعمل بها حين علمها وأشار بقوله عند قائله الى ان فيه أقوالا أخر فقيل الكلمات المتلقاة هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانك خير الغافرين اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك انى ظلمت نفسى فتب على انك أنت التواب الرحيم فسقط ما قيل انه ليس فيه على هذه الرواية انه تلقى من الله والكتابة لا تسمى كلمات الا مجازا ولا قرينة تدل عليه قيل وفيه دلالة على ان آدم عليه الصلاة والسلام كان يعلم الكتابة وسؤال الله له بقوله من أين الى آخره ليس استفهاما على حقيقته لعلمه به وانما هو تشريف له بخطابه وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه (وفى رواية أخرى فقال آدم عليه الصلاة والسلام لما خلقتنى رفعت رأسى الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شئ مقدر ولا اله الا الله الى آخره بدل منه أو هو مبتدأ ومكتوب خبره وفى بعض النسخ وفى رواية لآجرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة للآجر المعروف وهو الامام القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ أبى نعيم سكن مكة وتوفى بها فى المحرم سنة ستين وثلاثمائة (فعلمت انه ليس أحد أعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك)

ملازما

(فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى) أى وعظمتى (انه لآخر النبيين من ذريتك) ايماء الى انه بمنزلة الثمرة لهذه الشجرة وانه فى مرتبة العلة الغائية فى الحلقة الانسانية واشارة الى انه الغاية القصوى والمقصد الاسنى من مظاهر الاسماء الحسنى كما يدل عليه قوله (ولولاه ماخلقتك) ويقرب منه ماروى لولاك لما خلقت الافلاك (قال) أى الآجرى (وكان آدم يكنى) بصيغة المجهول مخففا ومثقلا (بابى محمد) كما رواه البيهقى عن على مرفوعا ووجه تخصيصه لكونه أفضل أولاده أو للتشرف باستناد: (وقيل بابى البشر) أى عموما وفيه تنبيه انه لم يكن يكنى بغيره من أولاده وذريته اشعار بخصوصيته ولما تحت العموم من اندراج قضيته ولا يبعد تقدير مضاف بان يقال كان يكنى بابى خير البشر فاقتصر فتدبر (وروى عن سريج بن يونس) أى ابن ابراهيم الحارث البغدادى العابد القدوة أحد أئمة الحديث روى عنه مسلم والبغوى وأبو حاتم وهو بضم مهملة وفتح راء وسكون تحتية فجيم وأما ضبطه بالشين المعجمة فى نسخة فتصحيف وكذا بالحاء المهملة (انه قال ان لله تعالى ملائكة سياحين) بتشديد التحتية أى سيارين على وجه الارض للعبادة (عيادتها) بالتحتية أى زيادة تلك الجماعة من الملائكة السياحة وتفقدها من عادته واذا زار وزجج للزيارة وفى نسخة بالموحدة ولا يخفى مزية العبادة على العادة بالتعمية المخفية (على كل دار) وفى نسخة على دار أى واقعة للمحافظة على كل دار (فيها أحمد أو محمد) أى مسمى باحدهما وفى نسخة عبادتها كل دار واقتصر عليها الشمنى حيث قال عبادة بالباء الموحدة مبتدأ خبره كل دار على حذف مضاف أى حفظ أهل كل دار أو اعانة أهل كل دار اكرامامنهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث عظموا دارا فيها اسميه (وروى ابن قانع القاضى) بالقاف وكسر النون فمهملة هو ابن مرزوق واسمه عبد الباقى صاحب معجم الصحابة وكتاب اليوم والليلة وتاريخ الوفيات من أول سنة الهجرة فروى فى معجم الصحابة له وكذا رواه الطبرانى

ملازما لمقارنته قيل هذا فى الرواية الاولى ظاهر اذ فيها فى كل موضع وأما هنا فهو فى موضع واحد وأجيب بانه يحتمل ان الرواية الاولى زيادة على هذه وتركها الثلاية تكرر ولا يخفى بعده ولا حاجة الى مافهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله قلت ومن هذا الحديث يؤخذ ان كتابة أسماء الله ونحوها فى سقوف المساجد وغيرها مكروهة كما توهم (فاوحى الله اليه وعزتى وجلالى انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ماخلقتك) فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الارواح والانبياء كلهم خلقوا الاجله ووجوده سبب لوجودهم فهو أب معنوى لهم وكلهم اتباعه فى الوجود قيل قوله فاوحى الله اليه يقتضى ان هذا الخطاب وحى لامشافهة وقوله لما خلقتنى قبله يدل على خلافه وقد يقال انه خاطبه أولا وأوحى اليه بعد ذلك مع ان الداعى مخاطب ربه وان لم يخاطبه فلا يدل كلامه الاول على ان كلام الله معه بدون وحى (قال وكان آدم عليه الصلاة والسلام يكنى بابى محمد وقيل بابى البشر) كما رواه البيهقى عن على كرم الله وجهه مرفوعا والثانى أشهر * (تنبيه) قوله ولولاه ماخلقتك خلاف اللغة فانها فى الاكثر يليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا اذا كان عاما وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا فيقال لولاى ولولاك ومنعه المبرد رحمه الله تعالى وأجازه غيره فقيل انها حرف جر وقيل انه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله ومنعه سيبويه بمنع النيابة فى غير الضمائر المنفصلة وغيره يجيزه مع الحروف والافعال كما تقرر فى محله وعليه الزمخشرى (وروى عن سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط وهو أبو الحارث البغدادى امام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وروى له مسلم والبخارى (انه قال) ان كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المعلوم من السياق فهو ظاهر وان كان لسريج فهو فى حكم المرفوع لان مثله لا يقال بالرأى (ان لله تعالى ملائكة سياحين) من السياحة من ساح الماء اذا جرى ثم شاعت فى السير الطويل والمشى فى الارض والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك (عبادتها) أى الملائكة وأنثه نظر الظاهر أو لتأويله بطائفة وعبادتها بياء موحدة ففيه مضاف مقدر أى حفظ (كل دار فيها) من اسمه (أحمد أو محمد) أو دخول كل دار ونحوه وضبط أيضا بمثناة من تحت والمراد بالعبادة الزيارة وقدم أحمد لانه مسمى به قبل محمد ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف به عند الملائكة أو للترقى (اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم) أى زيارتهم لاجل الاكرام وقال منهم لئلا يتوهم انهم أتوا باكرام من غيرهم وانهم رسل فى ذلك والا فهو حشو ويأتى ان أهل مكة ونقل أيضا عن أهل المدينة يقولون كل دار فيها من اسمه محمد يوسع الله رزقهم وهو عن تجربة منهم وقيل هذا لا يختص بهذين الاسمين بل كل من تسمى باسم من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك وفيه نظر (وروى ابن قانع القاضى) بقاف ونون بعد ألف وعين مهملة

(عن أبي الحمراء) بفتح حاء مهملة فسكون ميم فراء ممدودة قال الحجازي هو مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واسمه بلال بن الحارث وقال اليمني هو اسم لصحابيين أحدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخرج هذا الحديث ابن ماجه عنه والآخر مولى أبي عفراء ولا يعلم له رواية وقال الحلبي كان ينبغي للقاضي أن يذكر بقية هذا السند من ابن قانع الى أبي الحمراء حتى نعرفهم ونعرف من أبو الحمراء فان أبا الحمراء في الصحابة اثنان أحدهما مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث بن ظفر أخرج حديثه ابن ماجه في التجارات أعني غير هذا الحديث المذكور في الاصل وأما هذا فليس له شئ في السنة والله تعالى أعلم روى عنه أبو داود والاعمش وغيره وقال ابن معين كان بحمص وقال البخاري يقال ليس له صحبة ولا يصح حديثه انتهى وأما الثاني فيقال مولى الحارث بن رفاعة شهد بدرا وأحدا ولا أعلم له رواية وان كان أبو الحمراء من التابعين أو من بعدهم فلا أعلم فيهم أحدا يقال له أبو الحمراء وقد وقفت على الحديث المذكور لكن من رواية أنس وقد قال الذهبي فيه شئ تراه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله أيدته) أي قويته (بعلي) أي لغاية قوته وعلو همته قال الدلجي وقد ورد انه حمل باب حصن خيبر وتترس به ورواه ابن عدي عن عيسى بن محمد عن الحسين بن ابراهيم البياني عن حميد الطويل عن أنس بلفظ لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي أو نصرته بعلي بالباء قال في الميزان وهذا اختلاف من الحسين بن ابراهيم (وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الخطيب فيما رواه مالك عنه (في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما) وقد رواه البزار مرفوعا من حديث أبي ذر وموقوفا على عمر وعلي (قال) أي ابن عباس وكذا من روى نحوه من غيره (لوح) أي الكنز المذكور جامع في المبنى والمعنى فانه لوح (من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن أيقن بالقدر) أي بتقديره الذي لا يتصور تغييره

وهو عبد الباقي بن قانع بن مرزوق الاموي البغدادي صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم وترجمته في الميزان وهو ثقة في الرواية الا انه قيل انه تغير في آخر عمره وتوفي سنة احدى وخمسين وثلثمائة قال البرهان كان على المصنف أن يذكر تقدم السند من ابن قانع الى قوله (عن أبي الحمراء) حتى يعرفه ويعرفه أبا الحمراء واعتذر بانه لم يلتزم الاسناد في كتابه وانما اشترط ما صح عنده واشتهر والظاهر انه استغنى عنه بروايته عن ابن قانع لانه ذكره مسندا فيه وقد اسنده الطبري أيضا وفي بعض النسخ ابن نافع بالفاء وهو الفقيه صاحب الامام مالك وهو وهم وتحريف وأبو الحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود وقال البرهان ولا يعرف من المراد به فان أبا الحمراء الصحابي مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر أخرج له ابن ماجة حديثا غير هذا وكان بحمص وقال يقال له صحبة ولا يصح حديثه ومن الصحابة أبو الحمراء مولى آل عفراء البدري ولا يعرف له رواية ولا يعرف في التابعين من اسمه أبو الحمراء ولا فيمن بعدهم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أسري بي الى السماء اذا) هي فجائية أي صادفت فجاة (على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله) العرش في اللغة سرير الملك وعرش الرحمن غير السموات وهو سقف الجنة وهل هو الكرسي أو غيره فيه خلاف ليس هذا محله وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا مع اسم الله على العرش وفي الجنة ورد في أحاديث كثيرة والظاهر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بالهام من الله أو بذكر جبريل عليه الصلاة والسلام لها أو غيره من الملائكة قالوا له هذا اسمك مكتوب هنا فلا يقال انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب وقد تقدم ما في ذلك (أيدته بعلي) كرم الله وجهه في حياته لما له من الصحبة القديمة والآثار العظيمة في غزواته معه والتاييد التقوية والنصر ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ولان تاييده له أعظم ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه الا الانفس القدسية (وفي التفسير) أي في كتبه ولم يعين المنقول عنه لوجوده في كثير منها (عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك وورد مرفوعا عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه وأخرجه البزار موقوفا عن علي وعمر رضي الله تعالى عنهما والبيهقي في الشعب (في) تفسير (قوله تعالى وكان تحته) أي الجدار الذي أقامه الخضر عليه الصلاة والسلام (كنز لهما) لليتيمين (قال) أي ابن عباس رضي الله عنهما المراد بالكنز وهو المال المدفون (لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا) منصوب بفعل محذوف وجوبا أي أعجب عجبا واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة (لمن أيقن بالقدر) أي تيقن قضاء الله وقدره وانه لا يكون الا ما قدر وما قدر لا بد ان يكون فلتضمينه معنى أمن عداه

(كيف ينصب) بفتح الصاد أى كيف يتعب وماقدرله يأتيه ان تعب وان لم يتعب لكن قد يقال ان من جملة ماقدر تقديره ان يتعب فكيف لايتعب قال البغوى القدر سر من أسراره سبحانه وتعالى لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ولا يجوز الخوض فيه ولا البحث عنه بل الله تعالى خلق خلقه فمنهم شقى ومنهم سعيد وقال رجل لعلى اخبرنى عن القدر فقال طريق مظلم لاتسلكه فاعاد السؤال فقال بحر عميق لاتلجه فاعاد فقال سر الله قد خفى عليك (عجبا لمن أيقن بالنار) أى بوجودها (كيف يضحك) أى قبل ورودها (عجبا لمن يرى) وفى نسخة لمن رأى (الدنيا وتقلبها باهلها) أى فى انقلاب أحوالها لاسيما وسائلها الى زوالها (كيف يطمئن اليها) أى يغتر بها ولا يعتبر بمن مضى فيها (انى أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدى ورسولى) أى الى الخلق كافة كما ان الاله الههم عامة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) قال الدلجى لا أعلم من رواه عنه (على باب الجنة مكتوب أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها) أى من صميم قلبه وتوفيق ربه على ثباته الى مماته (وذكر انه وجد) بصيغة المفعول فيهما وضمير انه للشان (على الحجارة القديمة) أى العتيقة (مكتوبا محمد تقى) أى من الشرك و (نقى) من الشك (مصلح) أى لما أفسد الخلق من الحق تغييرا أو تبديلا و (سيد) أى للخلق (أمين) أى عند الخالق والحق (وذكر السمنطارى) بكسر مهملة وميم وسكون نون فمهملة من جملة المحدثين والأئمة المصنفين له تآليف كثيرة فى فنون العلوم على ماذكره التلمسانى (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان

بالباء واليقين الاعتقاد الجازم (كيف ينصب) بفتح أوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب والاستفهام للتعجب الانكارى أى كيف يتعب نفسه فى تحصيل رزقه وماقدر له لايتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة وللقاضى ناصح الدين الارجانى

يا قلب تخل من هموم وشجون * بادر فرص الزمان من قبل يخون

لاتأس فان جملة المهم جنون * ماقدر أن يكون لابد يكون

(عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك) أى من تيقن وجود النار وعلم انه لايخلو من زلة يعاقب عليها فكيف لايخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا وهو لايعلم أشقى هو أم سعيد والموت أقرب له من حبل الوريد (عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها) أى تغير أحوالها فى كل حين قال الراغب التقلب التصرف قال الله تعالى أو يأخذهم فى تقلبهم فالباء بمعنى فى أو مع أى تصرفها فى أهلها أو تغيرها وتغير أهلها (كيف يطمئن) قلبه ويركن (اليها) بعدما رأى منها وشاهد (أنا الله لا اله الا أنا) أى له الحكم والامر وبيده كل شئ فى قبضة تصرفه (محمد عبدى ورسولى) أرسلته للناس كافة وهذا التفسير يشعر بانه حديث قدسى أوحاه الله لبعض أنبيائه وقد ذكره القرطبى فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله انتهى وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقيل الكنز مال وقيل غير ذلك (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على باب الجنة مكتوب انى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله من قالها) أى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا (لا أعذبه) وان ارتكب الذنوب وهذا كقوله تعالى لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد ورد مثله كثيرا فى الاحاديث الصحيحة (وذكر انه وجد) بالبناء للمجهول فيهما ولم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما ولا ينافى هذا انه ذكر هنا ماصح أو اشتهر لانه باعتبار الاغلب وكونهما مبنيين للفاعل والضمير المستتر لابن عباس كما قيل يحتاج لنقل (على الحجارة القديمة) أى الموجودة قبل عصر النبوة لان الكتابة لو كانت جديدة بخط هذه الامة لم تكن دالة على مانحن فيه (مكتوب محمد تقى) أى ممتثل لاوامر الله مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم (مصلح) لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله (وسيد أمين) على الوحى وغيره كما تقدم (وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها ألف وراء مهملة وياء نسبة مشددة قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة انه نسبة لسمنطار قرية من جزائر الغرب وقيل هو الذهبى بلسان أهل المغرب وهو أبو بكر بن عتيق بن على أحد عباد الجزيرة وزهادها وله كتاب الرقائق فى اثنى عشر مجلدا كبير لم يسبق لمثله ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى وقال التلمسانى انه من الاجلة وله تآليف فى فنون العلم فمن قال لم أر له ترجمة ونحن فى غنية عما نقل عنه من الغريب فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع (انه شاهد فى بعض بلاد خراسان) هو أقليم معروف قيل وقد تسكن راؤه وتحذف ألفه وفى الزاهر لابن الانبارى معناه مطلع الشمس لان خور

بالفارسية معناه الشمس (مولوداولد) أى حين ولادته وخروجه من بطن أمه فلا يتوهم ان وصف المولودبانه ولد من اللغو (وعلى أحد جنبيه) أى شق بدنه وصفحته (مكتوب لااله الاالله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون) المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء باخبار الامم السالفة ولما كان الاخبار جمع خبر وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كانصار وأنصارى ولولا هذا ردفى النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب اليها (ان ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالابيض لااله الاالله محمد رسول الله) أى مكتوب فيه بلون أبيض عكس المشهور من كتابة الالوان فى البياض للدلالة على انه ليس من صنع البشر وهذا كقول الابوصيرى فى مطلع قصيدة له

كتب المشيب بابيض فى اسود ✽ بغضا العين الحاسد الخرد

وقد ذكر ابن العديم فى تاريخه حكايات كثيرة منها انه وجد ببلاد الهند مثله فى الثمار والاوراق وان الصيادين رأوا مثله فى السمك واعلم ان ما اشتهر من ان الورد الاحمر خلق من عرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو من عرق جبريل عليه الصلاة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووى والذهبى وابن عساكر وكذا ما فى الفردوس من ان الورد الابيض خلق من عرقى ليلة المعراج والورد الاحمر خلق من عرق جبريل والورد الاصفر خلق من عرق البراق وعن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال لما عرج بى الى السماء بكت الارض من بعدى فنبت اللصف وهو الكبر من مائها فلما ان رجعت قطر من عرقى على الارض فنبت ورد أحمر ألا من أراد ان يشم رائحتى فليشم الورد الاحمر والورد كما قاله أبو حنيفة الدينورى نور كل شجرة وزهر كل نبت ثم خص بهذا الورد المعروف فقيل لاحمره الخوجم ولابيضه الوتير وفى شرح سقط الزند لورد ما يضرب الى الحمرة يقال أسد ورد وعنبر ورد ودم ورد أى أحمر والورد المشموم ليس بعربى فى الاصل الا ان العرب تسمى الزهر وردا انتهى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة ينادى مناد فى الموقف ألا ليقم من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة لكرامتى ويأتى شرحه فيما بعده وفى رواية يقول الله عبدى لم تستح منى اذا عصيتنى واسمك محمد وأنا أستحى أن أعذبك واسمك اسم حبيبى اذهبوا به الى الجنة والى هذا أشار فى البردة بقوله

فان لى ذمة منه بتسميتى ✽ محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

(وروى عن جعفر بن محمد) هو جعفر الصادق وقد تقدمت ترجمته ومحمد هو محمد الباقر وقد

مولوداولد على أحد جنبيه مكتوب لااله الاالله وعلى الآخر محمد رسول الله) أقول اذا ثبت ما سبق من كونه مكتوبا على العرش وغيره بروايات معتبرة فلا يحتاج الى مثل هذه الرواية التى يحتمل أن تكون معتمدة وكذا قوله (وذكر الاخباريون) بالخاء المعجمة (ان ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالابيض) أى منقوش به بجعل الاحمر على أطرافه أو بالابيض كالاسفيداج ونحوه وفى نسخة صحيحة مكتوبا على الورد الاحمر بالابيض (لااله الاالله محمد رسول الله) وعن الحافظ المزى أخبرنى من سافر الى بلاد الهند ان فيه شجرة معروفة يسقط منها فى كل سنة ورقة مكتوب عليها لااله الاالله محمد رسول الله وقال ابن القيم فى تاريخه فى ترجمة الحسن بن أحمد ابن الحسن الوراق الخواص المصيصى مسندا عنه الى على بن عبد الله الهاشمى الرقى انه قال دخلت فى بلاد الهند الى بعض قراها فرأيت وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لااله الاالله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله تعالى انتهى وقال الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى فى كتابه المسمى بروض الرياحين قال بعض الشيوخ دخلت فى بلاد الهند فدخلت مدينة فيها شجر يحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لااله الاالله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بها ويستسقون بها اذا منعوا من

تقدم

الغيث فحدثت بهذا أبا يعقوب الصياد فقال لى ما أستعظم هذا كنت أصطاد على نهر الايلة فاصطدت سمكة مكتوب على جنبها الايمن لااله الاالله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله فلما رأيتها قذفتها فى الماء احتراما لما عليها كذا ذكره الشمنى والذى يخطر بالبال الفاتر والله أعلم بالظواهر والسرائر ان هذه كلها كشوفات مكشوفات لاهلها الا يراها من لم يتأهلها ورعاية ان اسمه سبحانه وتعالى مع اسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مرسوم على كل شئ من الاشياء بحكم قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك أى جعلنا ذكرنا معك فى كل شئ من ملك وفلك وبناء وسماء وفرش وعرش وحجر ومدر وشجر وثمر ونحو ذلك ولكن أكثر الخلق لا يبصرون تصويرهم ونظيره قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (وروى عن جعفر) أى الصادق (ابن محمد

عن أبيه) أي محمد الباقر وهو من أكابر أهل البيت واجلاء التابعين أدرك جابرا وغيره (اذا كان يوم القيامة نادى مناد) أي في الموقف كما في رواية (ألا ليقم من اسمه محمد فيدخل الجنة لكرامة اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم أي لاظهار كرامته واشعار شفاعته واليه أشار صاحب البردة بقوله

فان لي ذمة منه بتسميتي * محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

تقدم أيضا (عن أبيه) أبوه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (اذا كان) هي تامة بمعنى وجد (يوم القيامة نادى مناد) من الملائكة أمره الله بالنداء بقوله (ألا ليقم من اسمه محمد) ألا حرف استفتاح وتنبيه والمراد بالقيام الانفصال عمن معه ليمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كما ان من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم فهو استعارة أو مجاز مرسل أريد به لازمه أو كناية وليس هذا أمر تسخير للاموات قبل احيائهم أي ليقوموا من قبورهم أو لمن قعدوا في أرض المحشر لما عرض له من الاهوال وطول القيام فانه بعيد من السياق ويأباه قوله (فليدخل الجنة) لانه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم اذ لم يعهد لتسمية أحد من الكفار به بعد بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام) وهذا من تتمة الحديث فهو من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة ولم يقل باسمي التفاتا أو تجريدا أو هو مما درج فيه من كلام جعفر رضي الله تعالى عنه وعلى الاول هو من كلام المنادي وليس هذا مما يقال بالرأي فهو حديث له حكم الرفع وما قيل من انه يؤدي الى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت اليه وقد تقدم تتمته قريبا (وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة صاحب مالك وراوي الموطأ عنه وهو من الثقات توفي سنة احدى وتسعين ومائة (في سماعه) أعني كتابا له في مسموعاته عن شيوخه (وابن وهب) أبو محمد عبد الله ابن وهب تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطأ الكبير والموطا الصغير وكان أسن من ابن القاسم بثلاث سنين وعاش بعده خمس سنين (في جامعه) وهو اسم كتاب له ألفه على الابواب بخلاف ما ألفه على الصحابة فانه من المسانيد (عن مالك) محيي السنة وامام دار الهجرة الامام المشهور رحمه الله تعالى (قال سمعت أهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد) أي مسمى باسمه أو المراد اظاهره لانه لا يكون الاسم بدون مسماه (الا نمى) أي زاد ذلك البيت بكثرة الاولاد والاهل فيه وزادت البركة فيه (ورزقوا) أي زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم وفي نسخة الاوقدوقوا من الوقاية أي حفظهم الله من كل سوء واسم محمد يحتمل ان يكون اضافته بيانية أي اسم هو محمد فيختص بهذا الاسم أولامية أي اسم من أسماء هذه الذات فيشمل جميع أسمائه وفي نسخة (ورزق جيرانهم) جمع جار وهو لغة الملاصق وشرعا الى أربعين دارا ويحتمل ارادته هذا أيضا لان بركته تعم جميع الدنيا (وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) في حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطي وذكر سنده (ما ضر أحدكم) ما نافية وأحدكم مفعول ضر (وان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) فاعله في محل رفع ولا يصح كونها موصولة ونفي الضر والمراد به وجود النفع ولكن هذا يستعمل للحث يعني لو لم يكن فيه ضرر كفى سببا فكيف وفيه نفع عظيم وأي نفع ويجوز أن يكون استفهامية وان يكون مجرور بحرف مقدر أي أي شئ حصل له من الضرر لكونه في بيته وتوهم بعضهم انه لا يصح لان أن يكون فاعله فتبقى الجملة التي هي خبرها بلا عائد فيها وعندي انه أحسن لقول الناس ما ضرك لو صليت لمن ترك الصلاة وهذا فيه حث عظيم حتى لا يتركه الا لمانع وضرر والاستعمال عليه وكون الضرر باعتبار الالتباس في

(وروى ابن القاسم) أي العتقي واسمه عبد الرحمن جمع بين الزهد والعلم صحب مالكا عشرين سنة ومات بمصر أخرج له البخاري وأبو داود والنسائي (في سماعه) أي عن مالك وردعنه انه قال خرجت الى مالك اثنتي عشرة مرة أنفقت في كل مرة ألف دينار أخرج له البخاري وغيره (وابن وهب) وقد سبق ترجمته قريبا وهو ممن تفقه على مالك وابن دينار والليث بن سعد وصنف الموطا الكبير والموطا الصغير وكان مالك يكتب اليه الى أبي محمد المفتي (في جامعه عن مالك قال سمعت أهل مكة) أي بعض علمائهم (يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما) من النمو أي زاد وزكا يعني كثر بركته وفي نسخة نمى بناء على ان المادة واوية ويائية وفي أخرى الاقدوقوا بالضم واو وقاف

أي حفظوا (ورزقوا ورزق جيرانهم) أي ببركة اسمائهم وايمانهم وايقانهم واحسانهم (وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال) أي على ما رواه ابن سعد من حديث عثمان العمري مرفوعا (ما أضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة) أي وأكثر ويميز بينهم مثلا بالاصغر والاسط والاكبر هذا وفي مسند الحارث بن أبي أسامة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل

(وعن ابن مسعود) كما رواه أحمد والبزار والطبراني (ان الله تعالى نظر الى قلوب العباد) أي جميعهم من أولهم الى آخرهم (فاختار منها قلب محمد عليه الصلاة والسلام فاصطفاه لنفسه) أي اختاره لذاته أن يكون مظهر صفاته (فبعثه برسالته) أي الى جميع كائناته (وحكى النقاش ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا الآية) تمامها ان ذلكم كان عند الله عظيما (قام خطيبا فقال يا معشر أهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا) أي زائدا يليق بقدره وهو على وفق محله (وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا) أي احتراما له وتكريما ورفعا لشانه وتعظيما

(فصل)

(في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء

تعدد المسمى باسم واشتقاق مما لا يلتفت اليه وفي بعض النسخ (وعن علي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجتمع قوم في مشورة) بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها أي في أمر يتشاورون فيه (معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه في مشورتهم الالم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب) لان من تسمى به يبارك الله فيه ويلقن الرأي السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ومن أعرض عنه كان بضد ذلك (وعن عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه في حديث رواه أحمد والبزار والطبراني بسند رجاله ثقات وهو وان كان موقوفا له حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الرأي كما اتفق عليه في مصطلح الحديث أكثر المحدثين (ان الله نظر الى قلوب العباد) وما فيها من العقل وقيل المراد أرواحهم لان القلوب تطلق عليها (فاختار منها قلب محمد) أي اصطفاه وارتضاه (فاصطفاه لنفسه (٢)) أي جعله صفيا له مقربا منه مختصا به لا تعلق له بغير الله في ظاهره وباطنه ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لاوامره ونواهيه وهذا كله على طريق التمثيل فهو استعارة أي عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا مخزنا لاسرارهم والمراد ان روحه وقلبه أشرف مما عداه فلذا كان مقربا عنده وخليفة له وفي اطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى ويحذركم الله نفسه وادعاء انه مشاكلة تقديرية تكلف فقول أهل المعاني انه لا يطلق عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك غير صحيح وجمع بين القولين بعض المحققين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من غير مشاكلة والجسم وما يلزمه من النفس اللوامة والامارة وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة (وحكى النقاش) أبو بكر محمد بن الحسن المفسر المشهور وقد تقدمت ترجمته (ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت) آية (وما كان لكم) أي لا ينبغي لكم ولا يحل ولا يجوز (ان تؤذوا رسول الله) بأي أذية كانت (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده) أي بعد موته (أبدا الآية) لان حرمتهن مؤبدة وهي أمهات المؤمنين حتى قال الشافعي رضي الله تعالى عنه من استحل ذلك كان كافرا لانه صلى الله تعالى عليه وسلم حي لم تزل عصمته عنهن وهن معه في الجنة وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية ان بعض المنافقين قال ان مات محمد تزوجت عائشة وما قيل ان القائل ذلك طلحة أحد العشرة المبشرة وانه ندم فحج ماشيا وأعتق رقبة وحمل على عشرة أفراس في سبيل الله كفارة لمقالته لا يصح لان مثله لا يصدر عنه مثل ذلك بل لا يصدر ممن دونه بطبقات (قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما اذا بلغه ما لا يجوز وأراد اعلام الناس به (فقال) في خطبته (يا معشر أهل الايمان) المعشر الجماعة (ان الله فضلني عليكم تفضيلا) عظيما تفضل به على الامة (وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث) لانهن أفضل من جميع نساء عصره وفي فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله وأشار به الى عدم كفاءة أحد لهن وان كان الله خصه بما لا يجوز لاحد نكاح زوجاته لما مر

(فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بما تضمنه كرامة الاسراء) أي ما اشتملت عليه قصة الاسراء ووقع في ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام والمراد ما أكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة فانه من أعظم معجزاته وقد أعلم به وبما فيه من فضله ولك ان تقول المراد به ظاهره لانه أمر لا يطلع عليه غيره وما هو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة والباء للتعدية أو السببية والاسراء مصدر أسرى ويقال سرى وأسرى اذا سار ليلا واختلف فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل أسرى سار من أول الليل وسرى سار من آخره وقيل العرب تقول سرى ليلا اذا سار بعضه وأسرى ليلة اذا سار جميعها ولا يقال أسرى

(٢) فبعثه برسالته نسخة اه

ليلا الا اذا وقع سيره فى اثنائه فاذا وقع فى أوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه فى وسطه وأسرى متعد ومفعوله محذوف هنا أى أسرى البراق وقيل انه لازم لسرى وانهما متغايران معنى كما مر ولفظا لان سرى من السرى وأسرى من السراة وهى الظهر فمعنى أسرى به ذهب به فى سراة الارض وهى ظهرها كذا فى المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء هنا دون السرى واتفاقهم على القراءة به فصار معناه سيره الى بيت المقدس فالاسراء غير المعراج كما سيأتى ثم بين ما تضمنه بقوله (من المناجاة) وهى الكلام سرا لان السر يقال له نجوى وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (والرؤية) أى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعين بصره أو رؤيته ما فى الملأ الاعلى من العجائب ورأى اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت علمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأى * وقال السهيلى الرؤيا تكون بمعنى الرؤية أيضا وله شواهد فى كلام العرب وعليه قول المتنبى * ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض * فلا يرد عليه شئ كما توهم وما يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة ما يرويه (وامامة الانبياء) أى صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلاة والسلام ولذا استدل على تقديم أبى بكر رضى الله تعالى عنه فى الفضل بتقديم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الصلاة فى مرض موته وقالوا لانرضى لدنيانا مارضيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا (والعروج به الى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود فى جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل ويأتى فى الحديث عرج بى بفتحتين وقال المصنف رحمه الله تعالى انه بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسماء معراج تصعد فيه أرواح الموتى وهو الذى يشخص اليه بصر المحتضر لما يروى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تصعد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذى المعارج فالاسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسماء وهو مصدر ميمى أو اسم السلم أطلق عليه أو فيه مقدر وقد يطلق الاسراء على جميع الاسراء والمعراج ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهى شجرة النبق وقيل للتى فى الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة فى السماء السابعة وقيل فى السادسة واقتصر عليه المصنف رحمه الله فيما يأتى وجمع بينهما بان أصلها فى السادسة واعلاها فى السابعة ويأتى ان نبقها كقلال هجر وان أوراقها كاذان الفيلة وانه يغشاها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب فى ظلها مائة عام ويخرج من أصلها انهار أربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهى اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل انه ينتهى اليها علم الخلائق فلا يعلم وراءه أو منتهى الملائكة فلا يتجاوزونها وقيل لان من وصل اليها انتهى لاقصى الكرامة الى غير ذلك من الاقوال (ومارأى من آيات ربه الكبرى) ما موصولة عائدها مقدر أى رآه أو مصدرية والكبرى مفعول رأى ومن آياته بيان مقدم عليه أو هو صفة لآياته ومن تبعيضية أو زائدة وآيات الله كل ما رآه مما يدل على عظمته أو جبريل على صورته الاصلية أو ما يغشى السدرة من الانوار التى لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف أخضر سد السماء والرفرف ما يسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط (ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ما خصه الله به من دون الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ماله من المعجزات التى تساوى معجزات سائر الانبياء كما فصل فى محله (قصة الاسراء وما انطوت عليه) أى احتوت عليه وتضمنته (من درجات الرفعة) أى العلو فى

من المناجاة) أى المكالمة (والرؤية) أى البصرية أو القلبية (وامامة الانبياء) أى امامته لهم فى بيت المقدس (والعروج به الى سدرة المنتهى) فانها ينتهى اليها ما ينزل من فوقها وما يصعد من تحتها (ومارأى من آيات ربه الكبرى) هذا بيان قضيته اجمالا واما تفصيل قصته فى الجملة فكما لا فى قوله (ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام) أى من جملة ما خص به فى الاعطاء ولم يعط مثله لسائر الانبياء (قصة الاسراء) أى اسرائه الى السماء (وما انطوت) أى اشتملت (عليه من درجات الرفعة) أى بحسب ما ثبت فى اثناء الانباء

(بما أنبه عليه الكتاب العزيز) أي من بعض الاسرار (وشرحته فصاح الاخبار) أي وبينته الاحاديث والآثار وفي نسخة صحائح الاخبار قال الحلبي وكلاهما جمع صحيح واطلاق كل منهما فصيح (قال الله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده) أي سيره (ليلا) منصوب على الظرفية وتنكيره للدلالة على تقليل المدة الاسرائية مع ما فيه من الصنعة التجريدية فان السرى والاسراء كلاهما هو السير بالليل واختير زيادة الهمزة للمبالغة في مقام التعدية المقرونة بالمصاحبة والمعية المشيرة الى التخلية من مقام التفرقة الى التحلية والتجلية في مرتبة الجمعية (من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) أي الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ثم سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه ولعل ايراده هنا للتنبيه على انه منزه عن المكان وان اسراءه عليه الصلاة والسلام لاعلاء الشان ولاطلاعه على عجائب الملك والملكوت في ذلك الزمان وهو مضاف الى الموصول الذي بعده كما يدل عليه قوله فسبحان الله ونحوه ونصبه على المصدرية وأغرب الشمني في اعرابه حيث قال وهو غير منصرف لوجود الزيادة والعلمية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقد ألفت رسالة مستقلة في خصوص هذه المسئلة وبدأتها بتفسير صدر سورة الاسراء وختمتها بتفسير صدر سورة النجم وذكرت فيما بينهما بعض ما يتعلق بهذه الكرامة العظمى وسميتها المدارج العلوى في المعراج النبوي وههنا اتبع كلام الشيخ في تبيين مبناه وتعيين معناه واتبع كلام شراحه وحواشيه واختار ما ألفاه من مقتضاه ثم الظاهر من الآية المذكورة ان ابتداء الاسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا انا في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أتاني جبريل بالبراق وليطابق المبتدأ المنتهى لانه ليس حرم للمسجد الاقصى أو من الحرم كما قال صاحب البردة

للنبي

* سريت من حرم ليلا الى حرم * وسماه مسجدا لاحاطته به ولحديث انه كان في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص عليها من قصته ويمكن الجمع بينهما بان كان في بيت أم هانئ فرجع بعد صلاة العشاء الى المسجد وأتى الحجر عند البيت كما يشير اليه قوله بين النائم واليقظان ثم عند نزوله رجع اليها وقص عليها القصة وكان ذلك قبل الهجرة بسنة ثم وجه تسميته الاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام والمراد ببركة حوله بركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى الى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالانهار والاشجار والازهار والاثمار وفي الحديث بارك الله فيما بين العريش والفرات وخص فلسطين بالتقديس ذكره الدلجي ومن جملة اراءة الآيات ذهابه في لحظة مسيرة أربعين ليلة ورؤيته بيت المقدس للانبياء وامامته لهم مع علو حالاتهم ووقوفه على مقاماتهم

الرتبة والدرجة المرقاة الحسية فشبه ما أعطيه من المراتب المعنوية بالمراقي الحسية واستعار لها اسمها استعارة مصرحة (بما أنبه عليه في كتابه العزيز) في سورة الاسراء وسورة النجم (وشرحته) أي كشفته وبينته (صحاح الاخبار) وفي بعض النسخ صحائح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحائح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح أو مصدر بمعنى الصحة وهو من اضافة الصفة للموصوف أي الاخبار الصحاح وهي ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل في مصطلح الحديث (قال تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية) وقدم الكلام على لفظ الاسراء وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة فاذا أضيف قصد تنكيره فان علم الجنس منكر كعلم الشخص وأنكره بعضهم بناء على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا نكر صرف وأنكر بعض النحاة علميته وخطأ من قال به كما ذكره أبو علي في تذكرته والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه أو اسم مصدر وابتداء السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسراء والرؤية ربما توهم ان الله تعالى في جهة فنزهه عن ذلك وهي مع التنزيه تدل على التعجب ولما كذبوه في الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده في نسبته لمثله ومما أنعم عليه من النعم التي خصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعنى الامر أي سبحوه تسبيحا وقال ليلا أي في مدة قليلة ولذا ذكره ونكره مع ان السرى يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية أشرف الصفات واضافه له تشريفا وايماء الى انه مجرد لدخول سرادق العز والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وروي انه كان في بيت أم هانئ وجمع بينهما بان جبريل أتاه في بيت أم هانئ فايقظه جبريل عليه الصلاة والسلام وذهب به الى الحرم ثم تباطأ لمجيئه فنام في الحجر والمسجد الاقصى بيت المقدس سمي به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله أي هو السميع لما قيل في حقه والبصير المطلع على أحواله وقيل انه

(وقال) أى الله سبحانه وتعالى (والنجم) أى الثريا أو نجوم السماء أو الرجوم من النجوم أو الكواكب اذا انتثرت أو نجوم القرآن (اذا هوى) أى غرب أو طلع أو انقض أو انتشر أو نزل وانتثر (الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى ولا خلاف) كذا بالواو وبلا خلاف فى النسخ المصححة وفى أصل الدلجى فلا بالفاء فالأولى ان الفاء فصيحة أى اذا كان الامر كذلك فلا ريب (بين المسلمين) أى من أهل السنة وطائفة المعتزلة وغيرهم (فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) أى بطريق اجمال المرام (اذ هو نص القرآن) أى وعليه اجماع أئمة الاسلام الا ان المعتزلة ومن تبعهم من المبتدعة قصروا الاسراء الى بيت المقدس لا الى السماء فمن أنكر مطلق الاسراء فهو كافر بلا امتراء (وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه) أى بسط غرائبه (وخواص محمد فيه) أى وظهور خصوصياته فى اسرائه وتنزلاته فى مراتب سنائه (أحاديث كثيرة منتشرة) أى مشتهرة كادت ان تكون متواترة (رأينا ان نقدم أكملها) أى أكمل الاحاديث الواردة فى الاسراء تسريحا وتوضيحا (ونشير الى زيادة من غيره) أى غير أكملها تلويحا وترشيحا (يجب ذكرها) أى يتعين بيانها تحقيقا وتصحيحا (حدثنا القاضى الشهيد أبو على) أى ابن سكرة (والفقيه أبو بحر) بفتح موحدة وسكون مهملة وهو ابن العاص (بسماعى عليهما) أى منهما أو واقع على كلامهما (والقاضى أبو عبد الله التميمى وغير واحد) أى وكثير (من شيوخنا) أى المحدثين (قالوا) أى كلهم (حدثنا أبو العباس العذرى) بضم مهملة وسكون ذال معجمة نسبة الى عذرة قبيلة (حدثنا أبو العباس الرازى حدثنا أبو أحمد الجلودى) بضم الجيم (حدثنا ابن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج) أى صاحب الصحيح (حدثنا شيبان بن فروخ) بفتح فاء وضم راء مشددة فواو ساكنة فمعجمة غير منصرف للعجمة والعلمية وصرفه فى نسخة قال التلمسانى وصرفه أكثر قيل عنده خمسون ألف حديث وهو من التابعين

للنبى صلى الله عليه وسلم أى هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته (وقال عز وجل والنجم اذا هوى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى) الواو للقسم والنجم عام لكل نجم أو المراد به الثريا بالغلبة عليه أو المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهو بمعنى غرب أو انقض أو طلع أو نزل عليه وحيه وأقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالى ان يقسم بما شاء أو التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط فى التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص (فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام) بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون مجمعون عليه وانما اختلفوا فى كونه يقظة أو مناما كما سيأتى (اذ هو نص القرآن) تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم (وجاءت بتفصيله) بعد ما أجمله النص (وشرح عجائبه) الواقعة فيه (وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه) أى ما خصه الله به فى الاسراء (أحاديث كثيرة منتشرة) وفى نسخة أخبار كثيرة ومعنى منتشرة انها متفرقة فى كتب الاحاديث باسانيد مختلفة (رأينا) من الرأى وهو النظر والتدبر فى الامور المهمة بعد ما رأينا جمعها يطول ويعسر (ان نقدم اكملها) أى الحديث الذى هو اكملها أى أجمعها لهذه القصة وأصحها والمراد بتقديمه اختياره كما فى قوله

فقلت له هاتيك نعمى أتمها * ولا تبتئس ان المهم المقدم

وهذا رواه مسلم فلذا جعله أصح من غيره بناء على رأى المغاربة من انه أصح من البخارى (ونشير الى زيادة من غيره) أى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم وهى مهمة (يجب ذكرها حدثنا القاضى الشهيد أبو على) هو الحافظ ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه أبو بحر) بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاضى الامام المشهور (بسماعى عليهما) أى بسماعى ممن يقرؤ عليهما فان حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره فذكر المصنف هذا الدفع توهم غيره (والقاضى أبو عبد الله التميمى) وهو محمد أبو عبد الله بن عيسى التميمى استاذ المصنف الذى تفقه عليه واليه أشار بقوله (وغير واحد من شيوخنا) والشيخ فى الاصل معناه الكبير سنا ثم صار فى العرف اسما لمن يقرؤ عليه الناس ويستفيدون منه لانه فى الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان فى العصر الاول يقال لابى بكر وعمر رضى الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوى (قالوا حدثنا أبو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال (حدثنا أبو العباس الرازى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو أحمد الجلودى) تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال (حدثنا ابن سفيان) تقدمت ترجمته قال (حدثنا مسلم بن الحجاج) صاحب الصحيح الامام المشهور قال (حدثنا شيبان) بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة (بن فروخ) بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة وقال ابن حجر فى التبصرة انه بدون واو

والذى نعرفه فى لغة العجم انه بالواو فان صح ماقاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطا لاينبغى ذكره وكذا قول التلمسانى انه يصرف ولا يصرف وصرفه أكثر وقال صاحب العين انه اسم لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو أبو العجم كما فى المطالع ونقله النووى فى شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو أبو محمد الحبطى الايلى روى له أصحاب السنن فهو امام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا حماد بن سلمة) بن دينار أحد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط توفى سنة سبع وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال (حدثنا ثابت البنانى) بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن أسلم رأس العلماء العابدين فى عصره توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثقة ثابت كاسمه أخرج له أصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان (عن أنس ابن مالك) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق) بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمى به لشدة بريقه ولمعانه أو لسرعته كالبرق الخاطف كما مر (وهو دابة) أى على صورتها وهى فى عرف اللغة ذوات الاربع وأصل معناها وضعا كل مايدب أى يتحرك ويمشى من ذوات الارواح وهو يذكر ويؤنث (أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل) أى فى الجثة وأبيض خبر بعد خبر لاصفة دابة وطوله باعتبار مابين عنقه وذنبه لانه أعون فى مدخطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادى البشرة خده كخد الانسان وعرفه كالفرس وقوائمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لايشبه الدواب قال ابن المنير فى المقتفى انما أوتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تانيساله بجريه على العادة والله تعالى قادر أن يرفعه بغير شئ واظهار الكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا اليه بمركب فى وفادته ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على انه حال سلم لاحرب واظهارا للآية فى اسراعه العجيب وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين اظهار الثباته وشجاعته وتساوى الحرب والسلم عنده وبغلته بيضاء أيضا كالبراق قال ابن المنير أى شهباء والاشهب المائل الى البياض والشاة البرقاء هى البيضاء ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة (يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجاز كالمشفر فان الحافر لايطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر والطرف العين والمراد به النظر ولا يلزمه أن يصل الى السماء بخطوة كما توهم (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فركبته حتى أتيت بيت المقدس) بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من التقديس وهو التطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلاة والسلام معه أم لا فقيل ركب معه لانه ورد فى بعض طرق هذا الحديث فمازلت على ظهره أنا وجبريل وسيأتى التصريح به عن حذيفة وحينئذ فيحتمل انه كان خلفه ويؤكده ماتقدم فى عدة ممن أردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح فى الحديث بان صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميرى ان الله أنزله بدونه اظهار القدرته وقيل انه هبط به أيضا ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج (فربطته) أى البراق (بالحلقة) بفتح الحاء المهملة وسكون اللام وهى معروفة واختلف فى فتح لامها فجوزه بعض أهل اللغة وجعله بعضهم خطأ وقال الليثى بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة

(حدثنا حماد بن سلمة) أحد الاعلام روى عنه شعبة ومالك وأبو نصر التمار قال عمرو بن عاصم كتبت عن حماد بن سلمة بضعة عشر ألفا (حدثنا ثابت البنانى) بضم الموحدة وتخفيف النون بعدها ألف فنون فياء نسبة الى قبيلة بنانة كان رأسا فى العلم والعمل يلبس الثياب الفاخرة ويقال لم يكن فى وقته أعبد منه أخرج له الائمة الستة وقال الذهبى هو ثابت كاسمه (عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتيت) بصيغة المجهول المتكلم (بالبراق) بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق (وهو دابة) أى مركوب (أبيض) وفيه ايماء الى ماقيل انه ليس بذكر ولا أنثى (طويل) أى مائل الى الطول (فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه) بفتح فسكون أى نظره وبصره (قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس) أى حضرته وهو بفتح فسكون فكسر أو على زنة محمد أيضا لان فيه يتقدس من الذنوب أولانه منزه عن العيوب قال التلمسانى وروى باب المقدس (فربطته) أى البراق (بالحلقة) باسكان اللام وفتحها

(التي يربط) بضم الموحدة وكسرها (بها الانبياء) أي دوابهم عند باب المسجد كما صرح به صاحب التحرير وسيأتي فيه ما ينافيه أو البراق ان ثبت ان له الاسراء أيضا الى بيت المقدس ويؤيده ان ابراهيم عليه السلام كان يزور هاجر بمكة عليه ويقويه قول جبريل له فما ركبك أحد أكرم على الله تعالى منه كما سيأتي وفي حديث الترمذي من طريق بريدة انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس أشار جبريل عليه السلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ويمكن الجمع بانه كان الخرق فيها مسدودا فاظهر خرقها ثم في ربطه دليل على ان الايمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك والحذر في السفر والحضر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أعقل وتوكل وقد قال وهب ابن منبه كذا وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة ثم اعلم ان نسخ الشفاء كلها اتفقت على لفظ بها بضمير المؤنث وهو ظاهر وقال النووي في شرح مسلم وهو في الاصول يعني أصول مسلم به بضمير المذكر اعاده على معنى الحلقة وهو الشئ انتهى ولا يخفى ان الاولى رجع الضمير الى خرقها بحذف مضاف أو ارتكاب مجاز اخر فتدبر (ثم دخلت المسجد) أي الاقصى (فصليت فيه ركعتين) أي تحية المسجد (ثم خرجت) أي منه (فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن) أي امتحانا من الله تعالى قال التلمساني هكذا في مسلم وفي البخاري واناء من ماء وروى ثلاثة لبن وخمر وعسل وروى أربعة لبن وخمر وعسل وماء ولعل هذا هو الاظهر حيث عرض عليه من الانهار الاربعة الموعودة في الجنة واختياره اللبن لانه مغني عن غيره بخلاف غيره وقيل العسل اشارة لزهرة الحياة الدنيا ولذتها وحلاوتها والماء للغرق ولذا قيل لو اخترته لغرقت وغرقت أمتك ولعل المراد بغرقهم استغراقهم في جمع المال الذي يؤدي الى سوء الحال ونقصان المآل وأما الخمر فاشارة الى جميع الشهوات (واخترت اللبن) أي واعرضت عن الخمر وروى فاخذت اللبن (فقال جبريل اخترت الفطرة) أي علامة الاسلام والاستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور في الحلق سليم العاقبة سائغا شرابه وطيبا مذاقه والخمر أم الخبائث جالبة لانواع شرور الحوادث

(التي يربط بها الانبياء) وروي به في مسلم وفي الشفاء لتأويل الحلقة بشئ ونحوه وقالوا أمر التذكير والتأنيث سهل وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية ولم يبين أين كانت الحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذي في حديث الترمذي انه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتهى الى بيت المقدس أشار جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو المعروف ولا أعرف ما قبله عمن نقل ولم يذكر المربوط وظاهر السياق انه البراق بناء على ان الانبياء كانت تركبه وهو الصحيح فان ركبه جميعهم فهو ظاهر والافراد بالانبياء الجنس وأثبت للجميع فعل البعض وهو جائز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكون البراق قوي يمكنه قلع الحلقة بجذبه فلا فائدة في الربط لا يضر لانه مسخر لا يخالف فعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تمنع التوكل وكفاك شاهدا أعقلوا وتوكلوا (ثم دخلت المسجد) الاقصى وعطف بثم للتراخي الرتبي وجعل بعد مرتبة المسجد عن الارض التي ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقي (فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يصلي قبل فرض الصلاة بالاسراء وفرض عليه صلاة اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل صلاة بالغداة وصلاة العشي ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس في الاسراء من غير تعيين أوقاتها فكانوا يصلونها متى أرادوا مجموعة ومفرقة ثم عينت أوقاتها بوحي من الله (ثم خرجت) من المسجد (فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن) وخيرني في شرب أيهما أردت (فاخترت اللبن) باخذه وشربه (فقال جبريل اخترت الفطرة) وروي أخذت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة والطبيعة التي فطر الناس عليها وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة أي ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التي خلق الله الناس عليها وللطبائع المستقيمة فان اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسان سريع النماء ولذا كان غذاء للاطفال دون غيره وفي حديث آخر هديت وهديت أمتك ولو اخترت الخمر لغويت أمتك وفي طريق آخر هدى الله بك أو أصاب بك وروى ان الآنية كانت ثلاثا واناء فيه ماء وفي رواية أربع هي واناء فيه عسل والاصح ما رواه المصنف وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين كخصال الكفارة أو مباحين كمجالس الحسن أو ابن سيرين أو ما بين واجب وممنوع أو مباح وممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء أريد اباحتهما والاذن فيهما جميعا أو أريد الاذن في أحدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار أحدهما وقول جبريل له أصبت الفطرة باختيار اللبن أي تنبت الخلقة عليه وبه نبت اللحم ونشز العظم أو اخترته لانه الحلال الدائم في دين الاسلام وأما الخمر فحرام فيما استقر عليه الامر والذي يرفع الاشكال ان يكون المراد تفويض الامر في التحريم والتحليل الى اجتهاده الذي وافق فيه الصواب بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح اليه شئ وانه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم في اجتهاده بخلاف غيره انتهى وأجاب غيره

بان الخمر لم تحرم اذ ذاك أو انه كان فى السماء وليست دار تكليف أو هى من جملة خمور الجنة وليست محرمة ويجوز ان يترتب عليها غى أمته كما تترتب القبائح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن فى الرؤيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لما ملئ قلبه ايمانا وحكمة أردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه وشحن قلبه وقالبه بالانوار والاسرار وان كان يقظة الا انه ربما وقع فى اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنام ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفال الحسن وجاء فى الحديث انه قدم له الاناآن قبل العروج وجاء فى حديث آخر انه بعده ويجمع بينهما بان تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل تصويب فعله تاكيدا للتحذير عما سواه (ثم عرج بنا الى السماء) بفتح العين والراء أى عرج جبريل وصعد وضمير بنا له صلى الله تعالى عليه وسلم والبراق أوهو له وجبريل وفى نسخة بى وفاعل عرج البراق والباء للتعدية أو للمصاحبة وتقدم انه يجوز ضم العين وكسر الراء والسماء هى السماء الدنيا هنا ولم يبينه لظهوره (فاستفتح جبريل) وهو اما بقرع لها أو بصوت قيل والظاهر الاول لانهم يعرفون صوته أى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها (فقال) الموكل بها (من أنت) أيها المستفتح (فقال) المستفتح انا (جبريل) فهو خبر بل مبتدأ مقدره هو انا أو المستفتح وفيه اشارة الى ان من دق الباب ينبغى له أن يسمى نفسه ولا يقتصر على قوله انا وان السماء لها أبواب تفتح خلافا للحكماء المانعين للخرق والالتئام عليها (قيل ومن معك قال محمد) عطف على مقدر أى جبريل ومن معك قيل انما استفتح لان معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتانيسا له وقال ابن المنير استفتاحه لان أبوابها مغلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك (قيل وقد بعث اليه) أراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها وأصله أوقد بعث اليه والنحويون يمنعون حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا لم يكن قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المقتفى ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما لهم وانما المراد انه بعث اليه للمعراج وقول ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهاما عن أصل بعثته بالنبوة والبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشأنه لا وجه له لان المراد بسؤاله بيان سببه موجب لفتح السماء له ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية الا انه يحتمل كونه تعجبا مما أنعم الله به واستبشارا بمروجه وهذا مع ما فيه أحسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالته على ان من أذن له فى شئ يقتضى رفع الموانع عما أذن له فيه فمن أذن له بالبيع أذن له فى قبض الثمن والوكيل اذا أذن له فى شئ أذن له فى لوازمه فلذا لم يطلب البواب الاذن له فى الفتح ولذا قال جبريل (قد بعث اليه ففتح لنا) بالبناء للفاعل والمفعول وفى بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ولنعم المجئ جاء قال ابن المنير وفيه دليل على ان حاشية الملك اذا فهموا منه اكرام وافد ان يبشروه وان لم يؤذن لهم فيه وليس هذا من افشاء السر لانه تفرس الرضا به لان استدعاءه انما هو لاكرامه فعجل له بالبشرى ثم أفاد فائدة هنا جليلة منقسمة الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وان أدى معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد الى ما لا حجر فى لفظه فيقوم مقامه كل ما أدى مؤداه كدعاء الجنازة والقنوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه وهذا انما يعلم من جملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدى من القبيل الاول أو من الثانى فيقوم مقامه

(ثم عرج بنا) أى صعد بنا (الى السماء) بنون المتكلم اما لتعظيمه أو له ولمن معه فالضمير الى الله تعالى أو جبريل أو البراق وفى نسخة صحيحة بصيغة المجهول وجزم به الانطاكى وكذا فيما بعده وهو فى غاية من القبول مع الاشارة الى ان سيره من المسجد الاقصى الى السموات العلى لم يكن بالبراق بل بالمعراج الذى درجة له من ذهب وأخرى من فضة وبه سميت القصة (فاستفتح جبريل) أى باب السماء الدنيا استئذانا للملائكة ولا يبعد ان يكون الاستفتاح كناية عن مجرد الاستئذان فلا يكون هنالك فتح واغلاق وهو الاظهر فى مقام أدب الاجلال والاستحقاق (فقيل من أنت قال) أى جبريل (جبريل) أى أنا جبريل (قيل ومن معك) أى لما كوشف لهم ان أحدا معه واستدلوا باستئذانه على خلاف دأبه ومقتضى شانه (قال محمد) أى هو أو معى محمد (قيل أوقد بعث اليه) أى أطلب وقد بعث اليه للاسراء وصعود السماء وليس استفهاما عن بعثة الدعوة لبلوغها من الظهور فى الملكوت الى ما لا يخفى على الخزنة ولكونه أوفق بمقام الاستفتاح والاستئذان فى الجملة وقيل كان سؤالهم استعجابا بما أنعم الله عليه من القربة واستبشارا بعروجه لحصول الرؤية ثم هذا مؤذن بان للسموات أبوابا حقيقة وعليها ملائكة موكلة هذا وفى رواية صحيحة أرسل اليه وهو قابل للتاويل المذكور مع انه لا يبعد ان يكون بعثة الرسالة خفيت على بعض الملائكة لكمال اشتغالهم بالعبادة على ما ذكره الطبرى (قال قد بعث اليه ففتح لنا

ما

مايؤدي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لايرد سلام من لم يلفظ به ويقول ليس
هذا بسلام يستحق الرد وأكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل لهم فان الملك
حياه بمرحبا ونعم المجيء وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم
(فاذا أنا بآدم) عليه الصلاة والسلام (فرحب بي ودعالي بخير) أي قال لي مرحبا بك أي جعل الله تعالى
مكانك رحبا واسعا وهو كناية عن اكرام نزله وبره واذا هي الفجائية وبدأ بآدم عليه الصلاة والسلام
لانه أسبقهم وجودا قال ابن المنير في المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء في ذكر الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وترتيبهم في السموات فمنهم من لم ير التكلم في سره أصلا ومنهم من تكلم فيه
من مشايخ الصوفية وفيه كلام طويل أفردناه برسالة لايسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم
من قال انما اختص من اختص من الانبياء بلقائه صلى الله تعالى عليه وسلم على عرف الناس اذا لقوا
الغائب مبتدرين للقائه فالغالب ان يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لايصادفه وهذه
طريقة ابن بطال في شرح البخاري وذهب بعض شيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة
بهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمثيل لما سيتفق له صلى الله تعالى عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصه
الله تعالى في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن التعبير فمن رأى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فآدم
عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته كخروجه صلى الله
تعالى عليه وسلم من مكة بأذية قومه له وللمسلمين وعيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام دليل على ما
سيلقاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من أذى اليهود لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله
اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذ داروا حول قتله وسموه في ذراع شاة
كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته وظفره
عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس وابن عمه عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة اذ
عفا عن قريش وأطلق الطلقاء أقول كما قال أخي يوسف لاتثريب عليكم اليوم الى آخره ففعل كما فعل
يوسف عليه السلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تنقلب بغضتهم مودة كما كان هارون عليه
السلام محببا عند بني اسرائيل حتى آثروه على موسى عليه السلام وادريس دليل على كتبه صلى الله
عليه وسلم الى الآفاق لانه أول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه وموسى دليل لفتحه عليه السلام مكة
وقهر المستهزئين به كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم عليه السلام في استناد ظهره للبيت المعمور كحاله في
حجه في آخر عمره ولذا لقيه في آخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب في منازلهم ولقياهم
وهذا مما ينبغي تأمله فانه مما تفرد به وللمشايخ في ذلك كلام كثير وأشار اليه الشيخ في فتوحاته وقد تقدم
ان اليقظة فيها أحوال كالمنام من الفال ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا ولعمر رضي الله تعالى عنه في ذلك أمور
كثيرة كقوله اذ سأل رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من الحرقة قال اسم
قبيلة فقال أين مسكنك قال بالحرة فقال أين أنت منها قال من ذات لظى فقال أدرك قومك فقد احترقوا
فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه رأى رجلا في سماء الدنيا عن يمينه
اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعني آدم وذريته وقد
استشكل بانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء
والحديث الصحيح ان أرواح الكفرة في سجين وأسفل سافلين وأجيب بان المراد بذلك أرواح
العصاة وما في الآية والحديث المراد به أرواح الكفار الجاحدين وهؤلاء يرحمهم وقد نهى
ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن استغفاره لابيه للموعدة التي وعده جعل في صورة ضبع بذيخ
حين القائه في النار حين يحزن عليه وأجيب أيضا بانه يجوز ان تمثل أرواح الاشقياء والسعداء ويراهم

فاذا أنا بآدم صلى الله تعالى
عليه وسلم فرحب بي)
بتشديد الحاء أي قال لي
مرحبا كما ورد مرحبا
بالابن الصالح والنبي
الصالح أي لقيت رحبا
وسعة (ودعالي بخير)
أي في الدارين

(ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أوقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا) فيه ايماء الى ان أهل كل سماء لايدرون عن حال أهل سماء أخرى أو أرادوا التلذذ بهذه المذاكرة التى هى بالمحاورة أحرى
وفيه اشعار الى غاية بسط الزمان ونهاية طى المكان ولا يبعد ان تكون هذه المكالمة على لسان الملائكة أو بالمناداة من غير واسطة
استقبالا لصاحب الرسالة كما يشير اليه تعبير الافعال بقيل ونحوه فى العبارة فيكون كلام الجبار مع سيد الابرار من وراء الاستار فى
فى لباس الاغيار كما يقتضيه معنى المعية والحالة الجمعية من شهود عين الوحدة فى عين الكثرة (فاذا أنا بابنى الخالة) لان أم يحيى ايشاع
أخت مريم (عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا) ممدودا ومقصورا (صلى الله تعالى عليهما وسلم فرحبابى ودعوالى بخير) وفى نسخة
صحيحة دعيالى بالياء وفى القاموس دعيت لغة فى دعوت (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول) أى
مثل ماذكر فيما قبله من استفتاح الباب والسؤال والجواب وهذا اختصار من المصنف أو من غيره والله تعالى أعلم (ففتح لنا فاذا أنا بيوسف صلى الله تعالى عليه وسلم واذا هو قد أعطى شطر الحسن) أى نصفه أو بعضه والمراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الاظهر والله تعالى أعلم وروى فى حديث مرفوع مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر قال البغوى فى تفسيره انه ورث ذلك الجمال من جدته وكانت
قد أعطيت سدس الحسن وقال ابن اسحق ذهب يوسف وأمه يعنى جدته بثلثى الحسن انتهى فالمراد بالشطر البعض شعائر
والله تعالى أعلم (فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس عليه الصلاة والسلام) وهو سبط
شيث وجد والد نوح أو مرسل بعد آدم عليه السلام وأول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم والحساب وأما قولهم ادريس
مشتق من الدرس اذ قد روى ان الله تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة فغلب به لكثرة الدراسة فمدفوع بعدم صرفه للعلمية والعجمة
(فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) هو شرف النبوة ومقام القربة وعن الحسن هو الجنة اذ قال لملك الموت
أذقنى الموت ليهون على ففعل باذن الله تعالى ثم حيى فقال ادخلنى النار ازدد رهبة ففعل ثم قال له ادخلنى الجنة ازدد رغبة ففعل ثم قال
له أخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج فقال الله تعالى باذنى دخل دعه وقيل هو فى السماء الرابعة لهذا الحديث

النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم تكونوا هناك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من
خلف ظهره وهذا هو الجواب عن الاشكال الآخر وهو كيف يرى أرواح السعداء والاشقياء وكثير منهم لم
يموتوا وأما كون المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من أصحاب اليمين وعلم مما مر ان
آدم عليه الصلاة والسلام انما كان فى أول السموات لانه أول الانبياء وجودا وليكون أقرب لاولاده
فينظر لاسودتهم (ثم عرج بنا الى السماء الثانية) فيه ما مر أولا (فاستفتح جبريل) عليه الصلاة والسلام
(فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد) عليه السلام (قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم الصلاة والسلام فرحبابى ودعوالى
بخير) بالف التثنية وفى بعض الروايات أوقد أرسل اليه وهما بمعنى وقوله ابنى الخالة لان مريم ابنت
عمران أختها ايشاع أم يحيى على ماقاله السهيلى وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم بنت حنة
بنت فاقوذا وأم يحيى أم أبيه زكريا فاقوذا أيضا فاتحدا فى الجدة فيكونان ابنا خالة لان الخالة أخت أم
والجدة يقال لها أم واستدل لهذا بقول زكريا لما أراد كفالة مريم عندى خالتها وارتضى هذا
السعد فى شرح الكشاف فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهرى يقال هما ابنا عم ولا
يقال ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الآخر ابن عمه أيضا ومن
كان ابن خالة انسان كان الآخر ابن خالته أيضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كانا فى السماء الثانية
لانه رفع الى السماء وسينزل منها فجعل فى مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه لدته وبينهما من القرابة
والمحبة مالا يوصف ولذا جعلا فى سماء واحدة ولم يكن فى سماء اثنان من الانبياء غيرهما وقال ابن المنير لما
كان عيسى عليه الصلاة والسلام سينزل كان معينا ليحيى وحده (ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر
مثل الاول ففتح لنا فاذا أنا بيوسف) عليه الصلاة والسلام (واذا هو قد أعطى شطر الحسن) تقدم معناه
وان الشطر النصف (فرحب بى ودعا لى بخير) لم يذكر الدعاء والقول بانه قوله مرحبا لاوجه له فانه
لايسمى دعاء ولما كان لقاؤه له صلى الله تعالى عليه وسلم دليلا على مفارقة أهله ووطنه على وجه يؤول
لعزة ونصرة وهو بعد البعثة والدعوة فهو الثالث من أطواره رآه فى الثالثة وقد تقدم بسطه (ثم عرج
بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعا لى بخير قال
الله تعالى ورفعناه مكانا عليا) ولما ترادف الوحى عليه عليه الصلاة والسلام بعد الهجرة وأظهر المؤمنون

(ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهرون فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسندا) بصيغة الفاعل منصوب على الحال كما فى مسلم وشرح السنة وفى بعض نسخ المصابيح مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف أى وهو مسند (ظهره الى البيت المعمور) قال المصنف يستدل به على الاستناد الى القبلة وتحويل الظهر الى الكعبة وفى استدلاله نظر لاحتمال كون ابراهيم حينئذ متوجها الى الكعبة أو الى العرش على خلاف أيهما أفضل فى باب الاستقبال أو باعتبار نظر ذى الجلال مع احتمال ان يكون التقدير مسندا ظهره الى شئ من اجزاء السماء أو الى طرف بابها متوجها الى البيت المعمور (واذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه) أى لكثرتهم وقد روى عن على كرم الله وجهه انه قال البيت المعمور فى السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فالف من الضراحة بمعنى المقابلة اذ هو مقابل للكعبة كما قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومن رواه بصاد مهملة فقد تصحف بصراح الغلط وروى أبو هريرة انه فى السماء الدنيا وقيل فى الرابعة وقيل فى السادسة ولعل كل بيت فى كل سماء يسمى بيت المعمور وبالمعنى المذكور وانه فى السماء السابعة على القول المشهور الوارد فى حقه انه نقل من محل الكعبة الى السماء كما بين فى محله المسطور (ثم ذهب بى) أى جبريل وضبطه الانطاكى بصيغة المفعول (الى سدرة المنتهى) أى ينتهى علم الخلائق عندها وخصت السدرة لان ظلها مديد وطعمها لذيذ ورائحتها طيبة فشابهت الايمان الذى يجمع قولا ونية وعملا فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وامتداده وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره

شعائر الاسلام وهو طور رابع رأى ادريس فى الرابعة لشهرة علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفى تلاوة الآية ايماء لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية وهو سبط شيث وجد أبى نوح وهو المثلث بالحكمة لانه أول من نظر فى النجوم وخط ودرس وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح وفى اخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر وقد استشكل كونه أخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذى لقيه غير ادريس هذا وهو الياس وروى هذا عن ابن مسعود رضى الله عنه وعلى هذا الاشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام واختلف فى رفع ادريس الى السماء هل هو بعد موته كما رفع سائر الانبياء أو فى حياته كعيسى ففى قصص الانبياء ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام احبته لكثرة عبادته فسأل ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه فاذاقه ثم حيى ثم سأله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فسأله ان يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له أخرج قال يارب انى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها أبدا فاوحى الله لخازنها دعه فباذنى فعل مافعل فبقى فى الجنة فى السماء الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه فى الرابعة على الاصح وقيل انه فى الثانية وقيل فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) جعل فى الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلاة والسلام لا يفارقه فلذا كان فى جواره (ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا أنا بموسى) عليه الصلاة والسلام (فرحب بى ودعالى بخير) لما كان أجل الانبياء بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكتابه أعظم الكتب قبل القرآن وجاهد فى سبيل الله وظفر بما لم يظفر به غيره رفعت مرتبته على غيره وتوفى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل فكان فى السادسة (ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم) عليه الصلاة والسلام لما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أفضل الانبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو خليل الرحمن كان أرفعهم منزلة وماذكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظر المناسبة الحال بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة أخرى بين أهل كل سماء ومن فيها من الرسل وهذا مما لا نعرفه (مسندا ظهره الى البيت المعمور) وهو بيت تطوف به الملائكة وتحج له للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه قال التلمسانى قيل فيه دلالة على ان الافضل فى غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها فعلى هذا العله اسند ظهره ليتوجه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ويخاطبه بما سر وانما أسند ظهره للبيت لانه الذى أول من بنى الكعبة من الناس أولا (واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه) لان حجه مرة كفرض الحج علينا أو لاشتغال غيرهم وكونه فى السابعة حذاء العرش هو الاصح وقيل انه فى الرابعة (ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لانها فى السماء السابعة وتقدم

(واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر فاء وفتح تحتية جمع فيل قيل والآذان بالمد جمع الاذن (واذا ثمرها) كذا في النسخ المصححة ووقع
في أصل الدلجي واذا نبقها (كالقلال) بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة
يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قلة لانها تقل أي ترفع وتحمل وليست بهجر الذي هو من توابع البحرين (قال
فلما غشيها) بفتح فكسر أي علاها وغطاها (من أمر الله تعالى) أي من أجل أمره وارادته أو من آثار عظمته
وأنوار قدرته (ما غشي) أي ما غشيها كما في نسخة وهو مستفاد من قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى (تغيرت) أي السدرة (مما غشيها) من اسرار القدرة (فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع) أي يقدر (ان ينعتها) أي يصف كيفية غشيتها أو ماهية ما غشيها (من حسنها) أي من غاية ضيائها ونهاية بهائها فقيل هو فراش من ذهب فقيل لعله شبه ما غشيها من الانوار التي تنبعث منها وتتساقط على مواقعها بالفراش وجعلها من الذهب لاضاءتها وصفاء ذاتها وعن الحسن غشيها نور رب العزة فاستنارت (فاوحى الله الى ما أوحى) وهو تفسير لقوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وفي ابهامه تفخيم للوحي كما لا يخفى (ففرض) أي الله تعالى كما في نسخة
(على خمسين صلاة في كل يوم   لانه
وليلة) بيان لما أوحى كله أو بعضه (فنزلت الى موسى) أي منتهيا اليه (فقال ما فرض ربك على أمتك فقلت خمسين
صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف) أي تخفيف هذا التكليف وان كان متضمنا للتعريف والتشريف ويجوز في فاسأله
بالتخفيف بالنقل وغيره كما قرئ بهما في السبعة

معنى سدرة المنتهى (واذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل وانما شبهه
بها وان لم يكن بارض الحجاز لانها كثيرة في بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة
الاولى فهم يعرفونها والا فالتشبيه بما لا يعرف عادة غير مقبولة (وثمرها كالقلال) جمع قلة وهي الجرة
وشبهها بها لعظمها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحكي أمور الدنيا
صورة والفرق بعيد (قال فلما غشيها) أي طرأ عليها وغطاها (من أمر الله) الظاهر ان المراد بأمر الله
وحيه أو تجليه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها بذلك أشرق عليها نور الهي فزهت به وحسنت
حسنا لا ينعت ونور لا يمكن ان تقابله الابصار لقوله بعده (ما غشي) أي أمر عظيم غشي فان الابهام بمثله
يفيده كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وامثاله (تغيرت) أي من حالها التي كانت عليه (فما أحد من خلق
الله يستطيع) ويقدر (ان ينعتها من) أجل (حسنها) الذي طرأ عليها لكونها من أشجار الجنة المعتادة
لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من أشجار الارض احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلناه
قوله (فاوحى الله الى ما أوحى) وفي هذا الابهام تعظيم وتكثير لطرق الكناية الابهامية حتى كانه مما
لا يمكن ان يدرك فينعت وفي هذا الموصول وتعريفه اشكال أجبنا عنه في حواشي التسهيل لان
ما موصولة تتعرف بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة
وقيل المراد بها الملائكة التي تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من ذهب وجواهر
نزل عليها أو جراد من ذلك وقال مجاهد رفرف أخضر وقيل طيور خضر وانما نهى النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسر ما أوحى بقوله (ففرض على) وعلى أمتي (خمسين صلاة) تكون
(في كل يوم وليلة) وقيل ما أوحاه اليه مبهم لا يعلمه أحد وقيل سورة ألم نشرح وقيل ان الجنة حرام على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى يدخلها هو صلى الله عليه وسلم وعلى الامم حتى تدخلها أمته وقال
السيوطي في الخصائص فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل نجاسة الثوب سبعا سبعا
والوضوء لكل صلاة (فنزلت الى موسى عليه الصلاة والسلام) انما قال نزلت لانه كان في السادسة
والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم ونزل ليشاوره لانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات ومارس
من ذلك أكثر من ابراهيم لانه لم يفرض على أمته ما فرض على أمة موسى عليه الصلاة والسلام (فقال
ما فرض ربك على أمتك) قال أولا فرض علي وقال هنا على أمتك لان ما فرض على النبي فرض على امته
ففيه احتباك وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر في الآخر فحذف
من الاول وعلى أمتي ومن الثاني علي ووقع فرض الصلاة في السماء لانها أعظم العبادات فرضت في
أجل المواضع وبين الله فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشأنها ولذا قيل بكفر تاركها وذهب
الشافعي الى انه يقتل كما سيأتي (قلت) فرض (خمسين صلاة) منصوب لانه تمييز (فقال ارجع الى ربك
فاسأله التخفيف) منها برفع بعضها وانما أشار عليه بذلك لمحبته له وجعله له ما يليق بنفسه وقيل ذلك

{فان أمتك) أى جميعهم (لا يطيقون ذلك) وكانه علم عليه الصلاة والسلام ضعفنا وعجزنا فرحمنا فجزاه الله تعالى أفضل الجزاء عنا ثم علل ذلك بقوله (فانى قد بلوت بنى اسرائيل) أى جربتهم و بلاه وابتلاه بمعنى ففى الحديث اللهم لا تبتلنا الا بالتى هى أحسن (وخبرتهم) بتخفيف الموحدة عطف تفسيرى أو اشارة الى انه جربهم مدة بعد مدة والمعنى امتحنتهم وعالجتهم فلقيت منهم الشدة وعدم الطاقة فيما قصدت من تحمل الكلمة وقبول الطاعة (فرجعت الى ربى) قال النووى معناه رجعت الى الموضع الذى ناجيته أولا فناجيته فيه ثانيا (فقلت ربى خفف عن أمتى) أى الضعفاء وفيه ايماء الى قوة الانبياء والاصفياء اذ كثير منهم واظبوا على ألف ركعة فى اليوم والليلة وقد أشار موسى عليه السلام الى هذا المعنى فيما سبق من المبنى و بهذا يظهر ضعف قول الدلجى لم يقل خفف عنى حياء من ربه لسؤاله التخفيف عنه (فحط عنى) أى فوضع عنى فى ضمن الحط عن أمتى (خمسا) ولم يقل عن أمتى لئلا يتوهم بقاء فرضية الخمسين عليه وفيه اشارة الى ان من كان لله كان الله له (فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمسا قال ان أمتك لا يطيقون ذلك} أى لا يقدرون على هذا القدر أيضا (فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربى) وفى نسخة بين يدى ربى (تعالى و بين موسى) أى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى ويجوز ان يكون الرجوع بمعنى المراجعة فى السؤال واحضار البال والله تعالى أعلم بالحال (حتى قال) أى الرب سبحانه وتعالى (يا محمد انهن) ضمير مبهم يفسره قوله (خمس صلوات) ذكره الدلجى والاظهر اى يقال التقدير ان الصلوات المفروضة أو الخمسين خمس صلوات محتمة (كل يوم وليلة)

بالنصب على الظرفية وفى نسخة وفى كل يوم وليلة (لكل صلاة) أى من الخمس (عشر) أى ثواب عشر صلوات (فتلك خمسون صلاة) أى بحسب المضاعفة ولعل هذه المراجعة منهما لما ألهم اليهما حيث لم يكن الوجوب حتما مبرما أو أوجبها أولا ثم رحمنا فنسخها بيانا فيجوز نسخ وجوب الشئ قبل وقوعه كنسخ وجوب ذبح اسمعيل عليه السلام عند قصده تبيانا لمحل فضله و كرمه ثم لما كان نية نبينا وهمة صفيناله اصالة ولاتباعه نيابة ان يقوم بوظيفة خمسين صلاة وجوزى بذلك حيث خفف عليهم فى الكمية وزيد لهم فى الكيفية ذكر قضية كلية وقاعدة مطردة قياسية فى ضمن الحديث القدسى والكلام الانسى بقوله (ومن هم بحسنة) أى من صلاة نافلة وغيرها بان قصدها وعزم على فعلها (فلم يعملها) أى اعاقه عن عملها (كتبت له حسنة) بصيغة المجهول ونصب حسنة على المصدرية والمعنى كتبت له الحسنة التى هم بها ولم يعملها كتابة واحدة لان الهم سببها أو سبب الحسنة حسنة فوضع حسنة موضع المصدر وفى بعض النسخ بصيغة الفاعل والاسناد الى المتكلم وهو ظاهر لكن لا يلائم ما بعده لم تكتب

لانه سأل الله تعالى ان يكون من أمته لما رأى فى التوراة مما لامته صلى الله تعالى عليه وسلم من الكمال فقال يارب من هؤلاء قال أمة أحمد فقال يارب اجعلنى منهم فخشى ان يفرض عليهم تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقينى انما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب رؤيته الله بعينه كما قيل * لعلى أراهم أو أرى من يراهم * وموسى عليه الصلاة والسلام وان كان يرى الله فى الآخرة لكن رؤيته روحانية وهى ليست جسدية عينية ولا تتيسر فى كل حين قال ابن حجر رحمه الله يحتاج ما قاله البلقينى الى ثبوت تجدد رؤيته فى كل مرة يعنى رؤية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لربه وقال مصلح الدين اللارى ما قاله البلقينى لا يتوقف على تجدد الرؤية و يكفى حصول أصلها (فان أمتك لا يطيقون ذلك) خص الامة اشارة الى أنه صلى الله عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته ولذا كان يواصل الصوم وقد نهى عنه ومعنى لا يطيقونه ان يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبنى على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله و يطيقون بضم أوله مضارع اطاقه (فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره يخبره كقتله يقتله وفيه مقدر أى خبرتهم مع قوة أجسادهم وطول أعمارهم فلم أجد لهم صبرا على ذلك فكيف حال أمتك وفى نسخة قبلك (قال فرجعت الى ربى فقلت يارب خفف عن أمتى) مفعوله محذوف للعلم به أى ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعنى لما مر أو حياء منه بسؤاله لنفسه (فحط عنى خمسا) منها وأصل الحط معناه تنزيل الحمل فشبه به الحمل تشبيها مكنيا كما قال الله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به (فرجعت الى موسى فقلت) له (حط عنى خمسا) منها (فقال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف) وفى نسخة فاسأله (قال فلم أزل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى) أى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى عليه الصلاة والسلام (حتى قال) الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس (يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة) استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور فى كتب الفروع الحنفية (لكل صلاة عشر فتلك خمسون) فى الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر أمثالها كما سياتى تحقيقه (ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها

(فان عملها كتبت له عشرا) وهذا أقل المضاعفة كما قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (ومن هم بسيئة فلم يعملها) أى فلم يقدر على عملها (لم تكتب) أى تلك السيئة التى هم بها (شيا) أى ولا سيئة واحدة اذا ندم وتركها الله تعالى بل تكتب له حسنة لاجلها كما ورد كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وقد زاد مسلم فى رواية انما تركها من جراى بفتح الجيم وتشديد الراء أى من أجلى أو شيئا من الزيادة اذا كان همها باقيا فان هم السيئة المصمم سيئة وشيأ أو عشرا منصوبان وفى بعض نسخ المصابيح مرفوعان ولعله غلط من الناسخ (فان عملها كتبت له سيئة واحدة) أى باندراج الهم فى العمل حيث لا مضاعفة فى السيئة كما يستفاد الحصر من قوله تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها (قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة صحيحة فقلت (قد رجعت الى ربى حتى استحييت منه) بيائين وفى نسخة بياء واحدة ولعل وجه الحياء هو ان المبالغة فى تخفيف العبادة نوع من الجفاء والقيام بما تعين وتحتم من باب الوفاء فى تحمل البلاء لحصول الولاء هذا ولعل الحكمة فى وجوب الصلاة ليلة الاسراء للايماء الا أنها معراج المؤمن الى أعلى كمالاته ومقاماته ومحل مناجاته من بين عباداته وكمال ترقى منازل سعاداته وأما حكمة ظهور بانه الانبياء المذكورين بخصوصهم من بين عمومهم وتخصيص كل بسماء المشير الى مراتب علوهم فلم يتكلم به أحد من السلف ولم يظهر تحقيقه من الخلف فتبعنا السابقين كما هو وظيفة اللاحقين ثم الصلوات الخمس فرضت بمكة اتفاقا وكذا الزكاة مطلقا وأما تفصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها أيضا فاذكره التلمسانى من أنه فرضت الصلاة والزكاة والحج ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وفرض صيام رمضان وزكاة الفطر وهو بمكة خطأ فاحش

(فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت له سيئة واحدة) الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب الباقلانى انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة كقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم والكاتب الملائكة فتكتب حتى ما فى القلب كما قاله الطحاوى وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات الى سبع مائة الى أضعاف كثيرة وهو صريح فى ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبى انها لا يجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما فى الاحياء ان أول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثانى هيجان الرغبة الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات وجزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف فاذا أصغى الى الخاطر حتى طالت محاولته للنفس حتى تنخرم النية فاذا انخرمت فقد يندم ويترك وقد يغفل فلا يعمل وربما يعوقه عائق عنه فهى أربعة أحوال وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به لانه غير اختيارى وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب وهو اما اضطرارى لا يؤاخذ به أو اختيارى يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه وان عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة لان همه فعل اختيارى له (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فنزلت حتى انتهيت الى موسى) أى انتهى سيرى فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقاله هنا اشارة الى انه تمام المرجعة ولا مراجعة بعده (فاخبرته) بما قال الله تعالى له (فقال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف) من الخمس (فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الاسراء (فقلت) لموسى عليه الصلاة والسلام (قد رجعت الى ربى) مرارا وراجعته فى سؤال التخفيف (حتى استحييت منه) ان أراجعه فى السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل دخول الوقت فذهب أهل السنة الى جوازه وهو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا بانه وقع كما فيما نحن فيه وبقصة الذبيح اذ أمره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء ومنعه المعتزلة فمنهم من قال لم يأمره لانه منام ورد بان رؤيا هم وحى يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما أمر بمقدماته من الشد والتل ونحوه ورد بان قوله انى أذبحك يرده والفداء يأباه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين أو قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ مناقض والجواب

(قال القاضي رضي الله تعالى عنه) كذا في النسخ لكن الاولى ان يقال رحمه الله تعالى لان الترضية في العرف مختصة بالصحابة كما ان التصلية والتسليم مختصان بالانبياء والعزة والجلالة بالله سبحانه وتعالى (جود) بتشديد الواو أي حسن (ثابت) أي ابن البناني (رحمه الله تعالى) وفي نسخة رضي الله تعالى عنه (هذا الحديث) أي بيان روايته وضبط عبارته الدالة على درايته (عن أنس رضي الله تعالى عنه ماشاء) أي ماشاء الله تعالى من تجويده وتحسينه وتحريره (ولم يات أحد) أي من الرواة (عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (أصوب من هذا) أي أقرب الى الصواب من هذا المروي في هذا الكتاب

بانه المأمور وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه الصلاة والسلام ان امتك لاتطيقه وفيه أيضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف لانفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام قال له اسئله التخفيف فاني أعلم بالناس منك فكيف يقول هذا وقد قاسى مع الخضر عليه الصلاة والسلام ما قاسى لما قال أنا أعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما رآه ومثله لايضر وما قيل من انه خبر لايدخله النسخ مردود بقوله وقيل ان قوله خمسون أولا بيان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك فلانسخ فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهمه على ظاهره فراجع ربه في غاية البعد (قال القاضي) هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في أول السند السابق ولذا لم يسمه استغناء باعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدي (جود) بفتح الجيم وتشديد الواو أي حسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضد القبيح (ثابت) البناني الراوي (هذا الحديث عن أنس رضي الله تعالى عنه ماشاء) أي أحسن في روايته وأتقنها اتقانا محكما الان مانكرة موصوفة أي تجويدا شاء أي بذل جهده وفعل كل ما دخل تحت ارادته والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها على غيرها من الروايات وقيل ماشاء كناية عن كثرة تجويده أي أتى بها مجودة تجويدا كثيرا (وقد خلط فيه غيره) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شيء في شيء والمراد انهم ادخلوا في حديث الاسراء ماليس منه كشق الصدر كما سنبينه (لاسيما) أي لامثل روايته وفسرها الرضي رحمه الله تعالى بخصوصا وقال الدماميني رحمه الله تعالى انه لاسند له فيه وشيء منصوب ومابعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء وفيه كلام طويل بيناه في غير هذا الكتاب ونحن في غنية عنه (من رواية شريك بن أبي نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي المدني وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له في حديث الاسراء من الاوهام الاربعة التي أشار اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفي سنة أربعين ومائة وله ترجمة في الميزان (فقد ذكر في أوله) أي ذكر شريك رحمه الله تعالى في أول حديث أنس رضي الله تعالى عنه (مجيء الملك له) اللام للتقوية لان جاء متعد بنفسه (وشق صدره) عليه الصلاة والسلام (وغسله بماء زمزم) وقد تقدم انه بالثلج وفي رواية بماء الكوثر وقد انكروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد على العشر منها ما في سنده فان قتادة رحمه الله تعالى رواه عن أنس رضي الله تعالى عنه عن مالك بن صعصعة والزهري رحمه الله تعالى عن أنس رضي الله تعالى عنه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه

(وقد خلط) بتشديد اللام (فيه) أي في هذا الحديث (غيره) أي غير ثابت من الرواة (عن أنس) رضي الله تعالى عنه (تخليطا كثيرا) أي وتخبيطا كبيرا (لاسيما) أي خصوصا ما ورد (من رواية شريك ابن أبي نمر) أي عن أنس وشريك هذا بفتح الشين ونمر بفتح نون وكسر ميم قرامدني روى عن ابن أنس وابن المسيب وجماعة وعنه مالك وأنس بن عياض وطائفة قال ابن معين لابأس به وقال النسائي ليس بالقوي انتهى وشريك هذا تابعي صدوق وثقه أبو داود وقال ابن عدي روى عنه مالك رحمه الله تعالى فاذا روى عنه ثقة فانه ثقة ووهاه الحافظ أبو محمد بن حزم لاجل حديثه في الاسراء الذي أشار اليه القاضي وله فيه أوهام معروفة وقد نبه مسلم على ذلك بقوله في صحيحه وقدم فيه شيأ وأخر وزاد ونقص انتهى وقال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر رواية شريك هذا فقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني عن أنس فلم يات أحد منهم بما أتى به شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث انتهى والاماكن في حديث الاسراء معدودة عند أهل العلم فيقال أربعة ويقال ثمانية ذكره الحلبي (فقد ذكر) أي شريك (في أوله) أي مبدأ حديثه (مجيء الملك له) أي لاجله (وشق صدره وغسله بماء زمزم

وهذا) أي ماذكر كله (انما كان وهو صبي وقبل الوحي) فيه انه يمكن تعدده فلا وهم الا بسبب ما بينه المصنف بقوله (وقد قال شريك في حديثه) أي هذا بعينه (وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء) أي معه (ولا خلاف انها) أي في ان قصة الاسراء (كانت بعد الوحي) فثبت وهمه بهذا التعارض الواقع بين كلاميه ولكن قال الامام الحافظ أبو محمد الحسين البغوي هذا الاعتراض الذي اعترض به على رواية شريك لا يصح عندي لان ذلك كان رؤيا في النوم أراه الله تعالى عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي تحقيقا لرؤياه من قبل كما انه رأى عليه الصلاة والسلام فتح

مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق انتهى وبهذا الجمع يزول الاشكال عن قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس فيكون التقدير تصديق الرؤيا وتحقيقها اذ لا تترتب الفتنة على نفس الرؤيا كما لا يخفى (وقد قال غير واحد) أي كثير من علماء المحدثين (انها كانت) أي قصة الاسراء (قبل الهجرة بسنة) فقد ذكر النووي ان معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على ان الاسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الاجماع على انه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا أبو محمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الاول انتهى وروى السيد جمال الدين المحدث في روضة الاحباب انه كان في سبعة وعشرين من شهر رجب على وفق ما عليه

وشريك جعله عن أنس رضي الله تعالى عنه من غير واسطة وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتأخير وقد نبه على ذلك مسلم رحمه الله في صحيحه وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم فيه الا ان الحافظ أبا الفضل بن طاهر رحمه الله انتصر له في جزء مستقل ألفه فيه قال تعليل حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم ان الآفة من شريك اذ لم يسبق اليه لا تقبل فان أئمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه وقالوا لا باس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره من الثقاة وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا باس به وقد روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله وهو ثقة وتفرده بقوله الآتي وذلك قبل ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما روى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله أراد ان يقول بعد ان أوحي اليه فقال قبله انتهى وقد سبق ابن حزم الى هذا الخطابي رحمه الله تعالى وقال النسائي رحمه الله انه قول ليس بالقوي وكان بعضهم لا يحدث عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وأبو داود رحمه الله تعالى انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في مواضع من هذا الحديث منها أمكنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها أو في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون أصلهما في سماء الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة وكون شق الصدر عند الاسراء وكون الكوثر في السماء الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله تعالى وهو لجبريل عليه الصلاة والسلام وكون مراجعته صلى الله تعالى عليه وسلم في سؤال التخفيف عند الخامسة وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند والمتن الذي قال المصنف رحمه الله تعالى انه خلط فيها وقد أجيب عن بعضها (وهذا) أي المذكور من الشق والغسل (انما كان وهو) صلى الله تعالى عليه وسلم (صبي) عند مرضعته حليمة رضي الله تعالى عنها (وقبل الوحي) وأنى بانما ردا لقول شريك رحمه الله تعالى انه كان ليلة الاسراء وأجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان معه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه بالوحي وليلة الاسراء ليقوى عليه وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي رحمه الله الاربعة الاول (وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه) أي شق صدره صلى الله عليه وسلم قبل البعثة (وذكر قصة الاسراء) فقال سمعت أنس ابن مالك رضي الله عنه يقول ليلة الاسرا جاءه ثلاثة قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى أتوه ليلة أخرى الخ وقد أجيب عنه بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطأ فيه (ولا خلاف انها) أي ليلة الاسراء (كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا)

هذا في الحرمين الشريفين من العمل وقيل في الربيع الآخر وقيل في رمضان وقيل في شوال وقيل بعد نقض الصحيفة وقيل بعد بيعة العقبة وقيل أسري به في الحجة لانه كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وثمانية وعشرين يوما وقيل ليلة اثنى عشر من الربيع الاول ليلة الاثنين منه فيكون زمان معراجه كميلاده ومدراجه باعتبار يوم الاثنين وشهر الربيع الاول والله سبحانه وتعالى أعلم (وقيل قبل هذا) أي قيل ما قبل الهجرة وفي نسخة غير هذا أي غير هذا القول الا انهم اتفقوا على انها كانت بعد الوحي

هذا اشارة الى الخلاف فى سنة الاسراء وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله تعالى انه قبل ان يوحى اليه غلط منه الا أن يقال هذا الاسراء كان مناما غير هذا كالذى روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بالمدينة فانه منام أيضا قال ابن المنير رحمه الله تعالى فى المقتفى رجح القاضى عياض رحمه الله تعالى انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد عليه ان خديجة رضى الله عنها كانت تصلى معه وقد اختلف فى مدة وفاتها قبل الهجرة على أقوال أقلها انها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا فى الاسراء لان هذه الصلاة غير المفروضة كالتى صلاها فى بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله تعالى الاول لان قول غيره تقدير وقوله تحديد وهو قول الحربى رحمه الله تعالى لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران أحدهما أحاط بتفصيل القصة كان أولى لانه يدل على ان راويه أحفظ وأوعى قلبا كقول الفقهاء ان الشهادة المؤرخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قاله ابن المنير رحمه الله تعالى وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثانى عشرة قبل الضحى وقيل عند استواء الشمس واذا كان الثانى عشر الاثنين كان أوله الخميس وأول شهر الاسراء السبت أو الاحد أو الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أيام أو اربعة أو خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التى قبلها أو رابعة أو سادسة وأعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها فبناء على أقل الاحتمالات أول ربيع الاول من سنة الاسراء الاثنين وأول الآخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم كيوم الجمعة لآدم عليه الصلاة والسلام فانه فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة الجمعة لفضلها ثم ان كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر فانها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسراء قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف فى شهره فقيل انه شهر ربيع الاول وقيل الآخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل بعد ليلة سبع وعشرين أو سبع عشر أو اثنى عشر ليلة الاثنين أو الجمعة وفى الهدى النبوى ان ابن تيمية رحمه الله سئل هل ليلة الاسراء أفضل أم ليلة القدر فاجاب بان القائل ان ليلة الاسراء أفضل ان أراد انها ونظائرها من كل عام أفضل فلا وجه له وان أراد انها بخصوصها أفضل لانه حصل له صلى الله تعالى عليه وسلم فيها ما لم يحصل له فى غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح أن سلم ان ما أنعم الله به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من انزال القرآن وهو يحتاج الى علم بحقائق تلك الامور انتهى (وقد روى ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه من رواية حماد بن سلمة أيضا) أى كما روى عنه قصة الاسراء (مجىء جبريل) بالنصب مفعول روى (الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء وهى المرضعة التى ليست بام وهى حليمة السعدية (وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجىء (قلبه) مفعول الشق (تلك القصة) بدل من مجىء بدل اشتمال وفى نسخة بتلك أى معها (منفردة من حديث الاسراء) وفى نسخة مفردة وهو منصوب على الحال (كما رواه الناس) غير شريك وهم أكثر الحفاظ المحدثين (فجود) ضبطه أى هذا الراوى المميز بين القصتين كما أشار اليه بقوله (فى القصتين) أى قصة الاسراء وقصة

(وقد روى ثابت) أى البنانى (عن أنس من رواية حماد بن سلمة أيضا مجىء جبريل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان) جمع غلام يعنى الصبيان (عند ظئره) بكسر أوله أى مرضعته حليمة أو زوجها الذى ابنها منه فانه يطلق عليهما (وشقه) أى وكذا روى ثابت شق جبريل (قلبه تلك القصة) بدل لشتمال على كل واحدة من القصة حال كونها (منفردة من حديث الاسراء) أى غير منضمة الى قصة المعراج (كما رواه الناس) أى كما رواه غيره من الرواة الثقاة (فجود) أى ثابت (فى القصتين) أى قصة الشق وقصة الاسراء حيث لم يخلط بينهما

(وفى ان الاسراء) أى ولا خلاف فى ان الاسراء (الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس) أى أولا (ثم عرج من هنالك) أى من بيت المقدس الى سدرة المنتهى عند من قال بالجمع بينهما من أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة (فازاح) أى ازال ثابت (كل اشكال أوهمه غيره) أى من شريك ونحوه فى روايتهم (وقد روى يونس) أى ابن يزيد الايلى وهو الحافظ أبو بكر الشيبانى سمع ابن اسحق وابن شهاب والاعمش قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة يواصل كلام ابن اسحق بالاحاديث (عن ابن شهاب) أى الزهرى (عن أنس قال كان أبو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج) بصيغة المجهول مشددا ومخففا أى كشف وفتح (سقف بيتى فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدرى) أى شق كما فى رواية ومنه قوله تعالى واذا السماء فرجت أى انشقت كما فى آية أخرى (ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها) أى الحكمة وما فى معناها أو من مقتضاها (فى صدرى ثم أطبقه) أى غطاه وأصلحه (ثم أخذ بيدى فعرج بنا الى السماء وذكر) أى يونس (القصة) أى قصة المعراج بطولها (وروى قتادة الحديث) أى حديث الاسراء (بمثله) أى بمثل مروى يونس (عن أنس) أى ابن مالك

شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احداهما بالأخرى (وفى ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة) لا قصتان كما فى رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم الى السماء معراجا آخر (وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هنالك) أى صعد به الى السماء من البيت المقدس لانه أرفع مكان فى الارض (فازاح) بزاى معجمة وألف وحاء مهملة أى ازال واذهب (كل أشكال) أى مشكل (أوهمه) أى أوقعه فى ذهن الناس ووهمهم (غيره) أى غير ثابت كشريك الذى وقع فى روايته الوهم والتخليط السابق بيانه (وقد روى يونس) بن يزيد الايلى القرشى وفى يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته وهو يروى عن الزهرى ونافع وتوفى بمصر سنة تسع وخمسين ومائة (عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهرى التابعى رحمه الله تعالى لقى عشرة من الصحابة توفى ليلة الثلاثا السبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب وأوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعوله المارة وكان أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا (عن أنس) بن مالك خادم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته (قال كان أبو ذر) الصحابى الغفارى (يحدث ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال فرج سقف بيتى) بضم الفاء وكسر الراء أى شق أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل اليه ولم يأته من الباب وقد قال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها قال ابن المنير تنبيها على المبالغة فى المفاجأة وان استدعاءه للكرامة كان بدأ من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن كونهم ملائكة أو هو تمهيد لشق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم والتئامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم قيل وكان خلفاء بنى العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره وأخرجوه منه تنويها بأمره وانه لم يكن يطلب منه والبيت لام هانئ وأضافه اليه لادنى ملابسة وروى انه كان بالحطيم وروى ببطحاء مكة فان كان مرارا فظاهر والا يحتاج للجمع (فنزل جبريل) عليه الصلاة والسلام (ففرج صدرى) بفتح الفاء والراء وقد تقدم ان شق الصدر وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه (ثم غسله) أى صدره (من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب) تقدم بيانه وما فيه (ممتلئ حكمة وايمانا) تقدم تفسيره وانه بناء على التجوز أى مائى نورا ينشأ عنه ما ذكر او انه تعالى قادر على تجسيم المعانى والاعراض كما قيل فى وزن الاعمال وذكر الطست وان كانت مؤنثة لتأويلها بالاناء فان كان قوله (فافرغها) ضميره للطست رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الاناء وفرغته تفريغا اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها أو لانه عطف تفسير (ثم أطبقه) أى الصدر أى اعاده محله اشارة الى ان شقه والتئامه بغير آلة وقيل شق بمنقار الملك وخيط بمخيط لماورد كنت أرى أثر المخيط فى صدره * (فائدة) * قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعد ما ذكر حديث ولدت مختونا ولم ير أحد سوأتى * فان قيل فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره وأخرج قلبه * قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه أخفى أدون التطهيرين التى جرت العادة ان تفعله القابلة والطبيب وأظهر أشرفهما وهو القلب وأظهر آثار التجلى والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى (ثم أخذ بيدى فعرج) بنا (الى السماء فذكر القصة) بتمامها وأخذه بيده يحتمل انه على حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا فى العروج (وروى قتادة) بن دعامة أبو الخطاب السدوسى الضرير أعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط وذنب للتدليس وليس كذلك (الحديث) مفعول روى (بمثله) أى بمثل الرواية المذكورة (عن أنس

عن

(عن مالك بن صعصعة) أي الخزرجي المازني له حديث الاسراء أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد في مسنده وليس له في الكتب غير حديث الاسراء على ما ذكره الحلبي قال النووي في تهذيبه روى له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خمسة أحاديث اتفق البخاري ومسلم على أحدها وهو حديث الاسراء والمعراج وهو أحسن أحاديث الاسراء انتهى وكذا ذكره ابن الجوزي في تنقيحه ان له خمسة أحاديث (وفيها) أي وفي رواية قتادة عن أنس بن مالك (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) أي في بعض مواضعها (وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات) أي بالنسبة الى بعضهم وبعضها

(وحديث ثابت) أي البناني (عن أنس أتقن وأجود) أي من حديث قتادة عن أنس عن مالك وكذا غيره مما قدمه على ما تقدم والله تعالى أعلم (وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات) أي من الفوائد على اختلاف روايات (نذكر منها) أي من جملتها (نكتا) بضم ففتح جمع نكتة وجمعها أيضا نكات وهي بمعنى النقط وتطلق على معاني لطيفة (مفيدة في غرضنا) أي مقصودنا في هذا الباب من الكتاب (منها حديث ابن شهاب) أي الزهري (وفيه) أي وفي حديثه الذي رواه (قول كل نبي له) أي مختصا له صلى الله تعالى عليه وسلم (مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) أي بدل والاخ الصالح لانه كان من ذرية اسمعيل ولقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم وأما ما يقوله أهل النسب والتاريخ ان ادريس أب من آباء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانه جد نوح عليه السلام فانه لا ينافي كونه أباله فان قوله الاخ الصالح يحتمل انه قاله تادبا وتلطفا وهو أخ له وان كان ابنا فان الانبياء اخوة كما ان المؤمنين اخوة (وفيه) أي وفي حديث الزهري أو في حديث الاسراء (من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي كما أخرجه البخاري (ثم عرج بي) بصيغة المفعول أو الفاعل (حتى ظهرت بمستوى) بصيغة المجهول في أوله باء أو لام أي صعدت بمكان عال أو في مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على وقيل هو عبارة عن فضاء فيه استواء

عن مالك بن صعصعة) الخزرجي المازني روى له البخاري وأصحاب السنن حديث الاسراء قال وروى خمسة أحاديث (وفيها) أي في رواية قتادة المفهومة من قوله روى (تقديم وتأخير وزيادة ونقص) عن غيرها من الروايات (وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات وحديث ثابت عن أنس أتقن وأجود) أي أكثر اتقانا وجودة منها في الروايات ولذا اختاره المصنف رحمه الله تعالى خلافا للنووي اذ رجح رواية قتادة كما عرفت (وقد وقعت في حديث الاسراء زيادات) من الرواة في بعض طرقه (نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا) من تاليف هذا الكتاب وايراد حديث الاسراء النكت بضم النون وفتح الكاف والتاء المثناة جمع نكتة وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر اما لمخالفته لغيره أو لكون الفكر يخط في الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية في ذلك وقد يجمع على نكات أيضا (منها) أي من النكت المفيدة (في حديث ابن شهاب) الزهري الذي تقدم آنفا ومنها خبر مقدم وفي حديث الى آخره صفة مبتدأ مقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الى آخره ومثله جائز قياسا مطردا (وفيه) أي في حديث ابن شهاب ولو حذف قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان أحسن والضمير في فيه راجع لحديث الاسراء (قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا آدم وابراهيم فقالا له والابن الصالح) فانه ليس كل نبي من اجداده وفي عمود نسبه لكنه جرى منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول لغيره يا ولدي وفي غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله تعالى عليه وسلم وفي وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه أمدح الصفات لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية بشيء لا يقتضي الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله أطلق على كثير من الانبياء انه كان نبيا صالحا ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الامم كما انه لا يجوز ان يقال لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظم والتجبر وان كان كذلك في نفس الامر انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما في شروح الكشاف ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قائل وذما في غيره كصالح ومبارك (وفيه من طريق) البخاري المسندة (عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما (ثم عرج بي حتى ظهرت) أي علوت وصعدت كما في قوله والشمس في حجرتها لم تظهر أي لم تعل أو بعدت كقوله * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وفي نسخة ثم انطلق بي حتى ظهرت (بمستوى) بضم الميم

(أسمع فيه صريف الاقلام) أى صوت حركتها و جريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله سبحانه وتعالى ووحيه وينسخ من اللوح المحفوظ ومنه قوله تعالى كل يوم هو فى شان وفى نسخة صرير براءين وهو أشهر فى اللغة على ما صرح به بعضهم ثم جمع الاقلام يحتمل ان يكون للتعظيم أولكبره فى التجسيم (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) أى مرفوعا (ثم انطلق بى) بصيغة المجهول أو المعلوم (حتى أتيت سدرة المنتهى فغشيها ألوان) أى اصناف من الانوار وأنواع من الاسرار (لا أدرى ماهى) أى ماهيتها وحقيقتها (قال ثم أدخلت الجنة وفى حديث ٢٤٨ مالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنه) أى كما رواه الشيخان وغيرهما (فلما جاوزته يعنى موسى عليه السلام) تفسير من بعض الرواة (بكى) أى تأسفا على قومه اذلم يتبعوه فينتفعوا به انتفاع هذه الامة بنبيهم اذلا حسد فى ذلك العالم لآحاد المؤمنين فضلا عن الانبياء والمرسلين كذا قرره الدلجى وغيره ويؤيده قوله يدخل من أمته الجنة أكثر من أمتى ولا يبعد ان يراد به الغبطة على تلك المنزلة وكثرة الامة والظاهر انه لما جاوزته عن مقامه ومرتبته كما يشير اليه قوله فلما جاوزته ولما سيأتى صريحا من قول موسى عليه السلام لم أظن أن يرفع على أحد ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام لقيت موسى فى السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال يزعم بنو اسرائيل انى أكرم ولد آدم وقد جاوزنى هذا وكأنه سلم التقديم لابراهيم لكونه جده يحق له التعظيم مع سبقه عليه بسبعمائة سنة فى مقام التقديم ولذا عبر عنه عليه الصلاة والسلام بالغلام فتامل فى هذا المقام لعله يتبين لك المرام ثم الاظهر ان وجه الغبطة فى القربة أمور كثيرة من أنواع علو الرتبة (فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته) وفى نسخة بعث (بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى) ولعله سماه غلاما مع كونه حينئذ كهلا أو شيخا على اختلاف القولين فى تعريفهما والغلام انما يطلق فيمن بلغ سبعا أو ثمانى وقد يطلق على الطفل تفاؤلا وقد يقال له مادام شابا فكأنه نظر الى قصر عمره وتاخر عصره مع جموم مناقبه وعموم مراتبه (وفى حديث أبى هريرة) أى ومنها (فى حديثه الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء حكاية عن نفسه وفى أصل الدلجى ولقد رأيتنى

وفتح الواو والباء بمعنى فى أو على وهو اسم مكان عال أو وسط أو واسع منبسط (أسمع فيه) أى المستوى (صريف الاقلام) الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة الاجرام والمراد صوت القلم على الورق أى انتهى صلى الله تعالى عليه وسلم الى محل سمع فيه صرير اقلام الملائكة الكتبة وهى تكتب ما تنقله من اللوح أو ما يؤمر بكتابته من الوحى وغيره فالاقلام على ظاهرها قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح فى ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تاوله ونحن نؤمن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهذا عبارة عن غاية القرب منه لان مثله لا يسمع من بعيد وروى لمنتهى بدل بمستوى قال التوربشتى بمعنى انه بلغ من الرفعة لمقام أطلع فيه على التكوين وما يراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل وهذا منتهى لا يرام ولا تصل اليه الافهام ولا ينطق فيه غير صرير الاقلام (وعن أنس) فيما رواه عنه الشيخان (ثم انطلق بى) بالبناء للفاعل والضمير فيه لجبريل عليه الصلاة والسلام أو بالبناء للمجهول (حتى أتيت سدرة المنتهى) تقدم معناه (فغشيها ألوان لا أدرى ماهى) لكونها ليست مما تشبه ألوان غيرها فى الحسن أو لان شدة نورها يمنع تحقيقها (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ادخلت الجنة) وهذا يدل على انها موجودة الآن وانها فى السماء وهو الذى نعتقده بلا شبهة (وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته) أى فارقته وقد تم لى ما تم وفسر ضمير المفعول بقوله (يعنى موسى عليه الصلاة والسلام بكا) لحزنه اذلم ينل هو وأمته ما ناله صلى الله تعالى عليه وسلم لا منافسة وحسدا لتنزههم عن مثله (فنودى) أى ناداه الله أو الملك وقال له (ما يبكيك قال رب) هذا يدل على الاول بحسب الظاهر (هذا غلام) اطلاقه هذا عليه وهو اذ ذاك كهل أو شيخ لانه فى نحو الخمسين اما لانه أسن منه أو لانه فى الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول معناه القوى وهو غير قوى (بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى) لما علم عموم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وتأبيد رسالته علم كثرة أمته وقد ورد انه يراهم فى عرض المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد بل هى ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من أكثرية أمته فى الجنة فضيلته على غيره لانه لازم بين وأما كونه على قلة أمته فليس بشئ (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى الاسراء الذى رواه البيهقى وغيره (وقد رأيتنى) بضم التاء ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من ان الاسراء يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى عامل لضمير والفاعل ضمير مثله الا فى افعال القلوب وما حمل عليها كامر وأجيب بانها المشابهتها الرأى العلمية لفظا ومعنى لانها جهة ادراك أجازوا فيها ذلك وقد سمع كقول عائشة رضى الله تعالى عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان الماء والتمر وقول الحماسى

ولقد أرانى للرماح دريئة * من عن شمالى تارة وامامى

(في جماعة من الانبياء) أي باجسامهم أو بارواحهم ممثلة بصورهم التي كانوا عليها (فحانت الصلاة) أي دنت الصلاة الجامعة لعظمة تلك الواقعة وقد أبعد الدلجي في قوله ولعلها صلاة الصبح اذ الاسراء لا يكون الا آخر الليل وهي مما فرض على الانبياء انتهى وقد سبق ان ابتداء الاسراء كان بعد صلاة العشاء وهو لم يكن الا زمنا قليلا من الليل على ما يفيده تنكير ليلا فلا يتصور حمله على صلاة الصبح أصلا (فأممتهم) بتخفيف الميم الثانية أي صليت بهم تلك الصلاة اماما وقال النووي في بعض فتاواه يحتمل ان تكون صلاته بالانبياء ليلة الاسراء ببيت المقدس قبل صعوده الى السماء ويحتمل ان تكون بعد نزوله منها قلت وهذا يتوقف على صحة ان يكون رجوعه اليه منها ثم قال واختلف العلماء في هذه الصلاة فقيل انها الصلاة اللغوية وهي الدعاء والذكر والثناء وقيل هي الصلاة المعهودة المعروفة وهذا أصح لان اللفظ يحمل على الحقيقة الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب الحمل على الحقيقة الشرعية وكان قيام الليل واحياؤه واجبا قبل ليلة الاسراء ثم نسخ ليلة الاسراء ووجبت فيها الصلوات الخمس (فقال قائل منهم يا محمد هذا مالك خازن النار) فيه اشعار بان الصلاة كانت في

السماء وفي رواية انها كانت في المسجد الاقصى ولا منع من الجمع ولا النزول مالك وان كان مقره في السماء (فسلم عليه) بصيغة الامر لانه عليه السلام كالقائم وهو كالقاعد والقائم يسلم على القاعد وان كان مفضولا (التفت) أي نظرت اليه (فبدأني بالسلام) لانه كان بمنزلة الوافد أو علا بالافضل خصوصا مع التادب بالنبي الاكمل واما ما قيل انما بدأه به ليزيل ما يستشعره من الخوف منه فليس في محله (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي المحكي عنه ما تقدم من الزيادة (ثم سار حتى أتى

(في جماعة من الانبياء) أي بينهم أو معهم (فحانت الصلاة) بالحاء المهملة أي دخل وقتها وجاء حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل لانه مجاز وقامت القرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشاء لان الاسراء يكون في أول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبياء كما رواه المحدثون واختاره النووي قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة أو باجسادهم لانهم أحياء ثم ان هذا ان كان بعد الاسراء فهي الصلاة المفروضة لان المعراج تعدد كما سيأتي تفصيله والا فهي تنفل وليس المراد بالصلاة الدعاء كما قيل لان قوله (فأممتهم) أي صليت معهم جماعة وأنا امام لهم يأباه ظاهرا (فقال قائل) قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام (هذا مالك خازن النار) أي الموكل بها وبأهلها (فسلم) مالك (عليه) أي على القائل أو سلم جبريل على مالك وهو الظاهر ويحتمل ان جبريل أمره عليه الصلاة والسلام بالسلام على مالك (فالتفت) أي مالك (فبدأني بالسلام) على والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما بدأه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتامين الله له لان السلام أمان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم لم يلقه أحد من الملائكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك لاحد قط وهذا ينافيه ما ورد انه صلى الله عليه وسلم تبسم في صلاة فسئل عن ذلك فقال رأيت مالكا راجعا من طلب القوم وعلى جناحه الغبار فضحك الى فتبسمت وأجيب بان المعنى انه لم يضحك منذ خلقت النار الا في هذه المرة وهذه القصة وقعت بعد الخبر الاول وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصورته الاصلية وبغيرها وفي فتاوى النووي هذه الصلاة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسماء ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر الاول (وفي حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ثم سار) أي جبريل عليه الصلاة والسلام (حتى أتى الى بيت المقدس فربط فرسه الى صخرة) المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها الان

بيت المقدس فنزل فربط فرسه) أي براقه (الى صخرة) أي قريبة من صخرة بيت المقدس أو الى صخرة عظيمة معروفة مشهورة في وسط المسجد الاقصى قال البرقي في غريب المواطن قيل ان مياه الارض كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس وهي من عجائب مخلوقات الله تعالى في أرضه ومن غرائبه فانها صخرة صماء في وسط المسجد الاقصى مثل الجبل بين السماء والارض قد انقطعت عن الارض كلها من كل جهة لا يمسكها الا الله الذي أمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه وفي اعلاها من جهة الخوف موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء وقد مالت من تلك الجهة من هيبته ومن الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها اذ امالت به ذكره التلمساني اعلم ان التعبير بالفرس جاء في تذكرة القرطبي برواية البيهقي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة وكذا رواه الطبراني وجاء في التفسير في سورة الملك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل والكلبي في قوله تعالى خلق الموت والحياة ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه شيء الا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء يجد ريحها الا حيي ولا تطأ شيئا الا حيي وهي التي أخذ السامري من

أثرها وألقاه فى العجل حكاه الثعلبى والقشيرى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والماوردى عن مقاتل انتهى فلا يحتاج الى ما تكلف بعضهم من القول بتعدد الاسراء والله تعالى أعلم (فصلى مع الملائكة) أى الحاضرين من الزائرين (فلما قضيت الصلاة) بصيغة المجهول (قالوا يا جبريل من هذا معك فقال) وفى نسخة قال (هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله) جملة دعائية امامن الحياة بمعنى البقاء أى بقاه الله وابقاه بمعنى عمره أو من التحية أى سلمه الله أوسلم عليه (من أخ) اذ المؤمنون أخوة عموما والانبياء خصوصا لحديث الانبياء أخوة بنو علات أبوهم واحد أى الايمان وامهاتهم شتى يعنى الشرائع (وخليفة) أى لله فى الارض حيث يحكم بحكمه من أمره ونهيه (فنعم الاخ ونعم الخليفة) أى هو صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم لقوا) أى النبى وجبريل ومن معه من الملائكة أو لان الاثنين أقل الجمع أو جمع للتعظيم والمعنى ثم لقى (أرواح الانبياء) أى ممثلة أو منضمة الى أشباحهم ولعل الاقتصار على الارواح لكمال صفائهم وضيائهم ثم هذه الملاقاة اما ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة أو بعد العروج فى مراتبهم من السموات (فاثنوا على ربهم) أى شكرا لما أنعم عليهم (وذكر) أى أبو هريرة (كلام كل واحد منهم) أى مما اثنوا على ربهم (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فيما اثنى على ربه روى ان ابراهيم عليه السلام قال الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وأعطانى ملكا عظيما وجعلنى أمة قانتا يؤتم بى وأنقذنى من النار وجعلها بردا وسلاما وقال موسى عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى كلمنى تكليما واصطفانى وأنزل على التوراة وجعل اهلاك فرعون ونجاة

الفارس يطلق على مقابل الماشى سواء كان راكبا فرسا أو حمارا أو بغلا وقد ورد تسمية البراق فرسا فى حديث المعراج فى رواية أخرى انه أتى بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء فى قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التى كانت قبلة قال البرقى فى غريب الموطأ انها من غرائب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الاقصى كجبل بين السماء والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفى أعلاها موضع قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسراء فمالت من تلك الجهة من هيبته وفى الجهة الاخرى أثر أصابع الملائكة التى أمسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها أبعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء وعدى ربط بالى لتضمينه معنى ضم أو الى بمعنى الباء أو عند كقوله ❊ أشهى الى من الرحيق السلسل ❊ (فصلى) أى جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مع الملائكة) لما وجدهم يصلون ثمه (فلما قضيت الصلاة) أى تمت وفرغوا منها وقضى مبنى للمجهول نائب فاعل الصلاة وتأويسا كنة للتأنيث وضبط فى الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على انه التفات وهو خلاف الظاهر فان استند لرواية فبها ونعمت (قالوا يا جبريل من هذا معك) خبر بعد خبر أو حال (قال هذا محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خاتم النبيين) والرسل لان نفى الاعم يستلزم نفى الاخص وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى آخرهم كما مر وقوله فى الحديث لا نبوة بعدى الا ما شاء الله المستثنى هو المبشرات ان صحت هذه الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينبأ بعده كما مر (قالوا وقد أرسل اليه قال نعم) تقدم شرحه (قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة) هى تحية ودعاء بالبقاء والسلامة فان حيى وأحيى بمعنى ومن زائدة أو مبينة للضمير وجعله الملائكة أخالهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه خليفة الله فى أرضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالى بل لقصور الخلق عن التلقى بغير واسطة وتاؤه للمبالغة قال التلمسانى لا يقال للسلطان خليفة الله لان الله حى لا يغيب وانما الخليفة لمن يغيب أو يعجز وانما يقال له خليفة فقط ان اتبع الشرع والسنة والا يقال له أمير (ثم لقوا أرواح الانبياء) ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة أو بعد العروج فى مراتبهم فى السماء أى لقى الملائكة أرواح الانبياء وفى هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها فى الملأ الاعلى على ما كانوا عليه فى الدنيا من الرتبة وما تقدم أيضا يحتمل هذا (فاثنوا على ربهم) أى أثنى الملائكة على ربهم اذ لاقوا أرواح الانبياء كما تقول اذا رأيت أحدا من الصالحين الحمد لله الذى من علينا بلقائك الا ان آخر الحديث يدل على انهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام بدليل قوله الآتى كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى وقوله (وذكر كلام كل واحد منهم) أى من الانبياء (وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله عليه وسلم

فقال

بنى اسرائيل على يدى وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون وقال داود عليه السلام الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور وألان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير وآتانى الحكمة وفصل الخطاب وقال سليمان عليه السلام الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون لى ماشئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير وآتانى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وجعل ملكى ملكا طيبا ليس فيه حساب وقال عيسى عليه السلام الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله تعالى وجعلنى أبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله تعالى ورفعنى وطهرنى واعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل (فقال) أى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه (وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين) أى لعامة الخلق (وكافة للناس) أى أجمعين كما فى نسخة (بشيرا) أى بالثواب (ونذيرا) أى بالعقاب (وانزل على الفرقان) أى المبالغ فى الفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فيه تبيان لكل شئ) أى من مهمات أمور الدنيا والدين اما بالنص أو بالاحالة على السنة بقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أو بالحث على الاجماع لقوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين أو بالقياس لقوله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار (وجعل أمتى خير أمة) أى أخرجت للناس الآية (وجعل أمتى أمة وسطا) أى خيارا عدولا أو معتدلين فى أعمارهم وأخلاقهم وأرزاقهم مقتصدين فى أعمالهم (وجعل أمتى هم الاولون) أى فى دخول الجنة (وهم الآخرون) أى فى حصول الخلقة وفى اتيان ضمير الفصل تبيان انهم هم المختصون بهذا الفضل كذا ذكره الدلجى لكن فيه بحث اذهم فى هذا التركيب مبتدأ والاولون خبره والجملة فى محل نصب على انه مفعول ثان لجعل هذا وفى صحيح مسلم نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق نحن أول من يدخل الجنة (وشرح لى صدرى) أى ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق (ووضع عنى وزرى) أى ثقل حمل اعباء النبوة وما يترتب عليه من لأواء المشقة

فقال وان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى فاقول الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين) فيه مخالفة لما ذكر فى أول الحديث من الانبياء وهو من باب الابدال لا الزيادة الا أن يكون اقتصر هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحديث بنعم الله لا مدح والعالمين شامل للمسلمين ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم فى الدارين فى معاشهم ومعادهم وللكافرين بامنهم من الخسف والمسخ والاستئصال (وكافة للناس) بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر أى ارساله كافة أى عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلنى أو اسم فاعل حال من الياء أى حال كونى كافا للناس فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف (بشيرا ونذيرا) أى مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة أو متداخلة حمدا أولا على ما أنعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد (وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شئ) سمى الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو بحسب اللغة عام خصه العرف بالغلبة وهو مصدر صار بمعنى الفارق أو المفرق آياته أو انزاله والتبيان بكسر التاء كتلقاء شاذ وقياسه الفتح وهو جائز فى غير القرآن وكونه مبينا لكل شئ كما قال تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شئ يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض واجمالا فى بعض واحالة على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين واتباع أئمة الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف وغيره من التفاسير (وجعل أمتى خير أمة) كما قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وفسره بقوله تعالى تامرون بالمعروف الآية (وجعل أمتى أمة وسطا) أى عدولا خيارا جامعين بين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والافراط استعير من المكان المستوى الجوانب لما ذكر (وجعل أمتى هم الاولون وهم الآخرون) هم ضمير مبتدأ أو يفيد الحصر وليس ضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى أوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور وفى دخول الجنة وفصل القضاء وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى وقد فسره بهذا فى حديث البخارى وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب قبلنا وليس تفسيره بسبق السعادة فى الازل كما قيل بواضح (وشرح لى صدرى) أى وسعه بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا أحزن على أمر من أمور الدنيا أو شقه وملأه بانوار كما مر (ووضع عنى وزرى) أى ظهرقلبى من حظ الشيطان وعصمنى فلا أرتكب ما لا يرضى الله ولذا قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فسوى بين ما تقدم وما تأخر لعدم وقوعهما أو خفف

(ورفع لي ذكري) أي باقتران اسمه لاسمه واشتراك طاعته لرسمه (وجعلني فاتحا) أي لابواب التحقيق وأسباب التوفيق وحاكما في خلقه أو بادئا في ظهور أمره ووجود نوره يناسبه قوله (وخاتما) أي وجعلني خاتم النبيين والاظهر ان يقال معناهما أولا وآخرا لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت أول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث (فقال ابراهيم بهذا) أي بمجموع ماذكر فيما حمده وشكره (فضلكم محمد) أيها الانبياء وهو بتخفيف الضاد أي بهذا صار أفضلكم (ثم ذكر) أي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه (انه) أي جبريل (عرج به) وفي نسخة بصيغة المجهول فضميرانه للشان (الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم) فيه ايماء الى ان ملاقاته الانبياء هذه كانت ببيت المقدس والله تعالى أعلم (وفي حديث) ابن مسعود (رضي الله تعالى عنه) أي مما رواه أبو نعيم في دلائله وابن عرفة في جزئه (وانتهى بي) يعني جبريل عليه السلام قاله الدلجي لكنه بصيغة المجهول في النسخ المصححة (الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) كذا في مسلم قال النووي في جميع أصوله وعن المصنف هو الاصح وقول الاكثرين ومقتضى تسميتها بالمنتهى انها في السماء السابعة ولذا صحح في بعض النسخ المعتمدة بلفظ السابعة وقد جمع بينهما النووي بان أصلها في السادسة ومعظمها في السابعة انتهى وفي روايات الآخر من حديث أنس رضي الله تعالى عنه انها فوق السماء السابعة قال المصنف وخروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصلها مؤذن بانه في الارض انتهى وفيه بحث لايخفى ومع تسليم ظاهر ما ادعى يمكن الجمع بان مبدأها في الارض ومعظمها في السماء السادسة وانتهاؤها ومحل اثمارها وغشيان أنوارها في السماء السابعة ان و يؤيده قوله (واليها) أي الى السدرة (ينتهي ما يعرج به من الارض) بصيغة المجهول وكذا قوله (فيقبض منها) أي تقبضه الملائكة الموكلون فيها باخذ ما صعد به من الاعمال والارواح اليها (واليها ينتهي ما يهبط) أي ينزل (فيقبض من فوقها منها) أي فيقبضه من أذن له بقبضه وايصاله الى من قضى له به وفي الحاشية قال ابن عباس والمفسرون سميت سدرة المنتهى لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم (قال) أي الله سبحانه وتعالى (اذ يغشى السدرة ما يغشى) أي يغطيها ما يغطى مما يصعد اليها من تحتها ويهبط عليها من فوقها وهذه عبارة لم أر من عبر بها وبهذا يجمع بين روايات مختلفة اذ روى انه يغشاها جم غفير من الملائكة وفي رواية رفرف من طير خضر وتقدم عن الحسن انه نور رب العزة

اعباء النبوة والتبليغ بافاضة أياديه علي فالجملتان في غاية التناسب (ورفع ذكري) أي جعلني مذكورا في الملأ الاعلى وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا مع اسمه على كل لسان وعلى المنار في كل اقامة وأذان كما قال حسان رضي الله عنه

وضم الاله اسم النبي الى اسمه ❊ اذا قال في الخمس المؤذن أشهد

(وجعلني فاتحا وخاتما) للنبوة اذ خلق روحي قبل الارواح ونبأها قبل كل نبي (فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا) أي بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها الا بالاول فقط كما قيل (فضلكم محمد) أي زاد فضله صلى الله عليه وسلم عليكم وقدم المعمول للحصر وقال هذا ابراهيم عليه الصلاة والسلام خطابا للانبياء لما سمع مقالته صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ذكر انه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو جبريل فقوله (عرج به) مبني للفاعل أو المفعول (من السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) الذي رواه ابن عرفة في جزأيه وأبو نعيم في الدلائل (وانتهى بي) أي جبريل عليه الصلاة والسلام أي وصل نهاية عروجه بي أو هو مبني للمفعول (الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة) وتقدم ان الاكثر على انها في السابعة والجمع بينهما بان أصلها في السادسة وفروعها في السابعة الا أنه قيل أن خروج النيل والفرات من أصلها يقتضي انها في الارض وورد في حديث آخر ان الانهار أربعة هذان وسيحان وجيحان وورد انها في الجنة قال ابن المنير رحمه الله تعالى فان قلت كيف انصبابها للارض قلت يمكن أن يكون كالمطر فيفترق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها في نواح من الارض غائبة عنا شاسعة بعيدة غزيرة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها ما لم نقف على مباديه الى الآن قلت يشهد له قصة النيل وبهذا يجمع بين كونها في السماء والجنة والارض وقوله (اليها ينتهي ما يعرج به من الارض) بالبناء للمفعول أي ما تعرج به الملائكة عليهم الصلاة والسلام من أمور الارض للعرض على الله من أمور عبيده (فيقبض منها) بالبناء للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه أي تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتداء والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم (واليها ينتهي ما يهبط من فوقها) من العرش بواسطة الملائكة المقربين (فيقبض منها) أي يوحي اليهم علمه ولو قيل ضميره منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان أظهر (قال تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) أي أمر عظيم لا يعلم كنهه وظاهر السياق ان المراد بهذا أمر الله ووحيه فكان عليه

(قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) الفراش بفتح الفاء الطائر الذى يلقى نفسه فى ضوء السراج وقد يطلق على الحباب الذى يعلو النبيذ ونحوه وقد ذهب توجيهه (وفى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى ومنها فى روايته (من طريق الربيع بن أنس رضى الله تعالى عنه) والربيع هذا بصرى نزل خراسان روى عن جماعة من الصحابة وروى عنه الثورى وابن المبارك وطائفة (فقيل لى هذه) أى المشار اليها (سدرة المنتهى) وفى نسخة صحيحة السدرة بالالف واللام قال الانطاكى هذا ما وقع فى النسخ فى هذه الرواية السدرة بالالف واللام وفى باقى الروايات سدرة المنتهى بدونهما وكذا وقع فى صحيح مسلم السدرة بالالف واللام فى قوله عليه الصلاة والسلام ثم ذهب بى الى السدرة المنتهى قال النووى فى شرحه وفى غيره من الروايات سدرة المنتهى يعنى بدون الالف واللام ولم يذكر لذلك علة (ينتهى اليها كل أحد) أى روحه أو عمله أو بكليته عند دخول جنته (من أمتك خلا على سبيلك) أى مضى على

طريقك ومنه قوله تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير أى مضى نبى منذر وأما ماضبط فى حاشية بضم الخاء

وتشديد اللام على انه مبنى للمفعول فتصحيف وتحريف (وهذه سدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن) بهمزة ممدودة أو مقصورة كما قرئ بهما فى السبعة غير متغير طعما ولونا وريحا (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) لعل الاقتصار على الطعم لان مدار التنعم عليه أو للزوم تغييره بتغير لونه وريحه (وأنهار من خمر لذة) تانيث لذ أى لذيذة أو ذات لذة (للشاربين) وقد يقال وصفها بلذة للمبالغة كأنها نفسها وعينها (وأنهار من عسل مصفى) أى مخلص من خلط شمع وغيره من فضلات النحل وغيرها

ان بينه (قال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه (فراش من ذهب) أى ذهب على صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر أى غشيها فراش والفراش معلوم (وفى رواية أبى هريرة من طريق الربيع ابن أنس) البكرى البصرى نزيل خراسان التابعى الثقة يروى عن أنس رضى الله عنه والرواية عنه مشهورة توفى سنة تسع وثلاثين ومائة (فقيل لى هذه سدرة المنتهى) التى سمعت بها والظاهر ان القائل جبريل عليه الصلاة والسلام ووقع فى بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون اضافة كالآتى أى السدرة التى هى المنتهى فالمنتهى مبدل منها (ينتهى) ويصل (اليها كل أحد من أمتك خلا) بفتح المعجمة واللام المخففة أى مضى كقوله تعالى تلك أمة قد خلت وفى نسخة بضم الخاء وتشديد اللام المكسورة (على سبيلك) أى على طريقتك وسنتك أى من مات من أمتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة اليها فيقال هذا عبدك فلان ابن فلان فيؤتى له بصك الامان وبهذا فسر قوله تعالى ان كتاب الابرار لفى عليين الآية (وهى السدرة المنتهى يخرج من أصلها) أى عروقها الداخلة فى الارض (أنهار من ماء غير آسن) أى لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلا وان طال مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفى التغير فى الحال لان كثيرا من أنهار الدنيا كذلك وهذا مع عذوبته فان المياه العذبة هى القابلة للتغير ولذا كان البحر المحيط بالدنيا املحا على ماقرره ارباب الطبائع فى علم الحكمة (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) أى لم يحمض كغيره اذا مكث (وانهار من خمر لذة للشاربين) أى لذة سائغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا أثقل من القدح الاول (وانهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه ليس رجيع النحل وقئ الذباب (وهى شجرة) يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما (وان ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من أظل مضاف للخلق والمراد الجمع الكثير لا سائر الخلق اذ لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها * فان قلت قد تقدم انها كآذان الفيلة * قلت أجيب بانه فى الشكل ومن قال التشبيه فى الكبر فيه مافيه (فغشيها نور) من الانوار الالهية (وغشيتها الملائكة) وهم نور مصور وقابل للصور (قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) أى فى تفسير هذه الآية على قول كامر

فانه مخلوق لا من صنع نحل (وهى) أى سدرة المنتهى (شجرة) أى عظيمة (يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما) وفى رواية الترمذى مائة سنة (وان ورقة منها) أى من أوراق تلك الشجرة بسبب كبرها وكثرة طولها وعرضها (مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المعجمة من الاظلال وفى نسخة بفتحهما أى محل ظلالهم والمعنى ان ظلها شامل لهم حائل عليهم والتشبيه السابق لورقها بآذان الفيلة من حيث الهيئة لا ينافى كبرها باعتبار العظمة (فغشيها نور) أى نور عظيم من الانوار الالهية لقوله (وغشيتها الملائكة) أى بانوارهم الملكية فبقى نور على نور وقيل غشيها ملائكة كأمثال الطير يقعن على الشجر وهذا التقرير أولى من قول الدلجى فى قوله غشيها نور ولعله نور الملائكة حين أقبلت اذ قد خلقت من نور ثم رأيت فى حاشية انه قال فى التفسير فغشاها نور رب العزة وقد سبق انه قول الحسن فهو أحسن (قال) أى الراوى (فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى) أى فيما سبق هو معنى قوله تعالى ما يغشى وايضاح له بعد ابهامه تفخيما وتعظيما وتكثيرا لما يغشاها

(فقال الله تبارك وتعالى) ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه (له) أى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) أصله اسئل فخفف وحذف المفعول للعموم أى سل كل ما تريد (فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا) أى اصطفيته وخصصته بالخلة وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة (وأعطيته ملكا عظيما) قال ابن المنير الملك العظيم الذى أوتيه ابراهيم يحتمل انه ما أوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى اسرائيل من ذريته كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا والمراد قهره صلى الله تعالى عليه وسلم لعظماء الملوك فى عصره كنمرود اذ القاهر أعظم من المقهور وجاء فى التفسير ان الملك النبوة * فان قلت كيف هذا وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للاعرابى خفف عليك فلست بملك وقال أبو سفيان للعباس رضى الله تعالى عنهما اذ أوقفه على كتائب الفتح فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها وهو عند العرب أخضر ولذا قال ابن هانئ

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

ورعماسه والسيف بذلك بلغة فقال لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو النبوة فلم يرض تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم ملكا قلت المنفى الملك العرفى المذكور فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تعود ملكا وأما الملك الحقيقى الدينى فليس بمنفى ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام انهما ملكان لان مقام النبوة أشرف وعدمه فيه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى آبائه من دلائل النبوة ولذا سأل هرقل هل كان فى آبائه ملك وخرجت الخلافة عن أهل بيته لئلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء فى تقسيم أحكامه الى فتيا وقضا وسلطنة (وكلمت موسى تكليما) أى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التأكيد خلافا لمن أنكره من المعتزلة كما بين فى الاصول (وأعطيت داود ملكا عظيما) أى ملكا شرعيا لا عرفيا وهو الخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال (وألنت له الحديد) بحيث كان فى يده كالعجين يتخذ منه الدروع (وسخرت له الجبال) فكانت تسبح معه اذا سبح (وأعطيت سليمان ملكا عظيما) اذ ملكته الدنيا بأسرها (وسخرت له الجن والانس) فكانت الجن تخدمه عليه الصلاة والسلام فى بنائه وغيره فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضىء فى الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه فى شئ (والشياطين) وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر والجواهر ويعملون له ما يريد (والرياح) فكانت تجرى بأمره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا (وأعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده) كان سأله من الله وهو

(فقال تبارك) أى تكاثر خيره وتزايد بره (وتعالى) أى تنزه شانه وتبين برهانه (له) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (سل) أى تعط (قال انك اتخذت ابراهيم خليلا) أى والخلة أعظم خلة اذ هى كرامة جليلة ومقامة جميلة تشبه كرامة الخليل عند خليله مأخوذة من الخلال فانها ودية تتخلل النفس وتخالطها وقد روى ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر يمتار منه لازمة أى شدة منه أصابت الناس فقال لو أن ابراهيم أراد ذلك لنفسه فعلت ولكن يريد لاضيافه وقد علم ابراهيم ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها أوعيتهم فوجده أهل بيته دقيقا حوارى فخبزوا منه فشم ابراهيم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقيل من خليلك المصرى فقال بل من خليلى الله فسماه الله تعالى خليلا (وأعطيته ملكا عظيما) أى ملكا جسيما كما قال الله تعالى فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما أى آل ابراهيم معه ومنهم داود وسليمان (وكلمت موسى تكليما) أى وعظمته بذلك تعظيما وتكريما (وأعطيت داود ملكا عظيما) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه كان أشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل ذكره البغوى فى تفسيره (وألنت له الحديد) أى كالشمع لا يحتاج الى احماء وطرق (وسخرت له الجبال) أى معه كما فى أصل الدلجى وقد قال الله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب (وأعطيت سليمان ملكا عظيما) أجمله ثم فصله بالعطف التفسيرى فى قوله (وسخرت له الجن والانس والشياطين) أى كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الاصفاد (وأعطيته ملكا لا ينبغى) أى لا يوجد (لاحد من بعده) وهذا تعميم بعد تخصيص واعاده اسائيه زيادة وتلويح الى ما حكاه الله عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وانما قاله ليكون له معجزة خارقة للعادة لانه قصد به الحسد فى الرياسة والمنافسة

ملك

أو لئلا يقع أحد فيما وقع فيه من ابتلاء الحالة التي لا تخلو من نوع المحاسبة والمناقشة وصنف من المخاطرة من نقصان كمال المرتبة
(وعلمت عيسى التوراة) أي تبعية (والانجيل) أصلية يروى وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه)
أي من ولد أعمى أو هو الممسوح العين (والابرص) أي من ببدنه بياض أمهق

كالجص روى انه ربما اجتمع الالوف
عليه ومن لم يطق اتيانه ذهب اليه وما يداوي الا بالدعاء لديه والمعنى ان هذا في حال الكبر (واعذته وأمه من الشيطان الرجيم) أي في حال الصغر (فلم يكن له) أي الشيطان (عليهما سبيل) لقوله سبحانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والاستعاذة جدته حنة امرأة عمران (فقال له ربه تعالى) أي تسلية لنبينا عن مرتبة الغبطة بالعطية من أعلى الرتبة (قد اتخذتك حبيبا) والمحبة أخص من الخلة فانها من حبة القلب ولان الفعيل يحتمل معنى الفاعلية والمفعولية فله الجمع بين مرتبتي المحبية والمحبوبية ويؤيده ان في نسخة صحيحة خليلا وحبيبا وهي في ارادة هذا المعنى صريحة وأما قوله (فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن) فلا ينافيه ما قدمناه من البيان اذا ذكر ما خص به من مقام الاعيان هذا وقد قال الدلجي هذا مدرج من كلام الراوي اقامة بينة لصحة زيادة
رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ولعل وجه تخصيص اضافته الى الرحمن لكونه رحمة للعالمين من عند أرحم الراحمين (وأرسلتك الى الناس كافة) أي رسالة عامة فارساله الى الناس تعميما يفيد تعظيما بالنسبة الى من أوتي ملكا عظيما ثم زاده عليه بما ضم اليه من

ملك الانس والجن والرياح فذلك ما فوق الارض وما تحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبدا لله (وعلمت عيسى) وهو صغير (التوراة والانجيل) الذي أنزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه أحكام وانما هو حكم وحقائق في التوحيد وقيل فيه أحكام قليلة بالنسبة للتوراة وفي نسخة وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل (وجعلته يبرئ الاكمه) الذي ولد أعمى بدعائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمك وقال التلمساني هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخاري عن قتادة ولا يعلم هذا في اللغة والمعروف ما تقدم والذاهب البصر بعد الابصار أعمى والاكمه الذي سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر أو الذي اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى وكلامه متناقض فان المعنى الاخير هو عين ما أنكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة في تفسير القرآن لا سيما وقد تابعه البخاري ومتابعته تعتمد في حديث لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكيف اللغة (والابرص) وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكماء بها يبيض لون البدن ويصير قبيحا وهو أقبح الامراض بعد الجذام ولذا جوز الشافعي رضي الله تعالى عنه فسخ النكاح به (واعذته) أي حفظته وأجرته (وأمه) مريم (من الشيطان الرجيم) الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وسيأتي في حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وأمه وكذا نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام لان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم ولد مشيرا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذي مع كل أحد حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا كلام في الكشاف وشروحه سيأتي بيانه مع الكلام على الحديث (فلم يكن له عليهما سبيل) اذ حماهما وعصمهما منه (فقال له ربه) أي لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما سمع مقالته وان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلاة والسلام (قد اتخذتك حبيبا) هذا في مقابلة الخلة والمحبة أعظم من الخلة كما سيأتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد خبأ دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما هو أعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن أعظم من التوراة والانجيل وابراء الاكمه ونحوه وقد وقع منه صلى الله تعالى عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما سيأتي وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان (فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن) وهذا من كلام الراوي كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفي السبعيات للهمداني قال ثبت في الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلي فسمعت النداء من قبل الله تعالى يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما فقلت يا رب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا أبا القاسم ادن مني لست عندي كموسى فان موسى كليمي وأنت حبيبي انتهى وقد سئل الامام القزويني عن وطء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جل جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك أم لا فاجاب بان ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وصوله صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا وانما الذي صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب وأما الى ما وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك في أخبار ضعيفة أو منكرة لا يعول عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله (وأرسلتك الى الناس كافة) قد تقدم

قوله (وجعلت أمتك هم الاولون) أى فى دخول الجنة شهودا (وهم الآخرون) أى فى الدنيا وجودا (وجعلت أمتك) أى أمة الاجابة (لايجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) أى ولو خارج الخطبة فلا يرد على أبى حنيفة فى تجويز الخطبة على نحو تسبيحة وتحميدة أو المراد بالامة أمة الاجابة والمراد بنفى الجواز انه لا ينبغى ترك الشهادة لاسيما حال القدرة فالمعنى على نفى الكمال كحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى ناقصة مقطوعة الفائدة كحديث كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله أو بالحمد لله فهو أجذم أو أبتر أو اقطع روايات (وجعلتك أول النبيين خلقا) أى لانه سبحانه وتعالى خلقه قبل آدم فلما خلق آدم قذفه فى صلبه فلم يزل فى صلب كريم الى رحم طاهر من السفاح حتى خرج من بين أبويه فكان أولهم خلقا وجودا (وآخرهم بعثا) وشهودا مع زيادة انه أعظمهم خلقا (وأعطيتك) أى خاصة (سبعا من المثانى) وهى الفاتحة على الصحيح من قوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم الآية (ولم أعطها نبيا قبلك) تأكيدا لما قبله وتأييد (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة) الظاهر انها من قوله آمن الرسول الى آخر السورة (من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك) أى بانزال مضمونها على أحد الله منهم ادخار الك وقال التور بشتى بل المعنى انه استجيب له ولمن نال بحقه مضمون قوله تعالى غفرانك ربنا الخ قال الدلجى ويؤيده انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما دعا بهن قيل له قد فعلت وأوثر الاعطاء مناسبة للتعبير بكنز تحت العرش انتهى ولا يخفى انه لامنافاة بين الجمع فالحمل عليه أولى (وجعلتك فاتحا وخاتما) أى مبدأ للخيرات ومنتهى للمبرات أو أولا وآخرا باعتبار الارواح والاشباح من بين الانبياء (وفى الرواية الاخرى) أى التى رواها مسلم (قال) أى ابن مسعود (فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) أى عالم

شرحه وكذا قوله (وجعلت أمتك هم الاولون وهم الآخرون) لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ شريعتهم (وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة) هى كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر مهم وكان عادة العرب اذا اجتمعوا فى ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا أو تصالحوا أو أرادوا وعظا والقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور فجاء الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا وقع أمر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه (حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى) أى لا يعتد بخطبهم الا اذا أتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى هى ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضى ان التشهد فيها ركن أو شرط قيل وهذا لم يقل به أحد من الفقهاء وأئمتهم * فان قيل المراد انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة أى لا تصح الا خطبة المسلم المصدق بك والامة أمة الدعوة فهو بعيد وأجيب بان الشافعى وغيره اشترط فى الخطبة الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهى تتضمن الشهادة بذلك ولا تخفى ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة وقال أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى لابد من ذكر طويل يسمى خطبة وأقله قدر التشهد الى قوله عبده ورسوله يثنى بها على الله ويصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان الخطبة واجبة ومادون ذلك لا يسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعى والحديث شاهد له (وجعلتك أول النبيين خلقا) لانه خلق روحه قبل الارواح ثم خلق الارواح ونبأه فهو أولهم خلقا ونبوة (وآخرهم بعثا) وارسالا كما تقدم بيانه (وأعطيتك سبعا من المثانى) أى الفاتحة لانها سبع آيات وهى تثنى وتكرر فى كل ركعة أو السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها أو مع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما لتكرر المواعظ والعبر فيها (ولم أعطها نبيا قبلك) كما تقدم بيانه (وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى) الكنز المال المدفون فشبه به ما فى اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه كجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم أخرج من ذلك الكنز الذى هو اللوح وفى الحديث من قرأها كفتاه أى عن قيام الليل أو من الشيطان ويؤيده ما روى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان ولا يكون له عليه سلطانا قال التوربشتى المعنى انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الى آخره ونصره والماقرأهن صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له قد فعلت وأوثر الاعطاء لمناسبة الكنز (لم أعطها نبيا قبلك) أى لم يعط مثل ثوابها أحد قبله صلى الله عليه وسلم (وجعلتك فاتحا وخاتما) أى فاتحا لكل خير وشريعة فهو أعم من قوله جعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فمن فسره به فقد قصر (وفى الرواية الاخرى) التى رواها مسلم (قال فاعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا) من الفضائل المخصوصة به صلى

يعطها غيره (أعطى الصلوات الخمس) أى فريضة فى كل يوم وليلة (وأعطى خواتيم سورة البقرة) أى قراءة واجابة (وغفر لمن لا يشرك بالله شيا) أى من الشرك (من أمته المقحمات) أى السيآت المهلكات أهلها ولو من غير توبة وفيه اشارة الى انه من خصوصيات هذه الامة المرحومة ببركة نبى الرحمة لكنه مع هذا تحت المشيئة ومختصة بمن تعلقت به الارادة لقوله تعالى و يغفر مادون ذلك لمن يشاء فاندفع ما أورده الدلجى من وجه الاشكال بقوله يفيد ظاهره العموم فيلزم انه لا يعذب أحد من الاجماع على تعذيب بعض عصاة المؤمنين أى من هذه الامة والا فلا اشكال وأبعد من قال أراد بغفرانها ان لا يخلد أحد منهم فى النار لا ان لا يعذب أصلا اذ فيه انه لا خصوصية حينئذ قطعا ثم المقحمات بضم ميم وكسر حاء مهملة مخففة وقيل مثقلة الذنوب العظام التى من شانها ان تقحم صاحبها فى النار وتدخله الشدة فى دار البوار وهو مرفوع على انه نائب الفاعل لقوله غفر والمعنى انه أعطى الشفاعة لاهل الكبائر من الامة (وقال) أى ابن مسعود فى قوله تعالى (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) أى فى هذه الآية وفى ما بعدها من قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى (رأى جبريل فى صورته أى التى خلق عليها فى أصل) جبلته (له ستمائة جناح) أى مختص بزيادة الاجنحة على سائر الملائكة كما قال سبحانه وتعالى جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء وأشار اليه سبحانه وتعالى بقوله علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى لان القوة على قدر زيادة الاجنحة اللازمة لعظم الجثة ومنه حديث أبى داود وغيره ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم اما حقيقة صيانة لامره وحفظا لشانه أو تواضعا تعظيما لحقه وأما ماذكره السهيلى من انه قد قال أهل العلم فى أجنحة الملائكة انها ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ولكنها صفات ملكية لا تفهم الا بالمعاينة فهو خلاف الظاهر المتبادر من معنى الحقيقة التى لا ينافيها عقل ولا نقل وقد أبعد بقوله واحتجوا بالآية فانه لم ير طائر له ثلاثة أجنحة أو أربعة حيث غفلوا عن انه لا يقاس الغائب على الحاضر وجهلوا معنى قوله سبحانه وتعالى يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وفى الآية قول آخر لبعض الائمة وهو انه رأى ربه تعالى والمعنى ما كذب بصره ما حكاه له قلبه (وفى حديث شريك) أى ومنها فى روايته (أنه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

الله تعالى عليه وسلم (أعطى الصلوات الخمس) أى لم تجتمع لغيره ولا لغير أمته ولا لنبى قبله فان الانبياء قبله كانت لهم صلاة موافقة لبعض هذه دون مجموعها وكان عليه الصلاة والسلام يصلى قبل الاسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطى رحمه الله فى آخر الخصائص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا وقد مر ذلك (وأعطى خواتيم سورة البقرة) كما تقدم (وغفر لمن لم يشرك بالله شيأ من أمته المقحمات) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الاقحام وهو الالقاء والمراد الكبائر التى تلقى صاحبها فى النار أو المهلكات وهذا كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء أى بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور (وقال) أى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى الحديث الذى رواه (ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين) هذا لفظ القرآن والمنقول عن راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله (رأى جبريل فى صورته) الاصلية التى خلق عليها (له ستمائة جناح) لا فى صورة تمثل بها فان الله أعطى الملائكة قوة التشكل باى صورة أرادوا ونقل الشمنى عن السهيلى فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا رضى الله تعالى عنه بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الآدمية أشرف وانما هى عبارة عن قوة روحانية ملكية أعطيها جعفر رضى الله تعالى عنه كما أعطى الملائكة فان أجنحتهم صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى فيهم أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يدل على ذلك اذ لم ير طائر باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما فى صفة جبريل عليه الصلاة والسلام فدل على انها صفات لا تضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية فاى مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار والاحاديث صريحة فى انها أجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر الملائكة وكون جناحى جعفر رضى الله تعالى عنه حقيقيين يؤيده كون أرواح الشهداء فى جيوف طيور خضر فى الجنة فاى حاجة للتاويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلى (وفى حديث شريك) المتقدم مع ما فيه (أنه صلى الله تعالى عليه وسلم

(رأى موسى في السابعة) أي السماء السابعة كما في أصل الدلجي وقد تقدم الجمع بينهما فلا يحتاج الى حمله على تعدد الاسراء أو تكلفه بان احداهما موضع استقراره والاخرى غير موضع استيطانه أو باعتبار طلوعه ورجوعه وهذا أولى مما قاله الانطاكي ولعله رآه في السادسة ثم ارتقى الى السابعة وهذا أوجه التوفيق بين ما روى في صحيح مسلم أنه عليه الصلاة والسلام وجد ابراهيم في السادسة وبين ما روى انه وجده في السماء السابعة انتهى والاظهر انه من وهم بعض الرواة فان النسيان يغلب الانسان (قال) أي شريك أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (بتفضيل كلام الله تعالى) أي له كما في أصل الدلجي والمعنى ان جعله في السابعة مسبب عن ذلك قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس

برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أي ولا تطلب المعراج

رأى موسى في السابعة) وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان الاسراء متعددا فظاهر انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه أولا في السادسة ثم صعد الى السابعة فرآه بعد رجوعه فيها (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الراوي على انه من كلام شريك فهو مدرج فيه (بتفضيل كلام الله) أي علو رتبته عليه الصلاة والسلام وصعوده للسابعة لفضله على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل (قال) شريك في الحديث (ثم علا به) أي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من السابعة (فوق ذلك) الاشارة للسماء السابعة (بما لا يعلمه الا الله) أي بمقدار لا يعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى تامنه بقنطار أو بمعنى الى كما في قوله تعالى وقد أحسن بي فكان مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم أرفع من مقام موسى عليه الصلاة والسلام ولذا عقبه بقوله (فقال موسى) اذ رأى رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم (لم أظن ان يرفع على أحد) ومنشأ ظنه تفرده بتكليم الله وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الانبياء واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلاة والسلام هذا وقد علم بتفضيله وهو مذكور في التوراة واللائق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام التواضع وهذا مما طعن به في رواية شريك (وقد روى عن أنس) ابن مالك (رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسراء الذي فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا أيضا كما مر (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه كما رواه البزار والبيهقي (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه الصلاة والسلام) أصله بين فاشبعت فتحته ألفا وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى المفاجاة أي وقعودي يوما فاجاني فيه دخول جبريل أو وقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذو تزاد كثيرا كقوله رجل من ذي يمن (فوكز) أي ضرب ضربا خفيفا كما يفعل من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف (بين كتفي) وفي رواية بينا أنا نائم وجمع بينهما بانه صلى الله تعالى عليه وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان ببيت المقدس (فقمت) معه من محل قعودي (الى شجرة فيها مثل وكري الطائر) مثنى وكر وهو للطير كالبيت للانسان والجحر للحشرات والكناس للظبي كما بينه أهل اللغة أي بيتين شبيهين بالعش وضعا وهيئة لا مقدارا لانه لا يسع الآدمي ولو كان كفوا في الطير كالنسر والعقاب (فقعد) أي جبريل عليه الصلاة والسلام (في واحدة)

ولا الرؤية في ذلك المدراج (ثم علا به) بصيغة المفعول وفي أصل الدلجي ثم علا بي أي جبريل (فوق ذلك) أي فوق ما ذكر من السماء السابعة والسدرة (بما لا يعلمه الا الله) أي بمقدار لا يعلمه سواه فلا يحتاج الى ما تكلفه الدلجي بقوله انه بدل من فوق ذلك والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تامنه بقنطار أي عليه أو بمعنى الى كما في وقد أحسن بي أي علا بي على مكان أو الى مكان لا يعلمه الا الله (فقال موسى لم أظن ان يرفع على أحد وقد روى) بصيغة المجهول أي ومنها انه قد روى (عن أنس رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس) أي اماما وهو لا ينافي ما روى

وقعدت

أنه صلى بهم في السماء أو صلى مع الملائكة في المسجد الاقصى (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) أي ومنها ما رواه البزار والبيهقي عنه (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز) بالواو والزاي أي دفع باطراف أصابعه أو ضرب بكفه مجموعة (بين كتفي) بتشديد التحتية وهذا ضرب تلطف ومحبة أو سبب قيام وخفة ويشير اليه قوله (فقمت الى شجرة فيها مثل وكري الطائر) أي مكانين مماثلين للوكرين وهو بفتح الواو عش الطائر سواء كان في جحر أو في شجر وقيل ان كان في شجر فهو عش أو في جحر فهو وكر (فقعد) أي جبريل (في واحدة) ولعل تانيث الوكر باعتبار البقعة أو القطعة من الشجرة

وتعدت في الاخرى) قيل أنثه لانه كالعش يذكر ويؤنث والغالب على ألسنة أهل مكة تانيثه أوهو لتاويله بالزاوية والطاقة ونحوهما وماقيل لانه ماوى أناث الطيور غالبا لاوجه له (فنمت) بالنون والضمير للشجرة أي زادت وارتفعت وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى (حتى سدت الخافقين) هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما أي غيابهما أوحركتهما وأصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا احسن قوله

أما والله لولا خوف شخصك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فزدت عجبا * وليس هما سوى قلبي وقرطك

(ولو شئت) لعلوها وقربي منها (لمست السماء) بكسر السين وفتحها ويروى لمست بسين واحدة من اللمس أوهو مخففة ونقل حركته (وانا أقلب طرفي) تقليب طرفه بمعنى نظره في جوانبها اثباته صلى الله تعالى عليه وسلم وعدم دهشته وتامله في آيات الله في الآفاق (ونظرت جبريل) اذقلبت طرفي فوقع عليه بحذائي (كأنه حلس) بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط في البيت (لاطئا) أي لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالارض من الغشي الذي هو فيه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم متثبت لم يسمه روعة كما غشى جبريل عليه الصلاة والسلام ويقال فلان حلس بيته لمن لايخرج منه قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد خاطئة أومنية قاضية ولاطئ بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما في الصحاح وفي بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح رواية ولم يفسر وجملة كأنه حال جبريل (فعرفت فضل علمه بالله على) أي عرفت بما اعترى جبريل عليه الصلاة والسلام من الخشية انه أعرف بالله مني لانه بقدر العلم يكون الخوف والخشية قيل هذا تواضع منه عليه الصلاة والسلام لانه أفضل منه ورد بانه قد يكون في المفضول ماليس في الفاضل والملائكة المقربون قد يعرفون من احوال الملكوت مالا يعرفه غيرهم وان كان أفضل والقول بانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم بتفضيله عليه لايناسب هنا (وفتح لي باب السماء ورأيت النور الاعظم) قيل هو نور العرش أو الله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تاويل قال الاشعري نور لا كالانوار وقال الغزالي النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره

(وتعدت في الاخرى) وماذكرناه أولى وأحرى مما قاله الحلبي ان تانيثه هنا حمل على الغالب اذ الغالب ان مايلازم الوكر الانثى للبيض والجلوس عليه وغير ذلك فاكتسب التانيث بحسب الاضافة انتهى ويرده ما في القاموس من ان الوكر عش الطائر وان لم يكن فيه وأما قول الدلجي انثهما باعتبار ان كلا منهما بمعنى العش وأهل مكة يذكرونه ويؤنثونه والغالب الآن على ألسنتهم التانيث فليس في محله لانه غير مسموع بل في القاموس مايدل على انه من وجهين مدفوع حيث قال العش بالضم موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب في افنان الشجر ويفتح (فنمت) بفتح النون والميم من النمو أي زادت وفي نسخة صحيحة فسمت بالسين المهملة والميم المخففة من السمو أي ارتفعت والضمير الى الاخرى (حتى سدت الخافقين) بتشديد الدال المهملة أي طرفي السماء والارض أو أفقي المشرق والمغرب (ولو شئت) أي من كمال رفعتي (لمست السماء) بكسر السين الاولى وتفتح وقد تحذف كما في نسخة (وانا أقلب طرفي) بتشديد اللام والطرف بسكون الراء بمعنى النظر والجملة حالية أي والحال اني أردد بصري تبع البصيرة قلبي في آيات ربي في الآفاق وفي الانفس (ونظرت جبريل) أي رأيت كما في نسخة أي وابصرته نازلا عني وبعيدا مني (كأنه حلس) بكسر وسكون وفي نسخة بفتحهما أي كساء رقيق يلي ظهر البعير تحت قتبه شبه به لرؤيته له (لاطئا) بكسر مهملة فهمزة أي لاصقا لما الحقه من هيبة الله تعالى وشدة الخشية من كمال عظمته كذا قرره الدلجي بناء على نصب لاطئا في أصله لكنه مخالف للاصول المصححة لانه مرفوع على انه نعت لقوله حلس ومنه حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه كن حلس بيتك حتى تاتيك يد خاطئة أومنية قاضية أمره بلزوم بيته هذا وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مررت ليلة أسرى بي وجبريل بالملأ الاعلى ساقط كالحلس البالي من خشية الله تعالى (فعرفت فضل علمه بالله سبحانه على) لانه انما يخشى الله من عباده العلماء ولان من يكون أعلم يكون أخشى واتقى وهذا من باب تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم وتعليم لامته واتباعه وتنبيه نبيه على ان أفضل الملائكة اذا كان يخشى هذه الخشية مع ظهور العصمة فغيره أولى بان يكون على تلك الحالة مع احتمال وجود السيئة وتحقق الغفلة (وفتح لي باب السماء) بصيغة المفعول (ورأيت) وفي نسخة ونظرت (النور الاعظم) أي نور الحضرة الالهية ذكره الدلجي والله تعالى أعلم

(ولط) بضم لام وتشديد طاء مهملة أى أرخى وفى نسخة واذا أدنى باذا المفاجأة أى قرب ودنا (الحجاب) أى ستر باب الجنان لان رب الارباب منزه عن ان يدخل تحت الحجاب أو يخرج من تحت النقاب (وفرجه) بالنصب وهو بضم الفاء وسكون الراء أى مركوز فى شقة (الدر والياقوت) ويروى فوقه الدر والياقوت والظاهر انه تصحيف وضبط فى حاشية التلمسانى وغيره بضم الفاء وفتح الراء جمع فرجة وهو الاظهر فتدبر (ثم أوحى الله الى ماشاء ان يوحى) أى الى كما فى نسخة صحيحة (وذكر البزار عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه) وفى نسخة بخط مغلطاى البراء بفتح موحدة وخفة الراء والصواب هو الاول وهو بموحدة فزاى مشددة فالف فراء نسبة الى عمل بزر الكتان زيتا بلغة البغداديين وهو الحافظ العلامة أبو بكر بن أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعال سمع عبد الاعلى بن حماد والحسن ابن على بن راشد وطائفة وعنه أبو الشيخ والطبرانى وجماعة فانه ارتحل فى آخر عمره الى اصبهان والى الشام والى النواحى ينشر علمه ذكره الدار قطنى واثنى عليه وقال ثقة يخطئ ويتكل على حفظه مات بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين (قال لما أراد الله تعالى ان يعلم) بتشديد اللام أى يعلمه ويلهمه (الاذان) أى ما يختار للاعلام بدخول أوقات الصلوات (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها) أى شرع وأراد أن يركبها (فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام أسكنى فوالله ماركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فركبها حتى أتى بها) أى انتهى بها (الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى) أى عرشه سبحانه وتعالى (فبيناهو) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (كذلك) أى بالوصف الذى هنالك (اذخرج ملك) أى فاجأه خروجه (من الحجاب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ياجبريل من هذا) أى من الملائكة (قال) أى جبريل (والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا) أى فى السماء أو من الحجاب لامن رب الارباب لانه منزه عن المكان والزمان وسائر سمات الحدثان (وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) يعنى فهو داخل تحت قوله سبحانه ويما لا يعلمون وقوله تعالى ويخلق مالا تعلمون (فقال الملك الله أكبر الله أكبر

فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا كلام لا يصرح به (ولط دونى الحجاب) وفى نسخة واذا دونى الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبنى للمجهول يقال لططت الباب اذا أغلقته وكذا اذا سترته يعنى انه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما شاهد النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه وسياتى الحجاب وتاويله عن قريب (وفرجه) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا الضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وهى ما بين الشيئين من خلاء أو بين اجزاء شئ مفتوحة أى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذى يخرج منها نوره (الدر والياقوت) وهما نوعان من الجواهر معلومان (ثم أوحى الله الى ماشاء ان يوحى) بالبناء للفاعل أو المفعول وحديث أنس هذا سقط من بعض النسخ (وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاى المعجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل البزر وهو بزر الكتان الذى يستخرج منه السليط وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعالل توفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو فى أكثر النسخ قال البرهان الحلبى وفى نسخة بخط الحافظ مغلطاى البراز بزاى معجمة آخره وفى صحتها نظر والمعروف انه براء مهملة آخره (عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه لما أراد الله تعالى ان يعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يعرفه (الاذان) الذى شرعه للاعلام بدخول وقت الصلاة (جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) مر الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا معراج آخر غير الذى كان بمكة قبل الهجرة كمامر وهذا بعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضى ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتى ما فيه (فذهب يركبها) أى شرع فى الركوب وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضى تقول ذهب يقول كذا أى شرع فى مقاله وقوله (فاستصعبت) تلك الدابة (عليه فقال لها جبريل اسكنى فوالله ماركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى أتى بها الى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى فبيناهو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل من هذا) الملك (قال والذى بعثك بالحق انى لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) تقدم شرحه فلا نكرره وتانيث البراق لغة أوماول بدابة وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلى رضى الله تعالى عنه وفى سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف ومال السهيلى لصحته وذكر الحجاب وسياتى بيانه (فقال الملك) الذى خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلاة والسلام (الله أكبر الله أكبر) الى آخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق برب العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ماعرف فى كتب الفقه والسنة

(فقيـل له من وراء الحجاب صدق عبـدى أنا أكبر أنا أكبر ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا وذكر) الراوى (مثل هـذا) الذى ذكر قولا وجوابا للمؤذن (فى بقية الاذان الا أنه لم يذكر جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفلاح) لانه يتصور فى حقه معناه أولان جوابه لاحول ولاقوة الا بالله أى لا نقدر على الصلاة والسعى لها وأداء حقوقها الا من هى له وهذا لا يليق الا بالمخلوق بخلاف ماقبله (وقال) أى الراوى (ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله تعالى عليه وسـلم فقدمه) على من كان بحضرته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (فام) أى صار اماما يؤم (أهل السماء) حال كونهم (فيهم آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام) خصهما بالذكر لانهما أبو الانبياء الجسمانيين كما انه أبوهم الروحانى المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حى اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضى منذر بن سعيد والعرب تريد بها جئ سريعا حثيثا الا كما يقول الفقهاء مطيعا وفى حى لغات مـذكورة فى كتب العربية واللغة وأصلها حى هلا ثم قد تفرد حى وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال أفلح الرجل اذا أصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على البقاء فى الجنة (قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين) بن على بن أبى طالب وهو أبو جعفر الامام المشهور فى آل الرسول وأهل بيته (راويه) أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه عن جده (أكمل الله لمحمد صلى الله تعالى عليـه وسلم الشرف) والعلو (على أهل السموات وأهل الارض) أما على أهل الارض فلانه صـلى الله تعالى عليه وسـلم أشرف الرسل وأمته أشرف الامم وأما على أهل السماء فلانه صـلى الله تعالى عليـه وسـلم أشرف من سائر الملائكة بدليل انه أمهم وتقدم عليهم كما تدل عليـه الاحاديث المذكورة بقى ههنا ان ماذكر يدل على ان الاذان شرع ليلة الاسراء قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة الى أن هاجر الى المدينة وفى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما الصحيح المذكور فى الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا فى ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق اليهود فقال عمر رضى الله تعالى عنه أولا تبعثون رجلا ينادى بالصلاة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة وفى حديث أبى اسحق بزيادة على ماذكر فبينماهم على ذلك اذ سمع عبد الله بن زيد بن ثعلبة الخزرجى النداء فاتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم فقال يارسول الله انى قد طاف بى الليلة طائف مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده فقلت يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس فقال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أولا أدلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله أكبر الله أكبر الى آخره فلما أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال فالقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك فلما أذن بلال رضى الله تعالى عنـه سمعه عمر رضى الله تعالى عنه وهو فى بيته فخرج يجر رداءه وهو يقول يانبى الله والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى رأى فقال رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم الحمد لله وفى وسيط الغزالى انه رأى هـذه

فقيل له) أى جوابا عن مقوله (من وراء الحجاب صدق عبـدى أنا أكبر أنا أكبر) هـذا يحتمل انه أمر ملكا أن يقوله عن أمر ربه كعكسه حين حكى الله عن الملائكة فى قوله وما نتنزل الا بامر ربك (ثم قال الملك أشهد أن لا اله الا الله فقيـل من وراء الحجاب صـدق عبدى أنا الله لا اله الا أنا) ووقع فى أصل الدلجى أنه لا اله الا أنا وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وذكر) أى الراوى (مثل هـذا) أى الذى ذكر قولا وجوابا (فى بقية الاذان الا أنه لم يذكر) فقيل له من وراء الحجاب (جوابا عن قوله حى على الصلاة حى على الفـلاح وقال) أى الراوى (ثم أخذ الملك) أى المؤذن (بيـد محمـد فقدمـه) أى فى المقـام الاتم (فام أهل السماء) أى مـن المـلائكه والانبياء (فيهم آدم) أبو البشر الاكبر (ونوح) أبو البشر الاصغر ولعل هذا وجه تخصيصهما فتـدبر وأما ما وقـع فى أصل الدلجى من قول آدم وابراهـيم ثم قوله وخصا بالذكر لانهما أبو الانبيـاء فهو مخالف للاصول المعتـبرة (قال أبو جعفر) أى الصادق وهو الباقر (محمد بن على بن الحسين) أى ابن على ابن أبى طالب وهـو زين العابدين رضى الله تعالى عنهـم ويسمى سلسلة الذهب (روايه) أى راوى هذا الحديث الذى ذكره البـزار فى مسنده حيث قال حـدثنا محمـد بن عثمان بن مخلد حـدثنا أبى عن زيادة بن المنـذر عـن محمـد بن عـلى بن الحسـين عن أبيـه عن جده على بن أبى طالب قال لما أراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان فذكره وفى سنده زياد بن المنذر وهو كذاب وقد أخرج له الترمذى وقد مال السهيلى فى روضه الى صحته لما يعضده ويشاكله من أحاديث الاسراء والله تعالى اعلم وقد تصحف فى أصـل الدلجى فوقع رواية بالمصـدر بدل راويه (أكمل الله تعالى) أى أكمل وأتم (لمحمد صـلى الله تعالى عليـه وسـلم الشرف) أى السـيادة الاعم (على أهل السموات والارض

قال القاضى رحمه الله تعالى مافى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) أى مقصور من جميع الابواب اذ الحجاب لغة المنع والستر وحقيقته للاجرام المحدودة الا أنه قد يطلق مجازا و يقصد به التمثيل لما يفهم من مجرد المنع من رؤيته تعالى بالمشاهدة ليتصوره السامع حتى يكون مستحضرا كانه ينظر اليه متيقنا له متبصرا وأما المعنى الحقيقى فهو منحصر فى حق المخلوق (لافى حق الخالق) لانه منزه عن ذلك (فهم المحجوبون) أى حسا ومعنى (والبارئ) أى الخالق البرئ عن مشابهة المخلوقين (جل اسمه) أى عز مسماه (منزه عما يحجبه) أى يستره عن خلقه ويجعله محجوبا فى حقه (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب (انما تحيط بقدر) أى محدود (محسوس) أى داخل تحت نطاق حاسة البصر (ولكن حجبه) بضمتين جمع حجاب و بفتح فسكون مصدر أى قد يكون حجابه (على أبصار خلقه) بفتح الهمزة أى أعينهم الظاهرة (و بصائرهم) أى أعينهم الباطنة (وادراكاتهم) عطف تفسير (بما شاء) أى من أنواع الحجاب وفى الحديث حجابه النور أى لكماله فى الظهور (وكيف شاء) أى فى هذا الباب (ومتى شاء) أى من أوقات تعلق الحجاب (كقوله) أى فى الكتاب

الرؤيا بضعة عشر رجلا وأنكره النووى وابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضى الله تعالى عنهما فهذا يدل على ان الاذان انما رؤى بالمدينة وما ذكرهنا يدل انه بمكة فى الاسراء وهما متعارضان الا ان الثانى صحيح والاول ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله تعالى قول القرطبى انه لا يلزم من رؤيته فى الاسراء مشروعيته فى حقه فيه انه يأباه قوله فى الحديث لما أراد ان نعلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الاذان وقول الطبرى يحمل الاذان فى الاسراء على معناه اللغوى يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم رآه فى الاسراء ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين وأخره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لما رؤا ذلك أظهره ليكون مدحه على لسان غيره فى غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حين قدم المدينة أقول هذا كله كلام مضطرب والذى ظهر لى فى التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه ان المذكور فى رواية البزار اسراء غير المعروف وانه بروحه أو فى رؤياه لان الاسراء تعدد فيكون رأى فى منامه ذلك ورؤيا الانبياء وحى وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضى الله تعالى عنهم رؤياهم فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح من غيره وليسروا بموافقتهم رأيهم و كون ذلك مأمورا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد عمل بوفق الرؤيا وهو خلاف وهذا ان شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المصنف رحمه الله تعالى استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث الذى ذكر فيه الحجاب وهو فى حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله (قال القاضى) أبو الفضل عياض مؤلف هذا الكتاب رضى الله عنه (مافى هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو فى حق المخلوق) الرائى (لافى حق الخالق) زاد الفاء فى خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جائز و كذا ما ورد فى الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمعنى المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضى تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطاء الله رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ (فهم) أى الخلق (المحجوبون والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه) لما سيأتى ولذا علا على كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذى احتجب بسبعة أطباق وقال ويحك يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك فى حقه فقال (اذ الحجب) بضمتين جمع حجاب أو بفتح فسكون مصدر (انما تحيط بقدر محسوس) أى بذى مقدار له طول وعرض وعمق فى جهة تحس بتوجه الناظر فيقتضى الجهة وهو منزه عن ذلك (ولكن حجبه عن أبصار خلقه و بصائرهم) جمع بصيرة وهى القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به أبصارهم أى لا تدرك ادراك احاطة بذاته لاقتضائه التحديد والتناهى ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله لا تدركه الابصار كما ذكره البيضاوى ردا على من أنكر الرؤية واستدل بهذه الآية ويأتى الكلام عليها ولا تدركه بصائرهم والمراد بالادراك العلم أى لا تعلم كنهه وحقيقته وعلم ادراكاتنا ما يقينا (و) حجبه عن (ادراكاتهم) أى أنواع العلم والادراك مغطاة عن ادراك ذاته فلا رؤية ولا تصور ولا كتناه فى غير اناه (بما شاء وكيف شاء ومتى شاء) متعلق بحجب أى منعهم عن رؤيته وادراك ذاته ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل بسبب ارادة وكيفية لا يدركها فى أى زمان أراده وفيه ايماء الى ان رؤية الله فى الدنيا ممكنة وفى الآخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح بل واقعة للانبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أمسك ذيل حقيقتهم (كقوله) أى كقول الله فى الكفار

(كلا انهم) أى الكفار (عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى لممنوعون عن رؤيتنا وشهودقدرتنا بخلاف المؤمنين فانهم فى عين عنايتنا وزين رعايتنا وحمايتنا عن غين الاغيار ورين الاوزار (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) يجوز جره على الحكاية ورفعه على الاعراب فى قوله عليه الصلاة والسلام اذخرج ملك من الحجاب (يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه) أى بحسب ظاهره (من ملائكته عن الاطلاع) بتشديد الطاء (على مادونه) أى بحسب باطنه (من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته) وقد سبق ان الملكوت هو الملك العظيم والجبروت كمال العظمة بناء على ان بناء الفعلوت للمبالغة وما أحسن قول ابن عطاء فى كشف هذا الغطاء * ممايدلك على وجود قهره سبحانه وتعالى ان حجبك عنه بماليس بموجود معه * وقد انشدوا فى هذا المعنى

واطنبوا فى هذا المبنى
من أبصر الخلق كالسراب
فقد ترقى عن الحجاب
الى وجود يراه رتقا
بلا ابتعاد ولا اقتراب
ولم يشاهد به سواه
هناك يهدى الى الصواب
فلا خطاب به اليه
ولا مشير الى الخطاب

(ويدل عليه) ماذكرناه (من الحديث) أى من بعض مافى نفس الحديث (قول جبريل) عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه. فدل على (ان هذا الحجاب) أى تعلقه (لم يختص بالذات) بل اختص بالمخلوقات نعم الذات محتجب بالصفات والصفات محتجبة بالموجودات لابمعنى ان ذلك الجناب يحجب بالحجاب بل بمعنى ان أكثر الكائنات احتجبوا بوجود الخلق عن شهود صفات الحق وبشهودها عن الموجود المطلق ثم منهم من حجب عن الله تعالى بالشهوات الدنيوية والدرجات الاخروية أو المقامات العلية ومنه قولهم العلم حجاب فى هذا الباب وكل ذلك من اغيار العدمية والوجودات الوهمية ولو ارتفع الحجاب عنهم لفنوا عن أنفسهم وارادتهم وبقوا بربهم فان الفناء على ثلاثة أوجه فناء فى الافعال ومنه قولهم لافاعل الا الله تعالى وفناء فى الصفات ومنه لاحى ولا عالم ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة الا الله تعالى وفناء فى الذات أى لاموجود على الاطلاق الا الله وأنشدوا فى هذا المبنى لتصحيح المعنى

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى * فكان فناؤه عين البقاء

(ويدل عليه) أى على ماذكرنا من تعلق الحجاب بالكائنات دون الذات (قول كعب) أى كعب الاحبار

(كلا انهم عن ربهم) أى ان الكفار (يومئذ) أى يوم القيامة وفى الآخرة اذ تنعم المؤمنون برؤيته ورضوانه (لمحجوبون) وقال كقوله بالكاف لان المدعى عام وهذا خاص بالكفار ولكن فيه اثبات لمدعاه اذ جعلهم هم المحجوبون لا الله * فان قلت الحجب أمر نسبى لابد من تعلقه بالطرفين فيلزمك ما فررت منه * قلت نعم هو نسبى ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستائر العظمة والمحجوب مخلوقاته لاهو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن أنكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها انسان حديد البصر فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لايرى من فوقه وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود لا للشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا أو مقيدا اذ ابهام ماسمع من الشارع ونحوه لايلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه أمر مهم كثير فى القرآن والحديث (فقوله فى هذا الحديث الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب أو الرفع (و) قوله (اذخرج ملك من الحجاب) أراد ملك الاذان الذى سئل عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جبريل (يجب ان يقال) فى تفسيره معناه (انه حجاب حجب به) الله تعالى (من وراءه من ملائكته عن الاطلاع) بكسر الطاء المشددة أى رؤيتهم متعلق بحجب (على مادونه) أى ماخلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر (من سلطانه) الظاهر انه أراد به ما بقبضة قدرته عند تصرفه مما لايطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم الا باذنه نادرا (وعظمته وعجائب ملكوته) ومالا يدرك من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب أى ماغيب عن الملائكة (وجبروته) وهو يطلق على القهر وعلى عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همزة قال الحلبى وهو مهموز فى بعض النسخ وهو لحن (ويدل عليه) أى يدل على ان الحجاب لغيره لالذاته (من الحديث قول جبريل) له صلى الله تعالى عليه وسلم (عن الملك الذى خرج من ورائه ان هذا الملك مارأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه) فانه صريح فى ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله تعالى عما فى سرادق جلاله وخلف حيطة عظمته (فدل على ان هذا الحجاب) المذكور فى الحديث (لم يختص بالذات) أى لم تختص محجوبيته بذاته تعالى اذ حجب بعض الملائكة أيضا كملك الاذان وبما فسرناه به علمت انه لايتوهم ان المصنف رحمه الله حقه ان يقول يختص بغير الذات لان نفى الاختصاص يقتضى المشاركة كمالا يخفى (ويدل عليه) أى على عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر (قوله كعب) الاحبار

(فى تفسير سدرة المنتهى) أى فى بيان سبب تسميتها بها (قال اليها ينتهى علم الملائكة) يعنى وسببه انهم عندها (يجدون أمر الله تعالى) أى لاعند غيرها (لايجاوزها علمهم) أى فهم محجوبون عما وراءها (واما قوله الذى يلى الرحمن فيحمل على حذف المضاف أى الذى يلى عرش الرحمن أو امراما) كذا بالنصب فى النسخ والظاهر كونه مجرورا أو مرفوعا ولعله أراد اب أى بمعنى يعنى أو أعنى أمرا من الامور اللائقة بمرام هذا المقام وذهب الدلجى الى ان التقدير يلى امراما (من عظيم آياته ومبادى حقائق معارفه) أى المتعلقة بذاته وصفاته (مما هو أعلم به) أى من أسرار مكنوناته (كما قال تعالى) أى فى استعمال حذف المضاف (واسأل القرية أى أهلها) يعنى انه من قبيل مجاز الحذف وهو أشهر مما قيل انه من باب ذكر المحل وارادة الحال والله تعالى أعلم بالحال (وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر) كما تقدم (ظاهره انه سمع) بصيغة المجهول وقال الدلجى أى سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الموطن كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب) ٢٦٤ قلت فيأول الاشكال فى هذا الباب مع ما فيه من سماع كلامه من جهة محصورة يوهم الحجاب ولهذا دفعه بقوله (كما قال الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) فان المراد بالوحى على طريق المكاشفة لان الوحى اعلام فى خفاء اما بالالهام وهو القذف فى القلب كما أوحى الى أم موسى عليه السلام أو فى المنام كما أوحى الى ابراهيم عليه السلام فى ذبح ولده وبقوله من وراء حجاب ان يكون البشر من وراء حجاب البشرية المانعة من شهود الذات الصمدية بان يسمعه ولا يراه كما يكون موسى عليه الصلاة والسلام وليس المراد ان هنالك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب وانما هو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم فى هذا الباب والله تعالى أعلم بالصواب ولذا قال المصنف (أى وهو) أى البشر (لايراه) أى الحق سبحانه وتعالى (حجب بصره) أى منعه (عن رؤيته) أى لاذاته عن بصره (فان صح القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) أى بعين البصر (فيحتمل انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رآه (فى غير هذا الموطن بعد هذا) أى هذا الوقت (أو قبله) أى من الزمان بمعنى انه (رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) وفى أصل الدلجى فرآه (والله تعالى أعلم) أقول ولا مانع من انه رآه فى ذلك الحين بعينه اذ لايختص برفع الحجاب وكشف النقاب مكان دون مكان ولا زمان دون زمان لا رادة العيان كما لايخفى على الاعيان ولابن عطاء حكم توجب فى الجملة كشف غطاء فاحببت ان أذكرها وهى قوله * كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو الذى أظهر كل شئ * أم كيف يتصور ان يحجبه شئ وهو أظهر من كل شئ * بل وهو الظاهر قبل وجود كل شئ وهو الواحد الذى ليس معه شئ * فالحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه * اذ لو حجبه شئ لستره ما يحجبه ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر * وكل حاصر

(فصل

(فى تفسير سدرة المنتهى) أى فى بيان سبب تسميتها به (قال اليها ينتهى علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله لايجاوزها علمهم) فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لاله وان المحجوب عنهم ذاته وامره وملائكته المقربون وقوله يجدون معناه يقفون و يعلمونه (واما قوله) فى الحديث (الذى يلى الرحمن) لما كان ظاهره انه حائل بينه وبين غيره أشار الى تاويله بقوله (فيحمل) أى يفسر بانه (على حذف المضاف أى الذى يلى عرش الرحمن) فالمضاف المقدر لفظ عرش أو لفظ أمر (أو أمراما) زيادة ما للعموم أو للتعظيم أى يلى أمر الرحمن (من عظيم آياته) من بيانية لايضاح ما ابهم أولا وهو أوقع فى النفوس لحصوله بعد التشوق اليه (أو من مبادى حقائق معارفه) أى أمرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (مما هو) أى الله تعالى (أعلم به) من رسله وملائكته عليهم الصلاة والسلام (كما قال تعالى واسئل القرية التى كنافيها أى أهلها) اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لاتسئل وانما يسئل أهلها (وقوله) تعالى فى حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله أكبر من كل كبير (فقيل من وراء الحجاب صدق عبدى) أى الملك القائل (أنا أكبر فظاهره انه) صلى الله تعالى عليه وسلم (سمع فى هذا الموطن) أى المكان الذى كان قاربه كما يقر الانسان فى وطنه (كلام الله) من غير واسطة كما سمعه موسى صلى الله تعالى عليه وسلم (ولكن من وراء حجاب) حجبه عن رؤية الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له وان كان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة فهو لايراه ثم استدل على ذلك بقوله (كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أى وهو) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لايراه) أى لايرى الله معاينة اذ (حجب بصره) أى بصر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (عن رؤيته) أى رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه فى هذه الدنيا ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال (فان صح) الحديث و (القول بان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه) عيانا حين أسرى به (فيحتمل انه فى غير هذا الموطن) الذى سمع فيه الاذان (بعد هذا) الموطن والمقام (أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه) عيانا فى مقام آخر (والله أعلم)

لشيء فهوله قاهر وهو القاهر فوق عباده * انتهى واذا قال الله تعالى لا يحيطون به علما كيف يحيطون با جرما وأين للعدم خشى يغلب القدم نعم ان الله سبحانه وتعالى سبعين ألف حجاب من النور فى عالم الظهور لو كشفها الاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه نور بصره وقد قال الله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أى باطل ومضمحل وفان فى نظر ارباب العرفان فى كل آن وزمان ولذا قال بعض أرباب الشهود سوى الله والله ما فى الوجود وقال بعض الشطار ليس فى الدار غيره ديار فهو من غاية ظهوره باطن ومن نهاية بطونه ظاهر وفى عين أبديته أول وفى عين أزليته آخر وغيره كالهباء فى الهواء والسراب فى نظر مشتاق الشراب والافا للتراب ورب الارباب والله تعالى أعلم بالصواب
*(فصل) * أى من متعلقات هذا الباب (ثم اختلف السلف) أى الصحابة والتابعون (والعلماء) أى الخلف المجتهدون (هل كان) أى وقع (الاسراء بروحه) أى فقط (أو جسده) أى مع روحه فى جميع اسرائه أو فى بعضه كما سيأتى فى كلامه يندرج فيه أيضا قول آخر لبعضهم انه أسرى به مرتين مرة مناما ومرة يقظة جمعا بين الروايتين وكذا قول التوقف بأن يقال أسرى به ولا يقال يقظة ولا مناما وهو قول غريب حكاه امام الجوزية فى أوائل كتابه الهدى ولعل وجهه انه ورد فى بعض طرق الخبر انه كان بين النائم واليقظان فلم يعرف حقيقة أمره ولذا عبر بعضهم عنه بالنوم وبعضهم باليقظة اعتبارا بالغلبة وكان المصنف لم يلتفت الى هذه المقالة فينتظم قوله (على ثلاث مقالات) أى لطوائف ثلاث كما فصلها بقوله (فذهبت طائفة الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام) بدل مما قبله أو عطف تفسير له اذ هو فى هذا المقام انما يكون فى حال المنام (مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق) أى ثابت غير كذب (ووحى) أى يعمل به بخلاف رؤيا غيرهم ويدل عليه قوله تعالى حكاية يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك وحديث تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم (والى هذا ذهب معاوية رضى الله تعالى عنه) أى من الصحابة كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه وهو ابن أبى سفيان كلاهما من مسلمة الفتح وهو أحد كتبة الوحى وقيل انما كتب له كتبه الى الاطراف وتولى الشام فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه ولم يزل بها حاكما الى ان مات وذلك أربعون سنة روى عنه ابن عباس وأبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنهما وكان عنده ازار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وقميصه وشئ من شعره وأظفاره فقال كفنونى فى قميصه وأدرجونى فى ردائه وفى رواية وازرونى بازاره واحشوا منخرى وشدوا مواضع السجود منى بشعره وأظفاره وخلوا بينى وبين أرحم الراحمين

*(فصل) * فى تحقيق الاسراء اعلم انهم اختلفوا فى المعراج والاسراء هل كانا فى ليلة واحدة أو ليلتين وهل كانا جميعا يقظة أو مناما أو بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسراء كان مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسراء فى اليقظة أيضا بل قيل انه أربع مرات وبعضها كان بالمدينة ووافق أبو شامة رحمه الله تعالى بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق ومرة من مكة الى السموات الى آخر ما فصله وقال انه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسراء والمعراج وان الاول سيره للبيت المقدس والثانى صعوده منه للملا الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل البدنى على انه بطريق الانسلاخ الذى ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغى التعويل عليه وانما ذكرناه لننبهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة المتصوفة والحكماء (ثم اختلف السلف والعلماء) من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلماء من بعدهم (هل كان اسراء بروحه أو جسده) اسراء بالنصب خبر كان أى هل كان الاسراء الى آخره (على ثلاث مقالات) أى اختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله (فذهبت طائفة) أى جماعة ممن سيصرح به (الى انه) أى الاسراء (اسراء بالروح وانه رؤيا منام) عطف تفسير لا بدل كما توهمه الدلجى وفى تفسير القاضى اختلف فى انه كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده وقوله بروحه أو بجسده لف ونشر أى بروحه فى المنام أو بجسده مع روحه فى اليقظة وليس متعلقا بقوله فى اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثانى كما سيأتى قال البرهان وبقى قولان أحدهما انه تعدد مرة بجسده ومرة أو مرات بروحه والثانى انا نقول بالاسراء ولا نعين كونه يقظة أو مناما كما فى الهدى النبوى وهو غريب (مع اتفاقهم) سلفا وخلفا على (ان رؤيا الانبياء حق ووحى) لانهم عليهم الصلاة والسلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل لهم والوحى على أنواع منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب الخليل الى ذبح اسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومنها ما يعبر ويأول (والى هذا ذهب معاوية) ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية كما رواه عنه ابن جرير وابن اسحق وهو رضى الله تعالى عنه صحابى ابن صحابى توفى بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون أو ست وثمانون وكان عنده ازار رسول

(وحكى) أى مثل ذلك (عن الحسن) أى البصرى (والمشهور عنه خلافه) وهو انه كان فى اليقظة (واليه) أى والى هذا القول (أشار محمد بن اسحق) أى ابن يسار امام المغازى (وحجتهم) أى لقولهم انه رؤيا منام (قوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى أريناك) أى ظاهره اذ فى آخر الآية دلالة على انه كان باليقظة حيث قال (الافتنة للناس) أى ابتلاء وامتحانا فى تصديق القضية اذا نكرته قريش وارتد كثير من أهل التقليد وصدقه الصديق وأهل التوفيق والتأييد اذ من المعلوم انه لافتنة الا اذا كان فى حال اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية ولعل تسميتها بها الانها من غرابتها فى معنى الرؤيا وقد سبق جواز تقدير مضاف أى تحقيق الرؤيا وتصديقها وبه يجمع بين الروايات فانه رأى أولا رؤيا وثانيا رؤية فقد قال

السهيلى وذهب طائفة منهم شيخنا أبو بكر الى ان الاسراء كان مرتين احداهما فى نومه توطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة لتسهل عليه أمر النبوة فانه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذا الاسراء سهل عليه بالرؤيا لان هوله عظيم ورأيت المهلب فى شرح البخارى قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة فى نومه ومرة فى يقظته ببدنه صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى ولا يبعد ان يقال اسراؤه الروحى كان مرات باعتبار المكاشفات فى اليقظات والمنامات واما اسراؤه الجسدى فمرة واحدة تحقيقا لتلك المقامات والحالات مع الزيادة الحاصلة بالكلام والرؤية وسائر الدرجات هذا مع أن آية وماجعلنا الرؤيا قد قيل المراد بها ما رآه عام الحديبية انه وأصحابه دخلوا مكة بدليل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية فلما صدوا فيه عنه فتنوا فقيل لم يقل فى هذا العام فدخلها بعد امارتها فى وقعة بدر بدليل قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ووقع فى أصل الدلجى وقيل رآها عام الحديبية وهو يوهم انه من أصل الكتاب وهو ليس فى الاصول الصحيحة على الصواب (وماحكوا) أى وحجتهم أيضا ماحكوه من رواية ابن اسحق وابن جرير (عن عائشة رضى الله تعالى عنها مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) ويبطله انه لم يدخل بها الا بعد الهجرة والاسراء انما كان بمكة بعد البعثة كما قال ابن اسحق بعد ان فشا الاسلام بمكة والاشبه انه كان بعدها بخمس سنين كما نقله النووى عن المصنف وروى عنها مافقد جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصيغة المفعول وهو أظهر فى الاحتجاج المنقول (وقوله) أى وحجتهم أيضا قوله عليه السلام (بينا أنا نائم) أى فى الحطيم وربما قالا فى الحجر

الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورداؤه وشئ من شعره وظفره فكفن برداءه وازاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن الحسن) البصرى رحمه الله تعالى وحكى مبنى للمجهول (والمشهور عنه) أى عن الحسن (خلافه) أى له قولان أشهرهما انه كان يقظة (واليه) أى الى ما ذكر عن الحسن أولا (أشار محمد بن اسحق) بن يسار صاحب المغازى وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم (وحجتهم) أى دليل القائلين بانه رؤيا منام (قوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس) لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن أسلم حين بلغهم ذلك لضعف عقولهم وايمانهم ولاحجة فى ذلك لان لها تفاسير أخر وفى بعض النسخ هنا (وقيل رآها عام الحديبية) اسم بئر مشهورة ورياؤها مخففة وروىت مشددة أيضا كما سيأتى بيانه لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى انه هو وأصحابه دخلوا مكة كما قال الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخره فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل فى هذا العام وقيل الآية فى قصة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا وقيل المراد بها رؤيا بنى أمية تنز وعلى منبره صلى الله تعالى عليه وسلم (و) مما احتجوا به (ماحكى عن عائشة رضى الله تعالى عنها مافقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة مافقد بالبناء للمفعول وفى رواية لم تفقد مجهول أيضا قال التلمسانى وهى الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانها لم تكن حينئذ زوجته بل لم توجد انتهى وستأتى الاشارة اليه فى كلام المصنف مع ان له صلى الله تعالى عليه وسلم زوجات أخر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له وقيل ولاحجة فيه أيضا لاحتمال انه تعالى أراد أن يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفى مقدم على الاثبات ولايخفى مافيه من التكلف (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى رواية (بينا أنا نائم) قال ابن المنير فى المقتفى جنح هؤلاء الى قضايا ظنوها تحيل الاسراء يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادى ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد فى بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل كان مجئ الملك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو واسن وباقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن واحتجوا على انه استمر بان المنام مصرح به وبما ورد فى بعض الطرق أى الآتية فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وردعليهم بان المراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية أى كما سيأتى بيانه وبالجملة فان صح النقل فى الطرق وتعارضت وتعذر التأويل حمل على التعدد وتنزيله على

(وقول أنس رضى الله تعالى عنه) أى وحجتهم أيضا قوله فى حديثه (وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة) أى قصة الاسراء وفيه ان كونه نائما فى أول الوهلة لا ينافى وقوع القصة فى اليقظة آخر الدفعة (ثم قال) أى أنس رضى الله تعالى عنه (فى آخرها) أى القصة (فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام) وفيه ان المراد بالاستيقاظ هو الاستحضار والاستشعار عما كان له من الاستغراق فى مقام الابرار مع احتمال ان نومه فى حال رجوعه واستيقاظه وقت وقوعه (وذهب معظم السلف والمسلمين) أى من الخلق (الى انه اسراء بالجسد) أى مع الروح لا بالروح دون الجسد (وفى اليقظة) بفتح القاف ولا يجوز تسكينها وهى ضد المنام (وهذا هو الحق) أى الثابت عند أهله (وهو قول ابن عباس وجابر) أى ابن عبد الله (وأنس رضى الله تعالى عنه) أى ابن مالك (وحذيفة) أى ابن اليمانى (وعمر رضى الله تعالى عنه) أى ابن الخطاب وكان حقه ان يقدم على ما سبق من الاصحاب (وأبى هريرة ومالك بن صعصعة رضى الله تعالى عنهما) مدنى سكن البصرة وروى عنه أنس وغيره (وأبى حبة) بفتح حاء مهملة وتشديد موحدة وقيل بالنون وقيل بالتحتية (البدرى) قيل هو الانصارى وقيل هو غيره (وابن مسعود رضى الله عنه وكان حقه ان يذكر بعد عمر لانه أفضل الصحابة بعد الخلفاء الاربعة وبه تم ذكر الصحابة رضى الله تعالى عنهم (والضحاك) أى ابن مزاحم الهلالى البلخى المفسر تابعى جليل يروى عن أبى هريرة وانس وابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم وثقه أحمد وابن معين وذكره الشيرازى فى فقهاء خراسان من أصحاب عطاء الخرسانى وغيره (وسعيد بن جبير) يروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وغيره قتل فى شعبان شهيدا أخرج له الائمة الستة (وقتادة) أى ابن دعامة (وابن المسيب) بفتح التحتية المشددة وتكسر (وابن شهاب) أى الزهرى (وابن زيد) أى ابن أسلم وهو متكلم فيه (والحسن) أى البصرى (وابراهيم) أى النخعى (ومسروق) أى ابن الاجدع الهمدانى يروى عن أبى بكر ومعاذ رضى الله تعالى عنهما وكان أعلم بالفتيا من شريح أخرج له الائمة الستة وهو من الزهاد الثمانية يقال انه سرق صغيرا ثم وجد فسمى مسروقا وقد كانت عائشة تبنته فسمى ابن عائشة وكنى بها روى عنه الشعبى والنخعى وغيرهما

اسراآت بعضها يقظة وبعضها مناما لا يقال لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة فانها انما فرضت دفعة قلنا فرضت فى اليقظة وجاء فى المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد العهد أو تقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون ثم فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النائم انه فعل فعلا كان فعله قبله ويقع له انه الفعل المتقدم بعينه فيكون ذلك لمعنى انتهى (وقول أنس رضى الله تعالى عنه وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر القصة) الواردة فى حديث الاسراء الذى رواه البخارى وهو يدل على انه كان مناما (ثم قال فى آخرها فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام) أى انتبهت من منامى فوجدتنى بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقد علمت ما فيه (وذهب معظم السلف والمسلمين) عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا ينبغى لمسلم اعتقاده (الى انه اسراء بالجسد) مع الروح (وفى اليقظة) المقابلة للنوم وهى بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن الا لضرورة شعرية كقول التهامى

فالعيش نوم والمنية يقظة ✽ والمرء بينهما خيال سارى

وبالتسكين علم كاليقظان (وهذا هو الحق) الذى يقتضيه الاسلام اذ لا حاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره أحد من العقلاء (وهو قول ابن عباس وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبى هريرة) رضى الله تعالى عنهم وهو عبد الرحمن بن صخر على الاصح من الاقوال فى اسمه مشهور كما تقدم (ومالك بن صعصعة) الصحابى المدنى كما تقدم (وأبى حبة البدرى) بفتح الحاء المهملة بلا خلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن النعمان كما فى الاستيعاب واختلف فى أبى حبة الانصارى وأبى حبة البدرى هل هما واحد أو اثنان على اختلافهم فى ضبطهم المتقدم وقوله البدرى أى شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقيل اسمه كنيته (وابن مسعود والضحاك) وهو مزاحم البلخى المفسر المكنى بابى القاسم أو أبى محمد يروى عن ابن عباس وأبى هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفى سنة خمس ومائة وقيل سنة ست وأخرج له أصحاب السنن الاربعة دون الشيخين (وسعيد بن جبير) المشهور وهو الوالبى أبو محمد أخرج له أصحاب الكتب الستة (وقتادة) المتقدم ترجمته (وسعيد بن المسيب) بفتح الياء وكسرها كما تقدم فى ترجمته (وابن شهاب) أبو بكر محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم (وابن زيد) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وترجمته فى الميزان (والحسن) بن أبى الحسين البصرى كما تقدم (وابراهيم) النخعى المتقدم ذكره (ومسروق) بن أجدع أبو عائشة الهمدانى أحد الاعلام الذى لم يخرج من همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان أعلم بالفتيا

(ومجاهـد) أى ابن جبير (وعكرمة) أى المفسر مولى ابن عباس لكنه اباضى وسيأتى فى كلام المصنف بيانه (وابن جريج) بالجيمين مصغرا فهؤلاء كلهم من اجلاء التابعين رحمهم الله تعالى (وهو دليل قول عائشة) أى مذهبها المختار لها وهو لا ينافى ما سبق مما نسب اليها وحكى عنها وهذا الاستعمال شائع

فيما بين العلماء والفقهاء حيث يقال هذا قول أبى حنيفة ومالك رحمهما الله ويحكى عنهما خلاف ذلك وبهذا بطل اعتراض الدلجى على المصنف بقوله كيف يكون الاسراء يقظة دليل قولها مافقدت جسده المحتج به آنفا انه كان مناما وقد سمعت ابطاله وتعجبه من حكاية المصنف له فى المذهبين مع امتناع كونه حجة للاول وكون الثانى دليلا فانه سهو لا ريب من ذى فهم ثاقب انتهى ومما يدل على ماقدمنا عنها انها نفت الرؤية البصرية وقالت بالرؤيا البصرية ومثل هذه المسئلة الخلافية لاتتصور الا اذا كانت القضية فى اليقظة بخلاف الحالة المنامية (وهو قول الطبرى) أى محمد بن جرير (وابن حنبل) أى الامام أحمد صاحب المذهب (وجماعة عظيمة) أى رتبة وكثرة (من المسلمين وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة) أى من الجامعين بين الروايات المختلفة (كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس) يروى يقظة فى المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (والى السماء بالروح) أى مناما وهذا يشبه قول المعتزلة (واحتجوا بقوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) ووجه الاحتجاج ما بينه المصنف بقوله (فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب فيه وقع)

من شريح توفى سنة ثلاث أو اثنتين وستين وأخرج له أصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد (ومجاهد) بن جبير المتقدم ترجمته (وعكرمة) بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أحد أوعية العلم الثقة وهو اباضى وسيأتى بيان الاباضية آخر الكتاب روى له الشيخان وتوفى سنة خمس أوست أوسبع ومائة وترجمته مفصلة فى الميزان (وابن جريج) عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت ترجمته (وهو دليل قول عائشة رضى الله تعالى عنها) قيل كيف يكون الاسراء يقظة دليل قول عائشة مافقدت جسده الشريف الدال على انه مناما لا يقظة وهذا عجيب اذ ذكره فى المذهبين وجعل ما يبطله دليلا عليه كما سيأتى فهذا سهو منه بلا ريبة * أقول لاشك انه واردوان كلامه لا يخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شئ وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة لانه لم يثبت نقله عنها او قد يقال مراده انه دليل على قول عائشة قولا موافقا لما عليه أكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كالجمهور كما سيأتى فى كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه أسهل من تغليط المصنف وهو الانسب بقوله (وهو قول) محمد بن جرير (الطبرى) المتقدم ترجمته (وأحمد بن حنبل وجماعة عظيمة) أى كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه أو المراد انهم أئمة مقدارهم جليل (من المسلمين وهذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين) فعلى كثرة نقلته وشهرة الاخبار الصحيحة به لا يناسب مخالفة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها فيه (وقالت طائفة) هذا هو القول الثالث (كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت المقدس) فقط (و) منه (الى السماء بالروح) يعنى مناما ولا يخفى بعده اذ لم ينقل انه صلى الله تعالى عليه وسلم نام ثمة وهذه الحالة لا تناسب النوم ثمة (واحتجوا بقوله سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى بيت المقدس) وفى نسخة الى المسجد الاقصى وهى الموافقة للنظم الشريف وهى أصح عندى واعلم انهم فسروا العروج الروحانى بالمنام وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكماء وأهل التصوف وليس هذا محل تحقيقه وقوله (فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء) تفسير وتفصيل للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضى انه لم يتجاوز الى السماء ببدنه الشريف ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره فى الارض لا ينافى صعوده لما يحاذيه فى جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسراء مرة واحدة وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق ثم عرج منه الى السماء والحكمة فى عدم ذكرها بيانه للسنة دون الكتاب وهو أبلغ فى المدح انتهى ليس بشئ ولو قيل انه هو الذى أنكروه وانما اكتفى باقل ما تثبت به معجزته واقتصار على ما تفهمه عقولهم القاصرة كان أظهر ونحوه قول ابن المنير فى المقتفى ورد الاحتجاج بان الحكمة فى تخصيص المسجد الاقصى ان يسال قريش على سبيل الامتحان عن الاعلام التى عرفوها والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولذا لم يسالوه صلى الله تعالى عليه وسلم عما رأى فى السماء اذ لا علم لهم بذلك انتهى وأقصى بمعنى أبعد لانه أبعد مسجد فى الارض وآخر محل عبد الله فيه بحق وقوله (الذى وقع التعجب فيه) ضمير فيه للاسراء أى

بعظيم القدرة) أي المؤثرة وفق الارادة حيث كان ساعة في سيره طي مسافة كثيرة والتعجب من لوازم المعجزة وان صدر من أعدائه على طريق الاستحالة (والتمدح) أي ووقع التمدح (بتشريف النبي محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (به) أي بالاسراء نفسه (واظهار الكرامة له) أي ووقع اظهار الكرامة له صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) أي الى المسجد الاقصى بخصوصه (قال هؤلاء) أي الذاهبون الى المذهب الثالث في الاسراء (ولو كان الاسراء بجسده زائدا على المسجد الاقصى لذكره) أي الله سبحانه في كتابه (فيكون) أي ذكره فيه (أبلغ في المدح) أي في مقام مدحه من عدم ذكره ولعل الحكمة في ذلك أن يكون الايمان في هذه القصة ثابتا بمجموع الكتاب والسنة (ثم اختلفت هذه الفرقتان) أي الثانية والثالثة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس أولا) فقيل نعم (ففي حديث أنس وغيره رضي الله عنهم ما تقدم من صلاته فيه) أي بالانبياء وسبق أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى مع الملائكة ولا منع من الجمع (وأنكر ذلك) أي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى فيه (حذيفة بن اليماني وقال) أي حذيفة كما رواه أحمد عنه (والله ما زالا) أي النبي وجبريل عليهما السلام (عن ظهر البراق حتى رجعا) وهو بعيد جدا لما سبق صريحا فيما ورد صحيحا من ربط البراق بباب المسجد وصلاته فيه على ما هو اللائق بأدب المسجد من التحية التي هي السنة فيه ثم من القواعد المقررة ان المثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (قال القاضي رحمه الله تعالى عليه والحق من هذا) أي ماذكر (والصحيح ان شاء الله تعالى) استثناء للتبرك بمنزلة والله تعالى أعلم (انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه) أي وعلى هذا (تدل الآية وصحيح الاخبار) أي مجموعهما على جميعها غايته ان دلالة الآية على الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى نص قاطع يكون جاحده كافرا أو منافقا ودلالة الاحاديث على اسرائه الى السماء وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين أو أدنى ظنية منكره يكون مبتدعا فاسقا

وقع التعجب في شأنه لقطع مسافة طويلة في بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب على المصدرية ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله في التعجب ووجهه مذكور في الكشاف وشروحه والتعجب من المعجزات لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لما تعجب منه وقد ورد استعماله في حق الله وورد في الحديث كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم عجب ربنا من كذا وهو من البشر لاستحالة ما تعجبوا منه أو استبعاده وأشار الى المراد من تعجب الله فقال (تعظيم القدرة) منصوب لانه مفعول له أي لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الارادة وفي نسخة بعظيم بالباء الجارة (والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم به) أي بالاسراء والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع أي وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح وكذا قوله (واظهار الكرامة له) صلى الله تعالى عليه وسلم (بالاسراء اليه) أي الى المسجد الاقصى وهو من وضع الظاهر موضع الضمير اعتناء به لانه من أجل كراماته وأعظم معجزاته (قال هؤلاء) الذاهبون الى ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الى المسجد الاقصى وهم أرباب المذهب الثالث (ولو كان الاسراء بجسده الى) مكان أرفع (زائد على المسجد الاقصى لذكره) الله تعالى في القرآن حين قص قصة الاسراء (فيكون) ذكره فيه (أبلغ في المدح) من عدم ذكره (ثم اختلفت هذه الفرقتان) الثانية والثالثة في أنه صلى الله تعالى عليه وسلم (هل صلى ببيت المقدس) حين أسري به (أم لا) فقيل صلى به وأم معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك في قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لجابر رضي الله عنه * هل تزوجت بكرا أم ثيبا وان أنكره بعض النحاة (ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته) صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء (فيه) أي في بيت المقدس وستأتي رواية أخرى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم في السماء وفي رواية أنه لم يصل بهم فيه كما أشار اليها بقوله (وأنكر ذلك) أي صلاته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه (حذيفة بن اليمان وقال) كما رواه أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى (والله ما زالا) أي جبريل والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وزال هنا تامة أي لم ينفصلا ولم ينزلا (عن ظهر البراق حتى رجعا) الى الارض فكان جبريل عليه الصلاة والسلام راكبا معه صلى الله تعالى عليه وسلم ويروى أنه كان ماشيا (قال القاضي) أبو الفضل عياض المؤلف رضي الله تعالى عنه (والحق من هذا والصحيح) رواية (ان شاء الله) قيده بالمشيئة مع انه أمر واقع وانقطع تبركا وتأدبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكل رواية لا تنافي الاخرى فلا ينافي قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما قد يتوهم وهذا كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم * وانا ان شاء الله بكم لاحقون (انه اسراء بالجسد والروح) لا بالروح فقط مناما أو يقظة (في القصة كلها) أي في قصة الاسراء الى المسجد الاقصى والسموات (وعليه تدل) أي مما يدل عليه نقلا نص القرآن وهو (الآية) الدالة على شطرها صريحا (وصحيح الاخبار) المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم

(والاعتبار) بالرفع معطوف على ماقبله على مااقتصر عليه الحلبي ولا يبعد أن يكون مجرورا بالعطف على الاخبار والمراد به المقايسة يعنى اذا ثبت اسراؤه من الحرم الى الحرم معجزة بدلالة الآية فيجوز اسراؤه الى السماء بالمقايسة المقرونة بالاحاديث الثابتة اذ لافرق بينهما فى تعلق الارادة والقدرة (ولا يعدل عن الظاهر) بصيغة المجهول أى ولا يصرف عن ظاهر دلالة الآية والاخبار الواردة (والحقيقة) أى ولا عن ارادة الحقيقة اللغوية المنضمة مع الارادة العرفية (الى التاويل) أى فيهما أو فى أحدهما (الا عند الاستحالة) أى العقلية والشرعية (وليس فى الاسراء بجسده) أى الشامل لبدنه وروحه (وحال يقظته استحالة) أى لا شرعا ولا عقلا حتى يحتاج الى تاويل فى مآله بل يتعين أن يكون بكمال جماله ويقظة حاله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) أى لانه بحسب اطلاقه محمول على كمال افراده من عباده (وقوله) أى ويدل على كونه يقظة لا مناما قوله (مازاغ البصر وماطغى) اذ ليس للروح بصر بل بصيرة وأيضا لا يمدح عدم زيغ بصر النائم اذ لا حقيقة لحاله فلا يعد عدم الطغيان من كماله ومعنى الآية مامال بصره يمينا ولا شمالا فى مقام أدبه مع ربه وما جاوز ما أمر به (ولو كان) أى الاسراء (مناما لماكان فيه آية) وقد قال الله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (ولا معجزة) أى أمر خارق للعادة وان كان رؤيا الانبياء حقا واخبارهم عنها صدقا (ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه) أى فى أخباره (ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به) أى ولا وقعوا به فى الفتنة فى انباء اسرائه (اذ مثل هذا) أى الحال (من المنامات لا ينكر) أى لا يعد من المحال لان أحد الناس يرى فى نومه انه يسير فى الشرق مرة وفى الغرب أخرى وهو لم يتحول عن مكانه ولم تتبدل حالته الاولى

تعليل

الى السماء والاحاديث الآحاد الدالة على دخوله الجنة ووصوله الى العرش أو طرف العالم كما سياتى وكل ذلك بجسده يقظة (والاعتبار) بالرفع معطوف على ماقبله كما صححه البرهان والمراد به التتبع لاقوال السلف أو دقيق الفكر والتامل فى الاحاديث المروية والقصة يعنى انه يدل على ذلك العقل والنقل (ولا يعدل) بالبناء للمجهول من العدول أى لا يخالف أحد ويرجع ويميل (عن الظاهر) الذى يقتضيه العقل والنقل (والحقيقة) المتبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل (الى التاويل) متعلق بيعدل أى لا يصرف عن ظاهره ويؤول النصوص الواردة فيه (الا عند الاستحالة) أى الا اذا كان ظاهره مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقته وليس مانحن فيه كذلك (وليس فى الاسراء بجسده حال يقظته استحالة) تقتضى العدول عن الظاهر والتاويل وماقيل من ان ماذكره غير مسلم لانه يكفى فى المصير الى التاويل قيام المعارض للظاهر من الروايات التى أوردها المخالف الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بان هذه الرواية عنده أصح وأقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من كبار الصحابة وكثرتهم جدا كما قيل به فان قيل بالتعدد كما تقدم لم تكن معارضة أيضا فتدبر ✲(تنبيه)✲ الاستحالة المذكورة أى عد الاسراء محالا صدر من كفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا ان قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا فى بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع فى أيام كثيرة ومن بعض أرباب علم الهيئة الذين قالوا ان الافلاك لافرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتئام وكلاهما خطا عقلا ونقلا ألا ترى نقل عرش بلقيس فى مسافة أبعد من هذه فى طرفة العين وغير ذلك مما هو مأثور مشهور وقد نطقت النصوص بان السماء لها أبواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوى تبعا للامام الرازى الاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى فى أقل من ثانية والاجسام كلها متساوية فى قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات فيقدر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات انتهى وقد أورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها فى حواشينا عليه واعلم ان كلامه مبنى على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعى يقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا أسند الى الله فهو ماول وكذا صيغة التعجب وفى حديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن فورك فى كتاب الكشف قد ورد مثله فى أحاديث كثيرة والعجب والتعجب أصله ان يفاجأ أمر لم يعلمه من فاجاء فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعنى انه خلقه عظيما بحيث يتعجب من خلقه أو المراد الرضاء والقبول لان من أعجبه شئ رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكره غالبا فاذا أراد تعظيم شئ أخبر عنه بما يقتضى تعظيمه الى آخر مافصله وسبحان كثر استعماله فى ذلك وقوله (اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده) تعليل لصحة كونه يقظة ولعدم الاستحالة (وقوله مازاغ البصر وماطغى ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به) ووقعوا فى فتنة أى بلية عظيمة توقعهم فى العذاب لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما أخبر به صلى الله عليه وسلم بما هو خارق للعادة وهو قد أخبر به لانه معجزة تحداهم بها (اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر)

(بل لم يكن ذلك) أى الانكار والاستبعاد وعده من الاستحالة ووقوع الارتداد (منهم الا وقد علموا ان خبره) أى عن اسرائه (انما كان عن جسمه) أى مع روحه (وحال يقظته) أى أخذا من خبره منضما (الى ماذكر) أى النبى عليه الصلاة والسلام وقال الحلبى انه بصيغة المجهول (فى الحديث) أى الحديث المشهور فى الاسراء (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) أى قبل اسرائه الى السماء (وفى رواية أنس أو فى السماء على ماروى غيره) أى غير أنس كما تقدم ولا منافاة بينهما اذ لا يخفى وجه جمعهما

تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب * فان قلت هذا يقتضى ان رؤية الله فى المنام جائزة بلاخلاف وقد قالوا انه اختلف فيها * قلت قال الامام الغزالى ان الخلاف فيها غير معتد به ولان المرئى مثال له وفرق بين المثال والمثل وقد أفرده برسالة فان أردت تحقيقه فراجعها (بل لم يكن منهم ذلك) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان (الا وقد علموا ان خبره انما كان عن) اسرائه (جسمه وحال يقظته) أخذا مما قاله لهم وأما كون رؤيا الانبياء وحى وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم حق ولذا قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام فى غاية السقوط (الى ماذكر فى الحديث) المتقدم وذكر مبنى للمجهول ويصح بناؤه للفاعل أيضا والى بمعنى مع كقوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور فى الحديث بقرينة المقام وقوله (من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس) بيان لما وبيت المقدس هو مسجد ايلياء ومعنى ايلياء بالسريانية وهى لغة آدم عليه الصلاة والسلام بيت الله (فى رواية أنس أو فى السماء على ماروى غيره) كما تقدم بيانه (وذكر مجىء جبريل له) صلى الله عليه وسلم (بالبراق وخبر المعراج) بكسر الميم اسم آلة للعروج وهو الصعود فى جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه (واستفتاح السماء) أى طلب فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم من جبريل (فيقال) من أنت أى تقول ملائكة السماء لجبريل من أنت فيقول جبريل فيقال له (ومن معك فيقول محمد ولقائه) الضمير لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الانبياء فيها) أى السماء (وخبرهم معه) فيما وقع له معهم من المكالمة (وترحيبهم به) أى قولهم له صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح أو الابن الصالح كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الراء المهملة وفتحها ومعناه السعة أى صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو كناية عن وجوده فيه ما يسره ويكرمه (وشأنه فى فرض الصلاة) خمسين عليه وعلى أمته ثم تخفيفها وهو مجرور معطوف على مجىء والشأن الامر العظيم الذى جرى له فى ذلك (ومراجعته موسى) أى رجوعه فى المشاورة (فى ذلك) كما مر (وفى بعض هذه الاخبار) والحديث الذى رواه الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) أى أمسك بيده ليصعد معه (فعرج بى الى السماء) أى صعد وأنا معه (الى قوله ثم عرج بى) بالبناء للفاعل أو المفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال فى القاموس اذا كان خلقة فعرج كفرح أو يثلث فى غير الخلقة وهو أعرج بين العرج انتهى ولبعض الادباء فى أعرج من رسالة

قامت العصا بيده مقام رجله * وقلت أعواد الاغصان من أجله
فعرج الى الارض لا الى السما * وغرس العود بكفه لكن ما أورق ولا نما
وحمل العصا هو العذاب الاليم * ولا أفلح من لازمها بعد موسى الكليم

انتهى (حتى ظهرت) أى صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال ان يظهر ويشاهد

(وذكر مجىء جبريل عليه السلام له) عطف على قوله ذكر صلاته المجرور بمن البيانية أى ومن ذكر مجىء جبريل له عليه السلام (بالبراق وخبر المعراج) أى ومن ذكر خبر حال عروجه الى السماء بالاسراء والمراد بالمعراج آلة العروج كالسلم للصعود (واستفتاح السماء فيقال ومن معك) أى بعد ما يقال من أنت فيقول جبريل فيقال ومن معك (فيقول محمد) أى وأمثال هذا من الدلالات فى الروايات (ولقائه) أى ومن ملاقاته عليه الصلاة والسلام (الانبياء فيها) أى فى السماء باصنافها (وخبرهم معه) أى خبر الانبياء معه بتفصيل مقاماتهم وتبيين حالاتهم (وترحيبهم به) أى وتحيتهم له كما فى نسخة وأصل الترحيب قول مرحبا (وشأنه) أى وقصته (فى فرض الصلاة) أى خمسين أولا (ومراجعته) أى ومكالمته (مع موسى فى ذلك) أى فى تخفيفها أو مراجعته الى الله تعالى مع مساعدة موسى عليهما الصلاة والسلام فى ذلك (وفى بعض هذه الاخبار) أى أدلة صريحة على هذا المدعى وروايات صحيحة المبنى من طريق الشيخين عن أنس رضى الله تعالى عنه (فاخذ يعنى جبريل بيدى) تفسير من بعض الرواة (فعرج بى الى السماء) أى فلما جئت السماء الدنيا قال جبريل لخازنها افتح فلما افتتح علونا السماء الدنيا اذا رجل قاعد على يمينه اسودة وعلى يساره اسودة الحديث بطوله (الى قوله ثم عرج بى حتى ظهرت

بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام) أى صريرها كما فى رواية وقد فرض الله هنالك عليه خمسين صلاة فرجع فرجع بموسى فلم يزل بينه وبينه حتى قيل له هى خمس وهن خمسون (انه وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة) أى جنة المأوى (ورأى فيها ماذكره) أى من جنابذ اللؤلؤ وان ترابها المسك قال لدلجى وظاهر هذا كما شاهد صدق بانهما نزلا عن البراق وان أنكره حذيفة انتهى ولا يخفى ان الظاهر عدم النزول عن البراق الا ان يدل دليل صحيح وصارف صريح فيما هنالك لذلك (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى كما رواه البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فى حال اليقظة (لا رؤيا منام) أى وان كان رؤيا الانبياء حقا فى ثبوت المرام وقد قيل بتعدد المعراج الى سبع مرات فيمكن الجمع بذلك بين الروايات (وعن الحسن) أى البصرى (فيه) أى فى حديث معراجه كما رواه ابن اسحق وابن جرير عنه مرسلا (بينا أنا نائم فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم وقال النووى انه رأى لبعض المصنفين على المهذب انه يقال أيضا بفتح الحاء كحجر الانسان فقيل كله من البيت وقيل ستة أذرع وقيل سبعة هذا وقد سبق انه رأى بين النائم واليقظان ولا يبعد أن يراد بالنائم المضطجع فانه على هيئة النائم وقد يعبر به عنه على انه لا ينافى بين كونه نائما فى أول القضية ومستيقظا فى آخر القصة مع انه روى بينا أنا جالس فى الحجر (جاءنى جبريل فهمزنى) أى غمزنى (بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيأ فعدت لمضجعى ذكر) أى الحسن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ذلك ثلاثا فقال فى الثالثة فاخذ بعضدى) بصيغة الافراد وفيه أربع لغات فتح العين مع ضم الضاد وكسرها وسكونها وضم العين مع السكون أى أمسك ما فوق مرفقى (فجرنى الى باب المسجد) قال الدلجى الله أعلم بصحة هذا الحديث لنزاهة جبريل عن ان يفعل به ذلك انتهى ولا يخفى انه اذا ثبت من طريق امامين جليلين هذا المبنى فينبغى أن يحمل على محمل لطيف فى المعنى وهو مناسبة لرجل للرجل فى قوله فهمزنى بعقبه وقد نبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعض أصحابه من المنام بهذه الكيفية فهذا ليس من باب قلة الادب بل من طريق عدم التكلف الدال على كمال الخصوصية وقد قيل ان الهمز تنبيه الرجل بحركة لطيفة وأما الاخذ بالعضد فلا خفاء فى المناسبة المساعدة للتقوية العضدية وأما قوله فجرنى فكناية عن كمال الجذبة الملكية المنسبة فى الجذبة الالهية على ما تقتضيه القضية الاسرائية الى المراتب الاصطفائية وقد روى فجبذنى وهو مقلوب جذبنى

ذلك

من هو به (بمستوى أسمع فيه صريف الاقلام) المستوى بضم الميم أوله مقصور واسم مكان وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذى يسمع من الاجرام الجامدة اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة عليهم الصلاة والسلام التى تكتب ماقدره الله وهنالك وقع فرض الصلاة أو هو قلم واحد لله جمع تعظيما او لكثرته مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل (وانه وصل الى سدرة المنتهى) ورأى ماغشيها من الالوان وغيرها كما تقدم (وانه دخل الجنة ورأى فيها ماذكره) من جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك الى آخر ماذكره (قال ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما فيما صح عنه من رواية البخارى (هى رؤيا عين رآها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لا رؤيا منام) ولا يعارضه ماروى عن عائشة وغيرها كما قيل لصحة هذا او كثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر ولا وجه لما قيل أيضا ان صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى (و) روى ابن اسحق وابن جرير مرسلا (عن الحسن) البصرى (فيه بينا أنا نائم) وفى نسخ جالس (فى الحجر) بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمسانى عن بعضهم انه يقال بفتح الحاء المهملة وفى القاموس ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل وبالهاء لحن أقول ماقاله وان سبقه اليه غيره ليس بصواب فانه ورد فى الحديث وصححه بعض أهل اللغة كالقزوينى فى مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسى فى حواشيه والحجر معروف بجنب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذى منه مقدار ستة أذرع أو سبعة كما أفاده البرهان (جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه) همزه كضربه وما وقع فى بعض النسخ نهزنى من تحريف النساخ أى مسنى بشدة لينبهنى والهمز والضغط بمعنى وفى العين همزته غمزته والهمزة فى الحروف لانها تهمز فتنهمز عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما فى بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما اسمها ألف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله تعالى عليه وسلم بصورة رجل حين همزه والضمير لجبريل عليه الصلاة والسلام وليس فيه سوء أدب ممن لم يقصد التنقيص كما قيل (فقمت) أى انتبهت من منامى بدليل قوله (فجلست) والقيام بهذا المعنى كثير (فلم أر شيأ فعدت لمضجعى) أى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمى أو اسم مكان (ذكر ذلك ثلاثا) وانما ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات (فقال فى) المرة (الثالثة فاخذ بعضدى) بالاضافة الى ياء المتكلم المخففة والعضد مافوق المرفق (فجرنى الى باب المسجد) أى أخرجه اليه تادبا منه اذ لم يدخل ماهو على صورة دابة لفناء بيت الله وقيل الله أعلم بصحة هذا النزاهة جبريل عن ان يفعل به صلى الله تعالى عليه وسلم

(فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن أم هانئ) بكسر النون فهمزة وهى بنت أبى طالب أخت على رضى الله تعالى عنهما أسلمت يوم الفتح وقد خطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت انى امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها روى عنها على وابن عباس وعكرمة وعروة وعطاء وخلق كما روى ابن اسحق والطبرانى وابن جرير عنها انها قالت (ما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى تلك الليلة) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحرم كله مسجد أى لاحاطته بالمسجد والتباسه به فلا ينافى قوله تعالى من المسجد الحرام (صلى العشاء الآخرة) أى بان خرج منه ودخل الحجر فصلى فيه (ونام بيننا) أى فيما بيننا بان رجع ونام مع أهل بيت أم هانئ وهو كناية عن انه كان بعد صلاة العشاء الآخرة عندهم فى مكة فبيننا بمعنى عندنا وقد تصحف على الدلجى بقوله شيأ أى نام شيأ من الليلة أو بعضها من النوم (فلما كان قبيل الفجر أهبنا) بتشديد الموحدة أى أيقظنا (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) وظاهر هذا الحديث ان الاسراء انما كان فى الثلث الاخير من الليل وهو وقت السحر وزمان التهجد للعبادة على انه لا يلزم من ايقاظه لهم حينئذ ان يكون عقب نزوله اذ يمكن انه كان فى المسجد مشتغلا بالطواف والعبادة فلما قارب الصبح رجع اليهم وأيقظهم (فلما صلى الصبح) أى نفلا أو كانت صلاتان فريضة قبل الاسراء صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها والاظهر انه صلى الصبح المفروض فى ليلة الاسراء من جملة الخمس (وصلينا) أى معه أو بدونه (قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة) فيه نوع تغليب ان صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم حقيقة أو معنى (كما رأيت بهذا الوادى) أى وادى مكة لاحاطة الجبال بها

ذلك الجر وفيه نظر (فاذا بدابة وذكر خبر البراق) المتقدم فى شكله وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحق وابن جرير والطبرانى (وعن أم هانئ) بهمزة فى آخره وتبدل ياء واختلف فى اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل جمانة وقيل فاطمة وقيل رملة وهى بنت أبى طالب صحابية عظيمة المقدار أخرج لها أصحاب الكتب الستة وكانت أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها هبيرة المخزومى فمات بنجران كافرا وخطبها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاعتذرت بانها مصبية أى ذات أولاد (ما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى) وهو مخالف لما مر انه كان بالحجر أو غيره فان قيل بتعدد الاسراء فلا اشكال (تلك الليلة) التى أسرى به فيها من بيتها (صلى العشاء الاخيرة) والعشاء الاولى المغرب (ونام بيننا) أى بين أهل بيتها وأولادها وفى رواية ونام شيأ بشين معجمة أى نام قليلا من الليل (فلما كان قبيل الفجر) بتصغير قبل تصغير تقريب وتقليل (أهبنا) بالهمزة أوله وتشديد الموحدة أى أيقظنا يقال هب اذا استيقظ واهبه أيقظه من منامه ونبهه منه (فلما صلى الصبح) أى صلاة الصبح (وصلينا) معه (قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت) بكسر التاء أى كما شاهدت صلاتى لها (بهذا الوادى) أى بمكة وهى واد لاحاطة الجبال بها وانخفاضها بينها قالوا وهذا مشكل من وجوه لانها انما أسلمت عام الفتح كما مر فكيف يكون صلت معه العشاء وأيضا ان الصلاة انما فرضت فى الاسراء وأول صلاة صلاها بعد الفريضة الظهر فما معنى صلاة العشاء والصبح ولذا أشار المصنف لتضعيف هذا فى الفصل الذى يليه وأيضا المغرب لا تسمى عشاء لغة وشرعا وقولهم العشاآن للمغرب والعشاء تغليب وما قيل من انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها صلينا هيأنا له ما يحتاج اليه فى صلاته كلام لا يجدى لانه فى غاية الخفاء أو هو مدرج من كلام غيرها نعم كون المغرب لا تسمى عشاء أولى غير متجه لانه ورد فى الحديث تسميتها عشاء أولى والمراد بالعشاء أول الليل وكون ما ورد تغليبا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة * أقول الذى يظهر لى فى التوفيق بين الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرار الاسراء مرارا اذ عليه الامر ظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان ببيت أم هانئ ثم خرج الى الحرم للصلاة فغشيه نوم ثم استيقظ وعرج به وأما قول أم هانئ رضى الله تعالى عنها وصلينا فيدفع اشكاله المذكور بانها بنت أبى طالب وأبو طالب وآله كانوا محبين له صلى الله تعالى عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهر وا ذلك لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا أسلم على كرم الله وجهه فى صباه وكان رضى الله تعالى عنه معه صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر ذلك أبو طالب فى شعره المشهور فى السير فلما خرج صلى الله تعالى عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه على فلا شك انه كان يصلى قبل الاسراء بالغداة والعشى صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضى لجماعة اذا وقع من أحدهم ينسب للجميع وهو مجاز بليغ مشهور أى صلى معه بعض آلنا وهو على رضى الله تعالى عنه أو يقال انها كانت مسلمة سرا كما نقل مثله عن العباس رضى الله تعالى عنه فاندفاع الايراد الذى ظنوه غير مندفع ظاهر

(ثم جئت بيت المقدس) أي ذهبت اليه (فصليت فيه) أي صلاة التهجد مع الانبياء والملائكة (ثم صليت الغدوة) أي صلاة الغدوة وهي الصبح (معكم الآن كما ترون) أي كما رأيتم فالعدول عن الماضي الى المضارع لاستحضار الحال الماضية (وهذا بين) بتشديد التحتية المكسورة أي وهذا الحديث برهان ظاهر (في أنه) أي الاسراء (بجسمه) أي لا بروحه فقط ولا ينافي قولها وصلينا انها أسلمت عام الفتح وهو بعد الاسراء بكثير لان المراد بضمير الجمع جماعة قد أسلموا قبل ذلك وصلوا هنالك وأما قول الدلجي انه ليس من قولها بل أدرجه الراوي في كلامها فحمل بعيد وتاويل غير سديد وكذا تاويل الشمني ان معنى صلينا هيأنا له ما يحتاج اليه في الصلاة ثم هذا كله مبني على ان المعراج من بيت المقدس وانه مع الاسراء في ليلة واحدة وأما على انه من مكة وانه ليس مع الاسراء في ليلة واحدة فقولها صلى الصبح على حقيقته من غير تاويل لان الصلوات الخمس كانت ليلة المعراج وهو على هذا القول كان في رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا والاسراء كان في الربيع الاول قبل الهجرة بسنة (وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه من رواية شداد ابن أوس عنه) أي كما رواه البيهقي وابن مردويه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك) أي في محلك المعتاد أول الليلة أو آخرها (فلم أجدك فاجابه ان جبريل عليه السلام) أي بانه (حملني) وهو الظاهر المتبادر فلا يحتاج الى تكلف الدلجي من غير نص على كسر ان حيث الصحابي قال التقدير فاجابه بقوله له ان جبريل حملني أي على البراق (الى المسجد الاقصى) ثم هذا الحديث أيضا دليل ساطع على ان الاسراء كان يقظة (وعن عمر رضي الله تعالى عنه) أي كما رواه ابن مردويه من طريق عنه (قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد) أي المسجد الاقصى (ثم دخلت الصخرة) أي تحتها أو مكانها (فاذا بملك) وفي نسخة فاذا ملك (قائم) بالجر أو الرفع بناء على النسختين (معه آنية ثلاث) أي من اللبن والخمر والعسل (الحديث) أي كما سبق (وهذه التصريحات) أي في الروايات الصحيحات (ظاهرة في أن القصة كانت يقظة غير مستحيلة) أي شرعا وعقلا وثبت نقلا (فتحمل على ظاهرها) أي ولا يجوز العدول عنها (وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين مرفوعا

فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعاء (ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون) وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو أول النهار وهو بتقدير مضاف أي صلاة الغداة وهي صلاة الصبح (وهذا) المذكور برهان ودليل (بين) بتشديد الياء المكسورة أي ظاهر واضح (في أنه) أي الاسراء (بجسمه) وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل انما البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر (وعن شداد بن أوس) بن ثابت بن المنذر بن الحرام أبو يعلى الانصاري الصحابي نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد أخرج له الائمة الستة وأحمد في مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقي وابن مردويه توفي سنة ثمان وخمسين ودفن بفلسطين وهو ابن أخي حسان بن ثابت كما مر في ترجمته (عن أبي بكر) الصديق رضي الله تعالى عنه أفضل الصحابة وفي أكثر النسخ عن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه (انه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة أسري به) في هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله (طلبتك البارحة) وهي الليلة الماضية قبل ليلتك ومنه المثل ما أشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير بعد ليلة أسري به ومعنى طلبتك اني تفقدت جسدك في مضجعك (فلم أجدك) فيه أو فيه تقديم والتفات أي طلبتك البارحة ليلة أسري بك وهذا كله خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (ان جبريل حملني) وفي نسخة حمله (الى المسجد الاقصى) وان بكسر الهمزة أو مفتوحة والتقدير بان الى آخره قيل هذا يحتمل انه كان ببيت عائشة رضي الله تعالى عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عائشة المتقدم وقوله حملني جبريل مخالف لكونه على البراق الا أن يقال لكونه سببا له أسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على انه كان يقظة بجسده أيضا (وعن عمر رضي الله تعالى عنه) كما رواه ابن مردويه من طرق (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم المسجد) الاقصى (ثم دخلت الصخرة) أي دخلت المسجد الذي تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلاة والسلام ففيه مضاف مقدر أي تحت (فاذا بملك قائم) لم يسموه (معه آنية ثلاث وذكر الحديث) أي ساقه الى آخره واذا هنا فجائية أي فاجأني بغتة لقاؤه والآنية بالمد جمع اناء كوعاء وزنا ومعنى وأواني جمع الجمع وليس مفردا كما توهم العامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة أو بدل منه وقيل خبر هي مقدرة وكان الظاهر أن يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكأنه أوله بكأس ونحوه يعني اناء من خمر واناء من لبن واناء من ماء وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت أمتك وهذا تمام الحديث وقد تقدم واعترض بانه محتمل لكونه مناما ولا مانع في هذه الرواية أصلا فقوله (وهذه التصريحات ظاهرة) في انه كان يقظة (غير مستحيلة) شرعا وعقلا حتى تقتضي استحالتها التاويل (فتحمل على ظاهرها) ولا يعدل الى التاويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك (وعن أبي ذر)

(عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فرج) بصيغة المفعول مخففا وجوز مشددا أي كشف وأزيل (سقف بيتي) أضيف اليه تارة لانه كان ساكنا فيه واليها أخرى من حيث انه كان ملكها (وأنا بمكة) جملة حالية (فنزل جبريل عليه السلام فشرح صدري) أي فعل بي ما يوجب شرح صدري وتصحف على الدلجي بقوله ففرج بالفاء والجيم وفسره بقوله شقه (ثم غسله بماء زمزم)

الصحابي الغفاري رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الشيخان (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (فرج) مبني للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله (سقف بيتي) وفي نسخة عن سقف بيتي والمعنى كشف من السقف جانب حتى انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء (وأنا) مقيم (بمكة) قبل الهجرة وهذا مع قوله سابقا بينا أنا بالحجر أو الحطيم وقول أم هانئ السابق ما أسري به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو بيتي بينهما من المعارضة ما لا يخفى * فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفي هنا كون اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هانئ لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة في المفاجأة وتنبيه على ان دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين * قلت وليدل على ان هذا أمر الهي وكرامة تسر ولا تضر ولو أتى من الباب لتوهم انه أحد من أعدائه الذي هو بين أظهرهم (فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فشرح صدري) وفي رواية ففرج صدري أي شقه وهي أنسب بفرج البيت (ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة) لانه أفضل المياه حتى الكوثر في قول ولانه صلى الله تعالى عليه وسلم ألفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لا ينافي شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم وهو صغير عند ظئره حليمة رضي الله تعالى عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا في مرة غسل بماء زمزم وفي اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصبره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلاة والسلام لم يطق في الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه ملكان بطست وماء كما مر وانه وضع عليه خاتم النبوة وسيذكره (ثم أخذ بيدي فعرج بي) بالبناء للفاعل أو المفعول كما مر وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلاة والسلام اليه والتعقيب بالفاء عرفي نسبي فلا ينافي قوله (وعن أنس أتيت) بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم (فانطلق بي) مجهول أيضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان آخران معهما طست الذهب كما مر ولا منافاة بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له (الى زمزم فشرح عن صدري) أي شق صدره وقلبه ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه (و) روى مسلم (عن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه عبد الرحمن بن صخر (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (لقد رأيتني) جواب قسم مقدر للتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة ورأى علمية أو بصرية (في الحجر) تقدم ضبطه وما يتعلق به (وقريش تسألني عن مسراي) جملة حالية والمسرى مصدر ميمي أو اسم مكان أي ساله كفار قريش عن علاماته بعد ما كذبوه تحقيقا لما زعموه (فسألتني) قريش وتانيثه باعتبار القبيلة (عن أشياء) من بيت المقدس واماراته (لم أثبتها) أي لم أكن أثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغالي بما هو أهم منها من معاينة ما وقع له ثمة من صلاته مع الانبياء وتهيئه للعروج وسقط ما قيل من ان هذا يدل على انه كان مناما لان النائم أقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله تعالى عليه وسلم حق وان نامت عيناه

لانه أفضل مياه العالم وقد أبعد الدلجي حيث علله بقوله لانه قد ألفه صغرا وكبرا (الى آخر القصة) أي كما سبقت (ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن أنس رضي الله تعالى عنه أتيت) بصيغة المفعول أي أتاني آت وهو جبريل كما عليه السلام صرح به في رواية (فانطلق) بصيغة المجهول أي فذهب (بي) وفي نسخة فانطلقوا بي (الى زمزم فشرح عن صدري) الجار نائب الفاعل (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) كما رواه مسلم (لقد رأيتني) بضم تاء المتكلم (في الحجر وقريش تسألني عن مسراي) بفتح ميم وسكون سين أي عن علامات سيري أو مكانه (فسألتني عن أشياء) أي من بيت المقدس وطريقه (لم أثبتها) من باب الافعال أي لم أحفظها ولم أضبطها وعدم اثباته تلك الاشياء لكمال ثباته في مقام الامر باشتغاله بالملائكة والانبياء وعجائب ملكوت الارض والسماء وأبعد من توهم ان قوله لم أثبتها قرينة على ان القضية كانت مناما فان النائم أقل ضبطا من المستيقظ حيث لم يعرف انه لا فرق بين ضبطه مناما ويقظة اذ الانبياء لا تنام قلوبهم ورؤياهم وحي واما الاحاطة بجميع علامات الطرق والمسجد الاقصى فليس شرطا في حصول العلم به اذ يكفيه اخباره ببعض العلامات مما يوجب كونه من الآيات وخوارق العادات

(فكربت كربا) بفتح فسكون أى غما يأخذ النفس والفعل مبنى للمجهول كقوله (ماكربت مثله قط فرفعه الله تعالى لى أنظر اليه) فسألونى عن شئ الا أنبأتهم (ونحوه عن جابر) أى روى عن جابر نحو ماروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مع اختلاف فى المبنى دون المعنى (وقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حديث الاسراء عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ثم رجعت الى خديجة) أى بسرعة (وماتحولت عن جانبها) أى الى جانب آخر منها وفيه اشعار بتقليل زمن الاسراء مع انه كان الى السموات العلى وسدرة المنتهى ومقام قاب قوسين أو أدنى ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم أول مارجع دخل على خديجة ثم ذهب الى أم هانئ فى بيتها

(فصل)

(فى ابطال حجج من قال انها نوم) ويروى انها رؤيا نوم ثم الحجج بضم حاء وفتح جيم جمع حجة وهو بمعنى دليل وبينة وأنث ضمير انها مع انه راجع الى الاسراء باعتبار القول بانه كان رؤيا منام احتجوا بتشديد الجيم أى استدلوا (بقوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى أريناك فسماها رؤيا) بالتنوين يعنى والرؤيا مختصة بالنوم كما ان الرؤية باليقظة (قلنا قوله سبحان الذى أسرى بعبده يرده) أى يدفع الاحتجاج به (لانه لايقال فى النوم أسرى) لان الاسراء هو السير فى الليل وهو لايكون حقيقة الا فى اليقظة واعتبار الحقيقة أولى من المجاز مالم يصرف عنها صارف نعم الرؤيا أيضا فى النوم حقيقة وفى اليقظة مجاز لكن لنا أجوبة صارفة لها عن المعنى الحقيقى الى القصد المجازى كما بينه المصنف بقوله (وقوله فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء شخص) أى بجسده (اذ ليس فى الحلم) بضمتين وتسكن اللام بمعنى الاحتلام ورؤية المنام (فتنة

لاينام قلبه (فكربت كربا ماكربت مثله قط) بضم الكاف من الماضى المجهول والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب أصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر والحرث والغم مثير النفس كاثارة ذلك وفى المثل الكراب على البقر وليس ذلك من قولهم الكلاب على البقر فى شئ (فرفعه الله لى أنظر اليه) أى رفع الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بيت المقدس حتى ينظر اليه ويثبت مافيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة أنظر اليه حالية أو مستأنفة (ونحوه عن جابر رضى الله تعالى عنه وقد روى عن عمر) بن الخطاب رضى الله عنه (فى حديث الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجعت) من مسراى (الى خديجة) أم المؤمنين رضى الله عنها (وماتحولت) أى والحال ان خديجة رضى الله عنها ماتحولت وتحركت (عن جانبها) التى كانت عليه حين فارقها النبى صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضى انه كان فى بيت خديجة وقد تقدم انه كان فى بيت أم هانئ رضى الله تعالى عنها وفى رواية انه كان فى الحجر وفى أخرى فى الحطيم وهو الحجر الذى يلى الميزاب الذى هو قبلة أهل المغرب وقيل الحطيم مابين المقام الى الباب وروى عن مالك وعن ابن جريج هو مابين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه مابين الركن الاسود الى الباب

(فصل فى ابطال حجج من قال انها نوم) لا يقظة وان الاسراء لم يتكرر مرارا أربعة كما ارتضاه أبو شامة رحمه الله تعالى وتأنيث ضميرانها لان الرؤيا مؤنث سماعى لا باعتبار انها رؤيا منام كما قيل (احتجوا بقوله تعالى وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة فسماها رؤيا) وهذا مبنى على ان رأى مشترك فيكون بمعنى أبصر يقظة ومصدرها رؤية ومناما ومصدرها رؤيا ورأى بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأى وهذا هو المشهور وقد رده السهيلى فى الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة أيضا بين البصرية والحلمية وأورد له شواهد من كلام العرب وقدمر جميع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلا (قلنا) جوابا عما احتجوا به (قوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده يرده لانه لايقال فى النوم أسرى) اذ الاسراء كما مر هو السير ليلا وهذا انما يكون يقظة لاسيما وقد ذكر فى الحديث مايستلزمه لزوما بينا من صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام واستصحاب البراق عليه أوغير ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه رأى فى منامه انه أسرى به بعيد جدا ولذا جعله ابن الملاقى لو لانه فى قوة الخطأ فما قيل ان الاولى ان يقول يخدشه ماذكر ليس بشئ يعول عليه (وقوله فتنة للناس) أى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم ورده بعضهم (يؤيد انها رؤيا عين) باصرة يقظة (واسراء بشخص) أى سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلا نوما كما قيل (اذ ليس فى الحلم) بضمتين أو ضم فسكون وهو مايراه النائم واصل معناه العقل يقال حلم فى نومه يحلم حلما وحلما وقيل حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب

(فتنة) أى امتحان وخبرة (ولا يكذب به احد لان كل أحد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون) أى حدوث شئ لم يكن والالف واللام بدل من المضاف اليه أى من كونه (فى ساعة واحدة فى أقطار متباينة) أى فى أطراف مختلفة وجوانب متفرقة ونواحى متباعدة (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) أى فى تفسيرها وفى المراد بمورد الرؤيا وتعبيرها (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) وهى بتخفيف التحتية قبل هاء التانيث مصغرا ذكره الشافعى وأهل اللغة وبعض المحدثين وكثير من المحدثين على تشديدها وهى قرية صغيرة سميت ببئر هنالك عند مسجد الشجرة على نحو مرحلة من مكة قريبة من جدة فى طريق جدة وتسمى الآن تلك البئر بئر شميس والاصح ان الشجرة التى وقع تحتها بيعة الرضوان غير معروفة الآن وهى كانت عند آخر الجبل وأول الحرم على ما قيل وقال مالك الحديبية من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحرم كذا قال الواقدى وهو الصحيح عندنا هذا والقضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا قال الانطاكى ومما يؤيد ان بعضها من الحرم ماروى ان مضارب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى معسكره وموضع خيامه عام الحديبية كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم والله تعالى أعلم وفى نسخة فى قصة الحديبية بكسر قاف وتشديد صاد مهملة وهى انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى فى المنام انه دخل المسجد الحرام فصده المشركون فى ذلك العام (وما وقع) أى ونزلت فيما وقع (فى نفوس الناس) أى جماعة منهم (من ذلك) أى من جهة صدهم وعدم دخولهم حتى امتنع بعضهم من تحللهم فقيل انه لم يقل فى هذا العام فدخل من قابل المسجد الحرام واعترض بان الآية مكية وأجيب بانه رآها بمكة وأخبر بها يومئذ

(فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى اقطار متباينة) أقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد ومن بيان لذلك أو لمثل أى يرى فى مدة قليلة انه وصل لاماكن بعيدة ولا ينكره عليه أحد من العقلاء ثم أشار الى رد دليلهم بوجه آخر فقال (على ان المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية) التى استدلوا بها وعلى بمعنى مع هذا والعلاوة ضم أمر لآخر كقوله * على ان قرب الدار خير من البعد * والمراد بالآية وما جعلنا الرؤيا الآية (فذهب بعضهم الى انها نزلت فى قضية الحديبية) القضية بالضاد المعجمة واحدة القضايا على الاصح لما سيأتى وروى قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين وياء تحتية ساكنة وباء موحدة مكسورة وياء مخففة وهاء تانيث وتشدد ياؤه أيضا وعليه أكثر المحدثين وبعض أهل اللغة فهى صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها شجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان ثم صار اسماء لبئر بها او قرية على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هى من الحل أو من الحرم أو بعضها من الحل وبعضها من الحرم أقوال ذهب الى كل منها بعض العلماء وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقام بالمدينة منصرفه عن غزوة بنى المصطلق فى شوال وخرج فى ذى القعدة معتمرا ومعه من الانصار والمهاجرين نحو ألف وخمسمائة وساق الهدى معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ قريشا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله تعالى عليه وسلم عن دخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه وخرج مع الكفار خالد بن الوليد رضى الله عنه الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعونى قريش اليوم الى خطة فيها صلة رحم الا أعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فغرز سهما له فى بئر فغار ماؤها حتى كفى الجيش ثم جاءت السفراء بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو العامرى وقاضاه على ان ينصرف ويأتى فى العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة أعوام يأمن بعضهم بعضا على ان من أتاه مسلما منهم رده اليهم ومن أتاهم لم يردوه فعظم ذلك على المسلمين ووقع ما وقع ولذا سمى عام القضية قال ابن عبد السلام فى قواعده * فان قيل لم التزم صلى الله تعالى عليه وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين * قلنا وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم أهل الحديبية وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما أرادوه وهو أهون من قتل أولئك مع انه علم ان فى تاخير القتال مصلحة عظيمة وهى اسلام جماعة من الكفار ولذا قال تعالى ليدخل الله فى رحمته من يشاء أى فى ملة الاسلام وقال لو تزيلوا الآية والى هذا اشار بقوله (وما وقع فى نفوس الناس من ذلك) أى من صلح الحديبية حتى راجعه عليه السلام فى ذلك عمر رضى الله عنه مرارا وقال ما قال واشمأزت خواطرهم وقال ابن المنير لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك

(وقيل غير هذا) أى غير ما تقدم فقيل رآها يوم بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا تثبيتا لاصحابك وتشجيعا لهم على عدوهم ولقوله حين ورد ماء بدر كأنى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فبلغ ذلك قريشا فسخروا منه (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث) أى المتقدم (مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) بفتحتين (وقوله أيضا) أى فى الحديث (وهو نائم وقوله ثم استيقظت) أى كما فى حديث آخر (فلا حجة فيه) أى فى كل واحد منها لعدم تصريح فى الدلالة بها (اذ قد يحتمل ان أول وصول الملك اليه كان وهو نائم) أى كما يدل عليه حديث الحسن البصرى بينما أنا نائم فى الحجر جاءنى جبريل عليه السلام فهمزنى بعقبه فخلست الحديث (وأول حمله) أى ويحتمل ان أول أخذه (والاسراء به وهو نائم) أى فى حال نومه الحديث وهو نائم بالمسجد الحرام ولا يلزم منه استمرار المنام (وليس فى الحديث) أى فى حديث لا صحيح ولا ضعيف (انه كان نائما فى القضية كلها) أى فى قضية الاسراء جميعها من أولها الى آخرها (الاما يدل عليه) أى فى الجملة قوله (ثم استيقظت وانا فى المسجد الحرام) لكن يحتمل احتمالات تمنع صحة الاستدلال بها على تصحيح المنام وتصريح المرام (فلعل قوله ثم استيقظت بمعنى أصبحت) اذ الاستيقاظ غالبا يكون حالة الاصباح فعبر به عنه مجازا وهذا لا يخفى بعده (واستيقظ) وفى نسخة صحيحة أو استيقظ (من نوم آخر) أى حدث حال نزوله (بعد وصوله بيته ويدل عليه) أى على كونه نوما آخر (ان مسراه لم يكن طول ليله) أى فى جميعه (وانما كان فى بعضه) أى اماذها با أو ايابا كما يشير اليه تنكير ليلا (وقد يكون قوله استيقظت وانا فى المسجد الحرام لما كان غمره) بالغين المعجمة ثم الراء أى لاجل ما غشيه وعلا قلبه وغطاه (من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض) قال المحققون ان الملك الظاهر العالم والملكوت باطنه وقيل الملكوت الملك العظيم (وخامر) بالخاء المعجمة أى خالط ومازج (باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى) أى من ملائكة السماء وأصل الملأ الجماعة من الاشراف والوجوه مما يملأ العيون كثرة وعزة وأراد بالملأ الاعلى الملائكة المقربين وصفوا بذلك لعلوهم كانهم أى لعلو منزلتهم وشأنهم عند ربهم

عادة للارضاء والوفاق (وقيل) فى تفسير الآية وسبب نزولها (غير هذا) الذى تقدم من ان هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهى التى فى قوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية (واما قولهم انه قد سماها فى الحديث مناما وقوله فى حديث آخر بين النائم واليقظان) كالنعسان حالسا (وقوله أيضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت) وانا بالمسجد الحرام (فلا حجة فيه) للقول بانها رؤيا منام كامل (اذ قد يحتمل ان أول وصول الملك اليه وهو نائم) بدليل قوله فى الحديث فهمزنى بعقبه السائق مع ما يضاهيه (أو أول حمله) على البراق (والاسراء به وهو نائم) ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله تعالى عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل أيضا انه مخالف للظاهر فهو مشترك الالزام (وليس فى الحديث انه كان نائما فى القصة كلها الا ما يدل عليه قوله ثم استيقظت وأنا فى المسجد الحرام) فانه يقتضى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه وعوده وكون استيقظت بمعنى أصبحت أو استيقظت من نوم آخر تكلف لا حاجة اليه وتأييده بانه لم يستغرق الليل باسراته فيكون لسرعة مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة أبعد منه فلذا عبر عنه بقوله (فلعل قوله استيقظت بمعنى أصبحت) أى دخلت فى وقت الصباح لان صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها (أو استيقظت من نوم آخر) غير ما كان قبله فى الحجر أو فى بيت أم هانئ أو غيره (بعد وصوله بيته) أى البيت الذى كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا ينافى ما قلناه (ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان فى بعضه) بدليل قوله تعالى ليلا فى الآية كما ذكره المفسرون (وقد يكون قوله استيقظت وأنا فى المسجد الحرام) وعبر بقد اشارة لضعفه أيضا (لما) بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا من ما المصدرية (كان غمره) أى لاجل الذى عرض له مما يدهشه ويستغرق لبه وفكره (من عجائب ما طالع) أى شاهد ورأى (من ملكوت السموات والارض) الذى لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار للمشاهدة الغمرة وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية أو مكنية وتخييلية أو هو تشبيه بليغ كقوله تعالى الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها وأتبعها بقوله (وخامر باطنه) بالخاء المعجمة وألف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسرها بانها فى بدن شاربها وان قيل انما سميت بها لسترها العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية (من مشاهدة الملأ الاعلى) وتعبيره بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لابى الدرداء رضى الله تعالى عنهما حين دعاه الى الارض المقدسة يا أخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على أرفه خمر الارض يقع على أى خصب يستر وجه الارض يعنى ان وطنه أرفه وأرفق به فلا يفارقه والمراد بالملأ الاعلى

السموات

(ومارأى من آيات ربه الكبرى) أى وماحصل له من شهود الكثرة فى الوحدة ووجود الوحدة فى الكثرة ونور الوحدة بلاظهور الكثرة والاستغراق فى بحور الشهود ولجة الوجود والذهول عن غير المعبود والمقصود (فلم يستفق) أى لم ينتبه (ويرجع) أى ولم يعد من مشاهدة التجليات الالهية (الى حال البشرية) أى من اقتضاء صفات العنصرية (الاوهو بالمسجد الحرام) هذا وقول الدلجى خاطر أى ستر ليس فى محله وماذكر فيه من الشاهد أيضا غير ملائم وهو قوله كتب أبو الدرداء الى سلمان يدعوه الى الارض المقدسة فكتب يا أخى ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء على أرفه خمر الارض يقع أى على أخصب ساتر فيها أراد ان وطنه أرفه له وأرفق به فلا يفارقه (ووجه ثالث) أى فى الجمع بين الروايات المتفرقة والرد على من زعم ان الاسراء انما كان بروحه فقط (أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى الظاهر) أى المفاد منه بطرفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه وهو قوله وأنا نائم فى المسجد الحرام وقوله فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام (ولكنه أسرى بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق) أى ولو فى المنام (تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم) أى كما ثبت فى الحديث ولعل الحكمة فى حمل جسده مع ان العمل حينئذ كله لروحه ان يشاهد الملائكة ذاته ويفاض عليهم من بركاته ويصير مرآة للتجلى الالهى فى تنزلاته وانعكاس ظهور كمال صفاته (وقد مال بعض أصحاب الاشارات) وفى نسخة أهل الاشارات (الى نحو من هذا) أى مما ذكرناه من كونه نائم العين حاضر القلب لشهود ملكوت الرب (قال) أى بعض أصحاب الاشارات (تغميض عينيه) أى سدهما نوما أو قصدا (لئلا يشغله) بفتح أوله وثالثه وجوز ضم أوله وكسر ثالثه (شئ من المحسوسات عن الله عز وجل) وفيه ان من وصل الى حالة الجمعية وزال عنه مرتبة التفرقة لايحجبه شهود الكثرة عن وجود الوحدة وبالعكس وفيه أيضا ان المقام مقام مشاهدة عجائب الملكوت لقوله تعالى لنريه من آياتنا اذ المتبادر منه رؤية العين والمحسوسات من الحواس وهى خمس السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهى هيئة حالة فى جميع الجسد (ولا يصح هذا) أى تغميض العين (أن يكون فى وقت صلاته بالانبياء) لانه فى حال الصلاة مكروه عند عامة الفقهاء

السموات ومافيها أو الملائكة لان الملأ الجماعة الاشراف (ومارأى من آيات ربه الكبرى) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها وماقيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشئ لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله (فلم يستفق) يقال أفاق واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه (ويرجع الى حال البشرية الاوهو بالمسجد الحرام) يوهمه اذ المراد به حالة اعترته وأنسته عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لوسلم كان مؤيدا للمصنف غير وارد عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله تعالى عليه وسلم النوم فى رجوعه كما توهم فانه ينافى قوله (ووجه ثالث) وهو (أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى) ظاهر (لفظه) وضاد مقتضى يجوز فيها الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله ثم استيقظت وأنا بالمسجد الحرام (ولكنه أسرى بجسده) وعيناه نائمتان (وقلبه حاضر) وان غض بصره كالنائم ففيه ما لليقظان (ورؤيا الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (حق تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم) وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله تعالى عليه وسلم نائمة مع الاسراء بجسده مع انه خلاف المعتاد لافائدة فيه وماذكره المصنف من الحكمة الآتية من انه لئلا تشغله المحسوسات عن الله لايدفع ماذكر لان الحكم حينئذ للروح فلا معنى لرفع الجسد وهو حاصل بدونه وقوله تعالى لنريه من آياتنا يأباه وقد استدرك عليه المصنف بقوله الآتى ولا يصح أن يكون هذا فى وقت صلاته الى آخره والجواب بأنه ليشاهده الملائكة ويفيض عليهم بركاته لايجدى نفعا (وقد مال بعض أصحاب الاشارات) يعنى بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما يأخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها وهم لا يقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام ومن لايعرف ذلك يعترض عليهم بما لاوجه له (الى نحو من هذا) أى الى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه حيث (قال تغميض عينيه لئلا يشغله شئ من المحسوسات عن الله) قال الزمخشرى فى شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كما لحنوا فى قولهم محسوسات لان فعال لايبنى من أفعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى أحس كما قاله الدماميني فى شرح التسهيل والنووى فى شرح مسلم فعلى هذا لا لحن فى هذه العبارة (ولا يصح أن يكون هذا) المذكور من ان الاسراء بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نائم ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد (فى وقت صلاته بالانبياء) عليهم الصلاة والسلام لان النائم لايصلى ولاتصح صلاته وظاهره انه فيما عداه من أمور الاسراء صحيح بلا تردد وانما يأباه لفظ الحديث ولايخفى ان مناجاته ربه ومراجعة موسى عليه الصلاة والسلام لذلك فكان ينبغى أن يقول والامور الواقعة

(والعله كان له فى هذا الاسراء حالات) أى مراتب ومقامات فكان فى أوله نائما ووقت صلاته بهم قائما وفى شهود الآيات مطالعا وفى حال التجلى مستغرقا وفى حال الرجوع متحيرا والحاصل انه كان بين سكر وشكر وقبض وبسط وصحو ومحو وفناء وبقاء (ووجه رابع) أى شاهد بانه كان يقظة ويؤول ما يكون فيه مخالفة (هوان يعبر بالنوم هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع) ووقع للدلجى هنا زيادات وكذا فيما قبله مكررات ليست فى الاصول المعتمدة والنسخ المعتبرة (ويقويه) أى ويؤيده التعبير بالنوم عن الاضطجاع (قوله) أى فى الحديث (فى رواية عبد بن) بالوصف لا بالاضافة (حميد) بالتصغير وهو حافظ كبير شهير واسمه عبد الحميد وعبد لقب له (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم امام حافظ يروى عن الحسن وعطاء وخلق وعنه ابن مهدى وغيره قال أحمد ثبت عند كل المشايخ أخرج له أصحاب الكتب الستة (بينا أنا نائم وربما قال مضطجع وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة وهو ابن خالد القيسى الجهنى أبو خالد البصرى الحافظ المسند ويقال له هداب عن همام بن يحيى وحماد ابن سلمة وجرير بن حازم وعنه البخارى ومسلم أبو داود والبغوى وأبو يعلى قال ابن عدى لا أعرف له حديثا منكرا قال الحلبى وفى نسخة معاوية بدل هدبة وهو غير صحيح (عنه) أى عن همام (بينا أنا نائم فى الحطيم) قال الدلجى أى بين الركن والباب وفيه ان هذا أحد الملتزم نعم قد يطلق ويراد به ما بين الركن الاعظم والمقام وزمزم لكن الاظهر انه يراد به الحجر لقوله (وربما قال فى الحجر مضطجع) وسمى حطيما لما حطم من جداره (انما فلم يسو ببناء البيت على ماذكره البغوى وسمى حجرا لانه حجر عن البيت أى من ادخاله فيه فؤداهما واحد وهو المستدير بالبيت جانب الشمال وعن مالك الحطيم ما بين المقام الى الباب وعن ابن جريج ما بين الركن والمقام والله تعالى أعلم بالمرام (وقوله) أى وكذا يقويه قوله (فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان فيكون) أى النبى عليه الصلاة والسلام (سمى هيئته) أى الاضطجاع (بالنوم لما كانت) أى تلك الهيئة (هيئة النائم غالبا) وقيده به اذ قد ينام وهو قاعد أو مستلق ونحو ذلك (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم) أى من ذكره (وذكر شق البطن ودنو الرب) أى قربه المنزه عن المكان (الواقعة) بالنصب صفة الزيادات أو بدل منها أى التى وقعت (فى هذا الحديث) أى من أحاديث الاسراء

فى حديث الاسراء لا يصح فى بعضها أن يكون مناما * فان قيل يجوز أن يكون رأى ذلك فى المنام * قلنا وكذا يجوز أن يكون رأى فى منامه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى بهم أيضا لا ان يفرق بينهما (والعله كان له) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى هذا الاسراء حالات) فكان فى بعضها نائما غاضا البصره تادبا أولئلا يرى سوى ربه وفى بعضها مستيقظا وفى بعضها بين النائم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذى وقع فيه هذا ملفق من أحاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المصنف كان أحسن لما مر (ووجه رابع) لتأييد كونه يقظة وتاويل ما يخالفه (وهوان يعبر بالنوم ههنا) فى هذه الرواية (عن هيئة النائم من الاضطجاع) بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قائم فهو استعارة أو مجاز مرسل للزومه غالبا النوم فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفى بعض النسخ اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفى بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم (ويقويه) أى يقوى هذا التاويل (قوله فى رواية عبد بن حميد) الآمام الحافظ المقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو أبو نصر عبد الرحمن بن الكشى ويقال الكجى بشين أوجيم (عن همام) بفتح الهاء وتشديد الميم الاولى ابن يحيى العوذى بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة وياء نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد امام ثقة أخرج له الستة وتوفى سنة ثلاث وستين ومائة (بينا أنا نائم وربما قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مضطجع) فتعبيره بهذا تارة وبهذا أخرى يشهد لانهما بمعنى (وفى رواية هدبة) بضم الهاء وسكون الدال المهملة والموحدة وتاء تانيث ابن خالد القيسى البصرى الحافظ الثقة روى له الشيخان وغيرهما وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين وفى بعض النسخ بدل هدبة معاوية (عنه) أى عن همام (بينا أنا نائم فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجع) تقدم الكلام فيه والتوفيق (وقوله فى الرواية الاخرى بين النائم واليقظان) يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع (فيكون سمى هيئته) أى هيئة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو هيئة النوم (بالنوم لما كانت) تلك الهيئة (هيئة النائم) حقيقة (غالبا) أى فى الغالب وبما ذكرناسابقا من ان هذا فى أول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا ينبو عنه السمع لان ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلاته بالانبياء عليهم الصلاة والسلام يأباه وأما قوله فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام فاول أيضا بما مر فلا ينافى هذا فتامله (وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب) أى قربه من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (الواقعة فى) رواية (هذا الحديث) أى حديث الاسراء

(انما هي من رواية شريك) وهو ابن عبد الله بن أبي نمر (عن أنس رضي الله تعالى عنه فهي) أي فهذه الزيادات المذكورة (منكرة) بفتح الكاف (من روايته) أي شاذة مخالفة لروايات سائر الثقاة (اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام) أي مرة عند مرضعته (وقبل النبوة) تأكيد لما قبله لان أول بعثة النبوة كان بعد أربعين سنة نعم ثبت شق صدره أيضا بجبل حراء عند نزول صدر سورة اقرأ أولا ويبعد ان شق صدره عند الاسراء أيضا كما صرح به السهيلي ان الشق وقع مرتين مرة في صغره ومرة في كبره عند رقيه الى العالم العلوي وكان لاول لازالة حظ الشيطان والآخر لملئ الحكمة والايمان لكن شريك منفرد بذلك في هذا الحديث وان وافقه السهيلي فيما هنالك هذا وقد روى الطيالسي والحارث في مسنديهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها ان الشق وقع مرة أخرى عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحي في غار حراء ومناسبته ظاهرة جدا وروى الشق وهو ابن عشر أو نحوها في قصة له مع عبد المطلب أخرجه أبو نعيم في الدلائل قال العسقلاني وروى مرة خامسة ولا يثبت لكن تعقبه بعض المتأخرين وقال رواه أبو نعيم من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عن آمنة قلت واذا ضم الى ذلك قصة شق الصدر في المنام فتكون سادسة (ولانه) أي شريكا (قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث) ويروى البعث (فهذا) أي فما ذكر كله (يوهن) من الايهان أو التوهين أي يضعف (ما وقع في رواية أنس رضي الله تعالى عنه) أي من طريق شريك لكن قال العسقلاني في باب المعراج من كتاب المبعث استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الاسراء وقال انما وقع وهو صغير في بني سعد ولا انكار في ذلك فقد تواردت الروايات به وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم فاخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند المبعث زيادة في اكرامه ليبلغ ما أوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند ارادة العروج الى السماء ليتاهب للمناجاة ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما في شرعه انتهى وقال أيضا في كتاب التوحيد قد تقدم الرد على من أنكر شق الصدر عند الاسراء وبينت انه ثبت في غير رواية شريك في الصحيحين من حديث أبي ذر وان شق الصدر أيضا وقع عند البعثة كما أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة انتهى وقال العراقي قد أنكر وقوع الشق ليلة الاسراء ابن حزم وعياض وادعيا انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك في الصحيحين وقال القرطبي لا يلتفت لانكاره لانه رواية ثقاة مشاهير هذا ووقع شق الصدر الكريم أيضا في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه حين كان ابن عشر سنين وهي عند عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ذكره العسقلاني وقال صاحب الآيات البينات في حديث شق الصدر وهو ابن عشر سنين رواه ابن حبان والحاكم والضياء في المختارة وصححوه (مع ان أنسا قد بين من غير طريق) أي من طرق كثيرة (انه) أي أنسا (انما رواه) أي الحديث (عن غيره) كمالك بن صعصعة وأبي ذر مرفوعا

(انما هي من رواية شريك عن أنس رضي الله تعالى عنه فهي منكرة من روايته) لامطلقا والانكار المراد به معناه اللغوي أو مصطلح المحدثين وهو رواية المتغير بسوء حفظه والمخالف للثقاة وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس بثبت (اذ شق البطن) أي بطنه وصدره صلى الله تعالى عليه وسلم (في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام) وهو عند مرضعته حليمة كما مر (وقبل النبوة) أي قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتهيئته للنبوة ومرة أخرى بعد مبعثه ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية تقتضي انها منكرة وقيل انه وقع أربع مرات عند حليمة وبحراء وليلة الاسراء ومرة أخرى في النوم الا ان ابن حجر قال ان هذه لم تثبت كما تقدم (ولانه) أي شريك (قال في) هذا (الحديث) الذي رواه عن أنس رضي الله تعالى عنه (قبل ان يبعث والاسراء بالاجماع) من المحدثين (كان بعد المبعث) مصدر ميمي بمعنى البعث وقد تقدم الكلام فيه (فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء أي يضعف أو تخفيفها لانه يقال وهنه وأوهنه فوهن أي ضعف (ما في رواية أنس) هذه التي رواها شريك عنه (مع ان أنسا قد بين من غير طريق) أي من طرق متعددة لا من طريق واحدة (انه انما رواه عن غيره) من الصحابة كمالك بن صعصعة وأبي ذر عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهو مرسل الصحابي وفيه ان مرسل الصحابي اذا روى من طريق مقبول فهذا لا يضعفه

(وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من غير واسطة (فقال) أي أنس (مرة) أي في رواية (عن مالك بن صعصعة) وهذا لا يضر لان مراسيل الصحابة بالاتفاق مقبولة محجوج بها (وفي كتاب مسلم لعله عن مالك ابن صعصعة على الشك) أي من الراوي عن أنس (وقال مرة كان أبو ذر يحدث) ولا منع من الجمع بان أنسا سمع الحديث منهما جميعا فتارة أضاف الى واحد وأخرى الى آخر فتدبر ثم رأيت الحلبي ذكر انه قال الحاكم في الاكليل حديث المعراج صح سنده بلا خلاف بين الائمة نقله العدل عن العدل ومدار الروايات فيه على أنس رضي الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وبعضه من أبي ذر وبعضه عن مالك يعني ابن صعصعة قال وبعضه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه (وأما قول عائشة) أي كما رواه ابن اسحق وابن جرير (ما فقد جسده) بصيغة المجهول وفي أصل الدلجي وهو رواية ما فقدت بصيغة المتكلم (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ) أي حين اذ وقع الاسراء (زوجه) بالاضافة وفي نسخة زوجة أي له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا في سن من يضبط)

بضم الموحدة وكسرها أي بل ولا كانت حينئذ في سن من يحفظ الامور (ولعلها لم تكن ولدت بعد) بضم الدال أي تلك الساعة (على الخلاف في الاسراء) أي بناء على الاختلاف الواقع للعلماء في زمن الاسراء (متى كان فان الاسراء كان في أول الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث) ويروى البعث بدل المبعث (بعام ونصف) وهو مخالف لما نقله النووي فيما مر عنه من انه بعده بخمسة أعوام (وكانت عائشة في الهجرة) أي زمنها (بنت نحو ثمانية أعوام) فكان الاسراء على هذا قبل ولادتها بنحو ثلاثة أعوام ونصف اذ قد مكث بمكة بعد البعثة ثلاثة عشر عاما

(وقد قيل كان الاسراء لخمس) أي من السنين (قبل الهجرة وقيل قبلها بعام والاشبه) أي الاظهر (انه لخمس) أي قبل الهجرة وهو مخالف لما حكاه النووي عنه ثم اختلف في الشهر الذي أسري به صلى الله تعالى عليه وسلم فيه فقيل في الربيع الاول وجزم به النووي في الفتاوى وقيل في الربيع الآخر وبه جزم أيضا في شرح مسلم تبعا للقاضي المصنف وقيل في رجب وجزم به النووي أيضا في الروضة وقال الواقدي في رمضان وقال الماوردي في شوال والله تعالى أعلم بالحال هذا ومعظم السلف والخلف من المحدثين والفقهاء ان الاسراء كان بعد البعثة لستة عشر شهرا على ما نقله النووي عن الحربي قال السبكي الاجماع على انه كان بمكة والذي نختاره ما قاله شيخنا أبو محمد الدمياطي انه قبل الهجرة بسنة وهو في الربيع الاول قال ولا احتفال بما تضمنته التذكرة الحمدونية انه في رجب واحياء المصريين ليلة السابع والعشرين منه بدعة

(وانه لم يسمعه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) بيان لانه سمعه من غيره (فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك) من مسلم فلعل مستعارة من الترجي بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على أنس رضي الله تعالى عنه وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه من أبي ذر وبعضه من أبي هريرة (وقال) أنس (مرة كان أبو ذر يحدث) أي ينقل حديث الاسراء السابق عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وأما قول عائشة) رضي الله تعالى عنها (ما فقد جسده) صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابنا اسحق وجرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد الى ضميرها والاسناد للفاعل وهو في هذه الرواية مبني للمجهول (فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة) له صلى الله تعالى عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها أو قبل ولادتها كما أشار اليه بقوله (لانها لم تكن حينئذ) أي في وقت الاسراء وزمانه (زوجة) له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا في سن من يضبط) بالتحتية والفوقية أي لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة أو هي حدثت به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير أي قال فلان أو فلانة ما فقدت الى آخره وهو في غاية البعد كما قيل (ولعلها لم تكن ولدت) بالبناء للمجهول (بعد) مبني على الضم أي بعد هذه القصة ووقوعها وهي ضد قبل ويستعملان في التقدم والتأخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شائع وحينئذ لا ينبغي ان ينسب لها هذا القول اذ لم يثبت كما سياتي وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه (على الخلاف في) زمن (الاسراء متى كان فان الاسراء كان في أول الاسلام) بمكة قبل الهجرة (على قول) محمد بن مسلم بن شهاب (الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في) وقت (الهجرة بنت ثمانية أعوام) فعلى هذا لم تكن ولدت في زمن الاسراء (وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة) هذه اللام توقيتية أي وقته هو سنة خمس كما فصله النحاة في باب العدد وفصل التاريخ (وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه) أي القول الاصح الاولى والاحسن (انه لخمس) لان مثله يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذي لا نظير له

(والحجة

(والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا) أى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الادلة والحجج بل الاكتفاء بما صح من اوصافه صلى الله تعالى عليه وسلم أو المراد ان مقصوده الاختصار وعدم التطويل وتفصيله كما فى المقتفى لابن المنير قال الاقوال فيه كثيرة أصحها عندى قول ابراهيم الحربى انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحق أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفى مسلم عن شريك انه قبل ان يوحى اليه ولا يصح هذا بوجه الا على القول بانه منام كما وقع لعائشة انه كان بالمدينة ورجح القاضى عياض القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحق انه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا بان خديجة رضى الله عنها صلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم وهى ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا فى الاسراء وهو غير وارد لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلى قبل الاسراء صلاة غير الخمس على خلاف فيها والحجة لنا فى ترجيحه ان كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربى عين فيه ليلته بعينها من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل فى القصة زائد فالمفصل أحضر ذهنا وأوعى قلبا ممن أجمل وعليه الفقهاء فى كتاب الشهادة اذا أرخت احدى البينتين واليوم الذى أسفرت عنه ليلة الاسراء يوم الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الاول واذا كان الثانى عشر من الشهر يوم الاثنين كان أوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت أو الاحد أو الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها أو رابعة أو سادسة وأعدل الاحتمالات الخامس والجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص الى آخر ماذكره وقدمناه (فاذا لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الاسراء (عائشة) رضى الله تعالى عنها (دل) عدم مشاهدتها (على انها احدثت بذلك عن غيرها) من الصحابة فحديثها من مرسلات الصحابة فهو صحيح أيضا كما عليه المحدثون الا انه لم يوفق بينه وبين غيره (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) الظاهر ان يقول فيرجح خبر غيرها على خبرها لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته عنها كما سيأتى (وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا) أى صريحا فان النص له معان منها هذا (فى حديث أم هانئ) وفى نسخة من حديث أم هانئ بيان لما (وغيره) كحديث أبى ذر ومالك بن صعصعة وأبى هريرة وقد قيل عليه ان حديث أم هانئ المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له (وأيضا) منصوب على المصدر به مصدر آض بمعنى رجع (فليس حديث عائشة) أى قولها ما فقدت جسده (بالثابت) عنها عند المحدثين لما فى متنه من العلة القادحة وفى سنده محمد بن اسحق وقد ضعفه مالك وغيره (والاحاديث الأخر) الواردة فى الاسراء عن غيرها (أثبت) أكثر ثبوتا وأصح من حديثها (لسنا نعنى) أى لا أريد أنا وغيرى من المحدثين بقولنا انها أثبت (حديث أم هانئ) وقولها ما أسرى به صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما) أى وحديث عن غيرها كحديث عمر رضى الله تعالى عنه الذى (ذكرت فيه خديجة) رضى الله تعالى عنها

(والحجة لذلك) أى الابطال كونه مناما ذكره الدلجى والاظهر ان يكون مراده لما ذكره من الادلة والاقوال المختلفة فى تاريخ وقت المعراج بخصوصه (تطول ليست من غرضنا) فضربنا صفحا من اطالتها لئلا يقع أحد فى حد ملالتها (فاذا لم تشاهد ذلك عائشة) أى سواء ولدت قبله أو بعده (دل على انها احدثت بذلك عن غيرها) أى بتاء المتكلم حكاية لقول من أخبرها بانفيا على صورته الاولى كقولك لمن قال هذه تمرتك دعنى من تمرتك قال ذو الرمة سمعت الناس ينتجعون غيثا برفع الناس أى سمعت هذا القول فكأنها قالت سمعت من فلان أو فلانة ما فقدت جسد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (فلم يرجح خبرها على خبر غيرها) أى لروايتها عن مجهول بل لعدم ثبوته (وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا فى حديث أم هانئ وغيره) أى وفى غيره حديث أم هانئ كحديث أبى ذر ومالك بن صعصعة (وأيضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع والمعنى وقلت معاودا (فليس حديث عائشة رضى الله تعالى عنها) أى ما فقدت جسده (بالثابت) أى عند أئمة الحديث لقادح فى سنده عنها اذ فيه ابن اسحق وقد تكلم فيه مالك وغيره (والاحاديث الأخر) بضم ففتح جمع آخر أى الواردة فى الاسراء (أثبت) أى أكثر ثبوتا وأصح رواية من حديثها (لسنا) وفى نسخة صحيحة ولسنا (نعنى) أى لا نريد بقولنا والاحاديث الآخر أثبت (حديث أم هانئ) أى ما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا وهو فى بيتى (وما ذكرت فيه خديجة) بصيغة المفعول أى ولا نعنى حديث عمر الذى ذكرت فيه خديجة لعدم ورودهما فى الصحيح

لانهما لم يردا فى الصحيح بل أحاديث أخر تعارضها غير هذين (وأيضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) باسناد الفعل المعلوم لضميرها كما روى مافقد بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر (ولم يدخل بها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الا بالمدينة) والاسراء كان بمكة وهى صغيرة ليست عنده أولم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم صحته وتاويله بما علمت من هذا أو بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد (وكل هذا) أى ذلك المذكور سابقا ولاحقا ما سبق وما تأخر (يوهنه) بالتشديد والتخفيف أى يضعفه (بل الذى يدل عليه) أى الذى يدل على ماذكر من عدم صحته عنها (صحيح قولها) أى ماصح عنها رضى الله تعالى عنها من رواية أخرى (انه) أى الاسراء (بجسده الشريف لانكارها رؤياه لربه) ليلة الاسراء (رؤيا عين) فان هذا يدل على انه أسرى بجسده صلى الله تعالى عليه وسلم الا انه لم ير ربه عيانا (ولو كانت) الرؤيا فى الاسراء (عندها مناما لم تنكره) لان الرؤيا المنام جائزة وانما الكلام فى رؤيا العيان والخلاف فيها فنزاعها فى ذلك الآتى يدل على ماذكروه وهذا يدل على ان لها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس وصف قولها بانه صحيح مناقضا لما مر من الطعن فى حديثها الا ان هذا رواية أخرى لها وماقيل من انه مؤيد لكونه مناما عندها ناشئ من عدم التدبر (فان قيل) فى رد كونه يقظة (قال الله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى فجعل مارآه للقلب) أى أثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلقها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب وله معان أخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل أو بمقدر أى مسند للقلب (وهذا) الجعل أو المذكور (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالجر عطفا على نوم (لامشاهدة عين وحس) بصرى والعطف تفسيرى (قلنا) فى الجواب عنه (يقابله) أى يعارضه فيسقط عن مرتبة الاحتجاج وستاتى الاشارة الى انه لايعارضه أيضا (مازاغ البصر وماطغى) زاغ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية المتحققة بل أثبتها وتيقنها (فاضاف الامر) أى أمر الرؤية (للبصر) يقابله أيضا ما (وقد قال أهل التفسير) فى تاويله أى معناه حتى لايعارضه وينافيه (فى) تفسير (قوله ما كذب الفؤاد مارأى أى) معناه (لم يوهم القلب العين) فهو مقول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين منصوب مفعوله وقوله (غير الحقيقة) مفعول ثان له لانه ينصب مفعولين وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة ونقل عن بعض الشروح انه يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل تقدم أو تاخر وتوقف فى فهمه التلمسانى وليس بمحل توقف لان المراد ان البصرة والبصيرة متفقان لم يخالف أحدهما الآخر لوقوفهما على الحقيقة لان العين قد ترى أمرا ثم يتبين خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيأ فيشاهد خلافه والحاصل ان مارآه ليس تخييلا كاذبا بل أمرا محققا تواطأ عليه العين والقلب وماقيل من ان الامور القدسية يدركها القلب أولا ثم يوردها على البصر ليس بمسلم (بل صدق رؤيتها وقيل) فى التوفيق بينهما ودفع التناقض (ما أنكر قلبه) صلى الله تعالى عليه وسلم (مارأته عينه) وهذا

(وأيضا فقد روى فى حديث عائشة مافقدت) أى جسده (ولم يدخل بها الا بالمدينة) جملة حالية مؤذنة بعدم صحة حديث مافقدت عنها اذ الاسراء كان بمكة اجماعا (وكل هذا) أى وكل ذلك سابقا ولاحقا (يوهنه) أى بالوجهين أى يضعف حديث مافقدت ويروى يوهنونه بفتح الواو وكسر الهاء مشددة وبالواو وضمير الجماعة ذكره الحجازى وفيه نظر (بل الذى يدل عليه صحيح قولها انه) بفتح الهمزة وكسرها أى ان اسراءه كان (بجسده لانكارها ان يكون رؤياه لربه) أى ليلة الاسراء (رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره) أى لم تنكر كون رؤيته لربه مناما (فان قيل فقد قال الله تعالى ماكذب الفؤاد مارأى فقد جعل مارآه للقلب) أى لا للبصر (وهذا) أى الجعل (يدل على انه رؤيا نوم ووحى) بالرفع عطف على رؤيا وقد أبعد الدلجى فى قوله ووحى بالجر عطف على نوم أى رؤيا وحى فيه (لامشاهدة عين وحس) أى لا على انه مشاهدة عين وحس بصرى فهو عطف تفسيرى وقال الانطاكى مشاهدة نصب أى لارؤيا مشاهدة عين فحذف المضاف وأعرب المضاف اليه باعرابه انتهى وبعده لايخفى (قلنا) أى فى الجواب عنه (يقابله) أى تعارضه (قوله تعالى مازاغ البصر وماطغى) أى مامال عما رآه وما تجاوزه (فقد أضاف الامر) فى الرؤية (الى البصر وقد قال أهل التفسير فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى أى لم يوهم القلب) بالرفع (العين) بالنصب وفى نسخة عكس ذلك (غير الحقيقة) أى غير حقيقة مارآه (بل صدق رؤيتها) ويؤيده قراءة التشديد (وقيل ما أنكر قلبه مارأت عينه) أى فيكون ضمير رأى راجعا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى الفؤاد والله تعالى أعلم بالمراد وحاصله وماقبله انه لم يقل قلبه لما رأى لم أعرفك ولو قاله لكذب اذ قد عرفه كما عرفه بصره اذ الامور القدسية يدركها القلب أولا ثم يوردها على البصر ثانيا دليل حديث مسلم هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى كذا قرره الدلجى ولايخلو عن خلجان فى القلب لعله تظهر بعد ذلك بتوفيق الرب

(فصل) (وأما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه جل) أى عظم شأنه (عز) أى وغلب سلطانه (فاختلف السلف فيها) أى فى رؤيته له سبحانه وتعالى بعين بصره (فانكرتها عائشة رضى الله تعالى عنها) أى كونها او وقوعها أو قول مسروق لها هل رأى محمد ربه وفى أصل الدلجى فانكرتها عائشة أى الرؤية المذكورة (حدثنا أبو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ) أى للحديث (بقراءتى عليه قال حدثنى أبى) أى عبد الملك ووهم الحلبى فى قوله أبوه هو القاضى سراج وكانه وقع فى أصله أبو الحسين بن سراج وهو مخالف للنسخ المعتمدة (وأبو عبد الله بن عتاب) بفتح فتشديد (قالا) أى كلاهما (حدثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم ميم فغين معجمة مكسورة فتحتية فمثلثة قال ابن ماكولا فى اكماله وأبو محمد بن عبد الله بن محمد بن مغيث الاندلسى يعرف بابن الصفار مشهور بالعلم والادب جمع من اشعار الخلفاء من بنى أمية كتابا وابنه يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث أبو الوليد قاضى الجماعة بقرطبة سمع أبا بكر محمد ابن معاوية القرشى المعروف بابن الاحمر والعباس بن عمر والصقلى وروى عنه أبو عمر بن عبد البر النمرى وأبو محمد بن حزم قاله الحميدى (ثنا أبو الفضل الصقلى) بكسر الصاد وسكون القاف نسبة الى صقلية جزيرة من جزائر بحر الغرب ذكره الحلبى وغيره وضبط فى بعض النسخ بضم الصاد وضبطه ابن خلكان بفتحتين وتبعه الحجازى وزاد تشديد اللام وقال التلمسانى بفتح الصاد والقاف وكسرهما واللام مخففة فيهما (ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده) أى قاسم وثابت (قالا) أى كلاهما (ثنا عبد الله بن على ثنا محمود بن آدم) هو مروزى يروى عن ابن عيينة وأبى بكر عياش وجماعة وعنه البخارى وأبو بكر بن أبى داود وطائفة توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (ثنا وكيع) تقدم ذكره (عن ابن أبى خالد) هو اسمعيل بن سعيد البجلى الكوفى عن ابن أبى أوفى وأبى جحيفة وقيس وخلق وعنه شعبة وغيره حافظ امام وكان طحانا تابعى ثقة أحد الاعلام أخرج له الائمة الستة (عن عامر) وهو الصواب لا ما وقع فى بعض النسخ عن مجاهد ذكره الشمنى وزاد الحلبى فانه ليس له شئ من الكتب الستة عن مسروق وهو عامر بن شرحبيل أبو عمرو الشعبى الهمدانى قاضى الكوفة أحد الاعلام ولد فى خلافة عمر وروايته عن على فى البخارى وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه والمغيرة وخلق قال أدركت خمسمائة من الصحابة وقال ما كتبت سوادا فى بياض ولا حدثت بحديث الا حفظته مات سنة ثلاث ومائة أخرج له الائمة الستة وقال الدلجى قد روى المصنف هنا حديث مسلم بسند آخر شاهدا

قريب مما قبله ولتعارضهما ظاهرا لم يدرجه فى حجج ابطال كونه مناما ويعطفه عليه وأورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل على ثبوت الرؤية تبين سقط ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانه لا فرق بين الجوابين لان المراد انه لم يطرأ عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشككه فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه

(فصل وأما رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه عز وجل) بعينه يقظة فى اسرائه بجسده والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان أطلقت على غيرها تكون على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم (فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضى الله عنها) ذكر ضمير الرؤية لان تانيث المصدر غير معتبر او باعتبار الوقوع كما قيل وفى بعض النسخ فانكرتها وهى ظاهرة وانكارها لها وقع فى مسلم وغيره كما أشار اليه المص بقوله (حدثنا أبو الحسين سراج) بكسر السين وفتح الراء المهملة المخففة وآخره جيم (ابن عبد الملك) المراد بالملك الله فى الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبى وهو امام حافظ شيخ المصنف رحمه الله تعالى وجده وزير لغوى جليل القدر (الحافظ بقراءتى عليه) تقدم الكلام فيه (قال حدثنى أبى وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه) تقدمت ترجمته (قالا حدثنا القاضى يونس بن مغيث) بضم الميم وكسر الغين المعجمة والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة ويونس مثلث النون كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الانصارى المعروف بابن الصفار ولد فى رجب سنة سبع وأربعين وأربعمائة وتوفى بقرطبة سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة ثمان من جمادى الاولى (قال حدثنا أبو الفضل الصقلى) بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس (قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن أبيه وجده) ثابت بن حزم العوفى السرقسطى وأبوه أبو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث يروى عن أبيه وجده وعمر جده حتى قرأ عليه وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التاليف والشيوخ والرحلة وولد أبوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة (قالا حدثنا عبد الله بن على قال حدثنا محمود بن آدم) هو المروزى توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين (قال حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى الحافظ الثقة ولد سنة تسع وعشرين ومائة وتوفى سنة ست أو سبع وسبعين ومائة (عن ابن أبى خالد) هو اسماعيل بن سعيد البجلى الكوفى توفى سنة خمس أو ست وأربعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عامر

لانكارها ذلك يقظة وهو بفتح الشين وسكون العين واختلف في نسبته وقد يضرب به المثل في الحفظ فيقال احفظ من الشعبي وقال الزهري العلماء أربعة ابن المسيب بالمدينة والشعبي بالكوفة والحسن بالبصرة ومكحول بالشام وقال مكحول ما رأيت أفقه من الشعبي في زمانه (عن مسروق انه قال لعائشة يا أم المؤمنين هل رأى محمد ربه) يعني ليلة الاسراء في حال اليقظة (فقالت لقد قف شعري) بفتح القاف وتشديد الفاء من القفقفة وهي الرعدة أي اقشعر وقال شعر جسدي من الفزع (مما قلت) أي طالبا مني تصديقي بثبوت رؤيته لربه أولا ثبوتها أو لكوني سمعت ما ينبغي ان يقال (ثلاث من حدثك) كذا بكاف الخطاب ثبت بخط القاضي المصنف وعند العرفي بحذفها وكلاهما صحيح والمعنى من أعلمك أو روى وأخبر (بهن فقد كذب) وفي نسخة كذبك أي افترى فرية بلا مرية فيهن و بيانها قولها (من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) أي للاستشهاد على دعوى المراد (لا تدركه الابصار الآية) أي وهو يدرك

الابصار وهو اللطيف الخبير وأجيب بان الآية دالة على انه لا تحيط به ولا بحقيقته حاسة بصر اذا تجلى بنور كماله وصفة كبريائه وجلاله لحديث مسلم نور اني أراه أي حجابه نور فكيف أراه اذ كمال النور يمنع الادراك من غاية الظهور وأما اذا تجلى بما يسعه نطاق القدرة البشرية من صفات جماله الصمدية فلا استبعاد لرؤيته بدون احاطة فنفي الآية رؤيته على سبيل الاحاطة لا يوجب نفي رؤيته بدونها الا محالة (وذكر) مسروق (الحديث) أي الخ قال التلمساني الاولى هذه والثانية قولها رضي الله تعالى عنها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد أعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية انتهى وزاد الانطاكي ولكنه رأى جبريل مرتين وقال الغزالي في الاحياء والصحيح ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة المعراج لكن النووي صحح الرؤية في الفتاوى ونقله عن المحققين والله سبحانه وتعالى اعلم قال الحلبي هذا الحديث الذي ساقه القاضي هنا هو في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري في التفسير عن يحيى عن وكيع بالسند الذي ساقه القاضي وهو بدل ولو رواه القاضي من طريق البخاري كان يقع له أعلى من هذا وسبب عدول القاضي عن اخراج هذا الحديث من أحد هذه الكتب مع انه بين القاضي و بين شيخ الشيخ البخاري و كيع سبعة وهذا الذي ساقه بينه و بين وكيع ثمانية فالذي في الصحيح أعلى ليتنوع وليظهر كثرة الشيوخ والمسموعات والله سبحانه وتعالى أعلم بالنيات (وقال جماعة) أي من المحدثين والمتكلمين (بقول عائشة

عن مسروق انه قال لعائشة) رضي الله تعالى عنها (يا أم المؤمنين رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) عز وجل ليلة الاسراء بقرينة السؤال لانها لا تنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام (فقالت) مجيبة له (لقد قف شعري) القفيف في الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون هذا غالبا عند الفزع والخوف القوي (مما قلت) أي خفت من كلامه ان يهلك الله من قاله واستمعه لانه أمر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمساني قف بمعنى اقشعر وأصله ان الجلد ينقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستعظامه وما في قولها مما قلت مصدرية أو موصولة (ثلاث من حدثك بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت) مستدلة لما قالته (لا تدركه الابصار الآية) بناء على ان الادراك شامل للرؤية وانه حكم كلي فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة أي لا يحيط به الابصار ولا تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلي سلب جزئي لم يكن في الآية دليل ما ذكر و يأتي بيانه عن قريب وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفي الرؤية مطلقا وردّه أهل السنة كما فصل في كتب الاصول وروي في بعض النسخ من حدث بلا كاف عن العزفي والثلاث الاولى هي هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الى آخره والثالثة من زعم انه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد أعظم الفرية ثم قرأت ان الله عنده علم الساعة الآية واعلم ان هذا الحديث في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري عن يحيى عن وكيع بسند المصنف رحمه الله تعالى فهو بدل أو موافقة كما فصله البرهان (وذكر) مسروق (الحديث) بتمامه كما سمعته آنفا من ذكر الثلاث قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت يا أم المؤمنين أنظريني ولا تعجلي ألم يقل الله تعالى ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين كما رواه مسلم (وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسراء (بقول عائشة) رضي الله تعالى عنها

وهو المشهور) أى كما رواه الشيخان (عن ابن مسعود) انه رأى جبريل (ومثله) أى فى كونه مشهورا ما رواه البخارى (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) انه قال (انما رأى جبريل عليه السلام واختلف عنه) أى عن أبى هريرة اذ قد روى عنه انه قال رآه بعينه كابن مسعود وأبى ذر والحسن وابن حنبل (وقال بانكاره هذا وامتناع رؤيته فى الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين) جوزان يكون المشار اليه ما لم يشتهر من قول أبى هريرة انه رآه بعينه وان يكون ما أنكرته عائشة أى بانكار ما أنكرته وفاقا لها ولذا أكده بالجملة الثانية دفعا لتوهم كون انكارهم انكارها كذا حققه الدلجى ونقل الحلبى انه حكى أبو عبد الله ابن امام الجوزية عن عثمان بن سعيد الدارمى الحافظ لما ذكر مسئلة الرؤية ما لفظه وهى مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماعا للصحابة (وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه رآه بعينه) وبه قال أنس وعكرمة والربيع (وروى عطاء عنه) أى عن ابن عباس (بقلبه) أى انه رآه بعين بصيرته وعطاء هذا هو ابن أبى رباح بفتح الراء وبالموحدة أبو محمد المكى الفقيه أحد الاعلام يروى عن عائشة وأبى هريرة رضى الله تعالى عنهما وخلق وعنه أبو حنيفة والليث والاوزاعى وابن جريج وأمم أخرج له الأئمة الستة وقد أخرج هذا الحديث مسلم عن عطاء عن ابن عباس فى صحيحه فى باب الايمان عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن حفص بن غياث عن عبد الملك ابن أبى سليمان عن عطاء عنه به (وعن أبى العالية عنه) أى عن ابن عباس (رآه بفؤاده مرتين) وأبو العالية هذا هو رفيع بن مهران الرياحى بكسر الراء والمثناة تحت وهذه الرواية أخرجها مسلم فى الايمان (وذكر ابن اسحق) أى محمد بن اسحق بن يسار الامام فى المغازى عن عبد الله ابن أبى سلمة (ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل رأى محمد ربه) أى بعين بصره اذ لا خلاف فى رؤيته ببصيرته (فقال نعم) والحاصل انه اختلفت الرواية عن ابن عباس فى مسئلة الرؤية (والاشهر عنه) أى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينيه روى ذلك) أى القول الاشهر (عنه من طرق) أى باسانيد متعددة اقتضت الشهرة (وقال) أى فى بعض طرقه وهو ما رواه الحاكم والنسائى والطبرانى ان ابن عباس قال تقوية لقوله انه رأى ربه بعينه (ان الله اختص موسى بالكلام) أى من بين سائر الانبياء عليهم السلام فلا ينافى انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقع أيضا له الكلام على وفق المرام وكذا قوله (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء فانه صلى الله تعالى عليه وسلم جمع له بين كونه خليلا وحبيبا (ومحمدا بالرؤية) أى البصرية هذا ولا منافاة بين قول ابن عباس رآه بعينه وبين قوله رآه بفؤاده لامكان الجمع بينهما بثبوت الرؤية للبصر والبصيرة كما يشير اليه قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أى ما كذب فؤاده مرئيه بل صدقه وطابقه ووافقه

عنها (وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله) أى مثل قول ابن مسعود وعائشة (روى عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى تفسير قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى (انه) بفتح الهمزة (قال) أى أبو هريرة (انما رأى جبريل) لا ربه عز وجل كما قيل فاتى بصيغة انما للرد على من فسر الآية بما ذكر (واختلف) بالبناء للمفعول فى النقل (عنه) أى عن أبى هريرة فروى عنه انه قال رآه بعينه كغيره وفى رواية أخرى أنكره (وقال بانكار هذا) القول المجوز لرؤيته ووقوعه (وامتناع رؤيته تعالى فى الدنيا) وجوازه فى الآخرة (جماعة من المحدثين) انكروا صحة نقله عنه صلى الله تعالى عليه وسلم (والفقهاء) ذكروه فى مباحث الردة والكفر وان أحد لو قال رأيت الله بعينى فى الدنيا هل يكفر أم لا (والمتكلمين) من علماء أصول الدين والخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى هذه المسئلة وادلتها مشهور فى كتبهم حتى انه أفرد بالتأليف (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه) أى عن ابن عباس (انه رآه بقلبه) وعطاء هو ابن أبى رباح الفقيه المكى (وعن أبى العالية) وهو رفيع بن مهران الرياحى وقيل هو زياد بن فيروز وقيل اسمه فيروز (عنه) أى عن ابن عباس انه (رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحق) صاحب المغازى عن عبد الله ابن أبى سلمة (ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم) مراده هل رآه يقظة بعينه فقوله (والاشهر عنه) أى عن ابن عباس (انه رأى ربه بعينه) وفى نسخة بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التى قبله وان كانت ظاهرة انه غيره لتخالفهما فى العبارة (وروى ذلك عنه من طرق) أى باسانيد مختلفة لفظا لا معنى يقوى بعضها بعضا وهو لا ينافى ما روى عنه انه رآه بفؤاده فهو كقوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ما زاغ البصر وما طغى كما مر (وقال) أى ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائى والطبرانى وهو فى معنى ما قبله فى ان الرؤية فيهما بصرية (ان الله اختص موسى بالكلام) بغير واسطة لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما (وابراهيم بالخلة) بضم الخاء المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا (ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالرؤية) البصرية لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله تعالى عليه وسلم قيل

(وحجته) أى دليل ابن عباس أى على انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه (قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى) أى بعينه اذ لا يقال ما كذب الفؤاد رأى بقلبه فالمعنى ما اعتقد قلب محمد خلاف مارأى ببصره وهى مشاهدة ربه تعالى بفؤاده بجعل بصره فيه أو ببصره بجعل فؤاده فيه لان مذهب أهل السنة ان الرؤية بالارادة لا بالقدرة هذا والراجح كما قال النووى عند أكثر العلماء انه رآه بعينى رأسه ليلة الاسراء واثبات هذا ليس الا بالسماع منه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مما لا شك فيه وانكار عائشة وقوعها لم يكن لحديث روته ولو كان لحديث ذكرته بل احتجت بقوله تعالى لاتدركه الابصار قلنا المراد بالادراك الاحاطة اذ ذاته تعالى لاتحاط ولا يلزم من نفيها نفى الرؤية بدونها وبقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قلنا لاتلازم بين الرؤية والكلام لجواز وجودها بدونه كذا قرره الدلجى فيما نقله عن النووى وفيه انه لا يعرف حديث مسموع مرفوع بل كل من عائشة وابن عباس مستدل بآية من الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (أفتمارونه على مايرى) أى أفتشكون أو أفتجادلونه بالاستفهام الانكارى وانما وقع الجدل والشك فى رؤية البصر اذ لا يشك أحد فى رؤية البصيرة ولعل الاستدلال بهذه الآية بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والا فالظاهر ان الشك انما وقع من الكفار فى نفس الاسراء ومارأى فى عالم السماء (ولقد رآه نزلة أخرى) وهى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة عرجات لحط عدد الصلوات ولكل عرجة نزلة ذكره الدلجى وفى الاحتجاج بهذه الآية نظر ظاهر اذ جمهور المفسرين على ان ضمير المفعول راجع الى جبريل عليه السلام لا سيما اضعف الاحتمال اضعف الاستدلال (قال الماوردى) سبق ذكره (قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فرآه محمد مرتين) أى حيث كان قاب قوسين أو أدنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى مرتين) أى مرة وقت ارساله الى فرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه الى الطور وفيه ان قائل هذا مجهول فاستدلال به غير معقول

عليه ان الخلة والكلام ثبتا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا فتفريق هذه الخصائص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه الله فى الاسراء فى مقام أعلى والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلاة والسلام فى حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من وراء وراء وهذا الجواب لايجدى نفعا فالاولى ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة فى الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى فى هذه الدار أيضا وسيأتى بيانه (وحجته) أى دليله على الرؤية (قوله تعالى (ما كذب الفؤاد مارأى) أى ما اعتقد قلبه خلاف مارآه بصره فى مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما فى ان كلا منهما خلاف الواقع أى مارآه صلى الله تعالى عليه وسلم ببصره ليلة الاسراء لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عائشة رضى الله تعالى عنها ذلك فقد تقدم مافيه واستدلالها بقوله تعالى لاتدركه الابصار أجابوا عنه بوجوه منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئى لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول فى المكان كقول أصحاب موسى انا لمدركون أو الزمان كما يقال أدرك فلان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو الصفة كما يقال أدرك الغلام اذا بلغ وأدركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشئ المتناهى المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كان البصر قطع المسافة التى بينه وبينه حتى بلغه ووصل اليه فابصار ماليس فى جهة لايتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفى المطلقة وهذا تحقيق مافى التفسير وكتب الكلام (أفتمارونه على مايرى) أى أتجادلونه فى رؤيته لما رآه من مريت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كأن كلا من المتجادلين يمترى ما عند صاحبه لطلبه له (ولقد رآه نزلة أخرى) أى مرة أخرى قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانت له فى تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة لسماء أخرى لما راجع فى حط الصلوات وهذا مراده هنا (قال الماوردى) الامام الجليل أبو الحسن على بن محمد الشافعى صاحب التآليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوى وغيرهما وتقدمت ترجمتها وهذا نقله عنه ابن سيد الناس فى سيرته (وقيل ان الله قسم) أى جعل (كلامه ورؤيته) مقسومين (بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليهما وسلم فرآه محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (مرتين) حيث كان قاب قوسين أو أدنى وعند سدرة المنتهى (وكلمه موسى) عليه الصلاة والسلام (مرتين) مرة وقت ارساله لفرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق انه كلمه فى الدنيا مرارا عديدة فى مناجاته ولذا خص عليه الصلاة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه فى الدنيا بغير واسطة غيره ولا يلزم من هذا شرفه على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه منه فى حظائر قدسه لكن

لكون

الكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه كليما فاندفع ما مر (وحكى أبو الفتح الرازي) ليس هو الفخر الرازي كما توهم (وأبو الليث السمرقندي) الحنفي وقد قدمنا ترجمته والمحكي ما مر عن الماوردي كما أشار اليه بقوله (الحكاية) الذي ذكرها الماوردي (عن كعب) وليست ضعيفة وصيغة قيل في كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل * فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية والقسمة انما تكون في أمر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغي * قلت هذا وهم من قائله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله

قسم الاله الامر بين عباده * فالصب ينشد والخلي يسبح

(وروى عبد الله بن الحارث) كما ذكره الترمذي وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب البصري سكنا الوالي بها مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد في زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة أربع وثمانين ومن الرواة أيضا عبد الله بن الحارث أبو الوليد البصري حدث عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو زوج أخت محمد بن سيرين وجزم الشمني رحمه الله بانه هو المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوي ابن عباس كما مر (قال اجتمع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكعب) الاحبار (فقال ابن عباس انا نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين) خص بني هاشم لانهم أقرب اليه وأعرف بحاله لاسيما قبل الهجرة وكان اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو نصب على الاختصاص جاز وليس المراد بني هاشم ما سوى العباس وظاهره انه رأي واجتهاد منهم وهذا لا ينافي ما مر عن ابن عباس رضي الله عنهما لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المصنف (فكبر كعب) الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده (حتى جاوبته الجبال) أي رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز أن يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظاما له كقوله (وقال) أي كعب الاحبار (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه ورآه محمد بقلبه) فيكون منكرا لرؤيته بعين رأسه أو نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافي البصرية وعليه الشراح وانفراد موسى عليه الصلاة والسلام بكونه كليما مر من ان المراد كلامه مرارا في الارض فلا ينافي كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كلمه أيضا بغير واسطة كما مر (وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته (عن أبي ذر في تفسير الآية) المذكورة ما كذب الفؤاد ما رأى الآية وفيه نظر (قال رأى محمد) وفي نسخة بدله النبي (صلى الله عليه وسلم ربه) هذا كلام مجمل متفق عليه وقيل المراد انه رآه بقلبه بشهادة أول الآية وفيه نظر (وحكى السمرقندي) الحنفي المتقدم

(وحكى أبو الفتح الرازي) الله أعلم به كذا ذكره الدلجي وقال التلمساني هو سليمان بن أيوب مات غريقا سنة سبع وأربعين وأربعمائة (وأبو الليث السمرقندي) تقدم ذكره (الحكاية) أي التي ذكرها الماوردي (عن كعب) وفيه ان كعب الاحبار هو من أهل الكتاب والتوارية فلا يكون قوله حجة في هذه المسئلة (وروى عبد الله بن الحارث) هو زوج أخت محمد بن سيرين روى عن جماعة من الصحابة وروى هذا الحديث مرسلا كذا ذكره الشمني تبعا للحلبي وفي كون هذا الحديث مرسلا نظر ظاهر في المنقول ولا يخفى على من له المام بعلم الاصول وقال الانطاكي هو أبو الوليد عبد الله بن حارث البصري روى عن عائشة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس وابن عمر وغيرهم وعنه ابنه يوسف والمنهال بن عمرو وعاصم الاحول وخالد الحذاء وجماعة وثقه أبو زرعة والنسائي وأخرج له الائمة الستة (قال) أي عبد الله بن الحارث (اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال وقال) أي كعب أو ابن عباس (ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه) أي وبعينه أيضا قاله الدلجي أقول الظاهر ان هذا قول كعب وانه مخالف لقول ابن عباس وتكبيره كان لتعظيم الامر وتفخيم القدرة وأما ماقاله أبو الفتح اليعمري في سيرته في الاسراء ما لفظه وروينا من طريق الترمذي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شئ فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس انا بنو هاشم نقول ان محمدا رأى ربه فقال كعب ان الله تعالى قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين فقال الحلبي لم أر هذا الحديث في أطراف المزي فان كان في الجامع فلعله سقط من نسختي وان كان من طريقه في غير الجامع فلم أقف عليه قلت وعلى تقدير ثبوته فلعله عنه روايتان (وروى شريك عن أبي ذر في تفسير الآية) أي قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى (قال رأى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) فيه انه مبهم يحتمل احتمالين وأغرب الدلجي هنا حيث قال أي بقلبه بشهادة أول الآية وهو مناقض لما سبق عنه من تقرير الرواية بالبصرة تدبر (وحكى السمرقندي) أي كرواية ابن أبي حاتم

(عن محمد بن كعب) أى القرظى كما فى نسخة صحيحة وهو تابعى جليل (وربيع بن أنس) هو أيضا تابعى مشهور (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى ولم أره بعينى) وهذا الحديث صريح فى طرفى الاثبات والنفى ولا يضر كون الحديث مرسلا لانه حجة عند الجمهور لا سيما وقد اعتضد بما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا وأما قول الدلجى لعله فى المرة الاولى اذ قد روى ابن عباس انه رآه مرتين فلا يقاوم الحديث من وجوه يعلمها أهله (وروى مالك بن يخامر) بضم تحتية فخاء معجمة مخففة فالف فميم مكسورة فراء لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل يقال له صحبة والاصح انه تابعى روى عن جماعة

من الصحابة منهم عبد الرحمن بن عوف وروى عنه معاوية بن أبي سفيان وجماعة من التابعين وفى نسخة وروى عن مالك بن يخامر (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فيه احتمالان ان كان فى الاسراء لكن قال المزى حديث مالك ابن يخامر عن معاذ مبين فى بعض الروايات انه فى النوم (وذكر كلمة) أى جملة من الكلام وقال الانطاكى من دأب السلف اذا وقع فى الحديث لفظ يستعظمون التصريح به ان يعبروا عنه بقولهم وذكر كلمة أى كلمة عظيمة (فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث) وهذا حديث جليل ولفظه طويل ونفعه جزيل فلا بد من ايراده ليقع الوقوف على مراده فقد رواه أحمد وغيره عن معاذ قال صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنصب

صلاة الغدوة ثم أقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا أنا بربى فى أحسن صورة وهو حال منه صلى الله تعالى عليه وسلم أو من ربه ولا اشكال فيه كما قال البيضاوى اذ قد يرى النائم غير المتشكل متشكلا وعكسه ولا يعد ذلك خللا فى الرؤيا ولا فى خلد النائم فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى وفى رواية المصابيح فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت أنت أعلم أى رب مرتين قال فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى وفى رواية فوجدت برد أنامله بين ثديى فعلمت ما فى السماء والارض وفى الرواية الثانية فتجلى لى كل شئ وعرفت ما فى السماء والارض ثم تلا هذه الآية وكذلك

(عن محمد بن كعب القرظى) بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبنى قريظة وهو تابعى واسمه محمد كما تقدم (وربيع بن أنس) التابعى الذى تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادى ولم أره بعينى) وهذا يحتمل أن يكون فى المرة الاولى فانه روى عن ابن عباس وغيره انه رآه مرتين فلا ينافى ما مر وما قيل من ان المراد نفى مجرد الرؤية أو نفى رؤيته كسائر الاشياء المرئية تعسف لا ينبغى ذكره هنا (وروى مالك بن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها ألف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهو سكسكى حمصى يقال ان له صحبة والاصح انه تابعى روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المصنف وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين أو اثنين وسبعين وروى عنه جماعة (عن معاذ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال رأيت ربى) فى حديث رواه أحمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح أوله قال معاذ رضى الله تعالى عنه صلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الغداة ثم أقبل علينا فقال انى سأحدثكم انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ونعست وفى رواية فوضعت جنبى فاذا أنا بربى فى أحسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت أنت أعلم أى ربى فوضع كفه وفى رواية يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات والارض ثم تلا وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الى آخره ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه وروى يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم انى أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى وتتوب على واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون وهذا الحديث أخرجه أيضا الترمذى والبغوى فى المصابيح وهو تمثيل لتجلى الله له بلطفه وحسن معاملته وما أفاضه عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين وتحقيقه فى شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر القونوى وادراج بعض الشراح له هنا فى المتن كعادته غير متجه (وذكر كلمة) اشارة لما مر وهو اسم جمع الكلمة مضافا لضمير الله أو الحديث لادنى ملابسة (فقال) الله (فيم يختصم الملأ الاعلى) أى فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة بالخطايا ولذا أمره صلى الله تعالى عليه وسلم بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب (الحديث)

نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وماهن قلت المشى على الاقدام الى الطاعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وفى رواية خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه على المكاره وفى رواية فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكن من خطيئته كيوم ولدته أمه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام ثم قال قل اللهم انى اسئلك الطيبات وترك المنكرات وفعل الخيرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى وتتوب على واذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون قال الانطاكى واعلم ان من العلماء من امتنع عن الكلام فى تاويل قوله عليه الصلاة والسلام فى أحسن صورة منهم أحمد بن حنبل روى انه هجر ابا ثور فى تاويله قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق آدم على صورته ومنهم من تكلم فيه فقيل قوله فى أحسن صورة يحتمل أن يكون حالا من الرائى وهو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعناه رأيته وانا فى أحسن صورة وصفة من غاية انعامه ولطفه تعالى على ويحتمل أن يكون حالا من المرئى وهو الرب جل جلاله وصورته تعالى ذاته المخصوصة المنزهة عن المماثلة وقال الخطابى الصورة ترد فى كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشئ وعلى معنى صفته يقال صورة هذا الامر كذا وكذا أى صفته وقال وهو المراد هنا وقال فى جامع الاصول المراد انه أتاه فى أحسن صفته ثم المراد بالاختصام تقاولهم فى فضل تلك الاعمال وأى بفتح الهمزة بمعنى يا وقوله مرتين متعلق بقوله فقال فيم يختصم الخ أى جرى السؤال من ربى والجواب منى مرتين وقوله فوضع كفه بين كتفى كناية عن تخصيصه تعالى اياه بمزيد الفضل وايصال الفيض اليه والافلا كف ولا وضع حقيقة كما كان من عادة الملوك اذا أراد أحدهم أن يقرب بعض خدمه من نفسه ويذكر معه احوال مملكته أن يضع يده على ظهره ويلقى ساعده على عنقه تلطفا به وتعظيما لشانه والبرد الراحة والضمير فى بردها يعود الى الكف وأراد بقوله بين ثديى قلبه وهو كناية عن وصول ذلك الفيض الى قلبه انتهى

بالنصب أى اقرأ اواذكر (وحكى عبد الرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الائمة الستة وتوفى سنة احدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة (ان الحسن) البصرى السابق ذكره وترجمته (كان يحلف بالله لقد رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعين بصره (وحكاه أبو عمر الطلمنكى) عمر بزنة زفر وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقرئ أحمد بن عبد الله بن اب بن يحيى المغافرى الاندلسى عالم قرطبة ولد سنة أربعين وثلاثمائة وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة وروى عنه ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الاعلام (عن عكرمة) مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما (وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب) وهو رؤية الله بعينه (عن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه (وحكى ابن اسحق) محمد بن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازى وقد تقدمت ترجمته (ان مروان) بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رواية وانما له رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وميسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة أشهر وأياما وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة فى التواريخ (سال أباهريرة رضى الله تعالى عنه هل رأى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ربه) بعينه (فقال نعم

وهذا كله يحتاج اليه اذا صح الحديث فى اليقظة والله أعلم (وحكى عبد الرزاق) وهو ابن همام بن رافع الحافظ الكبير الصغانى احد الاعلام صاحب التصانيف روى عن عبيد الله ابن عمر وعن الاوزاعى والثورى ومعمر وخلائق وعنه أحمد واسحق وابن معين وجماعة وقد وثقه غير واحد وأخرج له الائمة الستة ونقموا عليه التشيع وهو غير ثابت فيه بل كان يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويبغض من قاتله وقد قال سلمة بن شبيب سمعت عبد الرزاق يقول والله ما انشرح صدرى قط ان أفضل عليا على أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم (ان الحسن) أى البصرى (كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه) فيه احتمالان (وحكاه) أى نقل مثله (أبو عمر الطلمنكى) بفتح الطاء المهملة واللام والميم فنون ساكنة فكاف مكسورة وهو الامام الحافظ المقرئ أبو عمر بضم العين روى عنه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما وكان رأسا فى علم القرآت ذا عناية تامة بالحديث اماما فى السنة توفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة (عن عكرمة) تقدم ذكره (وحكى بعض المتكلمين) قال الحلبى لا أعرفه (هذا المذهب عن ابن مسعود وحكى ابن اسحق) أى صاحب المغازى (ان مروان سال أباهريرة هل رأى محمد ربه قال نعم) ومروان هذا ابن عبد الحكم ابن أبى العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى ولد سنة اثنتين ولم يصح له سماع ولا رؤية روى عن عثمان وعلى وزيد بن ثابت وروى عنه عروة ومجاهد وعلى ابن الحسين دولته تسعة أشهر وأيام وتملك ابنه عبد الملك بعده أخرج لمروان الستة غير مسلم الا أن البخارى روى حديث الحديبية عنه مقرونا بالمسور بن مخرمة

(وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل انه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه) أى كرره (حتى انقطع نفسه) بفتح الفاء (يعنى نفس أحمد) أى ابن حنبل كما فى نسخة صحيحة وهذا تفسير من المصنف أو غيره قال بعض العلماء من الحنابلة كلاما معناه ان أحمد لم يقل انه رآه ليلة الاسراء وانما رآه فى النوم يعنى الحديث الذى فيه رأيت ربى فى أحسن صورة الحديث يعنى رؤيا الانبياء وحى (وقال أبو عمر) الظاهر انه أراد به ابن عبد البر فانه الفرد الاكمل الاشهر خلافا للحلبي ومن تبعه حيث قال الظاهر انه أبو عمر المتقدم يعنى الطلمنكى (قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن) بفتح الجيم وضم الموحدة وقيل تفتح أى خاف أحمد وتأخر (عن القول برؤيته بالابصار) أى الحسية (فى الدنيا وقال سعيد بن جبير لا أقول) أى انه (رآه ولا لم يره) وهذا يدل على غاية الاحتياط منه وعلى تعارض الادلة عنده (وقد اختلف فى تاويل الآية) أى آية ما كذب الفؤاد ما رأى أو قوله تعالى ولقد رآه نزلة أخرى (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضى الله تعالى عنهم فحكى) بصيغة المجهول (عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل وحكى عبد الله ابن أحمد بن حنبل) هو الامام الحافظ الثبت محدث العراق روى عن أبيه وخلائق وعنه النسائى وغيره (عن أبيه انه قال رآه) وقد سبق الكلام عليه من جهة مبناه ومعناه (وعن ابن عطاء فى قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام) أى اجابة لدعائه عليه الصلاة والسلام رب اشرح لى صدرى وما بينهما بون بين اذ الاول مراد ومطلوب للمحبوب والثانى مريد وطالب للمرغوب (وقال أبو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كذا فى النسخ والاولى ان يقال رحمه الله لانه ليس من الصحابة (وجماعة من أصحابه انه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (رأى الله تعالى ببصره وعينى رأسه) قال الحلبى هذا هو الشيخ القدوة امام المتكلمين على بن اسمعيل ابن أبى بشر بن سالم بن عبد الله بن موسى بن بلال ابن أبى بردة ابن أبى موسى عبد الله ابن قيس أبو الحسن الاشعرى كان أولا معتزليا ثم ترك ذلك برؤيا رآها فى نومه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وكان لا يتكلم فى علم الكلام الا أن يجب عليه قياما فى الحق وكان حبرا عظيما لا يناضل ولا يبارى قال القاضى أبو بكر الباقلانى أفضل أحوالى أن أفهم كلام أبى الحسن ولد سنة اثنتين ومائتين ومات قبل الثلاثين والثلاثمائة على الاصح قال الشيخ أبو محمد الجوينى والد امام الحرمين كان شافعيا تفقه على الشيخ أبى اسحق المروزى وقال التلمسانى وأبو الحسن هذا مالكى المذهب

وحكى النقاش) محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته (عن أحمد بن حنبل انه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رأى ربه) بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا بصره (رآه رآه حتى انقطع نفسه) بفتحتين أى عجز عن التكلم وأعيى فترك التكلم (يعنى نفس أحمد) بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس (وقال أبو عمر) السابق ذكره (قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها وهو ضعف فى القلب يقتضى عدم الاقدام يريد انه لم يتجرأ تأدبا عن ان يقول أى عن القول (برؤيته فى الدنيا بالابصار) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق (وقال سعيد بن جبير) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه (لا أقول رآه ولا لم يره) أى توقف فى ذلك ولم يمل لاحد القولين (وقد اختلف فى تاويل الآية) يعنى قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فى النقل (عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود فحكى عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية فالضمير فى رآه لله ولرؤية قلبية (وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل) فالضمير فيها لجبريل عليه الصلاة والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وأبى هريرة فرآه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينتثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى (وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه) وهو كابيه امام فى السنة والفقه أخذ عنه الاعلام وتوفى فى سنة تسعين ومائتين فى سن أبيه (انه قال رآه) أى بعينه لانه المتبادر وقد روى عنه التصريح به ولا ينافى ذلك ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه فى بعض المجالس المقتضى لذلك (وعن ابن عطاء فى) تفسير (قوله ألم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤيا وشرح صدر موسى للكلام) أى قوى قلبه واذهب رعبه حتى سر مع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه (وقال أبو الحسن على بن اسمعيل الاشعرى) ابن أبى بشير بن اسحق بن أبى سالم بن اسمعيل بن عبد الله ابن موسى بن بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعروف أن أبا الحسن هذا شافعى المذهب وقال التلمسانى انه مالكى المذهب ونسبته الى أشعر وهو نابت بن أدد ويشحب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبا وكان حبرا عظيما وهو امام أهل السنة صاحب التصانيف المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة أربع وعشرين وثلثمائة وقيل أربع وثلاثين فى ذى الحجة (وجماعة من أصحابه انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله ببصره وعينى رأسه)

تاييد

تأييدا لكون الرؤيا بصرية واضافة العينين للرأس احترازا عن عين قلبه وظهره فانها وردت فى الحديث فان لم تكن عينا حقيقة (وقال) الاشعرى رحمه الله تعالى (كل آية) ومعجزة (أوتيها نبى) أى أعطاها الله لنبى (من الانبياء فقد أوتى مثلها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وقد فصله ابن المنير فى المقتفى والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافى هذا تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام كما مر قيل الحقيقة المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسماء فله التصرف فى العوالم ومنه تستفيد وتستمد ما فيها من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة وأى معجزة كانت لنبى فهو له أولا وبالذات ثم جاءت منه لغيره والى هذا أشار فى البردة بقوله

وكل آى أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

أقول الحق ان نقول ان الله خلق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الارواح وخلع عليها خلعة النبوة ثم خلق أرواح البشر وأمر أرواح الانبياء بان يؤمنوا به وأخذ عليهم الميثاق باتباعه ان ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما أجابوه أشرق عليهم نوره الروحانى الربانى وصارت فى أرواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كالاولياء أمته اذا أظهروا الكرامات لما أشرق عليهم نوره وهذا هو الذى قصده الابوصيرى رحمه الله تعالى فاعرفه (وخص من بينهم) أى اختص صلى الله تعالى عليه وسلم عن سائر الانبياء (بتفضيل الرؤية) أى بتفضيله برؤية ربه عيانا فى الدنيا فلم يره غيره فيها (ووقف بعض مشايخنا فى هذا) أى توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة أو شيخ على خلاف القياس وفيه كلام فى شرح أدب الكاتب (وقال ليس عليه) أى على ثبوته (دليل واضح) أى صحيح ظاهر (ولكنه جائز) بحسب العقل (ان يكون) أى ان يصح ويوجد فى الدنيا (قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف رضى الله تعالى عنه (والحق الذى لا امتراء فيه) أى القول الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هى الشبهة (ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا) لانه موجود حقيقة فى كل موجود وكل موجود تجوز رؤيته عيانا (وليس فى العقل ما يحيلها) أى ما يقتضى انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد العقل فقال (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها) بقوله رب أرنى أنظر اليك وموسى من أولى العزم لا يسال من الله تعالى ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما ساله والا كان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرأ منه وكلامه فى تحقيق الرؤية لا فى وقوعها فقعا فما قيل من انه ليس الكلام فى جوازها بل فى وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقائلون بامتناعها لهم أدلة على مقالهم وان كانت مردودة والقائلون بالجواز العقلى ذاهبون للمنع الشرعى ولذا قال النسفى رؤية الله فى الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا والمصنف بصدد اثبات الوقوع له صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أمر نقلى لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادى انتهى ليس بشئ لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع أمر نقلى قد بينه أولا ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن النسفى مخالف لما ارتضاه المصنف واذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام مموه تركه خير منه وما ذكره المصنف هو دليل أهل السنة على جواز رؤيته تعالى والمعتزلة يقولون لم يساله لجوازه عنده بل لتبكيت القائلين له أرنا الله جهرة (ومحال ان يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه) بتنوين نبى للتنكير والتعميم أى أى نبى كان فكيف بالكليم عليه الصلاة والسلام وقيل انه للتعظيم أى نبى عظيم من أولى العزم كبار الرسل والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث لتعليم أمته الشريعة والعقائد الحقة وهى معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله

(وقال) أى الاشعرى (كل آية) أى معجزة (أوتيها نبى من الانبياء عليهم السلام فقد أوتى مثلها) أى حقيقة ونظيرها صورة (نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية) أى بزيادة حصول الرؤية واللقاء ووصول الدرجة العلياء فى ليلة الاسراء (ووقف) أى توقف (بعض مشايخنا) جمع مشيخة وهو القياس أو شيخ على غير قياس (فى هذا) أى فى ذلك كما فى نسخة (وقال ليس عليه دليل واضح) أى على ثبوت وقوعه (ولكنه جائز ان يكون) أى وجائز ان لا يكون وهذا يحتمل ان يكون من كلام القاضى وان يكون من كلام الاشعرى (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله) أى المصنف (والحق الذى لا امتراء) افتعال من المرية أى لا شك (فيه ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا وليس فى العقل ما يحيلها) أى شئ من توهم واحتمال يحكم باستحالتها لجزمه بجواز وقوعها فيها (والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى لها) أى حيث قال رب أرنى انظر اليك مع اعتقاده انه تعالى يجوز ان يرى فيها فسالها (ومحال) بضم الميم أى ومن المحال (ان يجهل نبى ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه

بل لم يسأل الا جائزا غير محال) أى غير مستحيل كما فى نسخة لاستحالة سؤال الانبياء ما يكون من المحال (ولكن وقوعه ومشاهدته)
أى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة (من الغيب الذى لا يعلمه الا من علمه الله تعالى) بتشديد اللام أى أطلعه اياه (فقال له الله
تعالى) أى لموسى أى غير ناف للجواز (لن ترانى) أى دون لن أرى المؤذن بنفيه أى المشعر بنفى جوازه بل فيه ما يدل على نفى وقوعه
فقط حيث قال لن ترانى (أى لن تطيق) أى تحمل تجلياتى (ولن تحتمل رؤيتى) أى فى الدنيا لانها دار الفناء

واللقاء انما يكون فى دار البقاء وحال الاسراء بعد من أمر الآخرة بدليل الكشوفات الذاخرة والمقامات الفاخرة المقتضية لخرق العادة فى قوة بنية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى تلك الحالة (ثم ضرب) أى بين (له مثالا) وفى نسخة مثلا (مما هو أقوى من بنية موسى) بكسر موحدة وسكون نون فتحتية أى من تركيب بناء جسده وأعضاء جسمه (وأثبت) تفسير لاقوى (وهو الجبل) أى بحسب الهيكل الصورى حيث قال ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى (وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) أى يقتضى ردها ويروى وقوعها محالا (بل فيه جوازها على الجملة) أى دليل جواز وقوعها فى الجملة حيث علق وقوع رؤيته على استقرار الجبل فى مكانه بعد تجلى رؤيته والتعليق بالممكن يفيد
الامكان اذ معنى التعليق هو ان يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على تقدير أصلا (وليس فى الشرع) الآية
أى فى الكتاب والسنة (دليل قاطع على استحالتها) أى استحالة جوازها (ولا امتناعها) أى ولا دليل على امتناع وجودها (اذ كل
موجود) أى لانه سبحانه وتعالى موجود بل واجب الوجود وكل موجود جائز الرؤية (فرؤيته جائزة غير مستحيلة) كما قال الاشعرى
(ولا حجة لمن استدل على منعها) أى امتناع جوازها (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات فى

أمر اله بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل أو عبث والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سؤاله حقيقيا
اما لو كان لالزام غيره أو تبكيته لمن سأله من قومه فلا وهذا مردود لان السياق يأباه وتفصيله فى علم
الكلام (بل لم يسئل) موسى من الله تعالى (الا جائزا غير مستحيل) لان سؤال المحال من مثله محال
وكونه سأله مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلى بالسمع وليطمئن قلبه كما قال ابراهيم رب أرنى
كيف تحيى الموتى ثم قال ليطمئن قلبى فان العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخليل
لم يسئله لذلك وانما كان علم ان الله متخذا خليلا يحيى الموتى بدعائه فسال ذلك ليعلم أهو هو أم لا ولو سلم
فلا يلزم طلب ما لا يجوز وينافى الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين لى علم ذلك جوازا أو
استحالة (ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب) أى جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة
ربه أمر مغيب عن كل أحد كسائر المغيبات الجائزة كالخمس وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر
(الذى لا يعلمه الا من علمه الله) باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا أو فى بعض الاحوال
فلذا أعلمه الله به (فقال له الله لن ترانى) أى الرؤيا جائزة ولكنك لا تصل اليها فى الدنيا (أى لن تطيق)
أى تقدر (ولا تحتمل رؤيتى) أى لا تقوى عليها فى هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز (ثم ضرب له
مثالا) أى أتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلى الله عيانا لينكشف له أمرها ويعلم حاله من حال غيره
(مما هو) وفى بعض النسخ بما متعلقا بضرب (أقوى من بنية موسى وأثبت) أى أشد قوة وأكثر ثباتا
وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب (وهو الجبل) فى قوله ولكن انظر الى
الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى ولما كان
استقرار الجبل ممكنا كان ما علق عليه ممكن أيضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك أشار بقوله (وكل هذا
ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا) أى يقتضى استحالتها فيها (بل فيه) ما يقتضى (جوازها على الجملة)
كما سمعته آنفا من ان سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضى امكانه وقوله على الجملة بمعنى انه بطريق الاجمال
لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف فى كلامهم فى الجملة والمعنى واحد لان المراد جواز
اقتضاه على طريق الاجمال (وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا) دليل قاطع على (امتناعها)
وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا أو فى الدنيا (اذ كل موجود) فى الخارج جوهرا
كان أو عرضا لا فى العلم والذهن كما قيل لتصور الممتنعات وهو تعليل الجواز لان اذ تأتى للتعليل كما حققه
النحاة وأهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى عليه مبدأه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين
البارى تعالى وسائر الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضى صحة رؤية نحو
الاصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا
الدليل منقول عن الاشعرى وهو التزم جواز رؤيتها والكلام فى الجواز لا الوقوع (فرؤيته جائزة
غير مستحيلة) تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب (ولا حجة) مسلمة عند الخصم
(لمن استدل على منعها) أى الرؤية (بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات فى) هذه

(الآية) كما حققناه لك فلا افادة في الاعادة (واذ ليس) معطوف على قوله اذ كل موجود أو على قوله لاختلاف لان معناه ليس (يقتضى قول من قال) بمنعها (فى الدنيا الاستحالة) مطلقا بل تخصيص الدنيا يقتضى وقوعه فى الآخرة فيدل على الجواز فى الدنيا وهذا رد على المعتزلة فان هذه الآية أعظم أدلتهم على نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة ثم بالغ فى الرد عليهم بان ما استدلوا به عليهم لا لهم (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) أى قوله لا تدركه الآية (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة) كما يعلم من ذكره اختلاف التاويل وانما استدل بها لان نفى الشئ عند البلغاء يقتضى جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحائط انه لا علم له والله تعالى قد ساق نفى ادراك الابصار فى سياق المدح وانما يتمدح بامر ثبوتى كمالى لا بالعدم الصرف فكل نفى مدح به تضمن أمرا وجوديا كنفى السنة أو النوم المتضمن لكمال القيومة ونفى الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفى الابصار معناه انه لا يرى أصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح بل المراد لا يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضى الله عنهم ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المصنف وكذا ذكره غيره فنفى الاحاطة تفسير للرؤية بدونها أو المراد العموم أى لا تراه جميع الابصار فان منها ما حجبه فهى سالبة فى قوة موجبة جزئية كما مر واليه أشار بقوله (وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل) معنى (لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس) لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلى بان لا يلاحظ الايجاب الكلى أو الاثم يرد عليه النفى وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قائلون بان الكفار لا يرونه أو المنفى ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئى فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا اذا كان تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهى فى قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفى بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض فالآية حجة لنا وعلى تقدير تسليم عمومها للاشخاص لا نسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة وهى أعم من السالبة الدائمة وما ذكر من ان تدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دائمة ممنوع لجواز كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه أقول كونه دالا بالمفهوم على الاثبات للبعض قال بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدالة على رفع الايجاب الكلى ليس صريح مفهومها السلب الجزئى والتعرض للنفى عن البعض بل السلب الجزئى لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلى والجزئى مع الايجاب للبعض فبمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزئى لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئى فلا حجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية (وقد قيل) فى بعض التاويلات (لا تدركه الابصار) نفسها (وانما يدركه المبصرون) يعنى ان الادراك نوع من العلم وهو صفة الناظر حقيقة لا نفس النظر فانه واسطة دالة ولا يخفى ركاكة هذا التاويل وان كانت عهدته على قائله (وكل هذه التاويلات) السالفة (لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها) بل جوازها كما مر فلا حجة فيها (وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى لن ترانى الآية) التى استدل بها بعض المعتزلة وقال ان للنفى المؤيد والمؤكد فاذا نفى عن موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولى وقد رد بانها للنفى فى المستقبل فقط وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما أثبته النحاة مما هو مشهور فى كتبهم ونفى الرؤية عنه لا يدل على نفيها عن غيره لانه نفى مخصوص فلا دليل لهم فيه (وقوله تبت اليك) من سؤال الرؤية المقتضى لانه محال وطلب ما لا يليق

(الآية) أى ومع الاحتمال لا يصح ان يكون حجة اذ قد قيل المراد بالادراك الاحاطة ولا يلزم منه نفى مطلق الرؤية وقيل ليس عاما فى الاوقات فيخص ببعضها ضرورة الجمع بين الادلة ولا فى الاشخاص اذ هو فى قوة قولك لا كل بصر يدركه فيخص ببعضهم لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقد أغرب عز الدين بن عبد السلام فى قوله لا تراه الملائكة (واذ ليس) عطف على الاختلاف وقيل على قوله كل موجود ولا يخفى بعده أى ولانه (لا يقتضى قول من قال فى الدنيا) أى بمنعها فى الدنيا (الاستحالة) أى للرؤية لانه ليس نصا فى المنع بل أخذ بتاويل واحتمال لا يقتضى الاستحالة (وقد استدل بعضهم بهذه الآية) أى آية لا تدركه الابصار (نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالة على الجملة) اذ مفهوم نفى الاحاطة جواز الرؤية (وقد قيل) أى فى تاويل الآية (لا تدركه الابصار ابصار الكفار) على ان اللام للعهد بقرينة قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به) أى كما مر آنفا (وهو قول ابن عباس وقد قيل) أى فى التاويلات (لا تدركه الابصار) أى أنفسها (وانما يدركه المبصرون) أى بسببها أو بقوة الهية فيها وهو بضم الميم واسكان الباء وكسر الصاد قال تعالى فمن أبصر فلنفسه والمعنى ان الادراك انما يكون للمبصر بواسطة البصر لا للبصر نفسه (وكل هذه التاويلات لا تقتضى منع الرؤية ولا استحالتها) أى بل تقتضى جوازها (وكذلك لا حجة لهم) أى على منعها (بقوله لن ترانى الآية وقوله تبت اليك)

(لما قدمناه) أي للتاويل الذي قدمناه وهو قوله أي لن أطيق مما يؤذون بجوازها كسؤال موسى اياها (ولانها) أي آية لن تراني
(ليست على العموم) وفي نسخة من العموم أي في نفيها لجميع افراد الانسان في جميع الازمان لجواز أن يراه غير موسى مما يخلق الله
فيه استعدادا لما في آياتها كليلة الاسراء فان لن لنفي المستقبل فقط ولا تفيد توكيد النفي في الاستقبال ولا تابيده على ما عليه أهل السنة
خلافا للزمخشري وأهل الاعتزال حيث يدعون انها تفيد التوكيد أو التابيد ورد بقوله تعالى ولن يتمنوه أبدا وبقوله فلن أكلم اليوم
أنسيا اذ يلزم تكرار الابد وعدم فائدة التقييد باليوم (ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل) أي

فهو ذنب وسياتي جوابه (لما قدمناه) من أدلة الجواز الصريحة المقتضية لتاويل هذه الآية (ولانها)
أي هذه الآية (ليست على العموم) بل مخصوصة بموسى عليه الصلاة والسلام في المستقبل والنفي
الخامس لا يدل على عموم ولا استحالة (ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا انما هو تاويل) فلا دليل
فيه على مدعاهم العام ولا على الاستحالة فان القائل بين معنى الآية ولم يذكر انه تفسير ماثور ولا انه
برهان على المنع العقلي والعموم فلا حجة فيه (وأيضا فليس فيه نص الامتناع) أي صريح عموم امتناع
الرؤية لكل أحد (وانما جاءت في حق موسى عليه الصلاة والسلام) أي آية لن تراني مخصوصة
بموسى عليه الصلاة والسلام فكيف يستدل بها على امتناع الرؤية مطلقا في الدنيا وغيرها يقظة ومناما
كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن بصدد اثباته (وحيث تتطرق
التاويلات) أي اذا أمكن تاويل ما استدلوا به (وتتسلط الاحتمالات) أي توجد احتمالات في الدليل
(فليس للقطع به سبيل) فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا اذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال
وفيما استدلوا به على امتناع الرؤية أمور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف وأصل
معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه التاويلات بصاحب مطلب وجد الطريق اليه على سبيل
الاستعارة التبعية أو المكنية والتخييلية وكذا في التسلط لانه من السلاطة وهي القهر والغلبة قال الله
تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من أهل اللغة وقيل يتطرق من
الطرق وهو الخلط أو من التطارق وهو التتابع والازدحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من
التسلط (وقوله تعالى تبت اليك) الذي استدلوا به على انه دال على امتناعه عقلا لعدهم سؤال الرؤية ذنبا
لاستحالتها لا دلالة على مدعاهم لان له تفسيرا آخر (أي من سؤالي مالم تقدره لي) في الدنيا في ذلك الوقت
لحكمة خفية لما غشيه من أنوار عظمته حتى صعق كما يقول من فعل أمرا جائزا اعتراه منه مشقة عظيمة
تبت عن مثل هذا كما قال ابن نباتة السعدي

أأمل ماء ولا غير صدودها * فوا خجلتي اني الى المجد تائب

وتقدر بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها (وقد قال أبو بكر الهذلي) الامام العلامة تلميذ ابن القوطية
صاحب الافعال كان من الادباء الظرفاء وله شعر بديع (في) تفسير (قوله تعالى لن تراني أي ليس لبشر
أن يطيق) أي يقدر (ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي) فيها (مات) وقيل هذا ماخوذ من قوله تعالى
وخر موسى صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر في الدنيا لسبحات جلاله الا من أقدره الله
تعالى واذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يموت لفجاءة خوفه أو لاحراق سبحات النور
له وفي هذا دليل على جواز وقوعه في الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من رأى الملك في الدنيا
يعمى كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد غير الانبياء هنا

مما لا يقتضي استحالة ولا منعا فيها مطلقا لجواز اختصاص المنع فيها بموسى دون غيره على انه قد يقال ان حالة الاسراء مما لا يعد من احوال الدنيا بل انما هي من مقامات العقبى أو حالة أخرى كالبرزخ (وأيضا ليس) وفي نسخة فليس (فيه) أي في قوله تعالى لن تراني (نص الامتناع) أي من الرؤية مطلقا (وانما جاءت) أي آية لن تراني مفصحة بامتناعها (في حق موسى) أي خصوصا ولا يلزم من منع الخصوص منع العموم مع انه قابل للتقييد بذلك المكان والزمان (وحيث تطرق التاويلات) بحذف احدى التائين أي تردد وتتابع وتزاحم ويؤيده انه في نسخة تتطرق ويقويه قوله وتسلط الاحتمالات) عطف تفسير (فليس للقطع) أي لقطع المنع
(اليه) أي الى امتناع الرؤية (سبيل) أي طريق ودليل (وقوله تبت اليك) أي ماول بقولهم (وقد
(أي من سؤالي) أي من الاقدام على دعائي (مالم تقدر لي) روي بضم التاء وفتحها وفتح القاف فلا يلائم الا مع ضم التاء وتشديد الدال
فيكون المعنى مالم تقدره لي في الازل وكتبته علي في سابق علمك وأما سكونها فمعناه لم تجعله في قدرتي ووسعي كذا ذكر التلمساني
(وقال أبو بكر الهذلي) بضم هاء وفتح ذال معجمة (في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق ان ينظر الي في الدنيا) أي والاسراء
ليس من الدنيا بل من الاخرى (وانه) أي الشان (من نظر الي) أي في الدنيا (مات) أي في الحال بدليل صعق موسى حين رأى الجبل
قال المزي ويؤيده ما في مسلم من حديث الدجال فاعلم وانه أعور وان الله سبحانه تعالى ليس باعور وان أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت

(وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة) أي لا من حيث ذاتها لثبوت جوازها فيها كما مر الكلام عليها وانما امتنعت فيها (لضعف تراكيب أهل الدنيا) أي بنيتهم (وقواهم) بضم القاف وتخفيف الواو أي حواسهم (وكونها متغيرة عرضا) بفتحتين وضبطه بعضهم بفتح الغين المعجمة والراء وبالضاد المعجمة أي هدفا فالانسان غرض والآفات سهام وفي نسخة صحيحة وكونها عرضة بتشديد الراء المفتوحة أي هدفا (للآفات) من نوائب مقلقة ونواكب للاكباد مقلقة تقتضي نقصانها (والفناء) أي مما يوجب زوالها (فلم تكن لهم قوة على الرؤية) أي في الدنيا (فاذا كان) أي الشأن (في الآخرة وركبوا تركيبا آخر) أي أقوى وأبقى من الاول (ورزقوا قوى) بضم وتخفيف قاف منونا جمع قوة أي أعطوا حواس وفي نسخة قوة (ثابتة) من الثبوت وفي نسخة ثانية بالنون والياء (باقية) أي تامة وافية (وأتم) بصيغة الفاعل أو المفعول أي أكمل (الله أنوار أبصارهم) أي الظاهرة (وقلوبهم) أي وبصائرهم الباطنة (قووا بها) بفتح قاف وضم واو وأصله قويوا فاعل بالنقل والحذف وهو جواب الشرط أي صاروا ذوي قوة في الآخرة (على الرؤيه) وهذا أمر ظاهر وقول باهر ولا غبار عليه ولا شقاق لديه اذ لا مرية ان الله تعالى يخلقهم في العقبى على خلق أكمل منهم في الدنيا من جهة جميع القوى كما جاءت الاخبار فيه في الاكل والشرب والجماع وغير ذلك فلا ينكر زيادة قوة السامعة والباصرة ونحوهما هنالك لاسيما وقد نفى الشرع اثبات الرؤية للعامة في الدنيا

وأثبتها للخاصة في العقبى فلا بد من الجمع بين الادلة كما هو دأب الائمة وهو لا ينافي استواء القدرة الكاملة في حالتي الراهنة والمستقبلة الشاملة فاندفع قول الدلجي وهذا منهم دعوى بلا بينة اذ القادر على خلق ذلك لهم في الآخرة قادر على خلقه لهم في الدنيا فلا وجه لتخصيص ذلك بالآخرة ولا دليل عليه اذ الرؤية بمجرد خلقه غير مشروطة بشيء (وقد رأيت نحو هذا) أي مثل هذا القول المنقول عن بعض السلف بعينه (لمالك بن أنس) وهو امام المذهب (رحمه الله قال لم ير) بصيغة المجهول أي ما يرى الله سبحانه وتعالى (في الدنيا لانه) أي الله تعالى (باق ولا يرى الباقي بالفاني) أي بالحس الفاني أو بالمكان الفاني (فاذا كان) أي أمر الرؤية (في الآخرة

(وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين (و) لبعض (المتأخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة) لمانع منها لا لذاتها من حيث هي هي لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض (لضعف تراكيب أهل الدنيا) أي لضعف ابدانهم المركبة كما قال الله تعالى خلق الانسان ضعيفا (وقواهم) جمع قوة وهي أمر أودعه الله تعالى في البدن به الادراك والمراد به المعنى اللغوي (وكونها) أي التراكيب والقوى أو هو راجع للقوى فقط (متغيرة) بالازدياد في أول أمرها ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها (غرضا للآفات) هو حال أو خبر بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمتين أصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال يرمى بها حتى يفنى كما قال أبو العتاهية

ان الفتى لغرض الآلام * يرميه نبل الدهر والايام * يصيبه رام ويخطي رام

ويجوز ان يكون بالعين المهملة أي معرضا لها ولكن الاول أصح رواية ودراية وقال التلمساني روى معترضة بدل قوله متغيرة أي ذات اعراض وهي الآفات والامراض أو من العرضة أي متعرضة للآفات وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة أي منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف والآفة والعاهة كل ما يعرض بشيء فيفسده (والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم (فلم يكن لهم قوة على الرؤية) لضعف أبدانهم وقواهم في الدنيا (فاذا كان في الآخرة) أي اذا أحياهم الله تعالى وأدخلهم دار البقاء (وركبوا تركيبا آخر) غير تركيبهم الاول (ورزقوا قوى ثانية) بمثلثة ونون ومثناة تحتية أي قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية فقوله (باقية) تفسير له أي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها (وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم) أي جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدي (قووا بها على الرؤية) جواب اذا والضمير راجع للمذكورات من التركيب والقوى والانوار التي منحها الله تعالى لهم في الآخرة فهذا يدل على وقوع الرؤية في الآخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم أيضا ولذا شق صدر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم واودع فيه ما قوى به على ذلك كما تقدم وهذا كما أوحي لايوب عليه الصلاة والسلام قال عطاء أوحى الله لايوب انك لتنظر الى غدا فقال يارب أفبهاتين العينين فقال أجعل لك عينين باقيتين فينظر الى البقاء بالبقاء (وروى) وفي نسخ وقد رأيت (نحو هذا لمالك بن أنس) رحمه الله تعالى (قال لم ير) بضم التحتية ونائب الفاعل عائد على الله (لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان) النظر أو الناظر (في الآخرة

ورزقوا أبصارا باقية) أي وبصائر قوية (رؤي الباقي بالباقي) وضبط الانطاكي رئي بكسر الراء وسكون الياء ثم بهمزة على بناء المجهول (وهذا) أي الذي قاله مالك وماسبق هنالك (كلام حسن مليح) أي ومرام مستحسن صريح ولا عبرة بمنع الدلجي هذه العلة (وليس هو) أي امتناعه وفي نسخة صحيحة وليس فيه أي في امتناعه في الدنيا (دليل على الاستحالة) أي على كونه محالا في العقبى أو مطلقا أو في ذاته بل ليس امتناعه واستحالته (الا من حيث ضعف القدرة) أي قدرة العبد وضعف بنيته وفناء حالته وقوته (فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده) أي على ما شاء من مراده (وأقدره) وفي أصل الدلجي قدره بتشديد الدال أي وجعله قادرا (على حمل اعباء الرؤية) بفتح الهمزة وسكون العين فوحدة بعدها ألف ممدودة جمع عبء بالكسر وهو الحمل الثقيل ومنه العباء أي تحمل اثقالها تحت تجلي جمالها وجلالها (لم تمتنع) أي الرؤية (في حقه) أي في أي وقت كان وفي أي شخص بان روى ابن عطاء ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى أيوب عليه السلام انك لتنظر الى غدا فقال يا رب أبهاتين العينين فقال أجعل لك عينين يقال لهما عينا البقاء فتنظر الى البقاء بالبقاء وحكى انه دخل على ابن الماجشون رجل ينكر حديث القيامة وان الله يأتيهم في صورته فقال له يابني ماتنكر من هذا فقال ان الله تعالى أعظم من ان يرى في هذه الصفة فقال يا أحمق ان الله تعالى ليس تتغير عظمته ولكن تتغير عيناك حتى تراه كيف شاء فقال الرجل أتوب اليه ورجع عما كان عليه (وقد تقدم ماذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بالذال المعجمة أي مضيه وبلوغه (بقوة الهية منحاها) بصيغة المجهول أي أعطياها (لادراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه) أي في الجملة اذ رؤية موسى كانت مترتبة على النظر حين تجلي الرب على الجبل بخلاف رؤية نبينا الاكمل (والله تعالى أعلم) أي بحقيقة الحال وحقيقة المآل (وقد ذكر القاضي أبو بكر) يعني الباقلاني لان القاضي أبا بكر بن العربي معاصر للمصنف اذ مولده سنة ثمان وستين وأربعمائة ومماته سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ومولد المصنف سنة ست وسبعين وأربعمائة ومماته سنة أربع وأربعين وخمسمائة ذكره الشمني ونسبه بالنون على غير قياس اذ القياس ان يقال بالهمز بدله (في أثناء أجوبته عن الآيتين) الدالتين على نفي الرؤية وهما لا تدركه الابصار ولن تراني (ما معناه) أي الذي مؤداه لا لفظه ومبناه (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله تعالى) أي بواسطة تجلي ربه للجبل (فلذلك خر) بتشديد الراء (صعقا) بفتح فكسر وروى بفتحتين أي سقط مغشيا عليه والا فالصعق بمجرد رؤية الجبل كادبعيدا في النظر السديد (وان الجبل رأى ربه

ورزقوا أبصارا باقية رؤي الباقي بالباقي) ظاهره ان البقاء الابدي علة لصحة الرؤية والفناء مانع ولا مدخل للبقاء في الرؤية كما ان الفناء والحدوث لا مدخل له في المنع لان الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشيء عند أهل السنة فكانه أراد أن البقاء يلزمه قوة التركيب والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ماقبله ولذا قيل أن مراده أن الرائي والمرئي لابد أن يكون بينهما مناسبة وأبصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاؤه قديما ذاتيا وبقاؤها صار عرضيا وهو كلام اقناعي (وهذا كلام حسن مليح) عنده على ما فيه (وليس فيه دليل على الاستحالة) والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ لا مانع منه (الا من حيث ضعف القدرة) البشرية في الدنيا (فاذا قوى الله من شاء من عباده) بان رزقه قوة تطيق ذلك (وأقدره على حمل اعباء الرؤية) أي جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته والاعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو في المحسوسات حقيقة فاستعيرت للمعاني (لم تمتنع) الرؤية (في حقه) لتمكنه منها بما منحه من القوة (وقد تقدم ماذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكهما) بذال معجمة أي خروجه وبلوغه بقوة الهية منحاها بضم أوله مبني للمجهول أي أعطياها (لادراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم) بحقيقة ذلك (وقد ذكر القاضي أبو بكر) محمد بن الطيب امام أهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلاء على خلاف القياس كالصنعاني توفي سنة ثلاث وأربعمائة وقيل ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا وليس هو الامام أبو بكر بن محمد بن العربي شيخ المصنف (في أثناء أجوبته عن الآيتين) أي في خلال كلامه في الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين لا تدركه الابصار ولن تراني (ما معناه) ما موصولة أو موصوفة مفعول ذكر اشارة الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة (ان موسى عليه الصلاة والسلام رأى الله فلذلك خر صعقا) مغشيا عليه مع صحته لانه وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد وان جاز أن يكون لتجليه وظهور أنواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله أنظر الى الجبل ولما نقله المصنف أولا من ان الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (وان الجبل) أيضا (رأى ربه) أي خلق فيه

ادراكا

فصار دكا) أى مدكوكا مدقوقا (بادراك) متعلق برأى (خلقه الله تعالى له) أى فى الجبل كما نقله الماتريدى عن الاشعرى وقال الامام الرازى فى المعلم خلق الله تعالى فى الجبل حياة وعقلا وفهما وخلق فيه الرؤية فرأى بها (واستنبط) أى القاضى أبو بكر (ذلك) أى رويتهما ربهما (والله تعالى اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) أى و بقى على حاله وشانه عند تجلى ربه (فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل) أى بلا كيف (جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له) أى ظهورا تاما بلا كيف (حتى رآه) أى بناء (على هذا القول) أى الذى عزاه للقاضى أبو بكر (وقال جعفر) أى الصادق (ابن محمد) أى الباقر فى حكمة الواسطة فى الرؤية (شغله) أى سبحانه وتعالى أى موسى (بالجبل حتى تجلى) الاظهر حين تجلى (ولولا ذلك) أى الشغل بالجبل (لمات) أى موسى (صعقا بلا افاقة) أى بعده مطلقا قال المصنف (وقوله هذا) أى قول جعفر (يدل على ان موسى رآه) أى روية بواسطة من وراء حجاب فلا ينافى قوله تعالى لن ترانى بلا واسطة وهذا جمع سديد قد أبعد الدلجى بقوله هنا وهذا بعيد (وقد وقع لبعض المفسرين) أى حيث قال (فى الجبل) أى فى حقه (انه رآه) أى رأى تجلى ربه بادراك وعلم خلقه فى خلقته فانك اذا الدك بمجرد التجلى بلا ادراك بعيد كيف وقد نقل الماتريدى عن الاشعرى ان معنى التجلى ان الله تعالى خلق فيه حياة وعلما ورؤية فرآه وهذا نص منهما على اثباتها كذا ذكره الدلجى (وبرؤية الجبل له) أى لربه تعالى (استدل من قال برؤية نبينا له) أى الله سبحانه وتعالى

ادراكا وحياة (فصار دكا) أى انه هد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك (بادراك خلقه الله له) كما نقله الماتريدى عن الاشعرى رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الرؤية لان الذى قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كل البشر (واستنبط) أى استخرج (ذلك) وأصل الاستنباط استخراج الماء من البئر فاطلق على مطلق الاستخراج أو استعارة له وذلك اشارة لرؤية موسى عليه الصلاة والسلام ورؤية الجبل (والله اعلم) فيه اشارة الى أنه لم يصرح به (من قوله تعالى ولكن أنظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) أى مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا أو ترابا وقيل غار وقيل استوى بالارض وقيل افترق فرقا قال الواحدى هذا الجبل يسمى زبير وليس هو الطور (وخر موسى صعقا) أى سقط صائحا مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل (وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه) أى شاهد المتجلى ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا ورؤية لم يخف خوفا هده وفتته (على هذا القول) أى قول أبى بكر الباقلانى السابق بان موسى والجبل رأياه معا وهذا بناء على مذهب أهل السنة فى انه يجوز خلق العلم والنظر فى أى جرم أراد وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لان التجلى لموسى لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكه الجبل وشدة وقوعه لا من تجلى الله له ورؤيته ويناسبه قوله (وقال جعفر بن محمد) الصادق المتقدم ترجمته (شغله) الله تعالى (بالجبل) وأصوات دكه حين أمر بالنظر اليه (حتى تجلى) أى ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلاة والسلام فرآه (ولولا ذلك) أى اشتغاله بالجبل بان ظهر له نور التجلى ابتداء (لمات صعقا) بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثانى حال (بلا افاقة) من صعقته وغشيه (وقوله هذا) أى قول جعفر (يدل على ان موسى عليه الصلاة والسلام رآه) كالجبل لانه معنى التجلى لانه لا يقال تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه فى غاية البعد لان التجلى الواقع فى الآية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام غير متجه لان المصنف رحمه الله تعالى انما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهموه والناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سأل الرؤية فى مناجاته لربه أمره بالنظر للجبل ليلهيه به اذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه الانوار ويموت وهذا بناء على انه حين صعق لم يمت وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم أحياه الله وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا الى انه انما أمر موسى عليه الصلاة والسلام بالنظر للجبل ودكه ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى فان ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان (وقد وقع لبعض المفسرين) انه قال (فى الجبل انه رآه) بحياة وادراك خلقه الله تعالى فيه فرآه وشاهده وقد نقله الماتريدى عن الاشعرى وهو الظاهر من التجلى وان حملوه على معنى آخر قال فى الكشاف فى تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له أمره وارادته جعله دكا أى مدكوكا والظاهر انه عنده استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز آخر حيث أسند التجلى للاقتدار وليس بشئ (وبرؤية الجبل له) أى لله عز وجل (استدل من قال برؤية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم له) قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى واستقر فانما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الانوار وفى الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا أن يقال معنى قوله

(اذجعله) أى جعل الله تعالى ماذكر من رؤية الجبل له (دليلا على الجواز) أى للروية قال الدلجى ذكر الضمير نظرا لما بعده والاولى ماقدمنا مع ان المصدر يؤنث ويذكر فتدبر (ولامرية) بكسر الميم وتضم أى ولاشك (فى الجواز) أى جواز الرؤية (اذليس فى الآيات) أى آية لاتدركه الابصار وآية لن ترانى وآية فان استقر مكانه فسوف ترانى (نص فى المنع) أى للرؤية بل هى مشيرة الى الجواز فى مقام المراد كما سبق عليه الكلام (وأما وجوبها) أى وجوب وقوعها (لنبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (والقول) أى الجزم (بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع) أى من قواطع الادلة أى على وقوع الرؤية (ولانص) أى دليل صريح يعول فى ثبوت وقوعه عليه (اذالمعول فيه) أى المعتمد عليه فى هذا الاستدلال (على آيتى النجم) أى قوله تعالى ما كذب الفؤاد مارأى مازاغ البصر وماطغى (والتنازع فيهما مأثور) أى والاختلاف فى معنى الآيتين بين الأئمة فى كتب التفسير والسير مذكور ومسطور (والاحتمال) أى العقلى والنقلى (لهما ممكن) أى من حيث دلالتهما على الروية وعدمها لعدم صراحتهما بها (ولا أثر قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أى بكونه رآه بعينه وفى نسخة صحيحة لذلك أى لما ذكر (وحديث ابن عباس رضى الله تعالى عنه) أى الذى تقدم من أنه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) أى الذى نشا عن استنباطه (ولم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حتى يعتبر

(اذجعله دليلا على الجواز) انه جعل تعليق الرؤية بامر ممكن فى نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت أمرا جائز الاحاجة لتاويل الاحاديث الواردة بانه صلى الله عليه وسلم رأى ربه (ولامرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد (فى الجواز) أى جواز الروية (اذليس فى الآيات) التى استدل بها على عدمها كآية لاتدركه الابصار ولن ترانى ونحوها (نص فى المنع) للرؤية صريح فيه اذهى مأولة بل مشيرة للجواز كمامر (وأما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم) أى وجوب وقوع رؤيته لربه فى الاسراء بعين رأسه واعترض عليه بانه لم يقل أحد بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التى يجب اعتقادها تعسف وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لايجب عليه شئ وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز لان الجائز عقلا اذا وقع فى الخارج انقلب واجبا بالغير وان كان فى حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية انتهى ولايخفى مافيه من التعسف والتمحل الذى لايساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا بالغير لامعنى له فالظاهر ان يقول ان الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحى لانه لوورد مصرحا به فى نص قطعى من القرآن أو الحديث المتواتر أو المشهور وجب علينا اعتقاده ولايسع أحدا من أهل الملة ان يخالف فيه واليه أشار فى آخر الفصل بقوله وجب المصير اليه ألاترى انه لما صح انه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبر بالاسراء وورد فى القرآن انه أسرى به من الحرم للبيت المقدس لايجوز انكاره سواء كان مناما أو يقظة أوهو بمعناه اللغوى وهو الوقوع فانه أصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا أو شرعا معنى عرفى منقول منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به أئمة اللغة والمصنف منهم قال الامام الراغب يقال وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها وقول الفقهاء الواجب اذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجرى مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين انتهى والى هذا أشار فقها ؤنا فى الفرق بين الفرض والواجب فقوله (والقول بانه رآه بعينه) يشير اليه من طرف خفى فلا اشكال فى كلامه وهذا يقع فى مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب أيضا فلا يرد على ماقلنا ان وقوعه فى مقابلة الجائز فى كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم انه أريد بهما ماقاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق برآه أو توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهى حسنة اذا جاءت أحيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رأيت من أهواه لما ان رما * فقلت هذا قاتلى بعينه

(فليس فيه قاطع) أى دليل قطعى (أيضا) أى كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعى (ولانص) أى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة (اذالمعول فيه) أى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (على آيتى) أى على آيتين فى سورة (النجم) ما كذب الفؤاد مارأى ولقد رآه نزلة أخرى الآية * (والتنازع فيهما مأثور) أى النزاع فى اطرادهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الاصلية (والاحتمال لهما ممكن) لعدم صراحتهما وقطعيتهما فى المدعى (ولا أثر) أى حديث (قاطع متواتر عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أى بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم رآه بعين رأسه (وحديث ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما الموقوف عليه المتقدم الذى ذكر فيه انه رآه بعينه (خبر عن اعتقاده) أى أخبر به عما كان يعتقده بحسب ما أدى اليه علمه الجازم (ولم يسنده الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى لم ينقله عنه ويقول

(فيجب) بالنصب (العمل) وفى نسخة العلم (باعتقاد مضمنه) بتشديد الميم المفتوحة أى مفهومه ومضمونه من رؤية ربه بعينه (ومثله حديث أبى ذر فى تفسير الآية) أى قوله رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه (وحديث معاذ) أى رأيت ربى فى أحسن صورة (محتمل) بكسر الميم (للتأويل) أى على ما تقدم من انه رآه بفؤاده أو فى منامه (وهو) أى والحال ان حديثه (مضطرب الاسناد والمتن) أى ومن المعلوم ان اضطراب أحدهما موجب لضعف الحديث فلا يصلح للاستدلال لاسيما مع ما سبق من الاحتمال ثم اضطرابه من حيث الاسناد فانه تارة يروى عن عبد الرحمن بن عابس الحضرمى مرسلا فان عبد الرحمن ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطرابه من حيث المتن فانه رواه الطبرى فى كتابه باسناده عن مالك بن يخامر

عن معاذ بن جبل قال احتبس علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صلاة الغدوة حتى كادت الشمس تطلع فلما صلى الغدوة قال انى صليت الليلة ما قضى لى ووضعت جنبى فى المسجد فاتانى ربى فى أحسن صورة الحديث ورواه أحمد ابن حنبل على هذا السياق وفيه انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فاذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة الحديث فقد اختلف متن الحديث كما ترى وسياق الاسناد واحد والاختلاف فى متن حديث واحد موجب للاضطراب (وحديث أبى ذر الآخر) بالرفع على انه صفة لحديث (مختلف) بكسر اللام أى من حيث اللفظ والمبنى (محتمل) أى من حيث المعنى (مشكل) أى حيث لا يمكن الجمع بينهما ولا ترجيح أحدهما أو محتمل لان يكون رآه ولم يره أو رآه بعينه أو بقلبه مشكل من حيث اطلاق النور على الذات والنور بمعنى المنور من جملة الصفات (فروى) ويروى فيروى وهو حديث أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال (نور) أى هو نور عظيم (أنى أراه) بهمزة مفتوحة فنون مشددة مفتوحة بمعنى كيف أى كيف يتصور انى أرى الله تعالى فان الشئ يرى بالنور وهو اذا غشى البصر حجبه عن رؤية ما وراءه من كمال الظهور فالضمير فى أراه عائد الى الله تعالى كما صرح الامام أبو عبد الله المازرى أى كمال النور منعنى عن الرؤية وتمام الظهور كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار فيمنعها من الابصار قال الحلبى هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الاصول أى جميع أصول مسلم والروايات ومعناه حجابه النور فكيف أراه

انه صرح له بذلك حتى يعتبر (فيجب العمل) أى القول به والجزم (باعتقاد مضمنه) بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة أى ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعنى ان الرؤية العينية ليس فيها نص قرآنى ولا حديث قطعى حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالى والنووى واليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وان قيل انه مال لخلافه فى شرح مسلم (ومثله) أى مثل قول ابن عباس فى اثبات الرؤية (حديث أبى ذر) الغفارى رضى الله عنه الذى رواه مسلم قال سألته صلى الله تعالى عليه وسلم هل رأيت ربك فقال رأيت نورا الى آخره (فى تفسير الآية) يعنى آية سورة النجم (وحديث معاذ) ابن جبل (محتمل للتأويل) بما مر (وهو مضطرب الاسناد) أى الطريق فى روايته (والمتن) هو نفس الحديث وكلام الرسول الذى رواه لانه المراد منه والمتن أصله الظهر الذى به قوام البدن فشبه به ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول ليشرح واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة عن ابن عباس الحضرمى مرسلا لانه ليس بصحابى وتارة عن معاذ بن جبل واضطراب متنه لانه قال فيه رأيت ربى فى أحسن صورة فقال فقيم يختصم الملأ الاعلى الحديث الذى تقدم وفيه لما صلى الغداة قال صليت الليلة ما قضى لى ثم وضعت جنبى فاتانى ربى وفى أخرى عنه قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فاذا أنا بربى واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذى وقال انه حسن غريب وقال انه صحيح الاسناد وهو أحسن ما يتمسك به فى الرؤية وكذا قال المنذرى فى الترغيب فما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه ان أراد معناه اللغوى لاختلاف ألفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف ألفاظه ولا يختلف معناه وان أراد معناه الاصطلاحى وهو ما اختلف فيه راو بان فاكثر فرووه بوجوه مختلفة لم يترجح أحدهما فليس فيه شئ منه ولو كان كذلك أوجب ضعفه وأئمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر (وحديث أبى ذر الآخر مختلف) ألفاظه المروية ومثله قد يوجب الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوى (محتمل) للرؤية العينية وغيرها (مشكل) من حيث المعنى لجعله ذاته تعالى نورا (فروى) بالبناء للمجهول (نور) منون مرفوع ويروى منصوبا أيضا (انى) بفتح الهمزة وتشديد النون وألف بعدها مقصور بمعنى كيف (أراه) أى منعنى وحجبنى أو ظهر لى نورا أو رأيت نورا غشينى فكيف أرى ذات الله وقد حال بينى وبينه

(وحكى بعض شيوخنا) انه روى نورانى (أى بفتح النون والراء بعده ألف فنون مكسورة وتحتية مشددة منونة وأراه) بضم همزة على ماذكره الحجازى قال المزى وهذا تصحيف والصواب الاول ويدل عليه قوله رأيت نورا وقوله حجابه النور انتهى وقال الشمنى يحتمل ان يكون معناه راجعا الى ماسبق ولا يخفى بعده وغرابته اذ الاول دال على نفى رؤيته واستبعاده والثانى على اثباته واستعداده (وفى حديثه الآخر) أى وفى حديث آخر لابى ذر (سألته) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيت ربك (فقال رأيت نورا) أى رأيت نورا كيف أراه وفى شرح الدلجى قال المصنف وهذه الرواية لم تقع لنا ولا رأيتها فى أصل من الاصول أى أصول مسلم ومحال ان يكون ذاته تعالى نورا اذ النور جسم يتعالى الله عنه ومن ثمه كان تسميته سبحانه وتعالى فى الكتاب والسنة نورا بمعنى ذى النور أى منوره أو منه النور كما قيل نور السماء بالشمس والقمر والنجم ونور الارض بالانبياء والعلم وروى بالنبات والاشجار أو المراد بالنور خالقه هذا وفى تخريج أحاديث الاحياء للعراقى فى كتاب المحبة قال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ أى من حيث ان فى رواية أحمد عن أبى ذر رأيته نورا انى أراه ورجالها رجال الصحيح (وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما) أى من حديثى أبى ذر (على صحة الرؤية) أى وقوعها ونفيها التعارض معنييهما وتناقض اسناديهما (فان كان الصحيح) أى متنا أو اسنادا (رأيت نورا فهو وقد أخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى هذا) أى الى معنى قوله رأيت نورا (يرجع قوله نورانى أراه أى كيف أراه مع حجاب النور المغشى) بصيغة الفاعل مخففا أو مشددا أى المغطى (للبصر وهذا أى حديث) نورانى أراه (مثل مافى الحديث الآخر) أى من حيث المعنى (حجابه النور) كما رواه الطيالسى عن أبى موسى الاشعرى وأصله فى مسلم وأوله ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام (وفى الحديث الآخر) أى الذى رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة (لم أره بعينى ولكن رأيته بقلبى) زيد فيه ههنا (مرتين وتلا) أى قرأ الراوى شاهد الصحة رؤيته ربه بقلبه

سبحات النور المانعة من الرؤية فى جارى العادة وروى نورانى بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعانى وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفى المقتفى للبرهان يحتمل هذه الرواية ماسبق بان يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤية فهو من صفات الافعال وقال المصنف رحمه الله تعالى لم أر هذه الرواية ومن المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها أو هادى أهلها أو منور قلوبهم أو ذو بهجة وجمال وقال العراقى فى تخريج أحاديث الاحياء مارأيت لهذا الحديث منكرا وقال ابن خزيمة فى القلب من صحة اسناده شئ وزاد أحمد فى حديث أبى ذر رجال اسناده رجال الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر برؤية ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار أو التعجب أى كيف يتمكن من رؤيته ويحتمل انه قاله لان عنده من حديث اسلامه ممن لا يفهم مراده لانه روى رأيت نورا وماذكره البرهان تكلف فان النور من اسمائه تعالى * أقول كل هذا كلام مديح والذى ارتضاه الغزالى كما يأتى ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع فى كلام الاشعرى مايوافقه فانه قال الله نور ليس كالانوار كما سيأتى وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفى بفرط الظهور فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم (وحكى) أى نقل (بعض مشايخنا انه) أى هذا الحديث أو هذا اللفظ (نورانى أراه) قد عرفت معناه وسمعت ماقاله المصنف أى فى شرح مسلم من ان هذه الرواية لم تثبت (وفى حديثه) أى حديث أبى ذر (الآخر) أى المروى من طريق آخر (سألته) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت له هل رأيت ربك (فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منها على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا) هذا محتمل لان يكون أطلق عليه النور حقيقة كما مر أو باعتبار لازمه كسائر أسمائه التى لا تليق حقيقتها به أو ان المراد انه لم يره لان حجابه النور والى هذا أشار المصنف بقوله (فهو) أى النبى صلى الله عليه وسلم (قد أخبر انه لم ير الله تعالى وانما رأى نور امنعه وحجبه عن رؤية الله تعالى) بناء على مافهمه ولم يرتضه بعض الشراح (والى هذا المعنى وانه لم يره) (يرجع قوله نورانى أراه) فانه تعجب أو انكار لرؤيته (أى كيف أراه) هذا كقوله تعالى كيف تكفرون بالله فكيف للانكار أو التعجب أى كيف يتمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشى للبصر) أى الساتر أو المانع له عن الرؤية كالغشاوة (وهذا مثل مافى الحديث الآخر حجابه النور) وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسى والبخارى عن أبى موسى الاشعرى وهو ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه أحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه وهو حديث صحيح (وفى الحديث الآخر لم أره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين وتلى) قوله تعالى

(ثم

(ثم دنا) اى قرب ثدنيا (فتدلى) أى زاد فى التقرب اليه سبحانه وتعالى فكان قاب قوسين أو أدنى (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) أى على أن يجعله فى القلب (أو كيف شاء) أى بان يخلق ادراك الرؤية فى السمع أو غيره وان يخلق ادراك السمع فى البصر ونحوه (لا اله غيره) أى حتى يمانعه ويدافعه عن مراده فى عباده (فان ورد حديث نص بين) بتشديد الياء المكسورة أى ظاهر لا يحتمل تاويلا (فى الباب) أى فى باب الرؤية من ثبوتها ووقوعها (اعتقد) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل (ووجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه) أى فى جواز الرؤية وحصولها (ولا مانع قطعى) أى من جهة شهود العقل أو ورود النقل (يرده) أى عند المحقق (والله الموفق) أقول والله سبحانه وتعالى أعلم انه يمكن الجمع بين الادلة فى هذه المسئلة المشكلة بان ماورد مما يدل على اثبات الرؤية انما هو باعتبار تجلى الصفات وماجاء مما يشير الى نفى الرؤية فهو محمول على تجلى الذات اذ التجلى للشئ انما يكون بالكشف عن حقيقته وهو محال فى حق ذاته باعتبار احاطته وحياطته كما يدل عليه قوله تعالى لا تدركه الابصار وقوله تعالى ولا يحيطون به علما ومما يؤيده انه قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ففى ذكر الرب والجعل تلويح لما قررنا وكذا فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تلميح لما حررنا وكذا فى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته تصريح بما قررنا والحاصل ان ماعلم يقينا من معرفته فى الدنيا يصير عن اليقين بها فى العقبى مع ان التجليات الصفاتية الكاشفة عن الحقيقة الذاتية لا نهاية لها فى المقامات الابدية والحالات السرمدية فالسالك المنتهى فى السير الى الله تعالى يكون فى الجنة أيضا سائرا فى الله كما قال تعالى وان الى ربك المنتهى مع أنه لا نهاية لآخريته كما انه لا بداية لاوليته فهو الاول والآخر والباطن والظاهر وهو أعلم بالظواهر والضمائر وما كشف للعارفين من الحقائق والسرائر

(ثم دنى فتدلى) أى نزل ليقرب من عنده وهذا بناء على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلاة والسلام وتدليه من المتشابه كقوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال (والله قادر على خلق الادراك الذى فى البصر فى القلب) بان يدرك بقلبه مايدرك ببصره حتى يكون مشاهدا محسوسا له واقفا على ذاته لان فى القلب نورا هو مبدأ الابصار فيقربه الله حتى يرى بلا واسطة للعين (أو كيف شاء) أى بكيفية أخرى غير خلق الادراك فى قلبه أرادها لمن أراد أن يتجلى له بان يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه الا هو (لا اله غيره فان ورد حديث نص) صريح (بين فى الباب) فى ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التاويل (اعتقد) بالبناء للمجهول أى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده (ووجب المصير اليه) أى وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه (اذ لا استحالة فيه) أى فيما ذكره من صحة الرؤية ووقوعها وهذا معنى الوجوب الذى قاله أولا كما وعدناك به (ولا مانع قطعى يرده) فيمنع من اعتقاده ويوجب تاويله أو التوقف فيه كسائر المتشابهات (والله الموفق للصواب) أى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده وفى الختم بهذا لطف لما فيه من الاشارة الى أن تعارض أحاديث الرؤية محتاج للتوفيق لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافى ان الاصح الراجح انه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه حين أسرى به كما ذهب اليه أكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه أيضا ذهب الى انه أمر غير قطعى فالاعتراض عليه بانه ان أراد بالقطعى كلام الله أو حديثا متواترا فسلم لكنه ليس بلازم فكم من أمر علمناه وجزمنا به وهو ليس فى القرآن ولا فى الحديث المتواتر وان أراد انه ليس فيه حديث صحيح صريح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه والله أعلم (فصل وأما ماورد فى هذه القصة) أى قصة الاسراء (من مناجاته لله تعالى) أى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة بما يرضاه وأصل معناها أن يخلو بمن خاطبه على نجوة أى مكان مرتفع من الارض وقيل هو من النجاة لان من سره نجا من أن يطلع عليه غيره ثم شاع فى مطلق المخاطبة فلذا عطف عليه قوله (وكلامه معه) ليبين المراد به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته أو لله كضمير معه أى كلامه معه الثابت (بقوله فاوحى الى عبده) المقرب اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم أو جبريل وقدم ان مقام العبودية أشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه (ما أوحى) أى ما يوحى أمرا عظيما لا يحيط به العبارة ففى الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم لاسرار المعارف لا يطلع على ما أطلعه الله عليه غيره

(فصل) فى فوائد متفرقة مما يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ليلة الاسراء (وأما ماورد فى هذه القصة) أى قصة الاسراء (من مناجاته لله عز وجل) أى مكالمته سرا (وكلامه معه) جهرا أو من محادثته صلى الله تعالى عليه وسلم له سبحانه وتعالى وكلام الله معه عز شانه (بقوله) أى بدليل ماورد من قوله تعالى (فاوحى الى عبده ما أوحى

(الى ماتضمنته الاحاديث) أى مع ماوردت به السنة مماسيذكر فى هذا المعنى (فاكثر المفسرين على ان الموحى هو الله تعالى الى جبريل وجبريل الى محمد الاشذوذا منهم) أى الاطائفة قليلة من المفسرين خارجة عن جمهورهم منفردة عنهم (فذكر عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر (قال أوحى الله اليه بلاواسطة) أى كما يقتضيه مقام الكرامة وحالة المباسطة (ونحوه عن الواسطى) أى منقول (والى هذا) أى قوله (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه فى الاسراء) أى فى ليلته أو حالته (وحكى عن الاشعرى) أى القول بانه كلمه فيها (وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وأنكره) أى نفى تكليمه بلاواسطة (آخرون) وسيرد مايردهم (وذكر النقاش عن ابن عباس فى قصة الاسراء عنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله دنا فتدلى قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) أى فى مقام معين له كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله ومامنا الا له مقام معلوم وقال معتذرا لو دنوت أنملة لاحترقت (فانقطعت الاصوات عنى) أى بعد مفارقة جبريل منى وحصل الرعب والوحشة فى قلبى (فسمعت كلام ربى وهو يقول ليهدأ) بكسر لام الامر ففتح فسكون ففتح فهمز ساكن أى ليسكن (روعك) بفتح الراء أى فزعك وان روى بضم الراء فالمعنى ليطمئن نفسك فانى معك وأصل الروع بالضم القلب ومنه الحديث نفث جبريل فى روعى فيحتمل انه ذكره لانه محل الروع فسمى باسم ماحل فيه أو سمى كله باسم القلب الذى فيه الروع فسمى باسم بعضه (يا محمد أدن) بضم همز ونون أمر من الدنو (أدن) كرر للتأكيد وافادة زيادة القرب والتأييد فالدنو بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم دنو رتبة وقربة ومكانة لادنو مكان ومسافة ومساحة أو المراد الدنو الى عرشه المحيط بعلو العالم وفرشه (وفى حديث أنس فى الاسراء نحو منه) أى مرة رفاعله أو مرفوعا عنه فان صح رفعه وكذا وقفه لانه يعطى حكمه فلا كلام فيه مع انه يمكن الجمع بان ما أوحى اليه من الوحى الجلى وهو القرآن المبين فلا يكون الا بواسطة جبريل الامين كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من

ففى الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره (الى ماتضمنته الاحاديث) الآتية والى بمعنى مع أو غاية لابتداء مقدر أى ينتهى من الكلام الى ماتضمنته الاحاديث (فاكثر المفسرين) جواب ساقيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فحق العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل (على ان الموحى) اسم فاعل أوحى أى الفاعل للايحاء فى قوله فاوحى فى هذه الآية (الله الى جبريل عليه الصلاة والسلام وجبريل الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الاشذوذا منهم) أى الاجماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه فشذوذا ماجمع شاذ كقعود جمع قاعد أو مصدر أطلق على الفاعل مبالغة فى اتصافهم به حتى كأنهم عينه (فذكر) مبنى للمفعول (عن جعفر بن محمد الصادق) صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته انه (قال أوحى اليه بلاواسطة) أى كلم الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بلاواسطة ملك أو غيره والمراد بالوحى هنا الكلام وان كان أعم منه فعلى هذا ضمير أوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم وهذا بيان للمذهب الشاذ (ونحوه) أى ومثل ماقاله جعفر نقل (عن الواسطى) وقد تقدمت ترجمته (والى هذا) القول المنقول عن جعفر والواسطى (ذهب بعض المتكلمين ان محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه فى الاسراء) بفتح همزة أن وهو وما بعده بدل من هذا (وحكى) ببناء المجهول (عن الاشعرى وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس) رضى الله تعالى عنهم (وأنكره) أى أنكر تكلم الله له صلى الله تعالى عليه وسلم بلاواسطة قوم (آخرون) وليس المنكر النقل فقط كما توهم لان السياق يأباه (وذكر النقاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا (عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى قصة الاسراء عنه عليه الصلاة والسلام فى) تفسير (قوله دنى فتدلى قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (فارقنى جبريل) أى تخلف عنه فى المعراج لان له مقاما لا يتعداه (فانقطعت الاصوات عنى) بعدما فارقته وبعدت عنه (فسمعت كلام ربى وهو يقول لى) جملة حالية أى قائلا لى (ليهدأ روعك يا محمد) بلام الامر ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم بلام الامر فاذا أبدل الفاء جاز حذفها كالمعتل الآخر والروع بفتح الراء الخوف والهدأ معناه السكون والمعنى ليسكن فزعك أى ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف ويجوز أن يراد بالمفتوح أيضا القلب لانه محله فالروايتان بمعنى (ادن ادن) أمر من الدنو وهو القرب أى تقدم وادخل الى حظائر القدس وانما قال له تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم واعلاء لمنزلته وتانيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات ولذا أمره باطمئنان قلبه أولا وكرر أمره تأكيدا أو بيانا لزيادة قربه من الله تعالى وان كان أقرب اليه فى كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخباره عنه بقوله دنا اشارة الى امتثاله الامر (وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه فى الاسراء) السابق ذكره (نحو منه) أى مايفيد مثله فالحاصل فى قوله فاوحى الآية

المنذرين بلسان عربي مبين وما أوحى اليه من الوحى الخفى فهو بلا واسطة أحد وبلا تقييد لغة كما هو قضية الالهام مما لا يخفى على العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام من هداة الانام (وقد احتجوا) أى الآخرون (فى هذا القول) بانه كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر) أى لآدمى (أن يكلمه الله الا وحيا) كلاما خفيا يدرك بسرعة لا بتامل وروية وهو اما بطريق المشافهة به كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أو على سبيل الهتف كما حصل لموسى عليه السلام فى وادى الطور بطوى (أو من وراء حجاب) أى كما وقع لسائر الانبياء من الوحى الخفى ولبعض الاصفياء من الالهام الجلى (أو يرسل) أى الله تعالى الى البشر (رسولا) من الملائكة (فيوحى اليه) أى بالواسطة بان يبلغ الملك الرسول من البشر (باذنه ما يشاء) أى من الاحكام والانباء وهذا الذى ذكرناه أظهر مما ذكره المصنف بقوله (فقالوا هى) أى الآية الدالة على أنواع الكلام أو مكالمته تعالى للبشر على (ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى هذا) أى أحدها (وارسال الملائكة) الاظهر الملك بصيغة الافراد لان المشهور ان جبريل هو صاحب الوحى ولعل وجه الجمع انه ما يخلو عن صحبته جماعة من الملائكة كما يستفاد من قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من

بين يديه ومن خلفه رصدا (كحال جميع الانبياء) الاولى كحال سائر الانبياء جميعها (وأكثر أحوال نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وهذا هو القسم الثانى قال الواحدى المفسر فى قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى الآية الرسول الذى أرسل الى الخلق باخبار جبريل اليه عيانا وحاوره شفاها والنبى الذى تكون نبوته الهاما أو مناما فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا هذا كلام الواحدى قال النووى فى تهذيبه فيه نقص فى صفة النبى فان ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك وليس كذلك (والثالث قوله) أى ما أفاد (الا وحيا) وهو وما بعده أحوال أى الا موحيا أو مسمعا من حجاب أو مرسلا

ان الضمير الاول فى أوحى لجبريل وفى عبده لله والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير أوحى الثانى يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم وتعظيم للوحى أو لله أى أوحى جبريل لعبد الله محمد ما أوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير فى أوحى الاول لله وعبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم أى أوحى الله الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل أى أوحى الله تعالى الى جبريل والضمير فى أوحى الثانى لله أى أوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما أوحاه الله اليه ففيه تفخيم للوحى أيضا ويجوز ان يكون لجبريل أى أوحى الله الى عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما أوحى جبريل اليه فاتحاؤه اليه بواسطة وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير أوحى الثانى لله والمعنى أوحى الله لعبده جبريل ما أوحى الله اليه ففيه تفخيم وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير أوحى الثانى له أى أوحى الله لعبده جبريل ما أوحى جبريل لمحمد صلى الله عليه وسلم أو لكل رسول لانه أمين وحيه وما مصدرية أو موصولة والذى أوحاه أحكامه أو أمر الصلاة أو أوحى اليه لا يدخل نبى ولا أمة الجنة قبلك وقبل أمتك أو هو سر فى سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يعرفه * قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسيأتى تفسير بقية الآية وتحقيقه (وقد احتجوا فى هذا) أى استدلوا على انه تعالى كلمه بلا واسطة (بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء) ووجه الاحتجاج بينه بقوله (فقالوا هى) أقسام الكلام المثبتة فى هذه الآية على وجه يفيد نفى ما عداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع (ثلاثة أقسام) منحصرة فيها الاول منها الكلام (من وراء حجاب) يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فانه يراه ولا يحجبه شئ كما مر تفصيله فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه الا الله (كتكليم موسى) أى كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام فى الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته تعالى (و) القسم الثانى من الوحى يكون بـ(ارسال الملائكة) الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذى أوحاه اليهم وهذه الحالة فى الوحى (كحال جميع الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (وأكثر حال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وموسى أيضا فى غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة فى الدنيا قيل سواء رأوا الملك أو لم يروه فان الوحى على أقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير أن يراه وفيه نظر فان هذا داخل فى قوله وحيا وفى قوله بارسال الملائكة اشارة الى انه غير مختص بجبريل لما روى ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام وكل به صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين فى أول الامر وقد قسموا الوحى الى نحو أربعين قسما ولكنها ما لا تخرج عن هذه الاقسام (الثالث) من أقسام الوحى وكلام الله لرسله عليهم الصلاة والسلام (قوله وحيا) أى القاء فى قلبه بالهام ونحوه قال الراغب فى مفرداته أصل الوحى الاشارة السريعة ولتضمنه السرعة قيل أمر

(ولم يبق من تقسيم صور الكلام) أي المنحصر في هـذا المقام تم الكلام كذا في نسخ الكرام وقال التلمساني الكلام كذا ثبت بخط القاضي المصنف وبخط العـزفي المكالمة وهو الصـواب بدليل قوله (الا المشافهـة مـع المشاهدة) فاختص بها نبينا صـلى الله تعالى عليه وسـلم والله سبحانه وتعالى أعـلم وحاصـل قوله انه لم يبق من تقسيم صـور الكلام الخ انه ينبغي أن يحمـل قوله وحياعـلى المشافهة مع المشاهـدة اذ لم يبق من التقسـيم الا هـذا (وقد قيـل الوحي هـهنـا) أي في عالم السماء أو في هذه الآية الاسمى (هـو ما يلقيـه) أي يقـذفه الهـاما (في قلب النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم أي قلب نبينا أو النـبي من الانبياء (دون واسـطة) أي من الوحي الخـفي كما سبق اليـه الاشارة (وقد ذكر أبو بكر البزار) بتشديد الزاي ثم راء نسـبة الى عمـل بزر الكتان زيتـا بلغـة البغداديين (عن عـلي رضي الله تعالى عنـه في حـديث الاسراء ما هو أوضح) أي أظهر وأصرح (في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية) أي من الاستدلال بمفهومها من الاقسام الثلاثة وقال الدلجي من آية فاوحى الى عبده ما أوحى وهو بعيد كما لا يخفى فذكر

وحي فذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وباشارة بعض الجوارح وبالكناية ويقال لما يلقى لانبيائه وحي وهو على اضرب حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الى آخره فذلك اما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي صـلى الله تعالى عليه وسلم في صورة معينة واما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء في الروع كما ذكر ان روح القدس نفث في روعي واما بالهـام أو منام انتهى فالاخير هو المراد بالوحي هنا وسيشير اليه المصنف (ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة) أي الكلام من غير واسطة وهو في الاصل مأخوذ من الشفة فتجوز به عن هـذه المخاطبة والمكالمة (مع المشاهدة) أي معاينة المخاطب لمن كلمه من غـير واسـطة ولا حجاب مانع من الرؤية فيخص الله بها من شاء من خاص من عباده المقربين كنبينا صلى الله عليه وسلم وقد استدل بهذه الآية على نفي الرؤية لحصر تكليم البشر في الثلاثة فاذا لم يره من يكلمه وقت الكلام لم يره غيره اجماعا واذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضا اذ لا قائل بالفصـل والجواب انه يحتمل ان يكون المـراد حصر التـكليم في الدنيـا في هـذه الثلاثة أو نقول يجوز ان تقع الرؤية حال التكليم وحيا اذ الوحي كلام بسرعة كما تقرر وهو لا ينافي الرؤية فلا دليل على ما ذكر أصلا كما حققه ابن الخطيب في رسالته المشهورة يعني ان اعلام أحد أحدا بامر اما بغير مشافهة وكلام معروف أو بمشافهته بواسـطة أو بدونها والثاني اما مع مشاهدة أو بدونها فانحصر في هذه الصور الاربعة والآية استوفت الاقسام الا ما كان مع مشاهدة الذي خص الله من أراد وقد علمت ان ما ذكره غير متعين ولذا قال بعضهم ان قوله لم يبق الا المشافهة مع المشاهدة ممنوع الان سند منعه غير صحيـح ولم يعرج أحد منهم على تحرير كلامه هنا (وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفا (الوحي هنا) في هـذه الآية (هو ما يلقيه في قلب النبي) أي في قلب أي نبي كان من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الهـاما ونحوه (دون واسطة) أي بغير واسطة ملك يبلغه ما أوحاه الله اليه والالهـام كما قال الزركشي ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه خيال لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي بقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها ونحوه وقال السمعاني انكار أصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهـام الانبياء ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هـذا ينبغي تقييـد ما في شرح جمع الجوامع وقال الواحدي في تفسـيره نقلا عن الواقدي في تفسـير قوله تعالى وما أرسـلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الآية ان الرسول الذي أرسل الى الخلق باخبار جبريل عيانا وشفاها والنبي تكون نبوته الهـاما أو مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسـولا وقال النووي في تهذيبـه ما ظاهره ان النبوة المجـردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام الغـزالي الذي يستشهد به يرد عليه انتهى (وقد ذكر أبو بكر البزار) بموحدة وزاي معجمة وألف وراء نسـبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي تقدمت ترجمته (عن علي كرم الله وجهه في حـديث الاسراء) الذي رواه المصـنف رحمه الله تعالى بتمامه في أول الباب (ما هو أوضح في سماع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكلام الله من الآية) يعني قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى لان الآية فيها احتمالات وحديث علي رضي الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه صـلى الله تعالى عليه وسلم كلام الله من وراء الحجاب وقوله صدق عبدي فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل في قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحي في الآية مبهم وعمه معين ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلاة والسـلام بالتكليم كما توهم (فذكر) أي البزار أنه على رضي الله

تعالى

تعالى عنه (فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لى من وراء الحجاب) أى قال الله تعالى للملك الاذان (صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وقال فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) الاقوله حى على الصلاة حى على الفلاح كما مر والكونه معلوما لم ينبه عليه ووجهه ان المشروع لسامع الاذان أن يقول مايقوله المؤذنون كلمة بكلمة تصديقاله باقراره الاقوله حى على الصلاة الى آخره فانه يقول فيه لاحول ولاقوة الابالله وهذا لايليق به تعالى فلذا لم يجبه * (تنبيه) * هنا أمران الاول اختلف العلماء فى صفة الاذان على أربع صفات مشهورة * أحدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب أهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من أصحاب مالك الترجيع وهو ان يثنى الشهادتين أولا خفيا ثم يثنيهما مرة ثانية برفع الصوت * والصفة الثانية أذان المكيين وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى وهو تربيع التكبير الاول والشهادتين وتثنية باقى الاذان * والصفة الثالثة أذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثنية باقى الاذان وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى * والصفة الرابعة أذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث الشهادتين وحى على الصلاة وحى على الفلاح يبدأ باشهد أن لا اله الا الله حتى يصل حى على الفلاح ثم يعيده كذلك مرة ثانية أعنى الاربع كلمات نسقا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصرى وابن سيرين كذا قال ابن رشد فى كفاية المقتصد * الثانى أن حديث على رضى الله تعالى عنه يقتضى ان الاذان شرع ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرتين لما رآه بعض الصحابة فى منامه كما مر ولايخفى مابين الحديثين من التعارض ولم يتعرض أحد لتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأجيب بانه ثبت بوحى لكنه صادف ذلك المنام فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه ثبت بحديث الاسراء الا انه لم يبين له زمانه ولم يمكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم التوفيق بينهما (ويجىء الكلام فى) بيان (مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا مع مايشبهه وفى أول فصل من الباب منه) وسنذكر مافيه ثمة (وكلام الله) عزوجل (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه) اختص ورد لازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه (جائز غير ممتنع عقلا) أى ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم (ولا ورد فى الشرع قاطع يمنعه) أى دليل قطعى يمنعه كما لم يرد دليل قطعى بثبوته أيضا (فان صح فى ذلك) أى فى الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلاة والسلام (خبر اعتمد عليه) فى الجزم بوقوعه وروى احتمل وكلاهما مبنى للمجهول كما قاله البرهان (وكلامه تعالى لموسى) وروى ومكالمته لموسى عليه الصلاة والسلام (كائن حق مقطوع به نص ذلك) بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كمشترك أى نص عليه (فى الكتاب) العزيز والقرآن (وأكده) الله تعالى (بالمصدر دلالة على الحقيقة) أى دلالة على ان الكلام فيه بمعناه الحقيقى وان اختلف أهل السنة فى معناه الحقيقى القديم بل هو الكلام اللفظى أو النفسى كما ذهب اليه الاشعرى وتحقيقه فى كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لايسعه هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القائلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام فى جسم آخر كالشجرة فسمعه عليه الصلاة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسى وقالوا اللفظى حادث لايقوم بذاته ودعوى قدمه لاتعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا انه حقيقة لانه الخالق له والفاعل فباطل لان الفاعل

فيه) أى على مرفوعا أو موقوفا يقتضى أن يكون فى الحكم مرفوعا (فقال الملك) بفتح اللام (الله أكبر الله أكبر فقيل لى) فيه دلالة على ان الحديث مرفوع وفى نسخة له أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه اشارة الى ان الحديث موقوف أو نقل بالمعنى (من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وقال) أى الله تعالى من وراء الحجاب (فى سائر كلمات الاذان مثل ذلك) أى صدق عبدى مع ما يناسب ساقبله من النداء وفيه أنه انما يدل على كلامه بلا واسطة لا مع المشافهة والمشاهدة كما يقتضيه أقسام الآية (ويجىء الكلام فى مشكل هذين الحديثين) أى حديث ابن عباس وعلى (فى الفصل بعد هذا) أى الفصل (مع مايشبهه) أى مما ورد فى حديث غيرهما (وفى أول فصل من الباب منه) أى سيجىء الكلام على دفع اشكال المرام وضمير منه يعود الى ما فى قوله مع مايشبهه (وكلام الله تعالى لمحمد) عليه الصلاة والسلام (ومن اختصه من أنبيائه) كموسى عليه السلام (جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد قاطع فى الشرع يمنعه) أى يمنع جوازه نقلا (فان صح فى ذلك خبر) أى فى كلامه لغير موسى عليه السلام منهم (اعتمد عليه) بصيغة المجهول وفى نسخة احتمل عليه (وكلامه تعالى لموسى كائن) أى واقع (حق) أى ثابت (مقطوع به نص ذلك فى الكتاب) أى بقوله وكلم الله موسى (وأكده بالمصدر) أى بقوله تكليما (دلالة) بفتح الدال ويكسر أى علامة (على الحقيقة) أى ودفعا لتوهم ارادة المجاز فى القضية بناء على ماذهب اليه المحققون من ان الفعل اذا أكده بالمصدر دل على الحقيقة ولذا يقال أراد

زيد ارادة ولا يقال أراد الجدار ارادة لانه لا يتصور منه حقيقة الارادة (ورفع مكانه) أى الحسى المشعر بعلو قربه المعنوى (على ما ورد فى الحديث) أى جاء التصريح فى بعض طرق الحديث الصحيح بانه (فى السماء السابعة) أى على ما رواه البخارى فى التوحيد ان موسى فى السماء السابعة وابراهيم فى السادسة ثم قال بتفضيله الكلام الله تعالى وهو موافق لما فى الاصل وقيل صوابه السادسة لان موسى فيها وابراهيم فى السابعة فالسابعة لموسى غلط ويؤيده انه قال الحاكم تواترت الاحاديث انه فى السادسة ثم هذه الرفعة فى المقام (بسبب كلامه) أى تكليم الله تعالى اياه عليه السلام (ورفع محمد فوق هذا كله) كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى ورفع بعضهم درجات (حتى بلغ مستوى) أى مكانا مستويا لا ترى فيه عوجا ولا أمتا (وسمع صريف الاقلام) أى صوت جريانها بما تكتبه من الاقضية والاحكام (فكيف يستحيل فى حق هذا) أى النبى عليه الصلاة والسلام (أو يبعد) أى يستغرب ويستبعد منه (سماع الكلام فسبحان من اختص) وفى نسخة من خص (من شاء بما شاء) أى من جزيل كرمه وجميل نعمه (وجعل بعضهم فوق بعض درجات) أى فى المقامات العاليات

(فصل)

ومعنوى أى فى متممات هذه القصة ومكملات هذه القضية (وأما ما ورد فى حديث الاسراء) أى أحاديث سيره الى السماء (وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى) أى حيث ظواهر الضمائر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم لا الى جبريل كما قيل

الحقيقى فى اللغة من قام به الفعل لا من أوجده فهذا ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقى اللغوى والحقيقى فى الحقيقة ونفس الامر كما حققه الابهرى فى حواشى العضد فيلزمهم اثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له فان قالوا هو مجاز فالتأكيد بالمصدر فى قوله وكلم الله موسى تكليما يرده لان التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره أهل المعانى وهذا من قبيل الاول كما أشار اليه المصنف هكذا قرره الاصوليون ورده ابن عبد السلام بان التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الظرف ودفع الشك فى الحديث لا المحدث عنه والاسناد اذ التأكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط وأجاب ابن عرفة بان تأكيد المصدر وان كان لازالة الشك فى الحديث فلابد من ملاحظة من صدر عنه فهو لازالة الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون فى قول هند زوجة روح بن زنباع تهجوه

بكى الخز من روح وأنكر جلده * وعجت عجيجا من جذام المطارف

انه ترشيح للمجاز * أقول هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تأكيد المصدر يرفع التجوز عن الاسناد فيقتضى ان المتكلم مسند لفاعله الحقيقى والمعترض يمنعه ويقول انما يمنع التجوز فى الظرف وهو الكلام لا مؤكد لفعله كما صرح به وأهل المعانى لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان العجيج مجاز وقد أكد فلا يمنع مجازا أصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المصنف (ورفع مكانه) أى مكان موسى الكليم (على ما ورد فى الحديث) الصحيح الذى فيه مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لقيهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى السموات حين أسرى به انه (فى السماء السابعة) هذا بناء على بعض الروايات والذى صححه الحاكم وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى السماء السادسة وجزم به ابن المنير وغيره وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد وعدل عن المشهور لانه أنسب بمراده فالقول بانه غلط وان الذى فى السماء السابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهم من قائله وقوله (بسبب كلامه) متعلق برفع أى بسبب رفعته عليه الصلاة والسلام على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا (ورفع محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) حين أسرى به (فوق هذا كله) أى فوق هذه المقامات كلها فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم بهيكله البشرى (حتى بلغ مستوى وسمع صريف الاقلام) تقدم شرحه (فكيف يستحيل) ويمتنع عقلا (فى حق هذا أو يبعد) بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه (سماع الكلام) من كلام الله تعالى بغير واسطة (فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له جدا له على ما أنعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا (من اختص من شاء) من رسله وخلص عباده (بما شاء) من جزيل نعمه وكرمه (وجعل بعضهم) راجع لمن باعتبار معناه (فوق بعض درجات) كنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبياء وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس من قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد ببعضهم هنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأبهمه تفخيما لشأنه واشارة الى تعينه كما قيل

وأقول بعض الناس عنك كناية * خوف الوشاة وأنت كل الناس

وان اختلف المفسرون فى المراد به فى الآية ولا يخفى ما فى ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

(فصل وأما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب) عطف تفسيرى وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر (من قوله ثم دنا فتدلى) الدنو القرب ولذا عطف عليه عطفا تفسيريا وهو حسى

(فكان قاب قوسين) أى قدرهما (أو أدنى) أى بل أقرب و كون أو للتنويع أنسب (فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلى منقسم ما بين محمد و جبريل عليهما السلام) اذ قد دنا كل منهما من الآخر (أو مختص باحدهما) أى بان محمدا أو جبريل دنا (من الآخر) وفيه انه لم يكن بينهما بعد حتى يقال دنا فتدلى فتدبر قال النووى المراد بالقاب فى الآية عند جميع المفسرين هو المقدار ثم اعلم ان من ذهب الى ان الدنو والتدلى ما بين محمد و جبريل يقول المعنى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى أى نزل عليه وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساله ان يراه على صورته التى جبل عليها فقال لن تقوى على قال بلى قال فاين تشاء ان أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعنى قال فبمنى قال لا يسعنى قال فبعرفات قال ذلك بالحرى يسعنى فواعده فخرج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم للوقت فاذا جبريل قد استوى له أى قام فى صورته التى خلقه الله تعالى عليها له ستمائة جناح وهو بالافق الاعلى أى فى جانب المشرق فى أقصى الدنيا عند مطلع الشمس فسد الافق من المغرب فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كبر وخر مغشيا عليه فتدلى جبريل عليه السلام فنزل عليه حتى اذا دنا منه قدر قوسين أفاق فرآه فى صورة الآدميين كما فى سائر الاوقات فضمه الى نفسه وقال لا تخف يا محمد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما ظننت ان أحدا من خلق الله هكذا قال كيف لو رأيت اسرافيل عليه السلام ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد خرقتا تخوم الارضين السفلى وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعنى كالعصفور الصغير قيل ولم ير جبريل عليه السلام أحد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد فانه رآه فيها مرة فى الارض ومرة فى السماء ليلة المعراج عند سدرة المنتهى ذكره الانطاكى (أو من سدرة المنتهى) وهذا فى غاية من البعد على ما لا يخفى (قال الرازى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى كما رواه ابن أبى حاتم (هو محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب) بضم الراء (وتدلى زاد فى القرب) أظن لا معنى له غيره (وقيل هما بمعنى واحد) أى جمع بينهما للتاكيد أى قرب غاية القرب والاول أظهر لان التاسيس هو الاكثر ولان زيادة المبنى تفيد الزيادة المعنى وقال ابن الاعرابى تدلى اذا قرب بعد علو (وحكى مكى والماوردى

ومعنوى والتدلى الامتداد من علو الى أسفل كما يلقى الدلو فى البئر هذا أصله ثم استعمل فى القرب من علو حسا أو معنى فهو أخص مما قبله فلا تقديم ولا تأخير فيه أصلا والاصل فتدلى فدنا وليسا بمعنى لان العطف بالفاء يأباه والتاسيس خير من التاكيد وقيل دنا بمعنى قصد القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى أصله تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور أى دنا جبريل من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما رآه بصورته هاله فرده الله تعالى لصورته التى كان يراه عليها وقرب منه وقيل الضمير لله أى دنا من نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه واعطائه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما سياتى بيانه (فكان قاب قوسين أو أدنى) القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل معناه قدر والقوس معروف وقيل هى هنا الذراع لانه يقاس به فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس وعلى الاول قيل فيه قلب أى قابى قوس أى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين أى بين النبى و جبريل لان جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجح هذا الوجوه على رواية شريك انه الله ولهم فيها كلام كثير وقال الرازى هذا على عادتهم اذا تعاقد كبيران أو تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن دونهما يضع كفه بكفه وأو لتحقق قدر المسافة لا للشك كقوله فارسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقيل للشك بالنسبة للراوى وقيل بمعنى بل أو الواو وأدنى أفعل تفضيل أقرب من قاب (فاكثر المفسرين) جواب اما (ان الدنو والتدلى منقسم بين محمد و جبريل عليهما الصلاة والسلام) أى كل منهما ثابت لكل منهما لا لله أى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للآخر أو المراد ان الدنو لمحمد والتدلى لجبريل فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا لما رآه بصورته الاصلية (أو مختص باحدهما من الآخر) أى مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بجبريل والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل أو دنا وتدلى جبريل من محمد (أو من السدرة المنتهى) أى يختص الدنو والتدلى من السدرة لا من الآخر (قال الرازى) فخر الدين المشهور (وقال ابن عباس) كما رواه ابن أبى حاتم عنه (هو) أى الذى دنى وتدلى فى الآية (محمد دنا فتدلى من ربه) ودنوه منه كناية عن قرب منزلته ومشاهدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره (وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد فى القرب) فهو ترق فى تقربه من ربه قرباً معنويا لا حسيا (وقيل هما) أى دنا وتدلى (بمعنى واحد أى قرب) قربا معنويا بنيله انعامه ولا يخفى ان العطف بالفاء غير وارد فى مثله ولذا ضعفه وأخره والقول بانه للتاكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة (وحكى مكى والماوردى

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي كما رواه ابن جرير (هو الرب دنا من محمد) أي بتجلي بوصف القرب له وأما قول الدلجي دنو علم فليس في محله إذ لا خصوصية له ولا بمقامه ثم لا معارضة بين قولي ابن عباس إذ نسبة القرب بينهما متلازمة بل إضافته إلى الرب هو الحقيقة فإنه لولا قربه لما تصور تقربه كما حقق في قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه (فتدلى إليه) أي نزل إليه صلى الله تعالى عليه وسلم (أي أمره وحكمه) يعني على حذف مضاف أو ارتكاب مجاز والانسب في معناه قرب الرب منه فتقرب إليه والاول يسمى قرب الفرائض والثاني قرب النوافل هكذا قرره بعض أرباب الفضائل (وحكى النقاش عن الحسن) أي

عن ابن عباس) رضي الله تعالى عنهما في رواية ابن جرير عنه (هو) أي من أسند إليه الدنو (الرب دنا من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ليس المراد الدنو المكاني لتنزهه تعالى عنه ولا العلم لأنه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتعظيمه بل قرب المنزلة بإعلاء مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته (فتدلى إليه) أي نزل الرب لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فهو على حد قوله تعالى ينزل ربنا إلى السماء الدنيا في الثلث الاخير أي تجلى له ونظر إليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه كما سيأتي بيانه فقوله (أي أمره وحكمه) لم يرد به أنه فاعل تدلى كما قيل وإنما هو ضمير الله أيضا وهو استعارة أو كناية عما ذكر وإليه أشار القاضي رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق استماعه لما أوحي إليه بنفي البعد عنه (وحكى النقاش) في تفسيره (عن الحسن) البصري أنه (قال دنا) الله (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) دنو مرتبة وقرب معنوي (فتدلى) أي (فقرب منه) بعنايته واختصاصه والاولى فزاد قربه إليه كما (فأراه ما شاء أن يريه من) آثار (عظمته وقدرته) فأرى بصرية تعدت لمفعولين أو علمية مفعولها الثالث مقدر أي أراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة والاول أظهر وأقرب (قال) أي النقاش أو الحسن (وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر) فأصله فتدلى فدنى أي (فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج) وهو البساط مطلقا أو البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفي الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه والواحد رفرفة فهو من البسط والفرش وفسر بالزرابي والمرافق وقيل الثوب العريض أو حواشيه من رف يرف تحرك ومنه رفرفة الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفي الحديث زرنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فرفع لنا الرفرف فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء في الجنة وهو بساط إذا استقروا عليه طار بهم لأي جهة أرادوها بقدرة الله تعالى وورد في المعراج أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلاة والسلام فتناوله فطار به إلى العرش يرفعه ويخفضه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى الله تعالى عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبأنه رياض الجنة وإلى هذا أشار بقوله (فجلس عليه ثم رفع) أي رفعه الله بقدرته وهو مبني للمجهول (ودنا) الرفرف أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (من ربه) بالمعنى السابق (قال) صلى الله تعالى عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد أن علا الرفرف فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات) أي أصوات الملائكة عليهم الصلاة والسلام (فسمعت كلام ربي) عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله تعالى في بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر وفيه إثبات الكلام اللفظي لله تعالى كما ذهب إليه السلف وتبعهم الشهرستاني في مقالته المشهورة ومن ينكره يقول الكلام

النفسي

البصري (قال دنا) أي الرب الامجد (من عبده محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فتدلى فقرب منه) أي قرب مكانة لا قرب مسافة وقرب إنعام لا قرب إقدام وقرب عناية لا قرب غاية (فأراه ما شاء أن يريه من قدرته وعظمته) أي مما لا اطلاع لأحد على تفصيل جملته وفيه إيماء إلى تفسير قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال) أي الحسن أو النقاش وهو الاقرب والانسب (وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو) أي مجموع قوله دنا فتدلى (مقدم ومؤخر) أي فيه تقديم وتأخير كما بينه بقوله (تدلى الرفرف) وهو بساط أخضر من نحو الديباج وقيل ما تدلى من الاسرة من غالي الثياب والبسط وقيل هي المرافق وقيل النمارق والطنافس وقيل كل ثوب عريض وقيل هو البساط مطلقا (لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم) في نسخة (حتى رفع) أي بصيغة المجهول أي لربه (فدنا من ربه) أي دنوا بالنسبة إليه (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما سبق عنه (فارقني جبريل) أي في مقام قرب الجليل وقال لو دنوت أنملة لاحترقت (وانقطعت عني الاصوات) أي أصوات الملائكة وسائر المخلوقات (وسمعت كلام ربي) أي بجميع الحواس من جميع الجهات وهذا في المعنى هو تجلي الذات بجميع الصفات

(وعن أنس في الصحيح) أي على ما رواه شريك ابن أبي نمر (عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار) أي القاهر لعباده على وفق
مراده (رب العزة) أي الغلبة والقوة في القدرة (فتدلى) أي الجبار (حتى كان منه) أي من سيد الابرار (قاب قوسين) أي قدره وهو
غاية القرب في الكونين (أو أدنى) أي بل أقرب مما يوصف بالقرب للمريد فانه في مقام المزيد أقرب من حبل الوريد (فاوحى اليه بما
شاء) أي من غير واسطة أحد من الوعيد ثم التقدير في الآية مكان مسافة قربه مثل قدر قوسين عربيين وفي أنوار التنزيل والمقصود
من الآية تحقيق استماعه لما يوحى اليه بنفي البعد الملبس (وأوحى اليه خمسين صلاة) أي بان يصلي هو والامة في كل يوم وليلة (ثم
خففت حتى قال يا محمد هي خمس وهي خمسون) أي خمسون حقيقة أو حكما لا يبدل القول لدي في انها خمسون في الجملة وفي رواية انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة هذا الحديث في الصحيح من رواية شريك عن
أنس وقد استغرب الذهبي في الميزان هذا اللفظ فقال بعد ان ذكر حديث الاسراء الى ان قال ثم علا به فوق ذلك مما لا يعلمه الا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذا من غرائب الصحيح كذا ذكره الحلبي (وعن محمد بن كعب) أي القرظي كما في نسخة (هو) أي المراد بمن في الآية (محمد دنا من ربه فكان قاب قوسين) أي في مقام قربه لكمال حبه ووقع في أصل الدلجي هو محمد دنا محمد فتكلف له بان وضع الظاهر موضع المضمر لكمال العناية بذكره الا انه مخالف لما في
الاصول (وقال جعفر بن محمد) أي الصادق (أدناه ربه منه) أي غاية الدنو وهو يحتمل جعل فاعل دنا الرب أو محمد والاول أقرب (حتى
كان منه كقاب قوسين) ما أحسن هذه العبارة من زيادة الكاف المفيدة بحسب الاشارة الى انه ليس مقدار قوسين في المسافة في مقام
القرب المعنوي بل يشبه به باعتبار القرب الحسي كما يستفاد هذا المعنى من قوله الآتي (وقال جعفر بن محمد) أي الصادق ولم يطلقه
لئلا يشتبه بجعفر الطيار (والدنو من الله لا حد له) أي لا يدخل تحت حدود العبارة ولا في ضمن وجود الاشارة على وفق سائر حقائق
صفاته فضلا عن حقيقة ذاته (ومن العباد بالحدود) أي والدنو من العباد لا يتصور الا بالحدود الغائية المنتهية الى غاية ونهاية في
الشهود (وقال) أي جعفر (أيضا) أي حال كونه معاودا منتقلا الى معنى الكلام في الدنو ومقام المرام (انقطعت الكيفية عن
الدنو) أي عن معرفة كنهه وحقيقته (ألا ترى كيف حجب جبريل عليه السلام) بفتح الحاء أي الرب الجليل (عن دنوه) أي دنو الخليل
فكيف يطمع غيره الى معرفة سواء النبيل صح لاختلاف القال والقيل (ودنا محمد الى ما أودع قلبه) بصيغة المفعول أو الفاعل (من المعرفة

النفسي يسمعه الله تعالى بقدرته والمبحث بطوله مقرر في علم الكلام (وعن أنس في الصحيح) أي
مروي في صحيح البخاري (عرج بي جبريل) صاعدا (الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة) عطف
بيان أو بدل والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى من قولهم نخلة جبارة أي طويلة مرتفعة هذا هو المناسب
للمقام لانه أنسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما أراده من أمر ونهي وان فسر به أيضا والعزة من عز
يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغرب به الذهبي وفيه نظر
(فتدلى) تقدم تفسيره (حتى كان) رب العزة (منه) صلى الله تعالى عليه وسلم (قاب قوسين أو أدنى
فاوحى اليه بما شاء وأوحى اليه خمسين صلاة) كما مر (وذكر حديث الاسراء) بتمامه كما تقدم (وعن محمد
ابن كعب) القرظي السابق بيانه (هو) أي الموصوف بانه دنى كما سيأتي بيانه (محمد) صلى الله عليه وسلم
أي (دنا) محمد صلى الله عليه وسلم (من ربه فكان قاب قوسين) أي مقدار قاب قوسين في القرب منه (أو
أدنى قال) أي محمد بن كعب (وقال جعفر بن محمد) وهو الآتي بعده أيضا (أدناه ربه منه حتى كان منه
كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد) المذكور (والدنو من الله لا حد له) أي الدنو من جانب الله ليس
دنوا مكانيا محدودا بالحيز كالاجسام بل دنو معنوي (ومن العباد بالحدود) المكانية الحاضرة لهم لا الحد
المنطقي المميز للماهية (وقال) جعفر (أيضا) كما قاله السابق (انقطعت الكيفية عن الدنو) من
جانب الله أي دنو من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه أمر معنوي غير محسوس
والكيفيات أحوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسئل عنها بكيف وهذه لفظة مولدة لم تسمع من
العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها ثم وضح ذلك بقوله (ألا ترى) الخطاب عام لكل من
وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار والرؤية نظرية أو ادعائية أو علمية والا بفتح الهمزة
وتخفيف اللام وما في بعض النسخ الا بصورة الاستثناء وانه سمع منه بعيد (كيف حجب) بالبناء
للفاعل أي منع (جبريل) بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه (عن دنوه) الى ربه (ودنا محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم الى ما) موصولة أو موصوفة وفي نسخة ودنوه مصدر منصوب على كيف أي
ألا ترى كيف الخ وترك دنوه (أودع قلبه) صلة ما أو صفة له وأودع مبني للمجهول وقلبه نائب فاعله وفي
بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان (من المعرفة) الالهية والمواهب الربانية

والايمان) أى من كمال المعرفة وزيادة الايمان المنتجة الى مقام الاحسان وشهود العرفان (فتدلى بسكون قلبه الى ما أدناه) أى قربه اليه وأشرق بانوار المعارف واسرار العوارف لديه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) أى عن توهم حلول الشك حول ذلك الجناب فى حصول فتح هذا الباب والله تعالى أعلم بالصواب وهذا معنى خاص فى الآية على طريق الاشارة القريب الى معنى العبارة (قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) أى المصنف (اعلم ان ماوقع من اضافة الدنو والقرب هنا من الله) أى لعبده (أو الى الله) أى من عبده (فليس بدنو مكان) أى مسافة بل دنو عناية ومكانة (ولا قرب مدى) بفتح الميم والدال منونا أى ولا قرب غاية ونهاية تعالى الله عن الاتصال والانفصال والحلول والاتحاد وما يقوله أرباب الضلال والاضلال (بل كما ذكرنا عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد) أى بحس يبصر أو يدرك بنظر (وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه) عطف تفسير (ابانة عظيم منزلته) أى اظهار عظمته ومرتبته (وتشريف رتبته) أى واظهار شرف رتبة قربته الناشئة من نهاية محبته وغاية طاعته (واشراق أنوار معرفته) أى بذاته وصفاته (ومشاهدة اسرار غيبه) أى مغيباته فى ملكوت أرضه وسمواته (وقدرته) أى على ما تعلقت به مشيئة من وجود مخلوقاته (من الله تعالى) أى من جهته سبحانه وتعالى وهو متعلق بابانة ووقع فى أصل الدلجى زيادة الواو العاطفة وهو مخالف لما فى الاصول المعتبرة (له) أى سبحانه وتعالى فى حق نبيه أو لنبيه فى مقام قربه (مبرة) بفتح الميم والباء وتشديد الراء بمعنى البر أى مزيد جزيل فوائده اليه وجميل عوائده عليه (وتانيس) أى وزيادة أنس (وبسط) أى غاية انبساط (واكرام) أى وظهور احسان وانعام (ويتاول) بصيغة المجهول (فيه) أى فى دنوه سبحانه وتعالى من نبيه (ما تؤول فى قوله) أى على ما ورد فى الكتب الستة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا (ينزل ربنا الى سماء الدنيا كل ليلة) أى يأول دنوه تعالى منه

(والايمان) مما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أى الايمان بما يقتضيه العقل كوجود البارى ووحدانيته ومعنى قوله (فتدلى) أى نزل عما كان عليه قبل هذا (بسكون قلبه الى ما أدناه) الى ربه لما اطمان قلبه (وزال عن قلبه الشك والارتياب) فى انه هل يصل الى حضرة القرب وينال انافته بالاكرام والانعام ويترقى الى أعلى مقام فانجح الله تعالى أمنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أقوى الناس معرفة وايمانا وأثبتهم جاشا وايمانا وأشدهم طمانينة وسكونا وبهذا اسقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خشى ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه أمره فلما خاطبه الله وقال له ليهدأ روعك علم ان الله انما أراد تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين والافظاهره لا يليق بمقامه (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف رضى الله عنه (اعلم ان ماوقع) بفتح الهمزة وتقدم معنى اعلم (من اضافة الدنو والقرب هنا) أى من اسناده (الى الله أو من الله تعالى) ووصفه به فالاضافة بالمعنى اللغوى لا الاصطلاحى وقوله هنا أى فى هذه الآية (فليس بدنو مكان) هو خبر ان المفتوحة وزيد فيه ألفا لان اسمها موصول أى ليس فيه قربا محسوسا بل معنوى (ولا قرب مدى) بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مدى البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثانى خطأ فانه ورد فى الحديث كما ذكره النووى فى شرح مسلم (بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته) الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ وتقدم معنى المنزلة والرتبة وانها العلو المعنوى (وتشريف رتبته) بالجر ويجوز رفعه (واشراق أنوار معرفته) أى اظهار آثار معرفة الله عليه ففيه استعارة مكنية أو تشبيه ان كان من قبيل لجين الماء (ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته) أى وقوفه على ما فى عالم الملكوت لما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه (ومن الله تعالى له) أى انما دنو الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسى معناه (مبرة) مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان (وتانيس) أى لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب أليفه وهو جبريل عليه الصلاة والسلام (وبسط) أصل معناه التوسعة قال الله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط ويطلق على المسرة أيضا وليس بمعنى مولد لانه ورد فى الحديث فاطمة بضعة منى يبسطنى ما يبسطها كما مر وذكره ابن قرقول فى مطالعه وهو المراد أى تانيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره (واكرام) بتجليه وتعظيمه (ويتاول فيه) أى يأول الدنو الوارد فى الحديث (ما يتاول فى قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا) يعنى ان الدنو الواقع فى

الآية

بمـا ياول به نزوله سبحانه وتعالى (على أحد الوجوه) أى من ان نزوله انمـا هو يكون (نزول افضال واجمال وقبول واحسان) والمعنى انه تعالى يتجلى ذلك الزمان بهذه الصفات من افاضة الفضل وافادة الكرم ورعاية القبول ونهاية الاحسان (قال الواسطى من توهم) أى من المريدين (انه بنفسه) أى بحـوله وقوته (دنا) أى قرب من ربه (جعل ثمه) بفتح المثلثة وتشديد الميم أى فى ذلك المقام (مسافة) أى ولا مسافة فى قربه للاستحالة (بل كلما دنا بنفسه من الحق) أى بزعمه (تدلى بعدا) أى فى حقيقـة أمره ونتيجة حكمه (يعنى) تفسير من المصـنف أو غيره أى يريد (عن درك حقيقته) بسكون الراء وفتحها أى بعد عن ادراك حقيقته وتصور حقيقته اذ هو منزه عـن شمول احاطته (اذ لا دنو للحق ولا بعد) أى دنو مسـافة ولا بعد مساحة واما قوله تعالى فانى قـريب فتمثيل لـكمال علمه واجابتـه (وقوله قاب قوسين أو أدنى) يحتمل احتمالين فى المعنى (فمن جعل الضمير) أى فى دنا وروى فان جعل الضمير (عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليـه السلام على هـذا) أى يحتاج الى تاويـل وهو انه (كان) أى الدنو (عبارة عن نهاية القرب)

(٤٠ ـ شفا نى) أى المعنوى (ولطف المحل) أى المقام الانسى (وايضاح المعرفة) من باب الافعال أو الافتعال أى وضوح المعرفة فى مقام المشاهدة وروى المنزلة بدل المعرفة (والاشراف) بالفاء وفى نسخة بالقاف أى الاطلاع (على الحقيقة) أى المنزهة عن المسافة

الآية كما ورد مثله فى بعض الاحاديث ان أولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهـره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد يأول بعلم الله ببواطنهم وظواهرهم وقدرته على التصرف فيهم وعليـه قوله تعـالى ونحن أقرب اليه منـكم ولـكن لا تبصرون كما أول النزول المسـند الى الله تعالى فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبه عليهـم وتاويله بنزول ملائـكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتاول فيهما مبنى للمجهول (على أحد الوجوه) فى تاويله من نزوله تعالى انما هو (نزول افضال) بتفضـيله وانعامه (واجمـال) أى فعل جميـل بهـم على عادته (وقبول) لتوبتهم واستغفارهم (واحسان) بالجود والـكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير مضاف من مجاز النقص أى ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابتـه وانجاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه بمن قربه كبير له مقام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداءه فهو اسـتعارة تمثيلية أو تبعية تصريحيـة (وقال الواسطى) المتقدم ترجمته (من توهم انه) تعالى وله المثل الاعلى (بنفسه دنا) دنوا حقيقيا محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوى مجازى فقد (جعل ثم) بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء أيضا كما يكون بها مرسومة خطا ثابتة لفظا فى الوقف ومعناه هناك وأصل وضعها للاشارة الى المـكان بعيدا أو قريبا على اختلاف فيها وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمـكان على انه استعارة فيه كما هنا فانه اشارة للآية والحـديث المذكور فيـه الدنو والنزول وقوله (مسافة) باعتبار مدلوله فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة المفازة من السوف وهو شم التراب والبول ومنه قيل للمفازة مسافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب ولا مسافة لاستحالتها عليـه تعـالى (بل كلما دنا) أحد من المخلوقات بزعمه (بنفسه من الحـق) أى الله تعالى (تدلى) نزل من علو الى أسـفل (بعدا) أى لبعده عمـا قصده فهو مفعول له أو تمييز من نسـبة تدلى (يعنى) الواسـطى بقوله هنا تدلى بعدا أى كلما حاول القرب نزل لساحة البعد (عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعنى بعدا أو بعـدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبى فى حاشـيته درك بفتح الدال والراء المهملتين وضبطه بعضـهم باسكان الراء والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح لا غير وحكى فيه الوجهان وفيه نظر (اذ لا دنو للحق ولا بعد) بالمعنى المـكانى لاستحالتهما عليه تعالى وما ورد مما يوهمه ماول كما عرفته واما علم حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجـه للتعرض له هنا (وقوله قاب قوسـين أو أدنى) بالمعنى الذى مر بيانه وهذا جواب عن سؤال ودفع لما يتوهم من انه يقتضى قربا حقيقيا ومسافة كما أشار اليه بقوله (فمن جعل الضمير) المقدر فى قوله تعالى ثم دنا فتدلى (عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل عليه السلام على هذا) التاويل السابق آنفا (كان) الدنو المذكور (عبارة عن نهاية القرب) أى معبر به عن غاية القرب المعنوى من عباده (ولطف المحل) اللطف عبارة عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما فى قوله وهو اللطيف الخبير أى هو عبارة عن دنو معنوى ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار (واتضاح المعرفة) الالهية التى وهبها من العـلم اللدنى فى حظائر قدسه لمن خصـه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محرم أسراره واتضـاح بالمثناة الفوقيـة افتعال من الوضوح وفى بعض النسخ بالمثناة التحتية مصـدر أوضحه ايضاحا (والاشراف على الحقيقة) أى الاطلاع عليها وأصله من أشرف اذا

(من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى من جهته وعبارة الشفاء (وعبارة) بالنصب عطف على عبارة السابقة (عن اجابة الرغبة) أى مرغوباته (وقضاء المطالب) باداء مطلوباته (واظهار التحفى) بفتح المثناة الفوقية والحاء المهملة وتشديد الفاء المكسورة أى المبالغة فى ظهور البر والاحسان أو فى اظهار العلم والايقان يقال تحفى فلان بصاحبه أى بالغ فى بره وتلطفه بالسؤال عن حاله ومنه قوله تعالى انه كان بى حفيا قال الزمخشرى هو البليغ فى البر (وانافة المنزلة) أى رفعة الرتبة أو زيادتها ويروى ابانة من البيان

وقف على شرف وهو المكان العالى ثم أريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية أو مجازا (من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (و) كان الدنو المعنوى (عبارة عن اجابة الرغبة) أى اجابته لماموله الذى هو غاية مطلوبه ومرغوبه (وقضاء المطالب) أى اعطاء مطلبه الذى طلبه منه ووعده به وفى القضاء اشارة الى انه كالدين لان عدة الكريم دين (واظهار التحفى) بحاء مهملة وفاء ومثناة تحتية وهو المبالغة فى البر (وانافة المنزلة) بالنون والفاء بمعنى اعلائها ورفعها (والمرتبة) عطف تفسير (من الله له) متعلق بما قبله اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى (ويتاول فيه) بالبناء للمجهول أى يتاول القرب والدنو بتاويل مثل (ما يتاول فى قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن أتانى يمشى) أى من أطاعنى وسعى فى امتثال أوامرى والمراد انه يمشى مشيا غير بطئ بالهوينا لمقابلته بقوله (أتيته هرولة) وهى المشى والجرى بسرعة والمراد انى أعجل له جزائى وأوصل اليه احسانى سريعا وتفسيره بسبقته بجزائى غير صحيح هنا (أى) والتاويل الذى أول به من تقرب الى آخره وما بعده هو (قرب بالاجابة) لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر (والقبول) لتوبته (واتيان بالاحسان وتعجيل بالمامول) اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسى صحيح رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه أوله قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وأطيب ومن جاءنى يمشى أتيته هرولة ومن جاءنى يهرول جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة والثواب لمن دعاه وأطاعه فالتقرب تمثيل للتحبب الى الله بالطاعة والعبادة وتفويض أموره وانه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس فى قوله فى ملأ خير منه دليل على أفضلية الملائكة كما سياتى ان شاء الله تعالى وهذا تاييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فائدة

(فصل فى ذكر) ما يدل على (تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم (فى القيامة بخصوص الكرامة) أى بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الانبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث أسنده المصنف من طريق الترمذى فقال (حدثنا القاضى أبو على) الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال (حدثنا أبو الفضل) ابن خيرون السابق ترجمته أيضا (و أبو الحسين) بالتصغير وهو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو فى أكثر النسخ الصحيحة وفى بعضها أبو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره البرهان الحافظ فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا الحديث تقدم فى أول الكتاب مسندا الى الترمذى بهذا السند (قالا حدثنا أبو يعلى) بفتح أوله وهو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم فى ترجمته قال (حدثنا السنجى) أبو على الحسن بن محمد بن احمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه قال (حدثنا ابن محبوب)

(والمرتبة) أى القربة (من الله تعالى له ويتاول فيه) أى فى هذا الدنو (ما يتاول فى قوله) أى المروى فى صحيح البخارى (من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا) هذا الحديث القدسى والكلام الانسى تمثيل لقرب معنى القرب المعنوى فى لباس القرب الحسى فانه أوقع فى النفس الانسى (ومن أتانى يمشى) أى فى طاعته (أتيته هرولة) أى سبقته مسرعا بجزاء عطيته أو بتوفيق عبادته فالدنو فى الآية والقرب فى الحديث (قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول) أى واسراع لتحصيل المسؤل لكن بين المقامين بون بين وبين القربين تباين متعين فلا تقاس الملوك بالحدادين لتفاوت مراتب المقربين ومنازل السالكين من المحبين والمحبوبين نفعنا الله ببركاتهم أجمعين

(فصل) (فى ذكر تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم فى القيامة بخصوص الكرامة أبو حدثنا القاضى) أى الشهيد (أبو على) أى الحافظ ابن سكرة (ثنا أبو الفضل) أى ابن خيرون (وأبو الحسين) بالتصغير وفى نسخة أبو الحسن بفتحتين والاول هو الصواب على ما حققه الحلبى وهو المبارك ابن عبد الجبار (قالا) أى كلاهما (حدثنا أبو يعلى) وهو المعروف بابن زوج الحرة (ثنا السنجى) بكسر السين وسكون النون فجيم منسوبا (ثنا ابن محجوب) هذا هو أبو العباس المحبوبى راوى

أبو العباس المحبوبي راوي جامع الترمذي عنه قال (حدثنا الترمذي قال حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي) المعروف بابن الطحان أخرج له أبو داود والترمذي وقال أبو حاتم انه لين توفي سنة أربع وأربعين ومائتين وترجمته في الميزان قال (حدثنا عبد السلام بن حرب) النهدي روى عنه أصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان (عن ليث) بن أبي سليم بالتصغير القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة (عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انا أول الناس خروجا اذا بعثوا) أي خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم رأسهم وقائدهم فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب (وأنا خطيبهم اذا وفدوا) أي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب وأصل الوفد الجماعة تقدم الى من لهم فيه رجاء وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله تعالى عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر المأذون له في التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب في الجمع على عادتهم اذ كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا أنسب هنا من قول امامهم لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم وانه لم يدهش لهول المحشر (وانا مبشرهم) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (اذا أيسوا) من النجاة من شدة ذلك اليوم وهوله اذا أزفت الآزفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله وروي يئسوا بتقديم الياء على الهمزة وهما لغتان وروايتان (لواء الحمد بيدي) يوم القيامة ليعرفه صلى الله تعالى عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللواء معروف وهو لواء حقيقي سمي لواء الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره أو لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم وعظمته وكثرة حمده وأمته الحمادون وهو أحمد ومحمد وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة بمعنى لكن اللواء أكبرها وروى الطبراني ان لواء الحمد يحمله علي كرم الله وجهه بين يديه صلى الله تعالى عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا مخالفة بينهما (وانا أكرم ولد آدم على ربي) أي أشرفهم ذاتا وصفة وأقربهم منزلة والكرم صفة تجمع كل خير وان اختص عرفا بالسخاء وهذا تحدث بنعم الله تعالى واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة على ربه والضمير لاكرم أو آدم والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره كما مر (ولا فخر) جملة حالية مؤكدة أي انا لا أذكره للفخر بل للتحدث بنعم الله أو لا أفخر بهذا اذ لي عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا مع اني لم أنله بسعي واجتهاد مني وخبر لا محذوف أي فيه أو عندي ونحوه والفخر الافتخار والتبجح بالامر بان يذكره ليظهر علوه على غيره (وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث) وزحر بفتح الزاي المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين وهو

جامع الترمذي عنه (حدثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي) هو الطحان (ثنا عبد السلام بن حرب) أي النهدي يروي عن عطاء بن السائب وغيره وعنه ابن معين ونحوه أخرج له الائمة الستة (عن ليث) أي ابن أبي سليم الكوفي أحد الاعلام روى عن مجاهد وطبقته ولا نعلم انه لقي صحابيا وعنه شعبة وخلق وفيه ضعف يسير من سوء حفظه وكان ذا صلاة وصيام وعلم كثير وبعضهم احتج به (عن الربيع بن أنس) تقدم (عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أول الناس خروجا) أي من القبر (اذا بعثوا) بصيغة المفعول أي أثيروا من قبورهم ونشروا (وأنا خطيبهم) أي متكلم عنهم فيما بينهم (اذا وفدوا) أي قدموا على ربهم (وأنا مبشرهم) أي بما يسرهم (اذا أيسوا) أي قنطوا من رحمة ربهم من شدة حسابهم وهول عذابهم (لواء الحمد) أي يومئذ كما في الجامع الصغير (بيدي) أي لانفراده بالحمد الذي يلهمه به أو لانه يحمده الاولون والآخرون تحت لوائه كما قال آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولذا سمي مقاما محمودا وهو قيامه بالشفاعة العظمى وأصل اللواء الراية ولا يمسكها الا صاحب الجيش وموضوع اللواء شهرة مكان الرئيس ليعتمدوا عليه ويرجعوا اليه (وأنا أكرم ولد آدم) أي هذا الجنس (على ربي) أي عنده (ولا فخر) أي ولا أقول هذا فخرا من أثر عجبي بل تحدثا بنعمة ربي (وفي رواية ابن زحر) بفتح زاي فسكون حاء مهملة فراء وهو عبيد الله بن زحر الافريقي العابد يروي عن علي ابن يزيد وابن اسحق وطبقتهم وله مناكير ضعفه أحمد وقال النسائي لا بأس به وقد أخرج له البخاري في الادب المفرد (عن الربيع بن أنس في لفظ هذا الحديث) لعله من طريق أخرى للمصنف غير طرق الترمذي فاندفع به قول الحلبي هذه الرواية ليست في الكتب الستة فضلا عن قول الترمذي وتوجيه قول الدلجي ان هذه رواية أبي نعيم في الدلائل عن ابن زحر ثم رأيت التلمساني ذكر انه ثبت بخط القاضي وفي رواية ابن زحر والربيع بن أنس يعني بالعطف وعند العزفي عن الربيع عن أنس يعني كما في الاصل وعلى كلا الوجهين المروي عنه هو أنس بن مالك

(انا أول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا) أى مقدمهم وفى الحديث قريش قادة زادة (وانا خطيبهم اذا انصتوا) أى سكتوا ولم يقدروا ان يتكلموا فانا اتدرلهم عما فعلوا (وانا شفيعهم اذا حبسوا) أى وقفوا يوم القيامة فيموج بعضهم فى بعض فيفزعون الى الانبياء فيقول كل نفسى نفسى فياتونه فيشفع لهم الشفاعة العظمى لفصل القضاء (وأنا مبشرهم اذا ابلسوا) بضم همز وسكون موحدة وكسر لام فسين مهملة أى يئسوا وتحيروا ومنه قوله تعالى فاذا هم مبلسون وبه سمى ابليس وكان اسمه عزازيل هكذا ذكره التلمسانى وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمز من اليأس وروى بتقديم الهمزة على الياء من الاياس وهو قطع الرجاء (لواء الكرم) أى الذى ترتب عليه الحمد (بيدى) أى بتصرفى وأصل اللواء العلم والراية ويجوز ان يراد به حقيقته وهو الاولى لان الرئيس علامته اللواء ويجوز ان يكون

اشارة لرفعة مقامه وظهور مرامه ويؤيد الاول ما ورد من انه يكون يوم القيامة لكل متبوع لواء يعرف به انه قدوة حق أو اسوة باطل وجاء فى حديث عقبة ابن عامر ان أول من يدخل الجنة الحمادون لله تعالى على كل حال يعقد لهم يوم القيامة لواء فيدخلون الجنة ثم قيل اللواء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعا والاظهر ان اللواء هو الراية العظيمة فهى أعم والله تعالى أعلم (وانا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر) أى ولا أقول فخرا بل أمتثل أمرا (ويطوف على ألف خادم) أى من أفضل خدام أهل الجنة (كأنهم لؤلؤ مكنون) أى مصون عن الغبار والصفار مثل الدر فى الصدف على طراوته أو المصان المدخر لنفاسته وفى اللؤلؤ أربع لغات الهمز فيهما وتركه وهمز الاولى مع ترك الثانية

عبد الله بن زحر الافريقى العابد وأصل معنى الزحر الصوت والاذين ومنه الزحير للمرض المعروف فى الامعاء والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه أصحاب السنن له وترجمة فى الميزان وأخرج له البخارى فى الادب وفى روايته زيادة ومغايرة فى اللفظ على الرواية السابقة وهى ظاهرة وفى الاصل بخطه وفى رواية ابن زحر والربيع بن أنس وفى رواية العزفى عنه عن الربيع عن أنس وعلى كلا الوجهين المروى عنه أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه كما قاله التلمسانى (انا أول الناس خروجا اذا بعثوا) كما تقدم (وانا قائدهم اذا وفدوا) القائد فى الاصل الذى يقود الدابة بزمام ونحوه ثم صار حقيقة فى الرئيس الذى يتبعه الناس ويرتضونه وفى أمر الجيوش وجمعه قادة وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للحشر فالمراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم مقدم ثمة حسا ومعنى (وانا خطيبهم اذا انصتوا) أى انا المتكلم بين يدى ربى فى أمرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا ولم يطيقوا وانطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى (وانا شفيعهم اذا حبسوا) فى الموقف واضطربوا وفزعوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال كل منهم نفسى نفسى فيشفع لهم صلى الله تعالى عليه وسلم الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (وانا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه (اذا ابلسوا) انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا لياسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس (لواء الكرم بيدى) قريب مما مر لفظا ومعنى (وأنا اكرم ولد آدم على ربى ولا فخر ويطوف على ألف خادم) فى الجنة من الحور العين (كأنهم لؤلؤ مكنون) رواه الترمذى وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسه الايدى فهو كناية عن كونها بكرا ذات بهاء بحيث لم ير مثلها (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه الترمذى وصححه (واكسى حلة من حلل الجنة) أصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد ثم أطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية للابسه ففيه دلالة على قربه صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته اذ كسى وجميع الناس عراة وحفاة (ثم أقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) ذلك فى محل نصب على الظرفية وفى مقامه صلى الله تعالى عليه وسلم فى جانب اليمين فى مقام لم يقم فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب وسماع كلامه وقبول رجائه بما يليق بمقامه الشريف والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين (وعن أبى سعيد)

الخدرى

وعكسه ويسمى كباره المرجان لقوله تعالى كأنهن الياقوت والمرجان لان المراد الحمرة والبياض والله تعالى أعلم وخلاصة المعنى انهم فى الحسن والبياض والصفاء والضياء كأنهم لؤلؤ مستور فى صدفه لم تمسه الايدى من الكن وهو الستر (وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) كما روى الترمذى وصححه (واكسى) بصيغة المجهول أى وألبس (حلة) أى عظيمة (من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش) تلويح بقربه من ربه وكرامته فى مقام حبه (ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) يعنى به المقام المحمود وصدر الحديث على ما فى الجامع الصغير من رواية الترمذى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه مرفوعا انا أول من تنشق عنه الارض فاكسى حلة الحديث (وعن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه) أى الخدرى كما فى نسخة وقد رواه أحمد والترمذى وحسنه وابن ماجه عنه مرفوعا (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(أناسيد ولد آدم يوم القيامة) قيده به لظهور سيادته ووضوح رياسته مطلقا فيه لكل أحد من غير منازع ولا مدافع وفي الاصول ولا فخر هنا أيضا (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) أي الابمثل هذا (ومانبي) وفي نسخة ولا نبي وفي نسخة صحيحة وما من نبي (يومئذ آدم) بالنصب ويجوز رفعه (فمن سواه) بكسر السين وضمها أي فمن بعده ولو كان أفضل منه كابراهيم ونوح وموسى وعيسى عليهم السلام كما يستفاد من العطف بالفاء دون الواو (الاتحت لوائي) ووقع في أصل الدجى آدم يومئذ فمن سواه فتكلف في توجيهه بقوله اعتراض بين النفي والاستثناء أفاد ان آدم بالرفع بدلا أو بيانا من محله (وانا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر) وفي الاصول هنا زيادة وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما رواه مسلم وأبو داود (انا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع) بفتح الفاء المشددة أي أول مقبول في الشفاعة وانما ذكر الثاني باعادة أول لانه قد يشفع اثنان فيشفع الثاني منهما قبل الاول ذكره النووي ففي البخاري تحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا الى ان قال فيأتوني فاستاذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء أن يدعني فيقول محمد ارفع وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما روى الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) أي الا بهذا قيل يعارض هذا الحديث ونحوه ماروى عنه عليه الصلاة والسلام اللواء يحمله يوم القيامة علي وأجيب بان حديث علي هذا ذكره ابن الجوزي في الموضوعات قيل ولئن صح فالجواب ان عليا لما كان حاملا للواء بامره أضاف حمله الى نفسه والاولى أن يقال لواء علي خاص له ولاشياعه وكذا لابي بكر وأتباعه وكذا لكل امام وشيخ مقتدى مع تلامذته ومريديه لما تقدم والله تعالى أعلم (وانا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) أي بهذا بل لي عند الله فوق ذلك مما افتخر به هنالك (وانا أول من يحرك حلق الجنة) أي بابها للاذن بدخولها والحلق بفتحتين وقد تكسر حاؤه جمع حلقة (فيفتح لي) بصيغة المجهول (فادخلها فيدخلها معي) أي من أمتي (فقراء المؤمنين) أي من المهاجرين وغيرهم على مراتبهم (ولا فخر) أي في هذا المقام الا بالفقر وأما حديث الفقر فخري فموضوع كما صرح به الحافظ ثم الفقر قد يكون مذموما كما ورد كاد الفقر ان يكون كفرا ومنه أعوذ بك من الفقر والمحمود منه انما هو بغنى النفس كما ورد ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونعم ماقيل

غنى النفس مايكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وقد قال الله تعالى والله الغني وأنتم الفقراء والفقير الحقيقي هو الذي يرى دوام افتقاره في حال اضطراره واختياره

الخدري في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سيأتي بل لانها سيادة مسلمة له صلى الله تعالى عليه وسلم وهي أشرف من سيادة الدنيا وم ان الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة أقوال مشهورة (وبيدي لواء الحمد ولا فخر) تقدم معناه (وما من نبي آدم فمن سواه) بدل من نبي أي جميع الانبياء (الا تحت لوائي) أي تابع لي في القيامة وليس المراد انه تحته حقيقة وعطف فمن بالفاء لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبي أو الحقيقي (وانا أول من تنشق عنه الارض) يوم تبعثر القبور وتنشق بقدرة الله تعالى وفيه اكرام له صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا فخر) تقدم معناه (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) في حديث صحيح رواه مسلم (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) أي انا أشرفهم وأقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر (وأول من ينشق عنه القبر) أي قبره الشريف (وأول شافع) يشفع للناس في الموقف (وأول مشفع) بفتح الفاء المشددة أي أول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله مافي حديث البخاري يحبس المؤمنون يوم القيامة فيقولون له صلى الله تعالى عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستاذن على ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء أن يدعني فيقول ارفع رأسك محمد وقل تسمع واشفع تشفع (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في حديث رواه الترمذي والدارمي (انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر) كما مر (وانا أول شافع) في ازالة هول الموقف (وأول مشفع) تسمع شفاعته وتقبل (ولا فخر) لي فخر تكبر وتبجح فيما خصني الله به (وانا أول من يحرك حلق) باب (الجنة) ليفتح لي ولمن يدخلها بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة ندر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق أو هي لغة ضعيفة والمراد بباب الجنة باب مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها أبواب غيره وقيل المراد جميع أبوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه (فيفتح لي) بابها (فادخلها) وفي رواية وأدخلها بالواو (و) يدخلها (معي فقراء المؤمنين ولا فخر) ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول والفاتح

خزنتها أي الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهملة في الفتح والدخول والمراد بالفقراء الفقراء الصابرين وهو شامل للساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفي هذا دليل على ان الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر أفضل والاول أصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبياء والاولياء وأنفق أبو بكر رضي الله تعالى عنه في سبيل الله ليدخل في سلكهم والمحمود منه ما كان القلب والنفس فان الغني ليس بكثرة العرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة * فان زاد شيأ عاد ذاك الغنى فقرا

وفقر النفس ولوم المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم منه وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم أول من يدخل الجنة لا ينافي ما ورد في حديث الترمذي من انه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا بلالا رضي الله تعالى عنه وقال له يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لا في هذا الدخول أوهو كما قال ابن القيم كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما سأله صلى الله تعالى عليه وسلم وان كان أعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة بل التبعية فلا يقال لا حاجة لقوله معي في الجملة وهي حالة تقتضي المقارنة (وانا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم أشرف من جميع الخلق (وانا أكثر الناس) أي الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا روي أيضا (تبعا) جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر من سائر الامم ويقتضي هذا أكثرية أجره عليهم ويأتي التصريح به وأفضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم أيضا كما قررناه في محله (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان (أنا سيد الناس) وأجلهم وأعظمهم (يوم القيامة) خصه مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم في الدنيا والآخرة لظهوره ثمة واختصاصه به ظاهرا من منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسيأتي تفصيله في كلام المصنف رحمه الله تعالى (وتدرون لم ذلك) فيه استفهام مقدر أي أتدرون ما سبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به (يجمع الله الاولين والآخرين) في المحشر (وذكر حديث الشفاعة) أي ذكر أنس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره هنا لانه سيأتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم عليه الصلاة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول أنا لها الخ (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أطمع) أي أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره صلى الله تعالى عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه (ان أكون أعظم الانبياء أجرا يوم القيامة) لان أمته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الامم وأجر أعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة وأعمالهم مضاعفة وله صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو أعظمهم مشقة لعموم دعوته وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله تعالى عليه وسلم لعلك باخع نفسك (وفي حديث آخر أما ترضون) معاشر المسلمين (ان يكون ابراهيم) الخليل عليه الصلاة والسلام (وعيسى) عليه الصلاة والسلام (كلمة الله فيكم) أي

(وانا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر) أي الا بالغيبة عنهم بالحضور مع ربهم (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما روى مسلم (انا أول الناس يشفع) وفي نسخة يشفع بتشديد الفاء المفتوحة (في الجنة) أي لرفع درجات المطيعين ولدخول العصاة من المؤمنين (وانا أكثر الناس) أي من الانبياء (تبعا) ولفظه في مسلم على ما في الجامع الصغير انا أكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وانا أول من يقرع باب الجنة (وعن أنس رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك) كأنه قيل الله ورسوله أعلم فقال أو لما علم انهم لا يدرون ما هنالك قال (يجمع الله الاولين والآخرين وذكر حديث الشفاعة) وهو اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فيأتوني فاقول انا لها الحديث أي انا الكائن لها والمتكفل بها ومن ثم قيل أنت لها أهل من بين البشر (وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال أطمع ان أكون أكثر الانبياء أجرا يوم القيامة) لانه أعظمهم في المشقة بما كلف من عموم الدعوة مع تمرد الكفرة وعتو الفجرة أو المعنى أكثرهم أجرا لكون أمته أكثرهم نفرا (وفي حديث آخر) أي عنه أو عن غيره (أما ترضون أن يكون ابراهيم وعيسى فيكم) أي محشورين في جملتكم

محسوبان

محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (يوم القيامة) فيعدان من أمتى وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أشرف الانبياء بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أبو الانبياء وأبو اسمعيل عليهما الصلاة والسلام الذى كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم و يغير أحكام النصرانية وأما اداة استفتاح كألاأو مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد (ثم قال) صلى الله تعالى عليه وسلم (انهما فى أمتى يوم القيامة) أى يعدان منهم (أما ابراهيم فيقول) له صلى الله تعالى عليه وسلم (أنت دعوتى وذريتى) أما دعوته فقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك الخ فجعل عين الدعوة مبالغة أى أنت ممن جعله الله منهم باجابة دعوتى والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره ولا شبهة فى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم من نسل ولده اسمعيل عليه الصلاة والسلام ولم يبعث فيهم نبى سواه فهو المجاب دعوته (وأما عيسى) أى كونه تابعاله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جملة أمته يوم القيامة (فالانبياء كلهم اخوة) أى كالاخوة فى اتحاد أمورهم مع الله تعالى ومع الخلق والاخوة أما لاب وأم ويقال لهم بنو الاعيان أولاب فقط وهم بنو العلات أو لام وهم بنو الاخياف فلذا قال (بنو علات) المراد بالعلات الزوجات الضرائر وهو من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا فكان الزوجات موارد للزوج أو كان الاولاد شاربهم مختلفة فى الرضاع وهذا أقرب والى هذا أشار بقوله أمهاتهم شتى وأمهات جمع أم وأصلها أمهة ولذا جمع على أمهات وصغر على أميهة وقيل انه فى الاصل مضاعف لقولهم أمات وأميمة وقيل أكثر ما يقال أمات فى البهائم ونحوها وأمهات فى الانسان وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض أى مختلفة فى الذوات والنسب فشبه الدين والعقيدة الحقة التى هى سبب لبقائهم بالاب الواحد لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة وأثبت لهم الاخوة تخييلا وكونه بنو علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرائع والاحكام بالامهات فى حفظهم وتعيشهم فهو استعارة مستقلة تحقيقية أو ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل انهم صلى الله عليهم وسلم بعثوا متفقين فى أصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع وقيل أرادانهم فى أزمان متباينة والاول أولى (وان عيسى أخى) بكسر همزة ان وأقيم الظاهر فيه مقام الضمير والاخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة (ليس بينى وبينه نبى) لانه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما أحد من الانبياء (و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان (أولى الناس به) وهو افعل تفضيل من الولاء والتوالى وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب

(يوم القيامة) أما تخصيص ابراهيم عليه السلام فلقوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ولموافقته فى كمال التوحيد فى مقام التفريد كما يشير اليه قوله تعالى ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولكونه جده ومنه جده وأما عيسى عليه السلام فلما انه يتبعه فى ملته بعد نزوله من رفعته ويدفن بعد موته فى تربته (ثم قال انهما فى أمتى يوم القيامة أما ابراهيم فيقول أنت دعوتى) أى أثر اجابة دعائى حيث قلت فى ندائى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم (وذريتى) أى وأنت من ذريتى المذكورة فى دعوتى أيضا بقوله ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد الآية ولا نزاع انه من نسل ولده اسمعيل وانه لم يبعث منهم نبى سواه فهو المجاب به دعوته (وأما عيسى عليه السلام فالانبياء) أى جميعهم (اخوة) أى أولاد أب واحد حقيقة وكذا حكما لاتفاقهم فيما بعثوا لاجله من توحيد وايمان بما يجب تصديقه ودعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى نظام معاشهم وتمام مرادهم فى معادهم فتساويهم فى أصولهم اعتقادا كان لهم كاب واحد واتفاوتهم واختلافهم فى بعض فروعهم عملا (بنو علات) بفتح عين مهملة وتشديد لام أى أولاد أمهات مختلفات وأبوهم واحد بنوا الاخياف لمن أمهم واحدة والآباء مختلفون وبنو الاعيان لمن أمهم واحدة وكذا أبوهم واحد كما بينه بقوله (وأمهاتهم شتى) بفتح شين وتشديد تاء جمع شتيت كمرضى جمع مريض أى متفرقات فى نسبة الولادات التى يتولد منها الاختلافات (وان عيسى أخى) أى بالخصوص من حيث انه بشر بى قبلى وقام بدينى بعدى ويروى وان عيسى ع م (ليس بينى وبينه نبى) ففيه كمال اتصال له بى وكأنه جار لى فى مقامى (وأنا) ويروى فانا (أولى الناس به) أى أحقهم به وأخصهم باتصاله بى وقد روى البخارى ومسلم أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الاولى والآخرة الانبياء بنو علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا وبينه نبى وأما ما ذكره فى مستدرك الحاكم من ان فيما بين عيسى ومحمد عليهما السلام بعض الانبياء كخالد بن سنان فأسانيده لا تقاوم الصحيح وعلى فرض صحته يقال المعنى ليس بيننا نبى مرسل

فيقال أولى بمعنى أحق وأقرب من حيث المكان أو الزمان أو النسب أو الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا من حديث رواه البخاري ومسلم وهو أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الاولى والآخرة الانبياء بنو علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ماذكره الراغب والزمخشري وابن عربي في فصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة من مغارة أهلكت الزرع والضرع فالتجأ قومه اليه فأخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه أنا أدخل خلفها المغارة حتى أطفيها وأمرهم ان يدعوه ثلاثة أيام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا اخرج اليهم سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم أضعتموني وأضعتم أمري وأمرهم ان يدفنوه أربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت أتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وماعاينه يقينا فلما تم الميعاد كما قال هم مؤمنوا وقومه ان ينبشوا قبره فابى أولاده خوف العار وان يقال لهم أولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي أضاعه قومه غير صحيح وماقيل من ان المراد نفي نبي مشرع مبلغ للاحكام يأباه لفظ الحديث فان النبي أعم ولو كان كما ذكر لقال انه رسول وأحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكذا ما نقل انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وسفيان فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما واعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الانبياء عليهم الصلاة والسلام واسمعيل كان على شريعته والعرب يزعمون انهم على ملته وعيسى عليه الصلاة والسلام قريب العهد وسيصير من أمته حقيقة وهذا لا ينافي قوله تعالى ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المامور به اتباعه في التوحيد والعقائد دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له فتأمل (وقوله) صلى الله تعالى عليه وسلم في الاحاديث السابقة (أنا سيد الناس يوم القيامة) جواب عن سؤال مقدر وهو لم خص سيادته صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به (وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة) بل سيد جميع المخلوقات والجملة حالية (ولكن أشار) عليه الصلاة والسلام بقوله هذا كما تقدم (لانفراده) عن غيره (فيه بالسودد والشفاعة) العظمى الدال على عظمة قدره عند الله (دون غيره) من الرسل والملائكة المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ماقبلها وهي لغة طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل أو فعيل ودال الثانية للالحاق (اذ لجأ الناس اليه) أي التجأوا واستندوا للتوسل به صلى الله تعالى عليه وسلم (في ذلك) الوقت أو ذلك الامر وهو تعليل لما قبله (فلم يجدوا سواه) صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق غيره دفعه (والسيد) معناه لغة (هو الذي يلجأ الناس اليه في حوائجهم) أي يعتمدون عليه اذا قصدوه لقضاء مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى أنا من يقضي حوائج جميع الناس في الموقف ومن هذا ظهر للتخصيص وجه آخر الا ان هذا تفسير له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس أو مفرده حائجة مقدرا أو نادر وقد ورد في الاحاديث وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن أنكره كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وأنشد له شواهد كثيرة وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب قضاء الحاجة وهو دأبه في الدنيا والآخرة ولله در الصرصري في قوله

(قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم أي في الحديث السابق (أنا سيد الناس) وفي نسخة ولد آدم (يوم القيامة) أي بقيده ليفيد ظهوره كقوله تعالى والامر يومئذ لله ومالك يوم الدين والملك يومئذ الحق للرحمن (هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة) أي ومابعده من العقبى (ولكن أشار عليه السلام لانفراده) أي الى اختصاصه (فيه بالسودد) بضم السين وسكون الواو وفتح الدال الاولى (والشفاعة) أي العظمى (دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك) تحتمل اذ أن تكون تعليلية وان تكون حينية ظرفية (فلم يجدوا سواه) أي ملجأ وملاذا يعتمدون عليه (والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم) أي في قضائها

(فكان حينئذ) أى وقت يلجأون اليه ويتضرعون لديه (سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه أحد فى ذلك) أى ممن استحق السيادة (ولا ادعاه) أى أحد ممن لا يستحقها وهذا منه صلى الله عليه وسلم (كما قال تعالى) أى يوم القيامة (لمن الملك اليوم) فلا يجيبه أحد من هول ذلك المشهد فيجيب نفسه بقوله بعد (لله الواحد القهار والملك له تعالى) أى والحال ان حقيقة الامر ناطقة بانه له الملك (فى الدنيا والآخرة لكن فى الآخرة) لكون زوال أسبابه وارتفاع وسائطه (انقطعت دعوى المدعين ٣٢١ لذلك) أى للملك أو الملك فى الجملة

ألا يارسول الاله الذى * هدانا به الله فى كل تيه
سمعت حديثا من المسندات * يسر فؤاد النبيل النبيه
وانك قد قلت فيه اطلبوا * الحوائج عند حسان الوجوه
ولم أر أحسن من وجهك * الكريم فذلى بأمر تجيه

(فكان) صلى الله تعالى عليه وسلم (حينئذ) أى فى وقت التجائهم اليه (سيدا منفردا من) سائر (البشر) أى منفردا عن جميع الناس حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه السيادة (لم يزاحمه أحد فى ذلك) أى لم يشاركه أحد فى كونه ملجأ للناس وأصل معنى المزاحمة المدافعة (ولا ادعاه) لانكشاف الامر يوم القيامة حتى لا يمكن أحدا أن يدعى ما ليس فيه (كما قال تعالى لمن الملك اليوم) يعنى انه تعالى يقول يوم القيامة لمن الملك فى هذا اليوم أو ينادى به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه بقوله (لله الواحد القهار) أى الملك مخصوص به أو يقول أهل الموقف يعنى ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا سيد ولد آدم اليوم كقوله تعالى لمن الملك اليوم ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم سيادته به (والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة لكن) انما خصه بملك هذا لانه (فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا) متعلق بالمدعين ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ما لكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شئ فانقطعت الدعاوى (وكذلك) أى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى وتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم حتى (لجا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الناس فى الشفاعة) العظمى المعهودة (فكان سيدهم فى الاخرى) أى الآخرة لانه يقال لها أخرى وآخرة وفى نسخة فى الآخرة (دون دعوى) من أحد من أهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع (وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم (آتى) بمد الهمزة (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) أى أطلب الفتح بتحريك الحلقة (فيقول الخازن) أى بواب الجنة الموكل بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان لها خزنة (من أنت فاقول) أنا (محمد فيقول بك أمرت) أى بسببك أمرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح كما أشار اليه بقوله (ان لا أفتح لاحد قبلك) والجملة مستأنفة لبيان ما أمر به وقيل انه بدل مما قبله أى أمرت بان لا أفتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل أحد لسبق روحه صلى الله تعالى عليه وسلم للنبوة وسبق ذريته فى الاجابة على سائر الذرات وفيه اشارة الى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر الناس عملا واعتقادا وأفضلهم لقوله تعالى وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون (وعن عبد الله بن عمرو) ابن العاص حديث رواه الشيخان (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى مسيرة شهر) أى مسافة كل جانب منه

(فى الدنيا) أى لغفلتهم عن نعت المولى (ولذلك لجا الى محمد جميع الناس فى الشفاعة) أى ليريحهم من هول تلك الساعة (فكان سيدهم فى الاخرى دون دعوى) أى من أحد كان يدعى السيادة فى الدنيا (وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آتى) بمد الهمزة أى أجئ (باب الجنة يوم القيامة فاستفتح) أى فاطلب فتحها لادخلها (فيقول الخازن) أى رضوان (من أنت) قيل واسم خازن النار مالك وناسب كل اسم ما وكل عليه فالجنة دار الكرامة والرضى فناسب رضوان والنار دار المشقة والعذاب والشدة فناسب مالك كذا ذكره التلمسانى ولا يبعدان يقال لان الجنة انما تحصل بالرضى عن المولى والنار انما تنشا عن طلب الملك والملك فى الدنيا (فاقول محمد فيقول بك) أى بسببك (أمرت ان لا أفتح لاحد قبلك) أو أمرت أن أفتح لك حال كونى لا أفتح لاحد قبلك (وعن عبد الله بن عمرو) أى ابن العاص كما فى الصحيحين (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حوضى) أى مسافته أو دورته ومساحته (مسيرة شهر) أى قدر سير شهر (وزواياه) بفتح الزاى جمع زاوية أى نواحيه (سواء) بفتح السين ممدودا أى مستوية أى لتربيع أرضه لا يزيد طوله على عرضه قيل أركانه أربعة وسقاته أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فمن أبغض واحدا لم يسقه الآخرون وأورد التلمسانى حديثا فى هذا المعنى ولكن الله تعالى اعلم بصحة المبنى

(وماؤه أبيض) افعل تفضيل وهو حجة للكوفي على البصري أي أشد بياضا (من الورق) بكسر الراء وسكونها وحكي كسر الواو وسكون الراء ونسب الى الفراء وحكي فتحهما الصغاني وادعى انه قرئ بهما في قوله تعالى بورقكم أي الفضة أو الدراهم المضروبة وفي نسخة من اللبن بدل من الورق والاول هو المذكور في جميع نسخ صحيح مسلم والثاني وقع في نسخة المصابيح والجمع بتعدد الرواية (وريحه أطيب من المسك) أي من ريحه وفي تخصيصه ايماء الى أنه أفضل نوع من جنس الطيب (كيزانه) جمع كوز (كنجوم السماء) أي كثرة واضاءة وهي من ذهب وفضة كما في رواية ثم قيل المراد به الكثرة لا عددها على الحقيقة والصواب ما قاله النووي من ان العدد على ظاهره ولامانع شرعا ولا عقلا

مما أثبت نقلا لا سيما وقد ورد مؤكدا بالقسم في حديث والذي نفسي

مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به القرطبي في شرح مسلم وورد في حديث مرفوع رواه الترمذي ان لكل نبي حوضا ترده أمته وروى انه صلى الله عليه وسلم له حوضان أحدهما في أرض الموقف والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر وقوله وزواياه سواء يدل على انه مربع (وماؤه أبيض من الورق) بفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا أو ما ضرب منها وفي نسخة من اللبن وأبيض افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد في الحديث الا ان صاحب القاموس قال انه شاذ وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض النحاة انه لا يبنى افعل من الالوان ومن العيوب وانما يقال أشد بياضا وأبلغ ونحوه (وريحه أطيب من المسك) الريح كالرائحة ما يشم ويطلق على الهواء وهو الاشهر ويجوز ارادته أيضا لان الهواء اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا أيضا (كيزانه كنجوم السماء) كثرة واشراقا وكونها أكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه القوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء لتأكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به الماء للشرب والاصل انه اناء ضيق الفم له عروة فان لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه أكواب كما تقدم فان كان فيه شراب فهو كأس (من شرب منه شربة لم يظمأ أبدا) أي لم يعطش بعده أبدا وروى ان يظما ولا يظما ولا كلام فيه وأما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظما في المستقبل بدليل قوله أبدا المفيدة لاستغراق المستقبل وأجيب بان المراد نفي الماضي كأنه لم يذق ظما في الماضي لشدة اللذة التي أنسته ما قبلها وأما أبدا فانها تكون للماضي أيضا كما في التسهيل * أقول هذا تعسف فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله أبدا وهي ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن لي غدا كان كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية أو في معناها فهذا سهو من قائله ويظماه مهموز ساكن الهمزة ويجوز ابدالها ألفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاشتهاء وهو انما يكون لمن عطش وأهل الجنة منعمون في المأكل والمشرب وأجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشئ لانه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد في خمر الدنيا وروى من يشرب بالرفع على ان من موصولة وبجزم وما على انها شرطية كما تقرر (وعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه) جندب بن جنادة (نحوه) أي روى عنه ما هو بمعناه أو قريب منه وان لم يكن مثله (وقال) زيادة على ما مر في روايته (طوله ما بين عمان الى ايلة) أي طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدين

بيده لا كثر من عدد نجوم السماء (من شرب منه لم يظما) أي لم تعطش (أبدا) أي بعده وفيه اشكال سيذكر في آخر الفصل حله (وعن أبي ذر رضي الله عنه نحوه) أي على ما رواه مسلم (وقال) أي أبو ذر في حديثه هذا (طوله ما بين عمان) بضم العين وتخفيف الميم من قرى اليمن وبفتح العين وتشديد الميم من قرى الشام بالبلقاء من أقصى حوران والمعروف انه غير مصروف والمعنى ان مسافة ما بين طرفيه طولا مثل المسافة منها (الى ايلة) بهمزة مفتوحة وتحتية ساكنة قرية في آخر طرف الشام بساحل البحر متوسطة بين المدينة ودمشق وعمان مراحل بينها وبين مصر قيل هي التي قال الله تعالى واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر هذا وقد قال ابن قرقول عمان التي في الحوض رويناه بفتح العين وتشديد الميم وهي قرية بالشام من عمل دمشق وكذا قاله الخطابي وحكي أيضا فيه تخفيف الميم وفي الترمذي من عدن الى عمان البلقاء والبلقاء بالشام قال البكري ويقال فيه أيضا عمان بالضم والتخفيف وزعموا انه المراد بالحديث لذكره مع ايلة جرباء وأذرع والكل من قرى الشام وأما عمان التي ببلاد اليمن فبالضم والتخفيف لا غير ووقع في كتاب ابن أبي شيبة ما يدل على انها المراد في حديث الحوض لقوله ما بين بصرى وصنعاء اليمن ومثله في البخاري وفي مسلم وعرضه من مقامي الى عمان بالفتح والتشديد عند الصدفي وعند غيره بالضم والتخفيف وقال ابن الاثير حديث الحوض من مقامي الى عمان هو بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء

فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين وله ذكر فى الحديث وقال السهيلى بالضم والتخفيف قرية باليمن سميت بعمان بن سنان من ولد ابراهيم فيما ذكروا وبالفتح والتشديد قرية بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان يسكنها فيما ذكروا وقال الحافظ المزى يتعين الضم والتخفيف فان فى الحديث الآخر ايلة وصنعاء (يشخب) بفتح الخاء وضمها من شخب اللبن كمنع ونصر اى يسيل سيلا ناشديدا متواليا وقيل ينصب بصوت وفى رواية يغت بغين معجمة وتاء مثناة ومعناه اتباع الصب وروى يعب بعين مهملة وباء موحدة ومعناه الشرب بسرعة فى نفس واحد وفى رواية ابن ماهان يثعب بثاء مثلثة وعين مهملة وباء موحدة ومعناه يتفجر (فيه) أى فى ذلك الحوض (ميزابان) بكسر الميم وسكون الياء وقد يهمز اذ أصله الهمز وقد يشدد تثنية ميزاب وهو مثعب الماء أى الجدول الذى يجرى منه الماء الى الحوض لكن فى التعبير عنه بالميزاب اشعار بان أرض الموقف فى أسفل (من الجنة) أى من أنهارها (وعن ثوبان مثله وقال) أى ثوبان فى روايته فيما رواه مسلم (أحدهما من ذهب والآخر من ورق) أى فضة وانما نوع للزينة كما فى الحلى المرصعة والعمارات المزخرفة (وفى رواية حارثة بن وهب) أى فيما رواه الشيخان عنه وهو بالحاء المهملة وبعد الراء ثاء مثلثة خزاعى له صحبة وهو أخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لامه (كما بين المدينة وصنعاء) بفتح الصاد وسكون النون ممدودة قاعدة اليمن ومدينته العظمى وهى من عجائب الدنيا كما قال الشافعى وأما صنعاء الروم فقرية فى ناحية ربوة دمشق والله تعالى أعلم (وقال أنس رضى الله تعالى عنه ايلة وصنعاء وقال ابن عمر) أى فيما رواه الشيخان عنه (كما بين الكوفة والحجر الاسود) واختلاف الروايات يدل على ان المراد كثرة طوله وانما ورد تقديره تمثيلا لكل أحد بحسب بعده وتقريبا لفهمه (وروى حديث الحوض أيضا أنس) كما فى الصحيحين (وجابر بن سمرة) فيما رواه مسلم وفى نسخة وجابر وسمرة فعلى تقدير صحته فقد روى جابر بن عبد الله حديثا فى الحوض وهو فى مسند أحمد وأما سمرة فلم تعرف حديثه فالصواب هو النسخة الاولى (وابن عمر) كما رواه الشيخان وأبو داود (وعقبة بن عامر) كما رواه مسلم وغيره

وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم وهو المروى فى حديث الحوض قرية بالشام وحكى فيه التخفيف أيضا وهو المراد والتى باليمن بالضم والتخفيف لاغير وقيل انها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعاء والمراد زيادة الطول فلا تتعارض الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهى سميت بعمان بن لوط لانه سكنها وقيل بعمان بن سنان من ولد ابراهيم عليه الصلاة السلام (يشخب فيه ميزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخاء المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب مع صوت وروى يغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه وروى ابن ماهان يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة ومعناه يتفجر ماؤه وأصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء مسيل الماء (وعن ثوبان مثله) أى مثل حديث أبى ذر (وقال) أى ثوبان عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (أحدهما) أى أحد الميزابين (من ذهب والآخر من ورق) أى فضة (وفى رواية حارثة بن وهب) الخزاعى الصحابى المعروف رضى الله عنه وأخرج له أصحاب الكتب الستة (كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس ايلة وصنعاء) هى بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعانى على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا أيضا (وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الشيخان (كما بين الكوفة) مدينة العراق المشهورة (والحجر الاسود) والروايات متحدة كما عرفته فانها تقريبية لا تحديدية فخاطب صلى الله تعالى عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى أن يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل وأصل معنى الكوفة مستدير أو حجارة بيض فسمى بها ثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره ولذا ذهب المصنف رحمه الله تعالى الى أنه متواتر فقال (وروى حديث الحوض أيضا) كالروايات المتقدمة (أنس) بن مالك الانصارى الصحابى خادم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رواه عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة فلا يقال انه تقدمت روايته وأيضا يقتضى مغايرة ما تقدم (وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى وما فى بعض النسخ هنا وفى أول الشفاء جابر وسمرة قال البرهان صوابه جابر بن سمرة وكذا هو على الصواب فى النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة الا أن رواية جابر بن عبد الله فى مسند أحمد وأما رواية سمرة فلم أقف عليها فالثابت رواية بن سمرة كما فى مسلم وغيره (وابن عمر وعقبة) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابى أحد العبادلة وعقبة وهو ابن عامر الصحابى المشهور

(وحارثة بن وهب الخزاعي) بضم أوله كما رواه البخاري والترمذي (والمستورد) بصيغة الفاعل على مارواه الشيخان وهو ابن شداد بالشين المعجمة كما أفاده الحلبي (وأبو برزة) بفتح الموحدة وبتقديم الراء على الزاى (الاسلمى) فيما رواه أبو داود وابن حبان والبيهقي (وحذيفة بن اليمان) كما رواه مسلم وغيره (وأبو امامة) على مارواه ابن حبان والبيهقي وهو صدى بن عجلان على ماهو الظاهر والا ففي الصحابة خمسة يقال لهم أبو امامة (وزيد بن أرقم) فيمارواه أحمد بن حنبل والبيهقي (وابن مسعود) كما رواه الشيخان (وعبد الله ابن زيد) كما في الصحيحين (وسهل بن

سعد) بروايتهما أيضا (وسويد) التصغير (ابن جبلة) بفتح الجيم والموحدة تابعي وقيل صحابي فكان ينبغي تاخيره عمن اتفق على صحبته رواه عنه البيهقي وأبو زرعة الدمشقي في مسند أهل الشام ووقع في أصل الحلبي هنا زيادة قوله وابن بريدة وتفرع له اعتراض على المصنف لكنه مخالف لما في النسخ المصححة هذا وفي حاشية قال الصواب سويد بن غفلة بفتح الغين المعجمة والفاء وهو محضرمي عاش مائة وعشرين سنة ومات عام الفيل كذا في الاصل ولعله تصحيف وصوابه ولد عام الفيل (وأبو سعيد الخدري رضى الله تعالى عنه) فيمارواه مسلم (وعبد الله الصنابحي) بضم الصاد المهملة فنون بعده ألف فوحدة مكسورة فحاء مهملة فياء نسبة قيل هو صحابي نسب الى جده صنابح رواه أحمد وابن ماجه عنه (وأبو هريرة رضى الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (والبراء) بفتح الباء وتخفيف الراء أى ابن عازب كما في نسخة رواه أحمد والطبراني عنه (وجندب) بضم الجيم والدال ويفتح رواه الشيخان عنه وهو عبد الله بن سفيان البجلي والا ففي الصحابة ممن يقال له جندب غيره اثنا عشر قال ابن الاثير متى أطلق اسم جندب من غير ذكر أبيه فهو جندب بن عبد الله هذا والا فاسم أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة الغفاري مشهور بكنيته (وعائشة) كما في مسلم (وأسماء بنت أبي بكر رضى الله تعالى عنه) على ما في الصحيحين (وأبو بكرة) أى الثقفي رواه الطبراني واسمه نفيع مصغرا وهو ممن اعتزل يوم الجمل ولم يقاتل مع أحد من الفريقين وكان يقول أنا مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال السهيلي وقد تدلى من سور الطائف على بكرة فتسمى أبا بكرة وهو من أفاضل الصحابة

منيع

الجهني (وحارثة بن وهب الخزاعي) الصحابي المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة (والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهري نزيل مكة ثم مصر الصحابي (وأبو برزة الاسلمي) نضلة بن عبيد الله الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة تليها هاء توفي سنة ستين أو أربع وستين وحديثه في الصحيح والترمذي وأسلم قبيلة معروفة (وحذيفة بن اليمان) العبسي الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وحديثه رواه مسلم وابن ماجه (وأبو امامة) بن صدى بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه أخرجه الطبراني وامامة بضم الهمزة (وزيد بن أرقم) الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه أخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه (وابن مسعود) الصحابي المشهور وحديثه أخرجه الشيخان (وعبد الله بن زيد) الصحابي الذي أرى الاذان في منامه كما مر وحديثه أخرجه الشيخان أيضا (وسهل بن سعد) الصحابي (الساعدي) منسوب لساعدة وبنو ساعدة قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كانت فيها بيعة أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وسويد بن جبلة) بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري قيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه صحابي ولم يرو عنه الاحديث واحد وقيل لعله سويد بن عقلة ولهم سويد بن عامر وهذا الحديث عنه في سنن البيهقي والاولى تاخيره للاختلاف في صحبته (وأبو سعيد الخدري) الصحابي المشهور وقد تقدم (وعبد الله الصنابحي) بضم الصاد المهملة وفتح النون وألف يليها باء موحدة مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل أبو عبد الله وقيل أبو عمرو وقيل انه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم أقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي وآخر اسمه صنابح بن الاعز فلعله نسب لجده وفي التابعين عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصنابح (وأبو هريرة) وحديثه في الصحيحين (والبراء) بن عازب وحديثه في الصحيحين أيضا (وجندب) عبد الله بن سنان البجلي الصحابي وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه متى أطلق فالمراد هذا (وعائشة) أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها (وأسما بنت أبي بكر) الصديق رضى الله تعالى عنهم والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ (وأبو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة) مصغر بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع الصحابة وفي مسند أحمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة قال حدثني به أخي قال البرهان لعل القاضي أراد ابن بريدة هذا أو قال بريدة فزيد عليه ابن ولم أر لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض في الكتب الستة ومسند أحمد وله ذكر في مسند البزار (وأبو بكرة) وهو

(وخولة) بفتح الخاء المعجمة (بنت قيس) كما رواه أحمد وغيره عنها وهي انصارية نجارية زوج حمزة بن عبد المطلب (وغيرهم) رضي الله تعالى عنهم كابي بكر الصديق وفي صحيح أبي عوانة والبيهقي وعمر للبيهقي في البعث وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وحذيفة بن أسيد بفتح فكسر والحسن بن علي وسلمان الفارسي وسمرة بن جندب وأبي الدرداء وأبي معوذ كلهم في الطبراني وأسيد بن حضير في الصحيحين وابن عباس في البخاري وأم سليم في مسلم وجابر بن عبد الله وعائذ بن عمرو وثابت بن أرقم وخولة بنت حكيم رواه أحمد في مسنده عنهم ولقيط ابن صبرة في زيادات المسند وخباب بن الارت في المستدرك وكعب بن عجرة في الترمذي والنسائي وبريدة في مسند البزار وعتبة بن عبيد والعرباض بن سارية في صحيح ابن حبان والنواس بن سمعان في كتاب ابن أبي الدنيا وعثمان بن مظعون في تاريخ ابن كثير وعبد الرحمن بن عوف في الطبراني ومعاذ بن جبل في حادي الارواح ذكره الدلجي وقال زعم المصنف تواتر حديث الحوض والظاهر ان تواتره معنوي لا لفظي لقول ابن الصلاح وغيره لا يكاد يوجد

شرط هذا وفي نسخة بعد قوله وسويد بن جبلة وأبو بكر وعمر وابن بريدة ونقل عن ابن جبير ان هذه الزيادة وقعت في طرة الامام بخط المؤلف بغير علامة يخرج اليها في ابن بريدة قال الحلبي هو تابعي فحديثه مرسل قلت المرسل حجة عند الجمهور فكيف اذا كان مع جمع حديثهم مشهور هذا وممن روى حديثا في الحوض ولم يذكره القاضي خولة بنت حكيم وعبد الله بن عباس أخرجهما أحمد في مسنده كما ذكره الحلبي وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات

منيع بن الحارث كناه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج (وخولة بنت قيس) بن فهد بن قيس الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند أحمد والطبراني (وغيرهم) من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصارا فاذا تركناهم اقتداء به وقد تقدم ان المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر قيل تواتره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا تكاد توجد شروطه

(فصل في تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء (ب) صفتي (المحبة والخلة) كما سيأتي تحقيقه أي بكونه حبيب الله وخليله (جاءت بذلك الآثار الصحيحة) معنى ورواية وقد تقدم الكلام على الاثر والحديث وان الاثر يطلق على الحديث مرفوعا كان أو موقوفا أو غيرهما واما تخصيص الفقهاء الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم ومارواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن أصحابي فهو سنة وما جاء عن أتباعهم فهو أثر وما جاء عمن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده كما قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وهذا مما الاخلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحاء والعلماء أو غيرهم من أرباب الكمال فهي في حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل لا من طريق الانس والراحة وهو الذي كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن اللطف بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لانعامه واحسانه فان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها والخلة صفة الخليل وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لان الخليل من يخالك أي يوافقك في خلالك ويسايرك في طريقتك من الخل وهو الطريق في الرمل أو يسد خلتك ومعنى كون الله خليل عبده انه محب له قائم باموره بحيث لا يحوجه لغيره أصلا (واختص

واختلف في ان الحوض هل هو قبل الصراط أو بعده أوله حوضان أحدهما بعده والآخر قبله والله تعالى أعلم هذا وقد قال المصنف ظاهر الحديث ان الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النار فهذا هو الذي لا يظما بعده قال وقيل لا يشرب منه الا من قدر له السلامة من النار قال ويحتمل ان من شرب من هذه الامة وقدر عليه الدخول لا يعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد ومات كافرا قال وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من يشاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون خاصة قال وهذا مثله والله تعالى أعلم

(فصل) (واما تفضيله بالمحبة والخلة) بضم المعجمة وتشديد اللام وسبق فيهما الكلام وسيأتي ما يتحقق به المرام في هذا المقام (جاءت بذلك) أي بتفصيل تفضيله (الآثار الصحيحة) أي من الاخبار الصريحة (واختص) بصيغة المفعول أو الفاعل

(صلى الله تعالى عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله) يعني وألسنة الخلق اقلام الحق لاسيما وهذه الأمة لا تجتمع على الضلالة مع كونه جاء صريحا في بعض الاحاديث بانه حبيب الله (أنا) أي أخبرنا (أبو القاسم بن ابراهيم الخطيب) وهو الامام المقرى يعرف بابن النحاس بالحاء المعجمة المشددة (وغيره) أي وغير أبي القاسم أيضا من المشايخ (عن كريمة) بفتح الكاف وكسر الراء هي الحرة الزاهدة (بنت أحمد) أي ابن محمد بن حاتم المروزي سمعت جامع البخاري من الكشميهني وسمعت زاهد بن أحمد السرخسي وحدثها كثيرو كانت مجاورة بمكة الى ان ماتت رحمها الله كذا ذكره الامير في اكماله على مانقله الحلبي فما في بعض النسخ بنت محمد غير صحيح (ثنا) أي حدثنا (أبو الهيثم) أي الكشميهني (وحدثنا) بالواو الدالة على تحويل السند وفي أصل الحلبي وأخبرنا (حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه) هو ابن سكرة (ثنا القاضي أبو الوليد) أي الباجي (ثنا عبد بن أحمد) بالوصف لا بالاضافة هو أبو ذر الهروي (ثنا أبو الهيثم) أي الكشميهني (ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) أي الفربري (ثنا محمد بن اسمعيل) أي الامام البخاري (ثنا عبد الله بن محمد) الظاهر انه المسندي ومستنداته انه من طلبة أبي عامر والا فقد روى البخاري عن أربعة كل منهم اسمه عبد الله بن محمد على ما ذكره الحلبي وقال الكلاباذي هو عبد الله ابن محمد بن جعفر السمان أبو جعفر المعروف بالمسندي لانه كان وقت طلبه يتتبع الاحاديث المسندة ولا يرغب في المقاطيع والمراسيل (ثنا أبو عامر) أي عبد الملك بن عمرو بن قيس أي العقدي بفتح العين والقاف بصري أخرج له الستة (ثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام فمثناة تحتية ساكنة فخاء مهملة ابن سليمان العدوي مولاهم المدني واسمه عبد الملك ولقبه فليح محتج به في الصحيحين وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائي ليس بالقوي أخرج له الائمة الستة (ثنا أبو النضر) بالضاد المعجمة هو سالم ابن أبي أمية المدني التابعي (عن بسر) بضم موحدة وسكون سين مهملة (ابن سعيد) أي ابن الحضرمي المدني الزاهد مات ولم يخلف كفنا (عن أبي سعيد) أي الخدري (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال

لو

صلى الله تعالى عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله) أي جرى على الالسنة تخصيصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان كان غيره من الانبياء محبوبا لله أيضا ثم استدل على اتصافه صلى الله عليه وسلم بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخاري فقال (أخبرنا أبو القاسم ابن ابراهيم الخطيب وغيره) هو الامام المقرى خلف بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة ومات بقرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثاء سادس عشر صفر والتكنية بابي القاسم جائزة بعده صلى الله عليه وسلم على الصحيح كما سيأتي (عن كريمة بنت أحمد بن محمد) وفي نسخة بنت محمد وصححها رواية بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية سمعت صحيح البخاري من الكشميهني وروت الحديث وحدثت به كثيرا وجاورت بمكة الى ان ماتت قالت (حدثنا أبو هيثم) الكشميهني وقد تقدم ضبطه وترجمته (وحدثنا حسين بن محمد) بن سكرة (الحافظ) السابق ذكره (سماعا عليه) فهو أحد شيوخه وهذا اسناد وطريق آخر للمصنف في رواية هذا الحديث وفي نسخة وحدثنا وح تكتب عند الانتقال من سند لآخر اشارة الى التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث قال (حدثنا القاضي أبو الوليد) الباجي الذي بيناه سابقا قال (حدثنا عبد بن أحمد) عبد بغير اضافة أبو ذر الهروي السابق ذكره قال (حدثنا أبو الهيثم) الكشميهني السابق في الطريق الاول قال (حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف) الفربري الامام الحافظ راوي البخاري المشهور كما تقدم قال (حدثنا محمد بن اسماعيل) هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور قال (حدثنا محمد بن عبد الله) المعروف بالمسندي والبخاري يروي عن أربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هذا كما ذكره الكلاباذي وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن السمان توفي يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال (حدثنا أبو عامر) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدي بفتح العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصري مشهور اخرج له الائمة الستة توفي سنة خمس ومائتين قال (حدثنا فليح) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوي المدني أخرج له أصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوي توفي سنة ثمان وستين ومائة وترجمته في الميزان قال (حدثنا أبو النضر) بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن أبي أمية المدني الثقة راوي أنس توفي سنة تسع وعشرين ومائة (عن بسر بن سعيد) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدني الزاهد الثقة توفي سنة مائة (عن أبي سعيد) سعيد بن مالك بن سنان الخدري السابق ترجمته رضي الله تعالى عنه (عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال

لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر) أي خليلا والمعنى جعلته مخصوصا بالصداقة والمحبة وهو فعيل من الخلة بالضم وهي الصداقة التي تتخلل باطن القلب فالخليل الصديق أو فعيل بمعنى الفاعل كما في هذا الحديث وانما قال ذلك لقصر خلته على حب ربه وربما ورد بمعنى مفعول وهو المناسب لقوله (وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) كما سيأتي مصرحا في حديث ابن مسعود وربما يفرق بينه صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ابراهيم عليه السلام بهذا التغاير في المعنى مع الاشتراك في المبنى

والحديث الاول رواه البخاري في فضل أبي بكر وقد رواه مسلم والترمذي والنسائي أيضا (ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) كما رواه الدارمي والترمذي عنه (قال جلس ناس) أي جمع (من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) أي خروجه اليهم ووصوله لديهم رجاء انزال فيضه عليهم (فخرج) أي من مقامه متوجها لهم (حتى اذا دنا منهم) أي قرب (سمعهم) وفي رواية فخرج سمعهم أي حال كونه قد سمعهم (يتذاكرون) أي متذاكرين كلاما فيما بينهم (فسمع حديثهم) أي تحققه وفهمه (فقال بعضهم عجبا) أي تعجبا (ان الله) بالكسر او تعجبت عجبا أن الله بالفتح (اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) أي كما أخبره تعالى وقد سقط لفظ ابراهيم

من أصل الدلجي فقال يريد ابراهيم عليه السلام (وقال آخر) أي بعض أو صحابي آخر (ماذا) أي ليس هذا وهو اتخاذ الله ابراهيم خليلا (باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما) أي كما أخبره تعالى (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) الفاء فصيحة أي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه في مقام الافتخار فاذكروا عيسى فانه كلمة الله خلقه بامر كن من غير أب أو اضافه للتشريف أي كلمته مقبولة عنده سبحانه ودعوته مستجابة لديه وهو روح مجرد من عند ربه نفخ فيه بغير واسطة أو رحمة منه

لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر) هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثاني محذوف تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فان لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ أبي بكر خليلا فالمعنى لا أصل في محبة أحد من الخلق الى مرتبة الخلة فانها مختصة بربي فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر أليق بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقدمه عنده فان كان من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تتخلل باطن القلب ي ان محبته مقصورة على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة فالمعنى اني أبرؤ من الاعتماد والافتقار الى غير ربي وفي هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة والخلة وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمصنف ان يذكر حديثا صريحا في اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره في آخر الفصل غني عن الرد (وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل الله) يعني نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخالة من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لان الخلة بمعنى الحاجة فان الله غني عن العالمين (ومن طريق عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه) التي رواها البخاري وغيره (وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا) كما اتخذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم أبو بكر كما توهم وفي هذا دلالة على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه الصلاة والسلام خليلا كما سيأتي تحقيقه (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) في رواية الدارمي والترمذي (قال جلس ناس من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينتظرونه) أي ينتظرون خروجه من بيته لمجالس أصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور (قال) ابن عباس رضي الله تعالى عنهما (فخرج) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى اذا دنى) قرب (منهم سمعهم يتذاكرون) أي يذكر بعضهم لبعض فيتحادثون أو يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه (فسمع) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حديثهم) وفسر هذا الحديث بقوله (فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا) أي من دون خلقه أو اختاره للخلة من بينهم أي تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من أمر فيه غرابة ولا أغرب عند من عرف عظمة الله وغناءه عن مخلوقاته وان كل شئ من فضله واحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو ابراهيم صلى الله تعالى عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر (وقال آخر ماذا) أي ليس اتخاذ الله ابراهيم عليه السلام خليلا (باعجب من كلام موسى) حين ناجاه في الدنيا و(كلمه الله تعالى تكليما) مع انه تعالى في الدنيا لم يكلم أنبياءه الا بواسطة ملك الوحي (وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه) هذه الفاء فصيحة في جواب شرط مقدر أي اذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه السلام وكونه كلمة الله وروحه وسمي عيسى كلمة الله لان الله خلقه من دون أب بمجرد قوله كن أو لاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في نفحاته لكل شئ في عرصة

(وقال آخر آدم اصطفاه الله) أي في أصل خلقته من غير واسطة من أب وأم في فطرته وجعله أبا البشر وجد الانبياء والاصفياء وذكره في كتابه بوصف الاجتباء وحاصل كلامهم انه يتوهم من هذه الاوصاف لهم انهم أفضل من نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم حيث مابلغهم صريحا انه اختص ببعض المقامات العاليات كما يشير اليه قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات (فخرج عليهم) أي وصل اليهم (فسلم) فتكراره ليناط به غير مانيط به أولا أو خرج أولا من مكان الى آخر فسمع قولهم مارا ثم خرج منه وسلم عليهم (وقال قد سمعت كلامكم) أي في تخصيص بعض الرسل ببعض الفضائل (وعجبكم) أي واظهار تعجبكم باختصاصهم ببعض الشمائل كما بينه قوله (ان الله) الخ وتكلف الدلجي حيث قدر له عاملا بقوله أي أدركت عجبكم وجعله من قبيل قلدته سيفا ورمحا وعلفتها تبنا وماء باردا وتبعه الانطاكي ورأيت بخط قطب الدين عيسى الصفوي انه لاحاجة الى هذا التكلف فان المراد سماع مايدل على تعجبهم هذا وفي نسخة صحيحة ان الله وهي بكسر الهمز أو بفتحه (اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك) أي خليله أو اتخاذه محقق (وموسى نجي الله) أي كما قال الله تعالى وقربناه نجيا من المناجاة وهي المكالمة سرا (وهو كذلك) أي نجيه أو امره كذلك (وعيسى روح الله وهو كذلك) أي ذو روح منه خلقه بلا واسطة أب (وآدم اصطفاه الله) أي اجتباه (وهو كذلك) أي صفيه بالنبوة والرسالة كما قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس (الا) أي تنبهوا الخصائصي مع اشتراكي معهم في الاصطفاء كما قال (وأنا حبيب الله) بمعنى محبوبه الذي هو أخص من كل مرتبة ومقام عنده

العلم الالهي الازلي مرتبة الحرفية فاذا اصبغه الحق بنوره الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شان من الشؤن الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب * أي الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة للتشريف (وقال آخر) ممن كان ثمة (وآدم اصطفاه الله) أي اختاره وجعله صفيه وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين (فخرج النبي) صلى الله تعالى عليه وسلم (عليهم فسلم) لما ذكر قوله فخرج أولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تاكيدا فقيل كرره ليناط به غير مانيط به أولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثاني من آخر قلت هذا التوهم ان العطف ينافي التاكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التاكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر انه كقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بانه قد يعاد اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وههنا بحث نفيس وهو ان ماقاله النحاة ينافي ما اتفق عليه أهل المعاني من ان التاكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضي المغايرة والتاكيد عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسئلة من مسائل الكتاب فان لم يقفوا عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو أعجب كما قيل

فان كنت لاتدري فتلك مصيبة * وان كنت تدري فالمصيبة أعظم

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (قد سمعت كلامكم وعجبكم) أي تعجبكم وقولكم عجبا كما مر في أول الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى أدركت أو فيه مقدر عامل في الثاني أي وعرفت عجبكم على حد قوله قلدته سيفا ورمحا أي وأعطيته ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك وقوله (ان الله اتخذ ابراهيم خليلا) وقد صحح في النسخ المقروءة بفتح همزة أن فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز أن يكون جملة مستانفة كأن سائلا سال ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وأن يكون مقول قول محذوف وهو يقتضي ان ان مكسورة الهمزة (وهو كذلك) أي اتخذه خليلا (وموسى نجي الله) أي كليمه والمناجاة المكالمة وأصل معناها أن يخلو بنجوة من الارض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر وقيل أصلها من النجاة فمعناه أن يكلمه بما فيه خلاصه (وهو كذلك) أي هو نجي الله وكليمه فما ذكره واقع (وعيسى روح الله وهو كذلك) أي هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه وان الاضافة للتشريف أو هو بمعنى رحمة الله (وآدم اصطفاه الله وهو كذلك) كما قلتم فان الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه أبا البشر (الا وأنا حبيب الله) الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستانف فيحقق مابعده نحو الا ان أولياء الله لاخوف عليهم وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيبا لله واشارة الى ان هذه الصفة أعلى درجة مما قبله أي من عجب مما وصف به الانبياء قبلي فانا موصوف بما هو أعجب وأعلى وهو كوني حبيب الله أي محبوبه فانه فعيل بمعنى مفعول وماقيل من انه من القول بالموجب البديعي كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل * ولله العزة ولرسوله فانه سلم لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي أرادوه فانهم أرادوا بالاعز غير المؤمنين وبالاذل المؤمنين

(ولافخر) أى ولا اقوله فخرا بل تحدثا بنعمته شكرا (وأنا حامل لواء الحمد) كما قال فى حديث آخر وآدم ومن دونه تحت لوائى (يوم القيامة) أى فى المحشر الاكبر فى المقام المحمود الذى يحمده الأولون والآخرون (ولافخر) أى الابقر بى لربى (وأنا أول شافع) أى فى الشفاعة العظمى أى فى كل مرتبة من مراتب الشفاعات الحسنى (وأول مشفع) أى مقبول الشفاعة (ولا فخر) أى بالنسبة الى مالى من الذخر (وأنا أول من يحرك حلق الجنة) بفتح الحاء واللام وبكسر أوله أى حلق بابها (فيفتح الله لى) أى بامره لرضوان الجنة بان يفتح لى كما فى رواية (فيدخلنيها) أى الله بفضله وكرمه كما قال الا ان يتغمدنى الله برحمته (ومعى فقراء المؤمنين) أى بعمومهم على تفاوت مراتبهم مقدمون على اغنيائهم على اختلاف احوالهم وهو ولا ينافى ماورد بلفظ ومعى فقراء المهاجرين لانهم أفضل فقراء المؤمنين ووقع فى أصل الدلجى مما يخالف الاصول المعتبرة (ولافخر) أى بهذا أيضا لانه ورد فى الحديث القدسى والكلام الانسى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وأنا أكرم الأولين والآخرين) أى من الخلائق أجمعين وهذا فذلكة الكلام ونتيجة المرام (ولافخر) أى فى هذا المقام أيضا اذ الفناء عن السوى والبقاء فى حضرة اللقاء هو المقام الاسنى والحالة الحسنى (وفى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) أى من أحاديث الاسراء (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله أى فى جملة قوله سبحانه وتعالى (لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) أى كما اتخذت ابراهيم فجمع له بين كونه خليلا وحبيبا فله فى المزية زيادة مرتبة المحبوبية كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله أى يحصل لكم حظ من المنزلة المحبوبية بواسطة المتابعة المطلوبية ويؤيده قوله (فهو مكتوب فى التوراة أسب) كذا فى نسخة صحيحة من غير ضبط على هذه الصورة وهى ألف بعدها سين مهملة ثم جرة وفى بعض النسخ مكتوب بازائها على الطرة ذكر ابن جبير بخطه فى كتابه ان هذه اللفظة وقعت فى الام المبيضة بخط المؤلف

كما هى هنا مبهمة فحكيتها كما وقعت ذكره الشمنى ولا يبعد ان يكون بالتاء الفوقية فى آخر الكلمة وهى للربط فى الجملة بالفارسية وفى نسخة ضبط بكسر الهمزة وسكون السين المهملة وضم الموحدة وقيل بفتح الهمزة وسكون السين وضم المثناة فوق ولعلها كلمة سريانية بقرينة ذكرها فى التوراة أى أنت كما فى نسخة (حبيب الرحمن) وفى نسخة أحمد حبيب الرحمن ولعل ولعله مدلولها هذا وقد قال الانطاكى كذا وقع فى النسخ خليلا ولعله مصحف فقد تقدم حديث أبى هريرة هذا فى فصل ذكر تفضيله عليه الصلاة والسلام بما تضمنته كرامة الاسراء ولفظ الحديث هنالك قد اتخذتك حبيبا قال وأيضا لفظ الحبيب هنا أنسب بآخر الحديث وهو قوله أنت محمد حبيب الرحمن قال ثم انى وقفت على نسخة قديمة قد كان اللفظ فيها أولا انى اتخذتك حبيبا ثم غيرته أيدى التحريف فصيرته خليلا وعلامة الاهمال تحت الحاء كانت باقية فيها بعد والله يعلم المفسد من المصلح قلت حمل جميع النسخ على التصحيف بعيد عن صوب الصواب وميل الى التحريف لاسيما والنسخة القديمة أيضا ظهرت سقيمة وصحت سليمة هذا من جهة المبنى واما من حيثية المعنى فلاشك ان التاسيس أولى من التاكيد مع ما فى مغايرة العبارة من الاشارة الى الجمع بين النعتين الجليلين والوصفين الجميلين ثم الظاهر ان هذا رواية أخرى عن أبى هريرة لمغايرة ألفاظهما فى المحلين من الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

المؤمنين فعكسه عليهم وهو غلط بين كما تقرر فى علم المعانى غير صحيح لانهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال انه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه ولذا قال التلمسانى انه قريب من القول بالموجب لانه قرر أولا ماذكروه من فضائلهم بقوله هو كذلك ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم وقوله (ولافخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولافخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولافخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى) تقدم شرحه فى حديث آخر (ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير الثانى للجنة ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله ان الله ملككم اياهم (ومعى فقراء المؤمنين) اكراما لهم وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية (ولافخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولافخر وفى حديث أبى هريرة) الذى رواه البيهقى وصححه (من قول الله تعالى) وفى نسخة فى قول الله والاصح روايته بلفظ من (لنبيه صلى الله عليه وسلم انى اتخذتك خليلا) كما تقدم (فهو مكتوب فى التوراة أسب حبيب الرحمن) قال الشمنى انه وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من الشفاء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وباء موحدة وهى هكذا وفى نسخة المصنف المبيضة المروية عنه وصحفها بعضهم فكتب أنت وهى لفظة عبرانية بمعنى أنت وقال الدلجى ان بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بانت وعبر الشمنى بقوله بعد السين جرة أى مدة خطية فلم يعينها الشكه فيها قيل حاصله انه ثبت لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم

(قال القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى) كذا فى الاصول المعتبرة ووقع فى أصل الدلجى هنا فصل (اختلف) بصيغة المجهول وفى نسخة اختلفوا (فى تفسير الخلة) بالضم (وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع الى الله) أى المعرض عما سواه بزيادة نعته بانه (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) أى نقص وخلل لديه فعليه اشتقاقه من الخلال وهو وسط الشئ فان الود يتخلل النفس ويخالطها بحيث لا يختل بحصول خال فيه حال خلاله وفى هذا المعنى قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقوله سبحانه وتعالى ففروا الى الله (وقيل الخليل المختص) أى بوصف الخلة سواء يكون مشتقا من الخلة بضم الخاء كما سبق أو من الخلة بفتح بمعنى الفقر والحاجة من الخل اذ كل خليل محتاج الى ان يسد خلل خليله وفى الحديث اللهم ساد الخلة أى الحاجة والفاقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان فى الخصال كما ورد المرء على دين خليله وقيل هو المختص بخدمة مولاه والذى اختصه الله تعالى فجعله من خلاصة عباده وسلالة عباده ولكن لا يظهر وجه الاشتقاق فى هذين القولين وان كان الدلجى ذكرهما واقتصر عليهما ثم رأيت الانطاكى قال المختص يعنى بالصداقة والمحبة يقال دعا فلان فخال أى خص فيه

وصف المحبة من غير مشاركة فيها والخلة التى شاركه فيها ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد أثبتها صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه فى آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة أيام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه انه قد كان لى فيكم أخوة وأصدقاء وانى أبرؤ الى الله تعالى أن أتخذ احدا منكم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا أوتيت البارحة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو تعريف منه صلى الله تعالى عليه وسلم باعلى مقامه وأكمل حالاته وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فرق لان خلته حقيقية أصلية وخلة ابراهيم مستعارة من خلته الذاتية ولذا قال ابراهيم فى حديث الشفاعة انما كنت خليلا من وراء وراء فالخليل غيره وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والا فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه ولكل صفة مراتب فهو صلى الله تعالى عليه وسلم مختص باعلاهما وسيأتى تحقيقه قريبا (قال القاضى أبو الفضل وفقه الله تعالى) هو عياض المصنف (اختلف) بالبناء للمجهول أى اختلف العلماء (فى تفسير الخلة) وبيان معناها (وأصل اشتقاقها) بيان لمحل الخلاف ومنشاه وفى قواعد العلو فى الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه فى حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق الاكبر رد تراكيب المادة لواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا فى بعضها خفيا فى البعض فيحتاج فى رده الى ذلك المعنى الى تلطف فى معرفة المناسبات انتهى وتفسير أقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور فى كتب ابن جنى كالخصائص وغيرها (فقيل الخليل) المذكور هنا (المنقطع الى الله) أى الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله (الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال) أى خلل ونقص يحتاج لجبره وتكميل لخلوصه فيه ويقينه الذى لا يختل أصلا وتحقيقه ماقاله الامام الراغب انه يقال خلل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق فى الرمل وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها أو لحاجتها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة لانها تتخلل النفس أى تتوسطها أو تؤثر فيها تأثير السهم فى الرمية أو لفرط الحاجة وابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل لافتقاره الى الله وقيل من الخلة واستعمالها كاستعمال المحبة وقال أبو القاسم البلخى هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب فقد اخطأ لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته الثناء منه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشبه فان الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال حببته اذا أصبت حبة قلبه فاذا استعملت فى الله أريد مجرد الاحسان وكذا الخلة فيتجوز فى أحدهما كما يتجوز فى الآخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة جبر الخلل فحاشا الله عنه انتهى وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التى هى ماخذه فلا يرد ان أول كلامه فى الخلة وماذكره تفسير للخليل فسقط ماقيل من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوى فيه المؤنث والمذكر لانه مصدر فى الاصل وان الكلام فى معناه اللغوى الوضعى الثبوتى فتفسيره بالسلبى غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه (وقيل الخليل) معناه (المختص) بمن خالله مطلقا فهو الصديق الذى صار من خلص أحبابه وأصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختيار ماكلفه من فعل وترك اقتصار

(واختار هذا القول) أى الاخير (غير واحد) أى كثير من الاخبار (وقال بعضهم أصل الخلة) بالضم (الاصطفاء) أى الاختيار من الصفوة أو الصفاء أى يختار كل خليل رضى خليله أو يصفو معه فى كل حالة كخليله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه) أى يحب فى الله ويبغض فى الله أو لابتغاء رضاه ليس له غرض سواه ففى البخارى الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان أى من كماله (وخلة الله له) أى لابراهيم (نصره) أى على عدوه (وجعله امامالمن بعده) كما قال تعالى انى جاعلك للناس اماما فلم يبعث نبى بعده الا كان من ذريته مأمورا باتباع ملته قال الدلجى وفى نسخة وجعله أمانا لمن بعده بشهادة اجعل هذا بلدا آمنا والظاهر انه تصحيف وتوجيهه تحريف (وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع) أى عن الاعوان والاخوان أو عما سوى الله تعالى فى الاكوان (مأخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) أى شدتها الملجئة الى الفاقة (فسمى بها) أى بالخلة يعنى بالاتصاف بها فى اطلاق الخليل ووقع فى أصل الدلجى به بالضمير المذكر وهو واضح دراية لو ثبت رواية أى فسمى بالخليل (ابراهيم لانه قصر حاجته) أى حصرها (على ربه) أى على طلبها من ربه أو على حصول قربه ليس له مأمول غيره فى قلبه ويؤيد قوله (وانقطع اليه بهمه) أى بهمته وعزيمته ونيته أو المراد بالهم ما يهمه ويغمه لقوله (ولم يجعله) أى همه (قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة أى عند غيره والمعنى لم يكل همه الى أحد غيره اذ ليس للغير أثر وجود فى نظره وكان هذا حال الخليل فى المقام الجليل (اذ جاءه جبريل وهو فى المنجنيق) بفتح الميم والجيم وقيل بكسر أوله لانه آلة للرمى ويؤيده الاول ما فى كتب اللغة انها هى آلة ترمى بها الحجارة معربة وأصلها بالفارسية من جه نيك أى ما أجودنى ويقال جنق اذا رمى بالمنجنيق قالوا كنا نجنق مرة ونرشق أخرى (ليرمى به فى النار) بصيغة المجهول (فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا) وزيد فى رواية فقال فاسئل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى

فيه قصور (واختار هذا القول غير واحد) من الائمة المحققين ورجحه الشراح (وقال بعضهم أصل الخلة) بالضم (الاستصفاء) أى كون محبته ومودته صافية أى خالصة من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال قوله (وسمى ابراهيم خليل الله لانه يوالى فيه ويعادى فيه) الموالاة المحبة وفى بمعنى اللام كقوله تعالى الذين جاهدوا فينا أى لاجلنا أى لا يحب الا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة ولا يبغض الا أهل المعصية والضلال كقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولذا قالوا

اذا صافى صديقك من تعادى * فقد عاداك وانفصل الكلام

(وخلة الله له) أى لابراهيم عليه الصلاة والسلام (نصره) على عدوه كنمرود وهذا جواب سؤال مقدر أى قد علم معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله خليلاله (وجعله امامالمن بعده) لقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما أى مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبياء بعده كلهم من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لولم ينتصر خالفه من بعده ولذا ذكره معه تاييدا وتاكيدا (وقيل الخلة أصله) أى أصل معناه الذى وضع له لغة (الفقير المحتاج) صفة كاشفة مفسرة له (المنقطع) أى المنفرد عن الناس لعدم أعوانه واخوانه (ماخوذ من الخلة) بفتح الخاء (وهى الحاجة) لاحتياج صاحبها الغيره لعجزه عما يقوم بأموره (فسمى بها) أى لقب بما اشتق منها وهو الخليل (ابراهيم) فالضمير للحاجة أو للفظة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف أى بمشتقها ونحوه (لانه قصر) بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (حاجته على ربه) أى لم يكن له حاجة الا الى ربه فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله (وانقطع اليه بهمه) الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتنى به ويعزم عليه يعنى كما انه قصر حاجته على الله قصر أمله وعزمه على الله وعلى ما يرضيه (ولم يجعله قبل غيره) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى فالمراد انه عنده وفى جانبه وانه لم يحمل أمره ورجاءه فى غير الله أى لم يطلب شيأ من غيره ولم يؤمله (اذ جاءه) أى جاء ابراهيم عليه الصلاة والسلام (جبريل) عليه الصلاة والسلام (وهو فى المنجنيق ليرمى به) أى وقد وضع فيه ليرمى به (فى النار) التى أوقدت لاحراقه وكان لهبها اشتد حتى لم يمكن أحدا أن يدنو منها حتى يرمى شيأ فيها فصنعوا المنجنيق لالقائه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بان يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسى معرب وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم وأصله من جى نيك أى ما أجودنى وهو مؤنث كما قال

لقد تركتنى منجنيق ابن جندل * أحيد عن العصفور حين أحيد

وميمه زائدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور (فقال له) جبريل عليه الصلاة والسلام (ألك حاجة) عندى من سؤال ما ينجيك ونحوه (قال أما اليك فلا) حاجة لى لقصر

حاجته على ربه كما رو هـذا رواه أبو نعيم (وقال أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحح في النسخ بالتنوين والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربي معناه الفار ولا يعرف في اللغة وانما المذكور فيها انه بمعنى نوع من الظباء ومن قال معناه الفار لعله أراد انه من عجمة أندلس وتحريف عامتهم قلت رأيت في كتب التواريخ ان ملك الهند أرسل للاسكندر رسولا اسمه فورك وسألت عنه فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضي انه أعجمي غير مصروف وعندي انه يجوز فيه الوجهان وقدمر فيه كلام لنا ورماه ههنا زبدته (الخلة صفاء المودة) وهي المحبة مع التودد وهي المؤانسة والمساعدة وصفوها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(التي توجب الاختصاص) أي يلزمها اختصاص الوادين بودهما بان يلازم صحبته واسعافه (بتخلل الاسرار) جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها في باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها فلا يخفى عليه شيء من أحواله والباء سببية وقيل الاسرار بتجاويف حبات القلوب وهو مجاز أو معناه رسوخ المودة في القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سواء كان حسن صورة أو كمال كمحبة العلماء والصلحاء أو انتفاع وانعام لان القلوب مجبولة على حب من أحسن اليها والمودة مواصلة من تحبه والتودد اليه فاذا زادت المودة وخلصت كانت خلة * فان قلت فحينئذ الخلة أخص من المحبة فتكون أفضل فلم قيل ان المحبة أفضل * قلت المحبة أعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من بعض الحكماء والصوفية وان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعد الاسراء لما رأى الله وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سأل سواه وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والارض وأعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تأخر مع انه لم يصدر عنه زلة وأطلعه على أسراره حظائر قدسه وأي خلة كهذه فلذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم مخصوصا بانه خليل الله أيضا وقال الخليل عليه الصلاة والسلام أنا خليل من وراء وراء كما مر وكرر وراء اشارة الى زيادة قرب نبينا في الارض والسماء فلا منافاة بين اختصاصه ووصف ابراهيم وان اشتهر بذلك لانه أجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى أجل من الخليل وهذا من جانب العبد وأما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه وانعامه وتعليمه ما لم يعلمه غيره وتفضيله على ما سواه وخلته له واسعافه له بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب بصره وبصيرته حتى كأنه معه في كل حين فاعرفه (وقال بعضهم أصل الخلة المحبة) يحتمل ان أصل معناها الوضعي المحبة لانها من تخلله في قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة أساس الخلة ومنشؤها لانها تكون بعد تحققها (ومعناها) أي معنى الخلة الوضعي بناء على الثاني وهو الارجح وقيل ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة (الاسعاف) أي الاعانة والنصرة والامداد لكل ما أراد (والالطاف) بفتح الهمزة أي الانعام والاحسان قال الزمخشري في شرح مقاماته الالطاف الهدايا

(وقال أبو بكر بن فورك) بضم الفاء وفتح الراء غير منصرف وقد ينصرف (الخلة) بالضم (صفاء المودة) أي خلوص المحبة التي لا يتخللها نوع من المخالفة (التي توجب الاختصاص) أي في حالتي المسرة والمضرة من المحبوب للمحب وعكسه (بتخلل الاسرار) بفتح الهمزة جمع سر اي يدخل في قلوب الاخيار وصدور الاحرار والجملة حالية ولو قرئت بالباء الجارة وصيغة المصدر لكان له وجه وجيه (وقال بعضهم أصل الخلة المحبة) أي مطلقا في اللغة (ومعناها) أي مؤداها (الاسعاف) بكسر الهمزة أي انجاز الحاجة بلا مهلة (والالطاف) بالكسر أي الاعانة على وجه اللطافة

(والترفيع) أى رفعه على نفسه فى مقام أنسه وهو معنى قول بعضهم الترفيع التعظيم والتكريم (والتشفيع) أى قبول شفاعته وحصول رعايته (وقد بين) أى الله تعالى (ذلك) أى هذا المعنى (فى كتابه) أى فى مفهوم المبنى (بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله) أى اتباع ابنيه عزير والمسيح على حذف المقدر أو نزلوا أنفسهم منزلتهما فى المقام المعتبر بتدبره كذا قوله (وأحباؤه) أى محبوبوه أو محبوه ويلزم كونهم محبيه للازمة الغالبية فى نسبة المحبية أو المحبوبية كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه (قل فلم يعذبكم بذنوبكم) أى ان صح مازعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم اذ من كان بهذه المكانة لا يعذب بهذه المثابة وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر والمسخ والاصر وسيعذبكم فى النار الموقدة باعترافكم أياما معدودة (فاوجب) أى الله بطريق الاشارة المفهوم من العبارة (للمحبوب ان لا يؤاخذ) بفتح الخاء أى لا يعاقب (بذنوبه) وان كان قد يعاتب بعيوبه فالحبيب لا يعذب حبيبه بالنار والوالد لا يرمى ولده فى النار (قال) أى الله سبحانه وتعالى (هذا) أى هذا الكلام أو قال ذلك البعض خذ هذا أو الامر هذا أو هذا كما ذكر (والخلة أقوى) أى فى النسبة (من البنوة) بتقديم الموحدة على النون وضمهما وتشديد الواو (لان البنوة قد يكون فيها) أى يوجد معها (العداوة) أى الموجبة للمخالفة (كما قال الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم) أى بعضهم (عدوا لكم) بالمخالفة الدينية أو الدنيوية (فاحذروهم) أى عن المخالطة والمغالطة (الآية) أى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم (ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة) أى مع صداقة على الحقيقة فانهما ضدان لا يجتمعان على وجه الكمال نعم قد توجد عداوة من حيثية وصداقة من حيثية كمحبة ولد عاق وعداوة والد جاف وعلى هذه الحالة مدار معاشرة العامة بل ومداراة الخاصة (فاذا) بالتنوين أى فحينئذ (تسمية ابراهيم ومحمد) وفى نسخة تسميته أى تسمية الله ابراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام (بالخلة

واحدها لطف بفتحتين قال كمن له عندنا التكريم واللطف انتهى ويحتمل انه جمع لطف كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف (والترفيع) باعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة (والتشفيع) باذنه له فى الشفاعة وقبولها وله صلى الله عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع فى فصل القضاء ولرفع درجات قوم فى الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذى وسيأتى ولبعض المؤمنين فى التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من أهل النار بعدم دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كأبى طالب لجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه كما رواه البخارى وهو لا ينافى قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بيناه فى حواشى القاضى ولقبول شفاعة بعض الانبياء والصلحاء وقيل التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع (وقد بين ذلك تعالى) أى كون المحبة والخلة تقتضى الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم (فى كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم الآية) يعذبكم مضارع بمعنى الماضى أى عذبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا برهان أى لو كنتم أبناءه وأحباءه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك أو هو على أصله أى لم يعذبكم فى الآخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لله لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضاء المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره قيل عليه انه لا دليل فى الآية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الاعدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على انه ممنوع فى أحباء الله لان من أحبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء ولا دليل فيها على ان أصل الخلة المحبة وهو مما يقتضى منه العجب وقولهم أبناء الله أى منا أبناؤه وهو المسيح وعزير ونحن أتباع بنيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم رأوا فى التوراة يا أبناء أحبائى فبدلوها بيا أبناء أبكارى (فاوجب للمحبوب) أى بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب وخليل يجب (ان لا يؤاخذ بذنوبه) أى لا يعاقب بها ولا يجازى عليها (قال) ذلك البعض (هذا) اسم الاشارة يتخلص به من كلام لآخر فيكون خبر مبتدأ مقدر أى الامر هذا أو مبتدأ خبره مقدر وقد يذكر كما فى قوله هذا ذكر أو مفعول فعل مقدر أى خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه (والخلة أقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا وولدا منه ثم بين ذلك بقوله (لان البنوة قد يكون فيها العداوة) أى معها أو فيمن اتصف بها وهو من ظرفية الصفة للموصوف (كما قال الله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أى منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم (ولا يصح أن يكون عداوة مع خلة) لان المحبة معناها أو داخلة فيه أو لازمة له وهى ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف البنوة فانها وان كانت الفطرة تقتضى المحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفى هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصل فيها المحبة والعارض لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه أيده بقولهم زيد أبوك عطوفا وكم له مثلها تجاوز الله عنه (فاذن) تفريع على ما قبله (تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة) أى بما أخذ من الخلة وهو الخليل أو المراد بالتسمية الوصف

اما بانقطاعهما الى الله) أى بالكلية (ووقف حوائجهما عليه) أى حتى فى الامور الجزئية والانقطاع (عما دونه) أى فى الاحوال الظاهرية (والاضطراب) أى الاعراض والانصراف (عن الوسائط والاسباب) أى فى الخواطر السرية كما قال أرباب الاشارات التوحيد اسقاط الاضافات (أولزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) أى من بين الانبياء والاصفياء (وخفى ألطافه) بفتح الهمزة أى ولزيادة ألطافه الخفية (عندهما) أى من أخفى الشئ اذا ستره لا من خفيته بمعنى أظهرته وحديث خير الذكر الخفى يحتملهما على ماذكره الدلجى لكنه بمعنى الظهور بعيد كما لا يخفى نعم لو قيل المعنى هنا ظهور الطافه لظهر له وجه وفى نسخة وحفى بالحاء المهملة وكسر همزة الطافه أى ولزيادة مبالغته فى اكرامه من حفى اذا بالغ فى الاكرام واستقصى عن سؤال المرام ومنه قوله تعالى يسألونك كأنك حفى عنها ومنه أيضا حديث ان امرأة دخلت عليه عليه الصلاة والسلام فسألها فاحفى وقال انها كانت تأتينا فى زمن خديجة وان كرم العهد من الايمان (وماخالل) أى خالط وباشر (بواطنهما من اسرار الهيته) أى وأنوار صمديته (ومكنون غيوبه) أى ومن استار مغيباته (ومعرفته) أى تعريفاته بذاته وصفاته (أولاستصفائه) أى اختيار الله سبحانه وتعالى (لهما) ومنه حديث محمد خيرة الله من خلقه (واستصفاء قلوبهما عمن سواه) أى تخليصهما عن التعلق بالعوائق من الخلائق (حتى لم يخاللهما حب لغيره) بل اذا أحبا أحدا أحباه لله سبحانه وتعالى ولذا دعا صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله اللهم لا تجعل لفاجر على يدا يحبه قلبى وبقوله اللهم انى أسألك حبك وحب من يحبك (ولذا) أى المعنى المستفاد من هذا المبنى (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه) بتشديد التاء وكسر السين ويروى من لا يتبع قلبه (لسواه) أى على جهة الشركة فى المحبة الاصلية (وهو) أى هذا المعنى هو (عندهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه البخارى ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبابكر (ولو كنت متخذا خليلا) أى من الناس أرجع فى المهمات عليه وألجأ فى الملمات اليه (لاتخذت أبابكر خليلا لكن اخوة الاسلام) ورواية المصابيح ولكن بالواو أى ليس بينى وبينه خلة لكن اخوة الاسلام ثابتة بينى وبينه فى أعلى المرتبة

تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسمية وفى نسخة اضافة بالضمير (اما بانقطاعهما الى الله تعالى) هذا ناظر لان الخلة الحاجة أى لاعتمادهما عليه واما المنع الخلو فقط (ووقف حوائجهما عليه) أى جعلها موقوفة على انعامه لا كتفائهم بفضله (والانقطاع عمن دونه) أى الانقطاع اليه تعالى وترك غيره (والاضراب عن الوسائط والاسباب) الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال اضرب عن كذا اذا أمسك عنه وتركه (أولزيادة لاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على ما بعد اما بان الله اختصهما بزيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغنى الخليل خليله وهذا ناظر الى انه من الخلة بالضم (وخفى الطافه عندهما) خفى بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لا يدرى أو بالحاء المهملة أى زيادة مبالغة فى اكرامه لهما يقال أحفى به وحفى اذا بالغ فى اكرامه وهو مجرور معطوف على زيادة أو ما أضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر وفيه مامر (أو ماخالل) أى تخلل ودخل (بواطنهما من أسرار الهيته) اشارة الى انه من التخلل كما تقدم وفى نسخة من أسرار الهيبة بمثناة تحتية فوحدة (ومكنون غيوبه) جمع غيب وهو ما لا يدرك بالحواس الظاهرة أو ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول والمكنون بمعنى المستور (ومعرفته) أى معرفة افاضها عليهما من علمه اللدنى أو معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل أحد (أولاستصفائه لهما) أى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله وقوله (واستصفاء قلوبهما) مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف للعين يجوز افراده وجمعه وتثنيته أى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة لاسراره ومعرفته (عمن سواه) بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه (حتى لم يخاللهما) أى يدخل فى خلالهما (حب لغيره) هو نتيجة الاستصفاء وماله فارتضاهما وصفى قلبهما من كدر حب السوى الناشئ عن الطبع البشرى (ولهذا) أى لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن العوارض البشرية (قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه) لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لا يبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى * فان ترد الزيادة هات قلبا

(وهو) أى ماذكر من معنى الخليل ونعته (عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث البخارى ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبابكر (ولو كنت متخذا خليلا) من الناس غير ربى ارجع اليه فى أمورى وأعتمد عليه فيما يهمنى (لاتخذت أبابكر خليلا) لانه أعز أصحابى وأقدم أصدقائى فلو تعلق قلبى باحد لم يكن يتعلق بغيره لما أعرفه من ايثاره لى على نفسه وأهله (لكن اخوة الاسلام)

وقديم

فيقوم مقام اتخاذى له خليلا قال التلمسانى كذا وقع فى النسخ الصحيحة من الشفاء أخوة بالالف وفى الاكمال خوة دون ألف ثم قال كذا للعذرى ولغيره بالالف وقوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا الخ قال فى المشارق لو كنت متخذا خليلا أفتقر اليه وألتجئ اليه فى جميع أمورى لكان أبا بكر ولكن الذى ألتجئ اليه وأفتقر اليه هو الله تعالى أو كنت منقطع الحب مخلوق لكان أبا بكر لكن مرافقة الاسلام انتهى وفيه ايذان الى ان الخلة فوق الاخوة والمودة (واختلف العلماء وأرباب القلوب) أى أصحاب القلوب الصافية والالباب الواعية من المشايخ الصوفية الجامعين بين المعارف اليقينية البهية والاخلاق السنية الرضية (أيهما أرفع) أى الخصلتين أو الحالتين أعلى أو أغلى فى الدرجة العلية والرتبة الجلية (درجة الخلة) أى درجة الخلة أرفع من درجة المحبة (أو درجة المحبة) أى أرفع من درجة الخلة فهما مرفوعان بناء على انهما بدل من أيهما المرفوع ويجوز نصب درجة على انه تمييز ذكره التلمسانى وهو بعيد جدا لاسيما مع وجود أو الترديدية وكونهما معرفة بالاضافة نعم لو ثبت الجر لكان له وجه من حيث انه بدل من المضاف اليه فى أيهما والصحيح ما أشرنا اليه من انهما مرفوعان بالابتداء وان خبرهما أرفع مقدرا مع تقدير الاستفهام فى أولهما (فجعلهما بعضهم سواء) أى فى المرتبة ليس بينهما تفاوت فى الدرجة (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالمحبة) أى بناء على الغلبة ولكن فى هذا الاختصاص دلالة باهرة واشارة ظاهرة الى زيادة درجة المحبة على رتبة الخلة كما لا يخفى على أرباب المعرفة (وبعضهم قال درجة الخلة أرفع) أى من مرتبة المحبة وهذا بعيد جدا الا ان يراد بالخلة معنى الخصوص وبالمحبة معنى العموم وليس الكلام فيه لا فى المنطوق ولا فى المفهوم (واحتج) أى ذلك البعض لما زعمه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فيما رواه البخارى (لو كنت متخذا خليلا غير ربى) لاتخذت أبا بكر خليلا (فلم يتخذه) أى غير ربه خليلا (وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها) أى الحسنين رضى الله تعالى عنهم (واسامة) أى وكذا لاسامة ابن مولاه زيد بن حارثة الملقب بحب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان اسامة أسود كالغراب وأبوه زيد أبيض كالقطن (وغيرهم) أى كابى بكر وعمر وعائشة فلو كانت المحبة أرفع من الخلة لم يتخذ غير ربه مما ذكر حبيبا كما لم يتخذ غيره خليلا وفيه انه لم يطلق على أحد منهم بكونه حبيبا وانما أراد بمحبتهم المحبة الطبيعية الناشئة عن النسبة الجزئية أو الحالة الصادرة عن تحقق الشمائل الرضية مع انه صلى الله تعالى عليه وسلم سمى حبيب الله بمعنى محبوبه فاين هذا المعنى من ذلك المبنى فليس له شريك فى هذا الوصف على وجه الكمال كما لا يخفى وهذا هو المشهور عنده

وقديم الصحبة لذى هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل

صحبة يوم نسب قريب * وذمة يعرفها اللبيب

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة وأثبت الاخوة المؤذنة بالمساواة تنزلا منه فالخلة أعظم من البنوة والاخوة واخوة بهمزة مضمومة وروى فى الاكمال انه خوة دون ألف وهى لغة قليلة (واختلف العلماء وأرباب القلوب) أى أصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل غيرهم كأنه لا قلب له والمراد بهم الاولياء وذو النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين عن أحوال القلوب وقيل المراد بهم أكابر الصوفية وسموا بذلك لنظرهم فى العلوم الباطنة دون ظواهر الالفاظ (أيهما) أى المحبة والخلة (أرفع) أى أيهما أفضل فى نفس الامر وعند الله (درجة الخلة أو درجة المحبة) وكنى برفع الدرجة عن رفع ما فيها وأفضليته والتقدير أهو درجة الخ (فجعلهما بعضهم سواء) أى الدرجتين أو المحبة والخلة متساويتين فى الفضيلة لا تفاوت بينهما (فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا) لا يخفى ان هذا انما يقتضى تلازمهما لا مساواتهما رتبة ودرجة ثم أشار الى جواب سؤال مقدر وهو انهما اذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بوصف فقال (لكنه) أى الله أو الامر والشان (خص) مبنى للفاعل أو المفعول (ابراهيم بالخلة ومحمدا) بالنصب أو الرفع (بالمحبة) بان سمى الاول خليلا والثانى حبيبا وهو أمر اتفاقى لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه (وبعضهم قال درجة الخلة أرفع) منزلة وأفضل وأعلى درجة ويشهد له ان المحبة مأخوذة من معنى الخلة وأخص منها لكنه قيل انه يرد عليه ما تقدم من قوله فى مناجاته حيث قال له الله سل تعطه فقال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له ألم أعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا أو ما فى معناه مما يقتضى ان درجة المحبة أرفع الا ان قوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لا يخلو من الاشكال والجواب ان القائل انما فضله بمجموع ما ذكر فى الحديث (واحتج) هذا القائل لمدعاه (بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البخارى (لو كنت متخذا خليلا غير ربى فلم يتخذه) أى غير الله (خليلا وقد أطلق المحبة) أى وصفه بمحبته غير ربه والجملة حالية (لفاطمة) الزهراء ابنته صلى الله تعالى عليه وسلم وهو متعلق باطلق (وابنيها) الحسن والحسين (واسامة) ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (وغيرهم) كأبى بكر وعمر وعائشة رضى الله تعالى عنهم وقد ورد هذا

الجمهور ولذا قال (وأكثرهم جعل المحبة) أى الخالصة دون المودة العامة (أرفع) أى درجة (من الخلة) أى مع انها من مراتب الخاصة (لان درجة الحبيب نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أرفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام) يعنى اختصاص هذا الوصف بمن هو أكمل يدل على انه أفضل من سائر أوصاف الكمل والا لكان الانعكاس أولى فتامل فانه اندفع به ماذكره الدلجى بقوله وأنت خبير بان أرفعية المحبة على الخلة انما هى من أرفعية موصوفها لامن حيث ذاته ثم من مايدل على هذا التحقيق الموجب للتوفيق ان الخليل انما هو فعيل بمعنى الفاعل مسندا الى ابراهيم عليه السلام واما الحبيب فيحتمل أن يكون بمعنى فاعل أو مفعول ولاشك ان النسبة المفعولية فى هذا المقام أتم من نسبة الفاعلية فى المرام كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى يحبهم ويحبونه لاسيما ومحبة الله تعالى كاملة سابقة ذاتية أبدية أزلية ومحبة العبد ناقصة لاحقة عرضية واما حديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبابكر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا فهو محمول على انه اتخذه أن يكون خليلا خاصا لايتخذ غيره خليلا على مايدل عليه سياق الكلام وسباقه فهو بمعنى الفاعل على حاله وليس كما توهم الدلجى انه بمعنى المفعول والحاصل انه يقال محمد حبيب الله والله حبيب محمد ولايقال الله خليل ابراهيم مع جواز ابراهيم خليل الله وقد صرحوا بان المعنى الاول أصح يعنى كونه مشتقا من الخلة بالضم لانها تتصور من الجانبين والحاجة لاتتصور من الجانبين فلا يجوز ان يقال الله تعالى خليل ابراهيم لما فيه من ايهام أن يكون مأخوذا من الخلة التى هى الحاجة (وأصل المحبة) أى المأخوذة من حبة القلب أو اصل معناها (الميل الى مايوافق المحب) أى يلائم طبعه ويستلذ به وهذا ظاهر فى كونه اسم الفاعل من أحبه فهو محب على ماصرح به الانطاكى وضبطه الحلبى بضم الميم وفتح الحاء أى المحبوب وتبعه الدلجى وزاد عليه قوله من غيره ارادة طاعاته وابتغاء مرضاته لكنه مخالف للرواية وغير مناسب للدراية لانه ليس أصل المحبة هذا بل نتيجة محبة المحب للمحبوب ان لاتقع منه المخالفة كما قالت رابعة رضى الله تعالى عنها

تعصى الاله وأنت تزعم حبه * هذا لعمرك فى الصنيع بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

هذا وقد قال الانطاكى وفى بعض النسخ وقع محب بفتح الحاء والظاهر انه خطأ لما سياتى فى كلام المصنف من ان حقيقة المحبة الميل الى مايوافق الانسان (ولكن هذا) أى التعريف (انما يصح فى حق من يصح الميل) أى وجوب ميلان القلب (منه) أى الى محبوبه أو مطلقا (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء أى وفى حق من يتصور منه الانتفاع والارتفاق بالشئ الذى فيه الموافقة له أو على وفق ميل القلب وهو النفس اليه (وهى) أى المحبة بمعنى الميل (درجة المخلوق) أى صفته ورتبته (فاما الخالق) أى الذى قدس عن القلب والميلان وسائر نعوت الحدثان (فمنزه عن الاغراض) بالغين المعجمة وهى العلل والحاجات وكذا عن الاعراض بالعين المهملة وهى الامراض والآفات

كله مصرحا به فى أحاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس فى قلبه وذكره غيره وانها مأخوذة من حبة القلب كما قلت

قد تملكت حبة القلب منى * ولذا سمى الحبيب حبيبا

فلا ينافى كونه محبا فلانا لانه المطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسيأتى مايؤيده (وأكثرهم) أى أكثر العلماء وأرباب القلوب (جعل المحبة ارفع) درجة وأفضل (من الخلة لان درجة الحبيب نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من الحبيب أو عطف بيان (أرفع من درجة الخليل ابراهيم) فيقتضى ان صفته وهى المحبة أفضل من صفته وهى الخلة وفيه انه لايقتضى ذلك لان تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هى المحبة أو غايتها (وأصل المحبة لوضعى الحقيقى (الميل الى مايوافق المحب) بضم وفتح الحاء بمعنى المحبوب يقال حبه وأحبه بمعنى الا انهم أخذوا اسم الفاعل فى أكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول من الثلاثى فقالوا محبوب وحبيب وقلوا فى غير الا كثر حاب ومحب بالفتح كقول عنترة فى معلقته

* منى بمنزلة المحب المكرم * فراعوا كلا منها والمراد بما يوافقه مايرتضيه ويميل اليه فيحب كل مايحبه ويبتغيه ويترك لاجله مراداته والمراد بالميل ميل قلبه ولذا قال (ولكن هذا) المعنى يكون (فى حق من يصح الميل) القلبى (منه) أى المحب لا المحبوب والعكس جائز وجزم به بعضهم (والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف أى الموافق فسمى الفاعل بالمصدر أو هو على أصله بمعنى الموافقة بين الشيئين وهذا الاخير خير (وهى درجة المخلوق) وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه أو أنث باعتبار الخبر فيرجع للمثل والدرجة مجاز عن الصفة (واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض) بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ماتقدم فالميل بمعنى ترجيح شئ وتقديمه على

(فحبته لعبده تمكينه من سعادته) أى باقداره على طاعته وعبادته (وعصمته) بالرفع وأبعد الدلجى فى تجويز الجر أى ومحافظته عن ارتكاب معصيته (وتوفيقه) أى على ارتكاب الحسنات واجتناب السيآت (وتهيئة أسباب القرب) بضم فسكون ولا يبعد ان يكون بضم ففتح أى من النوافل كصلاة وصوم وصدقة وتسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وسائر القرب (وافاضة رحمته عليه) أى بقبول مامنه اليه وجعله مقربا لديه (وقصواها) بضم القاف مقصورة أى غاية المحبة ونهايتها بالنسبة الى الخالق (كشف الحجب عن قلبه) أى كشف الرب الحجب النفسانية والنقب الانسانية عن قلب المحب لجمال الذات الربانية وكمال الصفات الصمدانية (حتى يراه بقلبه) أى يرى جمال ربه بعين قلبه (وينظر اليه) أى الى تجلى ربه فى مقام عظمته (ببصيرته) أى بعين بصيرته فيفنى عن نفسه وحبه ويبقى ببقاء ربه فيكون محوا بعد ماكان صحوا وسكرا بعد ماكان فكرا وشكرا وحاضرا فى الحضرة بعد ماكان غائبا فى الغفلة (فيكون كما قال) أى سبحانه وتعالى (فى الحديث) أى القدسى والكلام الانسى على ماروه البخارى لايزال لعبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه (فاذا أحببته) أى أظهرت حبى له فان حبه سبحانه وتعالى قديم غير حادث بعد تقرب عبده (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) وفى رواية زيادة ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى عليها أى كنت حافظا اعضائه وحامى اجزائه ان يتحرك بغير رضاى وان يسكن الى

غير قضاى والحاصل انه جعل سلطان محبته لربه آخذا بجامع قلبه فلا يهم الا بمرضاة محبوبه ولا يسعى بجميع جوارحه الا فى سبيل مطلوبه وقيل أى كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وبصره فى النظر ولسانه فى النطق وهنا معنى أدق من هذا وهو انه يظهر للعبد فى هذا المقام ما يتم به المرام وهو انه يشاهد ان قوة سمعه وبصره ولسانه وسائر أركانه انما من آثار قدرة ربه وقوته عز شانه وليس المراد منه الحلول والاتحاد والاتصال على ماتوهمه أهل الضلال كما قال (ولا ينبغى ان يفهم) بصيغة المفعول (من هذا) أى الحديث (سوى التجرد لله) أى تجرد القلب عن غير حب الرب (والانقطاع الى الله) أى ترك الالتفات الى ماسواه (والاعراض عن غير الله) أى بالتوجه الكلى الى مولاه حتى كأنه يسمع منه ويرى له فيما يتحراه

غيره لفائدة غرض وعلة للفعل لا يجوز على الله ولذا ذهب أكثر الاصوليين الى ان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض لانه يقتضى استكماله تعالى بغيره وهو منزه عنه اما بمعنى الثمرات والفوائد المترتبة على الفعل فلا يضر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل على خلافه والاستكمال عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه فى غير هذا الكتاب وفى نسخة الاعراض بعين مهملة وليس جمع عرض بمعنى مرض وبزنته كما قيل بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفى نسخة الاعتراض ولا مناسبة لها هنا الابتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعنى لا تليق برب العزة (فحبته) أى الله (لعبده تمكينه من سعادته) أى اقداره على ما فيه سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته (وعصمته) عن ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين وسعادة والعصمة هنا معناها الحفظ (وتوفيقه) فى أموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره أيضا (وتهيئة أسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تأنيث مصدر هيأته اذا جعلته حاضرا سهل التناول أى يسر له الله كل سبب يقربه الى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها (وافاضة رحمته عليه) أى ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اتصالا كثيرا متواليا فشبه الرحمة بالماء وأثبت الافاضة بمعنى الصب بكثرة على طريقة المكنية والتخييلية (وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من أقصاه اذا أبعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده وذكر الغاية لان صفاته تعالى التى لا تليق به تؤخذ باعتبار غايتها وغاية المحبة (كشف الحجب) بضمتين جمع حجاب أى ازالة الموانع (عن قلبه) كالشواغل الدنيوية (حتى يراه بقلبه) أى يعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة (وينظر اليه ببصيرته) وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه (فيكون كما قال) أى الله تعالى أو الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم الناقل له (فى الحديث) الذى رواه البخارى (فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به) ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وهو حديث قدسى طويل ومعناه اذا صفى قلبه وشغل نفسه بالله أحبه الله ومحبة الله تقدم انها عنايته ولطفه به وافاضة نعمه على ظاهره وباطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقوى به على ذلك حتى يكون كأن افعالها صادرة عن الله والى هذا أشار المصنف بقوله (ولا ينبغى ان يفهم) بالبناء للمجهول أى لا يفهم أحد (من هذا) الحديث والكلام (سوى التجرد الى الله) أى تجريد أفعاله واحساسه عما يشغله عن الله (والانقطاع الى الله) بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره (والاعراض عن غير الله) حتى يصير مراقبا له فى جميع أحواله

(وصفاء القلب لله) بحيث لا يكون فى فكره غيره فيصفو من كدر الاوهام ودنس الخلق (واخلاص الحركات لله) بان لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته أو لما يعين عليها (كما قالت عائشة رضى الله عنها) كما تقدم (كان خلقه القرآن) أى اخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كلها على وفق ما أمر به فى القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة والى هذا يشير قولها (برضاه يرضى) أى يرضى و يحب ما ذكر فى القرآن انه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة (و بسخطه) بفتحتين وضم وسكون (يسخط) أى يكره ما ذكر فيه ان الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الاولى وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى الا ما يرضاه ولا يكره الا ما أباه والحاصل علم مما ذكر ان اخلاقه صلى الله عليه وسلم الطبيعية اضمحلت وذهبت لما شق قلبه الشريف فلم يبق له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضا لغير ما يرضاه ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله كنت سمعه و بصره فاعرفه (ومن هذا) اشارة الى ما سبق فى أول كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها وما خذ اشتقاقها (عبر بعضهم عن الخلة) بقوله

قد تخللت مسلك الروح منى * و بذا سمى الخليل خليلا

فاذا ما نطقت كنت حديثى * واذا ما سكت كنت الغليلا

وفى رواية كنت الدخيلا يعنى ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل كانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية فى البدن سريان سريان ماء الورد فى الورد بناء على ان أحد الاقوال فيها الا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة أو بناء على انها لطيفة نورانية فى أحد طاقى القلب لها الحياة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المتضمن معنى دخلت أسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته فى مسالك روحه أو فى قلبه الذى هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه ليس فى روحه وقلبه غيره انه اذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله واذا سكت لم يكن فى فكره وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلل بين النبات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الاجنبى كما فى قول السكاكى الدخيل كالناشئ هذا ما قصده الشاعر وأشار اليه المصنف وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا ابراهيم كما قيل فانه لا يصح هذا وليس المراد بالغليل حرارة العطش أى كنت لعدم ذكرى لك مضرما جوانح قلبى عطشا لعدم ذكرك فان ازاحة الغم واراحة النفس بذكر الاحبة وما زائدة فى الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قوله فى الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك فى قلبى كما يكتم الحقد والضغائن فالمراد بالغليل الحقد والضغائن ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغى ذكره (فاذن) تفريع لجواب سؤال متفرع على ما سبق (مزية الخلة) أى فضيلة الخلة وفى شرح العلامة انه لم يبن له فعل وتقدم انه يرده قوله فى الاساس تميزت عليه اذا زدت فى الفضل عليه (وخصوصية المحبة) بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر فى الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان تشارك فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والخليل عليه الصلاة والسلام فهى مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ان هذه غير المحبة المختصة كما مر

(وصفاء القلب لله) أى بحيث لا يخطر بباله سواه كما قال العارف بالله ابن الفارض

ولو خطرت لى فى سواك ارادة * على خاطرى سهوا احكمت بردتى

(واخلاص الحركات لله) وكذا جعل السكنات فى رضاه لان من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه وقد قال تعالى حكاية حال ابراهيم ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين (كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن) أى فى جميع الشان (يرضى برضاه ويسخط بسخطه) أى لا ينشا عنه شئ من الهوى ولا ينظر فى جميع أحواله غرض السوى بل يدوم على التخلق باخلاق المولى (ومن هذا) أى المقام (عبر بعضهم عن الخلة) أى التى هى خلاصة المرام لسلالة الكرام من الانام (بقوله قد تخللت مسلك الروح منى) أى تداخلت محبى اياك تخالط الروح من بدنى وهو كالماء فى العود الطرى وكالطراوة فى اللؤلؤ المعدنى (وبذا) أى وبذلك التخلل الماخوذ من الخلة (سمى الخليل) أى ابراهيم وغيره (خليلا * فاذا ما) زائدة (نطقت) أى عنك (كنت حديثى) أى منك لما قيل من ان الاناء يترشح بما فيه ولما ورد من أحب شيأ أكثر من ذكره (واذا ما سكت) أى

بك أو عن غيرك أو عن بيان حالى معك (كنت الغليلا) بالغين المعجمة وألف الاطلاق أى حرارة العطش وفى نسخة الدخيلا أى الذى يداخل فى الامور ويخالل بما فى الصدور (فاذا) بالتنوين وقد يكتب بالنون أى فحينئذ (مزية الخلة وخصوصية المحبة)

(حاصلة لنبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما دلت عليه الآيات) وفى نسخة الآثار وهى ملائمة لقوله (الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة) كحديث لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وفى رواية ولكن أخى وصاحبى وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وكحديث أنا حبيب الله ونحو ذلك من شواهد الاحاديث الصحيحة المطابقة للآيات الصريحة (وكفى بقوله تعالى) أى كفى شاهدا ودليلا قوله سبحانه وتعالى (قل ان كنتم تحبون الله الآية) أى فاتبعونى يحببكم الله وفيه الغاية القصوى فى المقام الاسنى حيث جعل متابعته شرط صحة دعوى محبته له تعالى ورتب على متابعته محبته سبحانه وتعالى له ولعل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تمنوا كونهم فى أمته ومتابعة ملته لتحصيل هذا المرام وهو مرتبة المحبوبية والمراد به المجذوبية المطلوبية لاهل الكمال من السادة الصوفية ولذا قالوا جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين وقد قال الله تعالى يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب فالجملة الاولى اشارة الى مقام المراد فى مرتبة المريد والثانية الى مقام المريد فى حال الانابة ووصف المستزيد والحاصل ان هذه الآية الشريفة لما كانت دالة على المرتبة المنيفة (حكى أهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا) بفتح الحاء المهملة وتخفيف النونين أى معبودا ومسجودا (كما اتخذ النصارى عيسى ابن مريم) وهذا باطل قطعا من وجهين أحدهما انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يرد هذا المعنى أصلا بل لما قيل له أنسجد لك قال لو أمرت ان يسجد أحد لاحد لامرت أن تسجد المرأة لزوجها وأيضا انما نزل القرآن من أوله الى آخره على رد أهل الشرك العنيد واثبات التوحيد على وجه التجريد والتفريد فكيف يتصور له أن يريد خلاف ذلك حيث يكون مناقضا لما هنالك ولكنهم على زعمهم وقياس الكاملين على نفوسهم ومقتضى طباعهم صدر هذا الكلام عنهم وظهر هذا المرام منهم وثانيهما ان التشبيه فى كلامهم غير صحيح لان عيسى ابن مريم لم يرد اتخاذ النصارى له الها معبودا كما ظنوا الا انه من صغره الى حال كبره كان يقول انى عبد الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله ولم يخطر بباله وجود من سواه فضلا عن اشراكه مع مولاه واما ما ذكره الدلجى من قوله الحنان الرحمة أو العطف أى نتخذه موضع حنان من الرحمة فنرحمه ونعطف عليه ونتبرك به كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا فلا يناسب التشبيه الذى يلائم التنزيه ولا يسدد لما قال أهل التفسير (فانزل الله غيظا لهم) أى زيادة غيظ فى حالتهم (ورغما) بفتح الراء وبضم وحكى كسرها أى ردا (على مقالتهم هذه الآية) أى الآية وهى قوله (قل أطيعوا الله والرسول) لان اطاعة كل واحد مستلزمة لاطاعة الآخر وفيه ايماء له خفاء الى ان الرسول لا يأمر بالمنكر فتدبر

تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم ولو كنت متخذا خليلا غير ربى وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية (حاصلة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة خالصة أى مختصة وكان الظاهر ان يقول حاصلتان لكنه أفرد لجعلهما كالشئ الواحد (بما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز أن يكون سببية والمراد بالآثار الاحاديث التى تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربى الى آخره وقوله الا وأنا حبيب الله وقوله (المنتشرة) أى الشائعة المشهورة (المتلقاة بالقبول من الامة) ذكر شهرتها والقبول لها مؤيد الاختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادته على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال (وكفى بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله الآية) الباء زائدة فى فاعل كفى أو للتعدية وكفى بمعنى اكتفى كما هو مشهور ووجه الدلالة فى هذه الآية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لا يدانيه أحد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المصنف وكفى الى آخره ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول (حكى أهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد) بقوله انما اتبعونى يحببكم الله (أن نتخذه حنانا) بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق ماخوذ من الحنين وهو يكون مع صوت والمراد ان نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة أى نتبرك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه (كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم) عليه الصلاة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون بعبادته الى الله تعالى (فانزل الله تعالى غيظا لهم) مفعول له أى أنزل الله ليغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فان الغيظ الغضب على الفاجر (ورغما على مقالتهم) بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل والخزى والاساءة بما يكره وأصله كل موذ يصيب الانف ولذا يقال رغم أنفه وعلى رغم أنفه وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمآل الى انه أذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه وقوله (هذه الآية) مفعول أنزل (قل أطيعوا الله والرسول) ثم بعد ما تبين سبب النزول من انكارهم جعل

(فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولى) أى الاعراض (عنه) أى ابتداء وانتهاء (بقوله فان تولوا) يحتمل الماضى والمضارع أى تتولوا (فان الله لا يحب الكافرين) أى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وفى وضع الظاهر موضع المضمر تسجيل على كفرهم لئلا يشمل الفاجرين بنوع من التولى لا يكون موجبا للكفر وفيه أيضا تنبيه نبيه على ان مدار الامر على الخاتمة ونوع حض على التوبة الموجبة للمحبة والمغفرة والمثوبة (وقد نقل الامام أبو بكر بن فورك) بضم أوله وهو غير منصرف للعلمية والعجمة وقد يصرف (عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة بطول جملة اشاراته) أى وتفصيل عباراته (ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا) بفتحتين أى شيئا يسيرا من الكلام (يهدى الى ما بعده) أى من مقام المرام (فمن ذلك قولهم الخليل يصل) أى الى من اتخذه خليلا (بالواسطة) أى أخذا لوصوله اليه بها دليلا (من قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) أى وليكون بواسطة اراءة الله له ذلك من الموقنين لما هنالك (والحبيب يصل اليه) أى لحبيبه كما فى نسخة (به) أى بذاته دون واسطة من اراءة كائناته أخذا له (من قوله تعالى فكان قاب قوسين) أى قدرهما (أو ادنى) أى بل أدنى من قابهما (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته فى حد الطمع) أى لانه من المريدين وهذا المعنى ماخوذ (من قوله تعالى والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى) أى يوم الدين (والحبيب هو الذى مغفرته فى حد اليقين) أى الناجز الذى غير متوقف ولا متاخر الى حين لكون صاحبه من المرادين (من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر) أى من جميع ما يصح فيه العتاب دون العقاب لعدم مناسبته فى هذا الباب وفى عطف ما تاخر اعتناء عظيم

اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله تعالى ذكر الآية وانها أبلغ من الاولى وأشد لان الاولى لا تقتضى لزوم اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضى الوجوب واقترانها بطاعته يدل على تاكيده مع تعظيمه وتشريفه كما دل عليه قوله (فزاده شرفا بامرهم بطاعته) وايجابها عليهم (وقرنها بطاعته) أى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم زيادة فى تشريفه والاتباع وان كان عين الطاعة أو لازمها فليس هو أمر وايجاب ومن غفل عنه قال هما سواء الا أن هذا فيه التصريح بالطاعة (ثم توعدهم على التولى عنه) بالاعراض عن طاعته وهو عدمها (بقوله فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) كان الظاهر أن يقال فان الله لا يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم فكأنه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق أو للعهد فهذه الآية أصرح وأدل على وجوب طاعته وعلوم تبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الانبياء كعيسى عليه السلام (وقد نقل الامام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة بطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف فقال (جملة اشاراته ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه) أى من كلام ابن فورك (طرفا) بفتحتين أى بعضا قليلا (يهدى) أى يدل (على ما بعده) أى باقيه فالبعدية غير مرادة لانه مجاز (فمن ذلك قولهم) أى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم (الخليل يصل) الى من خالله (بالواسطة) أى بتوسط آخر بينه وبين خليله كما بينه قوله يصل به الآتى ثم بين ان هذا المعنى ماخوذ (من قوله) عز وجل (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) فوصل لمعرفة الله بواسطة ما رآه من آيات ملكوته التى أوصلته لمعرفته (والحبيب يصل لحبيبه به) أى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا ماخوذ (من قوله فكان قاب قوسين أو أدنى) فرآه عين اليقين كما تقدم وهذا وان كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله الا أن هذا غير ظاهر لانه ان أراد بالوصول الوصول الى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة فالآية لا مناسبة لها بما ذكر وان أراد الوصول الى معرفة الله تعالى ومشاهدته فكذلك ثم انه لا يتم الفرق لانه ان أراد بين مفهوم المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان أراد بين ذاتى من قاما به فلا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبنى على القول بان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يعرفه قيل هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الانبياء مطلقا أو قبل البلوغ مع ان المحققين على أنه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب وبالجملة فهذا كلام غير منقح (وقيل الخليل الذى تكون مغفرته) أى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا لعفوه عنه (فى حد الطمع) أى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها لان الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته وأصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه (من قوله والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) أى قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم (والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين) أى متيقنة وهذا ماخوذ (من قوله) أى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر) أى كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة

فتدبر فان الغفران السابق يشمل الواقع واللاحق الآية أى ومع زيادة تمام النعمة واكمال المنة بالهداية الخاصة والنصرة العامة المستفادة من تتمة الآية التى هى قوله سبحانه وتعالى ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هذا وقد ذكر فرقا آخر بينهما بقوله (والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) أى لكونه طالبا فى الطريق (والحبيب قيل له يوم لا يخزى الله النبى) أى لانه مطلوب فى مقام التحقيق وهذا المعنى فى التوفيق هو الذى بينه المصنف بقوله (فابتدئ) أى الحبيب (بالبشارة) أى بنفى الخزى والفضاحة عنه (قبل السؤال) أى بحصول المنال فى المآل بخلاف الخليل حيث وقع منه السؤال ولم يقع جواب حصوله لا فى الحال ولا فى الاستقبال فيكون بين الخوف والرجاء فى تحسين المآل ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) أى فى ابتلائه بنمرود حين ألقاه فى النار (حسبى الله) أى كافى فى دفع بلائى ورفع عنائى فكانت عليه بردا وسلاما (والحبيب قيل له يا أيها النبى حسبك الله) ووجه الفرق ان بونا بينا بين من يقول هو حسبى وبين من يقال له أنا حسبك فان كل أحد يدعى انه محب لله ولكن الكمال هو أن يقول الله أنا محبوبه أو محبه ونظير هذا الفرق ماوقع بين قول يحيى وعيسى عليهما السلام حيث قال فى الاول وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا وقال فى الثانى والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ولا شك ان السلام الاول فى هذا المحل أفضل لانه شهادة من الله تعالى على سلامته فى جميع حالاته بخلاف الثانى فانه يخبر به عن حال نفسه وان كان صادقا فى مقاله ولا يتصور تخلف فى وقوعه ثم هذا لا ينافى كون عيسى أفضل من يحيى لانه قد يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل مع انه قد يقال ان عيسى كان فى مقام الانبساط والبقاء فطال لسانه وكان يحيى فى مقام القبض والفناء فكل لسانه فقام الحق عنه فى الانتهاء كما قام هو بحقه سبحانه وتعالى فى الابتداء حيث لم يهم بمعصية فى الاثناء ومن كان لله كان الله له ومن ترك حظ نفسه قام الله معه هذا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) أى فى الآخرين كما فى نسخة أى ثناء جميلا وذكرا جزيلا فيمن يجئ بعده الى يوم الدين فاستجيب له فما من أمة الا وهم محبون له ومثنون عليه ويتمنون أن ينتسبوا اليه ولا يبعد أن يقال المراد بالآخرين هذه الامة من السابقين واللاحقين (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) أى فوق المنائر والمنابر مقرونا بذكر ربه بل مكتوبا على ساق عرشه وأشجار جنته وقصورها ونحور حورها (أعطى) أى الحبيب صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك المنال فى الحال (بلا سؤال) وأجيب دعوة الخليل عليه السلام فى الاستقبال (والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام) أى بعدنى واياهم عن عبادتها وهذه لغة نجد ولغة الحجاز جنبنى وأراد بنيه لصلبه حتى يصدق عليه ان دعاءه مستجاب عند ربه لظهور الكفر من بعض احفاده وفيه ايماء الى ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه

لمقامك قد يقتضى نقصا وفى الآية اشارة الى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدر منه ذنب سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية وقال نزلت على آية أحب الى مما على وجه الارض والكلام على الآية مبسوط فى التفسير وقد تقدم طرف منه أيضا ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال (والخليل قال ولا تخزنى يوم يبعثون) أى لا تفضحنى ولا تعذبنى فى يوم القيامة وقد قيل انه ورد فى الحديث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اذا رأى أباه فى المحشر يقول يارب وعدتنى أن لا تخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع مبين فيقال له أنظر لما تحت قدميك فيراه فينكره ويلقى فى النار فحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى فى النار فيفتضح بين أمته قيل ومنه يعلم ان أبوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار وفيه ما سيأتى (والحبيب) أى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يوم لا يخزى الله النبى فابتدئ بالبشارة) بنفى الخزى عنه برؤيته ما يكره (قبل السؤال) لذلك كما سأله غيره منهم والخزى ليس هو العذاب كما فى قوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وانما هو الفضاحة بكل مؤلم له أو لامته كالعتاب فلا يقال ان الله أمنه من غضبه وعذابه فما فائدة البشارة بعد هذا ثم ذكر فرقا آخر فقال (والخليل قال فى المحنة) هى والامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك قصته مع نمرود حين ألقاه فى النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال (حسبى الله) أى هو كاف لى فى جميع أمورى (والحبيب) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (قيل له يا أيها النبى حسبك الله) يعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الاول كما تسمعه قريبا (والخليل قال واجعل لى لسان صدق) أى ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الآلة عما يصدر منها مجازا (فى الآخرين) أى فى الامم الآتين من بعدى الى يوم القيامة فهو طلب ودعاء وأجابه الله فما من أمة الا وهى تثنى عليه وتحبه (والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك) أى جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله فى الصلاة والخطبة والاذان وغيرها (أعطى) الحبيب (بلا سؤال) منه وهذا بيان لمزية الحبيب كما نبهناك عليه أولا (والخليل قال واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام) اجنبنى كجنبنى بمعنى بعدنى بعدا حسيا

(والحبيب قيل له) أى من غير سؤال منه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الذنب المدنس (أهل البيت)
بالنصب على المدح أو النداء ولعل المراد باهل البيت من كان فى زمنه صلى الله تعالى عليه وسلم من أولاده وذريته وأزواجه هذا والخليل قال الملائكة لسارة زوجته رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فمن هنا نشأ فرق آخر بين نسبة أهل بيت الحبيب ونسبة أهل بيت الخليل (وفيما ذكرناه) أى من الخلاف فى تفسير الخلة والمحبة وما صدر من أهل المعرفة (تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال من تفضيل المقامات والاحوال) أى للمحبة والخلة وتفاوت مرتبة كل منهما فى الحال والمآل وهو بالضاد المعجمة أو المهملة كما فى النسخ المختلفة (وكل يعمل على شاكلته) أى طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال أو على عادته وجبلته التى طبع عليها فى أوائل الاحوال كما قال الله تعالى فاما من أعطى واتقى الآيتين (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى وبمن هو اخطأ مسلكا ودليلا فسبحان من أراد جعله مهيبا عزيزا ولو شاء صيره مهينا ذليلا (فصل وفى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) أي على غيره (بالشفاعة) أي العظمى تحت اللواء الممدود (والمقام المحمود) كالتفسير لما قبله

ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد أجاب الله تعالى دعاءه لان المراد بنو صلبه وفيهم أنبياء عصمهم الله تعالى وأتقياء حفظهم (والحبيب قيل له) أى قال الله تعالى له (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) هو كل مستقذر حسا أو طبعا أو عقلا أو شرعا أى الله كرمكم بان حفظكم من الذنوب وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه أخصر اشارة الى انه قضى لهم بذلك فى الازل وفى عالم الارواح والذر (أهل البيت) منصوب على المدح أو النداء أو المراد أهل بيت النبوة فيشمل أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته وأتباعه وأقاربه ولا يختص ذلك بعلى وفاطمة والحسنين كما زعمه الشيعة وهذا أبلغ مما فى حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه بنفى عبادة الاصنام وهذا عام فى كل ذنب ونقص وذاك خاص بنفيه وهذا شامل الكل من شمله بيته كما سمعته آنفا وبالغته فى تطهيره بقوله ويطهركم تطهيرا ولا يخفى ان كل ما نقله ابن فورك انما يدل على شرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره ولا علاقة له بنفس المحبة والخلة لا سيما الآيات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب (وفيما ذكرناه) من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف فى أيهما أرفع درجة (تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال) المقصد مصدر ميمى بمعنى القصد أو هو بمعنى المقصود لان مفعل يأتى بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا أو هو مجاز من المصدر أو من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة أصلية (من تفضيل المقامات والاحوال) بيان للقصد والمقامات بفتح الميم جمع مقام وهو محل القيام وبضمها محل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كحمامات وسجلات والمراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الانبياء والاولياء يرتفع به من حضيض البشرية فى درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرق عليه هو المراد بالاحوال وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب مما قلنا والظاهر ان المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك وهو جواب عما تقدم من ان هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذى هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود به ان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد الايماء والتلويح (وكل يعمل على شاكلته) أى الكل أحد طريقة يختارها والمشاكلة فى الآية التى اقتبس منها المصنف وهى قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهى كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد يقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال شكلت الخط كما يقال قيدته وأشار بقوله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى الله يعلم من طريقته أقوم وأكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق فى تفضيل الخلة والمحبة مبنى على أمور نظر اليها كل من الفريقين فكأنه لم يجزم باحدهما لان الخلاف كاللفظى وقد قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حد ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية وقد علمت ما فيه وقد قدمنا لك ما يغنى عنه

(فصل فى تفضيله) صلى الله تعالى عليه وسلم برفعة مقامه على غيره (بالشفاعة) ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة العظمى فى المحشر التى يخلص الله بها أهله من هوله وكربه فقوله (والمقام المحمود) عطف تفسير والا فهو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة محمد ولكنه خص هنا بفرد معين من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبى على ستة أقوال فقيل هى الشفاعة العامة السالفة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافى ما قبله وقيل هو أن يجلس صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على الكرسى وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتى ما فيه ومنهم من أوله وقيل

هو

هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاخراج بعض أهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع أربعة اذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع ولا يشفع أحد بعده في أكثر مما يشفع وبه فسرت الآية وقيل هو مقام يكون أقرب فيه من جبريل والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالاجماع الا انها عند أهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وعند المعتزلة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا على ظاهره أو اسناده مجازي أي صاحبه محمود (قال الله تبارك وتعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) استشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف أي يقيمك مقاما أو بتضمين يبعث معناه أو هو حال بتقدير أي ذا مقام وأما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على العرش والكرسي وقال الواحدي رحمه الله تعالى انه قول فاسد مبني على التجسيم وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسر به وأيضا هو يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث وأيضا انه قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله لا يدل عليه البعث ورده ابانه رواه أحمد من طرق شتى ومثله من المتشابه كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى وقد صححه الدارقطني وقال رادا على منكره وأجاد في ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة

حديث الشفاعة عن أحمد ＊ الى أحمد المصطفى نسنده

وقد جاء الحديث باقعاده ＊ على العرش أيضا ولا نجحده

أمروا الحديث على وجهه ＊ ولا تدخلوا فيه ما يفسده

ولا تنكروا انه قاعد ＊ ولا تنكروا انه يقعده

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لا مانع منه وأما نسبة ذلك لله وقوله انه معه فليس المراد ظاهره بل هو وأمثاله ماولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو فمعناها الترجي في المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله قالوا انه ايجاب أي جزم بوقوعه اذ الله تعالى لا يجب عليه شئ كما تقرر في الكلام (حدثنا) وفي نسخة أخبرنا (الشيخ أبو علي الغساني الجياني) شيخ المصنف وغسان اسم ماء في الاصل سمي به قبيلة من اليمن نزلت عليه وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وأبو حيان رحمهما الله تعالى (فيما كتب الي بخطه) اشارة الى أن هذا الاخبار ليس بالمشافهة أي اخبارا كائنا في ضمن أمور أخر وأحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين وأهل الاصول كالسمعاني وصاحب المحصول ووقع ذلك في الصحيحين سواء كاتبه حاضرا أو غائبا بشرط ان يعرف خطه قال (حدثنا سراج بن عبد الله القاضي) السابق ذكره وترجمته قال (حدثنا أبو محمد الاصيلي) الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال (حدثنا أبو زيد) المروزي وقد تقدمت ترجمته (وأبو أحمد) محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني (قالا حدثنا محمد بن يوسف) الفربري السابق ترجمته قال (حدثنا محمد بن اسمعيل) هو امام السنة صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم قال (حدثنا اسمعيل بن أبان) أبو اسحق الوراق الازدي الكوفي وأبان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم وأجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه ان منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضي أبان يبين وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح وقال القرافي المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن يعيش على الجمهور بناء على ان وزنه افعل بمعنى

(قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك) أي يقيمك (مقاما محمودا) أي يحمده فيه الاولون والآخرون (أخبرنا الشيخ أبو علي الغساني) بفتح الغين المعجمة وتشديد السين المهملة (الجياني) بفتح الجيم وتشديد التحتية (فيما كتب) أي به كما في نسخة (الي) أو مرسلا أو واصلا الي (بخطه) أي اجازة فان القاضي لم يسمع منه شيأ (ثنا) أي حدثنا (سراج بن عبد الله القاضي حدثنا أبو محمد الاصيلي حدثنا أبو زيد) أي المروزي (وأبو أحمد) أي الجرجاني (قالا) أي كلاهما (حدثنا محمد بن يوسف) أي الفربري (حدثنا محمد بن اسمعيل) أي البخاري (حدثنا اسمعيل بن أبان) بفتح الهمزة وفيه الصرف وعدمه والاجود الصرف هو أبو اسحق الوراق أزدي كوفي روى عنه أحمد بن معين والدارمي وأبو حاتم وخلق وثقه أحمد وجماعة وقال البخاري صدوق وقال غيره فيه تشيع ذكره الحلبي قلت هو لا ينافي كونه صدوقا

(حدثنا أبو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين له أربعة آلاف حديث (عن آدم بن على) أى العجلى (قال سمعت ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول) أى موقوفا لكنه لكونه مما لا يقال مثله من قبل الرأى يكون فى الحكم مرفوعا (ان الناس يصيرون) أى يكونون (يوم القيامة جثى) بضم الجيم فمثلثة مقصورا منونا جمع جثوة بضم جيمها وقد تكسر وحكى الفتح وهى ما جمع من تراب ونحوه ثم استعير للجماعة ومنه حديث عامر رأيت قبور الشهداء أجثاء أى أتربة مجموعة وأما قول بعضهم جمع جاثى وهو الذى يكون معتمدا على ركبتيه فبعيد بل لا يصح لان فاعلا لا يجمع على فعل مخففا وفى نسخة جثاء مضموم الجيم ممدود الآخر أى جماعات واحدها جثوة وفى أخرى بتشديد المثلثة جمع جاث وهو من يجلس على ركبتيه ومنه حديث على أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الله أى يصيرون فيه جماعات متخاصمين ومنه قوله تعالى وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها وهو الملائم لقوله (كل أمة تتبع نبيها يقولون) أى قائلين لانبيائهم باسمائهم (يافلان اشفع لنا) أى لخصوصنا أو لعمومنا (يافلان اشفع لنا) أى وهكذا واحدا بعد واحد وهو يقول لست لها (حتى تنتهى الشفاعة) أى العظمى (الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك) أى الوقت (يوم) بالرفع وروى بالنصب أى فذلك الحال فى يوم (يبعثه الله المقام المحمود

الظرفية

أوضح فاعل على خلاف القياس وأبقى على أصله فاندفع قول الدمامينى لو كان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الاجوف الوصفى لا يعل وفى شرح مسلم انه يجوز فيه الصرف وعدمه والصحيح صرفه كما فى جامع اللغة وبه جزم ابن السيد * أقول عدم صرفه تعسف وقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول أبى عطاء الحماسى

أتعرف مسجدا لبنى تميم * فويق الميل دون بنى أبان

وقال مهلهل

لهف نفسى على عدى ولم * أعرف عديا اذ مكنتنى اليدان

طل من طل فى الحروب ولم * أعرف قتيلا أباؤه من أبان

الى غير ذلك مما لا يحصى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض أئمة اللغة من لم يصرف أبان فهو أتان وهو امام ثقة توفى سنة ست عشرة ومائتين وترجمته فى الميزان قال (حدثنا أبو الاحوص) بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير الامام الثقة الرواية توفى سنة مائة وتسعة وتسعين وأخرج له أصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف بن مالك بن فضالة والصحيح الاول (عن آدم بن على) العجلى الثقة التابعى يروى عن ابن عمر وغيره (قال سمعت ابن عمر) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما (يقول) حال أو مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه (ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى) هذا الحديث رواه البخارى فى التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع واحتمال انه سمعه من أهل الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابى آخر لا يضر لان مرسل الصحابى مقبول * أقول هذا مما قاله أهل الاصول وقبله الائمة فى مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز أن يكون الصحابى ممن قرأ الكتب القديمة أو يكون استنبطه من كتاب أو سنة فينبغى تقييده بما ذكر وجثى بضم الجيم مقصور منون وجوز كسر جيمه أيضا جمع جثوة مثلث الاول وأصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى الجماعة أى يجتمعون جماعات كل أمة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره وروى البرهان عن الحافظ العراقى جثاء بضم الجيم والمد وانه كذا صحح فى نسخ البخارى وصححه الهروى وابن الاثير وروى جثى بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع جاث وهو البارك على ركبتيه وقيده بعضهم بان يجلس كذلك للخصومة وأنشدوا * قوله

أخاصمهم مدة قاعدا * واجثو اذا ما جثوا للركب

ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه ان فاعل لا يجمع على فعل كما قيل (كل أمة تتبع نبيها يقولون) حال من فاعل يقول أى تكون معه تابعة له بانضمامها اليه (يافلان اشفع لنا يافلان اشفع لنا) أى تنادى كل أمة نبيها باسمه يسئلونه ان يشفع لهم عند ربهم فى الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون لغيره من الرسل فيجيبهم مثله (حتى تنتهى الشفاعة الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى حتى تنتهى الامم وسؤالهم لواحد بعد واحد يكون غايته ان يلتجؤا له صلى الله تعالى عليه وسلم فيجيبهم ويشفع لهم فتقبل شفاعته ففى الحديث طى مجمل علمت من السياق ومن أحاديث أخر صرح فيها بذلك ومعنى تنتهى تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامير قصتى وهذه هى الشفاعة العظمى وقد تقدم ان له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات أخر (فذلك) أى ما ذكر من الشفاعة وما معها (يوم يبعثه الله المقام المحمود) أى كائن فى ذلك اليوم بنصب يوم على

وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه) أى فيما رواه أحمد والبيهقى (سئل عنها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى قوله) أى يريد أبو هريرة بضمير عنها آية هى قوله (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا لمن سال (هى الشفاعة) أى المراد بها مقام الشفاعة الكبرى لاهل الموقف عامة ولا يبعد ان يكون الضمير راجعا الى المقام المحمود وتانيثه باعتبار الخبر فتدبر (وروى كعب بن مالك) أى كما رواه أحمد (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وأمتى على تل) أى مكان مرتفع (ويكسونى ربى حلة خضراء) لعله اشارة الى مقام سعادة السيادة (ثم يؤذن لى) أى فى القول بعد ان الخلق ما كانوا ينطقون (فاقول ماشاء الله ان أقول) أى من محامد الحق وشفاعة الخلق (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى ما ورد عن بعضهم منهم مجاهد ان المقام المحمود هو ان الله يجلس معه محمدا على كرسيه كما ورد به حديث وتعقبه القرطبي بانه قول غريب وانه ان صح يتاول على انه يجلسه مع أنبيائه وملائكته ثم ذكر كلام ابن عبد البر قريبا منه على ما نقله الحلبي وفيه انه تاويل بعيد عن المقام غير سديد فى حصول المرام بل المراد بالمعية انفراده صلى الله تعالى عليه وسلم عن البرية فى مرتبة المزية كقول موسى ان معى ربى وسياتى ما يؤيد هذا التاويل فى مقام التفصيل (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) أى فى رواية (وذكر حديث الشفاعة) أى العظمى (قال فيمشى) أى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (حتى ياخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح (فيومئذ) أى فحينئذ (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) بصيغة الفاعل أو المفعول أى وعد الله سبحانه وتعالى ان يقيمه يوم القيامة وفى رواية فاستاذن على ربى فى داره

الظرفية فان رفع بجعل القصة المختصة به كأنها عينه مبالغة وتجوزا جاز (وعن أبى هريرة رضى الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى عن الآية المذكورة كما أشار اليه بقوله (يعنى قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وضمير يعنى راجع لابى هريرة وهذا الحديث رواه أحمد والبيهقى (فقال) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جوابا عن السؤال (هى الشفاعة) العظمى الواقعة لفصل القضاء وقيل لاخراج المذنبين من النار والمشهور هو الاول وضمير هى راجع للشفاعة كقولك هى الحياة أو للمقام وانث رعاية للخبر أو للآية بالتجوز على ان المراد المعنى المقصود منها وقيل المراد انها هى الشفاعة فى اليوم المسمى بالمقام المحمود وهو تكلف جدا (وروى كعب بن مالك) الانصارى الصحابى أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القرآن وهذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا (عنه عليه الصلاة والسلام) انه قال (يحشر الناس يوم القيامة) بعد الخروج من القبور أى يجتمعون للحساب (فاكون أنا وأمتى على تل) بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب أو رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفى القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود أو تسامح وفيه اشارة الى اعلاء مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام أمته واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف ومشقته (ويكسونى ربى حلة خضراء) وفيه استئناس لما يلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضراء وان كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة الا اذا كان ثوبين أحدهما فوق الآخر أو ثوب واحد له بطانة وسمى بذلك لان كلا منهما يحل على الآخر أو لكونهما جديدين كما حل طيهما ثم شاع فى مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى الزمن كما سياتى التصريح به فى الحديث وليس فيه تفضيل له عليه لان حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى وأحسن وانما قدم جزاء لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه فى النار ورعاية له بما يسر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه جده وزمنه أسبق وسنه أزيد (ثم يؤذن لى) بالبناء للمجهول من الاذن أى ياذن الله لى فى التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر أجمعين فيقال له قل واشفع تشفع كما مر (فاقول ماشاء الله ان أقول) من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى (فذلك المقام المحمود) وهذا لا ينافى تفسيره بالشفاعة العظمى كما قال المحب الطبرى وذلك اشارة الى جميع ما تقدم من أول الحديث الى آخره (وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه (وذكر حديث الشفاعة) معطوف على مقدر وقوله (قال فيمشى) يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله ذكر (حتى ياخذ بحلقة) باب (الجنة) وفى رواية قال فامشى حتى آخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها وأنكره بعض أهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه (فيومئذ) أى يوم اذ مشى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ بالحلقة واليوم على ظاهره أو بمعنى مطلق الوقت (يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده) به فى القرآن فى قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما

فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله ان يدعني الى ان تلا عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام
المحمود الذي وعده نبيكم (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) كما رواه أحمد وغيره (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه) أي المقام
المحمود الموعود (قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه) بفتح الياء وكسر الباء أي يتمناه (فيه الاولون والآخرون) وفي
أصل الدلجي به وجعلها الظرفية أو سببية (ونحوه عن كعب) أي كعب الاحبار (والحسن) أي البصري (وفي رواية هو المقام
الذي أشفع فيه لامتي) أي اصالة ولغيرهم

تبعا أو جعل الكل أمة له لانه أخذ الميثاق منهم بانهم لو أدركوه لآمنوا
به واتبعوه كما ورد لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي (وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه) على ما رواه أحمد (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود) اللام المفتوحة للتاكيد في خبر ان وتوهم الدلجي حيث قال أي والله اني لقائم ثم قال وهذا مرشد الى جواز القسم في الامر العظيم انتهى ولا خلاف في جوازه مطلقا الا ان بعض العارفين لم يحلفوا من جهة أمر الدنيا لحقارتها (قيل وما هو) وللدارمي عنه قيل له ما المقام المحمود (قال ذلك يوم) روي بالنصب على انه ظرف مضاف الى الجملة وبالرفع والتنوين فيقدر فيه (ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه) أي يتجلى عليه كتجليه سبحانه على الطور وهو صلى الله تعالى عليه وسلم
جالس على الكرسي كما سبقت به الرواية ولا يبعد ان يكون ينزل بضم أوله وكسر الزاي أي
يوم يجلسه الله على كرسيه اشعارا للقيام عليه لكن يوافق المعنى الاول بقية الحديث الذي أشار اليه بقوله (الحديث) أي بطوله مع
تتمة قوله فيئط أي يصوت كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به أي لعظمة تجليه عليه وهو أي الكرسي يسع السماء والارض
ويجاء بكم حفاة عراة غرلا بضم فسكون أي قلفا غير مختونين لقوله تعالى كما بدأكم تعودون فيكون أول من يكسى ابراهيم لانه أول من
عرى في ذات الله حين ألقي في النار والظاهر ان الاول هنا اضافي لقوله عليه الصلاة والسلام فيما سبق ويكسوني ربي حلة خضراء مع

قال

محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلائق أي الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والآخرون فلذا سمي بذلك ووعده مبني للمجهول ومفعوله الاول عائد على النبي صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عائد على المقام ويجوز بناؤه للفاعل أيضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة وأخذه بحلقة باب الجنة وهو مغلق ليفتحه فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون وأهل الجنة لان من عداهم ألقي في النار فهذا تفسير آخر فتامله (وعن ابن مسعود) رضي الله تعالى عنه (عنه عليه الصلاة والسلام انه) أي المقام المحمود الموعود به (قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره) ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذي قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد اقامته ومكثه في ذلك المقام فلا ينافي ما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش (يغبطه فيه الاولون والآخرون) أي جميع الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هي تمني المرء ان ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم وكل أمر محمود من غير ان يحب زوالها فان أحب زوالها فهو الحسد المذموم وقيل الحسد تمني الامر المحمود مطلقا فهو أعم من الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط بزنة يضرب وفي نسخة به والباء ظرفية أو سببية والغبطة لا ضرر فيها وقد يكون جيدة وفي الحديث هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاة الخبط انتهى وفي النهاية الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الحسد وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير واثم ينقص ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذي يظهر لي انه صلى الله تعالى عليه وسلم انما أراد انه لا ضرر فيه على الغابط في أمر محمود تمناه من غير تمني زواله بل ربما يناله منه نفع لجده في تحصيل مثله أو لنيله شيئا من صاحبه فهو على حد قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

(ونحوه) أي مثله معنى مروي (عن كعب) هو كعب الاحبار (والحسن) البصري (وفي رواية هو) أي المقام المحمود (الذي أشفع لامتي فيه) فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس وهو أحد الاقوال في تفسيره كما مر وما في الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه عن يمين العرش وان المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى في فصل القضاء وهي وان لم تكن خاصة بامتي فهم المقصودون بالذات منها تعسف لا حاجة اليه (وعن ابن مسعود) رضي الله تعالى عنه في حديث رواه أحمد في مسنده (اني لقائم المقام المحمود) بكسر همزة ان لوقوعها في ابتداء كلام مستأنف وقيل انه جواب قسم مقدر أي والله اني لقائم وفيه بيان انه يجوز القسم في الامر العظيم ولذا أكد بان والاسمية وفيه نظر والمقام منصوب على الظرفية أو المصدرية (قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه) وفي نسخة على كرسيه (الحديث) أي أذكره أو أنظر تمامه وهو كما رواه أحمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود

انه لابدع ان يكون فى المفضول بعض مالا يوجد فى الفاضل لاسيما وهو فى مقام النبوة وحاله التبعية فى مرتبة النبوة يقول الله تعالى اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين أى ملاءتين رفيعتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره بفتحتين وبكسر فسكون أى على عقبه وهو يحتمل ان يكون خلعة أخرى بعد ماسبقت له الكسوة الاولى ثم أقوم على يمين الله أى يمين عرشه أو كرسيه أو جانب يمينه حال تجليه مقاما يغبطنى الاولون والآخرون أى يتمنون ان يعطوا مثل ما أعطى ولا ينالونه أبدا (وعن أبى موسى) أى الاشعرى مات بمكة وقيل بالكوفة (عنه عليه الصلاة والسلام) كما رواه ابن ماجه (خيرت) بصيغة المجهول أى جعلت مخيرا [illegible] خيرنى (بين ان يدخل نصف أمتى الجنة) أى من غير حساب وعذاب (وبين الشفاعة) أى فى هذا الباب (فاخترت الشفاعة) أى من أول الوهلة (لانها أعم) أى فى المنفعة والظاهر ان هذه الشفاعة دون الشفاعة العظمى خصه بهذه الامة اما الادخال جماعة الجنة بغير محاسبة أو لمن استحق دخول النار فلا يدخلها أو لمن دخلها فيخرج منها وفى الجملة الشفاعة ثابتة على ما أجمع عليه أهل السنة لقوله تعالى يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن أذن له الرحمن ورضى له قولا ولاعبرة بمنع الخوارج وبعض المعتزلة مستدلين بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فانه مخصوص بالكافرين واما تخصيصهم أحاديث الشفاعة بزيادة الدرجات فى الجنة فباطل لتصريح الادلة باخراج من دخل النار من المؤمنين منها كما يشير اليه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (أترونها) بالاستفهام الانكارى بمعنى النفى وبضم التاء وفتح الراء أى لا تظنون الشفاعة التى اخترتها (للمتقين) أى عن المعاصى خاصة (ولكنها) وفى نسخة لا ولكنها أى الشفاعة (للمذنبين الخطائين) وفى نسخة للمؤمنين أى الكاملين وفى أخرى للمنقين بفتح النون وتشديد القاف المفتوحة والظاهر انه تصحيف نعم رواية ابن عرفة أترونها للمنقين ولكنها للمذنبين الملوثين فالتلويث يناسب التنقية فى مقام المقابلة ثم رأيت الحلبى قال وهو كذا فى أصلنا السنن ابن ماجه وهو أصل صحيح وقفه الملك المحسن وقد كتب تجاهه على الهامش ن ق وعليها تصحيح مرتين والله تعالى أعلم ثم الخطائين بتشديد الطاء أى المبالغين فى الخطأ أى بالتعمد أو الكثرة أو العظمة ويؤيده قوله عليه السلام فيما رواه أبو داود والترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وفى نسخة الخاطئين وفى أخرى للخاطئين باعادة العامل تأكيدا

قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط الرحل الجديد من تضايقه به وهو بسعة ما بين السماء والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول الله عزوجل اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم أكسى على أثره ثم أقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى فيه الاولون والآخرون وقد علمت ان هذا الحديث من المشابه لانه تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله واتيانه عليهم لفصل القضاء واجراء حكم عدله فيهم كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى أمورهم ويقرب من شاء منهم والكرسى غير العرش كما ورد الحديث فى المصابيح والكلام عليه مفصل فى شروحه (وعن أبى موسى) عبد الله بن قيس الاشعرى الصحابى المشهور وهذا الحديث رواه ابن ماجة فى سننه رواية (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم خيرت) أى خيرنى الله بين أحد أمرين (بين ان يدخل) بالبناء للفاعل أو المفعول (نصف أمتى الجنة) أى أمة الاجابة لا الدعوة (وبين الشفاعة) لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء (فاخترت الشفاعة) على دخول نصف أمتى الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله (لانها) أى الشفاعة (أعم) أى أشمل وأكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن أنكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين الكفرة فان الشرك ظلم عظيم (أترونها) بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة والضمير للشفاعة أى أتظنون الشفاعة خاصة (للمتقين) جمع متق بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفى نسخة للمؤمنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخى وردوا على من رواه المنقين بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف وكذا فى أصلنا السنن ابن ماجة وهو أصل صحيح وكتب على هامشه ن ق وعليها تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث روايات والمنقين من النقى قال المزى وحسن هذه الرواية انه روى (ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين) فقابلته بالمتلوثين تحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة فى أوله ومثلثة فى آخره والتلوث التلطخ الاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطأ وهو الكثير الخطا وروى الترمذى شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى

(وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) أي قال كما في نسخة وقد رواه البيهقي عنه وكذا نسخه أبي عبد الله الحاكم وصححه (قلت يا رسول الله ماذا ورد) من الورود أي نزل (عليك في الشفاعة) ما استفهامية وذا موصولة بمعنى الذي وصلته ما بعده وفي نسخة صحيحة مارد بضم راء وتشديد دال أي ماذا أجيب عليك في مقام الشفاعة أو في أهلها وفي أخرى بصيغة الفاعل لله أو الملك (فقال شفاعتي) أي ورد على شفاعتي أو أجيب شفاعتي (لمن شهد أن لا اله الا الله) أي وان لم يكن من امتي وقيل التقدير واني رسول الله اكتفاء باحد الجزئين عن الآخر علما بانه لابد من الاتيان به في صحة الاسلام وقيل هذه الكلمة صارت علما لكلمتي الشهادة (مخلصا) أي لا كرها ولا نفاقا ولا رياء (يصدق) بتشديد الدال أي يطابق ويوافق (لسانه) بالنصب على انه مفعول أو بالرفع على انه فاعل وقوله (قلبه) عكس ذلك (وعن أم حبيبة) أي أم المؤمنين كما رواه البيهقي الحاكم (أريت) بضم الهمزة وكسر الراء أي أظهر الله لي (ما تلقى) أي من النوائب والمتاعب (أمتي) وفي أصل الدلجي من أمتي أي بعضهم (من بعدي) متعلق بتلقى وفي نسخة بعدي أي بعد ذهابي الى ربي (وسفك بعضهم دماء بعض) وهو مصدر مضاف الى فاعله معطوف على ما تلقى ولا يبعد ان يكون سفك ماضيا عطفا على ما تلقى أي وما سفك ويؤيده قوله (وسبق) أي وما سبق (لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) أي من الابتلاء ببعض الملم (فسالت الله ان يؤتيني) أي يعطيني (شفاعة) وفي نسخة يوليني شفاعتهم بتشديد اللام المكسورة أي يجعلني متوليا الشفاعتهم (يوم القيامة فيهم) أي في حقهم (ففعل) أي أعطاه ما سال (وقال حذيفة) كما رواه البيهقي والنسائي وهو وان كان موقوفا لكنه مرفوع حكما (يجمع الله الناس في صعيد واحد) أي أرض مستوية لا ترى فيها عوجا ولا امتا (حيث يسمعهم الداعي) أي صوته وهو بضم الياء وكسر الميم وهذا على الفرض والتقدير وقال الدلجي لعله بعد الشفاعة لفصل القضاء أيتها الخلائق هلموا الى الحساب انتهى ويرد عليه ما سياتي من بقية الحديث في الكتاب

وقيل المنقي بالنون عام لانه يجوز ان يكون مذنبا نقي بالتوبة والمنقي أخص وفيه نظر (وعن أبي هريرة) رضي الله تعالى عنه في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي (قلت يا رسول الله ماذا رد عليك في الشفاعة) بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم اشارة والرد الجواب وورد بمعنى جاء أي ما أجابك به الله أو الملك لما سالته الشفاعة في أمتك (فقال شفاعتي) هو فاعل مرفوع تقديرا أي جاءني أو ورد على ان أشفع (لمن شهد أن لا اله الا الله) أي لمن أقر بوحدانية الله تعالى ولم يقل واني رسول الله اكتفاء باحد جزئي كلمة الشهادة للعلم انه لابد من الاتيان بهما في صحة الاسلام (مخلصا) حال من الموصول أي غير مشوبة شهادته بشك وشرك (يصدق لسانه) بالنصب على المفعولية وقوله قلبه مرفوع فاعله ويجوز عكسه أي يطابق اعتقاده لما نطق به (وعن أم حبيبة رضي الله تعالى عنها) في حديث رواه الحاكم والبيهقي وهي أم المؤمنين بنت أبي سفيان بن حرب أخت معاوية رضي الله تعالى عنهم واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهي من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت سنة أربع وأربعين (قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أريت) بضم الهمزة والبناء للمجهول أي أعلمني الله وأخبرني بواسطة الملك (ما تلقى أمتي من بعدي) أي أريت ما اطلعت به على ما ينوبها فرأى علمية وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له صلى الله تعالى عليه وسلم كرامة وليس من الرؤية البصرية (وسفك بعضهم دماء بعض) منصوب معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو مصدر مضاف لفاعله قيل أراه ذلك وحيا أو مشافهة أو الهاما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التي يقع فيها القتل واراقة الدماء (وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم) ماض معطوف على تلقى صلة الموصول أي أريت وأعلمت بما سبق لامتي مما قدره الله تعالى عليهم وأراده لهم فوقع على وفق ارادته في الازل وعلمه القديم (فسالت الله تعالى ان يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل) أي أعطاه الله تعالى ما ساله فشفعه في المذنبين منهم (وقال حذيفة) بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي (يجمع الله الناس في صعيد واحد) أي في مكان يجتمعون فيه غير متفرقين وأصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا أرض المحشر أو قيل هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من الجن والانس أو المراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهائم تحشر معهم أيضا (حيث يسمعهم الداعي) صوته ونداءه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون

ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم (وينفذهم البصر) بفتح الياء المثناة التحتية وروى بضمها وكسر الفاء وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر الرائي أي يراهم دفعة واحدة وليس المراد بصر الله كما قاله أبو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم لانهم في أرض مستوية لا عوج ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح أيضا لانه لاحاطته بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلا وجه للرد مع صحة الرواية (حفاة عراة) منصوبان على الحالية وحفاة جمع حاف وهو الذي لا نعل له ولا خف وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه وعراة جمع عار وقيل جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذي لا ثوب له ولا لباس يستره ويعارضه ما روى في الحديث الصحيح أن أبا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن معاذ ابن جبل أيضا رضي الله تعالى عنه أحسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء وثيابهم التي قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وأبو سعيد حمله على العموم وقيل أن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر عنهم في المحشر وقيل المراد بثيابهم أعمالهم كقوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير ولا يخفى ما في هذا من الضعف فليحرر (كما خلقوا) حال أي كائنين على حال خلقهم الاول من غير نقص شيء من أجزائهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم بحال اخراجهم من العدم كما قال كما بدأكم تعودون أوما كافة أو مصدرية (سكوتا) جمع ساكت حال من الناس أو من ضمير خلقوا (لا تكلم) أصله تتكلم خفف (نفس الا باذنه) فلا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او الثاني مخصوص بذوي الاعذار الباطلة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب أيضا عن قوله تعالى وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها (فينادى) بالبناء للمجهول (محمد) بالتنوين نائب الفاعل أو هو غير منون مبني على الضم والنداء بمعناه الظاهر أي يقال له يا محمد بحذف حرف النداء وعلى الاول ينادى بمعنى يدعى ويطلب وكلا الوجهين حسن وفي نسخة فينادى يا محمد (فيقول لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي من ألب بالمكان اذا أقام ولا يستعملان الا بصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولو مرارا عديدة أي أجبتك اجابة بعد اجابة وأساعدك بطاعتي لك وأنا مقيم على ذلك لا أنصرف عنه

(وينفذهم البصر) بفتح الياء وضم الفاء والذال المعجمة وفي نسخة بضم الياء وكسر الفاء أي يبلغهم ويجاوزهم بصر الباصر بحيث لا يخفى أحد منهم من الاكابر والاصاغر لاستواء الصعيد الباهر وعن أبي عبيد ينفذهم بصر الرحمن اي يأتي عليهم جميعهم وفيه ان بصره تعالى دائما محيط بهم وقد يدفع بان اثباته مقيد الاينافي دوامه ولعل وجه التخصيص هو افادة هول المقام أو ظهور ذلك الوصف على وجه الكمال والتمام على سائر الانام كما ذكروا في قوله سبحانه مالك يوم الدين وعن أبي حاتم ان المحدثين يروونه بالذال المعجمة وانما هو بالمهملة أي يبلغ أولهم وآخرهم حتى يراهم كلهم من نفد الشيء وأنفدته قال الحجازي وفيما قاله نظر اذ في الصحاح نفذ البصر بالمعجمة القوم بلغهم وجاوزهم ونفد بالمهملة فني ولعله من انفد فيضم أول مضارعه انتهى وقال النووي محصله خلاف في فتح الياء وضمها وفي الذال والدال وفي الضمير في ينفذهم والاصح فتح الياء وبالذال المعجمة وانه بصر المخلوق انتهى قال أبو عبيد وحمل الحديث على بصر المبصر أولى من حمله على بصر الرحمن لان الله يجمع الناس يوم القيامة في أرض يشهد جميع الخلائق حساب العبد الواحد على انفراده ويبصرون ما يصير اليه هذا وقد روى أن صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفا منها ثمانون صفا الامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وباقيها لغيرهم زاد كعب ما بين كل صفين كما بين المشرق والمغرب (عراة) لا ثياب على بدنهم ولا نعال بارجلهم وفي رواية حفاة وزاد الشيخان في روايتهما غرلا بضم الغين المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الاقلف (كما خلقوا) أي أول مرة (سكوتا) أي غير ناطقين (لا تكلم) بحذف احدى التائين أي لا تتكلم (نفس) أي بما ينفع أو ينجي من جواب أو شفاعة (الا باذنه) كقوله تعالى لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وهذا في موقف واما قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ففي موقف آخر او المأذون فيه هو الجوابات الحقة والممنوع منه هو الاعتذارات الباطلة (فينادى) بصيغة المفعول (محمد) بالرفع والتنوين على انه نائب الفاعل وفي رواية بالضم على حذف حرف النداء ويؤيد الاول قوله (فيقول لبيك) أي أجبت لك اجابة بعد اجابة (وسعديك) أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة

(والخير فى يديك) أى بتصرفك وفى حيز ارادتك وقدرتك فى الدنيا والعقبى كما قال الله تعالى وان لنا للآخرة والاولى (والشر ليس اليك) أى منسوبا وان كنت خالقه أدبا ولا يتقرب به اليك أصلا أو لا يصعد اليك وانما يصعد اليك الخير قولا وعملا أو ليس الشر بالنسبة الى حكمتك وحكمتك فانك لا تحكم باطلا ولا تخلق عبثا والاذن المعلوم عند أهل الحق من أهل السنة والجماعة ان جميع الكائنات خيرها وشرها ونفعها وضرها وحلوها ومرها من الله تعالى ومنسوبة الى خلقه على وجه أراده (والمهتدى) أى فى الحقيقة وفى نسخة والمهدى (من هديت) أى بخلق الهداية وتوفيق الطاعة وتحقيق الرعاية (وعبدك بين يديك) أى حاضر معتمد عليك (ولك) أى الحكم والقضاء (واليك) أى مرجع الخلق والامر فى الابتداء والانتهاء (لا ملجا) بالهمز مقصورا (ولا منجا) بالقصر وقد يهمز للازدواج وقد يبدل همز الاول ألفا للمشاكلة أى لا مستند ولا معتمد ولا ملاذ ولا معاذ (منك) أى من قضائك (الا اليك) أى بالرجوع الى ساحة فنائك (تباركت) أى تكاثر خيرك (وتعاليت) أى عظم شانك (سبحانك رب البيت) بالنصب على النداء ويجوز رفعه على الابتداء أى أنت رب البيت والاضافة للتشريف (قال) أى حذيفة (فذلك) أى الجمع المذكور والمقال المسطور هو (المقام المحمود الذى ذكره الله) أى ذكره فى كتابه المشهور بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس) لفظه موقوف وحكمه مرفوع (اذا دخل أهل النار النار (ما
وأهل الجنة الجنة) لعل تقديم أهل النار للاشعار بانهام الابرار والفجار اولان ذكر النعمة أوقع فى النفس بعد ذكر النقمة أو ترهيبا فى أول الوهلة من أهوالها وترغيبا فى الجنة نظر الى حسن ما لها (فتبقى آخر زمرة) أى جماعة (من الجنة) أى زمر أهلها باقية فى النار (وآخر زمرة من النار) أى ثابتة فيها (فتقول زمرة النار) أى من الكفار (لزمرة الجنة) أى الواقعة فى النار من الفجار

(والخير فى يديك والشر ليس اليك) أى مقضيك بالفرض وصادر عنك بالتبع لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شرا لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء ولا يجرى فى ملكه الا ما شاء والى هذا أشار القاضى فى تفسيره والمعتزلة قدروا فى مثله والشر ليس منسوبا اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى البعض ظلمة الملوك ببعض القبائح قاله القرافى فى قواعده أو المعنى لا يضاف اليك تادبا وقيل المعنى لا يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة وأصله يدى بالسكون لقولهم فى جمعه أيد وقيل يدى بالفتح لقولهم فى تثنيته يديان واستعير للنعمة وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنصرة واذا أضيف الى الله تعالى يراد به المعنى المجازى لتنزهه عن الجارحة وثنى هنا وفى قوله تعالى لما خلقت بيدى اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيح للاستعارة والاحسن أن يقال انه اشارة للامران وجهى تصرفه فى الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر (والمهتدى من هديت) أى الموفق للهداية من خلقته مهتديا ووفقته لطاعتك وتعريف الطرفين يفيد الحصر أى لا يهتدى الا من هديته (وعبدك بين يديك) أراد به نفسه الشريفة أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم حاضر لديه واقف فى مقام المذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من بين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان واستعير لذلك (ولك واليك) أى أمره كله لك فانه عبدك وأمره موكول اليك (لا ملجا) بالهمز والقصر للازدواج أى لا يلتجئ ولا يستند لاحد سواك (ولا منجا) بلا همز اويه للازدواج أى لا ينجيه ولا يخلصه أحد (منك) أى هو عبدك ومصيره اليك (الا اليك) وليس باتباع ولا لف ونشر كما قيل (تباركت وتعاليت) أى كثر خيرك وزاد عن كل شئ وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير (سبحانك) أى تنزهت (رب البيت) بالرفع خبر مبتدأ مقدر والنصب على النداء أى يا رب البيت والمراد به الكعبة أو البيت المعمور فى السماء ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال رب البيت دون رب العالمين اظهارا لشرفه وشرف الحج اليه المشابه جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة (قال) أى النبى عليه السلام لانه معلوم من السياق أو حذيفة راويه وهو فى حكم المرفوع (فذلك) أى المقام الذى جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة (هو المقام المحمود الذى ذكره الله) فى القرآن فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (وقال ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل أهل النار النار) قدمه ترهيبا وترغيبا فى تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة بعد النقمة أوقع فى النفس (وأهل الجنة الجنة) بجر الاول ونصب الثانى أى ودخل أهل الجنة الجنة والمراد غالب أهل النار وغالب أهل الجنة بدليل قوله (فتبقى آخر زمرة من الجنة) أى من أهل الجنة (وآخر زمرة من النار) أى من أهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة أى قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة أو من الزمر وهو الصوت لانها لا تخلو عنه (فتقول زمرة النار) أى الزمرة الباقية من أهل النار (لزمرة الجنة) أى للزمرة الباقية من أهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها

(مانفعكم ايمانكم) أى المجرد عن الطاعة حيث لم يدخلكم الجنة (فيدعون ربهم ويضجون) بفتح الياء وكسر الضاد المعجمة وتشديد الجيم أى ويصيحون لما يجزعون من شماتة الاعداء فى فظاعة البلاء ولذا قيل النار ولا العار (فيسمعهم أهل الجنة فيسئلون آدم وغيره بعده فى الشفاعة لهم) ولعل الحكمة (فى سؤالهم من غير نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) أولا ليظهر اختصاصه بذلك المقام آخرا (فكل) أى فكل واحد منهم (يعتذر) أى بما عوتب عليه وبما ناسب من صورة الذنب اليه (حتى يأتوا محمدا فيشفع لهم) أى فيشفع فى حقهم وتقبل شفاعته لهم (فذلك المقام المحمود) أى فى الجنة وهو لا ينافى كونه المقام المحمود أيضا فى الموقف (ونحوه) أى مثل قول ابن عباس فيما رواه أحمد والطيالسى (عن ابن مسعود أيضا ومجاهد) أى موقوفا أو مقطوعا (وذكره) أى مثله أو نحوه (على بن الحسين) أى ابن على بن أبى طالب قيل لم ينجب من ولد السرارى الا ثلاثة على بن الحسين بن على بن أبى طالب وسالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب والقاسم بن محمد ابن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مرسلا ورواه الحاكم عن أهل العلم عنه موصولا (وقال جابر بن عبد الله) أى كما رواه مسلم (ليزيد الفقير) هو يزيد بن صهيب الفقير لانه كان يشكو فقار ظهره فهو فعيل بمعنى مفعول وفقرات الظهر خرزاته من عجب الذنب الى نقرة القفا ثنتان وثلاثون فقرة وقد ضربت عائشة مثلا فى عثمان فقالت ركبوا منه الفقر الاربع استعارته من فقار الظهر لما ارتكبوا منه لانها موضع الركوب أى انتهكوا فيه أربع حرم حرمة الصحبة والصهورة والخلافة والبلدة روى عنه أبو حنيفة ومسعر وجماعة ثقة أخرج له الشيخان وغيرهما (سمعت) بفتح التاء أى أسمعت (بمقام محمد يعنى الذى يبعثه الله فيه) أى من المقام المحمود (قال) أى يزيد (قلت نعم) أى سمعت اللفظ الذى أفادنيه (قال) أى جابر (فانه مقام محمد) أى الخاص به (المحمود الذى يخرج الله به) أى بسببه (من يخرج) بضم ثم كسر أى من يخرجه من عصاة عامة المؤمنين أو خاصة هذه الامة والاول أظهر لما سبق فتدبر (يعنى من النار) أى يريد اخراج من يخرجه من النار (وذكر) أى جابر (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين)

(مانفعكم ايمانكم) ما استفهامية انكارية أو نافية خبرية أى لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيأ لانهم بجهلهم باحوالهم ظنوا انهم لا يدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها (فيدعون ربهم) الضمير للزمر المتخلفة من أهل الجنة (ويضجون) أى يصيحون ويرفعون أصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير أهل النار لهم وأصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحوق المكروه والضجة ارتفاع الاصوات المختلفة مطلقا (فيسمعهم أهل الجنة) أى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم فى دخول الجنة (فيسألون آدم) ان يشفع لهم فى دخول الجنة (وغيره بعده) أى يسألون بعد آدم عليه الصلاة والسلام غيره من الانبياء كنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام (فى الشفاعة لهم فكل يعتذر) لهم بانه لا يقدر على الشفاعة ولم يؤذن له كما مر تفصيله (حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل (فيشفع لهم فذلك المقام المحمود) الذى يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس وهو فى حكم المرفوع (ونحوه) أى فى معناه حديث مروى (عن ابن مسعود أيضا ومجاهد وذكره على بن الحسين) بن على بن أبى طالب وهو زين العابدين كما تقدم (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى مرفوعا وما قبله موقوف (وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى وقد تقدمت ترجمته (ليزيد الفقير) هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه أصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجب الذنب الى نقرة القفا وهى اثنان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه ارتكبوا منه الفقراء الاربع استعارة أى انتهكوا له حرمات أربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد هذا امام ثقة روى عنه أبو حنيفة وأصحاب الكتب الستة (سمعت) بفتح تاء الخطاب وأصله أسمعت فحذف همزة الاستفهام أو هل أى أسمعت أو هل سمعت (بمقام محمد صلى الله عليه وسلم) أى هل رويت فيه شيأ يفسره (يعنى الذى يبعثه الله فيه) أى فجابر أراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قوله فيه اشارة الى انه منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة (قال) يزيد (نعم) أى سمعت ما ورد فيه اجمالا (قال) أى جابر بن عبد الله البجلى الصحابى المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال (فانه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار) ضمير به للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو للمقام أى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظيمة لاهل المحشر واليه أشار بقوله (وذكر) أى جابر رضى الله تعالى عنه (حديث الشفاعة فى اخراج الجهنميين) المنسوبين لجهنم لانهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم

أي فوجا فوجا من النار على حسب مراتب الفجار (وعن أنس رضي الله تعالى عنه نحوه) أي في رواية الشيخين (وقال) أي أنس (فهذا) أي الاخراج المذكور (المقام المحمود الذي وعده) أي الله سبحانه وتعالى وفي نسخة الدلجي بصيغة المجهول (وعن سلمان) أي الفارسي وهو سلمان الخير بن الاسكار عاش ثلثمائة وفي أصل التلمساني عن شيبان بدل عن سلمان قال وهو بشين معجمة وياء مثناة من أسفل وبعدها موحدة لعله شيبان بن عبد الرحمن النحوي انتهى والظاهر انه مصحف لمخالفته سائر النسخ المعتبرة والاصول المعتمدة (المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيامة) أي بالاصالة وفي غيرهم بالتبعية أو لانه هو البادئ في مقام الشفاعة ويتبعه الانبياء في تلك الساعة (ومثله عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في الصحيحين (وقال قتادة) تابعي مشهور (كان أهل العلم) أي من أكابر الصحابة واجلاء التابعين (يرون) بصيغة الفاعل من الرأي أو بصيغة المفعول أي يظنون (المقام المحمود شفاعته يوم القيامة) أي لعامة الخلق في اراحتهم من عذاب الموقف (وعلى) أي وكانوا على (ان المقام المحمود) أي هو وكما في نسخة (مقامه عليه الصلاة والسلام للشفاعة) أي العظمى في الساعة الكبرى (مذاهب السلف) أي السالفين (من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين) أي من المجتهدين والمفسرين والمحدثين وسائر علماء الدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(وبذلك) أي ويطبق ماذكر وعلى وفق ما سطر (جاءت) الشفاعة (مفسرة) أي مبينة (في صحيح الاخبار) أي مما كادت ان تتواتر عن الاخيار (عنه عليه الصلاة والسلام وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة) أي منفردة (عن بعض السلف) وهو مجاهد مخالفة لنقل الثقات ضعيفة في أصول الروايات وحصول الدرايات (يجب ان لا تثبت) أي عند الاثبات لعدم الاثبات (اذ لم يعضدها) أي لم يقوها (صحيح أثر) أي من منقول (ولا سديد نظر) أي من معقول والنظر السديد والسداد ما كان (فيهتمون)
موافقا للحق والرشاد ومنه قوله تعالى وقولوا قولا سديدا (ولو صحت) أي على فرض صحة بعض أسانيدها حيث لا يقاوم ما يعارضها (لكان لها تاويل غير مستنكر) أي معروف معتبر عند أرباب النظر جمعا بين الادلة كما هو طريق المحققين من الائمة وحاصله انه روى عن مجاهد انه قول يجلسه معه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعده على الكرسي وأمثال ذلك مما ظاهره منكر من القول فيجب رده وانكاره على ناقله أو تاويله لحسن الظن بقائله وبعضهم أول ذلك بان يجلسه مع أنبيائه وملائكته على ما حكاه الطبري وقد قدمنا تاويلا آخر فتدبر (لكن ما فسره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يرده) بتشديد الدال أي يرد ظاهر ما جاء بخلافه ويدفعه فيتعين ان يؤول غيره اليه ولا ينعكس الامر عليه وفي نسخة ترده بفتح التاء وكسر الراء وتخفيف الدال أي ترد عليه ويلائمه قوله (فلا يجب ان يلتفت اليه) أي بتاويله وقال وقيل لانه تضييع عمر في توضيح أمر (مع انه لم يات) أي خلافه (في كتاب ولا سنة) أي ثابتة حتى يحتاج الى تاويل ومعالجة (ولا اتفق) وفي نسخة ولا اتفقت (على المقال به أمة) أي جماعة من المجتهدين وعلماء الدين حتى يحتاج الى تاويل يجمعه أرباب اليقين (وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة) بضم فسكون أي وشناعة في العبارة ياتي دفعها بالاشارة (وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما) على ما في الصحيحين ونحوهما (دخل حديث بعضهم في حديث بعض) أي فيما ذكرناه هنا عنهم (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) أي يوم يقوم الناس لرب العالمين

وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى كان قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي يقولون والله يقول انك من تدخل النار فقد أخزيته * وكلما أرادوا ان يخرجوا منها أعيدوا فيها فما هذا الذي تقول فقال أتقرأ القرآن قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف ان لا أكون أحفظ ذاك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها كأنهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس الى آخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد مال الى رأي الخوارج في خلود عصاة المسلمين في النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه (وعن أنس) في حديث رواه أحمد في مسنده (نحوه) أي ما هو في معنى هذا الحديث (وقال) أنس بعدما ذكر ما تقدم (فهذا المقام المحمود الذي وعده) بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والضمير البارز للمقام (وفي رواية أنس وأبي هريرة وغيرهما) في حديث رواه الشيخان (ودخل حديث بعضهم في حديث بعض) أي وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى (قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة) في أرض المحشر للحساب وفصل القضاء

(فيهتمون) بتشديد الميم أى فيحزنون حزنا شديدا الا أنه لا يهتم أحد الا لنفسه ولا يلتفت الى غيره ولو كان أقرب أهله ويقصدون ازالة هذا الهم العظيم والكرب الفخيم وذلك لما وجد فى حديث ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله (أوقال فيلهمون) أى الى طلب الشفاعة بالوسيلة الى أحد من كبراء البرية (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) أى لكان حسنا أو لربما يكون فيه نجاتنا أو لو للتمنى ولا جواب له (من طريق آخر) أى لهذا الحديث باعتبار اسناده أو راويه (عنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ماج الناس بعضهم فى بعض) أى دخلوا فيما بينهم واضطربوا اضطراب ماء البحر حال شدة غليانه ايماء الى قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض واشارة الى قوله تعالى أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج (وعن أبى هريرة) أى فى حديث الشيخين (فتدنو الشمس) أى تقرب من رؤسهم قدر الميل كما فى رواية

على اختلاف فى ان المراد منه ميل الفرسخ أو ميل المكحلة ثم قيل الشمس فى الدنيا وجهها الى جهة السماء وهى ظاهرة لنا من جهة القفا فينقلب أمرها فى العقبى (فيبلغ الناس) بالنصب وقيل بالرفع (من الغم) بيان مقدم لقوله (مالا يطيقون) أى الصبر عليه والتحمل لديه وهذا معنى قوله (ولا يحتملون) أى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون) أى بعضهم لبعض (ألا تنظرون) أى ألا تختارون (من يشفع لكم) أى الى ربكم فى ازاحة شدة الموقف عنكم (فياتون آدم) بدأوا بما بدأ الله به ليظهر جلالة ما ختم الامر بسببه (فيقولون) أى له جل مقصودهم من الشفاعة لمعبودهم (زاد بعضهم) أى فى بيان ما أجمل من القول (أنت آدم أبو البشر) أى فيتعين عليك الشفقة والمرحمة على الذرية مع كونك معظما مكرما عنده سبحانه وتعالى من جملة الطائفة البشرية (خلقك الله بيده) أى بقدرته من غير واسطة فى خلقته (ونفخ فيك من روحه) أى الخاص بتشريفه وكرامته (وأسكنك جنته) أى وأظهر عليك نعمته ورحمته (وأسجد لك ملائكته) أى تعظيما لشانك وتفخيما لبرهانك (وعلمك أسماء كل شئ) أى دليلا على ظهور سلطانك (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) من الاراحة بمعنى الازاحة واعطاء الراحة بالازالة من محل الغضب الى موضع حكم به الرب من دار الثواب أو دار العقاب (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا) أى عظيما لكونه عميما (لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) أى فلا يمكننى الشفاعة فيه لا سيما

(فيهتمون) افتعال من الهم بمعنى الحزن أو العزم والتصميم يقال اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهى الصوت الخفى (أوقال فيلهمون) بالبناء للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوى فى لفظ الحديث أى يلهمهم الله (فيقولون لو استشفعنا الى ربنا) أى لو طلبنا من يشفع لنا عند الله فى أن يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته ولو للتمنى هنا وقد ذكره النحاة مفصلا فى بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذى لا يمكن (ومن طريق آخر عنه) عليه الصلاة والسلام أى فى رواية أخرى (ماج الناس بعضهم فى بعض) أى دخل بعضهم فى بعض واختلطوا واضطربوا (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان (وتدنو الشمس) أى تقرب من رؤس أهل الموقف (فيبلغ الناس من الغم) أى من الكرب وشدة الحر (مالا يطيقون) أى مالا يقدرون على تحملهم له (ولا يحتملون) عطف تفسير أى لا يقدرون ولا يستطيعون (فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم) أى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام (فيأتون آدم) عليه الصلاة والسلام بدؤا به لانه أول الانبياء وأبوهم المشفق عليهم كما قال (زاد بعضهم فيقولون أنت آدم أبو البشر) فينبغى لك ان تشفع لهم وترحمهم (خلقك الله بيده) أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم وأب (ونفخ فيك من روحه) اضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله (وأسكنك جنته) بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد الجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان فى الارض والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة فى محلها (وأسجد لك ملائكته) أى أمرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ (وعلمك أسماء كل شئ) كما ذكره الله تعالى فى القرآن وهذا كله مما يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته عند ربه ومزيد قربه المقتضى لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله (اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا) هذا هو المحشر ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة (ألا ترى ما نحن فيه) من الكرب والهول الذى لا يطاق (فيقول) لهم آدم (ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) أى أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذى فى الآخرة باذا لم الدار وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده فلذا

خاف آدم عليه الصلاة والسلام وقال (ونهانى عن الشجرة) أى عن الاكل منها والمراد بها العنب الذى فى الكرم أو الحنطة وسماها شجرة مجازا لان الشجر ماله ساق (فعصيت) أى خالفت أمره تعالى بالاكل منها وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (نفسى نفسى) اعتذارا عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه وكررها تأكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا الاول فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم (اذهبوا الى غيرى) من الرسل يشفع لكم ثم بين من يذهبون له فقال (اذهبوا الى نوح) فانه الاب الثانى لكم بعدى ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه (فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل الى أهل الارض) كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه وهذا لا ينافى اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره وقال ابن حجر رحمه الله تعالى لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم والعموم لم يكن فى أصل بعثته وانما اتفق بعده فالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس وأما نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك وأما كونه أول رسول كما صح فى حديث الشفاعة فالمراد به انه أول رسول أرسل الى جميع أهل الارض فى حياته فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات أولية ارساله ولو سلم فهو مخصوص بعدة آيات على ان بعثة نوح عليه الصلاة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه أرسل الى غيرهم واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الارض فاهلكوا غير أهل السفينة ولولاه ما أهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه أول الرسل وأجيب بجواز ان يرسل غيره فى زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجئ رسول فى زمنه غيره أو خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ببقاء شريعته الى يوم القيامة أو دعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية فى سورة هود ويبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان تكون الدعوة للتوحيد عامة فى بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن فى عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة * أقول هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى ولم يبين كون نوح أول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم كان نبيا رسولا ولكنه أرسل لبنيه ولم يظهر للكفر فى حياته قوة وأثر فكان كالعظيم الضابط لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وادريس تنبأ فى زمنه وشيث كان وصيه الى أن بعث الله تعالى نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم فهو أول رسول بعث لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى (وسماك الله عبدا شكورا) فى الكتب القديمة لانه كان كلما أكل أو شرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الامم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان الضمير راجع له لا لموسى كما قيل فانه قول غير مرضى (ألا ترى ما نحن فيه) من شدة الموقف وهوله (ألا ترى ما بلغنا) بسكون الغين المعجمة وفتحها أى ما وقعنا فيه من الكرب أو ما وصل الينا منه وقال النووى الاصح المعروف فتح الغين بدليل انه روى ألا ترون ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال ما بلغتم والوجه ما تقدم (ألا تشفع لنا الى ربك) فى الخلاص مما نحن فيه (فيقول مثله) أى ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به (فيقول ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى) وقد تقدم

(ونهانى عن الشجرة) أى أكلها (فعصيت) أى بذوقها وهى شجرة الكرم وقيل السنبلة وقيل شجرة العلم عليها معلوم الله تعالى من كل لون وطعم ذكره الحلبى وفيها أقوال أخر وهى النخلة والتين والكافور ذكرها الحجازى (نفسى نفسى) أى أهم عندى من غيرى أو ألزم نفسى أو أخلص نفسى ولا أجترئ على غير مقامى (اذهبوا الى غيرى) من الانبياء والاصفياء عموما (اذهبوا الى نوح) أى خصوصا لانه أول أولى العزم من الرسل (فيقولون) أى فيأتون نوحا فيقولون (أنت أول الرسل الى أهل الارض) أى من الكفار والفجار فلا ينافى ان آدم أيضا مرسل الى أولاده الابرار وكذا شيث بن آدم وادريس جد نوح ولد شيث على ما عليه علماء الاخيار (وسماك الله عبدا شكورا) أى وصفك به حيث قال فى كتابه انه كان عبدا شكورا أى مبالغا فى الشكر مع انه تعالى قال وقليل من عبادى الشكور (ألا ترى ما نحن فيه) أى من الغم والحزن (ألا ترى ما بلغنا) بفتح الغين وجوز اسكانها أى وصلنا من الشدة (ألا تشفع لنا الى ربك) اى ليكون خلاصنا بسببك (فيقول ان ربى غضب اليوم) أى أظهر (غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله) أى لانقطاع تكليف من يؤاخذ بتركه ما كلفه (نفسى نفسى)

شرحه

فيه ايماء الى قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها (قال) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (في رواية أنس ويذكر) أي نوح اعتذارا عن ترك الشفاعة في تلك الساعة (خطيئته التي أصاب) أي أصابها وتابها (سؤاله ربه) بيان أو بدل مما قبله (بغير علم) حال من الضمير في سؤاله ووجه العتاب انه كان الاولى ان يفوض الامر الى المولى ولم يقل ان ابني من أهلي حتى لا يقال انه ليس من أهلك عندي (وفي رواية أبي هريرة) أي زيادة في قول نوح (وقد كانت لي دعوة)

أي مستجابة في حق العامة (دعوتها على قومي اذهبوا الى غيري) أي من بعدي من أكابر اخواني (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبي الله تعالى) أي ورسوله (وخليله من أهل الارض) أي في زمانه (اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه) أي من الكرب (فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) أي مثل آدم أو مثل نوح أو مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات) أي في صورة كذبات وهي اني سقيم وفعله كبيرهم هذا وانها أختي لسارة (كذبهن) أي وليست كذبات وانما هي معاريض وتوريات حيث أراد بقوله فعله كبيرهم هذا معنى التبكيت بدليل قوله تعالى ان كانوا ينطقون وبقوله اني سقيم أي ساسقم لان من عاش يسقم أو يهرم ويموت وبقوله أختي في الاسلام الا ان الاولى لمراتب الانبياء تركها (نفسي نفسي لست لها) أي للشفاعة العظمى الكونى متلوثا بنوع من الخطايا (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما أرهقهم من خيبة الامل ووصمة الخجل وعليكم اسم فعل والباء زائدة لمزيد الاستعانة أي الزموا موسى واستعينوا به على الشفاعة هذه المولى (فانه كلمه الله تعالى) ويقتضي انه ممن طال لسانه لامن كل بيانه

شرحه (قال في رواية أنس ويذكر خطيئته التي أصاب) صفة خطيئة والعائد محذوف أي التي أصابها أي التي عملها والانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون كلهم ولكنهم لشدة تعظيمهم لله تعالى وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا وغفلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله (سؤاله ربه بغير علم) فهو منصوب بدل أو عطف بيان من قوله خطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة مصدر محذوف أو حال أي سؤالا كائنا بغير علم منه بان ما ساله لا يليق ان يساله وهو قوله رب ان ابني من أهلي وقد وعدتني ووعدك الحق ان تنجي أهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من أهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وابنه هذا هو كنعان وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه أهل الكتاب قيل انما عاقه هذا عن الشفاعة زجره وجعل جهلا لانه ممن سبق عليه القول من أهله وذات الحال على ما منعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه أمره وهذا قول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله تعالى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فلا وجه لتخطيئة قائله (وفي رواية أبي هريرة) في حق نوح عليه الصلاة والسلام (وكانت لي دعوة دعوت بها على قومي) اشارة الى ما ورد في الحديث ان لكل نبي دعوة والمراد ان الله تعالى وعد كل نبي بان يجيب له دعوة يدعو بها على جميع أمته فيستجاب أو يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله (اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله) وأبو الانبياء ومقتداهم فانه أحق بالشفاعة وأقدر عليها مني (فيأتون ابراهيم فيقولون) له (أنت نبي الله وخليله من أهل الارض) أي انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه أهل للشفاعة (اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله) أي مثل ما تقدم (ويذكر ثلاث كلمات كذبهن) هي قوله اني سقيم لما دعي الى أصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه انها أختي وقوله في حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله لضرب من التأويل قصدا فليس بكذب فان في المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب وخاف أن يؤاخذه به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضي ان لا يداري مخلوقا أو يخافه والا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعد منها في مسلم قوله في الكوكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيل في قوله اني سقيم انه كانت به حمى حقيقة لا تعد سقما وفيه نظر وسيأتي تفصيله في محله ان شاء الله تعالى وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام في عدم الشفاعة (نفسي نفسي) أي أنا مشغول بنفسي وتخليصها (لست لها) أي لست أهلا للشفاعة لغيري (ولكن عليكم بموسى) استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة أملهم ويأسهم من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة أي الزموه فانه أقدر مني وأقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله (فانه كليم الله) أي انه كلم الله في الارض شفاها من غير واسطة

(وفي رواية فانه عبد) في نسخة عبد الله (آتاه الله التوراة) أي وهي من أعظم الكتب الالهية وأولها (وكلمه) أي تكليما (وقربه) أي تشريفا وتكريما (نجيا) أي مناجيا (قال فيأتون موسى فيقول لست لها) أي للحال التي ظننتم اني متعدد لها (ويذكر خطيئته التي أصاب) أي أصابها ووقع فيها (وقتله النفس) أي وقتله القبطي وهو عطف تفسيري بدليل رواية بعض رواة البخاري بدون عاطفة وقد عده خطيئة كما عده من عمل الشيطان في الآية وسماه ظلما واستغفر ربه منه جريا على عادة الانبياء في استعظامهم محقرات جائزة صدرت عنهم اذلم يكن هذا عن عمد بل وقع خطأ في كافر حربي ظالم على مسلم سبطي قبل الاذن بقتله وقد أبعد الدلجي في شرحه للخطيئة بعجلته الى ربه فانها في نفسها نقيصة ومن ثم عتبه عليها بشهادة وما أعجلك عن قومك ياموسى فانه سؤال عن سببها تضمن انكارها من حيث انها نقيصة انضم اليها اغفال قومه انتهى ولا يخفى ان هذه جرأة عظيمة ونقيصة فخيمة من الدلجي حيث أثبت خطيئة لكليم الله تعالى هو عنها نزيه وقد لاطفه سبحانه وتعالى بقوله وما أعجلك عن قومك ياموسى ليترتب عليه الجواب بالوجه الاولى كما قال تعالى وما تلك بيمينك ياموسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى فكذا في الجواب هنا قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى أي ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة ابتغاء لمرضاتك في المسارعة الى امتثال أمرك والمبادرة الى الوفاء بوعدك (ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله تعالى) أي ذو روح خاص من خلقه أجراه فيه بنفخ جبريل في جيب درع أمه فاحدثه في بطنها بلا توسط مادة أو اضافته للتشريف كبيت الله وناقة الله (وكلمته) أي حيث كان بكلمة كن أو كان يكلم الناس في المهد بطريق خرق العادة عيانا فكذا ينبغي ان يتكلم في مقام الشفاعة وهول الساعة في موقف القيامة (فيأتون عيسى فيقول لست لها) أي مجازا أو مأذونا لامرها (عليكم بمحمد) فان علمه ووصفه معلم بكون المقام المحمود له خاصة (عبد) بالجر على انه صفة لمحمد وبالرفع على تقدير هو عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أي بالنص في كتابه وأما غيره فمن أبهم في جوابه والحاصل انه غير معاتب بما صدر عنه فيطلب هذا المقام منه (فاوتى) بصيغة المفعول المضارع المتكلم من أتى يأتي وابدال الهمزة الثانية واوا للاجتماع الذي وقع فيه الاجماع والمعنى فيأتون كما في رواية وهي بتشديد النون أي فيجيئونني ويطلبون الشفاعة مني (فاقول أنا لها) أي كائن أو معد أو مختص أو مدخر أو مأذون أو مخلوق (فانطلق) أي الى جهة العرش أو باب الجنة (فاستاذن على ربي) أي في الطلوع الى الكرسي أو في الدخول الى الجنة أو في مقام الشفاعة لما ورد مصرحا به في مكان لا يقف فيه داع الا أجيب ليس فيه بينه وبين ربه حجاب (فيأذن لي) أي ويتجلى على بظهور آثار الجمال وسرمكاشفة أستار الكبرياء والجلال (فاذا رأيته) أي علمته بهذا الحال من أوصاف الكمال (وقعت ساجدا) أي شكرا لما أنعم على من الافضال هذا ولا يبدع أن يكون المراد بالرؤية رؤية الذات الجامعة لجوامع كمال الصفات فانه جائز في الآخرة عند أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة ومن

فهو أقوى على الشفاعة مني (وفي رواية أخرى فانه عبد آتاه الله التوراة) التي هي أعظم الكتب الالهية قبل القرآن (وكلمه) بيان لكونه كليما أو المراد أوحى الله اليه كلامه (وقربه نجيا) أي جعله قريبا منه حال كونه نجيا له أي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا (قال فيأتون موسى) عليه الصلاة والسلام (فيقول لست لها) أي لست أهلا للشفاعة لكم (ويذكر) موسى (خطيئته التي أصاب) أي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله وما أعجلك عن قومك ياموسى كما هو مبين في التفسير (وقتله النفس) وهو القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا لقتله وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلاة والسلام خشي المؤاخذة به ولذا استغفر منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته عليه الصلاة والسلام ثم قال كما قال غيره (نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى) عليه الصلاة والسلام (فانه روح الله وكلمته) تقدم بيانه مفصلا (فيأتون عيسى) عليه الصلاة والسلام (فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد) بدل مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفي نسخة انه عبد (غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) أي غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه (فاوتى) بالبناء للمفعول أي فيأتيني أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم (فاقول لهم أنا لها) الفاء فصيحة أي فيسألوني أن أشفع لهم فاقول لهم أنا أهل للشفاعة مدخر لها (فاستاذن على ربي) اي أطلب منه ان يأذن لي في القرب منه والشفاعة للناس (فيؤذن لي) بالبناء للمجهول أي يأذن الله لي في الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا أجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب وانما انتقل من موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثاني موقف كرامة ولطف ورحمة فهو أدل على قبول الشفاعة واطمئنان قلب الشفيع (فاذا رأيته وقعت ساجدا) أي اذا رأى صلى الله عليه وسلم ربه

عيانا سجد تعظيما لله وشكرا له على تقريبه له وفيه دليل على وقوع رؤية الله في الآخرة (وفي رواية فآتي تحت العرش) أي آتي أنا مكانا تحت العرش قريبا منه (فأخر ساجدا) أي أقع وأسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط سقوطا يسمع معه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو وقوله خروا سجدا تنبيه على اجتماع أمرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله تعالى وسبحوا بحمد ربهم تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشيء آخر انتهى وقال التلمساني هذا المكان الذي يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى فحصة العرش وهي دار عظيمة وجنة هي أوسع الجنان وأكثرها بساتين يجتمع فيها أهل الجنة لرؤية ربهم في كل جمعة ولم تعد الا لرؤيته تعالى واكرام من أكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي المشارق بدل قوله فاوتى فيأتوني وفي شرحه للكازروني انه سمع بتشديد النون وبه ضبط قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند أحمد وقيل مقدارها سبع سنين فانظره (وفي رواية فأقوم بين يديه) أي بين يدي الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه وتصويرله وقيل الضمير للعرش وهو بعيد كذلك (فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن) أي لا أحسنها ولا أعرف كيفيتها في الدنيا (الآن يلهمنيها الله) أي الآن يوقعها الله في قلبي بالهام منه والهام الانبياء عليهم الصلاة والسلام نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبني على دليل (وفي رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشيء ابتداء من غير عسر (وحسن الثناء عليه) هو عطف تفسير لما قبله (شيأ لم يفتحه على أحد قبلي) مطلقا أو المراد انه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده ففيه اكتفاء (قال في رواية أبي هريرة فيقال لي) وأنا ساجد (يا محمد ارفع رأسك) من السجود (وسل) ما شئت من الشفاعة وغيرها (تعطه واشفع تشفع) والفعلان مجزومان في جواب الامر (فارفع رأسي فأقول يارب أمتي يارب أمتي) أي ارحم أو انج أمتي وفي رواية تأتي أمتي أمتي بدون قوله يارب وهو معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء أي يا أمتي وناداهم ليأتوه ويكونوا معه لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم اعتناء بهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر (فيقول) الله له بعد رفع رأسه (ادخل من امتك) أي أذن له في دخول الجنة

من سعادة الزيادة ثم الحكمة في نقله صلى الله تعالى عليه وسلم من موقف العرض والحساب المؤذن بحالة السآمة والملامة الى موقف الرحمة والكرامة لتقع الشفاعة موقع الاجابة لكن يتحرى بدعائه موقف الخدمة فانه أحق بالاستجابة لموضع الحرمة وقد جاء في مسند أحمد ان هذه السجدة والسجدة الآتية بعدها مقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا وجاء في بعض الاخبار ان كل يوم مقدار عشر سنين فهاتان السجدتان كل سجدة مقدار سبعين سنة (وفي رواية فآتي) أي فأجيء (تحت العرش فأخر ساجدا وفي رواية) أي بدل فآتي تحت العرش (فأقوم بين يديه) أي يدي العرش أو بين يدي ربه يعني في مقام العبودية والخلوص عن الملاحظة الغيرية (فأحمده بمحامد لا أقدر عليها) أي الآن كما في نسخة يعني لا أعرفها في الدنيا ولا أقدر على ان أعبر عنها رواية ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن (الا انه) أي لكنه سبحانه وتعالى (يلهمنيها) أي في ذلك المقام لتكميل المرام وفي نسخة الآن يلهمنيها وفي أخرى ان يلهمنيه الله وفي نسخة بمحامد لا أقدر عليه قال النووي هكذا هو في الاصول يعني في أصول مسلم قال وهو صحيح ويعود الضمير في عليه الى الحمد (وفي رواية فيفتح الله على بمحامد) وفي النسخة من محامده (وحسن الثناء عليه) عطف تفسيري على ما قاله الدلجي والاظهر هو التاسيس بالمغايرة فان الثناء أعم من الحمد كما لا يخفى من ان الحمد قد يرد بمعنى الشكر (شيأ) أي عظيما (لم يفتحه على أحد قبلي) أي ولا بعدي من باب الاكتفاء أو بالبرهان الاولى أو المعنى قبل وقتي هذا (قال في رواية أبي هريرة رضي الله تعالى عنه فيقال يا محمد ارفع رأسك) أي رفع الله قدرك (سل) أي لنفسك (تعطه) بهاء السكت على بناء المفعول مجزوما على جواب الامر (واشفع) أي في حق غيرك (تشفع) بتشديد الفاء المفتوحة أي تقبل شفاعتك ولا ترد دعوتك (فأقول يارب أمتي يارب أمتي) أي أسألك عفوهم أولا وعفو غيرهم آخرا أو لوحظ في الامة معنى التغليب للاشرفية أو كان جميع الامة في تلك الحالة كأمته لرجوعهم الى حضرته والتجائهم الى دعوته والتكرير للتأكيد أو أمتي حقيقة أمتي كافة مجازا وهذا كله اذا أريد به المقام المحمود من الشفاعة الكبرى كما هو الظاهر من السياق والسباق واللحاق (فيقول) أي الله سبحانه وتعالى أو ملك بأمره وفي نسخة (فيقال ادخل من أمتك) أي من أهل الاجابة

(من لاحساب عليه) أى لامؤاخذة ولا عتاب اماء دلاو اما فضلا وهو الاظهر فضلا (من الباب الايمن) أى الابرك أو الاقرب بكونه يمينا فان أبواب الجنة من جهة اليمين لاشك انها كثيرة كما يشير اليه قوله (من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب) أى ان اختاروا دخولهم منها وهذا غاية التعظيم ونهاية التكريم انه يعرض عليهم جميع الابواب ويختار لهم الافضل الابرك الاقرب الى ذلك الجناب قال المؤلف فى شرح مسلم للجنة ثمانية أبواب باب الصلاة وباب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وباب الراضين ثم قال فهذه سبعة أبواب جاءت فى الاحاديث ولعل الثامن هو الباب الايمن الذى يدخل منه من لاحساب عليه والله تعالى أعلم (ولم يذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (فى رواية أنس رضى الله تعالى عنه) أى عنه (هذا الفصل) أى من الكلام وهو قوله عليه الصلاة والسلام فى رواية أبى هريرة فيقال يا محمد ارفع رأسك الى قوله فيما سواه من الابواب (وقال) أى فى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه (مكانه) أى بدل ماسبق (ثم أخر) بفتح همز وكسر خاء معجمة فتشديد راء أى أسقط (ساجدا) أى لله متوسلا به لانه أقرب حال يكون العبد من ربه فى مقام قربه (فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك) أى كل كلامك (واشفع تشفع وسل تعطه) أى جميع مرامك (فاقول يارب أمتى أمتى فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة) أى وزنها (من برة) بضم موحدة وتشديد راء أى حنطة (أوشعيرة) شك من الراوى فى رواية مسلم (من ايمان) أى من ثمراته من اعمال القلب كشفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى أو نية صادقة أو نحو ذلك والله تعالى أعلم لان نفس الايمان لا يتجزأ أو يدل عليه وهو ماجاء فى رواية أخرى ولو كان فى قلبه من الخير مايزن كذا (فاخرجه) أى من النار أو من موقف العار (فانطلق) أى فاذهب (فافعل) أى ما أمرت به من اخراج من يستوجب العذاب قال الغزالى وفى مفهوم هذا الحديث ان من ايمانه يزيد على مثقال حبة من برة أو شعيرة لايدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه أولا ومن أهل النار من يعذب قليلا ومنهم من يعذب ألف سنة وأقصاه فى حق المؤمنين سبعة آلاف سنة قال وذلك آخر من يخرج من النار ماورد فى الاخبار (ثم أرجع الى ربى) أى الى مقام الخطاب (فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول) أى مثل ماتقدم أو مثل ماذكر الراوى الاول وهو قوله ثم أخر ساجدا الخ (وقال فيه) أى فى هذا الحديث من رواية مسلم (مثقال حبة من خردل) أى من ايمان والخردل بالدال حب الرشاد والواحد خردلة (فافعل) وفى نسخة قال فافعل (ثم أرجع) أى الى ربه كما فى نسخة صحيحة (وذكر مثل ماتقدم وقال) فى نسخة ثم قال (فيه) أى فى الحديث من رواية مسلم (من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى) ثلاث مرات كذا فى أصول مسلم على ماذكره النووى

(من لاحساب عليه) أى خواص أمتك المتقين الذين لاذنب لهم يحاسبون بسببه (من الباب الايمن من أبواب الجنة) الذى هو أشرف أبوابها وهو الباب الثامن وهو مخصوص بأتقياء هذه الامة (وهم) أى الذين لاحساب عليهم (شركاء الناس فيما سوى ذلك) وفى نسخة فيما سواه (من الابواب) وهى باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم (ولم يذكر فى رواية أنس هذا الفصل) الذى فى رواية أبى هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع رأسك الى هنا (ثم قال مكانه) وفى نسخة وقال مكانه أى أتى به بدلا منه (فاخر) وفى نسخة ثم أخر (ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه) الضمير لما سأل أو هو هاء سكت للوقف (فاقول يارب أمتى أمتى فيقال انطلق) أمر أى اذهب من مقام الشفاعة المقرب به (فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بر أو شعير) المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن وموازنه يقابله ليعرف مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الى آخره بيان للحبة وهى واحدة البر المعروف وقوله (من ايمان) بيان لمثقال أى من كان فى قلبه أقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال أو هى نفسها بناء على جواز تجسيم الاعراض وأمور الآخرة لاتقاس بامور الدنيا (فاخرجه) بقطع الهمزة أمر من الاخراج معطوف على الامر قبله (فانطلق فافعل) ما أمرنى به الله من اخراج من فى قلبه أقل قليل من الايمان وهذه الشفاعة ان كانت هى الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه وان كان المراد مابعدها فالمراد اخراجهم من النار واطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذى وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال (ثم أرجع الى ربى فاحمده بتلك المحامد) التى ألهمتها كما تقدم (وذكر مثل الاول) أى مثل الكلام الاول فى قوله فاخر ساجدا الخ (وقال فيه) أى فى الحديث الذى رواه مسلم (مثقال حبة من خردل) وهو حب معروف فى غاية الصغر والمعنى واحد فى كونه كناية عن غاية قلة الايمان (قال فافعل ثم أرجع الى ربى وذكر مثل ماتقدم وقال فيه) كما رواه مسلم (من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى)

(من مثقال حبة من خردل) وهذا كله مثل للقلة لان الايمان والمعرفة عرض لا يوزن بالكمية وانما يختلف باعتبار الكيفية (فافعل) وفي نسخة قال فافعل أي في المرة الثالثة ما أمرت به من الاخراج (وذكر في المرة الرابعة) أي من رواية البخاري (فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع) كما في نسخة أي يجب قولك وتستجب دعوتك (واشفع تشفع وسل) وفي نسخة واسئل (تعطه فاقول يارب ائذن لي فيمن) أي في شفاعة من (قال لا اله الا الله) أي في اخراج من اكتفى بالتوحيد المقرون باقرار النبوة من النار وادخاله في دار الابرار وفي هذا اشعار بان ماسبق من تقدير مثقال حبة ونحوها من الايمان ثمرته المعبر عنها بالايقان أو العمل بالاركان لا بمجرد الايمان الذي هو التصديق القلبي والاعتراف اللساني فكأنه أراد بمن قال لا اله الا الله من لم يصدر عنه عبادة سواه (قال ليس ذلك) أي الامر بالشفاعة في حقه راجعا (اليك) ولعل وجهه انه لم يصدر عنه ما يوجب المتابعة الباعثة على الشفاعة وانما وقع منه مجرد الطاعة لامر الالهي بالتوحيد الرباني وقبول ارسال النبي الصمداني هذا ولما كان النفي موهما أن لا شفاعة لهم أصلا ولا خلاص لهم فضلا وانما يجب عذابهم عدلا كما توهم المعتزلة في هذه المسئلة فضلا استدرك سبحانه وتعالى وأكده بالقسم وعظم شانه بقوله (ولكن وعزتي وكبريائي) أي ارتفاع مقامي (وعظمتي وجبريائي) بكسر الجيم والراء ممدودا قيل أتى به كذا اتباعا والصحيح انه لغة في الجبروت أي وجبروتي المشعر بالجبر والقهر المشير الى اني لا أبالي (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) أي ولو مرة من غير تكرار ولا كثار يعني من شهد انه لا معبود ولا موجود قادر على كل شئ سواه وبه خص عموم حديث البخاري أسعد الناس بشفاعتي من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه أي وعمل عملا صالحا لربه ويؤيده حديث الشيخين ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط أي غير لا اله الا الله (ومن رواية قتادة عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (فلا أدري في الثالثة أو الرابعة) اعتراض بين قال ومقوله أفاد صدور شك اما من أنس أو من قتادة في أيتهما قال

وهو أفعل تفضيل من الدنو وأصل معناه القرب في المكان أو الزمان أو المنزلة كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وأفعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة أي أقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية أنس تكرير لفظ أدنى ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفاء وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح البخاري من رواية الكشميهني وقوله (من مثقال حبة من خردل) بيان لادنى الادنى وقوله (فافعل) أي أخرج من في قلبه أقل قليل من الايمان (وذكر في المرة الرابعة) من رجوعه الى ربه ومراجعته له في الشفاعة فانه وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة على ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال الطاعة مطلقا أو الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه لمجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لا يقبله فانه لا يقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الى انه يقبله أيضا فان اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك وعدمه وتحقيقه في الكتب الكلامية (فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع) أي تجب ويقبل رجاؤك (واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يارب ائذن لي في) الشفاعة واخراج (من قال لا اله الا الله) أي من نطق بكلمة التوحيد والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا ما من غير مناقشة له وتفتيش عن حاله فما قيل من انه ان اعتبر تصديق القلب اللسان فهو كمال الايمان فما وجه الترقي من الادنى المؤكد وان لم يعتبر دخل فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر (قال) أي الله تعالى (ليس ذلك اليك) أي ليس ذلك مفوضا اليك بل الي (ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي) قسم دال على تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة (وجبريائي) بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وتجوز فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبرياء ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت (لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله) من غير شفاعة أحد واستدل بهذا الكرامية على ان مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد على من قال بخلود أصحاب الكبائر من المعتزلة وما خص النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باخراجه من أثمر ايمانه مزيد يقين أو عمل ما وما أخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شئ عداه ويدل له قوله في حديث الشيخين الذي فيه لم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في رواية أخرى وقوله من قلبه للتأكيد كنظرت بعيني وسمعت باذني (ومن رواية قتادة عنه) أي عن أنس رضي الله تعالى عنه (قال) أي أنس لا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما توهم لان الشك في قوله (فلا أدري في الثالثة أو الرابعة) انما هو من

(فأقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن) أي منعه ترك الايمان بما نزل به القرآن وقوله (أي من وجب عليه الخلود) حاصل المعنى وخلاصة المبنى وهذا تفسير قتادة قيل ومعناه من أخبر القرآن انه مخلد في النار وهم الكفار (وعن أبي بكر) أي الصديق رضي الله تعالى عنه برواية أحمد وابن حبان (وعقبة بن عامر) أي برواية ابن أبي حاتم وابن مردويه (وأبي سعيد) أي برواية الترمذي (وحذيفة) أي برواية أبي داود في البعث (مثله) أي مثل حديث أنس (قال فيأتون محمدا فيؤذن له) أي بالشفاعة (وتأتي الامانة والرحم فتقومان) بالتأنيث تغليبا (جنبتي الصراط) بفتح النون وتسكن أي جانبيه وناحيتيه

وطرفيه يمنة ويسرة والمعنى انهما يمثلان أو يجسمان فيشهدان للامين والواصل وعلى الخائن والقاطع وقال بعضهم ويجوز ان تحمل الامانة على الامانة العظمى المؤذن بها آية انا عرضنا الامانة والرحم على صلتها الكبرى المشير اليها قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام فيدخل في الحديث معنى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فكأنهما اكتنفتا جنبتي الصراط المستقيم والدين القويم هذا وقد جاء ان الصراط صعوده ألف سنة واستواؤه ألف سنة وهبوطه ألف سنة وفي مسلم عن أبي سعيد بلغنا انه أحد من السيف وأدق من الشعر وهذا جاء مسندا مرفوعا عنه عليه الصلاة والسلام

واما قول الحلبي فان قيل الصراط مم هو فقال فالجواب انه شعرة من جفون عين مالك فغير منقول المبنى ولا معقول المعنى فلا يجزم بهذا الجواب بل يقال في مثل هذا لا أدري لانه نصف العلم والله تعالى أعلم بالصواب (فذكر) وفي نسخة وذكر بالواو (في رواية ابن مالك) كما أخرجه أبو داود في البعث (عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط) بصيغة المجهول أي فيوضع على متن جهنم جسر ممدود وفي حديث الحاكم على شرط مسلم ورواه غيره أيضا يوضع الصراط مثل حد الموسى

الراوي والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم قيل في هذا الحديث اشكال لان أوله يدل على ان هؤلاء أهل الموقف والمحشر وآخره يدل على انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته وأجيب بانهم صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم أخرجوا منها بشفاعته ففي الكلام اختصار وطي (فأقول يارب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود) أي لم يبق بعد هؤلاء الخارجين الا من حكم الله في القرآن بخلوده في العذاب ولم يؤذن في الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا أي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ونحوه من الآيات كقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا (وعن أبي بكر) الصديق (وعقبة بن عامر وأبي سعيد) الخدري الصحابي المشهور (وحذيفة) بن اليمان (مثله) أي مثل الحديث السابق (قال) أي قال كل واحد منهم أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (فيأتون محمدا) يأباه ظاهرا اذ الظاهر ان يقول يأتوني أي يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة الانبياء وذكرهم العذر في عدم الشفاعة لهم والآتون هم أشراف أهل المحشر من أتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلماء العاملون يلهمهم الله تعالى طلب ذلك من الانبياء قال وبين اتيانهم لكل نبي وآخر بعده ألف عام لكن قال الحافظ ابن حجر هذا التعيين للزمن لم أقف له على أصل وقد أكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى (فيؤذن له) أي يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في الشفاعة (وتأتي الامانة والرحم فتقومان عن جنبتي الصراط) أي ناحيته يمنة ويسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة وأصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان ويجسمان بقدرة الله تعالى ليشهدا على الخائن وقاطع الرحم وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وهذا التعظيم أمر الله وشفقته على خلقه وفي هذا ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية ورأى يحيى بن اليمان رجلا نائما وهو اسود الرأس واللحية شاب فاستيقظ وهو أبيض شعر الرأس واللحية فاخبره انه رأى في منامه كأن الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس فدعي فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا فشاب من ذلك (وذكر في رواية أبي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم) في الخلاص من الموقف وهوله نسأل الله السلامة (فيضرب الصراط) أي يوضع كما ورد في رواية أخرى وعبر به فيما يأتي من ضرب الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لدق أوتاده وأطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد

(فيمرون) أى عليه كما فى نسخة وجاء فى رواية فيتهافت أهل النار فيها وينجو أهل الجنة منها كما قال تعالى ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (أولهم كالبرق) أى الخاطف كما فى رواية (ثم كالريح والطير) أى وكالطير (وشد الرجال) بالجيم أى عدوهم وجريهم وقد اخطئ من رواه بالمهملة وهو العرفى وجعله جمع رحل وهى رواية ابن ماهان والمراد به هنا الناقة فان الرحل ما يوضع على البعير ثم يعبر به تارة عن البعير مجازا لكن الاول هو الصحيح المعروف بخط المصنف مضبوط بالجيم وهو كذا لكافة رواة مسلم وعند الهروى الرحال بالحاء قال ابن قرقول وهو تصحيف هذا وقد أغرب بعضهم فى قوله ان المرور للصراط بهم (ونبيكم) بالرفع يعنى نفسه على طريقة التجريد (على الصراط) أى مستعليا (يقول اللهم سلم سلم) التكرير للتكثير أى بالنسبة الى كل أحد من دعوة التغرير ويؤيده قوله (حتى يجتاز الناس) وحتى تحتمل الغاية والعلة (وذكر) أى النبى عليه الصلاة والسلام (آخرهم جوازا) بفتح الجيم أى مرورا على الصراط ولو روى بكسرها لجاز ويكون معناه مجاوزة عنه (وفى رواية أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فأكون أول من يجيز) بضم الياء وكسر الجيم وبالزاى أى من يمضى عليه ويقطعه وفى نسخة يجوز وهما لغتان يقال جاز وأجاز بمعنى كما ذكره النووى وزاد فى نسخة صحيحة يومئذ

فقال ان ضر به يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضر به لاستعجالهم وتخويفهم وهذا مما يقتضى منه العجب وهو جسر ممدود أى منصوب عليها العبور المسلمين عليه الى الجنة وعن الفضيل بن عياض قال بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة خمسة الآلاف صعود وخمسة الآلاف مستوى لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله عز وجل وهذا معضل لا يثبت فتأمل نفسك اذا جزت على الصراط ووقع بصرك على جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها وكيف بك اذا وضعت احدى رجليك عليه فأحسست بحده ثم اضطررت الى ان ترفع القدم بعد القدم والخلائق بين يديك يزلون والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر الى ذلك فياله من منظر ما أقطعه ومدبصر ما أصعبه ومجاز ما أضيقه نسأل الله السلامة والاعانة والعافية انتهى وهو على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف أو الموسى وعند ابن المبارك وابن أبى الدنيا عن سعيد ابن هلال بلغنا ان الصراط أدق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادى الواسع وهو مرسل أو معضل انتهى كما ورد فى الحديث وما قيل انه شعرة من عين مالك لا أصل له وانما هو من أكاذيب الوعاظ وأصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاى كما بين فى اللغة وكتب التفسير وعلم القراآت (فيمرون) أى يمر الناس عليه فمنهم من يقع فى النار ومنهم من ينجو وهم فرق (أولهم كالبرق) فى السرعة من غير مهلة ومشقة (ثم كالريح والطير) فى السرعة مع الزمان الممتد أكثر من الاول (وشد الرجال) بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صحح فى النسخ والشروح وصحح العزفى تلميذ المص رواية عنه كما نقله التلمسانى انه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهى رواية ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن البعير انتهى فما قيل ان روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ وان كان لا يخلو من التكلف وفى بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بايراده والشد سرعة الجرى وقال الراغب انه مستعار من قولهم أشد الريح وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم (ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم) فى هذا الحديث يعنى به نفسه على طريق التجريد المعروف فى علم البديع (على الصراط) يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عنده لكنه لقربه منه كالواقف عليه (يقول اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع فى جهنم (حتى يجتاز الناس) يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور وهو غاية لقوله أى لا يزال يقوله حتى يمروا أو علة له أى قوله حتى يسلموا فيمروا والناس أعم من أمته (وذكر آخرهم جوازا الحديث) أى أذكره أى سمى آخر من يمر على الصراط قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد وأحدهما اسم والآخر لقب والذى رأيناه ان جهينة آخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر فى كتب الحديث وفى شرح التلمسانى قيل آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه فى الصحيح وروى ان الحسن قال ياليتنى كنت هنادا فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان فى الحديث وقيل لان بدخوله الجنة كملت النعمة على أهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى (وفى رواية أبى هريرة فأكون أول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان فهو أول من يجيز أمته من الرسل وهو يقتضى ان المراد بالناس السابق أمته وانهم أول الامم جوازا على الصراط فله صلى الله عليه وسلم قصب السبق فى كل أمر فهو أول من نبئ فى عالم الارواح والذر وأول من يشفع وأول من يفتح باب الجنة وأول من يدخلها

وأول من يجيز أمته على الصراط و يجيز مضارع وليس بمعنى جاز كما قيل (وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) انه قال (توضع للانبياء) عليهم الصلاة والسلام فى أرض المحشر (منابر من نور) جمع منبر أى كرسى مرتفع (يجلسون عليها) والناس وقوف على أقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن بهم و يخزى من كفر (و يبقى منبرى) خاليا عنى (لاأجلس عليه) حال من المضاف وقوله (قائما) حال من فاعل اجلس فهى متداخلة لاحال بعد حال (بين يدى ربى منتصبا) أى قريبا منه تعالى قربا معنويا بالتنزه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى أنه من المقربين فى حظائر القدس الناظرين فى أمور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله (فيقول الله ماتريد ان أصنع بامتك) لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه وهو فى صورة الاستشارة له (فاقول يارب عجل حسابهم) أى قدم النظر فى أمورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف و يدخل الجنة من هو داخلها منهم و يعلم من عذب منهم عدم خلوده فى النار فلا منافاة بين هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها لايحاسب أحد يوم القيامة الادخل الجنة (فيدعى بهم) أى بامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبنى للمجهول كقوله (فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيآته ولطف الله تعالى به (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) اذ وذلك رحمة أيضا (ولا أزال أشفع) فى العصاة (حتى أعطى صكاكا) غاية أو علة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة جمع صك كصكوك واصك وهو الورقة التى تكتب للصالح والعرف خصها بحجة القاضى وهو معرب جك بالجيم المعجمة (برجال قد أمر بهم الى النار) فهى متعلقة بهم فكأنها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وأمر مبنى للمجهول أى أمرهم الله باخذهم ليدخلوها أو باخراجهم بعدما دخلوها (حتى ان خازن النار) الملك الموكل بها وهو مالك أو المراد خزنتها فيشمل مالكا واتباعه (ليقول) لمارآه من كثرة انقاذه لمن أمر به (يامحمد ماتركت لغضب ربك فى أمتك من نقمة) الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر أوله العذاب أى لم تدع أحدا ممن استحق العذاب يعذب وحتى هنا ابتدائية (ومن طريق زياد) بن عبد الله البصرى (النميرى) بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة سميت باسم أبيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لايحتج به وهذا الحديث رواه البيهقى وأبو نعيم فى الحلية (عن أنس انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق الارض) أى تنشق والفلق شق الشئ وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح (عن جمجمته) بضم الجيم الاولى والثانية وهى الرأس أو قحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ وخصها لانها أول مايظهر منه (ولا فخر) أى لا أقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما أنعم الله به على وتحدثا بنعمته ولا ينافيه ماورد فى الحديث * لاتفضلونى على موسى فان الناس يصعقون فاكون أول من يفيق فاذا موسى آخذ بساق العرش لانه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بانه سابق عليه فى البعث وانه لايلزم منه أفضلية موسى عليه فتأمل (وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر) المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وأشرفهم فى الدنيا والآخرة وخص الثانى بالذكر لعدم اعتداده بغيره أولانه يعلم منه بالطريق الاولى أولانه مسلم لاينكر كما

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه عنهما) أى كما رواه الشيخان (عنه عليه الصلاة والسلام يوضع) يجوز تذكيره وتأنيثه (للانبياء منابر) أى على قدر مراتبهم (يجلسون عليها و يبقى منبرى لاأجلس عليه قائما) أى تاركا جلوسى حال قيامى (بين يدى ربى منتصبا) أى على هيئة طالب الحاجة عند صاحب النعمة (فيقول الله تبارك وتعالى ماتريد ان أصنع بامتك فاقول يارب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته) أى بتوفيق طاعته (ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى) أى لتقصيره فى متابعتى (ولا أزال أشفع حتى أعطى) بصيغة المفعول للمتكلم (صكاكا) بكسر الصاد جمع صك بفتح الصاد فارسى معرب أى كتبا (برجال) أى باشخاص كتب فيها أسماؤهم (قد أمر بهم الى النار) أى أولا فيقع خلاصهم بالشفاعة آخرا (حتى ان خازن النار) بكسر الهمزة وفتحها (ليقول) بفتح اللام المؤكدة (يامحمد ماتركت لغضب ربك فى أمتك من نقمة) بكسر نون وسكون قاف ويقال انها ككلمة أى عقوبة وفى نسخة بقية أى من نفس باقية (ومن طريق زياد) أى ابن عبد الله (النميرى) بضم النون وفتح الميم بصرى اختلف فى توثيقه وتضعيفه (عن أنس) كما رواه البيهقى وأبو نعيم (ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أنا أول من تنفلق) بالفاء بعد النون أى تنشق وتنفرق (الارض عن جمجمته) بضم الجيمين أى عن رأسه ومنه قوله تعالى فالق الحب والنوى أى شاقهما للانبات والمعنى انه أول من ينشق عنه القبر فى البعث (ولا فخر) أى ولا أقول فخرا بل أتحدث شكرا أو أمتثل أمرا (وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر

(ومعى

ومعى لواء الحمد يوم القيامة وأنا أول من يفتح له الجنة) أى بابها (ولا فخر) أى فيه وفيما قبله أيضا (فآتى) الفاء تفصيلية أى فاجئ (فآخذ بحلقة الجنة) بسكون اللام وتفتح والمعنى فاحركها كما فى رواية (فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لى فيستقبلنى الجبار تعالى) أى بتجلى الصفات العلى (فاخرله ساجدا) أى استعطافا له على مراده وطلبا منه لمرضاته على عباده (وذكر نحو ما تقدم) أى من رواية عباس رضى الله تعالى عنهما (ومن رواية أنيس) تصغير أنس وفى نسخة من رواية أنس والاول هو الصواب وهو رجل من الانصار روى عنه شهر بن حوشب ولم ينسبه ولم يرو عنه غيره حديثه كذا فى الاستيعاب وقال اسناده ليس بالقوى (سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر) وقد رواه أحمد بسند حسن عن بريدة انى لاشفع الخ والمعنى لعدده وأكثر مما فى الارض جميعها من حجر وشجر والقصد الكثرة أو المراد بهما نوع من الحجر والشجر فتدبر وقد أبعد الدلجى حيث قال ولا يستبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم والناميات والجمادات مما لا يعقل فرقا من حر نار جهنم وبرد زمهريرها نعوذ بالله منها (فقد اجتمع من اختلاف هذه الآثار) وفى نسخة صحيحة من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أى الاخبار المنقولة عن الاخيار (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى للخلق (ومقامه المحمود) أى بين يدى الحق (من أول الشفاعات) وهو الشفاعة العظمى لفصل القضاء (الى آخرها) وهو اخراج المؤمنين من النار (من حين يجتمع الناس) بفتح النون وفى نسخة بالتنوين أى من وقت فيه يجتمع الناس (للحشر) بهذا الجار والمجرور خبران أو ما قبله هو الخبر وهذا ظرف لوقوع الشفاعات وظهور مقامه المحمود فيه ومن ابتدائية أى فابتداؤهما من حين اجتماعهم للحشر بعد سؤالهم الانبياء ليشفعوا كما يشير اليه قوله (وتضيق بهم الحناجر) حتى لا يكاد أحدهم يخرج نفسا من تفاقم الهم وتراكم الغم بصوادع القول وصوارع الهول فيرتفع الى الحنجرة وهى رأس الغلصمة حيث تراها ناتئا فيضيق ومنه قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وهذا كناية عن ضيق الاحوال عند مشاهدة الاهوال

(ومعى لواء الحمد يوم القيامة) أى معى لواء موضوع عندى أو هو بيده صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى أخذ الرئيس اللواء والمراد لواء الرياسة العظمى الذى يحمده ويغبط به سائر الخلق لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به وهو على حقيقته أو كناية عن تقدمه على غيره (وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر) أى يفتح له بابها وفى نسخة أبواب الجنة (فآتى فآخذ بحلقة) باب (الجنة) بسكون اللام كما مر أى أمسكها وأحركها حتى يسمع خزنتها (فيقال من هذا) الذى دق الباب (فاقول) انا (محمد فيفتح لى) لعلمهم بانه أذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك (فيستقبلنى الجبار تعالى) أى فارى الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء وانتقام كما ان الله غضب فى ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده (فأخر له ساجدا) لما شاهده صلى الله عليه وسلم من عظمة الله تعالى وانعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه قال التلمسانى فى هذا تمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم فى سلطانه وكرسى مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له واظهار العظمة مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلنى الرحمن لا الجبار (وذكر نحو ما تقدم) من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل (ومن رواية أنيس سمعت رسول الله عليه السلام يقول) بالتصغير فى بعض النسخ أنس مكبرا والصحيح الاول وهو صحابى أنصارى أشهلى ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وروى عن شهر بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبرانى فى الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوى وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (لاشفعن يوم القيامة لاكثر مما فى الارض من حجر وشجر) أنه يشفع لناس أكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها (فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار) أى اذا سمعت ما تقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف ألفاظها فى شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها (ان شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود) بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الآتى من حين الى آخره فلا يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر وقوله (من أول الشفاعات الى آخرها) بيان لمقامه المحمود وفيه اشارة الى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قال القرطبى انها أربعة وفى الحديث زيادة عليها وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم ولمن أمر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج من دخل النار منها ولرفع درجات أهل الجنة كما مر جميع ذلك (من حين يجتمع الناس للحشر) هذا خبر ان ومن ابتدائية (وتضيق بهم الحناجر) هذا كناية عن شدة

(ويبلغ منهم) أي يؤثر فيهم (العرق) أي عرق الحجالة (والشمس) أي حرارتها مع دنوها (والوقوف) أي تعب القيام على أرجلهم (مبلغه) أي نهاية وصوله وغاية حصوله (وذلك) أي وجميع ما ذكر من أنواع التعب الحاصل لعامة الخلق (قبل الحساب) أي الذي يترتب عليه الثواب والعقاب (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) بالراء أي لتخليصهم من تعبه وبالزاي لازالتهم وتبعيدهم من نصبه (ثم يوضع الصراط) أي على ظهر جهنم كما ورد (ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله تعالى عنهما) أي كما سبق (وهذا الحديث أتقن) بالتاء الفوقية والقاف أي احكم وبالقبول أحق ولو روي بالياء التحتية لجاز ومعناه أثبت (فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته الى الجنة) أي أولا (كما تقدم في الحديث) أي السابق (ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب) أي استحق العقاب لارتكاب المعاصي من المؤمنين (ودخل النار منهم حسب) بسكون السين وفتحها ونصبه على المصدر أي وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) أي بالدلالات الصريحة (ثم فيمن قال لا اله الا الله) أي وعمل عملا ما يقتضاه (وليس هذا) أي قبول شفاعته لمن قال لا اله الا الله (لسواه صلى الله تعالى عليه وسلم) أي من بين الشفعاء (وفي الحديث المنتشر) أي المشتهر (الصحيح) أي الوارد في الصحيحين (لكل نبي دعوة) أي عامة (يدعو بها) أي لامته أو عليهم وقد دعا بها كل منهم في الدنيا كما وقع لنوح وصالح وهود وموسى عليهم السلام (واختبأت) وفي رواية ادخرت (دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة) أي لاجل النفع العام في أهم المقام (قال أهل العلم) أي بعضهم (معناه) أي معنى حديث لكل نبي دعوة لكل منهم (دعوة أعلم) بصيغة المجهول أي أعلم (انها) أي تلك الدعوة (تستجاب لهم) أتى بضمير الجمع نظرا الى معنى كل وأفرد في أعلم باعتبار لفظه وفي رواية اعلموا بصيغة الجمع مجهولا وهو ظاهر (ويبلغ) بصيغة المجهول أي يوصل (فيها مرغوبهم) ويحصل مطلوبهم (والا) أي وان لم يكن كذلك ولم يحمل على ماهنا لك

الهول والكرب والحشر جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم أو طبقتان منه مما يلي الغلصمة أو رأسه أو المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال الله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين (ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف (والشمس والوقوف مبلغه) أي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول اليها وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا هذا أمر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الماء في مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السوء ومبلغ الشمس قدر ميل وهذا أيضا خارق للعادة فان الشمس ليست في سماء الدنيا كما انهم عراة ولا يرى أحدهم عورة غيره (وذلك قبل الحساب) الاشارة الى اجتماعهم للحشر (فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف) أي حين اذ تضيق الحناجر ويبلغ ذلك مبلغه (ثم يوضع الصراط) السابق ذكره ومر انه ليس شعرة من جفن مالك كما قيل (ويحاسب الناس كما جاء في الحديث) الذي تقدم ذكره (عن أبي هريرة وحذيفة وهذا الحديث أتقن) أي أكثر اتقانا من غيره (فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من) أتقياء (أمته) ويشفع معلوم أو مجهول لكونه معلوما (الى الجنة) متعلق بتعجيل (كما تقدم) من دخولهم من الباب الايمن (ثم يشفع) شفاعة ثانية (فيمن وجب عليه العذاب) أي تحقق فالوجوب ليس على ظاهره (ودخل النار منهم) كما تقدم (حسب) بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية أو الظرفية أي على وفق ومثل (ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة) السالفة (ثم) يشفع (فيمن قال لا اله الا الله) خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس اليك قلت أجيب عنه بانه ليس فيه الا أن اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو لا ينافي اخراجهم بشفاعته وفيه خفاء وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل المراد من أثمر توحيده زيادة طمانينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه (وليس هذا) أي الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله (لسواه) من الشفعاء (وفي الحديث المنتشر) أي الشائع ولا يلزم منه صحته فلذا قال (الصحيح) لذي رواه الشيخان (لكل نبي دعوة يدعو بها) تقدم ان المراد بها دعوته لجميع أمته لا المخصوصة به أو ببعض أمته والا فللانبياء عليهم الصلاة والسلام دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض أممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة) وأشار المصنف رحمه الله تعالى الى جواب آخر بقوله (قال أهل العلم معناه) أي معنى هذا الحديث المقصود منه (دعوة أعلم) بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول أي أعلمه الله وروي اعلموا بالبناء للمجهول أي الانبياء وعلى الاول النائب للفاعل ضمير مستتر وقوله (انها تستجاب لهم) مفعول ثان له أي يتيقنون اجابتها (ويبلغ فيها مرغوبهم) بالبناء للمجهول ومرغوبهم أي مطلوبهم الذي رغبوا في حصوله وأحبوه نائب الفاعل (والا) أي وان لم نقل ان معناه ما ذكر

(فكم) أى فكثيرا (لكل نبى منهم من دعوة مستجابة) أى استجيبت لهم فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم منها) أى من أصناف الدعوة (ملا يعد) أى مالا يحصى (لكن حالهم) أى فى باقى دعواتهم (عند الدعاء بها) أى بالدعوة التى لم يعلموا باستجابتها (بين الرجاء والخوف) وهولا ينافى غلبة رجاء المراد على خوف فوته فى بعض المواد (وضمنت لهم) بصيغة المجهول مخففا أى جعلت مضمونة (اجابة دعوة) أى واحدة (فيما شاؤه) أى أرادوه واختاروه (يدعون بها على يقين من الاجابة) حال من ضمير يدعون (وقد قال محمد بن زياد) أى الجمحى البصرى يروى عن أبى هريرة وعائشة رضى الله تعالى عنهما وغيرهما وعنه شعبة والحمادان وآخرون ثقة (وأبو صالح) أى السمان الزيات الكوفى هو من الأئمة الثقاة روى عن عائشة وأبى هريرة وغيرهما وعنه بنوه وخلق سمع منه الاعمش ألف حديث توفى بالمدينة واسمه ذكوان بالذال المعجمة (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى هذا الحديث لكل نبى دعوة دعابها) أى استعجل بها (فى أمته) أى فى هلاكهم أونجاتهم (فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتى) بهمزة يبدل وفى نسخة صحيحة أدخر بالدال المشددة أى أجعلها ذخيرة لوقت الشدة (شفاعة لامتى يوم القيامة وفى رواية أبى صالح عن أبى هريرة) كما فى الصحيحين (لكل نبى دعوة مستجابة) أى فى حق عامة أمته (فتعجل كل نبى دعوته) أى طلب حصولها فى الدنيا وانى ادخرت شفاعتى لامتى فى العقبى أى فان نفعها أعم وأبقى زاد مسلم فهى نائلة أى واصلة وشاملة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيا (ونحوه فى رواية أبى زرعة عن أبى هريرة) وأبو زرعة هذا هو عارم بن عمرو بن جرير بن عبد الله البلخى الكوفى يروى عن جده وغيره وروى عنه خلق من التابعين ووثقه ابن معين وغيره (وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبى هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة) أى فى حق العامة (والا فقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه سال) أى ربه (لامته) أى لبعضهم أولكلهم (أشياء من أمور الدين والدنيا أعطى بعضها ومنع بعضها) أى من حيث انها لم تكن مضمونة الاجابة (وادخر لهم هذه الدعوة) أى لعامة الامة التى هى مضمونة الاجابة (ليوم القيامة) وفى نسخة صحيحة ليوم الفاقة أى لوقت شدة الحاجة (وخاتمة المحن) أى وغاية أنواع المحنة ونهاية أصناف الشدة

بان يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع (فكم لكل نبى من دعوة مستجابة) أى أجاب الله تعالى دعاءه بها فى الدنيا (ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا (منها مالا يعد) من الدعوات المشاهد استجابتها (ولكن حالهم عند الدعاء بها) قبل تحقق اجابتها (بين الرجاء) لاجابتها (والخوف) من عدم قبولها (وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤ يدعون بها على يقين من الاجابة) أى ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هى الدعوة المذكورة فى هذا الحديث والجار والمجرور حال أى متيقنا اجابتها ثم أشار الى جواب آخر بقوله (وقد قال محمد بن زياد) الجمحى البصرى الثقة الذى أخرج له أصحاب الكتب الستة (وأبو صالح) ذكوان السمان الثقة (عن أبى هريرة فى) تاويل (هذا الحديث) وتفسيره (لكل نبى دعوة دعابها فى) حق (أمته) وشانهم سواء كانت لهم أم عليهم (فاستجيب له وأنا أريد أن أؤخر دعوتى شفاعة) بالنصب أى لاجل الشفاعة (لامتى يوم القيامة وفى رواية أبى صالح) السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان عنه (لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته) فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام بشارة يطلب فيه البسط (ونحوه فى رواية أبى زرعة) بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الامام الثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة وقد اختلف فى اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو (عن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه (وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبى هريرة) أى موافقة لها معنى وأشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله (فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة مضمونة الاجابة والا) أى وان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف (فقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم انه سأل لامته أشياء من أمور الدين والدنيا منع بعضها وأعطى بعضها) فتبين انها ليست الدعوة الموعود بها وهذا اشارة لما فى الصحيح من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت الله عز وجل ثلاث خصال فاعطانى ثنتين ومنعنى واحدة منها سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الامم فاعطانيها وسألته ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسألته ان لا يلبسنا شيعا وفى رواية يذيق بعضنا باس بعض فمنعنيها وهو المذكور فى سورة الانعام فى آية قل هو القادر على أن يبعث الخ ومن فسر الدعوة التى ادخرها بهذا فقد أخطا وغفل عن قوله (وأدخر لهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة أى جعلها ذخيرة مؤخرة (ليوم الفاقة) وهى الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيامة لاحتياج الناس فيه الى رحمة الله تعالى وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره (وخاتمة المحن) جمع محنة بكسر الميم وهى البلية المحيرة يعنى هول

الموقف اذ لا بلية بعده الا النار (وعظيم السؤال والرغبة) بالجر معطوف على يوم الفاقة أو على الفاقة أو جعل اليوم نفس محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله أو هو أخص منه ولما ذكر ما تفضل به النبي صلى الله عليه وسلم على أمته الداخل فيهم دخولا أوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله (جزاه الله) تبارك وتعالى (ما جزى نبيا عن أمته) أي بما جزاه أو بمثله وفي نسخة أحسن (وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا) دائما أبدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته تركناه خوف السآمة مع لا فائدة فيه والله تعالى أعلم

* (فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم) * على غيره (في الجنة بالوسيلة) أصل الوسيلة أمر يكون موصلا لامر تبتغيه كالهدية والتودد ونحوه وقال الراغب الوسيلة التوسل الى الشئ برغبة وهي أخص من الفضيلة ولتضمنها معنى الرغبة عديت بالى قال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة الى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة انتهى والمراد بها منزلة عالية في الجنة كما سيأتي فهو مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح في العبارة قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانها المقرب (والدرجة الرفيعة) أي المرتفعة العالية والدرجة هنا المنزلة وأصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم نر هذه اللفظة في الدعاء الذي يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكره في الدعاء لا أصل له (والكوثر) تقدم تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة (والفضيلة) فعيلة من الفضل ضد النقص ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي واقتصر في الرواية على ما في أبي داود دون الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته (والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد) تقدم أيضا (بقراءتي عليهما) لا بسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذا أعلى من السماع من شيخه كما علمت (قالا حدثنا أبو علي الغساني) الجياني السابق ذكره قال (حدثنا النمري) بفتح النون والميم وهو الامام ابن عبد البر المتقدم قال (حدثنا ابن عبد المؤمن) قال (حدثنا أبو بكر التمار) بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبد الله بن محمد ابن عبد المؤمن القرطبي وأبو بكر التمار تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا أبو داود) الحافظ صاحب السنن وقد تقدم أيضا قال (حدثنا محمد بن سلمة) بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في أوله سهو من الناسخ وهو أبو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري أخرج له أصحاب الكتب الستة وتوفي سنة مائتين وثمان وأربعين قال (حدثنا ابن وهب) هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته (عن ابن أبي لهيعة) بفتح أوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك وأصحاب السنن وتوفي سنة مائة وأربع وسبعين (وحيوة)

(وعظيم السؤال) بسكون الهمز ويبدل وهو الامنية (والرغبة) عطف تفسيري (جزاه الله) أي عنا (أحسن ما جزى) أي الله تعالى (نبيا عن أمته) أي ورسولا عن دعوته (وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا) أي سلاما كثيرا يترتب عليه مراما كبيرا هذا وقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال سألت ربي لامتي ثلاثا فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يهلك أمتي بالسنة فاعطانيها وسألته ان لا يهلك أمتي بالغرق فاعطانيها وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وفي مسلم استأذنت ربي في ان أستغفر لها يعني أمه فلم يؤذن لي واستأذنت في ان أزور قبرها فاذن لي والله سبحانه وتعالى أعلم ثم قيل آخر من يخرج من النار هناد بعد سبعة آلاف سنة قال الحسن ياليتني كنت هنادا يعني لقطعه بحسن الخاتمة خوفا من سوء العاقبة فنسأل الله تعالى العافية

* (فصل في تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم في الجنة بالوسيلة) * وهي منزلة القربة والوصلة (والدرجة الرفيعة) أي العالية التي ليس فوقها درجة (والكوثر) فوعل من الكثرة ومعناه الخير الكثير والعطاء الوفير وفي الحديث أعطيت الكوثر وهو نهر في الجنة يعني ويصب منه في حوض الكوثر يوم القيامة (والفضيلة) أي الصفة الزائدة التي عجز عن بيانها الواصفون مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا يبعد ان يراد بها أنواع الفضيلة فهو تعميم بعد تخصيص (حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي) تقدم (والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد) سبق (بقراءتي عليهما قالا ثنا) أي حدثنا (أبو علي الغساني) بتشديد السين المهملة مر ذكره (قال ثنا النمري) بفتح النون هو الحافظ ابن عبد البر (ثنا ابن عبد المؤمن) أي عبد الله بن محمد بن المؤمن القرطبي (ثنا أبو بكر التمار) بتشديد الميم نسبة الى التمر (ثنا أبو داود) وهو محدث العصر صاحب السنن (ثنا محمد بن سلمة) أي المرادي أبو الحارث المصري وكان أحد الائمة الاثبات (ثنا ابن وهب) سبق ذكره (عن ابن لهيعة) بفتح فكسر حضرمي بصري ضعيف وكان قاضي مصر (وحيوة) بفتح الحاء المهملة وسكون التحتية ابن شريح المصري الحمصي كان حافظا مجاب الدعوة روى عنه البخاري وغيره

(وسعيد ابن أبي أيوب) أي المصري ثقة (عن كعب بن علقمة) وفي نسخة عن كعب عن علقمة والاول هو الصواب كما صرح به الحلبي وغيره وهو تابعي روى عن سعيد بن المسيب وطائفة وعنه الليث وجماعة (عن عبد الرحمن بن جبير) بضم الجيم وفتح الموحدة مصري فقيه مقرئ ثقة وكان مؤذنا (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) وفي نسخة العاصي بالياء والصواب الاول (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) قال الحلبي هذا الحديث أخرجه القاضي كما ترى من سنن أبي داود وقد أخرجه أبو داود في الصلاة وأخرجه مسلم أيضا فيها بالسند الذي أخرجه أبو داود سواء الا انه قال عن ابن وهب عن حيوة بن شريح وسعيد بن أيوب وغيرهم كلهم عن كعب بن علقمة به وأخرجه الترمذي في المناقب وقال صحيح والنسائي في الصلاة وفي اليوم والليلة وانما أخرجه المصنف من عند أبي داود ولم يخرجه من عند مسلم للتنوع في الروايات ولان بينه وبين أبي داود في هذا الحديث خمسة أشخاص بالسماع وروى الاجازة عن أبي علي الغساني كان بينه وبينه أربعة وليس كذلك مسلم فسلم يقع له بالسماع بينه وبينه ستة وتارة خمسة فوقع له حديث مسلم موافقة في شيخه انتهى وحاصله انه انما أسنده الى أبي داود دون مسلم لقرب سنده اليه (اذا سمعتم المؤذن) أي صوته وفي نسخة يؤذن أي حال كونه يؤذن أو حين اذانه (فقولوا مثل ما يقول) أي من كلمات الاذان جميعها الا الحيعلتين لحديث مسلم وغيره عن عمر المستفاد منه انه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله ثم هل الامر بالقول المعلق بالسماع واجب على من سمع حيث لا مانع أو مندوب قال النووي فيه خلاف ذكره الطحاوي والصحيح عن الجمهور ندبه واختلفوا هل يندب عند سماع كل مؤذن أو الاول فقط والاصح يندب اجابة الكل وكون الاول آكد (ثم صلوا علي) قال الحلبي صرفه عن الوجوب الاجماع (فانه) أي الشان (من صلى علي مرة) كذا في الاصول وكأنها سقطت من أصل الدلجي فقال أي مرة بقرينة المقام (صلى الله عليه) أي بها كما في أصل الدلجي وقال بالمرة أو بالصلاة مرة لكنه هو غير موجود في الاصول والمعنى رحمه وضعف أجره (عشرا) أي باعتبار أقل المضاعفة الموعودة بقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (ثم اسئلوا) وفي نسخة ثم سلوا (الله لي الوسيلة فانها منزلة) أي عظيمة كائنة (في الجنة لا تنبغي) وفي نسخة لا ينبغي أي لا تحصل أو لا تليق (الا لعبد) أي كامل (من عباد الله) أي من أنبيائه وأصفيائه (وأرجو أن أكون انا هو) ثم جوز ان يجعل انا مبتدأ خبره هو والجملة خبر أكون وان يجعل تأكيد الاسمها وخبرها وضع موضع اياه أو موضع اسم اشارة أي أنا ذلك العبد وأتى بلفظ الرجاء تأدبا

بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وواو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يغير فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مائتين وأربعة وعشرين وروى عنه أصحاب السنن (وسعيد بن أبي أيوب) أبو يحيى بن مقلاص الخزاعي المصري الثقة أخرج له أصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة (عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن جشم الانصاري الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة أربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الاول (عن عبد الرحمن بن جبير) القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع وتسعين وأخرج له أصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره (انه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقول) حال عبر بالمضارع للحكاية حتى كانه مشاهد حاضر (اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول) من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب واذا تكرر سماعه تكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول أصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها وعند قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت قيل ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه (ثم صلوا علي) أي قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا مندوب أيضا (فانه من صلى علي) أي أتى بصيغة من صيغ الصلاة مرة واحدة بقرينة قوله (صلى الله عليه بها) أي بصلاته وضميرانه للشان (عشرا) لتضاعف الحسنات (ثم سلوا الله لي الوسيلة) أي ادعوا الله لي بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله (فانها منزلة في الجنة) أي مقام عال فيها أعلى مما عداه (لا ينبغي) أي لا يليق اعطاؤها (الا لعبد) عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير للتعظيم (من عباد الله) الاشراف الاقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير هي أقرب منازل الجنة الى العرش وأعلاها وأشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو التقرب * فان قلت ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان * قلت لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المؤمنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده وهدايته ناسب ان يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة فان الجزاء من جنس العمل (وأرجو أن أكون أنا هو) ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدأ وهو خبر والجملة خبر كون وكون أنا تاكيد للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب أو وضع موضع الظاهر والاصل أكون أنا اياه وذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه

والايماء الى انه لا يجب على الله شئ (فمن سأل الله الوسيلة) أى هذه الدرجة وفى معناه كل ما يتوسل به الى زيادة لزلفة (حلت) بتشديد اللام أى نزلت ووقعت (عليه الشفاعة) أى وجبت وجوبا وقوعا عليه وقيل غشيته وقيل حقت وثبتت له وفى الحديث ايذان بجواز سؤال الدعاء من المفضول ليفوز من الفاضل المدعوله مع ثواب الله سبحانه وتعالى لهما بفائدة عظيمة وعائدة جسيمة من نحو شفاعة وسعادة قربة مع الايماء الى ان مراتب القرب

الى الله تعالى لا يتصور فيها الانتهاء (وفى حديث آخر) كما رواه الترمذى (عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه الوسيلة أعلى درجة فى الجنة وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما فى البخارى (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بينا أنا أسير فى الجنة اذ عرض لى) أى فاجانى وظهر لى (نهر) بفتح الهاء وتسكن (حافتاه) بتخفيف الفاء أى جانباه وطرفاه (قباب اللؤلؤ) بكسر القاف جمع قبة وهى بيت صغير مستدير ووقع فى أصل الدلجى فيهما اللؤلؤ مثل القباب وهو ليس من نسخ الكتاب ولا أظنه انه رواية فى هذا الباب بل هو من تصرف الكتاب وفى أصل التلمسانى اللؤلؤ والدر فقيل هما بمعنى وقيل اللؤلؤ الكبير (قلت لجبريل ماهذا) أى الذى أراه (قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله تعالى) أى خاصة (قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) أى جبريل (بيده الى طينته) بالاضافة وفى نسخة الى طينة بالتنكير وتاء التانيث أى كون من طينه (فاستخرج مسكا) أى شيئا هو مسك أو كمسك وسماه طينا جريا على غالب العادة فى كونه مقر الماء طينا أو بحسب الصورة (وعن عائشة وعبد الله بن عمرو) بالواو (مثله) أى مثل حديث أنس قبله (قال) أى فى حديثهما (ومجراه) أى جريان مائه (على الدر) اسم جنس واحده درة وكذا قوله (والياقوت) أى ومن تحتهما المسك كالطين تحت حصى الماء فلا منافاة بين حديثهم

وسلم بالرجاء مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل عند ربه تادبا وتشريفا لامته بالدعاء له وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل ليفوز بالثواب كما أشار اليه بقوله (فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة) بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب أو غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد وروى وجبت وروى له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب بل عابد لله تعالى لان الشفاعة أنواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا الاخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغى ان لا يكون غافلا لاهيا واستحباب هذا لغير المصلى فرضا أو نفلا فان قاله فيها لا تبطل صلاته لانه ذكر الا فى قوله صدقت فانه من كلام الناس فتامل (وفى حديث آخر) رواه الترمذى أيضا (عن أبى هريرة الوسيلة أعلى درجة فى الجنة) مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهى أقرب الى العرش من سائر المنازل وليس هذا معلوما من الحديث السابق الا انه المراد منه (وعن أنس) فى حديث رواه البخارى (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير فى الجنة) تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان مناما ويحتمل انه يقظة فى الاسراء (اذ عرض لى نهر) أى فاجانى عروضه أى ظهوره بمرور ى عليه (حافتاه) أى جانباه وشطاه وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره (فيهما اللؤلؤ مثل القباب) وفى نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة أو هى بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها والمراد انها لؤلؤ حقيقى أو مثله فى الحسن والنضارة (قلت لجبريل ماهذا) النهر لانه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه (قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله) أى وهبه لك فى قوله انا أعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه وأوانيه ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى بما فيه وهو أصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين على اللغة الفصحى ولو فصل وقال أعطاك اياه جاز وورد فى صفته انه أبيض من اللبن وأحلى من العسل كما سياتى (قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (ثم ضرب) جبريل عليه الصلاة والسلام (بيده الى طينه) بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلته وعلى صورته وضرب بيده مجاز عن ادخالها فيه (فاستخرج مسكا) أى أخرج من قعره وعرضه ليعرفه بفضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا (و) روى (عن عائشة وعبد الله بن عمرو) بن العاص (مثله) أى مثل حديث أنس المذكور (قال) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (ومجراه) بفتح الميم مصدر ميمى أى جرى هذا النهر أى مجرى مائه (على الدر والياقوت) الذى فوق طينه الذى هو مسك كما ان الانهار تجرى على طين وحصى فهذا طينه مسك وحصاه جواهر فلا منافاة بين

(وماؤه أحلى) أي أكثر حلاوة وأشد لذاذة (من العسل وأبيض) وفي رواية وأشد بياضا (من الثلج) وفي رواية أبيض من اللبن قال
قال الدلجي ولا يلزم من كونه أحلى من العسل الاستغناء به عن أنهار العسل المصفى في الجنة لانها ليست للشرب انتهى ولا يخفى ان نفي
كونها للشرب يحتاج الى بيان حجة في تحقيق المدعى والتحقيق ان الانهار الاربعة عامة لاهل الجنة والكوثر موضوع للخاصة مع
انه قد يقال التقدير وماؤه أحلى من العسل الموجود في الجنة باعتبار كمال اللذة (وفي رواية عنه) أي عن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (فاذا هو) أي ماؤه (يجري) أي على وجه الارض من غير نهر (ولم يشق) بصيغة الفاعل وفي نسخة بصيغة المفعول (شقا) أي لم يحل الى شق من أحد طرفيه بل يجري جريا مستويا كما أراده سبحانه وتعالى أو تمناه صاحبه من أهل الجنة (عليه) أي على النهر (حوض) أي عظيم (ترده عليه) وفي نسخة صحيحة ترده (أمتي) أي ضيافة في الجنة أو يوم القيامة والثاني أظهر لقوله (وذكر) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (الحوض) ومطلقه ينصرف الى الاشهر مع احتمال التعدد فتدبر ومعنى كون الحوض على النهر اعتماده عليه من حيث ان ماءه ممتد من مائه ومنتهى اليه اذ النهر في الجنة والحوض خارجها لما ورد ليردن على الحوض أقوام أعرفهم و يعرفونني ثم يحال بيني
وبينهم فاقول انهم مني فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي (ونحوه)
أي ونحو ما ذكر عن المذكور مروي (عن ابن عباس أيضا) كما في البخاري (قال الكوثر الخير الذي أعطاه اياه) أي ومنه الحوض
وغيره ولعله لم يصفه بالكثير كما في بعض الروايات لما يستفاد من الصيغة للمبالغة (وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي
أعطاه الله) أي لانه مقصور على النهر أو الحوض بل الكوثر أتم وأعم والله تعالى أعلم

كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر (وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج) بفتح
المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدري بكذا أي برد لتيقنه وأبيض افعل تفضيل
من البياض وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلا ينافي قول النحاة ان أفعل التفضيل لا يصاغ
من الالوان كما مر ويجوز ان يكون صفة كاحمر وأسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله أعطاني
نهرا يقال له الكوثر لا يكاد أحد من أمتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال أدخل
أصبعيك في أذنيك وسدهما فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي وفي رواية أبيض من اللبن وكونه أحلى
من العسل لا ينافي ان من أنهار الجنة نهرا من عسل (وفي رواية عنه فاذا هو) أي الكوثر (يجري) جريا
معتدلا (ولا يشق شقا) جملة حالية من ضمير يجري أي لا يشق الارض بشدة جريه وكذا سائر أنهار الجنة
تجري من غير ان تتخذ اخدودا كما قاله التلمساني و يشق مبنيا للفاعل وقيل انه روي مبنيا للمجهول
وقيل المراد انه يجري معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد في
الحديث انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تظنون ان أنهار الجنة اخدود الا والله انها السائحة على وجه
الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا (عليه) أي على الكوثر (حوض) والظاهر انه
بجانب قريب منه كما يقال مررت على زيد أي على مكان قريب منه والحوض معروف وقد قيل المراد
بكونه عليه انه يمد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه من الكوثر الا انه بجانبه اذ هو في الجنة والحوض
خارجها للحديث الآتي ليردن على أقوام أعرفهم ولا يعرفونني ثم يحال بيني و بينهم فاقول انهم أمتي
فيقال لا تعلم ما أحدثوا بعدك فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي فتامل (ترد عليه أمتي) أي يأتونه
للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة من النار (وذكر حديث الحوض) الآتي وهذا يدل على انه غير
الكوثر وقد جاء في بعض الاحاديث ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من أقوال عدة ولو
قيل بتعدد الحوض لم يبعد (ونحوه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما) أي روي عن ابن عباس
ما يوافقه (وعن ابن عباس أيضا) أي في رواية أخرى ذكرها البخاري (قال) في تفسيره (الكوثر
الخير الكثير الذي أعطاه الله اياه) تشريفا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما وهذا بناء على انه
فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير من الخير وبالنهر الذي في الجنة فان أراد ابن عباس بهذا بيان
ما وضع له لغة أو بيان معنى عام خص في الحديث والآية فلا كلام فيه وان أراد تفسير ما في الآية
فالاحاديث الصحيحة وردت بخلافه وفي الآية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة
والكتاب وقيل القرآن وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل
نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل كلمة
التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الخمس صلوات التي خصت بها أمته صلى
الله تعالى عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص (وقال سعيد بن جبير والنهر
الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله اياه) يعني انه على عمومه وهذا داخل فيه أو هو المراد منه

(وعن حذيفة فيماذكر عليه الصلاة والسلام عن ربه) أى راويا عنه (وأعطانى الكوثر نهرا من الجنة) بنصب نهرا على انه بدل أو بتقدير اعنى أو على المدح ووقع فى أصل الدلجى مخالفا للنسخ نهر بالرفع فقال خبر حذف مبتدأه أى هو بشهادة رواية أعطيت الكوثر وهو نهر فى الجنة (يسيل) أى ينصب (فى حوضى) أى يوم القيامة أو فى الجنة (وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) كما روى ابن جرير وابن أبى حاتم بسند صحيح ۳۷۰ (فى قوله) أى فى تفسير قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى قال) أى ابن عباس (ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه) أى وفى كل قصر او فيما ذكر من القصور وقد أخطا التلمسانى بقوله صوابه فيهن (ما يصلحهن) بضم الياء وكسر اللام أى ما يصلح القصور و يزينهن ويحسنهن من الخدم والازواج والاثاث وأصناف الحور وأنواع الحبور (وفى رواية أخرى) أى مبينة للاولى (وفيه) أى وفى كل قصر (ما ينبغى) أى يليق له (من الازواج) أى نساء الجنة من الحور وغيرها من نساء الدنيا وهى أفضلهن وأكملهن جمالا لما قدمن فى الدنيا أعمالا (والخدم) أى من غلمان كأنهن لؤلؤ مكنون والله تعالى أعلم وقد ذكر الدارقطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى أعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتى ان يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت يارسول (حدثنا

الله كيف ذلك قال أدخلى أصبعيك فى أذنيك وسدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر ونقله السهيلى ذكره التلمسانى

(فصل) (فان قلت اذا تقرر) أى ثبت وتحرر (من دليل القرآن وصحيح الاثر) وفى نسخة الآثار ووقع فى أصل الدلجى الاخبار (واجماع الامة) أى من اتفاقهم (كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أكرم البشر) يعنى والبشر خير من الملك كما هو مقرر (وأفضل الانبياء) وهم أعم من الرسل (فامعنى الاحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل) أى بين الانبياء (كقوله فيما حدثناه الاسدى قال

(و) يؤيده ما روى (عن حذيفة) بن اليمان (فيما ذكره عليه الصلاة والسلام عن ربه) حيث بينه له فى فى حديث قال فيه (وأعطانى الكوثر وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى) الذى فى الموقف أو بعد الصراط يسقى منه أمته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه (وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان (فى) تفسير (قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى يعطيك الى أن ترضى بما أعطاه لك وتقر عينك (قال) من جملة ما أعطاه (ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك) أى هى من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور الذى دل عليها قوله ألف قصر (وفيه) أى فى كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لان كل مفرد مذكر (ما يصلحهن) الضمير عائد عليه أيضا رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظر اللفظ قصرا ولتأويله بما ذكر فاقيل ان صوابه فيهن لا وجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والآلات كالاوانى كما أشار اليه بقوله (وفى رواية أخرى وفيه ما ينبغى له) أى فى كل قصر ما يناسبه و يليق به (من الازواج والخدم) بفتحتين جمع خادم وفعل جمع فاعل ورد فى ألفاظ ذكرها النحاة وقيل انه اسم جمع والازواج جمع زوج أو زوجة وذكرهذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام وهذا الحديث رواه المصنف موقوفا على ابن عباس انه كان فاعل قال ابن عباس لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر ورواه الاوزاعى مرفوعا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال حدثنا اسمعيل بن عبد الله عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه رأى ما هو مفتوح على أمته فسر بذلك فانزل الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى فاعطاه الله عز وجل ألف قصر الخ وقيل فى الآية انه أعطاه ما هو شامل لكل خير أعطاه ولما ادخره له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذن والله لا أرضى وواحد من أمتى فى النار وقد تقدم الكلام عليه

(فصل) فى بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الرسل وأعظمهم عنده وجد من نفسه سائلا خاطبه بقوله (فان قلت) وأتى بالفاء الاستئنافية اشارة الى نشأته مما قبله وترتبه عليه (قد تقرر من دليل القرآن) وفى نسخة فاذا تقرر أى تحقق وثبت واضافة دليل للقرآن بيانية أو تخصيصية لامية (وصحيح الاثر) أى الحديث وهو معطوف على القرآن أو على دليل (واجماع الامة) المحمدية (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (أكرم البشر) أى أشرف بنى آدم (وأفضل الانبياء) والرسل خاصة منهم ولم يقل أكرم الخلق لان قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة فى خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك (فامعنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله تعالى عليه وسلم عن التفضيل) بين الانبياء أو الناهية بتفضيله عليهم (كقوله) صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم (فيما حدثناه) متعلق بكقوله أو حال منه (الاسدى) نسبة الى أسد قبيلته قال

حدثنا السمرقندى ثنا) أى حدثنا (الفارسى) بكسر الراء وهو عبد الغفار (ثنا الجلودى) بضم الجيم واللام (ثنا أبو سفيان) وهو ابراهيم (ثنا مسلم) وهو صاحب الصحيح (ثنا ابن مثنى) وفى نسخة محمد بن مثنى بضم ميم وفتح مثلثة وتشديد نون منون (ثنا محمد بن جعفر) وهو غندر وقد تقدم (ثنا شعبة) أى ابن الحجاج (عن قتادة سمعت أبا العالية) براد به هنا رفيع بن مهران فانه الذى يروى عنه قتادة واما زياد بن فيروز فيروى عنه أيوب السختيانى ومطر الوراق وبديل بن هبيرة كما حققه الحلبى (يقول حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى) أى يريد به (ابن عباس) وهو عبد الله (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) قال الحلبى وهذا الحديث (فى البخارى ومسلم وأبى داود ماينبغى) أى مايصح أو مايصلح (لعبد ان يقول أنا خير

من يونس ابن متى) بفتح الميم وتشديد المثناة فوق مقصورا وقد تقدم انها أمه والمراد بعبد كل مكلف ثم يختلف الحكم برجع أنا فان لم يكن نبيا فقد كفر لما فيه من الانتقاص الذى بمثله كفر ابليس اذ قال أنا خير منه وان كان نبيا فينبغى له التواضع لما أكرم به النبوة كذا قرره الدلجى والظاهر انه صلى الله تعالى عليه وسلم يريد انه لايجوز لاحد من أمتى ان يعظمنى وان يقول أنا خير من يونس ابن متى تفضيلا لى عليه وهذا من كمال التواضع لديه قال التوربشتى وانما خص يونس بالذكر دون غيره من الرسل لما قصه الله تعالى فى كتابه عنه من توليه عن قومه وتضجره منهم وقلة صبره فقال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقال وهو مليم وقال اذ ابق الى الفلك المشحون فلم يامن صلى الله تعالى عليه وسلم ان يخامر بواطن ضعفاء أمته مايؤدى الى تنقيصه فبين ان ذلك ليس بقادح فيما منحه الله له من كرامة النبوة وشرف الرسالة وانه مع ماصدر منه كاخوانه من المرسلين انتهى وقد يقال وجه تخصيصه من بين الانبياء لكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لما وقع عروجه الى السماء ليلة الاسراء وحصل له مقام قاب قوسين أو أدنى مع سائر الكرامات وكان معراج يونس بطن الحوت فى الظلمات لربما يتوهم متوهم ان معراج السموات أقرب الى الرب فيكون صاحبه أفضل وأحب فدفع بان الامكنة بالنسبة الى الله تعالى مستوية اذ هو بذاته تعالى منزه عن المكان ولو كان أعلى فى ظهور الشان

(حدثنا السمرقندى) تقدمت ترجمته قال (حدثنا الفارسى) عبد الغافر السابق ترجمته قال (حدثنا الجلودى) تقدم بيانه وبيان نسبته قال (حدثنا ابن سفيان) ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال (حدثنا مسلم) الامام صاحب الصحيح المتقدم قال (حدثنا ابن المثنى) محمد أبو موسى البصرى توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال (حدثنا محمد بن جعفر) أبو عبد الله الهذلى البصرى الملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة قال (حدثنا شعبة) بن الحجاج بن بسطام كما تقدم (عن قتادة) تقدم بيانه قال (سمعت أبا العالية) التابعى السابق ترجمته (يقول حدثنى ابن عم نبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو أحد العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لصغر سنه فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل أربعة أحاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا (عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ماينبغى) أى مايصح ولا يجوز (لعبد) من عباد الله نبيا كان أو غيره (ان يقول أنا خير من يونس بن متى) بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية وألف مقصورة وهو اسم أمه وقيل اسم أبيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول أشهر كما مر وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل كان بينهما أيوب عليه الصلاة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بنى اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة فبعثه الله الى أهل نينوى من أرض الموصل وهو ابن أربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى ذلك للملك فأعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب وأجل لهم أربعين يوما وأعلمهم بالاجل فقالوا ان رأينا امارات ذلك آمنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم أسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النساء وأولادهن وضجوا الى ربهم فرحمهم فقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلاة والسلام فى الارض ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومى السلام فقال له يانبى الله لا أستطيع فان من كذب منا قتل فقال له ان كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهدله الشاة وعصاه فصدقوه وملكوه عليهم أربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة أيام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم يقم بينة قتل فى شرعهم فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسألوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا أبق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه فى البحر فقالوا أما أنت يانبى

(وفى غير هذا الطريق عن أبى هريرة قال يعنى) أى يريد أبو هريرة بالقائل (رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما ينبغى لعبد الحديث) أى الخ كما تقدم (وفى حديث أبى هريرة) أى كما رواه الشيخان (فى اليهودى الذى قال) أى حين استب هو ورجل من الانصار (والذى اصطفى موسى على البشر) أى فى زمانه ولكنه باطلاقه المتبادر كان يعم نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بحسب الظاهر (فلطمه رجل من الانصار) أى غيرة على نبينا المختار (وقال تقول ذلك) أى أتقول هذا القول (والنبى بين أظهرنا) أى بيننا موجود وطالعنا بطلوعه مسعود (فبلغ ذلك) أى الخبر (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فدعا الانصارى فاخبره بذلك (فقال لا تفضلوا) بضم أوله وتشديد الضاد المكسورة أى لا توقعوا التفضيل (بين الانبياء) يعنى بمجرد الاهواء والآراء وزاد بعضهم ثم قال ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس ابن متى ثم ان النسخ الاصول

بالضاد المعجمة وأغرب الدلجى حيث قال ومعناه بالصاد المهملة أى لا تفرقوا بينهم بتفصيل وبالمعجمة لا توقعوه بينهم انتهى وهو صحيح المعنى وانما الكلام فى ثبوت المبنى مع ما فيه من معارضته لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فلابد من اعتقاد التفضيل بالاجمال أو التفصيل واما قوله تعالى لا نفرق بين أحد منهم فالمعنى نؤمن بكلهم تعريضا لليهود فيما حكاه الله تعالى عنهم ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض (وفى رواية) أى للشيخين ولابى داود والنسائى (لا تخيرونى) بضم التاء وكسر الياء المشددة أى لا تفضلونى (على موسى) قاله تواضعا أو ردعا عن تفضيل يوجب نقيصة أو فتنة مفضية الى عصبية وحمية جاهلية أو كان هذا قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم والله تعالى أعلم (فذكر) أى الراوى (الحديث) أى بقيته وهى قوله وفيه قال فان الناس يصعقون يوم القيامة فاصعق فاكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق فافاق قبلى أو كان فيمن استثنى الله تعالى وفى رواية فلا أدرى أجوزى بالصعقة أم لا وهى لغة ان يغشى على الانسان من صوت شديد يسمعه وربما مات ثم استعمل فى الموت كثيرا والمراد بها ههنا ما أفاده وخر موسى صعقا قال المصنف رحمه الله تعالى وهذا من أشكل الاحاديث لان موسى مات فكيف يصعق وانما يصعق الاحياء فتحمل ان تكون هذه الصعقة صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء ويؤيده قوله فافاق فانه انما يقال أفاق من الغشى وبعث من الموت وبه جزم التوربشتى حيث قال واما الصعقة

الله فلا نلقيك فقال اقترعوا فاقترعوا ثلاث مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فالقوه فابتلعه حوت وغاص به الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى فى الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فنبذ بالعراء وهو سقيم كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه شجرة من يقطين استظل بها وأصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه أتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو زيادة هلكوا فنادى أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين واختلف فى مكثه فى بطن الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة أيام وقيل أربعون يوما وقيل ثلاثة وانما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتى وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع فى نفسه شئ لقلة صبره وعدم ثباته فى الشدائد ويأتى ان المنهى عنه تفضيل يؤدى الى تنقيص أحدهم ولذا قيل ان من قال أنا خير من بعض الانبياء يخشى عليه الكفران لم يكن نبيا فان كان فلا ينبغى له ذلك وهذا مخصوص بما اذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله (وفى غير هذا الطريق) المذكورة آنفا (عن أبى هريرة قال يعنى رسول الله) صلى الله تعالى عليه وسلم (ما ينبغى لعبد الحديث) أى أذكره الخ كما مر (وفى حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان فى رجل من الانصار تنازع مع يهودى بالمدينة وبينه المصنف رحمه الله تعالى بقوله (فى اليهودى) أى فى رجل من اليهود ولم يذكروا اسمه (الذى قال والذى اصطفى موسى على البشر) أى اختاره وفضله على سائر بنى آدم من الانبياء وغيرهم (فلطمه رجل من الانصار) لم يذكروا من هو وفى سيرة ابن اسحق ان اسم اليهودى فنحاص (وقال) أى الرجل الانصارى (تقول ذلك) أى تفضيل موسى على البشر (ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا) جملة حالية أى مع وجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو أفضل من موسى وغيره ولفظ أظهر جمع ظهر مقحمة أى بيننا (فبلغ ذلك) الذى قاله اليهودى والرد عليه (النبى صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الانبياء) بالضاد المعجمة أى لا تقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على بعض وليس هذا على ظاهره كما سيأتى وجوز بعضهم ان يكون بالصاد المهملة أى لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض (وفى رواية لا تخيرونى على موسى) وهذه الرواية فى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى والنهى عن تفضيل يقع من غيره مؤد الى نقص أو على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافى قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر وسيأتى تفصيله (فذكر الحديث

في الحديث فهي بعد البعث عند نفخة الفزع وأما البعث فلا تقدم لاحد على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيه واختصاص موسى عليه السلام بهذه الفضيلة لا يوجب له تفضيلا على من فاز بسوابق جمة ولواحق عمة (وفيه) أي وفي هذا الحديث (ولا أقول ان أحدا خير من يونس ابن متى وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) كما في رواية البخاري ٣٧٣ (ومن قال انا خير من يونس ابن متى) أي من جميع الوجوه (فقد كذب) أو قد يكون له خصوصية في نوع من الفضيلة قال الدلجي ويجوز رجوع أنا كامر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم أو الى كل قائل أي لا يقول ذلك أحد وان بلغ في العلم والعبادة أو غيرهما من الفضائل ما بلغ اذ لم يبلغ ما بلغه يونس من درجة النبوة انتهى ولا يخفى ان انا في الحديث السابق يحتمل الاحتمالين واما هنا فالاحتمال الى القائل بعيد عن موضع تحقيق وتأييد لان جزاءه حينئذ فقد كفر كما سبق فتدبر وأيضا ما كان أحد يتوهم منه انه يدعي كونه أفضل من يونس حتى ينهى عنه وانما كان يتوهم بعضهم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل منه في أمر النبوة والرسالة أو في علو المرتبة وفضيلة الدرجة فنهاهم اما لاما بتسوية نسبة النبوة والرسالة واما تواضعا له وهضما لنفسه واما قبل علمه بعلو مقامه (وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس ابن متى وفي حديثه) أي ابن مسعود (الآخر) أي الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي (فجاءه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (رجل فقال يا خير البرية) أي الخلق من برأه الله يبرأه برأ أي خلقه فهو فعيل بمعنى مفعول والتاء للمبالغة في الكثرة وأصله مهموز كما قرأ به نافع وابن ذكوان ثم أبدلت الهمزة ياء وادغمت وهي قراءة الباقين فقول صاحب النهاية ولم يستعمل مهموزا مبني على عدم علمه بالقراءة

وفيه ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس ابن متى) وفي هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل أولي العزم فالتفضيل عليه أقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما قيل من انه كان ينبغي تقديم هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور أوله استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما فقال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أحوسب بصعقة الطور أو بعث قبلي (ولا أقول ان أحدا أفضل من يونس بن متى) وكانت القصة في عرض سلعة وقال البرهان لا أعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودي اسمه فنحاص أي كما تقدم واللاطم أبو بكر رضي الله تعالى عنه الا أن قوله في الحديث رجل من الانصار يأباه الا أن يقال الانصار هنا بمعناه اللغوي وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وهذا هو الاستثناء المذكور في الحديث فالصعق الاحياء والاخراج من القبور مجاز الان حقيقتها الصراخ مع غشي يخر منه وقيل المراد بها حقيقتها وانها في عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية في كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث في حديث ولذا أشكل عليهم والذي يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل ترحال وانتقال من حال الى حال والانبياء والشهداء أحياء لكنهم غيبوا عنا في مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حيي ومن كان حيا من الانبياء ونحوهم كالمغشي عليه صعق ثم أفاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون أول من يفيق فلذا تردد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في أنه أول من تنشق عنه الارض فأفاق أم موسى عليه الصلاة والسلام سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه أفضل منه من سائر الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر وسئل امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها فقال دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى لانه خاطب الله في قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة أقرب من يونس (وعن أبي هريرة) في حديث رواه البخاري (ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب) ذكروا فيه احتمالين أن يكون أنا عبارة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي من فضلني على يونس عليه الصلاة والسلام فقد كذب وان يكون أنا عبارة عن القائل غيره أي أي أحد من الناس قال أنا خير من يونس لتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل لان أحدا لا يبلغ درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا يؤيد ان المراد الاول ويأتي بيان الثاني في كلام المصنف رحمه الله (وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس ابن متى وفي حديثه الآخر) أي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم وأبو داود والترمذي (فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية) أي يا أفضل الخلق كلهم والبرية بتشديد الياء من برأ يبرأ

(فقال ذلك) وفي نسخة ذلك باللام (ابراهيم) قاله تواضعا واكراما لكونه أبا أولانه أمرنا باتباعه أوقبل العلم بانه أفضل منه (فاعلم) جواب الشرط السابق أي فان قلت الخ فاعلم (ان للعلماء في هذه الاحاديث) أي الناهية عن التفضيل بين الانبياء (تاويلات) أي وجوها أربعة أوخمسة تقدم بيان بعضها في حل لفظها (أحدها) أي الوجه الاول منها (انه نهى عن التفضيل) أي فيما بينهم (كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) أي الى سماع في تفضيل الانبياء اذ لا درك فيه لعقول العلماء (وان من فضل) أي أحدا منهم على غيرهم (بلا علم) أي يقيني أوظني يصلح للاستدلال (فقد كذب) أي في ذلك المقال (وكذلك) أي ماول (قوله لا أقول ان أحدا أفضل منه) أي يونس (لا يقتضي تفضيله هو) أي يونس على اطلاقه وقد أبعد الدلجي في قوله أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم على يونس لدخوله في عموم النكرة في سياق النفي انتهى ووجه غرابته لا يخفى مع عدم ملاءمته للمدعي بحسب المعنى (وانما هو) أي قوله هذا (عن الظاهر كف) بتشديد الفاء أي منع منه صلى الله تعالى عليه وسلم لغيره (عن التفضيل) اذ من شانه ان يكون منشأ للنقص أو التجهيل (الوجه الثاني انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع) مع اخوانه وأقرانه أو لربه في عظمة شانه (ونفي التكبر والعجب) أي عن باطنه تعليما لامته وارشادا الى طريقته (وهذا) أي الوجه من التاويل (لا يسلم من الاعتراض) أي في صحة التعليل فان عدم جريه على موجب علمه اخبار بخلاف وقوعه وهو ينافي منصب النبوة وفيه ان هذا الاعتراض انما يرد لوثبت نفيه تواضعا بعد علمه بكونه أفضل الانبياء أو بتفضيل التفضيل بين الاصفياء واما قبل العلم فلا يرد اعتراض أصلا مع احتمال حمل التواضع من حيث انه لامفضول الاوقد يوجد فيه مالا يوجد في الفاضل فليس أحد منهم أفضل مطلقا على ان من تواضع لله رفعه الله وقد أبعد التلمساني حيث قال الاعتراض هو انه لا يظهر حينئذ فائدة تخصيص يونس عليه السلام بالذكر انتهى وتبعه الانطاكي وبعد كلامهما لا يخفى لانه كما قال الخطابي انما خص يونس عليه السلام لان الله تعالى لم يذكره في جملة أولي العزم من الرسل فكأنه قال فاذا لم آذن لكم ان تفضلوني على يونس فلا تفضلوني على غيره من أولي العزم بالاولى (الوجه الثالث ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم) أي طلب نقصان في المرتبة أوظهور منقصة في المنقبة لبعضهم

مهموزا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب الا أنه التزم فيه ابدال الهمزة ياء كما في النهاية (فقال ذلك) وفي نسخة ذلك والاشارة لخير البرية (ابراهيم) الخليل عليه الصلاة والسلام وهو في الحقيقة أفضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السيوطي انه متفق عليه (فاعلم) جواب الشرط في قوله فان قلت وهو شروع في تحقيق المسئلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه (ان للعلماء في هذه الاحاديث) الناهية عن التفضيل وما يخالفها (تاويلات) تقدم بعض منها وسيأتي تحقيقها (أحدها انه نهى) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد آدم) بالبناء للفاعل أو المفعول أي يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه عليه الصلاة والسلام (فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف) أي اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلاة والسلام فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ماقيل انه لا يقتضي المنع مطلقا فتأمله (وان من فضل بلا علم فقد كذب) لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا تشديد في النهي والافاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا (وكذلك قوله لا أقول ان أحدا أفضل منه لا يقتضي تفضيله هو) لانه نفي لقوله وهو لا يدل على انتفائه في نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير تفضيله هو للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أي تفضيله على يونس أوليونس صلى الله تعالى على نبينا وعليه السلام (وانما هو في الظاهر كف) أي امتناع أو منع لغيره (عن التفضيل) بينهم وقد يكون لامر آخر (الوجه الثاني انه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب) بضم فسكون أي عجبه وخيلائه بنفسه ومدحه لها فانه كذلك في الغالب والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسياسته والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره (وهذا) الجواب (لا يسلم من الاعتراض) الوارد عليه لانه بعد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا وقيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه مالا يتوهم في غيره من صلحاء أمته ولا يخفى انه اعتراض ساقط فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (الوجه الثالث) ان مقصوده صلى الله عليه وسلم بنهيه (ان لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي) بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة أي ينجر ويوصل (الى تنقيص بعضهم) تفعيل من النقص أي يقتضي

وصفهم

(أو الغض) بغين وضاد مشددة معجمتين أى النقص منهم جميعا كذا ذكره الدلجى وفيه ان النسخ كلها (منه) بضمير الافراد الراجع الى بعضهم فالاولى ان يفسر الغض بالاغماض الذى هو كناية عن الاعراض (لاسيما) كلمة استثناء مركبة من سى بمعنى مثل ومن ماوهى اماء موصولة فيرتفع الاسم بعدها خبر مبتدأ محذوف كما فى جاء القوم لاسيما أخوك أى لامثل الذى هو أخوك واما زائدة فينجر مابعدها بسى لانها كما فى أكرم القوم لاسيما أخيك أى لامثل أخيك اكراما وقول امرئ القيس ولاسيما يوم بدارة جلجل وردمرفوعا ومجرورا والمعنى هنا خصوصا اذا كان التفضيل المتنازع فيه (فى جهة يونس عليه السلام اذ أخبر الله عنه بما أخبر) أى فى تنزيله بقوله ولاتكن كصاحب الحوت اذنادى وهو مكظوم وبقوله فالتقمه الحوت وهو مليم وبقوله اذ ابق الى الفلك المشحون فوقع النهى عن التفضيل عليه (لئلا يقع فى نفس من لايعلم) أى مقام قربه وانه تداركه نعمة من ربه (منه) متعلق بيقع أى لئلا يقع فى نفس الجاهل بمقامه من جهة منزلته (بذلك) أى بسبب ما أخبر الله عنه (غضاضة) بفتح أوله مرفوعة على انها فاعل يقع أى نقص وحقارة (وانحطاط) أى تنزل (من رتبته) بضم الراء أى مرتبته (الرفيعة) أى العالية التى هى أصل النبوة والرسالة (اذقال تعالى) بدل من قوله اذ أخبر الله تعالى (عنه) أى حكاية عن حاله ورواية عن ماله حيث قال فى موضع (اذ ذهب مغاضبا) أى فارق قومه وخرج عنهم حال كونه مغاضبا عليهم لاصرارهم على الكفر والعدوان وعدم رجوعهم الى الايمان والاحسان وكان خروجه وذهابه لم يكن عن اذن من الرحمن ولذا عبر عنه بقوله (اذ ابق) بفتح الباء وحكى كسرها (الى الفلك المشحون) أى المملوء فان أصل الاباق هو الهرب من السيد فحسن اطلاقه عليه ههنا الهربه من قومه بغير اذن ربه (فظن أن لن نقدر عليه) أى ان نضيق عليه أو ان نقضى عليه بالعقوبة وينصره قراءته مثقلا وروى الزمخشرى ان معاوية قال لابن عباس رضى الله تعالى عنه ضربتنى أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم أجد لنفسى خلاصا الابك قال وماهى يامعاوية فقرأ هذه الآية فقال أو يظن نبى الله ان لايقدر الله عليه فقال له هذا من القدر لامن القدرة قال ابن عرفة أى من الارادة أى فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل لمن لاعلم عنده حطيطته) أى حط مرتبته ونقص منزلته عن رتبة نبوته ورفعة رسالته (بذلك) أى بسبب ماذكر ومن جهة ما أخبر (الوجه الرابع منع التفضيل) أى نهيه (فى حق النبوة والرسالة) أى باعتبار أصلهما وحقيقة ماهيتهما لافى ذوات الانبياء وزيادة خصائص الاصفياء

وصفهم بما فيه نقص لهم وذم (أو الغض منه) بفتح الغين والضاد المعجمتين المشددة المكسورة كالغضاضة وهى النقص والعيب وأصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضمير منه للبعض وفى نسخة منهم ويفهم من هذا جوازه ان لم يؤد لماذكر (لاسيما) أى خصوصا (فى جهة يونس عليه الصلاة والسلام) أى فى حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة منه وجهات القضايا ولاسيما عده النحاة من أدوات الاستثناء وليس هذا محل الكلام عليه (اذ أخبر الله عنه بما أخبر) فى قوله ولاتكن كصاحب الحوت الخ (لئلا يقع فى نفس من لايعلم منه) أى لايعلم من يونس ومن قص من قصته (بذلك) أى بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله (غضاضة) أى نقص وحقارة يتوهمها من لاعلم عنده وعطف عليه عطف تفسير قوله (وانحطاط من رتبته الرفيعة) استعارة بتنزيل شرفه منزلة أمر عال حسانزل من علو الى سفل (اذ قال الله تعالى) حاكيا (عنه اذ أبق الى الفلك المشحون) أى خرج الى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه وقال تعالى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم (فظن أن لن نقدر عليه) أى لن نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا أو تمثيلا لحاله بحال من ظن انا لانقدر عليه فى مراغمة قومه لعدم انتظاره لامرنا روى ان معاوية قال لابن عباس أيظن نبى ان لايقدر الله عليه فقال هو من القدر لا القدرة قال ابن برى أى من الارادة فظن ان لن نريد عقوبته (فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله حطيطته وقوله (لمن لاعلم عنده) بمعانى القرآن وما قيل فى تاويل هذه الآية متعلق به (حطيطته) أى نقصه (بذلك) ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الآية وقد نقل المفسرون فيه أقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لامن ربه وهذا خلاف الاولى اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحد وغيرها فلا يذهب بغير أمر ولذا قال الله تعالى له ولاتكن كصاحب الحوت وأما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تاويله وقيل أحسن ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوى انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لايليق ان يقال لعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن مثله (الوجه الرابع منع التفضيل) بين الانبياء والرسل الذى أفاده النهى الوارد فى الحديث انما هو (فى حق النبوة والرسالة) نفسهما

(فان الانبياء فيها على حد واحد) أى سواء غير متعدد (اذهى) أى مادة النبوة والرسالة (شئ واحد) وهو البعثة المجردة الحاصلة بالوحى فقط وتسمى النبوة أو منضمة الى تبليغ الغير وتسمى الرسالة وهى فى حد ذاتها شئ واحد (لا تفاضل) أى بالنسبة الى أصحابها فلا يقال مثلا نبوة آدم أفضل من نبوة غيره منهم ونظيرها حقيقة الايمان فانها شئ واحد بالنسبة الى المؤمنين حال الايقان وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلونى على اخوانى المرسلين فانهم بعثوا كما بعثت (وانما التفاضل فى زيادة الاحوال) أى الناشئة عنها من تحسين الاخلاق والاعمال (والخصوص) أى والخصوصيات فى مقامات أرباب الكمالات (والكرامات) أى المعجزات وخوارق العادات (والرتب) أى ومراتب العبادات والمجاهدات (والالطاف) أى وأنواع الملاطفة وأصناف المخالطة من حسن المعاشرة والمجاملة والمداراة مع الامة كاختلاف مراتب أهل الايمان من ظهور ثمرات الايقان ونتائج الاحسان ولوائح العوارف ولوامع المعارف وخوارق العادات للاولياء ومراتب الاجتهادات للعلماء والاصفياء (وأما النبوة فى نفسها) وكذا الايمان فى حد ذاته (فلا تتفاضل) أى لا تتفاوت فى حالاتها ولا تتزايد فى مقاماتها (وانما التفاضل بامور أخر) أى كما سبقت الاشارة اليها (زائدة عليها) أى على حقيقتها (وكذلك منهم رسل) أى بعض الانبياء موصوفون بزيادة وصف الرسالة على نعت النبوة (ومنهم أولو العزم) أى الجد والاحتياط والحزم (من الرسل) أى بناء على ان من تبعيضية وهو المعتمد لا بيانية ثم هم مجموعون فى آيتين احداهما قوله تعالى واذ أخذنا من وفهم
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وفى تقديم منك اشعار باوليته وأفضليته صلى الله تعالى عليه وسلم على بقيتهم والباقى ذكر على ترتيب وجودهم حين بعثتهم وان كان بعضهم أفضل من بعض فى مقام كرمهم وجودهم وسيرتهم (ومنهم) أى وكان من الانبياء (من رفع مكانا عليا) كادريس عليه السلام وهو سبط شيث وجد نوح كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا أى رفع الى السماء وقيل الى الجنة (ومنهم من أوتى الحكم) أى النبوة أو الحكمة أو فهم التوراة (صبيا) أى حال صغره كيحيى عليه السلام كما قال تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل أوتى النبوة وهو ابن ثلاث سنين وقيل قرأ التوراة وهو صغير

لا الانبياء والرسل قال السنوسى فى شرح عقائده بعد ماذكر ماقاله المصنف ومما دل على عدم التفاضل بين الانبياء فى نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النبى النصيب الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التى تقتضى ان النبوة مقولة بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل ذلك على ان حقيقة النبوة من المتواطئ المستوى افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى وفى ذكره ذلك فى النبوة دون الرسالة ايماء الفرق بينهما فى ذلك فتأمله وقريب منه قوله (فان الانبياء فيها) أى فى النبوة من حيث هى هى (على حد واحد) فرتبتها وقدرها متحد فيهم (اذهى شئ واحد) أى متحد فى جميعهم (لا تفاضل) أى لا تزيد بعضها على بعض (وانما التفاضل) والتفاوت (فى زيادة الاحوال) أى العوارض الطارئة عليها (والخصوص) أى ما خص به بعضهم دون بعض (والكرامات) التى أكرم الله بها بعضهم (والرتب) الدنيوية والاخروية (والالطاف) أى العطايا التى أعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا (وأما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور أخر زائدة عليها) طارئة ليست من نفس حقيقتها كما بيناه (ولذلك) أى لما ذكر من ان التفاضل لامر زائد (كان منهم رسل) غير أولى العزم (ومنهم أولو العزم من الرسل) والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه أولى به وبغيره والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشر بعثه المأمور بالتبليغ فهو أخص من النبى على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدر ومنه على رسلك أى تمهل وتثبت وقد اختلف فى أولى العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم أصحاب الشرائع وقيل أربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وقيل هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق فى الاعراف والشعراء وقيل هم نوح لصبره على أذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحق لصبره على الذبح فى قول ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على السجن وأيوب لصبره على الضر وقيل هم المامورون بالجهاد وقيل نجباء الرسل المذكورون فى الانعام واختاره الحسن لقوله أولئك الذين هدى الله الخ وهذا مبنى على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال (ومنهم من رفع) أى رفعه الله (مكانا عليا) وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما أخنوخ رفع الى السماء أو الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى (ومنهم من أوتى الحكم صبيا) وهو يحيى اذ احكم الله عقله ونبأه وآتاه الحكمة

(وأوتى) أوأعطى (بعضهم الزبور) وهوداودعليه السلام ووقع فى أصل التلمسانى ههنا الزبر بضمتين جمعا أى صحفا غير بورة أى مكتوبة كما قال تعالى وآتينا داود زبورا (وبعضهم البينات) أى المعجزات الظاهرات أوالمبينات للنبوة بحسب الدلالات كعيسى عليه السلام كما قال الله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات أى كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات (ومنهم من كلم الله تعالى) كموسى كلمه مرتين ليلة الحيرة وعلى الطور (ورفع بعضهم درجات) تفضيلا له على غيره فى المقامات وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لا تحصى درجات كمالاته ولا تعدمراتب مقاماته وحالاته مع مشاركته لكل من الانبياء فى ظهور آياته واقتران زيادة معجزاته وخصوصياته ولعله أبهم اعتمادا على ماأبهم لانه كالمتعين من حيث انه الفرد الاكمل لاسيما فى مقام الختم المؤذن بكونه الافضل (قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية) فالتفضيل ثابت مقطوع به فى الجملة بين أرباب النبوة وكذا بين أصحاب الرسالة لقوله (وقال) أى الله سبحانه وتعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) أى بفضائل سنية وشمائل بهية وفواضل انسانية منزهة عن علائق جسمانية وعوائق شهوانية ونحوها فى الدنيا ومراتب جلية ودرجات علية وأمثالها فى العقبى فان الدنيا مزرعة للآخرة (قال بعض أهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا فى الدنيا) أى غير مقصور فى العقبى لانه غير موجود فى الاخرى (وذلك) أى سبب تفضيلهم فى الدنيا (بثلاثة أحوال) أى يعرف بثلاثة أوصاف (ان تكون آياته) أى خوارق عاداته ومعجزاته) أى المقرونة بالتحدى فهى أخص مما قبله (أبهر) أى أظهر (وأشهر) ولاشك ان معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أظهر وأشهر ولو لم يكن الا القرآن لكفى دليلا لابرهان (أو تكون أمته أزكى) أى أنقى (وأكثر) أى أزيد من غيرهم كيفية وكمية أما الكيفية فقد قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وأما الكمية فقد ثبت انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال صفوف المؤمنين مائة وعشرون وأمتى منهم ثمانون وفى نسخة أظهر بالظاء المعجمة بدل أكثر والاظهر هو الاول فتدبر وعلى تقدير صحته فلعل معناه أغلب (أو يكون) أى النبى المفضل (فى ذاته أفضل وأطهر) بالطاء المهملة أى أنور وقد تصحف بالمعجمة على الدلجى وفسره باشهر ثم مما يدل على أفضلية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذاته انه سبحانه وتعالى خلقه قبل جميع موجوداته بل جعله كالعلة الغائية فى مراتب مخلوقاته وجعله أولا وآخرا فى مقامات كائناته وجعل نور مشكاته محل فيوض أنوار ذاته وأسرار صفاته ومعدن ظهور تجلياته هذا (وفضله) أى وفضل كل نبى (فى ذاته راجع الى ماخصه الله تعالى به من كرامته) أى من اكرام الله له بمناقب عظيمة ومراتب جسيمة (واختصاصه) بالجر أى والى اختصاص كل نبى بمقام على وحال جلى (من كلام) أى كما وقع لموسى فى الطور ولنبينا فى مقام دنا بل أدنى فى معرض الظهور (أوخلة) أى كما ثبت للخليل ولنبينا الجليل مع زيادة المحبة

وفهم التوراة وأكثر الانبياء نبئ بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا فى عيسى أيضا (وأوتى بعضهم الزبور) وهو داود وفى نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما فى الحجة لابى على (وأوتى بعضهم البينات) أى المعجزات الظاهرة الباهرة التى لم يؤتها أحد قبله من أحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحوه مما فضله الله تعالى به وهو عيسى عليه الصلاة والسلام (ومنهم من كلم الله) من غير واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور لما رأى نورا (ورفع بعضهم درجات) عالية فضله بها على غيره وهذا اجمال لفضائل لم تذكر والمراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملائكة ومعجزاته الباقية الى يوم القيامة ومن أجلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر (قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الآية وقال) تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية) هذا بيان لما قبله أوناظر لجميعه كما أشرنا اليه وقوله تلك أنثه باعتبار الجماعة (قال بعض أهل العلم) بالكتاب والسنة (والتفضيل المراد لهم هنا) عطف على مقدر أوعلى ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله (فى الدنيا) متعلق بالتفضيل (وذلك بثلاثة أحوال) وفى نسخة أوجه (ان تكون آياته ومعجزاته أبهر) أى أقوى وأغلب من بهر ضوء القمر الكواكب اذا غلبها أو أظهر (وأشهر) عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصا حية (أو تكون) بالنصب (أمته أزكى وأكثر) أى أنقى وأكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقد أرسل للناس كافة (أو يكون) بالنصب (فى ذاته أفضل بزيادة علمه وخصاله المحمودة (وأظهر) بالمعجمة أى أشهر وبالمهملة أنقى وأنق (وفضله فى ذاته) ونفسه (راجع الى ماخصه الله به) أى ماله ومعناه (من كرامته) أى اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهبها له (واختصاصه) بالجر معطوف على مدخول الى أو من فى قوله (من كلام) بيان لاختصاصه بمعنى ماخصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم (أوخلة) تقدمت وانها لابراهيم أوله ولنبينا صلى الله تعالى

الخاصة والحالة الجامعة بين المحبية والمحبوبية بل الوسيلة لكل محب ومحبوب فى المرتبة المطلوبية والمجذوبية (أورؤية) أى بصرية كما اختص به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على ما تقدم أورؤية بصرية وهى مقام المشاهدة برفع الحجب الجسمانية كما يحصل للكمل من الأفراد الانسانية (أوماشاء الله من الطافه) أى الخفية وهى بفتح الهمزة جمع لطف وهو بر دقيق (وتحف ولايته) أى العلية وهى بضم التاء وفتح الحاء جمع تحفة بمعنى الهدية (واختصاصه) أى اياهم بالمراتب الجلية (وقد روى) كما فى تفسير ابن أبى

خاتم ومستدرك الحاكم عن وهب بن منبه (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة) أى المقرونة

بالرسالة (أثقالا) أى تكاليف مثقلة ذات مرارة تعرض لها بسبب التبليغ بشارة ونذارة كما أشار اليه قوله تعالى انا سنلقى عليك قولا ثقيلا (وان يونس) أى لعدم تحمله وغلبة ضجره فى مقام صبره عند ترك انقياد قومه واصرارهم وشدة عنادهم وتمادى اضرارهم (تفسخ منها) أى انسلخ منها وتجرد عنها (تفسخ الربع) بالنصب أى كتفسخه تحت الحمل الثقيل وهو بضم الراء وفتح الباء أى الفصيل وهو ولد الناقة يولد فى الربيع والمعنى أن يونس عليه السلام لم يستطع أن يحمل أعباء النبوة كما أن الربع لا يستطيع أن يحمل الأثقال الكبيرة (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) أى بنهيه عن التفضيل

بينهم (موضع الفتنة من أوهام) أى التى هى أوهام (من يسبق اليه) أى الى فهمه من وهمه والوهم هو أى الاحتمال المرجوح عند تردد حكم العقل (بسببها) أى بسبب أثقالها من سآمة وضجر وضيق نفس وقلة صبر (جرح) بفتح الجيم وسكون الراء أى طعن (فى نبوته) وفى نسخة بفتح حاء وراء وبجيم أى ضيق والظاهر انه تصحيف (أوقدح) أى عيب (فى اصطفائه) أى بالرسالة أوفى اجتبائه الثابت فى قوله تعالى فاجتباه ربه فجعله من الصالحين (وحط من رتبته) أى وضع من رفعته (ووهن فى عصمته) أى ضعف فيها بتوهم ذلك (شفقة) علة لحفظ أى راعى هذا المعنى المفاد من المبنى أى مخافة (منه صلى الله تعالى عليه وسلم على أمته) ورحمة على أهل ملته كيلا يقع أحد فى وهدة غفلته وينزجر عن الاقدام على جرأته

عليهما وسلم (أورؤية) عيانا قبل دخول الجنة كما فى المعراج (أوماشاء الله) وأراده لهم غير ماذكر (من ألطاف) بفتح الهمزة أى عطايا كما تقدم وفى نسخة الطافه بالاضافة (وتحف ولايته) أى تحف أولاها لهم (واختصاصه) مما أحبهم به من قرة أعين لا يعلمها الا هو (وقد روى) بالبناء للمجهول وهذا رواه ابن أبى حاتم والحاكم فى مستدركه عن وهب بن منبه وهو رجوع الى تنزيه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من الاوهام (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان للنبوة أثقالا) أى أحمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل أثقالكم جمع ثقل والثقل كعنب ويسكن مقابل الخفة قال الراغب وأصله فى الاجسام ثم يقال فى المعانى كأثقله العزم والوزر وهو فى الانسان ذم فى أكثر المتعارف وقد يكون مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها ✲ وتبقى ما بقيت بها ثقيلا

حللت بمستقر الارض منها ✲ فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التى تكون فى تبليغ الرسالة (وان يونس تفسخ منها) الضمير للاثقال والاحمال وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ أى تقطعت أعضاؤه وتفككت لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم بحملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا أزالها ومنه فسخ العقود عند الفقهاء (تفسخ الربع) تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة وهو الفصيل أى ولد الناقة الصغير الذى يولد فى الربيع وبعده الهبع الذى يولد فى الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ أى تفسخ كتفسخه أى لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفى تشبيهه بالربع اشارة الى أنه كان فى مبدأ أمره وفى قوله أثقالا استعارة تصريحية وفى تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا ينافى التشبيه ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية وهو أحسن ثم بين مراده فقال (فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنهيه عن التفضيل (موضع الفتنة) أى ما يقع الناس بسببه فى فتنة وأمر محذور من تنقيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فجعله كأنه موضع لها تقر فيه (من أوهام) التى يتوهمها من لا علم له وهو متعلق بحفظ أى صانه مما يتوهم أو هو بيان لموضع (من يسبق اليه بسببها) أى المواضع أو الاوهام وقيل المراد بسبب أثقالها من سأم وضجر وقيل بسبب الفتنة وقيل بسبب قصة يونس عليه السلام (جرح فى نبوته) بفتح الجيم أى ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة (أوقدح فى اصطفائه) أى ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا عند ربه مفضلا على غيره والقدح ذكر المعائب والنقائص (وحط من رتبته) أى تنزيل له من علو مقامه (ووهن فى عصمته) أى عدم عصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا على تنقيصه لتساويهم فى حقيقة النبوة وان تفاوتت أحوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا (شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم) بالنصب مفعول له أو علة لحفظ (على أمته)

(وقد يتوجه على هذا الترتيب) أى على مارتب من ان يونس ممن خصه الله تعالى بعد النبوة والطاف الكرامة (وجه خامس وهو أن يكون انا) أى فى الحديث السابق (راجعا الى القائل نفسه أى لايظن) يعنى لايتوهم (أحد) أى من العلماء والاولياء (وان بلغ من الزكاء) أن وصلية أى وان وصل من الفهم العالى وهو بالزاى فى خط المصنف وعند العرفى بالذال المعجمة ومعناه قريب من الاول فتامل (والعصمة) أى من الافعال الردية (والطهارة) أى من الاخلاق الدنية (مابلغ) أى من الغاية والنهاية فى مرتبة الولاية (انه خير من يونس لاجل ماحكاه الله تعالى عنه) أى من ظهور تضجره وتبرمه وقلة صبره على تمادى قومه فى ترك الايمان بماجاءبه (فان درجة النبوة أفضل) ويروى أعظم (وأعلى) أى من درجة الولاية ولهذا فرق بين الحفظ والعصمة حيث خصت العصمة للانبياء والحفظ للاولياء اذلايتصور حصول الذنب عمدا من أرباب النبوة بخلاف أصحاب الولاية ولذالما سئل جنيدا يزنى العارف فاطرق مليا ثم قال وكان أمر الله قدرا مقدورا وبهذا يتبين انه لايوجد فى النبى مايكون سببا لسلب النبوة أو الايمان والمعرفة بخلاف الولى فانه قد يخرج عن مرتبة الولاية بارتكاب الكبيرة ويخاف عليه من سوء الخاتمة نسأل الله العافية ولعل هذا التفصيل يبين لك معنى قوله (وان) بكسر الهمزة وفتحها (تلك الاقدار) أى المقدرات جمع قدر محركة وتسكن (لم تحطه عنها) بتشديد الطاء أى لم تنزله عن درجة النبوة (حبة خردل) وهى حبة الرشاد (ولا أدنى) أى أقل منها بقدر ذرة بل أقول انها كلها كانت أسباب زيادة مثوبة ورفعة درجة من حيث انها نشأت عن الغضب فى الله والهجرة فى مرضاته الا أن بعضها كان خلاف الاولى بالنسبة الى المقام الاعلى فان حسنات الابرار سيئات الاحرار فعوتب فى ذلك تنبيها لما هنالك (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا) أى المبحث (بيانا) أى شافيا كافيا (ان شاء الله تعالى) أى أراد كونه جامعا منفعا (فقد بان لك الغرض) بفتح الغين المعجمة والراء أى المقصود (وسقط بما حررناه شبهة المعترض) أى المردود (وبالله التوفيق) أى على طاعة المعبود (وهو المستعان) أى فى كل مورود (لا اله الا هو) أى الواجب الوجود وصاحب الكرم والوجود وهو نعم الاله ولا اله سواه

أى يقع منهم مالايليق بمقام النبوة فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه (وقد يتوجه) أى يحصل توجيه آخر فى الجواب عما مر أو يتأتى وينبنى (على هذا الترتيب) أى على مارتبناه على النبوة من الاختصاص بامور أكرمها الله تعالى بها (وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا) فى الاحاديث السابقة (راجعا الى القائل نفسه) المذكور فى قوله لاينبغى لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة (أى لايظن أحد) من الناس غير الانبياء (وان بلغ من الزكاء) أى انه بلغ من الزكاء بالزاى المعجمة أى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى انه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا ورواه العرفى تلميذ المصنف بالذال المعجمة وهو الفطنة (والعصمة) أى الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ماخص به الانبياء وهى المذكورة فى قوله أسألك العصمة فى الخطرات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعاء بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه (والطهارة) أى البراءة من الاوزار (مابلغ) أى مبلغا عظيما فما مصدرية أو موصولة (انه خير من يونس) بن متى وهذا معمول يظن المنفى (لاجل ماحكى الله عنه) تعليل لظنه أى ماقصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتماديهم فى غيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للايمان وسوق كلامه مؤذن بان القائل من غير الانبياء كما يشهد له قوله (فان درجة النبوة) ورتبتها العالية (أفضل وأعلى) عند الله من درجة غيرهم من الاتقياء وهذا أمر فرضى أو مبنى على عدم العلم بالنهى عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون تقيا وقد صدر منه تنقيص الانبياء الذى قيل انه كفر وأيضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبى (فان تلك الاقدار) جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة أى ماقدره الله عليهم لحكمة باهرة وليس بمعجمة وان جاز تاويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا ومعنى (لم تحطه عنها) أى لم تنزل يونس عليه الصلاة والسلام عن درجته (مقدار حبة خردلة) التى هى أصغر الحب والاحسن حبة خردل بدون هاء (ولا أدنى) أى أقل وأصغر من خردلة أى لم ينقصه أصلا (وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا) بايضاحه وتفصيله (ان شاء الله تعالى) ذلك (فقد بان لك الغرض) المقصود الذى قصدناه فى هذا الكتاب (وسقط بما حررناه) أى بما قررناه أو لخصناه أو كتبناه والتحرير التلخيص واظهار الزبدة لان أصله جعل الشئ حرا أى خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذى صار عاما وأصله كتابة ملخصة أو كتابة العتاقة كما فى الكشف (شبهة المعترض) الذى اعترض على ماتقدم ولو قول من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده ولما كان ماتقدم فى ذكر فضائله وأسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم دالة على ذلك عقبه بذلك كما أشار اليه بقوله

(فصل) (فى اسمائه عليه الصلاة والسلام وما تضمنته من فضيلته) أى المشعرة بتفضيله على سائر الكرام اعلم ان ابن العربى المالكى فى الاحوذى شرح الترمذى حكى عن بعضهم ان لله تعالى ألف اسم وللنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ألف اسم ثم ذكر منها على التفصيل نيفا وستين قال الحلبى وقد رأيت مجلدين فى القاهرة مصنفا يقال له المستوفى فى اسماء المصطفى لابن دحية الحافظ جمع فيه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فوق الثلثمائة قلت وكان شيخ مشايخنا السيوطى اختصره فى كراريس وسماها بالبهجة البهية فى الاسماء النبوية واقتصرت منها على التسعة والتسعين وفق عدد اسماء الله الحسنى الثابتة بالطرق المرضية اذ قد قال ابن فارس هى ألفان وعشرون وفى الجملة كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى المشعرة بكثرة النعوت والاوصاف

(حدثنا أبو عمران) بكسر أوله (موسى ابن أبى تليد) بفتح فكسر (الفقيه) بالرفع (ثنا) أى حدثنا (أبو عمر الحافظ) أى ابن عبد البر (ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ) بفتح همزة وسكون مهملة وفتح موحدة فغين معجمة غير مصروف الامام الحافظ محدث الاندلس سمع ابن قتيبة وابن أبى الدنيا وروى عنه حفيده قاسم بن محمد والحافظ الباجى وفى آخر عمره قطع الرواية خوفا من الغلط وانتهى اليه علو الاسناد والحفظ والجلالة وتوفى بقرطبة سنة أربعين وثلاثمائة (ثنا محمد بن وضاح) بتشديد الضاد المعجمة (ثنا يحيى) أى راوى الموطأ (ثنا مالك) أى الامام (عن ابن شهاب) أى الزهرى (عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) قال وقد التلمسانى لم يثبت فى رواية يحيى هكذا وانما أرسله ابن شهاب عن محمد بن جبير عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيل وارساله هو الصحيح عن مالك فى الموطأ ووصله غيره عن مالك وغيره عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ورواه ابن بكير والقعنبى وابن القاسم وعبد الله بن يوسف واسمعيل بن أبى أويس كيحيى ووصله معن بن عيسى وعبد الله بن نافع وأبو مصعب ومحمد بن المبارك الهروى ومحمد بن عبد الرحيم ورواه القعنبى عن مالك مرسلا وعن ابن عيينة مسندا والاكثر عن ابن شهاب عن محمد بن جبير ورواه حماد بن سلمة عن جعفر ابن أبى وحشية عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه يعنى جبير ابن مطعم بن عدى بن نوفل صحابى أسلم بعد الحديبية قال الحلبى هذا الحديث أخرجه القاضى من الموطأ كما ترى وهو فى البخارى ومسلم

(فصل فى أسمائه) صلى الله تعالى عليه وسلم (وما تضمنته من فضيلته) أى ماهو بعض مدلوله أو لازم لمقتضاه حتى كأنه ضمنه والاسماء جمع اسم والكلام على كونه من السمة أو السمو أغنانا شهرته عن ذكره وأما البحث عن كونه عين المسمى أو غيره فبحث لا طائل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد أفردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل اللقب والكنية وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم سواء كان علما أو صفة أو غيرهما وسواء اختص به وضع أم لا فهو العلم وما يشبهه وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء فلا يرد كثرة أسماء الخمر أو هو أكثرى وهو الظاهر وفى شرح الترمذى ان للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ألف اسم كما ان لله تعالى ألف اسم ونقل مغلطاى انها تبلغ ثلثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كأسماء الله ومنها ماهو بلفظ الفعل والمصدر وأكثرها صفات مادحة كما أشار اليه المصنف بقوله تضمنته من فضيلته ولابن دحية تأليف مستقل فى اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ان المصنف رحمه الله تعالى ذكر هنا حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن أبيه بسنده متصل الا أن المصنف رواه عنه مرسلا لعلو سنده فيه بدرجتين فقال (حدثنا أبو عمران موسى بن أبى تليد الفقيه) تليد بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته (قال حدثنا أبو عمر الحافظ) ابن عبد البر وقد تقدم أيضا قال (حدثنا سعيد بن نصر) تقدمت ترجمته أيضا قال (حدثنا قاسم بن أصبغ) بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة وهو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء الامام الحافظ محدث الاندلس أبو محمد الاموى مولاهم القرطبى كان صدرا عالى الاسناد ثقة ولذا قطع الرواية فى آخر عمره خوفا من الغلط ولد سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الاولى سنة أربعين وثلثمائة (قال حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيغ متولى ملك الاندلس أبو عبد الرحمن بن معاوية الاموى الحافظ محدث الاندلس أبو عبد الله القرطبى مولده سنة تسع وسبعين ومائة أو سنة مائتين بقرطبة وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال الذهبى انه صدوق روى عنه كثير من أهل الاندلس قال (حدثنا يحيى بن يحيى) الليثى عالم الاندلس وراوى الموطأ وليس له رواية فى الكتب الستة الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه (عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) ومحمد هو أبو على

وأبى داود والنسائى وانما يخرجه من عند البخارى مثلا فانه بين القاضى وبين مالك فى هذا الحديث ستة أشخاص ولو أخرجه من طريق البخارى كان بينه وبين مالك فى بعض الطرق ثمانية أشخاص فاجتمع له فى رواية هذا الحديث علو لا يجتمع له اذا رواه من عند البخارى وكذا يجتمع اذا أخرجه من بقية الكتب والله تعالى أعلم (قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة أسماء) أى عظيمة أو شهيرة (أنا محمد) اسم مفعول من التحميد مبالغة الحمد نقل من الوصفية الى الاسمية تسمى به رجاء ان يحمده الاولون والآخرون بالهام الله تعالى وكان كذلك فى الدنيا والعقبى وعن ابن قتيبة ان من اعلام النبوة انه لم يسم قبله أحد باسمه صيانة من الله تعالى لوسمه اذ قد سماه به فى كتبه وبشر به الانبياء قبله فلو تسمى به غيره وقع الاشتراك له وربما انتشرت دواعى النبوة ووقعت الشبهة وقامت الفتنة لكن لما قرب زمنه وبشر بقربه أهل الكتاب تسمى به قليلون لم يدع أحد منهم النبوة لئلا تقع الشبهة والله تعالى ولى العصمة (وأنا أحمد) اسم تفضيل بمعنى الفاعل أو المفعول كما سيأتى بيانه من المنقول (وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) أى الكفر العام أو غلبته على دين الاسلام ولم يقل به ليعود ضمير الصلة الى الموصول لان قصده الاخبار عن نفسه مع ان ضميرها عبارة عنه فلم يبال بعوده اليه لامن اللبس لديه وقال التلمسانى روى الكفر ومعناه يذهب أصله والتشرع به حتى يكون معتقدا ومذهبا وروى الكفرة جمع كافر فالتقدير دين الكفرة أو نفس الكفرة قتلا وسبيا وجلاء (وأنا الحاشر) أى الجامع (يحشر الناس) بصيغة المجهول (على قدمى) بتخفيف الياء وكسر الميم على الافراد أى على سابقتى كذا قيل وبتشديدها مع فتح الميم على التثنية قال النووى كذا ضبطوه بالوجهين أى على أثرى وبعد ظهورى وقيامى من قبرى بدليل حديث أنا أول من تنشق عنه الارض كما ذكره البغوى فى شرح السنة وبهذا المعنى يغاير قوله (وأنا العاقب) أى الآتى عقب الانبياء ليس بعدى نبى ففى الصحاح العاقب يعنى آخر الانبياء وكل من خلف بعد شئ فهو عاقبه وبالجمع بينهما أشار الى حديث نحن الاولون والآخرون وقيل معنى على قدمى على أثرى وزمان نبوتى وليس بعدى نبى بشهادة رواية وأنا الحاشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون غيره فيكون قوله وأنا العاقب كالتأكيد لما قبله (وقد سماه الله فى كتابه محمدا) أى بقوله وما محمد الا رسول ومحمد رسول الله (وأحمد) أى بقوله حكاية عن عيسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد

وقد روى عنه الزهرى وهو روى عن أبيه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل وهو صحابى أسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد ورافع وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفى سنة تسع وخمسين وأخرج له الائمة الستة وأحمد فى مسنده وهذا الحديث أخرجه مالك فى الموطأ والترمذى فى الشمائل والبخارى وهو حديث صحيح مسندا (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد أو للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها أحد قبله أو لاشتهارها فى الامم الماضية فالتخصيص المستفاد من التقديم اضافى لا حقيقى لزيادتها على ذلك وقال السيوطى فى كتاب الرياض الانيقة فى أسماء خير الخليقة انه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه وقال المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى قيل انها موجودة فى الكتب القديمة وعند الامم السالفة ورد بان فيها أكثر فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر فى كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو التخصيص لان المراد خمسة أسماء فاضلة أو معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان أسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم ألفان وعشرون وقيل المراد خمسة سمانى بها ربى وباقيها أوصاف وأسماءه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية فلا يجوز ان يسمى بما لم يسمه به الله أو يسمى هو به نفسه أو أبوه وجده (أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) أى يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما يأتى فى الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بى كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله ✻ أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ✻ والكلام عليه مفصل فى كتب العربية (وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة أى يحشرون على أثرى وبعد نبوتى اذ ليس بعده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى كما يأتى تفسيره وقد روى ان الحشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره (وأنا العاقب) الآتى عقب الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نبى بعده وعيسى عليه الصلاة والسلام تقدم انه يأتى على شريعته وقال ابن الاعرابى العاقب من يعقب غيره فى الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسيأتى تفصيل معنى الحديث (وقد سماه الله فى كتابه) وهو القرآن (محمدا وأحمد) فى قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقوله يأتى من بعدى اسمه أحمد وكونه محكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله ولذا قيل ان عيسى عليه الصلاة والسلام انما أطلقه عليه باعلام الله واذن له

فالمسمى حقيقة هو الله (فمن خصائصه تعالى له) أى الكائنة له ان قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له أو هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعول له واللام مزيدة للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدى وضده (ان ضمن أسماءه) فاعل ضمن ضمير الله والضمير المضاف اليه للنبى صلى الله عليه وسلم (ثناءه) مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول باعتبار ان الضمير لله أو للرسول أى ثناء الله عليه (وطوى أثناء ذكره) بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمد جمع ثنى كقفل وهو ما انعطف من الوادى ويقال هو فى أثنائه ومثانيه أى داخله ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والاخفاء فالمعنى أخفى داخل ذكر النبى أى فى أسمائه التى سماه بها (عظيم شكره) أى شكره العظيم والضمائر لله أو للنبى فان كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاضافته له من اضافة الفاعل أو المفعول أى كونه شاكرا أو مشكورا عظيما الان أكثرها أوصاف غلبت عليه أو اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية أو اعلام منقولة ملموح أصلها فيفيد المدح والاعلام وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الاصلية ولذا جاز دخول أل عليها ومعظم اعلامه كذلك (فاما اسمه أحمد) وزنه (افعل مبالغة فى صفة الحمد) مبالغة مرفوع خبر بعد خبر أو منصوب مفعول له والجار والمجرور صفة والمبالغة لانه أفعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله أكبر أى من كل شئ ثم نقل ولحظ أصله فلا يرد عليه انه علم فكيف يفيد ماذكر وماقيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد وهم وأطال من غير طائل على عادته وقال السخاوى فى سفر السعادة أحمد اسم النبى صلى الله عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من أفعل التفضيل فهو كاحمر وأصفر وهو أبلغ من محمد وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية فى الحمد قال الاعشى

اليك أبيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لايخفى وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لانه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب القديمة وقد سماه به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما نطق به القرآن وسماه الله به لانه حمده فى مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم وستأتى تتمته (ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد) فهو فى الاصل اسم مفعول من التفعيل فينبئ عن الكثرة ففيه مبالغة أيضا ولهذه الصيغة معان أخر مذكورة فى كتب التصريف وفى شرح الهادى انه مرتجل قال ابن معطى وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل فى غير العلمية يرده بيت الاعشى المذكور وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة انه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا أبا الحارث ما حملك على ان سميته محمدا ولم تسمه باسم آبائه فقال أردت ان يحمده أهل السماء ويحمده الناس فى الارض وأخرج عنه ابن اسحق مسندا ان أمه آمنة بنت وهب حدثت انها أتيت حين حملت به صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل بر عاهد وكل عبد زائد يرود غير رائد وروى فانه عند الحميد الماجد * حتى أراه قد أتى المشاهد فاذا وضع فسميه محمدا فانه اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء والارض واسمه فى الفرقان محمد فسمته بذلك وقال أبو الربيع بن سالم فى سيرته روى ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا رآها كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجر على كل ورقة منها نور وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويتبعه أهل السماء والارض

(فمن خصائصه تعالى له) مصدر مضاف الى فاعله أى فمن ماخصه الله سبحانه وتعالى به (ان ضمن) بتشديد الميم أى تضمين الله سبحانه (أسماءه) أى من نحو أحمد ومحمد مع انهما اعلام له (ثناءه) أى مايثنى به عليه (فطوى) بالفاء لا بالواو كما وقع فى أصل الدلجى أى فادخل (اثناء ذكره) أى خلال ذكر اسمه (عظيم شكره) كقوله وانك لعلى خلق عظيم وانك لتهدى الى صراط مستقيم (فاما اسمه أحمد فافعل) أى للتفضيل (مبالغة) أى لافادته ثبوت زيادة الحمد وحذف متعلقه لافادة الشمول والا فافعل ليس من صيغ المبالغة كالجاد لكن فى المعنى أبلغ منه (من صفة الحمد) أى ماخوذ منه (ومحمد مفعل مبالغة) أى للمبالغة (من كثرة الحمد) أى المحمودية المستفادة من مصدره الذى هو التحميد الموضوع باعتبار بنائه للتكثير والمبالغة فى التكرير قال التلمسانى وقد ضمن اسمه سورة الحمد انتهى وقد أشار اليه العارف الجامى حيث قال فى الم الف لام الحميم يعنى بطريق التبديل على قواعد التعمية فيصير المعنى محمد وان الاشارة فى ذلك اليه صلى الله تعالى عليه وسلم فانه الكتاب الجامع واللباب اللامع

فلذا

(فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من حمد) أى أعظمه بفتح فكسر (وأفضل من حمد) بضم فكسر أى أكرمه ففيه لف ونشر مرتب لمعنى أحمد ومحمد وضبط فى بعض النسخ بعكس ما ذكر فيكون لفا ونشرا مشوشا ولا يبعد أن يكون المعنيان مستفادين من أحمد وحده لان أفعل قد يبنى للفاعل وقد يبنى للمفعول ويراد بقوله (وأكثر الناس حمدا) كون مصدره بمعنى المفعول وان احتمل كونه للفاعل أيضا والحاصل ان صفة الحامدية والمحمودية فيه بلغت غاية الكمال ونهاية الجمال (فهو أحمد المحمودين وأحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيامة) أى المسمى بيوم الدين (ليتم له) بفتح ياء وكسر تاء وروى بصيغة المجهول (كمال الحمد ويشتهر) من باب الافتعال وفى نسخة ويتشهر من باب التفعل أى وتظهر هيبته وتنتشر (فى تلك العرصات) بفتح الراء جمع عرصة بسكون الراء وهو فى الاصل كل موضع واسع لا بناء فيه من فناء الدار وساحتها وجمع للمبالغة كما فى عرفات والمراد به مقامات يوم القيامة ومواقفها ولا يبعد أن يكون وجه الجمع هو ان كل عرصة مخصوصة بامة (بصفة الحمد) أى العامة للخلق (ويبعثه ربه هنالك مقاما محمودا كما وعده) أى فى كتابه بقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (يحمده فيه الاولون والآخرون بشفاعته

فلذا اسماه محمدا مع ما حدثته به آمنة انتهى (فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل أى أجل الحامدين (وأفضل من حمد) بالبناء للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم أحمد والثانى لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره فكان أفضل من حمد والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وان تعين فى محمد الثانى وجوز ابن القيم فى أحمد أن يكون بمعنى المفعول أى أكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم ولو أريد الفاعل لقيل حمادا بدل أحمد واعترض عليه بانه تخصيص من غير مخصص وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كأشغل من ذات النحيين وكون حمادا أبلغ من أحمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له * أقول هو لم يعين ما قاله وانما ادعى جوازه وانه أولى لسلامته من التكرار والترادف الذى هو خلاف الاصل وترجيح حماد على أحمد ليس لابلغيته بل لانه أكثر وأقيس وأما كون التفضيل من المفعول شاذا فسلم ولكنه سمع من العرب فى قولهم العود أحمد وأثبته العلامة الزمخشرى وأول من قال العود أحمد خداش بن حابس التميمى وقول المصنف (وأكثر الناس حمدا) أى محمودية بدليل قوله (فهو أحمد المحمودين) والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا (وأحمد الحامدين) هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما وبصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه أحمد قيل محمد فى النشأتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد ألهمه اياها علم يحمده بها غيره فكان أحمد من دخل تحت كلمة كن فى عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمده على ألسنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيامة كان أحمد الخلق فسمى أحمد فلما تمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى ويأتى فيه كلام للسهيلى (ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم ان اللواء علم الجيش وهو أكبر من الراية أى انه تحت أمره أو فى قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق فى كونه حامدا ومحمودا ومعنى لواء الحمد انه لواء يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله أو بنداء الملائكة معه أو باعلان الحمد خلفه ونحوه وأصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكلة الانبياء ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى أهل الموقف وعدم التأويل أسلم (ليتم له كمال الحمد) مبنى للمفعول أو الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل أحد له من غير تردد كما كان فى الدنيا لبعض أهلها كما أشار اليه بقوله (ويشتهر) وفى نسخة ويتشهر (فى تلك العرصات) بسكون الراء ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها نبات وجمعها عراص وعرصات وفى التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها أى يلعبون ويمرحون والمراد هنا أرض الموقف والمحشر (بصفة الحمد) وهو الثناء على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم وقيل حقيقته اظهار الصفات الكمالية باللسان أو بغيره وفيه كلام فى شرح الزوراء للجلال الدوانى (ويبعثه ربه هنالك) أى فى العرصات (مقاما محمودا كما وعده) بقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطى أو على الظرفية لمشابهته للمبهم أو هو حال على ما فصل فى الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله (يحمده فيه الاولون والآخرون) أى جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع (بشفاعته صلى الله تعالى عليه

لهم) أي عامة وخاصة (ويفتح) أي الله تعالى (عليه فيه) أي في ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى الحمد (كما قال عليه الصلاة والسلام ما لم يعط غيره) أي أحد من العالمين (وسمى أمته) أي وصفهم (في كتاب أنبيائه بالحمادين) كما في حديث الدارمي عن كعب يحكي عن التوراة قال نجد مكتوبا فيها محمد رسول الله عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ولا سخاب بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون يحمدون الله تعالى في

وسلم لهم) في فصل القضاء كما تقدم (ويفتح عليه فيه) أي في ذلك المقام (من المحامد) جمع محمدة بمعنى حمد أي يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة وأصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطاء والالهام وتيسير الامور كما استعير المغلاق للصعب ومن بيان لمقدر أي أمرا ونحوه أو لما بعده ان قلنا بجوازه كما مر وقوله (كما قال عليه الصلاة والسلام) اشارة الى وروده في الحديث كما تقدم (ما لم يعط غيره) من الانبياء ويعطى مبني للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل (وسمى) الله تعالى لعلمه من السياق أو هو مجهول وهو الاولى (أمته في كتب أنبيائه) كالتوراة والانجيل كما ورد في الاحاديث (بالحمادين) أي المبالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجد مكتوبا في التوراة محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحمادون الى آخره (فحقيق ان يسمى محمدا وأحمد) أي بان يسمى لانه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما في حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق لما فيه من معنى الوجوب كما في الحجة لا بي علي وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والآخرون وكثر حمد أمته كان جديرا بذلك (ثم في هذين الاسمين) محمد وأحمد أي في تسمية الله له بهما قبل وجوده (من عجائب خصائصه) أي من العجائب التي خصه الله بهما ولم يسبق أحد لمثلها (وبدائع آياته) أي غرائب علامته التي اخترعت وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة (فن آخر) أي نوع آخر غير ما تقدم (وهو ان الله جل اسمه) أي عظم في ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمائه الحسنى (حمى) أي منع وصان عن (ان يسمى بها أحد قبل زمانه) مع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كما مر وبشر بنبي اسمه أحمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصائص لانه بعد الاعلام باسمه منع من التسمية به مع انهما اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة للانبياء غيرهم لم تسبق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى ولم نجعل له من قبل سميا (أما) اسمه (أحمد الذي أتى في الكتب) الالهية السالفة (وبشرت به الانبياء) كعيسى وموسى كما قال تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقال تبع الاول كما نقل في السير

ويملك بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمد يا ليت اني * أعمر بعد مخرجه بعام

(فمنع الله بحكمته) أي بسبب حكمته أو منعا ملتبسا بعلمه وحكمته التي استأثر بها أو أظهرها لبعض خلص عباده (ان يسمى به أحد غيره ولا يدعى) مبني للمجهول بوزن يرمى أي يسمى (به مدعو قبله) يسمى قبله قال أكثر العلماء ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر عليه الصلاة والسلام اسمه أحمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية وأما أحمد بن غجيان بضم الغين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا أصل له وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل أحمد ابن ثمامة الطائي وأحمد بن دومان البكيلي وأحمد بن زيد بن خراش السكسكي ومن القبائل بنو أحمد

السراء والضراء يحمدون الله في كل منزل ويكبرونه على كل شرف رعاة للشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها يتأزرون على انصافهم ويتوضأون على أطرافهم مناديهم ينادي في جو السماء صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء لهم بالليل دوي كدوي النحل (فحقيق) أي واذا اختص بما منحه الحق من مناقب حميدة ومراتب محمودة فجدير (ان يسمى محمدا وأحمد) أي لا كثرية حامديته وأظهرية محموديته (ثم في هذين الاسمين) أي العظيمين الوسيمين (من عجائب خصائصه) أي غرائب خصوصياته (وبدائع آياته) أي الدالة على كمال صفاته (فن آخر) أي نوع آخر من أنواع كراماته (وهو ان الله جل اسمه حمى) أي حفظ اسمي حبيبه ومنع بالقدرة ان يسمى بهما أحد (قبل زمانه) أي لئلا يشاركه أحد في علو شأنه كما يشير اليه قوله تعالى في لم نجعل له من قبل سميا (أما أحمد الذي أتى في الكتب) أي من نحو الانجيل (وبشرت به الانبياء) كموسى وعيسى عليهما السلام (فمنع الله تعالى بحكمته) أي وبارادته وقدرته (ان يسمى) وفي نسخة يتسمى (به أحد غيره) أي على جهة العلمية (ولا يدعى به مدعو قبله) أي على نسبة الوصفية

(حتى لا يدخل لبس) بفتح اللام أى التباس واشتباه صورى (على ضعيف القلب) أى ممن ينظر الى مجرد الاسم ولم يتفكر فى حقيقة مسماه (أوشك) أى تصورى فى معدن النبوة ومنبع الرسالة فيستوى عنده الاسمان مع ان مسمياهما الايستويان كما وقع لبعض أرباب العقول الخالية من المعقول والمنقول من التسوية بين اله العالمين وبين الاله المنحوت من الحجر والطين ولهذا قال الله تعالى قل هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور قال الانطاكى وهذا الذى ذكره المؤلف هو الصواب ونقل الحافظ أبو حفص الانصارى عن القشيرى قولا فى تسمية الخضر باحمد ثم قال وقد وهاه ابن دحيه والله تعالى أعلم (وكذلك) أى وكاسمه أحمد (محمد أيضا) أى محمى (لم يسم) وفى نسخة لم يتسم (به أحد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع) أى باخبار الرهبان وغيرهم (قبيل وجوده عليه الصلاة والسلام وميلاده) أى وقبيل زمان ولادته (ان نبيا) أى عظيم الشان فى آخر الزمان (يبعث) أى يرسل (اسمه محمد فسمى قوم) أى جمع قليل من العرب (أبناءهم بذلك رجاء ان يكون أحدهم هو) أى اياه يعنى النبى المبعوث (والله أعلم حيث يجعل رسالته) وفى قراءة رسالاته (وهم) أى المسمون بمحمد قبل ميلاده (محمد ابن أحيحة) بضم همزة وفتح حائين مهملتين بينهما تحتية ساكنة (ابن الجلاح) بجيم مضمومة وتخفيف اللام فى آخره مهملة وعد من الصحابة ابن عبد البر وأبو موسى (الاوسى) بفتح الهمزة نسبة الى قبيلة من الانصار

فى همدان وبنو أحمد فى بكيل وبنو أحمد فى طى ولم يكن قريبا من عهده من تسمى به صيانة له وأما بعده فاول من تسمى به أحمد بن عمرو بن تميم الفرهودى أو الفراهيدى أبو الخليل النحوى الزاهد وببركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى مالم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله (حتى لا يدخل على ضعيف القلب لبس) أى التباس واشتباه لعدم تميزه وضعيف القلب من لا عقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق والباطل فتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شئ سبق له فيجوز كونه أحمد الموعود به فى الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله وقوته كناية عن ضده وان اشتهر فى الجرأة وعدمها (أوشك) معطوف على لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن تعيينه هنا وتأييده بالايجدى ليس بشئ (وكذلك محمد) أى مثل أحمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به لانه لم يسم به أصلا على الاصح (أيضا) مصدر آض بمعنى عاد ورجع ويراد به فى العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله كذلك (لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع واشتهر قبيل وجوده صلى الله عليه وسلم) قبيل فى النسخ مصغر كبعيد لتقليل زمانه وتقريبه (وميلاده) عطف تفسير على وجوده أى ولادته أو زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها وحملت به صلى الله تعالى عليه وسلم أمه آمنة نهارا وولد ليلا فى شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الاسكندرى وقيل كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل ربيع فى ربيع فى ربيع وقيل ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر أو أربعين أو خمسين وتسعة وخمسين يوما وقيل غير ذلك وسيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى (ان نبيا يبعث) أى يرسل من بعث بمعنى أثار وقد فصل زمان بعثه وسنه اذ بعث فى السير (اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك) الاسم (رجاء ان يكون) أى لاجل رجاء ان يكون الولد المسمى به (أحدهم) أى أحد أبنائهم المسمى بمحمد (هو) أى النبى الموعود ببعثته فهو اسم يكون واحدهم منصوب بخبر مقدم أو مرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب والاصل اياه والاول أولى (والله أعلم حيث يجعل رسالاته) اقتباس لبيان انه لم يفدهم ذلك اذ ليس كل محمد رسول ولا كل فاطمة بتول والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء ان النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن جد فى العبادة والتصفية حتى صار أحسن الناس خلقا وخلقا الى غير ذلك مما يستعد به لتلقى وحيه ومشاهدة ملائكته وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر أى يعلم لان أفعل لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالى لا يوصف بانه فى مكان أو زمان لقدمه وتفصيله فى كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قرئ به هنا وانما سموا أبناءهم به لما بلغهم من الاخبار والكهان وروى فى المبشرات وبشروا بقرب زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم (وهم) أى المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به (محمد بن أحيحة بن الجلاح الاوسى) وقال البلاذرى انه محمد بن عقبة بن أحيحة وتردد فيه ابن حجر فى الاصابة وأحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء والجلاح

بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم ألف وحاء مهملة والاوسى نسبة للاوس قبيلة الانصار (ومحمد بن مسلمة الانصارى) بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى ووصف هذا بالانصارى دون محمد بن أحيحة وهو من قبيلة الانصار لانه لم يسلم وانما يقال الانصارى لمن أسلم منهم ولذا قال الذهبى من عد محمد بن أحيحة من الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا أبو عبد الرحمن المدنى حليف بنى عبد الاشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمى محمدا فى الجاهلية كما فى الاصابة عن الواقدى من غير تردد فيه وهو صحابى شهد بدرا وكان عمر رضى الله تعالى عنه يعده لكشف المعضلات فى خلافته ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وقيل غير ذلك وهو من قدماء الصحابة وقول بعض الشراح ان ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة ليس فى محله لانه بصدد ذكر من سمى محمدا قبل مولده وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح فى السير نقلا عن الواقدى وما قاله قول مرجوح وان قاله مغلطاى فى سيرته (ومحمد بن براء البكرى) نسب لبكر قبيلة مشهورة وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها مدة وهو ابن ظريف بن عتوارة ابن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة واسم أبيه براء رأيته مصححا كذا فى حواشى الحلبى وفى غيره بدا بفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان الحلبى ان محمد بن أحيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن براء لم يدركوا الاسلام بل هلكوا فى الجاهلية فعدهم فيمن أسلم أمر عجيب فلا يليق بالمصنف وان كانوا ممن سمى بمحمد قبل البعثة (و) كذا (محمد بن سفيان بن مجاشع) التميمى فانه لم يدرك الاسلام وقد خطئ أبو نعيم فى عده من الصحابة (ومحمد بن حمران الجعفى) بضم الجيم نسبة للجعفة قرية معروفة وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم ألف ونون وفى بعض نسخ السير عمران بدله وهذا أيضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان (ومحمد بن خزاعى السلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة وخزاعى بضم الخاء وزاء معجمتين وألف وعين مهملة نسبة لخزاعة وهو من بنى ذكوان واسم أبيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام أيضا كما قاله البرهان الا أن هذا لا يعترض به على المصنف لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام أسلم أم لا وهم ستة (لا سابع لهم) وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم كالسهيلى فانه لم يزدهم على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار فى بعضهم وتردد فى بعض وسيأتى لهم سابع وقد علمت ما طعن به فى محمد بن مسلمة (ويقال ان أول من تسمى به) أى باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى نسخة بمحمد (محمد بن سفيان) بن مجاشع التميمى السابق ذكره (واليمن) أى أهله فهو من اطلاق اسم المحل على الحال فيه (تقول) وفى نسخة يقولون لم يسم به أولا هذا (بل) الذى سمى أولا (محمد بن اليحمد من الازد) وفى نسخة الازدى نسبة الى الازد من اليمن أبوهم أزدى الغوث ويقال أسد وفى نسخة بعد ما ذكر ومحمد بن سراقة بالسين أيضا ومن نسله الانصار كلهم وأزد شنوءة عمان والسراة واليحمد قال البرهان انه فى النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم وقال ابن ماكولا انه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم وأصحاب الحديث يضمون الميم وفى شرح مسلم للنووى انه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم وكذا فى تقييد المهمل للغسانى وهو علم منقول من المضارع وأل مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية فانه شاذ قبلها كقوله * ما أنت بالحكم الترضى حكومته * فكيف به بعدها * وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافى قوله هنا لا سابع لهم وفى سيرة مغلطاى زيادة محمد بن عدى بن ربيعة

(ومحمد بن مسلمة) بفتح فسكون ففتح (الانصارى) أحد بنى حارثة شهد بدرا وغيرها ومات بالمدينة وفى عده منهم نظر ذكر الشمنى وغيره (ومحمد بن بداء) بفتح موحدة وتشديد دال مهملة بعدها ألف ممدودة وفى نسخة صحيحة بباء موحدة فراء ممدودة وعده من الصحابة أبو موسى (البكرى) بفتح فسكون (ومحمد بن سفيان بن مجاشع) بضم الميم وكسر الشين المعجمة واختلف فى صحبته على ماقاله أبو نعيم وأبو موسى قال التلمسانى والصحيح انه لم يسلم (ومحمد بن عمران) بكسر العين وسكون الميم وفى نسخة حمران بضم الحاء من الحمرة واقتصر عليه التلمسانى (الجعفى) بضم الجيم (ومحمد بن خزاعى) بضم الخاء وبالزاى المعجمة (السلمى) بضم ففتح (لا سابع لهم) وزاد بعضهم على المصنف أسماء اخر لا فائدة فى ذكرها (ويقال أول) وفى نسخة ان أول (من سمى) بصيغة المجهول وفى نسخة تسمى (بمحمد محمد بن سفيان) أى ابن مجاشع التيمى (واليمن تقول) أى وأهل اليمن يقولون (بل) وفى نسخة محمد بن سفيان باليمن ويقولون بل (محمد بن اليحمد) أى هو المسمى به أولا واليحمد بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم على ماضبطه المحققون كالنووى وغيره وفى نسخة بفتح الياء وضم الميم وفى أخرى بالفتح والكسر وفى القاموس يحمد كيمنع وكيعلم قال التلمسانى وروى الحمد مصدر حمد (من الازد) بفتح

المنقرى ومحمد بن عثمان السعد قال وأظنهما واحدا ومحمد الاسيدى ومحمد بن عتوارة الليثى ومحمد بن حرمان العمرى ومحمد بن خولة الثمالى ومحمد بن يزيد بن ربيعة ومحمد بن ابروايه بن مالك فزاد تسعة أو ثمانية وتوقف المصنف رحمه الله تعالى فى واحد منهم وقد قيل فى بعض هؤلاء انه ادرك الاسلام وكلام المصنف لا ينافى هذا الا فى قول الانصارى كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحا (ثم حمى الله) أى صان ومنع بصرفه الهمة (كل من تسمى به) أى بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم (ان يدعى النبوة) تقديره من ادعى ادعائها بنفسه بان يقول أنا نبى (أو يدعيها أحد له) بان يقول هو نبى (أو يظهر عليه) بفتح الياء التحتية وضمها مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمجهول والاول أظهر وضمير عليه لمن (سبب يشكك احدا فى أمره) أى شئ فى ذاته يكون سببا موقعا للناس فى شك فى انه هو النبى الموعود كنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الارهاصات والاخلاق الباهرة أو يجرى على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف باو بعد حمى الذى هو فى معنى النفى والنهى يفيد العموم كقوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا ولو عطف بالواو أوهم ان المحمى عنه المجموع وان وقع بعض منها (حتى تحققت) أى ظهرت وتبينت فى الخارج (السمتان) أى الصفتان اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علامتان لموافقة اسمه لمسماه وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين وهو خطأ كما قال التلمسانى وطغيان من القلم (له صلى الله عليه وسلم) متعلق بالفعل أو بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به فى الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه (ولم ينازع فيهما) بفتح الزاى المعجمة والبناء للمجهول أى لم ينازعه أحد فى السمتين (واما قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث (وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر) بيان لمعناه المراد منه ولذا أتى بقوله بعده (ففسر فى الحديث) بالفاء التفسيرية وفسر مبنى للمجهول أى فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله فى الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول منها وأل للمح الوصفية ولما ترآى هنا سؤالان أحدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه الازالة بالكلية والكفر موجود فى كثير من الناس والبلدان أشار الى دفعهما بقوله (ويكون محو الكفر اما من مكة) بعد الفتح اذ اظهره الله تعالى عليهم ولم يبق بها منه عين ولا أثر (وبلاد العرب) الظاهر انه وجه آخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما لا شئ واضمحل حتى صار كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد خيرته من خلقه (و) كذلك قوله و (ما زوى له من الارض) اشارة لما ورد فى الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم زويت لى الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها واصل الزوى بالزاى المعجمة الجمع ومنه انزوى الجلد بالنار أى انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها فى قبضة قدرته حتى نظرها كلها وبشره بان أمته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أو قبله ان قلنا ان ما ملكوه منها أعظمها واشرفها وهو الذى ارتضاه المصنف لقربه (ووعد) أى الله والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد فى الحديث (انه يبلغه) أى يصل اليه ويحوزه (ملك أمته) بضم الميم ويجوز كسرها أى تملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد ورد انه زوى له جانبا من الارض وأخبره بانه يبلغه ملك أمته ويمحو ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقى منه كالعدم ولما كان محو الكفر بامره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم فكأنه الماحى حقيقة وقد قيل انه كله جواب واحد وقوله (أو يكون المحو عاما) شاملا لجميع الارض وليس المراد بها أرضا مخصوصة

الهمزة وسكون الزاى قبيلة عظيمة فى اليمن فيكون هو السابع على ماهو الشائع (ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به ان يدعى النبوة) أى بنفسه (أو يدعيها أحد له) أى ويتبعه (أو يظهر عليه سبب) أى من خرق العادات (يشكك) بكسر الكاف الاولى أى يوقع فى الشك (أحدا) أى من أهل زمانه (فى امره) أى شانه (حتى تحققت السمتان) بكسر السين وفتح الميم أى العلامتان الدالتان على المحمدية والاحمدية (له صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين والصواب الاول هذا وتحققت بصيغة الفاعل على ماهو المتبادر وضبطه الانطاكى بضم التاء والحاء على بناء المجهول وهو خلاف الظاهر (ولم ينازع) بفتح الزاى لم يعارضه أحد (فيهما) أى فى النعتين المرسومتين (واما قوله وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) أى يزيله بى بسببى (ففسر) بصيغة المجهول أى فبين (فى الحديث) أى نفسه من غير احتياج الى تفسير غيره غايته ان محوه مجمل محتمل كما بينه (ويكون محو الكفر) أى ذهاب أثره (اما من مكة وبلاد العرب) أى أيام حياته (وما زوى) بضم الزاى وكسر الواو أى قبض وجمع (له من الارض) كما ورد ان الله زوى لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها (ووعد) بصيغة المجهول (انه يبلغ ملك أمته) أى بعد مماته فعلى هذا يكون المحو خاصا (أو يكون) حقه ان يقول واما أن يكون (المحو عاما

بمعنى الظهور والغلبة) أي في الحجة على كل دين وملة في جميع الامكنة والازمنة (كما قال الله تعالى ليظهره) أي ليغلبه ويعليه والضمير الى دين الحق أو الى الرسول المطلق (على الدين كله) أي على الاديان جميعها بمحو أدلتها وبرهانها وظهور بطلانها وابطال سلطانها (وقد ورد تفسيره في الحديث) أي على ما رواه البيهقي وأبو نعيم (انه الذي محيت به سيئات من أتبعه) قال الدلجي لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا تغفر لهم ما قد سلف وفيه ان هذا حكم عام غير مختص به عليه الصلاة والسلام فالاولى ان تحمل السيئات على الصغائر والاتباع معظم الحسنات واجتنابات الكبائر بشهادة قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا يبعد ان تكون هذه الخصلة من خصائص هذه الملة (وقوله وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي) قد سبق تحقيق مبناه وتدقيق معناه الا أنه زاد الموصول هنا ثم لم يقل على قدمه لان قصده الاخبار عن نفسه كما في قول علي أنا الذي سمتني أمي حيدره واعاده هنا أيضا ليفسره بقوله (أي على زماني وعهدي) فالمراد بالناس الخلق الآتون بعده كما بينه بقوله (أي ليس بعدي نبي) أي يكونون على عهده وفيه ايماء الى ان عيسى بعد نزوله يكون تابعا له في دينه وحاكما على وفق قوله كما قال الله تعالى وخاتم النبيين بكسر التاء وفتحها وما

(بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى ليظهره على الدين كله) جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بعامر فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير وبدل منها وعلو أهله على جميع من عاداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم كما هو مشاهد قال الله تعالى عز وجل هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويوضحه ان المحو لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا أثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما قيل من ان هذا جعله المصنف وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي وجعل بعض أهل الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو آثار غيرهم كمحو ذواتهم ونسخ أديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة أرواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود ففيه مجاز باعتبار وجوه مختلفة (وقد ورد تفسيره) أي الماحي بغير ما مر (في الحديث) والتفسير المذكور (انه الذي محيت به سيئات من أتبعه) بما أنعم الله تعالى به على أمته من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم في الدنيا والآخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى وهذا مروي عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز اذ هو سببه والعافي والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصائص أمته وقد فسر قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر بيغفر لامتك وقد روى هذا التفسير الذي ذكره المصنف للماحي الحاكم في مستدركه وأبو نعيم والبيهقي وقال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد وقال السيوطي انه متصل ولفظه وأما ماحي فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح الشمائل معناه ان من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم يمحى ذنب كفره وما عمله فيه قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب ما قبله أو يهدم ما قبله وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لم يمح أحد الكفر كما محاه اذ جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر فبلغ مسير النيرين والمراد بكونه من خصائصه ان الله تعالى لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه في الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا ربكم انه كان غفارا (وقوله) في هذا الحديث (وأنا الحاشر) فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعده (الذي يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والمحشر وتعجيل الحساب لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة للعالمين (على قدمي) بالتخفيف والتشديد كما مر وفي رواية على عقبي ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للحشر وليس بمراد فسره بقوله (أي على زماني وعهدي) وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلفاء في عصرهم ثم قال (أي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين) فهو اما بتقدير مضاف أي على أثر قدمي من غير فاصل أو القدم سواء كان مفردا أو مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرماني معناه على أثري كما جاء على عقبي أو على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل ان يريد أول محشور لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أول من تنشق عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مؤنثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان أخر كما في الاساس فيقال جعله تحت قدمه اذا عفا عنه وله قدم في كذا أي تقدم فنسب له ذلك لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر في هذا الحشر الثاني الى مقرهم من جنة أو نار فيتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الخلائق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا هو المراد في رواية من روى قدمي بالتشديد بمثنى وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابي وان كان ظاهره انه من بنات أفكاره وارتضاه ابن دحية

(وسمى عاقبا لانه عقب) بفتح القاف أى خلف (غيره من الانبياء) وجاء بعدهم لتكميل الخير وزيد فى بعض النسخ المصححة هنا وفى الصحيح أنا العاقب الذى ليس بعدى نبى (وقيل معنى على قدمى أى يحشر الناس بمشاهدتى) أى بمشهد منى ومحضر عندى (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس) أى شاهدين لهم أو شاهدين عليهم (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أى شاهدا ومطلعا أو مزكيا ومثنيا وبهذا الذى قررناه دفع قول الدلجى وهذا مخالف لظاهر الآية المفاد فيها بالتعدية بعلى ولو كانت كما زعم لكانت باللام على ان على قد تاتى بمعنى اللام فى الكلام كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما هداكم وزيد فى بعض النسخ هنا (وقيل على قدمى) أى معناه (على سابقتى) أى سبق قدمى وتقدم قيامى من قبرى وتحقق تقدمى فى مقامى (قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم) أى مراتب تقدم مترتب على تفاوت صدق لهم فى حالهم عند ربهم ووقوفهم على قدر مقامهم (وقيل على قدمى أى قدامى وحولى أى يجتمعون الى فى القيامة) يعنى ويلجأون الى فى طلب الشفاعة (وقيل قدمى على سنتى) أى على قدر متابعتى ومقدار طاعتى فى الدنيا ليكون لهم القرب والمنزلة فى العقبى وفى نسخة وقيل قدمى سنتى (ومعنى قوله لى خمسة أسماء) أى مع ان له أسماء كثيرة (قيل انها موجودة) أى الخمسة جميعها مذكورة ومسطورة (فى الكتب المتقدمة) أى باجمعها (وعند أولى العلم) أى ومشهورة عند العلماء من الانبياء والاصفياء (من الامم السالفة) أى الماضية فهذا وجه تخصيصها (والله أعلم) أى بما أراد نبيه بها (وقد روى) أى كما فى الدلائل لابى نعيم وفى تفسير ابن مردويه من طريق أبى يحيى التيمى وهو وضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن أبى الطفيل (عنه صلى الله تعالى عليه وسلم) وفى نسخة عليه الصلاة والسلام (لى عشرة أسماء) الجمهور على ان مفهوم العدد ليس بحجة فلا معارضة بينه وبين ما سبق من حديث لى خمسة أسماء (وذكر منها) أى من جملة العشرة (طه ويس حكاه مكى) أى كما سبق واعاده

وماذكره المص وان سبق اليه فيه خفاء الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية أو مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطى ان الله وصف نفسه بالحشر فى قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من أسمائه التى سماه بها فان سلم ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس فى وقت نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه خاتم النبيين أى آخرهم أو من ختموا به على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى عليه السلام بعده لانه ينزل تابعا له صلى الله تعالى عليه وسلم عاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله تعالى عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمى حاشرا لانه حشر بنى النضير من حصونهم وخرب أرضهم وهو ضعيف رواية ودراية (وسمى عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء) عليهم الصلاة والسلام أى خلفهم فى الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن لا نبى بعده فان العاقب الآخر وقد فسر فى حديث مروى عن ابن جبير فهو أصح وأحسن (وفى الصحيح وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى) وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فعناه خليفة الله لانه أحق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند أهل النار من أمته لان الله تعالى ينسيهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف (وقيل معنى على قدمى انه يحشر الناس بمشاهدتى) أى بقربى ومعى بمرأى منى لسبقى للناس فى القيام من القبر (كما قال الله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وهذا بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد فى الصحيحين من ان أمته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله تعالى عليه وسلم يشهد لامته بالصدق ومعنى جعلهم أمة وسطا أى عدولا وخيارا كما مر بيانه وأخر المصنف رحمه الله تعالى هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انه ما بمعنى (ومعنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لى خمسة أسماء) جواب عن سؤال مقدر تقديره ان له صلى الله تعالى عليه وسلم أسماء كثيرة فجعلها خمسة أو عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة بغير فائدة (قيل انها موجودة فى الكتب المتقدمة) المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام كالتوراة والانجيل (وعند أولى العلم من الامم السالفة) أى السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة ومرضه لما سيأتى من انه صلى الله تعالى عليه وسلم له أسماء أخر فى الكتب القديمة أيضا وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد (والله أعلم) بوجه التخصيص فيما ذكر (وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل وابن مردويه فى تفسيره من طريق يحيى التيمى وهو وضاع عن سيف بن وهيب وهو ضعيف عن أبى الطفيل (لى عشرة أسماء) وقد تقدم انه لا معارضة بينه وبين غيره من الاحاديث (وذكر منها طه ويس كما حكاه مكى) تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما أعاده ليتبعه تفسيره الذى ذكره وقال

هنا البيان مبناه وتبيان معناه (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه ياطاهر ياهادى وفى يس ياسيد) ايماء بذكر الحروف الواقعة فى أوائل
المسميات الى تلك الصفات غايته انه مع تصريح ياء النداء فى يس وتقديره فى طه (حكاه) أى هذا التأويل

(السلمى) بضم ففتح وهو أبو عبد الرحمن محمد ابن عبد الخبير صاحب تفسير الحقائق (عن الواسطى) وهو الامام الجليل الصوفى محمد بن موسى (وجعفر بن محمد) أى وعنه أيضا وهو الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر أحد أكابر أئمة أهل بيت النبوة (وذكر غيره) أى غير أبى محمد مكى (لى عشرة أسماء فذكر) أى ذلك الغير (الخمسة) أى الاسماء (التى فى الحديث الاول) وهى محمد وأحمد والماحى والحاشر والعاقب (قال) أى ذلك الغير فى بيان الخمسة الأخر (وأنا رسول الرحمة) الخ واما تفسير الدلجى قال كما رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلا فهو وان كان يناسب المقام الا انه ينافى المرام هذا وقد جاء أنا رحمة مهداة وقال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (ورسول الراحة) أى لما يترتب على الراحة الرحمة فى الدنيا والآخرة والاظهر ان المراد بالراحة نفى الكلفة ورفع المشقة عن هذه الامة لقوله تعالى ويضع عنهم
أصرهم والاغلال التى كانت عليهم ولقوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج ولقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بدين العجائز

أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن اختلف الناس فى معناه على أربعة أقوال * الاول انه اسم من أسماء الله تعالى قاله الامام مالك وروى عنه أشهب قال سألته هل ينبغى لاحد ان يسمى بيسين قال ما أراه ينبغى لقوله تعالى * يس والقرآن الحكيم * أى هذا اسمى يسين * الثانى قال ابن عباس رضى الله عنهما يس يا انسان بالحبشة وياطه ويارجل وروى عنه انه اسم الله تعالى كما قال مالك * الثالث انه كنى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل له يس أى ياسيد كما يأتى * الرابع انه من فواتح السور وروى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمانى الله تعالى فى القرآن بسبعة أسماء محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى أشهب عن مالك لا يتسمى أحد بيسين لانه اسم الله وهو كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم وقادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسماء التى لا يدرى ما معناها فربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغى ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى النظر المنع منه فان قيل فقد قال الله تعالى * سلام على آل يسين * قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز التسمية به وهذا ليس بمتهجى وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو كلام نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويز التسمية بيس من وجه ومنعه من آخر وانه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع فى غير ما ورد فى القرآن فتدبر (وقد قيل فى بعض تفاسير طه انه ياطاهر ياهادى) على انه اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه السيوطى عن أبى الطفيل وتقدم انه قيل انه من أسماء الله وما ذكره السيوطى رحمه الله مروى عن الواسطى وأراد به ان كل حرف منه مروى بعض من اسم فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب والهاء من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمى حرفين كما فى الموفى البخارى عن سعيد بن جبير معناه يارجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طأ الارض والهاء ضمير الارض وقيل يارجل بالسريانية فعرب وقيل هو بالنبطية وهى لغة أهل سواد العراق وقيل معناه بلغة عك ياحبيبى وقيل طوبى لمن هدى (و) قيل (فى) بعض تفاسير (يس انه ياسيد حكاه السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن كما تقدم فى ترجمته (عن الواسطى) نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته (وجعفر بن محمد) هو جعفر الصادق الامام المشهور كما تقدم وهذا مروى فى اسمائه عن أبى الطفيل ورواه البيهقى فى دلائله مسندا وقال السهيلى لو كان من أسمائه لقيل ياسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه روى عن الكلبى انه قرأه بالضم أيضا وقيل معناه ياانسان بلغة طى واصله ياانيسين فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه فى حواشى البيضاوى وكذا فيما مر أوائل الكتاب وقيل معناه يارجل وقيل ياسيد البشر (وذكر غيره) أى غير الواسطى انه روى (ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال لى عشرة أسماء فذكر الخمسة التى فى الحديث الاول) الذى سمعته آنفا (و) زاد عليها (قال وأنا رسول الرحمة) لقوله تعالى * وما أرسلناك الا رحمة للعالمين * لانقاذهم من العذاب فى الدنيا والآخرة فمن اتبعه نجا فى الدنيا من القتل أو من ذلة الكفر والجزية وفى الآخرة من العذاب المخلد والخزى المؤبد وأراحهم من التعب فيها فلذا سمى بذلك كما قال (ورسول الراحة) لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمؤمنين فى الدنيا لما رفع عنهم مما كان فى الامم السالفة من الاصر والمشاق بما فى شريعته من الرخص والتخفيفات وفى الآخرة راحتهم العظمى لأمنهم وازالة تعبهم ورفع التكليف عنهم وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبى ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا فى حرم الايمان آمنين وأمنت أمته من عموم الخسف والمسخ وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى أصبح وقد

(ورسول الملاحم) بفتح الميم وكسر الحاء المهملة جمع ملحمة وهو الحرب الشديد وأصلها معركة القتال وهي موضعه ولفظ مجاهد فيما رواه ابن سعد عنه مرسلا أنا رسول الرحمة أنا رسول الملحمة وأضيف اليهما لحرصه على المجاهدة المأمور بها ومن ثم قال علي كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يكن أحد منا الى العدو أقرب منه ثم لا تعارض بين كونه رسول الرحمة ورسول الملحمة اذ هو سلم لاوليائه وحرب لاعدائه كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكالقرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وداء ونقمة للمتكبرين وقد قال الله تعالى في حقه بشيرا ونذيرا أي للمطيعين والعاصين ولعل رحمته كانت غالبة تخلقا باخلاق ربه حيث قال في الحديث القدسي والكلام الانسي سبقت رحمتي غضبي كما يشير اليه تقديم

البشير في مقام العموم وهو لا ينافي تقديم الانذار حال خطاب الكفار المفيد في ذلك المحل تقديم التخويف فتأمل قال التلمساني وروى ان قوما من العرب قالوا يا رسول الله أفنانا الله تعالى بالسيف فقال ذاك أنقى لآخركم فهذا معنى الرحمة المبعوث بها صلى الله تعالى عليه وسلم والله تعالى أعلم (وأنا المقتفي) بصيغة الفاعل من باب الافتعال وفي نسخة المقفي بضم ففتح فتشديد فاء مكسورة بصيغة الفاعل كما صرح به شمر وهو أنسب بقوله (قفيت) بتشديد الفاء وفي نسخة بتخفيفها وفي نسخة قفوت (النبيين) أي جئت بعدهم واتبعت هديهم أو أريد به المولى لذاهب والمعنى انه آخر النبيين فاذا نفى فلا نبي بعده وأما قول الدلجي قال الله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فيوهم ان الوصف بصيغة المفعول وليس كذلك (وأنا قيم) بتشديد الياء المكسورة (والقيم الجامع) أي للخير الكثير (الكامل) أي للفضائل والفواضل في تحسين الشمائل (كذا وجدته) أي بخط بعض العلماء أو في تصنيف بعض العلماء (ولم أروه) أي عن أحد من أئمة الحديث في طريق الانباء لكن رواه الديلمي في فردوسه ولم يسنده في مسند الفردوس وفي النهاية حديث أتاني ملك فقال أنت قيم وخلقك أي حسن مستقيم (وأرى) بفتح الهمزة والراء أي أذهب أو بضم الهمزة وفتح الراء أي وأظن (ان صوابه قثم) بالثاء أي المثلثة المفتوحة بعد القاف المضمومة وهو غير مصروف لانه معدول عن قاثم وهو المعطي

كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم بنبي الرحمة رواه ابن ماجة والحاكم مسندا عن أبي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق أنسب بالآية (ورسول الملاحم) جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك لالتحام الابطال فيها أي ازدحامهم فيها لانه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل بالسيف وأمر بالجهاد ولم يقع لنبي ولا أمته من الجهاد والقتال ما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم ولامته ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهذا لا ينافي كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لانه رحمة حقيقة اذ في قتاله غنيمة للمسلمين وهداية بعض الكافرين الى الاسلام وأمن دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع ما فيه لا يناسب العالمين (وأنا المقفي وقفيت النبيين) كلاهما بتشديد الفاء كما قال تعالى ثم قفينا على آثارهم وهو اما بمعنى المتابع الذي جاء على أثرهم لان معنى قفا تبع ومنه القافية وفيه من الفضل أنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف على أحوالهم وشرائعهم فاختار له الله من كل شئ أحسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوائد أو المراد انه خاتمهم وآخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التاء الفوقية واقتصر عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقفى ذكره غير الطيبي ولم يرد به نص صريح وفيه نظر (وأنا قيم) بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد (و) فسره المصنف بقوله و (القيم الجامع الكامل) أي الجامع لمكارم الاخلاق النفسية الكامل فيها أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بأمر الناس وأمر الدين كما قاله ابن الاشرم لما ولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رواه الآمدي

بدلت دينا بعد دين قد ندم * وكنت في الدين كاعمى في ظلم * يا قيم الدين أقمنا نستقم

كما ورد في الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال أتاني ملك فقال أنت قيم وخلقك قيم * أي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القائم بأمور الخلق ومدبر العالم في جميع أموره وهو مرادف للقيوم الذي هو من أسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم بشئ من أسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك من أسمائه والقيم أيضا من أسماء الله تعالى كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم أنت قيم السموات والارض ومن فيهن وقال ابن دحية هو بمعنى القائم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة (كذا وجدته) أي تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث (ولم أروه) بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط عندهم وهو مما يستأنس به وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس وفي النهاية الاثيرية أيضا كما مر (وأرى ان صوابه) بحسب الرواية (قثم) بالثاء المثلثة المفتوحة المخففة

(كما ذكرناه بعد) أى كما سيأتى ذكره بعد ذلك (عن الحربى) أى منقول عنه بلفظ قثم بالمثلثة وهو المأخوذ من القثم بمعنى الجمع كما أشار
اليه بقوله (وهو أشبه) أى من حيث اللفظ ٣٩٢ (بالتفسير) أى الذى سبق قريبا من قوله الجامع الكامل واستحسن كلامه الحلبى ولا
يبعد أن تكون الروايتان ثابتتين وكون احداهما أشبه بالتفسير لا يفيد صوابها وتصحيف غيرها مع انه قد يكون التفسير حاصل المعنى لا أصل المبنى على ان قوام الشئ واستقامته لا يكون الا بكماله وجامعيته فى حد ذاته ويؤيد ما قررنا ويقوى ما حررنا قوله (وقد وقع أيضا) أى القيم بالتحتية (فى كتب الانبياء) أى الماضية ومنها رواية المصنف (قال داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة) أى مقومها بطريق الوفرة (بعد الفترة) أى الفتور فى الطاعة (فقد يكون القيم بمعناه) أى بمعنى المقيم الوارد بمعنى المقوم كما فسر الدعاء الوارد اللهم أنت قيم السموات بمعنى مقومها ومقيمها ومديمها وقد أبعد الدلجى فى تقييد قوله معناه بالمثلثة (وروى النقاش عنه عليه الصلاة والسلام لى فى القرآن) أى مذكور مسطور (سبعة أسماء محمد) وهو قوله تعالى محمد رسول الله (وأحمد) وهو قول
عيسى عليه السلام يأتى من بعدى اسمه أحمد (وطه ويس) وفى نسخة تقديم وتأخير بينهما وسبق بيانهما
(والمدثر والمزمل) أى فى أوائل سورهما (وعبد الله) كما فى قوله سبحانه وتعالى وانه لما قام عبد الله ولعله اقتصر عليها لشهرتها والا
فله فيه أسماء كثيرة كالنبى والرسول والخاتم والحريص والعزيز والرؤف والرحيم وأمثال ذلك مما يدل على صفات له هنالك واقتصر

وضم القاف فرأى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره
ورواه ابن اسحق فى حديث غريب هو قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتانى ملك فقال أنت
قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة قال ابن دحية فى اشتقاقه معنيان أحدهما من القثم وهو الاعطاء
يقال قثم له من العطاء اذا أعطاه فسمى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لجوده وعطائه والثانى من القثم
وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم جامعا للفضائل وجميع
الخير والمناقب وقد علمت ما فيه (كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم أى فيما سيأتى (عن الحربى) قال
البرهان لهم أبو اسحق الحربى واسحق بن الحسين الحربى والثانى ثقة حجة سمع من هوذة وحسين بن
محمد وغيرهما ووثقه الدارقطنى وصحح عليه فى الميزان وذكر الذهبى أنه مبهم (وهو أشبه بالتفسير) يعنى
انه أقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع وفيه نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع أيضا كما تقدم آنفا وقد كان
عبد الله أبو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكنى بأبى محمد وأبى قثم وقالوا انه الجامع للخير أو لشمل أمته
ويأتى ان هذا الاسم معروف فى جماعة من أهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم أيضا وقثم بن عبد الله بن
العباس ثم عاد المصنف الى ذكر القيم بالتحتية وأشار الى ما صححه فقال (ووقع أيضا فى كتب الانبياء)
المنزلة من السماء كصحف ابراهيم وداود (قال داود عليه الصلاة والسلام اللهم) أى يا الله وألحقوا الميم
فى آخر هذا الاسم ايذانا بجمع أسمائه وصفاته فالسائل اذا قال اللهم فكأنه قال ادعو بأسمائه وصفاته
فأتى بالميم المؤذنة بالجمع فى آخره ايذانا بسؤاله بأسمائه كلها ولذا قال العطاردى اللهم فيها تسعة وتسعون
اسما من أسمائه وقال النضر من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه ووجه هذا ان اللهم بمنزلة واو
الجمع فانها من مخرجها فكان الداعى بها يقول يا الله الذى اجتمعت له الاسماء الحسنى والصفات
العلى وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون فى نحو مسلمون (ابعث لنا محمدا يقيم السنة) أى
الطريقة الشرعية والدين (بعد الفترة) أى انقطاع الوحى والرسل وضمير لنا للناس (فقد يكون القيم
بمعناه) أى بمعنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر لدلالته بمادته عليه فيكون اذا سلم انه اسم للنبى صلى الله
تعالى عليه وسلم بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه فى الزبور كما يشير اليه كلام المصنف وفى التوراة كما نقله
السيوطى ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهى
الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص بما بين عيسى ونبينا
صلى الله تعالى عليهما وسلم وأصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه فليس معنى أصليا
كما توهم فان كان ضمير لنا له ولقوله فجملة ابعث الدعائية لتمنى ان يبعث فى زمنه وقيل ضمير بمعناه
لقثم بالمثلثة وفى كتاب فضل الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لابن القيم ان اللهم لا تستعمل
الا فى الطلب نحو اللهم اغفر لى قلت وهذا ينافى قوله بعد هذا انه يسوغ استعماله فى موضع لا يكون
بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى فتأمله (وروى النقاش) تقدمت ترجمته (عنه عليه
الصلاة والسلام) أنه قال (لى فى القرآن سبعة أسماء) تقدم المراد بالاسماء وانها تشمل الصفات غير
الاعلام ثم ذكرها فقال (محمد وأحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله) تقدم الكلام على بعضها
وسيأتى تتمته ومحالها من القرآن معلومة فى أوائل السور وغيرها كقوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه

(وفى حديث) أى ثابت (عن جبير) بالتصغير (ابن مطعم) بضم ميم وكسر عين (رضى الله تعالى عنه هى) أى أسمائى (ست) الظاهر ستة ولعل وجه التذكير تأنيث الضمير (محمد وأحمد وخاتم) بكسر التاء وفتحها (وعاقب وحاشر وماح) اسم فاعل من المحو وقد سبق معانيها فى ضمن مبانيها (وفى حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه) كما رواه مسلم (انه كان عليه الصلاة والسلام يسمى لنا نفسه أسماء) أى متعددة (فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى) بكسر الفاء المشددة أى الذاهب المولى فمعناه آخر الانبياء والمتبع لهم كالقفا فكل شئ يتبع شيئا فقد قفاه (والحاشر) أى الجامع للحشر والباعث للنشر (ونبى التوبة) أى من حيث انه يتوب على يده جمع كثير من أهل دينه أولان توبة هذه الامة حاصلة بمجرد الندامة وما يتبعها من العلامة بخلاف توبة الامم السالفة فانها كانت بارتكاب الامور الشاقة أوانه كثير التوبة بالرجعة والاوبة لحديث البخارى انى لاستغفر الله تعالى فى اليوم مائة مرة أولان باب التوبة يغلق فى آخر هذه الملة (ونبى الملحمة) بفتح الميم والحاء القتال العظيم وهو كقوله بعثت بالسيف (ونبى الرحمة ويروى المرحمة والراحة) روايات أربع (وكل) أى من الالفاظ المذكورة (صحيح ان شاء الله تعالى) أى كما سيأتى وجوهها مسطورة (ومعنى المقفى معنى العاقب) وقد سبق بيانه

واقتصر على هذه لشهرتها والا فقد ورد فيه غيرها كالرسول والنبى والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه أو المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر والجواب بان رؤف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما فى قوله تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم ثم استفيد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر وقوله فى القرآن يشير الى ان له أسماء أخر ليست فيه وفى الصحيحين فى فترة الوحى بينا أنا أمشى اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه ورجفت فقلت زملونى زملونى وفى رواية دثرونى فانزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التى كان عليها حين النزول والمدثر المتلفف فى الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه وأصله المتدثر والمتزمل فقلب وأدغم كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الورد انما نزل يا أيها المدثر عقيب قوله زملونى لان هذا التزمل أريد به الدثار من برد يعترى المروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله تعالى عليه وسلم عند نزول الوحى عليه فخاطبه بما طلب من تزمله أى يا أيها المتزمل المتدثر دع الدثار وجد فى الانذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما أمر به كما تقول أرسلته لامر فتخوف وتثبط عنه يا أيها المتخوف امض لامرك وقال السهيلى فيه ملاطفة لانه ورد أنا النذير العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تلميح بالطباق وهو منزع بديع وكان تدثره صلى الله تعالى عليه وسلم بقطيفة فى بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطأ لانه كان بمكة وعائشة انما كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقرآن وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة من المزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلى ليس المزمل من أسمائه صلى الله عليه وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا أبا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة رضى الله تعالى عنهما من المغاضبة وما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه كان بمنزلها مزملا بمرط طوله أربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهى نائمة لا أصل له فان نزول يا أيها المزمل كان بمكة ودخوله صلى الله تعالى عليه وسلم على عائشة انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله تعالى به فى آيات والعبودية أشرف صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وأصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا أم لا وقال المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير وفى بعض النسخ (وفى حديث عن جبير بن مطعم هى) أى أسماؤه صلى الله عليه وسلم (ست محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحى) وقد علمت معانيها (وفى حديث أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يسمى لنا نفسه أسماء فيقول أنا محمد وأحمد والمقفى) وفى رواية كما تقدم المقتفى (والحاشر ونبى التوبة) هذا الحديث أسنده السيوطى فى الرياض الانيقة وقدم تفسير هذه الاسماء غير الاخير ومعناه ان توبة أمته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها أو يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته أصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط أمور شاقة كما لم تقبل توبة بنى اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل أنفسهم وهذه الامة تقبل منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب وبه فسر قوله تعالى ان الله يحب التوابين بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد أو استحلالهم ونحوه كما فصلوه فى محله فهو لا ينافى قبول توبة غير هذه الامة فى الجملة (ونبى الملحمة) تقدم تفسيره (ونبى المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله) رواية ودراية كما تقدم أيضا (ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا والاولى تفسير كل منهما بمعنى هربا من التكرار فمعنى

(وقيل المتبع للنبي وأماني الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يعني والرحمة مرادفة للمرحمة ومتضمنة للراحة ومتسببة عن التوبة (وكما وصفه) أي سبحانه وتعالى (بانه) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لكونه منعوتا بالرحمة الموجبة للراحة والباعثة على التوبة المقتضية للمرحمة (يزكيهم) أي يطهر أمته عن دنس المعصية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي السنة وكلها أسباب الرحمة وبواعث التوبة (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي ويدلهم على دين قويم (وبالمؤمنين رؤف رحيم) أي وعلى العاصين كافة كريم حليم (وقد قال) أي النبي عليه الصلاة والسلام (في صفة أمته انها أمة مرحومة) أي مغفور لها متاب عليها كما رواه الحاكم في الكنى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف ورواه أبو داود والطبراني والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عقاب في الآخرة انما عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل والبلايا (وقد قال تعالى فيهم) أي في حقهم اصالة وفي حق غيرهم تبعا حيث نزل فيهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أي بموجبات الرحمة أو بها كافة على البرية (أي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه الصلاة والسلام ربه تعالى) أي على وجه الاكرام (رحمة لامته) أي خاصة (ورحمة للعالمين) أي عامة اذهو رحمة للكفار من عذاب الاستئصال في هذه الدار (ورحيما لهم) أي بخصوصهم وعمومهم بحسب استحقاقهم (ومترحما) أي متكلفا لاظهار الرحمة أو مبالغا في استنزال المرحمة (ومستغفرا لهم) أي طالبا المغفرة لذنوب أمة الاجابة وتوفيق الايمان لامة الدعوة

المقفي التابع لهدى النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه أشار بقوله (وقيل) معنى المقفي (المتبع لهدى النبيين وأماني الرحمة والتوبة) يأتي جوابا أو قيل معنى نبي التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة (والمرحمة والراحة) لان من رحمه الله تعالى فقد أراحه من العقاب واذا أعلمه بذلك أراحه من القلق والضجر (فقد قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه نبي الملحمة والسيف أي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستئصال فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر فالسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله عليه وسلم ليطبقها عليهم واباؤه ذلك رجاء ان يكون من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر وأثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر أعمارهم وقد أثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة أعمارهم وأعمالهم باقل من ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفي جعله صلى الله تعالى عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة (وكما وصفه) أي مثل وصفه الذي وصفه به في هذه الآية ووصفه له في غيرها (بانه يزكيهم) أي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والآثام المدنسة لهم بمقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين وقيل لامته (ويعلمهم الكتاب) أي القرآن (والحكمة) أي العلوم النافعة والعقائد الحقة ومعاني القرآن وفسرت أيضا باصابة الحق قولا وفعلا وورد بمعنى القرآن أيضا والحكمة من الله معرفة حقائق الاشياء وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو الذي وصف به لقمان ويصح ارادته هنا أيضا (ويهديهم الى صراط مستقيم) أي يدلهم على طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين (وبالمؤمنين رؤف رحيم) قدم متعلقه للتخصيص أو للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصدا للاقتباس عن مشكاته وتقديم الرؤف كما مر لانه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كما مر وما قيل من انه قدم للفاصلة وحقه التأخير بناء على انه أشد الرحمة تقدم رده (وقد قال) النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أو الله في غير القرآن اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ (في صفته أمته انها أمة مرحومة) في الدنيا والآخرة في الحياة والممات والامة أمة الدعوة أو الاجابة (وقد قال تعالى فيهم) أي في حقهم وشانهم (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) معطوف على جملة الصلة في قوله تعالى الذين آمنوا (أي يرحم بعضهم بعضا) أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وبالرحمة على خلق الله (فبعثه الله) وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه (رحمة لامته) متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو في الحقيقة سببه ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة مفعول له أو حال من الله أو من ضمير النبي بمعنى راحما لهم (ورحمة للعالمين ورحيما بهم) أي جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم وحمله على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله (ومترحما ومستغفرا لهم) أي داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته

صلى

(وجعل) أى الله سبحانه وتعالى (أمته أمة مرحومة) أى لكونه نبي الرحمة (ووصفها بالرحمة) أى بكونها راحمة كما قال الله تعالى رحماء بينهم لكونه نبي الرحمة فهم جامعون بين الراحمية والمرحومية كما يشير اليه قوله (وأمرها بالتراحم) أى بان يترحم بعضهم على بعض (وأثنى عليه) أى ومدح التراحم وبالغ فيه ليكون سببا لرحمته سبحانه وتعالى عليهم وفي نسخة وأثنى عليها أى على صفة الرحمة (فقال ان الله يحب من عباده الرحماء) كما رواه الشيخان عن أسامة بن زيد الا أنه بلفظ يرحم بدل يحب (وقال) أى في حديث آخر رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم) بالجزم والرفع (من في السماء) أى من الملأ الاعلى أو من في السماء ملكه وعرشه أو من هو معبود في السماء زاد الترمذي والرحم شجنة من الرحمن أى قطعة ماخوذة من صفة الرحمن من وصلها وصله الله تعالى ومن قطعها قطعه الله تعالى وهو حديث مسلسل بالاولية لبعض أرباب الرواية لكن أسانيده غير صحيحة عند أصحاب الدراية لانقطاع التسلسل من عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن مولاه ابن عمرو (واما روايه نبي الملحمة) على ما أخرجه ابن سعد عن مجاهد (فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف) أى وضرب السيف بعد انقطاع القتال وثبوت الحجة ووضوح المحجة حال الجدال بسببه (صلى الله تعالى عليه وسلم وهي) أى هذه الرواية أو الاشارة (صحيحة) وعلى تصحيح المدعي صريحة قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم (وروى حذيفة مثل) حديث (أبي موسى) كما رواه أحمد والترمذي في الشمائل (وفيه) أى وفي حديث حذيفة (نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي) أى كأبي نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة (في حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال أتاني ملك فقال) أى لي كما في نسخة (أنت قثم) بالمثلثة (أى مجمع) يعني لانواع العطاء فان القثم هو الاعطاء (قال) أى الحربي (والقثوم) بفتح القاف (الجامع للخير) يروى والقثم ويؤيده قوله (وهذا) أى قثم (اسم هو في أهل بيته عليه الصلاة والسلام معلوم) أى عند أهله وهو قثم بن العباس وقثم عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا هذا وقال التلمساني والجامع اما للخير أو ما افترق في غيره أو جمع الله به شمل الامة وكان قد افترق الملة ثم قال وقثم عم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شقيق الحارث بن عبد المطلب وبه سميت محلة بسمرقند لانه دفن فيها انتهى والصحيح ان قثم عمه مات صغيرا وان المحلة التي بسمرقند دفن فيها قثم بن العباس على ما ذكره المغرب ونقله الانطاكي (وقد جاءت من ألقابه عليه الصلاة والسلام) وهي الصفات الغالبة عليه (وسماته) بكسر أوله جمع سمة وهي العلامة

صلى الله عليه وسلم عليهم ففيه حسن ترتيب وايهام للتأكيد (وجعل أمته أمة مرحومة ووصفها بالرحمة) لاجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم ويجوز ان يكون بيانا للسامر لاعتنائه به وتفضيله (وأمرها) أى الامة (عليه الصلاة والسلام بالتراحم وأثنى عليهم) أى أمر أمته بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله (وقال) عليه الصلاة والسلام (ان الله يحب من عباده الرحماء وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهذا خبر لفظا مآل معناه الامر فلذا أردفه بصريحه بقوله (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) بالرفع والجزم وحديث ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل ويؤخذ من كونه صلى الله تعالى عليه وسلم رحمة انه لا ينبغي أن يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وقيل انه مخصوص بالتشهد لعدم وروده في غيره وسيأتي تفصيله في بحث الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (واما روايه نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهي صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون وظاهرة معنى لانه صلى الله تعالى عليه وسلم فرض عليه القتال وأحلت له الغنائم ونصر بالرعب ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في أمته الى يوم القيامة وما أحسن ما قيل

جمع الشجاعة والخشوع لربه * ما أحسن المحراب في المحراب

فلاختصاصه بذلك أضيف له (وروى حذيفة) وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه أحمد والترمذي في الشمائل (مثل حديث أبي موسى) الاشعري السابق أى بمعناه ولفظه (وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم) بالجمع للكثرة اشارة الى انه اختص بكثرتها (وروى الحربي) تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المصنف رحمه الله تعالى ورواه أبو نعيم في الدلائل عن يونس بن ميسرة (في حديثه عليه الصلاة والسلام انه) بيان لانه مرفوع (قال أتاني ملك فقال أنت قثم) بالثاء المثلثة كما مر (أى مجتمع) أى مجموع فيك كل كمال وخير فكنى عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا عقبه بقوله (قال والقثوم الجامع للخير) كله في ذاته ولغيره (وهذا اسم) له صلى الله عليه وسلم (هو في أهل بيته معلوم) فسمى به غيره كما تقدم وتفسيره (وقد جاءت من ألقابه) وهي اسماؤه المنقولة واللقب ما أشعر بمدح وذم وأما قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب فخصوص بما فيه ذم وكما ذكره المفسرون (وسماته) بمعنى صفاته أو هو عطف تفسيري والسمة في

الاصل الوسم والكى ثم عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة أو المراد الصفات الواردة (فى القرآن) لان أكثر مافيه صفات منزلة منزلة الاعلام (عدة كثيرة سوى ماذكرناه) مما تقدم ذكره ومنها ماهو حقيقة ومنها ماهو استعارة (كالنور والسراج المنير) كما قال تعالى قدجاءكم من الله نور وقال وسراجا منيرا وفسر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فانه نور لاينطفى ويأبى الله الا أن يتم نوره وهذا بناء على مااختاره ومنهم من فسره بالقرآن ولكل وجهة والذى حققه المشايخ نور الله تعالى مراقدهم كما فى مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى يفيض بعضها على بعض قال والنور الحقيقى هو الله تعالى فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعرى انه نور ليس كالانوار والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الانوار وبهذا صرح فى هيا كل النور فلذا سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية سمى سراجا لما فاض عليه من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا ولا مؤكدا فان فهمت فنور على نور فهو فى الاصل استعارة ثم ان كان سمى به صار حقيقة عرفية (والمنذر والنذير) وهما متقاربان معنى وأصل الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالى انما أنت منذر ولكل قوم هاد وقال انى انا النذير المبين وفى البخارى انما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاة النجاة فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب ماجئت به من الحق والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى انذاره ووصفه بالعريان لانه أبلغ فى انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصياح تاكيد الانذاره (والمبشر والبشير) قال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ونحوه من الآيات وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الاخبار بخير سار وقوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم تهكم وسميت بها لتغييرها بشرة الوجه أى ظاهره وقيده بعضهم بالخبر الصادق وبنوا عليه مالو علق عليه طلاقا أو عتاقا كما بين فى كتب الفقه والاصول وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقدمر ذلك كله وقال السيوطى انه من اسماء الله أيضا لقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر (والشاهد والشهيد) قال تعالى انا أرسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا ونحوه والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع وأصل معنى الشهادة المعاينة وسمى به لشهادته على الامم لتبليغ أنبيائهم لهم ويشهد على أمته بالايمان كما ورد فى الحديث ويأتى ان الشهيد من اسماء الله تعالى ومعناه العالم أو الشاهد على عباده يوم القيامة ثم سمى به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والحق المبين) قال تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال قدجاءكم الحق من ربكم ونحوه وفسرا به صلى الله تعالى عليه وسلم والحق والصدق متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشئ الى الواقع والحق نسبة مافى الواقع الى الشئ من حق اذا ثبت وسمى به صلى الله تعالى عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وماجاء به وجعل عين الحق مبالغة والمبين من أبان ويكون متعديا ولازما بمعنى تبين فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره قال تعالى لتبين للناس مانزل اليهم وان من اسمائه تعالى لتبين ألوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده أمر معادهم ومعاشهم وشرائعهم (وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة فى الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين من ختمت

(فى القرآن) أى نعوته المعلمة المعلومة فيه مما نسب اليه (عدة كثيرة) أى جملة معدودة مبينة لديه (سوى ماذكرناه) أى ومعناما قررناه (كالنور) أى قوله تعالى قدجاءكم من الله نور (والسراج المنير) أى فى قوله تعالى وسراجا منيرا (والمنذر) أى فى قوله تعالى وتنذر يوم الجمع وليكون من المنذرين (والنذير والمبشر) أى فى قوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (والبشير) قال تعالى فقدجاءكم بشير ونذير (والشاهد) كما سبق لقوله تعالى وشاهد ومشهود (والشهيد) قال تعالى وجئنابك على هؤلاء شهيدا (والحق المبين) لقوله تعالى لقدجاءالحق من ربكم وهو أولى من قول الدلجى لما فى حديث البخارى اللهم أنت قيم السموات والارض ومن فيهن وفيه ومحمد حق اذفيه ان هذا ليس فى القرآن والكلام فى أسماء مذكورة فيه مع انه خبر عنه لا وصف له كما فى بقية الحديث والجنة حق والنار حق الا أن حق المصنف كان ان يقول والمبين بالعطف للاشارة الى انهما وصفان مستقلان وللاشعار الى قوله تعالى لتبين للناس مانزل اليهم فان وصفه عليه الصلاة والسلام بمجموع الحق المبين غير معروف لا فى الكتاب ولا فى السنة ولعله ذكرهما بحذف العاطف (وخاتم النبيين) كما قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهو بفتح التاء عطف على الاسم أى آخرهم وبالكسر على الفاعل لانه خاتم النبيين فهو خاتمهم ذكره الانطاكى والتحقيق ان المراد بالفتح مايختم به من الطابع فقوله أى آخرهم حاصل المعنى لاجل المبنى الامر

(والرؤف الرحيم) جمع بينهما من غير عاطف كما جاء في الآية بالمؤمنين رؤف رحيم والرأفة شدة الرحمة فأخر لمراعاة الفاصلة أو للتعميم والتتميم (والأمين) لقوله تعالى عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين على أحد القولين في تفسيره والحديث اني لأمين في الارض أمين في السماء وكان قبل البعثة يسمى أمينا (وقدم الصدق) أي من حيث انه أوحى اليه ان بشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم فهو أولى بهذا الوصف من غيره وكان حق المصنف ان يأتي به منكرا على طبق وروده وقيل سمى قدم صدق لانه يشفع لهم عند ربهم (ورحمة للعالمين) لقوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (ونعمة الله) أي أنعم به على من آمن به في الدارين ذكره الدلجي والاولى ان يقال لقوله تعالى وبنعمة الله هم يكفرون كما قاله المفسرون (والعروة الوثقى) أي من حيث ان من آمن به فقط تمسك من الدين بعقد وثيق لا تحله شبهة ذكره الدلجي والاظهر لقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى أي بعهد المصطفى وذمة المجتبى قال الانطاكي قيل انه محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هو الاسلام (والصراط المستقيم) أي من حيث هداية من آمن به اليه ودلالته عليه كذا ذكره الدلجي ولعله مأخوذ من قوله تعالى يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم أي الى نبي كريم ودليل قويم قال الانطاكي قوله الصراط المستقيم قيل هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل هو طريقه عليه الصلاة والسلام وقيل هو طريق الجنة وقيل طريق أهل السنة والجماعة وقيل هو الاسلام وقيل هو القرآن انتهى والكل متقارب البيان في معرض البرهان وزيد في نسخة هناطه ويس وهي غير صحيحة لقول المصنف سوى ما ذكرناه وقد ذكرناهما

الامر اذا تممته وبلغت آخره وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا وأحسنه وأكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هلا وضعت تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة ولئلا يطول مكث أمته تحت الارض ولئلا تطلع الامم على أحوال أمته ولئلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه السلام على شريعته كما تقدم (والرؤف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا (والأمين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى وهذا البلد الأمين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع في القرآن في قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين في قول بعض المفسرين ان المراد به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما روان كان المشهور خلافه وانه جبريل عليه السلام وقال المصنف انه قول أكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله تعالى في موسى اني لكم رسول أمين وفيه تكلف وقد سمى به وبالمأمون في الجاهلية قال كعب بن زهير

سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

ومر انه لما تشاحنت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا أول من يدخل من هذا الباب تضعه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا قد جاء الامين وانه كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده الودائع والامانات (وقدم الصدق) كما عده كثير من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم وفي البخاري عن زيد بن أسلم في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم ومر الكلام عليه مفصلا في أول الكتاب وعن علي كرم الله وجهه كما أخرجه ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه تبشير بان يشفع لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله تعالى به وكذا روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ان معناه شفيع مصدق ومر عنه في كلام المصنف رحمه الله تعالى شفيع صدق عند ربهم ومر فيه عن سهل ان معناه سابقة رحمة أودعها الله تعالى أي عهد له بها أزلا انه سيجعله رحمة لهم ولذا أعقبه المصنف رحمه الله بقوله (ورحمة للعالمين) فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم أي تقدم كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها * مع الحسب العادي طمت على الفخر

وكونه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين وقدمر الكلام عليه (ونعمة الله) فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار قريش ونعمة الله محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فسمى نعمة كما سمى رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال (والعروة الوثقى) قال ابن دحية وأبو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة ففيه استعارة تمثيلية تصريحية لان من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من مسك حبلا متينا صعد من حضيض المهالك (و) من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم (الصراط المستقيم) ذكره ابن دحية وقال

أبو العالية فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرجه ابن أبى حاتم وسمى به لانه طريق الى الله تعالى موصل اليه وتقدم ان الصراط بالصاد والسين والزاى المشمة الطريق المستوى أو الواضح والمستقيم الذى لاعوج فيه فاستعيرله صلى الله تعالى عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه بقوله (والنجم الثاقب) اشارة لقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وروى عن السلف فى قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قلبه وهو بعيد وقدم هذا وماقبله فى كلام المصنف رحمه الله عن جعفر الصادق فى تفسير والنجم اذاهوى وان الثاقب بمعنى المضىء المتوهج قال

أضاءت لهم احسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهو تشبيه بليغ أو استعارة من مطلق النجم أو من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدى به صلى الله تعالى عليه وسلم كما يهتدى بالنجم أو لانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجه الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل (والكريم) المتفضل أو العفو أو الكثير الخير أو العلى كما يأتى وكله صحيح فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو سمى به فى قوله تعالى انه لقول رسول كريم بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل عليه السلام كما مر ويأتى والخلاف فى تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته بهذه الآية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه فى الاحاديث الصحيحة (والنبى الامى) قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبى الامى وهو من لايقرؤ ولا يكتب وقيل هو الذى يقرؤ ولا يكتب ورجحه السبكى والسيوطى وفيه أقوال أحدها وثانيها هذان وقيل كان يقرؤ ويكتب وقيل كان لايقرؤ ولا يكتب فى أول أمره ثم لمازالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم وسيأتى تفصيله مع انه تقدم مرارا والأمى منسوب الى الام كأنه على الحالة التى ولدته أمه عليها أو الى أم القرى وهى مكة أو الى أمة العرب وكنى به عما ذكر لان القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوبة الى الامة لانه أمة بنفسه وأميته معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ماظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية ومعرفته باخبار الامم السالفة وشرائعهم وهو لايقرؤ ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلقن ممن قرأ أو كتب أمر غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانهما آلة وواسطة له غير مقصودة فى نفسهما فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع مافى ذلك من الرتبة والاستغناء بكتابته عن ملاقاته كما قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وروى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لاأريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذى ولم يسنده فجازاه الله تعالى على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لاترفع الاصوات على صوته وسيأتى ان من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالامية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب (وداعى الله) أى داعى الناس الى توحيد الله وطاعته كما قال الله تعالى وداعيا الى الله باذنه وأجيبوا داعى الله ونحوه وفى الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن أجاب الداعى رضى عنه السيد ودخل الدار وأكل من المأدبة فالسيد هو الله والداعى محمد والدار الاسلام وقال البخارى الجنة وكذا المأدبة قال السيوطى وقد وصف الله تعالى نفسه بانه داع فى قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام فهو من جملة أسماء الله تعالى التى سماه بها وقال على لسان الجن أجيبوا داعى الله ففيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل لم يبعث الى الجن نبى قبله وفسر قوله بعثت الى الاسود والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه السلام وقد يوفق

قدمناه وحررناه (والنجم الثاقب) أى المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه بظهوره وهو مأخوذ من قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ولعل فى ايراده ايماء الى انه مشبه به (والكريم) قال تعالى انه لقول رسول كريم (والنبى الامى) أى الذى لايقرأ ولا يكتب قال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى (وداعى الله) لقوله تعالى وداعيا الى الله باذنه ولقوله سبحانه وتعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وكان الاظهر ان يقال والداعى الى الله ثم رأيت قوله تعالى أجيبوا داعى الله قال البغوى يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم

بينهما

بينهما بان الله سخر له الجن مع أمره لهم بتوحيده تعالى لانه لا يرضى الكفر الا انه لم يكلفهم بفروع
شريعته والنبي صلى الله عليه وسلم مأمور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه ولم يؤمر باستخدامهم
وتسخيرهم له كسليمان (في أوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة مبجلة أي وردما ذكر في القرآن
والآثار مع صفات أخر كثيرة أطلقت عليه كاطلاق الاسم على مسماه فجعل الكثير باشتماله على غيره
كالظرف المحتوى على مظروفه وسمات جمع سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة
كالمرسن للانف وشاع حتى صار كالحقيقة أو بمنزلتها ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به
للتفنن في العبارة (وجرى منها في كتب الله المتقدمة) أي وقع منها في كتب الله المتقدمة على القرآن
كالتوراة والانجيل وغيرهما وجرى حقيقته أسرع من المشي وفي المائعات بمعنى سال كجرى النهر ثم
شاع عرفا بمعنى وقع وحدث فيقال جرى الماء على كذا ولذا تلطف الشاعر في قوله

ويحدث الماء الزلال مع الصفا * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

(وكتب أنبيائه) قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم عليهم الصلاة والسلام أحاديث دونها أحبارهم
في زمانهم قبل نسخ أحكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم من مقابلته
لما قبله (وأحاديث رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم الواقع فيها وصفه أو تسميته لنفسه أو قالها أصحابه
بنقل عنه وبدونه وهذه كلها تسمى أحاديث أيضا (واطلاق الامة) غير الصحابة أو المراد الاعم أي
تسميتهم له صلى الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة أم لا مشهور
ومتعارف وهو في الاصل من الاطلاق بمعنى فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر وأسماؤه صلى الله عليه وسلم
وان كانت توقيفية عند بعضهم كأسماء الله تعالى فما اشتهر فيها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة
لا تجتمع على الضلالة وقد وقع هذا في كثير من أسمائه وصفاته (جملة شافية) فاعل جرى من شفاء
المريض أي شافية من داء الجهل أو من شفاء الغليل وهو حر العطش لانه يروي الظمأ ويثلج الصدر
(كتسميته بالمصطفى والمجتبى) هذا مما أطلقه عليه الامة ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعنى وفي الصحاح
اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره وأصله كما قاله الراغب من جبيت الماء في الحوض اذا جمعته لجمعه صلى الله
تعالى عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهي من غير سعي كما قال الله تعالى يجتبي اليه من يشاء
ويهدي اليه من ينيب قال السيوطي المصطفى من أشهر أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله المختار
وفي مسند الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الى آخره (وأبي القاسم) وهذا أشهر كنية
له صلى الله عليه وسلم ومنها أبو ابراهيم كما يأتي وأبو المؤمنين وأبو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في
الحديث الصحيح في مسلم عن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال تسموا باسمي ولا تكنوا
بكنيتي فاني أبو القاسم أقسم بينكم ويأتي الكلام في أوائل القسم الرابع ومثله ما في كتاب الذخائر
والاعلاق في أدب النفوس ومكارم الاخلاق انه كني به لانه يقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة والذي
جزم به أهل السير انه كني بابنه القاسم وهو أول أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم من خديجة ولادة ووفاة
وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي وقيل انه جائز بعد موته
صلى الله تعالى عليه وسلم والنهي مخصوص بحياته ورجحه النووي ووجهه أن النهي عن ذلك لئلا
يتأذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه وهو يزول بوفاته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا لم
ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به وفي قول يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر
مرفوعا (من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي) ويأتي بسط ذلك في القسم المذكور وقال السبكي وحيث
حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك وأما الاطلاق فامر ثالث

(في أوصاف كثيرة) أي
مع صفات أخر كثيرة
(وسمات جليلة) أي
نعوت عظيمة شهيرة
(وجرى منها) أي من
أسمائه (في كتب الله
المتقدمة) كالتوراة
والزبور والانجيل
(وكتب أنبيائه) أي
الماضية من الصحف
الوافية (وأحاديث
رسوله) أي الثابتة
(واطلاق الامة) أي من
العلماء والائمة (جملة
شافية) فاعل جرى
جملة من الاسماء
والصفات شافية في
حصول المهمات
(كتسميته بالمصطفى)
وهو وان شاركه سائر
الرسل حيث قال الله
تعالى الله يصطفي من
الملائكة رسلا ومن
الناس الآية الا انه هو
الفرد الاكمل من هذا
الجنس الافضل وكذا
قوله (والمجتبى) من قوله
تعالى الله يجتبي اليه من
يشاء ويهدي اليه من
ينيب (وأبي القاسم)
وهو كنية بولده القاسم

الا أن يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في عمر ابنه القاسم فقيل سنتان وقيل غير ذلك (والحبيب) وحبيب الله تعالى وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا وقال وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقدم الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما والكلام على أيهما أفضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين أحدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لا يكون فيه محل لسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولا شك انها بهذا المعنى أفضل وأعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدواء ما ظنه بعض الغالطين من ان المحبة أكمل من الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله تعالى عليه وسلم أخبرنا بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه (ورسول رب العالمين) لم ينظم هذا في سلك ما وقع في القرآن لانه وان ورد فيه كثيرا الا انه لم يقع فيه مضافا الرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم جاءت الابل رسلا أي متتابعة والفرق بينه وبين النبي مشهور (والشفيع المشفع) أي المقبول شفاعته وسمى شافعا أيضا وقد تقدم أن له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله (والمتقي) والتقي والاتقى لحديث مسلم أنا أتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفسرة في تفسير البيضاوي (والمصلح) للخلق بارشاده وهدايته قال المصنف رحمه الله وجد على بعض الحجارة القديمة محمد تقي مصلح أمين لانه ألف بين قلوب الناس وأزال ما بينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب كما قال الله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم (والطاهر) بالمهملة لطهارته صلى الله عليه وسلم من النقائص والادناس الحسية والمعنوية حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه ورجحه السبكي والبلقيني وأفتوا به كما مر وقد شربت بوله أم أيمن وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله تعالى عليه وسلم وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم (والمهيمن) ويأتي ان هذا اسماه به عمه العباس رضي الله تعالى عنه في شعره المشهور الذي مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم به وقد تقدم روايته له وفيه

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها أيضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم صح انه من أسماء الله تعالى ومن أسماء القرآن قال الله تعالى وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه وفسر في الآية بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح تفسيره بالقرآن على انه حال بعد حال من الكتاب ولذا لم يذكره المصنف في أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة في القرآن وقال ابن قتيبة انه من أسماء الله تعالى معناه الشاهد وقيل الحفيظ وقيل الرقيب وقيل القائم على خلقه وقيل الامين وتبعه المصنف في بعض ذلك كما يأتي بيانه وأصله مؤيمن قلبت همزته هاء وقيل المهيمن وهو في أسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالمعنى الاول أو الرابع أو الخامس انتهى وهو عنده أي المصنف مصغر مؤمن على ما سيأتي وتصغيره للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان أسماء الله وأسماء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن بل كل معظم لا يجوز فيها التصغير كما يأتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى أبو علي في الحجة انه اسم مكبور د بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ما قاله واذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالي عليها الحفظه من

(والحبيب) لما سبق من حديث الا وأنا حبيب الله (ورسول رب العالمين) فانه أولى من يطلق عليه من بين المرسلين (والشفيع المشفع) أي المقبول شفاعته التي تعم أمته وسائر أهل محبته (والمتقي) اسم فاعل من الاتقاء وأصله الموتقي من الوقاية وهو من يقي نفسه عما توجب العذاب ومما يقتضي الحجاب (والمصلح) أي لما أفسده غيره من أمر الدين ففي التوراة ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء أي ملة ابراهيم وسميت عوجاء لتغيير العرب اياها (والطاهر) أي بحسب الباطن والظاهر (والمهيمن) أي المبالغ في المراقبة لاحوال الامة

التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل معناه المصدق و يبعده تعديته بعلى الأأن يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن ظاهر لانه أمنهم من الخوف (والصادق والمصدوق) وسمى بالصدق أيضا والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره أبو بكر بن عربى وفى صحيح البخارى حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدق قاله ابن مسعود وقد ورد هذا فى عدة أحاديث رواه السيوطى لانه صدق الانبياء والكتب التى قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدى كما ورد صدق وعده والصادق من أسماء الله أيضا وورد فى حديث الاسماء كما قاله السيوطى رحمه الله تعالى (والهادى) عده جماعة من أسمائه أخذا من قوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو من أسماء الله تعالى أيضا و يأتى ان الهداية تطلق على خلق الاهتداء و يوصف بها الله تعالى خاصة وهو المنفى فى قوله انك لا تهدى من أحببت على قول وعلى البيان والدلالة بلطف وهذه يوصف بها الله تعالى والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم و يطلق على الداعى ومنه ولكل قوم هاد ولا تستعمل الا فى الخير وقوله واهدوهم الى صراط الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد أشبعنا الكلام عليه فى حواشى القاضى (وسيد ولد آدم) وقد ورد اطلاقه عليه فى أحاديث كثيرة صحيحة كما فى حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد آدم وفى الصحيحين أنا سيد الناس يوم القيامة وهو من أسماء الله تعالى أيضا كما أثبته البيهقى فى كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا وهو أحد أقوال أربعة فقيل يختص بالله مطلقا وقيل يختص به معرفا وقيل يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل للاول بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر أنت سيدنا قال السيد هو الله وهو حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا ما يوصف به الله وغيره وأما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على الله تعالى ولان معناه رئيس القوم الذى يفخر و يعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله تعالى ولذا فسر اذا أطلق على الله بما مر وأما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف فى أمور غيره وهذا فى الحقيقة انما هو الله وأما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجأ لكل أحد وهذا مختص به تعالى وهذا أضعفها ✽ فان قلت اذا صح الاول فما تصنع بالحصر فى حديث السيد هو الله ✽ قلت اذا ثبت وصف شئ وحده أو مع غيره وأريد رده فللعرب فيه طرق أظهرها ان يؤتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا وافرادا أو يعرف الطرفان كالمعبود الله وهو كالذى قبله معنى الا أنه قد يختار ايماء لفطنة مخاطبه فهو أبلغ فى مقامه أو يجعل من أثبته الزاعم له الصفة عين من هى له فى نفس الامر كما يقال للدهرى الدهر هو الله أى لا دهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهانى كقوله تعالى ان كان للرحمن ولد الى آخره وهذا نوع أدق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه فى باب الاستثناء فقوله السيد هو الله يحتمل اجراؤه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل فيه على انه من أسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفائس الذخائر المكنوزة فى دفائن الخواطر وقد قدمنا ذلك أول الكتاب فى الباب الاول وانما أعدناه لطول العهد به والمراد بولد آدم النوع الانسانى وكذا كل جماعة سموا باسم أبيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما قال تميم اه ولا ولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافى فى كتاب العقد المنظوم وعده من ألفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع فان كان مفردا ينبغى ان تكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام أى أنا سيد كل ولد آدم وان كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم اذ فيهم من هو أفضل من آدم كابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فقد تكلف بما لا حاجة اليه لعدم وقوفه

(والصادق) أى قولا ووعدا وفعلا (والمصدوق) أى من يأتيه الصدق من عند ربه شهادة فى حق أمره (والهادى) أى للخلق الى الحق (وسيد ولد آدم) أى من المبدأ والختم عموما

(وسيد المرسلين) أى خصوصا (وامام المتقين) أى من الاولياء الصالحين والعلماء العاملين (وقائد الغر) بضم الغين وتشديد الراء أى بيض الوجوه من آثار أنوار لوضوء اطلاقا لاسم الجزء على الكل اذ الغرة بياض الجبهة قدر الدرهم (المحجلين) بتشديد الجيم المفتوحة أى المبيضين أيديا وأرجلا من أنوار الطهارة وآثار العبادة (يوم القيامة) وفيه اشارة الى ما استدل به الائمة على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل لا وانما المختص الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى وأجيب بضعفه وعلى فرض صحته احتمل أن يكون الانبياء اختصوا بالوضوء دون أممهم (وخليل الرحمن) لحديث مسلم وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا يعنى نفسه (وصاحب الحوض المورود) أى يوم القيامة وقد ورد فيه أحاديث صحيحة وفى بيان اختصاصه صريحة

على ما ذكر ومر فى الحديث أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وانه خص يوم القيامة لانه يظهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير منازع فيه وان كان سيدا فى الدارين كما مر (وسيد المرسلين) كما ورد فى أحاديث صحيحة واذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من سائر المرسلين فهو أفضل من سائر النبيين لان الرسول أفضل من النبى وان اختلف فى تفضيل الرسالة والنبوة (وامام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف رحمه الله تعالى لورودهما كذلك فى حديث رواه البزار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليلة أسرى بى انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلألأ نورا وأعطيت ثلاثا قيل لى انك سيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين وامام الناس وامام الخير كما فى الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس فى سيرته وعن قتادة فى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بامامهم ان الامام المراد به النبى صلى الله عليه وسلم والامام فى اللغة المقتدى به و يطلق على الواحد كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وعلى الجمع كقوله تعالى واجعلنا للمتقين اماما قاله ابن الانبارى وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم امام النبيين لانه أسبقهم فى النبوة الروحانية ولانه أمهم فى الاسراء كما مر وأخرج أحمد والترمذى اذا كان يوم القيامة كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم وفى رواية لاحمد كنت امام الناس ومنها أخذ تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم به وامام المتقين ان أريد به أمته صلى الله تعالى عليه وسلم فظاهر وان أريد الاعم فموافقة لرواية امام الناس فلاقتداء الانبياء به وفى بعض الشروح ان كل متق سواء كان من أمته أو من الامم السالفة مقتد به لانهم فى السير الباطنى اشرفوا على المقام المحمدى وآمنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد فى حديث رواه ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا * اللهم اجعل صلواتك ورحمتك و بركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الاولون والآخرون * وقائد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة برضاهم وفى القاموس القود نقيض السوق والغر جمع أغر وأصل الغرة بياض فى جبهة الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض فى القوائم وفى الصحيحين ان أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وفيه زين لهم وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيامة والتعبير به و بالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه اشارة الى أنهم جياد سابقون على غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله الناس للموت كخيل الطراد * والسابق السابق منها الجواد
وبها استدل على ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى وأجيب بضعفه واحتمال ان يكون الانبياء عليهم الصلاة والسلام اختصوا به دون أممهم على تقدير صحته بعيد وكون بياض الغرة أثر الوضوء لا ينافى كونه من أثر السجود وادعاء انه غيره فيه نظر (وحبيب الله) تقدم بيانه مفصلا (وخليل الرحمن) تقدم تحقيقه (وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم وقال السيوطى حديث الحوض مروى عن أكثر من خمسين صحابيا وتقدم سرد بعضهم فى كلام المصنف ومنهم أبو برزة الاسلمى وحديثه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لى حوضا ما بين ايلة الى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق أى فضة والآخر من ذهب ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة فيه أباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبى ذهب

(والشفاعة) أي العظمى (والمقام المحمود) عطف تفسير أو مغاير ان أريد بالشفاعة جنسها الشامل لجميع أنواعها (وصاحب الوسيلة) لحديث مسلم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة (والفضيلة) أي المرتبة على مرتبة الوسيلة لحديث الشيخين من قال

حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة وفي رواية النسائي وابن حبان والبيهقي المقام المحمود (والدرجة الرفيعة) أي العالية (وصاحب التاج) أي الخاص به في الجنة يلبس فيه اليمتاز به عن أهلها فقد روى أبو داود عن سهل بن معاذ عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا الحديث فاظنكم بالذي جاء به ونزل عليه وهو سيد الأولين والآخرين وما أبعد الدلجي وغيره حيث فسروا التاج بالعمامة وقالوا كانت اذ ذاك خاصة بالعرب فهي تيجانهم ومن ثم قيل العمائم تيجان العرب انتهى وتعبيره بقيل غير مرضي اذ ورد في حديث رواه الديلمي في مسند الفردوس عن علي وابن عباس مرفوعا (والمعراج) أي وصاحبه الخاص به (واللواء) لحديث آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة (والقضيب) أي السيف فعيل بمعنى الفاعل من قضب اذا قطع وقيل العصا فهو فعيل بمعنى المفعول لانه مقطوع من الشجر

جماعة الى ان حوضه صلى الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان له حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة وكلاهما يسمى كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان أو بعده والصحيح انه قبله والمعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم في السعي الى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط وورد أيضا تسميته صلى الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلى الله تعالى عليه وسلم لعظم حوضه وزيادته ومثله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء ويلزمه الشرب عادة فاذا عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة فالمراد به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به (والشفاعة) أي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه (و) صاحب (المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر (و) صاحب (الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة) الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي به لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد في حديث مسلم السابق سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون هو وأصل الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله والمنزلة عنده وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى في الدنيا والآخرة غني عن البيان (وصاحب التاج) قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن المصنف رحمه الله تعالى والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكني به عن انه من صميم العرب وأشرفهم حسبا ونسبا وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لم يلبس العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير ولنا فيه رسالة مستقلة وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة تسمى السحاب يحتها القلنسوة ودخل مكة في الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء وهو لا ينافي رواية أنس رضي الله تعالى عنه انه كان على رأسه مغفر ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم عمامة حمراء أيضا ولم يلبس خضراء أصلا (و) صاحب (المعراج) وهو السلم فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء والاسراء سيره من مكة الى بيت المقدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان أطلق كل منهما على الآخر كما مر وهو الذي تصعد عليه الارواح والملائكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده أحد غيره صلى الله تعالى عليه وسلم فلذا خص بالتسمية به (و) سمي أيضا صاحب (اللواء) قال السيوطي المراد به لواء الحمد الذي تقدم وقد يحمل على اللواء الذي كان يعقده صلى الله تعالى عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو مما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله وأول ما حدثت الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية (والقضيب) أي من اسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وتبعه السيوطي ويأتي انه وقع مفسرا به في الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به وانه يحتمل أن يراد به القضيب المشوق الذي يمسكه الخلفاء وفي كتاب البيان للجاحظ

(وراكب البراق) أي في ليلة الاسراء (والناقة) أي وراكبها في حجة الوداع وغيرها (والنجيب) عطف تفسير للناقة فانه عرفا يطلق على الخفيف السريع من الابل ولعله زيد لمراعاة السجع في مقابلة القضيب (وصاحب الحجة) أي القاطعة (والسلطان) أي السلطنة الغالبة والدولة القاهرة (والخاتم) أي وصاحب الخاتم بفتح التاء وهو بخاتم النبوة أقرب وبكسرها وهو بملبوس اليد أنسب واما قول الدلجي لان الله تعالى ختم به أنبيائه بشهادة وخاتم النبيين أي آخرهم فليس في محله اذ يأباه اضافة الصاحب اليه (والعلامة) أي وصاحب العلامة الدالة على نبوته وامامته وكم من علامة ظاهرة على رسالته وكرامته (والبرهان) أي صاحب البرهان الظاهر والتبيان الباهر (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء أي العصا وهو القضيب قاله سطيح واراد به نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان كثيرا ما تحمل بين يديه ويمسكها ويمشي بها وتغرز له فيصلي اليها وقد افردت رسالة لها وقال الهروي الهراوة هي العصا الضخمة وتبعه الجوهري (والنعلين) أي وصاحبهما اذ كان يمشي بهما وأما ما قيل يا خير من يمشي بنعل فرد اي طاق واحدة لم تخصف مع غيرها على عادة عرب البادية وهم يمدحون رقته ويجعلونه من لباس الملك ونعمته

انه كانت له صلى الله تعالى عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة عظماء العرب وخطبائهم فاذا أريد الاول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله وان كان الثاني فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم وما قيل من ان المراد به القضيب الذي أعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف في معجزاته تكلف ناشئ من ضيق العطن (وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية وروي ان وجهه كوجه الانسان وجسده كالفرس وقوائمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمي به لسرعته أو لبياضه وصفائه أو لما فيه من قليل سواد من قولهم شاة برقاء وركبه صلى الله عليه وسلم لما أسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبياء أم لا وهل ركب معه جبريل أم لا كما تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده به الى السماء مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده والنجيب الجمل وقد سمي براكب الجمل أيضا في الكتب القديمة كما سمي عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار ولذا قال النجاشي لما جاءه كتابه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به أشهد أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمي به مع ركوبه صلى الله تعالى عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه أو لهجرته عليه أو كونه من صميم العرب وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب اسم فرس له صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراه من اعرابي وهو الذي شهد له به خزيمة وهو غريب (وصاحب الحجة) وهي الدليل الذي يحج به الخصم وهو المراد أو المراد المعجزة وهي بلغت ألفا وأعظمها القرآن (والسلطان) بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا في كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة (والخاتم) أي صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه صلى الله تعالى عليه وسلم كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له أو محمد رسول الله أو توجه حيث شئت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به في كتاب شعيا وقيل المراد به الخاتم المعروف لانه لم يعرف في العرب ولا في الانبياء من ختم الكتب سواه وفيه نظر (والعلامة) أي علامة النبوة وهي الخاتم أيضا وقد ورد نعته به في الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم الدال على ان الانبياء ختموا به كما ورد في حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون أبناءهم (وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة وألف وواو وتاء تأنيث وهي العصا قال في النهاية لانه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يمسك بيده القضيب ويمشي بالعصا بين يديه وتغرز له ليصلي اليها وقال الجوهري هي العصا الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المصنف رحمه الله كما يأتي انها العصا الواردة في حديث الحوض انه يذود بها الناس عنه وقال النووي انه ضعيف أو باطل لان المراد وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم أهل الكتاب انه المبشر به في كتبهم فلا وجه لتفسيره بامر يكون في الآخرة فالصواب ما تقدم ومن سنن الانبياء حمل العصا تواضعا (والنعلين) أي صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا في الانجيل وفي كيفية نعليه كلام مفصل أفرده بعض أهل العصر بالتاليف وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم نعلان سبتيتان بكسر السين أي لا شعر عليها أو مدبوغة وما قيل من انه سمي به لما فيه من مخالفته لاهل الجاهلية من تنعلهم في رجل واحدة وقد ورد النهي عنه في الحديث الاولى

تركه

تركه (ومن أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب) الالهية المنزلة على من قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (المتوكل) هو اسمه في التوراة ونصها أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل وهو الذي يكل أمره الى الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم أرسخ الانبياء قدما فيه وتوكل العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو بطانا وتروح خماصا وتوكل الخواص وهو ترك الاسباب بالكلية (والمختار) اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفاء لانه خيار من خياره في التوراة عبدي المختار لا فظ ولا غليظ (ومقيم السنة) سمي به في التوراة والزبور في قوله اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء والمراد سنة من قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من قامت السوق نفقت ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها أو معدلها ومسويها (والمقدس) بالتشديد اسم مفعول وفي الرياض الانيقة معناه المفضل على غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقائص من التقديس وهو التطهير ومن أسماء الله تعالى القدوس أي المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديسه الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروح القدس) بضمتين وضم وسكون وهذا ساقط من بعض نسخ الشفاء أي الروح المقدسة من النقائص وروح القدس في القرآن فسر بجبريل عليه الصلاة والسلام والقدس الطهارة أو الله واضافة الروح له تشريفية كروح الله لعيسى (وروح الحق) الحق هو الله وقال الشيخ ابن عربي في النصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى الله عليه وسلم مظهره (وهو) أي روح القدس وروح الحق (معنى البارقليط في الانجيل) فانه فيه سمي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الفارقليط وفسر بما ذكر وروايته مفسرا له في شرح الانجيل للمسيحي الطيب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق أحد الاقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله (وقال ثعلب) وهو أحمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام أهل اللغة والعربية المشهور ومولده في حدود المائتين ووفاته في جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائتين في تفسيره (البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل) قال ابن دحية وهو اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتب المنزلة القديمة وروي عن ابن عباس أيضا وروي بالفاء الفصيحة وبالباء غير صافية وفي المقتفى للحلبي الذي أحفظه انه بموحدة في أوله وألف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد وفي الرياض الانيقة معناه الحامد أو الحماد والذي عليه أصحاب الانجيل ان معناه المخلص وعبارة الانجيل اني ذاهب الى أبي وأبيكم ليبعث اليكم الفارقليط وفي شرح هياكل النور للدواني انه بالفاء ثم ألف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة وألف مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي هي باطن النبوة والمراد بابي وأبيكم ربي وربكم والاوائل يسمون المبادي بالاباء انتهى فالحاصل انه بباء مشوبة بفاء وآخره ألف ثم عرب بباء وفاء وحذفت الالف من آخره ففيه ثلاثة أوجه وقالوا حقيقته المخلص كما علمت وتفسيره بالفارق الى آخره بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السماء بها يفعلون العجائب وفي ترجمة الانجيل اذا أوحشتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب ليعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال بعض أهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث اليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالته وتكون شريعته مؤيدة وليس الا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يختلفون في معنى الفارقليط والذي صح عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر

(ومن أسمائه في الكتب) أي من التوراة وغيرها (المتوكل) أي على ربه دون غيره في جميع أمره (والمختار) أي من بين البرية (ومقيم السنة) كما ورد عن داود عليه السلام اللهم ابعث مقيم السنة أي مظهر الملة (والمقدس) أي المنزه عن المنقصة (وروح القدس) بضم الدال وسكونها وسمي به لمجيئه بما فيه حياة الارواح التي بها قوة الاشباح (وروح الحق) لاحياء الحق به فهو بمنزلة روحه (وهو معنى البارقليط) بالباء الموحدة وبفتح الراء وتكسر وبسكون القاف وقد تسكن الراء وتفتح القاف وكسر اللام بعدها ياء مثناة ساكنة فطاء مهملة (في الانجيل) أي باللغة العبرانية قيل وأكثر النصارى على ان معناه المخلص (وقال ثعلب) هو العلامة المحدث شيخ اللغة والعربية أبو العباس أحمد بن يحيى البغدادي المقدم في نحوي الكوفيين مات سنة احدى وتسعين ومائتين (البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل) أي فرقا بينا وفصلا معينا بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر أصلا وقطعا

وفى الانجيل مايدل على انه الرسول فانه قال هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هولى بل للاب الذى أرسلنى أكلمكم بهذا وأنا معكم دائما البارقليط فروح القدس الذى يرسل الى باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكر جميع ماأقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته فى شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للعلم وهم يسمون العلماء آباء روحانية وقوله يرسل باسمى أى يشهد بصدق رسالتى وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا مما انتخبته من كتب عديدة يا حفظه (ومن أسمائه صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة ماذماذ ومعناه طيب طيب) وروى موذموذ وميذميذ والاول هو الذى صح روايته عند المصنف والثانى ذكره العزفى وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى التوراة وهو بميم مفتوحة وألف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة كما فى المقتفى وقال انه ينبغى ضم ذاله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره أنت ماذماذ ويا ماذو ونقل الشهاب الحجازى الاديب شيخ السيوطى نقلا عن السهيلى ان ميمه مضمومة وألفه مهموزة بين الواو والالف وقال انه سمعه من بعض أحبارهم والظاهر انه تكرار للتأكيد أو المراد انه طيب فى نفسه أو فى دنياه وطيب فى صفاته وآخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر أو مركب خلاف الاصل وقيل ان داله مهملة وفى شرح رسالة الكندى المنسوب للغزالى انه سمع ممن أسلم من أحبار اليهود انه فى التوراة اشارة لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لابراهيم انى قد استجبت لك فى اسماعيل وأنا أباركه وأعظمه بماذماذ وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين فى مقابله وباء موحدة وألفين ودالين باثنى عشر وهو عدد الحاء والدال من محمد وهذا يقتضى ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره أحد من أرباب الحواشى والشروح وماقاله التلمسانى من انه يحتمل ان يكون مأخوذا من الماذى وهو العسل الابيض لحلاوته فى ذاته وصفاته أو الماذى بمعنى الدرع اللينة السهلة لانه حصن حصين للعالمين ليس بشئ لانه يقتضى انه عربى ولم يقل به أحد قط (وحمطايا) هذا وماقبله رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وضبطه الشمنى فى حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة وألفين بينهما مثناة تحتية وفى العزيزين انه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها ياء مثناة تحتية وألف ثم طاء وألف هكذا حمياطا وفى المواهب انه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية وألف وطاء مهملة وألف بعدها وقال انه بكسر وياء أونون واما معناه فقال أبو عمرو عن بعض الاحبار ان معناه يمنع من الحرام ويحمى الحرم أى يمنع ماكان فى الجاهلية من الانكحة وغيرها من المحرمات فالحرم بفتحتين أو بضم ثم فتح وفى الرياض الانيقة معناه حامى الحرم أونبى الحرم (والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار) تقدمت ترجمته واختلف الشراح فى ضبطه وروايته فقيل هما بالخاء المعجمة الا ان الاول بفتح التاء والثانى بكسرها أو بالعكس وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجمة والثانى مهملة وفسر بانه أحسن الانبياء خلقا وخلقا كما ذكره والظاهر انه من الحتم وهو الاحكام لاحكام القضاء والاحكام ويجمع على حتوم كما قال أمية ابن أبى الصلت

عبادك يخطئون وأنت رب * بكفيك المنايا والحتوم

(ومن أسمائه فى الكتب السالفة) باللام والفاء أى السابقة (ماذماذ) بفتح ميم فالف فذال معجمة منونة فيهما وفى نسخة بضم الذال من غير تنوين على انه غير مصروف للعلمية والعجمة وفى نسخة بسكون الذال ولعله اجراء للفصل مجرى الوصل قال الحلبى ماذ بميم ثم ألف لاهمزة ثم ذال معجمة ساكنة كذا فى النسخة التى وقفت عليها وينبغى ان تضم الذال لانه لا ينصرف للعجمة والعلمية أى أنت ماذا ويا ماذ وان كان فى الاصل صفة انتهى وفيه بحث لايخفى واما ماضبطه الدلجى بميم مضمومة فاشمام الهمزة ضمة بين الواو والالف ممدودة فغير مطابق للرواية وغير موافق للدراية ثم رأيت الحجازى نسبه الى السهيلى منقولا عن رجل أسلم من علماء بنى اسرائيل قال (ومعناه طيب طيب) ولعل التكرار كناية عن غاية من الطيب فان الظاهر ان مجموع اللفظين هو الاسم (وحمطايا) بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الميم وطاء مهملة ثم ياء تحتية وفى نسخة بفتح الحاء والميم مشددة أى حامى الحرم ومحتمى الحرم وفى النهاية لابن الاثير مالفظه وفى حديث كعب انه عليه الصلاة والسلام فى الكتب السابقة محمد وأحمد وحمياطا كذا بفتح الحاء وسكون الميم فياء تحتية بعدها ألف فطاء فالف قال أبو عمرو سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحرم ويمنع من الحرام ويعطى الحلال انتهى (والخاتم) بالخاء المعجمة (والحاتم) بالحاء المهملة وهذا هو المطابق للنسخ المعتمدة والحواشى المعتبرة وهو الموافق لترتيب ماسيأتى من معنييهما وعكس الحلبى فى ضبطهما فقال الحاتم بالحاء المهملة والخاتم هذا بالخاء المعجمة (حكاه كعب الاحبار) وقد سبق عنه الا انه بلفظ حمياطا

والحاتم

(وقال) الاظهر وقال (ثعلب) كما في أصل الحلبي والدلجي (فالخاتم) أي بالمعجمة وفتح التاء أو كسرها (الذي ختم الله به الانبياء والحاتم) أي بالمهملة وكسر التاء لا غير وهو من له السماحة والملاحة والحلاوة والرحمة والراحة (أحسن الانبياء خلقا) بفتح الخاء أي صورة وبشاشة (وخلقا) بضم الخاء أي سيرة ولطافة (ويسمى) أي هو صلى الله تعالى عليه وسلم (بالسريانية) بضم السين وسكون الراء وبتشديد الباء الثانية وهي اللغة الاولى التي تكلم بها آدم والانبياء والالسنة ثلاثة سرياني وعبراني وعربي وهو لاهل الجنة وفي الموقف سرياني قال السيوطي وسؤال القبر بالسريانية أقول ولعله مختص بالامم الماضية لئلا يخالف ظواهر الاحاديث الواردة وأما العبرانية فسميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام انما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وقد كان النمرود قال للطلاب الذين أرسلهم في طلبه اذا وجدتم من يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا ذكره السهيلي (مشفح) بضم ميم وفتح شين معجمة ففاء مشددة مفتوحة فحاء مهملة منونة وفي نسخة بالقاف بدل الفاء وهو أصل الحاشية الحجازية ولا يعرف له معنى في العربية وأما قول الدلجي غير منصرف للعلمية والعجمة فغير ظاهر لانه مع مخالفته للنسخ المصححة غير صريح في العلمية بل ظاهر في الوصفية (والمنحمنا) بضم ميم فنون ساكنة فحاء مهملة مفتوحة فميم مكسورة فنون مشددة مفتوحة وهو مقصور كذا في النسخ بالقلم ذكره الحلبي وتبعه الدلجي وعبر عنه بقيل ثم قال وقيل جميع حروفه مفتوحة الا المهملة فساكنة انتهى وهو أصل صحيح من النسخ المعتمدة وفي نسخة بضم الميم الاولى وكسر الميم الثانية وضبطه الحجازي بفتح الميم والمهملة وسكون النون الاولى وتشديد الثانية ثم في آخره ألف في أكثر النسخ وفي بعضها بياء مبدلة من ألف كالمصطفى هذا وقد قال أبو الفتح اليعمري في سيرته والمنحمنا بالسريانية هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قال الحلبي وهذا الكلام يحتمل معنيين أحدهما أن يكون معناه بالسريانية محمد بالعربية ويحتمل غير ذلك قلت وفي سيرة ابن سيد الناس هو بالسريانية اسم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في المعنى الثاني أظهر فتدبر وقال ابن اسحق هو بالزنجانية محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (واسمه أيضا في التوراة أحيد) بفتح همزة فسكون حاء مهملة فكسر تحتية فدال مهملة مضمومة غير منونة وفي نسخة بضم الهمزة وكسر الحاء وسكون الياء التحتية وفي نسخة وهي موافقة لما ذكر الحلبي بضم فسكون ففتح وفي أخرى بضم ففتح وفي أخرى بكسر التحتية وهي التي اقتصر عليها الدلجي وفي أخرى بضم ففتح فسكون وفي أخرى بفتح فسكون ففتح وهو مختار الحلبي وصوبه الانطاكي لحديث أورده أبو حذيفة اسحق بن بشر في كتاب سماه المبتدأ وأسنده الى ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام قال اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل أحمد وفي التوراة أحيد قال سميت أحيد لاني أحيد أمتي عن نار جهنم يوم القيامة انتهى ووجه تصويبه غير ظاهر كما لا يخفى

والحاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انه جمال الانبياء كالخاتم الذي يتزين به فهذا ان كان تفسيرا للخاتم بالمعجمة فهو في قوله (وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله به الانبياء والخاتم أحسن الانبياء خلقا وخلقا) يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار وسكت عن الثاني لظهوره وان كان الاول هنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض الشروح والحواشي وهو مروي عن المصنف ففيه مع التكرار ان تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حتما الآن يتكلف انه من الحتم بمعنى الخالص وقد قالوا فيه انه مقلوب من المحت ولك ان تقول انه من الحتامة وهي بقية الطعام كأنه آخر ما بقي من نعم الله تعالى وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره (ويسمى بالسريانية) وهي لغة آدم عليه الصلاة والسلام وأول اللغات ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار أصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية وفي بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وراء ساكنة أو مكسورة وما قيل انه من السر لان الله تعالى علمها لآدم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله تعالى ان سؤال القبر بالسريانية (مشفح) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة أو مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاؤه مهملة وسمي به صلى الله تعالى عليه وسلم في كتاب شعيا وقال البرهان لا أعلم صحته ولا معناه ونقل بعض أهل العصر عن ابن فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لاها أي يحمد الله وتبع فيه التلمساني (والمنحمنا) قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة وألف مقصورة وقال التلمساني الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس ونحوه منه في تذكرة الصفدي وضبطه بعضهم بفتح الميمين ونقله السيوطي عن ابن دحية وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه (واسمه في التوراة أحيد) قال الشمني هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال

(روى) وفى نسخة وروى (ذلك) أى كون اسمه فى التوراة أحيد (عن ابن سيرين) وهو تابعى جليل وكان ثقة حجة كثير العلم والورع قيل كان يصوم يوما ويفطر يوما وله سبعة أوراد فى اليوم والليلة هذا وقد قال المصنف بعد ما نقل من المبنى فى الاسماء (ومعنى صاحب القضيب أى السيف) يعنى بدليل انه (وقع ذلك) أى اللفظ (مفسرا فى الانجيل) أى مبينا بقرينة اقترانه بما يدل عليه (قال) أى الله سبحانه وتعالى فى الانجيل عند نعته عليه الصلاة والسلام (معه قضيب من حديد) أى معه سيف حديد مشابه للقضيب طولا وعرضا وطراوة ولطافة أو سيف قاطع من حديد حاد (يقاتل به) بكسر التاء أى يجاهد به أعداءه (وأمته كذلك) أى معهم قضبان يقاتلون بها أعداءه ويتابعون أهواءه ويتبعون اقتداءه (وقد يحمل) أى القضيب فى الحديث (على انه القضيب الممشوق) أى الطويل الدقيق (الذى كان يمسكه عليه الصلاة والسلام) أى بيده حال القيام وعند خطبته للانام وموعظته لاصحابه الكرام (وهو الآن عند الخلفاء) أى وكانوا يتداولونه واحدا فواحدا على سيرة الخطباء (وأما الهراوة التى وصف بها) أى بكونه صاحبها وحاملها (فهى فى اللغة العصا) أى مطلقا أو الضخمة على ما ذكره الجوهرى تبعا للهروى (وأراها) بضم الهمزة وأظنها ان المراد بها ههنا (والله تعالى أعلم العصا المذكورة فى حديث الحوض) فى أى حيث قال (أذود) بضم الذال المعجمة أى أدفع وأمنع وأطرد (الناس) أى العصاة (عنه) أى عن حوضى (بعصاى) أى التى فى يدى حينئذ (لاهل اليمن) أى اذود الناس لاجلهم حتى يتقدموا وفى هذا كرامة لاهل اليمن فى تقديمهم للشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم وتقدمهم فى الاسلام وفى نسخة لاهل اليمن وهى رواية مسلم فى المناقب وهى التى جعلها الدلجى أصلا والحلبى صوبها

مهملة وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية وهو غير عربى وفى الكامل رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال اسمى فى القرآن محمد وفى الانجيل أحمد وفى التوراة أحيد وانما سميت أحيد لانى أحيد أمتى عن نار جهنم وكذا أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها وهو عربى من حاد يحيد اذا عدل ومال ان لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردى فى تفسيره وضبطه بمد الالف وكسر الحاء كما فى الرياض الانيقة وفى الشرح الجديد ان الذى فى النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء وفى نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وما قيل انه من الواحد لانفراده فى ذاته وصفاته فيه ما لا يخفى (وروى ذلك ابن سيرين) الامام الحجة الثقة الزاهد الورع الشائع صيته فى الآفاق أبو بكر محمد بن سيرين الانصارى وروى عنه الائمة الستة وتوفى بعد مائة وعشر وهو من أعلم التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ثم انه رجع الى تفسير بعض الاسماء السابقة فقال (ومعنى صاحب القضيب أى السيف) كما تقدم ومعنى مبتدأ خبره (وقع ذلك مفسرا فى الانجيل قال) أى الله فى الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوز اتكلف وفى القاموس القضيب السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب لانه اقتطع من الحديد (معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك) أى يقاتل بالسيف الاعداء ثم أشار الى معنى آخر فقال (وقد يحمل على انه القضيب الممشوق) أى قد يفسر به وهو مجاز من الحمل على الظهر فيجعل التأويل به كجعله عليه استعارة صارت حقيقة شائعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو فى السيف بمعنى انه بالغ فى القطع الى حد لم يصل اليه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنائمه فان كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه مقطوع من الشجر وقد مر انه كان له صلى الله تعالى عليه وسلم عصا على عادة العرب فى اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر

فى كفه خيزران ريحه عبق * فى كف أروع فى عرنينه شمم

كما فى كتاب العصا للجاحظ وفى القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو جذب الشئ ليطول وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب يسمى الممشوق ومحجن يستلم به الركن وقال ابن الجوزى كان له صلى الله تعالى عليه وسلم قضيب وهو (الذى كان يمسكه عليه الصلاة والسلام وهو الآن عند الخلفاء) يمسكونه تبركا به فكان لهم واحدا بعد واحد (وأما الهراوة التى وصف بها) وصفا لغويا فى تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله تعالى عليه وسلم يحملها ويتوكأ عليها وهو من سنن الانبياء (فهى فى اللغة العصا وأراها والله أعلم) بضم الهمزة أو فتحها بمعنى أظنها أو اعتقدها وان المراد بها هنا فى التسمية (العصا المذكورة فى حديث الحوض) الذى قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (أذود الناس عنه بعصاى لاهل اليمن) أذود بمعنى أطرد وأمنع وهذا بذال معجمة

وقال المراد بها الحجبة المعروفة عن يمين الكعبة انتهى والاظهران المراد باهل اليمن أصحاب اليمين من أرباب الجنة ويدخل فى عمومهم أهل اليمن وخص بهم لان السابقين يفهم منه بالاولى كما لا يخفى هذا وقد ضعف النووى هذا الظن من القاضى بان المراد من وصفه بها تعريفه بصفة يراها الناس معه ويستدلون بها على صدقه وانه المبشر به المذكور فى الكتب السالفة فلا يصح تفسيرها بعصا تكون فى الآخرة فالصواب ماقاله الائمة فى تفسير كونه صاحبها انه يمسك القضيب بيده كثيرا وقيل لانه كان يمشى والعصا بين يديه وتغرز له فيصلى اليها وهذا فى الصحيح مشهور هكذا ذكره الدلجى وقرره تبعا للحلبى حيث قال وتعقبه النووى بان هذا ضعيف وباطل الى آخر ماذكره وأقول لعل وجه مااختاره المصنف هو الاحرى بحمل هذا النعت على الدار الآخرة لان أخذ العصا من سنن الانبياء فى الدنيا فاذا لم يحمل على هذا المعنى لم يتميز عن اخوانه بالوصف الاول بخلاف الصفة الاولى فانه النعت المختص به فى العقبى لاسيما وعامة العرب لايمشون الا بالعصا فلا يصلح ان يكون علامة للخاتم الانبياء مع ان أخذه اياها انما كان أحيانا ثم لا يلزم من ذكر نعوته فى الكتب السابقة ان لا يكون بعضها متعلقة بالدار الآخرة وبعضها بالاحوال السابقة (وأما التاج فالمراد به العمامة) فيه بحث فان المراد به غير معلوم الا لرب العباد وأما باعتبار اللغة والعرف فهو مستعمل فى غير العمامة على اختلاف فى عرف العامة وأما ورد فى الحديث فظاهره انه أراد المعنى المجازى حيث نزل العمامة منزلة التاج وأقامها مقامه فى مرتبة الوقار والرواج كما يدل عليه أو يشير اليه قوله (ولم تكن) أى العمامة (حينئذ) أى حين

وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب) أى وكان الناس كلهم أصحاب التيجان امامع العمامة أو بدونها (والعمائم) أى بدون التيجان (تيجان العرب) أى اكتفاء بها عن غيرها وفيه اشعار بانهم من أهل القناعة الدنيوية وموصوفون بعدم التكلف فى موجبات الرعاية العرفية والحاصل ان الاصح ان يراد بقوله صاحب التاج تاج الكرامة يوم القيامة كما قدمناه (وأوصافه) أى نعوته من أسمائه (وألقابه) أى المشعرة بانواع مدحه وثنائه (وسماته) بكسر السين أى شمائله وعلامات فضائله (فى الكتب) أى الماضية أو المتقدمة (كثيرة وفيما ذكرناه منها) أى وان كانت قليلة يسيرة (مقنع) بفتح الميم والنون أى محل كفاية ومكان قناعة (ان شاء الله تعالى) اذ احصاؤها غير ممكن كما لا يخفى (وكانت كنيته المشهورة أبا القاسم) لحديث البخارى كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى السوق فقال رجل يا أبا القاسم فالتفت اليه فقال انما دعوت هذا فقال سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى ولعل وجهه انه كان يدعى بالكنية تعظيما ولا يدعى باسمه للنهى الوارد عنه تكريما وزيد فى رواية فانى انما جعلت قاسما أقسم بينكم وفيه اشارة الى أن المراد بابى القاسم هو الموصوف بهذا الوصف وهو لا ينافى كونه أبا لولد له مسمى بالقاسم

فى أوله ومهملة فى آخره وهذا الحديث رواه مسلم فى المناقب هكذا لاهل اليمن أى لاجلهم فانهم على بعد شقتهم أجابوا دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما أراحوه فالجزاء من جنس العمل وفيه روايات فروى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحته معنى قالوا انه من طغيان القلم وعن النووى ان هذا التوجيه ضعيف أو باطل لان المراد تعريفه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانه المبشر به فى الكتب السالفة التى ميز فيها العنوان فلا وجه لتفسيره بما فى الآخرة مما لم يتيقنوه ولكن يكفى فى ذلك ذكره ماوقع فى الكتب الالهية التى لم يقرأها أو يقول من فسره بهذا انما أراد تفسيره بامر مختص به ويصيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن حمله على العصا التى أعطاها صلى الله تعالى عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما قال الصرصرى يمدحه صلى الله تعالى عليه وسلم

وعصاه لما مسها بيمينه * فضلت عصا صارت ثعبان

يعنى انها صارت معجزة أقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه (وأما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم (ولم تكن حينئذ) أى فى عهد مبعثه وحياته صلى الله تعالى عليه وسلم (الا للعرب والعمائم تيجان العرب) أى قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر والعمائم جمع عمامة وسيأتى الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم ولما لم يقنع فى وصف الحبيب المعمم بما مر قال (وأوصافه) أى الاوصاف التى أطلقت عليه (وألقابه وسماته) جمع سمة وهى العلامة كما تقدم (فى الكتب كثيرة) أراد بها كتب الحديث والسير أو الكتب الالهية (وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله) أى فى المقدار الذى ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما فى الكتب وفى المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعنى انه اسم مكان تجوز به عما يقنع به وقيل انه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى والاول أولى وفى بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المصنف وهى (وكانت كنيته المشهورة) والكنية ما صدر باب أو أم ونحوه (أبا القاسم) اشتهر بها صلى الله تعالى عليه وسلم لانه

(وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه) كما فى مسند أحمد والبيهقى (انه لما ولد له ابراهيم) أى ابن نبينا عليه الصلاة والسلام من مارية (جاءه جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا أبا ابراهيم) فهى كنيته أيضا وهو يحتمل انه صلى الله تعالى عليه وسلم قد سمى ولده ابراهيم قبل نزول جبريل عليه السلام ويحتمل ان تكون تسميته وقعت فى ضمن تكنيته اثناء تهنئته وفى الجملة صار صلى الله عليه وسلم أبا ابراهيم كما كان أبوه ابراهيم فكأنه صلى الله عليه وسلم أحيى اسم جده عليهما الصلاة والسلام ثم قيل ومن كنيته أيضا أبو الارامل وهو لقب فى المعنى وان كان كنية فى المبنى فان معناه مراعى الارامل ومحافظ أحوالهن ومتفقد مالهن والله سبحانه وتعالى أعلم

(فصل)

(فى تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى) تأنيث الاحسن لان الاسماء فى معنى الجماعة (ووصفه به من صفاته العلى) بضم العين جمع العليا ووصفه بفتح الواو والصاد والفاء عطفا على ما سماه ويحتمل كونه مصدرا معطوفا على تشريف الله (قال القاضى أبو الفضل) يعنى المصنف نفسه (وفقه الله) أى لما يحبه ويرضاه (ما أحرى هذا الفصل) بالنصب فان الصيغة للتعجب أى ما أحقه وأخلقه وأجدره وأليقه (بفصول الباب الاول) أى من هذا الكتاب وهو المعنون بالفصل فى ثناء الله تعالى عليه واظهار عظيم قدره لديه كما أشار فى ضمن تعليله وجه الاحرى اليه بقوله (لانخراطه) أى لانضمامه (فى سلك مضمونها وامتزاجه) باخراجه أى اختلاطه (بعذب معينها) بفتح ميم وكسر عين أى بحلو مائها وعلو صفائها (لكن لم يشرح الله) وفى نسخة لكن الله لم يشرح (الصدر للهداية الى استنباطه) أى استخراجه أى أماكنه وهو استدراك على وجه الاعتذار عما فاته من جعل هذا الفصل من تلك الفصول المناسبة لهذه الاسرار المتضمنة للانوار

أول أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم (وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه) رواه أحمد فى مسنده والبيهقى (انه لما ولد له) أى للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولده (ابراهيم) من مارية القبطية جاريته المشهورة (جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليك يا أبا ابراهيم) فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كنى به صلى الله تعالى عليه وسلم أبو الارامل وأبو المؤمنين وقرئ فى الشواذ وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وقيل ان هذا وأمثاله مما لم يضف للابناء الحقيقية لقب لا كنية كأبى تراب

(فصل فى تشريف الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تعظيمه وتفضيله (بما سماه به من أسمائه) عز وجل والباء سببية أو للتعدية (الحسنى) أى الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن يقال فى الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا الا اسما فاذا كانت اسما فهى معارفة فى الاحداث والحسنى تكون فى الاحداث دون الاعيان انتهى (ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع عليا ككبير وكبرى وفى بعض النسخ العليا وفى المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتأنيث أعلى بمعنى أفضل وأشرف والصفتان كاشفتان (قال القاضى أبو الفضل) هو عياض المصنف (رضى الله عنه) وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره أو زاده تلاميذه كقوله فى بعض النسخ وفقه الله والتوفيق تهيئة الاسباب الموافقة وهى جملة دعائية معترضة (ما أحرى) بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى أحق وأولى وهى صيغة تعجب من زيادة لياقته (هذا الفصل) قال البرهان الفصل ضبط فى الاصل بالرفع والظاهر نصبه لان ما تعجبية كما تقول ما أكرم زيدا كما هو معروف فى النحو (بفصول الباب الاول) المعقود لثناء الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على ذلك كما أشار اليه بقوله (لانخراطه فى سلك مضمونه) أى لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من المناقب التى خرست عندها السنة الاقلام وفى السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم أجد الانخراط بهذا المعنى بل هو مناف له فان اختراط السيف اخراجه من غمده واختراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه خرط القتاد الا أنهم استعملوها كثيرا فى كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشرى والسكاكى ولم يزل هذا يختلج فى صدرى ولم أجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال فى جامع اللغة خرطت الجواهر جمعتها فى الخريطة وهى الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا فى استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله فى جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك (وامتزاجه) أى اختلاطه بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر ومنه المزاج (بعذب معينها) وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجارى مطلقا أو على وجه الارض وأصله معيون فاعل كبيع فهو من عين الماء وميمه زائدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من أمعن فى سيره والعذب الحلو الذى يتغذى به وفى تفسيره بالغزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره فى الباب الاول فقال (لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه) أى لم يفتح الله عليه به أولا

(ولا انار الفكر) بالنون أى لا أشرقه ولا اضاءله وفى نسخة بالثاء المثلثة أى ولا بعثه ولا هيجه (لاستخراج جوهره والتقاطه) أى من بحره وبره الشامل لعموم كرم علمه وبر حلمه (الا عند الخوض) أى الشروع والدخول (فى الفصل الذى قبله) أى فشرح الصدر للهداية الى ذلك أولى على وفق ما هنالك (فرأينا ان نضيفه اليه) أى بتعقيبه له زيادة عليه (ونجمع به شمله) أى تفرقه عند حصوله لديه (فاعلم) أى أيها الطالب الراغب (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء) أى الذين هم من جملة الاصفياء (بكرامة خلعها) أى ألقاها (عليهم) وفى نسخة عليه وعليهم أى ألبسهم خلعة الكرامة الواصلة اليهم والحاصلة لديهم وفى نسخة جعلها أى صيرها اعلاما عليهم (من أسمائه) بان ذكر فيهم صفات هى مبادى اشتقاق وصف له وأخذ من بنائه (كتسمية اسحق واسمعيل) أى ابنى ابراهيم الخليل على خلاف فى المراد بالمبشر به من أحد أولاد الخليل وكان الاولى تقديم اسمعيل لانه أكبر ولكونه جدا لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولموافقة قوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق (بعليم) فى قوله تعالى وبشروه بغلام عليم (وحليم) فى قوله سبحانه وتعالى فبشرناه بغلام حليم وجمع بينهما للاشعار بان الكمال هو الوصف باجتماع العلم والحلم المنبعث عنهما جميع الفضائل البهية والشمائل السنية وقد أغرب الدلجى حيث جعل الوصفين نشرا مرتبا على الابنين اذ لم يقل أحد بالتفضيل بينهما وانما اختلفوا فى ان أيهما المراد به مع الاتفاق على ان المبشر به أحدهما ولذا قال الانطاكى ولعل المؤلف من أجل الاختلاف جمع هنا بين اسحق واسمعيل وقد أفرد السيوطى رسالة فى تعيين الذبيح وتوقف فى ان أيهما الصحيح لكن المعتمد عند المفسرين والمحدثين المعتبرين انه اسمعيل لحديث أنا ابن الذبيحين وغيره من أدلة ليس هذا محل بسطها (وابراهيم بحليم) أى فى قوله تعالى ان ابراهيم لاواه حليم ولعل الاكتفاء به للعلم بانه عليم أو للزومه أو لغلبة حلمه على علمه ولذا استغفر لوالده (ونوح بشكور) أى فى قوله سبحانه وتعالى انه كان عبدا شكورا (وعيسى ويحيى ببر) بفتح الباء وتشديد الراء مبالغة بار فى قوله تعالى وبرا بوالدتى وبرا بوالديه

باخراجه فى محله وأصل الاستنباط اخراج الماء ففيه مع ما قبله مناسبة لطيفة وفى ذكر الخوض الآتى بعده لطف

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وقوله (ولا انار) أى دل دلالة واضحة (الفكر) بكسر الفاء وسكون الكاف أو فتحها جمع فكرة (لاستخراج جوهره والتقاطه) أى استخراجه من بحاره أو أخذ لقطته وهذا ناظر لانخراطه فى سلكه ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة (الا عنده الخوض فى الفصل الذى قبله) أى لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع فيما قبله وأصل الخوض الشروع فى المرور فى الماء فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب أكثر ما ورد فى القرآن فيما يذم الشروع فيه (فرأينا ان نضيفه اليه) أى الى الفصل الذى قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده أن يجعله كالضيف الذى أنزل عنده فلذا قال (ونجمع به شمله) أى نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق أى نجمع ما تشتت منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد (فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر (ان الله تعالى خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكرامة) أى بامر أكرمه وشرفه به (خلعها عليهم من اسمائه) أى اعطاها لهم وألبسها اياهم والاصل فى الخلعة انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه أو يوليه ولاية وشاع فى عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفا واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله فى أول هذا الفصل فى تشريف الله له بما سماه من أسمائه ففيه لطف لم ينتبهوا له وفى نسخة عليه بالافراد وفى نسخة جعلها بدل خلعها والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيها من الشهرة واظهار التكريم (كتسمية اسحق واسمعيل بعليم وحليم) فى قوله تعالى وبشروه بغلام عليم يعنى اسحق وقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم يعنى اسمعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحق وقيل هو اسمعيل قيل ولهذا جمع المصنف رحمه الله تعالى هنا بين اسحق واسمعيل (وابراهيم بحليم) فى قوله ان ابراهيم لاواه حليم (ونوح بشكور) أى كثير الشكر فى قوله تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا فى الاسراء بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلاة والسلام كما تقدم (ويحيى وعيسى ببر) فى قوله وبرا بوالديه وبرا بوالدتى وهو صفة مشبهة من البر والبر خلاف البحر لما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه أى التوسع فى فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه أى توسع فى طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الآية ولذا لما سئل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم عن البر تلا هذه الآية وبر الوالدين التوسع فى الاحسان اليهما ويستعمل البر فى الصدق

(وموسى بكريم) أى فى قوله سبحانه وتعالى وقد جاءهم رسول كريم فى الدخان (وقوى) أى فى قوله سبحانه حكاية عن بنت شعيب وتقرير الكلام منها ان خير من استأجرت القوى الامين وفى نسخة بدلهما بكليم والظاهر انه أصل سقيم (ويوسف بحفيظ عليم) أى فى قوله سبحانه حكاية عن يوسف مقر راشانه ومعتبرا بيانه حيث أنطق لسانه بقوله انى حفيظ عليم (وأيوب بصابر) أى فى قوله تعالى انا وجدناه صابرا وفيه ان الصابر غير معروف من اسمائه وانما الصبور من اسمائه سبحانه على المشهور

لكونه بعض الخبير المتوسع فيه قاله الراغب (وموسى بكريم وقوى) فى قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم وقوله ان خير من استأجرت القوى الامين وفى بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان كان الكلام من صفاته (ويوسف بحفيظ عليم) أى حافظ كثير العلم وهذا فى قوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (وأيوب بصابر) فى قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد (واسمعيل بصادق الوعد) فى قوله تعالى واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره على الذبح ووفائه به ولا يرد عليه ان فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والانبياء لانه تعالى حكاه وأقره فكان فى الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسمعيل هو ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لا ابن حزقيل عليه السلام فانه قول غير مشهور وما قيل من ان هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به فكل من قام به علم أو حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسماء بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره فالاختصاص من حيث ان الله تعالى وصفهم بها وفيه غاية الاختصاص وثناء الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق أيضا لا ينافيه لان الثناء بهذه الصفات على هؤلاء من حيث ان الله تعالى جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلاة والسلام هو الذى وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان فى حال الطفولية والله هو الذى أنطقه على خرق العادة فالواصف هو الله فى الحقيقة كلها تكلفات نحن فى غنية عنها فان المصنف لم يذكر الاختصاص وانما قال ان من اسماء الله تعالى ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك ان هذه الصفات اذا أجريت على الله تعالى فلها معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على انها بمعنى لا يليق بغيرهم أيضا وقد قال ابن القيم فى كتاب الفوائد ان الاسماء التى تطلق على الله تعالى وعلى غيرها اختلف فيها فقيل انها حقيقة فى الله مجاز فى غيره وقيل على العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان (كما نطق بذلك الكتاب العزيز) أى كما دل عليه القرآن نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر كما فى قولهم نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه لما ليس فى غيره من الكتب (من مواضع ذكرهم) أى مستفادا من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى القرآن على غيره ممن ذكر (بان حلاه منها فى كتابه العزيز) الباء سببية متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهى الصفة الظاهرة أو الحلى التى يتزين بها أى بان وصفه أو زينه وكرمه بما وصفه وسماه به فى القرآن (وعلى ألسنة أنبيائه) فى الكتب المنزلة عليهم أو فيما نقل لنا عنهم (بعدة كثيرة) بكسر العين وتشديد الدال أى بعدة اسماء وصفات كثيرة فميزه بكثرتها لان كثرة الاسماء تدل على شرف المسمى (اجتمع لنا منها جملة) أى انه جمع منها أسماء متعددة (بعد اعمال الكفر) مصدر اعمله أى جعله عاملا فاعلا لما يريده فكأنه

(واسمعيل بصادق الوعد) أى فى قوله تعالى عند ذكره انه كان صادق الوعد ولعل وجهه قوله سبحانه وتعالى ولن يخلف الله وعده وحديث صدق الله وعده والا فصادق الوعد والصادق المطلق ليس من الاسماء المشهورة (كما نطق به) وفى نسخة صحيحة بذلك أى بما خص أنبياءه (الكتاب العزيز) أى بانبائه على وفق اشتقاق اسمائه (فى موضع ذكرهم) بالاضافة أى مواضع ذكرهم ووصفهم وشكرهم فيها كما قدمناه وفى نسخة صحيحة من مواضع بدل فى ولعلها بمعناها أو بيان للابهام مبناها (وفضل نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى على سائر الانبياء والاصفياء بزيادة اشتقاق بناء الاسماء فى الانبياء (بان خلاه) بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام أى زينه (منها) أى من اسمائه سبحانه (فى كتابه العزيز) أى البديع المنيع المشتمل على التعجيز أو القوى الغالب على سائر الكتب بنسخها على وجه التمييز وقد قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (وعلى ألسنة أنبيائه) أى كما نقله بعض أوليائه (بعدة كثيرة) أى بجملة كثيرة وهى بكسر العين والباء للسببية والباء الاولى بيانية أى بسبب تعداد نعوت كثيرة واوصاف غريزة (اجتمع لنا منها جملة بعد أعمال الفكر) بكسر الهمزة أى استعماله

(واحضار الذكر) بضم الذال وكسرها والمعنى بعد افراغ الوسع تفكرا وتذكرا (اذلم نجد) أى من العلماء المصنفين (من جمع منها فوق اسمين ولامن تفرغ فيها التأليف فصلين) أى ليعرف منه بيان فرعين أو أصلين (وحررنا) بحاء وراءين مهملات ويروى جردنا بجيم ودال أى أخرجنا (منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) أى مما اشتق من أسماء الله الحسنى والصفات العلى (ولعل الله تعالى) أى أرجو من كرمه انه (كما ألهم) أى أرشد (الى ماعلم) بتشديد اللام أى عرف (منها وحققه يتم النعمة) اى يكملها (بابانة مالم يظهره لنا الآن) أى باظهار أسراره وابداء أنواره (ويفتح غلقه) بفتحتين أى اغلاقه واشكاله وأمثلته وأمثاله اذا عرفت ذلك (فمن أسمائه) أى الله سبحانه وتعالى (الحميد) وهو فعيل بمعنى المفعول أو الفاعل والاول أظهر ولذا قدمه بقوله (ومعناه المحمود لانه حمد نفسه) أى أزلا (وحمده عباده) أى أبدا وقد يقال هو المحمود فى ذاته سواء حمد أولم يحمد على لسان مخلوقاته مع انه وان من شئ الا يسبح بحمده فى مراتب تعيناته فهو المحمود فى كل فعال وجميع حال اذ هو المولى لكل نوال (ويكون) أى الحميد (أيضا) أى كما يكون بمعنى المحمود (بمعنى الحامد لنفسه) أى فى نفسه أو فى كلام قدسه تعليما لعباده على وفق مراده (ولاعمال الطاعات) بمعنى ثنائه وشكر أهله وجزائه وقد يقال له الحامدية والمحمودية فى جميع مراتب الربوبية فهو الحامد وهو المحمود لانه فى نظر الشهود سوى الله والله مافى الوجود (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى نبيا وهو مرفوع أو منصوب وهو الاظهر فتدبر (محمدا وأحمد فحمد بمعنى محمود) بل أبلغ منه (وكذا) أى محمدا ومحمود (وقع اسمه فى زبر داود) بضم الزاى والباء أى فى صحفه المزبورة بمعنى المكتوبة والمراد بها الزبور ووقع فى أصل التلمسانى على ماضبطه بكسر الزاى وسكون الباء أى فى كتابه وهو غير معروف فى الرواية والدراية

استخدم افكاره فى النظر فيما يؤخذ منه ويدل عليها (واحضار الذكر) أى استحضارها وتذكرها وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها وتفسير الذكر بالقرآن هنا لاوجه له والحاصل انه اجتهد فى جمعها وبذل فيها جهده وطاقته (اذلم نجد من جمع منها فوق اسمين) قيل هما رؤف رحيم فى سورة براءة (ولامن تفرغ فيها التأليف فصلين) الفراغ خلاف الشغل الحسى والمعنوى يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك غيره واذ تعليل لما قبله (وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما) نحو هنا بمعنى قريب أى يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة أو نقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى أزيد والتحرير بمعنى الكتابة أو التهذيب والتحقيق كما مر (ولعل الله تعالى) أى أرجو من الله تعالى عزوجل الذى ألهمنا ان يتم ما ألهمنا والمراد الدعاء (كما ألهم الى ماعلم منها) ضمن ألهم معنى أرشد وهدى فعداه بالى فانه يتعدى بها وباللام وعلم بتشديد اللام أى علمنى من هذه الاسماء (وحققه) أى بين حقيقته أو جعله محققا متيقنا وأطلعه عليه (يتم) هذه (النعمة) وهى التعليم والتحقيق (بابانة) أى اظهار (مالم يظهره لنا) حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به أوهى للمبادرة كما فى قولهم كما يدخل صلى (الآن) مبنى على الفتح والالف واللام لازمة زائدة أى لم يظهره الى حين تحرير هذا الفصل (ويفتح غلقه) بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف وهو مايغلق أى يقفل به كما فى المقتنى وفى بعض الشروح انه بضمتين وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية فى قوله يفتح (فمن أسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود) فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد (لانه حمد نفسه وحمده عباده) ببناء الفعل للفاعل فيهما وذكر الاول توطئة للثانى وبيانا لانه المحمود الحقيقى وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه فكأنه فى الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه أى لموليه ومعطيه فليس أحد مستحق الحمد سواه (ويكون أيضا) أى الحميد فى أسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل كما قال (بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات) والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال الغزالى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الحميد لانه من حمدت جميع أخلاقه وعاداته وأعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فأشار الى انه ورد اطلاق ما هو بمعناه عليه فقال (وسمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم محمدا وأحمد) وهما بمعنى حميد على الوجهين (فمحمد بمعنى محمود) لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة فى كونه محمودا (وكذا وقع اسمه) صلى الله تعالى عليه وسلم أى تسميته بمحمود (فى زبور داود) وفى نسخة زبر بكسر الزاى وضمها وضم الباء وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لادليل فيه على تسميته باسم الله تعالى فلا يناسب ما هو بصدده ثم أشار الى المعنى الثانى بقوله

(وأحمد بمعنى أكبر) أى أعظم (من حمد) بفتح الحاء (وأجل من حمد) بضم الحاء وفيه ايماء الى ان افعل التفضيل قد يكون بمعنى الفاعل وهو أكثر وقد يكون بمعنى المفعول وهو هنا أظهر والجمع بينهما أبهر لحيازته شرف الحامدية والمحمودية المشيرة الى مرتبة المحبية والمحبوبية فاحمد بهذا الاعتبار يكون أبلغ من محمد فى نظر النظار مع ما فيه من الاشارة الى الصفة الجامعة بين مرتبة المجذوبية المطلوبية ومنزلة المرادية المحبوبية بالنسبة الازلية الممتدة الى الأبدية بخلاف وصف الحامدية المشعرة بتعلق الحادثة الكونية كما علم تحقيق هذا المعنى فى قوله تعالى يحبهم ويحبونه من تدقيق المبنى (وقد أشار الى نحو هذا) أى مما قررناه وحررناه (حسان) أى ابن ثابت بن المنذر بن حرام بالراء الانصارى النجارى عاش هو والثلاثة فوقه من آبائه كل واحد مائة وعشرين سنة وقد عاش حسان ستين فى الاسلام وستين فى الجاهلية وقد شاركه فى الوصف الثانى حكيم بن حزام قيل وغيره أيضا (وشق) بفتح الشين أى الله تعالى (له) صلى الله تعالى عليه وسلم (من اسمه) قطع همزة الوصل ضرورة ولو قال من نعته أو وصفه لخاص (ليجله) أى ليعظمه بالمشاركة فى الجملة الاسمية من حيث تلاقى اسميهما اشتقاقا من ماخذ واحد ولم يرد الاشتقاق الاصطلاحى لان مبدأهما متحد بل أراد كون اسمه بمعنى اسمه كما يشير اليه قوله (فذو العرش محمود وهذا محمد) فمحمود مأخوذ من معنى الحمد على ما سبق وقد ورد بالله المحمود فى كل فعاله والحاصل ان لفظ شق من شق الشئ جعله شقين أى نصفين ومعناه انه أعطاه من معنى اسمه جزأ من مبناه وقيل شق بمعنى اشتق أخذه منه وصاغه من حروف اسمه هذا وقد قال الامام حجة الاسلام فى المقصد الاسنى فى أسماء الله الحسنى الحميد من عباد الله تعالى من حمدت عقائده وأخلاقه وأفعاله وأقواله وهو نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم   الظاهر
ومن قرب منه من الانبياء والاولياء فكل واحد منهم حميد بقدر ما حمد من أوصافه والحميد المطلق هو الله سبحانه وتعالى (ومن أسمائه تعالى الرؤف الرحيم) أى ذو الرأفة والرحمة وقدم الابلغ منهما للمرام غير مرة (وهما بمعنى) أى واحد (متقارب) أى فى المؤدى وان كانت الرأفة شدة الرحمة (وسماه) أى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (فى كتابه) بذلك أى بما ذكر من الوصفين أو بالجمع بين النعتين (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود) أى دوامه الثابت قيامه (والمتحقق أمره) لانه الثابت مطلقا الوجوب شانه واما غيره فلا وجود له فى حد ذاته لامكانه وهذا وجه قوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه والى هذا المعنى أشار لبيد بقوله * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وهذا ايراد شيخ مشايخنا أبو الحسن البكرى قدس الله سره السرى بقوله استغفر الله مما سوى الله (وكذا المبين أى البين) بمعنى الظاهر

(وأحمد بمعنى أكبر من حمد) بالوحدة وحمد مبنى للفاعل (وأجل من حمد) بالبناء للمفعول ففيه لف ونشر (والى نحو هذا) أى كون اسمه بمعنى ما ذكر (أشار حسان) بن ثابت الانصارى المشهور (بقوله) فى شعر له من قصيدة مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم (وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد) والشعر هكذا بتمامه

ألم تر ان الله أرسل أحمدا * ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد
نبى أتانا بعد يأس وفترة * من الدين والاوثان فى الارض تعبد
فأرسله ضوأ منيرا وهاديا * يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبنى للفاعل من شق الشئ اذا جعله قطعتين أى اشتق له صلى الله تعالى عليه وسلم من اسمه اسما أجله وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المصنف رحمه الله تعالى نحو ولم يقل الى هذا لان ما فى الشعر انه مأخوذ من محمود والمصنف رحمه الله تعالى بصدد أخذه من حميد وزيد فى هذا

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى الى اسمه * اذا قال فى الذكر المؤذن أشهد

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه وعزاه لابى طالب وهو منقول عن على بن زيد فحسان رضى الله تعالى عنه توارد معه أو ضمنه واستعان به (ومن أسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب) لان الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه (و) قد (سماه) الله (فى كتابه) أى القرآن (بذلك) أى الرؤف الرحيم (فقال بالمؤمنين رؤف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره) أى المتصف بالوجود الازلى الابدى من ذاته لذاته لانه واجب الوجود والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وأمره بمعنى شأنه وما يجب ثبوته من صفاته وأفعاله والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان أخر (وكذلك المبين) اسم فاعل من أبان اللازم لانه ورد لازما ومتعديا (أى البين)

(أمره) أي أمر وجوده وشأن ربوبيته (والهيته) أي بوصف أحديته و واحديته ثم قوله (بان وأبان بمعنى واحد) يعني ان أبان ههنا بمعنى بان فهما لازمان وقد يكون ابان متعديا فيكون المبين بمعنى المظهر وهذا معنى قوله (و يكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم) أي ما يتعلق به من معاشهم في دنياهم (ومعادهم) أي وأمر معادهم في عقباهم وهذا المعنى في حقه تعالى (وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك) أي بما ذكر من الاسمين (في كتابه فقال) أي بعد قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) وهذا على قول بعض المفسرين من ان المراد بالحق هو الرسول الامين خلافا لمن قال ان المراد بالحق هو الكتاب المبين (وقال وقل اني أنا النذير المبين) أي ظاهر الانذار أو مظهر الاخبار (وقال) أي بعد قوله يا أيها الناس (قد جاءكم الحق من ربكم) يعني به محمدا أو القرآن (وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل) أي المراد بالحق (محمد) أي كذبوا بالنبي الثابت نبوته المتحقق معجزته بدليل الآيات السابقة المشيرة اليه فلا التفات الى قول الدلجي وهذا القيل مما لا دليل عليه (وقيل القرآن) وكلاهما صحيح وفي المدعى صريح فان تكذيب كل منهما يستلزم تكذيب الآخر سواء تقدم الاول أو تأخر فتدبر (ومعناه) أي ومعنى الحق (هنا) أي في كل من التفسيرين (ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره) أي شأنه جميعه ثم المتحقق بكسر القاف الاولى وهو مرفوع عطفا على ضد الباطل فهو خبر بعد خبر اشعارا بان للحق معنيين مشهورين وأما قول الحلبي بفتح القاف الاولى المشددة وهو مبتدأ وصدقه الخبر وأمره معطوف على الخبر فهو مرفوع أيضا فخطأ من جهة البناء الصرفي والاعراب النحوي (وهو بالمعنى الاول) أي فيما سبق فتأمل (والمبين) أي على انه نعت الرسول الامين معناه (المبين أمره ورسالته) أي الظاهر والواضح بناء على ان آبان لازم (أو المبين) بتشديد الياء المكسورة أي المظهر والمخبر (عن الله تعالى ما بعثه به) أي من أمر الرسالة لتعليم الامة بناء على ان آبان متعد (كما قال الله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم) أي من مرغوب ومرهوب (ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور) يعني على مضاف مقدر (أي خالقه) أو سمى نورا مبالغة كالعدل فمعناه النور ومبناه الظهور لانه تعالى ظاهر بذاته وصفاته ومظهر حقائق مخلوقاته أو معنى ذي النور ان حجابه النور بحيث لو انكشفت سبحات وجهه لاحرقت ما انتهى اليها بصره من خلقه أو لان ظهور الاشياء انما هو بنوره وتبين الامور ليس الا ظهوره وأما اطلاق النور عليه سبحانه وتعالى بناء على ما هو في عرف الحكماء من انه كيفية تدركها الباصرة أولا ثم بها تدرك سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من القمرين على الاجرام المحاذية لهما فلا يصح حقيقة الا انه قد يتجوز من حيث ان ظهوره تعالى بذاته الموصوف بالقدم مبرأ عن ظلمة العدم وان ظهور غيره ووجوده فائض عنه تعالى ثم تحقيق هذا المبنى وتدقيق هذا المعنى عند قوله تعالى الله نور السموات والارض حيث قيل من جملة معانيه

الظاهر (أمره والهيته بان وأبان بمعنى) واحد فيكون متعديا ولازما وأبان يكون بمعنى قطع وفصل أيضا و بينه على اللزوم وعلى التعدى (ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم) في الدنيا (ومعادهم) في الآخرة (وسمى النبي) صلى الله عليه وسلم (بذلك) أي الحق المبين (في كتابه فقال) تعالى (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) بناء على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين بمعنى ظاهر لعظم آياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وانما هو وصف للرسالة (وقال) تعالى (وقل اني أنا النذير المبين) أي المحذر لكم من الله والمبين لكم أمور دينكم (وقال) تعالى (قد جاءكم الحق من ربكم) على ان المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل المراد به القرآن (وقال) تعالى (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) من الله (قيل) هو (محمد) أي المراد به في هذه الآية وتكذيبه صلى الله تعالى عليه وسلم بتكذيب رسالته وما جاء به (وقيل) المراد به (القرآن) بدليل التكذيب (ومعناه) أي الحق (هنا ضد الباطل) من حق بمعنى ثبت (والمتحقق صدقه وأمره) هو تفسير لما قبله أو معنى آخر وفي تفسير البيضاوي الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره فيعم الاعيان والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج (وهو بالمعنى الاول) ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وأمره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (والمبين) على هذا التفسير (البين) الظاهر الذي لا يخفى (أمره ورسالته) وهذا على كونه من بان اللازم (أو) هو (المبين) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (عن الله ما بعثه به) للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ أو هو حال بتقدير ناقلا (كما قال) تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) من شرائعه وأحكامه وهذا على انه من أبان المتعدى (ومن أسمائه تعالى النور) وقد قدمنا ما قاله الغزالي انه حقيقة في ذات الله تعالى لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب الحكماء ويشير اليه قول الاشعري رحمه الله تعالى انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلي في الفرق بينه وبين الضياء بانه ذات المنير والضوء والضياء أشعته المنتشرة عنه ولذا قال جعل الشمس ضياء والقمر نورا لكثرة أشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة لتأويله اذا أطلق على الله فان أردت فطالع مشكاة الغزالي والمشهور فيه التأويل كما أشار اليه المصنف بقوله (ومعناه ذو النور وخالقه) عطف تفسير وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لما

(أومنور السموات والارض) أى كما قرئ به فى الآية على ان النور بمعنى التنوير مصدر بمعنى الفاعل وقوله (بالانوار) أى بسبب الانوار الحسية من الكواكب القمرية والشمسية (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) أى الوهبية أى بسبب امداد الانوار المعنوية فى الافلاك القلبية (وسماه) أى النبى عليه السلام (نورا) أى على أحد التفسيرين (فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) أى المراد بالنور (محمد وقيل القرآن) وقيل المراد بهما محمد لانه كما هو نور عظيم ومنشأ لسائر الانوار فهو كتاب جامع مبين لجميع الاسرار (وقال فيه) أى فى حق نبيه (وسراجا منيرا) أى شمسا مضيئا لقوله تعالى وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ففيه تنبيه نبيه ان الشمس أعلى الانوار الحسية وان سائرها مستفيض منها فكذلك النبى عليه الصلاة والسلام أعلى الانوار المعنوية وأما باقيها فمستفيد منه بحكم النسبة الواسطية والمرتبة القطبية فى الدائرة الكلية كما يستفاد من حديث أول ما خلق الله نورى وأما الحق فهو فى مقام المطلق (سمى بذلك) أى بما ذكر من النور والسراج المنير (لوضوح أمره) أى بيان أمر رسالته وبيان نبوته (وتنوير قلوب المؤمنين) عموما (والعارفين) خصوصا (بما جاء به) وما ظهر لهم من الانوار والاسرار بسببه قال الحلبى ولعل ابن سبع استنبط من هذا ومن الحديث الذى سأل فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه ان يجعل فى جميع أعضائه وجهاته نورا وختم ذلك لقوله واجعلنى نورا ما قاله من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من خصائصه انه كان نورا وكان اذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل والله سبحانه وتعالى أعلم (من أسمائه تعالى الشهيد) من الشهود بمعنى الحضور (ومعناه العالم) أى بظاهر ما يمكن مشاهدته كما ان الخبير هو العالم بباطن ما لم يمكن احساسه (وقيل) أى فى معناه (الشاهد على عباده يوم القيامة) الاولى اطلاقه لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا ولعل وجه تقييده المناسبة فى اطلاقه على صاحب الرسالة (وسماه) أى الله نبيه فى كتابه (شهيدا وشاهدا) كان الاولى تقديم شاهدا ليلائم ترتيب ما رتبه (فقال انا أرسلناك شاهدا) أى عالما أو مطلعا (وقال) أ[illegible] فى موضع آخر (ويكون الرسول عليكم شهيدا

(أومنور السموات والارض) فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل لانه المنعم على أهلهما (بالانوار) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا بمعناه الحقيقى (ومنور قلوب المؤمنين بالهداية) ولذا ورد تفسيره بالهادى وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور الهادى ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الاول حتى صار كالحقيقة (وسماه) أى سمى الله نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل) المراد بالنور فى هذه الآية (محمد) صلى الله تعالى عليه وسلم لظهور آياته (وقيل القرآن) لازالته ظلمة الكفر والجهل ولا يشكل على الاول افراد الضمير بعده فى قوله يهدى به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون أو كما قيل لان الضمير راجع اليهما معا باعتبار المذكور أو لانهما كالشئ الواحد وهداية أحدهما عين هداية الآخر وقد صرح الفراء فى تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح وأنشد عليه شاهدا

رمانى بأمر كنت منه ووالدى * بريئا ومن جول الطوى رمانى

(وقال فيه) أى فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وشأنه (وسراجا منيرا) فسماه سراجا كما سماه نورا على نهج الاستعارة أو التشبيه البليغ ثم بينه بقوله (سماه بذلك) أى بالنور والسراج وفى نسخة سمى بذلك (لوضوح أمره) كالنور الذى لا يخفى (وبيان نبوته) أى كونها بينة ظاهرة (وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به) وبما جاء به وهذا ناظر لقوله ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القرآن ضمنا (ومن أسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (الشهيد) من الشهادة وهى المعاينة والاخبار بما عاينه أو من الشهود وهو الحضور (ومعناه العالم) لان من شاهد شيأ علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أى تعلمون وفى شرح المواقف الشهيد القائم بالغائب والحاضر ويوافقه اطلاق المصنف فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالى اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم وان أضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر (وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة) اذ يبين لهم ما صدر منهم فى حياتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية (وسماه) أى سمى الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (شهيدا وشاهدا فقال انا أرسلناك شاهدا) مقبولا شهادتك على أمتك ولهم وهو حال مقدرة (وقال) تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فتنكر أممهم فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وأمته فتشهد أمة محمد ويشهد عليه الصلاة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الآية وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيد معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان

الانبياء يحاسبون يوم القيامة وهو لا يحاسب وفضيلة لامته اذلم ينكر واتبليغه وقد تقدم الكلام على
هذه الآية (وهو) أي الشهيد الذي أطلق عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى الاول) أي الشاهد
أو بمعنى الشهيد الاول الذي أطلق على الله تعالى والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه
الشاهد بالاولية مع كونه ثانيا الذكر أمته قبل آيه اسمه الشهيد (ومن أسمائه تعالى) أي من أسماء الله
التي سمى بها نبيه (الكريم ومعناه الكثير الخير) وهو أصل معناه لغة وان اختص في عرف اللغة
والعرف العام بالسخي الكثير العطاء واليه أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وقيل المفضل) بوزن
محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطي عفوا بغير وسيلة وسؤال (وقيل العفو) فعول من العفو وهو التجاوز
عن سيئات من أساء قيل وهو أبلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو محوها وهو في
الاصل القصد لتناول الشئ فاستعير لقصد ازالة المحو (وقيل العلي) وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة
فهو العلي في ذاته وصفاته وفسره الغزالي بانه الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا أعطى زاد على منتهى
الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى
ولا يضيع من لاذبه والتجا فيغنيه عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكليف فهو
الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره الا باكتساب وتمحل ومع ذلك لا يستوفي جميع أنواعه
ولذا اجاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (وفي الحديث المروى) الذي رواه ابن
ماجه في سننه (في أسمائه تعالى) أي في أسماء الله وهو متعلق بالمروى أو بمقدر أي عد في أسمائه
(الاكرم) أي الزائد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركة لغيره في هذه الصفة ان فسرت بمعنى
يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم عن الغزالي وهو مختص بالله فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى
الكريم أو على أصله على طريق التسامح كما في قوله أحسن الخالقين قال ابن عبد السلام في أماليه هذا
ونحو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مشكل لان أفعل يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق
الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان
المعنى أعظم ارادة من سائر المريدين وان جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم
صح أيضا لانه مشترك بينه وبين عباده فان أريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذلا موجد غير الله وأجاب
الآمدي بان معناه أعظم من يسمى بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويصح
على مذهب المعتزلة لان الفاعلين عندهم كثير ثم انه قيل على المصنف ان اثباته تسمية الله بالاكرم
بالحديث غفلة عن تسميته بذلك في القرآن في قوله تعالى اقرأ وربك الاكرم ولك ان تقول ان الذي في
الآية على سبيل التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسماء الحسنى وهو أدل على مراده
(وسماه الله تعالى كريما) أي سمى الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بقوله انه لقول رسول كريم قيل)
أي قال بعض المفسرين هو في هذه الآية (محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل جبريل عليه الصلاة
والسلام) وهو قول أكثر المفسرين كما لانه الظاهر من السياق وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا
أكرم ولد آدم) أي أشرف من سائر الخلق الانبياء وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه ثم أشار بقوله
(ومعاني الاسم) أي الكريم والاكرم (صحيحة في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم) لاتصافه بغاية
الكرم الى أنه لاتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما أو صفة فسقط ما قيل ان
تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسماء الاعلام وقوله أكرم ولد آدم المراد به تفضيله
صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص الاكرم بالله وهو

وهو بمعنى الاول) أي الا أنه أبلغ وأدل والاظهر انه سادة الشهادة فتأمل فانه المعول (ومن أسمائه الكريم ومعناه الكثير الخير) أي النفع (وقيل المفضل) بضم الميم وكسر الضاد أي ذو الافضال بالنوال قبل السؤال (وقيل العفو) وفيه ان عفوه من جملة كرمه (وقيل العلي) أي رفيع الشان عظيم البرهان بتعالى كرمه عن النقصان (وفي الحديث المروى) أي عما رواه ابن ماجه (في أسمائه تعالى الاكرم) وكذا جاء في التنزيل اقرأ وربك الاكرم (وسماه كريما بقوله انه لقول رسول كريم قيل) أي المراد به (محمد وقيل جبريل) وهو الاظهر وعليه الاكثر (قال عليه السلام أنا أكرم ولد آدم) وسنده قد تقدم وفي لفظ أنا أكرم الاولين والآخرين أي أفضلهم (ومعاني الاسم) أي اسم الكريم والاكرم على ما تقدم (صحيحة في حقه عليه السلام) أي بالكمال والتمام اذ من جملة ما صدر عنه من الكرم والانعام ما يدل عليه قول صفوان بن أمية وقد أعطاه غنما بين جبلين ان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وهذا غاية الكرم في ابن آدم

(ومن أسمائه تعالى العظيم) من عظم الشيء اذا كبر جسما وهيئة ثم استعير لما كبر قدرا ورتبة (ومعناه الجليل الشأن الذى كل شيء دونه) أى فى الظهور والبرهان وهذا وقيل الكبير اسم للكامل فى ذاته والجليل فى صفاته والعظيم فيهما فهو أجل منهما (وقال تعالى فى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) فى كلامه القديم (وانك لعلى خلق عظيم) فله العظمة المعنوية باعتبار أخلاقه البهية (ووقع فى أول سفر) بكسر أوله أى أول دفتر (من التوراة) أى من أسفاره (عن اسمعيل) أى ابن الخليل والمعنى عن جهته وفى حقه (وستلد عظيما) بالخطاب وفى نسخة بالغيبة بناء على جهتى التعبير من رعاية المبنى والمعنى وستلد ولدا عظيما يكون نبيا كريما (لامة عظيمة) أى فى الكمية أو الكيفية كما يشير اليه قوله تعالى كنتم خير أمة وخيرية كل أمة تابعة لخيرية نبيها (فهو عظيم) أى فى ذاته (وعلى خلق عظيم) أى فى صفاته وتعبيره بعلى الموضوع للاستعلاء تمثيل لتمكنه من غاية الاستيلاء (ومن أسمائه تعالى الجبار) فعال للمبالغة من الجبر بضرب من القهر على ما هو فى الاصل ثم قد يستعمل فى الاصلاح المجرد كقول على رضى الله تعالى عنه ياجابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ومنه ما ورد لا جبر ولا تفويض ومن ثم قيل كما قال (ومعناه المصلح) أى لامور عباده على وفق مراده (وقيل القاهر) أى فوق عباده فلا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته وهدف لارادته ومشيئته (وقيل العلى) أى الرفيع البرهان (العظيم الشأن وقيل المتكبر) أى المستغنى عن كل أحد فى كل زمان ومكان ولا يستغنى عنه أحد فى كل شان وأوان (وسمى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى كتاب داود) وفى نسخة فى كتب داود أى زبوره أو زبره (بجبار) الاظهر ان يقول بالجبار لقوله (فقال أى مناديا له فى عالم الارواح ومستحضرا له فى عالم الاشباح (تقلد أيها الجبار سيفك) أى للكفار

غفلة عما قررناه بل هو ناشئ عن عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفى ذلك اشارة الى تشريفه بكونه كريما وأكرم (ومن أسمائه تعالى العظيم) وهو الذى عظم جسما أو قدرا ورتبة والمراد الثانى لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها الافهام ولا تتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال (ومعناه الجليل الشان) بهمزة أو ألف مبدلة منها (الذى كل شيء دونه) أى قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال يدنو من كماله فى ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا أنه قيل ان الكبير هو الكامل فى ذاته والجليل هو الكامل فى صفاته والعظيم هو الكامل فيهما (وقال) تعالى (فى) حق (النبي عليه السلام وانك لعلى خلق عظيم) فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا يتصور فى أحد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من أسمائه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلى الله تعالى عليه وسلم لا له فيلبس ولان العظمة مختصة بالله أو نقول انه توطئة لقوله (ووقع فى أول سفر من التوراة) بكسر السين وسكون الفاء وراء مهملة وهو الكتاب (عن اسمعيل) نبي الله ابن خليل الله عليهما الصلاة والسلام وكان الظاهر ان يقول فى حق اسمعيل فكأنه صفة سفر أى سفر فيه ما يصدر عن اسمعيل عليه الصلاة والسلام (وستلد عظيما لامة عظيمة) وفيه مبالغة فى وصفه للعظمة اذ جعل اتباعه عظماء فما بالك به

واذا سخر الاله سعيدا * لاناس فانهم سعداء

(ومن أسمائه تعالى الجبار) وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس اذ لم يجئ جبر بل تجبر فهو متجبر وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويتصف به من الناس الشديد العدوان وله معان فى كلام العرب القهار والمسلط قاله الله تعالى وما أنت عليهم بجبار كما يأتى والقوى العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره على كذا أكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح الباء وسكونها وقال أبو عبيد انه مولد والمجبر الذى يجبر العظام المكسورة أى يصلحها يقال أجبرت وجبرت وهو أكثر وقد جبر الدين الاله فجبر ويقال جبرتها أيضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقى لغة اختلفوا فى تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف رحمه الله (ومعناه المصلح) للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الافعال (وقيل القاهر) فيرجع الى صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو مقهور فى قبضة تصرفه يفعل به ما يريد (وقيل العلى العظيم الشأن) من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار أى طويل فاستعير من العلو الحسى للمعنوى ولذا فسروه بالعالى فوق خلقه فهو صفة ذاتية (وقيل المتكبر) المتعظم الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت أى تكبر وعظمة ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى سجوده وركوعه سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت (وسمى النبي صلى الله عليه وسلم) بالبناء للمجهول أى سماه الله تعالى (فى كتاب داود) أى الصحف الالهية المنزلة عليه صلى الله عليه وسلم (بجبار فقال) الله تعالى مخاطبا له صلى الله تعالى عليه وسلم المنزل له منزلة الموجودة لتحققه فى علمه الحضورى عنده (تقلد أيها الجبار سيفك) يقال تقلد السيف اذا جعل حمائله على عاتقه وحمله

كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيؤمر بالقتال (فان ناموسك) أى الوحى النازل عليك أو عظمتك فى قلوب الناس وهذا المعنى شائع بين الناس وأصل معناه كما فى القاموس صاحب السر المطلع على باطن أمرك أو صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وقترة الصائد وهى شئ يختفى فيه الصائد ليأخذ الصيد وفى البيان للجاحظ قال الزبيدى الناموس دويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام أخفاه وسمى جبريل عليه الصلاة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفى الكلام حتى يلقيه الى الرسل عليهم الصلاة والسلام انتهى (وشرائعك) يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر فى قوله (مقرونة بهيبة يمينك) أى بالخوف من سيفك فكنى بما ذكر عنه أو تجوز باليمين عما فيه (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى معنى الجبار الذى هو من أسماء الله اذا أطلق فى وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقال كذا ورد فى حق كذا أى أمره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار فى كتاب داود بالمجاهد القتال الذى هو أحد معانيه بقرينة ما بعده كان أولى من قوله (اما لاصلاحه لامته بالهداية والتعليم) أى ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم أمور دينهم فعلى هذا سمى صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه الجبار بمعنى المصلح (أو لقهر أعدائه) وفى نسخة لقهره اعدائه وهذا اشارة الى انه سمى بالمعنى الثانى الذى مر بيانه (أو لعلو منزلته على البشر) فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى ولو قال على الخلق كان أحسن وقيل انه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى وفيه نظر (وعظيم خطره) هذا اشارة الى انه اما مستعار من العلو الحسى فينزل الرتبى منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع فى مكان عال أو علو القدر وهو العظمة وهذا على هذا الوجه وعلى الاول هو كقول أبى تمام وقد ذكر علو ممدوحه

ويصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة فى السماء

وأصل الخطر ما يعطى فى الرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالى رحمه الله تعالى فى قوله الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به وعلى متابعته فى سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يشاهده أحد الا ويغنى عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع أحد فى استدراجه واستتباعه وانما حظى بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى حيا ماوسعه الا اتباعى وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وفى كلامه لف ونشر وايجاز اذ أصل معناه فى حقه عليه الصلاة والسلام كمعناه فى حق الله وان لم يكن يساويه أو يقاربه ويدانيه ولما كان المعنى الاخير وهو التكبر لا يصح فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بوجه من الوجوه قال (ونفى عنه فى القرآن جبرية التكبر) بفتح الباء كجبره وجبروت وجبورة كفروجة الكبر كما قاله القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى وأضافها الى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبى الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهرى وحكى عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو أصوب وعن أبى عبيد انه مولد (التى لا تليق به) صلى الله تعالى عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله تعالى عليه وسلم ولان الكبرياء والتكبر من صفات الله التى لا تليق بغيره ومعنى تليق تناسب وتصح (فقال وما أنت عليهم بجبار) تفسير لقوله ونفى عنه وتقدم انه فسر بمسلط والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق وبما ذكرناه علم ما فى قول القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه وانما حظه الاتصاف بنقيضه فان اطلاقه يأباه اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فينبغى تقييده ببعض معانيه وقيل تفسيره بالمسلط أولى لانه نزل فى حق

(فان ناموسك) بالالف قال التلمسانى بهمز ويسهل والناموس وعاء العلم وصاحب سرك الذى تطلعه على باطن أمرك وجبريل عليه السلام قال الانطاكى والمراد هنا والله تعالى أعلم ما يوحى اليه وهو القرآن انتهى والاظهر أن يقال فى المعنى أى اعتبارك واقتدارك وأنوار علومك واسرارك (وشرائعك) أى أحكامك وأخبارك (مقرونة بهيبة يمينك) أى قوة تصرفك وغلبة قهرك وكثرة نصرك على وفق يقينك (ومعناه فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى باعتبار معانيه فى حقه سبحانه والمناسبة التامة مما يقتضى شأنه (اما لاصلاحه الامة بالهداية والتعليم) أى باظهار العناية والرعاية مما يحتاجون فى البداية والنهاية (أو لقهره أعداءه) أى ولجبره أحباءه (أو لعلو منزلته على البشر) أى جنس بنى آدم فى الفواضل النفسية والفضائل الانسية (وعظيم خطره) بفتحتين أى قدره ومزيته على غيره (ونفى) أى الله تعالى (عنه فى القرآن جبرية الكبر التى لا تليق به) وفى نسخة جبرية التكبر والاظهر جبرية القهر لقوله (فقال وما أنت عليهم بجبار) أى بمسلط وقهار تقهرهم على الايمان وتقدرهم على العرفان أو وما أنت عليهم بوصف الجبابرة بل بنعت الرأفة والرحمة

(ومن اسمائه تعالى الخبير) مبالغة من الخبرة وهى العلم بالامور الخفية (ومعناه المطلع بكنه الشئ) بضم الكاف أى على غايته ونهايته (العالم) وفي نسخة والعالم (بحقيقته) أى بماهيته وكيفيته (وقيل معناه المخبر قال الله تعالى فاسئل به خبيرا) واختلف في المراد بالسائل والمسؤل

(قال القاضى بكر بن العلاء) هو بكر بن محمد بن العلاء بن محمد ابن زياد القشيرى من أولاد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه مات سنة أربع وأربعين وثلثمائة ذكره التلمسانى وقال الانطاكى هو المالكى (المأمور بالسؤال هو غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى فاسئل بما ذكرا وعما ذكر مما تقدم من خلق الاشياء ووصف الاستواء عالما يخبرك بحقيقة الانباء وهو سيد الانبياء (وقال غيره) أى غير بكر (بل السائل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والمسؤل الله تعالى) وهو أظهر الاقوال وقيل جبريل أو من وحد الله فى كتبه المتقدمة (فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) أى ماقدمه القاضى آنفا من قوله الخبير امامعناه العالم بحقيقة الشئ أو المخبر (قيل) أى فى توجيه الوجهين (لانه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) يعنى فيصلح ان يكون سائلا (مخبر الامته بما أذن) اذا أى أبيح (له فى اعلامهم به) أى بما ينفعهم معاشا ومعادا فيصح ان يكون خبيرا بمعنى مخبرا فيصير مسؤلا (ومن أسمائه تعالى الفتاح) أي كما قال الله تعالى وهو الفتاح العليم

أهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والآية منسوخة بآية السيف لانها من سورة قاف وهى مكية وانما أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى ماذكره المصنف رحمه الله تعالى يكون غير منسوخة (ومن اسمائه تعالى الخبير) وقد ورد فى القرآن معرفا ومنكرا وقال ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوى عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل للحارث خابر ويكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى مختبر لعباده قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر رجع الى صفة الكلام فقوله (ومعناه) اذا أطلق على الله (المطلع بكنه الشئ) أى الواقف على حقائق الاشياء وكنه الشئ بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما فى التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله فى شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى (العالم بحقيقته) وهى ذاته لا غايته كما قيل (وقيل معناه المختبر) وأصله المجرب والمراد به فى حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره فيلزمه الحجة أو يعلم سلوكه المحجة وهو أعلم بهم وفى بعض النسخ الخبر أى المخبر أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم أو المخبر عباده يوم القيامة باعمالهم فانه لا يعزب

عن علمه شئ ثم شرع فى بيان تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم به فقال (قال الله تعالى) وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن (فاسئل به خبيرا) أى عنه أو الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والارض والاستواء على العرش المذكور قبله والخبير بمعنى العالم ثم قال المؤلف رحمه الله تعالى (قال القاضى بكر بن العلا) بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد ابن العلا بن زياد القشيرى من ولد عمران بن الحصين رضى الله تعالى عنه توفى ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (المأمور بالسؤال) فى الآية (غير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) من كل من يتأتى منه السؤال لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب (والمسؤل الخبير هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) لانه العالم بحقيقة ماذكر دون غيره ففيه دليل على تسميته خبيرا (وقال غيره) أى غير القاضى بكر (بل السائل النبى) صلى الله تعالى عليه وسلم لانه المخاطب به (والمسؤل الله تعالى فالنبى خبير بالوجهين المذكورين) أى على التفسيرين فالباء بمعنى على أو ظرفية أما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لولم يكن خبيرا لم يؤمر بسؤاله واما على الثانى فلان اذنه له فى السؤال دال على اعلامه به وقيل المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمختبر (قيل لانه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته) أى سمى خبيرا لما أعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التى اطلعه عليها بوحيه وماجبله عليه من المعرفة العظيمة مخبر لامته بما اذن له فى اعلامهم به) دون سائر ما يؤذن فيه من الاسرار الالهية ومابعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر والفرق بين هذا وسابقه انه سمى خبيرا باعتبار ما أجابه به بعد سؤاله والقيل باعتبار انه عالم قبل السؤال فتدبر (ومن أسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب أصل معنى الفتح ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان أحدهما مايدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثانى مايدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيها ومنه الفاتح والفتاح للقاضى وفتح الممالك الظفر بها عنوة وفتح الله برزقه

اذاجاءه من حيث لايحتسب (ومعناه) فى حق الله (الحاكم بين عباده) فى فصل القضاء أو بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال (أوفاتح أبواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير أرزاقهم لهم وتهيئة أسبابها وفتح اقفال موانعها والرحمة الانعام أى المنعم عليهم الرازق لهم قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو استعارة فى الاصل صار حقيقة عرفية (والمنغلق من أمورهم عليهم) بالجر عطف على أبواب أى فاتح المنغلق بمعنى ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح أو بالمنغلق (أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذى هو الله أو خلاف الباطل أى يزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم أو غشاوة أبصارهم وبصائرهم حتى يعرفوه ويهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف على فاتح فان الفعل يعطف على الاسم الصفة لانهما بمعنى وفى بعض النسخ بفتح الباء الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف على مقدر أى المنغلق بتيسيره أو بفتح الى آخره (ويكون) الفتاح (أيضا) كما كان بمعنى الحاكم (بمعنى الناصر) المعين لان من شان الحاكم نصرة المظلوم ولخفائه استشهد له بقوله (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أى لانه فسر هكذا (ان تستنصروا فقد جاءكم النصر) من عند الله بخذلان أعداء دينه ونصرته للحق (وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر) لان الفتح جاء بمعنى البدء ومنه فاتحة الكتاب لاوله ومبدئه ومعنى مبتدئ النصر انه موجده وميسره وما النصر الامن عند الله وقوله ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة أبى جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفريقين وأكرم الحزبين فاجابهم الله تعالى متهكما بهم ان قد نصرتم (وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالفاتح فى حديث الاسراء الطويل) الذى تقدم ذكره (من رواية الربيع بن أنس عن أبى العالية وغيره عن أبى هريرة) والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التى فيه لاتنافى مشاركته له فى أصل معناه كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغى ذكره (وفيه) أى فى حديث الاسراء (من قول الله تعالى) لنبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به (وجعلتك فاتحا وخاتما) أى أول الانبياء وآخرهم لما مر من انه صلى الله تعالى عليه وسلم نبى قبل خلقهم وقد تقدم بيانه أو المراد به ما قاله فى شرح قوله (وفيه) أى فى حديث الاسراء (من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه) اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل (وتعديد مراتبه) أى مقاماته بين يدى ربه (ورفع لى ذكرى) بجعله قرينا لذكره كما تقدم (وجعلنى فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم) وانما خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته (والفاتح لابواب الرحمة على أمته) اذ هداهم الى ما أرشدهم الى سعادة الدارين (أو الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله)

(ومعناه الحاكم بين عباده) كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا أى احكم لان الحكم فتح أمر مغلق بين الخصمين وقد بين الله الحق وأوضحه وميز الباطل وادحضه بانزال الكتاب المبين واقامة البراهين فى أمر الدين (أو فاتح أبواب الرزق) أى على أنواع الخلق من أسباب النعمة الدنيوية والاخروية (والرحمة) أى من قبول التوبة وحصول المغفرة (والمنغلق) بالنون الساكنة والغين المعجمة المفتوحة واللام المكسورة أى المشكل (من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم) أى أعين بصيرتهم فقوله (وبصائرهم) عطف تفسير وفى نسخة وأبصارهم فالمعنى أبصارهم الباطنة والظاهرة (لمعرفة الحق) أى وتمييزه عن الباطل (ويكون) أى الفتاح (أيضا بمعنى الناصر) وكان الاظهر ان يقول ويكون الفتح بمعنى النصر (كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه) أى معنى الفتاح (مبتدئ الفتح والنصر) يعنى ملاحظة المعنيين من الفتح وهو الافتتاح والفتح ولا يبعد ان تكون الدال مفتوحة فمعنى جاءكم الفتح أى مبتداه وأوله وهذا كله بناء على النسخ المعتمدة من بناء الكلمة على الابتداء من باب الافتعال وفى أصل الدلجى مبدئ الفتح والنصر من الابداء من باب الافعال ولذا قال أى مظهرهما (وسمى الله تعالى نبيه محمدا عليه السلام الفاتح فى حديث الاسراء الطويل) أى على ما سبق بطوله (من رواية الربيع ابن أنس عن أبى العالية وغيره عن أبى هريرة) أى مرفوعا (وفيه من قول الله تعالى) يعنى الحديث القدسى (وجعلتك فاتحا وخاتما) بكسر التاء فيهما (وفيه من قول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى ثنائه على ربه وتعديد مراتبه) أى قياما بشكره (ورفع لى ذكرى) أى بعد ما شرح صدرى ووضع عنى وزرى (وجعلنى فاتحا وخاتما) أى أولا بالنبوة فى عالم الارواح وآخرا بالرسالة فى عالم الاشباح (فيكون) أى فيحتمل ان يكون (الفاتح هنا بمعنى الحاكم) أى بين الخصوم بما أعطى له من العلوم (أو الفاتح لابواب الرحمة على أمته) أى لكونه رحمة للعالمين وأمته أمة مرحومة (والفاتح) الاظهر أو الفاتح (لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله) أى على جهة الصدق

(أو الناصر للحق) أى بخذلان أعدائه وتبيان أحبائه (أو المبتدئ بهداية الامة) بكسر الدال بمعنى البادئ المأخوذ من الفتح بمعنى الافتتاح ومنه الفاتحة (أو المبدأ) بضم الميم وفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة ثم همزة مقصورة أى المبتدأ كما فى نسخة (المتقدم فى الانبياء) أى عند خلق أنوارهم وتقسيم أسرارهم (والخاتم لهم) أى بالمنع عن اظهارهم (كما قال عليه الصلاة والسلام كنت أول الانبياء فى الخلق) أى فى حال الخلقة (وآخرهم فى البعث) أى فى بعثة الدعوة (ومن أسمائه تعالى فى الحديث) أى على ما رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى ٤٢٢ عنه مرفوعا (الشكور) وفى القرآن ان ربنا لغفور شكور وهو مبالغة الشاكر (فمعناه المثيب) أى المجازى بالجزاء الجزيل (على العمل القليل) فيرجع الى صفة الفعل (وقيل المثنى على المطيعين) فيرجع الى صفة الذات وقيل الشكور لمن شكره فيكون من قبيل المقابلة واما قول الدلجى المجازى عباده على شكرهم فليس من باب المشاكلة كما وهم بل يرجع الى الاخص من المعنى الاول فتأمل (ووصف بذلك نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام فقال انه كان عبدا شكورا) ولقد قال أيضا فى حق هذه الامة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور أى لكل مؤمن كامل عالم عامل فان الايمان نصفان نصفه صبر ونصفه شكر فالاول باجتناب المعصية والثانى بارتكاب الطاعة وقد قال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور وقيل الشكور هو المعترف بالعجز عن اداء الشكر هذا وقد قال الانطاكى لم يقع هذا من القاضى مؤدبا موقعه لانه فى معرض تحرير ما فضل الله تعالى به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وما خلع الله تعالى عليه من أسمائه واما من خص بكرامة غير محمد من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام فقد قدمهم فى أول الفصل وذكر نوحا عليه الصلاة والسلام فى جملتهم وكان فى ذلك غنية عن اعادة ذكره هنا مرة أخرى (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك) أى الوصف (فقال) أى فى الحديث المتقدم كما ذكره الترمذى وغيره لما قيل له حين انتفخت قدماه من قيام الليل أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر (أفلا أكون عبدا شكورا) يعنى وعلى مشقة عبادته صبورا (أى معترفا بنعم ربى عارفا بقدر ذلك) أى بمقدار انعامه عندى

لدعوتهم الى معرفته تعالى وتوحيده (أو الناصر للحق) والدين القويم بجهاده فى سبيله تعالى (أو المبتدئ بهداية الامة) لتقدمه ذلك على كل مهم له (أو المبدأ المقدم فى الانبياء) كما بيناه أولا والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فبها والا فيجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة أولا وتخفيف الدال بمعنى الاول (والخاتم لهم كما قال كنت أول الانبياء فى الخلق) لخلق نوره روحه قبلهم وأخذ عليهم الميثاق فى اتباع من أدركه منهم (وآخرهم فى البعث) باعتبار الزمان وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير الاخير به الا ان يقال انه وقع على أتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره ثم ان المصنف رحمه الله تعالى لم يقل انه لابد فى أسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر (ومن أسمائه) أى من أسماء الله التى سمى بها نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (فى الحديث) الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فى تعداد الاسماء الحسنى (الشكور) وفى القرآن ان ربنا لغفور شكور وللشكر معنيان لغوى وعرفى مشهوران واما فى حقه تعالى (فمعناه المثيب) أى المعطى الثواب الجزيل (على العمل القليل) فهو من صفات الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثناء المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ هو لا يختص باللسان فهو استعارة أو من اطلاق السبب على المسبب كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وهذا قريب مما قيل انه الذى يجازى على قليل من عمل الطاعة فى أيام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية أى فى الحياة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك (وقيل المثنى على المطيعين) وهذا أنسب بمعنى الشكر الحقيقى وأقرب وقد أثنى الله على عباده الصالحين كثيرا فى القرآن وكتبه المنزلة وهو الذى خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطاء الله فى حكمه * من نعمه عليك ان خلق فيك ونسب اليك ومع ذلك يثنى باحسانه عليك * فهو انما اثنى فى الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان أسماء الله التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد تشرف بها غيره كما مر فقال (ووصف) أى الله عز وجل (نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام بذلك فقال انه كان عبدا شكورا) قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو أفضل منه وهو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فلا ينافى ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم باسمائه ولا حاجة اليه مع قوله (وقد وصف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه بذلك فقال) فى حديث مشهور تقدم ذكره (أفلا أكون عبدا شكورا) فان الاستفهام الانكارى يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره فى حق نوح عليه الصلاة والسلام مبنى على ان الضمير راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلاة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين (أى معترفا بنعم ربى) مقرا بها (عارفا بقدر ذلك)

(مثنيا عليه) أى بلسانى وجنانى (مجهدا نفسى) أى فى القيام بأركانى (فى الزيادة) أى فى تحصيلها (من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم) أى نعمة على نعمة والحاصل ان المبالغة فى القيام بشكر المنحة موجبة لزيادة مراتب المنة ومقتضية لازالة مثالب المحنة (ومن أسمائه تعالى العليم) قال الله تعالى وهو العليم الحكيم (والعلام) كان حقه أن يقول علام الغيوب أو علام الغيب اذلم يرد العلام فى أسمائه سبحانه وتعالى (وعالم الغيب والشهادة) أى فى آية وفى أخرى عالم الغيب امالا كتفاء واما على برهان الاولى وغيبوبته بالنسبة الى غيره والافى الحقيقة لاغيب بالنسبة اليه تعالى لانه موجد كل شئ وخالقهم (و وصف نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعلم) أى فى الجملة مع المشاركة لغيره (وخصه بمزية منه) أى بفضيلة زائدة منه على غيره لاختصاصه بفضل منته عليه (فقال وعلمك مالم تكن تعلم) أى من المعارف الدينية والعوارف اليقينية (وكان فضل الله عليك عظيما) أى بالنسبة الى غيرك من الانبياء والاصفياء وان أعطى كل منهم حظا جسيما (وقال) أى فى مرتبة التكميل بعد مزية الكمال (ويعلمكم الكتاب) أى قراءته مبنى (والحكمة) أى السنة لبيانه معنى (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) أى بعقولكم مالا طريق الى معرفته سوى الوحى بابداء نبوته واظهار رسالته وفى تكرير الفعل ايماء الى انه نوع آخر فتدبر لعل المراد به أحوال الحقيقة وبما سبق من الكتاب والسنة أحكام الشريعة والطريقة وقد روى الشريعة أقوالى والطريقة أفعالى والحقيقة أحوالى (ومن أسمائه تعالى الاول) أى وجودا بلا ابتداء (والآخر) أى شهودا بلا انتهاء (ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها) أى أزلا (والباقى بعد فنائها) أى أبدا لحديث اللهم أنت الاول فليس قبلك أى قبل ابدائك شئ وأنت الآخر فليس بعدك أى بعد افنائك الخلق شئ وأنت الظاهر فليس فوقك أى فوق ظهورك شئ باعتبار مظاهر أفعالك وصفاتك وأنت الباطن فليس دونك أى دون بطونك شئ باعتبار حقيقة ذاتك اقض عنى دينى واغننى من الفقر يعنى فانك الغنى المغنى

مؤديا لحقه (مثنيا عليه) بلسانى وأركانى (مجهدا) بزنة منعم أى باذلا جهدى وطاقتى ومتعبا (نفسى فى الزيادة من ذلك) أى من الاعتراف والثناء عملا بقوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) من النعم التى شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبنى اسرائيل واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم (ومن أسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة) أى أحاط علمه بكل شئ مما غاب وخفى وما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره وتحقيقه فى علم الكلام (ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه) بمزية كمعية بمعنى فضيلة وقال العلامة فى شرح المفتاح لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا وفى الاساس تمزيته عليه ومر التنبيه على ذلك وفسر المزية بقوله (فقال وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) بما خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور الدينية وفيه اشارة الى أن له صلى الله تعالى عليه وسلم مزية فى ذلك لم ينلها غيره ولا ينافيه قوله (وقال) كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم (ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) مما لا طريق له سوى الوحى غير المتلو ولذا أعاد الفعل لتغايرهما ولما كان هو المعلم لهم وما أعلمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه فى هذه المزية وانما ذكر هذه الآية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى الله تعالى عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه (ومن أسمائه تعالى الاول والآخر) وقد سمى به فى القرآن والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فائه واوا وهمزة معلوم فى العربية ووزنه أفعل ويكون أول اسم تفضيل وظرفا وليس هذا محل الكلام فيه وانما الكلام فى معناه فى أسماء الله تعالى فقال ابن العربى للعلماء فيه عبارات فقيل الاول الموجود قبل الخلق فكان ولا شئ قبله ولا معه قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقيل انه الذى لا ابتداء له وقيل انه الذى له كل شئ وبه كل شئ ومنه كل شئ كما يقال فلان أول هذا الامر وآخره وقيل الاول بصفاته وقيل بمحبته لاوليائه ومقابله الآخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلا شئ بعده وقيل هو الذى لا انتهاء له وقيل الذى يرجع اليه كل شئ وقال الضحاك هو الذى آخر الاواخر أى الذى جعل لكل شئ آخرا وقيل الآخر بقضائه وقدره وقال الغزالى رحمه الله تعالى الاول والآخر متناقضان فالشئ الواحد لا يكون أولا وآخرا من وجه واحد فانت اذا نظرت الى ترتيب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها أول لانها استفادت منه الوجود وأما هو فوجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه اليه فهو آخر ما يرتقى اليه درجة العارفين ولما كان الاول والآخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسروه بما فيه دقة والى هذا أشار المصنف بقوله (ومعناهما السابق للاشياء) أى جميع الموجودات (قبل وجودها) لانه الذى أوجدها وأبدعها (والباقى بعد فنائها) ثم صرح

(وتحقيقه) أى تحقيق كونه أولا وآخرا (انه ليس له أول) يعنى وهو موجد الاشياء ومبدئها (ولا آخر) الا انه مفنى الاشياء ومعيدها فهما بهذا المعنى من صفات التنزيه له تعالى وان كان باعتبار مؤداهما من افادة كونه أزليا وأبديا يكون وصفا ثبوتيا (وقال عليه الصلاة والسلام كنت أول الانبياء فى الخلق) أى فى بدء عالم الخلق (وآخرهم فى البعث) أى فى نهاية عالم الامر (وفسر بهذا) أى بكونه أول الانبياء خلقا (قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى عهدهم بتبليغ دعوة الحق والرسالة الى الخلق (ومنك ومن نوح) أى وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وخصوا بالذكر لانهم أشهر أرباب الشرائع وهم أولو العزم من الرسل (فقدم) أى الله سبحانه (محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ذكره على المتقدمين من الانبياء المذكورين مع انه متأخر فى الوجود عنهم فى عالم الاشباح لسبق رتبته وتقدم نبوته فى عالم

الارواح وقد روى أول ما خلق الله نورى وفى لفظ روحى وورد انه أول من قال بلى فى الميثاق (وقد أشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه) أى فيما تقدم من قوله بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك أولهم أى فى الانبياء فقال واذ أخذنا من النبيين الآية (ومنه) أى ومن قبيل قوله كنت أول الانبياء الخ أى باعتبار النسبة الاولية والسابقية والقبلية فى الجملة من مرتبة المزية (نحن الآخرون) أى فى الخلقة (السابقون) أى فى البعثة يوم القيامة أو المقضى لهم قبل الخليقة كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) أى ومنه قوله (أنا أول من تنشق الارض) وفى نسخة عنه قبل الارض (وأول من يدخل الجنة) أى هو وأمته من الباب الايمن من أبوابها كما ورد فى بعض طرق الحديث (وأول شافع وأول مشفع) أى مقبول الشفاعة (وهو خاتم النبيين) أى لا نبى بعده (وآخر الرسل) تأكيد لما قبله (صلى الله تعالى عليه وسلم) أى وعليهم أجمعين قال الدلجى وهو صلى الله تعالى عليه وسلم سمى بالاول والآخر انما هو من حيث كونه أولا فى الخلق وآخرا فى البعث لا من حيث معناهما فى حقه تعالى فلا التفات الى ما ذكر هنا انتهى ولا يخفى انه لا خصوصية للتفرقة بهذين الوصفين من بين سائر الصفات السابقة واللاحقة اذ لا يتصور اشتراك المخلوق مع الخالق فى نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقى وانما يكون بملاحظة المعنى المجازى أو العرفى فالله سميع بصير عليم حى قدير مريد متكلم وقد أثبت هذه الصفات أيضا لبعض المخلوقات ولكن بينهما بون بين ولا يخفى مثل هذا على دين وقد أفرد المصنف كما سيأتى فصلا فى بيان هذا الفصل لئلا يعدل أحد

بالمقصود من دفع الابهام فقال (وتحقيقه انه ليس له أول ولا آخر) ولا ابتداء ولا انتهاء فلا سابق عليه ولا باقى بعده فهو واجب الوجود وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه وقال القرطبى انه الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء وعلى هذا يكون من أسماء الذات ويجوز أن يكون من أسماء الافعال على معنى أول الاول وآخر الآخر فى الوجود ثم أشار الى اطلاقه عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله (وقال عليه الصلاة والسلام كنت أول الانبياء فى الخلق) يعنى انه فى عالم الذر والارواح خلقت روحه ونبئ قبلهم ولذا عبر بالانبياء دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا فى وجه آدم اذ لا يطابق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وآخرهم فى البعث) فهو خاتمهم ونبوته صلى الله تعالى عليه وسلم ورسالته لا تنقطع دعوته (وفسر بهذا) أى بتقدم خلقه وتأخر بعثته (قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الميثاق هو ان يؤمنوا بالله ويوحدوه (فقدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) فى الذكر لتقدمه فى الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سئل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن قوله عز وجل واذ أخذنا الآية فقال كنت أولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث وأما ما روى عن مجاهد من ان هذا فى ظهر آدم عليه الصلاة والسلام فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا (وقد أشار الى نحو من هذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم لما بكى على النبى صلى الله عليه وسلم اذ توفى بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء وذكرك أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين الآية وانما قال أشار ونحو لانه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم اذ التقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده (ومنه) أى من قبيل ذكر كونه أولا وآخرا (قوله نحن الآخرون) أى هو صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء بعثة وأمته آخر الامم (السابقون) أى أول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم (وقوله) صلى الله عليه وسلم كما تقدم (أنا أول من تنشق عنه الارض) فى الخروج من القبر للحشر (وأول من يدخل الجنة) هو وأمته كما مر (وأول شافع وأول مشفع) أى مأذون له فى الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله (وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم) لبيان اطلاق الآخر عليه أيضا فعلم منه انه يقال له صلى الله عليه وسلم الاول

والآخر

عن مقام العدل هذا وقد روى التلمساني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نزل جبريل فسلم على فقال في سلامه السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فانكرت ذلك عليه وقلت يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وانما هذه صفة الخالق الذي لا تليق الا به فقال يا محمد اعلم ان الله تعالى أمرني

أن أسلم بها عليك لانه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسما من اسمه ووصفا من وصفه وسماك بالاول لانك أول الانبياء خلقا وسماك بالآخر لانك آخر الانبياء في العصر وخاتم الانبياء الى آخر الامم وسماك بالباطن لانه تعالى كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر في ساق العرش قبل ان يخلق أباك آدم بالفي عام الى مالا غاية له ولا نهاية فامرني بالصلاة عليك فصليت عليك يا محمد ألف عام بعد ألف عام حتى بعثك الله بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه أظهرك في عصرك هذا على الدين كله وعرف شرعك وفضلك أهل السموات والارض فما منهم من أحد الا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وأنت محمود وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي (ومن أسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) وهو تفسير لما قبله (ومعناه القادر) أي التام القدرة الكامل القوة (ووصفه الله) اى نبيه بذلك فقال (ذي قوة عند ذي العرش مكين قيل) أي المراد (محمد وقيل جبريل

والآخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى آخر مقيد بقيود أخر تدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته في لفظه فسقط ما قيل ليس هذا المعنى بالمعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله * واعلم انه وقع هنا في بعض الحواشي انه سماه بالاول والآخر والظاهر والباطن وفسر الاول والآخر بما مر والظاهر بانه الذي لا يخفى على عاقل وجوده أو القادر والباطن بالمحجوب عن عباده في الدنيا أو الذي لا يحاط به أو الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم الحكيم وروى فيه حديثا وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق لا تليق الا به فقال ان الله تعالى أمرني ان أسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبياء والمرسلين وشق لك أسماء من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك أول الانبياء خلقا وسماك آخر الانك خاتم النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان يخلق أباك آدم بالف عام الى مالا غاية له ولا نهاية وأمرني بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك ألف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه أظهرك في عصرك وأظهر دينك على الدين كله وفضلك على أهل السموات والارض فما منهم أحد الا وقد صلى عليك صلى الله تعالى عليه وسلم فربك محمود وأنت محمد وربك الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت الاول والآخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم نره لغيره (ومن أسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) بالتشديد المحكم قوته فالمتين أخص من القوى ولذا وصف بها والقوى وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القرآن وأصله قوو بوفاعل بالقلب والقوة خلاف الضعف وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة متقاربان وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال الخطابي القوى يكون بمعنى القادر ومن قوى على شئ قدر عليه ويكون معناها التام القوة الذي لا يستولى عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا ذا قواه الله تعالى ولذا تعبدنا بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل

بك أسطو واذا سطوت ولولا * ك لما استمسكت قوى أوصالي

(ومعناه القادر) وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما أشرنا اليه لكنهما متلازمان ولذا فسره به الخطابي وأبا القرطبي في شرح الاسماء الحسنى الا انه لا خلاف بينهما (وقد وصفه الله تعالى) أي وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم (بذلك فقال) انه لقول رسول كريم (ذي قوة عند ذي العرش مكين) أي ذي مكانة ورتبة علية عند الله (قيل) المراد بذي قوة (محمد وقيل جبريل) عليهما الصلاة والسلام وعليه أكثر المفسرين كما مر وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا دليل فيه كما سيأتي

(ومن أسمائه تعالى) التى سمى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (الصادق المصدوق) كما رواه ابن ماجه والمصدوق بمعنى المصدق فيما جاء به وقد وردا فى أسماء الله الحسنى (فى الحديث المأثور) المروى بسند صحيح (وورد فى الحديث أيضا تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالصادق المصدوق) وتقدم لفظه والكلام عليه فى الفصل السابق (ومن أسمائه تعالى لولى) كما قال تعالى الله ولى الذين آمنوا أى الذى يتولى أمرهم ويقوم بنصرتهم ومن أسمائه أيضا الوالى وهو بمعناه (والمولى) كما قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم (ومعناهما) أى المولى والولى (الناصر) أى الذى ينصرهم على أعدائهم (وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله) والذين آمنوا أى ناصركم ولم يقل أولياؤكم لان نصرتهم واحدة أولان الناصر انما هو الله وغيره بتبعيته واعانته كما قال تعالى وما النصر الامن عند الله (وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا ولى كل مؤمن) كما رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ورواه أحمد وأبو داود أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وفى البخارى أيضا أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء فعلى قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته وكان صلى الله تعالى عليه وسلم فى أول الاسلام يؤتى بالرجل المتوفى فيسئل هل عليه دين وهل له وفاء فان قالوا له عليه دين وليس له وفاء قال صلوا على صاحبكم والاصلى عليه فلما فتح الله بالفتوح والغنائم قال صلى الله تعالى عليه وسلم من مات وعليه دين فعلى قضاؤه فقيل انه كان واجبا عليه وارتضى امام الحرمين والماوردى انه لم يكن واجبا عليه وانما كان فعله تكرما وهل كان صلى الله تعالى عليه وسلم يقضيه من الغنائم أو من خالص ماله احتمالان (وقد قال تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أحق بهم من أنفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة (وقال عليه الصلاة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قال الشافعى وهذا الحديث ورد فى قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضى الله تعالى عنهما قال لعلى كرم الله وجهه لست مولاى انما مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما سمعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم * قال من كنت الى آخره ولا دليل للشيعة فيه على انه رضى الله عنه وكرم وجهه أحق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره فلا حجة لهم فيه (ومن أسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وازالتها ولذا قيل انه أبلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر وأما الصفح فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك أيضا فلذا قال (ومعناه الصفوح) فلا يرد عليه انه لا ينبغى تفسيره به (وقد وصف الله تعالى

ومن أسمائه تعالى الصادق) كما رواه ابن ماجه فى الاسماء الحسنى (فى الحديث المأثور) أى المروى عن أبى هريرة مرفوعا وقد يؤخذ من قوله تعالى ومن أصدق من الله قيلا والحمد لله الذى صدقنا وعده (وورد فى الحديث) أى الصحيح عن ابن مسعود (أيضا اسمه عليه الصلاة والسلام بالصادق) أى فيما يقوله (المصدوق) أى فيما يخبره يعنى المشهود له بصدقه فى كلامه سبحانه وتعالى بقوله وما ينطق عن الهوى (ومن أسمائه تعالى) أى فى القرآن (الولى) أى من قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا كذا ذكره الدلجى وكانه غفل عن قوله تعالى فالله هو الولى وقوله تعالى وهو الولى الحميد (والمولى) قال تعالى فنعم المولى (ومعناهما) أى معنى كل من الولى والمولى (الناصر) والاظهر المغايرة بينهما لقوله سبحانه وتعالى فنعم المولى ونعم النصير فالولى هو المتصرف فى أمر
عباده على وفق مراده وكذلك المولى فى وصفه تعالى بالمعنى الاعم من معنى النصير كما لايخفى على الناقد البصير وهو لاينافى انه قد يراد بالولى والمولى الناصر كما بينه المصنف بقوله (وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه الصلاة والسلام انا ولى كل مؤمن) رواه البخارى عن أبى هريرة ورواه أحمد وأبو داود عن جابر نحوه وقال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم (وقال عليه الصلاة والسلام) أى على ما رواه الترمذى وحسنه (من كنت مولاه فعلى مولاه) أى من أحبنى وتولانى فليتوله فانه منى قال الشافعى ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لامولى لهم وقد قال عمر لعلى رضى الله تعالى
بهذا
عنهما أصبحت مولى كل مؤمن أى وليه على لسان نبيه قيل سببه ان اسامة بن زيد قال لعلى لست مولاى ان مولاى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من كنت مولاه فعلى مولاه (ومن أسمائه تعالى العفو) أى كثير العفو (ومعناه الصفوح) أى كثير الاعراض عن الاعتراض وأصله امالة صفحة العنق عن الجانى ثم استعمل مجازا فى المعانى (وقد وصف الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم

بهذا) وفي نسخة صحيحة بهذا نبيه (في القرآن و) في (التوراة) أما التوراة فكما سيأتي وأما القرآن فكما قال المصنف (وأمره بالعرف) ولاشك انه كان ممتثلا لامره فيتحقق وصفه به (فقال خذ العفو) أي هذه الخصلة الحميدة وهي المجاوزة عن مرتكب السيئة اذا كانت بنفسك متعلقة وتمامه وأمر أي الناس بالعرف أي المعروف شرعا وعرفا أونقلا وعقلا واعرض عن الجاهلين أي المعاندين من المجادلين (وقال) أي عز وجل (فاعف عنهم) أي تجاوز (واصفح) أي تغافل (وقال له جبريل وقد سأله) أي النبي (عن قوله) أي عن معنى قوله تعالى (خذ العفو) أي الآية (قال ان تعفو عمن ظلمك) أي وتصل من قطعك وتعطي من حرمك (وقل في التوراة) زيد في نسخة والانجيل قال الانطاكي قال شيخنا برهان الدين الحلبي هذا الحديث ذكره البخاري في صحيحه من رواية عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر الانجيل (في الحديث المشهور) أي الذي رواه عبد الله ابن عمرو بن العاص فيما سبق (في صفته) أي نعته في التوراة (ولبس بفظ) أي سيئ الخلق (ولا غليظ) أي جافي القلب (ولكن يعفو) أي يمحو في الباطن (ويصفح) أي ويعرض في الظاهر فاشتق له من اسمه العفو لاتصافه بكثرة العفو (ومن أسمائه تعالى الهادي وهو) أي الهداية في صفة الحق (بمعنى توفيق الله تعالى لمن أراد من عباده) أن يخلق الاهتداء فيه فيصير مهتديا به فالمراد بالهداية هنا الدلالة الموصولة الى المطلوب ومنه قوله تعالى انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقد يستعمل بمعنى البيان ومجرد الدلالة كما في قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم وقوله سبحانه وتعالى وهديناه النجدين وهذا معنى قوله (وبمعنى الدلالة) أي على طريق الحق وبيان سبيل الرشد (والدعاء) أي وبمعنى الدعاء وهو قريب مما قبله (قال تعالى والله يدعو) أي عامة الخلق بدعوة الحق (الى دار السلام) أي دار الله التي فيها رؤيته التي هي أعز المرام أو دار يسلم الله تعالى وملائكته على من فيها بوجه الدوام أو دار السلامة من الآفة والملامة (ويهدي) بتوفيقه (من يشاء) بتخصيصه (الى صراط مستقيم) أي دين قويم

بهذا نبيه) عليه الصلاة والسلام (في القرآن) اذ أمره به فيه اذ قال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بذلك فكان ممتثلا متخلقا به فيقتضي الاتصاف به على أبلغ وجه وأتمه اذ كان جبلة له صلى الله تعالى عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القرآن وانما أمر به ولو سلم اتصافه به لانه لا يعصى له أمرا لا يقتضي كونه على وجه المبالغة التي دل عليها صيغة فعول والامر لا يقتضي التكرار على الاصح (والتوراة) وفي نسخة والانجيل (وأمره بالعفو فقال) بيان لما في القرآن (خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح) هذا مبني على ان العفو في هذه الآية الصفح ويدل عليه ما روي انها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال لا أدري حتى أسأل ربي فسأله ثم رجع فقال ان ربك أمرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من أساء اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله (وقال له جبريل وقد سأله) صلى الله تعالى عليه وسلم (عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك) فاختصره والذي عليه الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما في قوله تعالى يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت بآية الزكاة فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده (وقال) هذا بيان لما في التوراة وفي بعض النسخ التصريح بقوله (في التوراة) والانجيل (في الحديث المشهور) الذي تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه صلى الله تعالى عليه وسلم (ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح) وقد تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضي الله تعالى عنه في قصة الحجاب لانت أفظ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس التفضيل فيه على أصله أو انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة (ومن أسمائه تعالى الهادي وهو) الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان تأنيث المصدر غير معتبر أولانه بمعنى ان يهدي كما في الكشاف (بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده) اللام زائدة للتقوية لتعدي التوفيق بنفسه وأصل معنى الهداية كما قاله الراغب الدلالة بلطف لما يوصل أو الموصلة على الخلاف المشهور وهل على أنواع الاول ما يعلم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاؤه اياهم على ألسنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع الهداية في الآخرة التي في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والانسان لا يقدر أن يهدي أحدا الا بالدعاء ولذا نفيت تارة وأثبتت أخرى انتهى والى أحد أنواعها أشار بما ذكره وأشار الى الآخر بقوله (وبمعنى الدلالة والدعاء) أي الدعوة (قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام) أي الجنة (ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم) أي يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد وضده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة

(وأصل الجميع) أي جميع أنواع الهداية مما هو بمعنى التوفيق وهو خلق الاهتداء وما هو بمعنى الدلالة وما هو بمعنى الدعاء (من الميل) أي والاقبال (وقيل من التقديم) يعني مكان من هدى مال الى ما هدى اليه أو قدم اليه وكلا القولين غير معروف في كتب اللغة مع انه لا يظهر وجه الدلالة على سبيل الاصالة ثم لا فائدة فيه غير الاطالة (وقيل في تفسير طه انه) أي معناه باشارة مبناه (يا طاهر يا هادي يعني) أي يريد به أو بهما (النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى له) أي في حقه عليه الصلاة والسلام (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) أي لتدعو كما قرئ به والمعنى تدل الخلق الى طريق الحق (وقال فيه وداعيا الى الله باذنه) أي بامره أي بتيسيره زيد في نسخة وسراجا منيرا والحاصل انه صلى الله تعالى عليه وسلم موصوف بكونه هاديا الا انه مختص بالمعنى الثاني وهو مجرد الدلالة والدعاء (فالله تعالى مختص بالمعنى الاول) وهو التوفيق لمن يشاء بخلق الاهتداء (قال الله تعالى انك لا تهدي من أحببت) أي لا تقدر ان تخلق فيه قبول الهداية وانما وظيفتك مجرد الدعوة والدلالة (ولكن الله يهدي من يشاء) بتوفيقه للاجابة وقبول الهداية (وبمعنى الدلالة يطلق على غيره) أي قد يطلق على غيره سبحانه وتعالى فاستعمال الهداية في حق البارئ بالمعنى الاعم وهو ارادة المعنيين واختصاصه تعالى بالمعنى الاول واختصاص غيره بالمعنى الثاني ولذا زيد في نسخة هنا فهو في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم بمعنى الدلالة أي لا غير

(ومن أسمائه تعالى المؤمن المهيمن) بكسر الميم الثانية وقد تفتح ما

(قيل هما بمعنى واحد) وهذا مبني على قول فاسد كما سيجيء معبرا عنه بقيل من ان الصيغة للتصغير وان الهمزة مبدلة بالهاء فان التصغير الذي وضع للتحقير غير مناسب لوصف العلي الكبير فالصحيح ان المهيمن مأخوذ من هيمن على كذا صار رقيبا اليه وحافظا عليه نعم قد يقال ان معناهما واحد من آمن غيره من الخوف على ان أصله مؤأمن قلبت الهمزة الاولى هاء والثانية ياء وقيل هو بمعنى الامين أو المؤتمن (فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده

في خلق العباد لافعالهم وان ما ذكره المصنف لا تساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشئ عن عدم معرفته بقدر المصنف رحمه الله (وأصل الجميع) من معاني الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة أصلها لغة (من الميل) فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه وأماله عن غيره لانه من التهادي وهو التمايل وفي الحديث خرج صلى الله تعالى عليه وسلم يتهادى بين اثنين أي يتمايل (وقيل) انها مأخوذة لغة (من التقديم) ومنه هوادي الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذي ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال (وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي) على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقي لما في قوله

* قلت لها قفي فقالت قاف * أي وقفت (يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه (وقال الله تعالى) خطابا لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم (وانك لتهدي الى صراط مستقيم) أي تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهول انه والله (وقال فيه) أي في حقه وشأنه صلى الله تعالى عليه وسلم (وداعيا الى الله باذنه) أي بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا في ذلك وأصل الاذن معروف الاجازة وعبر في الاول بقوله له لكونه بصيغة الخطاب يقال قال له كذا اذا خاطبه لما لم يكن في الثانية خطابا فيه لانه في حقه ووصفه فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعاقبين ثم أشار الى ان معاني الهداية منها ما يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال (والهداية بالمعنى الاول) وهو التوفيق بخلق الاهتداء (مختص بالله) فانه لا يقدر عليه سواه ولذا نفي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بهذا المعنى (قال تعالى انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ويريد توفيقه (وبمعنى الدلالة) بكسر الدال المهملة وفتحها وهي اراءة الطريق (تطلق على غيره تعالى) كالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين من العلماء لوقوع الدلالة منهم وقوله تعالى انك لا تهدي من أحببت نزلت في أبي طالب عمه لا في العباس عمه رضي الله تعالى عنه كما قيل وكان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا على اسلامه حتى دخل عليه في مرض موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وعنده أبو جهل وصناديد قريش فقالوا له أترغب عن ملة المطلب فكان آخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه الآية والشيعة يقولون انه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت (ومن أسمائه تعالى) التي سماه صلى الله تعالى عليه وسلم بها (المؤمن المهيمن قيل هما) في أسماء الله تعالى (بمعنى واحد) ولفظهما من مادة واحدة لان الهاء عند هذا القائل مبدلة من همزته (فمعنى المؤمن) على هذا القول (في حقه تعالى المصدق وعده) أي

ماوعدبه (عباده) فى الدنيامن الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا الى غير ذلك من وعد من لايخلف الميعاد (والمصدق قوله الحق) أى الذى صدق ماقاله من الحق كما قال فورب السماء والارض انه لحق (والمصدق لعباده المؤمنين ورسله) أى يصدق ماقالوه أوجاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى أقوالهم وعهودهم كما قال الله تعالى رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير زائدة وعلى الثانى مزيدة للتقوى وتحقيقه ان هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والاحاديث الصحيحة وأجمعت عليه الامة وهو من آمن يؤمن ايمانا فهو مؤمن أى مصدق فانه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه مصدق مؤمن عباده أى الذى لايخاف ظلما وقيل معناه الذى يأمن أولياء عذابه قال الشاعر

والمؤمن العائذات الطير تمسحها * ركبان مكة بين الغيل والسند

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابى بعد مافسره بالمصدق اه يحتمل وجوها أحدها انه يصدق عباده وعده ويفى بماضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة والآخر انه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولايخيب آمالهم كقوله أنا عند ظن عبدى بى (وقيل الموحد نفسه) بقوله تعالى شهد الله انه لااله الاهو وقوله تعالى اننى أنا الله لااله الا أنا فصدق مانطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده فى ألوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق وقوله (وقيل المؤمن عباده) كلهم مؤمنهم وكافرهم (فى الدنيا من ظلمه) لتنزهه عنه ومار بك بظلام للعبيد (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى معطى الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه راجع للكلام ثم بعد مابين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال (وقيل المهيمن بمعنى الامين) فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء وأصله مؤيمن وميمه الاولى مضمومة زائدة ومعناه الامين كما ذكر وفى بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان القلم الا ان يراد معنى مادته المأخوذ منها وهو من أسمائه الواردة فى القرآن والحديث وأجمعت عليه الامة وورد اطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى بيت العباس وأطلق على أبى بكر أيضا رضى الله عنه فى قول الشاعر

ألا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التالى على العرف والنكر

ولم ينكره وقال ابن الحصار لانعلم أحدا سمى به الا انه ليس فى الشرع مايمنعه وقوله (مصغر منه) أى مصغر من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه لان أسماء الله تعالى لايجوز تصغيرها لايهامه التحقير وان جاء للتعظيم فى قوله * دويهية تصفر منها الانامل لانه انما جاء فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا منهم كما قال وتقدم

ماقلت حبيبى من التحقير * بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

وأما أسماؤه تعالى وأسماء أنبيائه عليهم الصلاة والسلام فلايجوز ذلك فيها اعظاما وانما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن والياء فيه كياء ضيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء فى كلامهم ألفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر أيضا والمدبير بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البناء من النوادر غير متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابى عن بعض أهل اللغة المهيمنة بمعنى القيام على الشئ والرعاية اه وذكره ابن الانبارى فى الزاهر والغرابته اختلفوا فى معناه على أقوال عشرة * الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المصنف رحمه الله

عباده) أى وعده عباده كما فى نسخة أى المنجز ماوعدهم فى الدنيا من نعيم العقبى كما جاء فى التنزيل وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده أو بالمعنى الاعم كما فى الحديث صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده (والمصدق) أى بذاته (قوله الحق) بنصبه على انه نعت له أى من كلماته الثابتة فى آياته كما قال الله تعالى فورب السماء والارض انه الحق (والمصدق لعباده المؤمنين) كما أشار فى التنزيل رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه (ورسله) حيث قال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (وقيل الموحد نفسه) أى بقوله شهد الله انه لااله الاهو وقوله سبحانه اننى أنا الله لااله الا أنا فهو مؤمن بتصديقه لنفسه (وقيل المؤمن) بتخفيف الميم بعد الهمزة الساكنة وفى نسخة بتشديدها بعد الهمزة المفتوحة وهو عمالاحاجة اليه أى معطى الامن والامان (عباده فى الدنيا من ظلمه) أى لتنزهه عن وقوعه وفى نسخة من غضبه وهى فى غير محلها العموم عباده كما يدل عليه عطف خواصهم عليه بقوله (والمؤمنين فى الآخرة من عذابه) أى من عذابه المخلد أو من تعذيبه فان مايقع لبعض المجرمين فهو من باب تهذيبه أو أراد بالمؤمنين الكاملين (وقيل المهيمن بمعنى الامين) مفيعل من الامانة (مصغر منه) أى من الامين بزيادة ميمه الاولى فصار مؤيمن كذا ذكره الدلجى وهو غير متجه فى العربية بل الصواب انه مصغر على ماقيل من المؤمن على ان أصله مؤيمن

(فقلبت الهمزة هاء) اذ كثيرا ما تعاقبان قلبا كما قيل اراق وهراق وايهات وهيهات واياك وهياك وقد قدمنا ما يتعلق به من التحقيق والله ولى التوفيق (وقد قيل ان قولهم) أى قول المؤمنين (فى الدعاء) أى فى عقبه (آمين) أى بالمد والقصر (اسم) وفى نسخة انه أى آمين اسم (من أسماء الله تعالى) والظاهر انه بكسر همزة وانه بجملته سادمسد خبران الاول فتأمل وقال الانطاكى انه بفتح الهمزة وهو للتعليل أى لانه اسم من أسماء الله تعالى كما روى ذلك عن مجاهد قال الانطاكى فمعناه يا آمين استجب انتهى ولا يخفى ان هذا تركيب فى المعنى بين قولين فى المبنى قال النووى فى التهذيب وهذا لا يصح لانه ليس فى أسماء الله تعالى اسم مبنى ولا غير معرب مع ان اسم الله تعالى لا يثبت لا قرآنا أو سنة متواترة وقد عدم الطريقان ذكره الحلبى ثم قال وقوله أو سنة متواترة كذلك آحادا وقد ذكر هو عن امام الحرمين انه يثبت اطلاقه عليه بالآحاد ذكره فى قوله ان الله جميل يحب الجمال انتهى ولا يخفى ان ورود آمين ثبت آحادا بل كاد ان يثبت متواترا باعتبار جمع معنى ماورد افرادا الا ان المراد به اسمه سبحانه فى محل الاحتمال والله تعالى أعلم بالحال نعم قد ورد فى الحديث آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المؤمنين كما رواه ابن عدى والطبرانى فى الدعاء عن أبى هريرة لكن المشهور فى معناه استجب وهو اسم مبنى على الفتح يمد ويقصر والمد أكثر وورد فى حديث قال بلال لرسول الله لا تسبقنى بآمين أى بعد قراءة الفاتحة فى الصلاة ولعل الكلام وقع مقلوبا والمعنى قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى التأمين لبلال لا تسبقنى بآمين هذا وفى القاموس آمين بالمد والقصر وقد يشدد الممدود ويمال أيضا عن الواحدى فى البسيط اسم من أسماء الله تعالى أو معناه اللهم استجب أو كذلك مثله فليكن أو كذلك فافعل انتهى فتأمل (ومعناه * والفضل معنى المؤمن) ولعله مأخوذ من الامين مقصورا بمعنى المؤمن كما ان البديع بمعنى المبدع ويكون المدة تولدا من اشباع الحركة (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) فهو مغاير للمؤمن من جهة المعنى على ما قدمناه من تحقيق المعنى اذ معنى الشاهد العالم الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة أو الذى يشهد على كل نفس بما كسبت من خير أو شر (والحافظ) أى وبمعنى الحافظ والواو بمعنى أو أى الحافظ لعباده أحوالهم والمحصى عليهم أفعالهم وأقوالهم (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمين) أى مأمون يعنى معصوم ومصون أو صاحب الامانة وطالب الديانة (ومهيمن) أى بمعنى عالم وشاهد ورقيب وقريب (ومؤمن) أى مصدق أو معطى الامن (وقد سماه) أى الله (أمينا) أى عند بعض المفسرين (فقال مطاع ثم أمين) وقيل المراد به جبريل الامين (وكان عليه الصلاة والسلام) أى فيما بين أهل الجاهلية (يعرف الامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) أى لكمال امانته ووضوح ديانته وحفظ الله سبحانه اياه عن خيانته

(فقلبت الهمزة هاء) لانها أخف منها كما قالوا فى اراق هراق وفى انك هنك وقول المصنف انه مصغر منه أى من مادته ونوعه والافهو من الامن مصغر مؤمن ويجوز ان يعود ضمير منه الى مؤمن فليس مراده انه تصغير أمين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير أمين أمين بضم أوله وتشديد يائه وجعله شاذا لا داعى اليه وأسماء الله لا تصغر فيائه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة فقال (وقد قيل ان قولهم فى الدعاء آمين) بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه استجب أو افعل أو لا تخيب وأمن اذا قال آمين وقائله مجاهد (انه اسم من أسماء الله تعالى) بدل من قوله ان قولهم وقيل أصله على هذا أمين بالقصر مبنى على الفتح وادخلت عليه همزة النداء وأبدلت الثانية ألفا ورده ابن قرقول بانه ليس فى أسماء الله اسم مبنى وقال الراغب عن أبى على ان القائل بذلك أراد انه فيه ضمير الله لان معناه استجب وقيل انه عبرانى وقيل سريانى وقيل لا يعلم أصله (ومعناه معنى المؤمن) اذا كان اسم الله ولذا قيل ينبغى تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل فى التفاسير * والقول الثانى فى المهيمن ما أشار اليه بقوله (وقيل المهيمن بمعنى الشاهد) أى الحاكم أو الذى يشهد على كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد (و) الرابع (الحافظ) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره أو المحصى لاقوالهم وأفعالهم * والخامس انه بمعنى العلى المتعالى * والسادس الشريف وهو قريب مما قبله * والسابع المصدق * والثامن الوالى قاله عكرمة * والتاسع القاضى قاله ابن الزبير * والعاشر الرقيب وفيه كلام فى شرح الاسماء الحسنى للقرطبى ثم شرع فى ذكر تسمية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال (والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمين ومهيمن ومؤمن) أى يسمى بهذه الاسماء الثلاثة التى سمى الله بها وان لم تتحد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث انى لامين فى الارض وأمين فى السماء وكانت قريش تسميه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة محمدا الامين كما مر وأشار اليه بعد وسيأتى ذكر المهيمن (وقد سماه الله تعالى أمينا فقال مطاع ثم أمين) ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلاة والسلام كما تقدم أى مطاع أمره وأمين على وحيه وأسراره (وكان يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها) بين أهل مكة وطوائف العرب

(وسماه العباس) أى فى شعره كما فى نسخة (مهيمنا فى قوله) أى من أبيات أنشاها فى مدحه عليه الصلاة والسلام (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وقدم بيانه مبنى ومعنى فالمهيمن مرفوع على انه فاعل احتوى وهو المناسب للمرام فى هذا المقام (وقيل المراد يا أيها المهيمن) فيكون المراد به الله تعالى (قاله القتيبى) بالتصغير وفى نسخة بدون التحتية وفى أخرى بالعين بدل القاف والظاهر الاول فانه الامام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد صرح به التلمسانى بانه منسوب الى قتيبة بالتصغير لكن ذكر الانطاكى عن الاصمعى أن الاقتاب هى الامعاء واحدتها قتبة وتصغيرها قتيبة وبها سمى الرجل والنسبة اليها قتبى كما تقول جهنى فى جهينة حكاه عن الجوهرى وغيره ثم هو عن الدينورى بكسر الدال وفتح

النون وقيل المروزى النحوى

* والفضل ما شهدت به الاعداء * وهذا مؤيد لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله تعالى واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم لا الناس حتى يقال انه لما أقره ورضى به دل على انه باذن الله تعالى وسمى بالمأمون أيضا كما فى قول كعب حين كتب لاخيه بجير فى حال جهالته
سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا
فلما سمعها صلى الله تعالى عليه وسلم قال مأمون ان شاء الله ان لم نقل المراد به أبو بكر رضى الله تعالى عنه ثم بين تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بالمهيمن بقوله (وسماه العباس) ابن عبد المطلب عمه عليه الصلاة والسلام (فى شعره مهيمنا فى قوله) فى الشعر الذى قدمناه مع شرحه (ثم احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق) وتقدم شرحه فانظره (وقيل المراد يا أيها المهيمن) لولا هذا لم يكن اسما ومرضه المصنف رحمه الله تعالى وتبرأ منه بعزوه لقائله بقوله (قاله القتيبى) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى الامام المشهور ونسبة القتيبة جده توفى فى سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة (والامام أبو القاسم القشيرى) عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته وانما مرضه لانه تكلف ضعيف لان المعرف بأل لا ينادى وتقدير أيها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوى وأثقل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما فى قوله
ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
واذا أعزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على أبلغ وجه لان صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الفرك (وقال تعالى) فى وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بانه مؤمن أى مصدق (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين أى يصدق) لعلمه بخلوصهم واللام لتضمنه معنى يذعن ويسلم أو مزيدة والآية نزلت فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قالوا فى حقه أمرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر فانه اذن أى يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يؤمن الخ (وقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أمنة لاصحابى) هذا طرف من حديث النجوم أمنة فى السماء فاذا ذهبت أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لاصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون وأصحابى أمنة لامتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون يعنى ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها ولذا كثر سقوطها عند بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أمان لاصحابه رضى الله تعالى عنهم من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان وعلى والحسين وأصحابه صلى الله تعالى عليه وسلم أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر

صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب كان فاضلا سكن بغداد وحدث بها عن اسحق ابن راهويه وأبى حاتم السجستانى وتلك الطبقة وله تصانيف كثيرة مفيدة منها غرائب القرآن وغريب الحديث ومشكل القرآن ومشكل الحديث ومنها التاريخ وطبقات الشعراء وغير ذلك توفى فى سنة ست وسبعين ومائتين على ما صححه ابن خلكان (والامام أبو القاسم القشيرى) هو عبد الكريم ابن هوازن النيسابورى صاحب الرسالة وولى الله توفى سنة خمس وستين وأربعمائة (وقال تعالى) أى فى حق نبيه (يؤمن بالله) أى يصدق بوجوده لما شاهد عنده من كرمه

وجوده (ويؤمن للمؤمنين) أى يصدقهم بعلمهم بخلوصهم واللام مزيدة للفرق بين ايمان الشهود والتصديق وايمان الامان بوجود التحقيق فقوله (أى يصدق) تفسير لمطلق الايمان وقيل عدى بالباء واللام لانه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولون ويصدقهم لكونهم صادقين عنده ونحوه قوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وقالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون (وقال) أى كما فى حديث مسلم على ما مر مبنى ومعنى (أنا أمنة) بفتحتين (لاصحابى) أى ذو أمن أو هو من باب رجل عدل (فهذا بمعنى المؤمن) أى معطى الامن والامان لاهل الايمان اذا كانت الصحابة فى ظل حرم كنفه آمنين وأما قول الدلجى جمع آمين كبررة جمع بر فهو غير موافق أصلا لانه غير مطابق وزنا وحملا

(ومن أسمائه تعالى القدوس) بضم القاف وبفتح صيغة مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة ولذا قال (ومعناه المنزه عن النقائص) أى أزلا (المطهر من سمات الحدوث) بكسر السين جمع سمة وهى العلامة أى من صفات الحدوث أبدا وقد يقال فى معناه المبرأ من ان يدركه حس أو يتخيله وهم أو يحيط به عقل أو يتصوره فهم لما قيل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك (وسمى بيت المقدس) أى على ما وردوهو بفتح الدال المشددة وضم الميم وقيل بفتح الميم وكسر الدال مخففا والظاهر ان بيت مرفوع على نيابة الفاعل والمفعول الثانى مقدر وترك لظهوره وثقل تكرره أى سمى بيت المقدس ببيت المقدس وجزم الانطاكى بان بيت بالنصب على انه المفعول الثانى لسمى والمفعول الاول القائم مقام الفاعل مستكن فيه أى وسمى بيت المقدس بيت المقدس انتهى ولايخفى ان تقديرنا أولى لان المفعول الثانى بالحذف أحرى لكونه فضلة والمفعول الاول بالثبات أنسب لكونه كالعمدة (لانه يتطهر) بصيغة المجهول أى يتنظف (فيه من الذنوب) بناء على انه يعبد فيه علام الغيوب (ومنه الوادى المقدس) أى كما جاء فى القرآن وهو بمعنى المطهر أو المبارك وهو الاظهر (وروح القدس) أى ومنه روح القدس بضم الدال وسكونها فى قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس بضم الدال وسكونها أى قويناه بجبريل (ووقع فى كتب الانبياء) أى الكرام والمعنى فى جميعها أو بعضها (فى أسمائه عليه الصلاة والسلام) أى فى بيان نعوته وصفاته (المقدس) أى ووقع المقدس فى جملة أسمائه وسماته (أى المطهر من الذنوب) يعنى والمبرأ من العيوب (كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى على فرض وقوع ذلك فتدبر (أو الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها) أى عن العيوب

فاذا ذهبوا بدا أظهور ذلك وأمنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان أو بزنة المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل أمنة وآمنة يثق بكل أحد وأمين ويؤمن به انتهى ونحوه فى الاساس وكونه جمع أمين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المصنف رحمه الله تعالى تأييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله تعالى عليه وسلم بأسماء الله اذ ليس من هذا القبيل (ومن أسمائه تعالى) التى أطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم (القدوس) مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق أهل اللغة وهو بضم القاف فى الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادوس وظاهر كلام القرطبى فى شرح الاسماء الحسنى انه سمع والمشهور خلافه (ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات الحدوث) أى علاماته وآثاره فلا يتصف بشئ منها (وسمى بيت المقدس به) أى من هذه المادة بالمعنى المذكور وبيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان أو مصدر ميمى من القدس وهو الطهر وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرمانى وقد تقدم (لانه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه وروى النسائى باسناد صحيح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغى لاحد من بعده وان لا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهزه الا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه فأعطى جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطى كما تشد الى الكعبة ومسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنه الوادى المقدس) المسمى طوى وهو وادى بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام سمى به لان الله تعالى قدسه وشرفه بتطهيره وكلامه فيه وهو من الارض المقدسة أيضا فهو مطهر ومبارك وقد فسر المقدس بالمبارك أيضا (و) منه (روح القدس) بضمتين وضم فسكون كما مر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى قل نزله روح القدس انزوله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الالهى وهذا هو الاصح وفيه وجوه أخر (ووقع فى) بعض (كتب الانبياء) المنزلة من عند الله تعالى عليهم (فى أسمائه عليه الصلاة والسلام المقدس) هذا هو الصحيح وما فى بعض النسخ من انه القدوس من غلط الناسخ فانه لا يجوز ان يقال فى حق مخلوق القدوس مطلقا (أى المطهر من الذنوب) لعصمة الله تعالى له صلى الله تعالى عليه وسلم من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شئ منها يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقيل المراد ما تقدم من ذنوب أمتك وما تأخر منها كما سيأتى بيانه وخوطب لانه سبب المغفرة (أو الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه) ببناء المجهول فيهما والتنزه البعد ولذا أخره لاشعار التطهير بالوقوع وقوله (باتباعه عنها) متعلق بيتنزه والباء سببية لان من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم واتبع

(كما قال تعالى ويزكيهم) أى يطهرهم مما لا يليق بهم صدوره عنهم (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) أى من ظلمات أنواع الكفر الى نور وحدة الايمان والشكر أو من ظلمات الشبهة فى الدين بما يهديهم الله به ويضئ لهم نور اليقين ولا يخفى بعد هذا المعنى من هذا المبنى فان صيغة المفعول بمعنى الآلة للدلالة غير معقول ولا منقول وعلى تقدير انه منقول فيلزم منه ان يكون هذا النعت لاتباعه أكثر قبول (أو يكون) أى النبى عليه الصلاة والسلام (مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالذال المعجمة أى الردية (والاوصاف الدنية) بتشديد الياء التحتية وأصله الهمز فى الدناءة بمعنى الرداءة كما فى نسخة وهذا المعنى يقارب ما سبق من قوله المطهر من الذنوب لان المراد به الطهارة من ذنوب الظواهر وعيوب السرائر (ومن أسمائه تعالى العزيز) من عز يعز بالكسر (ومعناه الممتنع) أى بذاته (الغالب) باعتبار صفاته (أو الذى لا نظير له) من قوله فلان عزيز الوجود وفى نظر أرباب الشهود هو بمعنى البديع المنبع (أو المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل كبديع بمعنى مبدع على قول وقد يقال معناه القوى عن عز يعز بالفتح ومنه قوله تعالى فعززنا بثالث أى قوينا (وقال تعالى ولله العزة) أى القوة والغلبة والمنعة (ولرسوله أى الامتناع) يعنى بظهور السلطان (وجلالة القدر) أى بارتفاع الشأن له سبحانه وتعالى ولمن أعزه كرسوله فعزته بربه فى الآية وكذا قوله تعالى وللمؤمنين لان عزتهم بربهم أولا وبنبيهم آخرا هذا وذكر الحلبى انه قال المعلق أراد به الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمنى فى الاكتفاء فى شرح الشفاء منه ولقائل ان يقول يجوز ان يكون هذا الوصف أيضا للمؤمنين لشمول العطف اياهم فلا اختصاص للنبى والغرض اختصاصه وعجيب من القاضى يخفى عليه مثل هذا الشان انتهى ولا يخفى ان قوله والغرض اختصاصه يحتاج الى البيان فانه غير ظاهر فى معرض البرهان فان أكثر الاوصاف المتقدمة انما هى واقعة بالصفة المجتمعة ومنها المؤمن حيث أطلق عليه سبحانه وعلى رسوله وعلى كل فرد من أفراد اتباعه على انه لا يلزم من وصف الشئ بالشئ اختصاصه به ولا نفيه عن غيره نعم كان الاحسن ان يستدل بقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز على ان عليه ما عنتم كلام منقطع عما قبله وصفة أخرى له

شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (كما قال) الله تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته (ويزكيهم) يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام (وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور) أى من الكفر والمعاصى الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق الله لهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية (أو يكون مقدسا) الموصوف به النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة) بالمعجمة أى المذمومة (والاوصاف الدنية) الحقيرة التى لا تليق بجنابه صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه (ومن أسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع) الذى لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلى فى العقاب

حتى انتهيت الى فراش عزيزة * سوداء روثة أنفها كالمخصف

كذا قاله القرطبى نقلا فى شرح الاسماء الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله (الغالب) القاهر من صفات الافعال فكان ينبغى له ان يقول أو الغالب لانه معنى آخر صرح به فى شرح أسماء الله والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقى ونعت تنزيهى كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبى لاسماء الله الحسنى ثم ان اطلاق الغالب على الله لم يأت فى عداد الاسماء وورد فى قوله والله غالب على أمره أى الفعال فى مخلوقاته ما يريده أحبوا أو كرهوا وفى التنزيل كتب الله لاغلبن أنا ورسلى وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما فى اليمين أى الممتنع أى الممهل فانه يمهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ مرامه نملى لهم ليزدادوا اثما (أو الذى لا نظير له) هذا معنى آخر قال الخطابى العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شئ وانه لا مثل له انتهى وبما سمعته من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انه انحصر فى فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة قيود أخر ليس بشئ (أو المعز لغيره) فهو فعيل بمعنى مفعل وهو عزيز فى العربية ولذا أخره المصنف يعنى به انه لا عزيز الا من أعزه فالعزة له وبيده لا بيد غيره ولذا صح الاستشهاد له بقوله (وقال الله تعالى ولله العزة ولرسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم والآية نزلت فى حق المنافق أبى بن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعنى بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار العزة فى الله لا يقتضى انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز فى الاسم الشريف ان يكون المعزز المعظم وقد يقال يكفى فى كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين وانه محل الاستشهاد (أى الامتناع وجلالة القدر) معطوف على ما قبله

(وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة) يعني بطريق الاشارة لا على سبيل العبارة حيث أثبت له هذا الفعل وان لم يذكره بطريق الوصف (والنذارة) بكسر النون ولعل الانذار يؤخذ من قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا على ان ضمير يكون راجع الى الموصول على تجويز عوده الى الفرقان والى عبده المعني به رسوله (فقال) أي عز وعلا (يبشرهم) بالتشديد والتخفيف (ربهم برحمة منه) للعامة (ورضوان) للخاصة (وقال تعالى ان الله يبشرك بيحيى) أي في موضع (و) في محل آخر يبشرك (بكلمة منه) أي اسمه المسيح عيسى (وسماه الله تعالى) أي محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم

(مبشرا ونذيرا) أي في قوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وزيد في نسخة وبشيرا أي وسماه بشيرا في قوله سبحانه وتعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وهو فعيل بمعنى مفعل كالنذير (أي مبشرا لاهل طاعته) يعني بدار الثواب (ونذيرا) أي ومنذرا ومخوفا لاهل معصيته) يعني دار العقاب (ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس) ولعل ايماء في الطاء الى طاهر وفي الهاء الى الهادي وفي الياء الى يد الله مبسوطة وفي السين الى انه سيد او سميع (وقد ذكر بعضهم أيضا) أي من المفسرين (انهما من أسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وفي نسخة شرف وكرم فهو طاهر وهاد كما تقدم وقد سبق ان يس معناه يا سيد كما يدل عليه قوله سبحانه آل يس على ما ذكره بعض المفسرين وقد قال بعض العلماء يبحث المعتبرين ان طه أيضا منادى بحذف حرف النداء وان المعنى يا مشبها بالقمر ليلة البدر فان الطاء والهاء أربعة عشر على حساب أبجد الجمل فتأمل وأغرب الدلجي في قوله ان هذا قيل بلا بينة ولا دليل يعتمد والله تعالى أعلم بمراده بهما انتهى ولا يخفى ان المراد خفي في المقطعات وسائر المتشابهات وانما ذكر ما ذكر بناء على الاحتمالات الناشئة من العبارات أو المنبئة على الاشارات

* (فصل قال القاضي أبو الفضل) أي المصنف (وفقه الله تعالى لما يحبه ويرضاه (وههنا) أي في هذا المقام (أذكر نكتة) أي

لانه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره وبزيادة المصنف الماذكر اندفع ما تقدم أيضا وقال الغزالي العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهو الحياة الاخروية وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوي العدالة من الحكام ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال (وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة) الاول بكسر أوله والثاني بفتحة والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه ولذا لو قال لعبيده من بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الاول ولو قال من أخبرني عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب أليم تهكم كما مر (فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه) اسمه المسيح عيسى بن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز ان يسمى الله مبشرا ومنذرا ومثله يكفي في كونه توقيفيا والاشعري رحمه الله تعالى يقول لابد من وروده بعينه (وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا أي مبشر الاهل طاعته) بما يسرهم في الدنيا والآخرة (ونذير الاهل معصيته) بما يسوءهم من العقاب ونحوه (ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم انهما من أسماء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لاعادته * (تنبيه) في فتاوى السبكي رحمه الله تعالى في قوله تعالى في سورة الاسراء انه هو السميع البصير ان الضمير في قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد في أربعة مواضع من القرآن وقال بعضهم ان الضمير هنا يعود على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيكون هذان الاسمان من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التي يريه اياها وهو نذير والانذار بالعقل وأعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر فعلى هذا وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك لانه لا أحد أكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى * أقول يعني ان وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق للمدح وهو أمر عام فقصره بما يخصصه ويصيره مدحا ولا حاجة لما ذكره بعده فانه قد تبين توجيهه أظهر منه وهو السميع لكلام الله تعالى من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم

* (فصل قال القاضي أبو الفضل) * عياض المؤلف (رضي الله تعالى عنه وههنا نكتة) وفي نسخة وها أنا أذكر نكتة وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها أنا ذا أقول وقد لا يؤتى به كما صرح به فمن ظنه لازما واعترض على المصنف رحمه الله تعالى لم يصب والنكتة بضم أولها وفتح المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر وتأمل سميت به لان صاحبها كثيرا ما

جملة مفيدة (اذيل بهاهذا الفصل) بتشديد التحتية المكسورة أى أجعل لها ذيلا لتمام المرام فى مقام الفضل ووقع فى أصل الدلجى وغيره وهاأنا على ان ها حرف تنبيه بعده مبتدأ أو خبر نبه به عن حاله فى ذكره بعد فكره وكذا ذكره الحجازى وقال وبروى أذكر (وأختم بهاهذا القسم) أى من بين أقسام بيان الفضل بالفصل بين الفرع والاصل (وأزيح الاشكال بها) بضم الهمزة وكسر الزاى أى وازيل بها الاغلاق الواقع (فيما تقدم) أى من متشابه الحديث وغيره (عن كل ضعيف الوهم) بسكون الهاء

يبحث فى الارض بقضيب ونحوه وهو بمعنى النكت لغة (أذيل بهاهذا الفصل) أى أختمه بها وأطوله فيكون كذيل الثوب الذى يطول به وفى حديث مصعب بن عمير رضى الله تعالى عنه انه كان فى الجاهلية متردفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة ايمن أى يطيل ذيلها واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه أشار بقوله (واختم به هذا القسم) الذى فيه ذكره الاسماء (وأزيح الاشكال بها فيما تقدم) أى أزيل ما يشكل على سامعه (عن كل ضعيف الوهم) قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله (سقيم الفهم) كالتفسير له وسقمه بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره فى الاول بالضعف وفى هذا بالسقم تفنن حسن والوهم بسكون الهاء وفتحها (تخلصه من مهاوى التشبيه) بكسر الواو جمع مهواة وهى كالهاوية الحفرة العميقة التى من يقع فيها يصعب طلوعه ومن اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء أو هى تخييلية ومكنية والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها الا ان اطلاق بعض الاسماء على الله وعلى غيره يقتضى ذلك (وتزحزحه) أى تزيله وتبعده قال تعالى ﴿فمن زحزح عن النار﴾ (عن شبه التمويه) أى الشبه بزنة غرر جمع شبهة وهو ما يلتبس وأصله ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه واتمموه به من الماء والمراد به زخرفة الكلام الذى لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال فى الاساس سرج مموه مطلى بالذهب أو الفضة وحديث مموه مزخرف وما أحسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه انتهى وانما سمى تمويها لانه يذاب حتى يصير كالماء ويقال موه عليه الخبر أخبره بخلاف ما سأله عنه (وهو) عائد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويزيح لاوهام والعجب ممن أعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم (ان يعتقد ان الله جل اسمه) أى عظم وتنزه عن الالحاد فى اسمائه بالتأويلات الباطلة ولقد أصاب قوله هنا جل اسمه محزه وطبق مفصله (فى عظمته وكبريائه) الكبرياء الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته فى نفسها ولظهور الاولى ورد فى الحديث الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى فى شئ منهما قصمته والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما سيأتى من قوله لا يشبه الى آخره وقيل انه حال لازمة من ضمير اسمه أى متصفا بهما وبما بعدهما وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية أو هو ظرف مستقر كأنه لتمكنه وانفراده بأعلى مراتبهما فيهما انتهى وفيه تكلف (وملكوته) أى عظم وعز سلطانه وهى كلمة صيغة مبالغة من الملك كالجبروت وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا (وحسنى اسمائه) أى اسمائه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على أحسن المعانى وأمدحها فهى صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها تقاسيم أخر (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهى الشريفة الرفيعة وروى على بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء وهما بمعنى (لا تشبه شيئا من مخلوقاته) بالتاء الفوقية أى المذكورات من لفظ العظمة وما بعده وهو خبر ان وما بعده متعلق به أو حال مما قبله وليس معترضا كما قيل (ولا تشبه به) مبنى للمجهول بضم الفوقية مشدد الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية أى معانى أسمائه وصفاته لا تشابه

ويحرك (سقيم الفهم) أى حذرا من وقوعه فيما يرديه (تخلصه) أى تلك النكتة تنجيه (من مهاوى التشبيه) بفتح الميم وكسر الواو جمع مهواة وهى الحفرة العميقة المهلكة أى مهالكه فى مباديه وتناهيه ويروى وساوس جمع وسوسة وهى حديث النفس والشيطان (وتزحزحه عن شبه التمويه) بضم الشين وفتح الموحدة أى وتبعده عن الشبهات المموهة الخالية عن التنزيه لان الطريق القويم والدين المستقيم هو اعتقاد التنزيه المتوسطة بين التعطيل والتشبيه (وهو) قال الدلجى أى ضعيف الوهم وهو وهم والصواب أى ذلك الاشكال (ان يعتقد) أى ضعيف الخيال (ان الله جل اسمه) أى وصفه ورسمه (فى عظمته) أى أى فى ذاته (وكبريائه) أى فى صفاته (وملكوته) أى فى أرضه وسمواته (وحسنى أسمائه) اى وأسمائه الحسنى (وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصورا ومعناه الرفيعة أى وصفاته العلى وضبط فى نسخة صحيحة بفتح العين وكسر اللام وتشديد الياء مجرورا ومعناه الرفيع أى وصفاته العلية ونعوته السنية (لا تشبه) أى الله سبحانه (شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به) بصيغة المجهول أى ولا يمثل به شئ من مكنوناته لكمال ذاته وجلال صفاته

(وان ماجاء) أى من الاسم والصفة (مما أطلقه الشرع) أى فى الكتاب والسنة (على الخالق) أى تارة (وعلى المخلوق) أى أخرى لما بينهما من الاشتقاق اللغوى (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) بل اطلاقه على غيره سبحانه وتعالى انما هو بطريق المجازى (اذصفات القديم) أى الازلى الابدى لان ماثبت قدمه استحال عدمه (بخلاف صفات المخلوق) أى المشاهد حدوثه بالدليل العقلى والنقلى (فكما ان ذاته تعالى لاتشبه الذوات) أى وان وقع الاشتراك فى اطلاق الذات (كذلك صفاته) كالعليم والحليم والصبور والشكور والسميع والبصير والحى والمريد والمتكلم والقادر (لاتشبه صفات المخلوقين) أى من جميع الجهات (اذصفاتهم) أى لحدوثها (لاتنفك) أى لاتزول (عن الاعراض) بالعين المهملة (والاغراض) أى عن عروضهما (وهو تعالى منزه عن ذلك) اذلاعرض يعرض هنالك لانه لايعترى ذاته عرض ولاتعلل افعاله بغرض واما مايشبه فى فعله من العلة فهو محمول على سبب الحكمة (بل لم يزل

غيرها بوجه من الوجوه لقدمها وكونها على أعظم رتبة لايصل اليها غيرها وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم تقديره ان بعض أسمائه تعالى أطلق على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركة عبيده له فيها كما قال (وان ماجاء) من اسمائه تعالى (مما أطلقه الشرع) فى القرآن والاحاديث والكتب الالهية (على الخالق وعلى المخلوق) كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما (فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى) الذى هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد اسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هى حقيقة فيه مجاز فى غيره أو مجاز فيه حقيقة فى غيره أو حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسماء الحسنى منها ماهو علم وصفة والوصف فيها لاينافى العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ماهو حقيقة قطعا كالاله والخالق ومنها ماهو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه أطلق عليه باعتبار غايته الا أن يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لايستلزم اشتراكها بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله (اذصفات القديم بخلاف صفات المخلوق) لايتم دليلا على مدعاه (فكما ان ذاته لاتشبه الذوات) أى حقيقته ونفسه ومن ذهب الى ان الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول أل عليه الا أن الظاهر صحته ويشهد له قولهم الذو بن الملوك اليمن وقوله تعالى ذواتا افنان (فكذلك صفاته لاتشبه صفات المخلوقين) وكون ذاته لاتشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب اليه الاشعرى وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها فى الحقيقة وان امتازت بالوجوب والالوهية وغيرهما وتفصيله فى الكتب الكلامية * واعلم ان فى اطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول أل عليه غير صحيح لغة وقال السهيلى ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها لانها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد فيه ولدن ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد فى الحديث الصحيح ثلاث كذبات فى ذات الله تعالى وقول حبيب رضى الله تعالى عنه

وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخارى وأحمد فى مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع بالاستقراء ولم يرد الا مجرورا بفى والظرفية غير صحيحة فهى صفة لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر (اذ صفاتهم لاتنفك عن الاعراض والاغراض) الاول بعين مهملة والثانى بغين معجمة أو العكس ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما فالاول جمع غرض بفتحتين وهو مايقابل الجوهر أى لايقوم بذاته أو بمعنى كالمرض ويكون بمعناه أيضا لان مايعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطباء والافعرض ويطلق كل منهما على الآخر والثانى هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات الله تعالى وماتعلق بها لايشبه شيأ من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لاتنفك أى لاتفارق الاعراض والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى خلافا للحكماء والكرامية وأفعاله تعالى لاتعلل بالاغراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهى تسمى غرضا أيضا لكنه ليس محل خلاف وذهب النسفى وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظى فان الغرض ان كان مايستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفى عنه والافيجوز اثباته له خلافا للحكماء وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفى كلامه تجنيس (وهو تعالى منزه عن ذلك) فلايحل به عرض ولايفعل لغرض (بل لم يزل) موجودا أزلا

وأبدا

بصفاته وأسمائه) أى موجودا ولا يزال بذاته ونعوته فى نظر أرباب التوحيد وأصحاب التفريد مشهودا واما صفات الافعال كالخالق والرازق والمحيى والمميت فهى قديمة أيضا على ما اختاره المحققون من الماتريدى ومتابعيه خلافا للاشعرى ومتابعيه وليس هذا محل تبيين مبانيها وتعيين معانيها واما قول الدلجى من انه سبحانه وتعالى موصوف بسمع وبصر يزيد الانكشاف بهما على الانكشاف بالعلم فهو خطأ نشأ من القياس حيث يوجب التشبيه باوصاف الخلق من قبول نعت الزيادة والنقصان باعتبار بعض الحواس مع انه سبحانه وتعالى يجب التنزيه له عن ذلك اذ ليس كمثله شئ هنالك لا ذاتا ولا صفة ولا فعلا أصلا (وكفى فى هذا) أى حسبك وكون ذاته وصفاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذات مخلوقاته وصفات مكوناته فى جميع حالاتهم وعلو مراتبهم ودرجاتهم (قوله ليس كمثله شئ) قيل الكاف زائدة فى هذا المقام اذ الكلام يتم بدونه فى حصول المرام وقيل بزيادة ٤٣٧ المثل مبالغة فى نفى المثل كما فى قولهم مثلك لا يبخل فانه اذا نفى عن مشابهه ومناسبه كان نفيه عنه أولى فى مراتبه وقيل المعنى ليس كذاته وصفته شئ وقال التلمسانى والمحققون على ان لا صلة لان المراد منه نفى المماثلة من وجه وهذا لانه لم يقل أحد بان لله مثلا من كل وجه وانما قالوا بالمماثلة من وجه فيحتاج الى نفى هذه المماثلة ومن شأنهم انهم يقولون عند ثبوت المماثلة من كل وجه هذا مثله وعند ثبوتها من وجه هذا كمثله انتهى وهنا وجه أدق وهو للبيان أحق وهو ان نفى مثل المثل يوجب نفى المثل (ولله درمن قال) الدر فى الاصل اللبن حال كثرته وقصد به هنا عمله أو خيره (من العلماء العارفين) أى الجامعين فى العلم والمعرفة الباهرة بين الانوار الظاهرة والاسرار الباطنة (المحققين) أى فى تبيان المبنى والمدققين فى برهان المعنى (التوحيد اثبات ذات غير مشبهة) بكسر الباء مخففة أو بفتحها مثقلة أى غير شبيهة (للذوات) أى لسائر ذوات الموجودات وفيه رد على الوجودية والاتحادية والحلولية (ولا معطلة من الصفات) أى الصفات الكاملات القديمات اذ التعطيل نفيها واليه ذهب المعتزلة هربا من تعدد القدماء مبالغة فى التوحيد وقلنا لا محذور فى تعدد الصفات وانما المحظور تعدد الذوات (وزاد هذه النكتة) أى معناها (الواسطى بيانا) أى وضوحا برهانا وظهورا وتبيانا (وهو مقصودنا) أى لعرف معبودنا ومشهودنا (فقال ليس كذاته ذات) أى لا تصافه بالقدم وحدوث غيره بالعدم (ولا كاسمه) أى الخاص به (اسم) أى كاسم الله والرحمن فانهما لا يطلقان على غيره (ولا كفعله فعل) أى من خلق ورزق واحياء وافناء وايجاد وامداد (ولا كصفته صفة) أى لقدمها وحدوث غيرها ولكمالها ونقصان ما عداها

وأبدا (بصفاته وأسمائه) الدالة على ذاته وصفاته فهى قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام فى قدمها ومنها ما هو عينه ومنها ما هو غيره أو لا عينه ولا غيره عند الاشعرى واما صفات الافعال كالاحياء والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية والمصنف رحمه الله تعالى تبعهم هنا وقيل انها حادثة اذ هى اضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون وصفاته السلبية قديمة أيضا وأسماؤه على ما ذكره قديمة أيضا لانه تعالى سمى نفسه بها فى كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظى وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستانى (وكفى بهذا) أى يكفى فى اثبات كون ذاته وصفاته وأسمائه لا يشبهه شئ فيها (قوله تعالى ليس كمثله شئ) فانه صريح فيه سواء قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زائدة أو قلنا انها زائدة وقيل الفرق بين مثله وكمثله ان الاول يدل على المشابهة من سائر الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما (ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين أصل معناه اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام فى لله للتعجب وكذا يستعملونه فيقال لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا لله هو لانه أبلغ مراتب لتعجبهم من ابن ارتضعه كما يقال لله أبوه وبلده وأضافوه لله اشارة الى انه لا يقدر عليه سواه وأراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان العارف مختص فى العرف باولياء الله تعالى (التوحيد اثبات ذات) وهى ذات الله تعالى (غير مشبهة للذوات) جميعها بوجه من الوجوه (ولا معطلة من الصفات) أصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفى هنا أى غير منفى عنها الصفات كما يقوله المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات وفيه تشبيه للصفات بالزينة (وزاد هذه النكتة) وهى معنى التوحيد الذى قاله المشايخ (الواسطى) تقدمت ترجمته (بيانا وهى) أى الزيادة التى زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله (مقصودنا) لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل (فقال ليس كذاته ذات) أى ليس كحقيقته حقيقة فلا يشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركه لزم امر آخر يميز ذاته عن ذات غيره والا الاتحاد وهذا يستلزم التركيب والحدوث (ولا كاسمه اسم) أى لا يشبه مدلول اسمه مدلول اسم آخر كما مر (ولا كفعله فعل) لانه فى غاية الكمال والاتقان وليس لغرض ولا عرضا كما مر (ولا كصفته صفة) لانها عظيمة قديمة

(لا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) أى مطابقة لفظه وصف الخالق لنعت الحق كالعليم والحليم وغيرهما مما سبق (وجلت) بتشديد اللام أى عظمت (الذات القديمة ان تكون لها صفة حديثة) أى حادثة أو جديدة وجدت بعد عدم لانها ان كانت صفة كمال فخلوه عنها قبل حدوثها مع جواز اتصافه بها نقص تفاقا ولا استحال اتصافه بها اجماعا وأيضا لا يجوز ان تكون ذات القديم محلا للحوادث كما فى علم الكلام تمام المرام (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهو من العلوم الضروريه والامور البديهية (وهذا) أى الكلام من زبدة المشايخ الكرام (كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة) أى من العلماء والائمة (رضى الله تعالى عنهم) أى أجمعين (وقد فسر الامام أبو القاسم القشيرى قوله) أى قول الواسطى (هذا) أى المذكور سابقا (ليزيده بيانا) أى وبرهانا لاحقا (فقال هذه الحكاية) أى مازاده الواسطى آنفا مما تقدم عنه الرواية (تشتمل على جوامع مسائل التوحيد) أى مما عليها مدار أرباب الدراية وهى اعتقادان لا شريك له فى الالهية والصفات الذاتية والفعلية واستحقاق العبودية بمقتضى النعوت الربوبية (وكيف) استفهام تعجب أو انكارى أى ولا (تشبه ذاته) أى الغنية بصفاته (ذات المحدثات) أى المفتقرة الى موجدها فى جميع الحالات (وهى) أى والحال ان ذاته تعالى (بوجودها) أى بوجوب وجودها او ثبوت شهودها واتصافها بكرمها وجودها (مستغنية) أى عن جميع الاشياء كما قال والله الغنى وأنتم الفقراء (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) يجوز كونه فاعلا أو مفعولا فى نسخة من فعل الخالق (وهو) أى والحال ان فعله لا يعلل بغرض ولا عرض ولا عوض قصده عنه (لغير جلب أنس) لاستغنائه عن جليس وأنيس (أو دفع نقص) أى ولا دفع نقص (حصل) أى تدارك لما به يتكمل (ولا لخواطر) باللام ويروى بالباء فاللام تعليلية والباء سببية أى ولا يكون بحصول خواطر باعثة له عليه (واغراض) بالغين المعجمة (وجد) أى شىء منها الامتناع ان يكون فعله معللا بغرض وتصحف على الدلجى بقوله وجد بكسر الجيم وتشديد الدال فقال ولا يكون فعله تعالى باجتهاد على انه مستدرك بقوله المصنف (ولا بمباشرة ومعالجة) أى لا بانفراده ولا بالواسطة بل كما قال تعالى اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون

وغيرها ليس كذلك (الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ) فى بعضها كسميع وبصير وحى فمثل ذلك فى حقه ليس مثله فى غيره وان كان اللفظ متحدا لما سبق مما تم وضحه فقال (وجلت الذات القديمة) أى عظمت وتعالت وتنزهت عن (ان تكون لها صفة حديثة) أى محدثة موجودة بعد العدم لانها ان كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لا يليق بكماله والا استحال اتصافه بها وهذا مبنى على قدم صفات الافعال كما تقدم (كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها (وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة) الماتريدية فالجماعة اذا أطلق فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة (وقد فسر الامام أبو القاسم القشيرى) تقدمت ترجمته (قوله هذا) أى قول الواسطى السابق (ليزيده بيانا) وايضاحا على ايضاح (فقال هذه الحكاية) أى المحكى المنقول عن الواسطى (تشتمل) وفى نسخة اشتملت (على جوامع) أى أمور جامعة مستوفية (مسائل التوحيد) وهو اعتقاد ان الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك له فى ألوهيته واستحقاقه للعبادة (وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات) بفتح الدال المهملة أى الامور الحادثة (وهى بوجودها مستغنية) مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة (وكيف يشبه فعله فعل الخلق) فى حقيقته ولوازمه وكماله (وهو) أى فعله (لغير جلب) بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها بالموحدة وهو التحصيل وأصل معناه السوق (أنس) أى استئناس ودفع وحشة لاستغنائه عن الانيس والجليس (أو دفع نقص حصل) أى ليس شىء من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغنى المطلق (ولا بخواطر واغراض) والباء سببية وفى نسخة لخواطر باللام التعليلية واغراض بغين معجمة أى ليس شىء من افعاله تعالى لخواطر بطرأ عليه او باعث يدعوه لفعله كما تقدم وفى نسخة ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاعراض لافعاله على ما فيه وقوله (وجد) ماض للمجهول كما قاله البرهان ووقع فى مقابلة قوله حصل أى ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وغرض موجود وفى بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال أى ليس فعله باجتهاد وجد منه والذى غره قوله (ولا بمباشرة ومعالجة) الا ان قوله (ظهر) يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل فان معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له أو لخاطر وغرض وجد فى نفسه ولا نكد ظهر وقت فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة فى محله فوصف النقص بحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة فى نفسه كما هو شأنه كما ان شأن المباشرة كونها محسوسة فهذا ناشئ من عدم تأمل كلامه والمباشرة فعل الشئ بنفسه ومزاولته بجوارحه والفعل ضربان بمباشرة وتولد

(وفعل الخالق لايخرج عن هذه الوجوه) أى من الغرض والعرض والمباشرة والمعالجة (وقال آخر) غير معروف كما ذكره الحلبى (من مشايخنا) أى مخاطبا المريديه (ما توهمتموه باوهامكم أو أدركتموه بعقولكم) أى ولو فى أكمل أحوالكم وأفضل مرامكم (فهو محدث) بفتح الدال أى حادث (مثلكم) واختصره بعض العارفين فقال ماخطر

ببالك فالله وراء ذلك (وقال الامام أبو المعالى) عبد الملك أى ابن أبى محمد (الجوينى) بالتصغير وهو المشهور بامام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة وحج وجاور بمكة والمدينة أربع سنين ثم عاد الى وطنه نيسابور وهو من جملة مشايخ الغزالى (من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره) أى وتقرر فيه ذهنه وتصور انه بعينه لا يتصور غيره (فهو مشبه) بكسر الموحدة والمشددة أى فهو من أهل التشبيه لله بذلك الموجود مما سواه (ومن اطمأن) أى سكن (الى النفى المحض) أى ذاتا وصفة (فهو معطل) أى من أهل تعطيل الكون من أن يكون له مكون كالدهرية أو المعتزلة (وان قطع بموجود) أى من غير توهم تشبيه وتصور تعطيل (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بفتح الراء وسكونها أى ادراك حقيقته من جهة ذاته وصفاته (فهو موحد) كما روى عن الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك ويؤيده حديث سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ويقويه قوله تعالى ولا يحيطون به علما وهذا أحد محامل ماورد عليكم بدين العجائز (وما أحسن قول ذى النون المصرى) وهو الزاهد الواعظ العارف بالله كان أبوه نوبيا وصار عالما فصيحا حكيما توفى فى سنة خمس وأربعين ومائتين قال الدارقطنى روى عن مالك بن أنس أحاديث فى اسنادها نظر

كأنه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة بجد وقوة قال اعتلجوا اذا اقتتلوا أى ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو بارادته من غير شئ من ذلك انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (وفعل الخالق لا يخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة (و) قد (قال آخر من مشايخنا) جمع شيخ والشيخ من كبر سنه وفى العرف من تصدر للافادة لانه انما يحصل باتفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض أهل اللغة انه لا أصل له ولم يسمع فى كلام العرب ورد بانه سمع كما فى شرح الفصيح (ما توهمتموه بأوهامكم) أى كل شئ واقع فى أوهام الناس انه حقيقة البارى ليس كما توهمتموه (أو أدركتموه بعقولكم) أى تصورتموه وعلمتموه بعقولكم (فهو محدث مثلكم) لان الاوهام والعقول مألوفة بادراك ما تشاهده فتظن ان الله تعالى جل وعلا مثله وتقيس الغائب على الشاهد والله تعالى أجل من أن يحيط به ادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو تعالى منزه عما يليق به مما ألفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا تدرك ذاته وصفاته بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته وصفاته ومسمى أسمائه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه لا رب ولا معبود سواه (وقال الامام أبو المعالى الجوينى) امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى النيسابورى أبو المعالى امام الائمة على الاطلاق ... عصره نادرة دهره نخبة الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضائل والتآليف الجليلة ولد ثانى عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربعمائة فى خامس وعشرين من ربيع الثانى وجوين بضم الجيم من نواحى نيسابور وهو شيخ الغزالى ومفخره (من اطمأن) بطاء مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج أى تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه (الى موجود انتهى اليه فكره) أى تيقن أمرا موجودا على وجه معين ارتسم فى ذهنه أنه الله (فهو مشبه) أى معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما فى خزانة فكره وهو خطأ لانه ليس كمثله شئ وفكره انما هو مدركاته المشاهدة فيأتيه التشبيه منها واحترز بقوله اطمأن عن الوسوسة فانها ليست بتشبيه لعدم ركون النفس لها (ومن اطمأن الى النفى المحض) الخالص بان نفى ذات البارى حقيقة أو حكما كالفلاسفة القائلين لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد (فهو معطل) ناف للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبائع الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل (وان قطع) أى جزم (بموجود) اله واجب الوجود (اعترف بالعجز عن درك حقيقته) بسكون الراء وقد تفتح أصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك لوصول العقل اليه أى عجز عن علم بكنهه (فهو موحد) لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لا يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب وروى عن أبى بكر رضى الله عنه أنه قال يامن غاية معرفته العجز عن معرفته اذ كان غاية معرفته أن يعرف الاشياء فيعلم انه ليس شئ منه ولا بمثله بل هو موجد كل ما أدركته انتهى (وما أحسن قول ذى النون المصرى) الزاهد العارف بالله تعالى أبو الفيض ويقال أبو الفياض واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمى كان أبوه نوبيا توفى رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين ومائتين وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وحدث انه قرأ من خط قديم

تدبر بالنجوم ولست تدرى * ورب النجم يفعل مايشاء

(حقيقة التوحيدان تعلم أن قدرة الله فى الاشياء) أى فى ايجادها (بلا علاج) أى بلا معالجة ومزاولة ومباشرة واستعمال آلة (وصنعه) أى وتعلم ان صنعه (لها بلا مزاج) أى بلا خلط شئ بشئ أو بأشياء لتركيبه فى الابداء بل خلق الاشياء اما ابداعا بدون مادة كالسموات أو تكوينا منها كالانسان من نطفة بحسب ما تعلق القدرة بمقدورها على وفق الارادة (وعلة كل شئ صنعه) أى بمجرد صنعته وظهور قدرته بحسب ارادته (ولا علة لصنعه) لان أفعاله لا تعلل (وما تصور) بصيغة المفعول أو الفاعل أى وما خطر (فى وهمك فالله بخلافه) أى بخلاف ذلك قال المصنف (وهذا الكلام عجيب نفيس) أى مرام غريب (محقق) أى ثابت فى مقام العلم مدقق (والفصل الاخير) وفى نسخة الا آخر بكسر الخاء وهو الفقرة الثالثة يعنى قوله وما تصور فى وهمك فالله بخلافه (هو تفسير) أى توضيح وتعبير (لقوله ليس كمثله شئ والثانى) أى من الفصول وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه (تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل) أى كما أشار اليه الحديث القدسى والكلام الانسى خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالى وخلقت هؤلاء للنار ولا أبالى ومجمله فى التفسير قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق فى السعير وغايته ان فعله وقع أولا فضلا وثانيا عدلا (والثالث) أى من الفصول وهو قوله التوحيد الخ (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون) أى ليس هناك المصنف الاظهور أثر القدرة على وفق الارادة من غير تصور العلة (ثبتنا الله تعالى واياك على التوحيد) أى على العلم بالوحدانية له سبحانه من جهة الذات (والاثبات) أى من جهة الصفات (والتنزيه) أى واعتقاد ان ذاته ليست كسائر الذوات وصفاته ليست كصفات المحدثات (وجنبنا) أى بعدنا (طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه) أى من جهة ذاته وصفته (بمنه وفضله ورحمته) اذ لا يجب عليه شئ البرية ✽(الباب الرابع)✽ أى من القسم الاول (فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات) أى الامور الخارقة للعادة الشاهدة بصدق دعوى الرسالة

واه ترجمة فى الميزان (حقيقة التوحيدان تعلم ن قدرة الله فى الاشياء) أى فى ايجادها وابداعها (بلا علاج) أى بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة (و) تعلم ان (صنعه لها بلا مزاج) المزاج لغة كالمزج الخلط وما ركب عليه البدن من الطبائع وعند الاطباء كيفية له من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الآخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد ان ايجاده لها لا يحتاج الى مادة ومعاونة تركبه منها بل بقدرته تعالى العلية أوجدته ابتداء من العدم بعد ان لم تكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شئ من العلل الاربع كما أشار اليه بقوله (وعلة كل شئ صنعه) بمجرده ومجرد قدرته (ولا علة لصنعه) تعينه فى ايجاده اذ أفعاله تعالى لا تعلل بالاغراض (وما تصوره وهمك فالله بخلافه) فان ذاته لا تشبه الذوات وأفعاله لا تشبه أفعال غيره فهو منزه عن أن تتصوره الاوهام (وهذا كلام عجيب نفيس محقق) من النفاسة وهى الشرف وعلو القدر (والفصل الاخير) من كلام ذى النون وهى الفقرة الثالثة أعنى قوله وما تصوره وهمك فالله بخلافه (تفسير لقوله) عز وجل أى بمعنى قوله (ليس كمثله شئ) فان ما لا مثل له لا يرتسم فى الوهم (والثانى) أى الفصل الثانى وهو قوله وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه (تفسير) وبيان (ا) معنى (قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسألون) فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين (والثالث) فى العدد وهو الاول أعنى قوله حقيقة التوحيدان تعلم أن قدرة الله فى الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج (تفسير لقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وفى كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا تمثيل لسرعة الايجاد والتسخير (ثبتنا الله واياك على التوحيد) أى على العقيدة الحقة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى فى ذاته وانفراده بجميع شؤنه (والاثبات) أى اثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد اثبات واجب الوجود المنافى للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد (والتنزيه) لذاته وصفاته عما لا يليق بها (وجنبنا) أى بعدنا (طرفى الضلالة والغواية من) طرفى (التعطيل والتشبيه) من بيانية وأراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم وهذا كله استدلال على ان ما أطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما فى حقيقة المدلول والمسمى كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه التسمية تشريفا وتمييزا لهم عما عداهم أردفه بما تم به التمييز وهو المعجزات فقال

✽(الباب الرابع)✽

من القسم الاول (فيما أظهره الله على يديه) صلى الله عليه وسلم ما على اليد هو ما وضع فوقها فكنى به عما كان مشاهدا (من المعجزات) وهى الامور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام لالزام من كذبهم اذا عجزوا عن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبى والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبى أيضا كما أشار اليه

المصنف رحمه الله تعالى بقوله (وشرفه به من الخصائص والكرامات) أي ما خصه الله تعالى به وأكرمه بما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاء النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها أمر الهى ليس بمزاولة العزائم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله أظهره الله وهى دالة على صدقه فى دعوى النبوة وما كان قبل البعثة فهو ارهاص أى تأسيس للنبوة وادخلها بعضهم فى المعجزة قال الزركشى فى البحر اختلف فى دلالتها فذهب القشيرى الى أنها وضعية وسادل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام فى الارشاد وأبو اسحق انها عقلية وقال الآمدى فى أبكار الافكار الذى ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية أما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعى النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك وأما الثانى فلأن الدلالة السمعية تتوقف على صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول الله تعالى صدق عبدى انتهى وفيه بحث (قال القاضى أبو الفضل) عياض المؤلف (رضى الله تعالى عنه حسب المتأمل) بسكون السين أى يكفيه أو كفايته والمتأمل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا (ان كتابنا هذا لم نجمعه) أى نؤلفه (لمنكر نبوة نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم ممن كفر به (ولا لطاعن فى معجزاته) أى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها وان كان مظهرا للاسلام كبعض الزنادقة وأصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن برى الاكثر فى طعن السلاح بضم عين المضارع وفى القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الائمة فتأمله (فيحتاج) بالرفع على الاستئناف أو النصب فى جواب النفى بناء على رأى من جوزه مستدلا بقوله

لم ألق بعدهم حيا فاخبرهم * الا يزيدهم حبا الى هم

وقد منعه بعض النحاة وهم نحاة المغرب (الى نصب البراهين عليها) أى على اثباتها بالادلة القاطعة الملزمة لمن أنكرها أو طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها من قولهم نصب رأيا اذا أشار اليه بان لا يعدل عنه كما فى الاساس (وتحصين حوزتها) بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاى المعجمة وهى الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة ويقال حمى حوزته وبيضة بلده اذا حفظ جواره وما يلزمه حفظه (حتى لا يتوصل المطاعن اليها) جمع مطعن وهو الطعن والمراد بالاباطيل الفاسدة التى تصدر عن أهل الالحاد وضمير اليها للحوزة أو للمعجزة والاول أولى وأبلغ لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها (ويذكر شروط المعجزة والتحدى) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وياء تحتية وهو طلب المعارضة وأصله تقابل الحاديين فى حداء الابل (وحده) معطوف على يحتاج الداخل فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله (وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده) أى لا نذكر فساده ورده معطوف على فساد أو ساض معطوف على أبطل أى لم نجمعه لاجل شىء من ذلك حتى يحتاج الى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو دأب المتكلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة أو ذكر المعجزات مبحث ابطال قول المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البداء وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى ابطال نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة

(وشرفه به من الخصائص) أى الخصوصيات (والكرامات) حتى لعلماء أمته وأوليا ملته قال الحلبى نقل بعض مشايخى فيما قرأته عليه بالقاهرة عن الزاهد مختار بن محمود الحنفى شارح القدورى ومصنف القنية فى رسالته الناصرية انه قيل ظهر على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ألف معجزة وقيل ثلاثة آلاف انتهى ولعله أراد غير المعجزات التى فى القرآن كما سيأتى فى كلام المصنف من البيان (قال القاضى أبو الفضل) أى المؤلف رحمه الله تعالى (حسب المتأمل) بسكون السين أى كافيه (ان يحقق ان كتابنا هذا) أى المسمى بالشفاء (لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا) أى ورسالته (ولا لطاعن فى معجزاته فنحتاج) هو بالنصب بتقدير ان أى حتى نحتاج نحن معه فى بحث الدين (الى نصب البراهين) أى الادلة النقلية والعقلية (عليها) أى على اثبات معجزاته (وتحصين حوزتها) بمهملة مفتوحة فواو ساكنة ثم زاى مفتوحة وأصلها بيضة الملك ودائرتها بأجمعها من حواليها وأطرافها وناحيتها أى وحفظ افرادها مجموعة محصنة (حتى لا يتوصل الطاعن اليها) أى الى مقدماتها بالتردد فى اثباتها (ونذكر) بالنصب عطفا على فنحتاج أى وحتى نظهر (شروط المعجز) وهو النبى المدعى (والتحدى) بالنصب أى ونبين التحدى وهو بكسر الدال المشددة طلب المعارضة وهو شرط كونه معجزة (وحده) بالنصب أيضا وهو بفتح الحاء وتشديد الدال أى وتعريفه بانه طلب المعارضة (وفساد) أى ونذكر فساد (قول من أبطل نسخ الشرائع) كاليهود وغيرهم (ورده) أى ونذكر رد قوله وبطلانه والحاصل انا لم نجمعه لشىء من ذلك فلم نحتج الى ذكر ما يدفع شيأ مما هنالك

(بل الفناه) بتشديد اللام أي جمعنا كتابنا هذا (لاهل ملته) أي لاهل اجابة دينه وشريعته من أمته (الملبين) بتشديد الموحدة المكسورة أي المجيبين (لدعوته المصدقين لنبوته ليكون) أي ما في تأليفنا هذا (تأكيدا في محبتهم له ومنماة) بفتح الميم مفعلة من النمو أي ومزيدا (لاعمالهم) أي على وفق متابعتهم له (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) أي بضم ايقانهم الى مجرد ايمانهم (ونيتنا) أي قصدنا وغرضنا (أن نثبت) بالتخفيف والتشديد أي نذكر (في هذا الباب أمهات معجزاته) أي معظماتها وأصولها (ومشاهير آياته) أي من فصولها (لتدل) بالتاء الفوقية أي تلك المعجزات الواضحات والكرامات البينات (على عظيم قدره) وفي نسخة عظم قدره بكسر العين وفتح الظاء أي على عظمة مقدار قربه (عند ربه) أي وفق كمال حبه وفي نسخة لندل بالنون أي بسبب تأليفنا ووقع في أصل الدلجي بصيغة التذكير فقال أي ما نواه من اثباتها (وأتينا) بفتح الهمز أي وجئنا (منها) أي بعد ان نوينا اثباتها (بالمحقق) بفتح القاف أي بالثابت وقوعه في القرآن القديم (والصحيح الاسناد) أي الواقع في الحديث الكريم كحنين الجذع وتسبيح الحصى وتكثير الطعام والشراب (وأكثره) أي أغلب ما ذكر في هذا الباب (مما بلغ القطع) أي العلم القطعي أو الامر اليقيني (أو كاد) أي قارب ان يبلغه للتواتر المعنوي دون اللفظي وحذف خبر كاد مراعاة لسجع ما سبق من الاسناد أولا كتفاء للعلم بالمراد (وأضفنا اليها) أي الى المعجزات الثابتة بالكتاب والسنة (بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة) من نحو صحاح الستة (واذا تأمل المتأمل المنصف) أي الخارج عن وصف التعسف يقال أنصف اذا أعطى الحق من نفسه (ما قدمناه من جميل أثره) أي ما آثره الجميلة ومفاخره الجزيلة

أعطاه

عيسى عليه الصلاة والسلام لنقلهم عن التوراة ما يدل على تأييد شريعة موسى عليه الصلاة والسلام مع وقوع النسخ فيها كما فصل في كتب الاصلين (بل الفناه لاهل ملته) أي انما الفناه لاهل ملة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من المؤمنين به (الملبين لدعوته) بالباء الموحدة المشددة أي القائلين له اذ دعاهم صلى الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال (المصدقين لنبوته) لاقرارهم واعترافهم بكل ما جاء به ولا يقال ان جميع التآليف الاسلامية كذلك فانه ليس بشئ ثم بين الداعي لتأليفه فقال (ليكون تأكيدا في محبتهم له) صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى ان يقال ان المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه مؤكد لمحبتهم له صلى الله عليه وسلم (منماة لاعمالهم) بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدرا واسم محل أي يزيدهم رغبة في أعمالهم الصالحة أو يبلغهم الاعمال أو يبلغ أعمالهم الى الله تعالى من نميت الحديث اذا بلغته (وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) بذلك فانه يزيده أو يثبته في قلوبهم وفي تقديمه زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال والقول في قبول الايمان الزيادة مقرر في محله (ونيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الالف أي قصدنا وما عزمنا عليه في هذا الباب (ان نثبت في هذا الباب) أي نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الافعال أو التفعيل (أمهات معجزاته) أي كبارها وعظامها جمع أم (ومشاهير آياته) غاير بينهما تفننا فان الآيات بمعنى المعجزات أيضا أو المراد ما اشتهر من كراماته صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تحدي غيره (ليدل) ما أثبتناه على عظيم قدره (عند ربه) لما أجراه على يديه من عظيم الآيات (وأتينا منها) أي ذكرنا من تلك المعجزات (بالمحقق) أي بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة (والصحيح الاسناد) أي ما صح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة في كتاب ابن الصلاح وغيره (وأكثره) أي أكثر ما أتينا به (مما بلغ القطع) أي وصل الى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن (أو كاد) أي قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان ظنيا لكنه قوي حتى صار متيقنا بما حفه من القرائن وحذف معمولي كاد شائع في كلام العرب لا سيما في السجع كما هو فيما نحن فيه (وأضفنا اليها) أي ضممنا الى المعجزات المحققة والمقاربة لها (بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة) يعني أئمة الحديث الذين تلقى الائمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب (واذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه) أي من نظر بعين الرضا والانصاف في صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم التي قدمها المصنف رحمه الله تعالى قبل هذا الباب وهذا تأكيد لما قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تأمل صفاته علم انه غير محتاج في اثبات نبوته الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتأكيد ذلك كما قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة * لكننا لذة ذكرناها

(من جميل أثره) صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين وهو بقية الشئ وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم في صحائف الايام وقيل جمع أثرة من آثره يؤثره ايثارا اذا

(وجميد سيره) أى شمائله الحميدة وفضائله السعيدة (وبراعة علمه) أى تفوقه على جميع العلماء (ورجاحة عقله وحلمه) أى رزانتهما وزيادتهما على سائر العقلاء والحكماء (وجملة كماله) أى ومجمل كمالاته العلية (وجميع خصاله) أى أعماله وأحواله السنية (وشاهد حاله) من ظهور شمائله البهية (وصواب مقاله) أى من حكمه الجلية (لم يمتر) جواب اذا أى لم يشك (فى صحة نبوته وصدق دعوته) أى فى نسبة رسالته بتبليغ دعوة الحق الى عامة الخلق (وقد كفى هذا) أى ماذكرنا (غير واحد) أى ممن تأمل فى حال كونه داخلا (فى اسلامه) أى من جهة انقياده (والايمان به) أى من حيث اعتقاده (فروينا) بصيغة المجهول وقد تشدد واوه وروى بصيغة الفاعل أيضا والمعنى فوصل الينا رواية (عن الترمذى) وهو صاحب الجامع (وابن قانع) وهو الحافظ عبد الباقى ابن قانع وهو بالقاف والالف والنون والعين المهملة وقد تصحف بابن نافع بالنون أولا والفاء بعد الالف وقد سبق ترجمتهما (وغيرهما) أى من المخرجين (باسانيدهم ان عبد الله ابن سلام) بتخفيف اللام وهو من الصحابة الكرام (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) أى الامينة السكينة (جئته) جواب لما أى أتيته (لانظر اليه) أى الى وجه أمره وظهور شأنه وأتأمل فى تحقيق بيانه وتدقيق برهانه (فلما استبنت وجهه) أى رأيت ظاهر وجهه الدال على صدق سره وباطنه وفى رواية فلما تبينت وجهه أى أبصرت وجهه ظاهرا (عرفت) أى ظهر لى من امارات صدقه اللائحة على صفحة وجهه لان الظاهر عنوان الباطن (ان وجهه ليس بوجه كذاب) وتركيبه بالاضافة ويجوز بالوصفية للمبالغة (حدثنا به) أى بالحديث الآتى بعد اتمام سنده والمراد بحديث عبد الله بن سلام هذا بعينه (القاضى الشهيد أبو على رحمه الله) وهو الحافظ ابن سكرة (ثنا أبو الحسين) بالتصغير هو الصواب على ما تقدم فى صدر الكتاب (الصيرفى وأبو الفضل بن خيرون) بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم راء وسكون واو ونون منصرف ويمنع (عن أبى يعلى البغدادى) بالدال المهملة أولا والمعجمة

أعطاه وما ثر العرب مكارمها ومفاخرها التى تروى وتذكر (وحميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر وهى الطريقة والسنة المحمودة (وبراعة علمه) أى علمه الفائق به على غيره يقال برع براعة وبرع اذا فاق فى علم أوغيره (ورجاحة عقله) أى عقله الزائد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه (وحلمه) الراجح أيضا (وجملة كماله) أى جميع كمالاته التى لم تجمع لغيره (وجميع خصاله) جمع خصلة وهى الصفة الحسنة وهى مجاز من الخصل وهى ما يعطى فى الرهان فاستعير لما ذكر كما ذكره فى الاساس (وشاهد حاله) أى ما حكى عما كان يشاهد من حاله وفى تعبيره بالشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر (وصواب مقاله) أى ما يحكى من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة وقوله (لم يمتر) جواب اذا أى لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد (فى صحة نبوته) التى ادعاها وأظهرها (وصدق دعوته) أى صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مدعاه أوفيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيد ربه (وقد كفى هذا غير واحد) هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل وما بعده وغير مفعوله (فى اسلامه والايمان به) أى كفاه ما رآه من أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لامره فاسلم وآمن به وتبعه من غير تعلثم كأبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه كان كلما رآه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما خلق الله هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذى كنت أرجو منك (فروينا عن الترمذى) الامام المشهور صاحب السنن وقدمنا ترجمته (وابن قانع) بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد ألف وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط وهو عبد الباقى بن قانع الامام الحافظ كما تقدم (وغيرهما باسانيدهم) جمع اسناد وجمع وان كان مصدر النقله الى الاسمية (ان عبد الله بن سلام) الصحابى المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام واختلف فى بعضها أيضا (قال لما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة) فى هجرته هو وأبو بكر رضى الله تعالى عنه (جئته لانظر اليه) جواب لما يعنى انه سمع بقدومه صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف أمره وهو من علماء أهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء (فلما استبنت وجهه) استفعال من البيان وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة (عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب) أى لاح له من سيماه ونور النبوة فى محياه صلى الله تعالى عليه وسلم ان مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق الله تعالى فيه علما ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته فى التوراة والكتب السالفة وقال رضى الله تعالى عنه لليهود يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذى تجدونه عندكم مكتوبا فى التوراة باسمه وصفته وانى أومن به وأصدقه ثم شرع فى ذكر سنده لما رواه عن الترمذى ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال (حدثنا به) أى بحديث ابن سلام (القاضى الشهيد أبو على رحمه الله تعالى) الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم (قال حدثنا أبو الحسين الصيرفى) بالتصغير ومن قال أبو الحسن مكبرا فهو مخطئ (وأبو الفضل ابن خيرون) تقدمت ترجمته (عن أبى يعلى البغدادى) بفتح

ثانيا وهو أفصح من عكسه وكذا من اهمال الهاء والجيم اهمالهما وهو معروف بابن زوج الحرة (عن أبى على السنجى) بكسر السين المهملة
فنون ساكنة فجيم فياء نسبة (عن ابن محبوب) وهو المحبوبى (عن الترمذى) صاحب الجامع (ثنا محمد بن بشار) بفتح الموحدة
وتشديد المعجمة (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) أى الحافظ أحد الاشراف عن أيوب ويونس وحميد وعنه أحمد بن اسحق وابن عرفة
وثقه ابن معين وقال اختلط بآخره أخرج له الأئمة الستة (ومحمد بن جعفر) وهو غندر وقد سبق (وابن أبى عدى) بصرى سلمى يروى
عن حميد وطبقته وعنه جماعة ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) هذا هو القطان البصرى أحد الاعلام عن هشام
وحميد والأعمش وعنه أحمد وابن معين وابن المدينى قال أحمد ما رأت عيناى مثله وقال بندار امام أهل زمانه يحيى القطان واختلفت
اليه عشرين سنة فما أظن انه عصى الله قط (عن عوف أبى جميلة) بفتح الجيم وكسر الميم وهو عوف (الاعرابى) لدخوله درب الاعراب
قاله ابن دقيق العيد أخرج له الأئمة الستة (عن زرارة) بضم الزاى فى أوله (ابن أوفى) وفى نسخة ابن
أبى أوفى قال الحلبى
والصواب الاول وهو
قاضى البصرة وروى عن
عمران بن حصين والمغيرة
ابن شعبة وعنه قتادة
وغيره عالم ثقة كبير القدر أم
فى داره فقرأ فاذا نقر فى
الناقور فشهق فمات قال
الحلبى وقد ذكر خبر موته
كذلك الترمذى فى جامعه
فى باب ما جاء فى وصف
صلاة رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم
بالليل بسنده أخرج له
الأئمة الستة (عن عبد الله
ابن سلام الحديث) أى
على ما تقدم آنفا قال
الحلبى وحديثه المذكور
هنا على ما أخرجه القاضى
عياض من جامع الترمذى
أخرجه فى الزهد وقال
صحيح وهو فى سنن ابن
ماجه أيضا فى الصلاة عن محمد بن بشار به أى بسنده
وفى الاطعمة عن أبى بكر ابن أبى شيبة عن أبى أسامة عن أبى عوف نحوه وكما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى أول أمره
كلما نظر اليه صلى الله تعالى عليه وسلم وتأمل فى ذاته الكريمة كان يقول خلق هذا لامر عظيم فلما دعاه الى الاسلام قال هذا الذى كنت
أرجو منك فى سابق الايام (وعن أبى رمثة) بكسر الراء وميم ساكنة ومثلثة (التميمى) بميمين وفى نسخة التيمى ويقال الان فى حقه على
ما ذكره الحلبى (أتيت) وفى نسخة قال أتيت (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى جئته (ومعى ابن لى) لا يعرف اسمه (فاريته)
بصيغة المجهول أى فارانيه بعض من يعرفه من أصحابه وغيرهم (فلما رأيته) وظهر لى ما عليه من لوامع الصدق ولوائح الحق (قلت
هذا نبى الله) رواه ابن سعيد (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وهو ابن ثعلبة من ازدشنوءة وكان صديقا له صلى الله
تعالى عليه وسلم قبل بعثه بالنبوة

التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم (عن أبى على السنجى) تقدم ضبطه وبيان نسبته (عن
ابن محبوب) المعروف بالمحبوبى راوى السنن (عن الترمذى) كما تقدم قال (حدثنا محمد بن بشار) بفتح
الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال (حدثنا عبد الوهاب الثقفى) بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله
ابن الحكم بن أبى العاص الثقفى الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط فى آخر عمره توفى سنة أربع
وتسعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة وترجمته فى الميزان (ومحمد بن جعفر) هو غندر كما تقدم
(وابن أبى عدى) محمد بن ابراهيم بن أبى عدى البصرى الثقة توفى سنة أربع وتسعين ومائة وروى له
أصحاب الكتب الستة (ويحيى بن سعيد) بن فروخ أبو سعيد القطان البصرى التميمى الحافظ أحد
الأئمة الاعلام توفى سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته فى الميزان (عن عوف بن أبى جميلة) بفتح الجيم
وكسر الميم (الاعرابى) سمى به لسكناه بدرب الاعراب قاله ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت توفى سنة سبع
وأربعين ومائة وأخرج له أصحاب الكتب الستة كما فى الميزان (عن زرارة بن أبى أوفى) وفى نسخة ابن
أوفى وهو من خلط الناسخ وزرارة بضم الزاى المعجمة وراءين مهملتين وهو مكنى بابى صاحب قاضى
البصرة ثقة عالم تقى أم فى داره فقرأ فاذا نقر فى الناقور فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين وروى له
أصحاب الكتب الستة (عن عبد الله بن سلام الحديث) كما تقدم (وعن أبى رمثة التيمى) بكسر الراء
المهملة وسكون الميم وثاء مثلثة قبل هاء علم منقول من رمثة نوع من النبات واختلف فى اسمه فقيل
رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمى وقيل التميمى اختلف فى نسبته لتيم أو تميم وهما قبيلتان
مشهورتان وقيل انه بلدى أيضا (أتيت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومعى ابن لى) حكاية للحالة
التى جاء بها ولا دخل له فى القضية (فاريته) أى أرانيه وعرفنى به غيرى باشارة ونحوها وهو بضم
الهمزة مجهول أراه يريه لانه لم يكن رآه قبل ذلك (فلما رأيته قلت هذا نبى الله) أى بمجرد تعلق نظره
اعترف بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله فى قلبه علما
ضروريا بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم (وروى مسلم وغيره ان ضمادا) بكسر الضاد المعجمة وميم
مفتوحة مخففة وألف ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدى نسبة لازدشنوءة قبيلة مشهورة وكان

(لما وفد عليه) أي جاء اليه بمكة وقد سمع بعض قريش يقول محمد مجنون فقال يا محمد اني راق هل لك في شئ أرقيك (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) نفيا لما نسب اليه باثبات كمال العقل مما يظهر من دلالة كلامه عليه (ان الحمد لله) بكسر الهمزة وتشديد النون ونصب الحمد وفي نسخة واقتصر عليها الشمني بفتح الهمزة وكسر النون المخففة ورفع الحمد ووجهه غير ظاهر وان اختاره كثير من الشراح واقتصر عليه بعض المحشين نعم لفظ الحديث على ما في الحصن الحصين وان تولى عقد الخطبة ان الحمد لله فضبط هنالك بالوجهين واما هنا فلا يصح كون ان المصدرية بعد القول لاقتضائه الجملة ولا التفسيرية لوجود القول الصريح وهي لا تكون الا مقرونة بما فيه معنى القول كالوحي والندا وأمثال ذلك (نحمده) جمع بين الجملة الاسمية والفعلية تأكيدا للقضية فان الاولى تفيد الثبات والدوام والثانية تدل على تجدد الانعام أو الاولى خبرية والثانية انشائية أو الاولى نظرا الى افراده ووحدته والثانية اشتراكا لغيره من أمته وأهل ملته واما كون النون للعظمة على ما ذكره الدلجي فلا يلائم مقام العبودية (ونستعينه) أي في الحمد وغيره (من يهد الله) وفي نسخة صحيحة من يهده الله (فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له) بحذف المفعول في جميع الاصول وفيه نكتة لا يخفى على أصحاب الوصول (وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له) تأكيد لما قبله (وان محمدا عبده ورسوله) أفرد الفعل في مقام التوحيد كما يناسبه مرام التفريد ولان الشهادة أمر غيبي لا يطلع عليه كل أحد بخلاف ظهور الحمد والاستعانة بالحق فانه ظاهر على جميع الخلق وهذا كله أولى مما جعله الدلجي على التفنن في العبارة والتنوع في الاشارة (قال) أي ضماد (له) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (أعد على كلماتك هؤلاء) أي كررها لدي وأظهرها على فانه كما قيل

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

ثم هؤلاء اشارة الى الكلمات فان هؤلاء قد يستعمل لغير العقلاء وقد جاء وفي رواية انه عليه السلام أعادها عليه ثلاث مرات فقال لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء

صديقا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه وأسلم في أول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقى ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة شخص آخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما (لما وفد عليه) أي لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وقد تقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد اني راق فهل بك من شئ فارقيك فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم دفعا لما قاله مما نسبوه اليه كما بينه بقوله (فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الحمد لله) جوز واني ان كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية أو خبرية مشهور وحسن تأكيده سؤاله له وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله تعالى عليه وسلم وصدر كلامه بحمد الله اشارة الى ان الله أنعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه على أبلغ وجه ثم قال (نحمده ونستعينه) فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولى ان الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاق من بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية ثم أردفها بجملة أخرى لانشاء حمده بنفسه لما أنعم الله به عليه من جلائل النعم التي أجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات ولذا اوقعها عما قبلها وأتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الى انه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على اداء حق حمده أو على جميع أمورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتداء بما أرشدنا اليه من ان الطالب للشئ يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا أردفه بقوله (من يهده الله) اشارة الى انه طلب منه الهداية الى الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط المستقيم ومن شرطية جوابها قوله (فلا مضل له) أي لا يقدر أحد على اضلاله (ومن يضلل فلا هادي له) وفيه تعريض بمن تعرض له صلى الله تعالى عليه وسلم باسناده له ما لا يليق به وان الله بيده الهداية والضلال (وأشهد) أعلم وأذعن وأعتقد (أن لا اله الا الله) أي لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد (وحده لا شريك له) في الوهيته وجميع شؤنه وهو مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر المقدم عليه (وان محمدا عبده ورسوله) أرسله لهداية خلقه وارشادهم لتوحيده وفيه دعوة أي اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله (قال له) ضماد المذكور لما سمع ما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم (أعد على كلماتك هؤلاء) المذكورة من قوله الحمد لله الى آخره وانما طلب اعادتها ليتأملها ويفهم ما أراده وهؤلاء وأولئك اشارة الى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر

(فقد بلغن قاموس البحر) بالقاف والميم أى وصلن الى وسطه أو قعره أو لجته وتموج حجته وتبين محجته تعجبا من فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها وفى نسخة قاعوس بالعين المهملة وفى أخرى قابوس بالموحدة وفى أخرى ناعوس بالتاء الفوقية أو النون مع العين المهملة والمعانى متقاربة ولعل بعض النسخ مصحفة (هات) بكسر التاء أى اعطنى (يدك) أى اليمنى (أبايعك) بسكون العين جزما على جواب الامر أى لابايعك على الايمان فبايعه وهو ممن أسلم فى أول الاسلام على ماذكره ابن عبد البر وأما قول الحلبى هات أمر من هاتى يهاتى فهو خلاف المشهور وما عليه الجمهور من انه اسم فعل ولذا ذكره صاحب القاموس فى مادة هيت وقال هات بكسر التاء أى اعطنى لكن ذكره فى المعتل اللام أيضا وقال هات يا رجل أى اعط والمهاتاة مفاعلة منه وبؤيده انه يقال للمرأة هاتى (وقال جامع ابن شداد) بتشديد الدال الاولى وجامع هذا محاربى اسدى كوفى يقال له أبو صخرة يروى عن صفوان بن محرز وعدة وعنه القطان وابن عدى وهو ثقة توفى سنة ثمان عشرة ومائة على ماقاله ابن سعد ذكره الحلبى والحديث رواه البيهقى عنه انه قال (كان رجل منا) أى من أهل زماننا (يقال له طارق) وهو ابن شهاب أبو عبد الله المحاربى وله صحبة ورواية (فاخبرانه رأى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة فقال) أى النبى عليه الصلاة والسلام له ولرفقائه (هل معكم شئ تبيعونه هذا البعير) أى معنا للبيع (قال بكم) أى تبيعونه من الثمن (قلنا بكذا وكذا) لعل العطف لبيان عددين (وسقا من تمر) بفتح الواو وتكسر أى ستين صاعا على مافى حديث (فاخذ) أى النبى عليه الصلاة والسلام (بخطامه) أى برسنه الذى يقاد به (وسار الى المدينة) وفيه دلالة على صحة المعاطاة فى المعاملة (فقلنا) أى فيما بيننا (بعنا) أى بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) أى باسمه ولا برسمه الى

ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الايام

فالمشار اليه هذا الكلمات (فلقد بلغن قاموس البحر) أى اشتهرت مقالتك هذه فى جميع أقطار الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه أو لجته أو قعره كما فى كتب اللغة من قمسه اذا غمسه ووزنه فاعول وهذه أشهر الروايات وأصحها وفيه روايات أخر فروى تاعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروى قاعوس وروى فاعوس بفاء بدل القاف ورواه أبو داود قاموس أو قابوس على الشك فى الميم والباء الموحدة وروى ناعوس بالنون أيضا وقيل ان الكل تصحيف ماعدا قاموس وفاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ قاموس البحر أى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر وهو مبالغة فى شيوعه وروى قاعوس من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ (هات) بكسر التاء اسم فعل معناه اعط (يدك أبايعك) بالجزم فى جواب الامر ووجه استشهاد المصنف به انه بمجرد رؤيته وسماع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن به من غير تردد وليس فى كلامه مايدل على صدق مدعاه ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به (وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى وهو أبو ضمرة الاسدى الكوفى والحديث روى عن صفوان وغيره وأخرج له أبو داود والنسائى وتوفى سنة ثمان أو سبع عشرة أو عشرين ومائة (كان رجل منا يقال له طارق) بن عبد الله المحاربى وهو صحابى كما أشار اليه بقوله (فاخبرانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة) كما قال ابن شداد وغيره وله رواية عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذى المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف لما قاله المصنف (فقال) له صلى الله تعالى عليه وسلم ولمن القيه معه (هل معكم شئ تبيعونه) انما سألهم لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشراء (قلنا هذا البعير قال بكم) تبيعونه (قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر) بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا بكال (فاخذ بخطامه) بخاء معجمة وطاء مهملة وميم وهو كالزمام وزنا ومعنى أى رسنه الذى يقاد به والباء مزيدة أى أخذه ليجره ويذهب به (وسار) أى ذهب من عندنا بالبعير (فقلنا) أى قال بعضنا لبعض (بعنا) بعيرنا (من رجل لاندرى من هو) حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم فى الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به فى رواية أخرى وقوله من هو مفعول ندرى والمعنى لاندرى جواب هذا السؤال وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه امابناء على مذهب الاخفش من جواز زيادة من فى الاثبات وقال النووى انه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال أنكحه وزوجه وأنكح وزوج منه وقد وقع هذا فى كثير من الاحاديث فلاعبرة بقول من عده من لحن الفقهاء وفى مسلم لو بعت من أخيك وفى البخارى نبيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لايحصى *(تنبيه)* قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كنى به عن العدد وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون الى ان تمييزها لايكون الامفردا منصوبا وذهب الكوفيون

(ومعناظعينة) أى امرأة مسافرة أو فى هودجها أو تحمل اذا ظعنت أى ارتحلت على راحلتها وقد أبعد الدلجى فى قوله أى امرأة سميت ظعينة لانها تظعن أى تسير مع زوجها حيث سار (فقالت أنا ضامنة) أى متضمنة وفى نسخة بالاضافة

الى انها بحسب ما يكنى بها عنه كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبدا كناية عن مائة فصاعدا وكذا كذا عبدا كناية عن أحد عشر واخواته وكذا وكذا عبدا كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله فى شروح التسهيل وقد أفرده بالتصنيف ابن هشام وغيره (ومعناظعينة) جملة حالية والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال ولذا قيل ان حقيقته امرأة فى هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امرأة وللجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين مهملة وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها (فقالت) أى المرأة لما سمعت كلامهم (أنا ضامنة لثمن البعير) أى أعطيه لكم من عندى ان لم يجئ لكم منه وانما أرادت انها واثقة بانه لابد أن يجئ به لما وقع فى قلبها من أن مثله صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا يخالف بفراسة منها حين شاهدته ولذا قالت (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) هذا استئناف بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رأت فى وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسن سيماء تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه الوجه الحسن به والا فأين للبدر مثل نوره وحسنه ولقد أجاد بعض الظرفاء فى قوله

بلاغية للبدر وجهك أجمل * وما أنا فيما قلته متجمل

لكنما الشئ بالشئ يذكر كما قيل

ظبى اذا ما بدا محياه * أقول ربى وربك الله

وقد هجا ابن الرومى البدر فقال

لو أراد الاديب أن يهجو البدر * رماه بالخطة الشنعاء
قال يا بدر أنت تغرر بالسارى * وتعرى بزورة الحسناء
كلف فى شحوب وجهك يحكى * نمشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الحجناء
ويليك النقصان فى آخر الشهر * فيمحوك من أديم السماء

(لايخيس بكم) أى حسن صورته صلى الله تعالى عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا غدر وكذب فنكث عهده وأخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة (فأصبحنا) أى مضى بعد أخذه صلى الله تعالى عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا فى صبيحة يوم بعده (فجاء رجل) من أتباعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه (بتمر فقال أنا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم) ثم استأنف جواب سؤال مقدر أو مطوى كأنهم قالوا ما فعل أو ما يقول فقال (يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر) الذى جاء به (وتكتالوا) أى تكيلوا منه ثمن البعير (حتى تستوفوا) أى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما أكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لا يخفى وفى الحديث خياركم أحسنكم قضاء (و) ورد (فى) حديث رواه ابن اسحق فى (خبر الجلندى) وقصته (وهو) أى الجلندى (ملك عمان) وسلطانها فى عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وفى القاموس جلندا بضم أوله وفتح ثانيه وهو واللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه فيقصر ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وهى مصحفة (لثمن البعير) مبالغة فى ضمانها بقبول الذمة لكمال الهمة وزوال التهمة (رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر) أى فى وقت كماله من القدر (لايخيس) بفتح الياء أى لا يغدر (بكم فاصبحنا) أى على ذلك المنوال (فجاء رجل بتمر) أى كثير (فقال أنا رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر) أى مقدار ما شئتم ضيافة لكم (وتكتالوا) أى وان تكتالوا (حتى تستوفوا) أى حتى تقبضوا قيمة بعيركم وافية (ففعلنا وفى خبر الجلندى) بضم الجيم واللام وسكون النون ودال مهملة وألف مقصورة أو ممدودة على اختلاف فى اللغة وعبارة القاموس وجلنداء بضم أوله وبفتح ثانيه ممدودة وبضم ثانيه مقصورة اسم ملك عمان ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه انتهى وقوله (ملك عمان) بضم العين وتخفيف الميم على ما اختاره الحلبى وقال وفى نسخة عوض عمان غسان انتهى والظاهر انه سهو أو تصحيف كما لا يخفى وذكر الدلجى انه بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء وأما ما هو بالضم والتخفيف فصقع عند البحرين وحاصله انه روى وسيمة فى كتاب الردة عن ابن اسحق فى خبر الجلندى ملك عمان

وجلندا فى عمان مقيما * ثم قيسا فى حضرموت المنيف

ولا حجة له فيما ذكره لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبي وفى شرح المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوى المتحمل من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفى الشروح نقلا عن الذهبى ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم به وانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة الى جيفر وعبد ابنى الجلندى وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد الى عبد وكان أحلمهما وأحسنهما خلقا وقال انى رسول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اليك والى أخيك فقال أخى مقدم على فى السن وهو الملك وأنا أوصلك اليه فمكث ببابه أياما ثم دعانى فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقرأه ثم دفعه الى أخيه فقرأه فقال دعنى يومى هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما فى يدى فعلمت انى خارج فلما أيقن بخرجى أرسل الى وأجاب الى الاسلام هو وأخوه وصدقا بالنبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم فلم أزل مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان ابن الجلندى لا هو والآن يقال كل من ملك عمان يسمى جلندى وأما ما فى بعض الشروح من ان فى بعض النسخ ملك غشان بتشديد الشين كشداد اسم قبيلة ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندى ملكها فمما لا يعول عليه لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة وهو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم (لما بلغه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) كما سمعته مفصلا (قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) الذى لا يقرأ ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله تعالى عليه وسلم به فى الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم (انه لا يأمر بخير الا كان أول آخذ به) أى أول عامل بما أمر به صلى الله تعالى عليه وسلم (ولا ينهى عن شئ الا كان أول تارك له) كما قال صلى الله عليه وسلم انى لاتقاكم لله وأخشاكم له وهو كما قيل

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت ذميم

وقوله انه الى آخره اسم تأويلا وهو فاعل دل (وانه يغلب) أعداءه وينتصر عليهم وهو مبنى للفاعل (فلا يبطر) أى لا يطغى ويغتر ويظهر الفرح وهو خفة مذمومة وبطر من باب علم (ويغلب) بالبناء للمفعول أى يغلب أحيانا فان الحرب سجال كما جرت به عادة الله فى أيامه (فلا يضجر) أى يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما أصابه فى سبيل الله احتسابا للأجر ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ويفى بالعهد) فاذا عاهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحدا لا ينكث عهده كما قال الله تعالى وأوفوا بالعهد (وينجز الموعود) أى يعجل ما وعد به لكرمه فالموعود اسم مفعول ويجوز أن يكون مصدرا فانه جاء على مفعول الا انه نادر (وأشهد أنه نبى) لما تحققه من أخلاقه وكمال صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تأمل صفاته صلى الله تعالى عليه وسلم صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزته (وقال نفطويه) ابراهيم بن محمد الامام الجليل بن

(لما بلغه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوه الى الاسلام) أى مع سائر الانام وهو يحتمل أن يكون بالكتابة أو بالرسالة (قال الجلندى والله لقد دلنى على هذا النبى الامى) أى على صدق قضيته وثبوت حقيقته (انه) أى كونه عليه الصلاة والسلام (لا يأمر بخير) أى أحدا (الا كان أول

آخذ به) بصيغة الفاعل أى عامل له (ولا ينهى عن شئ) أى أحدا (الا كان أول تارك له) وفى نسخة عن شر بدل عن شئ وهو الملائم لمقابلة قوله بخير (وانه) أى عليه الصلاة والسلام (يغلب) بصيغة المعلوم أى على أعدائه (فلا يبطر) بفتح الطاء أى لا يطغى أو لا يفتخر عند أحبائه (ويغلب) بصيغة المجهول (فلا يضجر) بفتح الجيم أى لا يجزع ولا يفزع بناء على قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس ولما فى حكم ابن عطاء

مادمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار

وكما قيل الحرب سجال ولقول بعضهم

فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر

وفيه تنبيه على حسن الرضى تحت حكم القضاء مع العلم بان فى غالبيته نصرة الاولياء وفى مغلوبيته كثرة الشهداء كما قال تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين فكل أمر المؤمن مقرون بخير فى الكونين وقد قال تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون (ويفى بالعهد وينجز) بضم الياء وكسر الجيم (الموعود) أى ويصدق الوعد (وأشهد انه نبى) فلله دره وما أتم نظره حيث حملته محاسن جملته على الاقرار بنبوته من غير حاجة الى اظهار حجته وبيان معجزته (وقال نفطويه) بكسر النون وسكون الفاء وفتح الطاء المهملة والواو فتحتية ساكنة فهاء مكسورة وقد سبق ذكره

(في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء) أي يفيض بالانوار من حيث ذاته (ولو لم تمسسه نار) تفيد انارته باستنارة صفاته (هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله) أي كأنه تعالى يقول (يكاد منظره) أي يقرب ظاهر رؤيته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) من التلاوة وروى وان لم يقل من القول والفاعل فيهما ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم أي وان لم ينضم لرؤيته تلاوة قراءته الدالة على أنواع معجزته (كما قال ابن رواحة) أي في نعته وهو بفتح الراء أنصاري نقيب بدري أحد شعرائه صلى الله تعالى عليه وسلم حضر أحدا والخندق واستشهد بمؤتة بضم الميم أميرا فيها سنة ثمان من الهجرة (لولم تكن فيه آيات مبينة) بكسر التحتية وفتحها أي لو لم يوجد في حقه آيات ظاهرة ومعجزات باهرة (لكان منظره ينبيك بالخبر) أصله ينبئك بالهمزة فسكن ضرورة ثم جوز ابداله ياء لغة هذا وقد نسب الشيخ تقي الدين ابن تيمية هذا البيت الى حسان مع تغيير شطره الثاني حيث قال وما أحسن قول حسان

لو لم تكن فيه آيات مبينة
كانت بديهته تأتيك بالخبر

انتهى ولا يخفى انه يمكن الجمع بالتوارد في المبنى وان كان أحدهما أظهر في المعنى (وقد آن) أي حان (ان نأخذ) أي نشرع (في ذكر النبوة) وهي حالة الولاية قبل نعت الرسالة (والوحي) أي وبيان الوحي الشامل لحال النبوة والرسالة أي وبيان الرسالة وما تتميز به عن مرتبة النبوة (وبعده) أي وبعد فراغ هذا الشان نشرع (في معجزة القرآن) أي وما يتعلق به من البيان (وما فيه) أي في القرآن (من برهان) أي حجة (ودلالة) بفتح الدال وتكسر أي وبينة من آية وعلامة تبين مبانيها وتعين معانيها ثم في هذا الباب ثلاثون فصلا

(فصل) (اعلم ان الله تعالى

عرفة بن سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح أوله وواوه وسكون يائه وان المحدثين يضمون ماقبل الواو ويسكنونها كما مر (في قوله تعالى) مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم) هذا بناء على الوقف على قوله تعالى الله نور السموات والارض وان معنى قوله تعالى مثل نوره وان الضمير في قوله تعالى مثل نوره لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وان المشكاة هو أو صدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعنى ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة وبرهانا عليها وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية وان هذا أحد تفاسيرها وانه بعيد وانما أعاده لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من ان المتأمل يشهد ويصدق نبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيلي وهو ظاهر (يقول) الله تعالى (يكاد منظره) أي ما يتعلق به النظر من ذاته صلى الله عليه وسلم وصفاته (يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا) أي وان لم يظهر صلى الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه أعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروى وان لم يقل قرآنا ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال (كما قال ابن رواحة) رضي الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الصحابي أحد شعراء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو أحد الامراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ومما روى من مدحه صلى الله عليه وسلم قوله

لو لم تكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظره مرآه وظاهره وفي رواية كانت بداهته وهذا على نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه أي مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه وهي على فقد الشرط أولى ويجوز ان يبقى على حاله لانه عند ظهور الآيات لا يحتاج الى الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه أصلا وأصل ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت ياء وأسكنت على حد قراءة باريكم وفي جعل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى (وقد آن ان نأخذ) أي نشرع (في ذكر النبوة والوحي والرسالة) يقال أخذ في القراءة أي شرع فيها وأصل الاخذ التناول باليد ثم تجوز به عن معان منها هذا وآن بمعنى قرب أوانه (وبعده) أي بعد ذكرها نشرع (في معجزات القرآن وما فيه من برهان ودلالة) أي دليل قاطع على نبوته وهي بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل

(فصل اعلم) أمر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف على كتابه أو لمن سأله تأليفه كما تقدم (ان الله جل اسمه) أي عظم وعظمت أسماؤه وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الاولى

قادر على خلق المعرفة) أي جميع المعارف الجزئية من العلوم الشرعية والعرفية (في قلوب عباده) أي على وفق مراده كما حكى عن سنته سبحانه في بعض الانبياء وكما روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره (والعلم) أي وعلى خلق العلم الكلي الاجمالي المتعلق (بذاته) أي الاسنى (وأسمائه) أي الحسنى (وصفاته) أي العلى (وجميع تكليفاته) أي التي ألزمها عقلاء مخلوقاته (ابتداء) أي بافاضة جذبة من جذباته (ودون واسطة) أي من ارسال ملائكته (لوشاء) أي لو تعلقت به مشيئته واقتضته حكمته (كما حكى عن سنته في بعض الانبياء) أي وروى عن بعض الاولياء من أمته حيث حصل لهم العلم اللدني من الالهام الالهي في أمور خارقة للعادة ظهر تحقيقها عند أصحاب الارادة (وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) أي وحي الهام أو رؤيا منام كما وقع لام موسى عليه السلام (وجائز) أي في قدرته بعد تعلق ارادته وفق حكمته (ان يوصل اليهم جميع ذلك) أي ما ذكر من العلوم الكلية والمعارف الجزئية (بواسطة) أي من ملك أو نبي أو ولي (يبلغهم كلامه) أي مما يقتضي مرامه (وتكون تلك الواسطة امامن غير البشر كالملائكة مع الانبياء أو من جنسهم كالانبياء مع الامم) وفي معناهم الاولياء مع اتباعهم فيما ينبغي لهم أتباعهم (ولا مانع لهذا) أي لما ذكر من حالتي الابتداء والواسطة في الابداء (من دليل العقل) أي وقد ثبت بدليل النقل (واذا جاز هذا) أي نقلا وعقلا (ولم يستحل) (صدق
أي ولم يعد ذلك محالا أصلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) أي الباهرة وآياتهم القاهرة (وجب) أي على المرسل اليهم (تصديقهم في جميع ما أتوا به) أي من الامور الواجبة عليهم (لان المعجزة مع التحدي) أي طلب المعارضة (من النبي) أي ممن يصح ان يكون له نعت النبوة ولم يكن من أهل الاستدراج والسحر والمكر والحيلة (قائم مقام قول الله تعالى) أي شهادته في تحقيق دعوته

(قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده) وهي العلم بالجزئيات ويكون بمعنى مطلق العلم أيضا (والعلم بذاته) علما يقينيا وان لم يكن بالكنه والحقيقة (وأسمائه وصفاته) الذاتية وغيرها (وجميع تكليفاته) التي ألزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات (ابتداء) فسره بقوله (دون واسطة) يتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتعليمهم ماذكر (لوشاء كما حكى عن سنته) أي عادته تعالى وطريقته (في بعض الانبياء) عليهم الصلاة والسلام اذ عرفهم بعض الامور السابقة بدون واسطة بان أوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم أو ألهمهم أو أراهم ذلك في مناماتهم الصادقة وهذا مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم منقسم الى نظري وضروري المراد به غير علوم الانبياء كما صرحوا به وفي الكشاف جرت العادة بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة الله تعالى احداث علم واحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم الانبياء التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر لئلا يكونوا زمان النظر شاكين وذلك لا يصح عليهم في التوحيد ولو كان ضروريا لم يكن عليه أجر فجمع بين كونه مقدورا لينالوا الاجر وعدم تقدم النظر لينتفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم (وذكره بعض أهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا) بناء على ان الوحي يشتمل الالهام ونحوه وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط (وجائز ان يوصل) الله معطوف على قوله أولا قادر (اليهم جميع ذلك) المذكور من العلوم السالفة (بواسطة يبلغهم) صفة واسطة بالفوقية أو التحتية أي يوصله بكلام يدل عليه (وتكون تلك الواسطة امامن غير البشر كالملائكة مع الانبياء) عليهم الصلاة والسلام سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم أو على صورتهم الاصلية كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أو لم يروهم كما كان يأتيه صلى الله تعالى عليه وسلم الوحي أحيانا كصلصلة الجرس وليس رؤية الملك مخصوص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كريم (أو من جنسهم كالانبياء مع الامم) الذين يبلغونهم عن الله ما أمرهم بتبليغه (ولا مانع لهذا) المذكور بقسميه (من دليل العقل) أي من دليل هو العقل فالاضافة بيانية أو هي حقيقية يعني انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لذاته فمنعوا ارسال الرسل كفرا وضلالا عما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما أشار اليه بقوله (واذا جاز هذا ولم يستحل) أي لم يعد محالا عقلا (وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم) الظاهرة المحققة (وجب تصديقهم في جميع ما أتوا به) عن الله وبلغوه لامهم (لان المعجزة مع التحدي من النبي) أي اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الاتيان بما يماثلها الا ان معنى التحدي هو الطلب المذكور لانه مأخوذ من حدى الابل اذا تغنى لها لينشطها ومن دأبهم فيه ان يتقابل شخصان يتناوبان ذلك فهو من النبي (قائم مقام قول الله) الذي أقدره على ذلك وأمره به

(صدق عبدى) ورسولى فيما ادعاه لما معه من البرهان الذى لا يقدر عليه أحد من جنسه (فاطيعوه واتبعوه) فى كل ما يأمركم به لانه من عند الله (وشاهد على صدقه) فى كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبران وتقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية أو وضعية والفرق بينها وبين الكرامة والسحر (وهذا) الكلام (كاف) فيما قصدناه (والتطويل فيه خارج عن الغرض) الذى صنف الكتاب لاجله (فمن أراد تتبعه) أى الوقوف عليه (وجده مستوفى) خبر من أو جوابها أى يقف عليه بتمامه وتفصيله (فى مصنفات أئمتنا رحمهم الله تعالى) وعلمائنا وفى نسخة فى كتب أئمتنا (والنبوة فى لغة من همزه) اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا أن الهمز هو الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وانه أنكر على ما قال له يا نبىء الله بالهمز ويأتى الكلام عليه (مأخوذ من النبأ وهو الخبر) لانبائه واخباره عن الله تعالى وقال الراغب النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه الاشياء الثلاثة ويكون صادقا فالخبر أعم منه (وقد لا تهمز) بالتاء الفوقية والبناء للمجهول أى النبوة ويجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ (على هذا التأويل) أى تفسيره بالنبأ (تسهيلا) أى تبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة التى قبلها وهى الضمة والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف الذى منه حركتها وليس بمراد هنا (والمعنى) أى معنى النبى المفهوم من الكلام على هذا القول (ان الله أطلعه على غيبه) أى أعلمه وأخبره بمغيباته (وأعلمه انه نبيه) الموحى اليه (فيكون نبيا منبأ) بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة ويجوز تخفيفها أى يكون من أطلعه وأعلمه نبيا بمعنى منبأ (فهو فعيل بمعنى مفعول أو يكون) معناه (مخبرا) بكسر الباء اسم فاعل (عما بعثه الله به ومنبئا) اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها (عما أطلعه الله عليه) من علمه ومغيباته فهو (فعيل بمعنى فاعل) على هذا (ويكون عند من لم يهمزه) أى يقول بان أصله الهمز من النبأ مأخوذ (من النبوة) مصدر بزنة سلوة فى الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع (وهو) ذكره باعتبار اللفظ أى نظر اللخبر أى (ما ارتفع من الارض) فهو كالربوة لفظا ومعنى ثم بين المراد منه بقوله (معناه ان له) عند الله وفى الواقع (رتبة شريفة ومكانة نبيهة) أى عالية مشهورة والنبيه ضد

(صدق عبدى فاطيعوه) أى فى الاصول (واتبعوه) أى فى الفروع (وشاهد على صدقه فيما يقوله) أى من اخبار الاولين وانباء الآخرين واحوال الدنيا وأهوال العقبى فان التصديق بالفعل كالتصديق بالقول وتوضيحه انه اذا ادعى نبى الرسالة ثم قال آية صدقى فى دعواى ان الله تعالى أرسلنى ان يفعل كذا ففعل الله تعالى ذلك كان ذلك من الله تصديقا له فيما يدعيه من الرسالة بما فعل من نقض العادة فيكون ذلك كقوله عقيب دعواه صدقت ويستحيل من الحكيم تصديق الكاذب اللئيم ونظيره ان الرجل اذا قام فى محل عظيم وقال معشر الاشهاد انى رسول الملك اليكم ودعواه هذه بمرأى من الملك ومسمع ثم قال فان كنت أيها الملك صادقا فى دعواى فخالف عادتك وانتصب قائما وضع يدك على رأسى ثم أقعد فاذا فعل الملك ذلك اضطر الحاضرون الى تصديق الملك اياه وعلم صدقه بالضرورة فى دعواه (وهذا كاف) أى للمدعى (والتطويل فيه خارج عن الغرض) أى الاصلى ههنا (فمن أراد تتبعه) أى تتبع تقصى (وجده مستوفى فى كتب أئمتنا) أى مصنفات أئمتنا كما فى نسخة (رحمهم الله تعالى) حيث بالغوا فى تحقيق أمر التوحيد وما يتعلق به من أمر النبوة وما يتبعه من اثبات المعجزة وغيرها مع الادلة العقلية والنقلية وبيان المذاهب الباطلة كالحكماء والدهرية ثم المراد بالائمة علماء هذه الامة وأبعد الدلجى فى قوله يعنى المالكية اذ لا دخل لهذه المباحث فى الفروع الفقهية الخلافية (فالنبوة فى لغة من يهمز) وهو نافع من بين القراء (مأخوذة من النبأ وهو الخبر) وتعديته بالهمزة تارة كقوله تعالى انبئونى وبالتضعيف أخرى كقوله سبحانه نبئ عبادى (وقد لا تهمز على هذا التأويل) أى مع بقائه على هذا المبنى وارادته من المعنى (تسهيلا) أى تخفيفا أوجبه كثرة الاستعمال بجعل الهمزة واوا وادغامها فى مثلها كالمروة واما فى نحو النبى فتخفيفه بجعل الهمزة ياء وادغامها فيما قبلها واما فى الانبياء فبابدال الهمزة ياء لانكسار ما قبلها (والمعنى) أى حينئذ على القراءتين (ان الله تعالى أطلعه على غيبه) أى بعض مغيباته أو على غيبه المختص به من عند ربه (وأعلمه انه نبيه فيكون نبيا) أى فى المبنى (منبأ) أى فى المعنى وهو بضم الميم وسكون النون وفتح الموحدة بعدها الهمزة المنونة أو بفتح النون وتشديد الموحدة (فعيل بمعنى مفعول) أى ولو كان على زنة مفعل (أو يكون) أى النبى (مخبرا عن ما بعثه الله به ومنبئا) بالتخفيف أو التشديد مكسورا أى معلما (بما أطلعه الله تعالى عليه ففعيل بمعنى فاعل أو يكون) أى النبى (عند من لم يهمزه) أو لم يقل بتسهيله وادغامه بعد تبديله (من النبوة) أى مأخوذا من النبوة بفتح النون وسكون الموحدة (وهو) ذكر باعتبار ما أخبر بقوله (ما ارتفع من الارض) أو بمعنى الرفعة (ومعناه) أى حينئذ على طبق مبناه (ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة) أى منزلة لطيفة

(عند مولاه منيفة) بضم الميم وكسر النون أي زائدة أو مرتفعة وأصلها من أناف اذا أشرف ثم هو أيضا بهذا المعنى يحتمل أن يكون في المبني بمعنى الفاعل أو المفعول أي مرتفع الشان (أو رفيع البرهان فالوصفان في حقه مؤتلفان) أي الوصفان بالمعنيين من الخبر والرفعة وبالمبنيين من البناء للمفعول والفاعل باعتبار كل منهما في حق النبي مجتمعان بل متلازمان واما قول الدلجي فالوصفان من كونه منبأ أو منبئا فقاصر عن استيفاء حق الموصوف كما لا يخفى على أهل المعروف (واما الرسول فهو المرسل) من ربه الى مكلفي خلقه لانفاذ حكمه (ولم يأت فعول بمعنى مفعل الا نادرا) أي قليلا وقوعه بل ولم يعلم لغيره وروده (وارساله) أي لكونه ليس بحقيقي بل على وجه حكمي هو (أمر الله له بالابلاغ) وروي بالبلاغ أي بتبليغ أمره (الى من أرسل اليه) قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ثم هذا الارسال قد يكون بواسطة الملائكة وقد يكون بدون الواسطة كما وقع لموسى اذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى اذهب الى فرعون انه طغى (واشتقاقه) أي أخذه من حيث المبنى (من التتابع) أي من حيث المعنى لقوله (ومنه قولهم جاء الناس أرسالا) بفتح أوله جمع رسل بفتحتين (اذا تبع بعضهم بعضا) أي في المأتي وقد ورد انهم صلوا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسالا أي بعضهم يتبع بعضا (فكأنه) أي الرسول (ألزم) بصيغة المجهول (تكرير التبليغ) بالنصب على انه مفعول ثان وفي نسخة التزم تكرير التبليغ فهو مفعول أول (أو) وفي نسخة الاول بالواو (ألزمت) وفي نسخة التزمت (الامة اتباعه) فهذا بيان التفرقة بين النبي والرسول بحسب المبنى وعلى مقتضى أصل اللغة في المعنى (واختلف العلماء) أي بحسب الاصطلاح الشرعي أو العرفي (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فيكونان مترادفين في اطلاق كل منهما على الآخر (أو بمعنيين) أي متباينين أو متغايرين بان يكون النبي أعم والرسول أخص (فقيل هما سواء) أي في المعنى فكل منهما انسان أوحي اليه بشرع مجدد أو غير مجدد

الخامل لتنبه سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية بفعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا (عند مولاه) وربه الذي تولى أموره (منيفة) عالية لا يصعدها سواه وهو على هذا أيضا فعيل بمعنى مفعول لانه أي النبي مرفوع على غيره أو بمعنى فاعل لانه مرتفع لماله من رفيع الدرجات (فالوصفان) أي وصفه بالنبي بمعنى المخبر أو بمعنى المرتفع (مؤتلفان) أي متوافقان بحسب المعنى لان من بعثه الله وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك أو المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل أو مفعول والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرء والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة وبهما قرئ في السبع كما يأتي وقرأ نافع بالهمز في جميع القرآن الا في موضعين ان وهبت نفسها للنبي * لا تدخلوا بيوت النبي والخلاف انما هو في أيهما أصل ولذا قدم المصنف رحمه الله تعالى المهموز (واما الرسول فهو المرسل) اسم مفعول من أرسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة (ولم يأت فعول) بفتح أوله اسم مفعول من الافعال (بمعنى مفعل) بضم الميم وفتح العين المهملة (في اللغة) أي لغة العرب وكلماتهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها (الا نادرا) أي الا في ألفاظ قليلة قال السمين في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المصنف رحمه الله تعالى يقتضي ان النادر فعول بمعنى مفعل من المزيد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فان الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه ان قيل ان الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير أي مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بسر ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة فما قيل ان فيه شيئا ليس بشيء (وارساله أمر الله له بالابلاغ الى من أرسل اليه) أي تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة (واشتقاقه من) الارسال بمعنى (التتابع) أي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة (ومنه قولهم جاء الناس أرسالا) بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله (اذا تبع بعضهم بعضا) كما ورد في الحديث انهم صلوا عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله (فكأنه) صلى الله عليه وسلم (ألزم تكرير التبليغ) مرة بعد أخرى الى أمته (وألزمت الامة اتباعه) فرقة بعد فرقة وأمة بعد أمة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه أو باعتبار اتباعه وأمته ولو عطفه باو كما في نسخة كان أحسن فما قيل من ان في كلامه بحثا لانه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس أرسالا ليس مصدر أرسلته لاختلاف المعنى كلام ناشئ من عدم فهم كلام المصنف رحمه الله تعالى وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة (واختلف العلماء) في جواب قولهم (هل النبي والرسول بمعنى) واحد فهما مترادفان (أو بمعنيين) فهما متغايران غير مترادفين وفي نسخة أم بمعنيين ولذا قيل ان أو أحسن هنا وفيه كلام في المغني وشروحه ليس هذا محله (فقيل هما سواء) أي متساويان أو مترادفان لان

(وأصله) أى أصل هذا المعنى باعتبار المبنى مأخوذ (من الانباء) أى الاخبار (وهو الاعلام) يعنى فيلزم معنى النبوة اذا كانت من
الانباء معنى الرسالة التى بمعنى الاعلام والابلاغ وفيه انه لا يلزم من أنباء الله تعالى لعبده أمرا ان يكون مأمورا باعلامه لغيره (واستدلوا)
أى لكونهما سواء فى المعنى (بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى فقد أثبت) أى الله تعالى (لهما الارسال معا) أى ولم
يجعل للعطف حكما لمغايرة بينهما (ولا يكون) وفى نسخة قال ولا يكون والصحيح قالوا ولا يكون والاظهر فلا يكون (النبى الا رسولا
ولا) أى ولا يكون (الرسول الا نبيا) أى بناء على ذلك المعنى وفيه ان الارسال هنا بالمعنى اللغوى وهو البعث والاظهار
لا بالمعنى الاصطلاحى
والا لكفى ان يقول وما
أرسلنا من قبلك أحدا
وسيأتى زيادة بيان لهذا
المبحث (وقيل هما
مفترقان من وجه) يعنى
ومجتمعان من وجه
اذ العطف يقتضى التغاير
فى الجملة لا سيما مع
وجود لا المزيدة للتأكيد
والمبالغة (اذ قد اجتمعا)
تعليل للقضية المطوية
أى اجتمع مادتهما
معنى (فى النبوة) أى
على تقدير انها مهموزة
وهى مأخوذة من الانباء
(التى هى الاطلاع) أى
لهما من عنده سبحانه
وتعالى (على الغيب)
أى على بعض الامور
الغيبية من الامور
الدينية والدنيوية
والاخروية (والاعلام)
أى وكذا الاعلام لهما
من عند ربهما (بخواص
النبوة) أى والرسالة
والمعنى باختصاصهما
بامور لا توجد فى غيرهما
(أو الرفعة) أى أو اجتمعا فى الرفعة (بمعرفة ذلك) أى شأن النبوة والرسالة (وحوز درجتهما) أى احاطة مرتبة كل منهما (وافترقا فى
زيادة الرسالة للرسول) أى باختصاص الارسال (وهو الامر بالانذار) وهو الاعلام بالشئ الذى يحذر منه (والاعلام) تفسير أو أخص
مما قبله لشموله التبشير وتبيين أحكام الاسلام (كما قلنا) أى بينا فيما سبق من الكلام (وحجتهم) أى دليل أصحاب هذا القبيل
من الاجتماع من وجه والافتراق من آخر لا كما قال الدلجى أى من قال بافتراقهما فتدبر (من الآية) أى من جهة الآية المتقدمة
(نفسها) أى بعينها (التفريق بين الاسمين) أى ضرورة كون المعطوف غير المعطوف عليه كما هو الاصل فى تغاير المتعاطفين

الاول التساوى فى الماصدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثانى التساوى فيهما فعبارته شاملة
لهما الا ان ما بعده أقرب الى الاول فمعناهما كل من أوحى اليه بشرع (وأصله من الانباء وهو الاعلام)
والارسال فيه اعلام أيضا لانه انما أرسل لذلك فهما متساويان واختلاف مفهومهما وترك بيانه للعلم
به مما قبله ولا يرد عليه ان الاعلام أعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الآية لا تدل
على ما ذكر فانه من تلقى الركبان (واستدلوا) على تساويهما (بقوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من
رسول ولا نبى) لانه علق فعل الارسال بهما فاذا أرسل النبى لزم ان يكون الرسول نبيا والنبى رسولا واليه
أشار بقوله (فقد أثبت لهما معا الارسال قال) المستدل (ولا يكون النبى الا رسولا ولا الرسول الا نبيا)
وقيل عليه ان الآية انما تدل على ان النبى أعم من الرسول فانها ترق من ذكر الاخص الى ذكر الاعم
والحديث الآتى الناطق بزيادة عدد الانبياء على عدد الرسل يأباه واعادة النفى تقتضى المغايرة فما ذكر
ممنوع (وقيل هما مفترقان من وجه) فبينهما عموم وخصوص وجهى فكل رسول نبى وليس كل نبى
رسولا فمآله الى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتى بيانه والمشهور انه على هذا من أوحى اليه بامر
الهى أمر بتبليغه أم لا والرسول من أوحى اليه بذلك وأمر بالتبليغ وقيل انه من كانت له شريعة ناسخة
لغيرها وقيل من أنزل عليه كتاب والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (اذ قد اجتمعا) أى
النبوة والرسالة (فى النبوة التى هى الاطلاع) بتشديد الطاء وتخفيفها أى سكونها (على الغيب) أراد به
ما لم يعلمه من أوامر الله تعالى وتشريعه له ما يختص به أو به وبغيره (والاعلام) من الله تعالى (بخواص
النبوة) أى ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحى وواسطة الملك أو بدونها كما وقع لموسى
عليه الصلاة والسلام اذ كلمه الله تعالى قبل ارساله (أو الرفعة بمعرفة ذلك) المذكور من الاطلاع
والاعلام وفى نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية (وحوز درجتها) أى درجة النبوة العلية والحوز
بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاى معجمة وهى حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة
الى انها من النبئ المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوى وهى الرفعة كما تقدم ولا تكلف فى شئ من
كلامه كما توهم (وافترقا) أى النبوة والرسالة (فى زيادة الرسالة) أى الامر بالتبليغ المعتبر (فى الرسول)
دون النبى (وهو) أى الرسالة وذكره مراعاة لخبره وهو (الامر بالانذار والاعلام) بما أمر بتبليغه
وهذا القيد المخصوص هو الذى حصل به الافتراق فى ماصدق عليه النبى ولا مخالفة بينه وبين
ما قاله المنطقيون كما قيل لانهم اعتبروا ذلك فى ماصدقا عليه لا فى المفهوم وهذا كلام ناشئ من قلة
التدبر (كما قلنا) اشارة الى ما قرره أولا (وحجتهم) أى دليل القائلين بان بينهما العموم والخصوص
من وجه وليسا مترادفين مأخوذة (من الآية نفسها) التى استدل بها من ذهب الى القول
فهى عليهم لا لهم (والتفريق بين الاسمين) يعنى النبى والرسول فان العطف واعادة النفى يدل على

(ولو كاناشيا واحدا) أى هنا (لمـاحسن تـكرارهما فى الـكلام البليـغ) أى البالغ غاية البلاغة المعجز لارباب الفصاحـة عـن قدرة المعارضـة باقصر سورة (قالوا) أى هؤلاء (والمعنى) أى المـراد بالآية (وما أرسلنا من رسول) وفى نسخة من نبى (الى أمة) أى مأمـور بالعبادة والدعـوة (أو نبى) أى مأمـور بالعبادة فقط (وليس بمرسـل الى أحـد) أى من الخلق بدعوة الى طريق فالاول كامل والثانى مكمل فهـو أخص وذاك أتم وأعم والله تعالى أعـلم (وقد ذهب بعضـهم الى ان الرسول مـن جاء بشرع مبتدأ) أى مجدد بان لايكون مقـررا لشرع من قبله (ومن لم يأت به) أى بشرع مبتدأ وقد أوحى اليه فهو (نبى غـير رسول وان أمر) أى ولو أمر (بالابلاغ والانذار) لانه لم يأت بزيادة مـن الاحكام والآثار (والصحيح) وكذا الشهير (والذى عليـه الجماء) بفتح الجيم وتشديد الميم ممدودا وفى نسـخة الجم (الغفير) بالغـين المعجمة والفاء أى الجمع الـكثير وهـم الجماهير (ان كل رسـول نبى وليس كل نبى رسـولا) اذ النبى انسـان أوحى اليه سـواء أمر بالتبليـغ أم لا بخلاف الرسول فانه نبى مأمور بتبليغ الرسالة سواء تكون هذه الرسالة تقدمت أو تجددت

تغايرهما (ولو كاناشيا واحدا لمـاحسن تـكرارهما فى الـكلام البليـغ) وليس المقام مقام اطناب ولا تأكيد اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونحوه (قالوا والمعنى) ان معنى الآية على هـذا (وما أرسلنا قبلك) أى أوحينا وأعلمنا (من رسول الى امة) أمر بتبليغهم ما أرسـل به وفى بعض النسخ من نبى والاولى أوفق بالنظم وأظهر (أو نبى ليس بمرسـل الى أحد) فافترقا على هذا التفسير افتراقا ظاهرا وفى كلامه نوع خفاء أراد بعضهم ان يصلحه فافسـده وفى الآية ترق لانه ترقى فى النفى بذكر العام بعد الخاص وفى الاثبات ترقى به على العكس كما تقول ما فى الدار انسـان ولا حيوان ولو عكسته كان ذكر الانسان بعـده لغوا فان قلت الذى استدل به أولا تعلق أرسلنا بهما فانه يقتضى ان النبى مرسل أيضا وما ذكره المصنف لايدفعه * قلت وجه دفعـه ماذكراه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تاويل أرسلنا بمعنى يشملهما أى ما أرسلنا ملائكتنا وحينا الاحـد من نبى أورسول لان ارسل متعد بنفسـه أو هو من قبيل * وزججن الحواجب والعيونا *
ومن زائدة بعـد النفى أى ما أرسلنا ولا نبأنا نبيا فتامل (وقد ذهب بعضـهم) مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى آخر قال فى الاساس ذهب فلان الى قول أبى حنيفة اذا أخـذ به واتخـذه مذهبا (الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدأ) ولم يكن مقررا الشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدأ بفتح التاء صـفة شرع ويجوز كسرها على انه حال من ضمير جاء والاول أولى (ومن لم يأت به) أى بشرع مبتدأ لم يسبق اليه (نبى غير رسول وان أمر بالابلاغ والانذار) فبينهما عموم من وجه آخر (والصحيـح والذى عليه الجماء الغفير) بمد الجماء وفى نسخة الجم والمعنى واحد أى الجماعة الكثيرة والجم بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفاء وفى الصحاح الجماء الغفير جماعة الناس يقال جاؤا جماء غفيرا بمد ويقصر والجماء الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير أى جميعا وأل زائدة والغفير صفة لازمة للجماء لا يفرد بدونها من الغفر وهو الستر كأنهـم لكثرتهـم ستروا وجه الارض ومعناه جاؤا جميعا بجملتهم شريفهم ووضيعهم وهو اسم ينصب كالمصـدر كجاؤا جميعا أو قاطبة والجم الـكثير ونصبه لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الـكسائى وعليه يتمشى كلام المصنف رحمه الله تعالى لا على من ألزمه النصب وليس المراد الجميع بل الاكثر حتى يستشـكلها ويجاب بانه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعـدم (ان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا) وهو صادق القوانين الاخـيرين فبينهما عموم وخصوص وجهى لانه يشـترط فى الرسول دون النبى ان يؤمر بالتبليـغ أو يكون له شرع جديد أو أنزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد فى الحديث ذكر أحـدهما أو قال قال رسوله أو نبيه لايجوز له ان يبدله من يرويه وقيل انه لا يلزم ولـكنه أولى وهذا فى غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد فى حديث ان بعضـهم قال فى بعض الادعية آمنت بكتابك الذى أنزلت ورسولك الذى أرسلت فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم قل ونبيك الذى أرسلت كما فى شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول أعم يشمل رسل الملائـكة كجبريل عليه الصلاة والسلام لـكن الكلام انما هو فى رسل البشر وقال صاحب القاموس فى كتاب الصلاة ان النبى من أوحى اليه بامر يختص به فى نفسـه حتى لايجوز لغـيره ان يتبعه فان أمر بتبليـغ ما أمر به لامـة مخصوصـة أو لجميـع النـاس فهـو رسول فان لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبى وان كان مع التبليـغ له ما يختص به كنبينا صـلى الله تعالى عليـه وسـلم فهو نبى و رسول فعلى هـذا بينهـما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبيا وقال انه الحق الذى لا شـك فيـه وهو مخالف لـكلام المصـنف رحمه الله تعالى * واعلم ان النبى ان كان من النبأ فهو مهـموز وان كان من النبوة فغـير مهـموز كما تقـدم وكلاهـما جائز وبهـما قرئ فى السـبعة وأما قوله صـلى الله تعـالى عليـه وسـلم لاعرابى قال له يا نبىء الله أى بالهـمزة لست بنبىء الله ولـكنى نبى الله لان نبا فى لغـة بمعنى خرج من أرضـه وطـرد فلا يهـامه ذلك منعه وورد أيضـا لاتنبؤا باسمى فانما

(وأول الرسل آدم عليه السلام) أى الى بنيه وكانوا مؤمنين وكذا شيث وادريس عليهما السلام وأما نوح عليه السلام فاول رسول الى كفار قومه (وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) أى اجماعا بشهادة قوله تعالى وخاتم النبيين ولحديث لانبى بعدى (وفى حديث أبى ذرعنه) أى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مرفوعا على مارواه أحمد وابن حبان (ان الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى وذكر) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الرسل منهم) أى من الانبياء (ثلثمائة وثلاثة عشر) وفى رواية خمسة عشر جم الغفير أى الجمع الكثير فهو من باب مسجد الجامع (أولهم آدم عليه السلام) أى أول الرسل آدم وهو فى مستدرك الحاكم أيضا فى ترجمة عيسى ابن مريم بسنده الى أبى ذر قال دخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى المسجد فاغتنمت خلوته فقال لى يا أبا ذر ان للمسجد تحية ركعتان فركعتهما ثم قلت يا رسول الله انك أمرتنى بالصلاة فما الصلاة قال خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر ثم ذكر الحديث الى ان قال قلت كم النبيون قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى قلت كم المرسلون منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر وذكر باقى الحديث وتعقبه الذهبى فى تلخيص المستدرك فقال قلت السعدى ليس بثقة انتهى وفى الصحيحين فى باب الشفاعة قالوا يا نوح أنت أول الرسل الى أهل الارض الحديث قال القاضى فى شرح مسلم وتبعه النووى ومثل هذا يسقط الاعتراض بآدم وشيث ورسالتهما الى من معهما وان كانا رسولين فان آدم انما أرسل لبنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار أهل الارض قال القاضى وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب الى ان آدم وادريس رسولان هذا وذكر بعضهم ان عدد أصحابه عليه الصلاة والسلام كعدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وذكر أبو زرعة أنه مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه مائة ألف وأربعة عشر ألفا ولعله اقتصر على ذكر الصحابة الكبار أو الرواة منهم والله تعالى أعلم ثم قيل والرسل ثلثمائة وأربعة عشر وقيل كعدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوزه الا مؤمن وهم ثلثمائة وبضعة عشر وكذا عدد أهل بدر وقيل ان عدد الرسل مأخوذ من لفظ حروف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وجملته ثلثمائة وأربعة عشر وان مدا الحاء خمسة عشر فالميم ثلاثة أحرف ميم وياء وميم والحاء حرفان حاء وألف والميمان المضعفان ستة أحرف والدال ثلاثة أحرف دال وألف ولام فاذا عددت حروف اسمه كلها ظواهرها الجلية وبواطنها الخفية حصل لك ثلثمائة وأربعة عشر فالثلاثة عشر والثلثمائة على عدد الرسل الجامعين للنبوة ويبقى واحد من العدد وهو مقام الولاية المفرق على جميع الاولياء والاقطاب التابعين للانبياء فاسمه جامع للنبوة والولاية وفيه انه هو أصلهم وما افترق فيهم اجتمع فيه ومن هذه الزبدة ما فى البردة

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

أنا نبى الله ومعنى لا تنبؤا لا تهمزوا وليس فى هذا ما يقتضى منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيده (وأول الرسل آدم وآخرهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم) ولا ينافى هذا ما فى البخارى فى حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح عليه الصلاة والسلام أنت أول الرسل الى أهل الارض لانهم لم يقولوا انه أول الرسل مطلقا بل أول الرسل الى أهل الارض فى عصره ولذا قال فى الدعاء عليهم لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وآدم عليه الصلاة والسلام انما أرسل الى بنيه وهم مؤمنون به وادريس وشيث عليهما الصلاة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لا ينافى اختصاص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بعموم الرسالة الى آخر الزمان فلم تختص بعصر ولا بقوم وعمت رسالته الانس والجن والملك كما تقدم (وفى حديث أبى ذر) الذى رواه أحمد فى مسنده وابن حبان والحاكم فى مستدركه وسيأتى بطوله (عنه) صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبى) وقد قال الحاكم فى مستدركه انه طعن فى بعض رواته وقيل انه منكر وقال القرطبى انه أصح حديث ورد فى عدد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان أصحابه عليهم الصلاة والسلام كانوا بهذه العدة أيضا عند وفاته صلى الله تعالى عليه وسلم وعن كعب الاحبار انهم ألفا ألف ومائتا ألف وعن مقاتل انهم ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقد عرفت ان الاول أصح ما فى الباب (وذكر ان الرسل منهم) أى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ثلثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم عليه الصلاة والسلام) وقيل أربعة عشر كعدد أصحاب طالوت ويوافقه ان أحرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلثمائة وأربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد بحرفين ولفظ ميم ثلاثة أحرف فجملتها مائتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حاء بتسعة ففى اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة فى المرسل موجودة فيه صلى الله عليه وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث الاول طويل أورده الحاكم فى

هذا وقد ذكر التلمسانى فى حديث أبى ذر بلفظ طويل جدا ومن جملته بابى أنت وأمى يارسول الله فكم كتاب أنزل الله قال أنزل الله تعالى مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين وعلى ابراهيم عشرا وروى عشر بن وعلى موسى من قبل انزال التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان الحديث ثم اعلم ان الاحوط ان لانعين فى الانبياء والرسل عددا معينا ولاحدا مبينا بل نؤمن ان أولهم آدم وآخرهم نبينا الخاتم وان ما بينهما من الانبياء والمرسلين كانوا على الحق المبين لانك متى حصرتهم على عدد يحتمل أن يكونوا أزيد من ذلك أو أنقص مما هنالك فيؤدى اما الى انكار بعض الانبياء أو الى شهادة غير النبى بانه نبى

وهذا طريق الماتريدى (فقد بان) أى ظهر وتبين (لك معنى النبوة والرسالة وليستا) أى النبوة والرسالة (ذاتا للنبى) لقضاء البديهة به (ولا وصف ذات) أى قائمة بها (خلافا للكرامية) بتشديد الراء والياء التحتية للنسبة وفى نسخة بتخفيف الراء على انه لغة بمعنى الكرم أو الكرامة وفى أخرى بكسر الكاف على انه جمع الكريم والمعول هو الاول على انه علم له أو لقب لكونه عاملا فى الكرم أو حافظا له والله تعالى أعلم والحاصل انهم ينسبون الى محمد بن كرام ومحمد هذا كنيته أبو عبد الله السجزى سمع على ابن حجر وغيره مات بالقدس سنة خمس وخمسين ومائتين وهو صاحب المقالة كذا ذكره الحلبى وفى القاموس ومحمد بن كرام كشداد امام الكرامية القائل بان معبوده مستقر على العرش وانه جوهر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

مستدرك كما مر ونقل البرهان ما فى بعض رواته من الكلام وطويناه لانه لاثمرة له هنا (فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه أو مطلقا كما فصلناه (وليستا) أى النبوة والرسالة (ذاتا للنبى عند المحققين) أى ليستا أمرا ذاتيا فى الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز وليست النبوة مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب اليه الحكماء وانما هى أمر طارئ عليه بارادة الله تعالى وفضله والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته (ولا صفة ذات) أى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحى اليه (خلافا للكرامية) فهؤلاء قالوا انهما أمران غير الوحى وأمر الله بتبليغ شريعته فصاحبهما متصف بهما وان لم يوح اليه * أقول ان أراد هؤلاء ان الله تعالى خلق له نفسا قدسية وأودع فيها قوى يستعد بها لتلقى الوحى والعلم بربه وان سمى النبوة هذا وان أطلقوها على ما يترتب عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد فى آبائه وينقل فى أصلابهم وذلك من نعم الله أيضا كايجادنا ابتداء فالامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال فى المغرب أخبرنى صديقى الثقة ابن خولة ان عبد العزيز العرجى ذكر فى تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذى نسب اليه الكرامية فقال كرام بوزن حذام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجارى على ألسنة أهل سجستان وهى بلدته كما قال فيه البستى رحمه الله

ان الذين لجهلهم لم يقتدوا * بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه أبى حنيفة وحده * والدين دين محمد بن كرام

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قال السمعانى وقال لان والده كان يحفظ كرما أو يعمل فيه وكذا صححه فى الميزان وقال ابن الصلاح انه لا معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبى وأنكره ابن الهيضم وهو من أهل مذهبه ادعى انه أدرى كما عن البستى وانما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم أو كرامة وبكسرها على لفظ الجمع وكان صاحب مذهب العقائد وغيرها واواه روايه فى الحديث وكان يجوز الكذب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ما عليه ومات فى القدس فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين (فى تطويل لهم) فى بيان مقالتهم وتأييدها (وتهويل) أى تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم فى هذا (ليس عليه تعويل) أى هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففى القاموس التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا أقرب

وكان قد سجن بنيسابور ثمانية أعوام لاجل بدعته ثم أخرج فسار الى بيت المقدس ومات بالشام (فى تطويل لهم) أى فى كثرة تعليل (وتهويل) أى تخويف وتخييل (ليس عليه تعويل) أى اعتماد من جهة دليل اذ قالوا هما صفتان قائمتان بذات الرسول سوى الوحى وأمر الله له بالتبليغ والمعجزة والعصمة وصاحبهما الاتصافه بهما رسول وان لم يرسله الله ويجب عليه ارساله لا غير فهو اذا أرسل مرسل وكل مرسل رسول بلا عكس أى وليس كل رسول مرسلا اذ قد لا يرسله قالوا ويجوز عزل المرسل عن كونه مرسلا دون الرسول اذ لا يتصور عزله عن كونه رسولا على ما زعموا كذا ذكره الدلجى وقال التلمسانى ان الكرامية قائلون بان الانبياء والرسل مجبولون على النبوة والرسالة وانهم أنبياء مذ خلقوا من دون ان يوحى اليهم واستدلوا على ذلك بما روى عن أبى هريرة قال قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد

لتسمية

(وأما الوحي) أي وان كان يطلق على معاني من الصوت الخفي والالهام والاشارة ونحوها (فاصله الاسراع) لحديث اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه أي فاسرع اليه وهاؤه للسكت كذا ذكره الدلجي والظاهر انه تصحف عليه وانه بالجيم وسكون الهاء الاصلي على انه أمر من التوجه ويؤيده ان لفظ الحديث على ما في الجامع الصغير للسيوطي اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فاذا كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك في الزهد عن ابن جعفر عبد الله بن مسور الهاشمي مرسلا وفي معناه حديث اذا أردت أمرا فعليك بالتؤدة حتى يريك الله منه المخرج رواه البخاري في الادب المفرد والبيهقي في شعب الايمان عن رجل من بلى مرفوعا (فلما كان النبي) أي جنسه (يتلقى) أي يأخذ ويتلقن (ما يأتيه من ربه بعجل) أي بسرعة من غير تؤدة (سمي وحيا) ولعله من هذا القبيل كان سرعة أخذ نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم في تناول التنزيل عند قراءة جبريل حتى نزل تسليه في التحصيل قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه (وسميت

لتسمية المصنف (وأما الوحي فاصله) أي معناه الحقيقي الذي وضع له أولا (الاسراع) وفي الحديث اذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان شرا فانته وان كان خيرا فتوجه أي أسرع فيه والهاء للسكت وقال الاعشى

مثل ريح المسك ذاك ريحها * صبها الساقي اذا قيل توج

ويقال أوحى بمعنى أومأ أو تكلم بكلام خفي (فلما كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي) أي ما يأتيه من ربه (وحيا) أي متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة في كل ما يوحى اليه (وسميت أنواع الالهامات وحيا) كقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل (تشبيها بالوحي الى النبي) في سرعة وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء أمر في الروع باعث على الفعل أو الترك (وسمي الخط وحيا) على الاستعارة التحقيقية أيضا أو المجاز المرسل (لسرعة حركة يد كاتبه) هو وجه الشبه بينهما (ووحي الحاجب واللحظ) هو في أصل مؤخر العين ثم أطلق على النظر فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار (لسرعة اشارتهما) أي حركتهما بسرعة للاشارة بهما (ومنه) أي من اطلاق الوحي على الاشارة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا أي أومأ) بهمزة في آخره وقد استعمل منقوصا أيضا بالالف كاوحى لفظا ومعنى (ورمز) بتخفيف الميم أي أشار بالعين أو بالشفة (وقيل) معناه هنا (كتب) لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم (ومنه قولهم) أي قول العرب (الوحاء الوحاء) بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب أيضا كما في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء (أي السرعة) والعجلة (وقيل أصل الوحي) لغة (السر والاخفاء ومنه) أي من كونه بمعنى الاخفاء (سمي الالهام وحيا) لخفائه وهو أظهر مما تقدم من ان معناه السرعة (ومنه) أي من هذا القبيل (قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) أي من يوالوهم ويصادقونهم من المشركين (أي يوسوسون في صدورهم) أي يلقون في قلوبهم والمراد بالشياطين مردة الجن والمراد باوليائهم كفرة قريش أو مردة الانس من مجوس هجر وفارس والوسوسة كالالهام الالقاء في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا أتبعه بقوله (ومنه) قوله تعالى

أنواع الالهامات) أي الواردة لافراد الانسان والحيوانات (وحيا) كقوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه وقوله سبحانه وتعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (تشبيها) أي لها (بالوحي الى النبي) أي في تلقيها بعجلة والالهام هو القاء شيء في الروع يبعث على الفعل أو الترك يختص به الله من يشاء من عباده ومخلوقاته (وسمي الخط) أي الكتابة (وحيا لسرعة حركة يد كاتبه) أو لسرعة ادراك الخط من صاحبه (ووحي الحاجب) أي اشارته (واللحظ) أي ايماء العين (لسرعة اشارتهما) أي حركتهما بهما (ومنه) أي ومن قبيل اطلاق الوحي على الاشارة

المطلقة (قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا أي (أومأ ورمز) أي أشار باحد أعضائه (وقيل كتب) أي لهم على الارض ان سبحوا (ومنه) أي من كون الوحي بمعنى الاشارة بالسرعة قولهم كما في حديث أبي بكر رضي الله تعالى عنه (الوحاء) بفتح الواو (الوحاء) يمد ويقصر على ما ذكره الجوهري وقيل ان كرر مد وقصر وان أفرد مد والتكرير للمبالغة ونصبه على الاغراء ومعناه كما قال (أي السرعة السرعة) بضم السين وقيل بفتحها أيضا يعني ألزمها ويقال ألوحاء الوحاء بكسر الواو أي البدار البدار بمعنى المبادرة والمسارعة (وقيل أصل الوحي السر) أي الاسرار (والاخفاء) ومن ثمة قالوا هو الاعلام على وجه الخفاء (ومنه) أي ومن كون الوحي هو السر (سمي الالهام وحيا) أي لخفائه على غير أهله (ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم) يعني من المشركين (أي يوسوسون في صدورهم) يعني لاغوائهم (ومنه

(وأوحينا الى أم موسى) أن ارضعيه (أى ألقى) ببناء المجهول (فى قلبها) مناما والهاما وقيل انه وحى حقيقى كالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد قيل ذلك) التفسير السابق (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة) والذى رجحوه فى هذه الآية ان المراد بالوحى فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلامه لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث أبى ذر المشار اليه هو هذا قال دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت بابى أنت وأمى أمرتنى بالصلاة فاى الصلاة وقال الصلاة خير موضوع استكثر منه أو أقل قال فقلت فاى الاعمال أفضل قال ايمان الله وجهاد فى سبيل الله فقلت أى المؤمنين أكمل ايمانا قال أحسنهم خلقا فقلت أى المسلمين أسلم قال من سلم المؤمنين من يده ولسانه فقلت أى الهجرة أفضل فقال هجر السيئات فقلت أى الصلاة أفضل قال طول القنوت قلت أى الليل أفضل قال جوف الليل الغابر قلت أى الصلاة أفضل قال فرض مجزى عند الله وعند الله أضعاف كثيرة قلت أى الصدقة أفضل قال جهد من مقل يصير الى فقير قلت فاى الرقاب أفضل قال أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها قلت فاى الجهاد أفضل قال من هرق دمه وعقر جواده قلت فاى شئ أعظم مما انزل الله عليك قال آية الكرسى يا أبا ذر ما السموات السبع والارضون السبع فى الكرسى الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت بابى أنت وأمى فكم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت فمن كان أولهم قال آدم قلت نبى مرسل قال نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه قال يا أباذر أربعة سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم ونوح وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيكم يعنى نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم وابراهيم وسائرهم من بنى اسرائيل فاول الانبياء آدم وآخرهم أنا وأول أنبياء بنى اسرائيل موسى وآخرهم عيسى قلت فكم كتاب أنزله الله تعالى قال مائة كتاب وأربعة كتب أنزل على شيث بن آدم خمسين صحيفة وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة وأنزل على ابراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والقرآن قلت فما كان فى صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها أيها المغرور المسلط انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها وفيها على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة فى غير محرم

* (فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) * عليهم الصلاة والسلام (معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها) العجز عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال أيضا بكسر الجيم فى الماضى وفتحها فى المضارع كما حكاه الاصمعى وغيره ويقال عجزه كذا اذا فاته وقيل المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل فان من خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم وما لهم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه أيضا فان العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم ولم توجد فالمعنى مجازا امتناع المعارضة وانتفاء القدرة وحقيقته ان الاعجاز اثبات عجز المرسل اليهم فاستعير لاظهار العجز وأسند لسببه الذى هو اظهار الخوارق وجعل اسما فالتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية أو للمبالغة كتاء علامة وفيه بحث لا يخفى (وهى) المعجزة (على ضربين) أى هى اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور (ضرب هو من نوع قدرة البشر) أى مقدورهم الذى يمكنهم الاتيان

وأوحينا الى أم موسى أى ألقى فى قلبها) بصيغة المجهول كما صرح به الحلبى وغيره ويجوز ان يكون بصيغة المعلوم أى قذف الله تعالى الهاما أو مناما أن ارضعيه أى ما أمكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه الآية (وقد قيل ذلك) أى ما ذكر من الوحى بمعنى الالهام أو المنام (فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أى ما يلقيه فى قلبه) يعنى الهاما أو مناما (دون واسطة) أى كما يفهم من المقابلة بقوله أو من وراء حجاب كموسى عليه السلام أو يرسل رسولا كجبريل أو غيره من الملائكة فالواسطة اما معنوية أو صورية دونها مختصة بالواقعة القلبية والله سبحانه وتعالى اعلم بحقائق القضية

* (فصل) *

(اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء) أى من الآيات الخارقة للعادة (معجزة هو ان الخلق) أى المرسل اليهم (عجزوا) بفتح الجيم وهى اللغة الفصحى ومنه قوله تعالى أعجزت وتكسر على لغة فالمستقبل على عكسهما أى لم يقدروا وحيث ضعفوا (عن الاتيان بمثلها) فكأنها أعجزتهم عن معارضة اظهار نظيرها والا فالمعجز فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى كما انه قادر على اقدار العبد بنحوها أو على ابدائها على يد مظهرها والتاء للمبالغة أو لكونها وصفا للآية الخارقة للعادة (وهى) أى المعجزة (على ضربين) أى صنفين من حيث كونها مقدورة للبشر وغير مقدورة لهم (ضرب هو من نوع قدرة البشر) أى فى الجملة أو بالقوة على تقدير خلق القدرة فيه بان يمكن دخوله تحت قدرتهم بما

(فعجزوا عنه) أى بناء على صرفهم (فتعجيزهم) أى تعجيز الله تعالى اياهم (عنه) بصرف توجههم عنه (فعل الله دل على صدق نبيه) لانه كصريح قوله صدق عبدى فى دعواه الرسالة لجرى العادة بخلقه تعالى عقبه علما ضروريا بصدقه كمن قال لجمع أنا رسول الله اليكم ثم نتق فوقهم جبلا ثم قال ان كذبتمونى وقع عليكم وان صدقتمونى أنصرف عنكم فكلما هموا بتصديقه بعد عنهم أو بتكذيبه قرب منهم فانهم يعلمون حينئذ ضرورة صدقه مع قضاء العادة بامتناع صدور ذلك من الكاذب (كصرفهم) أى كصرف الله تعالى لكفار اليهود (عن تمنى الموت) بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم أخبر عنهم بقوله ولن يتمنوه ابدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا اليهود الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار كما رواه البخارى وغيره (واعجازهم) بالجر عطفا على صرفهم أى وكاعجاز المشركين وغيرهم (عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) أى انه بناء على صرفهم كالنظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة والحق ان عجزهم عنه انما كان لعلو درجته فى فصاحته وبلاغته وغرابة أساليبه وجزالة تراكيبه مع اشتماله على أخبار الأولين وآثار الآخرين وتضمنه للامور الغيبية الواقعة سابقا ولاحقا فهو معجزة من جهة المبنى ومن حيثية المعنى (ونحوه) أى وكتعجيزهم عن نحو الاتيان بمثل القرآن من سائر خوارق العادة (وضرب) أى نوع من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) أى حتى بالقوة (فلم يقدروا على الاتيان بمثله) أى بالكلية (كاحياء الموتى) أى ليس من جنس أفعال البشر ولا الملك واما احياؤهم بدعاء عيسى معجزة له فانما كان من الله تعالى لا منه بدليل قوله تعالى وأحيي الموت باذن الله (وقلب العصا حية) أى تسمى معجزة لموسى (واخراج ناقة من صخرة) أى بلا واسطة وأسباب معهودة معجزة لصالح

بمثاله من نوعه (فعجزوا عنه) الفاء فصيحة أى فطلب منهم فعجزوا عنه (فتعجيزهم عنه) أى جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله أى تعجيز الله اياهم (فعل الله دل على صدق نبيه) أى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه فهو فى قوة قول الله تعالى صدق عبدى فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعده علم ضرورى بصدقه (كصرفهم عن تمنى الموت) أى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم الله تعالى وألزمهم بقوله قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين * أى قل لهم يا محمد ان كنتم أحباب الله تعالى والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من أحب الله أحب لقاءه ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك ولذا ورد لو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودى وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله وهذا أعظم حجة على صدقه صلى الله تعالى عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا وان كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت والخوف ونحوه فسقط ما قيل ان المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال (وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بان اعجازه بالصرفة أى بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم بذلك على رؤس الاشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف الى مجالدة السيوف كما هو مشهور معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بان لم يكن دواعى وبواعث لذلك وقيل سلبهم المعارف المركوزة فى طباعهم من معرفة فنون البلاغة وأساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة والذى عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاساليب وبلاغة التراكيب وجزالتها وأنواع البديع ومطابقة المقامات وبدائع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة فى الاصول والمعانى وغيرها من كتب السلف (ونحوه) مما نوعه مقدور لهم (وضرب) من المعجزة (هو خارج عن قدرتهم) اذ تحداهم به (فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى) الذى وقع لابراهيم ولعيسى عليهما السلام فما قيل ان ما كان بدعاء عيسى عليه السلام معجزة له انما كان من الله لا منه بشهادة وأحيي الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذنى لا وجه له وهذا أيضا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح (وقلب العصا حية) معجزة لموسى صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم وسيأتى انه ما من معجزة لنبى من الانبياء الا ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم مثلها أو زيادة (واخراج ناقة من صخرة) بلا واسطة وأسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلاة والسلام لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها الكاثبة ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج

(وكلام شجرة) أى لموسى من قبل الله تعالى أولنبينا عليه الصلاة والسلام باظهار كلمة الاسلام (ونبع الماء من الاصابع) وفى نسخة من بين الاصابع معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما وردت به الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (وانشقاق القمر) معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم كما صرح به الخبر ونص القرآن بقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر

بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون ثم نتجت مثلها فى العظم فآمن جندع فى جمع من قومه وتمادى غيرهم فى الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة (وكلام الشجرة) وفى نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ومثله حنين الجذع المشهور (ونبع الماء من الاصابع) أى من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم أيضا كما سيأتى ولله در الابوصيرى فى قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

ومنبع الماء عذب من أصابعه * وذاك صنع به فيناجرى النيل

(وانشقاق القمر) معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم حتى صار فلقتين يشاهده الناس وقد ثبت هذا فى الاحاديث الصحيحة وروى من طرق متعددة خرجها السيوطى وبه فسر قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النوبه تقتضى لتفصيله وهذا النوع كله وأمثاله (مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله) عز وجل (فيكون) اجراء (ذلك) الذى لا يفعله الا الله (على يد النبى) أى وقوعه من نبى من أنبيائه بحسب الظاهر فعله وهو فى الحقيقة (من فعل الله تعالى) الذى أظهره على يده بقدرته (وتحديه) بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل وهو ضمير النبى ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدأ وقوله (من يكذبه) مفعوله قوله (ان يأتى بمثله) بتقدير الجار أى لان يأتى بمثله أو بدل من تحديه أو خبر وقوله (تعجيزاه) خبر بعد خبر أى يظهر عجزه عن ذلك (واعلم ان المعجزات) جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لم يعقل (التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) وصدرت منه (ودلائل نبوته وبراهين صدقه) عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسيأتى مما لا يحصى (من هذين النوعين معا) خبر ان أى بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه (وهو) أى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (أكثر الانبياء معجزة) منصوب على التمييز أى معجزاته أكثر من معجزات سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام (وأبهرهم آية) تمييز والآية المعجزة لانها علامة للنبوة وأبهر أفعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر أو غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا ملأ الارض ومن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا * عدد الرمل والحصى والتراب

وفيه وجوه ذكرها الادباء فالمعنى ان معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم أكثر وأظهر وأقوى (وأظهرهم برهانا) هذا أعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع أعم من المعجزة ويجوز ان يريد المعجزة أيضا (كما سنبينه) فى آخر هذا الباب وفى قوله أكثر وأظهر ما يدل على ان سائر الانبياء أتت بدلائل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وبراهينه أقوى وأظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به آيات نبينا وقد أطلق عليها آية وبرهان الا أنه لم يطلق عليها فى القرآن معجزة قيل ولا فى السنة والمعجزة مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وخوارق الاولياء تسمى كرامة وقد يطلق عليها وأطلق عليها المعجزة أيضا الامام أحمد بن حنبل وأباه غيره (وهى) أى معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (فى كثرتها لا يحيط بها ضبط) أى لا يحيط بها حصر وعد أو حفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه التجوز فيه احاطته بافراده ففى كلامه استعارة مكنية وتخييلية

والمعنى ان ذلك وأمثاله (مما لا يمكن) وفى نسخة مما لا يجوز (ان يفعله احد الا الله تعالى فيكون ذلك) أى هذا الضرب الذى لا يفعله الا الله وفى نسخة فيكون ذلك (على يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) أى صورة (من فعل الله تعالى) أى حقيقة كما حقق فى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (وتحديه) أى وطلب معارضة النبى (من يكذبه ان يأتى بمثله تعجيز) وفى نسخة تعجيز له أى عن ذلك (واعلم ان المعجزات التى ظهرت على يد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه) أى فى دعوى رسالته واعلاء حجته كانشقاق القمر ومجىء الشجر وتسليم الحجر وحنين الجذع واما سقوط شرف بناء الاكاسرة وخرور الاوثان ليلة ولد واظلال الغمام قبل البعثة فهو من الارهاصات لا المعجزات خلافا لما توهمه عبارة الدلجى (من هذين النوعين معا) أى جميعا باعتبار البعض والبعض فمنها ما هو من نوع قدرة البشر ومنها ما هو خارج عنها (وهو) أى نبينا (أكثر الانبياء معجزة وأبهرهم آية) أى أنورهم (وأظهرهم برهانا) أى حجة وبيانا (كما سنبينه) فى محله ان شاء الله تعالى وحده (وهى) أى معجزاته (فى كثرتها لا يحيط بها ضبط) أى لجزئياتها

(فان واحدامنها) أى مما هو أعظمها وهو القرآن أى من حيث آياته وسوره المشتملة على دلالات بذاته (لايحصى) بصيغة المجهول أى لايحصر ولايعد عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا أكثر لما أورثه من فنون البلاغة وصنوف الفصاحة من جملتها الفائة لمعانى الكثيرة فى المبانى اليسيرة الى غير ذلك من أنواعها العجيبة وأصنافها الغريبة التى عجز عنها الخطباء والبلغاء من العرب العرباء (لان النبى) وهو الرسول الاعظم والنبى الافخم صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم (قد تحدى بسورة منه) أى طلب المعارضة باقصر سورة من سور القرآن (فعجز عنها) بصيغة المجهول أى فعجز جميع أهل المعانى والبيان عن الاتيان بمثل سورة من الفرقان تصديقا لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى معاونا ونصيرا (قال العلماء وأقصر السور) أى سور الفرقان وفى نسخة سوره بالضمير (انا أعطيناك الكوثر) أى الى آخره وكان الاظهر الاقصر ان يقول وأقصر السور سورة الكوثر لانها ثلاث آيات حروفها أقل من حروف آيات سورة هى ثلاث مثلها كقل هو الله أحد كذا قرره الدلجى وهو وهم منه لان سورة الاخلاص أربع آيات نعم سورة العصر نحوهما فى عدد الآيات لكنها أطول منها باعتبار الحروف والكلمات فى عددها (فكل آية) أى منه (أوآيات منه) أى من القرآن وسورة (بعددها) أى طويلة بعدد أقصر سورة من جهة الآيات أوالحروف أوالكلمات (وقدرها معجزة) فقوله تعالى فأتوا بسورة أعم من ان تكون حقيقية أوحكمية (ثم فيها) أى فى سورة الكوثر (نفسها) أى بعينها معجزات أى بخصوصها (على ماسنفصله) أى نبينه (فيما انطوى) أى اشتمل القرآن واحتوى (عليه من المعجزات) أى التى لاتكاد تستقصى (ثم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى الثابتة لدينا والواصلة الينا (على قسمين) أى باعتبار مايكون حصوله قطعيا أو وصوله ظنيا (قسم منها علم) أى لنا من طريق كونه (قطعا) كذا قرره الدلجى بناء على جعله لفظ علم مصدرا والتصحيح انه فعل ماض مجهول وان قطعا صفة لمصدر مقدر أى علم ذلك القسم علم قطع كما يدل عليه عطف قوله (ونقل الينا تواترا) أى نقل تواتر وفى نسخة متواترا (كالقرآن) فانه لكون طريق وصوله الينا تواترا صار علمه لدينا قطعا (فلامرية) بكسر الميم وقد تضم أى ولاشك ولاشبهة ويروى بلامرية (ولاخلاف) أى بين أئمة الامة (بمجىء النبى به وظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء أى من جهته وعلامه

ولم يتعرض له فى الاساس ثم بين ذلك بقوله (فان واحدامنها) أى معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم (وهو القرآن) فانه بجملته معجزة وكذا آياته وسوره قال الامام مجد الدين فى نهاية العقول التحدى وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى قل لئن اجتمعت الجن والانس على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ومرة بعشر سور كقوله تعالى بعشر سور ومرة بسورة كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله ومرة باآية كقوله فليأتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدى وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات قوما كقومى هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا أشار المصنف رحمه الله تعالى بقوله (لايحصى) أى لايعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل فى مطلق العدد ولذا قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى * وانما العزة للكاثر

(عدد معجزاته) أى معجزات القرآن (بالف ولا الفين) لما فى كل آية من الاعجاز (ولا أكثر) من ذلك لما فى ألفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لايحصى (لان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قد تحدى بسورة منه) أى طلب مثلها من بلغاء قريش (فعجز عنها) فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله أو هو مبنى للمجهول وهو أولى (قال أهل العلم) بالقرآن وبلاغته (وأقصر سورة) من القرآن وهو منون أو هو جمع مضاف لضميره (انا أعطيناك الكوثر) سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها ثلاث آيات وسورة قل هو الله أحد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه أقل منهما (فكل آية) طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها (أوآيات منه) أى القرآن (بعددها) أى بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات (وقدرها معجزة) للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا بيان أقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم كثرته (ثم فيها نفسها) أى فى سورة الكوثر (معجزات) كثيرة (على ما سنفصله) نبينه تفصيلا (فيما انطوى) أى اشتمل القرآن (عليه من المعجزات) التى لاتحصى ولا تحصر (ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين) أى علم واستقرا انقسامها انقسام الكلى الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا أولا فالاول (قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن فلامرية) بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية وهى الشك والتردد كما تقدم بيانه (ولاخلاف بمجىء النبى صلى الله تعالى عليه وسلم به) الباء الاولى بمعنى فى والثانية صلة المجىء (و) لاخلاف ولامرية فى (ظهوره من قبله) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله من قبل الله على مافيه

تفسير لزيادة تقرير (واستدلاله بحجته) أي واستشهاد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بحجة القرآن على صدق محجته وتصديق نبوته وارسال الله اياه الى كافة بريته (وان أنكر هذا) أي ماذكر من مجيئه به وظهوره من قبله واستدلاله به (معاند) أي حائد برد الحق مع علمه (جاحد) أي منكر له ماحد في حكمه (فهو) أي انكاره ذلك (كانكاره وجود محمد في الدنيا) حيث أنكر كلا منهما انكار مكابرة ومجاحدة لتحقق وجودهما بثبوت مشاهدة وان كان أحدهما حسيا والآخر معنويا والحاصل ان وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم وشهوده لا ينكره أحد من الموجودين (وانما جاء اعتراض الجاحدين) أي المنكرين والملحدين في الحجة به أي في كونه حجة له قاله الدلجي والصحيح في الاحتجاج به أو في ثبوت الحجة بكتابه كما ورد في طعن المشركين اذ قالوا أساطير الاولين ما أنزل الله على بشر من شئ هذا سحر مبين (فهو) أي القرآن (في نفسه) أي في حد ذاته (وجميع ماتضمنه) أي من سوره وآياته (من معجز) الاولى من معجزاته (معلوم ضرورة) أي بديهة لا تقتضي رؤية كما شهده الاعداء من أهل الخبرة كالوليد ابن المغيرة اذ قال في حقه لما تلي عليه بعضه ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وماهو من كلام البشر (ووجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا) كان الاولى أن يقال ووجه اعجازه مفهوم ضرورية ونظرية لئلا يقع تكرار صريح في العبارة اما ضرورة فلان سلاسة مبناه وجزالة معناه ونظم آياته وانفة كلماته وصباحة وجوه فواتحه وخواتمه في بدء آياته ونهاياته في أعلا مراتب البلاغة وأعلا مناقب الفصاحة لا يحتاج العلم به الى الدلالة فيحكم العقلاء باعجازه في البداهة وأما نظرا فلافتقار بعض وجوهه الى النظر والتفكر (خلاف في خصوص ذلك الامر (كما سنشرحه) أي نبين ذلك القدر (قال بعض أئمتنا) أي أئمة المالكية وفي نسخة صحيحة بعض مشايخنا (ويجري هذا المجرى) أي مجرى كون القسم الاول من معجزاته والذي علم قطعا ونقل الينا تواترا (على الجملة) أي في الجملة باعتبار المعنى لا بطريق المبنى (انه) فاعل يجري أي الشأن (قد جرى على يده) وفي نسخة صحيحة على يديه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات) أي علامات أو معجزات (وخوارق عادات) أي شاملة لمعجزات وكرامات (ان لم يبلغ واحد منها) أي لم يصل أمر واحد من تلك الامور (معينا) أي مشخصا ومبينا (القطع) بالنصب أي العلم القطعي بالنسبة الى غير الصحابي (فيبلغه) أي العلم اليقيني (جميعها) أي باعتبار معانيها دون مبانيها (٢ على يديه) أي بناء على ماصدر لديه (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) كان الاولى ان يقول وكافر بدون لا أو يقول ولا يخالف مؤمن ولا كافر (انه قد جرت على يديه عجائب) أي آيات غرائب مما ازاغت أبصارهم وحيرت بصائرهم (وانما

(واستدلاله) أي استدلال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على صدقه ونبوته (بحجته) الاضافة بيانية أي بحجة هي القرآن (وان أنكر هذا) المذكور الذي لا مرية فيه (معاند جاحد) أي منكر له عنادا بعد علمه به (فهو كانكاره وجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في الدنيا) وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر من عاقل (وانما جاء اعتراض الجاحدين) اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه (في الحجة به) أي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين وأساطير الاولين وما أنزل الله على بشر من شئ الى غير ذلك (فهو) أي القرآن (في نفسه) أي في كلامه المفرد (وجميع ماتضمنه) واشتمل عليه (من معجز) أي من كل أمر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات (معلوم ضرورة) علما ضروريا لمن كان من أهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة وأسفله مغدق وأعلاه مثمر وماهو من كلام البشر كما يأتي بيانه * والفضل ماشهدت به الاعداء (فوجه اعجازه معلوم ضرورة) عند أهل اللسان لا عند كل أحد لما فيه من فنون البلاغة (ونظرا) أي استدلالا عند غيرهم أو لافتقار بعض وجوهه اليه (كما سنشرحه) ونبينه قريبا (قال بعض أئمتنا) أي علماء الحديث والتفسير لا المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب (ويجري هذا المجرى) بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمي أي يقارب ماتقدم ويشبهه لان ماجرى في مجرى شئ ساواه (على الجملة) أي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجري (انه قد جرى على يديه) أي صدر منه (صلى الله تعالى عليه وسلم آيات وخوارق عادات) عطف تفسيري أو من عطف الخاص على العام والاول أولى (ان لم يبلغ) أي يصل (واحد منها معينا) اسم مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان أولى (القطع) والجزم مفعول يبلغ (فيبلغه جميعها) أي مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد الحسن البصري فان كل حال من أحوال هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كتذليله الجبابرة مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك (فلا مرية في جريان معانيها على يديه) مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته (ولا يختلف مؤمن ولا كافر) من الامم السالفة (انه) أي نبيهم قد (جرت على يديه عجائب) أي أمور خارقة للعادة حيرت أبصارهم وألبابهم حتى يتعجب المتعجب منها (وانما) وقع

---

٢ وقد يسقط هنا في هذا الشرح قوله فلا مرية في جريان معانيها

خلاف المعاند) أى مخالفته مع الموحد (فى كونها) أى فى وصول العجائب فائضة (من قبل الله تعالى) أى من جهة المبدأ الفياض كما يقواه المؤمن الموحد أو حاصلة من تلقاء نفسه عليه الصلاة والسلام وانه شاعر أو ساحر ونحوهما كما تفوه به المشرك الملحد (وقد قدمنا كونها) أى كون المعجزة فائضة (من قبل الله تعالى) أى لا واصلة من تلقاء نبيه (وان ذلك) أى المعجزة مع التحدى (بمثابة قوله) أى الله سبحانه وتعالى (صدقت) أى يا عبدى فيما ادعيت من رسالتى (فقد علم وقوع مثل هذا) أى الذى قدمناه (أيضا من نبينا) صلى الله تعالى عليه وسلم (ضرورة) أى بديهة (لاتفاق معانيها) أى مع قطع النظر عن اختلاف مبانيها فى كونها خوارق عادات وعلى صدق صاحبها علامات (كما يعلم ضرورة) أى عند الاخباريين، كذا عند بعض

العامة (جود حاتم) بكسر التاء أى ابن عبد الله بن سعد الطائى مشهور بين العرب والعجم مات على كفره (وشجاعة عنترة) بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح التاء الفوقية فراء بعدها هاء وهو العبسى (وحلم أحنف) أى ابن قيس التميمى (لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم) أى من المؤرخين والاخباريين (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى أحنف فأشار الى كل واحد بما للقريب تنزيلا له فى ذهنه منزلته (وان كان كل خبر) أى من أخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) أى بانفراده ويروى فى نفسه (لا يوجب العلم) أى القطعى (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتر كل واحد منها منفردا فى كل عصر وطبقة ثم

(خلاف المعاند فى كونها) أى تلك العجائب صادرة (من قبل الله) بكسر القاف وفتح الباء أى من المبدأ الفياض المبدع البدائع (وقد قدمنا) أولا (كونها) بيان كون العجائب (من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله) أى الله عز وجل لرسوله (صدقت) فى نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابته منزلته وفى حكمه مفعلة من أثابه كذا اذا عوضه ومنه الثواب بالثاء المثلثة لجزاء الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشجر والجماد كلام جن سحرها الى غير ذلك من الخرافات التى صاروا اليها فاصبحوا بها سخرة اذا عرفت هذا (فقد علم وقوع مثل هذا) الذى وقع للانبياء عليهم الصلاة والسلام والامم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر (أيضا) كما وقع لاولئك (من نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ضرورة) أى علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا (لاتفاق معانيها) أى لتوافقها كلها فى معنى واحد (كما يعلم ضرورة جود حاتم) الطائى وشهرته تغنى عن ذكره فأخباره فى الجود مشهورة أيضا وكان فى الجاهلية قريبا من مبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم وأدرك ابنه عدى الاسلام وكان من كبار الصحابة رضى الله تعالى عنهم (وشجاعة عنترة) بالهاء ويقال له عنتر أيضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد القيسى وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب أزرق ونونه اختلف فى زيادتها وهو من فرسان العرب وفصحائها المشهورين (وحلم أحنف) بن قيس التميمى أدرك الاسلام وأسلم لكنه لم ير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من كبار التابعين وأحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل وله كلمات من الحكم مشهورة فى كتب وعنه فى الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وضع ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال (لاتفاق الاخبار الواردة) أى المروية (عن كل واحد منهم) ثم أبدل من قوله عن كل واحد قوله (على كرم هذا) يعنى حاتما (وشجاعة هذا) يعنى عنترة (وحلم هذا) يعنى أحنف وأشار بهذا لقرب ذكرهم وحضورهم فى الذهن (وان كان كل خبر) من أخبار هؤلاء الثلاثة (بنفسه) أى وحده (لا يوجب العلم) القطعى (ولا يقطع بصحته) لعدم تواتره بانفراده وانما المتواتر ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم والحاصل ان ما جرى على يديه صلى الله تعالى عليه وسلم تواتر تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوى هو حصول العلم القطعى من مجموع أمور جزئية وأخبار واردة مستفيضة كما اذا أخبر واحد بان حاتما أعطاه دينارا وآخر بانه أعطاه بعيرا وآخر بانه وهبه غنما وآخر بانه كساه وآخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم على مطلق الاعطاء والتواتر الحقيقى ان يخبر جماعة عن جماعة الى آخره يؤمن تواطئهم على الكذب فى خبر واحد متفق اللفظ والمعنى وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الى نظر

اعلم ان حاتما هذا والد عدى قدم المدينة ابنه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سنة تسع فى شعبان وكان نصرانيا فأسلم وأسلمت أخته بنت حاتم قبل عدى رضى الله تعالى عنهما وأما عنترة فهو ابن معاوية بن شداد وكان عنترة شديد السواد وأمه زبيبة أمة سوداء كانت لابيه وكان من أشهر فرسان العرب وأشدهم بأسا وفى القاموس عنتر كجعفر وجندب فى لغية الذباب والعنترة صوته والشجاعة فى حرب هذا ولو قال كشجاعة على لكان أظهر فانه بهذا الوصف بين العرب والعجم أشهر وأما الاحنف فهو بفتح الهمزة ثم حاء مهملة ساكنة ثم نون مفتوحة ثم فاء روى عن عمر وعثمان وعلى وعدة وعنه الحسن وحميد بن هلال وجماعة وكان سيدا نبيلا أخرج له الائمة الستة مخضرم وقد أسلم فى عهده عليه الصلاة والسلام ودعا له ولم يتفق له رؤيته قال صاحب القاموس تابعى كبير

(والقسم الثانى) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم هو (ما لم يبلغ) أى لم يصل علمه (مبلغ الضرورة والقطع) أى قطعيا ضروريا بديهيا ولا فكريا قطعيا (وهو) أى هذا القسم الذى بمنزلة الجنس (على نوعين نوع مشتهر) أى عند الخاصة (منتشر) أى عند العامة وكلاهما بصيغة الفاعل (رواه العدد الكثير) أى من الصحابة والتابعين (وشاع الخبر به عند المحدثين) أى من المخرجين والمصنفين (والرواة) أى من المتأخرين (ونقلة السير) بفتح النون والقاف جمع ناقل والسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة أى ومن الذين نقلوا سير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من صفاته وآياته ومعجزاته (والاخبار) بفتح الهمزة أى الاحاديث المتعلقة بسيد الابرار صلى الله تعالى عليه وسلم الواردة عن بقية العلماء الاخيار (كنبع الماء من بين أصابعه) أو من أصابعه كما فى بعض طرقه (وتكثير الطعام) أى المأكول والمشروب كما فى حديث أنس وغيره وكحنين الجذع وكلام الضب والذراع مما رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه وهو لذى غير مشتهر ولا منتشر (اختص به) أى بنقله (الواحد) أى تارة (والاثنان) أى أخرى (ورواه العدد اليسير) أى ولو وصل الى مرتبة الجمع فى بعض طرقه (ولم يشتهر) أى هذا القسم (اشتهار غيره) أى الثابت بالعدد الكثير والجم الغفير (لكنه اذا جمع الى مثله) أى فى المبنى (اتفقا فى المعنى) أى المراد به ثبوت الاعجاز فى المدعى (واجتمعا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا) أى من انه لا مرية حصل فى جريان معانيها على يديه وانه اذا ضم بعضها الى بعض أفاد القطع لديه (قال القاضى أبو الفضل) أى المصنف (وأنا أقول صدعا بالحق) أى جهرا به ومنه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر (ان كثيرا من هذه الآيات) أى الواردات كمجىء الشجر اليه وتسليم الحجر عليه وتسبيح الحصى فى يديه (المأثورة) أى المروية (عنه عليه الصلاة والسلام) أى ولو كانت آحادا مبنى (معلومة بالقطع) لتواترها معنى (اما انشقاق القمر) أى على يديه بمكة حين ساله كفار قريش آية (فالقرآن نص بوقوعه) أى فى الجملة لانه ظنى الدلالة واما قول الدلجى أما انشقاق القمر فانه متواتر لفظا اذ القرآن نص بوقوعه فليس على اطلاقه

واستدلال بشروط مقررة فى الاصول خلافا لامام الحرمين والرازى فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه على مقدمات أخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص والاسلام (والقسم الثانى) من المعجزات (ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع) عطف تفسيرى أى لم يصل الى مرتبته (وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر) أى له شهرة وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا (رواه العدد) الكثير (وشاع الخبر به عند المحدثين) الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضرورى ولا النظرى وذهب بعض الاصوليين الى انه يفيد العلم القطعى وقيل انه يفيد العلم النظرى والمشهور انه يفيد الظن ولابد أن تكون شهرته عن أصل وروايه فان اشتهر لا عن أصل وهو المسمى بالمشهور على الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم أصله فان علم ذلك تقوى بشهرته فى الجملة (والرواة ونقلة السير) جمع ناقل بفتحتين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهى أخبار المغازى (والاخبار) عطف تفسيرى (كنبع الماء من بين الاصابع) أى أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) الذى رواه أنس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذى رواه الشيخان وغيرهما (ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل (اختص به) رواية (الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير) أى القليل (ولم يشتهر اشتهار غيره) كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثانى ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما فى جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال أحمد انه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل به ولو لم يفده يجب العمل به وله أدلة مذكورة مع الجواب عنها فى الاصول (لكنه اذا جمع الى مثله) من أحاديث المعجزات (اتفقا فى المعنى) من أصل الاعجاز وثبوته كما أشار اليه بقوله (على الاتيان) أى اتيان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بالمعجز كما قدمنا) من جريانها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوى له (قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف (رضى الله تعالى عنه وأنا أقول صدعا بالحق) تقديم المسند لافادة التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا أى صادعا صادعا فهو حال أو مفعول لاجله أو مطلق لمقدر أو لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه أو يصدع شبهته ويبطلها أو من انصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا (ان كثيرا من هذه الآيات) والمعجزات (المأثورة عنه) أى المروية عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (معلومة بالقطع) لتواترها حقيقة أو معنى (أما انشقاق القمر) أى اما معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به أولا فأراهم ذلك فهى ظاهرة باهرة (فالقرآن نص بوقوعه) أى صرح به فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق أى اقترب وقد

حصل من آيات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة ومجيئه بقد يأتي تأويله بان معناه انه سينشق اذا قامت القيامة والتعبير عنه بالماضي لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقرانها بلفظ الساعة فلا يرد عليه انه ليس معه قرينة تصححه كما توهم الا أنه لا يدفع كونه خلاف الظاهر (وأخبر بوجوده) في هذه الآية وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه (ولا يعدل عن ظاهر) بالتنوين أي عن ظاهر القرآن (الا بدليل) قوي يقتضي العدول عنه وتأويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه آية ليلة قد تخفى على بعض الناس (وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار) أي احتمال خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتي (من طرق كثيرة) تؤيد حمل الآية على ظاهرها لا سيما وقد روي في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان ما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم يتواتر وقد صرح بهذا قبله أبو اسحق الاسفرائني والحميدي وأبو الفضل بن طاهر فان احتف به قرائن وورد من طرق آخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعي ثم أشار الى انه لا يلتفت لخلاف من خالف في مثل هذه المطالب فقال (فلا يوهن) بالتخفيف والتشديد أي يضعف (عزمنا) أي ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل (خلاف أخرق) بالاضافة أي مخالفة أحمق وأصله الذي لا يحسن العمل بيده كأنه يخرق ما يريد بيده وقال الثعالبي في فقه اللغة في أنواع الحمق أولها أحمق ثم أبله فان كان معه عدم الرفق فهو أخرق فالحاصل ان المخالف في مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله (منحل عرى الدين) فهو بالجر صفة أخرق أي هو مع جهله قليل الدين ضعيفه لعدوله عن ظاهر النصوص وتشبثه باذيال الشبه وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين وألف مقصورة جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل ليتمسك به وقال الراغب العرا مقصور الناحية ومنه العروة وهو ما يتمسك به قال الله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وان شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما في الحديث كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله اني بحبلك واصل حبلي فهو استعارة مكنية وتخييلية والمراد انه غير متمسك بالدين (ولا يلتفت الى سخافة مبتدع) الالتفات الانحراف للنظر الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة والسخافة أصلها عدم أحكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوي والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع وقوله (يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين) اشارة الى ما هو من شأن أهل البدع من القائهم الشبه والمشككات على ضعفاء العقول من المؤمنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية وأما ضعيف العقل فقد يأخذ باقوالهم فيتبعهم ويفتتن (بل يرغم بهذا أنفه) أي برد ما قاله ويظهر جهده وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى لان أصله ان يلصق أنفه بالرغام وهو التراب فتجوز به عن الاذلال والتسخير وكنى به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر من النقول الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير

(وأخبر عن وجوده) أي ثبوته وحصوله لقوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق أي اقتربت وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر قبلها (ولا يعدل عن ظاهره) أي من تحقق وقوعه وثبوت وجوده الى تأويل بأنه سينشق يوم القيامة وانه جيء بالماضي لتحقق وقوعه في مستقبله (الا بدليل) موجب لحمله عليه وصرفه

اليه (وجاء) أي وقد ورد (برفع احتماله) أي احتمال الدليل الدال على صرف الآية عن ظاهرها (صحيح الاخبار) أي الاخبار الصحيحة والآثار الصريحة (من طرق كثيرة) كخبر الصحيحين وغيرهما (ولا يوهن) وكان الانسب في ترتيب السبب ان يقال فلا يوهن بالفاء وهو بضم الياء وكسر الهاء مخففا أو مثقلا أي لا يضعف (عزمنا) أي جزمنا (خلاف أخرق) أي مخالفة جاهل أحمق افعل من الخرق ضد الرفق (منحل عرى الدين) بضم ميم وسكون نون وحاء مهملة مفتوحة ولام مشددة مضاف الى عرى بضم العين وفتح الراء جمع عروة وهي ما يتمسك به في أمر الديانة ومنه قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها أي لا انقطاع لها (ولا يلتفت) بصيغة المجهول أي ولا ينظر (الى سخافة مبتدع) بفتح السين المهملة والخاء المعجمة أي رقة عقل ضال عدل عن الحق المبين (يلقي) بضم الياء وكسر القاف أي يوقع (الشك) أي التردد والشبهة (على قلوب ضعفاء المؤمنين) فربما قبلته ووقعت في ضلالة المبتدعين (بل نرغم بهذا أنفه) بصيغة الفاعل المتكلم من أرغم أنفه ألصقه بالرغام بالفتح وهو التراب والمعنى نذله

(وننبذ) بفتح النون الاولى وكسر الموحدة أى نطرح (بالعراء) أى بالصحراء والفضاء وكان الخلاء (سخفه) بضم السين المهملة وتفتح وسكون الخاء المعجمة أى رقة عقله وكثافة جهله والمعنى نلقى جهله بالعراء لاشئ يستره من البناء وفى بعض النسخ برغم وينبذ بصيغة التذكير وبناء المجهول وأنفه وسخفه مرفوعان (وكذلك) أى وكانشقاق القمر فى كثرة الرواة طرقا صحيحة وأسانيد صحيحة (قصة نبع الماء) أى من بين أصابعه

أو من أصابعه (وتكثير الطعام رواها) أى قصة النبع والتكثير (الثقاة) أى من الرواة (والعدد الكثير) أى من الاثبات والمراد منهم طبقة الاتباع (عن الجماء) وفى نسخة الجم (الغفير) أى عن الجمع الكثير من التابعين (عن العدد الكثير من الصحابة) فمن روى نبع الماء بالزوراء بقرب مسجده بالمدينة السكينة الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه وبالسفر البخارى عن ابن مسعود ومن روى تكثير الطعام البخارى والنسائى عن الشعبى عن جابر فى قضاء دين والده والشيخان والترمذى والنسائى عن أنس فى قصة أبى طلحة يوم الخندق (ومنها) أى ومن جملة المعجزات أو من جملة رواية الثقاة (ما رواه الكافة) أى الجماعة (عن الكافة) أى عن مثلهم فى الكثرة (متصلا) أى نقلا متصلا لا غير منقطع أصلا (عمن حدث بها) أى بالمعجزة أو بتلك الرواية الدالة عليها (من جملة الصحابة) بيان لمن وفى نسخة من جلة الصحابة بكسر الجيم وتشديد اللام أى أكابرهم ومعظمهم معروفا و يؤيده قوله (وأخيارهم) على ما ضبط فى نسخة صحيحة من فتح الهمزة ثم الياء التحتية لكن فى أكثر النسخ أخبارهم بكسر الهمزة ثم الموحدة مجرورا ولا يظهر وجهه ولعله مرفوع عطفا على ما رواه أى ومنها نقل الصحابة (ان ذلك) أى ما ذكر من تكثير الطعام (كان فى موطن اجتماع الكثير منهم) أى من الصحابة وغيرهم (فى يوم الخندق) أى حول المدينة فى غزوة الاحزاب وكانت سنة خمس

دليل (وننبذ بالعراء سخفه) النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه اذا طرحه وألقاه والعراء بالمد المكان الخالى الذى لا سترة فيه وبالقصر الناحية و يقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه ونبذ سخفه بالعراء أى ألقاه فى مكان خال عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا أبلغ من عدم الالتفات الذى هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشئ فهذا ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره عنده وهذا ابعاده لرميه بالفلاة ولا تكرار فى كلامه وتفسيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه وحاصله ان انشقاق القمر فى الآية على ظاهره لوروده فى الاحاديث الصحيحة من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا قامت القيامة يوم تشقق السماء لم يأت بشئ وان ارتضاه جمع لانه لو وقع شاع وذاع وملأ الاسماع لانه آية عظيمة وقيل معناه ظهر الامر لان العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال الشنفرى فى لامية العرب

فقد حمت الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وأرحل

وقيل معناه انشقاق الظلام عنه بطلوعه كما يقال انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة

فلما أدبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داعى

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد فى السنة والفهم لاقوال الحكماء الذاهبين الى امتناع الخرق والالتئام فى الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية (وكذلك قصة نبع الماء) من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم (وتكثير الطعام) القليل ببركة وضع يده الشريفة فيه (رواها) أى القصة (الثقاة) من حفاظ المحدثين (والعدد الكثير عن الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا و يأتى أيضا مع زيادة (عن العدد الكثير من الصحابة) كالشيخين عن أنس رضى الله عنه والبخارى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قيل استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف والذى فى كتب العربية أنه لازم النصب وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره أيضا اذ لا مانع منه (ومنها) أى رواية قصة تكثير الماء والطعام (ما رواه الكافة عن الكافة) أى ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على انه يلزم تنكيرها ونصبها وقد صرح به كثير من النحاة قال فى القاموس لا يقال جاءت الكافة لانه لا يدخلها أل ولا تضاف ووهم الجوهرى وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة وبينا انه مردود رواية ودراية فانه سمع فى كلام العرب فان أردت معرفة ذلك فانظره (متصلا عن من حدث بها) أى بتلك القصة (من جملة الصحابة وأخبارهم) بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه (ان ذلك) بفتح الهمزة أى بان الى آخره و يجوز كسرها (كان فى موطن) بمعنى محل فاصله محل التوطن (اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة وهو بفتح الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وقاف وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب لاجتماع أحزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فأمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة أشار عليه سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه ولم يكن ذلك

معروفاعند العرب وانما هو من مكائد الفرس وكان ذلك فى شوال وقيل فى ذى القعدة سنة أربع أو خمس من الهجرة النبوية وقد فصلوها فى السير (وفى غزوة بواط) بضم الباء وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى وهو جبل أيضا وهى التى ظفر فيها النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعير قريش سنة اثنين ولم يكن بها حرب أيضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر الاول وأشار بالاول الى قصة جابر رضى الله تعالى عنه لما دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه فأتاه صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه ناس كثير وكان دعاه وحده فأكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحوا ألف وبالثانى الى قصة بواط وهى انه وضع عنده صلى الله تعالى عليه وسلم ماء قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما أتوا وضع يده الشريفة فى الماء فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضؤا كلهم كما سيأتى (وعمرة الحديبية) بالجر عطف على المجرور بفى قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان أو بئر فيه قريبة من مكة سميت بشجرة حدباء فيها وهى التى وقع تحتها بيعة الرضوان وهى بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت فى سنة ست والآية التى كانت فيها انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت وكان بين يديه ركوة فتوضأ منها وماء البئر قليل جدا نزعه الناس وشكوا العطش الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزع سهما من كنانته وأعطاه لناجية بن عميرة فغرزه فى البئر فجاش ماؤها وجاءت جارية من الانصار معها دلو فأقبلت به على ناجية وهو فى القليب وقالت منشدة

يا أيها المائح دلوى دونكا * انى رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيرا ويمجدونكا * أرجوك للخير كما يرجونكا

الى آخر ما فصل فى السير وسيأتى بتمامه (وغزوة تبوك) فى السنة التاسعة من هجرته عليه الصلاة والسلام أو السابعة وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين ماء بها أمرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان يسهمين جعلاهما فيها الكثير ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها أى تحفرانها ليخرج ماؤها وأشار المصنف الى آية فيها رواها أبو هريرة رضى الله تعالى عنه وهى ان الناس أصابتهم مجاعة فقال عمر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعا بنطع وبسطه ودعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف من ذرة والآخر بكف من تمر والآخر بكف من شعير فجمع ذلك وبرك عليه ثم قال خذوا فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما بقى فى العسكر وعاء الاملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المصنف رحمه الله تعالى لكل آية فصلا كما سيأتى (وأمثالها من محافل المسلمين) مجرور معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأتم مجمع النساء والنادى مجمع الناس فى الشتاء ودار الندوة والمصطبة مجمع الغرباء وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس فى بيوتهم والخان محل المسافرين والحانوت محل البيع والشراء وقد يخص بمحل بيع الخمر (ومجتمع العساكر) أى محل اجتماعهم وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه معرب (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول أى لم ينقل من أثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث (عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى) نائب الفاعل (فيما حكاه) الراوى من الامور والآيات المذكورة (ولا) نقل عن أحد (انكار لما ذكر عنهم) وذكر مبنى للمجهول نائب فاعله (فانهم رأوه

(وفى غزوة بواط) بضم الباء الموحدة وتفتح جبل من جبال جهينة وكانت فى شهر ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة (وعمرة الحديبية) بتخفيف الياء الثانية وتشديده كانت سنة ست فى ذى القعدة ووهم من قال فى رمضان وانما كان الفتح فيه (وغزوة تبوك) بفتح الفوقية وضم الموحدة ممنوعا وقد يصرف وكانت فى السنة التاسعة وهى آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم بذاته وهو موضع بطرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة (وأمثالها من محافل المسلمين) أماكن اجتماعهم (ومجمع العساكر) أى مكان جمع المجاهدين وكان الاولى ان يؤتى بصيغة الجمع فيهما أو بافرادهما (ولم يؤثر) بصيغة المفعول من الاثر أى ولم ينقل (عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى) أى منه فى قصتهما (فيما حكاه) أى رواه (ولا) أى ولا نقل عن أحد منهم (انكار لما ذكر عنهم) بصيغة المجهول أى ذكره بعضهم (فانهم) أى بقية الصحابة (رأوه) أى شاهدوه منه صلى الله تعالى عليه وسلم

كما رآه) أي عنه (فسكوت الساكت منهم) أي اذا وقعت الرواية في مكانهم أو زمانهم (كنطق الناطق) أي بمنزلة رواية الراوي منهم
به (اذهم المنزهون) أي المبرؤن (عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب) بفتح الكاف وكسر الذال أو بكسر فسكون وهذا
بشهادة قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وبدلالة قوله عليه الصلاة والسلام خير القرون قرني فكلهم عدول رضي الله تعالى
عنهم (وليس هناك رغبة) أي ميل وطمع (ولا رهبة) أي خوف وفزع والمعنى انه ما كان هناك موجبة من

كما رآه) أي لم ينقل انكارا منهم رأوا من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما رآه منهم الآخر بل سكتوا حين
سمعوا من بعض الرواة انه شاهد بعض آياته صلى الله تعالى عليه وسلم (فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق) لانه في محله اقرار (اذهم المنزهون عن السكوت على باطل) يسمعه من غيره ولا يصرح له
بانكاره وكون السكوت كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقهاء وأهل الاصول ولذا قالوا السكوت
في محل الحاجة بيان (و) المنزهون عن (المداهنة في كذب) فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله
لومة لائم والمداهنة الملاءمة والمطاوعة الا أن الفرق بينها وبين المداراة ان المداراة في الحق والمداهنة في
غيره ولذا جعلت من الغش قال الله تعالى أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وهي استعارة من الدهن للين
كلام صاحبها وجانبه وهي مذمومة لانها نفاق (وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم) أي الصحابة
رضي الله تعالى عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخافون أحدا عدل عن الحق لصلابة
دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم ما يمنعهم من الانكار على
من كذب (ولو كان) الاحسن ان يقول فلو بالفاء لترتبه على ما قبله (ما سمعوه منكرا عندهم) أي في
اعتقادهم (وغير معروف لديهم) اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مثله (لانكروه)
على قائله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واما احتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل
قائله على الصلاح فغير مناف هنا لان الصحابة رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم حرص على
معرفة أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقواله وتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها والمعجزات
المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر الآحاد مقبول
فتدبر (كما أنكر بعضهم) أي بعض الصحابة (على بعض) منهم (أشياء رواها من السنن) أي سنن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية (والسير) جمع
سيرة وهي أحوال الغزاة (وحروف القرآن) أي قراآته المتعددة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث أنزل
القرآن على سبعة أحرف أي لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور ومن معانيه وفي السنن الستة ان
عمر رضي الله تعالى عنه أنكر على هشام بن حكيم قراءة قرأها في سورة الفرقان لم يسمعها فجاء به الى
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال سمعت هذا يقرأ بغير ما أقرأتنيها فقال اقرأ يا هشام فقرأ فقال
هكذا أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأ فقال له هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا
ما تيسر منه وفيه بيان الحكمة وكما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم في انكاره عليه ما قاله في
نكاح المتعة وأمثاله كثيرة في كتب الحديث (وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك) يعني ان بعض
الصحابة نسب بعضهم الى الخطأ والوهم اذا ذكر أمر لم يكن معروفا عندهم مما يتعلق بسنن
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسيره أو بالقرآن وغير ذلك مما يتوقف على النقل ولا يقال
بالرأي فانهم لا مداهنة عندهم ولا مداراة في الحق ألا ترى ان عمر رضي الله تعالى عنه مع
جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال اني أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رأيت رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له

مداراة مع الخلق ومداهنة في الحق (تمنعهم) من الانكار وتحملهم على السكوت الذي هو بمنزلة الاقرار (ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم) أي ولو في الجملة (لانكروه) أي ذلك المسموع وأنكروا على ناقله أيضا (كما أنكر بعضهم) أي بعض الصحابة (على بعض) أي آخرين (أشياء رواها) أي نقلها بعضهم (من السنن والسير وحروف القرآن) بيان لاشياء والمراد بالسنن الاحاديث المتعلقة بالاحكام وبالسير الروايات المختصة بشمائله عليه الصلاة والسلام وبحروف القرآن قراآته كانكار عمر رضي الله تعالى عنه على هشام بن حكيم بن حزام اذ سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء به اليه فقال سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأتنيها فقال
اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر
فقرأ فقال هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه رواه الأئمة الستة (وخطأ بعضهم بعضا) بتشديد
الطاء أي نسب بعضهم بعضا الى الخطأ في اجتهاداتهم واستنباطاتهم (ووهمه) بتشديد الهاء أي ونسب بعضهم بعضا الى الوهم في
رواياتهم (في ذلك) أي في جميع ما ذكر من السنن والسير والقرآن

(مماهو معلوم) أي عند أرباب الدرايات كتخطئة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نوفل البكالي في قوله ان موسى الخضر ليس موسى بني اسرائيل (فهذا النوع) أي الذي رواه العدد اليسير لا الجمع الكثير (كله) أي جميع افراده (يلحق) بفتح الياء على ماقاله الحلبي وغيره وكذا بفتح الحاء والاظهر ان يكون بصيغة المجهول ووقع في أصل الدلجي ملحق بالميم وصيغة المفعول وهو نسخة أيضا والمعنى يوصل (بالقطعي من معجزاته) ويعطى حكمه من كراماته (لما بيناه) مما يؤذن بان رواية بعضهم وسكوت بعضهم بمنزلة وقوع الاجماع فان هذه الامة لا تجتمع على الضلالة (وأيضا فان امثال الاخبار التي لا أصل لها) أي كالموضوعات (وبنيت على باطل) أي غرض فاسد من الخيالات (لابد مع مرور الازمان) أي مضي الاوقات (وتداول الناس) أي في الروايات (وأهل البحث) أي عن حال الرواة (من انكشاف ضعفها) أي لافراق من تبين ضعف أمرها (وخمول ذكرها) أي وخموده عند أهل المعرفة بسندها (كما يشاهد) بصيغة المجهول وفي نسخة بضم النون وكسر الهاء أي كما نرى ونعلم ويظهر (في كثير من الاخبار الكاذبة والاراجيف الطارئة) بالهمزة ويبدل أي الحكايات العارضة (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة أي معجزاته التي هي لشهرتها وانتشارها كالاعلام جمع علم على عجز من ناواه وورد من عاداه (هذه الواردة) أي كل واحد منها (من طريق الآحاد) أي المفيدة للظن مبني لكنه اذا ضم بعضها الى بعض صارت متواترة موجبة للقطع معنى (لا تزداد) أي بايراد تلك الآحاد (مع مرور الزمان الا ظهورا) أي اجلالا للمؤيد بها وامدادا وارغاما لمنكرها عنادا (ومع تداول الفرق) أي للامور فرقة ففرقة كذا قرره الدلجي بناء على ما وقع في أصله وفي أكثر النسخ تداول القرون وهو المناسب لمقابلة ماسبق من قوله تداول الناس (وكثرة طعن العدو) أي الاعداء فانه يطلق على الجمع والمفرد مع افراد لفظه ولذا قال (وحرصه على توهينها) أي ابطالها (وتضعيف أصلها) أي باعتبار متنها واسنادها (واجتهاد الملحد) أي بذل الظالم وسعه عادلا عن الحق قال الدلجي وفي نسخة واجهاد بلا تاء أي نفسه أي ايقاعها في مشقة وجد وكد ومبالغة

لا نقل كذا فان الله تعالى لما أخذ العهد على ذرات بني آدم أودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفي بالعهد فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة فدعاه عمر فقال لا عدمناك يا أبا الحسن والوهم والخطأ هنا بمعنى وروى وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الرأي (مماهو معلوم) بيان لذلك (فهذا النوع كله) من المعجزات المروية بطريق الآحاد ولم يشتهر اشتهارا يقرب من التواتر (يلحق) بفتح أوله وضمه (بالقطعي) أي يعد من قبيل المقطوع به (من معجزاته كما بيناه) من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه فهو كالاجماع السكوتي (وأيضا) الناوجه يؤيد كونها كالقطعي (فان امثال) هذه (الاخبار) المتعلقة بالمعجزات الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار (التي لا أصل لها) رواية (وبنيت على باطل) بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ (لابد مع مرور الازمان) عليها في نقلها في عصر بعد عصر (وتداول الناس) أي تلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه وأخذه بعضهم من بعض قال الله تعالى * وتلك الايام نداولها بين الناس (وأهل البحث) أي التفتيش عنها والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقما (من انكشاف ضعفها) أي ظهوره (وخمول ذكرها) بان تنسى ولا يشتهر لها ذكر لكونها لا أصل لها (كما يشاهد) بالمثناة التحتية أو الفوقية ويجوز قراءته بالنون ان يعرف ويتحقق (في كثير من الاخبار الكاذبة) التي ظهرت في بعض الازمنة ثم تبين كذبها وصارت كأن لم تكن شيئا مذكورا كأخبار مسيلمة الكذاب واضرابه (والاراجيف الطارئة) أي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب أمواجه وقال بعض الشعراء فيمن اصابته رعشة في يده

ما كان من رجاف كفك منكر * فالبحر من أسمائه الرجاف

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارئة بالهمزة والياء التحتية من طرأ اذا حدث وتجدد (واعلام نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة أو راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة (هذه الواردة) أي المروية (من طريق الآحاد) بالمد أي التي رويت آحادا ولم تتواتر (لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا) ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفا (ومع تداول الفرق) أي تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة وهو بكسر الفاء وفتح الراء جمع فرقة (وكثرة طعن العدو) من أعداء الدين الكفرة والطعن القدح والدخل بالمعارضة (وحرصه على توهينها) أي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه حضه بضاد معجمة أي حثه وتحريضه (وتضعيف أصلها) بالانكار والعناد وادعاء انها سحر وافتراء (واجتهاد الملحد) أي بذل طاقته وقوته

(على اطفاء نورها) يعني وهي لاتزداد مع ذلك (الاقوة وقبولا) أي للصنف المذعن للحق (ولا للطاعن) أي ولا تزداد للذام العائب (عليها الاحسرة وغليلا) بفتح الغين المعجمة أي حرارة وعطشا يهلك من كان غليلا (وكذلك) أي وكاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة أي اعلامه (عن الغيوب) كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم مما أخبر به من المغيبات في حديث الحاكم بلاء يصيب هذه الامة حتى لايجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم وقد وجد هذا عند أهل العلم (وانباؤه) بكسر الهمزة أي واخباره (بما يكون) أي في الآخرين (وكان) أي وبما كان في الاولين أو بما يكون في الغيوب وبما كان من العدم (معلوم) أي كل ذلك معلوم كونه (من آياته) أي علاماته الدالة على صدق حالاته وصحة معجزاته (على الجملة) أي من غير نظر الى الطريق المفصلة (بالضرورة) أي بالبداهة العقلية فهو في الجملة قطعي الدلالة من غير احتياج علمنا بكونه منها الى كسب من تفكر واستدلال بالادلة (وهذا حق) أي أمر ظاهر (لاغطاء عليه) ولا مرية لديه

(وقد قال به) أي بكون اخباره بما يكون الخ (من أئمتنا) أي الاشعرية (القاضي) قال الحلبي الظاهر انه أبو بكر الباقلاني المالكي

والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل عن الاستقامة والحد ولحد في دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين يلحدون في آياتنا هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وفي نسخة باجتهاد بدون تاء من أجهد أي اتعابه نفسه وكدها (على اطفاء نورها) أي ابطالها فشبه المعجزات لسراج منير ونار على علم في الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفاء اليها على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله أو ضمنه بمعنى الملازمة والانكباب فهم كما قال الله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ومن حكم أهل الهند ان الرجل ذو المروءة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروءته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى الا ارتفاعا ومنه أخذ ابن الرومي قوله

كالذي طأطأ الشهاب ليخفى * وهو أدنى له الى التصريم

ومنه أخذ الارجائي قوله

مالشانئك يلتظي من غرور * وله آخر ترقبت قمعه
كلما رام منه للرأس رفعا * زاد خفضا كأنه نار شمعه

وأحسن من هذا كله قوله في بعض الحساد

رام بالذل ان ينكس قدري * حاسد زاد في سناو سناء
قلت ان الشهاب شعلة نار * كلما نكسوه زاد ضياء

وقوله (الاقوة وقبولا) معطوف على قوله الاظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته بظهور حقيقته وتيقنه وهو مقابل لما في ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين وانكارهم (وللطاعن) أي المنقص الذي يعيبها او يسعى في ابطالها والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعدما كان صفة وعداه بعلى في قوله (عليها) لانه ضمنه معنى المتعدى عليها الانه يتعدى بفي وقوله (الاحسرة) وهو التأسف والتندم على مهم فاته وآيس منه (وغليلا) بالغين المعجمة وأصله حرارة وتلهف في الجوف من شدة العطش والمراد به هنا مجازا الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه في متعلقه الابتأويل فتدبر (وكذلك) أي كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد (اخباره) بكسر الهمزة مصدر أخبر (عن الغيوب) جمع غيب وهو ماخفي علمه عن الناس كالدجال والمهدي ودابة الارض وغير ذلك مما أخبر به بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم (وانباؤه) بوزن أخباره ومعناه (بما يكون) في المستقبل من اشراط الساعة ومما يقع بين أمته عليه الصلاة والسلام من الفتن وغيرها (و) ما (كان) في الماضي كأحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لايعلم الابوحي أو حفظ الكتب الالهية التي لم يقرأها ولم ير من عرفها (معلوم) انه (من آياته) ومعجزاته الخارقة للعادة اما الاول فظاهر وأما الثاني فلانه عليه الصلاة والسلام أمي ولايخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

(على الجملة بالضرورة) أي معلوم بعلم ضروري مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد كذلك (وهذا حق) أي أمر محقق متيقن (لاغطاء عليه) ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه (وقد قال به) أي اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره (من أئمتنا) المقتدى بهم من الاشعرية أو المالكية (القاضي) أبو بكر الباقلاني الاصولي المالكي لانه المراد به اذا أطلق وبه صرح

(والاستاد) بالدال المهملة وقيل بالمعجمة (أبو بكر) أى ابن فورك بضم الفاء (من الشافعية وغيرهما) أى من الأئمة الحنفية والحنبلية والمشايخ الماتريدية من أكابر أهل السنة والجماعة (وعندى أوجب قول القائل) بالنصب وفى أصل الدلجى ما أوجب أى ما أثبت قوله وفى نسخة وما عندى أوجب قول القائل (ان هذه القصص المشهورة) أى فى باب المعجزات وخوارق العادات (من خبر الواحد) أى انما هى من خبر الآحاد وهى لا تفيد الا ظنا مبينا لا علما يقينا وما ألجأه الى قوله هذا (الا قلة مطالعته) أى ملاحظة هذا القائل (للاخبار) أى للاحاديث الصريحة (وروايتها) أى وقلة معرفته بالاسانيد الصحيحة (وشغله بغير ذلك من المعارف) بضم الشين وفتحها وبضمتين أى وكثرة اشتغاله بغير ماذكر من الادلة النقلية المفيدة للعلوم اليقينية من الآلات والادوات العربية والمعارف الجزئية التى مأخذها الامور الظنية والعوارف الوهمية (والا) أى وان لم يكن موجب قوله ذلك قلة اعتنائه بما هنا لك (فمن اعتنى) أى اهتم (بطرق النقل) أى أسانيد المنقول فى هذا الباب (وطالع الاحاديث والسير) أى كتبهما على ما رتب فى الابواب (لم يرتب) من الارتياب أى لم يشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) أى الروايات المأثورة والحكايات المذكورة وتبين له انها (على الوجه الذى ذكرناه) أى على الطريق الذى قررناه والمنهج الذى حررناه من انها من باب التواتر معنى وان كانت من أحاديث الآحاد مبنى (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد) أى من أهل الحديث والقراءة مثلا (ولا يحصل عند آخر) اذا كان عاريا عن معرفتها أصلا وفرعا (فان أكثر الناس يعلمون بالخبر كون) وفى نسخة ان فى أخرى كون ان (بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة) أى كبيرة مشهورة (ودار الامامة والخلافة) ومحل العلماء ومنزل الاولياء بعد ان عمرت فى زمن أبى جعفر المنصور العباسى أخى السفاح سنة خمس وأربعين ومائة وكانت قبل ذلك مبقلة وسبق انه يجوز فى داليها اعجام واهمال والمرجع اهمال الاول واعجام الثانى كما صرح فى رواية الشاطبية

صاحب المقتفى هنا قال والمراد بقوله (والاستاذ أبو بكر) ابن فورك كما تقدم من كلامه المصنف وقيل المراد بالاول أبو بكر بن العربى شارح الترمذى وبالثانى أبو بكر الباقلانى أو العكس والاول مالكى والثانى عده المصنف من المالكية وعده السبكى فى طبقاته من الشافعية وقال التلمسانى ان المراد بالثانى أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى والاستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة والمولدون يريدون به الطواشى وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل (وغيرهما) من الأئمة أى ذهب هؤلاء كلهم الى انها معلومة بعلم ضرورى قطعى فهى متواترة بحسب المعنى وان لم تتواتر مفرداتها (وما عندى أوجب قول القائل) وفى نسخة تأخير ما عن عندى وهى نافية ومعنى عندى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق بأوجب (ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد) أى من قبيل خبر الآحاد التى لا توجب العمل وأوجب بمعنى اقتضى واستلزم وألجأ أى لم يلجئه لذلك (الا قلة مطالعته للاخبار) النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها (وروايتها وشغله) بضم أوله أى اشتغاله (بغير ذلك من المعارف) غير الاحاديث من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تأدب مع العلماء وعدم المجاهرة بالقدح فيهم (والا) أى لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر (فمن اعتنى) أى كانت له عناية واشتغال (بطرق النقل) أى الامور النقلية السماعية (وطالع الاحاديث والسير) النبوية بان درسها وقرأها (لم يرتب) أى لم يحصل عنده ريبة وشك (فى صحة هذه القصص المشهورة) عند المحدثين والحفاظ (على الوجه الذى ذكرناه) من جمع طرقها وضم بعضها البعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى قيل وقوله لم يرتب قاض برد اعتراضه على من قال انها آحاد اذ لم يرد به مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم أشار الى دفع شبهة هى انه لو كانت الآحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معنى عند غيره فقال (ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر) الحقيقى (عند واحد ولا يحصل عند آخر) فبالطريق الاولى التواتر المعنوى وقد قيل بمثل هذا فى البسملة وجمع به بين الخلاف وبين الأئمة فان اثباتها فى أوائل السور واسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفى على كثير (فان أكثر الناس يعلمون بالخبر) المتواتر (كون بغداد موجودة) وهى المدينة المشهورة بدار السلام اما السلامة أهلها من فساد وتغير المزاج أو لان نهرها يسمى السلام وهى فارسية معربة ومعناها محل البساتين لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداده معناه العطية أى عطية الصنم ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثانى وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والنون والاهمال والاعجام والاهمال أصح وقالوا بغدين أيضا (وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة) بكسر أولهما وهما بمعنى

(وآحاد من الناس) أي الذين في أطراف العالم واكنافه (لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها) أي من رسمها ووسمها (وهكذا) أي
وكعلم بعض الناس بغداد وجهل غيرهم بها (يعلم الفقهاء من أصحاب مالك) أي مثلا من حيث تقليدهم لما هنالك (بالضرورة) أي
بالبديهة الضرورية من غير احتياج الى التفكر والرؤية (وتواتر النقل) وفي نسخة صحيحة والنقل المتواتر (عنه) أي عن مالك
الامام (ان مذهبه ايجاب قراءة أم القرآن) أي سورة الفاتحة من غير البسملة (في الصلاة للمنفرد والامام) أي دون المأموم وان لم يسمع
قراءة امامه بل يكره له في الجهرية قراءتها وهذا موافق لمذهب الامام أبي حنيفة رحمه الله تعالى على

تفصيل في كتبهم
والشافعي يوجبها على
المأموم أيضا (واجزاء
النية) أي وان مذهبه
الاكتفاء بالنية (في أول
ليلة من رمضان) أي
لجميع أيامه (عما سواه)
أي من بواقي لياليه
(وان الشافعي) أي
وكذا يعلم الفقهاء من
أصحابه وربما يعلم
غيرهم أيضا بالضرورة
ونقل المتواتر عنه وكذا
عن أبي حنيفة انه
(يرى) أي وجوبا لا ندبا
(تجديد النية كل ليلة)
أو قبل نصف النهار
الشرعي عند أبي حنيفة
(والاقتصار) أي وان
الشافعي يرى الاقتصار
(في المسح على بعض
الرأس) وهو ما يطلق
عليه اسم المسح أخذا
باليقين ومالك يرى
وجوب مسح كله
احتياطا وأبو حنيفة
عمل بحديث مسلم
في مسحه صلى الله تعالى
عليه وسلم على الناصية وهو ربع الرأس ودليلنا حجة
عليهما (وان مذهبهما) أي مالك والشافعي (القصاص) أي القود (في القتل بالمحدد) أي مما يجرح كالسنان (وغيره) مما لا يجرح
كالعصا (وايجاب النية في الوضوء) أي في أوله (واشتراط الولي في النكاح) أي في عقده (وان أبا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل)
أي لما قام عنده مما صح من الدلائل كما بيناه في شرحنا المسمى بالمرقاة للمشكاة في حل المشكلات لكل طالب وسائل وما يتوقف
عليه من الوسائل

والخلافة هي الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهي السلطنة بحق وسميت
امامة لان الامامة والخطبة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها
غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضاء والحكومة ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعنى دارها
مقرها ومحلها وأول من بنى بغداد هذه أبو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني خلفاء بني العباس
(وآحاد) بالمد جمع واحد (لا يعلمون اسمها) لعدم سماعه (فضلا عن وصفها) من كونها دار الخلافة
متنزهة عظيمة البناء وفضلا منصوب بالمصدرية يفيد أولوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط في
العربية مشهور ثم ذكر مثالا آخر في الشرعيات فقال (وهكذا) أي مثل أمر بغداد (يعلم الفقهاء من
أصحاب مالك) المقلدين لمذهبه فتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا (بالضرورة) أي بالعلم
الضروري أي البديهي لا الاضطراري لتواتره عندهم فقوله (وتواتر النقل عنه) كالمفسر له (ان
مذهبه ايجاب أم القرآن) أي الفاتحة ووجه التسمية مشهور (في الصلاة للمنفرد والامام) دون المأموم
فان قراءة امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها وكذا مذهب أبي حنيفة
رضي الله تعالى عنه كما فصل في كتب الفقه (واجزاء النية) أي نية صوم رمضان كله (في أول ليلة من
رمضان عما سواه) الضمير راجع لاول فلا يحتاج في بقية الشهر الى نية أخرى اكتفاء بتلك النية
والاجزاء بمعنى الكفاية والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهاني في شرح المحصول والفرق
بينه وبين الصحة مفصل في كتب أصول الفقه (وان الشافعي رضي الله عنه يرى) من الرأي بمعنى
المذهب (تجديد النية كل ليلة) قبيل الفجر فمذهبه ان النية واجبة في كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم
بالضرورة عند الفقهاء لتواتره عند أصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية
جديدة لحديث (انما الاعمال بالنيات) والمراد الاعمال الشرعية أي انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها
كما بين في محله (والاقتصار على مسح بعض الرأس) أي ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض
الرأس يجزي عند الشافعي لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطا
(وان مذهبهما) أي مالك والشافعي (القصاص) أي وجوبه (في القتل بالمحدد) اسم مفعول مشدد
الدال وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه (وغيره) مما لا حد له كالعصا والحجر والشجر (وايجاب
النية في الوضوء) فهي واجبة عندهما لانه عبادة فلا بد من النية فيه ليكون قربة ولتتميز العبادة عن
العادة باخلاص العمل بالنية (واشتراط الولي) وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب
والسيد (في النكاح) أي في صحته وانعقاده كما فصل في كتب الفقه (وان أبا حنيفة) النعمان بن ثابت
الامام المشهور شهرته تغني عن ذكر ترجمته (يخالفهما في هذه المسائل) فلا يوجب القصاص في غير
المحدد بل الدية ولا يوجب النية في الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما في الاسرار للدبوسي ولا يشترط

في

(وغيرهم) أى من الفقهاء المذكورين ونحوهم كالحنبليين (ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى) وفى نسخة صحيحة ولا رأى (أقوالهم) أى ولا عرف مشاربهم (لا يعرف) وفى نسخة صحيحة ولا يعلم (هذا) أى ما ذكر من هذه المسائل وأمثالها (من مذاهبهم) أى ولو كان على منهجهم وادعى بانه فى مشربهم لكنه ما باشر الا علوما أخر وضيع عمره فيما لا ينفعه فتدبر (فضلا عمن) وفى نسخة (عما سواه) أى عمن لم يباشر العلوم أصلا ولم يمازج كتابا ولا فصلا ولا فرعا ولا أصلا (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات) أى اجمالا كافيا (نزيد الكلام فيها بيانا) أى شافيا (ان شاء الله تعالى)

(فصل)

(فى اعجاز القرآن) أى بيان اعجازه فى أطنابه وايجازه (اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز) أى الغالب على سائر الكتب لكونه معجزا ولكونه ناسخا لغيره فى بعض أحكامه (منطو) أى مشتمل ومحتو (على وجوه من الاعجاز) أى من أنواع (كثيرة) وأصناف غزيرة (وتحصيلها) مبتدأ أى وتحصيل وجوهه الكثيرة بطريق اجمالها (من جهة ضبط أنواعها) أى مع اندماج أصنافها واندراج أجناسها (فى أربعة أوجه) أى منحصرة فيها (أولها حسن تأليفه) أى تركيبه بين حروفه وكلماته وآياته وسوره وقصصه وحكاياته (والتئام كلمه) أى وانتظام كلماته فى سلك مبانيها المتناسبة لمقتضى معانيها المتناسبة بين أعاليها وأدانيها (وفصاحته) أى ووضوح بيان معانيه مع اقتصاد مبانيه (ووجوه ايجازه) أى من قصر وحذف لا كتفاء وايماء (و بلاغته) أى فى عجائب التراكيب وغرائب الاساليب و بدائع العبارات وروائع الاشارات (الخارقة) أى المتجاوزة (عادة العرب) من فصاحتهم وبلاغتهم (وذلك) أى ما ذكر من عادتهم (انهم كانوا أرباب هذا الشأن) أى من جهة الفصاحة (وفرسان الكلام) أى فى ميدان البراعة

فى النكاح الولى كما فصلوه يعنى ان مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا فى كتبهم فيقولون خالف فلان فى كذا فلانا وان تقدم عصره عليه (وغيرهم) أى غير الفقهاء وأصحاب المذاهب (ممن لم يشتغل بمذاهبهم) أى مذاهب الفقهاء ومن ذكر من الائمة (ولا روى أقوالهم) ممن قلدهم واشتغل بكتبهم (لا يعرف هذا) الا الامر الذى وقع فيه الخلاف منهم (من مذاهبهم) وأقوالهم (فضلا عما سواه) أى سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة (وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا) بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد (ان شاء الله تعالى ذلك)

(فصل فى اعجاز القرآن) أى فى بيان اعجازه والقرآن بالهمزة وقد تسهل وتبدل ووزنه فعلان على الصحيح وتقدم بيان الاعجاز وهو جعل غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله (اعلم وفقنا الله واياك) أى رزقنا التوفيق والجملة دعائية وتصديره باعلم تنبيها له على ما بعده أمر مهم يلزم علمه (ان كتاب الله العزيز) بفتح الهمزة وهو وما بعده ساد مسد مفعولى اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوى الغالب وبمعنى الذى لا نظير له و يجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله أو الكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب المراد به القرآن لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسى وما بين الدفتين وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستانى والكلام فيه مشهور والمراد الثانى لانه هو المتصف بالاعجاز (منطو) أى مشتمل ومحتو افتعال من الطى وهو معروف (على وجوه من الاعجاز كثيرة) أى أنواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر (وتحصيلها) أى محصلها اجمالا فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير أى مضروبه والضمير للوجوه (من جهة ضبط أنواعها) أى حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة (فى أربعة أوجه) خبر تحصيل أو متعلق بقوله ضبط (أولها حسن تأليفه) أى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة (والتئام كلمه) عطف تفسير أى كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعى لكلمة كتمر وتمرة لا جمع ولا اسم جمع على الاصح (وفصاحته) قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور فى كتب المعانى (ووجوه ايجازه) أى قلة ألفاظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة فى المعانى (و بلاغته الخارقة عادة العرب) عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال (وذلك) أى ما ذكر من عادتهم (لانهم) أى العرب (كانوا أرباب هذا الشان) الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة وجعلهم أربابها أى أصحابها المالكون لها الذين بيدهم أزمتها وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة والبلاغة (وفرسان الكلام) جمع فارس أو جمع فرس الذى هو جمعه والفرس يكون أيضا جمع فارس بمعنى عجمى كما فى شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به فى ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب السبق فيه

(قد خصوا من البلاغة والحكم) أى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم أى المعانى المحكمة المتقنة ومايحث على مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات وفيه كلام تقدم (بما لم يخص به غيرهم) قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد فى غيرهم لكنه غيره لئلا يشاكل ماقبله ولان نفى الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم فلا يقال انه لا يلزم من نفى الاختصاص نفى الوجود وهو المقصود وفيه بحث (من الامم) أى جميع الامم السالفة واللاحقة (وأوتوا) بالبناء للمجهول أى أعطاهم الله (من ذرابة اللسان) المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة أصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل هى ان تسقى السم والذراب السم فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلوعن اللكنة قال

أرحني واسترح منى فانى ❊ ثقيل محملى ذرب لسانى

وهذا أمر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال الله تعالى سلقوكم بالسنة حداد (مالم يؤت انسان) أى لم يؤته غيرهم من الامم لكنه أتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة كقوله (ومن فصل الخطاب) أى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء كما تقدم (ما يقيد الالباب) جمع لب وهو العقل ويقيدها بمعنى يحيرها اذا سمعته حتى كأنها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته (جعل الله لهم ذلك) المذكور الذى خصوا به (طبعا وخلقة) مركوز فى طباعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم (وفيهم غريزة) أى جبلة وسجية مركوزة فيهم (وقوة) المراد بالقوة مقابل الفعل وليس بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة أيضا وتكرار الالفاظ المتقاربة لا بأس به هنا لانه مقام خطابة أو المراد بالقوة القدرة أى هذا أمر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا اعقبه بقوله (يأتون منه على البديهة بالعجب) أصل معنى البديهة الفجاءة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر ونظر بديهة فيقال أجاب على البديهة وله بدائع بداهة وهذا معلوم فى بداهة العقول وحقه فى بداهة جربه والعجب بمعنى الامر الذى يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكأنه لم يعهد فما قيل انه غير صحيح هنا لا وجه له (ويدلون به) بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وباللام من أدلى دلوه فى البئر اذا نزله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضى الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضى الله تعالى عنه وقد دلونا اليك مستشفعين أى توصلنا (الى كل سبب) أى طريق ووسيلة الى حصول مهمات أمورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفى قوله سبب هنا تورية لانه فى الاصل بمعنى الحبل فذكره بعد الادلاء فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والرفق وقيل المراد بالسبب الطلب العالى الشبيه باسباب السموات أى نواحيها كأنه شبه ذلك الطلب فى عزة نيله بنواحى السماء والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما نالوه من القرائح الزكية ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله (فيخطبون) الى آخره انتهى ولا يخفى انه يلائم ما نحن فيه (بديها) أى ينشؤن الخطب بمقتضى طباعهم بديهة من غير تكلف (فى المقامات) أى محافل الناس ومجامعهم على رؤس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام أو مقامة يقال قام بين يدى الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون قياما فلذا سميت مقامة ثم أطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما (وشديد الخطب) أى الامر العظيم الشان الذى من شانه ان يقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطر الشان عظم أو صغر

غيرهم من الامم) أى سابقة ولاحقة (وأوتوا من ذرابة اللسان) بفتح الذال المعجمة أى حدته وبساطته وسلاطته (ما لم يؤت) أى مثله (انسان) أى ممن عداهم وكان الاولى ان يقول الانسان ويراد به جنسه لانه أنسب فى مقام سجعه (ومن فصل الخطاب) أى بيان المراد فى الفصول والابواب (ما يقيد الالباب) بكسر التحتية الثانية المشددة أى يمنع أرباب العقول الخالصة ان يأتوا بمثل كلامهم وعلى نهج مرامهم (جعل الله لهم ذلك) أى ماخصوا به (طبعا وخلقة) أى سليقة وجبلة (وفيهم) جعل ذلك فيهم (غريزة) أى سجية (وقوة) أى وقدرة بديهية (يأتون منه) أى من الكلام الوافى للمرام (على البديهة) من غير الروية (بالعجب) أى العجاب (ويدلون) بضم الياء واللام أى يتوسلون (به الى كل سبب) أى من الاسباب فى السؤال والجواب وسائر فصول الخطاب (فيخطبون) أى الخطب البليغة (بديها) أى من جهة البديهة (فى المقامات) أى على حسب ما يلائمها من المقالات (وشديد الخطب) أى فى الامر العظيم الشأن والحال الذى يقع فيه تفخيم البيان

(ويرتجزون به) أى يوردونه رجزا فى حال الحرب (بين الطعن والضرب) فالطعن بالرمح ونحوه والضرب بالسيف وغيره (ويمدحون) أى بعضهم بعضا اظهار المفخرة أو كسبا للمحمدة أو جلبا للفائدة (ويقدحون) أى ويطعنون ويذمون بعضهم بعضا أيضا لاحد الاغراض السابقة وهذا المعنى بحسب التقابل هو المناسب للمرام وأبعد الدلجى فى قوله ويقدحون افكارهم فيستخرجون سحر الكلام فى أحسن النظام (ويتوسلون) أى به الى من يقصدون منه نجاح مآربهم (ويتوصلون) أى به الى الفوز بمطالبهم (ويرفعون) أى بمدحهم من أرادوا (ويضعون) أى بذمهم من شاؤا (فيأتون من ذلك) الكلام على وجه الاجمال وطريق الكمال (بالسحر الحلال) وهو ما لطف مبناه وشرف معناه ويستعار للكلام البليغ وقد ورد ان من البيان لسحرا أى سواء كان نثرا أو شعرا فانه ربما سحر الانسان وصرفه عن حيز التبيان والسحر فى الشرع حرام الا أنه حلال فى مقال وقع فى مقام مرام (ويطوقون) بكسر الواو المشددة أى يحملون (من أوصافهم) أى صفاتهم الحميدة وسماتهم المجيدة من ظنوه أهلا لتلك الاحوال نعوتا (أجمل من سمط اللآل) بكسر السين هو الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وفى نسخة بضمها على انه جمع سمط واختاره اليمانى لكن فى القاموس ان جمعه سموط هذا وقد قال الحلبى اللؤلؤة الدرة وجمعها اللؤلؤ واللآلى انتهى وفيه مسامحة اذ اللؤلؤ جنس واللآلى جمع وقد حذف المصنف ياءه مراعاة للسجع ونظيره فى الفواصل قوله تعالى الكبير المتعال (فيخدعون الالباب) فى ملهياتهم (ويذللون الصعاب) أى يهونونها فى مهماتهم بحسب ما يزينون مراماتهم فى مقالاتهم على وفق مقاماتهم (ويذهبون) بضم الياء وكسر الهاء أى يزيلون (الاحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد والضغينة واضمار العداوة

ويدب الامر ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجية وغريزة قوية (ويرتجزون به) أى ينشدون رجزا فى تلك المقامات بديعة يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم الى انه ليس بشعر (بين الطعن والضرب) كما ينشدون فى أنديتهم وهذا كقول على رضى الله عنه لما بارز مرحبا بخيبر

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة * كليث غابات كريه المنظرة * أكيلكم بالسيف كيل السندرة

وأمثاله مما لا يحصى (ويمدحون) من يستحق المدح فى مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار (ويقدحون) أى يذمون ويهجون يقال قدح فى عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله أى يقدحون افكارهم فيستخرجون معجز الكلام فى أحسن نظام لم يصب محز الكلام (ويتوسلون) بما ذكر من بليغ الكلام نظما ونثرا (ويتوصلون) عطف تفسير أى بالمذكور الى مطالبهم العالية (ويرفعون) من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقى لمرتبة لم يكن له بشهرة مدحه فيصير نابه الذكر بعد ان كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب أحد فى تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن (ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم ففيه لف ونشر (فيأتون من ذلك) المذكور كله (بالسحر الحلال) السحر فى الاصل الفطنة وكل ما دق ثم انه يشبه به الكلام البليغ الذى تلذ به النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقى معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو بامور يعرفها أهلها سيأتى الكلام عليها عند قوله وقولهم ان هذا الاسحر يؤثر (ويطوقون) بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل فى العنق من ذهب ونحوه (من أوصافهم) البديعة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية أى من وصفهم لغيرهم بمدحهم (أجمل من سمط اللآل) أجمل بمعنى أزين وأحسن وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالاضافة فمن قال صوابه سموطه لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانطاكى ونسبه للجوهرى وقال ان غيره قال ان السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام للابر وفيه نظر وفصله عقد المدائح على اللآلى لانه لا يفنى ولا يقاومه ثمن لعزته وأصل اللآل اللآلئ بهمزة فى آخره فابدلها ياء لسكونها وقفا ثم عامله معاملة المعتل فى الوقف فاسقطها كالعاص (فيخدعون الالباب) الخداع هو المكر واظهار أمر على خلافه لمن تريد به أمرا مكروها والالباب جمع لب وهو العقل كامر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة مكنية وتخييلية وتقدير ذوى العقول يذهب برونق الكلام (ويذللون الصعاب) أى يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال معجمة من الارض الذلول وهى التى تسهل المشى فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة وهى الناقة التى لا تنقاد (ويذهبون الاحن) بكسر

(ويهيجون) بتشديد الياء الثانية المكسورة وفى نسخة بفتح الياء الاولى وكسر الهاء وتخفيف الياء الثانية أى يحركون ويثيرون (الدمن) بكسر الدال المهملة وفتح الميم جمع دمنة وهى فى الاصل ماتدمنه الابل ونحوها بابو الهاء ابعارها أى تلبده فى مرابضها ثم استعمل فى الحقد لتلبده فى باطنه ولكونه من دمائم خاطره وفى نسخة الزمن بفتح الزاى وكسر الميم المقعد والمفلوج وفى نسخة الذمر بفتح الذال المعجمة وكسر الميم فراءوهو الشجاع وهووان كان يخالف ماقبله من مراعاة السجع الا أنه أبعد من التكرار المعنوى وأقرب للقابل اللفظى بقوله (ويجرؤن الجبان)

بتشديد الراء المكسورة أى يحملونه على الجرأة والشجاعة والجبان بفتح الجيم والموحدة المخففة ضد الشجيع (ويبسطون) بضم السين أى ويفتحون (يد الجعد البنان) أى البخيل اللئيم الشان وأصل الجعد بفتح الجيم وسكون العين وهو الانقباض فى الشعر ضد السبط المسترسل والبنان بفتح الموحدة وتخفيف النونين أطراف الاصابع جمع بنانة ومنه قوله تعالى بلى قادرين على أن نسوى بنانه (ويصيرون) بتشديد التحتية الثانية أى يحولون (الناقص كاملا) بحسن رعايتهم وعين عنايتهم (ويتركون النبيه) أى المشهور بالنباهة والتنبه عن نوم الجهالة (خاملا) أى متروكا شانه ومجهولا بيانه (منهم البدوى) أى من يسكن البادية مع كون غالبهم عنه المعرفة عارية (ذو اللفظ الجزل) بفتح الجيم وسكون الزاى أى صاحب الالفاظ التى فيها الجزالة والسلاسة الكاملة فى الدلالة من مراتب الفصاحة والبلاغة (والقول الفصل) أى البين أمره والمبين حكمه (والكلام الفخم) أى العظيم المرام (والطبع الجوهرى) منسوب الى جوهر وهو معرب واحده جوهرة وهذا مدح جزيل ووصف جليل كذا ذكره الحلبى واقتصر عليه ووقع فى أصل الدلجى بلفظ الجهورى أى الشديد الصوت العالى والواو زائدة من جهر بصوته اذا رفعه بشدة وفى حديث العباس انه نادى بصوت جهورى انتهى والظاهر انه تصحيف فى المبنى وتحريف فى المعنى اللهم الا أن يتكلف كما اقتصر عليه الشمنى فقال المراد بالطبع الجبلة والجهورى الذى قد اشتهر من قولهم جهر بصوته اذا شهره ورفعه اذ الطبع لا يقبله والمقام لا يلائمه كما لا يخفى على من تأمله

الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بكسر فسكون وهى الحقد (ويهيجون الدمن) بضم أوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء أى يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم والنون جمع دمنة وهى فى الاصل مافى مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من أبوالها استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن وهى استعارة لغة شائعة فى كلامهم قال الشاعر

أرعى الامانة لا أخون ولا أرى * أبدا أدمن عرصة الاخوان

وكون المراد به آثار السكان فى الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها فيهيجون الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيد هنا فلا يغتر بما قيل (ويجرؤن الجبان) بالتشديد والهمز من الجرأة وهى الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع أى يجعلونه شجاعا بعد جبنه (ويبسطون يد الجعد البنان) باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها مدها واذهاب جعودتها وهى انقباضها والجعد اذا أضيف الى اليد أو البنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم فان أطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط والمعنى انهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال أبو عبيد الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما فى المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور أو ان شعره جعد غير سبط لان السبوطة أكثر فى العجم وفى الذم معناه القصير أو البخيل (ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغييرها وتبديلها (ويتركون النبيه) الشريف المشهور (خاملا) أى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال (منهم) أى من العرب (البدوى) وهم سكان البادية النازلون فى الاخبية والدارات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لا يسكنون القرى والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضرة لحضور بعضهم لبعض فيها والنسبة للبادية أو للبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوى بفتح أوله وكسره أو هو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية أيضا (ذو اللفظ الجزل) أى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل ويكون الجزل بمعنى الكثير أيضا ومنه الثواب الجزيل (والقول الفصل) بالصاد المهملة أى الفاصل بين الحق والباطل قال الله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل وأصل معنى الفصل الحجز ومنه فصول الكتب (والكلام الفخم) أى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم أو المتضمن المعانى الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة أو هو من التفخيم ضد الترقيق لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقواه (والطبع الجهورى) أى طبعوا على جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال فى القاموس جهر ككرم وفخم الصوت ارتفع وكلام جهر ومجهر وجهورى عال وفى الحديث نادى

(والمنزع القوى) بفتح الميم والزاى أى والمشرب الصفى (ومنهم الحضرى) بفتحتين أى من يسكن الحاضرة ضد البادية من المصر او القرية (ذو البلاغة البارعة) أى الفائقة اللائقة (والالفاظ الناصعة) أى الخالصة من شوائب الركاكة لبلاغة مبانيها وفصاحة معانيها (والكلمات الجامعة) أى لمعان كثيرة فى ضمن مبان يسيرة (والطبع السهل) أى المنقاد للاهل كالماء فى سلاسته والنسيم فى لطافته (والتصرف فى القول القليل الكلفة) أى اليسير المؤنة لسهولة المعونة (الكثير) أى وفى القول الكثير (الرونق الرقيق الحاشية) أى الجزل الحسن فى المبنى واللطيف الطرف فى المعنى (وكلا البابين) أى بابى كلام كل (فى كل مقام مطابق) لما قصد من المرام (فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) أى الواصلة الى مقام النهاية والغاية واعادة المصنف الضمير فى فلهما الى معنى كلا وهو مذهب الكوفى والمختار رأى البصرى وهو ان يفرد الضمير بناء على لفظه وبه جاء القرآن فى قوله سبحانه وتعالى كلتا الجنتين آتت أكلها (والقوة الدامغة) أى الماحقة للامور الزاهقة ومنه قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وفى حديث على دامغ جيش الاباطيل (والقدح) بكسر القاف أى السهم والمراد به واحد الازلام لا الذى قبل ان يراش كما يتوهم من تقرير الحلبى نعم هو أصله لكن قصد هنا فصله بقرينة قوله (الفالج) بكسر اللام أى الفائز الغالب

بصوت جهورى وفى نسخة جوهرى نسبة للجوهر وهو الخالص النقى أو القدم الجرى فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزبرد ونحوه فهو استعارة للنفس وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به ومن الشئ ما وضعت عليه جبلته والجرى المقدم انتهى والواو زائدة وقيل انه بمعناه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعبر به عن البهاء والحسن كما قال الاعرابى

جهير الرواء جهير الكلام * جهير العطاس جهير النعم

وهذا أشبه بطريقة المصنف رحمه الله تعالى فى فصاحته (والمنزع القوى) مفعل من النزع وهو الجذب والاخذ ونزع الماء من البئر أخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمى أو اسم مكان والاول أظهر أى يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطباعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شق عليه (ومنهم الحضرى) نسبة الى الحضر بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة أيضا والحضارة سكنى الحضر وهى الامصار والقرى (ذو البلاغة البارعة) أى الفائقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه (والالفاظ الناصعة) أى الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة (والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الالفاظ القليلة الموجزة (والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو أرق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تشربه مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن (والتصرف فى القول القليل الكلفة) فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف أو للقول فلا يورد فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع لقرابته أو تعقيده (الكثير الرونق) أى الحسن واللطافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى

وبديع كأنه الزهر الضاحك * لك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يخلقه عوده على المستعيد

(الرقيق الحاشية) أصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفى الاساس من المجاز عيش رقيق الحواشى وكلام رقيق الحواشى وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا (وكلا البابين) أى كلا القسمين من كلام البدوى والحضرمى فى مقامه ومحله وعند أهله (فلهما فى البلاغة الحجة البالغة) قيل ان فى الكلام تقديرا وأصله واما كلا البابين الى آخره فالفاء واقعة فى جواب اما المقدرة ولا يخفى انه ركيك ولو حذفها كان أولى ولو قيل كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به أو مما له شان عظيم وما بعده مبنى عليه كان أحسن لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه اذا خصمه وألزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما القائل فى قوله

كلاهما حين جد الجرى بينهما * قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

(والقوة الدامغة) أى الغالبة لغيرها من سائر اللغات وأصل الدمغ الضرب على الدماغ فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل أى أبطله ودمغت فلانا قهرته (والقدح الفالج) بسكون القاف وسكون الدال والحاء المهملتين واحد قداح الميسر وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التى كانوا يقامرون بها فى الجاهلية ولها أسماء مشهورة ومنها ماله نصب زائد ومنها ما لا نصب له والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز يقال فلج أمره أى فاز وسعد أى لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها

(والمهيع) بفتح الميم والتحتية أى الطريق الواسع (الناهج) أى السبيل السالك الواضح وفى حديث على اتقوا البدع والزموا المهيع (لايشكون ان الكلام طوع مرادهم) أى منقادون لما يرون من ايرادهم (والبلاغة ملك قيادهم)

وقيل المراد ما تنتجه الافكار واصابة الآراء وجودة الانظار وهو أمر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه (والمهيع الناهج) بفتح الميم وسكون الهاء وفتح المثناة التحتية وهى الطريق الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك وأصله السالك فتجوز به عن المسلوك كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية وأراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها (لايشكون ان الكلام طوع مرادهم) قيل كان الاحسن الظاهر ان يقول لايشك ببناء المجهول ليكون أبلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان البليغ الفائق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدى فلله دره ما أدق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل كلام بليغ فى مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه فى قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة له ومعرفته بذلك (والبلاغة ملك قيادهم) بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة أى والبلاغة مملوكة لهم منقادة وأصله ملكهم وفى قيادهم فعدل عنه لما ذكره لانه أبلغ ففيه استعارة فى الملك والقيادوهى اضافية على حد قوله مكر الليل يعنى انهم متصرفون فى أفانينها من غير تكلف (قدحووا فنونها) أى جمعوا وحازوا أنواع البلاغة واقسامها والفنون جمع فن (واستنبطوا عيونها) أى استخرجوا خيارها ومحاسنها وأصل معنى لاستنباط استخراج الماء من الآبار والعيون النابعة فعيون هنا فى موقعها وفيها تورية لايهامه لعيون الماء والمراد خيارها لان عين كل شئ خياره وليس من اطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم (ودخلوا من كل باب من أبوابها) أى سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم باى عبارة أرادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام فى مقام وايجازه فى مقام والتصريح والاخفاء وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة لها أبواب متعددة ولذا عقبه بقوله (وعلوا صرحها) وهو البيت العالى المزخرف بناؤه والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها (لبلوغ أسبابها) جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشئ آخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو أى علوا قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة كمن يدخل قصر اليقابل الملك فينال عنده لذة انعامه واحسانه وفيه ايماء لقوله تعالى يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب الآية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح أسبابها تركه أحسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها الكل ما أرادوه فعبروا بعباراتهم لمقاصدهم واللام لام العاقبة هنا وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التى عجزوا عنها بسماء لم يصلوا اليها (فقالوا) أى تكلموا بكلامهم البليغ (فى الخطير) أى فى الامر العظيم الذى له خطر أى شرف ومزية على غيره (والمهين) بفتح الميم أى الحقير من المهانة وهى الحقارة (وتفننوا) أى أتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين (فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة وأصله اللحم المهزول الذى يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد (و) ضده (السمين) وفى حديث أم زرع زوجى لحم جمل غث وفى المثل غثك خير من سمين غيرك وقد علمت ان فقالوا فى أكثر النسخ بالقاف من القول وفى بعضها فغالوا بالغين المعجمة وفتح اللام أى زادوا والاول رواية الانطاكى وفسره التلمسانى بانشاد المدائح والهجاء والمدح والذم أو الجدل والهزل وله وجه (وتقاولوا) تفاعل من القول أى أداروا الكلام بينهم (فى القل والكثر) بضم أولهما وأجاز البرهان كسرهما أى القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا وفيه ثقل ولو قال فى الكثير والنزر كان أحسن وأخف

بكسر الميم ثم كسر القاف وهو حبل تربط به الدابة ذكره الحلبى فيكون من القيد أى يقيدونه بما أرادوا والاظهر انه ما يقاد به فهو من القود وهو السوق من قدام أى يقودونه حيث شاؤا من روائع لطائفه وبدائع عوارفه (قد حووا) بفتح الواو أى حازوا وجمعوا (فنونها) أى من مبانيها (واستنبطوا عيونها) أى استخرجوا من معانيها لبابها (ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحها) أى ورفعوا بناء ظاهرا (لبلوغ أسبابها فقالوا فى الخطير والمهين) بفتح الميم أى فى العظيم والحقير (وتفننوا فى الغث) بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة أى المهزول (والسمين) ومنه قول ابن عباس لعلى ابنه الحق بابن عمك يعنى عبد الملك ابن مروان فقل له فغثك خير من سمين غيرك والمعنى فغاروا فى كلامهم بين أسلوب واسلوب وايراد وايراد بلطائف مبان وشرائف معان فى كل مراد (وتقاولوا) أى فيما بينهم (فى القل والكثر) بضم أولهما أى فى القليل والكثير مدحا وهجوا وايجازا واطنابا

وأخف وأنسب بقوله (وتساجلوا في النظم والنثر) والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير وسجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال

من يساجلني يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

وقيل الحرب سجال أي تارة تغلب وتارة تغلب كما قيل

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

فالمراد انهم تناوبوا أو تفاخروا وتعارضوا في عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس المراد به المبارزة بان يدعو أحدهما الآخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل فانه لا وجه له هنا وهي جائزة لفعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من المخاطرة والنظم والنثر غني عن البيان (فما راعهم) أي بينما هم كذلك فجاءهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفي الاساس ما راعني الا مجيئك أي ما شعرت الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع (الا رسول كريم) بعث بين أظهرهم صلى الله تعالى عليه وسلم (بكتاب عزيز) لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثناء مفرغ من عام مقدر أي لم يفجأهم ويفزعهم شيء سوى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جاءهم من الله أتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم في البلاغة لا يفوقها كلام فأتاهم بكتاب أخرس شقاشقهم وأصم أسماعهم وألبابهم الصاحية أي مؤيد بكلام معجز (لا يأتيه الباطل) أي لا يأتيه باطل وأمر فاسد بحسب العقل والشرع أو ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول (من بين يديه) أي قدامه وفي مقابلته (ولا من خلفه) أي وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات فلا يجد سبيلا لوصوله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا قال تعالى لا ريب فيه وقال تعالى جاء الحق وزهق الباطل (تنزيل من حكيم) محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته (حميد) محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال (أحكمت آياته) أي نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذي وقع في غيره من الكتب فهو من أحكمت الدابة اذا وضعت في فيها حكمة تمنعها الجماح أو جعلت حكيمة لاشتمالها على أمهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم اذا صار حكيما وآيات القرآن جمع آية وهي جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع (وفصلت كلماته) أي فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والاحكام الشريفة والمواعظ والاخبار الصادقة أو جعلت سورا أو أنزلت نجما نجما أو فرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد (وبهرت) أي غلبت وأدهشت (بلاغته العقول) جميعا لغرابة أسلوبها وحسن بديعها الذي أعجز البلغاء (وظهرت فصاحته) أي اتضحت كالشمس وسط النهار أو علت وارتفعت مرتبة اعجازها (على كل مقول) أي كل كلام نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة كما في أكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو الفوز ونيل الاماني (ايجازه) أي قلة ألفاظه الوافية باداء المعاني من غير خلل (واعجازه) أي كونه في أعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر فالمعنى ان الايجاز أخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق له ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد في كتب اللغة ما يفسره به فقد قصر وفي بعض النسخ بالضاد المعجمة أخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم اذا تجمعوا وتعاونوا وقيل انه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب أي وثب كل منهما والمراد انهما بلغا الغاية في بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض (وتظاهرت حقيقته ومجازه) أي عضد كل منهما الآخر وقواه

(وتساجلوا) بالسين المهملة والجيم ماخوذ من السجل وهو الدلو أي تناوبوا وتراسلوا (في النظم والنثر) أي تفاخروا وتكاثروا وعن ابن الحنفية رحمه الله تعالى انه قرأ هل جزاء الاحسان الا الاحسان فقال هي مسجلة للبر والفاجر أي مرسلة مطبقة في الاحسان الى كل واحد من افراد الانسان ومنه قولهم الحرب سجال (فما راعهم) أي ما أفزعهم شيء أليم (الا رسول كريم) أي جاءهم بخلاف هواهم لكن معه هداهم وطريق مناهم حين أتاهم (بكتاب عزيز) أي بديع منيع رفيع حيث لا نظير لمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي لا يتعلق البطلان به بوجه من وجوهه (تنزيل من حكيم حميد) يحمده خلقه بما ظهر عليهم من نعمه (أحكمت آياته) أي نظمت نظما محكما متقنا لا يغشاه خلل لا لفظا ولا معنى (وفصلت كلماته) أي ميزت وبينت ما يحتاج اليه في أبواب الدين من عقائد وأحكام وأخبار ومواعظ ووعد ووعيد على وجه اليقين (وبهرت بلاغته العقول) أي غلبتها (وظهرت فصاحته على كل مقول) أي نظما ونثرا (وتظافر) بالظاء المشالة أي تظاهر وتغالب على غيره (ايجازه واعجازه) أي مبنى ومعنى ومنه قوله تعالى ان أظفركم عليهم وهو الموافق لما في النسخ المصححة وتصحف على الدلجي فقال تضافر بالصاد من تضافر القوم تعاونوا (وتظاهرت حقيقته ومجازه) أي تعاونت لبلوغهما أقصى مراتبهما

(وتبارت) بمثناة فوقية فموحدة أى تعارضت (فى الحسن مطالعه ومقاطعه) والمعنى تجارت فيه فوانح صوره وآياتها وقصصها وخواتمها تسارعا وتسابقا لا يتصور له لاحق فضلا عن ان يوجد له سابق ثم التبارى معتل لامهموز وفى الحديث نهى عن أكل طعام المتبارئين أى المتسابقين المتعارضين بفعلهما ليغلب أحدهما الآخر فى صنعهما وانما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء أو لاشتمالهما على عدم الرضى لاعطائهما بسيف الحياء ويمكن حمل كلام المصنف على هذا المعنى أى تعارضت

مطالعه ومقاطعه فى الحسن وتغالبت كأن كل واحدة منهما غالبت أختها وعارضت شبيهتها (وحوت) أى جمعت (كل البيان بالنصب) أى جميع مايحتاج الى البيان من جهة الاديان (جوامعه) أى بكلم قليلة وحكم جزيلة (وبدائعه) أى على أوفق ايجازه أوثق اعجاز (واعتدل مع ايجازه) أى استقام قاله الدلجى والاظهر توسط بين غاية الاطناب ونهاية الايجاز (حسن نظمه) وفى نسخة حسن لفظه بجزالة بلاغته وغرابة براعته (وانطبق) أى احتوى (على كثرة فوائده) أى من معانيه (مختار لفظه) أى من ايجاز مبانيه (وهم أفسح) أى أوسع (ماكان فى هذا الباب) أى باب السؤال والجواب (مجالا) أى قوة واحتمالا وفى نسخة صحيحة أفصح بالصاد وهو ظاهر المراد

(وأشهر فى الخطابة) أى فى باب المخاطبة والمحاورة (رجالا) ولو قال فى الخطاب لكان سجعا لما فى الكتاب من لفظ أى الباب ثم نصب مجالا ورجالا كليهما على التمييز لمحول عن الفاعل فيهما والجملتان حاليتان أى مجالهم ورجالهم اذ مجالهم فى باب البلاغة أظهر ورجالهم فى باب الفصاحة أشهر (وأكثر) أى من غيرهم (فى السجع) أى فى الكلام المقفى فى النثر (والشعر) بزيادة قيد الموزون فى النظم (ارتجالا) أى انتقالا من كلام الى كلام ومن مرام الى مرام بقوة تفننهم فى نوعى الكلام ووقع فى أصل الدلجى بالجيم فقال أى بدون تروى ومهلة اذ كان لهم سجية وطبيعة انتهى وفى القاموس ارتجل الكلام تكلم به من غير ان يهيئه وفى نسخة سجالا أى تارة وتارة باعتبار المناوبة أو المغالبة

لما صار ظهيرا او مستند المابينهما من العلاقة أو تشابها فى الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه لا كما يكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد (وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه) أى تشابهت وتساوت أوائله وأواخره من قولهم فلان يبارى فلانا اذا فعل مثله والتبارى يكون بمعنى التسابق فى الجرى فالمعنى ان مطالعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى وهو عبارة عن تشابههما (وحوت كل البيان) أى ماينبغى بيانه واظهاره (جوامعه) أى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة (وبدائعه) أى ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب وكلام الله تعالى مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالدهر ممليا وبالذوق مستمليا (واعتدل) أى استقام من غير افراط ولا تفريط (مع ايجازه) وعدم تطويل لفظه (حسن نظمه) أى تناسب كلماته لفظا ومعنى وقلما يكون ايجاز كذلك وهذا من أدلة اعجازه وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم (وانطبق) أى وافق (على كثرة فوائده) أى معانيها التى تفيدها (مختار لفظه) أى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى وهذا من وجوه الاعجاز أيضا لان اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا الى ترك ألفاظ غير منقحة (وهم) أى فصحاء العرب من كل باد وحاضر (أفصح ماكانوا فى هذا الباب مجالا) أى أوسع يقال فسحت مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا أى وسعت له فهو فى فسحة مرة وماكانوا بمعنى أكوانهم فما مصدريه واضافة أفعل للمصدر على التجوز كأخطب مايكون الامير قائما والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى مقاصدهم أى جاءهم صلى الله تعالى عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم فى غاية الاتساع وتفسير المجال بالاتساع وان كان ينبئ عنه فيه تكلف (وأشهر) أى أعظم شهرة وفى نسخة وأشهرهم بالاضافة لضمير الناس (فى الخطابة) بفتح الخاء أى انشاء الكلام فى المحافل وقوله (رجالا) تمييز كالذى قبله وأشهر معطوف على خبرهم أى ورجالهم أشهر من غيرهم فى هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به أحد من الامم لان اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازى بأن يكون على طريق الفرض كما فى حديث ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النساء أو نقول انه على حد قولهم الخل أحلى من العسل أى انه فى حموضته أقوى من العسل فى حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات أخر ذكرها فى المطولات (وأكثر فى السجع) وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القرآن (والشعر) وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد (ارتجالا)

(وأوسع) أى ممن عداهم (فى الغريب) أى غريب الاستعمال (واللغة) بالمعنى الاعم ٤٨١ المتناول للقريب والغريب على وجه الكمال (مقالا) أى قالا مما يوجب حالا ومنالا (بلغتهم) متعلق بكتاب أوحالا منه أى حال كونه بالسنتهم (التى بها يتحاورون) أى يتجاوبون فى محاوراتهم (ومنازعهم) بفتح الميم أى محال المنازعة بمعنى المجاذبة فى الاعيان والمعانى (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة أى يتغالبون بالكلام من النظم والنثر (صارخابهم) أى حال كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو القرآن المعظم داعيا لهم ومناديا عليهم (فى كل حين) أى زمان من ليل ونهار منفردين أو مجتمعين تسجيلا عليهم بانكارهم للدين واستكبارهم عن الحق معرضين (ومقرعا) بتشديد الراء المكسورة بعد القاف أى وموبخا (لهم بضعا وعشرين عاما) بكسر الموحدة وقد تفتح ما بين الثلاث الى التسع والمراد به هنا ثلاثة على الصحيح من انه بعث على رأس الاربعين وعاش ثلاثا وستين وقيل خمسا وستين وقيل ستين وقد جمع بين الاقوال الثلاثة كما قرر فى محله ولعل المصنف لوقوع اختلاف ما أطلق بضعا وعشرين عاما

أى تكلما به من غير فكر وروية وهو فى الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قائما لانه كان عادتهم ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدائع البداية انه فى الاصل الانتصاب بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البئر وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا امدحه ومدهه الا ان الارتجال أسرع من البديهة و بعده التروية انتهى وفى نسخة وأكثر فى الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا المحاورة وأصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة (وأوسع فى الغريب) المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات البديعة لتصرفهم فى الكلام وقيل المراد به ما يحتاج الى تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا * فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم * قلت قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من الاعراب والقح من العرب العرباء فاطلاق أهل المعانى غير صحيح ولم أر من نبه عليه (واللغة مقالا) اللغة معناه الكلام ولكل قوم لغة وتكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى ان لغة العرب أكثر من سائر اللغات ألفاظا فقلما يكون معنى الا وله أسماء مترادفة حتى انه يوجد فى كلامهم ماله مائة اسم فاكثر وقد أفردوه بالتأليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا أعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص (بلغتهم التى بها يتحاورون) الجار والمجرور صفة كتاب أو حال منه والتحاور ادارة الكلام والمراجعة فيه سؤالا وجوابا من الحور وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش لان القرآن نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك فلا اشكال فى كلامه (ومنازعهم) بفتح الميم والنون وزاى معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع وهو كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم الذى يرمى به يقال رماه بمنزع أى سهم بعيد المرمى قال * فهو كالمنزع المريش من الشوحط ألتت به يمين المغالى * قاله فى الاساس قيل وهو المراد هنا المناسبته لقوله (التى عنها يتناضلون) بالضاد المعجمة أى يترامون بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون و ينتضلون ونضلت من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة فشبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة بالسهام وأثبت له المناضلة تخييلا وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى انهم يتغالبون فى كلامهم نظما ونثرا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الاعيان والمعانى وهو بعيد وأبعد منه ما قيل ان المنزع ما يرجع اليه الرجل من رأيه وطريقته أى أتاهم الكتاب بما هو دينهم الذى لا يتركونه فاكبوا على مدافعته (صارخابهم فى كل حين) حال من الكتاب أو الرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد أى مصرخا بدعوته فى كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته (ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة و بعين مهملة أى معيرا وموبخا لهم من القرع وهو الضرب ومنه القرعة (لهم بضعا وعشرين عاما) سنة وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى التسع من كسور العدد و يقال بضعة أيضا فى لغة قليلة وفيه أقوال أخر فى القاموس هذا أصحها و يستعمل مع العشرة وما فوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على رأس الاربعين وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين العام والسنة بمعنى وقد تختص الثانية بالشمسية والاول بالقمرية ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها قد يعبر بها عن الشدة والقحط * واعلم

(على رؤس الملأ) أى من أشرافهم ورؤسائهم (أجمعين أم يقولون افتراه) اقتباس أورده شاهدا بثبوت نبوته وأم بمعنى بل والهمزة للانكار أى بل أيقولون اختلقه محمد وجاء به من عنده وكذب على ربه (قل) أى لهم ان كان الامر كما زعمتم وتوهمتم (فأتوا) على صورة الافتراء (بسورة) أى باقصر سورة (مثله) أى تماثله فى بلاغة مبانيه وفصاحة معانيه فانكم عربيون مثلى بل أنتم مشهورون بالخطابة نظما ونثرا من قبلى (وادعوا من استطعتم من دون الله) أى استعينوا بمن يمكن استعانتكم به من غيره تعالى (على الاتيان بسورة مثله) لانه تعالى فانه قادر عليه بانفراده (ان كنتم صادقين) أى فى انه أتى به من عنده (وان كنتم فى ريب) أى فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) أى فى كل سورة (فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا) وهو قوله ان كنتم صادقين فى انه سبحانه وتعالى ما أنزله عليه وما أوحاه اليه فان لم تفعلوا أى فى الحال ولن تفعلوا أى فى الاستقبال فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة فهذه الآية منادية عليهم بعجزهم عن المعارضة فى الازمنة الحاضرة مع أخباره سبحانه وتعالى بان الخلق كلهم عاجزون عن الاتيان بمثله الى يوم القيامة (وقوله) أى وأصرح من هذا كله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس) ومنهم أصناف العرب (الجن) ومنهم أنواع الملائكة (على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى كمال مبناه وجمال معناه (الآية) يعنى قوله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى متعاونين على الاتيان بمثله وقال الدلجى ولم يدرج الملائكة فى الفريقين مع عجزهم أيضا عنه لانهما المتحديان به انتهى ولا يخفى ان ادراجهم معهم كما حررناه أولى فانه أظهر فى المدعى لاسيما وقد قال بعض العلماء بان نبينا مبعوث الى الملائكة بل الى الخلق كافة كما قررناه فى محله اللائق به (وقيل) أى فى آية أخرى وفى نسخة وقل (فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أى مختلفات من عند أنفسكم وحاصله انه ألزمهم الحجة باتيان قرآن مثله ثم أرخى العنان بتنزله الى عشر صور مثله ثم تحداهم بسورة واحدة كائنة من عندهم تسهيلا للامر عليهم وتسجيلا بنداء العجز لديهم كذا قرره الشراح وهو المستفاد مما سيأتى فى كلام المصنف على ما حرره وفيه انهم من أول الوهلة طولبوا المعارضة لا بعد تمام القرآن سورة وسورة والقرآن كما يطلق على الكل يطلق على البعض كما عرف فى علم الاصول بما يؤيده من دليل المنقول والمعقول فالوجه ان المراد بالقرآن قدر ما تتعلق به المعجزة وهو أقصر سورة أو قدرها من آيات وحروف وكلمات ويقويه قوله تعالى قل فأتوا بحديث مثله ان كنتم صادقين وعلى كل تقدير فالتحدى بعشر سور مثله تهكم بهم فى ثبات عجزهم (وذلك)

ان البضع ليس كصريح العدد فى انه يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر وما نقله فى القاموس عن مبرمان يرده ما فى الحديث الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المصنف ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون كما قيل ولا حاجة للتأويل (على رؤس الملأ أجمعين) الرؤس جمع رأس وهو العضو المعروف الشريف السيد والملأ الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كلمه على رؤس الناس وعلى رؤس الاشهاد اذا صرح بما يريده وأشاعه لان من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤسهم أى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يزل مظهر الدعوته مدة بعثته منذرا لهم قائما عليهم بين أظهرهم والجار متعلق بقوله مقرعا أو تنازعه مقرعا وصارخا (أم يقولون افتراه) هذا حال أيضا أى قائلا وتاليا لهم أم يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القرآن فيكون اقتباسا من مشكاة أنواره والافتراء كالاختلاف الكذب والاستفهام انكارى توبيخى (قل) ان كان الامر كما زعمتم (فأتوا بسورة مثله) فى النظم والبلاغة فانه نزل بلغتكم وأنتم فصحاء (وادعوا من استطعتم) أى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه (من دون الله) أى غير الله تعالى فانه القادر على كل شئ (ان كنتم صادقين) فى قولكم انه افتراء وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن أقل مراتبه وليس مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم انه أتى بآية أخرى فى معناها فقال (وان كنتم فى ريب) فى شك وشبهة (مما نزلنا على عبدنا) أى نزل منجما بحسب الوقائع (فأتوا بسورة من مثله الى قوله وان تفعلوا) وقوله من مثله صفة سورة أى سورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الاخفش أى بسورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم أو لعبدنا ومن للابتداء أى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا أميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم أو صلة فأتوا والضمير للعبد وهذه الآية أبلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله ولن تفعلوا والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته (وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) نظما وبلاغة (لا يأتون بمثله الآية) وهو جواب قسم مقدر ولذا لم يجزم ولم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا ينافى اعجازه فتأمل (وقل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) أى محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله (وذلك) أى الاتيان بالمفترى تهكما وتقريعا

ان المفترى) بفتح الراء على ماصرح به الحلبي وغيره (اسهل) اى اهون تلفيقا (ووضع الباطل والمختلق) بفتح اللام أى المكذوب (على الاختيار) أى اختيار المعارض (أقرب) أى انسب تزويقا واروج تنميقا ومع ذلك فلم يجدوا اليه طريقا (واللفظ) أى بعد وضعه فى المبنى الفصيح (اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب) أى ترتيبا واتعب تهذيبا وهذا أيضا وجه عجزهم عن المعارضة لان القرآن جمع بين غرائب المعانى وعجائب البيان (ولذلك) وفى نسخة ولهذا أى ولكون المبنى اذا تبع المعنى أصعب فى المدعى (قيل فلان يكتب كما يقال له) فيفتق اكمام ماقيل له من اخبار مبانيه عن أزهار معانيه ويراعى جميع مايوافيه بتحريره ويدفع كل ماينافيه بتقريره حتى يستحسنه المملى اذعبر عن مراده فى شانه ما كان عاجزا هو عن ايراد بيانه (وفلان يكتب) أى ما يقال له الا أنه (كما يريد) أى بنفسه لا انه كما يراد منه بحسب اذنه (وللاول) أى من الكاتبين (على الثانى فضل) أى مزيد سديد (وبينهما شأو بعيد) وفى نسخة صحيحة شأو وبعد وهو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة فواو منون أى مدى ونهاية وسبق وغاية والمعنى فرق بعيد وفصل عميق لاتيان الاول بالمأمور مفرغا فى قالب مراد آمره دون الثانى لاتيانه بمأموره فى قالب مراد نفسه اذا عرفت ذلك (فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم يقرعهم) بتشديد الراء (أشد التقريع) تفسيره قوله (ويوبخهم غاية التوبيخ) أى اسوأه ولا يبعد ان يكون احدهما بمعنى يهددهم بل هو أولى لان التأسيس بالنسبة الى التأكيد أعلى (ويسفه احلامهم) بتشديد الفاء أى ينسب عقولهم الى السفه ويعدهم سفهاء كقوله تعالى سيقول السفهاء وقوله ألا انهم هم السفهاء (ويحط) بضم الحاء وتشديد الطاء أى ينكس (أعلامهم

وتقريعا (ان المفترى) اسم مفعول (أسهل) تلفيقا (ووضع الباطل أقرب) تناولا وأروج تنميقا ومع ذلك لم يقدروا عليه (واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب) لانه يلاحظ فيه مافى الواقع ونفس الامر ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لايخرج عنه (والمختلق) بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما قال تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه أمر مقدر فى النفس من غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالى لان الحق يزيد كل يوم جدة والكذب يزداد بلى (على الاختيار أقرب) المراد بالاختيار ضد الالجاء والاضطرار فان الصادق مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد برا واسعا كما قال تعالى ألم تر انهم فى كل واد يهيمون وقيل ههنا بحث وهو ان التحدى بقوله فأتوا بسورة الى آخره ان كان الاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوى الامران والذى دار فى خلدى ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله افتراه تهكما وتقريعا لا لما قاله المصنف رحمه الله تعالى انتهى وليس بشئ لانا نختار الثانى وبقولهم انهم لعجزهم لا يستوبان وهو فى غاية الظهور فتدبر وضمن أقرب معنى أهون ولذا عداه بعلى كقوله تعالى وهو أهون عليه ولولا ذلك عداه بالى أو اللام (ولذا) أى لكون المختلق أسهل وأقرب من الحق الصحيح عبارة (قيل) أى قال الادباء ومن لهم دربة فى صناعة الصياغة للكلام (فلان) أى المنشئ لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء (يكتب كما يقال له) أى كتب فى شان أمر واقع لرسالته فتق اكمام الكلام عن زهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراعة (وفلان) ممن ينشئ المقامات (يكتب كما يريد) من كل مايطرأ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكى عن بديع الزمان انه رتب له راتب بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسائل فلما أخبر الصاحب بذلك قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكى مثله عن الحريرى أيضا (وللاول) الذى يكتب كما يقال له (على الثانى) وهو الذى يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم يكتب (فضل) أى زيادة شرف ورتبة (وبينهما شأو) أى مسافة ومدى (بعيد) والشأو بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل ألفا وبالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به عن المسافة ثم كنى به عن التفاوت الزائد (فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم) أى يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن (أشد التقريع) لانذارهم بالهلاك والعذاب الاليم (ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ماقبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن فيه مثله (ويسفه أحلامهم) أى يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل (ويحط اعلامهم) بحاء مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين وهى الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا أى ينكس راياتهم ويهد جبالهم ويذل ساداتهم ويزرى بالبائهم والمعنى على كل حال انه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم

ويشتت) بتشديد التاء الاولى أي يفرق (نظامهم) ويمزق مرامهم (ويذم آلهتهم) أي يعيبها في حد ذاتها بقوله ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها (وآباءهم) أي ويعيبهم على عبادتها بقوله ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم وقوله مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وأمثالهما (ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم) أي بالاستيلاء عليها (وهم) أي والحال انهم (في كل هذا) أي مما ذكر من الاحوال (ناكصون) أي راجعون القهقرى الى وراء (وعن معارضته محجمون) بحاء ساكنة فجيم مكسورة أي متأخرون (وعن

واظهار ضلالهم وسوء حالهم (ويشتت نظامهم) أي يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده والنظام ماينتظم به الدرر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر (ويذم آلهتهم) أي اصنامهم التي عبدوها في الجاهلية (وآباءهم) الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون والآباء بالمد جمع أب (ويستبيح أرضهم وديارهم) أي يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها واجلائهم عنها (وأموالهم) ماملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها (وهم في كل هذا) المذكور من التوبيخ والتسفيه ومابعده الى استباحة الاموال والديار (ناكصون) يقال نكص على عقبيه اذا أحجم وتأخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما أتى به للقرآن (عن معارضته) والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها (محجمون عن مماثلته) أي عن الاتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه لما تحداهم وأحجم كنكص بمعنى تأخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته فاحجم وهو من النوادر كمثل كببته فاكب (يخادعون أنفسهم) أي يمنون أنفسهم أماني كاذبة ويؤملون آمالا فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكأنهم بذلك خادعوا أنفسهم فهو كقوله تعالى ومايخدعون الا أنفسهم وتحقيقه في الكشاف وشروحه (بالتشغيب) وهو تهييج الشر والفتن من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها (والتكذيب) أي بادعائهم كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما جاء به من الحق الذي لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له آمالا تحمله على اتباع الباطل وهو تعسف لا وجه له والذي غره قوله (والاغراء بالافتراء) هكذا في النسخ الصحيحة بغين معجمة وراء مهملة ومدة وفي بعضها الاعتراء افتعال منه وقال التلمساني صوابه الاغراء بغير تاء وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة أي ألزمناها أقول قال بعضهم أصله من الغراء الذي يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما في القاموس من انه يقال اغتراه اذا ألصقه والمصنف أجل من أن يوهم في اللغة فانه قدوة فيها ولا حاجة الى انه لمشاكلة الافتراء والافتراء الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست في المجرد كما قرر في قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت (وقولهم) بالجر معطوف على التكذيب (ان هذا الاسحر يؤثر) أي ينقل ويروى عن السحرة كأهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه الآية ان الوليد لما سمع منه صلى الله تعالى عليه وسلم حم السجدة قال سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن أخيه أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام أحماه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه يكهن وانه شاعر هل رأيتموه قال شعرا قالوا لا فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده فاهتز النادي فرحا ويأتي ذلك كله مبسوطا واعلم ان السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة أكبرها غاية الحكيم للمجريطي وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا أعين الناس

مماثلته) لظهور مباينته (يخادعون أنفسهم بالتشغيب) أي بتهييج الشر واثارة الفتنة والمخاصمة بين القريب والغريب وفي نسخة بالتكذيب وجمع بينهما أصل الدلجي وهو لايناسب التهذيب خصوصا مع تكرار الباء وعدم العاطف المفيد للجمع أو الترتيب (والاغراء بالافتراء) أي بالحث والالزام على وجه التزام نسبة سيد الانبياء بالافتراء على خالق الاشياء وقد صحف الاغراء على الدلجي بتوهم الاعتراء على ما في بعض النسخ فقال من عراه اذا مسه وأصابه الى آخر ماذكره (وقولهم) أي ويقول بعضهم كالوليد بن المغيرة كما حكى الله عنه بقوله ثم أدبر واستكبر فقال (ان هذا) أي ماهذا (الاسحر يؤثر) أي يروى عن أهل بابل وغيرهم وانما قال هذا الكلام حين سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ حم السجدة فقال لقد سمعت من محمد كلاما ليس بكلام انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال ابن أخيه انا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق وزعمتم انه كاهن هل رأيتموه تكهن وانه شاعر هل رأيتموه يقول شعرا قالوا لا فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده ومواليه فاهتز النادي فرحا وفي نسخة زيد هنا ان هذا الا قول البشر

وقوله

وقوله واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ولما خفيت أسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها لانهم رأوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل أشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في وقت مناسب وتلك الاشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن أو تعلق في الهواء وتحرق والعزائم تضرع للكواكب المؤثرة عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها في وقت خاص وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على أسماء وعزائم مجهولة كأنهم يخاطبون بها حاضرا الاعتقاد انها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة لها وأنواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال والاستحضار وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبي وامرأة حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان مناما اختص باسم الجليان انتهى ملخصا (وسحر مستمر) أي دائم باق لما رواه من تتابع الوحي غضا طريا أو محكم متقن وأصله من مر الحبل وهو فتل مرائره وهي طاقاته أو ذاهب غير قار من المرور أو مستبشع مر المذاق (وافك افتراه) أي كذب اخترعه واختلقه والافك أسوأ الكذب (وأساطير الاولين) أي شئ أخذه مما سطره الاولون وزخرفوه وهو جمع سطر أي صنف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة وأراجيح على القياس أو اسم مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة وفيه نزلت الآية وقتل يوم بدر (والمباهتة) بالجر عطفا على التكذيب وهي بمعنى البهتان وهي الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله (والرضى بالدنيئة) بالهمزة وتبدل فتدغم ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من له عقل ومروءة وفسرها بقوله (كقولهم قلوبنا غلف) لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل وهو جمع أغلف أي في غلاف يقال سيف أغلف فهي بمعنى في اكنة جمع كنان بزنة كتاب غطاء ومعناها مغطاة وغلام أغلف بمعنى أقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف وأصله غلف بضم اللام ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون أي هي أوعية للعلم مملوءة به فلا تحتاج للتعلم منك وعلى الاول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل الينا وهذا هو الملائم لكلام المصنف ولقوله (وفي أكنة مما تدعونا اليه) وهو القرآن والايمان (وفي آذاننا وقر) أي صمم وأصل معناه الثقل والحمل (ومن بيننا وبينك حجاب) أي مانع عن وصول ما يقوله لنا وفي من اشارة الى انه مبتدأ وانه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراكها ما دعاهم له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له (و) قال الذين كفروا (لا تسمعوا لهذا القرآن) أي لا تصغوا وتنصتوا له (والغوا فيه) بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو والاول أصح وهو المقروء به والمراد هنا رفع الاصوات بأي كلام كان حتى يتشوش على قارئه فيقطع قراءته أو يمنع من استماعه ولغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي أصوات الطيور يقال لغي لغوا ولغا كل وقد يسمى كلام قبيح لغوا قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا أي قبيحا كما قاله الراغب وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته (لعلكم تغلبون) قارئه بقطع قراءته فغلبتهم انما هي بالجهل والسفه كما هو شأن

(وسحر مستمر) أي وقول بعضهم كما حكى الله تعالى عنهم وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أي هو أو هذا سحر مطرد دائم صادر عنه أو ذاهب باطل كما قاله قتادة ومجاهد رحمة الله تعالى عليهما أو قوي محكم يغلب كل سحر كما قاله أبو العالية والضحاك (وافك افتراه) أي وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه أي كذب صرفه عن وجهه واختلقه من تلقاء نفسه وأعانه عليه قوم آخرون (وأساطير الاولين) أي وقالوا هذا أو هو أقاويلهم المزخرفة التي سطرها المتقدمون (اكتتبها) أي استكتبها لنفسه فهي تملى عليه بكرة وأصيلا (والمباهتة) أي والاغراء بالمباهتة من بهته اذا رماه بما يتحير منه والمعنى ويخادعون أنفسهم بأكاذيب وافتراآت يحيط بهم ضررها ويحيق بهم مكرها ولا يتخطاهم أثرها (والرضى بالدنيئة) بالهمز وقد يسهل أي وبرضاهم منه بالخصلة الرديئة (كقولهم قلوبنا غلف) جمع أغلف أي هي مغشاة بأغطية لا تصل اليها هداية ولا رواية (وفي اكنة) أي وقالوا قلوبنا في أكنة أي في أغطية (مما تدعونا اليه) أي مانعة من وصوله اليها فضلا عن حصوله لديها (وفي آذاننا وقر) أي ثقل وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) أي حاجز مانع من تقربنا اليك ومن نفعنا بما لديك وزيد من تلويحا بان الحجاب ابتدأ منهم وانشأ عنهم وامتد مستوعبا للمسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ فيها (ولا تسمعوا) أي وقال الذين كفروا لاصحابهم وأحبابهم لا تسمعوا (لهذا القرآن والغوا فيه) أي بخرافات الكلام وساقطات المرام (لعلكم تغلبون) أي قارئه بتشويش خاطره الباعث على ترك قراءته

(والادعاء مع العجز) أى وبمجرد دعواهم مع ظهور عجزهم عن مدعاهم (بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) ولعمرى أى مانع ما كان لهم لو ساعدتهم الاستطاعة ان يشاؤا ذلك حيث تحداهم وقرعهم بالعجز مع فرط الفتهم واستنكافهم ان يغلبوا لاسيما فى ميدان الفصاحة والبيان والتجأوا الى معالجة السلاح من السيف والسنان والعاقل لا يترك الاسهل ويتبع الاثقل (وقد قال لهم الله تعالى ولن تفعلوا فان لم تفعلوا ولا قدروا) فاخباره صدق وكلامه حق (ومن تعاطى ذلك) أى ومن تجرأ على قصد المعارضة فى ميدان الفصاحة والبلاغة (من سخفائهم) أى سفهائهم (كمسيلمة) أى الكذاب بهذيانات مخترعات منها قوله ياضفدع ابنة ضفدعين اعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين ومنها قوله حين سمع أول سورة النازعات والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والباردات بردا واللاقمات لقما القد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ومنها قول آخر ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى وقال آخر الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل (كشف عواره) بفتح العين المهملة وتضم وقيل الضم أفصح أى أظهر عيب نفسه (لجميعهم) أى من عقلائهم اذ لم يكن ما عارضه به من بديع كلامهم وبليغ نظامهم بل كان مما ينفر عنه الطبع السليم ويذبو عنه السمع القويم من قلة سلاسته وكثرة ركاكته وأغرب من هذا انه لما قتل مسيلمة على يد المسلمين من الصحابة قال رجل من بنى حنيفة يرثيه اعتادوه

لهفى عليك أبا ثمامه * لهفى على ركن اليمامه

كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

حكاه السهيلى وقاب كذب بل كانت آياته منكوسة فانه كما يقال تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فالح ماؤها ومسح رأس صبى فقرع قرعا فاحشا ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر والآخر قد أكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه فابيضت عيناه (وسلبهم الله تعالى ما ألفوه) أى استعملوه

العاجز المعاند ومثله دنية لا ترضى (والادعاء) مجرور كالذى قبله (مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولو استطاعوه ما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم من ان يغلبوا خصوصا فى الفصاحة وقائل هذا هو النضر بن الحارث أيضا لكنه أسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤسين أو على حد قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم (وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم (ولن تفعلوا) نفى قدرتهم فى المستقبل فلو قدروا الحميتهم فعلوا ولم يقل فان تأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز (فما فعلوا ولا قدروا) نفى الفعل ظاهر والقدرة فى الانسان قوة غير محسوسة فنفيها يعلم من انهم وبخوا وعيروا فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم (ومن تعاطى ذلك) أى فعله وتكلم بما توهمه معارضة وأصل معناه المناولة (من سخفائهم) ممن له طيش وقلة عقل (كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب به المثل فيقال أكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة قبيلة وهذا لقبه واسمه هارون ويقال له أبو ثمامة وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وقيل قتله وحشى قاتل حمزة رضى الله تعالى عنه وكان له حيل ونيرنجات يوهم انها معجزات وأرسل للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله سلام عليك أما بعد فانى قد أشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا * فاجابه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى ومن هذيانه الذى زعم انه وحى نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنعين لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع (فكشف عواره) فى نسخة بدون فاء واثباتها أحسن أى أظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره راء مهملة وبفتح العين أيضا وقيل انها الافصح (لجميعهم) أى العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب الدلائل منه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار مأخوذ من عور العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فابيضت عينه (وسلبهم الله) أى أخذ منهم والضمير لمن وجمع نظر المعناه (ما ألفوه) أى

(من فصيح كلامهم) أى فى صحيح مرامهم وهذا يوهم ترجيح القول بالصرفة كما فهم الدلجى وصرح بقوله ولا أقول به بل الصارف عن معارضته كمال بلاغته وأنا أقول وانما صرفوا عن ما ألفوا لما أراد الله بهم من فصاحتهم والا لو عارضوا بطبق كلمات محاورتهم لربما أوهموا الضعفاء انهم قاسوا بمعارضتهم كما يشير اليه قوله (والا فلم يخف على أهل الميز) أى أصحاب التمييز (منهم انه) أى كلامهم هذا فى مقام معارضتهم (ليس من نمط فصاحتهم) بضم النون والميم أى من نوعها (ولا جنس بلاغتهم) أى فى فنها (بل ولوا) أى أهل الميز من عقلائهم ولو كانوا من فصحائهم وبلغائهم (عنه مدبرين) أى اعرضوا عن الاتيان بمثله مولين بأدبارهم عن نحوه (وأتوا مذعنين) أى منقادين مقرين بكونهم عاجزين غايته انهم صاروا مفترقين (من بين مهتد) أى مصدق به وبمن أنزل عليه من جهة رسالته (وبين مفتون) أى متحير فى بديع بلاغته ومنبع فصاحته متعجب من عجزهم عن معارضته (ولهذا) أى ولكونه ليس من نمط فصاحتهم وجنس بلاغتهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) يعنى وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون (قال) أى الوليد (والله ان له لحلاوة) وفى نسخة حلاوة أى لذة عظيمة يدركها من له سجية سليمة (وان عليه لطلاوة) بفتح الطاء وقد تضم أى رونقا وحسنا فائقا (وان أسفله لمغدق) بغين معجمة اسم فاعل من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء تلويحا بغزارة معانيه فى قوالب مبانيه وفى نسخة لعذق من غير ميم وضبط بفتح عين مهملة فسكون ذال معجمة استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وهى العذق وهو رواية ابن اسحق و بفتح معجمة فكسر مهملة من الغدق وهو الماء الكثير وهو رواية ابن هشام قال السهيلى و رواية ابن اسحق أفصح لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله قال الحلبى فيوجه اللفظ الذى قاله القاضى من الكلام على رواية ابن اسحق وابن هشام

اعتادوه بطباعهم (من فصيح كلامهم) بيان لما أى لما أرادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفة وهذه الجملة معطوفة على جملة ما فعلوا وليست الواو للمعية ولا حالية كما قيل (والا) أى وان لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة (فلم يخف على أهل الميز) بفتح الميم وسكون التحتية والزاى المعجمة أى التمييز والعقل وزاد الفاء فى الجواب لانه ماض لفظا ومعنى أو بتقدير المبتدأ أى فهم لم يخف الى آخره ووجهه دفع توهم كون الاستثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها لصحة مباشرته للشرط يقال مازه يميزه اذا ميزه أى لو نظر تلك الجمل ومازها ظهر انه كلام سارق وسازحى (انه ليس من نمط فصاحتهم) بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة أى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها فانه معجز خارج عن طوق البشر وضميرانه للقرآن يقال عندى متاع من هذا النمط وهذا أبلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه (ولا جنس بلاغتهم) لركاكته وقباحته (بل ولوا عنه مدبرين) اضراب عن مثله ومدبرين أى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا واعرضوا (وأتوا مذعنين) بذال معجمة وعين مهملة أى منقادين مسلمين والاذعان الانقياد وأما اطلاقه على العلم فى قولهم اذعان النسبة تصديق فولد ليس من كلامهم (من بين مهتد) أى مصدق بحقيقته واعجازه هداية الله تعالى له (وبين مفتون) متحير فى أمره منكر لاعجازه وفيه لف ونشر مشوش (ولهذا) أى لكونه ليس من نمط كلامهم (لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية) لما سأله ان يقرأ عليه شيأ من القرآن لينظر فى أمره وقرأ هذه الآية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من أقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤساء عقلائهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطى وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلا وفى المقتنى فى الاحياء فى آداب تلاوة القرآن حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى الآية فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة الى آخر ماذكره المصنف هنا وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف رحمه الله تعالى وكذا ذكر ابن اسحق فى سيرته فان صح فهما قضيتان والوليد والد خالد بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله المخزومى وباقى نسبه معروف مات كافرا وترجمته معروفة (قال) لما سمع ما تلاه عليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (والله ان له) أى لما تلا (حلاوة) أى عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع (وان عليه لطلاوة) بضم الطاء ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر أيضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق وجاء بمعنى السحر أيضا وهو استعارة كالذى قبله وأكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة الى انه لا يشبهه غيره من الكلام (وان أسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة كما فى النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة

(وان أعلاه لمثمر) اشارة الى غزارة نفعه وزيادة رفعه بكريم فوائده وعميم عوائده (ما يقول هذا) أى مثل هذا (بشر) أى مخلوق وفى أصل الدلجى ماهذا بقول بشر وفى حاشية الحلبى قال الغزالى فى كتاب الاحياء عند آداب تلاوة القرآن حديث أن خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة الخ كما هو فى الاحياء وذكره أبو عمر وابن عبد البر فى استيعابه بغير اسناد ورواه البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قال القاضى وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة فان صح ماقاله الغزالى تبعا لما فى الاستيعاب فانهما قضيتان والله تعالى أعلم بالصواب (وذكر أبو عبيد) بالتصغير وفى نسخة وأبو عبيدة بزيادة تاء وهو الامام الحافظ القاسم بن سلام بتشديد اللام البغدادى معدود فيمن أخذ عن الشافعى الفقه وكان اماما بارعا فى علوم كثيرة منها التفسير والقرآآت والحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ قال الخطيب كان أبوه سلام عبدا روميا لرجل من أهل هراة سمع أبو عبيد اسمعيل بن جعفر وشريكا واسمعيل بن عياش وابن علية وغيرهم وروى عنه محمد بن اسحق الصاغانى وابن أبى الدنيا والحارث بن أبى اسامة وآخرون توفى سنة أربع وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) ما مصدرية أو موصولة وعائدها محذوف أى اجهر بأمرك أو بالذى تؤمر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أو أفرق بين الحق والباطل على ان أصل الصدع بالحجة هو التمييز والابانة وتتمة الآية واعرض عن المشركين أى ولا تبال بانكار من أنكر وباشراك من كفر (فسجد) أى الاعرابى لله وانقاد لما أبداه (وقال سجدت لفصاحته) أى لوصوله نهاية فصاحته وبلوغه غاية بلاغته

الماء ورواه ابن اسحق وان أصله لعذق وان فرعه لجناة والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التى أصلها ثابت ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين قال السهيلى ورواية ابن اسحق أفصح لانها استعارة تامة فيها آخر الكلام يشبه أوله والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة (وان أعلاه لمثمر) أى له ثمر طيب كثير والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام أصله قوى ليس من جنس كلام البشر ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أو استعارتان تمثيليتان وأراد بأسفله ماتضمنه من المعانى كما يقال تحت هذا الكلام معان غزيرة وان أراد بأعلاه ماينتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت وأينعت ثمرتها وكثرت وعذبت ويجوز أن تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد القضية ثم بنى على هذا قوله (ماهذا بقول بشر) لانه لايشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفى نسخة مايقول هذا بشر بصيغة المضارع أى ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع أسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعنى انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن أيضا مع ان فى هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة منى ولا بأشعار الجن والله مايشبه الذى يقول شيأ من هذا وانه ليعلو ومايعلى وانه ليحطم ماتحته كما رواه البيهقى فى الدلائل ثم انه روى الفريرى أن القارئ على الوليد عثمان بن مظعون لا النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه المصنف رحمه الله تعالى فان عثمان رضى الله تعالى عنه قال ما أسلمت ابتداء الاحياء من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزلت ان الله يأمر بالعدل الآية وأنا عنده فاستقر الايمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخى أعد الى آخر الحديث وهذا يؤيد ماسبق من تعدد القضية (وحكى أبو عبيد) القاسم بن سلام بتشديد اللام الامام فى الفقه والحديث واللغة البغدادى الحبر الهمام الجليل أخذ عن الشافعى وغيره وكان عبدا روميا لرجل من هراة وأحواله وترجمته معروفة توفى فى سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائتين (ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر) واعرض عن المشركين أى اجهر بما أمرت بتبليغه ولا تبال بما يقولونه وما موصولة أو مصدرية وأصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل وما قيل من انه لايجوز أن تكون مصدرية لانه بمعنى أمرك وهو مصدر مبنى للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد أى تؤمر به ولا يجوز الا اذا جر بما جر به الموصول واتحد متعلقا والاول متعلق باصدع والثانى بتؤمر سهو من قائله وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف فى المصدر الصريح لا فى ان والفعل كما فى هذه الآية ولانه انما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه (فسجد) الاعرابى لما أدهشه من بلاغته (وقال سجدت لفصاحته) اذ ليست آية سجدة وانما هزه العجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب وكان هذا معروفا فى

(وسمع آخر) أى اعرابى آخر أو رجل آخر من المشركين (رجلا) أى من المسلمين (يقرأ فلما استيئسوا منه) أى حين يئسوا من يوسف اذلم يجبهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا نجيا) أى انفردوا واعتزلوا متناجين فى تدبير أمرهم ووحده لكونه مصدرا أو فعيلا (فقال أشهد أن مخلوقا) أى أحدا من الانام (لا يقدر على مثل هذا الكلام) أى فى غاية النظام ونهاية المرام (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يوما) أى من الايام (نائما فى المسجد) ولعله وكان معتكفا فى مسجد سيد الانام (فاذا هو) أى عمر (بقائم) أى واقف (على رأسه) ووقع فى أصل الدلجى وعلى رأسه قائم فقال جملة حالية (يتشهد شهادة الحق) أى يأتى بكلمتى الشهادة على وجه الاخلاص وطريق الصدق (فاستخبره) أى عمر عن سبب ذلك الخبر والمعنى انه طلب منه خبره وما أوجب أثره (فاعلمه) أى ذلك القائم (انه) أى باعتبار أصله (من بطارقة الروم) بفتح الباء الموحدة جمع بطريق بكسرها وهو كالامير أو الوزير فى لغتهم (ممن) أى وانه من جملة من (يحسن كلام العرب) أى فهمه (وغيرها) أى وغير لغة العرب أو كلماتهم من كلام الترك والعجم والهند ونحوها (وانه سمع رجلا من أسراء المسلمين) أى من اسرائهم فى أيدى أعدائهم (يقرأ آية من كتابكم فتأملها فاذا) أى هى كما فى نسخة

(قد جمع) بصيغة المجهول أى اجتمع (فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم من أحوال الدنيا) أى من علائق المعاش (والآخرة) أى من لواحق المعاد (وهى) أى تلك الآية الجامعة (قوله تعالى ومن يطع الله) فى فرائضه (ورسوله) أى فى سننه أو فى جميع ما يامر به وينهى عنه (ويخش الله) أى ويخف خلافه وعقابه وحسابه (ويتقه) فيه قرا آت مشهورة فى محلها مسطورة أى ويتق الله فيما بقى من عمره فى جميع أمره (الآية) تمامها فاولئك هم الفائزون أى الظافرون بالمراد فى المبدأ والمعاد

فى مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدت وليس المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته للكلام المقرو لا للقارئ كما توهم لانه لا يناسب المقام (وسمع) اعرابى (آخر رجلا يقرؤ) قوله تعالى (فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا) أى لما يئسوا من يوسف عليه الصلاة والسلام وزيدت السين والتاء للمبالغة فى اليأس وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين فى تدبير أمره وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره (فقال أشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام) لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعهم يوسف عليه الصلاة والسلام ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا او كيف يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها (وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان يوما نائما بالمسجد) أى مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نائما مضطجعا لينام فانه يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله (وعلى رأسه قائم) أى فى جانب رأسه رجل منتصب القامة وليس المراد انه واطئ لرأسه وهو حقيقة عرفية فى مثله والجملة حالية والضمير لعمر رضى الله تعالى عنه وفى نسخ فاذا هو بقائم على رأسه فاذا فجائية والباء للملابسة (يتشهد شهادة الحق) أى يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (فاستخبره) أى طلب عمر رضى الله تعالى عنه منه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله (فاعلمه) ذلك الرجل المتشهد (انه من بطارقة الروم) بطارقة جمع بطريق بكسر الراء معرب بترك ومعناه الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقى فى كتاب المعرب البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت العرب بان البطارقة أهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال أبو ذؤيب

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد ✽ هوازن تحدوها حماة بطارق

وهذا يقتضى ان بطريق هو المعرب وهو المعروف وقال ابن خالويه فى كتابه ليس البطرك معرب بطريق عربته العرب قديما قال يعلو الظواهر فرد فى التلال له ✽ كبطرك قد مشى فى غيط كتان وهذا مما يتعجب منه فحرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم بن عيصو بن اسحق وكان أصفر فلذا قيل لهم بنو الاصفر والواحد رومى وقول الجوهرى رامى غلط منه (ممن يحسن كلام العرب وغيرها) من العبرانية والسريانية والرومية وانما قال هذا توطئة لانه يفهم القرآن والانجيل و يقدر على النظر فى معانيهما ولذا قال (وانه سمع رجلا من أسارى المسلمين) بضم الهمزة وفتحها جمع أسير وأصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم لكل من أسر وصار فى يد عدوه (يقرأ آية من كتابكم) أيها المسلمون يعنى القرآن (فتأملتها) أى نظرت بفكرى فى معناها (فاذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم) عليه الصلاة والسلام فى الانجيل (من أحوال الدنيا والآخرة) بيان لما أى من الاحوال التى تلزم العبد فى الدنيا التى هى سبب للفوز والنجاح فى الآخرة (وهى) أى الآية التى سمعها (قوله) عز وجل (ومن يطع الله ورسوله) فى أمره مما فرض وسن ونهيه عن غيره (ويخش الله ويتقه) أى يخافه ويتجنب ما يستوجب عقوبته (فاولئك هم الفائزون) بسعادة الدارين وقوله جمع

(وحكى الاصمعى) وهو عبد الملك بن أصمع المصرى صاحب اللغة والغريب والاخبار والملح ولد سنة ثلاث وعشرين ومائة (انه
جارية) أى بنتا أو مملوكة خادمة تتكلم بعبارة فصيحة واشارة بليغة وهى خماسية أو سداسية وهى تقول استغفر الله من ذنوبى فقال
لها مم تستغفرين ولم يجر عليك قلم فقالت

أستغفر الله لذنبى كله * قتلت انسانا لغير حله
مثل غزال ناعم فى دله * انتصف الليل ولم أصله

(فقال لها قاتلك الله ما أفصحك) أى هى حقيقة بان يقال لها ذلك تعجبا من فصاحة قولها كما يقال
قاتله الله ما أعجب فعله
أى بلغ فى الكمال غاية لم
يصل غيره اليها فاستحق
ان يحسد فيه فيدعى عليه
(فقالت أو) بفتح الواو
(يعد هذا) بصيغة
المجهول والمفهوم من
الدلجى ان أصله بصيغة
الخطاب المعلومة حيث
قال عطف على مقدر أى
أيعجبك وتعده (فصاحة
بعد قوله تعالى وأوحينا
الى أم موسى) أى أشرنا
اليها الهاما أو مناما (أن
ارضعيه) أى اخفيه ما
أمكنك فيه (الآية) وهى
قوله تعالى فاذا خفت
عليه أى من لحوق الهم
فالقيه فى اليم ولا تخافى
عليه ضياعه ولا تحزنى
فراقه انا رادوه اليك لتقرى
عينا وجاعلوه من المرسلين
عنا بمر أى منا (فجمع) الله
سبحانه وتعالى فى آية
(واحدة بين أمرين) هما
أرضعيه وألقيه (ونهيين)
أى لا تخافى ولا تحزنى
(وخبرين) يعنى وأوحينا
فاذا خفت عليه (وبشارتين)
أى رادوه وجاعلوه (فهذا)
أى الجمع بين المذكور فى الآية ذكره الدلجى والاظهر ان هذا الذى ذكر من غاية الفصاحة وانما
ونهاية البلاغة فى هذه الآية وغيرها مما سبق ذكرها (نوع من اعجازه) اى اعجاز القرآن (منفرد) وفى نسخة مستقل (بذاته غير
مضاف الى غيره) أى من أنواعه المتعلقة بصفاته من حيث اخباره عن مغيباته وانبائه عن أحكام عباداته ومعاملاته ومأموراته
ومنهياته (على التحقيق) أى عند أهل التدقيق (وعلى الصحيح من القولين) أى اللذين سبق ذكرهما بالتصريح فان الاول وهو
الاولى هو القول بانه خارج عن قدرة البشر وثانيهما انه صرفهم عن معارضته خالق القوى والقدر فتأمل وتدبر

بالبناء للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالافراد فاعله ضمير رجل وقيل انه روى يقرؤن بضمير الجمع
للاسارى وهو محتاج للتكلف (وحكى الاصمعى) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة
وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير ابن أصمع وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو
والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة وتوفى بها سنة عشر ومائتين (انه سمع جارية)
أى امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح (فقال لها قاتلك الله ما أفصحك) تعجب من فصاحة
لسانها وبالغ فى تعجبه فانها تقال لمن أتى بامر بديع غريب وهى فى الاصل جملة دعائية يراد بها شدة
الاستحسان كأنه ممن يستحق ان يحسد ويدعى عليه (فقالت أو يعد) بفتح الهمزة الاستفهامية والواو
العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير أو داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول أو
الفوقية معلوم (هذا) الكلام (فصاحة) أى فصيحا (بعد قول الله) أى مع فصاحة القرآن لا يقال
لكلام غيره انه فصيح لمن سمعه فانه أزرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر
بجنب ما هو أعظم نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

ولا قبح فيها غير ان جمالها * يصير كل الغانيات قباحا

(وأوحينا الى أم موسى) أى ألهمناها أو أريناها مناما (أن ارضعيه الآية) أى فاذا خفت عليه فألقيه
فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (فجمع فى آية واحدة بين أمرين) أرضعيه
وألقيه (ونهيين) لا تخافى ولا تحزنى (وخبرين) أوحينا وخفت عليه (وبشارتين) رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر (فهذا) أى
الجمع بين ما ذكر فى آية واحدة (نوع من اعجازه) أى القرآن (منفرد بذاته) أى مستقل بنفسه غير محتاج
لغيره (غير مضاف لغيره) أى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (على التحقيق) لما فى الواقع عند من عرفه
(والصحيح من القولين) بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم
القول بان اعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه أو هو متحقق بكل واحد منهما على
حدته وانفراده بدون اضافة أحدهما الى الآخر فان كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر وهذا
هو المتبادر من سياقه وقيل المراد بالقولين القول بان اعجازه ببلاغته التى لا يرتقى احد الى مرتبتها والقول
بانه معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار بالمغيبات ولا شك فى ان من يقول باعجازه لبلاغته وأسلوبه يقول
أيضا انه بالنظر لمعناه أيضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه اذ قال أكثر
المحققين على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان أجناس الكلام مختلفة
ومراتب البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز الطلق الرسيل
فهذه أقسامها المحمودة والاول أعلاها والثانى أوسطها والثالث أدناها وقد حازت بلاغة
القرآن من كل شعبة فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج
السهولة والمتانة والجزالة يعالجان الزعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة

وانما تعذرت على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وأفهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها فيتخير واحسنها حتى يأتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى عليه قائم ورباط له ناظم فاذا تأملت القرآن وجدته استوفى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجزا لانه جاء باحسن الالفاظ وأبدع النظم والتأليف وأصح المعانى من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شئ فى موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة أزمانها جامعا للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم مادعا له ولا شك ان استيفاء هذه الامور متسقا أحسن نسق لا يمكن لغيره عز وجل (وكون القرآن من قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة واللام أى من عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة أى المجازاة فيقال لا قبل لى بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل لهم بها والمراد كونه بلغته فقوله (وانه أتى به) عطف تفسير فليس المراد انه كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم (معلوم ضرورة) للتواتر وتوفر الداعى على نقله (و) كذا (عجز العرب عن الاتيان به) أى بمثله (معلوم ضرورة) لمشاهدتهم له (و) كذا (كونه) صلى الله تعالى عليه وسلم (متحديا به) أى طالبا منهم الاتيان بمثله (معلوم ضرورة) لسماعهم له (و) كذا (كونه فى فصاحته) فى سببية مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه (خارقا للعادة) أى مخالفا لعادة فصحاء العرب فى كلامهم الفصيح من قولهم خرق الصف اذا تجاوزه وتعداه (معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة) أى أنواعها ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم أحرص الناس على ذلك (وسبيل من ليس من أهلها) أى طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم (علم ذلك) أى الاعجاز واسم الاشارة قائم مقام الضمير (بعجز المنكرين من أهلها) لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذا تحدوا (عن معارضته) والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز (واعتراف) هو فى الاصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله (المقرين) بأنه كلام الله المعجز من اقامة الظاهر مقام الضمير (باعجاز بلاغته) لهم ولغيرهم عن ان يزفوا بمثل شفة الا من غلب عليه السفه وتعلق هذا بما نحن بصدده أظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل مبتدأ وعلم بزنة مسك خبره مصدر علم يعلم والمبتدأ معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته لاسم الاشارة ولارباب الحواشى هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله وبعجز الى آخره خبره أى سبيل علم من ليس أهلا لذلك أى كونه خارقا للعادة وهو بعجز الى آخره وأعجب منه قولهم ان علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة من علمت شفته اذا انشقت فهو أعلم وبعجز متعلق بمقدر وقيل علم فعل ماض مبنى للمجهول أو للمعلوم وهو تخليط لا داعى له ثم ذكر آيات استوضح بها ما قدمه فقال (وأنت اذا تأملت) أى أمعنت النظر ودققته كمن ينظر لماله فيه أمل وانت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله تعالى اذا السماء انشقت ان منعنا دخولها على الجمل الاسمية (قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة) وما أودع فيه من

(وكون القرآن) أى نزوله باعتبار ظهوره ووصوله (من قبل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بكسر القاف وفتح الموحدة أى من جانبه وطرف حصوله (وانه أتى به معلوم ضرورة) أى بديهة لا يفتقر الى اقامة بينة ولا قيام حجة (وكونه عليه الصلاة والسلام متحديا به) أى طالبا لمعارضته ولو باقصر سورة (معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به) أى المتحدين به الموجودين فى زمنه معلوم ضرورة (وكونه) أى القرآن (فى فصاحته) أى وبلاغته (خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم) بكسر اللام وفى نسخة صحيحة للعالمين أى للعلماء (بالفصاحة ووجوه البلاغة) أى لمقاماتها المقتضية (وسبيل من ليس من أهلها) أى من المعرفة بفنون الفصاحة ووجوه البلاغة (علم ذلك) بكسر العين وفى نسخة بصيغة الماضى معلوما وقيل مجهولا والاول هو المعول أى هو ان يعلم كون القرآن فى الفصاحة والبلاغة معجزة خارقا للعادة (بعجز المنكرين) أى لكونه كلام الله تعالى (من أهلها من معارضته واعتراف المقرين) أى بكونه كلامه (و) اعتراف (المفترين) أى القائلين بافترائه (باعجاز بلاغته) أى لهم عن مناقضته (وأنت) أى أيها المخاطب (اذا تأملت) أى من جهة الايجاز الباهر فى الاعجاز الظاهر (قوله تعالى ولكم) أى ولغيركم (فى القصاص حياة) أى المودع فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب مع ما فيه من المطابقة بين معنيين متقابلين وهما القصاص والحياة ومن الغرابة بجعل القتل الذى هو مفوت الحياة ظرفا لها ومن البلاغة حيث أتى بلفظ يسير متضمن لمعنى كثير فان الانسان اذا علم انه اذا قتل اقتص منه دعاه الى ردعه عن قتل صاحبه فكأنه أحيى نفسه وغيره فيرتفع بالقصاص كثير من قتل الناس بعضهم بعضا فيكون القصاص حياة لهم مع ما فى القصاص من زيادة الحياة الطيبة فى

الآخرة وهو أولى من كلام موجز عندهم وهو ان القتل أنفى للقتل فى قلة المبانى وكثرة المعانى وعدم تكرار اللفظ المنفر للحظ وفى الايماء الى ان القصاص الذى بمعنى المماثلة سبب للحياة دون مطلق القتل بالمقابلة اذ ربما يكون سببا للفتنة فيها قتل فئة وفساد جماعة (وقوله) بالنصب (ولوترى اذفزعوا) أى عند موتهم أو بعثهم أو وقت هلاكهم (فلافوت) أى لهم من الله بهرب وسبب غريب (وأخذوا من مكان قريب) أى من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار قعرها أو من نحو صحراء بدر الى قليبها (وقوله تعالى ادفع) أى سيئة من أساء اليك من الكائنات (بالتى) أى بالحسنة التى (هى أحسن) الحسنات أو بالخصلة التى هى أحسن الاخلاق فى المعارضات من الحلم والصبر والعفو وما يمكن دفعها به من المستحسنات (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) أى صديق قريب رفيق (وقوله وقيل يا أرض ابلعى ماءك) أى انشفى (ويا سماء أقلعى) أى أمسكى (الآية) يعنى وغيض الماء أى نقص وقضى الامر أى أمر هلاك الاعداء وانجاء الانبياء واستوت أى استقرت السفينة على الجودى جبل بالموصل أو الشام روى انه ركبها عاشر رجب وهبط منها بعد استقرارها عليه عاشر شهر المحرم وصامه فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين أى هلاكا لهم حين وضعوا العبادة فى غير موضعها وفى نداء الارض والسماء مع انهما ليستا من العقلاء ايماء الى باهر عظمته وقاهر قدرته حيث انقادتا لما يريد منهما ايجادا واعداما كما حكى الله سبحانه وتعالى عنهما بقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين امتثالا لامره وانقيادا لحكمه مهابة من عظمته ومخافة من سطوته وان أردت تفصيل ما تعلق بهذه الآية فى الجملة فعليك بشرح لدجى حيث ذكر بعض ما يتعلق بها من حسن مبانيها ولطافة معانيها وبديع الحكم التى أودعت فيها (وقوله تعالى فكلا) أى عقيب ارسالنا الانبياء الى أممهم وتكذيبهم بهم كلا منهم (أخذنا بذنبه) عاقبناه باصراره على كفره وعدم رجوعه الى توحيد ربه (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفا فيه حصباء وهم قوم لوط (الآية) تمامها ومنهم من أخذته الصيحة وهم ثمود ومدين ومنهم من خسفنا به الارض وهو قارون ومنهم من أغرقنا وهم قوم نوح وفرعون مع قومه

البدائع والروائع مع لطائف الايجاز وأنوار الاعجاز الساطعة من مشكاته ورسوخ عروقه فى الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته فى الذوق، وما اشتمل عليه من بديع البديع كالاعراب بجعل القتل الذى هو ضد الحياة ظرفا لها الان من علم انه اذا قتل اقتص منه كف عنه فكان سببا لحياة من يهم بقتله وهو أوجز مما عدوه من أفصح كلامهم وهو قولهم القتل أنفى للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا لا ينفيه ففى القصاص تصريح بالمعنى المراد اذ القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوائد كثيرة فى شروح الكشاف والمفتاح والثمرة تدل على الشجرة ولا أقول البعرة تدل على البعير لما فيه من نجاسة سوء الادب (وقوله ولوترى اذفزعوا) من حلول الاجل أو من بعثهم من القبور أو فى يوم بدر (فلافوت وأخذوا من مكان قريب) أى من ظهر الارض الى بطنها أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قليبها ففى هذه الآية من الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يعرفه من له بصيرة (وقوله) تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) أى ادفع سيئة من أساء اليك بالحسنة التى هى أحسن من كل شئ حسن أو باحسن ما يمكن دفعه ولا حاجة الى القول بان أحسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما فى هذه الآية من الايجاز بحذف مفعول ادفع وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الاخلاق وهذا كقولهم أحسن الى من أساء كفى المسئ فعله وفى طى ذكر السيئة نكتة سنية واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وتكلف المناسبة بينها وبين قوله (وقوله) تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى) فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل وفى هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناداهما كما ينادى العقلاء وأمرهما بما يؤمرون به تمثيلا لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما أراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة آمره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع الامساك وفيها لطائف أخر مفصلة فى شرح المفتاح (الآية) وتمامها وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين (وقوله) تعالى (فكلا) ممن ذكر قبله من المكذبين (أخذنا بذنبه) أى عاقبناه به (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أى ريحا عاصفة فيها حصباء وهى الحجارة الصغيرة أو ملكا رماهم بها وهم قوم لوط عليه الصلاة والسلام (الآية) وتمامها ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثانى قارون والثالث قوم نوح وفرعون وفى الآية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم،

(واشباهها) بالنصب أى امثال هذه الآية ووقع فى أصل الدلجى وأشباهه فقال أى اشباه ماذكر (من الآى) أى من سائر آيات القرآن (بل أكثر القرآن) أى وبل اذا تأملت أكثر القرآن أى مما هو بمحل من ايجاز لا يرام واعجاز لا يسام (حققت) جواب اذا تأملت أى عرفت (ما بينته من ايجاز ألفاظها) أى مبانيها (وكثرة معانيها وديباجة عبارتها) أى مما يكثر ها زينة اشارتها (وحسن تأليف حروفها) أى من غير تنافر فيما بينها (وتلاؤم كلمها) بفتح فكسر أى توافق كلماتها وتناسبها فى مقاماتها قال الدلجى وقد تخفف همزة تلاؤم فتصير ياء من الملايمة أى الموافقة لا واوا وما روى فى الحديث بها فتحريف لا أصل له لان الملاومة مفاعلة من اللوم انتهى ولا يخفى ان تخفيف الهمز المضموم بعد الالف لا يعرف الا بالواو كالتناوس واما عروض المشابهة بعد التخفيف فلا عبرة به أصلا كما حقق فى تخفيف رثاء وامثالها (وان تحت كل لفظة منها) أى من مبانيها (جملا) أى من جمل الكلام المجملة (كثيرة) أى من معانيها (وفصولا جمة) أى غزيرة من الفصول المهمة والامور المتمة (وعلوما زواخر) لما فى مقام الكثرة فواخر كما قال ابن عباس
جميع العلم فى القرآن لكن
تقاصر عنه افهام الرجال
وقد سئل بعض الحكماء من بعض العلماء ما فى كتاب الله تعالى من علم الطب فقال كله فى نصف آية هى قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال صدقت وبالحق نطقت (ملئت الدواوين) أى الدفاتر (من بعض ما استفيد منها) أى مما يعسر احصاؤه (وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها) أى مما لا يمكن استقصاؤه (ثم هو) مبتدأ أى القرآن الكريم (فى سرد القصص الطوال) أى فى ايرادها متتابعة (واخبار القرون السوالف) أى أهلها السوابق متوالية (التى يضعف) أى يعجز (فى عادة الفصحاء عندها الكلام) أى لطولها

والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرائق (وأشباهها) أى ما يضاهى ماذكر فى البلاغة ووجوه الاعجاز (من الآى) اسم جنس جمعى ككلم وكلمة أو اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تأملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر فى آيات مخصوصة مشيرا الى وجوه من الاعجاز فيها فقال (بل أكثر القرآن) وجواب اذا قوله (حققت ما بينته) لك آنفا (من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق (و) لطائف (ديباجة عبارتها) قيل معنى الديباج نوع من الحرير له وبر يقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديبا زيد فيه الجيم كما يقال فى قولون وهو من الامراض قولنج ثم استعير فقالوا دبج المطر الارض اذا زينها بالنبات والرياض وفلان يصون ديباجتاه أى خداه وفى ضده يبتذلهما ومنه أخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لاوله والحواميم ديباج القرآن أى رياضه التى يرتع فيها القارئ فالمراد حسن عبارته ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى وأثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر (وحسن تأليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل (و) حسن (تلاءم كلماتها) بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلايم وملايمة أى مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو ولان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن يعنى ليس فيه تعقيد ولا ضعف تأليف وتنافر كلمات (وان تحت كل لفظة منها جملا كثيرة) أى فيها معان كثيرة وفوائد غزيرة وجعل ما يدل عليه تحته تجوزا (وفصولا جمة) أى أنواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جعل الكلام فصلا فصلا والجم الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله (وعلوما زواخر) بزاء وخاء معجمتين ثم راء مهملة أى علوما كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه ففيه مكنية وتخييلية ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع من الصرف وما فى بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له (ملئت الدواوين) أى امتلأت كتب التفسير وغيره من الفنون (من بعض ما استفيد منها) بالبناء للمجهول أى أخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا ملأها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يحويه كتاب كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام عليه (وكثرت المقالات) أى كلام الائمة والمصنفين (فى المستنبطات عنها) أى فى المعانى والاحكام المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء من البئر اذا استخرجه فما استفيد هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره (ثم هو) أى القرآن وعطفه بثم لتراخى رتبته عما قبله (فى سرد القصص الطوال) أى ذكرها فى اثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه (واخبار القرون السوالف) معطوف على القصص جمع قصة والمراد بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد أهله (التى يضعف فى عادة الفصحاء عندها الكلام) صفة للقصص والاخبار أى انها لطولها اذا أريد ذكرها

(ويذهب ماء البيان) أى عند ارادة تقريرفضولها (آية) خبر المبتدأ اى علامة ظاهرة (لمتأمله) أى لمتذكره وحجة باهرة لمتدبره
(من ربط الكلام) أى من جهة ارتباط اجزاء كلامه (بعضه ببعض) فى ترتيب مقامه وتحصيل مرامه (والتئام سرده) أى وتناسب
ماقبله لما بعده (وتناصف وجوهه) أى توافق ضروبه وتعانق فنونه كان كلا منها انصف الآخر فى أخذ حظه

بتمامها يصعب على الفصيح حكايتها ويضعف نطقها عن ادائها واجمالها لمن لا يعلمها الا تفيده فائدة يعتد بها وليس المراد انه واقع فى الخارج يعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له (ويذهب ماء البيان) أى رونقه وحسنه لانه لطوله قد لا تتناسب كلماته ويشق نظامه ولا يحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعانى وهو معطوف على يضعف الصلة ففيه عائد مقدر كالذى قبله (آية لمتأمله) أى علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والاخبار وآية خبر المبتدأ الذى هو هو أو مبتدأ مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القائمة مقام الضمير الذى هو فى سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل وقوله (من ربط الكلام) صفة لآية ومن بيانية أو متعلق بمقدر أى يظهر كونه آية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام (بعضه ببعض) بالجر بدل من الكلام أى من كون اجزائه الى غاية التناسب حتى كان كل كلمة مرتبطة باختها (والتئام سرده) بالهمزة والياء أى مناسبة كلماته المسرودة أى المتتابعة كحلق الدرع الداخل بعضها فى بعض مع فصاحتها وحسن تأليفها (وتناصف وجوهه) المراد بالوجوه انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة حسنا أى لا ينقص حسن بعضها عن بعض وهو من بليغ الكلام الذى لا يعرفه الا من ذاق حلاوة العربية كما أشار اليه المبرد رحمه الله تعالى فى الكامل قال الشاعر

لما عرضت الى تناصف وجهها * غرض المحب الى الحبيب الاول

وأصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كأنك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير هذه المعانى فقد وهم (كقصة يوسف عليه الصلاة والسلام على طولها) قصها الله تعالى على أعجب ترتيب وأبدع تهذيب بحيث لم ينصب ماء بيانها ولم ينحل عقد نظامها مرتبطة الهوادى بالاعجاز على أصح وجه وأوضح نهج (ثم اذا ترددت) أى اذا كررت (قصته) المذكورة فى القرآن من قولهم فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه كقول بعضهم

ان كنت لم أكثر زيادة حبكم * فحبى لكم بغير تردد

أى ما كرر من قصص القرآن ليس تكرارا مخلا اذ قد (اختلفت العبارات عنها) فذكرت فى كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا (على كثرة ترددها) وتكرارها والجار والمجرور حال من ضمير عنها وهذا من عظيم قدرة قائلها ويحكى عن ابن عباد رحمه الله تعالى انه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده ولما صلوا على جنازته فى محفل عظيم قام الناس لتعزيته فلم يعد عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه فى حالة حزن وألم حتى تعجب الحاضرون من بلاغته (حتى تكاد كل واحدة) من القصص المكررة (تنسى فى البيان صاحبتها) يعنى ان سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق ومناسبة المقام تفيد فوائد أخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما للعبارة المغايرة لما تقدمها وعبر بكاد لانها لم تنس حقيقة (وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها) لتفاوتهما باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة آدم وحواء وموسى عليهم الصلاة والسلام مع بنى اسرائيل (ولا نفور للنفوس من ترديدها) وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين فى القرآن بان فيه مكررات

كثيرة

من قولهم تناصفوا اذا أنصف بعضهم بعضا من نفسه (كقصة يوسف على طولها) أى المشتملة على دررها وغررها من بيان أبوابها وفصولها (ثم اذا ترددت) أى تكررت (قصصه) بكسر القاف جمع قصة بخلاف فتحها فانه مصدر قص كما يستفاد من قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص وليس كما يتوهم جمع بانه جمع (اختلفت العبارات) أى ايجازا واطنابا وتفننا فى بيانها غيبة وخطابا (عنها) أى عن تلك القصة (على كثرة ترددها) أى مع كثرة تردادها وتكرارها (حتى تكاد كل واحدة) أى من القصص (تنسى) بضم التاء وكسر السين مخففا أو مثقلا أى تذهب على خاطر المستمع المصغى المتأمل (فى البيان) أى فى مراتب بيانه ومناقب شانه من القصص (صاحبتها)
أى نظيرتها (وتناصف) بضم التاء وكسر الصاد أى وتحاكى (فى الحسن) أى فى حسن مطالعتها حال مقابلتها مرآة (وجه مقابلتها) بكسر الباء (ولا نفور للنفوس من ترديدها) أي ولا تنفر للنفوس النفيسة من سماع تكريرها وتعداد تقريرها

(ولامعاداة) أى من أحد (لمعادها) بضم الميم أى لمكررها والضمير للقصص على منوال ماقبلها ووقع فى أصل الدلجى لمعاده بافراد الضمير المذكر فقال أى القرآن والحاصل انه كما قال الشاطبى وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

وكما قال غيره أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ماكررته يتضوع

ولكن هذا بالنسبة الى صاحب قلب سليم لاالى من له طبع سقيم

(فصل) (الوجه الثانى من اعجازه) أى من وجوه ضبط أنواع اعجاز القرآن (صورة نظمه العجيب) لما فيه من بدائع التركيب وروائع الترتيب (والاسلوب) بضم الهمزة واللام الفن (الغريب) وكان المناسب أن يقول وأسلوبه الغريب (المخالف) أى بغرابته مع نهاية فصاحته وغاية بلاغته (لاساليب كلام العرب) أى لما أودع فيه من دقائق البيان وحقائق العرفان وحسن العبارة ولطف الاشارة وسلامة التركيب وسلامة الترتيب (ومناهج نظمها) أى طريق مبانيها الواضح البين عند أهلها (ونثرها) أى خطبا ورسائل وغيرها (الذى جاء عليه) أى نزل على وفقه القرآن ايماء بان ماعجزوا عنه انما هو كلام منظوم من عين ماينظم كلامهم منه ليعلموا انه ليس من كلام النبى الكريم بل هو منزل عليه من عند الله العظيم (ووقفت مقاطع آية) أى أواخر وقوف فواصلها من التام والكافى والحسن باختلاف محالها وزيد فى أصل الدلجى هنا لفظ عليه فقال أى على الاسلوب الغريب الذى قصرت عن وصف كنه اعجازه العبارة اذ الاعجاز كالملاحة يدرك ولايوصف بالاشارة (وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله) أى من الكتب المتقدمة (ولا بعده) أى ولايتصور ان يوجد بعده (نظيرله) أى شبيه ومثله فى حسن المبانى ورونق المعانى (ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه) أى لجزالة فصاحته وفخامة بلاغته (بل حارت فيه عقولهم) أى تحيرت (وتدلهت) بالدال المهملة وفى نسخة تولهت بالواو أى اندهشت (دونه) أى عنده (أحلامهم) أى فهومهم فى تصوره وتدبره (ولم يهتدوا الى مثله) أى الى اتيان شبهه

كثيرة وهو مماينفر الطبع السليم (ولامعاداة لمعادها) أى لاتعادى الطباع المكررة المعاد فى القرآن من قصصه كما قال الشاعر * طبع النفوس معاداة المعادات * وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف

(فصل الوجه الثانى) من وجوه اعجاز القرآن (من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب) أشار بالاسلوب والصورة الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقه الوارد فيها فانه مع الرغبة لايشبه الشعر ولا الخطب ولاغيرهما مما كان عادتهم ومحاوراتهم قرى الاسماع بموائد عوائده وبهذا اضمحل ماقيل انه بحسب المعنى راجع للاول لان حسن تأليفه والتئام كلمه راجع لصورة نظمه فان قيل ان قوله (المخالف لاساليب كلام العرب) منزه عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع أسلوب وهو الفن والنوع وفى كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس مداره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون اللفظ قال عبد القاهر النظم توخى المعانى على حسب الاغراض التى صيغ لها الكلام لاتواليها فى النطق وضم بعضها لبعض كيفما اتفق (ومناهج نظمها ونثرها) مجرور معطوف على أساليب أى مخالف لمناهجها جمع منهج وهو الطريق أى لايشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها (الذى جاء عليه) صفة نظم أى النظم الذى جاء عليه من عند الله تعالى واردا على أسلوبه العجيب الذى لايشبه كلام البشر (ووقفت مقاطيع آية) جمع آية مضاف لضمير القرآن وفى نسخة اياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذى يقف عليه القارئ وقفا تاما أو كافيا واسناد الوقف اليها مجازى والواقف انما هو القارئ وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه بالى وهو معطوف على الصلة (وانتهت فواصل كلماته اليه) وفى بعض النسخ ووقفت مطالع آية عليه والفواصل جمع فاصلة وهى الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير للموصول بتقدير مضاف الى آخره قالوا لايقال فى القرآن انه سجع وانما يقال فواصل لقوله فصلت آياته (ولم يوجد) أى لم يسمع كلام بليغ (قبله ولا بعده نظيرله) يماثله فى بلاغته وعلو رتبته وغرابة أسلوبه (ولااستطاع) وقدر (أحد مماثلة شئ منه) بان يأتى بكلام مايشبهه فى الجزالة والبلاغة (بل حارت فيه عقولهم) فوقعوا فى الحيرة فالعناد منعهم من الاعتراف وظهور اعجازه يكذبهم فى قولهم انه مفترى أو سحر أو نحوه مما لايقبله الطبع (وتدلهت به دونه أحلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة أى دهشت وتحيرت فى شانه فهو مما قبله وفى نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة أيضا والاحسن ان يقصر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقى من حيرته الى ذهابه ودونه بمعنى مالم يبلغ منزلته كما فى قوله تعالى لاتتخذوا بطانة من دونكم والاحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان أخر يعنى ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما هو أقل منه فكيف به (ولم يهتدوا الى مثله) أى لم

(في جنس كلامهم من نثر أو نظم اوسجع) أي في أحدها (أو رجز) بفتح الراء والجيم وفي آخره زاي وهو من بحور الشعر وأنواعه وقيل لا يسمى شعرا ولذا عطف عليه بقوله (أو شعر) وعلى الاول يكون تعميما بعد تخصيص وضبط في بعض النسخ بفتح الزاي وسكون الجيم في آخره راء

والظاهر انه تصحيف لعدم المناسبة بين السابقة واللاحقة (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد ابن المغيرة) وهو والد خالد رضي الله تعالى عنه لكن هلك على دينه لقلة يقينه (وقرأ عليه القرآن رق) بتشديد القاف أي تأثر بسماعه لما ألقي عليه (فجاءه أبو جهل) وهو ابن أخيه (منكرا عليه) أي رقته لديه (قال) وفي نسخة فقال أي الوليد (والله ما منكم أحد أعلم بالاشعار) أي بأنواع الشعر (مني والله ما نشبه الذي يقول شيأ من هذا) أي من جنس الشعر (وفي خبره الآخر) أي عن الوليد كما رواه البيهقي عن ابن عباس (حين جمع قريشا عند حضور الموسم) أي قرب ورود أهله وهو بفتح ميم وكسر سين قال الشمني موسم الحاج مجمعهم سمي بذلك لانه معلم يجتمع اليه وهو يصلح أن يكون اسما للزمان والمكان انتهى والظاهر الاول فتأمل (وقال) وفي نسخة فقال (ان وفود العرب) جمع وفد وهو القوم يجتمعون ويردون البلدة والقرية لمآرب نحو جهم الى النقلة (ترد) أي يجيئون اليكم وينزلون عليكم (فاجمعوا فيه رأيا) بفتح الهمزة وكسر الميم من أجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه أي اجتمعوا عليه بالعزم على رأي فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومنه قوله تعالى فاجمعوا كيدكم وقرأ أبو عمرو بهمزة الوصل وفتح الميم ووجهه ظاهر ولا يبعد ان يضبط هنا كذلك أيضا أي أجمعوا رأيا فيه لا يوجد ما ينافيه كما أشار اليه بقوله (لا يكذب

يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان بشيء يماثله أو يقرب منه (في جنس كلامهم) الذي يقدرون عليه وتنبي به قواهم البشرية (من نثر) كالخطب والرسائل (أو نظم) من القصائد والفقر (أو سجع) وهو الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من النثر ويطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه (أو رجز) وهو نوع من الشعر معروف وأفرده بالذكر مع دخوله في النظم لانه خلافه في عدم التزامهم رويا واحدا فعد نوعا مستقلا من الكلام أفرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمي قائله راجزا لا شاعرا (أو شعر) ولو لم يذكره كان أحسن لانه مكرر مع النظم (ولما سمع كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وانه أبو خالد وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضي الله تعالى عنه سيف الله (وقرأ عليه القرآن) أي أسمع الوليد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعض القرآن رجاء اسلامه (رق) قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام وأصل الرقة ضد الغلاظة فتجوز به عن الملاءمة والميل كما قال ابن سعيد المغربي

قد طال شوقي الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق

عنها أخذت الذي تراه * يعذب من شعري الرقيق

(فجاءه أبو جهل) لعنه الله تعالى لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصده عنه وكان ابن أخيه واسمه عمرو بن هشام (منكرا عليه) ميله له واستحسانه لما قرأه صلى الله تعالى عليه وسلم عليه وهو حال من فاعل جاء (فقال) الوليد ردا لانكار أبي جهل عليه (والله ما منكم) يا معشر قريش (أحد أعلم بالاشعار مني) انكارا لقولهم انه شاعر (والله ما يشبه الذي يقوله) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من القرآن (شيأ من هذا) الشعر الذي ينشد وأشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره في الذهن كالشاهد المحسوس (وفي خبره الآخر) أي في خبر آخر عن الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما (حين جمع) الوليد (قريشا) يعني أشرافهم ورؤساءهم (عند حضور الموسم) مفعل من الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجيء زمانه أو مجيء أهله ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب من كل فج خشي ان يسمعوا بأثر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم وحدثهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصدا الناس عنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما أشار الى بيان ذلك بقوله (وقال ان وفود العرب) جمع وفد وهو كما مر الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير أهلها وأصل معنى الوفد الاشراف (ترد) أي يقدمون من غير البلاد وأصل الورود الذهاب للماء (فأجمعوا فيه) أي في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره أي دبروا وتداركوا (رأيا) أي أمرا يعتقدون له فائدة ونتيجة وأجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال أجمعت كذا وأجمعت عليه وأكثر ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالفكر نحو فاجمعوا أمركم وشركاءكم ويقال أجمع المسلمون على كذا اذا اجتمعت آراؤهم عليه ويجوز أن تكون همزته همزة وصل أيضا لانه يقال جمع له رأيا أيضا وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم أي جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في شرحها (لا يكذب بعضكم

بعضكم بعضا) وهو بتشديد الذال وتخفف كما قرئ بهما في قوله تعالى فانهم لا يكذبونك والمعنى لا ينسب بعضكم بعضا الى الكذب (قالوا) وفي نسخة فقالوا (نقول كاهن) وهو من يزعم انه يخبر عن الكائنات في الازمنة الآتية ويدعى معرفة أسرار المغيبات الماضية وكان في العرب كهنة كشق وسطيح وهما اللذان أخبرا ببعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فمنهم من زعم ان له رئيا من الجن يلقى اليه أخبارا يسترقها من السماء ويلقطها مما يراه في أطراف الارض ومنهم من زعم انه يعرف الامور بمقدمات أسباب من كلام من يسأله أو فعله أو حاله ويخصونه باسم العراف كمن يزعم معرفة المسروق ومكان الضال وحلوان الكاهن والعراف حرام (قال) أى الوليد (والله ماهو بكاهن) اذ لم يعهد منه صلى الله تعالى عليه وسلم انه سلك طريقهم في تزوير أقاويل باطلة روجها بسجع في كلمات متقابلة اذ كانوا يروجون أخبارهم المزورة وأقوالهم المصورة باسجاع مزخرفة تزوق السامعين يستميلون بها قلوبهم وأوهامهم ويستصغون اليها أسماعهم وأفهامهم ولا يتكلمون الا بالسجع المتكلف في تأدية مرامهم ومن ثم عاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول من قال في حديث قتل الجنين كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل أى يهدر وفي رواية بطل انما هذا من اخوان الكهان لما تضمنه سجعه من الباطل وما ليس تحته طائل والا فقد ورد السجع في كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا (ماهو) أى ليس كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم المعنى به القرآن أو مطلق ما يظهره في عالم البيان (بزمزمته) أى بزمزمة الكاهن (ولا سجعه) وهو صوت خفي لا يكاد يفهم فكأنه والله تعالى أعلم اذا أراد حضور قرينه من الجن زمزم له فحضر عنده وأخبره والنفي الثاني بمنزلة الدليل للنفي الاول فتأمل أو معطوف عليه بحذف الباء كما سيأتي في قرائته

هذا وقيل زمزمة الكهان صوت يديرونه في خياشيمهم وأفواههم من غير صريح نطق وربما فهموا به من الفهم (قالوا مجنون) أى مصاب اختلط عقله من مس الجن على ما يعتقدون فيما يزعمون ولقد رأى رجل قوما مجتمعين على انسان فقال ما هذا قالوا مجنون قال هذا مصاب انما المجنون الذى يضرب بمنكبيه وينظر في عطفيه ويتمطى في مشيته وما أحسن مقابلته بالمصاب فانه المخطئ في فعله من صوب الصواب لكونه أصيب بآفة في عقله الخارج عن دائرة أولى الالباب (قال) أى الوليد (ماهو بمجنون ولا بخنقه) بفتح الخاء المعجمة وكسر النون وتسكن وتفتح وبالقاف مصدر لدخول حرف الجر بعد لا المزيدة لتأكيد النافية السابقة والمقصود انه ليس بفعل نفي كما توهم قال الحلبي الخنق بكسر النون كذا في غير مؤلف في اللغة ولكن في مطالع ابن قرقول قال بضبط المصدر بفتح النون والاسكان ولم يتعرض للكسر فحصل من ذلك ثلاث لغات في المصدر قلت وفي القاموس اقتصر على الاول حيث قال خنقه خنقا ككتف فهو خنق أيضا وخنيق ومخنوق انتهى والمصدر هنا بمعنى المفعول أى ليس هو ممن أصابه الجن وخنقه ولا وسوس في صدره لعدم ظهور أثره في أمره كما أفاده بقوله (ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال) أى الوليد

بعضكم بعضا) أى اتفقوا على أمر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف في شأنهم (فقالوا نقول) هو (كاهن) وهو الذى يخبر عن المغيبات ويدعى معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم من له جني يخبره ويلقى اليه الاخبار ومنهم من يدعى معرفة ذلك باسباب وأمور يأخذها من كلام السائل وفعله وحاله ويقال له عراف وأكثرها أمور ظنية تخطئ وتصيب أحيانا (فقال) الوليد لهم (والله ماهو بكاهن) أى حاله لا يشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذى كانوا يلفقونه وينمقونه وفيه أكاذيب باطلة فليس هذا رأيا مقبولا ولا يروج عند العقلاء (ماهو بزمزمته ولا سجعه) الضمير للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والباء للملابسة أى ليس معروفا بزمزمته أو لكلامه المفهوم من السياق أى وما كلامه مشبها بزمزمته والزمزمة صوت خفي لا يكاد يفهم وكان للكهان زمزمة ورقى يحضرون بها الجن وزمزمة المجوس قراءتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قول القائل في الجنين كيف ندى من لا أكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل وقال هذا من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فينافي كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم به أحيانا فلما رض الوليد هذا الرأى فيه صلى الله عليه تعالى وسلم (قالوا) نقول هو (مجنون) أى رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له وهو المعروف عند الاطباء وأصله من جنه وأجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان والجنين (قال) الوليد ردا لرأيهم هذا (ماهو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته) أى لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاخناق والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شئ يلقى في القلب أو في السمع بصوت خفي وقد يحدث المرء به نفسه ولذا سمى حديث النفس (قالوا فنقول شاعر قال) أى الوليد

(ماهو بشاعر قد عرفنا الشعر كله) أي أصنافه جميعها مأخوذ من الشعور وقال اليمني هو مصدر شعرت بالشيء الشعر اشعر به أي فطنت له ومنه قولهم ليت شعري أي ليتني علمت وفي الاصطلاح هو الكلام المقفى المقصود به الشعر ليخرج ما اتفق ما وافق في الوزن والتقفية كما جاء في القرآن والسنة وعبارات الأئمة من غير قصد ويقال في كلام معجز أنه ورد الى النظم مقصود بالذات الا انه لا

ومقبوضه) بيان لبعض أنواعه وأصول أصنافه هذا وقوله قريظه في النسخ بالظاء المعجمة وفي أصل الدلجي بالضاد المعجمة فعيل بمعنى مفعول من القرض وهو لغة القطع وسمى الشعر قريضا لان قارضه أي الشاعر يورده قطعا قطعا انتهى وهو الموافق لما في القاموس في حرف الضاد من قوله قرضه قطعه وجازاه كقارضه والشعر قاله وقال اليمني وسمى قريضا لكونه يقرض ويقال قرظته اذا مدحته ويجوز ان تكتب هذه اللفظة بالضاد والظاء (ماهو بشاعر) تأكيد للاول وفي نسخة وماهو بشاعر أنطقه الله تعالى بالصدق ووافقه للحق فما أقربه في الظواهر وما أبعده في السرائر فهو ممن أضله الله على علم بقدرته القاهرة وارادته الباهرة (قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر ولا نفثه ولا عقده) بالجر فيهما على انهما معطوفان على مدخول الباء أي ولا هو بنفث الساحر أي نفخه ولا بعقده في خيط عند نفثه ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد (قالوا فما تقول قال ما أنتم بقائلين شيئا من هذا) أي عبارة تموهونه في الابطال (الا وأنا أعرف انه باطل) أي وليس بحق سائل (وان أقرب القول (انه

(ماهو بشاعر) أي ليس كلامه شعرا ولا موزونا اذ معنى الشاعر مدح وهجو وتشبيب ولم يسمعوا فيما سمعوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا من ذلك (قد عرفنا الشعر كله) أنواعه وأوزانه ومعانيه ثم فصل بعض أصنافه بقوله (رجزه) نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز يقال للقصيدة منه أرجوزة وجمعها أراجيز وسمى رجزا لاضطرابه في وزنه واختلاف أوزانه واختلاف قوافيه (وهزجه) بفتحتين ومعجمتين هو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وهو فعل وانما قال الذي قال لان أسماء البحور منقولات اصطلاحية ذكرها الخليل بن أحمد فهي محدثة والهزج نوع مضطرب بعض الاضطراب وقيل انه نوع من الشعر كانت العرب تتغنى به لكن الأقرب وأنسب قوله (وقريضه) لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة بمعنى الشعر وهنا المقرض أي قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطعه نوعا مخصوصا من الكلام افرض لهذا الظاهر ان المراد به ما يقابل القصائد وهي المقطوعات وقرض الشعر مثل كلمة يقتضيه يعملها نظمه وفي العرب مرفوعا من الشعر وقبيحه (ومبسوطه) أي مطولات قصائده مطلقا القابل لما قبل فيتناول جميع أنواعه من الطويل والبسيط وغيرهما وقيل هو بحر البسيط وقال يا الدلجي فيه مثلا كلمة قوله (ومقبوضه) فقد كان ما دليل عليه لكن المراد بمقبوضه مختصر أوزانه المسمى في العروض بالمجزوء والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو الحذف ثاني السبب الخفيف الذي هو خامس كفاعيلن الذي حذفت ياؤه فصار مفاعلن لان هذا اصطلاح أحدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه بدل مفصل عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله لانه تأكيد لا يصح البدل منه لانه لا يقع مفعولا كما توهم (قالوا فنقول) هو (شاعر قال) أي الوليد (ماهو بساحر) أنكروا ما يعلمون ان الساحر هو الذي يستعين على ما يأتي من خارق العادة بالاعتبار على أمور ثم يستعين بها بالجن أو بالملائكة يستخدم بها السفلي العلوي والناس جوهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولذا قال (ولا نفثه ولا عقده) بفتح العين للمصدر وسكون القاف أو بضم ففتح جمع عقدة والنفث النفخ مع ريق والعقد عقد حبال أو شعر منفوث وفيه ونحوهم فعل السحرة مما يؤثر أمورا خارقة للعادة في الخارج عنهم وكني به عن انه ليس على عادة السحرة فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرهم ولم يرا أحد منه ذلك فاذا خطأهم الوليد في صفهم له صلى الله تعالى عليه وسلم بين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل

ياسطوة الله حلى عقد ما ربطوا ❁ وشتت شمل أقوام بنا اختلطوا

الله أكبر سيف الله قاطعهم ❁ وكلما قد علوا في ذمهم هبطوا

(قالوا فما نقول) بالنون أو بالفوقية أي نحن أو انت يا وليد وما أيك (قال ما أنتم بقائلين من هذا) أي مثل هذه الآراء (شيأ) في حقه (الا وأنا أعرف انه باطل) أي سريع الزوال عندي ولا عند العقلاء الذين يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لا يعتد بما لتقوية الكلام أو الحصر أي عرفا اعتقادي عن جهالتهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه (وان أقرب القول) في حقه أن تجعل الساحر مفترى

انه ساحر) بفتح الهمزة على انه مع اسمه وخبره خبر ان الاولى تأمل ولا تتبع طريق الدلجي في ضبط الهمزة بالكسر على انه مقول لقول مقدر حيث قالوا أقرب القول فيه ان يقال انه ساحر (ثم قال) أي الوليد (فانه سحر) أي كلام مشابه حال كونه (يفرق) أي به كما في نسخة أي بكلامه المماثل للسحر (بين المرء وابنه) أي أعز أولاده وأقاربه وفي نسخة وأبيه أي والده الذي هو أقرب أسلافه واجداده (والمرء وأخيه) أي شقيقه وأقوى قرينه ورفيقه (والمرء وزوجه) أي امرأته أو الشخص الشامل للمرأة وزوجها باحد معنييه (والمرء وعشيرته) أي عموم قرابته بواسطة المخالفة في دينه وملته (فتفرقوا) أي راضين على هذا القول من ذلك المجلس (وجلسوا على السبل) أي سبل الوافدين وطرق الواردين (يحذرون الناس) أي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومتابعته (واقتفاء سنته وطريقته فانزل الله تعالى في الوليد) أي ما يشير الى الوعيد الاكيد تهديدا شديدا (ذرني ومن خلقت وحيدا) حال من الياء في ذرني أي اتركني معه وحدي فانا أكفيكه أو من العائد المحذوف أي ومن خلقته وحيد الامال له ولا ولد بل فريدا أو تهكم به وصرفا له عن كونه لقب مدح له بانه وحيد قومه في الدنيا تقدما ورياسة ويشار الى ذمه وعيبه بما يقتضي ان يكون وحيدا في شره (الآيات) أي من قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا الى قوله سبحانه وتعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر (وقال عتبة بن ربيعة) أي ابن عبد شمس ابن عبد مناف قتل في بدر كافرا وقد قيل قتله حمزة [illegible] وعلي عليه (حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم أترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته

(انه ساحر) بفتح الهمزة وكسرها كما في كل ما وقع بعد القول [illegible] مضاف للقول على ان المصدر [illegible] والجملة الحكمية لا تحتاج لرابط لانها عين المبتدأ هنا وهذا [illegible] عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه [illegible] عنا [illegible] الضلالة على بصره ثم بين وجه أقربيته بحسب النظرة الحمقى بقوله (فانه سحر) أي كالسحر ووجه المشابهة انه (يفرق بين المرء وابنه) بالباء الموحدة والنون أو الياء المثناة التحتية ومعناه ما ذكر (والمرء وأخيه) وفي نسخة بين المرء وأخيه (والمرء وزوجه) أي امرأته وفيه لغتان هذه وزوجة بتاء التأنيث (والمرء وعشيرته) أي أقاربه الادنين المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله تعالى عليه وسلم كما كان مشاهدا في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومنهم من ترك ماله كما [illegible] في سيرة ابن هشام والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشري عن الوليد هذا من أنه قال لم يأته ولا سحر اما رأيتموه يفرق بين المرء الى آخره وما حكاه عنه من قوله ان هذا الا سحر يؤثر كما تقدم انه أراد اعلامهم انه كالساحر فيما ذكر لكنه ساقه في معرض الجزم لما روج عندهم أو انه قال برغمهم لما سمع مقالهم فرجع عنه وهو الاوفق بما في الآية ومناسب لما ذكر انه هو بصدده في غاية الظهور والقول بان الانسب ان يذكر ما حكي عنه من انه قال لبني مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول كلاما ما هو بقول انس ولا جن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما تقدم (فتفرقوا) من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه (وجلسوا على السبل) بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليخبروا الوافدين عما قالوه حتى لا يتبعوه صلى الله تعالى عليه وسلم (يحذرون الناس) منه حتى لا يصدقوه فيه ولو [illegible] ان رأوه محمد [illegible] اذا احذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى [illegible] أو حالية بتقدير قد وكذا الثانية [illegible] ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان [illegible] قدم الحج فشا أمره صلى الله تعالى عليه وسلم في قبائل العرب وخشي أبو طالب من ذلك ومن تعصب الناس على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لا لقيتهم [illegible] على غيره فقال في قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر حسن حاله وما هو عليه صلى الله تعالى عليه وسلم فيها فمنها قوله

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد * واخوته دأب المحب المواصل

الى آخرها ولولا خوف الاطالة أوردتها لما فيها من [illegible] صلى الله تعالى عليه وسلم وبيان حقيقته [illegible] (فانزل الله في الوليد) وقصته المذكورة الى [illegible] وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير [illegible] عليهم الله تعالى له (ذرني ومن خلقت وحيدا الآيات) أي دعني معه فانا اكفيه من كيد أعدائه وان كان وحيدا منفردا عن أهله [illegible] أو لا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا [illegible] ثم يطمع ان أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر والكلام على هذه الآيات مفصل في التفسير [illegible] المقام لا يسعه (وقال عتبة بن ربيعة) ابن عبد شمس بن عبد مناف والد هند أم معاوية رضي الله تعالى عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث في غزوة بدر كافرا (حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم أترك شيأ الا وقد علمته وقرأته وقلته) هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة قرأها وبعضها او انه قرأ القصص السالفة وقال الشعر ورواه

والله لقد سمعت) أي من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قولا ما سمعت مثله قط ما هو) أي ليس قوله (بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة وقال النضر
ابن الحارث نحوه وفي
حديث اسلام أبي ذر)
أي الغفاري بكسر الغين
وقد رواه مسلم (ووصف)
أي والحال انه وقد وصف
أبو ذر (أخاه أنيسا) بضم
الهمزة وفتح النون
وسكون التحتية فسين
مهملة وكان أبو ذر أرسله
قبل اسلامه الى النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم
بمكة والقصة مشهورة
وهو صحابي معروف
(فقال) أي أبو ذر (والله
ما سمعت باشعر) أي
باكثر شعرا او أحسن
نظما (من أخي أنيس
لقد ناقض) أي عارض
(اثني عشر شاعرا) أي
معروفا (في الجاهلية
أنا أحدهم وانه) أي
أنيسا (انطلق الى مكة
وجاء الى أبي ذر) نقل
بالمعنى أو الالتفات في
المبني وفي نسخة وجاءني
(بخبر النبي) أي باخبار
بعثته واظهار نبوته صلى
الله تعالى عليه وسلم
(قلت فما يقول الناس)
أي في وصفه ونعته (قال
يقولون شاعر كاهن
ساحر) أي هم مختلفون
بين قول شاعر وكاهن
وساحر أو هم قائلون بانه
لا يخلوا عن واحد من هؤلاء الطوائف المذكورة أو مدعون بانه جامع بين أو
هذه الاوصاف الثلاثة المسطورة ثم قال أخو أبي ذر (لقد سمعت ما قال الكهنة) أي كثيرا (فما هو) أي قوله

سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره مرادا اذ لا يمكن لمثله ما ادعاه (والله لقد سمعت قولا) يعني به القرآن العظيم الذي سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يتلوه (والله ما سمعت مثله قط) هو للاستغراق في الماضي (ما هو بالشعر) الباء زائدة أي ليس بشعر ولا يشبهه كلام (ولا بالسحر ولا بالكهانة) أي ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف ولم يكن في قائله شيء من أعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها كالكتابة والقسامة كما قاله الشريشي في شرح المقامات (وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن (بن الحارث) بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير (نحوه) أي مثل ما قاله عتبة والوليد في اعترافه بالقرآن وانه لا يشبه كلام البشر (وفي حديث اسلام أبي ذر) الغفاري الصحابي رضي الله تعالى عنه وهو جندب ابن جنادة كما مر وغفارة قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة وهو غفار بن مليك بن ضمرة ابن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة وحديثه رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقي في دلائل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع أربعة فلذا كان يقول كنت رابع الاسلام وقوله (ووصف أخاه أنيسا) بالتصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد (فقال) تفسير لوصفه المذكور (والله ما سمعت باشعر من أخي أنيس لقد ناقض) بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قائم وزيد ليس بقائم وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقائض الشعر في الجاهلية انه اذا قال أحدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بآبائه وشرفهم على قوم غيره أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقيض حسبه وآله فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمى ذلك مناقضة ويقال للقصائد نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت وفي الاساس يقال في كلامه تناقض وهذا مناقضه ونقيضه وتناقض القولان والشاعران وناقض أحدهما الآخر يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما نقائض ومنه نقائض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح الجديد بما في النهاية من ان المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه أي ينقض قولهم وينقضون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لا يفي بالمقصود لما عرفته (اثنا عشر شاعرا في الجاهلية) أي عارضهم في قصائدهم فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على انشائه وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيدا لما سيأتي من انكاره عليهم في قولهم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شاعر (انا أحدهم) ذكره اعترافا بقوة شاعريته (وانه) أي أخاه أنيسا (انطلق الى مكة) أي ذهب اليها بعدما كان في غنم لهما ترعى فقال لاخيه ان لي صاحبا بمكة فاكفني أمر الغنم حتى آتيك فانطلق حتى أتى مكة فابطأ على أبي ذر ثم أتاه فقال ما حبسك قال رأيت رجلا يزعم انه على دينك الى آخر القصة التي ذكرها البيهقي وأشار الى بعض منها المصنف بقوله (وجاء بخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى أخيه (أبي ذر) وكان أسلم بمكة قبل أخيه وأسلم أخوه بعده فهما صحابيان (قلت) له بعدما أخبرني (فما يقول الناس) فيه صلى الله تعالى عليه وسلم (قال) يقولون (شاعر كاهن ساحر) أي بعضهم يقول هذا وبعضهم يقول هذا ثم أشار الى بطلان ما قالوه بقوله (لقد سمعت قول الكهنة) جمع كاهن مثل كاتب وكتبة (فما هو) أي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

أو كلامه ملتبس (بقولهم ولقد وضعته) بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة الساكنة أى وضعت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم (على اقراء الشعر) يعنى انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل أى طابقه به لينظر هل هو مساوله والاقراء بفتح الهمزة والمد جمع قلة أريد به الكثرة هنا قال فى القاموس من اقرأ الشعر انواعه وانحاؤه أى امثاله فهو جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه وبحوره وقال الزمخشرى انه قوافيه التى يختم بها كاقراء الطهر التى ينقطع عندها الدم واحدها اقرء بفتح الراء كسرا وضما فهو مقاطع آياته وحدودها (فلم يلتئم) بالهمز من الملاءمة أى لم أره مناسبا ولا موافقا لفظا ولا معنى وأين الثريا من الثرى ولذا قال الفقهاء رحمهم الله تعالى لا تكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا فى مدح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم اما الهجاء فينبغى ان لا يختلف فى عدم كتابتها فيه كما قاله التلمسانى (وما يلتئم) أى يتيسر ويتفق (على لسان أحد بعدى انه شعر) بفتح همزة انه أى لا يتم لاحد غيرى ان يقول انه شعر لانه ليس أحد باعلم بالشعر وأقدر عليه منى فلو أمكن لاحد ان ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت فحيث لم يتيسر لى لا يتيسر لغيرى والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا عقبه بقوله (وانه) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (لصادق) فى قوله انه كلام معجز من عند الله (وانهم) أى الكفرة (لكاذبون) فى جميع ما قالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه قال لانيس هل أنت كاف حتى انطلق فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فانطلقت حتى أتيت مكة فقلت لرجل أين هذا الذى تدعونه الصابى فاشار اليه فمال على أهل الوادى يرجمونى حتى خرجت مغشيا على ثم أتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم ودخلت تحت أستار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة ومالى طعام الاماء زمزم فشبعت وما وجدت جوعا فبينما أنا فى ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان اسافا ونائلة فلما رأيانى ولتا وانطلقتا فاستقبلهما أبو بكر ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هابطين من الجبل فقالا مالكما فقالتا صابى بين الكعبة واستارها فجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام وكنت أول من حياه بها فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فمن أنت قلت من غفار فرفع رأسه ثم قال متى كنت ههنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوما قال ما كان طعامك قلت ما كان لى طعام الاماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى فقال انها مباركة انها طعام طعم وشفاء سقم فقال أبو بكر يا رسول الله ائذن لى فى طعامك الليلة فانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه وجعل يفيض لى من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلت بمكة ثم أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال انى وجهت لارض ذات نخل ما أحسبها الا يثرب فهل أنت تبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويؤاجرك فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسا فقال لى ما صنعت قلت أسلمت فقال مالى رغبة عن دينك فانى أسلمت وصدقت ثم أتيت أمى فقالت مثله ثم احتملت وأتيت قومى فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وكان يؤمنا خفاف وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة أسلم بقية قومى وجاءت أسلم فقالوا يا رسول الله نسلم على الذى أسلم عليه اخواننا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله وهذا خبر اسلامه باختصار (والاخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف البلغاء باعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للايمان به (صحيحة كثيرة) مع اختلاف أنواعها ورواياتها (والاعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله (بكل واحد من النوعين) الذين ذكرهما والنوع الاول منهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) اشارة الى قوله فى أول هذا الفصل أولها

(بقولهم) أى لعدم المناسبة (ولقد ضعته) أى كلامه (على اقراء الشعر) بفتح الهمزة وسكون القاف قراء ممدودة أى طرقه وانواعه وأى أنواع بحوره (فلم يلتئم) أى لم يلائم على شئ من أوزانه (وما يلتئم) أى وما يتفق (على لسان احد بعدى) أى غيرى أيضا (انه شعر) اذ الشعراء اتفقوا على ذلك لما استوزنوا كلامه على اقراء شعرهم هنالك (وانه) أى النبى عليه الصلاة والسلام (لصادق) أى فى دعوى الرسالة فى قوله نقلا عن ربه وما علمناه الشعر وما ينبغى له (وانهم لكاذبون) فى كونه شاعرا أو كاهنا أو ساحرا (والاخبار فى هذا) أى المعنى المذكور والمدعى المسطور (صحيحة) أى اسنادا (كثيرة) متنا صريحة دلالة (والاعجاز) أى عن الاتيان بمثل هذا القرآن (بكل واحد من النوعين) أى اللذين أحدهما (الايجاز والبلاغة بذاتها) أى بانفرادها فهما مرفوعان كما فى بعض النسخ على انهما خبران لمبتدأ مقدر وفى بعضها بكسرهما على كونهما بدلين من النوعين وفى نسخة والايجاز والبلاغة بذاتهما على انهما عطف بيان لما قبلهما والحاصل ان الايجاز والبلاغة كلاهما نوع كما سبق ذكره حيث عبر عنه بما بصورة نظمه العجيب والنوع الآخر وهو والذى بينه بقوله

(أو الاسلوب الغريب بذاته) أى مع قطع النظر عن بقية صفاته وفى نسختان بذل أو وهو جه لا يظهر فتأمل وتدبر ثم صرح بمقصوده في ضمن وروده تحت قوله (كل واحد منهما) أى من النوعين وهو النظم العجيب والاسلوب الغريب (نوع اعجاز على التحقيق) أى عند أرباب التوفيق وأصحاب التوفيق وفى نسخة نوع ايجاز والظاهر انه تصحيف اذ فى المعنى تحريف (لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما) أى لا بالنظم العجيب ولا بالاسلوب الغريب (اذ كل واحد) أى من النوعين (خارج عن قدرتها) أى عن قدرة العرب العرباء (مباين لفصاحتها وكلامها) أى مغاير لفصاحتهم وبلاغتهم من الشعراء والخطباء (والى هذا) أى القول بان كل واحد منهما نوع اعجاز بذاته (ذهب غير واحد) أى كثيرون (من أئمة المحققين) بسلامة فطنتهم وصحة فطرتهم (وذهب بعض المقتدى بهم) بفتح الدال أى بعض من يقتدى الناس بهم ويميلون فى الجملة الى تقليدهم وقبول قولهم (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة) أى المتضمنة للفصاحة (والاسلوب) أى من جهة الغرابة والحاصل ان تحقق الاعجاز بهما مجتمعا لا بكل واحد منهما منفردا (وأتى على ذلك) أى واستدل على ماذهب اليه أى من ان الاعجاز فى مجموعهما (بقول تمجه الاسماع) بضم الميم وتشديد الجيم أى تدفعه الطباع السليمة وتقذفه الفهوم المستقيمة (وتنفر منه القلوب) أى من أول الوهلة ومبدأ المعرفة (والصحيح ماقدمناه) أى من كون الاعجاز لكل واحد منهما بذاته منفردا (والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا) عند أصحاب الذوق من ان وجه الاعجاز أمر من جنس البلاغة يدرك كالملاحة ولا يوصف ولا طريق اليه من جهة الصنيع الامعرفة علوم المعانى والبيان والبديع مع معونة فيض الهى يورث العلم بكون ذلك ضرورة وقطعا

حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحتها ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وحاصله ان الاعجاز من نفس جوهر كلامه بكونه فى أعلى طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات وايجازه ورعاية مايقتضيه المقام وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها والنوع الثانى ما أشار اليه بقوله (أو الاسلوب الغريب بذاته) يعنى كونه على نمط لايشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور لانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع أحيانا ونظم حتى ذهب الخطيب فى تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات والاشعار التى تقع فى اثناء الانشاء وارتضاه وهو الكلام نثر الا انه لم يقصد بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يفرق بينهما بعض الشراح وقال ان فى النوعين تداخلا اذ لايتصور كونه اسلوبا غريبا دون البلاغة الى آخر ماذكره مما لاطائل تحته (اذ كل واحد منها) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع الى البلاغة فى نسخة منهما مثنى والضمير للنوعين وقيل الاولى أولى وكل مبتدأ خبره (نوع اعجاز على التحقيق) غير محتاج الى الآخر ثم بين اعجازه بقوله (لم يقدر العرب على الاتيان بواحد منها) وفى نسخة منهما كما تقدم (خارج عن قدرتها) لانه (مباين) أى مخالف (لفصاحتها وكلامها) لما فيه من وجوه البلاغة التى لاتحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع انسجامه وعذوبة ألفاظه (والى هذا) القول الدال على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف فى اثباته (ذهب غير واحد) أى جماعة كثيرة (من أئمة المحققين) العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز يعنى ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لايشبه كلام البشر ولايطيقه القوى والقدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التى يعرفونها كما قيل فى معنى الحروف فى أوائل السور نحو الم والمر يعنى انه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم فلم يأتوا بمثله (وذهب بعض المقتدى بهم) اسم مفعول بوزن المصطفى (الى ان الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب) لا بكل واحد منهما وحده (وأتى على ذلك) القول الذى اختاره وضمن أتى معنى استدل فعداه بعلى (بقول تمجه) بضم الميم وجوز بعضهم فتحها أى ترميه ولا تقبله (الاسماع) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتبريد الحرارة كما قال بعض أهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ * تشربه مسامع الحفاظ

وقال الغزى وتغير المعانى حسن بعضه * لو رد خد بالانوف يقيل

(وتنفر عنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة فحق ان القلوب تهرب منه لعدم قبولها وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفا مردودا وانما قال فى الاول انه قول الائمة المحققين وأشار بالمقتدى بهم الى ان هذا القول له وجه أيضا ليس كالقول بالصرفة (والصحيح ماقدمناه) من ان كل واحد منهما وجه فى الاعجاز كاف فيه (والعلم بهذا كله) أى العلم باعجازه ببلاغته وأساليبه العجيبة على القولين (ضرورة وقطعا) بتصحيحهما أى من سمعه قطع بما عنده من العلم الضرورى

(ومن تفنن) وفى نسخة ومن تكلم (فى علوم البلاغة) وفى نسخة فى فنون البلاغة أى من علم فنون البلاغة وصنوف الفصاحة (وأرعف خاطره) بالنصب أى رقق وحدد ذهنه بتوجيهه إليه (ولسانه) أى بتحصيل ما يراد (أى بعد الصناعة) فاعل أرعف والمعنى ان من أكثر ممارستها وأطال خدمتها حتى صار له بها تمام معرفتها (لم يخف عليه اعجازه) أى ما قدمناه كما فى أصل الدجى

من ان كلامه نوع اعجاز بذاته منفرد أعند أهل التحقيق بصفاته (وقد اختلف أئمة أهل السنة) وفى نسخة أئمة المسلمين (فى وجه عجزهم عنه) أى عن الاتيان بمثله (فأكثرهم يقول) أى قالوا مستمرين على قولهم (انه) أى وجه عجزهم (ما جمع) بصيغة المجهول وفى نسخة بصيغة الفاعل أى جمع الله (فى قوة جزالته) أى لطائف معانيه (ونصاعة ألفاظه) أى شرائف مبانيه بخلوصها من شوائب الركاكة وتنافر الكلمات والغرابة (وحسن نظمه وايجازه) أى واستحسان نظم المعانى الكثيرة فى ضمن المبانى اليسيرة من غير خلل فى مبناه ولا قصور فى معناه (وبديع تأليفه وأسلوبه) أى على صنيع منيع ليس على أسلوب نظم الشعراء ولا نثر الخطباء (لا يصح أن يكون فى مقدور البشر) لاشتماله على لطائف وشرائف فى باب البلاغة والفصاحة الى ان خرج عن طاقة

الخلق فتعين انه من كلام الحق (وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق) بفتح الهمزة أى مقدوراتهم (عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى) أى مما لا يقدر عليه غيره تعالى (وذهب الشيخ أبو الحسن) أى على بن اسمعيل بن اسحق بن سالم بن عبد الله ابن أمير العراقين بلال ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى امام أهل السنة

فانه فى أعلى طبقات الكلام أو هو مما يدرك بالذوق لا يدرك بالوصف كالملاحة والطريق له تتبع كلام البلغاء وخدمة علم البلاغة الذى به تدرك لطائفه ومن ثم قال (ومن تفنن فى علوم البلاغة) أى عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه ايرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وأنواع محاسن البديع وهو من علمى المعانى والبيان وتوابعهما (وأرعف) أى من وحد ودقق من قولهم أرعف السيف فهو مرعف اذا حدد ودقق حده (خاطره ولسانه) أى فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنه وأصل الخاطر المعنى الذى يخطر على القلب الذى هو محل العقل والفهم والمراد به نفس الفهم والعقل لارهافه بممارسته حتى يتمكن من علمه واللسان الجارحة والمراد به نفس الكلام فيحسن بذلك السبق المتمرن فى معرفته ودقته وأرعف فعل ماض فاعله (أدب هذه الصناعة) أى صناعة البلاغة وعلم المعانى والبيان وأدب من يريد طلب يكون عنده الظرف والحسن والعلم يقال أدب فأحسن تأديبه أى علمه وأصله من الأدب وهى الطعام الذى يدعى له كما قيل الأدب مأدبة الاحد غير انه يصح ارادة كل واحد هنا وأقربها الأخير وأما اطلاق الأدب على علمى النظم والنثر فمولد وان قرب من معناه الأصلى وأصل الصناعة حرفة مزاولة الجوارح كالخياطة ثم شاع فى معنى العلم (لم يخف عليه اعجازه) أى جميع ما تقدم من ان كلامه نوع مستقل (وقد اختلف أئمة أهل السنة فى وجه عجزهم عنه) أى فى سببه ومنشئه الذى به عجز الفصحاء عن معارضته (فأكثرهم يقول) أى قال وعبر به حكاية للحال الماضية حتى كأنها حاضرة (انه) وجه اعجازه ناشئ (مما جمع فى قوة جزالته) الجزالة الغلظة والصلابة والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاء جزل بل فاستعير هنا لاحكام نظمه وعدم ركاكته وأضاف اليه القوة اشارة الى انه فى أعلى مراتب الاحكام حتى لا يتطرق اليه خلل أصلا ولا اختلاف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسير بالقوة ويقال له وهذه قوة فيصح اضافتها اليها (ونصاعة ألفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملة أى وشرفها وخلوصها من أبيض ناصع وقيل الجزالة القطع ومنه القضاء الجزل أى القاطع للنزاع ونصاعته بيانه وهو ونكاف لاداعى اليه وكونها اشارة الى الحسنات البديعة لا وجه له (وحسن نظمه وايجازه) السلامة واندماجه (وبديع تأليفه) وتراكيب كاملة المؤتلفة المتواخية (وأسلوبه) طريق بلاغته أى لا يسلكها كلام غيره وقوله مما جمع متعلق بمن تأخير متعلق بقوله (لا يصح أن يكون فى مقدور البشر) مقدور اسم مفعول أو مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة أى لا يمكن القدرة على مثله لما فيه مما لا تنالة قدرتهم (وانه من باب الخوارق) أى من جنسها ونوعها يقال هذا من باب هذا أى من جنسه (الممتنعة عن اقدار الخلق عليها) أى التى لا يقدرون عليها كانها امتنعت منهم وأبت مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام (كاحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله تعالى عليه وسلم (وقلب العصا) حية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسيفا حديدا كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأطلق المصنف رحمه الله تعالى اشارة الى ما يكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو المناسب لقوله (وتسبيح الحصى) فى كفه صلى الله تعالى عليه وسلم كما ثبت فى معجزاته ثم ذكر مذهبا آخر فقال (وذهب الشيخ أبو الحسن) الاشعرى امام أهل السنة وقد تقدم بعض من

(الى انه) أى القرآن (مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر) أى فى الجملة ممن هو ماهر فى وجوه البلاغة وباهر فى فنون الفصاحة (و يقدرهم الله عليه) بضم الياء وكسر الدال أى وان يعطيهم القدرة والقوة على اتيان مثله لانه من جنس نتائج افكارهم وكرائم أسرارهم (ولكنه) الضمير للشان (لم يكن هذا ولا يكون) أى هذا وفى نسخة زيد هذا هو والشان أى الشان عدم قدرتهم عليه (فنعهم الله هذا وعجزهم عنه) بتشديد الجيم أى وجعلهم عاجزين عن أمر المعارضة فى ميدان المقاومة (وقال به جماعة من أصحابه) أى من علماء الامة لكن هذا هو القول بالصرفة فقدم انه مرجوح عند أكابر الائمة (وعلى الطريقين) أى من ان كونه معجزا بذاته عن مقاومته أو بتعجيزه سبحانه وتعالى اياهم عن معارضته (فعجز العرب عنه ثابت) أى بلا شبهة (واقامة الحجة عليهم) أى واقع (بما يصح أن يكون فى مقدورهم) وفى نسخة مقدور البشر أى على ماذهب اليه الاشعرى وبعض أتباعه (وتحديه) أى وطلب معارضته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم (بان يأتوا بمثله قاطع) أى بلا ريبة (وهو) أى تحديهم ان يأتوا بمثله مع كونه مما يصح أن يكون فى مقدورهم (أبلغ فى التعجيز وأحرى) أى أليق وأولى (بالتقريع) أى بالتوبيخ (والاحتجاج) مبتدأ أى والاستدلال على عجزهم (بمجىء بشر مثلهم) وفى نسخة منهم أى من جلتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) أى على القول بانه معجز بنظمه العجيب وأسلوبه الغريب (وهو) أى كونه ليس من قدرة البشر (أبهر آية) أى أظهر علامة (وأقمع) أى أقهر (دلالة) أى فى ثبوت الحجة (وعلى كل حال) أى تقدير من قولى الاعجاز بالصرفة أو البلاغة (فما أتوا) بفتح الهمزة أى فما جاؤا (فى ذلك) أى فى معارضته (بمقال) أى فى مقام جدال (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم أى الخروج من أوطانهم (والقتل) أى وعلى قتل أنفسهم واخوانهم (وتجرعوا كاسات الصغار) بفتح الصاد الحقارة (والذل) أى المسكنة والمهانة

غصصها

ترجمه (الى انه) أى القرآن المعجز (مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر) أى انه فرد من أفراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج فى جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف (و يقدرهم الله عليه) عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال (ولكنه لم يكن هذا) فيما مضى (ولا يكون) فى الحال والمستقبل (فنعهم الله عن هذا) أى عن معارضته والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف أيضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على التكلم بمثله وعندهم علم بوجوه البلاغة وأساليبها حالة التحدى لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر أسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب وهو قول النظام والاستاذ من أهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدى القدرة والعلم بعلوم البلاغة فاذا أرادوا ذلك لم يقدروا عليه وتسمية التحدى صرفة بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعرى الا انه لم يشتهر عنه وكلام المصنف محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان بمثله فهو المذهب الاول وان قلنا الاقتدار فهو الثانى وحمله بعضهم على الثانى وقال يحتمل أن يكون المراد بأبى الحسن رجل آخر غير الاشعرى ولا حاجة لمثله من التكلف (وعلى الطريقين) بل الطرق من اعجازه ببلاغته وأسلوبه والصرفة (فعجز العرب عنه ثابت) محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم ونفخ عنادهم لاطفاء نوره ومازاده الا اشتعالا واضاءة (واقامة الحجة عليهم) بتكليفهم بأقل قليل منه (بما يصح) أى يمكن وينبر فانه ورد بهذا المعنى فى اللغة (أن يكون فى مقدورهم) على مذهب الاشعرى (وتحديهم) مصدر مضاف لمفعوله أى طلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من العرب الفصحاء (ان يأتوا بمثله) أى مثل القرآن فى البلاغة وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت واقامة مبتدأ خبره (قاطع) بعجزهم عما لا ريب فيه (وهو) أى ماذكر أو التحدى بما هو مقدورهم (أبلغ فى التعجيز) بغيره مما لا يقدرون كاحياء الموتى (وأحرى) أفعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى أحق وأولى (بالتقريع) وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالحصا وهو الضرب (والاحتجاج بمجىء بشر مثلهم) من جنسهم وأهل لغتهم (بشئ ليس من قدرة البشر لازم) على القول الاول من اعجازه بمادته وصورته (وهو) أى المذكور من عدم قدرتهم (أبهر آية) أى أظهرها وأغلبها السائر الآيات الباهرة لارتفاع شأنه وعلوه فى مرتبة لا يدنو منها كلام بليغ كما تقصيله (وأقمع دلالة) بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر الدال مصدر أو بمعنى الدليل وأقمع من قمعه اذا قهره وردعه وأذله بعجزهم عن معارضته (وعلى كل حال) من الاحوال السابقة أى سواء قلنا بانه معجز ببلاغته أو بالصرف عن معارضته فقد عجزوا (فما أتوا فى ذلك بمقال) أى لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع (بل صبروا على الجلاء) بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال (والقتل) لفرط عنادهم وعدم انقيادهم (وتجرعوا) أى شربوا جرعة بعد جرعة (كاسات) جمع كأس وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر (الصغار والذل) بفتح الصاد المهملة وهو المذلة فالعطف تفسيرى وفيه استعارة تصريحية أو مكنية أى صبروا على التحقير والاهانة وتجرعوا

غصصها (وكانوا من شموخ الأنف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع أنف كذا ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ اذا ارتفع وهو كناية عن غاية التكبر والجملة حالية بتقدير قد (واباءة الضيم) بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر أبى اذا امتنع مما يكرهه والضيم الذل والتحقير (بحيث لا يؤثرون) بالمثلثة أى لا يرضون (ذلك) أى الذل والضيم (اختيارا) أى باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم (ولا يرضونه الا اضطرارا) أى قسرا والجاء وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما على التمييز أو المفعول المطلق (والا) مركب من ان الشرطية ولا النافية أى وان لم يكن الامر كما ذكر (فالمعارضة) للقرآن بالاتيان بمماثله (لوكانت من قدرهم) بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة أى لو كان المعارضة مقدورة لهم (والشغل بها أهون عليهم) جملة حالية أى اشتغالهم بمعارضته أسهل عليهم من الصبر على ماذكر (وأسرع بالنجح) بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم (وقطع العذر) أى قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة (وافحام الخصم) أى اسكاته عما قرعهم به (لديهم) أى عندهم وهو متعلق بجميع ما قبله من أهون وأسرع وقطع وافحام (وهم من هم قدرة) تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل المتكلفه وهم مبتدأ أول ومن استفهامية وهم الثانى خبره أو بالعكس على المذهبين والجملة خبرهم أى وهم أى شئ هم أى أمر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو أبلغ المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور كما فى كلام العرب والعجم وقد يقال هم هم بدون من أى هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس واباءة الضيم الذين لا يعادلهم فيه أحد فناهيك بما أوقعهم فى حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور أيدى سبا (على الكلام) متعلق بقدرة (وقدوة) أى مقتدى بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة (فى المعرفة به) أى بمعرفة الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفاء قريحتهم (لجميع الانام) متعلق بقدوة وأتى به للقافية أى هم فى كل ذلك أئمة مقتدى بهم لا تبع لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا بما رضوا ثم انه لما ذكر شمم أنفهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقوله (وما منهم) أحد (الا من جهد) ماض بزنة ضرب فالاستثناء مفرغ من عام مقدر (جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه أى يجتهد فيه ويتعب نفسه كقوله تعالى لا يجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم فى الطلب فلم يقدروا على شئ منه (واستنفد ما عنده) بالدال المهملة أى استفرغ ما فى طاقته وقوته (فى اخفاء ظهوره)

(وكانوا) أى والحال انهم كانوا (من شموخ الانف) بضم الشين المعجمة أى من شماخته ورفعته كبرا وعتوا وهو بفتح الهمزة وسكون النون عضو معروف وجمعه أنوف وفى نسخة بضمتين على انه جمع أنف وضبطه الحلبى بهمزة ممدودة يعنى وضم نون على انه جمع آخر (واباءة الضيم) بكسر همزة فوحدة فالف بعدها همزة أو ياء فتاء فى نسخة بغيرتاء وفى أخرى الضير براء بدل الميم وكلاهما بفتح الضاد أى وكانوا من منوع الضرر تحاميا عنه وتباعدا منه (بحيث لا يؤثرون ذلك) أى لا يختارون ماذكر من الجلاء والقتل والصغار والذل (اختيارا) أى طوعا ولا يرضونه (الا اضطرارا) أى كرها (والا) أى وان لم يكن الامر من عجزهم وصبرهم على ذلهم (فالمعارضة) أى للقرآن وسائر المعجزات (لوكانت من قدرهم) بضم وفتح أى مقدوراتهم (والشغل بها أهون عليهم) والظاهر ان يقال فالشغل بالفاء أو لكان الشغل ولعل الجملة حالية وهو بضم فسكون وبضمتين وبفتح وبفتحتين أى الاشتغال بالمعارضة أسهل اليهم (وأسرع بالنجح) بضم نون فسكون جيم أى بالظفر على المراد (وقطع العذر) أى المعذرة عند العباد فى البلاد (وافحام الخصم) أى الزامه (لديهم) أى عندهم (وهم) أى والحال انهم (ممن لهم اقتدار) وفى نسخة قدرة (على الكلام) وفى نسخة وهم من هم بفتح الميم قدرة بفتح القاف والدال جمع قادر وفى أخرى وهم ممن هم قدرة بفتحتين وقدرة فى الجميع مرفوعة وفى أصل الدلجى وهم منهم قدرة بالنصب فقال تمييز للضمير المنفصل قبله والجملة حالية من ضمير لديهم (وقدوة) عطف على قدرة وهو بضم القاف وكسرها وحكى فتحها أى اقتداء وأسوة (فى المعرفة به) أى بالكلام (لجميع الانام) متعلق بالقدرة (وما منهم) أى من أحد (الا من جهد جهده) بضم الجيم وفتحه أى بذل جهده وبالغ اجتهاده (واستنفد) بالفاء والدال المهملة أى استفرغ (ما عنده) أى من قوة طاقته (فى اخفاء ظهوره) أى ظهور نور القرآن أو علو نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من جهة رفعة الشأن

واطفاء نوره) ويأبى الله الا أن يتم نوره ويعلو ظهوره وهو مقتبس من قوله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا
يتم نوره (فاجلوا في ذلك) أي فأظهروا في مقام المعارضة مما اجتهدوا فيه غاية المجاهدة (خبيئة) بفتح

الخاء المعجمة وكسر الموحدة فتحتية ساكنة فهمزة مفتوحة وأو مبدلة مدغمة أي مخبوءة ومخفية (من بنات شفاههم) بفتح الموحدة قبل النون أي من كلمات صدرت من أفواههم والشفاه بكسر الشين المعجمة جمع الشفة بفتحها وتكسر وشفتا الانسان طبقا فيه (ولا أتوا بنطفة) أي ولا جاؤا بقطرة يسيرة (من معين مياههم) أي من ظواهر أنهار بلاغتهم وأسرار فصاحتهم بل صاروا بكما في معارضتهم (مع طول الامد) أي الزمان (وكثرة العدد) أي الاعوان (وتظاهر الوالد وما ولد) الاولى أن يقال والولد أي ومعاونتهم ومعاضدتهم في مقام الرد وأما ما في نسخة من الامل باللام بدل الامد بالدال فتصحيف وتحريف (بل أبلسوا) بصيغة الفاعل أي آيسوا من المعارضة ويئسوا من المقاومة (فانبسوا) بفتح النون والموحدة المخففة وقيل المشددة

أي القرآن أو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (واطفاء نوره) ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره المشركون
(فاجلوا) أي أظهروا من جلاء العروس على المنصة ما يتذكر البنات بعده (في ذلك) أي فيما اجتهدوا
فيه وحاولوه (خبيئة) بفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء
فعيلة بمعنى مفعولة أي مخبأة في صدورهم مستورة تخفى أسرارها (من بنات شفاههم) أي
كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت [illegible] لأم [illegible] وهي استعارة [illegible] كناية أو مصرحة
(ولا أتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء وهي الماء الصافي من نطف بمعنى صب
والنطف السائل والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف بتقديمها على الطاء وهي القراءة
نطفة أيضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء في الحديث يخاض رجل نطفة
في اداوة وهو المراد هنا (من معين مياههم) المعين الماء الجاري الظاهر والميم زائدة من العين وقيل انها
أصلية من معن بمعنى سال في الارض ومياه جمع ماء وأصله موه أي لم يقدروا على شيء مما طلب منهم وهو
استعارة تصريحية مرشحة أو مكنية أي مع [illegible] وارد [illegible] مجاري كلامهم لم يجدوا قطرة من
عذب قطراته (مع طول الامد) أي اتساع زمن التحدي (وكثرة العدد) من فصحائهم (وتظاهر) أي
تعاون ومساعدة (الوالد وما ولد) أي الكبير والصغير وهذا دفع لتوهم أنه لا عذر لهم لو ضاق الزمان
وقل الاعوان كان لهم عذر ما (بل أبلسوا) بالبناء للفاعل وفتح الهمزة يقال أبلس اذا أيس قيل ومنه
ابليس ليأسه من رحمة الله تعالى ولو كان منه منع صرفه [illegible] بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول
(فما انبسوا) بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما في قوله ان كنت غير صائد
ومعناه نطقوا وقيل هو مختص بالنفي وأورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص النفي المخفف [illegible]
(ومنعوا) بالبناء للمجهول (فانقطعوا) عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا اشارة الى القولين فأبلسوا
فما انبسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا أي منعهم الله بالصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين
فان قيل ان العرب لم تترك المعارضة لعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال
عاقل وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا في [illegible] المعارضة فكيف وقد تحدوا أشد تحد وقرعت
أصنامهم وسفهت أحلامهم وقرعوا حتى نكست أعلامهم وقد [illegible] من اشارة المصنف رحمه
الله تعالى لهذا وجوابه والاضراب للترقي في المعارضة [illegible] (فهذان
نوعان من اعجازه) الاشارة الى اعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه وأسلوبه ولم يلتفت
للصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم فانهم أفسدوه بان قوله قل لئن اجتمعت الخ دليل ظاهر على
عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم لانهم حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس
عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز للقرآن والقول بالصرفة يلزمه
اضافته الى الله تعالى لا الى القرآن بعد نزوله يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق للاجماع
الآن اذ معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن ويلزم الصرفة أيضا أنه
لا فضيلة للقرآن على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين
وهو محال قلت معنى قدرتهم أن هممهم لو توجهت الى المحاكاة لقدروا عليها فعجزت
وعلى القول بالصرفة لم تتوجه المعارضة أصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزهم أولا قدرتهم

وبضم السين المهملة أي فما نطقوا (ومنعوا) بصيغة المفعول عليه
أي فما أعطوا القدرة على المقاومة (فانقطعوا) أي عن المعارضة (فهذان النوعان) وفي نسخة صحيحة نوعان (من اعجازه) أي اجتماعا
أو انفرادا

(فصل) *(الوجه الثالث من الاعجاز)* أى من وجوهه *(ما انطوى)* أى اشتمل واحتوى *(عليه من الاخبار)* بكسر الهمزة أى الاعلام *(بالمغيبات)* أى الكائنات فى الازمنة السابقة *(وما لم يكن ولم يقع)* أى بعد *(فوجد)* أى فى الايام اللاحقة *(كما ورد)* أى مطابقا لما ورد *(على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى)* خطابا للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام *(لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله)* تعلق المدتة بالمشيئة تعليم العباده وايماء الى عدم وجوب شئ على الله تعالى فى تحقيق مراده وتلويحا بان بعضهم لا يدخله لعله من موت أو غيبة أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه حالة الرواية *(آمنين)* حال من واو لتدخلن والجملة الشرطية معترضة *(وقوله وهم من بعد غلبهم)* أى والروم من بعد غلبة الفرس لهم *(سيغلبون)* الفرس وكانوا مجوسا والروم نصارى فورد خبر غلبة الفرس اياهم مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون لا كتاب لنا وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت الآية الى قوله فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لا يقرن الله أعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس فى بضع سنين فقال أبى ابن خلف كذبت اجعل بيننا وبينك أجلا فراهنه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر أبو بكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده أى فى الابل وماده فى الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبى بعد قفوله من أحد بجرح من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسرف كافرا وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ أبو بكر القلائص من ورثة أبى فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم تصدق بها وبه أخذ أئمتنا الحنفية جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب وأجاب الشافعية بانه كان قبل تحريم القمار والله تعالى أعلم

عليه البتة فان قلت توجه الهم اليها مع العجز عنها فى نفس الامر لا يسمى قدرة قلت ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك فى ان أهل البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن الحاكات ابتداء بل بعد الاختبار فتأمله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب الله من علم منه عدم الايمان بالايمان كأبى جهل وأبى لهب نظرا القدرتهم عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات

(فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز) أى اعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السالفين أو غير الوجوه الثلاثة *(ما انطوى عليه)* أى اشتمل عليه ووقع فى ضمنه *(من الاخبار)* بكسر الهمزة مصدر *(بالمغيبات)* بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب أو مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا أهل عصره وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد هنا الثانى لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف عليه قوله *(وما لم يكن ولم يقع)* فمن فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على ان الاصل فى العطف التغاير فقد خالف كلامه الآتى من جميع ما مثل به وان كان صحيحا فى نفسه لاندراجه فيها *(فوجد)* بعد ذلك مطابقا للخبر ومصداقا له وعبر عنه بالماضى وان كان مستقبلا بالنسبة لما قبله *(على الوجه الذى أخبر)* به فى هذه الآية *(كقوله تعالى)* فى سورة الفتح *(لتدخلن المسجد الحرام)* اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق *(ان شاء الله)* علقه بالمشيئة مع تحققه تعليما للعباد أو تلويحا بعدم دخول بعضهم لموته أو غيبته أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم *(آمنين)* حال من فاعل لتدخلن والشرط اعتراض لانه صلى الله تعالى عليه وسلم رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية انه دخل مع أصحابه وأخبرهم بذلك فظنوه انه فى ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان كما أخبر *(وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون)* فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس بعد مدة أقل من عشر سنة وكان كما أخبر الله به فى كتابه وذلك ان الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أبو بكر رضى الله تعالى عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية بن خلف كذبت فقال بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بينى وبينك

وقوله) أي وكقوله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره) أي ليغلب دين الحق ويعليه (على الدين كله) أي على جنس الدين جميعه بتمام أفراده بتسليط المسلمين على أهله بالعزة والغلبة والقهر والقوة فضلا عن الحجة (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) أي في الارض كما استخلف الذين من قبلهم أي من الانبياء السالفة وأممهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ (وقوله اذا جاء نصر الله والفتح) أي فتح مكة (الى آخرها) أي الى آخر السورة أو الى آخر ما يتعلق به من معنى الآية وهو قوله ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا (فكان جميع هذا كما قال) أي وقع كله كما أخبر عنه أي فكان جميعه كما قال معجزة ومن أعلام النبوة (فغلبت الروم على فارس في بضع سنين) أي يوم الحديبية قيل عند رأس سبع سنين وكان حقه ان يقول أيضا ودخل أهل الاسلام في المسجد الحرام آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين غير خائفين في عام عمرة القضاء وكان صلح الحديبية مقدمة فتح مكة وهذا وان كان باعتبار الآية الواردة فيه مقدما لكن وقوعه عن قضية غلبة الروم صار مؤخرا (ودخل الناس في الاسلام) أي بعد فتح مكة (أفواجا) أي فوجا بعد فوج من أهل مكة والطائف واليمن وغيرها (فمات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف) أي الله تعالى كما في نسخة (المؤمنين في الارض) أي في عامة البلاد (ومكن فيها دينهم) أي ثبته فيما بين العباد (وملكهم اياها) أي الارض وبلادها (من أقصى المشارق

أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك الثلاث سنين وأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهي من الثلاث الى التسع فجعل القلائص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين فاخذ القلائص أبو بكر رضى الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم القمار وانما أمره بالتصدق بها لانه قد علم خبثها لانها ستحرم أو شكر الله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم (وقوله تعالى ليظهره على الدين كله) هذا وعد من الله تعالى بان دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم جميع الامم فان العزة لله ولرسوله وكان كما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة في المال والجند (وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الآية) أي ليجعلنهم خلفاء في أرضه ممالكين لها منصورين على أعدائهم وهذه الآية وان كانت عامة المراد بها غلبة المسلمين لاهل الردة في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (وقوله اذا جاء نصر الله الى آخرها) أي الى آخر السورة وهذه الآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم بكى العباس رضى الله عنه فقال ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول وعبر بالمجىء ايماء الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى أوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم وفيه من البلاغة ما لا يخفى ثم أشار الى تفسير ما ذكر بقوله (فكان جميع هذا كما قال) الله عز وجل مطابقا لما أخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله (فغلبت الروم) وهم جيل من الناس معلومون (فارس) وهم الفرس أي قوم العجم ويطلق على بلادهم أيضا وهو لفظ معرب فان أريد الثاني قدر أهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (في بضع سنين) أي سبع سنين كما أي في رأس سبع سنين وآخرها والرأس يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول أيضا (ودخل الناس في الاسلام أفواجا) أي جماعات كثيرة بعد جماعات وفوجا بعد فوج لما أعز الله الدين ونشر اعلامه في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر السالفة (فمات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف الله المؤمنين في الارض) أي جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده وآخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر لان الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول وان تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبنى على عموم الذين آمنوا في قوله وعد الله الذين آمنوا الآية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كما تقدم (ومكن فيها) أي في الارض (دينهم) وهو دين الاسلام أي جعله متمكنا قارا الى نزول الى يوم القيامة يقال مكنته ومكنت له فتمكن وهو في الاصل التمكن من المكان (وملكهم اياها) أي الارض لان أشرف المعمور منها في أيديهم وباقيها في انقيادهم فهم بالقوة كالمالكين لها أو انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام الى الارض على دينه معدودا من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم ولذا قال (من أقصى المشارق

الى

الى أقصى المغارب) أى أبعد مكان من جانب المشرق الى أبعده من جانب الغرب وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة أو لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضى المقدسة وقد وقع للادباء مفاخرة بينهما فقال محيى الدين بن سحنون

من أين للغرب فضل * الا لمن يتغالى
والشمس تفقد فيه * والبدر يلقى هلالا
دلائل النقص فيه * فكيف يحوى الكمالا

وقال

فلا تبخس الشرق حقا وخذ * من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومفيد الضياء * ووجه الزمان وثغر الفلق

وعارضه الوداعى رحمه الله تعالى فقال

الغرب خير وعند ساكنه * أمانة أوجبت تقدمه
والشرق من نيريه عندهم * يودع ديناره ودرهمه

ثم أنصف من قال

حوى كل من الافقين فضلا * يقربه الغبى مع النبيه
فهذا مطلع الانوار منه * وهذا منبع الانواء فيه

وهذه لمحة أدبية ونفحة مسكية اخصتنابها (كما قال عليه الصلاة والسلام) فى حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضى الله تعالى عنه (زويت لى الارض) بزاء معجمة وواو وياء مبنى للمجهول أى جمعت وطويت (فاريت) مبنى للمجهول من المزيد أى أرانى الله (مشارقها ومغاربها) أى جميع أماكنها وبلدانها (وسيبلغ ملك) بضم الميم (أمتى ما زوى لى منها) وجمع بمرأى عينى وما زوى منها هو المشارق والمغارب السالفة وتوهم بعضهم انه غيره وان أول الحديث مخالف لآخره ثم جمع بينهما بان المراد بما زوى المعمور منها وما من شانه ان يملك فكأنه قال جميعها وفيه ما لا يخفى وقدم المصنف رحمه الله تعالى خبر الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) فاخبر بانه تعالى تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة (فكان كذلك) فى المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا من كتاب الله أى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها والمراد بالذكر القرآن (لا يكاد يعد) بالبناء للمجهول أى لا يعد لكثرته (من سعى) أى اجتهد (فى تغييره وتبديل محكمه) ويكاد بمعنى يقرب ونفى القرب من العد أبلغ من نفى العد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا لمانع من تبديله وقوله (من الملحدة) بيان لمن أى من الطائفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتأويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية وزعم بعضهم ان مصحف عثمان رضى الله تعالى عنه نقص منه بعض القرآن كما ذكره القرطبى فى أول تفسيره (والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا بزى الاسلام خوفا من القتل وسعوا فى نقض الدين وتزيين ما روج على بعض العقول القاصرة (لا سيما القرامطة) هم طائفة من الملحدين أيضا قال السمعانى فى الانساب القرمطى بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة وهم من أهل هجر والحسا وأصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من أولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة الاسلام فى أيام أبى مسلم الخراسانى

فيما رواه مسلم عن ثوبان مرفوعا (زويت لى الارض) بضم الزاى وكسر الواو أى جمعت وطويت لاجلى (فاريت) بصيغة المجهول وفى أصل الدلجى فرأيت (مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها) أى باسرها (وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) أى من التحريف بالزيادة والنقصان مما تواتر عند علماء الاعيان من قراء الزمان (فكان كذلك) أى بمقتضى حفظه (لا يكاد يعد) بصيغة المجهول أى يحصر (من سعى فى تغييره) أى من مبانيه (وتبديل محكمه) أى فى معانيه (من الملحدة) أى المائلة عن الحق الى الباطل كالحلولية والاتحادية وامثالهما (والمعطلة) أى القائلة بتعطيل الكون من المكون كالدهرية ونحوها (لا سيما القرامطة) بالرفع على ان سى بمعنى مثل وما موصولة صدر صلتها محذوف أى ولا مثل الذين هم القرامطة وبالجر على ان ما زائدة وبالنصب على انها اداة استثناء وهم طائفة معروفة وقال بعضهم فرقة من الاباضية وهم اتباع حمدان القرمطى

ونقله الخلافة المروانية وهو من الموالي وهم من أولاد الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغي ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا أربعة أقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من أجابه حماد بن قرمط فاعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأى عاما اعمى وهو من أهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى أي يقارب خطاه ومنه الخط المقرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل انه معرب وان جدهم كان يسمى كرمه فغيروه وعربوه وكان رجلا أحمر العينين من سواد الكوفة فالكاف عجمية في الاصل من الكرمية وهي الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين ومائتين فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلاة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت له وقائع وحروب ودعاة وخلفاء مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن الجبائي فعاث في البلاد وأفسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة وأخذ كسوتها وأخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان بذل لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا ولم يزالوا كذلك حتى أخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم ستا وثمانين سنة وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول وما ذكرنا يجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه (فاجمعوا كيدهم) بقطع الهمزة والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القرآن (وحولهم وقوتهم) أي اعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القرآن (اليوم) منصوب على الظرفية قيل بتقدير أعد اليوم أو بنزع الخافض أي الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر في زمن المصنف (نيفا) بكسر الياء المشددة وسكونها بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة أي مدة تزيد (على خمسمائة عام) وهي مدة سعي هؤلاء فيما ذكر (فما قدروا) في هذه المدة الطويلة (على اطفاء شيء من نوره) تمثيل لحالهم في سعيهم في تحريف القرآن عن أراد اطفاء نور عظيم منتشر في الآفاق (ولا على تغيير كلمة من كلامه) تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا (ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه) فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق (والحمد لله) على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه وخيبة سعي من سعى في اطفاء ضياء جهلا بأعدائه (ومنه) أي مما أخبر به من الغيبيات المعجزة (قوله) عز وجل (سيهزم الجمع ويولون الدبر) نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما المراد بها حتى كان يوم بدر وعلم سيرون من نزولها فلبس صلى الله تعالى عليه وسلم درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فعلمت المراد منها أي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم أي يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى (وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية) أي ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن من بني خزاعة أسلموا وقدموا مكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين أذى شديدا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اصبروا وابشروا بالفرج قريب فنزلت هذه الآية فكان بعدها ما أوقع الله تعالى بهم

(فاجمعوا كيدهم وحولهم) أي جهدهم (وقوتهم) أي جهدهم (اليوم) أي الى يومنا هذا (نيفا) بفتح النون وسكون الياء مخففة وقيل مشددة مكسورة أي زيادة (على خمسمائة عام) أي بالنسبة الى تاريخ زمن المصنف واما الآن فهو نيف وألف (فاقدروا) أي القرامطة وغيرهم من الملاحدة ونحوهم (على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه) وفي نسخة صحيحة من كلمه بفتح فكسر ويجوز بكسر فسكون (ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه) أي لا من حروف مبانيه ولا من حروف معانيه ولا ترديدهم في اعراب بل ولفظه مما ينافيه في باب (والحمد لله) أي على تمام هذه المنة واتمام هذه النعمة أي (ومنه) ومن اعجاز القرآن في اخبار الغيب من مستقبل الزمان (قوله تعالى سيهزم الجمع) أي جمع أهل الكفر (ويولون الدبر) أي الادبار كما قرئ به وأفرد لقصد الجنس أو لارادة كل واحد ولمراعاة الفواصل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لما نزلت لم أعلم ما هو حتى كان يوم بدر سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يلبس درعه ويقول سيهزم الجمع فعلمته (وقوله تعالى) أي ومنه قوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم) أي قتلا (الآية) أي ويخزهم اسرا وينصركم عليهم نصرا من ويشف صدور قوم مؤمنين أي مما اتلاهم بهم قيل هم خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطون من اليمن وردوا مكة واسلموا فلقوا من أهلها أذى كثيرا فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اصبروا فان الفرج قريب

من القتل وأسر الذرية ... المؤمنين التي ثبتت ... بصدورهم وغيرها والسبي والجلاء من طائفة منهم (وقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية) في الأخبار بالغيب من ظهوره ودينه على سائر الأديان على رغم أنفهم وقد تقدم الكلام على هذه الآية (وقوله لن يضروكم إلا أذى) أي لا يقدرون عليكم إلا بأذية يسيرة كالطعن فيكم والتهديد لكم (وإن يقاتلوكم الآية) أي يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون فأخبرهم كما قال ولما قاتلوا لأنه حقيقة انهزامهم ... والأمر ... والحرب سجال (فكان كل ذلك) أي وقع كما أخبر الله تعالى به وقيل ... طريق ... من عجزهم وتعذيبهم ما يشفي صدور المؤمنين وإظهار ... كل من قاتلهم (و) عما في القرآن من الغيبات (ما فيه) أي القرآن (من كشف أسرار المنافقين) أي إظهار ما أخفاه المنافقون في قلوبهم مما لا يعلمه إلا الله تعالى مما أنزله في حقهم في سورة المنافقين (و) كشف أسرار (اليهود ومقالهم) أي إظهار ما قالوه فيما بينهم وهم يظنون أنه لا يشعر بهم غيرهم (وكذبهم في حلفهم) أي كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى ... بالشهادة كقوله تعالى إنهم لكاذبون كما ذكر في سورة المنافقين ومثله كثير في القرآن (وتقريعهم بذلك) أي توبيخ الله تعالى لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بأيمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال (كقوله) عز وجل (ويقولون في أنفسهم) أي قولا ... فيما بينهم وفي خلوة تناجيهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أي هلا يعذبنا الله بقولنا في حق محمد لو كان نبيا ودعا علينا حتى نعذب أو بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين فأخبر الله تعالى بذلك وفضح سرائرهم بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية) ... أمرهم ... وبعد ذلك إذا أتوك وهذا بيان لحال المنافقين وذكر ما هو الذي أخفوه ... وقد غشيهم النعاس ولم يكن لهم هم غير تخليص أنفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض في خلوة من المؤمنين لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا الآية فأعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك فأخبرهم بما قالوه وهو من جملة الغيبات (وقوله) عز وجل (ومن الذين هادوا سماعون للكذب الآية) أي سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) دعاء عليهم بالصمم أو بالموت أو لا أسمعك ما يعجبك فأخبره الله تعالى بما في نفوسهم ... ومكرهم وحيلهم وهو من الإخبار بالغيب الدال على إعجاز القرآن وهذا في حق اليهود وفي الآية كلام مفصل في التفاسير يحتمل الاشتراك وجوه من الإعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله في هذه الآية وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي بالتكذيب والاستهزاء والسخرية ... الإخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويستترون به ... قولهم راعنا ... صلى الله تعالى عليه وسلم ... وهو من ... مكرا ... ليا بألسنتهم ... (وقد قال) الله تعالى حال كونه

(وقوله تعالى) أي وكقوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى الآية) وقد سبق وهذا من التكرير في التعبير (وقوله لن يضروكم إلا أذى) أي ضررا يسيرا كطعن في الدين وتهديد في التخمين (وإن يقاتلوكم الآية) أي يولوكم الأدبار أي منهزمين ثم لا ينصرون أي لا ينصر أحد منهم ولا يدفع بأس عنهم (فكان كل ذلك) أي فوقع مثل ذلك كله من هزم جمعهم وتعذيبهم بشفاء صدور المؤمنين بنصرهم عليهم وانحصار الأذى في ضررهم وانهزامهم كبني قريظة والنضير وأمثالهم (وما فيه) أي وعما في القرآن (من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقالهم) أي من إيضاح أقوالهم وافتضاح أحوالهم (وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك) أي ومن توبيخ الله تعالى إياهم بسوء أعمالهم وتقبيح آمالهم وتفظيع مآلهم (كقوله) أي كما في قوله سبحانه وتعالى (ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم أو في نفوسهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أي هلا يعاقبنا بقولنا في محمد طعنا منافيه وفي الاسلام ودفعا عنا السام بدل السلام قال الله تعالى وهو العليم الخبير حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير (وقوله) أي وكقوله تعالى في حق المنافقين (يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك الآية) يعني لو كان لنا من الأمر شيء كما زعم محمد أن الأمر كله لله وأن حزبه هم الغالبون ما قتلنا ههنا أي في المعركة (وقوله) أي وكقوله تعالى في حق اليهود (من الذين هادوا) أي بعض اليهود أو منهم قوم (سماعون للكذب الآية) أي أنهم سماعون للكذب الخ (وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) أي يميلونها عن مواضعها التي وضعها الله تعالى فيها بإزالتها عن مكانها وإثبات غيرها فيها أو يأولونها على ما يشتهون فيها (إلى قوله وطعنا في الدين وقد قال

(مبينا) بالياء أى مظهرا (ما قدره الله) وقضى به (واعتقده المؤمنون) من الظفر باحدى الطائفتين العير أو النفير (يوم بدر) أى فى وقعتها الان اليوم يطلق على ذلك فى قولهم أيام العرب كما تقدم وهو من المغيبات التى أخبرهم بها بقوله (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) بدل مما قبله (وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكى وشائك السلاح للرجل المستعد للحرب بآلاته وهذا اخبار للمؤمنين بأمر وقع فى أنفسهم ودوه وأحبوه وهو مغيب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أعلمه به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القرآن وذلك ان المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بمالهم من التجارة وأحبوا الخروج اليها علم الكفار بذلك فخرج أبو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم أبو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لذلك أخذ بالعير الى جانب ساحل البحر فقيل لابى جهل ارجع بالناس فأبى وسار بمن معه الى بدر فوعد الله تعالى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم بأحد الامرين الظفر بالعير أو قتل النفير وكانت الصحابة رضى الله تعالى عنهم يودون فى أنفسهم أخذ العير لما فيها من المال وقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله تعالى انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين (ومنه) أى من أخباره بالغيب فى كلامه المعجز (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) وهم خمسة من الكفار أو سبعة كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم أشد الاذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعا وكفايته أمرهم قبل وقوعه فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التى أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذى قبله ولذا جعلهما فى قرن كما أشار اليه بقوله فى سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبرانى فى الاوسط (ولما نزلت) هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم (بشر بذلك أصحابه) أى بهلاكهم لما كان عندهم من الالم من شدتهم فأخبرهم (بان الله كفاه اياهم) باهلاكهم (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) من أهلها (ينفرون الناس عنه) صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم (ويؤذونه فهلكوا) وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمى وعدى بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة بن عامر الفهرى والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردى فى أعلام النبوة وروى ان جبريل أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم بهلاكهم وكيفيته وقدم وابه رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصل فى السير وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم هلكوا فى ليلة واحدة والذى ذكره غيره انهم هلكوا فى أيام متقاربة بعد ما دعا عليهم بفناء البيت فأجاب الله تعالى دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنزل عليه الآية كما قال فى الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
فرماهم بدعوة من فنا البيـ * ـت وفيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردا من جنوده الادواء

(مبدئا) بالهمزة أو الياء أى حال كونه تعالى مظهرا (ما قدره الله) بتشديد الدال أى ما قضاه (واعتقده) ويروى وما اعتقده (المؤمنون) أى مقتضاه الواقع (يوم بدر) على وفق رضاه من الظفر باحدى الطائفتين العير والنفير (واذ يعدكم الله احدى الطائفتين) أى القافلة الراجعة من الشام أو الطائفة الآتية من بيت الله الحرام (انها لكم) حاصلة من أموال احداهما أو غنيمة أخراهما (وتودون) أى تتمنون وتحبون (ان غير ذات الشوكة) وهى السلاح يعنى العير المقبلة مع أبى سفيان (تكون لكم) حيث لا حدة فيها ولا شدة بخلاف ذات الشوكة من النفير وهو الجمع الكثير ممن نفروا مع أبى جهل من مكة لاستنقاذ العير واستخلاصهم من أيدى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه متقوين بكثرة عددهم (ومنه) أى ومن اعجازه سبحانه وتعالى (قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين) أى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وقيل وكذا عمه أبو لهب وعقبة ابن أبى معيط والحكم ابن أبى العاص الا انه أسلم يوم الفتح والباقون أهلكوا بأنواع من العقوبة (ولما نزلت) أى هذه الآية فيهم على ما رواه الطبرانى فى الاوسط (بشر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه بان الله كفاه اياهم) أى شرهم وأذاهم

(و)

ورواه البيهقى وأبو نعيم بمعناه (وكان المستهزؤن نفرا بمكة) أى جماعة مترصدين للواردين بها والصادرين عنها (ينفرون الناس عنه) بتشديد الفاء أى يصدونهم عن الايمان به (ويؤذونه) أى بهذا واضرابه (فهلكوا) أى بضروب البلاء وفنون العناء فتم نوره وكمل ظهوره

(و) من الاخبار بالغيب (قوله والله يعصمك من الناس) أى يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى أسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لا ينافى ما أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم باحد لان الآية نزلت بعدها أو المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضرى فى خصائصه (فكان كذلك) أى محفوظا معصوما كما أخبر الله تعالى وكان هنا تامة وكذلك أى وقع ووجد كما أخبر به أو ناقصة وكذلك خبرها وقوله (على كثرة من رام) أى قصد (ضره) مفعوله وفسره بقوله (وقصد قتله) اشارة الى صحة ما تقدم عن الخيضرى من ان العصمة انما هى عن القتل لا عن غيره من أنواع الاذى كما مر (والاخبار بذلك معروفة صحيحة) كما فى صحيح مسلم عن جابر ابن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت فى يده فقال له من يمنعك منى قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا أكون فى قوم هم حرب لك ومثله كثير

(فصل الوجه الرابع) من وجوه الاعجاز القرآنية (ما أنبأ به) أى ما أخبر الله به (من أخبار القرون السالفة) هو جمع قرن وهم أهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم وأحوالهم فقيل هو أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان أى أخبار الامم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ وساح فى أقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف فى حقه صلى الله عليه وسلم (والامم البائدة) أى الهالكة الذين أفناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم (والشرائع الداثرة) بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له أثر والدثور ورد بمعنى النسيان فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسيت ونسخت أحكامها من تدثر بثيابه اذا تلفف بها وفى تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنن لان السالفة والبائدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعانى (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما كقوله من أخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق فى شروح الكشاف (الا الفذ) الفذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفى الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة (من أحبار أهل الكتاب) أحبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلماء أهل الكتاب ومنه كعب الاحبار التابعى المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب المذكور أو لانه يحبر الكلام ويزينه وفى المصباح الحبر بالكسر المداد الذى يكتب به واليه نسب كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهرى وعن الفراء الحبر العالم والجمع أحبار مثل حمل وأحمال ويقال الاحبار أيضا أى عالم العلماء وكذا فى تهذيب الاسماء للنووى وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب الاحبار (الذى قطع عمره فى تعلم ذلك) أى تعلم أخبار من سلف وشرائعهم فاذا كان لا يعلمه الا من قرأه ودرسه طول عمره وأما من كان أميا فى أمة أمية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه به وأخباره مفصلا أمر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته (فيورده) متفرع على قوله أنبأ أى اذا أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده أى يذكره (النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) حال من الفاعل أو صفة مصدر مقدر أى ايرادا كائنا على وجهه أى على أتم حال يليق به وينبغى له كما يقال دبر

(وقوله والله يعصمك من الناس) عدة من الله تعالى لعصمة روحه من غوائل عدوه (فكان كذلك) أى كما أخبر به من لا خلاف فى خبره (على كثرة من رام ضره) أى مع كثرة من قصد ضره (وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة) أى مشهورة فى كتب المغازى فى باب السير (صحيحة) أى مذكورة عند أرباب الاثر فعصمه الله تعالى وحفظه حتى انتقل من دار الدنيا الى منازل الحسنى فى العقبى

(فصل)

(الوجه الرابع) أى من وجوه اعجاز القرآن (ما انبأ به) أى وأعلمه (من أخبار القرون السالفة) أى الماضية (والامم البائدة) أى الهالكة الفانية (والشرائع الداثرة) أى الدارسة (مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ) بفتح الفاء وتشديد الذال المعجمة أى الفرد الواحد المنفرد عن اقرانه فى علو شأنه (من أحبار أهل الكتاب) بالحاء المهملة أى من علمائهم (الذى قطع عمره) أى صرفه (فى تعلم ذلك) أى الحبر الواحد من ألسنة كبرائهم أو من كتب فضلائهم (فيورده النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على وجهه) اذ لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى

(ويأتى به على نصه) أى كما قرأه عليه جبريل من غير تصرف فى لفظه (فيعترف العالم) أى منهم كما فى نسخة (بذلك) أى بسبب ما أورده (بصحته وصدقه) متعلق بيعترف (وان مثله لم ينله بتعليم) أى لم يصل اليه بواسطة تعليم وتعلم من الخلق وحينئذ قد يغترف من بحر تحقيقه ويتشرف بتوفيق تصديقه لعلمه انه أخبر الخالق بوحى من الحق (وقد علموا) أى جميعهم قبل ذلك (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمى) أى فى جميع أمره (لا يقرأ ولا يكتب) أى فى جميع عمره (ولا اشتغل بمدارسة) أى مع العلماء (ولا مثافنة) بالمثلثة والفاء والنون أى ولا مجالسة مع الشعراء

والفضلاء وفى نسخة بالقاف والموحدة ولعلها مصحفة أو يراد بها المزاحمة فى المعرفة من ثقوب الذهن وهو وصوله الى الصواب ثم هذا فيما بينهم (ولم يغب عنهم) أى غيبة يمكنه التعلم فيها من غيرهم (ولا جهل حاله أحد منهم) أى منذ كان صغيرا الى ان بعث كبيرا لانه كان من أعيانهم والحاصل انه كما قال صاحب البردة ذائقا من هذه الزبدة * كفاك بالعلم فى الامى معجزة (وقد كان أهل الكتاب) أى من اليهود والنصارى (كثيرا ما) أى فى كثير من الاوقات (يسألونه صلى الله تعالى عليه وسلم عن هذا) أى عن أخبار القرون الماضية (فينزل) بصيغة الفاعل أو المفعول مخففا أو مشددا (عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا) أى بيانا لاعمالهم وأحوالهم وما جرى لهم فى ما لهم (كقصص الانبياء مع قومهم) أى أقوامهم من أممهم اجمالا تارة ومفصلا أخرى وعموما مرة وخصوصا كرة كما أشار اليه بقوله (وخبر موسى والخضر) بفتح فكسر وروى بكسر فسكون قيل لانه اذا جلس أو صلى اخضر ما حوله وفى البخارى انه جلس على فروة فاذا هى تهتز خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة أو الحشيش اليابس وفى اسمه اختلاف وكذا فى كونه نبيا مرسلا أو غيره أو وليا وبه جزم جماعة وأغرب ما قيل انه من الملائكة وقيل انه من ابن آدم وقيل

الامر على وجهه كما فى الاساس (ويأتى به على نصه) أى فى غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشئ نصه أى نهايته كما فى الاساس لان معنى نص رفع ومنه المنصة وفيه تورية لان عبارة القرآن تسمى نصا (فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه) أى من يعلم تلك الاخبار والشرائع اذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله (وان مثله) أى مثل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو مثل هذا الكلام (لم ينله) أى لم يصل اليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (بتعليم) أى من البشر بل بوحى من الله تعالى (وقد علموا) أى علم الناس من المسلمين والمشركين (انه صلى الله تعالى عليه وسلم أمى) أى لا يعرف القراءة ولا الكتابة فقوله (لا يقرأ ولا يكتب) صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس على اطلاقه ولما كان هذا لا يكفى لاحتمال ان يسمعه ممن قرأ أو كتب قال (ولا يشتغل بمدارسة) أى بحفظ وتلق من الافواه (ولا مثافنة) بضم الميم وتليها مثلثة ثم ألف وفاء ونون أى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع أهل العلم بالاخبار والشرائع للتعلم منهم وهو مجاز من ثفن البعير اذا برك والثفناء ركبته التى يبرك عليها حتى يغلظ من حك الارض كثفنته على كذا اذا أعنته وكان يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب العلم أو لكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته أثر السجود وهذا أبلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف فى بلاغته وما قيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه اذا نفذ وذهن ثاقب وان الاول بمعنى التعب من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء اذا غلظت من كثرة العمل فهو من تحريف الكتبة الذى لا يلتفت اليه من له علم بكلام العرب وان نقله عن بعض الشراح وقد تقدم ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان أميا لا يقرأ الخط ولا يكتبه وانه من معجزاته ورد ما قيل انه مخصوص باول أمره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له أخرى وقد شنع على قائله علماء الاندلس ونسبوه للزندقة كما مر مبسوطا غير مامرة (ولم يغب عنهم) أى لم يغب صلى الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما أخبرهم به (ولا جهل حاله أحد منهم) من ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب (وقد كان أهل الكتاب) أى أحبار اليهود والنصارى (كثيرا ما يسألونه) أى فى كثير من الاحيان فهو منصوب على الظرفية وما زيدة لتأكيده معنى الكثرة أو صفة مصدر مقدر أى يسألونه (صلى الله تعالى عليه وسلم) سؤالا كثيرا (عن هذا) أى عن خبر من تقدم من الامم السالفة (فينزل عليه) عقب سؤالهم جوابا لهم (من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا) المراد بالذكر القرآن المذكر لهم (كقصص) مصدر بالفتح أو جمع قصة بالكسر أى سير (الانبياء مع قومهم) فيذكره صلى الله تعالى عليه وسلم لهم مفصلا بابلغ عبارة وألطف اشارة (وخبر موسى والخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين

المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح أوله وكسره وهو ما قصه الله تعالى فى سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم على الاصح لا نبى آخر كما يزعمه أهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على أقوال فى الاختلاف فى اسمه وقد اختلف أيضا فى نبوته ورسالته وانه هل هو حى الى الآن أو مات قبل تمام المائة الاولى أو قبل زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم وأكثر علماء الصوفية على انه حى الى الآن الا أن الله تعالى أخفاه عنا وقد أطبق أكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ما قالوه والاكثر انه ولى لا نبى ومن الغريب ما قيل انه ملك وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان حين يرتفع القرآن وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك قال معمر فى مسنده وسمى خضرا لانه اذا جلس على أرض اخضرت له أو لانه اذا صلى اخضر ما حوله وفى جامع الاصول عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم انما سمى بذلك لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته وفى صحيح البخارى من حديث همام بن منبه عن أبى هريرة مرفوعا انما سمى الخضر لانه جلس على فروة فاذا هى تهتز من خلفه خضراء والفروة الارض اليابسة أو الحشيش اليابس قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابى الفروة وجه الارض أنبتت واخضرت بعد ان كانت جردا (ويوسف واخوته) وهو وأسماء اخوته والخلاف فى كونهم أنبياء أم لا سيأتى مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله تعالى عليه وسلم عنها فانزل الله عليه السورة (وأصحاب الكهف) ومعناه المغارة لانهم وجدوا بها واختلف فى مكانها ولهم أسماء يونانية اختلف فى ضبطها وكانوا فروا من ملك يسمى دقيانوس وقصتهم مفصلة فى التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر ابن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمره لانهم عندهم علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان أخبركم عنها فهو نبى مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان أمرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ماهى فان لم يبينها فهو نبى مرسل على ما يأتى فسألوه عن ذلك فقال أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحى أياما اختلف فى عددها فارجف بذلك كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أنزل الله عليه ما قصه فى سورة الكهف (وذى القرنين) اختلف فيه وفى اسمه وسبب تسميته فقيل

ابن فرعون وقال الثعلبى نبى على جميع الاقوال معمر محجوب عن الابصار واختلف فى حياته وقد انكرها جماعة منهم البخارى وقال ابن الصلاح هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم على ذلك وانما شذ بانكارها بعض المحدثين قال الحلبى ونقل النووى عن الاكثرين حياته وقيل انه لا يموت الا فى آخر الزمان وفى صحيح مسلم فى أحاديث الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سفيان راوى مسلم يقال انه الخضر وكذا قال معمر فى مسنده واما ما استدل به البخارى ومن تبعه كالقاضى أبى بكر بن العربى على انه مات قبل انقضاء المائة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ارأيتكم ليلتكم هذه فانه على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض أحد فالجواب ان هذا الحديث عام فيمن يشاهده الناس ويخالطونه لا فى من ليس كذلك كالخضر بدليل ان الدجال خارج عن هذا الحديث لما روى مسلم من حديث الجساسة الدال على وجود الدجال فى زمن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى بقائه الى زمن ظهوره مع ان مسلما روى عن ابن عمر ان المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو على ظهر الارض أحد انخرام ذلك القرآن (يوسف واخوته) كما هو مبين فى سورته باحسن صورته (وأصحاب الكهف) قال الحلبى واختلف فى بقائهم الى الآن فروى عن ابن عباس انه أنكر أن يكون بقى منهم شئ بل صاروا ترابا قبل المبعث وقال بعض أصحاب الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية وفى مكانهم أقوال وروى انهم سيحجون البيت اذا نزل ابن مريم قال الامام السهيلى بقيت هذا الخبر فى كتاب البدء لابن أبى خيثمة هذا وقد اختلف فى عدتهم ومدة اقامتهم (وذى القرنين) روى الحاكم فى المستدرك انه صلى الله تعالى عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لا أدرى انبى هو ام لا وجاء فيه عنه عليه السلام انه كان ملكا يسيح فى الارض بالاسباب وقيل فى قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا أى علما يتبعه وفى قوله تعالى فاتبع سببا أى طريقا يوصله وقال ابن هشام فى غير السيرة السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم أبيه فاصح ما قيل فى ذلك ما روى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكوا على ابن أبى طالب فقال أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل ذو القرنين

ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان فى ذلك كلحظة عين (ولقمان وابنه) تقدم ذكرهما وفى سورته بعض حكمته (وأشباه ذلك من الانبياء) كخبر نوح وابنه وابنى آدم (وبدء الخلق) أى ابتدائهم وانتهائهم (ومافى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مماصدقه فيه العلماء) أى من أهل الكتاب (بها) أى حين تلاها عليهم (ولم يقدروا) أى وماقدر

أحدمنهم (على تكذيب ماذكرمنها بصيغة الفاعل أوالمفعول) أى على تكذيبه فى شئ ذكر من الكتب المذكورة (بل اذعنوا) أى انقادوا له (لذلك) أى لعلمهم بصدقه (فمن موفق) بتشديد الفاء المفتوحة أى موافق (آمن) أى بالقرآن وماأنزل عليه (بماسبق له) أى فى الازل (من خير) أى سابقة ارادة السعادة له (ومن شقى) أى مخذول (معاند حاسد) وزيد فى نسخة خاسر جاهل وقال الحجازى يروى خاسر ويروى جاهل أى لم يصدقه بماسبق له فى الازل من سابقة ارادة الشقاوة له (ومع هذا فلم يحك عن أحد) وفى أصل الدلجى وغيره عن واحد (من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) أى مع مبالغتهم فى مناقضتهم لحقه (وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بمافى كتبهم) أى بماأوجب العلم بانه رسول الله الى كافة الناس (وتقريعهم) أى توبيخهم ردعالهم أى (بماانطوت عليه مصاحفهم) أى بمااشتملت عليه كتبهم وكان الاظهران يقول صحفهم أوصحائفهم (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) أى اختبارا أوامتحانا (وتعنيتهم اياه) أى تكليفهم له بمايشق عليه بكثرة سؤالهم (عن أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم) أى كل ذلك تعنتاوعنادالاتفهماوارشادا

يونانى اسمه هرديس وقيل حميرى اسمه الصعب بن ذى مراثد وفى خطبة قس بن ساعدة أين الصعب ذوالقرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندر وسمى ذا القرنين فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه ضرب على قرنى رأسه وقيل لذؤابتين له والقرن الشعر وقيل غير ذلك (ولقمان وابنه) وهو لقمان بن عنقاء بن مروان كان ولياصالحا وقيل انه نبى والاصح خلافه وقيل انه نوبى من أهل ايليا واسم ابنه فاران عند ابن قتيبة (وأشباه ذلك من الانباء والقصص) والاخبار المذكورة فى القرآن عمن مضى من الامم السالفة (وبدء الخلق) أى ابتداء خلق الله للدنيا وماجرى فى ذلك ممالايطلع عليه الامن قرأ الكتب ودرسها وخلقه للسموات (والارض ومافى التوراة والانجيل) من أحكام الشرائع والتوحيد (والزبور وصحف ابراهيم وموسى) من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لماتضمنه من الاخبار عماسلف أيضا من أخبار الامم فلايرد عليه ماقيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله تعالى وهو جدير بالحاقه بالاخبار بالغيب (مماصدقه فيه العلماء بها) أى الاخبار من أهل الكتاب حين ذكرلهم (ولم يقدروا على تكذيب ماذكرمنها) لكونه مطابقة للواقع ولماعندهم ممالم يكن انكاره (بل أذعنوا لذلك) فاقروا به واعترفوا منقادين له (فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق أى الذين سمعوا ماقصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله تعالى فهداه و(آمن) بالمد فعل ماض مفتوح الآخر (بماسبق له من خير) أى بسبب ماسبق له فى علم الله الازلى وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف والخير هواحسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل ياء مثناة تحتية ماض مجهول ساقه أى بماساقه الله تعالى له وأوصله اليه من الخير (ومن شقى معاند حاسد) أى أشقاه الله تعالى حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لماعلم حقيته كما حمل الحسد ابليس لعنه الله تعالى على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن (ومع هذا) العناد والحسد الذى أظهروه (فلم يحك) بالبناء للمجهول ونائب فاعله انه أنكر الواقع بعدسطور وهو بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ماذكرمنها والمقام مقام اطناب وخطابة فلاوجه للاعتراض عليه بانه لاموقع له بعدماتقدم أى لم يذكر (عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له) صلى الله عليه وسلم أى هم مع انهم أشد الناس عداوة له وعلى بمعنى مع كقوله وانه لحب الخير لشديد أى على حب الخير لشديد (وحرصهم على تكذيبه) أى على شئ من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه (وطول احتجاجه) عليه الصلاة والسلام (عليهم) أى اقامة الحجة عليهم (بمافى كتبهم) المنزلة على أنبيائهم عليهم الصلاة والسلام (وتقريعهم) أى توبيخهم وتفضيحهم (بماانطوت عليه مصاحفهم) جمع مصحف بتثليث الميم كمانقل عن ثعلب والفتح غريب من أصحف اذاجمع على الصحف فهى بمعنى الصحف هنا (وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام) عمالايعلمه الامن له تبحر فى العلم منهم (وتعنيتهم اياه) تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب أى تكليفهم بماهو شاق (عن اخبار أنبيائهم) متعلق بسؤالهم (وأسرار علومهم) أى الامور الخفية الدقيقة من علومهم (ومستودعات سيرهم)

(واعلامه لهم بمكنون شرائعهم) أى مخفيها ومستورها (ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم) أى على لسان قريش اذ قالوا لهم سلوه (عن الروح) كما رواه الشيخان (وذى القرنين وأصحاب الكهف) فيما رواه ابن اسحق والبيهقى فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم كما رواه الشيخان قصتى أصحاب الكهف وذى القرنين وأبهم أمر الروح كما هو مبهم فى التوراة (وعيسى عليه الصلاة والسلام) أى وسؤالهم عن عيسى فبينه لاهل الكتابين (وحكم الرجم) فبينه

أى سؤالهم عما أودع فى مصاحفهم من سير أنبيائهم (واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم) وفى نسخة بمكنون بدل مكتوم أى اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله منهم عن أمور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم (ومضمنات كتبهم) أى ماتضمنتها كتبهم من الاحكام وغيرها (مثل سؤالهم عن الروح) فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه (وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين سلوه عنها فان سكت أو أجاب عن الجميع فليس بنبى وان أجاب عن الاولين وسكت عن الروح وكل علمها الى الله فانه كذلك فى التوراة فهو نبى مرسل (وحكم الرجم) أى سؤالهم له صلى الله تعالى عليه وسلم عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى أنكروه فبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى التوراة (وماحرم اسرائيل على نفسه) اسرائيل هو يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه صفوة الله وكان اليهود سألوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل وألبانها والعرق ومافيه عرق فصدقوه لانه كان سكن البدو وخوفا من أخيه العيص ثم نذر انه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر أولاده وأعزهم عليه فلما سار وقرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النساء حتى كان من وجعه ما كان وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النساء وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلاة والسلام فدفنه عند أبيه بوصية منه (و) سألوه أيضا عن (ماحرم عليهم) أى على بنى اسرائيل (من الانعام ومن الطيبات) من المآكل (كانت أحلت لهم) أى جعلها الله حلالا لهم (فحرمت عليهم ببغيهم) أى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية فحرم الله تعالى عليهم مالم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله ببغيهم أى بقتل أنبيائهم وأخذهم أموال الناس بالباطل فقالوا ان الله لم يحرم علينا شيأ فنزلت هذه الآيات بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا (و) مثل (قوله) تعالى (ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الآية) الاشارة الى قوله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود كزرع أخرج شطأه الى آخر ماذكره فى آخر سورة الفتح فاخبرهم الله تعالى على لسان رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بما فى كتبهم (وغير ذلك من أمورهم التى نزل بها القرآن) مما لايعلم مثله الا بوحى (فاجابهم) عما سألوه (وعرفهم) بما كتموه (بما أوحى اليه من ذلك) السابق ذكره كله (انه أنكر ذلك أو كذبه) بفتح همزة ان والمصدر المسبوك منها وعما دخلت عليه نائب فاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقى فقال (بل أكثرهم صرح) أى تكلم بكلام صريح ناطق (بصحة نبوته) أى قال انه صلى الله تعالى عليه وسلم صادق فى دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة (وصدق مقالته)

لليهود (وماحرم اسرائيل على نفسه) أى وسؤالهم عنه كما روى الترمذى أى حرم باجتهاده أو باذن من ربه لحوم الابل وألبانها فبينه لهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة (وماحرم عليهم) بصيغة المجهول (من الانعام) أى وسؤالهم عنه فبينه بقوله سبحانه وتعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (ومن طيبات كانت أحلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم) أى وسؤالهم عنها فبينه بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم الآية (وقوله) أى مثل قوله تعالى (ذلك) أى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود (مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل) أى كزرع أخرج شطأه فآزره الآية

والمراد وصفهما العجيب الشان فيهما (وغير ذلك من أمورهم التى نزل فيها القرآن) أى لكشف مستورهم (فاجابهم) أى عن ذلك كله (وعرفهم بما أوحى اليه من ذلك) أى من بيانه (انه) بفتح الهمزة متعلق بما سبق وما بينهما معترضة أى فلم يحك عن أحد منهم انه (أنكر ذلك أو كذبه بل أكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته) وفى نسخة بصحة مقاله وفى أخرى بفتح الصاد وتشديد الدال على انه فعل ماض ومقاله مفعوله

(واعترف بعناده) أي بعناد نفسه (وحسده اياه) وفي نسخة صحيحة وحسدهم (كأهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم طائفة من
النصارى حين حاجوه في عيسى فدعاهم الى المباهلة كما في آيتها وسيأتي تفصيل حكايتها (وابن صوريا) بضم الصاد وكسر الراء
مقصورا وفي نسخة ممدودا ويقال له ابن صوري وقد ذكر السهيلي عن النقاش انه أسلم نقل ذلك الذهبي في

تجريد الصحابة (وابني أخطب) بالخاء المعجمة يهوديان معروفان هلكا على كفرهما (وغيرهم ومن باهت ذلك) أي فيما لم ينكر منه ولم يكذب فيه (بعض المباهتة) أي نوع من المباحثة (وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه) أي النبي عليه الصلاة والسلام (مخالفة دعى) بصيغة المجهول أي فقد دعى من جانب ربنا سبحانه وتعالى (الى اقامة حجته وكشف دعوته) أي من ان عنده فيما حكاه مخالفة كموافقته لابراهيم عليه السلام في تحليل لحوم الابل وألبانها ويروى وكشف عورته (فقيل له) أي للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجترؤا ان يأتوا بها وهذا برهان عظيم على نبوته

فيها

وصدق دعوته (الى قوله الظالمون) يعني فمن افترى على الله الكذب أي بزعمه ان ذلك حرم على بني اسرائيل وعلى من قبلهم
قبل نزول التوراة من بعد ذلك أي بعد ظهور الحق له وثبوت الحجة عنده فأولئك هم الظالمون بعدم انصافهم من أنفسهم ومكابرتهم
وعنادهم بعدما تبين الحق لهم

أي صدق كل ما قاله صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل
ومقالته مجرور وأو فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب بمفعوله (واعترف بعناده وحسده اياه)
فاقر بان جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد
لفظ أكثر وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يأباه (كأهل نجران)
بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة قبل ألف ونون وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة
واليمن على سبع مراحل من مكة سموا بنجران بن زيد بن سبأ وسيأتي الكلام عليهم (وابن
صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور وجوز البرهان مده وهو
عبد الله بن صوريا وهو حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة وهو الذي وضع يده على آية الرجم
وهو لفظ عبراني واختلف في اسلامه فقيل انه أسلم وقيل مات على كفره (وابني أخطب) تثنية ابن
واخطب بزنة أفعل التفضيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وموحدة علم لابيهما وهما حيي
بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية يليها ياء مشددة وأبو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة
معروفان ماتا على كفرهما وحيي هذا هو أبو صفية أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت كان عمي
أبو ياسر احسن رأيا من أبي كان يقول ألست تجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك
منه فيقول معاداته (وغيرهم) من أحبار اليهود والنصارى (ومن باهت في ذلك بعض المباهتة) أي لم
يقر بحقية ما جاء به صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذبه
ونسبه للبهتان * ومنكر طيب المسك كذبه الشذاء * وقوله بعض المباهتة أي في بعض أموره
التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يمكن انكاره من أحد
من العقلاء وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما في الاساس ومن أنكره فقد أتى ببهتان من عنده
(وادعى ان فيما عندهم) من كتبهم (من ذلك لما حكاه) متعلق بقوله (مخالفة) بالنصب اسم ان ومن
الموصولة في قوله ومن باهت مبتدأ خبره (دعى) بالبناء للمجهول أي دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه
وسلم باذن ربه (الى اقامة حجته) أي الى دليل بالاتيان بنص من كتبهم يخالف ما أخبرهم به (وكشف
دعوته) أي بيان ما ادعاه (فقيل له) أي قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم قل لهم (فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون) يعني قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك
فأولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم
وأنت تأكل لحم الابل ولبنها وذلك يحرم في شرعه وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم
الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك فأمروا بابراز التوراة حتى يتلى ما فيها من
تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل انهم أتوا برجل وامرأة زنيا فقال لهم النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحممهما ونضربهما فقال لهم ان الذي
في التوراة رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ائتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بها وقرؤا
حكم الزاني فيها فوضع القارئ يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد

(فقرع) بتشديد الراء (ووبخ) بتشديد الموحدة أى فاظهر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم التقريع والتوبيخ لهم (ودعا) أى دعاهم (الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو الاتيان بالتوراة فلم يقدروا على ذلك وتفرقوا باختلافهم هنالك (فمن معترف بما جحده) أى أنكره اما باسلامه أو بانصافه (ومتواقح) بالقاف والحاء أى ومن قليل حياء (يلقى) بضم الياء وكسر القاف أى يضع (على فضيحته) أى الكاشفة لعيبه التى هى ظاهرة (من كتابة يده) بالنصب على انه مفعول يلقى وفى أصل الدلجى من كتابة يده بالاضافة والظاهر انه تصحيف بل تحريف وهى آية الرجم سماها بالفضيحة لانها سبب لهتك حالته قال الحلبى وقد جاء فى صحيح البخارى ان عبد الله بن سلام قال له ارفع يدك يا أعور وسماه بعض الحفاظ عبد الله بن صوريا الاعور الحبر الذى تقدم ذكره وانه سلم بعده (ولم يؤثر) بصيغة المفعول أى ولم ير واحد (ان واحدا منهم) أى من أهل الكتاب (أظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتابه) وفى نسخة من كتبه (ولا أبدى) أى ولا أظهر (صحيحا ولا سقيما من صحفه) جمع صحيفة والظاهر من تغاير المتعاطفين ان الصحيفة تطلق على الكتاب الصغير والكتاب اذا أطلق فالمراد به الكبير وان كان معناه الاعم لاسيما حال الجمع بينهما وهذا أولى مما قال الدلجى من انه جمع بينهما تفننا وتزيينا ومما يؤيده ما قدمناه حديث عيينة ابن حصين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كتب له كتابا فلما أخذه قال يا محمد أترى انى حامل الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس وهو شاعر معروف قدم هو وطرفة الشاعر على عمرو بن هند فنقم عليهما أمرا فكتب لهما كتابين الى عامله بالبحرين يأمره بقتلهما وأعطى كلا صحيفة وقال انى كتبت لكما بجائزة فاجتازا بالحيرة فقرأ المتلمس صحيفته فاذا فيها الامر بقتله فألقاها فى الماء ومضى الى الشام وقال لطرفة اقرأ صحيفتك وألقها فانها كصحيفتى فأبى ومضى الى العامل فقتله فصار مثلا (قال تعالى يا أهل الكتاب) اللام لام الجنس والمراد بهم اليهود والنصارى جميعهم (قد جاءكم رسولنا) يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وآية الرجم مما فى التوراة وبشارة عيسى به عليهما السلام مما فى الانجيل (ويعفو عن كثير) أى مما تخفونه مما لا ضرورة الى تبيينه أو عن كثير منكم لحلمه حيث لا يؤاخذه بجرمه (الآيتين) يعنى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

(فصل) (هذه الوجوه الاربعة) أى المتقدمة فى فصولها السابقة (من اعجاز) أى اعجاز القرآن (بينة) أى واضحة ولائحة (لا نزاع فيها) أى ليس لاحد فيها منازعة (ولا مرية) أى لا شك ولا شبهة (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة الواردة فى حق تعجيز الامة (آى) بهمزة ممدودة أى آيات

فيها الرجم فرجما (فقرع ووبخ) أى قرعهم الله وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم ظالمين (ودعا الى احضار ممكن غير ممتنع) وهو أمرهم بالاتيان بالتوراة وهى حاضرة بين أيديهم فصاروا قسمين (فمن معترف بما جحده) وأنكره من أحكام التوراة (ومتواقح) بضم الميم ومثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة أى متكلف للوقاحة وهى قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالى بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على آية الرجم فقال له ابن سلام ارفع يدك يا أعور كما أشار اليه بقوله (يلقى على فضيحته) أى ما يفضحه ويجعله سخرة بين الناس (من كتابه) أى من الكتاب الذى معه (يده) أى يضعها عليه وعلى الآية التى فيها ما يخالف دعواه ويكذبه (ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يحك المتقدم ونائب فاعله (ان واحدا منهم) أى من أهل الكتابين (أظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (من كتبه) أى من الكتب التى عندهم مما أنزل على أنبيائهم (ولا أبدى) أى أظهر نقلا (صحيحا ولا سقيما) أى محرفا لفظه أو مأولا معناه (من صحفه) جمع صحيفة وهى الكتاب (قال الله تعالى) بيانا لما كانوا عليه فى هذا الامر (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب ببعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وشأنه (ويعفو عن كثير) لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله (الآيتين) وهما قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

(فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة) فى غاية الظهور (لا نزاع فيها) أى لا ينازع أحد من العقلاء فى كونها ثابتة معجزة (ولا مرية) بكسر الميم وضمها كما مر بمعنى شبهة وشك فى ذلك وهى عامة فى جميع الآيات وفى جميع الاخبار الواقعة فيها كما قال تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب (ومن الوجوه البينة فى اعجازه من غير هذه الوجوه) الاربعة (آى) جمع آية أو اسم

(وزدت بتعجيز قوم) أى جماعة خاصة (فى قضايا) أى أحكام مختصة (واعلامهم) بالجر أى وباخباره تعالى عنهم (انهم لا يفعلونها) أى كقوله تعالى ولا يتمنونه أبدا وأماشرح الدلجى بقوله ولن يفعلوا ففيه ان هذا من الامور العامة لا من القضايا الخاصة (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) أى بل عجزوا عن المعارضة هنالك (كقوله لليهود) على مانص عليه فى سورة الجمعة بقوله قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله الآية (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) أى الجنة ومافيها من المثوبة (عند الله خالصة) أى لكم (من دون الناس) أى باقيهم أو المؤمنين كما ادعيتم بقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا (الآية) أى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى فى دعواكم على وفق متمناكم لان من أيقن انه من أهل الجنة اشتاقها وأحب الخلاص من دار الاكدار اليها ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أى من الاعمال السيئة الموجبة لدخول النار المؤبدة (قال أبو اسحق الزجاج) بتشديد الجيم الاولى (فى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لانه) أى الله سبحانه وتعالى (قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم انهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه أحد منهم وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبى

جنس جمعى كتمر وتمرة وليس كل مايفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعى كما فصله البدر بن مالك فى باب الجمع من شرح الالفية والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر (وزدت بتعجيز قوم) أى جاء فيها اظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس (فى قضايا) جمع قضية وهى الحادثة الواقعة فى حكم قضاه الله تعالى وقدره (واعلامهم انهم لا يفعلونها) الاعلام بكسر الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا (فما فعلوا ولا قدروا على ذلك) المذكور من تلك القضايا ونفى القدرة أبلغ من نفى العلم (كقوله) عز وجل (لليهود) لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم وألزمهم الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم (قل ان كانت لكم الدار الآخرة) وهى الجنة (عند الله خالصة) أى خاصة بكم وهو حال من الدار الآخرة والخطاب لاهل الكتاب (من دون الناس) أى باقيهم من المؤمنين وغيرهم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى قولكم انكم من أهل الجنة وانها مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها وأحب التخلص من هذه الدار واكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وماقدمته أيديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة فافى هذه الآية من المعجزات لانه أخبار بالغيب وهو كما أخبر اذ لو تمناه أحدهم مع توفر الدواعى على نقله اشتهر والتمنى وان كان من اعمال القلب الخفية كما يأتى فالنطق به وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ماتوا فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه وقد صرفهم الله تعالى عن ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم وقد استشكل ماقاله المصنف هنا بان ماذكره هنا داخل فى الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه أبدا مثل قوله فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا الاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم فهو داخل فى النوع المتقدم لانه اخبار عما استأثر الله بعلمه فى المستقبل فجعله أدنى منه غير مسلم وقد سوى بينهما فى الكشاف والجواب عنه ان ماتقدم أمر معجز فى نفسه فى سائر الازمنة بخلاف مانحن فيه فان قول أحدهم ليتنى أموت ونحوه أمر ممكن لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وأدنى منه بمراتب (قال أبو اسحق الزجاج) فى تفسيره المسمى بمعانى القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشرى فى كشافه وهو مأخذه كما مر وهو العلامة فى فنون العربية التى تلقاها عن المبرد واسمه ابراهيم بن السرى بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته توفى سنة احدى عشر وثلثمائة يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة كما تقدم (فى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة) أى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (لانه قال لهم فتمنوا الموت وأعلمهم انهم لن يتمنوه أبدا فلم يتمنه واحد منهم) وفى نسخة أحد منهم وفى الكشاف * فان قلت التمنى من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت انهم لن يتمنوه * قلت ليس التمنى من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفى حواشيه للقطب انه استدلال على ان التمنى ليس من أفعال القلوب لان التحدى انما يكون بأمر ظاهر وفيه ان التحدى انما يكون باظهار المعجزة لالزام من لم يقبل الدعوى والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لى ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدى هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه أبدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بأمر ظاهر وهو كلام حسن منعه قول من لم يصل الى العنقود (وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث رواه البيهقى من طريق الكلبى عن

والذى نفسى بيده لايقولها) أى لايتمناه بهذه التمنية أولا يتصور فى نفسه هذه الامنية (رجل منهم الاغص بريقه) بفتح الغين المعجمة وتشديد الصاد المهملة لابضم أوله لانه لازم لايبنى مفعول له ذكره الدلجى والظاهر فى بعض النسخ من انه بصيغة المجهول وان معناه شرق بريقه فى حلقه بعدم بلعه وفى القاموس الغصة الحزن وما اعترض فى الحلق فاشرق (يعنى يموت مكانه) أى الاظهر مات مكانه ولفظة الحديث هذا مارواه البيهقى من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس مرفوعا ورواه أحمد بسند جيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولفظه لوان اليهود تمنوا الموت

لماتوا (فصرفهم الله عن تمنيه) أى تمنى الموت (وجزعهم) بتشديد الزاى أى ادخل الخوف قلوبهم (ليظهر) بضم الياء وكسر الهاء أو بفتحهما أى ليبين أو يتبين (صدق رسوله) أى فى دعوى رسالته (وصحة ما أوحى اليه) بصيغة المفعول أو الفاعل (اذلم يتمنه) أى الموت (أحد منهم وكانوا على تكذيبه أحرص) أى من غيرهم (لوقدروا) أى على ما أمكنهم من الكيد (ولكن الله تعالى يفعل ما يريد فظهرت بذلك) أى بصرفهم عن تمنيهم مع كونهم على تكذيبه أحرص من غيرهم (معجزته وبانت) أى ظهرت (حجته قال أبو محمد الاصيلى) بفتح فكسر (من أعجب أمرهم انه) أى الشأن (لايوجد منهم جماعة ولا واحد) أى منهم (من يوم أمر الله بذلك نبيه) أى بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة الى قوله فتمنوا الموت (يقدم عليه) بضم الياء وكسر الدال أى على تمنى الموت (ولايجيب اليه) أى الى تمنيه اذا قيل له تمنه (وهذا) أى امتناعهم من تمنيه (موجود) أى ثابت فيما بينهم (مشاهد) بفتح الهاء أى معلوم (لمن أراد أن يمتحنه منهم وكذلك) أى مثل ما تقدم مثل آية التمنى (آية المباهلة) بفتح الهاء من البهلة وتضم اللعنة فهى الملاعنة والدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين وباهل بعضهم بعضا وتباهلوا أى تلاعنوا والابتهال والاجتهاد فى الدعاء واخلاصه (من هذا المعنى) أى من حيثية عدم الاجابة الى مادعت اليه الآية

أبى صالح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ الآتى وأحمد فى مسنده عن ابن عباس مرفوعا بسند جيد بلفظ لوان اليهود تمنوا الموت لماتوا (والذى نفسى بيده) أقسم بالله قسما مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء أرسلها فتحيى وان شاء أمسكها فتموت وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا مايقسم به (لايقولها) أى كلمة التمنى المفهومة من السياق (رجل منهم) أى واحد من بنى اسرائيل والرجل على ظاهره والمراد مايعم المرأة (الاغص بريقه) غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة أو بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه اقتصر بعضهم ولا ينافى الاول كونه لازما كما توهم والغصة ماتقف فى الحلق فتمنع النفس حتى تهلكه يقال غص بالطعام وشرق بالشراب وسجى بالعظم وحرض بالريق وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما فى النهاية واليه أشار اليه بقوله (يعنى يموت مكانه) أى فى مكانه الذى غص فيه فلا يمهل لانتقاله لفراشه (فصرفهم الله عن تمنيه) مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت (وجزعهم) بفتح الجيم وتشديد الزاى المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفى نسخة فى جزعهم وكونه جرعهم براء مهملة غلط (ليظهر صدق رسوله) صلى الله تعالى عليه وسلم (وصحة ما أوحى اليه) ثم بينه بقوله (اذلم يتمنه أحد منهم) لخوف الموت لتيقن صدق خبره (وكانوا على تكذيبه أحرص لوقدروا) على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد (ولكن الله) بالتخفيف والتشديد (يفعل مايريد) من تمنيهم وعدمه (فظهرت بذلك) أى بصرفهم عما هم أحرص عليه (معجزته وبانت حجته) بصدق خبره عن الغيب (قال أبو محمد الاصيلى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته (من أعجب أمرهم) أى اليهود (انه) الضمير للشان (لايوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم) أى من حين (أمر الله بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم) بقوله قل لهم فتمنوا الموت (يقدم عليه) أى على تمنى الموت (ولايجيب اليه) أى الى قوله تمنوا الموت أو الى قول أحد تمنى الموت لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم أحرص الناس على حياة (وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمنى (موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم) أى كل من أراد ان يعرفه اذا ذكره لهم ظهر به مافى طباعهم والامتحان هو التجربة وانما ذكره دفعا لما يقال التمنى أمر خفى فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه (وكذلك آية المباهلة) أى مثل قصة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بنى اسرائيل قصة المباهلة فى نصارى نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لوقالوه هلكوا وقد أخبره الله تعالى به قبل وقوعه فكان كما أخبره ولم يجبه أحد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم تتمن اليهود الموت فهو (من هذا المعنى) يعنى انهما متقاربان كما قررناه آنفا وأصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل وهو الاهمال كارسال البعير وكحل صرار الناقة يقال أبهلت فلانا

(حيث وفد) بفتح الفاء أي قدم (عليه أساقفة نجران) جمع أسقف بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء رئيس دين النصارى وقاضيهم ونجران بنون مفتوحة وجيم ساكنة بلدة كان فيها النصارى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة (وأبوا الاسلام) بفتح الهمزة والباء وضم الواو أي وامتنعوا عن قبول الاسلام والايمان وأصروا على اعتقادهم الفاسد في حق عيسى عليه السلام (فانزل الله عليه آية المباهلة) أي الملاعنة (بقوله فمن حاجك) أي جادلك وخاصمك (فيه) أي في عيسى عليه السلام وأنكر خلقه وزعم انه اله يعبد (الآية) يعني فقل تعالوا أي هلموا بالعزم والرأي ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي يدع كل منا نفسه وأعز أهله وألصقهم بقلبه فيقدمهم على الانفس لمخاطرة الانسان بنفسه لهم ومدافعته عنهم كذا ذكره الدلجي والاظهر ان المراد بانفسنا أقرب أقاربنا كما سيأتي خروجه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الحسنين وفاطمة وراءهما وعلي وراءها فترتيبهم على مراتبهم ويؤخذ منه علو منازلهم نبتهل أي نتضرع الى رب العالمين فنجعل لعنة الله على الكاذبين أي منا ومنكم (فامتنعوا منها) أي بعد ما دعاهم اليها (ورضوا باداء الجزية) أي عوضا عنها (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي) أي بما جاءكم من أمر الحق من ربكم (وانه ما لاعن قوما نبي قط) أي أبدا (فبقي كبيرهم وصغيرهم) وتمام الحديث فان أبيتم الا الف دينكم فوادعوه وانصرفوا فاتوه وهو محتضن حسينا وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي وراءه وعلي وراءها وهو يقول اذا دعوت فآمنوا فقال أسقفهم يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا له وبذلوا له الجزية كل سنة ألفي حلة وثلاثين درعا من حديد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران حتى الطير على الشجر

اذا خليته وارادته ومنه الابتهال وهو تضرع الدعاء قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر * نظر الدهر اليهم فابتهل * أي استرسل اليهم فافناهم انتهى وفيه رد على بعض أهل اللغة اذ ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله تعالى ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين (حيث وفد عليه) الوفد هو القادم من غير أهل الديار كما مر وحيث هنا للزمان اي لما قدموا عليه من ديارهم (اساقفة نجران) جمع أسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة وهو رئيس النصارى في دينهم وقاضيهم وامامهم قيل سمي به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهي بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ستون راكبا منهم أربعة عشر رجلا رؤساؤهم ومنهم ثلاثة نفر بيدهم كل أمرهم وأميرهم اسمه العاقب كما يأتي وذو رأيهم كالوزير اسمه المسيح وثالثهم السيد وصاحب رحلهم الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في الاسلام (وأبوا الاسلام) أي امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه (فانزل الله عليه) صلى الله عليه وسلم في حقهم (آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية) وتمامها من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى وأنفسنا وأنفسكم أي ليدع بعضنا بعضا فان الانسان لا يدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله تعالى ان يجمع كل من المتخاصمين أهله ثم يتوجه كل منهما الى الله تعالى ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وأنا أقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من غير بطء وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز بن عبد السلام أسند اليه بعض أهله شيئا لم يقله فقال أباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله وانما جمع الاهل تخويفا لهم بحلول العذاب من الله بهم أجمعين ومن قال هنا معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن قال الاسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة ففي كلامه تناقض (فامتنعوا منها) أي من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك على أنفسهم بدعائه صلى الله عليه وسلم (ورضوا باداء الجزية) وهو الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضي فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم مالك تشتم نبينا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير أب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الخ ثم دعاهم للمباهلة (وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم) أي هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان أبيتم الا الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي ان القائل هذا منهم هو السيد الذي كان يسمى شرحبيل فقال لهم رسول الله صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم أسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحرب لك ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى اليك كل عام ألفى حلة ألفا فى صفر وألفا فى رجب فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادى نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة قال فى المواهب وقد جربته وانه لا يمضى على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمنى الموت ولذا أورده المصنف رحمه الله تعالى هنا (ومثله قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) أى مثل قوله فمن حاجك فيه (فاخبرهم) الله تعالى فى هذه الآية (انهم لا يفعلون) فى المستقبل ابدا وهو مادل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وأجزائه وهى قوله ولن تفعلوا (كما كان) فى الماضى الدال عليه فان لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن أمر محقق وواقع وانما أتى بان الشرطية وكان مقتضى المقام اذا باعتبار ما عندهم من الشك فى قدرتهم تهكما بهم (وهذه الآية) أى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا الى آخره (ادخل فى باب الاخبار بالغيب) أى اندراجها فيه أظهر وأوضح لتحقق النفى فى المستقبل بالنفى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت وآية المباهلة لعدم تقدم شئ من نوعها وقيل لان فيها تصريحا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف آية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة فى الحال والاشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الاخبار بالغيب من لوازمها الا من صريحها وفيه بحث (ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها) أى فى آية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من مثله تعجيز كتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر لانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو أرادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبره

(فصل ومنها) أى من وجوه اعجاز القرآن وجه غير الوجوه الاربعة التى تقدمت (الروعة) بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وهو الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه لما سمع أول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه (التى تلحق قلوب سامعيه) أصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن (واسماعهم) بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لان الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى أى لتذكر احداهما الاخرى اذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان أو كافرا فما قيل ان فى عد هذا وجها مستقلا من وجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد عن النظم مشروط بتدبره وهو فى المؤمن واضح واما فى الكافر فليقر به ليس بسديد لمن ألقى السمع وهو شهيد وقوله (عند سماعه) يأباه والضمير للقرآن (والهيبة) بالرفع معطوف على الروعة ومعناه الخوف يقال هابه اذا خافه كما فى القاموس وهو قريب من الروعة والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما فى عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال

اهابك اجلالا ومابك قدرة * على ولكن ملء عين حبيبها

وقال الشريف فى قول السكاكى ادخال الروعة وتربية المهابة والمهابة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذى يتجدد بمخاطبتهم انتهى (التى تعتريهم) أى تطرأ عليهم وتغشاهم (عند تلاوته) وقراءته والاول ناظر للسامع والثانى للقارئ نفسه

(ومثله) أى ومثل قوله فمن حاجك فيه (قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) والاظهر ان المثل هنا بمعنى النظير فان المحاجة من القضايا الخاصة وهذه الآية من الامور العامة (الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم) أى الكفار وغيرهم (انهم) أى أحدا منهم (لا يفعلون) أى المعارضة فى الازمنة المستقبلة (كما كان) أى كما تحقق عدم فعلهم فى الايام الماضية (وهذه الآية أدخل) أى من جهة المعجزة (فى باب الاخبار عن الغيب) أى من حيث انه سبحانه وتعالى نفى عنهم صدور ما طلب منهم تحديا فى المستقبل أبدا (ولكن فيها) أى فى هذه الآية (من التعجيز) أى لقريش وأمثالهم (ما فى التى قبلها) أى من التعجيز لنصارى نجران بخصوصهم اذ كل منهما طلب منه الاسلام فابوا وادعوا انهم على الحق وكذبوا النبى المطلق فطولبوا بصداقه فعجزوا

(فصل)

(ومنها الروعة) بفتح الراء أى الخشية (التى تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه) أى سماعهم له على لسان تاليه (والهيبة) أى العظمة (التى تعتريهم) أى تصيبهم وتحصل لهم عند تلاوته

لقوة حاله) أي حالته في تمام حلاوته وفي نسخة لقوة جلالته (وانافة خطره) بفتحتين أي رفعة قدره وعظمة أمره (وهى) أي روعته أو تلاوته (على المكذبين به أعظم) أي أصعب منها على المصدقين به (حتى كانوا) أي المكذبون (يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا) أي هربا من استماعه (كما قال الله تعالى) أي فيما أخبر عنهم بقوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا (ويودون انقطاعه) أي تلاوته (لكراهتهم

له) أي كما قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون (ولهذا) أي ولما ذكر من ودادهم انقطاعه وكراهتهم تلاوته واستماعه (قال عليه الصلاة والسلام) أي كما رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير مرفوعا (ان القرآن) وفي نسخة صحيحة ان هذا القرآن (صعب) أي شديد (مستصعب) بكسر العين وتفتح وهو تأكيد (على من كرهه) وفي أصل الدلجي يكرهه (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين أي الحاكم بين الحق والباطل والفاصل بين البر والفاجر المبين لكل نفس جزاء ما عملت من خير أو شر المميز بين السعيد والشقي بالثواب والعقاب (وأما المؤمن) أي به كما في نسخة (فلا تزال روعته به) أي روعة القرآن بالمؤمن (وهيبته اياه مع تلاوته توليه) بضم التاء وسكون الواو أي تعطيه (انجذابا) وفي نسخة انجباذا أي اقبالا عليه (وتكسبه هشاشة) بفتح الهاء أي ارتياحا واستبشارا وفرحا وخفة (لميل قلبه اليه وتصديقه به) أي بما لديه (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أي ترتعد وتنقبض مما فيه من الوعيد بالعقوبة (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي تسكن وتطمئن الى ما فيه من ذكر الوعد بالرحمة والمغفرة

أو بمعنى (لقوة حاله) أي لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه (وانافة خطره) أي علو قدره على غيره من الكلام الذي يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما الكل منهما (وهى) أي الروعة والهيبة وأفراد الضمير لانهما شئ واحد أو كالواحد (على المكذبين به أعظم) منها على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن وان هابه فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشائره (حتى كانوا) أي المكذبون (يستثقلون سماعه) لصعوبة ما فيه عليهم (ويزيدهم) سماعه (نفورا) عن الحق والاصغاء اليه (كما قال تعالى) واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أي ولوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه (ويودون) أي يحبون (انقطاعه) أي قطع تلاوته عندهم (لكراهتهم له) لخبث طباعهم كما تضر رياح الورد بالجعل (ولهذا) المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له (قال صلى الله تعالى عليه وسلم) في الحديث الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمير وسيأتي بتمامه (ان القرآن صعب) في نفسه بمعنى انه لا يقدر أحد على محاكاته وضبط ألفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا (مستصعب) بفتح العين وكسرها أي يعسر فهمه وتفسيره بالرأي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر (على من كرهه) من الكفار والمنافقين (وهو) أي القرآن (الحكم) بفتحتين أي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المؤمن (واما المؤمن) معادلة لاما مقدرة معلومة مما قبله أي اما غير المؤمن فلا يزال صعبا عليه لكراهته له واما المؤمن (فلا تزال روعته به) بفتح الراء أي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبة منزله الحاصلة بسببه (وهيبته اياه) الضمير الاول للمؤمن والثاني للقرآن أو بالعكس (مع تلاوته) أي قراءته من تلاه اذا تبعه أو هو بمعناه اللغوي أي اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وقيل لا تختص به (توليه) أي تعطيه من أولاه معروفا اذا أعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة (انجذابا) بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا أماله لجهته بشدة أي يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبه الشئ منجذب اليه (وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف (هشاشة) بفتح الهاء والشين المعجمة أي مسرة وخفة ولينا لما فيه من البشائر السارة والمعاني اللذيذة التي تجعله في نشاط (لميل قلبه اليه وتصديقه به) فهو دائما يرتع فكره منه في روضات أنيقة فاذا عرف من يناجي وانه جليس الرحمن سر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله (قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي يعرض لجلود أبدانهم قشعريرة أي قيام من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى بعض الصالحين اذا تلي القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا يأبى هذا انه لم يقع من الصحابة رضي الله تعالى عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا في

(وقال) أي الله سبحانه وتعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية) أي لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله أي متشققا ومتقطعا من هيبته (ويدل على ان هذا) أي ما يغشى قلوب سامعيه واسماعهم عند تلاوة تاليه (شيء خص) أي القرآن (به) أي دون سائر كتب الله تعالى وصحفه (انه) بدل من هذا أو تقديره وهو انه (يعترى) أي يصيب

(من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره)

في الاحياء فان أردته فارجع اليه وعدى تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود في الاول وضم اليها القلوب في الثاني اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر ذلك وقر في قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه (وقال) تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية) يعني لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالرجال والآية مبينة في التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها (ويدل على ان هذا) أي ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة (شيء خص به) القرآن دون غيره من الكلام (انه) أمر (يعترى) أي يطرأ أو يحدث (من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره) ممن لا يمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه فعلم من هذا ان تأثر السامع به لسر فيه وأمر رباني ولذا كان يثاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره (كما روى عن نصراني) ليس من شانه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره ففيه ايضاح لما قبله (انه مر بقارئ) يتلو القرآن جهرا (فوقف) ليسمع قراءته وهو (يبكي فقيل له مم بكيت) وانما سئل عن سبب بكائه لانه لا يصدق به ولا يفهمه (فقال للشجا والنظم) الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجى يشجى شجا وهو شجى اذا حزن أو طرب أو غضب والثاني أنسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فأثر ذلك في نفسه وهو لا يفهمه حتى أبكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغني بالفارسية فشوقه ذلك وأشجاه وقال

ومسمعة يحار السمع فيها * ولا يفهمه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن * ورت كبدي فلم أفهم شجاها
فكنت كأنني أعمى معنى * يحب الغانيات ولا يراها

ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى ان ذلك القارئ قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لنغماته وهو أبلغ وأدل على ما قصده (وهذه الروعة) الحاصلة عند سماع القرآن لمن لم يتدبره (قد اعترت جماعة) وحصلت لهم (قبل الاسلام) أي قبل اسلامهم (وبعده) ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح في العبارة لان القبلية تقتضي عروض الاسلام فلا ينافي قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من المسامحة وكان الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من أسلم ومنهم من بقي على كفره بقوله (فنهم من أسلم لها) أي لهذه الروعة (لاول وهلة) بفتح الواو وسكون الهاء وهي المرة من الوهل وهو الفزع يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل أول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم والفكر وهو المراد كما أشار اليه في الاساس وأسلم بمعنى أقر واعترف (وآمن به) أي صدق بقلبه (ومنهم من كفر) أي دام على كفره لاصراره على عناده لحماقته وجاهليته (فحكى في) الحديث (الصحيح) الذي رواه الشيخان مسندا (عن جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل بن عبد مناف الصحابي رضي الله تعالى عنه وقد تقدمت ترجمته وانه أسلم في فتح خيبر أو فتح مكة انه (قال سمعت رسول الله) وفي نسخة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يقرأ في) صلاة (المغرب) وذلك قبل اسلامه

أي المتعلقة بجمل مبانيه كما هو مشاهد في كثير من العوام انه يحصل لهم هذا المقام من وصول المرام بل وقد يحصل لمن لم يكن مؤمنا به (كما روى عن نصراني انه مر بقارئ) أي بمن يتلو القرآن (فوقف يبكي فقيل له لم) أو مم (بكيت) وفي نسخة مم تبكي (فقال للشجى) بفتح معجمة فسكون جيم وفي بعض النسخ بفتحتين مقصورا وهو الظاهر أي للحزن الذي أصابه من استماعه فرق قلبه وخشع بدنه أو للطرب الذي حصل له من أثر كلام الرب (والنظم) أي لما جمع بين المعاني الدقيقة البيان وبين الفصاحة والبلاغة في ميدان التبيان (وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده) أي في قليل من الأيام (فنهم من أسلم لها الاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر) أي استمر على كفره أو كفر حينئذ ثم رجع بعده الى ربه ولعله تعالى أشار الى هذا المعنى في قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم أي اشتدت أو اسودت (فحكى في الصحيح) بل روى في الصحيحين (عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ في المغرب

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

(والقرآن العزيز) أى المنيع المحمى بحمايته من قاله (الباهرة آياته) أى الغالبة لغيرها والظاهرة وآياته بمعنى أنواع معجزاته السالفة أو كل آية متلوة منه فقوله (الظاهرة معجزاته) على الاول توضيح وتوكيد وعلى الثانى بيان وتأسيس باقية (على ما كان عليه اليوم) أى الى يومنا هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضورى كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ وهو القرآن والمراد باليوم عصر المؤلف كما أشار اليه بقوله (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وروى سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روى ان تأليفه للشفاء كان فى أيام قضائه فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال التلمسانى هكذا نقله الثقاة عن أبى عبد الله بن مرزوق ولم أسمعه منه انتهى (لاول نزوله الى وقتنا هذا) أى من ابتداء الوحى ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى وقت تأليف المصنف رحمه الله لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريخا أى منه كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بالى (حجته قاهرة) المراد بالحجة نفس القرآن أى هو حجة غالبة ان كفر به أو المراد ما فيه من الحجج والادلة (ومعارضته ممتنعة) أى الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع (والاعصار كلها طافحة) الاعصار جمع عصر بفتح فسكون لاضم وسكون لان جمع الجمع غير قياسى وطافحة بطاء وحاء مهملتين بينهما ألف وفاء من طفح اذا فاض وتدفق (باهل البيان) متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلئة فظاهر وان كان استعارة تخييلية فعلى ان البيان مشبه بالماء على طريق الكناية والمعنى ببيان أهل الكتاب والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها (وحملة علم اللسان) حملة جمع حامل ككتاب وكتبة وهو الحافظ للسان بمعنى اللغة العربية (وأئمة البلاغة) أى العلماء بعلم البلاغة من المعانى والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم الادبية (وفرسان الكلام) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية وتخييلية اذ شبه الكلام بجواد فاره والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به وأثبته له (وجهابذة البراعة) أى أساتذة الفصاحة الفائقة فى بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال رجل جهبذ أى عالم نحرير وهو لفظ معرب وأصل معنى الجهبذ النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها أهل اللسان العارفون به بحبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم العربية واللغة فالمراد باهل البيان الفصحاء و بالحملة علماء اللغة وبالائمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء وأهل الانشاء المحدثين و بالجهابذة العلماء بقرض الشعر وانشاء النثر فلا تكرار فى كلامه وان كان فى مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد لا يكد طبعه فى العناد وضده (والملحد فيهم كثير) الملحد اسم فاعل من ألحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافى الايمان و يبطله والثانى يوهن عراه و يحل عقدته (والمعادى للشرع عتيد) أى مهيأ حاضر باذل جهده فى عداوته واعتدوا عدمتقار بان لفظا ومعنى أى مع كثرة من يريد المعارضة (فما منهم من أتى بشئ) من الكلام (يؤثر) أى يحفظ و ينقل (فى معارضته) والاتيان بما يماثله (ولا ألف كلمتين فى مناقضته) المناقضة التكلم بما يخالفه و يبطله ومنه نقائض جرير كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة (ولا قدر فيه على مطعن صحيح) أى لم يعبه

(والقرآن العزيز) أى البديع المنيع (الباهرة آياته الظاهرة معجزاته) أى اللائحة مبانيه واللامعة معانيه (على ما كان عليه) أى فى أول مباديه (اليوم) بالنصب أى الى يومنا هذا (مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة) وفى نسخة وسبع عطف بيان وقال الدلجى اليوم خبر المبتدأ أعنى القرآن وما بينهما صفات له هذا وفى نسخة منذ خمسمائة عام الخ وهذا تاريخ زمن المصنف رحمه الله تعالى ولذا قال (لاول نزوله أى الى وقتنا هذا) ونقول وكذا مدة ألف وزيادة عشر الى زماننا هذا (حجته قاهرة) أى بينته غالبة وفى نسخة ظاهرة أى مبينة (ومعارضته ممتنعة والاعصار) أى أهلها من أرباب القرى وأصحاب الامصار (كلها طافحة) أى مملوءة وفائضة (باهل البيان) أى فى الفصاحة (وحملة علم اللغة اللسان) أى اللغة (وأئمة البلاغة وفرسان الكلام) أى فى ميدان المرام (وجهابذة البراعة) أى المهرة فى تقدم الصناعة وهو بفتح الجيم وكسر الموحدة جمع الجهبذ والبراعة مصدر برع اذا فاق (والملحد) أى والحال ان المائل عن الحق الى الباطل (فيهم كثير والمعادى للشرع عتيد) أى المخالف والمناوى لهم حاضر مهيئ فى مقام التنكير وفى نسخة عنيد بالنون أى معاند شرير (فما منهم من أتى بشئ يؤثر) أى يروى (فى معارضته ولا ألف كلمتين) أى ولا ركبهما وألف بينهما (فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح) أى لم يجد فى القرآن محلا يتعلق به طعن صحيح أو عيب صريح

(ولاقدح المتكلف من ذهنه في ذلك) أي في طعنه (الابزند شحيح) أي باخراج النار عند وريه فلم يور بقدحه

ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار سخرة كما بين في مطاعن القرآن التي ذكرها السلف (ولاقدح) القدح ذكر المعائب يقال قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد ضربه لاجل النار والمراد الاول لكن فيه تورية بالثاني لقوله (المتكلف من ذهنه في ذلك الابزند شحيح) والمتكلف هو الذي يفعل مالا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذي لايخرج منه شرر منيرة أي لم يفده قدحه شيأ غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لايورى ولله در المصنف رحمه الله تعالى ما ألطف صنعه ومن لم يذق حلاوة كلامه قال لوقال ولاضرب المتكلف بسيف ذهنه الاارتد وهو جريح وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل

ويكاد يحرقه توقد ذهنه * لولا مياه الجود فيه والندا

لكن لاتعدم الحسناء ذاما فما أبلغ السكوت في محله (بل المأثور) والمنقول (عن كل من رام ذلك) أي قصد الطعن فيه بذكر مايؤدي زكاة جهه (القاؤه في العجز بيديه) الالقاء بالقاف بمعنى الرمي ومفعوله محذوف أي القاؤه نفسه ورميها في مهالك العجز ومهاويه فشبه العجز ببئر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وبيديه متعلق به أي هو الرامي والطارح لنفسه وقيل معناه ألقى نفسه بهما في العجز وللز ومه له جعله ظرفاله وهو معنى ركيك وقول التلمساني انه الغاؤه بالغين المعجمة من لغو الكلام الذي يحسن السكوت عنه لاعليه (والنكوص على عقبيه) أي المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما مؤخر الرجل اذا رجع القهقرى وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشئ وفي القاموس نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه وقيل عليه ان قلت معارضة القرآن شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت هو مبني على زعمه أو هو تهكم به كما أطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا أقول هذا استعارة من رجوع القهقرى لانه بمعنى الرجوع على العقبين حقيقة فيتجوز به عن العود الى حاله الاول مطلقا شرا كان أو خيرا فالحق ماقاله الجوهري

(فصل وقد عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة) ضبطه بفتح لام مقلد ليناسب ماقبله وقيل انه بكسرها والمراد بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف أقوالهم (في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله) أي لايسأم طبعه من كثرة قراءته ولو أعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع جبلت على معاداة المعادات (وسامعه لايمجه) أي لايكره تكراره على مسامعه يقال مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقته طرح المائع من الفم فان كان غير مائع يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام الماء لرقته واطفه وهي استعارة لطيفة كما قال الغزي فيما تقدم

وتغير المعتاد يحسن بعضه * للورد خد بالانوف يقبل

فاستعير لتركه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية فكأنه كالنفس الذي يكرره ولايمل منه لانه مادة الحياة كما قال المعري

ردي حديثك ما أملت مستمعا * ومن يمل من الانفاس ترديدا

ويمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب نصر (بل الاكباب على تلاوته) أي ملازمة قراءته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال أفمن يمشي مكبا على وجهه وفي اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال لبيد يبنوح الهالكي على يديه * مكبا يجتلي نقب الفصال

وتحقيقه ان الزند بفتح الزاي وسكون النون قد يراد به موصل طرف الذراع في الكف وقد يطلق على العود الذي يقدح به النار وهو الاعلى والزنده بالهاء هي السفلى وهو في المدن قطعة حديد تضرب بحجر صلد والظاهر ان القاضي قصد معنى الزند ووصف كلامهما بالشحيح اما العضو فشحه ان لايخرج درهما أو دينارا وأما زند النار فشحه كونه لايخرج نارا وفي الجمع بينهما اشارة الى غاية القلة (بل المأثور) أي المروي والمحكي (عن كل من رام ذلك) أي قصد الطعن فيه (القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه) أي التأخر في الرجوع بالقهقرى أي الى الورى

(فصل)

(وقد عد جماعة من الائمة) وهم علماء السلف (ومقلدي الامة) بفتح اللام وهم فضلاء الخلف (في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لايمله) بفتح الميم وتشديد اللام أي لايسأمه (وسامعه لايمجه) بضم الميم وتشديد الجيم أي لايدفعه (لايدفعه بل الاكباب) أي الاقبال والآداب (على تلاوته

(يزيده حلاوة) أي ترداد قراءته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملال الى زيادة حلاوته وأصاب به المحز لان ماعج يكون مرا أوما الحار يكرهه الطبع وهو كقول الشاطبي رحمه الله تعالى

وخير جليس لايمل حديثه * وترداده يزداد فيه تجملا

(وترديده) أي اعادته وتكريره (يوجب له محبة) لزيادة حلاوته وحسنه (لايزال) كلما كرر (غضا) أي جديدا وهو مجاز من غض الصوت والطرف قال جارية شبت شبابا غضا (طريا) أي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي رحمه الله تعالى

واخلق به اذليس يخلق جدة * جديدا مواليه على الجد مقبلا

فكأنه في كل مرة قريب عهد بالنزول (وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه) أي لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته في البلاغة (يمل) بالبناء للمجهول أي يمل قارئه وسامعه (مع الترديد) أي مع التكرير مرارا (ويعادى اذا أعيد) أي يكره ويثقل وتنفر منه النفس كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لايوجد مثله ولا مايقرب منه

* وأين الثريا من يد المتناول * (وكتابنا) معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (مستلذ به في الخلوات) أي يجد قارئه لذة اذا اختلى بقراءته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله تعالى فهو فيها أعظم لذة وان كان له لذة أيضا (ويؤنس ٢) بالبناء للمجهول أي يجد به انسا يدفع وحشته (في الازمات) جمع أزمة وهي الشدة كما في حديث * اشتدي أزمة تنفرجي * ولام خلوات وزاي أزمات ساكنتان في المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات يسكن في الاسماء ويحرك في الصفات كما بين في التصريف والضمير في كتابنا لجماعة المؤمنين لا للتعظيم لانه لايناسب المقام قيل ولو قال كتابنا يستأنس به في الخلوات ويستعان به على الازمات كان أحسن وما قصده المصنف أعلى مما قاله لان الخلوة أنسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه

ولذة الاحمق مكشوفة * يسعى بها كل عدو رقيب

والشدائد لا تجد فيها رفيقا يعين عليها او يدفع كربها والمعالي قليلة الرفقاء ولكل وجهة (وسواه من الكتب) سوى اذا ضم أوله أو كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو بمعنى غير لكنه تفنن فعبر في الاول بغير وفي هذا بسوى والظاهر أن المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور (لايوجد فيها ذلك) أي اللذة والانس المذكورين (حتى أحدث أصحابها) أي اخترعوا وألفوا والمراد بأصحابها من يقرؤها (لها لحونا) أي للكتب التي يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الالحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مماهو معروف عندهم يقال لحن في قراءته اذا طرب وللحن معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر في خطأ الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات للتطريب والغناء تحسينا للقراءة والشعر وفي الحديث اقرؤا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين يعني اليهود والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل أهل مصر بقراءتهم في مجامع الناس المعروفة بالجوق وهي مما حرمه الفقهاء وشددوا النكير على فاعله وهو لاينافي قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن على أحد المعنيين فان المراد به ألحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل في أدب القارئ (وطرقا) جمع طريق وهي ما يجري على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة (يستجلبون) أي يطلبون وجودها أو يجلبونها لهم ولمن يسمعهم (بتلك اللحون) والنغمات (تنشيطهم) أي وجود نشاطهم وطربهم

٢ بتلاوته نسخة اهـ

تزيده حلاوة) أي لذة (وترديده) أي تكراره (يوجب له محبة) أي يقتضي زيادة مودة فقد ورد من أحب شيأ أكثر ذكره (لايزال غضا طريا) أي لاتزول طراوته وطلاوته (وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه) أي تمام نظام المرام (يمل مع الترديد) أي في السمع (ويعادى) بفتح الدال أي ويكره في الطبع (اذا اعيدا) لقولهم المعاداة معاداة ولقوله صلى الله تعالى عليه وسلم فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه (وكتابنا) أي الذي فيه خطابنا وعتابنا وثوابنا وعقابنا (يستلذ به في الخلوات ويؤنس) بالهمز ويسهل وبالنون مخففا ومشددا أي ويستأنس (بتلاوته في الازمات) بفتح الهمز والزاي جمع أزمة بفتح فسكون وهي الشدة أي في أوقات الآفات (وسواه من الكتب) أي المؤلفات المصنوعة والمركبات الموضوعة (لايوجد فيه ذلك) أي ماذكر من اللذة والانسة المطبوعة (حتى أحدث أصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم) أي تنشيط أنفسهم وغيرهم

على

(على قراءتها) أى على تطويل قراءتها وزيادتها أو على ان يقرأها غيرهم كقراءتهم ان أريد اللحون تغنى القارى نفسه ويحتمل ان يريد بما أحدثوه ما يكون مع القارى من آلات الطرب كالمزامير وما يسمى أرغنون من أوتار كثيرة تضرب مع القراءة ويأتلف بعضها ببعض حتى كان القارى على نغماته على قرين الآية

يملى على عوده انغامه * وتراه يفرك اذنه ان قصرا

(ولهذا) أى لما اختص به القرآن من عدم ملل قارئه وما بعده (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن) فى حديث رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه بدون قوله الآتى هو الذى لم تنته الجن الخ (بانه لا يخلق) بفتح الياء وضم اللام أى لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم أوله وكسر ثالثه من أخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة بمعنى واحد (على كثرة الرد) بمعنى مع والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده يردده بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تؤثر وتفنى ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه كما قيل

أما ترى الحبل بتكراره * فى الصخرة الصماء قد أثرا

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس ليتجمل به والمراد به اما الملل منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قارئه لا يمله وكل مكرر يمل ولا يتغير بتحريف ونسخ لا ينسى وقد وردان بعضهم كرر آية واحدة طول ليله (ولا تنقضى عبره) بكسر العين المهملة وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها والمراد بها عجائبه أو مواعظه التى يعمل بها او يعتبر وهو عبارة عن كثرتها او بقائها والثانى أولى لئلا يتكرر مع قوله (ولا تفنى عجائبه) أى لكثرتها لا تنفد وتنتهى جمع عجيبة وهى ما يتعجب منه فكلما أعدت النظر فيها ظهر لك ما هو أغرب وأعجب مما عرفته أولا (هو الفصل) أى الحد الفاصل بين الحق والباطل يقال كلام فصل أى حق مبين محكم أو المفصول المتميز عن غيره فهو فعل بمعنى فاعل أو مفعول (ليس بالهزل) كما قال تعالى وما هو بالهزل أى ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو فى الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهى التى يهابها سامعها (لا تشبع منه العلماء) أى لا تستغنى عنه ولا تزال تستنبط منه معانى وفوائد فى كل حين وفى الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بمأكول به قوام حياته الآن كل مأكول يشبع آكله اذا امتلأ منه جوفه وهذا مخالف لذلك ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية فوائد فوائد معدودة وألوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة (ولا تزيغ به الاهواء) بفتح المثناة الفوقية وزاى وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهواء بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال أى لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة (ولا تلتبس به الالسنة) جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع فى الكلام واللغات فالمعنى انه لا يشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان أسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قراءته على المؤمنين وهو بعيد لانه افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله (هو الذى لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا) أصل معنى انتهى بلغ النهاية وهى آخر الشئ وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا أى لم تكف الجن عن هذه المقالة ومن لم يترك شيأ بادر اليه وأقبل عليه ولذا قيل معناه لم يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب أو جر بتقدير عن وما قيل انه فى معنى العلة أى لم ينتهوا عن القول من أجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط (انا سمعنا قرآنا عجبا) أى عجيبا فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته

(على قراءتها ولهذا) أى لما اختص به القرآن من حسن البيان المستغنى عن الاتيان بانواع الالحان (وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق) كما رواه الترمذى وغيره عن على كرم الله وجهه مرفوعا القرآن لا يخلق وهو بفتح الياء وضم اللام لا فتحها كما فى نسخة نقلها الحلبى وتبعه الحجازى أو بضم ياء وكسر لام أى لا يبلى (على كثرة الرد) أى مع كثرة ترديده وتكريره (ولا تنقضى عبره) بكسر ففتح جمع عبرة أى لا تنتهى مواعظه المعتبرة (ولا تفنى عجائبه) أى لا تنفد عجائب مبانيه وغرائب معانيه (وهو الفصل) أى البالغ فى الفرق بين الحق والباطل (ليس بالهزل) أى أمره جد كله (لا يشبع منه العلماء) أى تدبرا وتبصرا وعبارة واشارة (ولا تزيغ) أى ولا تميل (به الاهواء) عن طريق السواء (ولا تلتبس به الالسنة) أى ولا تشتبه به اللغات المختلفة المناقضة (هو الذى لم تنته الجن) أى طائفة من جن نصيبين وفى صحيح مسلم انهم كانوا من الجزيرة ولا منع من الجمع (حين سمعته ان قالوا) أى لم يتوقفوا عن قولهم لبعضهم أو لقومهم حين رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا عجبا) أى مقروأ عجيبا من جهة جزالة مبانيه ومدلولا غريبا من فخامة معانيه بديعا فى بلاغته ومنيعا فى فصاحته

(يهدى الى الرشد) أى يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين
مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به وقال البرهان كانوا
سبعة شاطر وماصر ومنشى وماشى والاحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد فى مناقب عمر بن
عبد العزيز قال بينما هو يمشى بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا قائل يقول
ياسرق أشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ستموت بارض فلاة ويدفنك
رجل صالح فقال عمر رضى الله عنه من أنت رحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا أنا وسرق وهذا سرق قد مات وعن ابن مسعود رضى
الله تعالى عنه انه كان فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم
ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا
امرأتان تسألان أيكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ماندرى من عمرو فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد
وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتموها وهو ممن استمع
القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الذهبى الذى دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو
من الصحابة وسماه عمرو بن طارق ومن لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مؤمنا منهم عد من
الصحابة والاعتراض بانه ينبغى ان يعد منهم الملائكة أيضا كجبريل وميكائيل رده الذهبى بانه أرسل
اليهم ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملى على مقتضى كلام
الذهبى تبعا لوالده والمعتمد خلافه وارساله صلى الله تعالى عليه وسلم عام لكل الخلق حتى الملائكة
وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط
المرجان فى أحكام الجان وسيأتى بيانه فى الكلام على نطق الشجر (ومنها) أى من وجوه اعجازه التى
ذكرها بعضهم (جمعه لعلوم ومعارف) أى علوم كلية كانت فى الامم السالفة كعلم النجوم ودقائقه
وعلم الطب كما فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف
الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وتفصيلها مما لا يعرفه الا من شاهدها ومن
ذلك ماقيل ان قوله تعالى الى ظل ذى ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض أحكامه المذكورة
فى الهندسة وفيه اشارة الى انه لا يفهم تفسيره الا من تضلع من جميع العلوم (لم تعهد العرب) بالبناء للمفعول
أى لم تعرف فى عهدها وزمانها (عامة) أى جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة
وطرا (ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته) ونزول الوحى بها عليه (خاصة) أى لم يعرف له صلى الله
تعالى عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد أطلعه الله تعالى على علوم الاولين والآخرين
(بمعرفتها) متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف (ولا القيام بها) ومداومته عليها (ولا يحيط بها أحد
من علماء الامم) أى لم يحط علم أحد من علماء السلف كالحكماء والاحبار من أهل الكتاب بشئ منها (ولا
يشتمل عليها كتاب من كتبهم) أى لم يدون قبله حتى يقال انه أخذ علمه منها وفسر ماذكره بقوله
(فجمع فيه من بيان علم الشرائع) جمع مبنى للمجهول أى جمع الله تعالى فى كلامه ماذكر والشرائع جمع
شريعة وهى والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم وهى وضع الهى سائق الى ما فيه الخير فى
الدارين منقولة من الشريعة وهى موردة الماء اذا الطريق الواسع كالشارع (والتنبيه على طرق الحجج
العقليات) أى تنبيه الناس وارشادهم الى نصب الادلة العقلية وكيفية الزام الخصم بها كما فى قصة

عمر بن عبد العزيز قال بينما عمر يمشى بارض فلاة فاذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها واذا قائل يقول ياسرق أشهد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال من أنت يرحمك الله تعالى فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يبق منهم الا أنا وسرق هذا سرق قد مات (ومنها جمعه لعلوم) أى كلية (ومعارف) أى جزئية (لم تعهد العرب عامة ولا محمد قبل نبوته خاصة بمعرفتها) أى بعلم شئ منها (ولا القيام بها) أى الدوام والثبات عليها (ولا يحيط بها أحد من علماء الامم) أى من أحبار اليهود والنصارى وغيرهم (ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) أى من السماوية وغيرها (فجمع) بصيغة المجهول أى فجمع الله (فيه من بيان علم الشرائع) أى أصولها وفروعها من النقليات (والتنبيه) أى فى اثناء التعبيرات (على طرق الحجج) أى أنواع الدلالات (العقليات) وفى نسخة العقلية

ابراهيم

ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونظره للكواكب لاقامة الحجة على وجود الصانع وكما في قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما يأتي بيانه (والرد على فرق الامم) الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم (ببراهين قوية) محكمة الالزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث (وأدلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) يفهمها كل من سمعها

تكاد من عذوبة الالفاظ * تشرب بها مسامع الحفاظ

كما (موجزة المقاصد) قليلة ألفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة (رام المتحذلقون بعد) بالبناء على الضم أي بعد الوقوف عليها والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة ولام وقاف وهو مدعي الحذق وهو سرعة الفهم أي قصد مدعي الذكاء في العلم واقامة البراهين يقال حذلق اذا أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده كتحذلق فهو مأخوذ من الحذق ولامه زائدة (ان ينصبوا أدلة مثلها) نصب الدليل واقامته ذكره في مقام المخاصمة (فلم يقدروا عليها) أي لم يكن لهم قدرة على الاتيان بمثل أدلته وبراهينه (كقوله أوليس الذي خلق السموات والارض) رد على منكري الحشر والمعاد الجسماني أي من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم (بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) أي مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة وبعيدها وهو أهون عليه كما قال تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة (و) قوله (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي من أوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفي هذا أيضا حجة باهرة (و) منها قوله (لو كان فيهما) أي في السماء والارض (آلهة الا الله لفسدتا) فلو تعددت الآلهة فسد نظام العالم وبطل وفيها برهان قوي قطعي وليس اقناعيا كما في شرح العقائد ويسمى برهان التمانع وفي بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد أفرده بالتأليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللاري فحسبك من القلادة ما أحاط بعنق التقليد فان لكل مقام مقالا (الى ماحواه) أي مضموما ما ذكر من البراهين الى ما اشتمل القرآن عليه (من علوم السير) جمع سيرة وهي الطريقة والاخلاق الحميدة ويخص في العرف بالغزوات واخبار الجهاد ولكل وجهة هنا (وانباء الامم) أي أخبار من مضى منهم (والمواعظ والحكم) أي أمور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة (وأخبار الدار الآخرة) من الجنة والنار والحشر وأهوال الموقف وغير ذلك (ومحاسن الآداب) جمع أدب وهو الاوصاف المحمودة التي يشرف صاحبها (والشيم) بشين معجمة ومثناة تحتية ويهمز أيضا بزنة عنب جمع شيمة وهي الطبيعة وأهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول القيراطي رحمه الله تعالى

لك يا نيل مصرنا كرم أخجل الديم * أنت فينا حقيقة ظاهر الوصف والشيم

(والرد على فرق الامم) أي من أرباب الضلالات (ببراهين قوية) أي قاهرة (وأدلة بينة) ظاهرة (سهلة الالفاظ) أي المباني (موجزة المقاصد) بصيغة المجهول أي مختصرة المعاني (رام المتحذلقون) بالحاء المهملة والذال المعجمة من الحذق زيدت فيه اللام للمبالغة والتاء للمطابقة أي قصد المبالغون في الحذاقة اذا أظهروا المهارة في مقام الفصاحة والبلاغة (بعد) أي بعد ورودها في عالم وجودها (ان ينصبوا أدلة مثلها) أي مشابهة لها في الجملة (فلم يقدروا عليها) أي على ان يقربوا اليها واني لهم المقدرة على مقاومة المعجزة (كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض) أي مع كبرهما وسعة قدرهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) أي مع صغر جرمهم (بلى) جواب من الله ايماء الى ان لا جواب سواه أي بلى قادر على خلقهم ابتداء وايجادهم انتهاء وهو الخلاق العليم يعني الا يعلم من خلق (وقل) أي وكقوله الله سبحانه قل (يحييها الذي أنشأها أول مرة) أي لبقاء قدرته وفق ارادته وقابلية مادته على خلقه وهو بكل خلق عليم أي بأعضائه وأجزائه (ولو كان فيهما آلهة الا الله) أي غيره (لفسدتا) أي لخرجتا عن نظامهما واختلفا عن مرامهما لوجود التمانع المانع من اتمامهما (الى ماحواه) أي منضما الى ماجمعه القرآن أو مع ما اشتمله الفرقان (من علوم السير) بكسر ففتح جمع سيرة أي المفهومة من أخبار الانبياء والاصفياء (وانباء الامم) أي أحوالهم الاعم من الاحياء والاعداء (والمواعظ) أي بالترغيب في ولائه والترهيب عن بلائه (والحكم) بكسر ففتح أي الكلمات المرشدة الى تكميل النفوس الانسانية باقتباس العلوم الربانية كقوله تعالى حكاية عن لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير (وأخبار الدار الآخرة) أي من النعيم المقيم والجحيم الاليم (ومحاسن الآداب والشيم) بكسر ففتح أي الاخلاق في جميع الابواب (مما تقدم ذكره) أي بيانه بقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية

(قال الله جـل اسمه) أى عظم اسمه وسماه (مافرطنا فى الكتاب) أى القرآن الجامع للفصول والابواب (من شئ) يحتاج اليـه أرباب الالباب (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) أى مما يحتاج اليه فى أمر الدين (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم فيه بعض الامثال الحكمية ليقتبسوا المعانى الحقيقة من صور المبانى الحسية (وقال عليه الصلاة والسلام) أى كما رواه الترمذى عن على وتقدم بعضه وأورده ههنا بتغيير بعض لفظـه وبزيادة فى صـدره (ان الله أنزل هـذا القرآن آمرا) أى بكل معروف واجبا كان أو ندبا (وزاجرا) أى ناهيا عن كل منـكر حراما كان أو مكروها (وسنة خالية) أى طريقة متبعة ماضية (ومثـلا مضروبا) أى مبينا ومعينا فى الالسـنة الجارية (فيه نبأكم) أى الخبر المتعلق بكم (وخبر من كان قبلكم) أى مـن الامم السالفـة (ونبأ ما بعدكم) أى مما يكون الى يوم القيامـة (وحكم ما بينكم) بفتح الحاء والكاف أى والحكم الذى تحتاجون اليـه فيما بينكم مما لكم وعليكم (لا يخلقـه) بضم الياء وكسر اللام أى لا يبليه (طول الرد) أى كثرة تكراره وترديد أخباره (ولا تنقـضى عجائبـه) أى لا تنتهى غرائبه (هو الحق) أى الحكم العدل (ليس بالهزل) بل هو الجد فى بيان الفصل (من قال به صـدق) أى فى قوله (ومن حكم به عدل) أى فى حكمه (ومن خاصم به فلج) بفتح الفاء واللام والجيم أى غلب على مرغوبه وظفر بمطلوبه (ومن قسم به) بتخفيف السين ويجوز بتشديده أى عين قسط كل واحد ونصيبه فى حكم متعلق به (أقسط) أى عدل فى أمره وأصاب فى حكمه يقال أقسط فهو مقسط اذا عدل ومنـه قوله تعالى ان الله يحب المقسطين وقسـط فهو قاسط اذا جار ومنه قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا فهمزة أقسط للسلب كما فى شكا اليه فأشكاه أى أزال شكواه

وهى لغة عامية لا أصل لها (قال الله جل اسمه مافرطنا فى الكتاب من شئ) أى لم نترك شيأ يحتاج اليـه الا بيناه فى القرآن بناء على ان المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخـل ضد الافراط وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى أغفلنا كما توهم والمعنى انه مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى تعدى اليه بتضمين ترك ونحوه ثم أردفه بآية تؤيد ان المراد بالكتاب القرآن فقال (ونزلنا عليك) يا محمد (الكتاب تبيانا لكل شئ) أى مبينا لكل شئ يحتاج اليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) ضرب المثل معلوم أى آتينا لكل أمر مهم بمثال يوضحه لما فى ضرب الامثال من الفوائد المهمة (وقال صلى الله تعالى عليـه وسلم) فى حديث رواه الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه تقدم بعض منه وأورد بقيته هنا مع زيادة فيه (ان الله أنزل القرآن) من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وأنزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر فاذا جمع بينهما أو قامت قرينـة أريد بالانزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه (آمرا) بالمد حال من الفاعـل أو المفعول على الاسـناد المجازى (وزاجرا) أى مانعا وكافيا وناهيا والزجر الطرد بصوت يسـتعمل تارة فى الطرد وأخرى فى الصوت كما قاله الراغب (وسـنة خالية) أى طريقة متبعـة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خـلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ (ومثـلا مضروبا) جعله عين المثل مبالغـة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهيـة وهى مقررة لما مثـل له لتـنزيل المعقول منـزلة المحسوس قال البيضاوى ولامر ما أكثر الله والانبياء والحكماء فى كلامهم من الامثال وقوله (فيه نبأكم) بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نائب فاعل مضروبا فهو بتقدير مضاف أى مثل نبائكم وان كان مبتدأ ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج لنكتة فكأنها الاشارة الى انها حال أخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها والنبأ الخبر عن أمر عظيم والخطاب للامة وما قيل للصحابة رضوان الله تعالى عنهم (وخـبر ما كان قبلكم) عبر بالخـبر تفننا واشارة لشرف هـذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر أو لصفات من يعقل كقوله تعالى وما ملكت أيمانكم (ونبأ ما بعدكم) أى ما بعد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم أو لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيامة (وحكم ما بينكم) أى بيان للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هـذه الامة المحمدية وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف (لا يخلقه طول الرد) تقدم معناه وانه بضم أوله وفتحه من الثلاثى والمزيد أى لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته (ولا تنقضى عجائبه هو الحق ليس بالهزل) تقدم تفسيره (من قال به صدق) أى من اختار ما فيه وحكم به فقد أتى بأمر صادق لا ريب فيـه وفى القاموس قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صـدق (ومن حكم به عدل) أى قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد (ومن خاصم به) أى خاصم بحجة وأدلة مأخوذة منه (فلج) أى غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح الفاء واللام وبجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة (ومن قسم به قسط) قسم بفتح القاف والسين المخففة أى من تولى قسمة أمر فقسمها بما

فى

(ومن عمل به أجر) بصيغة المفعول أى أثيب على عمله من عند ربه وفضله (ومن تمسك به) أى تشبث علما وتعلق عملا (هدى) بصيغة المجهول أى هداه الله فاهتدى (الى صراط مستقيم) أى مذهب قويم ودين كريم (ومن طلب الهدى من غيره) أى من غير بابه (أضله الله) أى أعماه بحجابه (ومن حكم بغيره) أى عدولا عن حكمه وأمره (قصمه الله) أى كسره وأهلكه وفى الحديث استغنوا عن الناس ولو بقصمة السواك وهى بالكسر ما انكسر منه بابانه وفى رواية ولو بشوص السواك على ما رواه البزار والطبرانى والبيهقى عن ابن عباس وفى النهاية شوص السواك غسالته وقيل ما يتفتت منه عند تسوكه

(هو الذكر الحكيم) أى المشتمل على الحكم والاحكام والحاكم على وجه الاتقان والاحكام (والنور المبين) أى الظاهر أو المظهر لليقين (والصراط المستقيم) أى ذو الاستقامة المنتهى الى الفوز بالسعادة والكرامة معاشا ومعادا (وحبل الله المتين) من المتانة وهى القوة أى عهده المحكم الذى لا ينقطع وسبب وصول وعده الذى لا يمتنع وقال ابن الاثير حبل الله نور هداه وقيل عهده وأمانه الذى يؤمن من العذاب والحبل للعهد والميثاق انتهى (والشفاء النافع) أى لكل داء وبلاء (وعصمة لمن تمسك به) أى معتصم ووثيق لمن تشبث به وتعلق بذيله وفيه وفيما قبله اقتباس من قوله واعتصموا بحبل الله (ونجاة لمن اتبعه) بتشديد التاء أى تبعه علما وعملا (لا يعوج) بتشديد الجيم (فيقوم) بفتح الواو المشددة ونصب الميم أى لا يميل عن صوب الاستقامة فتحتاج الى تقويم العدالة (ولا يزيغ) أى ولا يميل عن منهج الحق (فيستعتب) أى فيحتاج الى العتب فى عدوله عن نهج الصدق (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق) بالوجهين (على كثرة الرد) أى الترداد والتكرار فى العد (ونحوه) أى نحو هذا الحديث فى المعنى مع اختلاف فى المبنى

في كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها اعدل يقال قسط اذا جار وأقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب كاشكيته اذا أزلت شكايته وهو مأخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث ان الله يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل أيضا فهو من الاضداد (ومن عمل به أجر) بالبناء للمفعول أى حاز الاجر والثواب الجزيل (ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم) هو كقوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذى لا عوج فيه ولا ضلالة (ومن طلب الهدى من غيره) كعقله وأقوال غيره (أضله الله) أى جعله شقيا ضالا لعدوله عن الطريق الحق (ومن حكم بـ) حكم (غيره قصمه الله) أى قتله وأهلكه هلاكا شديدا وأصل معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز فى هذه الجملة ان تكون خبرية ودعائية انشائية (هو الذكر الحكيم) الذى بمعنى القرآن والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو سمى باسم قائله أى الحكيم قائله ففعيل بمعنى فاعل أى الذى يحكم الاشياء ويتقنها أو الحاكم لهم وعليهم أو المحكم الذى لا خلل فيه (والنور المبين) الواضح البين الذى تهتدى بانواره العقول الى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة (والصراط المستقيم) أى الموصل الى السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الى المقصد الاسنى كما تصل من الطريق الى ما تريد من الدار ومنازلها (وحبل الله المتين) أى عهده وأمانه الذى يؤمن العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به الى ما ينجيه ويوصله لمطالبه والمتين بمعنى القوى المحكم يقال متن اذا صلب (والشفاء النافع) اما ان يراد بالشفاء ظاهره لانه يسترقى به فيشفى من بعض الامراض أو يراد به مطلق النفع على طريق المجاز كالمستفز أو على طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لا سقم بعده لنفعه فى الدنيا والآخرة (عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه أيضا والاكثر الافصح الكسر وتجئ العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم لانه محلها والمراد انه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل (ونجاة لمن اتبعه) أى منج له ومخلص مما يخشاه (لا يعوج) بفتح أوله وتشديد جيمه ورفعه أى ليس فيه خلل لفظا ولا معنى كما قال تعالى ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر وبكسر أوله ما يدرك بالبصيرة (فيقوم) بالنصب فى جواب النفى أى لا يحتاج الى تقويم يزيل عوجه فليس كسائر الكلام المحتاج للاصلاح (ولا يزيغ) بمعجمتين بوزن نصير أى لا يميل عن الحق والصواب (فيستعتب) بالنصب أى لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب مخاطبة ادلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفى رواية الترمذى ولا تزيغ به الاهواء أى تميله (ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد) تقدم بيانه (ونحوه) أى نحو هذا

(عن ابن مسعود) كما رواه الحاكم عنه مرفوعا (وقال) أي ابن مسعود (فيه) أي في مرويه (ولا يختلف) بالفاء أي ليس محلا للاختلاف بل وقع مبناه ومعناه على وجه الائتلاف والمعنى ما وجد فيه أحد تخالفا يسيرا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي نسخة بالقاف فهو بمعنى لا يخلق على كثرة الرد كما سبق (ولا يتشان) بتشديد النون بعد الالف مأخوذ من الشن كما صرح به الهروي وابن الاثير في هذا الحديث وقال اليمني هو الصواب وهو الجلد اليابس البالي أي لا تذهب طلاوته ولا تبلى طراوته حين تكثر تلاوته وترداد قراءته لما أودع فيه من بدائع الكمال وروائع الجمال وفي نسخة صحيحة ولا يتشأ بنون مخففة بعدها همزة من الشنآن ولكن ينبغي ان يضبط بصيغة المجهول وأما ما ذكره الحلبي من انه بفتح أوله ثم مثناة فوق مفتوحة ثم شين معجمة ثم ألف ثم نون ثم همزة ممدودة ونسبه الى النسخة التي وقف عليها فلا يصح بوجه أي لا يتباغض ولا يكره ولا يمل (فيه نبأ الاولين والآخرين) أي بما وقع لهم في الدنيا وبما سيقع لهم في العقبى (وفي الحديث) أي القدسي من رواية ابن أبي شيبة مرسلا لكن بلفظ أنزلت على محمد توراة محدثة فيها نور الحكمة وينابيع العلم ليفتح بها أعينا عميا وقلوبا غلفا وآذانا صما وروى ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب انه قال في التوراة (قال الله تعالى لمحمد اني منزل عليك) بالتخفيف والتشديد أي ملق اليك

استعارة

(توراة) أي كتابا كالتوراة أو ما جمع مضمون ما في التوراة (حديثة) أي جديدة الانزال أي قريبة العهد من الملك المتعال (تفتح بها أعينا عميا) أي عن سنن الحق (وآذانا صما) أي عن استماع الصدق (وقلوبا غلفا) أي ممنوعة عن طريق الوفق وممتنعة عن وصول الرفق (فيها ينابيع العلم) أي هي منابع العلوم الكثيرة والمعارف الغزيرة (وفهم الحكمة) أي وفيها معرفة الحكم الربانية والاحكام الحكمة الصمدانية (وربيع القلوب) أي وفيها من الانوار والاسرار نظير ما يشتمل عليه فصل الربيع من أزهار وأثمار الاشجار بواسطة الامطار

الحديث المروي عن علي كرم الله وجهه ما رواه الحاكم (عن ابن مسعود وقال) أي ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (فيه ولا يختلف) أي لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (ولا يتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والشين المعجمة وألف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن وهي القربة البالية فهو مستعار للبلاء والفناء بمعنى قوله في الرواية الاخرى لا يخلق على كثرة الرد وفي رواية لا يتفه ولا يتشأن والتفه الحقارة وشيء تفه حقير كذا هو في أكثر الروايات وصححوه وفي نسخة ولا يتشانأ بياء تحتية مفتوحة أو مضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة وألف بعدها نون وهمزة من الشنء وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة أو تخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف معنى وهو معنى ظاهر مكشوف فما قيل الصواب هو الاول ان أرادوا بحسب الرواية فسلم وان أرادوا بحسب الدراية فلا وجه له (فيه نبأ الاولين والآخرين) تقدم بيانه بما يغني عن اعادته (وفي الحديث) الذي رواه ابن الضريس في فضائل القرآن عن كعب الاحبار انه قال في التوراة أنزلت على محمد فذكره وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مغيث بن سمي مرسلا أنزلت على توراة الخ (قال الله عز وجل لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اني منزل عليك توراة) أي كتابا مسمى أو شبيها بالتوراة لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والامثال والحكم والعقائد اليقينية فاطلاق التوراة عليه استعارة تصريحية أو مجاز مرسلا أو حقيقة ان قلنا انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه أجل كتاب نزل قبل القرآن واشهرته بين اليهود من أهل الكتاب الذين هم أقرب اليه وهو حديث قدسي نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الوحي أو في ابتداء أمره (حديثة) أي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورا وشفاء قال (تفتح بها أعينا عميا) أي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهتدائه للحق (وآذانا صما) أي وتسمع بها آذانا لا تسمع الحق فتقبله (وقلوبا غلفا) لا يصل اليها ما يهديها الى السعادة كأنها في غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطلقا فتحا أو هو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا (فيها) أي في التوراة يعني القرآن (ينابيع العلم) جمع ينبوع وهي العين التي ينبع منها الماء الجاري فشبه العلم النابع بالماء الذي تحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية وأثبت له الينبوع على طريق التخييل (وفهم الحكمة) أي ما يفهم الحكم وهي المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كأنه فيها لما بها الغفلة لكونها ينبوعه ومعدنه (وربيع القلوب) الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر أي فيها ما تحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتسرح وتتنزه وتفرح ففيه

استعارة لطيفة (وعن كعب) ابن ماتع المعروف بكعب الاحبار كما تقدم (عليكم بالقرآن) اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا وبكذا فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه (فانه فهم العقول) أى مفهوم للعقول ما يخفى عليها فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه ركيك كما يرشد اليه قوله بعده هذا بيان للناس (ونور الحكمة) أى منورها أو هو كالجبين المناء أى فيه حكم يشرق نورها ويتلألأ وضوحا ويهتدى بها (وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) يعنى انه بين فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم ففيه اشارة الى ان القرآن أجمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله وأوضح (وقال) تعالى (هذا بيان للناس وهدى الآية) أى لجميع الناس (من أهل الكتاب) وغيرهم وموعظة للمتقين والآيتان مما يؤيد ما قاله كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله (فجمع فيه) أى فى القرآن (مع وجازة ألفاظه) أى اختصارها وقلة ألفاظه مع كثرة معانيه (وجوامع كلمه) معنى جوامع الكلم انها الكلام الجامع للمعانى الجمة فى ألفاظ قليلة واضحة وتطلق على القرآن كما فى حديث أوتيت جوامع الكلم (أضعاف ما فى الكتب قبله) مفعول جمع أى جمع ما يزيد على سائر الكتب مثله أو مثليه (التى ألفاظها على الضعف منه مرات) أى مع زيادة ألفاظها عليه بامثاله جمع من المعانى ما يزيد على أمثاله معانيه وضعف الشئ يكون بمعنى مثليه وأمثاله والتضعيف الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله (ومنها) أى من وجوه الاعجاز التى ذكروها (جمعه فيه) أى جمع الله فى القرآن (بين الدليل والمدلول) الدليل هو الدال المرشد أى ما يمكن التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبرى والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا وان كان بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله (وذلك) أى الجمع بينهما (انه احتج) بالبناء للمجهول فهو بضم أوله وثالثه أى ان الله أقام فيه الحجة على ما أراد اثباته والالزام به لمن أقيمت عليه الحجة (بنظم القرآن) أى بنظامه البديع المعجز (وحسن رصفه) براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه وتأليفه كما يؤلف البناء شيأ بعد شئ حتى يتم ويكمل فى غاية الاحكام وضمير انه لله أو للقرآن (وايجازه وبلاغته) وفى نسخة اعجازه أى كونه فى أعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ (واثناء هذه البلاغة) بالنصب على الظرفية خبر مقدم أى فى خلالها واثناء بالمد على وزن أفعال جمع ثنا بالضم والقصر وهو ما انثنى ودخل بعضه فى بعض كما أشار اليه ابن هشام اللخمى فى شرح الدريدية كما مر وهذا هو الدليل السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال (أمره ونهيه ووعده ووعيده) وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى أرادها الله تعالى (فالتالى له) أى القارئ بفهم وتدبر لمعانيه (يفهم موضع الحجة والتكليف) بالجر والنصب (من كلام واحد وسورة منفردة) عن غيرها مما هو حجة أو محتج عليه يعنى ان كل مقدار معجز منه دال

(وعن كعب) أى كعب الاحبار ويقال كعب الحبر (عليكم بالقرآن) أى خذوا بمبانيه والزموا بمعانيه (فانه فهم العقول) أى غاية فهوم عقول الفحول (ونور الحكمة) أى لعين البصر والبصيرة ونظر العبرة (قال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) أى اليهود والنصارى (أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى كلهم فيما بينهم أو كل صنف منهم من التشبيه والتنزيه وعزير وعيسى وما فيه من أنواع التنبيه (وقال هذا بيان للناس) أى لاحوالهم واحكامهم وآمالهم فى مآلهم (وهدى) لما فيه كمالهم (الآية) أى وموعظة للمتقين أى نصائح فى أعمالهم بها نجاتهم وخص المتقين لكونهم المنتفعين (فجمع فيه) بصيغة المجهول أى فجمع الله فى كلامه ما أراده من مرامه (مع وجازة ألفاظه) بفتح الواو أى مع اختصار مبانيه (وجوامع كلمه) أى باعتبار اكثار معانيه (أضعاف ما فى الكتب) أى الكتب المنزلة على الانبياء (قبله التى ألفاظها على الضعف) بالكسر أى التزايد (منه) أى من القرآن (مرات) لاشتمالها على الاطناب الموجب لتكثير كلمات واحتواء القرآن على ايجاز بحسب البلاغة والفصاحة موجب اعجاز (ومنها جمعه فيه) أى جمع الله سبحانه وتعالى فى كلامه عز شانه (بين الدليل ومدلوله) أى برهانه وتبيانه (وذلك) أى وسبب ذلك الجمع فى معرض البيان (انه احتج بنظم القرآن) أى بادخال جواهر معانيه فى سلك مبانيه (وحسن وصفه) أى وبحسن وصفه حيث صيغ حلى كلماته فى قوالب مقاماته وفى نسخة رصفه بالراء بدل الواو أى تركيب وصفه من تهذيبه (وايجازه) أى باتيان معان كثيرة فى مبان يسيرة وفى أصل الدلجى واعجازه أى كل منطق فصيح (وبلاغته) أى الرائعة المنضمة الى فصاحته البارعة (واثناء هذه البلاغة) أى فى خلالها (أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالى له) أى ممن يدرك معانيه (يفهم موضع الحجة والتكليف) باعتبار مبانيه (معا) أى مجتمعين فى بيان علومه (فى كلام واحد) أى باعتبار منطوقه ومفهومه (وسورة منفردة) أى باعتبار عبارتها واشارتها فيفهم مثلا من قوله تعالى فلا تقل لهما أف تحريم غير الاف بالاولى وان الكف عنه أقوى ومن قوله فصل لربك وانحر انه حجة لوجوب صلاة العيد والاضحية وانه مكاف بهما فى القضية

(ومنها ان جعله) أى الله سبحانه (فى حيز المنظوم) بفتح الحاء وتشديد التحتية المكسورة أى فى مقامه (الذى لم يعهد) أى لم يعرف مثله ولم يسبق قبله بجعله ذا قرائن لها فواصل معلومة القوافى كقوافى الابيات المنظومة (ولم يكن فى حيز المنثور) أى المتفرق الخارج عن هيئة المنظوم (لان المنظوم أسهل) أى من المنثور (على النفوس) أى فى درك مبانيه (وأوعى للقلوب) أى واحفظ لها فى أخذ معانيه (وأسمح) بالحاء المهملة أفعل تفضيل من السماح وهو بمعنى الجود والكرم والمسامحة هى المساهلة والتساهل ومنه حديث السماح رباح أى اسهل قبولا وأقرب وصولا (الى الآذان) بمد الهمزة جمع الاذن والمراد بها الاسماع

وأغرب الدلجى فى قوله اسمح بحاء مهملة من الاسماح لغة فى السماح انتهى ووجه غرابته لايخفى وقال الحلبى بالحاء المهملة من سمح العود اذا لان انتهى وهو تكلف مستغنى عنه مع ان صاحب القاموس استاذه ذكر اسمحت الدابة لانت بعد استصعاب وعود سمح لاعقدة فيه انتهى وكلاهما لايلائم المقام كما لايخفى على طباع الكرام هذا وقدم الحلبى على هذا قوله اسمع هو من سماع الاذن أى أسرع استقرارا فى سماع الاذن انتهى ويؤيده انه فى نسخة اسمع بالعين المهملة (وأحلى على الافهام) لاشتمال ما فيه من التلاوة على أنواع من الحلاوة مع زيادة الطراوة والطلاوة (فالناس اليه أميل والاهواء اليه أسرع) أى وأقبل والحاصل ان منهجه ليس على طريق الشعراء فى نظمهم وقوافيهم ولا على طريق الخطباء فى التزام سجعهم فى أواخر مبانيهم بل كلام بديع منيع يباين كلام غيره سبحانه وتعالى مع عظمة شانه وسلطنة برهانه (ومنها تيسيره) أى تسهيله (تعالى حفظه لمتعلميه) أى طالبى تعلمه نظرا (وتقريبه) أى تهوينه (على متحفظيه) أى طالبى حفظه غيبا (قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) تمام الآية فهل من مدكر كما فى نسخة أى من متعظ وأصله مذتكر

على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى انه وقع فيه الجمع المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو أئذا متنا الخ عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله أفرأيتم ما تمنون الى آخره وقيل انه كقوله فلا تقل لهما أف انه حجة لتحريم التأفيف ومكلف باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب الصلاة والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لامحصل له ومحل يحتاج للتحرير (ومنها) أى من وجوه اعجازه (ان جعله فى حيز) يقال تحيز وتحوز تفعيل وهذه المادة معناها فى كلام العرب يتضمن العدول من جهة أخرى من الحيز وهو فناء الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية فالمستقر فى موضعه كالجبل لا يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود وهو أعم من هذا والمتكلمون يريدون به أعم من هذا وهو كل ما أشير اليه سواء كان له حيز أولا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية (المنظوم الذى لم يعهد) أى المؤلف الواقع على طريقة لاتشابه شيأ من كلامهم المنظوم لاشعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه فى كتاب الابانة ثم قال فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت هى ما فى القرآن من البلاغة التى لايقدر أشد أهل البلاغة واللسن تقدما فى البيان ان يأتى بمثلها أو ما يقاربها (ولم يكن فى حيز المنثور) أى لم يشبه أقسام منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف كحروف روى الشعر ولا خطابة لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحاتها لاشتماله على الفواصل كما توهم (لان المنظوم أسهل على النفوس) أى الكلام المنسق نظمه وتأليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنثور بالمعنى السابق (وأوعى للقلوب) جمع قلب أى ادخل فى وعائه وهو القوة الحافظة له وفى الحديث بعد ذكر الانبياء الذين رآهم فى السماء أوعيت منهم أى أدخلته فى وعاء قلبى فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كما قال هو أوعى لى ولا قلب فيه والصواب والقلوب أوعى له كما توهم (واسمح فى الآذان) بسين وحاء مهملتين أى أسهل مستعار من السماحة وليس من أسمح المزيد كما قيل وليس أيضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ أى منفذ الاذن كما توهم (وأحلى على الافهام) أى يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة (فالناس اليه أميل) أى أكثر ميلا ومحبة كما قال التسترى * فانى الى قوم سواكم لأميل * (والاهواء اليه أسرع) جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها أى ميل القلوب نحوه أشد من ميلها لغيره (ومنها) أى من وجوه اعجازه (تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه) أى من يريد تعلمه (وتقريبه على متحفظيه) أى تسهيل حفظه لمن يريده (قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر) فى

الكشاف

الكشاف معنى الآية سهلناه للاذكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ وأعنا من أراد حفظه ويجوز ان يكون معنى يسرناه هيئناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه كما قال

وقمت اليها باللجام ميسرا * هنالك يجزيني الذي كنت أصنع

وعلى الوجه الثاني بنى المصنف استشهاده بالآية (وسائر الامم) التي قبل هذه الامة من أهل الكتابين وغيرهم (لايحفظ كتبها الواحد منهم) أي لا يوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل على أنبيائهم الا نادرا وروى عن ابن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظروا في صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله تعالى وقيل انها احرقت فجاء عزير وتلاها عليهم كما نزلت من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة لا تحصى الى الآن (فكيف الجماء) منهم أي فاذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم الا نادرا كيف يتيسر للكثير والجماء بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع والكثرة التي لا تعد وفي بعض النسخ فكيف الجم بدون مد وكلاهما صحيح رواية ودراية وفي الاساس عدد جم وجبل وجبا جما وجاؤا جما غفيرا والجماء الغفير اشتق من جمة الشعر وما قيل من ان الصواب الجم لانه لا يتلفظ بالجماء الا موصوفا نحو جاؤا الجماء الغفير لا أصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره أهل العربية (على مرور السنين عليهم) أي مع طول أعمارهم وامتداد أزمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم (والقرآن ميسر حفظه للغلمان) أي لغلمان هذه الامة وأطفالهم في مكتبهم (في أقرب مدة) أي في زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو من حين يولد الى ان يشب (ومنها) أي من وجوه الاعجاز عند بعضهم (مشاكلة بعض اجزائه بعضا) أي مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في الكيف والشكل الدل وهو في الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة ومن هذا قيل الناس اشكال وآلاف وأصل المشاكلة من الشكل أي تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (وحسن ائتلاف أنواعها) أي مناسبة أنواع تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة وجمله المركبة أيضا بينها الفة وحسن مناسبة تامة (والتئام اقسامها) بهمزة ويجوز ابدالها ياء أيضا أي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكله (وحسن التخلص من قصة الى أخرى) وهو ان يوافق مطلع السابقة مبدؤ اللاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة (والخروج من باب الى غيره) أي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع آخر في ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (على اختلاف معانيه) الضمير للقرآن وعلى بمعنى مع أي تراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج عن المناسبة التامة في جمله وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب أجلها مناسبات البقاعي وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله

يقول في فرس صحبي وقد أخذت * منى السرى وخطى المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا (وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي وخبر واستخبار) أي استفهام وهو أحد اقسام الانشاء المقابل للخبر وعدى الانقسام بعلى والمعروف تعديته بالى الى اقسامه وانما يتعدى بعلى لمن يعطى تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم الى دراهم ودنانير وتقول قسمته على الفقراء والمساكين فاذا استعمل أحدهما في مكان الآخر وأراد الكلام كان تجوز النكتة وهي هنا

(وسائر الامم) أى وبواقيها (لايحفظ كتبها الواحد) أى كل مايطلق عليه اسم الواحد (منهم) فاللام للعهد الذهني الذي هو في المعنى نكرة وهي في سياق النفي تفيد العموم وحينئذ يناسب قوله (فكيف الجماء) وفي نسخة الجم أي فيستبعد ان يحفظه الجم الغفير والجمع الكثير (على مرور السنين عليهم) وفي نسخة الاعوام جمع عام بمعنى سنة (والقرآن) أي بحمد الله والمنة (ميسر) وفي نسخة متيسر (حفظه على الغلمان) بكسر الغين جمع غلام أي الاولاد الصغار (في أقرب مدة) أي كسنة أو أقل أو أكثر بحسب مراتب جودة الذهن والفطنة والفطرة (ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا) أي مشابهته في تناسب مبانيه وتجاذب معانيه (وحسن ائتلاف أنواعها) أي أمرا ونهيا ووعدا ووعيدا وقصة وموعظة (والتئام اقسامها) أي توافقها في سلامة التركيب وسلامة الترتيب (وحسن التخلص) أي الانتقال (من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه) أي المأخوذة من تفاوت مبانيه (وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهي وخبر واستخبار

ووعدووعيد واثبات نبوة) أقول وقد اجتمعت هذه الوجوه في آية وهي قوله تعالى قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده مع زيادة الاعتذار بقوله وهم لا يشعرون مع التنبيه لهم في صدر الآية بالنداء وتنزيل النمل منزلة العقلاء وغير ذلك من الاشارات والايماء (وتوحيد) أي في الذات (وتفريد) أي في الصفات (وترغيب) أي الى الطاعة بالمثوبة (وترهيب) أي عن المعصية بالعقوبة (الى غير ذلك من فوائده) أي منضمة الى ما عدا ذلك من منافعه وعوائده مما يلتقط من مساقط موائده كضرب مثل وبيان حال واشعار وايثار يوجب للسالك وصوله (دون خلل يتخلل فصوله) أي أنواع أبواب مما يقتضي حصوله وأبعد الدلجي في جعل الفصل بمعنى الفاصلة (والكلام الفصيح) كان الاظهر ان يقول اذا الكلام أولان الكلام الفصيح ولو كان على المنهج الصحيح والغرض الصريح (اذا اعتوره) أي تداوله وفي أصل الدلجي اذا اعتراه أي غشيه وألم به (مثل هذا) أي الذي يتخلل الفصول وهو في الحقيقة بمعنى الفضول (ضعفت قوته) أي نزلت مرتبته في فن البلاغة (ولانت جزالته) أي وهانت منزلته عن درجة عظمة الفصاحة (وقل رونقه) أي حسنه وبهجته في تأديته الحلاوة (وتقلقلت ألفاظه) أي اضطربت مبانيها واختلفت معانيها وفي نسخة تقلقت بلام واحدة مشددة أي صارت قلقة في المبنى وغلقة في المعنى (فتأمل) أي في بيان المرام (أول ص) أي سورتها حيث صدرها بقوله ص أي يا صادق والقرآن ذي الذكر أي صاحب العز والشرف للوافق (وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم) وخلافهم مع سيد الابرار بقوله تعالى حكاية عنهم بل الذين كفروا في عزة وشقاق أي استكبار عن الحق واستدبار عن الصدق (وتقريعهم) أي ومن توبيخهم وتخويفهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله تعالى كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (وماذكر من تكذيبهم بمحمد) صلى الله تعالى عليه وسلم (وتعجبهم مما أتى به) أي حيث قال تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب (والخبر عن اجتماع ملائهم) وفي نسخة عن اجماع ملائهم (على الكفر) وذلك لما روي ان عمر رضي الله تعالى عنه لما أسلم شق ذلك على قريش فقال أشرافهم لابي طالب أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن أخيك فقال له هؤلاء قومك يسئلونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال ما تسئلوني قالوا ارفضنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشيء عجاب أي في غاية من العجب

هؤلاء

جعل المقسم الكلي كأنه أمر خارج قسم على افراده أو انواعه فنال كل حصة منه لوجوده في ضمنه فلا يحسن ذلك في كل محل ولا من كل قائل (ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد) كقوله وما كنت ثاويا في أهل مدين اذ قضينا الى موسى الامر وقوله انما الله اله واحد (وتقرير) لبعض ما شرع أولا (وترغيب وترهيب) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وان من كفر في سواء الجحيم منضما ماذكر (الى غير ذلك من فوائده) كضرب الامثال وذكر القصص للعبرة بها (دون خلل) أي أمر يخل به وينقصه (يتخلل فصوله) أي يكون في اثناء فصوله والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعنى الفاصلة وهي الكلمة مما يضاهي السجع (والكلام الفصيح) من كلام البشر (اذا اعتوره) أي ورد عليه وطرأ وتداوله (مثل هذا) أي تضمن أنواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخال فصوله التي ينشئها المتكلم الفصيح (ضعفت قوته) لانه يكل خاطر قائله بتعدد أنواع المقاصد فينزل عن مرتبتها التي ساقها في أوله (ولانت جزالته) أي صلابته وشدته تنقلب لضدها (وقل رونقه) أي صفاؤه ونضارته (وتقلقلت ألفاظه) أي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل في البلاد اذا طال سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل (فتأمل) أي تدبر واطل النظر والفكر (أول) سورة (ص) والقرآن ذي الذكر الى آخره (وما جمع فيها) بالبناء للفاعل أو المفعول وانث ضمير أول لانه بمعنى الفاتحة أولا كتسابه التأنيث مما أضيف اليه من اسم السورة (من أخبار الكفار) أي كفار قريش من تعجبهم بان جاءهم نذير منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره (وشقاقهم) أي عداوتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق (وتقريعهم) وتوبيخهم (باهلاك القرون من قبلهم) بقوله كم أهلكنا قبلهم من قرن (وماذكر) فيها (من تكذيبهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم) في قولهم ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق (وتعجبهم مما أوتي به) في قوله أأنزل عليه الذكر من بيننا الى آخره (والخبر عن اجتماع ملائهم على الكفر) الخبر هنا بمعنى الاخبار والملأ جماعة الاشراف والرؤساء وذلك انه لما أسلم عمر رضي الله تعالى عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند أبي طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن أخيك فخاطبهم له صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد

(وماظهر من الحسد في كلامهم) أي من قوله تعالى حكاية عن مرامهم أأنزل عليه الذكر من بيننا (وتعجيزهم) أي بقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب (وتوهينهم) أي وتحقيرهم بقوله سبحانه وتعالى جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب (ووعيدهم بخزي الدنيا) وفي نسخة بخزي في الدنيا أي بهزيمتهم فيها (والآخرة) أي بذوق عذاب أليمها (وتكذيب الامم قبلهم) أي أنبياءهم ورسلهم (واهلاك الله لهم) أي للمكذبين منهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعني قريشا واحزابهم (مثل مصابهم) بقوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق (وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم) أي حمله على الصبر (على أذاهم) أي الذي من جملته ما بالغوا في تكذيبهم له وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فسلاه بقوله تعالى اصبر على ما يقولون أي لا تبال بقولهم ولا تكترث بفعلهم وكن معنا مشاهدا النا في آياتنا وقدرتنا على كائناتنا (وتسليته) أي الشاملة (بكل ما تقدم ذكره) أي بيانه عنهم (ثم أخذ) أي شرع بعد تسليته (في ذكر داود) أي بقوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب أي كثير الرجوع الى أبواب رب الارباب فانت كذلك لازم الباب ولا تلتفت الى ما صدر من أرباب الحجاب وأما ما ذكره الدلجي هنا فما لا يصلح ان يفسر به فصل الخطاب ولذا أعرضت عن ذكره في الكتاب والله تعالى أعلم بالصواب (وقصص الانبياء) أي حكاياتهم كسليمان وأيوب وابراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم عليهم الصلاة والسلام مع ما اشتمل عليه من عظيم الثناء وكريم العطاء (كل هذا) أي الذي ذكره أول ص (في أوجز كلام وأحسن نظام) أي وأتم مرام (ومنه) أي ومن اعجاز القرآن أو من هذا القبيل الذي ذكر أول ص من اعجاز الفرقان (الجملة) الاولى الجمل (الكثيرة) أي من جهة المعاني (التي انطوت) أي اشتملت (عليها الكلمات القليلة) أي من حيثية المباني.

هؤلاء قومك يسألونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال لهم ماتسألوني قالوا دعنا وآلهتنا وندعك والهك فقال أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتموه أتعطيني أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد (وماظهر من الحسد في كلامهم) أي ما ظهر في كلامهم مما يدل على حسدهم له صلى الله تعالى عليه وسلم على ما آتاه الله في قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا مما دل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان الحسد أخرس ألسنتهم وأعمى قلوبهم (وتعجيزهم) حيث قال أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب فانهم لما أنكروا اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده فلا مانع لما أراد فانهم لا يملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة في صناديدهم فان أنكروا ذلك فليصعدوا الى السماء وينزلوا الوحي لمن أرادوه وفي هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم وقصورهم (وتوهينهم) أي اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب أي هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذو واحقارة لا قدرة لهم على التصرف في الامور الربانية فلا تكترث بهم (ووعيدهم بخزي الدنيا) بهزيمتهم (والآخرة) بذوقهم العذاب فيها (وتكذيبهم الامم قبلهم) أي وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم (واهلاك الله لهم) بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب (ووعيد هؤلاء) يعني كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم رسلهم فيحل بهم ما حل بهم (مثل مصابهم) منصوب بقوله وعيدهم (وتصبير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على أذاهم) أي أمره بالصبر بقوله اصبر على ما يقولون الى آخره (وتسليته بكل ما تقدم ذكره) من بيان ما آل اليه أمرهم وان له صلى الله تعالى عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة (ثم أخذ) أي شرع بعد تصبيره وتسليته (في ذكر داود عليه الصلاة والسلام) بقوله واذكر عبدنا داود الى آخره قيل لما في قصته من تقطيع المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فما بالك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر (وقصص الانبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وأيوب وابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله واعتدفتنا سليمان الى آخره فذكرهم الله تعالى مثنيا عليهم (كل هذا) المذكور في أول سورة ص مذكور (في أوجز كلام وأحسن نظام) على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل فصاحته (ومنه) أي من اعجاز القرآن وفي بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكر في أول سورة ص (الجمل الكثيرة) من المعاني لقوله (التي انطوت عليها) واشتملت (الكلمات القليلة) بالنسبة لمعانيها وفي القلة والكثرة

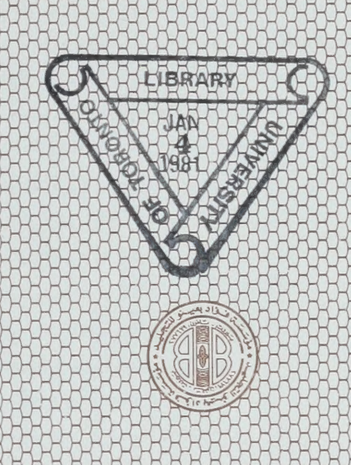
طباق البديع وقيل عليه ان محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله (وهذا كله) أى ماذكرهنا (وكثير مماذكرنا) فى هذا الفصل من أوله الى هنا (انه ذكر فى اعجاز القرآن) مضافا (الى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها اذا كثرها داخل فى باب بلاغته) أشار بقوله أكثرها الى ان منها مالا يدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه وان كان يرجع اليه بوجه بعيد والالم يعده الأئمة من وجوه الاعجاز (فلا يجب ان يعدفنا منفردا فى اعجازه) بل يجعل من توابعه أوثمراته (الافى باب تفصيل فنون البلاغة) فيه دفنا منها كمشاكلة أجزائه وحسن التخلص فانه فن منفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف عليه اذ من المعجز مالا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا (وكذلك) أى من مثل المذكور (كثير مماقدمناه ذكرها عنهم) أى عن الأئمة (يعد فى خواصه وفضائله لا اعجازه) لانه لا مدخل له فيه (وحقيقة الاعجاز) عند من لم يقل بالصرفة انما هى (الوجوه الاربعة) التى قدمها المصنف رحمه الله تعالى أولا كما قال (التى ذكرنا فليعتمد عليها) فى تحقيق الاعجاز ويستند اليها من أراد تحقيقه (ومابعدها) مماذكر فى هذا الكتاب فانما هو (من خواص القرآن) التى لا توجد فى كلام غيره (وعجائبه التى لا تنقضى) أى لا تعد ولا تتناهى (وبالله التوفيق) أى ما التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التى لا تتناهى الا من الله وعنايته وفى بعض النسخ والله الموفق وفى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبى وشفاء همى وغمى ثم عقب معجزة القرآن التى هى أعظم معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم بمعجزة أخرى عظيمة مناسبة له فى انها سماوية ومعجزة عليه فقال

()

تم بحمد الله الجزء الثانى من نسيم الرياض على الشفاء ويليه الجزء الثالث أوله (فصل انشقاق القمر وحبس الشمس)

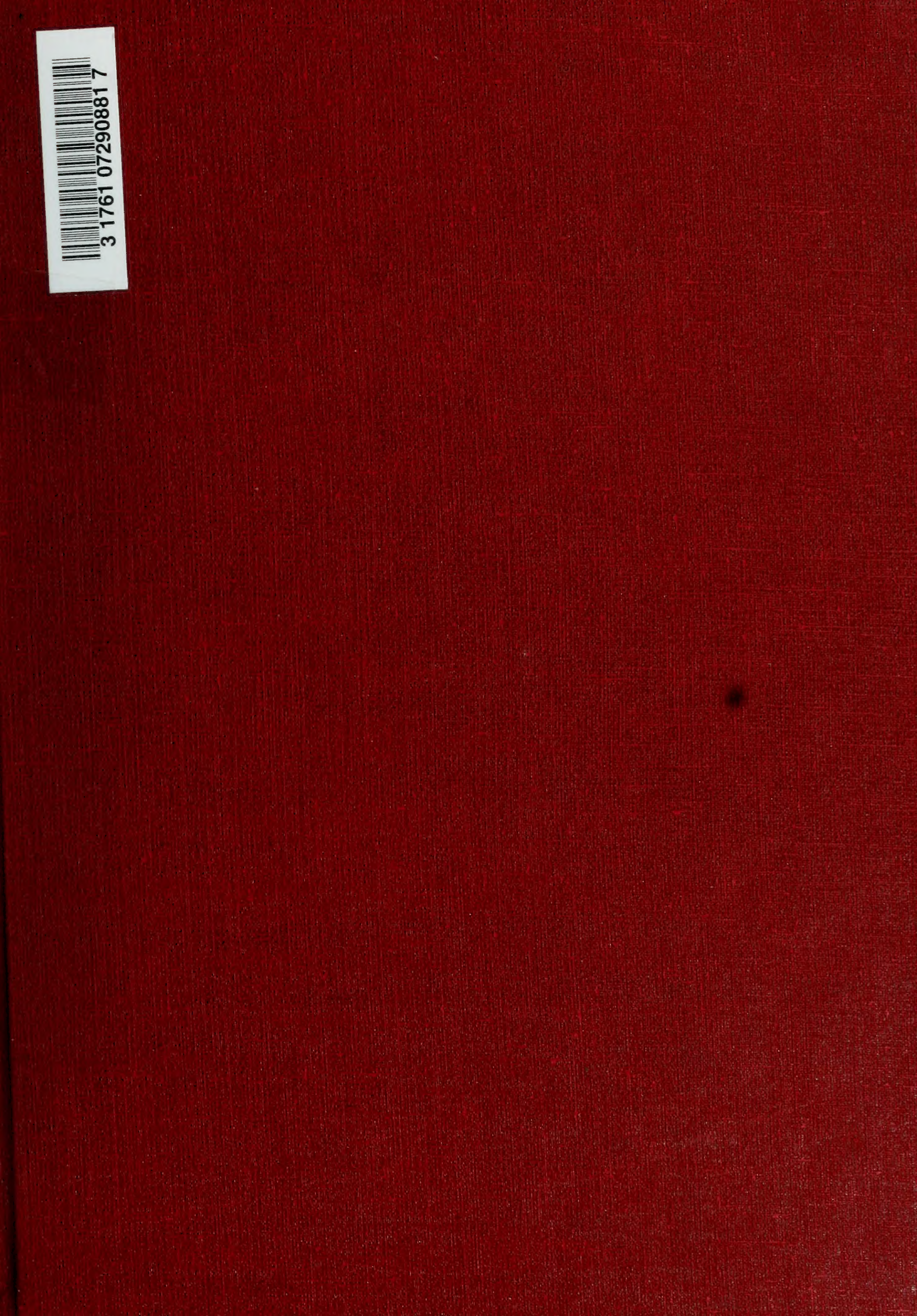
(وهذا) أى ماذكر (كله) أى جميعه (وكثير مماذكرنا انه ذكر فى اعجاز القرآن الى وجوه) أى مع وجوه أومنضما الى وجوه (كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها) أى نحن فى وجوه اعجازه (اذ أكثرها داخل فى باب بلاغته) أى المتضمنة لمراتب فصاحته (فلا يجب ان يعد) بصيغة المجهول أى فلا يليق أن يجعل على حدته وفى نسخة صحيحة فلا نحب أى لا نود ان نعد بنون المتكلم فيهما (فنا منفردا) أى وفى نسخة منفردا أى من أنواع بلاغته (فى اعجازه الافى باب تفصيل فنون البلاغة) وفى نسخة صحيحة بالضاد المعجمة (وكذلك) أى مثل ماهو داخل فى بابها (كثير مماقدمنا ذكره عنهم يعد فى خواصه) أى التى لا توجد فى غيره (وفضائله) أى الزائدة عن نحوه (لا اعجازه) بالجر وفى نسخة صحيحة لا فى اعجازه (وحقيقة الاعجاز) أى مابه العجز (الوجوه الاربعة التى ذكرناها) أى فى فصولها (فليعتمد عليها وما بعدها) وأما ماعداها مماذكرنا فانما هو (من خواص القرآن وعجائبه التى لا تنقضى) أى لا تنتهى غرائبه وهذا غاية التحقيق (والله ولى التوفيق)





LIBRARY
JAN 4 1981
UNIVERSITY OF TORONTO




3 1761 07290881 7